Yarhoun

المشرق

مجلّة كاثوليكية تصدر مرّة في الشهر في ٨٠ صفحة برسوم وتصاوير عند اللزوم

تحتوي مباحث علمية وادبية وفنية

بادارة آباء كلّيّة القديس يوسف لصاحب امتيازها الاب لويس شيخو اليسوعي

السنة الحادية عشرة

١٩٠٨

قيمة الاشتراك ١٢ فرنكًا لبيروت و ١٥ فرنكًا للخارج

طبع في بيروت بالمطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين سنة ١٩٠٨

AL-MACHRIQ

REVUE CATHOLIQUE ORIENTALE MENSUELLE

Sciences — Lettres — Arts.

Sous la direction des Pères de l'Université S^t Joseph

Paraissant une fois le mois

en un fascicule de 80 pages grand in-8°

avec illustrations selon les besoins du texte.

ONZIÈME ANNÉE

1908

Prix de l'abonnement annuel: Beyrouth 12 francs — Union postale 15 francs.

BEYROUTH

Imprimerie Catholique

1908



Imp. Cath. Beyrouth.

S[t] JEAN CHRYSOSTOME (344 — 407)

المشرق

التذكار المئوي لوفاة الفم الذهبي

نظر تاريخي للاب لويس شيخو اليسوعي

{هوذا الكاهن العظيم الذي ارضى الله
في ايامهِ ووُجد برًّا كاملًا}

هو الثناء الطيب الذي استعارتهُ الكنيسة من اقوال ابن سيراخ لتطرئ بهِ كهنتها العظام. الذين انشأ الربّ فيهم مجدًا كثيرًا وابدى على يدهم عظمتهُ بين البشر» اولئك الذين كانوا «رجال اسمٍ وبأسٍ فخلّفوا لهم ذكرًا يُخبر بمدائحهم. اجسامهم دُفنت بالسلام واسماؤهم تحيا مدى الاجيال»

على انَّ بين اولئك الائمة الفطاحل قد برّز افرادٌ يتلألأ نورهم في فلك الكنيسة كالكواكب الزُّهر او النيّرات الساطعة التي تشعُّ بضيائها فيقرُّ بها البصر حيثما مال. وقد شبَّههم السيّد المسيح بسرجٍ على منائر يستضيء بهم اولاد الله ويقتبسون من انوارهم في كل اطوار الحياة. او قل بالحري انهم في عالم الدين بمثابة العناصر التي يستمدُّ منها المرءُ لنموّ جسمهِ وكمال معاشهِ. ولا جرم انَّ القديس يوحنَّا المعروف بفم الذهب في مقدّمة اولئك الرجال العظام الذين تفتخر الكنيسة بمآثرهم وتستقي من مواردهم لاسيا الكنائس الشرقيّة التي شحنت طقوسها من اقوالهِ وتعاليمهِ فلا تكاد تقيم رتبةً الّا تقتفي بمعالهِ وتتقرّب الى الله بادعيتهِ

فللّه درّ الكنيسة الرومانيّة التي لم تشأ ان تمرَّ عليها السنة ١٩٠٧ وهي تمام المئة الخامسة عشرة لوفاة ذلك الملفان الكبير دون ان تقيم لذكرهِ اعيادًا حافلةً في عاصمة الكثلكة لتشيد بمحامدهِ وتنشر على رؤوس الملاءِ مفاخرهُ. وقد أعلمتنا اخبار رومة ما

عُقد فيها من الحفلات الشائقة وتُلي من الخطب الرائقة في نوادي الادباء منذ الشهر ايلول الذي فيهِ كانت وفاة القديس ثمَّ تتابعت هذه مجالي الإكرام والعزّ في الاشهر التالية فزادت بهاء ورونقًا حتى تبلغ غايتها في أواخر كانون الثاني من هذه السنة الجديدة حيث يقع تذكار عيدهِ في الكنيسة اللاتينيَّة

فما احقَّ بالنصارى الشرقيين عمومًا والسوريين خصوصًا ان يشاركوا الكنيسة البطرسيَّة بفرائض الشكر وواجبات الاكرام يقدّمونها لذلك العلَم الشهير الذي وُلد في مواطنهم وقدَّس بلادهم باعمالهِ الخطيرة وشرَّفهم بتآليفهِ الممتازة وبمواعظهِ العسجديَّة ·
وقد سرَّنا انَّا رأينا غبطة بطريرك الارمن الكاثوليك تأسى بأمّ الكنائس فاقام الرُّتب البهجة واحتفل الحفلات الشهيَّة في الاستانة العليَّة حيث سطع ذلك النور الأنور على كرسيّ القسطنطينيَّة فزيَّنهُ بفضله وفضائلهِ وخلَّد لهُ ذكرًا لا تطمسهُ الدهور

وهذه مراسيم الشكر والامتنان تحدو بنا أن نفتتح سنتنا الجديدة بمقالة نخصُّها بذكر وطنيّنا العظيم ونتيمّن بتدوين اسمهِ في هذه المجلّة التي وقفناها على مثالهِ لخدمة الدين والعلم

وليست نيَّتنا هنا ان نسرد كل اعمال الذهبيّ الفم فان ذلك يقتضي مجلَّدات ضخمة سبقَنا اليها غيرنا من الكتبة وانَّما نكتفي ان نمثّل شيئًا زهيدًا من مآثرهِ في اسقفيَّتهِ فنبيّن انهُ كان قدوةً للاحبار وصورةً حيَّة لرعاة الكنيسة

قد اختصر السيّد المسيح لذكرهِ المجد واجبات خدَمة الدين بهذه الآية لمَّا قال في انجيله الطاهر (متى ٥ : ١٩) : « الذي يعمل ويُعلّم ذلك يدعى عظيمًا في ملكوت السماوات » . وقد تقدَّم الربّ وجعل نفسهُ قدوة لرعاة الكنيسة « في جميع الامور التي عملها وعلّم بها » (اعمال ١ : ١) فوضع كمال الكهنوت في العمل اوَّلًا ثم بالتعليم لأنَّ الكاهن ولاسيما الاسقف الذي هو رأس الكهنة أُقيم راعيًا للنفوس ومن شأن الراعي ان يتقدَّم خرافهُ فتمشي هي على آثاره وتقتدي بهِ وتسمع صوتهُ

وقد حقَّق يوحنَّا فم الذهب في نفسهِ هذا الكمال الكهنوتي فكان في كلّ اطوار حياتهِ وبالاخصّ في مدَّة اسقفيتهِ رجلَ عملٍ وعلمٍ قلَّما نال غيرهُ منهما ما اصابهُ

هو

١ رجل العمل

ظهر يوحنَّا فم الذهب في عصر كثرت فيهِ الرجال العظـام فكانت الكنيسة بعد المحن والاضطهادات التي صادفتها في القرون الثلاثة الاولى قد انتصرت على اصنام الوثنيَّة فجلست بهمَّة قسطنطين الكبير على منصَّة المجد والبهاء كالشمس تبدّد السحب الحاجبة لنورها فتبعث باشعَّتها الساطعة الى اقاصي السماء . فأنَّى القيتَ الابصار رأيت جهابذةً سموا بفضلهم وزيَّنوا مواطنهم بعلومهم ومآثرهم . فازدهت رومية بعظيم احبارها داماسوس واعتزَّت ايطالية بامبروسيوس وافتخرت غالية بايلاريوس وتباهت افريقية باوغسطينوس وتشرَّفت فلسطين بايرونيموس واستنارت مصر باثناسيوس وتغنَّت الجزيرة باناشيد افرام السرياني كما طربت بلاد بنطوس بقصائد غريغوريوس اللاهوتي واهتزَّت لتعاليم باسيليوس الالهيّ . فلم يشإِ الله ان تعدم سواحل الشام كوكبًا زاهرًا فجعل حصَّتها يوحنَّا الذهبيّ الفم ليضمَّ نورهُ الى تلك الثريَّا النيّرة وحبَّذا النصيب

كان مولد يوحنَّا في انطاكية نحو السنة ٣٤٤ من اب قائد لجند الرومان اسمهُ سِكُندس ووالدة تُدعى انتوسة وكان كلاهما مسيحيًّا على خلاف ما زعم بعض الكتبة انهما تنصَّرا بعد ولادة ابنهما . ثم توفي سكُندس ولم يبلغ الولد سوى اربع سنوات فعطفت عليهِ والدتهُ ولم تشأ لها تعزيةً الّاهُ فترعرع الغلام في حجر امّهِ وما لبث ان احيا فيهِ شهامة والده الجنديّ ودماثة اخلاق والدتهِ وذكاء اهل وطنهِ

فلمَّا رأت انتوسة مخايل النجابة لائحةً على محيَّا ولدها وأَنِستْ برغبتهِ الى العلوم سلَّمتهُ الى ابرع اساتذة وطنهِ وكانت انطاكية في ذلك العهد امَّ مدن المشرق تباري اكبر حواضر العالم الرومانيّ بمدارسها وصيت معلّميها . فبعد ان اتقن يوحنَّا قواعد الايمان ومبادئ الادب تخرَّج في فنّ البلاغة على خطيب زمانهِ المصقع ليبانيوس فاقرَّ لهُ استاذهُ بعد حين بالسبق على اقرانهِ . ثم درس الفلسفة على اندراغاتيوس احد ائمَّة الفلاسفة فاصبح اماماً في كل مشتملاتها . ثم اضاف الى هذه المعارف الدنيويَّة ما هو اسمى واشرف فتتلمذ لاستاذين فاضلين كرتيريوس وديودورس واخذ عنهما العلوم الدينيَّة النظريَّة والعمليَّة فوجداهُ عمَّا قليل اهلًا لأن يتصدَّر لارشاد غيره في هذه الفنون كلها

عُقد فيها من الحفلات الشائقة وتُلي من الخطب الرائقة في نوادي الادباء منذ الشهر ايلول الذي فيهِ كانت وفاة القديس ثمَّ تتابعت هذه مجالي الإكرام والعزّ في الاشهر التالية فزادت بهاء ورونقاً حتى تبلغ غايتها في أواخر كانون الثاني من هذه السنة الجديدة حيث يقع تذكار عيده في الكنيسة اللاتينيَّة

فما احقَّ بالنصارى الشرقيين عموماً والسوريين خصوصاً ان يشاركوا الكنيسة البطرسيَّة بفرائض الشكر وواجبات الاكرام يقدّمونها لذلك العلَم الشهير الذي وُلد في مواطنهم وقدَّس بلادهم باعمالهِ الخطيرة وشرَّفهم بتآليفهِ الممتازة وبمواعظهِ العسجديَّة. وقد سرّنا انَّا رأينا غبطة بطريرك الارمن الكاثوليك تأسى بأُمّ الكنائس فاقام الرُّتب البهجة واحتفل الحفلات الشهيَّة في الاستانة العليَّة حيث سطع ذلك النور الأَنور على كرسيّ القسطنطينيَّة فزيَّنهُ بفضله وفضائلهِ وخلَّد لهُ ذكرًا لا تطمسهُ الدهور

وهذه مراسيم الشكر والامتنان تحدو بنا أن نفتتح سنتنا الجديدة بمقالة نخصُّها بذكر وطنيّنا العظيم ونتيمّن بتدوين اسمهِ في هذه المجلَّة التي وقفناها على مثالهِ لخدمة الدين والعلم

وليست نيَّتنا هنا ان نسرد كل اعمال الذهبيّ الفم فان ذلك يقتضي مجلَّدات ضخمة سبقَنا اليها غيرنا من الكتبة وانَّما نكتفي ان نمثّل شيئاً زهيدًا من مآثرهِ في اسقفيَّتهِ فنبيّن انهُ كان قدوةً للاحبار وصورةً حيَّة لرعاة الكنيسة

قد اختصر السيّد المسيح لذكرهِ المجد واجبات خدَمة الدين بهذه الآية لمَّا قال في انجيله الطاهر (متى ٥ : ١٩): «الذي يعمل ويُعلّم ذلك يدعى عظيماً في ملكوت السماوات». وقد تقدَّم الربّ وجعل نفسهُ قدوة لرعاة الكنيسة «في جميع الامور التي عملها وعلَّم بها» (اعمال ١ : ١) فوضع كمال الكهنوت في العمل اوَّلًا ثم بالتعليم لأنَّ الكاهن ولاسيا الاسقف الذي هو رأس الكهنة أُقيم راعياً للنفوس ومن شأن الراعي ان يتقدَّم خرافهُ فتمشي هي على آثاره وتقتدي بهِ وتسمع صوتهُ

وقد حقَّق يوحنَّا فم الذهب في نفسهِ هذا الكمال الكهنوتي فكان في كلّ اطوار حياتهِ وبالاخصّ في مدَّة اسقفيتهِ رجلَ عمل وعلم. قلَّما نال غيرهُ منهما ما اصابهُ هو

١ رجل العمل

ظهر يوحنا فم الذهب في عصر كثرت فيه الرجال العظماء فكانت الكنيسة بعد المحن والاضطهادات التي صادفتها في القرون الثلاثة الاولى قد انتصرت على اصنام الوثنية فجلست بهمة قسطنطين الكبير على منصة المجد والبهاء كشمس تبدد السحب الحاجبة لنورها فتبعث باشعتها الساطعة الى اقاصي السماء . وفي تلك الاعصار رأيت جهابذة سموا بفضلهم وزينوا مواطنهم بعلومهم ومآثرهم . فازدهت رومية بعظيم احبارها داماسوس واعتزت ايطالية بامبروسيوس وافتخرت غالية بايلاريوس وتباهت افريقية باوغسطينوس وتشرفت فلسطين بايرونيموس واستنارت مصر باثناسيوس وتغنت الجزيرة بالنشيد لقوام السرياني كما طربت بلاد بنطوس بقصائد غريغوريوس اللاهوتي واعتزت لتعالم باسيليوس الالهي . فلم يشأ الله ان تعدم سواحل الشام كوكباً زاهراً فجعل حصتها يوحنا الذهبي الفم ليضم نوره الى تلك الدراري النيرة وحيدًا للتحبيب

كان مولد يوحنا في انطاكية نحو سنة ٣٤٤ من اب قائد لجند الرومان اسمهُ سكندس ووالدة تُدعى انتوسة وكان كلاهما مسيحياً على خلاف ما زعم بعض الكتبة انهما تنصرا بعد ولادة ابنهما . ثم توفي سكندس ولم يبلغ الولد سوى اربع سنوات فعطفت عليهِ والدتهُ ولم تشأ لها تعزية الّا ترعرع الغلام في حجر امهِ وما لبث ان احيا فيهِ شهامة والده الجندي ودماثة اخلاق والدتهِ وذكاء اهل وطنهِ

فلما رأت انتوسة مخايل النجابة لائحة على محيا ولدها وانست برغبتهِ الى العلوم سلمتهُ الى ابرع اساتذة وطنهِ وكانت انطاكية في ذلك العهد احدى مدن الشرق تباري اكبر حواضر العالم الروماني بمدارسها وصيت معلميها . فبعد ان اتقن يوحنا قواعد الاجديات ومبادئ الادب تخرّج في فن البلاغة على خطيب زمانهِ الحقق ليبانيوس فقرّظهُ استاذهُ بعد حين بالسبق على اقرانهِ . ثم درس الفلسفة على اندراغاثيوس احد ائمة الفلاسفة فاصبح الماماً في كل مشتملاتها . ثم اضاف الى هذه المعارف معرفة ما هو اسمى واشرف فتلمذ لاستاذين فاضلين كاريتوس وديودورس واخذ عنهما العلوم الدينية النظرية والعملية فوجداهُ عمّا قليل اهلاً لأن يتصدّر لارشاد غيرهِ في هذه الفنون كلها

على انَّ يوحنا لم يتفرَّغ لتلك الدروس لغاية بشريَّة ليترَّق منها او ليطلب بها جاهاً وفخرًا بل اتخذها ليستعين بها في انتهاج سُبل الكمال فباشر مذ ذاك الحين تلك الاعمال التي سمقت بهِ الى اعلى مراتب القداسة

واوَّل عملٍ صرف اليهِ نظرهُ زهدهُ بالدنيا وملاذّهـا فاقتبل سرّ المعموديَّة على حسب عادة نصارى عصرهِ الذين كانوا يؤخرون عمادهم الى سنّ الشباب او الكهوليَّة ثمَّ انتظم في سلك المترشحين للكهنوت لكنهُ تخوَّف من اعباء تلك الرتبة الساميـة فآثر عليها العيشة النسكيَّة فهجر وطنهُ وودَّع والدتهُ الاسيفة على فراقهِ وفرّ هاربًا الى الجبال المجاورة لانطاكية لينقطع لخدمتهِ تعالى في جملة جماهير النساك الذين كانوا تألَّبوا في تلك القفار ليُحدثوا هناك عجائب رهبـان الصعيد واسقيط . فاندمج في سلكهم واقتبس من انوارهم واستسلم لكل اعمال الزهد وشظف العيش والتقشف التي مارسها سميُّهُ يوحنا الصابغ فكان يلبس المسوح الخشنة ويأكل مرَّة في النهار عند المساء قليلًا من الخبز القفار الاسود لا يأدمهُ بغير الملح وينام مرارًا على الحضيض ويقسم بقيَّة وقتهِ بين الصلاة الى الله والاشغال اليدويَّة الشاقة

وكأنَّ يوحنا لم يجد في هذه المناسك ما يروي غليلهُ من التقشفات فتوغَّل في البراري وأوى الى مغارة عند مصبّ نهر العاصي فعاش هناك عيشة اقرب الى عيشة الملاك منها الى عيشة البشر فكان يستحرُّ في الصلاة ليلًا مع نهار ويتأمل في معاني الاسفار المقدَّسة وهو لا يقتات الَّا بحشائش البرّ بل كاد ينسى أنَّ لهُ جسمًا لا يقوى على مثل هذا العنف فأُصيب بعد مدَّة بداء عضال اضطرَّهُ الى ان يعود على رغمٍ منهُ الى وطنـهِ . لأنَّ الله وجدهُ بعد اعتزالهِ عن ضوضـاء العالم وتجرُّدهِ عن كل حطامهِ آلةً اهلة بمجدهِ واناءً مختارًا يحمل اسمهُ بازاء الشعوب والملوك فلم يشأ ان يترك هذا النور تحت المكيال

فما نقهَ يوحنا من مرضهِ حتى عوَّل ملاتيوس بطريرك انطاكية على ترقيتهِ الى درجة شمَّاس انجيليّ فوضع على راسهِ اليدين وخصَّهُ بخدمة المذابح دون أن يعير سمعًا لامتناعهِ وابائهِ . ثمَّ القى على عاتقهِ شيئًا من اعباء الاسقفيَّة كنظارة اوقاف الكنيسة وتوزيع الصدقات وارشاد الموعوظين ومشاركة الاسقف في خدمة الاسرار الالهية . فقـام بكل هذه المهامّ احسن قيام حتى انَّ ملاتيوس وكل اليهِ السهر على شؤون الرعيَّة في غيبتهِ

لمَّا دُعي الى حضور المجمع القسطنطيني الاوَّل المنعقد سنة ٣٨١ لنفي تعليم مكدونيوس المبتدع في لاهوت الروح القدس

ثمَّ توفي ملاتيوس في القسطنطينيّة وخلفهُ على كرسيّ انطاكية فلابيانوس الذي عرف عند قدومهِ الى انطاكية ما بذلهُ يوحنَّا من العناية في ضبط الامور وحفظ النظام فلم يتردَّد في ترقيتهِ الى الكهنوت سنة ٣٨٦ ليتخذهُ كمساعد لهُ في كلّ الخدم المقدَّسة من وعظ وتعليم وارشاد واسعاف الفقراء وعيادة المرضى. وكانت في المدينة بقايا عادات مستهجنة وخرافات وثنيَّة ورثها الانطاكيون من عبَدة الاصنام آبائهم فأصلاها القديس حربًا عوانًا حتى استأصلها من قلوبهم . وكذلك سعى السعي الطيب في ردّ الخطأة الى التوبة فأناب على يدهِ منهم عددٌ لا يفي بهِ الاحصاء وخلاصة القول جعل نفسهُ على مثال بولس الرسول كلًّا للكل حتى يربح الكلّ للمسيح

وقد ظهرت اعمال غيرتهِ الملتهبة وتمانيهِ في سبيل الخير العام سنة ٣٨٧ اذ اوغر الانطاكيُّون صدر ثاوضوسيوس الكبير لضرائب استثقلوا وطأتها فأبوا وفاءها وأخلد بعضهم الى الفتن وكسروا تمثال الملك فكاد هذا العمل يجلب عليهم الويلات لولا حكمة يوحنا الذي قام وقعد ليطفئْ نار غضب الامبراطور ويخلّص المدينة مما تهدَّدها من العقاب الاليم فترأف الله على شعبهِ وصرف عنهُ ضربةً لازبة كانت لو حلَّت عليهِ بدَّدت شملهُ وجعلت انطاكية قاعًا صفصفًا. وانَّما كان الفضل الاعظم في ذلك للذهبيّ الفم ولفلابيانوس الاسقف

وكان يوحنَّا انتهز تلك الفرصة ليزرع في قلوب الانطاكيين اغراس الفضائل المسيحية ويسوقهم الى كل المساعي الخيريَّة فاضحت تلك العاصمة قدوةً لغيرها من المدن وبقيت على صلاحها زمنًا طويلًا

بقي يوحنَّا في انطاكية عشر سنوات يكدّ ويجدّ في فلاحة كرم الرب وتقليم اغصانهِ لتزيد جناهُ حتى اتجهت اليهِ انظار الملك اركاديوس بن ثاوضوسيوس واتروب كبير وزرائهِ وجميع آل بلاطهِ ليعهد اليه تدبير الكنيسة القسطنطينية المترملة. وكان هذا الكرسيّ بعد اعتزال غريغوريوس النزينزي ووفاة نكتاريوس خلفهِ اصبح أُلعوبةً بايدي المبتدعين لا يطلبون منه الَّا الارباح الخسيسة والمطامع الشخصيَّة فرأى الملك وخاصَّتهُ انَّ ذلك المنصب لا يعود الى شرفهِ وعزّهِ ما لم يُدعَ اليه راعٍ صالح كامل الصفات قادر على

تذليل المصاعب كيوحنا فم الذهب وما كاد يتلفظ باسمهِ حتى صرخ الجميع بصوت واحد انهُ «اهل لهذا المقام ليس مثلهُ راعياً لكنيسة القسطنطينية» فارسل الملك من وقتهِ الى عاملهِ في انطاكية ان يوفدهُ الى العاصمة. لكنَّ البطريق فكتور رأى دون انجاز امر سيّده خرق القتاد اذ كان يعلم ما تكنُّهُ قلوب الانطاكيين من عواطف الحب والاخلاص نحو يوحنا فلم يجد طريقة اخرى ليقوم بامر الملك وينجو من ثورة الاهلين سوى الاحتيال فاستدعى يوحنا يوماً الى زيارة قبور الشهداء في ظهراني المدينة خارجاً عن اسوارها فلبّى دعوتهُ وهو لا يعلم ما كُمن لهُ. فما تجاوز القديس باب المدينة حتى نقلهُ بعض الخدَم في عجلةٍ مهيَّأة لذلك واخذوهُ شاء ام أبى الى ساحل البحر واركبوه سفينةً أبحرت من وقتها الى القسطنطينيَّة

حدّثْ ولا حرج عمَّا جرى ليوحنَّا من الاستقبال الباهر وما أُقيم من الحفلات الشائقة لتنصيبهِ بطريركًا على رومية الجديدة. امَّا اهل انطاكية فاصابهم بفقدهِ من الالم ما لا يفي بهِ وصفُ القلم وانَّما تعزَّوا قليلًا لما نال وطنيُّهم من الحظوى لدى اركاديوس واركان الدولة في حاضرةٍ كانت تُعَدُّ مذ ذاك الحين احدى أُمَّهات المدن وعجائب الدنيا

قبض يوحنا زمام التدبير لرعيَّتهِ بنشاط عظيم متكلًا ليس على نفسهِ بل على الله الذي دعاه الى تلك الرتبة السامية مع أنفتهِ من المناصب الرفيعة والجاه العاليّ وجعل نصب عينيهِ قول الرسول بطرس (في رسالتهِ الاولى ٥ : ٣) انهُ ينبغي على الاسقف ان يكون مثالًا لرعيَّتهِ. بل اراد ان يحيي في نفسهِ صورة الاسقف الكامل كما وصفها بولس الرسول في رسالتهِ الى تيموثاوس الاولى (٣ : ١—٧) وفي رسالتهِ الى تيطس (٥ : ٦— ١٠) بان يكون «بلا عيب عاقلًا مهذبًا غير مُعجب بنفسهِ ولا سريع الغضب ولا ذي حرص على المكسب الخسيس بل مضيفاً للغرباء محبًّا للخير عادلًا تقيًّا عفيفاً ملازماً الكلام الصادق قادرًا على التعليم» فهذا كلُّهُ قد مارسهُ يوحنَّا في منزلتهِ الخطيرة على تمامهِ لم يخلُ فيهِ بحرف

وقد ابتدأ باصلاح دارهِ الاسقفيّة مباشرًا بنفسهِ فكنت تراهُ يعيش عيشة افقر الرعاة يلبس بزَّة حقيرة ويستنكف من كل فخفخة وعظمة وترف جارياً على موجب سيرتهِ القشفة التي سلكها مدّة كهنوتهِ في انطاكية. وكان مثالهُ موثرًا في حاشيتهِ الذين اخذوا اخذهُ واتَّسموا بسيماه في كلّ احوالهم. وقد أدى بهِ هذا الاقتصاد في

النفقات الى ان وفَّر كنوز الكنيسة التي كان يعدُّها كاموال الله وكنوز الفقراء

والحقُّ يقال انهُ اعتبر ذوي البأساء والمساكين والعجزة والمرضى كأعزّ اصدقائهِ فشرع يفيض عليهم سوابغ هباتهِ ممَّا اقتصدهُ على نفسهِ واهل بطانتهِ وكان لا يكتفي بذلك بل يزور المنكوبين في منازلهم ويعول الايتام والارامل ويعود المرضى في المستشفيات فلا يحلّ في مكان الَّا كملاك الله يترك فيهِ اثرًا من فضلهِ

ثمَّ صرف عنايتهُ الى اكليروس كنيستهِ وجميع بطريركيَّتهِ الواسعة فتذرَّع بكل الوسائل من لطف وتحريض وزجر وعقاب وكان يكفّ عن الكتابة والكلام او يرعوي الضالُّون فيوفّقوا سيرتهم وملابسهم ومآكلهم واعمالهم على مقتضى القوانين الرسوليَّة وترتيبات الجامع ولا يخلُّوا بشيء من واجبات خدمتهم . وكان يعلم انَّ صدق قولهِ واستقامة خطتهِ لا ترضي كثيرين ممن استهواهم شيطان الاهواء وخدعهم روح الدنيا وزخرفها الَّا انهُ لم يتوقَّف لذلك عن القيام باعباء مهنتهِ مفوّضًا بامرهِ الى الله متخذًا لمداواة الاعلَّاء انجع الوسائل واصلحها لا يبالي بهيجان العليل على طبيبهِ المحسن اليهِ

ومع ما أفرغ من الوسع في تهذيب رجال الدين جعل ايضًا يهتمّ بالعالمِيّين ليصلح آدابهم ويقتلع من قلوبهم زوان الرذائل التي كانت عشَّشت في صدور بعضهم فاستغوتهم وحادت بهم عن سواء السبيل

وكان بينهم رجال من وجوه القوم والاغنياء وذوي المراتب العليا وكان يوحنا لا يأنف من تحريضهم وتوبيخهم عند الحاجة لا يأخذ بوجه احد ولا يضحّي الواجب لغاية بشريَّة مع ما كان يتفاقم عليهِ كل يوم من تدبير الامور ومن الاهتمام بالكنائس بل كان يستطيع ان يقول مع الرسول (٢ كورنتس ١١ : ٢٩) : « من يضعف ولا اضعف انا او من يُشكَّك ولا احترق انا » . فكانت دعوته الابويَّة ومواعظه الرعويَّة تدوي في قلوب الخطأة فتُلينها وتبدّد ظُلماتها وتعيدها الى ذلك الراعي الصالح فتتوب على يدهِ توبةً نصوحًا وتجري على نصائحهِ الخلاصيَّة

وكأن الله اراد ان يضمّ صوتهُ السماوي الى صوت وليّهِ لردّ بعض المصرّين على آثامهم الى التوبة فحدثت في القسطنطينيَّة عدَّة مصائب ونكبات كادت تنخلع لها قلوب السكان هلعًا منها زلزال عظيم مادت لهُ الارض وهبطت بهِ عدَّة مساكن ومنها اعاصير وانواء طغت بها المياه واندفقت في احياء المدينة كالسيول ومنها المجاعة مُني بها

الوف من الاهلين وكان القديس مع تفانيه في اسعاف المنكوبين يتّخذ كل هذه البلايا كعوامل لردّ الضالّين وتونيب الخاطئين وهداية الهراطقة الذين ارجع منهم عددًا وافرًا الى حجر الكنيسة

وزاد الله على ذلك أن منح عبدهُ صنع المعجزات والكرامات كشفاء المرضى والعلم بالغيب وقد اخبر المؤرخ سوزومان انّ امرأة شرّيرة ارادت ان تنتهك حرمة القربان الاقدس فحوّل الله الخبز الذي ابدلتهُ منهُ الى حجرٍ لصق بفيها فلم ترَ مناصًا من الاقرار بخطيئتها فباءت بإثمها ثم اخرج القديس الحجر من حنجرتها على مرأى من الشعب

لكنَّ رجل الله لم يكتفِ بحسم الفساد عن رعيّتهِ وكَسر شوكة الرذائل بل عُني ايضًا برفع لواء الفضيلة وتعزيز روح الدين وتنشيط كل المشروعات الخيريَّة من تربية الايتام واسعاف المعوزين والاخذ بايدي البائسين . وكان يحضُّ المؤمنين على مواترة الاسرار المقدَّسة وملازمة اعمال التُّقى

وما كانت غيرتهُ منحصرة في حدود العاصمة بل كان يستغرق وسعهُ في اصلاح الاقاليم الثانية والعشرين المنوطة بكرسي القسطنطينيَّة . وكان اذا دعا الامر الى ذلك لا يتردَّد في تجشّم الاسفار واقتحام الاخطار لاستدراك الخلل الطارئ على تلك الكنائس كما فعل لمَّا خرج الى افسس وعقد فيها مجمعًا لاصلاح شؤونها الروحيّة ثمَّ عاد الى كرسيّهِ بعد جمع الشتات وتلافي الشرّ

وكان القديس يوجه نظرهُ الى ما وراء تخوم بطريركيّته اذا رأى موجبًا للعمل فانهُ كان يعلم بانَّ بعض جهات سوريَّة لا تزال متسكّعة في ظلمة الوثنيَّة فارسل الى اهلها مرسلين ينشرون التعاليم المسيحيّة واستنفد الوسع في هدم هياكل الاصنام التي كانت في فينيقية ولبنان فأُخربت ورجع المشركون الى جادَّة الحقّ

وممَّا امتاز بهِ يوحنا مدَّة رعايتهِ شهامة عظيمة جعلتهُ يضحّي النفس والنفيس في سبيل الله والذبّ عن حقوق الكنيسة حتى بازاء الاعيان والاشراف . ولمَّا رأى الامبراطورةَ افدكوسيا لا ترعى ذمامًا للضعفاء لم يخفْ أن يُطالبها باداء الواجبات لتعطي لكل ذي حقٍّ حقَّهُ . فاوغرت تلك البسالة صدور اعدائهِ وكانت السبب الاقوى لما حلَّ بهِ من الشدائد التي أودت بحياتهِ

رجل العلم

هذه لمعة عن بعض اعمال يوحنَّا فم الذهب أَلمنا اليها إلماماً خفيفاً لئلا تتجاوز الحدود التي يقتضيها المقام ألَّا انَّ تلك الاعمال الخطيرة قد عضدها ذلك الحبر الهمام بالعلم الواسع قياماً بامر الربّ القائل (ملاخي ٢ : ٧) : « انَّ شفتي الكاهن تحفظان العلم ومن فيهِ يطلبون الشريعة اذ هو ملاكُ ربِّ الجنود » ووفقاً لقول السيّد المسيح السابق ذكرهُ (متى ٥ : ١٩) انَّ العظيم في ملكوت السماوات هو الذي يضيف التعليم الى عملهِ . وذلك امرٌ يصحُّ في كل الكهنة لكنَّهُ في الاساقفة أصدق وأحقّ لأَنَّ « الروح القدس اقامهم ليرعوا كنيسة الله التي اقتداها بدمهِ » (اعمال ٢٠ : ٢٨) فيرشدون المؤمنين ويعدلون بهم عن التعاليم الفاسدة ومن ثمَّ يحتم الرسول على الاسقف ان يكون قادرًا على التعليم (تيموثاوس ٢ : ٢) وملازماً الكلام الصادق المختصّ بالقول لكي يقدر ان يعظ بالتعليم الصحيح ويحاجّ المنافقين (تيطس ١ : ٦) فكلّ ذلك كان القديس يوحنا قد ادركه احسن ادراك وبناء عليهِ كان وطّن نفسهُ منذ شبابهِ على كل علوم زمانهِ الدينيَّة والدنيويَّة

وقد تدفَّقت منهُ ينابيع العلم اذ كان بعدُ في انطاكية حتى قبل كهنوته . فمن اعمالهِ الناطقة بفضلهِ تأليفهُ العجيب في الكهنوت الذي لا يزال الى يومنا أصدق مرآة لسيرة الكهنة وسموّ رتبتهم . وقد عقَّب هذه باكورة اعمالهِ بمصنَّف آخر جليل وضعهُ في اطراء الزهد والحياة الرهبانيَّة لمَّا كان في جبال انطاكية في مناسك سيّاحها المتألهين بالروح العائشين كملائكة متقمّصين بالجسد

ولما اضطرَّهُ المرض الى أن يعود الى انطاكية فعُهد اليهِ كشمَّاس اوَّلًا ثمَّ ككاهن تعليم الشعب وتسنُّم المنابر لالقاء الوعظ خاض القديس في ميدان جديد كان هو افرس فرسانهِ فنال فيهِ قصبات السبق على كل معاصريه . فكنت تراهُ اذا رقي منبر الخطابة ازدحمت حولهُ الجموع تتلقَّى من فيهِ تعاليم الخلاص برغبةٍ لا مثيل لها فتارةً يجمدون امامــهُ كانَّ على رؤوسهم الطير لئلَّا يفوتهم من شفتيهِ كلمة وتارة يضطربون لقولهِ اضطراب البحر العجاج فينقــادون الى كل حركات قلبهِ من أسف على خطاياهم وتوبة الى الله وشوق الى الصلاح وبغض لاهواء العالم وملاذهِ ورحمةٍ لذوي البأساء والمساكين وربما كان الحضور يجهشون بالبكاء فيسبلون العبرات السخينة على آثامهم السابقــة ويخرجون من الكنيسة كرجال جددٍ مودّعين لعاداتهم السيئة ليعيشوا لله

ومماَّ زاد ذلك النور توهجاً انَّ يوحنا وُجد في انطاكية في ظروف استدعت انتشار اشعَّتهِ في كل النواحي. فهناك كانت الفلاسفة الوثنيون الذين ورثوا من ائمَّة اليونان آدابهم. وهناك كان علماء اليهود لاتساع متاجر قومهم في انطاكية. وهناك توفَّرت البدع ورسخ قدم اصحابها كشايعي مرقيون واريوس وانصار مقدونيوس وحزب اونوميوس. فقام يوحنَّا فم الذهب بازاء تلك الاديان والشيع «مستعداً في كل حين للاحتجاج لكلّ من يسألهُ حجَج الرجاء الذي فيهِ» (١ بطرس ٣: ١٥) فكان يوضح للجميع حقيقة الدين المسيحيّ ويفكّ المشاكل التي تعرَض عليهِ ويبيّن اوهام المبتدعين وقد ابقى من سموّ بلاغتهِ وخلابة لسانهِ وقوة برهانهِ آثاراً عديدة في كل ما سبق ايرادهُ صبرت على آفات الزمان وهي لم تفقد حتى يومنا هذا شيئاً من محاسنها فتراهُ يدكُّ الاوهام الى الحضيض ويقوّض الاقاويل السفسطيَّة ويبني الحقيقة على صرح شاهق ذي اساس لا يتزعزع

واكثر ما اكسبَهُ ذلك اللقب الشريف الذي عُرف بهِ اي الذهبيّ الفم خُطَبُهُ التي القاها بعد ثورة انطاكية اذ كان يتهدَّد وطنهُ غضبُ الامبراطور فتمكَّن القديس مدَّة ايَّام متوالية من جمع مواطنيهِ في الكنيسة الكبرى فسحرهم بسحر بلاغتهِ الحلال وانعش في قلوبهم الثقة وفتح صدورهم للرجاء وصرف نظرهم الى آمال الاخرة وعقابها الاليم. وقد تحقّق اليوم لدى العلماء انَّ الخطبة التي افظها فلابيانوس على مسامع الامبراطور ثاوضوسيوس فاخمد بها غضبهُ انَّما كانت من قلم يوحنَّا فم الذهب يدلُّ على ذلك انشاؤها وبلاغتها

على انَّ علم القديس يوحنَّا فم الذهم لاح على مشهد الارض كلها لمَّا سُقّف على القسطنطينيَّة فاضحى ثَمَّ كالسراج الوهَّاج المرتفع على جبل فاستضاء بهِ العالم الروماني باسرهِ. وكان هناك لا ينطق بخطبة الَّا يتردَّد صداها في اقاصي المملكة لارتياح اهل الاقاليم الى ما يقولهُ ارباب العاصمة ولِما اصابهُ يوحنا من الشهرة المستفيضة تتناقلها الالسنة من الداني الى القاصي

ومن آثارهِ في ذلك المنصب الشريف خطب عديدة في كل معتقدات الدين المسيحيّ كان يلقيها في ايام الاعياد والآحاد فيتقاطر الى استماعهِ نخبة اعيان البلد فتغصّ بهم الكنيسة الكاتدرائيَّة. ومنها شروح وتفاسير على معظم كتب الاسفار المقدَّسة كان

ينطق بها في الحفلات الدينيَّة فيكشف معاني الكتاب العويصة ويلحقها بتعاليم ادبيَّة يستخلصها من نفس الفصول المشروحة فيجمع بين تنقيه العقل وبعث الارادة على الخير. وامتازت بين شروحهِ المقالات التي كتبها في تفسير الاناجيل لاسيما انجيل متى وفي شرح الرسائل البولسيّة. وقد اثبت بعض اصحاب القديس انَّهم شاهدوا غير مرَّة بولس الرسول منحنياً فوق رأسهِ كأنهُ يُملي عليهِ تفسير رسائله ويفكّ لهُ رموزها

وكثيرًا ما كان القديس يُلقي خطبهُ ارتجالًا اذا ما مسَّت الحاجة الى ذلك فكان كلامهُ البليغ يخرج من قلبهِ في قالب من الحسن والمتانة يسبي العقول ويسترقّها حتَّى ان الحضور كانوا يهيجون ويصفّقون لهُ استحسانًا وان منعهم الخطيب عن ذلك غير مرَّة. فمن هذه الخطب خطبتهُ في نكبة اوتروپ الخصيّ وخطبهُ في اسعاف الفقراء والبائسين لا يقولها الَّا يستنزف عبرات السامعين ويستمطر من خزائنهم كنوز المبرَّات والصدقات الغزيرة التي اعانتهُ على فتح مآوى ومستشفيات خصّ بخدمتها سيّدات شريفات كنَّ يساعدنهُ في مشروعاتهِ الخيريَّة

ولا نتعرَّض هنا لذكر مصنَّفات اخرى جليلة كتبها يوحنا مدَّة بطريركيَّتهِ كما انَّنا نضرب الصفح عن رسائل متعدّدة كان ينفذها الى مرؤوسيهِ واصدقائهِ ومنها ما هو بمثابة مجلَّدات واسعة. فان جدول كتاباتهِ وحدهُ يستغرق عدَّة صفحات

فترى مما سبق انَّ الذهبيّ الفم حقَّق في نفسهِ ما قالهُ الربّ عن يوحنا الصابغ سميّهِ (يوحنا ٥ : ٣٥) انهُ كان هو السراج الموقد المنير فابتهج بنورهِ اهل القسطنطينيَّة. لكنَّ ذلك السراج كان لبعض الحسّاد والمعادين بمنزلة النور الباهر الذي لا يستطيع ان ينظر اليهِ الأعشي ومرضى العيون دون ان يتأذوا بهِ وكان هؤلاء في اوَّل امرهم مستخفين لا يبدون حراكاً لكنَّهم كانوا يعدُّون في الخفية الدسائس لبطريرك القسطنطينيَّة ليبعدوهُ عن كرسيّهِ حتى اذا سنحت الفرصة جاهروا لهُ بالعداوة

وقد شاء الله ان يمنح عبدهُ جزاء غيرتهِ واعمالهِ فاتاح لهُ ان يكابد الشدائد في اتمام واجبات رتبتهِ والذود عن حقوق الكنيسة لينال الطوبى التي وعد بها الربّ المضطهدين في سبيل البرّ (متى ٥ : ١١) فاجتمعت عليهِ كل قوى الجحيم وتحاملت عليهِ اعداؤهُ حتَّى كادوا يسحقونهُ سحقًا وكان من جملة هؤلاء الاعداء بطاركة واساقفة فجمعوا مجمعاً حكموا عليهِ ظلماً وعزلوهُ عن مقامهِ فلم يجد القديس لهُ ملجأً غير الكنيسة الرومانيَّة

امّ الكنائس فرفع اليها دعواهُ لعلمهِ بان صاحب الكرسيّ الروماني هو امام الاحبار لهُ الحلّ والعقد على الكنيسة كلها اذ هو نائب السيّد المسيح وخلف بطرس الرسول ليس حكم فوق حكمهِ (١. وكان الجالس على كرسي رومية حينئذ القديس اينوكنت الاوّل فلم يُخب مسعاهُ بل اخذ للوقت بناصر يوحنا وابطل اعمال الجمع المعقود ضدّهُ على خلاف القوانين وامر باعادة القديس الى مقامهِ وكتب في ذلك الى الامبراطور اركاديوس يتهدّدهُ بالحرم ان لم يفعل ولا ريب انهُ كان فاز برغبتهِ لولا وفاة يوحنا

وكان القديس بعد حكم الجمع القسطنطينيّ أُبعد مرّة أُولى عن كرسيهِ الّا انّهُ حدثت عند ابتعادهِ آيات وحلّت على اعدائهِ مصائب لم يروا النجاة منها الّا باعادة يوحنا الى كرسيّهِ مكرّماً مبجلًا

لكنّ سخيمة الاشرار لا تُسَلّ من قلوبهم حتى يُهلكوا عدوّهم ويبرّدوا بموتهِ غليلهم فانّ اعداء يوحنا رصدوا لهُ الشرّ وما لبثوا ان وجدوا في صدق لهجتهِ وفي تلهّب غيرتهِ لرفع لواء الدين داعياً جديدًا لمعاكسته فتواثبوا عليه كالذئاب الخاطفة على الحمل الوديع وتمكّنوا ثانية من نفيهِ فنُفي سنة ٤٠٤ الى جهات القبادرق ثمّ أُقصي الى بلاد سحيقة فقاسى من الآلام امرّها ومن الاوجاع اشدّها واحرّها وهو مع ذلك يبدي من الثبات والبسالة ما جعلهُ اشبه براعي الرعاة الذي بذل حياتهُ دون خرافهِ

وكانت خاتمة تلك الحياة الصالحة انّ القديس مات في مدينة كومانة بعد ان قوّاه الله في آخرتهِ برؤيا الشهيد باسيليكس الذي بشّرهُ بالنصر القريب . فانتقل الى دار البقاء في ١٤ ايلول سنة ٤٠٧. وكانت وفاتهُ بمثابة حبّة الحنطة التي قال عنها الرب انها اذا سقطت في الارض وماتت اتت بثمر كثير. فكذلك موت يوحنا الذهبيّ الفم كان ككنوز باهر فانّ اهل كومانة والبلاد المجاورة الذين كان القديس انارهم بنور الحقّ قبل وفاتهِ اقاموا لهُ مأتماً حافلًا وجعلوا يكرّمون قبرهُ إكرامهم لاعظم اولياء الله ثم انتشر خبر موتهِ في المملكة فكان لهذا الخبر رنّة اسف شُقّت لها القلوب وما لبثت برارة القديس ان اشتهرت في اعين جميع معاصريهِ فزكّاهُ الكرسي الرسولي تزكيةً تامّة وحرم الذين كانوا سبب وفاتهِ مهما كانت رتبتهم بل اقرّ اعداء القديس انفسهم

١) راجع في المشرق (٥ :٧٦ ;١٢٢) مقالة حضرة الاب اميل ريفو اليسوعي التي عنوانها: القديس يوحنا فم الذهب ورئاسة بطرس وخلفائهِ على الكنيسة الجامعة

بمعاملتهم السيئة ليوحنا فباؤوا بإثمهم وكفّروا عن ذنبهم ألّا البعض منهم الذين ماتوا موتاً وحيّاً وعُوقبوا بعقاب اليم . ثم نُقل جسم القديس من قبره في كومانة الى القسطنطينيّة بمظاهر جليلة تقاطرت اليها كل سكّان تلك الاصقــاع . ثم نُقلت هذه الذخائر الثمينة بعد ردهة من الدهر الى رومية العظمى فجُعلت في كنيسة القديسين بطرس وبولس الفاتيكانيّة بجانب ضريحهما دلالةً على وحدة الشرق والغرب في الايمان والرجاء وكان يوحنا اعظم ساعٍ لهذه الوحدة فلم يشإ الله ان يفرقهُ في مماتهِ عن هامتي الرُسل ليكون ضريحهُ ضامناً اكيدًا لرجوع الخراف الضالّة الى حظيرة المسيح فتصير الرعيّــة واحدة كما الراعي هو واحد

حفلة عرس

في عشــائر الشركس (١

عرّبها بتصرُّف الاديب امين افندي مشحور استاذ الفصاحة في كليّة القديس يوسف

حدَّث احد المرسلين الكاثوليك قال : بعث اليَّ يوماً وانا في طوقات شيخ احدى عشائر الشركس الضاربة في الضواحي يدعوني لحضور حفلة زواج اخيه . وكانت تربطني واياه روابط الصداقة الحميمة والحب المتبــادل . فكرهت ان ارفض دعوتهُ واهمّتني نفسي لما انا عليهِ من الانقطاع عن العالم فتذكرت ما قالهُ احد مشاهير الكتبة : « لا بد للمرسل في تلك الاصقــاع من التحبُّب الى العشائر واكتساب مودّتها ليتمكن من عمل الخير بينها »

فتذممت وركبت وركب اخ لي في الرهبنــة لهُ المام بالطبّ وسرنا في ليلة مقمرة الى عشيرة العروس حيث تبتدئ الافراح وبيننا وبينها مسيرة ست ساعات . وكان فصل الخريف قد بدت تباشيرهُ فحسسنا بقشعريرة البرد ثم ثارت ريح صرصر فالتحفنا بالفراء واخذنا نتغنى في جوف الليل ونتمتَّع على ضوء القمر بمرأى جبال تمتد في سفحها غابات صنوبر علت رؤوسها صفرة الخريف بينما كانت افراسنا تلتهم المفاوز تحت قعقعة سياطنا وتنشب سنابكها في الصخور وتصهل فتردّد الاصداء صهيلها

---

١) اختصرنا هذه النبذة عن مجلّة الباحث

A. Poidebard : *Une noce tcherkesse*, Etudes, 1907, 20 Novembre.

ولم تكن هذه اول اسفارنا في تلك البقعة وبمثل هذه الساعة فكم طفناها على ظهور الجياد نعود مرضى الشركس وجرحاهم . وهم قوم تعوّدوا الحرب دأْبهم شنّ الغارات وركوب الضوامر واللعب عليها . هاجروا موطنهم القفقاس على اثر حروبهم المتواصلة مع اهل بلادها فأحلّتهم الدولة العليّة في بر الاناضول فاقاموا بها محافظين على كل عوائدهم ولبسهم ولغتهم يتمشون الهوينا بين مجاوريهم ويدهم على مقبض خناجرهم المحلّاة بالفضة والذهب متمنطقين بالمسدسات وعلى رؤوسهم قلنسوات من الصوف الاسود وعلى جباههم تلوح سمة البسالة والنبل اما شيخ تلك العشيرة فهو شاب في مقتبل العمر نزيه شريف حافٍ وقومهُ ألّا يبرح صديقاً للمرسلين الكاثوليك رغماً عن اختلاف الجنسيّة لما لقي من تفانيهم وصدق حبهم . فلم اشأ بردّي لدعوة القوم تنغيص فرحهم سيما وانهم يعدون حضورنا زيادة شرف للعشيرة كلها

ولما بدت طلائع الفجر اشرفنا على القرية واذا هي غارقة في سكون تام . ولم نرَ الّا بعض نساء خرجنَ يستقين فتنحينا الى جانب القرية وطرقنا بيتاً منفرداً لنكون بمعزل عن حلبة الافراح نراقب الحفلة ولا نكون منها فانزلنا رب البيت على الرحب والسعة . ولا شيء عندهم ارفع من الضيافة واخبرني انَّ صديقي اخا العريس أتى منذ ثلاثة ايام مع ثلاثين من فرسان عشيرتهِ ليسيروا في موكب العروس ويقيموا الالعاب والافراح المعتادة .

وما عتمت القرية ان انبعثت من رقادها ودبّت الحركة والحياة بها فاخذت الات الطرب تعزف على ايقاع واحد ونغمة بسيطة يتاطعها بعد طلقات بارود وتصفيق وتهليل

ولما ذاع خبر وصولنا تقاطرت الينا المرضى والجرحى زرافات زرافات فابتدأنا بهم عملًا بالواجب . ثمَّ استدعيت صديقاً لي قديماً اسمهُ اسمعيل اغا فاسررتُ اليهِ : اني اتيت بوسادة مطرّزة وببندقيَّة للصيد بصفة الهدية فتهلّل فرحاً وقال : احسنت كل الاحسان فتلك عادة رؤساء العشائر ان تحمل هدية دلالة على رضاها وهم يحلُّونها محلَّ الاعتبار . فقر رأي الرؤساء على اقامة سباق خيل تعطى الوسادة للسابق . اما البندقيّة فتهدى الى العريس

وما كان الّا هنيهة حتى انتشر خبر الهدية وكان القوم مجتمعين في الساحة يلجُون

بالسؤال على ابي العروس ليزوّج ابنتهُ شيخهم وهو يتظاهر بالرفض واذا باسمعيل قد طلع عليهم فصاح : سماع يا قوم اتانا حضرة الاب بهديّة سنيّة . فاكبروها وتقدَّم عميدهم الى الوسط ورمى بقلنسوتهِ الى الجو علامة طربهِ وانقطع لهذا النبإ مجادلات القوم واذعن ابو العروس للطلب

*

وعند اصيل النهار ابتدأت الالعاب فعلونا شرفة دار تطلّ على الحلبة ومكثنا ساعتين نتمتع بمناظر ومشاهد والعاب تحير العقول خفَّةً ولباقة وظرفًا . وكانت منازل القرية متفرقة تمتدّ في سفح جبل عال وامامها سهول واسعة تنتهي الى نهر هو بمثابة حاجز طبيعي لتقمص عليهِ الفرسان في السباق

فامتطى للحال عشرون من الشبّان صهوات خيولهم وتقدَّمهم فارس بيدهِ علم فلكز جواده وسار كالبرق الخاطف وتبعهُ الفرسان حتى وصلوا الى اكمة تشرف على النهر فانحدروا والحصى تتطاير وتتدحرج وسنابك الخيل تزلق حتى خلنا انهم ساقطون في النهر ورجف لمنظرهم القلب فلم نرَ الّا وقد صعدوا على الضفة المقابلة وعادوا الى اللاحقة والسباق

ثم عقب ذلك العاب فكان الفارس منهم يتمسك بالسرج باليد الواحدة وينقلب فيغير بفرسهِ وراسهِ مرتفع فويق الارض ورجلاهُ في الهواء وكان الاخر يسير شوطاً بعيدًا على جناح السرعة وهو منتصب على ظهر فرسهِ او يضع رجلًا في الركاب ويلوي الاخرى خارجاً ويجري كانهُ جالس على مقعد في الارض لا يهتز ولا يضطرب . ورأينا من لباقتهم ورشاقتهم عجباً فانهم كانوا يمرُّون مرور السهم على متون جيادهم فاذا بهم قد انحنوا الى الارض وتلقَّفوا بَيْضاً وُضع على الحضيض ومنهم من كان يُطير البيض شعاعاً برصاصة من مسدساتهم . ونظرت شابين ركضا حتى تحاذيا فحاول الواحد اقتلاع الاخر من سرجهِ واذ لم يفلح تأخر عنهُ فقبض على ذنب حصانهِ عند اصلهِ حتى تمكَّن منهُ فغمزه بشدَّة ومهارة عجيبة فلوى الحصان والفارس معاً وقذف بهما الى مسافة بضعة امتار الى الوراء رغماً عن سرعتهما

ولما تعب الفرسان خلفَهم الاولاد فركبوا الخيل ودفعوها في الميدان يتسابقون ويلوون اعنتها بخفَّة كيفما شاؤوا وارجلهم خارج الركابات لقصرها . وكان بجانبي احد المشايخ

فابديت لهُ تعجبي فقال: عند ما يبلغ الصبي الرشد عندنا نُركبه فرساً جموحاً فيتشبث بهِ والفرس يطفر ويقمز ويركض محاولًا طرح الفتى عن ظهرهِ. ونداوم على ذلك مدَّة. وبين الف صبي لا يُقتل اثنان فلا يبلغ الفتى العاشرة الَّا وهو فارس خيَّال

وعند المساء اجتمع المدعوون واصطفّوا على شبه دائرة وابتدأت حفلة الرقص. فوقف الشبان من جهة والفتيات من جهة مرتديات بثياب ضافية مطرقات الى الارض ادبًا فاشار متقدّم الحفلة الى فتاة فضربت على القيثارة لحنًا شركسيًا شجيًا ثم تقدمت اخرى الى الوسط واخذت تتنقَّل في الساحة كانها لا تطأُ الثرى وجسمها منتصب لا يهتز وهي تأتي بحركات لطيفة ادبية بذراعيها فقط فدارت حول القوم. والرقص عندهم ان تسير الفتاة بلا اضطراب ولا انزعاج « كما يسيل الماء » وعيناها مطرقتان الى الارض لا ترفعهما ابدًا . اماَّ الفتى فيرفع الرأس بانفة وحمية ويحرك الذراع الواحدة ويسند الاخرى تارةً على مقبض خنجره وطورًا على خاصرته . فيتتابع الراقصان ويمشيان القهقرى ويقتربان دون ان يمسَّا بعضهما بعضاً. ثم فينضمّ اليهما زوج آخر يفعل فعلهما

وبينما الموسيقى تتابع نغماتها الشجية الرخيمة على ايقاع التصفيق وحركات الراقصين سُمع بغتةً طلقٌ ناري دوى لهُ البيت وتبعهُ تهليل وصيحات. فنظرنا واذا برئيس الحفلة انتهز فرصة مرور احدى الراقصات امامه فاطلق رصاصة امام وجههـا . وهي عادة عندهم وربَّما اطلقها بين ارجلها فلا تضطرب الفتاة ولا ترفع الحاظهـا ولا تحرّك جفونها وقد أُخبرت انَّ فتاةً جُرحت يوماً في رجلها بلا تعمّد فصبرت على الالم وكملت الرقص حتى سال الدم ورآهُ الحاضرون فاثنوا على جلَدها واحتملوها خارجاً. وهكذا تتعود النساء مرأى الدماء ومعاناة الشدائد والحرب فيصبحنَ وهنَّ اشد بأساً من الرجال

ولمَّا انفرط عقد المجلس وارفضَّ الجمع المحتشد آب كلٌّ الى مضجعهِ ونام والاحلام والاشباح تتزاحم في مخيّلتهِ

*

اصطبحنا في الغداة نداوي الجرحى والمرضى مـدة بضع ساعات حتى كان الظهر فأُخبرنا ان الموكب اوشك ان يسير لمرافقة العروس فصعدنا على الشرفة المهودة فرأينا عجَلتها عند باب البيت يزينها وشاح ابيض مزركش وحولهـا كوكبة من الفرسان يتحدّثون بجلبة على متون جيادهم . فخرجت العروس وركبت مع رفيقاتهـا العجلة

فسارت بهنَّ على نغم الموسيقى ثم عادت ثلاثاً امام باب الدار لتودّع الفتاة مرَّة اخيرة بيت ابيها . ثم اخذت الخيل تتابع الجادَّة رويداً رويداً فما قطعت شوطاً قصيرًا حتى برز امامها رهط من رجال عشيرتهـا متسلحين بقضبان طوال فانصبُّوا على الموكب يضربونهُ قاصدين ايقافه ومنع عجلة العروس من المرور فاندفعت واندفع الفرسان تحت الضرب وقد احنوا ظهورهم حتى جاوزوا القوم ثم توقفوا عند مدخل القرية وصاح اهل العشيرة : لن تمرُّوا ان لم تكسروا البيض الموضوع على الارض . فاطلق فرسـان عشيرة العريس لخيلهم الاعنة وصوَّبوا مسدساتهم الى البيض فاطاروها في الهواء

وطلع بعدها الموكب الى السهل وامتدَّ في انحائهِ ترفُّ فوقهُ اجنحة السرور والبهجة . والعادة عندهم ان يثأر اهل العروس ممن يأخذونها وذلك بسلبهم قلنسواتهم فكنت تراهم يتتابعون ويتسابقون في الميدان لاختطافها ونظرت فارساً استلب قلنسوة بعضهم فطاردته اربعة من الفرسان فدار حول القرية واخذ يجوب تلك الوهـاد والآكام تارةً يصعد واخرى ينحدر والجنادل تتطاير تحت سنابك جيادهم . ولم تكن سـاعة حتى ادركه فارس واوشك ان يقتلعه من السرج فاذا بهِ قد انقلب وحصـانه على الحضيض فصفَّق الجميع استحساناً وهلَّلوا للغالب . امَّا المغلوب فقفز بخفة واستوى على ظهر حصانه دون ان يصاب بأذى . فركبنا عندئذٍ نحن ايضاً وسرنا بمعزل عن الموكب نراقب كل ما يجري ولا نشارك القوم وبعد ساعة اراد اهل العروس الرجوع الى قريتهم فطلبوا من قبيلة العريس نافلة اخرى فاخذوا منـديل العروس ولفُّوه ووضعوه على الارض فركض فارس واطلق رصاصتين فخرق المنديل بحذق فصاح الكل : عافاك الله وترجَّلوا فتودعوا وتصافحوا وعاد فرسان العروس الى منازلهم

بعد الفراق سكنت الضجة وخفَّت الالعـاب والحركات فتقدمت العجلة الموكبَ وانضم شمل الفرسان فاتيناهم وسرنا بينهم نتحدَّث بهدؤ وسكينة وكنَّا قد اشرفنا على قمة الجبل الفاصل بين العشيرتين فرأينا الاولى اوشكت ان تغيب تحت جناح العتمة والثانية انفرجت من بين الادغال كلما اقتربنا منهـا بانت لنا بيوتها المتفرقة كانها قطع حجارة مشكوكة بين الخضرة والاشجار ودوى في الجبال صوت طلقات البارود وسمعنا آخر غوغاء التهليل من بعيد ولم يعد لنا سوى ان ننحدر من قمة الجبل الى سفحه لنحلَّ في نادي العريس . وكانت الشمس قد مالت للمغيب فاصفرَّت رؤوس الاحراج وامست

قطع الغمام الشاردة في كبد السماء تخططها خطوط حمراء كمدة اللون ولم يُسمعْ الّا خرير ماء يجري هناك على نغم واحد يقاطعهُ وقع حوافر الخيل وصهيلها. حينئذٍ طرق اذاننا غناء رخيم شجيّ شقّ الصدور وارتفع في اول ظلمة الليل فشنّف برقّتهِ المسامع وقد جاشت بقلوب هؤلاء الفرسان التذكارات ومرَّ بخاطرهم ايامهم السالفة في القفقاس مسقط رأسهم فحيّوها من بعيد

ايا ربوع الوطنِ ايا ربوع الوطن

ليس حياة وهنا ليس سرور هنـا
تبكي دمًا أعيُنُنا على ربوع الوطنِ

وعندما حطّ الموكب عند مدخل القرية استقبلهُ احد المشايخ وطلب من الفرسان نافلةً لادخال العروس في عشيرتها الجديدة. واضطرُوهم ايضاً الى ان يكسروا بيضاً موضوعاً على الحضيض بالرصاص. ثم اطلقوا اعنَّة الخيل حتى ادركوا بيت العريس وعليهِ اعلام الزينة تخفق فخرجت اليهم ام العريس وقالت: لمَ اتيتم وما تريدون منّا فلا حاجة لنا بكم. ثم أغلقت الباب فاندفع ستة فرسان وأوثبوا خيلهم فوق صوان الدار فاحتلُّوا صحنهـا وسُمع من داخل طلقات رصاص متتابعـة وصراخ. حينئذٍ رأينا رئيس الحفلة ركب قربوس حصانه واسرع الى الباب فنطحهُ جوادهُ براسهِ ففتحهُ ودخل فصاحت بهِ الأمّ ثانية ما تريد منا فاجاب: اتيناكِ بعروس لابنك. فقالت: لا بأس. انما لا اقبلها ان لم يؤْذَنِ ابني البكر عن اخيهِ العريس اجازة المرور ثم عادت هي واهل بيتها فصفَّت على الحضيض امام الدار بيضاً يكسرهُ الداخلون باطلاق الرصاص

لكنَّ جواد مقدَّم العشيرة ابى ان يطاوع صاحبه تعباً ووهناً فلم يتمكّن الامير من كسر البيض ضربًا بالرصاص الّا بعد شق النفس. حينئذٍ سلَّمت ام العريس لرئيس الحفلة قضيباً لفَّت عليهِ القدد الجميلة. واخذت ترمي الى القوم ملبساً وحلويات تشير الى رضاها بالعروس الجديدة في بيتها .

وترجل الجميع ودخلوا البيت وابتدأُوا بالرقص ثانية توقعهُ الآت الطرب وتصفيق الايدي وغناء لحن شجي رقيق يرددون بهِ حيناً بعد حين لازمةً عن لسان الفتاة تدعى « شكوى العروس »

يا والدتي يا اخوتي قد سرتُ نحو الغربة

يا ما امرّ وحشتي من بعدكم احبتي

كم حملٍ ونعجةٍ عند ابي للسرقةِ
فيا فتاة المهجةِ خلّوا سبيل الابنةِ

اصبو الى عشيرتي ومنزلي وروضتي
اصبو الى والدتي ووالدي واخوتي

هذا وقد وفدت سكان القرى المجاورة للعرس فكنت ترى بين الشركس قوماً من الروم والتركمان كل بلبسهِ وزيّهِ المختصّ بهِ . فحضرنا الى قاعة الاستقبال فسلّمنا على القوم ثم تركناهم وعدنا الى غرفة منفردة اعدّها لنا رئيس العرس في طرف الرواق تلطُّفاً بنا واحتراماً لعوائدنا وآدابنا . وللغرفة باب يؤدي الى الجنينة نخرج اليها كلما شئنا . وكان على الباب عبدٌ شاكي السلاح لا يُدخل علينا الّا الاخصّاء من الاصحاب والاصدقاء وقد هرعوا للسلام علينا والترحيب بنا متذكرين ما بذلناه ولم نزل نبذله في سبيلهم من التفاني وهم يعدّون حضورنا بين ظهرانيهم في تلك الظروف شرفاً لهم . فكنت تراهم يفدون وحداناً وزرافات ووجوههم باسمة ولسان حالهم يقول : نحن غرباء ههنا ولا احد يفتكر بنا ويحترم عوائدنا الّا انتم . اجل فان بين الشركس وبين جيرانهم تفاوتاً في العادات والازياء والافكار واللغة وخصوصاً في الآداب وهو امر معجب . فاننا في مدة الحفلات لم نسمع كلمة ولم نرَ حركة تخدش جبين العذراء او تأنف منها المخدَّرات

ولمّا ارخى الليل جلابيبه الحالكة اوينا الى فراشنا ونحن نسمع مدة بعد اخرى نشيد الشركس الوطني خارجاً من قاعة الرقص يتغلغل بين اشجار الجنينة . فكأن بهِ ارواح ابناء القفقاس ترفّ تحت جناح الظلام وترتفع الى النجوم المتلألئة في كبد السماء .

اللازمة

ايا ربوع الوطنِ انتِ اعزّ مسكنِ
نفديكِ بالارواح حبّاً يا ربوع الوطنِ

ليس حياة وهنا ليس سرور ههنا
تبكي دماً اعيُنُنا على ربوع الوطنِ

تقول ابناء الحمى لمَ ارتحلتم ولمّا
لم تحرقوا دوني الدما عند كرور المحنِ

انتم اعفّاء البنينْ حملتكم حَمْلَ الجنينْ
ربيتكم طول السنينْ ارضعتكم من لبني

حتى اذا صرتم رجالْ اشدّ من اسد الدحالْ
أركبتُكم متن الرحالْ وغبتمُ عن اعيني

ألا اسمعوا صوت الجدودْ عظامهم وسط اللحودْ
تئن من هذا الصدودْ وتشتكي من حزني

هجرتموني للدهـورْ يا قوم ما هذا النفورْ
اجاز في شرع الضميرْ ان تكفروا بالمننِ

ذنب ثقيل في الذنوبْ تمقتهُ كل الشعوبْ
ومهجتي كادت تذوبْ فرحمـةً للوطنِ

يا وطنًا لم ننسكا يا وطنًا لم ننسكا
ارواحنـا تبقى لكا وجسمنـا للكفنِ

*

ولما كان صبح اليوم الثاني اخذنا اهبة السفر لمبارحة العشيرة لعدم امكاننا حضور كل الحفلات التي تقام مدة اسبوع كامل فاستدعينا اسميل وطلبنا اليهِ ان يحمل هديتنا الى العريس ويبلغهُ دعاءنا لهُ بالرفاء والبنين . والتمستُ من صديقي الامير ان يتلطف بالسلام على السيدة والدتهِ فاتت ربَّة البيت بنفسها الينا وجلست تحدثنا ساعة ثم قالت: كيف اعبّر لكما عما شملني من السرور لمَّا أُنبئتُ انكما غادرتما الليـل منزلكما لتحضرا حفلاتنا واعيادنا . اجل كنتُ اعدُّكما منذ زمن كاعزّ اولادي فكان تلطفكما هذا موءيدًا لحبي ولصدق نيتي وظنوني بكم . وكنت لود ان تحضرا حفلةً لا يحضرها الَّا الاخصاء والاقرباء حفلة نشر جهاز العروس . ولكن لا بأس فسأقيم من ينوب عنكما

قالت ثمَّ مدّت يدها فصافحناها كعادة الافرنج وشكرنا لها لطفها وانسها واعدنا لها دعاءنا برفاهيتها وهناء العروسين واستأذنّا بالذهاب فشيعتنا وابنها وبعض الاصدقاء . ثمَّ امتطينا الجياد واشرنا اخر اشارة الوَداع وسرنا

وبعد بضعة ايام اتى ديرنا احد الامراء يزهو بالملابس المزركشة شاكي السلاح التام متمنطق بالرصاص فاستدعاني فوافيتهُ في قاعة الاستقبال ورحبت بهِ فقال : دونك ايها الاب الجليل ما يهديكه العروسان من جملة ما اهدياه لاعضاء العائلة

فرأيت بعض قطع حيكت بالقصب وحمائل مسدّس ومحفظة للساعة مع قدّتها ثمّ كيساً للنقود من الجلد الاسود تقشت عليه العروس بيدها تلطفاً صليباً احمر صغيراً . فكان بودّي ان ارفض تلك الهدايا كما هو دأبنا لكني خفتُ ان اجرح حاسيات القوم فقبلتها شاكرًا للطف اصحابها

ولم ازل محافظاً على هذا الكيس كذخيرة ثمينة أودعت بها قلوب تلك العشيرة الشريفة كل ما تحتويه من اللطف والنبل والشهامة

اللغة العربية

في طور النشوء والتكوُّن (*

لحضرة الاب انستاس الكرملي

١ً تمهيد

قبل ان نخوض عباب هذا البحث الجليل يحسن بنا ان نعرف شيئين يتعلقان بهذا الموضوع وهما: معنى الطور ومعنى العصر

فالمراد بالطور هنا (وبالفرنسية période) مدَّة من الزمان يغلب فيها طوارئ غير طوارئ المدة التي تقدَّمتها . يعني انها المدَّة التي تختلف حالتها وهيئتها عن حالة وهيئة المدَّة التي سبقتها . واماَّ العصر (وبالفرنساوي époque) فهو المدّة او الدهر الذي يحدث فيهِ عدَّة طوارئ خفيفة الوطء او النتيجة بحيث لا تخرجهُ عن حالتهِ الاصليَّة . فاذا عرفنا ذلك نقول:

تُقسم اللغة العربيَّة الى اربعة أطوار والى اربعة أعصر فاما الاطوار فهي:

(١ً طور النُشوء والتكوُّن) وهو الطور الذي نشأت فيه اللغة العربيَّة مع اخواتها الساميَّات في اصل وضعها من عُنصُر ثنائيّ الحروف ثمَّ تَدَرَّج شيئاً فشيئاً فصار ثلاثيًا ثمَّ رباعيًا الخ

(٢ً طور النُشوّ والتاوُّن) وهو طور تبايُن اللغات واللهجات وتفرُّعها وتفرُّقها

*) ننشر هذه المقالة كما ارسلها حضرة كاتبها دون ان نبدي فيها رأينا تاركين العهدة فيها لصاحبها الفاضل (المشرق)

وتشتتها وتعدُّدها في الديار العربيّة. وفي هذا الطور فشا القلب والابدال وان كانا قد نشأا سابقًا الّا انهما في هذا الطور باتا كل البيان وعمًا قبائل العرب فاصبحا فيهم من خصائص لغتهم. ثم ظهر النحت الرباعي وفي ما فوقهُ. كما ظهر ايضاً الجمع المكسَّر ولم يكن لهُ وجود في الطور الاول. وهو ايضاً الطور الذي كان فيهِ اقوام الاعراب على ثلاثة اوجهٍ من الاعراب «كل وجهٍ في قبيلةٍ دون أُخرى» ثمَّ حدث فيهِ تغيُّر الحروف وتبدُّلها بعضها من بعض وكثرت انواع الحركات في صدر الكلمة وحشوها

(٣ً طور الانضمام والتجمُّع) وهو طور عهد الجاهليَّة يعني الطور الذي لم يكن فيهِ في بلاد العرب وقبائلها الّا ستّ لغاتٍ عظمى ترجع اليها سائر لغات ولهجات الديار العربيَّة كلها لكونها فروعاً لها. وتلك اللغات العظمى هي: المُسْنَد والزَّبور والزقزقة والحَويل والرَّشقُ والُمبين أو الفصيح. واُتخذت فيهِ اوجه الاعراب قاعدة مطَّردةً يجري عليها المتكلمون ويتبع جادَّتها الكلّ أجمعون يعني انهم اتخذوا الضمّ للرفع والفتح للنصب والكسر للخفض والجرّ

(٤ً طور الاسلام والتفرُّع) وهو الطور الذي ظهر فيهِ الاسلام والقرآن فاخذت سائر اللغات بالزوال والاضمحلال وعمَّت فيهِ لغة المبين او الفصيح ونشأت فيهِ اصطلاحات وعبارات وكلمات كانت مجهولة في سابق الاطوار والعصور وهذا الطور يُقسم الى اربعة أعصر وهي:

أ. عصر الخلفاء الراشدين والامويين

ب. عصر العباسين المهذّبين

ج. عصر الانحطاط والانحلال

د. عصر النشور والاقبال. وهو عصر النهضة والتجدُّد والإبلال اي عصرنا في زمان الحال

٢ً طور النشوء والتكوّن

ونحن لا نتعرّض هنا الّا للطور الاول وهو الطور المعروف ايضاً «بعهد ظلمات اللغة» لخفاء اغلب احوالها علينا. هذا ونحن لا نطرق هنا باب بحثٍ مجهول وانما نطرق الباب على طريقة مفصلة تفصيلًا واضحاً جليًا مستشهدين بكلام الائمة من لغويي العرب

فإذ وثرنا كل ذلك نقول: اول ما نشأ من اللغة صوت ثنائي الحرف ساكن الآخر واغلب مجيء الحرفين صحيحان. وان جاء الثاني عليلًا في بعض الاحايين. وهذا الصوت ليس شيئًا آخر سوى حكاية صوت طبيعي كصراخ وجداني او كهبوب الريح وجريان الماء واصوات الحيوانات الى غير ذلك مما لا يحصى عدًّا. وقد تنبّه لهذا الامر لغويو العرب في قديم الزمان. فقد جاء في لسان العرب ما هذا نصهُ الجزيل الفوائد والعوائد قال:

«عاجِ عاجِ زجرٌ للناقة. ينوَّن على التنكير ويكسر غير منوَّنٍ على التعريف. قال الازهري: يقال للناقة في الزجر: «عاجِ» بلا تنوين. فان شئت جزمت على توهّم الوقوف. يُقال: عَجْعَجْتُ بالناقة: اذا قلت لها: «عاجِ عاجِ» قال ابو عُبيد: ويقال للناقة: «عاجٍ وجاهٍ» بالتنوين. قال الشاعر:

كأنِّيَ لم ازجُر بعاجٍ نجيبةً ولم أَلقَ عن شحطٍ خليلًا مصافيًا

قال الازهري: قال ابو الهيثم فيما قرأت بخطهِ: «كل صوتٍ تُزجر بهِ الابل فانهُ يخرج مجزومًا [ثنائي الحرف وقد تُمدّ الحركة الاولى لاطالة الصوت فتجعل حرفًا من جنسها] الّا ان يقع [الآخر] في قافيةٍ فيحرك الى الخفض» تقول في زجر البعير: «حَلْ» «حَوْبْ». وفي زجر السبع «هَجْ هَجْ» و «جَهْ جَهْ» [ويقال بالمدّ] «جاهْ جاهْ» قال: فاذا حكيتَ ذلك قلت للبعير «حوبْ» او «حَوبٍ» وقلت للناقة «حَلْ» او «حلٍ». وانشد:

اقولُ للناقة قولي للجملْ اقول حوبٍ ثم اثنيها بحَلْ

فخفض «حَوْبْ» ونوّنهُ عند الحاجة الى تنوينهِ. وقال آخر:

قلت لها حَلٍ فلم تَحلحلِ

وقال آخر: وجملٍ قلتُ لهُ جاهٍ جاهْ يا ويلهُ من جملٍ ما اشقاهْ

وقال آخر: سفرتْ فقلتُ لها هج فتبرقعتْ. اهـ نقلهُ

فيتضح من هذا الكلام الفوائد الآتية:

١ً اول ما وُضع من اللغة كان حكاية الصوت ثنائي الحرف ساكن الآخر وقد يُمدّ لاطالة الصوت فيقال في «عجْ» «عاج» وفي «جهْ» «جاه» الخ. وان لم تُحكَ جميع اللغات الّا انها تؤخذ من القرائن والقياس

٢ً ينوَّن الآخر على التنكير. او لكي يسمع الحرف الاخير ولا يخلط بحرف آخر من مخرجهِ او من مخرج قريب منهُ

٣ً قد يُكسر الاخير غير منون على التعريف

واما الشواهد في هذا الصدد فكثيرة في كلام اللغويين وقد اجتزأنا بما تقدّم

ذكرهُ لأن هذا المقام ليس مقام تطويل واطناب بل موطن تذكير وتنبيه لا غير (١
وقد يكون الصوت الذي حكاهُ العرب نقلًا عن الطبيعة لا يوافق ما حكاهُ غيرهم من اصحاب الالسنة وهذا هو موطن الخلاف وسبب تشعُّب اللغات وتفرُّع اللهجات (٢. فان العرب توهَّموا في القطع مثلًا حكاية « قطْ » ثم زادوا العين زيادة لها

(١ ولا باس من ان نذكر شواهد اخرى في الحاشية . قال ابن فارس في المقاييس في هذا التركيب (مادة د ل ك) : « انَّ لهُ في كل شيءٍ سرًّا ولطيفةً . وقد تاملت هذا الباب يعني باب الدال مع اللام (وهو ثنائي على ما ترى) من اولهِ الى آخرهِ فلا تُرى الدال مؤتلفةً مع اللام الّا وهي تدلُّ على حركة ومجيء وذهاب وزوال من مكان الى مكان »

وقال صاحب التاج في مادة (درأ) « والتركيب يدلّ على دفع الشيء . وقال في مادة (م ل ك) : « اعلم ان تقاليب هذه المادة كلها مستعملة وهي م ل ك – و م ك ل – وك م ل – وكل م – ول ك م – ول م ك – قال الامام فخر الدين : تقاليبها السنة تُفيد القوة والشدَّة . خمسةٌ منها معتبرة وواحد ضائع يعني ل م ك . قال المصنف في البصائر : وهذا غريب منهُ لان المادة الضائعة عندهُ معتبرة معروفة عند اهل اللغة . ثمَّ ساق النقل عن العباب ما قيل في اللمك قال : فإذن السنةُ مستعملة معطية معنى القوة والشدَّة »

وقال في مادة ن ف د « نقل شيخنا عن الزمخشري في الكشاف انه لو استقرى احدٌ الالفاظ التي فاؤُها نون . وعينها فاء لوجدها دالةً على معنى الذهاب والخروج » . وقالهُ غيرهُ

وفي العباب : « العين والراء والضاد تكثر فروعها . وهي مع كثرتها ترجع الى اصل واحدٍ وهو العرض الذي يخالف الطول ومن حقَّق النظر ودققهُ علم صحة ذلك »

وممن صدع بهِ البيضاوي في تفسيرهِ المشهور ونصَّ عليهِ في غير موضع من كتابهِ من ذلك ما ذكرهُ عند قولهِ : « ومما رزقناهم ينفقون » قال : وانفق الشيء وانفدهُ اخوان ولو استقريت الالفاظ وجدت كل ما فاؤهُ نون وعينهُ فاء دالًا على معنى الذهاب والخروج (وهو يوافق كلام الزمخشري ايضًا كما مرَّ بك فويق هذا) وقال بُعيد ذلك عند قولهِ : « واولئك هم المفلحون » والمفلح بالحاء [والمفلج] بالجيم : الفائز بالمطلوب كانهُ الذي انفتحت لهُ وجوه الظفر وهذا التركيب وما يشاركهُ في الفاء والعين نحو فلق وفلذ وفل يدل على الشق والفتح »

قال الشيخ ابراهيم اليازجي في هذا الصدد : واليهِ يشير صنيع الفيُّومي في المصباح ومن جرى على اصطلاحهِ من اصحاب كُتُب اللغة فانهُ يقول في عنوان كل باب : الالف والباء مثلًا وما يثلثهما . الالف والتاء وما يثلثهما . وهلمَّ جرًّا وعليهِ درج الاعاجم فيما جمعوهُ من كُتُب اللغة كفريتغ ومن حذا حذوهُ فانهم اول ما يبدأُون المادة بالمضاعف ثم ياتون على عقبهِ بالثلاثي وما فوقه خلافًا لمن ادَّعى انهُ ابتكر ذلك في أُخريات هذه الايام . » اه وبهِ الكفاية

(٢ عدم اتفاق اصحاب اللغة على محاكاة الفاظهم واصواتهم لما في الطبيعة من الاصوات حاصل من عدم وجود مثل تلك الاصوات في اعضائهم الصوتية بخلاف الاصوات الوجدانية كالهتاف

فائدة تأتي على ذكرها في محلها فقالوا « قَطَع ». وكذلك توهّم الصكصونيون فقالوا «cut» واما الفرنسيس فقالوا casser والاصل « كَسْ » cas والعرب خصّوها بالكسر. وعلى هذه الصورة يُرى الاختلاف بين لغاتٍ ولغاتٍ حسب التوهّم والتخيل

واذا كان المعنى الذي يُراد لهُ وضع لفظ لا صوت لهُ فامّا انهم يتوهّمون لهُ حكايةً. واما انهم ينقلون لهُ حكاية صوت من الاشياء الخارجيَّة فيعيرونها اياهُ. وقد تتفق جميع اللغات في الوضع وقد لا تتفق. وربما اتفقوا في جنسية الحرف الَّا انهم اختلفوا في ترتيبها

فمما توهّموا فيهِ الحكاية واتفقوا في وضع حروفهِ كلمة « ضياء » (راجع ما كتبناهُ في المشرق ٣ : ٦٨١) وكلمة « قِطّ » بمعنى الهرّ. فتكاد جميع اللغات تتفق في تسميتهِ بهذه اللفظة « والقَبّ » بمعنى الراس او الرئيس وهو في سائر اللغات caput او يقرب منها. « والقدر » فهو بالفرنسيَّة chaudron وبالانكليزية caldron وبالارمية ܩܕܪܐ. « وصرّ » بمعنى صرّ الصرّة وغيرها : شدَّها والدراهم في الصرَّة : وضعها. فيقاربها في اللاتينيَّة serare ومنها الفرنسية serrer وامثال ذلك في اللغات كثيرة لا تخفى على الباحث

ومما اتفقوا في وضع جنسية حروفهِ واختلفوا في ترتيبها « كيس » فهو بالانكليزية sack وكذلك بالفرنسيّة sac وكذلك في سائر اللغات فالحروف الاصليَّة فيها واحدة الَّا انها مقلوبة في الالسنة الغربية. ومن هذا القبيل « الورد » فهو باليونانيَّة ومشتقاتها ῥόδον و« الارض » فهي بالانكليزية earth وباللاتينيَّة terra والاصول واحدة. والراس وبالفارسيَّة « سار » او « سرْ » ويراد بهِ الرئيس ايضاً ومنهُ sir بالانكليزيَّة. ومن الافعال « لوَى » الشيء ليًا وباليونانيَّة λύω وبالفرنسيَّة lier من اللاتينيَّة ligare الى آخر ما هناك من الشواهد العديدة

وجميع هذه الالفاظ الثلاثيّة او ما يزيد عليها راجعة الى حرفين في الاصل ان في اللغة العربيّة ولن في سائر اللغات الاجنبيّة والحرفان الاصليان هما كما قلناهُ حكاية صوت حقيقي او وهمي

والتعجب والخوف ونحوها فقد اتفقوا في وضعها الَّا انهم اختلفوا عند ما ارادوا ان يشتقوا منها الفاظًا فرعيَّة كالافعال مثلًا والاسماء

ولم تبقَ اللغة العربيّة واخواتها في هذه الحالة الحرجة بل تدرَّج المتكلمون الى مدّ الصوت امّا في الحشو وامّا في الآخر. فكانوا يمدّونهُ في الوسط وهو حشو الكلمة اوقلبها عندما كانوا يريدون تأييد اللفظ وطبع معناهُ في الفكر ولذلك تأنوا في النطق واللفظ ليحملوا السامع على ما في فكرهم وكانوا يمدّونهُ في الآخر او في الطرف عند ما كانوا يريدون الافادة والتعبير لا التفكير او التدبير. وكانوا اذا ارادوا طبع الكلمة في القلب وختمها بخاتم البقاء والثبات وآخر عهد الفكر والسماع بها شدّدوا النطق بها. فاجتمع من ذلك في اول العهد اللغويّ الاجوف والناقص والمضاعف بدون ان يسبق الواحد الاخر بل انما وُجدت ثلاثتهم في آنٍ واحد لغايات مختلفة من استلفات الفكر والافادة في التعبير واثبات المعنى في مقرهِ من القلب (١

ولا بد من اننا نختار مثالًا يكون لنا بمنزلة قياس نقيس عليهِ سائر ما ورد من هذا الباب. فهذه المادة « ف س » او « ف ش» تدلّ على خروج الريح من محلّ محصور او دخول الريح في محل محصور ومن ثمَّ فمادة « فش » هي حكاية هذا الصوت فتفرَّع منهُ عدَّة فروع كلها ترجع في الاصل الى هذا المعنى او ما يضاهيهِ فقالوا:

(فاش) الرجلُ: افتخر وتكبَّر (كأَنهُ امتلأ من الريح الكاذبة الوهميّة) ورأى منهُ ما ليس عندهُ. والفيشوشة: الضعف والرخاوة (كما يصيب الوطب اذا خلا من الريح الذي كانت تملأُهُ) وعليهِ: فقد مدُّوا مادة ف ش فادخلوا بين الحرفين الالف للغاية التي ذكرناها. وقد قالوا أيضاً:

(فَشَا) خبرُهُ يفشو فُشُواً: اذا انتشر وذاع (كانتشار الريح من محصرها) وفشت امور الناس: افترقت. والماشية: سرحت. والفَوَاشي: ما انتشر من المال كالغنم السالمة والابل وغيرها. ومرجع المعنى واحد. وقالوا:

(فشَّ) الوَطْبَ يفشُّهُ فشًّا: اخرج ما فيهِ من الريح يعني بدَّد ما كان فيه

١) المضاعف والاجوف والناقص في اللغات الساميَّات الاخوات لا تتَّفق دائمًا مع ما يقابلها لفظًا في العربيّة من جنس تلك الافعال في كون مضاعفها يقابل المضاعف العربي واجوفها يقابل الاجوف العربي وناقصها يقابل الناقص العربي. والامر وان كان كذلك في الغالب الَّا انهُ قد يكون على الخلاف ايضاً فقد يكون الاصل الثنائي في الساميَّات مضاعفًا وفي العربية اجوف وقد يكون في تلك اجوف وفي لغتنا ناقصاً. وهكذا على التبادل ممَّا يدلُّ على ان هذه الافعال كانت في منشإها ثنائية الاصل ثم تصرَّف بها كلّ قوم على لغتهِ ووضعهِ واصطلاحهِ حسب موطنهِ وميلهِ ومرباهُ

محصورًا) ويقال للغضبان : لأُفُشَّنَّكَ فشَّ الوطب . اي : لأُخرجنَّ غضبك من راسك بان أُبدّده كل مبدَّد

فانك ترى مما تقدَّم الاجوف والناقص والمضاعف ناشئة من اصلٍ واحدٍ ومادَّةٍ تركيبيّة واحدة . وقد لا ترى الثلاثة مجموعة في مادَّة واحدة فامَّا ينقص عنها الاجوف او الناقص او المضاعف . او ان ينقص اثنان ويبقى واحد منها شاهدًا على ما اندثر او نُسي تدوينهُ في زمن التقييد

ولمَّا وقف الواضعون على هذا السرّ من الوضع سرّ زيادة الحرف على اصول الكلمة انتقلوا من وضع حروف المدّ الى حروف القصر وهي الحروف الصحيحة بمعنى ان كل حرف مقصور على معنى . فلنرجع الى مادة « فش » مثلًا فزادوا في اولهِ النون فقالوا :

(نفش) القطنَ ونحوهُ ينفُشُهُ نفشًا : شعَّثهُ بالاصابع حتى ينتشر . ونفشتِ الابل والغنم : رعت ليلًا بلا راعٍ فهي نافشة ونفّاش (وقد تقدَّم ان الفواشي من المال ما انتشر منهُ كالغنم السائمة والابل وغيرها) والمعنى متدانٍ متقارب متجاور . ثمَّ انهم اخذوا النون من الاول ووضعوها في الوسط وقالوا :

(فَنَّشَ) في الامر تفنيشًا (ولم يُذكر مجرَّده وهو من المندثرات المنقرضات) استرخى . ولا يخلو الاسترخاء من انتشار في الاجزاء

ثمَّ زادوا على هذا الزائد عينًا فقالوا عَفْنَشتْ لحيتهُ : ضخمت . وقالوا فيها ايضًا عَنفَشتْ . وقالوا : انهُ لعَفنَّش اللحية وعُفَانِشها اي ضخمها وافرها . ومثلهُ : رجل عَنفَشُ اللحية وعُنافشها وعَنفَشيشها اي طويلها كثّها . وقالوا : الحِنفِشُ حية عظيمة اذا حويتها انتفخ وريدها

واما تذييل مادة « فش » بالنون يعني قولهم « فشن » فلم يُسمع عنهم الّا انهم زادوا على مادة « فنش » اللام في الآخر فقالوا :

اتانا فلان (مُنفَشِلًا) لحيتهُ . اي : نافشًا اياها ولاعبًا بها بيدهِ ثم تصرَّفوا بحروف الزيادة من تقديم وتأخير فقالوا : اتانا (مُنفَشلًا) اي (مُفنَشيًا) والذي في العباب : اتانا (مُنفَشلًا) بلحيتهِ (ومُنفَشيًا) اي (منفشًا) فانظر حرسك الله هذا التفرُّع العجيب والتشعُّب الغريب ممَّا يُوقف الباحث على اسرار جمَّة من اسرار اللغة الغامضة

وقد سمَّينا زيادة الحرف على اول الكلمة « بالتتويج » ويُقابلهُ بالفرنسية

préfixe. وسمّينا زيادتهُ في الطرف او في الآخر « بالتذييل او التطريف» suffixe. وسمّينا زيادتهُ في الاول او في الآخر « بالزوائد القارّة » affixe و « الحشو » هو زيادتهُ « في الوسط »

والقول بان لا يوجد في الالفاظ الثلاثية العربيّة الّا « متوّجات » فقط دون « مذيّلات » خطأ كما ان القول بوجود « مذيّلات » فقط دون « متوّجات » او دون « حشو » وَهم ايضاً. والاصح ان في اللغة ألفاظاً فيها مذيّلات وكلماً فيها متوّجات ومفرداتٍ فيها حشوٌ. ولا اعتبار لما قالهُ بعض المحدثين من اللغويين ما يُخالف هذه الحقيقة الراهنة. ودونك الآن بعض الشواهد. فمثال التتويج:

مادة « د س » فهذا التركيب يدلّ على صوتٍ خفي يُسمع سمعًا دقيقًا كانهُ نفَسٌ يخرج من إطباق الاسنان بعضها على بعض. ومن ثم اتخذوهُ للدلالة على كل شيءٍ فيهِ خفاء او معنى خفاء او ما يشابه الخفاء كالستر والكتم الخ. فقالوا في اول الوضع:
(دَسّ) الشيء تحت التراب وغيرهِ دسّهُ فيهِ: ادخلهُ ودفنهُ تحتهُ واخفاهُ وزجّهُ

فتوّجوهُ بالجيم وقالوا: (الجادس) الدارس من الآثار (يعني الخفيّ منها الذي قد عفا اثرهُ او يكاد)

وتوّجوهُ بالحاء وقالوا: (حدَس فيهِ) ظنّ وخمّن. وفي معاني الكلام والامور: توّهم. تقول: بلغني عن فلانٍ امرٌ وانا احدس فيهِ: اي اقولهُ بالظنّ والتوهّم. وتحدّس الاخبارَ: تخبّرها واراد ان يعلمها من حيث لا يُعلَم بهِ

وزادوا على المادّة الاصلية الراء فقالوا: (رَدَس بالشيء) ذهب بهِ [خفيةً]

(وعَدَس) مثل (حدَس) ولعلّ الواحد مبدل من الاخر وهو غير بعيد في العربيّة ومثل هذا الابدال كثير الوقوع

وقد تُبدل الدال من بعض الحروف التي تُجانسها مخرجاً فيزداد عدد الالفاظ المتقاربة معنًى من ذلك:

(المُتَنَطِّس) وهو الذي يُدقّق النظر في الامور ويستقصي عملها. و (تَنطَّس) الاخبارَ: تجسّسها. (والناطِس) الجاسوس. الى آخر ما هناك من الالفاظ التي لا تُحصى مثل (نَدَس) و (حسّ) و (وسوس) و... و... ...

ومن هذا القبيل مادة « زق » وما يقاربها مخرجاً فقالوا: حَزَق وحزك وخزَق

وَخَسَق وأَزَقَ بمعنى حزم تقريباً وجميع زياداتها ومتوّجاتها وقعت في الراس او في الصدر على ما شاهدت

ومن شواهد الحشيات مادة « ل م » فانهـا حكاية صوت الضرب او وقع شيء على شيء فقالوا: (لَتَمَ) اي ضرب. و (لَثَمَ) أنفَهُ: لكَمهُ. و (لَحَمَ) فلانًا: أضرَّ بهِ ونالهُ بمكروهٍ. و (لَخَمَ) بمعنى لطم. وكذلك (لَدَمَ) فهو بمعناهُ. و (لَكَمَ) فلانًا: ضربهُ باليد مجموعة الاصابع او لكزهُ او دفعهُ

ولمَّا كانت اللام والراء قريبتي المخرج قالوا: (رَتَمَ) فلانٌ الشيء: كسرهُ او دقّهُ او هو خاصٌّ بكسر الانف. ومثلهُ (رَثَمَ) انفهُ او فاهُ يرثمهُ: كسرهُ حتى تقطر منهُ الدم. و (رَجَمَ) فلانٌ فلانًا: قتلَهُ ورماهُ بالحجارة. وهذا الاخير هو الاصل في معناهُ وباقي المعاني متفرعة منهُ. و (رَدَمَ) الباب: سدَّهُ كلَّهُ او ثُلثهُ. و (رَسَمَتِ) الناقةُ: أثَّرت في الارض. و (رَسَمَ) كَتَبَ وخطَّ. وكذلك (رَشَمَ) و (رَضَمَ) الارض: اثارها للزرع ونحوهِ. و (رَطَمَ) بسلحهِ: رَمَى بهِ. و (رَغَمَ) فلان فلانًا: كرههُ وكسَرَهُ وفعل شيئاً على رغمهِ. و (رَقَمَ): كَتَبَ. ولا يخلو من ضرب القلم على الكاغد. و (رَكَمَ) الشيء: جَمَعهُ والقى بعضهُ على بعضٍ

وممَّا يُطَّرَدُ على هذا السياق مادة « م ج » فانها تدل على المزج والخلط. فقالوا: مَشَجَ ومَزَجَ ومَشَّجَ ومَرَجَ. ومعاني الاربعة ظاهرة. وقد جاء عن الخامس قولهم: مَرَجَ الامر: شَوَّشَهُ وضيَّعَهُ وخَلَطَهُ ولم يُحكِمهُ. وليست هذه المادة موجودة في اللغات السامية فقط بل في اللغات الهندية الجرمانية والصقلبيَّة ايضاً. ثم ان تقارب الجيم من القاف والشين ولَّد الفاظاً مختلفة اللغات ومما يذكر في هذا الصدد: مَاشَ ومَذَقَ ومَسْمَسَ الى آخر ما هناك

الّا ان الغالب على الاصول العربيَّة وأُمهات الموادّ هو « التذليل او التطريف » والسبب ظاهر وهو لمّا كان الحرفان الاولان وهما الاصل الثنائي يُحاكي كل المحاكاة ما في الطبيعة من الاصوات كان التذليل من اقل الزوائد القارَّة تأثيرًا على تغيير الاصول فزادوا الحرف المتطرّف حفظاً على بقاء حكاية الصوت وإفادة السامع الحرف الاخير من الاصل الثنائي. ولهذا فالشواهد في هذا الموضوع كثيرة عديدة. من ذلك

مادة « ل ك » فانهـا تُفيد معنى وَقْع شيء على شيء آخر من صوتٍ بَيّنٍ . ودونك شواهد فيُقال :

(لَـكَّهُ) : ضربهُ بِجُمْعِهِ في قفاهُ او ضربهُ فدفعهُ . وبدلها : لَقَّ عَيْنَهُ : ضربها بيدهِ او براحتِه

و (لَـكَأَهُ) بالسوط : ضربهُ

و (لَاكَ) اللقمةَ : مضغها اهون المضغ وادارها في فمهِ . وبَدَلُها (لَاقَ) يقـال : لاقَ عينهُ : ضربها

و (لَـكَتَهُ) بالسوط : ضرَبهُ

و (لَـكَحَهُ) : وكزهُ او ضربهُ شبيهاً بهِ . وبدلهُ لَقَحهُ اي ألقاهُ

و (لَـكَدَهُ) : ضرَبهُ بيدهِ او دفعهُ

و (لَـكَزَهُ) : ضربهُ بجمع الكفّ اي وكزَهُ . وبدلهُ لَقَزهُ : ضربهُ بالجمع على الصَدْر او في جميع الجسد او اللَقْز واللَـكْزُ بِجُمع الكف في العنق والصَدْر

و (لَـكَمَهُ) : ضربهُ باليد مجموعة الاصابع او لكزهُ او دفعهُ

و (لَـكَضَهُ) : ضربهُ بجُمع الكفّ

و (لَـكَعَتْهُ) العقربُ : لسعتهُ وبدلهُ لَقَعَ الشيء رَمَى بهِ . وفلاناً بعينهِ اصابهُ بها . والحيّةُ فلاناً : لدغتهُ

و (لَـكَشَهُ) : ضربهُ بيدهِ

ومن هذا القبيل : نَبَتَ . نَبَعَ . نَبَغَ . نَبَطَ . نَبَرَ . نَبَثَ . نَبَحَ . نَبَذَ . نَبَزَ . والمعنى الاصل يدلُّ على خروجٍ

ومن ذلك فَلَّ . فَلَجَ . فَلَحَ . فَلَخَ . فَلَذَ . فَلَعَ . فَلَغَ . فَلَقَ . والمعنى الاصل يدلّ على التجزئة

ومنهُ : فَتَّ . فَتَأَ . فَتَحَ . فَتَرَ الحرُّ . فَتْرَصَ . فَتَغَ . فَتَقَ . فَتَكَ . والمعنى الاصليّ يدلّ على الكسر

ومنهُ : فَثَّ . فَثَأَ . فَثَجَ . فَثَغَ

ومنهُ : فَجَّ . فَجَأَ . فَجَرَ . فَجَسَ . فَجَشَ . فَجَعَ . فَجَمَ . فَجَا

ومنهُ : لَبَتَ . لَبَجَ . لَبَخَ . ألْبَدَ البعيرِ . لَبَزَ . لَبَسَ عليهِ الامرِ . لَبَطَ بهِ الارض .

لَبَكَ. لَبَنَ وهذا الباب رحب كثير الشواهد والامثلة

ولا تظن ان مادَّة الكلمة تُتوَّج فقط او تُحشَى او تُطرَّف فقد يجتمع امران في المادَّة الواحدة كالتتويج مثلًا مع التطريف. او التطريف مع الحشو او غير ذلك. مثال ما نذكرهُ مادة « ل م » فقد تقدَّم القول عنها انها حُشيت ببعض الاحرف فانظر الآن كيف ذُيّلت ايضاً فقد قالوا:

(لَمأَ) فلانًا: ضرب عليهِ يدهُ مجاهرةً وسرًّا

و (لَمدَ) كلَدَمَ يعني لطم والواحد مقلوب الآخر

و (لَمزَ) ضرب ودفع

و (لَمصَ) : قرَصَ

و (لَمطَ) فلانًا بالرمح: طعنهُ بهِ

و (لَمعَ) الطائرُ بجناحيهِ: خفق بهما

و (لَمقَ) عينهُ: ضربها بكفّهِ خاصّةً

و (لَمكَ) العجين: مَلَكَهُ والواحد مقلوب الآخر. ومعنى ملكهُ أنعم عَجنَهُ. وهو لا يكون الّا باعادة ضربهِ باليد شيئًا على شيء كما هو المعهود — ومن ثمَّ فقد وقع في هذه المادة الحشو والتذييل

وقد رأيت في مادة « ف ش » التتويج والحشو ولا تريد على هذا القدر إذ الغاية من هذه المقالة ايضاح هذا الخاطر بوجهٍ مختصر لا البسط في الامثلة وتعديد الشواهد لانَّ هذا العمل من مواضيع المؤلفات المطوَّلة

٣ً هل للنَحت وجود في الالفاظ الثلاثيَّة العربيَّة

قد رأيت كيف نشأت الالفاظ الثُنائيَّة فصارت ثلاثيَّة بواسطة العوامل الثلاثة التتويج والحشو والتطريف وكل هذه الادوات او الزوائد لا تخرج عن حروف الذلاقة او مبدلاتها. « والحروف الذُلق ستة وهي ثلاثة ذَوْلَقيَّة وهي السلام والراء والنون وثلاثة شفهية وهي الباء والفاء والميم... قال ابن جِني: وفي هذه الحروف الستة سرٌ ظريف يُنتفع بهِ في اللغة. وذلك انهُ متى رأيت اسماً رباعيًا او خماسيًا غير ذي زوائد فلا بُدَّ فيهِ من حرفٍ من هذه الستة او حرفين. وربما كان ثلاثة. وذلك نحو « جعفر » فيهِ الراء والفاء. و « قعضب » فيهِ الباء. و « سلهب » فيهِ اللام والباء. و « سفرجل »

فيهِ الفاء والراء واللام. و « فَرَزْدَق » فيهِ الفاء والراء . و « هَمَرْجل » فيهِ الميم والراء واللام. و « قرطعب » فيهِ الراء والباء. وهكذا عامَّة هـذا الباب. فمتى وجدتَ كلمة رباعية او خماسيَّة معرَّاة من بعض هذه الحروف الستة فاقضِ بانهُ دخيـل في كلام العرب وليس منهُ. ولذلك سميت الحروف غير هذه الستة « المُصمتة » اي صمت عنها ان يُبنى منها كلمة رباعية او خماسية معرَّاة من حروف الذلاقة ». اه عن التاج

فاذا ثبت لك هذا الامر وتحقَّقتهُ انت من استقراء الالفاظ انهتك لك سترُ هذا السرّ الغامض وتحققت ان لا نحت في الالفاظ الثلاثية العربية. وان وقعتَ على ما يشبهُ النحت فهو من قبيل الاتفاق. واذا زعم احدٌ ان للنحت وجودًا في الالفـاظ الثلاثية العربية فحينئذٍ لا مانع من ان تقول بان جميع الالفاظ الثلاثية منحوتة لانهُ لا توجد كلمة من هذه الاصول الّا ولها وجهٌ يُخرَّج عليهِ النحت اذ ان المضاعف الثلاثي عديد المواد وكافٍ بنفسهِ لان يقرّر هذه الخواطر التي لا تخرج عن خواطر وهميَّـة يطيب ترددها وتكرارها على المخيلة

قال الشيخ المرحوم ابراهيم اليازجي ما هذا نصُّهُ بحرفهِ :

« اذا استقريت الافعال الثلاثية ورجعت بها الى هذا الاعتبار (اعتبـار القلب والابدال) وجدت منها ما يتنازعهُ اصلان مختلفان يمكن ردُّهُ الى كل واحد منهما او الى كليهما على طريق النحت. وهـذا ولا شك من المباحث الغريبة على سمع اللغوي اذ لم يسبق من قال بالنحت في الالفاظ الثلاثية. وانما الذي طوَّع لنا المخالفة اليهِ والتصريح بهِ ما نطمع فيهِ بعد تقريرهِ من الفتح الكبير الكافل بسدّ كثيرٍ من حاجات اللغة في هذا العصر فان وقعنا منهُ على السداد لم تمنع غرابتهُ من تقليب النظر فيهِ وتوسُّم وجوه النفع منهُ وإلّا فلا اقلّ من شفاء الصدر من امرٍ يحك فيهِ والله من وراء القصد. ونحن نورد في هذا الموضع بعضاً من امثلتهِ على قدر ما يحضر منهـا في محفوظنا القليل مع ما نحن فيهِ من ضيق الوقت. . . وذلك نحو قولهم: نبض الماء: اذا سال. فانهُ يصح ان يكون من نضّ بزيادة الباء. او من بضَّ بزيادة النون. وكلاهما بمعنى نبض (قلنا: وهذا هو الراي الاصحّ عند جمهور المحققين المحدثين) ويمكن ان يكون من كليهما بان نُوي تركيبهما معًا وجعلهما كلمةً واحدة ثم حُذف احد الحرفين المتماثلين منهما وهو الضاد من نضَّ فبقيت النون او من بُضَّ فبقيت الباء وركّب هذا الباقي مع اللفظ الآخر. والفرق بين ان يكون اللفظ منحوتًا او غير منحوت انك قد قدَّرت الزائد منتزعًا من لفظ معلوم كما قدَّمناهُ فهو نحت. وان قدَّرتهُ اتفاقيًا فلا . . ومن ذلك قولهم: بَعَقَهُ. اذا شقَّهُ فانهُ يمكن ان يُردَّ الى بقَّ وعقَّ وهما بمعنى بَعَقَ ايضاً. وجاء: انبعق السحاب اذا انفجر بالمطر وهو يحتمل ان يكون مما ذُكر او من بعَّ و بقَّ. او بعَّ وعقَّ. ومعنى بعَّ: صبَّ ماءهُ بكثرة. ومثلهُ انبعج السحاب وهو من بعَّ وبجَّ. والبجّ: الشقّ في انصباب

الماء كثير . . . ومن النكت في هذا الباب قولهم عبَرَ النهرَ اذا قطعهُ فانهُ اشبه ان يكون مأخوذًا من العُباب والبرّ (١ والعُباب : معظم الماء لان العابر يقطع الماء الى البرّ . . . على ان الكثير من هذه الامثلة يمكن ردُّهُ الى سلسلة الحرفين الاولين (وهو عندنا الاصحّ والاقبل) الّا ان هــذا لا يمنع من جواز ما ذهبنا اليه . . . اه (نَقَلْهُ عن الطبيب سنة ١٨٨٤—١٨٨٥)

وقال في الضياء (٥ : ٣٥٨)

ومن هذه الالفاظ (الثلاثية) ما لا تجد فيــهِ مندوحةً عن النحت والامثلة من ذلك عزيزة يحضرنا منها كلمات قليلة منها لفظ المأج بمعنى الماء الأُجاج . فان هــذا لا يكون الّا منحوتًا من ماء وأُجاج ثم بنوا منهُ فعلًا فقالوا : مَوَّجَ الماء يَموُّجُ مُؤُوجةً فهو مَأج فجاء على حَدِّ صَعُبَ صعوبة فهو صَعْب . ومن ذلك الكَبْو وفسروهُ بكتم الربو وأَحرِ بهِ ان يكون منحوتًا من هــذين اللفظين اي كتم وربو . . . وقالوا عطَّب الشراب وزان قَدَّم اي عالجــهُ ليطيب وهو كذلك منحوت من عالج وطيَّب . . . اه نقله

قلنا امَّا نحن فلا نسلِّم بالنحت في الالفاظ الثلاثيَّة العربيَّة الّافي ما شذَّ منها وندر محيثها وانت خبير بان الشاذّ والنادر لا يبنى عليهما حكم ولا تصدق عليهما قاعدة ثمَّ انَّ جمهور اللغويين الاقدمين انكروا وقوعهُ فيه بصراحة المبنى والمعنى يعني بجلاء العبارة والاشارة . على ان هذا السبب لا يكفي وحدهُ لو لم يضافرهُ عدَّة اسباب . ولاسيا لانَّ التوسع في العلم والاستقراء لم يوصَد بابه في قديم الزمان حتى يتعذَّر فتحهُ على المحدثين . فالعلم مُشاع بين الجميع وفي كل زمان ومكان وقد يفتح الله على هذا ما لم يفتحــهُ على ذاك . ولذا فنحن لا نعتبر هــذا الكلام حجَّة قاطعة لو لم يجتمع معها غيرها من الحجج . منها :

٢ انَّ للنحت غايةً فاذا بطلت الغاية بطل الوضع للحال . وغاية النحت الجمع بين كلمتين او اكثر للدلالة على « معنى جديد » لا يُوجد الّا في جمع تلك الكلمات او لا لفظ لهُ في السابق يؤدي المعنى المذكور . فاذا كان المعنى المطلوب موجودًا في لفظــةٍ سابقةٍ امتنع الوضع لامتنــاع السبب . فاذا قالوا البسملة مثلًا فهو منحوت من قولك : بسم الله . وهما لفظتان او ثلاث (باعتبار بسم كلمتين) تدل على معنى جديد وهو الجمع بين معنى تلك الالفاظ وليس في سابق اللغة لفظة ترادفها . فاندفعوا بمسيس الحاجة الى

١) لو كان الامر على ما يزعم الكاتب فأحرِ بالعَبرِ ان تدل على حيوانٍ يعيش في الماء والبرّ معًا كالسلاحف والضفادع مثلًا . والواقع لا يطابق ما في الخاطر . فما ابعــد هذا التأويل عن الحقيقة ! ! !

هذا الوضع . ومثلهُ في العبشمي والعبقسيّ الى غيرهما فللوضع سبب واضح . واما نَبَضَ فموحود في بضّ وفي نضّ على ما يشهد الكاتب نفسهُ . وكذلك بَعَقَهُ فهو بمعنى بَقَّهُ او عَقَّهُ . وانبعج السحاب موجود في انشقّ وانعقّ وانبعّ وان لم يسمع هذا فالقياس يجيزهُ . وقس على هذا كل ما اوردهُ من الامثال فلجميعهِ اشباهٌ كثيرة ونظائر لا تعدّ

٣ من البديهي ان اللفظة المنحوتة في العربيَّة يجب ان لا توجد بحروفها في اللغات الاخوات الساميَّات لاسيا لمَّا لا يكون فيها وجود للالفاظ التي نُحتت منها والامر بالعكس في مثل « عَبَرَ » النهر فانهُ موجود في جميع اللغات السامية فضلًا عن اللغات الهندية الجرمانية ولا وجود للعُبَاب في تلك اللغات ففي العبرية עבר وفي الارمية ܥܒܪ وفي السنسكريتية « ابري » وفي الفارسية « ابر » و« بر » الى غيرهن من اللغات المختلفة التي يدلّ فيها الاصل « عبر » امَّا على ضفة النهر وامَّا على معنى الاعتلاء او معنى العبور . والظاهر ان « عبر » مأخوذ من « عب » حكاية صوت الاعتلاء ثم ذُيلت المادة بالراء للدلالة على الحركة لان من خصائص هذا الحرف الدلالة على الحركة ومن ثم تواطأ الجميع على وضع هذا اللفظ لاتفاقهم في حكاية الصوت المذكور

ثم اي فائدة من وضع كلمةٍ منحوتةٍ من العباب والبرّ ولها مترادفات عديدة « كجَازَ النهر وقطعهُ وشقَّهُ » الخ

ولمثل هذا السبب لا نسلّم بنحت « المأج » فهو عندنا من الأَج بمعناهُ ثم زيدت الميم في اوَّلهِ للدلالة على المائية وتقريرها في الذهن او المأج مأخوذ من المجّ ثم جُوّف وهُمِز على ما قرّرنا بعض نواميسهِ وتقرّر البعض الآخر في التالي (١ . واماَّ « اَلكَبو » فهو من الكَبّ . يقال كبَّ الشيء : اذا ثقُل وما الكَبو الَّا ثقل في النفَس . واماَّ « عَطَب » فلا دليل عليهِ انهُ منحوت « عالج وطيّبَ » فيجوز ان يقول آخرُ انهُ من عطِر وطيّب . او من عطِّر الشراب . او نحو ذلك من الالفاظ التي يستطيع ان يتخيلها كلٌّ منَّا . وعندنا ان « عطَب » ماخوذ من « ط ب » حكاية صوت عثور الريح الهابَّة بشيء تصادمهُ ثم

١) وعندنا ان هذا الراي الاخير هو الارجح ففي العربيَّة مجَّ الرجل الشرابَ : رَمَى بهِ ولا يخفى على الباحث ان من يشرب او يذوق الماء الأُجاج يمجّهُ للحال اذا ما تحقّق امرهُ . وفي الارمية : ܡܓܡܓ مجَّ وتَفِهَ وخَمَّ وفَسدَ ومَلُحَ ومزّ وأجَّ . فاذا كان مأج منحوتاً من ماء واجاج فكيف يوجد عند الارميين ما يُشبهُ وليس عندهم لفظة أُجاج . فتأمل

انتقل طِيبُ الهواء الى غيرهِ من باب المشابهة . وزادوا العين في الاول للدلالة على الانفساح والاتساع . كما سيجيء تفصيلهُ في محلهِ في باب خصائص الحروف . وقالوا عطَّب كما قالوا عطَّر ومادة « ط ب » و « ط ر » تتشابهان في المخرج . لان الباء والراء من حروف الذلاقة . وقس على غير ذلك من الالفاظ

واول من ذهب الى النحت في الثلاثي المرحوم الشيخ ابرهيم اليازجي كما تقدم الاستشهاد بكلامهِ وتابعهُ الكاتب المتفنن جرجي افندي زيدان . قال في « الالفاظ العربية والفلسفة اللغوية » ص ٤٩ في باب تنوعات الالفاظ ما هذا صورتهُ :

كل من هذا التنوُّعات امَّا ان يكون حاصلًا من تركُّب اصلين لكل منهما معنًى في نفسهِ أو لا. فاذا كان الاول كان حصولهُ على طرقٍ منها النحت اي ادغام كلمتين فاكثر وجعلها كلمة واحدة وهذا راي بعض اللغويين في الرباعي . وعندي ان لا مانع من اطلاقهِ على الثلاثي ايضاً بدليل وجود افعالٍ ثلاثية قابلة الحل الى اصلين لكل منهما معنًى في نفسهِ منها « قطف » ويفيد القطع والجمع والاصل فيهِ على ما ارى « قَطْ لَفْ » الاولى قطع والثانية جمع وبالاستعمال أُهملت اللام ونُقلت حركتُها الى ما قبلها فصارت قطف » . ثم قال . . . ومثل ذلك كثير في الالفاظ الثلاثية وان استبعد بعض اللغويين هذا التعليل فهو غير مستبعد عند من لهُ شيء من الاطلاع على خصائص الالفاظ وقابليَّتها للابدال والنحت . وفضلًا عن ذلك ان من يسلّم بامكان حدوثهِ في الرباعي بان يُنحت من اربع او خمس كلمات كلمة واحدة كقولهم بَسْمَلَ . قال : « بسم الله » . . . لا يستبعد حدوثها في الثلاثي من كلمتين ولنا في ما تقدم عن لغة عامتنا دليل » اه

قلنا : انهُ فضلًا عما في تحديد النحت على ما اثبتهُ تقصير ففي ما ذكرهُ محلّ نظر . نعم ان في قَطَفَ بمعنى قطع وجمع معنى جديدًا لا يوجد كلُّهُ لا في قَطَعَ وحده ولا في جَمَعَ وحدهُ وهو الوجه الذي يجيز النحت لكن من يقول ان هذه اللفظة منحوتة من الحرفين المذكورين ولا تكون مثلًا من قَشٍّ (اي جمع) وطفٍّ (اي دنا) وذلك ان القاطف يجمع الاثمار ويدنيها من الناس . او من قسٍّ (الشيء تتبَّعهُ وطلبهُ) وطفٍّ (اي رَفَعَ) وهو من عمل القاطف ايضاً الى غير ذلك من التفاسير التي لا حدّ لها . الَّا ان الكاتب استطاب ما تخيَّلهُ من التاويل وما يطابق الحال فاثبتهُ بين المقرَّرات

واما امكان حدوثهِ في الرباعي وفي ما زاد على حروفهِ وعدم امكان حدوثهِ في الثلاثي فهو :

١ً قد يكونَ الامر في هذا ولا يكون في ذاك . وقد تكون القاعدة مثلًا شاملة كلَّ الرباعي وما زاد عليهِ ولا تمسّ الثلاثي . وهذا كثير في قواعد النحو واللغة فقد

تكون القاعدة تطَّرد على كـذا من الاوزان او الصيغ ولا تتمشَّى على تلك. فيكون النَّحت في الرباعي من هذا القبيل ولا يصدق على الثلاثي

٢ً لو كان هذا النحت قد حدث من الالفاظ الثنائيّة التي تخيَّلوها فلا ارى مانعاً من اثبات اللفظتين الثنائيتين على حالها وجعلها رباعيَّة بعد النحت يعني لو نفرض مثلًا ان من « قشْ وطفْ » قالوا « قَطَفَ » فلا أرى عدم تجوُّزهم قولهم « قَشْطَفَ » وفيها من الخفَّة ما فيها فضلًا عن اشارة اصليهما الاولين ودَفع الفكر اليهما لاول سماع الكلمة. فلا جرم ان جواب المحدثين القائلين بالنحت في الثلاثي هو: ان خفـة قَطَف اسرع من قَشطَفَ وفي هذه من غرابة اللفظ ما لا توجد في تلك. قلنا: اذا كانت قَطَفَ اخفَّ لفظًا على اللسان واقبلها سماعاً للاذان ففي قَشطَفَ من إشارة الاصل وسرعة الفهم الى المطلوب ما لا يوجب معها شرحاً ابدًا بخلاف المنحوت من كلمتين بعـد ان حُذف منهما شيء. فقد يخفى مع نحتهما المعنى المقصود من وَضع الكلمة بل وتستلزم تأويلًا او شرحاً او سَبْق فَهم بخلاف المنحوت الباقي على حالهِ كما في شقَحْطب مثلًا

٣ً في النحت الرباعيّ يُحذف ما كان في الالفاظ الاصليَّة من الحروف الذُّلُق او الحروف الخفيفة على اللسان او الخفيفة الصوت وتبقى الحروف الفخـمة او المصمتة امَّا الحروف الخفيَّة الصوت التي تُحذف فهي حروف العلَّة والهمز والهاء واللام والراء والنون والباء والفاء والميم. فاذا حفظنا هذه القاعدة نرى ان اغلب الفاظهم المنحوتة لا تجري الَّا على هذه القاعدة

٤ً امَّا قولهُ « ان في لغة العامَّة دليلًا على ذلك ». قلنا: نعم ان فيهِ لدليلًا على الاختزال الذي هو من قبيل النحت وليس بهِ. وقد انتبه لهُ العرب من قديم الزمـان فنهم من سمَّاهُ بالقُطْعة ومنهم من اطلق عليهِ اسم القُتْمَة والجمهور عرفهُ باسم القَبْض وآخرون سمّوه بالادغام. قال ابن الانباريّ في كتاب اسرار العربيّة (ص ١٦٩): . . . امَّا « بَلْعَنبر فاصلهُ بنو العنبر» الَّا انهم حذفوا الحرف المعتلّ لسكونهِ وسكون اللام لم يمكنهم الادغام لحركة النون وسكون اللام فحذفوا النون بدلًا من الادغام. ومن ذلك قولهم: « بَلْعَمّ » يريدون: « بني العمّ » قال الشاعر:

اذا غاب عَدْوًا عنك « بَلْعَمّ » لم يكن جليـدًا ولم تعطف عليك العَوَاطِفُ

ومن ذلك قولهم: « عَلْماء » بنو فلان. يريدون: « على الماء ». قال الشاعر:

فَـداةَ طَفَتْ عَلماء بَكرُ بنُ وائل وعُجنـا صُدُورَ الجَبـلِ شَطرَ تميمِ

يريد «على الماء» (ثمَّ زاد ما يأتي وهو كلام حريٌّ بان يُكتب بماء الذهب) : وهذا كلهُ ليس بمطَّرد في القياس وانما دعاهم الى ذلك «كثرة الاستعمال وهو من الشاذّ الذي لا يُقاس عليهِ» فاعرفهُ تُصِبْ ان شاء الله تعالى . اه

قلتُ ومثل هـذا الادغام كثير في كلامهم كبَلحارث وبَلقَين وبَلهَجيم وو َيلُمّهِ ولَابَ لكَ (في لا أبا لك) الى غير ذلك من الالفاظ العديدة . وقد عرفهُ اللغويون ايضاً باسم التخفيف (راجع بلقين في مادة ق ي ن في اللسان والتاج)

والَّا فلو سلَّمنا النحت في الثلاثي لكان المنحوت اكثر من غيره ولاسيما اذا اتَّبعنا مخيّلتنا في تقوُّلاتنا وحينئذٍ لا تمرُّ بنا لفظة الَّا وتمحّلنا لها وجهاً من النحت . فقد جاء في دواوين اللغة خَمِجَ اللحم بمعنى فسد . فيكون منحوتاً من خمَّ ونُخجَّ او خَمَّ ومُجَّ والمعنى واحد اي فسد فَدَفَعَتْهُ النفس وكرهَتْهُ . وجاء فيها : أمجَّ العُودُ : جرَى فيهِ الماء فكانهُ مؤلف من أ (خَذَ) (ا) م (اء بال) ج (ري) اي انهـا نُحتتْ من ثلاث كلمات أُخذ من كل واحدة منهن حرفٌ — وجاء فيها ماء خَمْجَزي وهو الماء المِلحُ او الذي لا يبلغ الأُجاج وتشربهُ الدواب او الخمجري : المرُّ . فكانهُ منحوت من «خمَّ الماء الجاري فمرَّ» اي فسد الماء الجاري فصار مرًّا . ومثل هذا اكثر من ان يُحصى وما ذلك الَّا من قبيل متابعة من اشتقَّ اسم الملكة هيلانة من «هي الان» قال ياقوت في ترجمة «حوض هيلانة» : «وقيل انها سميت هيلانة لأنَّها كانت تكثر من قول : «هي الان» اذا استعجلتْ احدًا في شيءٍ تامرهُ بهِ وسُميت هيلانة لذلك» . فاذا كان الامر كذلك هـان علينا كل خطب ولم يَعُدْ اشكال في شيء من الالفاظ

على اننا اذا انكرنا وقوع النحت في الثلاثي (اللهمَّ الَّا في الفاظ قليلة كليس مثلًا فانها ولا شك في ذلك منحوتة من «لا أيسَ = لا إيْت الماتة . ووَيل فان اصلها وَيْ ل . وأَجِنَّكَ كذا فانها مؤلفة من «من أجلِ أنّك» وغيرها) فلا ننكر ورودهُ في الرباعي وما زاد عليهِ . ومن ثمّ فانّنا لا نوافق المُغالين في القول بوجود النحت في كثير من الالفاظ الثلاثيّة كما اننا لا نُتابع المستشرقين وصـاحب المشرق القائلين (١

١) راجع في المشرق (١ : ١٠٢٩-١٠٣١) مقالتنـا في الالفاظ العربيّة المنحوتة حيث اوضحنا رأينا في ذلك وأيدناهُ بالبرهان ل . ش

« ان المنحوت في كلام العرب لا يكاد يربي على خمسين لفظة » فلقد جمعنا الفاظاً لا يصحّ تفسيرها الّا بالذهاب الى نحتها . والله من وراء الحقيقة . ومع ذلك فلا يمكن القول ان للنحت طريقة معلومة حتى تُتَّخذ قاعدة للجري عليها ولتأليف ألفاظ جديدة تفي بغايات العصر فلقد أجمع العرب على انَّ النحت غير مطرد القياس بل انما نشأ من كثرة الاستعمال وتحاكّ الالفاظ بعضها ببعض وتفانّيها فيفني فيها الضعيف ويبقى منها القويّ ذلك من تنازع البقاء سُنَّة الله في خلقهِ وفي ما ينتج منهُ ويتولد عنهُ

ومما يجب ان يُلاحظ في باب النحت ويحتفظ بهِ ان هذا النوع من التركيب حديث الوضع والنشوء في الثلاثي يعني انهُ لم يرد الّا قُبَيل الاسلام وليس لهُ وجود في عهد الجاهليَّة الصميم . وهو أمر يلزم الانتباه اليهِ والالتفات الى همتهِ . والنزر القليل الذي ورد يُعدّ كالنادر الشاذّ والنادر الشاذّ كالعدم اذ لا يطَّرد في القياس (لهُ تتمَّة)

اثر يوناني

في خزانة القصر السلطاني (١

لحضرة الدكتور توما هودتش نزيل مدرستنا الكليَّة

انَّ في دار السلام من الآثار الكتابيَّة والمخطوطات النفيسة ما لا يزال العلماء يتوقون الى مطالعتهِ . وقد عُنيت الحضرة الشاهانيَّة اداما الله منذ جلوسها المأنوس على عرش الخلافة بتقريب تلك الذخائر الثمينة من طلّابها . فطُبعت بامر الذات العليَّة عدَّة قوائم لمخطوطات الخزائن الكتابيَّة وتعيَّن للمكاتب مأمورون يقومون في خدمة العلماء الذين يرغبون في درس تلك الآثار

ومن الخزائن التي كان ارباب العلم يتشوَّقون الى نظر مخطوطاتها خزانة القصر القديم الذي سكنهُ السلاطين العظام الى اواسط القرن المنصرم . وهذا البلاط قد خُصَّ اليوم

(1) Nachrichten des russischen archaeologischen Institutes in Konstantinopel. — SERAILER OKTATEUCHKODEX von **Th. Uspenskij.** mit einem Album auf 46 Blaettern und 6 Beilagen im Text. — *Sofia* 1907.
(Izvestija russkago archeologiceskago Instituta v.Konstantinopole SEALJSKIJ KODEKS vosmiknizija **T. Uspenskij**, *Sofija*, 1907)

بالمتاحف والعاديّات وهو يُعرف بطوپ قپوسراي. وفيهِ كانت خزانة غنيّة بالمخطوطات وبقيت تلك الكتبخانة مصونة كالدرة اليتيمة التي لا تُرام لم يدخلها الّا بعض الافراد من علماء الفرنسويين في القرن السابع عشر والثامن عشر بعد أن نالوا في ذلك الرخصة من اصحاب الامر فوجدوا عددًا وافرًا من المخطوطات الثمينة في التركيّة والفارسيّة والعربيّة . وكانت رغبتهم القصوى ان يقفوا على تركة ملوك الروم من المخطوطات اليونانيّة الفريدة مّما اخذتهُ يد الضياع لكبار الفلاسفة والمؤرخين الاقدمين فوجدوا هناك عددًا وافرًا من تلك الآثار تلطّف السلاطين الكرام باهداء بعضها الى ملوك فرنسة(١

وفي هذه المدّة الاخيرة تفضّلت الذات السلطانيّة فمنحت لبعض العلماء الرخصة بالتفتيش في تلك الخزانة وتدوين قائمة كتبها. فتصفّح تلك المخطوطات العلّامة مردمان (Mordmann) ودزيه (Desier) وميلر (F. Miller) وبعثة المجر العلميّة ولاسيّما الاستاذ بلاس (Blass) سنة ١٨٨٧ فانهُ نظر فيها نظرًا نعمًا . وكلّهم يثنون على ما في تلك المكتبة من المخطوطات الشرقيّة امّا المخطوطات اليونانيّة فانّهم لم يجدوا منها الّا قسمًا صغيرًا ومعظمها من التآليف المعروفة المنشورة بالطبع. فارتاب العلماء من ذلك ويغلب ظنهم على انّ المكتبة القيصريّة اليونانيّة ليست كلها في خزانة طوپ قپوسراي ولعلّ كثيرًا من تلك المخطوطات لا يزال مودعًا في أحياء أُخرى او في بعض الحجر الداخليّة

ومما ظهر مؤخرًا من تلك الدفائن الثمينة اثر يونانيّ وقف عليهِ علماء المكتب الروسيّ في الاستانة العليّة ووصفهُ وصفًا مدققًا العلّامة اوسپنسكي (Th. Ouspen-sky) . ألا وهو كتاب خطّي يحتوي خمسة اسفار موسى يليها سفر القضاة ثمّ يوشع ثمّ راعوث وهو من التآليف المعروفة بالمثمّنة (Octateuques) لاحتوائها على الثمانية الاسفار الاولى من التوراة. وهي كلّها باليونانيّة على حسب النصّ المعروف بالسبعينيّ . وقبل تعريفهِ لا بدّ من تقديم بعض الملحوظات لبيان خواصهِ

١) راجع كتاب العلامة اومون في البعثات الفرنساويّة الى الشرق : H. Omont: *Missions archéologiques françaises en Orient aux XVII^e et XVIII^e siècles*. Paris, 1902, pp.251-278, etc.

كان البوزنطيّون منذ اواخر القرن الخامس اعتادوا ان يجمعوا في كتاب واحد بعض اسفار الكتب المقدّسة ثمّ يكتبون على هوامشها ما قالهُ الاباء في شرح كل آية من تلك الاسفار وهم يدعون هذه الجاميع «مجاني الزهور» Ἐκλογαί واوّل من سبق الى ذلك الكاتب پروكوبيوس الغزّي (٤٦٥–٥٢٨) فانهُ جمع تفاسير الآباء على عدّة اسفار من الكتب المقدّسة. واشتهر هذا المجموع الذي نسج على منوالهِ غيرهُ من الكتبة فتوفّرت هذه الجاميع ومنها الى يومنا نسخٌ متعدّدة تختلف فيها الاسفار المنتخبة في الكم والكيف وقد طُبع منها عدد وافر. ومن اخصّ فوائدها انها تحتوي شروحاً لآباء وكتبة قدماء فُقدت اليوم تفاسيرهم. ثمّ حذت الكنيسة اللاتينيّة حذو الكنيسة اليونانيّة فجعل كَتَبَتُها يجمعون ايضاً الاسفار الالهيّة ويضيفون اليها شروح اللافنة والآباء فكثرت في الغرب كما شاعت في الشرق. واللاتينيّون يدعون هذه الجاميع سلاسل كتابيّة (Catenæ) نُشر اغلبها بالطبع

فلنعودنَّ الآن الى وصف هذه النسخة الجديدة التي اخرجها من مكمنها العلاّمة اوسپنسكيّ فنقول:

اوّلًا انَّ المجموع الذي اكتشفهُ الاستاذ الروسيّ يمتاز بقدمهِ فانَّ كتابتهُ تدلُّ على انهُ من القرن الثاني عشر. لكنهُ مع قدمهِ يوجد نسخ اقدم منهُ ترتقي الى القرن الحادي عشر

ثانياً ومن مميزات هذا المخطوط وفرة الشروح التي عُلقت على هامشهِ منقولة عن الآباء والمعلمين فلا شكَّ ان محبي الآثار الكتابيّة يُقبلون على درسهِ ليقفوا على ما فُقد من اعمال القدماء ومعلّمي الكنيسة ولا يخفى ما يترتّب على ذلك من الشأن والخطر لاسيّما اذا قابلوا بين هذه النسخة والنُسخ المشاكلة لها المعروفة حتى الان

ثالثاً ولهذه النسخة الخطيّة مزيّة أُخرى لا تجدها الّا في خمس نسخ مخطوطة غيرها نريد صورها البديعة ذات الالوان الزاهية التي تزينها. أمّا بقيّة النسخ المصورة فنسختا مكتبة الواتكان ثمّ نسخة دير ڤاتوپدي على جبل اثوس ثمّ نسخة ازمير واخيرًا نسخة مونيخ في باڤارية. وصور هذه النسخ كلها متشابهة ما يدلّ على انها نُقلت عن اصل واحد. وقد أحسن المسيو اوسپنسكي برسم هذه الصور ونشرها بالطبع فاهدانا من كتابهِ نسخةً راعنا منظرها

رابعاً وتمتاز هذه النسخة بسمةٍ اخرى بيَّنها المسيو اوسپنسكي بياناً جليا وهي علاقتها مع سلسلة من جنسها عُني بطبعها اسقف روسيّ اسمهُ نيقيفورس ثاوطوكيس (١٧٣١—١٨٠٠) فانهُ كان طبع في ليبسيك سنة ١٧٧٢ شروحاً على ثمانيــة اسفار الكتاب المقدَّس الاولى باليونانيَّة وكان العلماء حتى الان يجهلون المصادر التي اخذ عنها . فالاستاذ اوسپنسكي عارض تأليف نيقيفورس بالنسخة المكتشفة حديثاً فتحقَّق انَّ ذلك الاسقف استند الى هذا المخطوط عينهِ واخذ عنهُ كثيرًا من شروحهِ وكان نيقيفورس جاء الاستانة ونزل ضيفاً في الفنار دار بطريركيَّة الروم في عهد صمويل الثاني من السنة ١٧٦٥ الى ١٧٦٨ وكان من اصدقائهِ هناك المسمَّى غريغوريوس غيكا رئيس تراجمــة الباب العالي . فمن المرجَّح انَّ غريغوريوس استعار لنيقيفورس النسخة المخطوطة التي اكتُشفت اليوم فنقل عنها

خامساً وآخرا ما يُستفاد من هذه النسخة انَّ في مقدَّمتها بعض معلومات عن قياصرة دولة كومنين (Comnène) . فانَّ في صدرها رسالة باسم ارستاوس الى فيلوكراتيس كان العلماء يعرفونها الَّا انها في هذه النسخة رُويت على صورة غير صورتها المعروفة وذلك بيد اسحاق الملقَّب بصاحب العزَّة (Sebastokrator)

وكان اسحاق هذا قد ولد سنة ١١٩٢ واشتهر كابنٍ للامبراطور الكسيس كومنين (١٠٨١—١١١٨) ثمَّ ادى ليوحنــا اخي الامبراطور الكسيس خدماً كثيرة فلقبهُ الكسيس باسم شرف فدعاهُ بصاحب العزَّة لكنَّهُ بعد ذلك عُزل من مرتبتهِ ونُفي فشيَّد ديرًا في فردجك على ضفَّة نهر ماريَّا على اسم البتول مخلصة العالم (Κοσμοσωτείρα) وقد وجد حضرة الاب بتي (R. P. Petit) الصعودي هناك كتــابةً يونانيَّة على اسم اسحاق المذكور

وكذلك قد استدلَّ المسيو اوسپنسكي من درس هذه الرسالة وخواصِّها اللغويَّة انَّ اسحاق هذا هو الذي جمع بعض طُرف من شعر اوميروس المفقودة (Περὶ τῶν Κατα-λειφθέντων ὑπό τοῦ ’Ομήρου) كان العلماء ومن جملتهم العلامة كرومبــاخر في تاريخ الاداب البوزنطيَّــة (Krumbacher; *Geschichte d. byz. Literatur*, 528) ينسبونها الى الامبراطور اسحاق كومنين (١٠٥٧ — ١٠٥٩) فانخدعوا بمشابهة الاسمين

ونسبوا للامبراطور اسحاق ما لا يصحّ الّا في اسحاق هذا اللقّب بصاحب المعزّة ابن الكسيس كومنين

فترى ما من الفضل للعلاّمة اوسپنسكي بنشر هذا الاثر اليونانيّ وما استخلص منهُ من الفوائد فنقدّم لهُ آيات الشكر على صنعهِ كما أنّنا نشكر المكتب الاثري الروسي في الاستانة على اهتمامهِ بهذه الآثار الجليلة وطبعها على نفقتهِ

لمحةٌ

في حوادث العام المنصرم

نظر للاب لويس رتزڤال اليسوعي

هو التاريخ ترقم ايدي الدهر صفحاتهِ بمدادٍ يختلف حسناً وبهاء مع اختلاف الحوادث فيدوّن تارةً أنباء النصر والفرح وتارةً يخلّد ذكر النكبات والحزن . يُشير اليوم الى ترقٍّ وصعود وغدًا ينبئُ بتقهقر وهبوط . فيا حبّذا المرءُ لو اتّخذ تقلّبهُ كعبرةٍ يعتبرها وكعظة يتعظ بها ليوجه الحاظهُ نحو عالم الثبوت والقرار ومنزل افراح لا تشوبها الاكدار

وها نحن نلخّص في بدء هذه السنة الجديدة جملة الامور التي طرأت على ارضنا في العام الماضي فنلحق هذا النظر بما اسلفناهُ في اجزاء المشرق السابقة ليسهل على القارئ الرجوع اليها عند الحاجة

الدولة العلية

انّ الحضرة السلطانيّة اعزّها الله وايّد شوكتها جرت في العام المنصرم جريها في السنين الماضية في كل ما يؤول الى خير العباد وتحسين احوال البلاد بل رأينا فيها مآثر جديدة تستوجب من جميع رعاياها الشكر التامّ تقتضي رفع اكفّ الدعاء الى المليك المنّان بأن يزيد الذات الشاهانيّة عزًّا وفخرًا ويثبّت العرش الحميديّ على اركان لا يضعضعها الدهر مدى الدوران

فمن اعظم آثار جلالة متبوعنا الاعلى السكك الحديديّة التي تمتدّ في كل انحاء

الدولة فتوفر اسباب العمران . واوّلها خطّ الحجاز الذي تتقدّم اشغالهُ بهمّة لا تعرف الملل حتى ناهز العملة بلوغ الكيلومتر الالف منهُ . والقطارات تسير سيرًا منظّمًا الى مدائن صالح . امّا التسوية الترابيّة فبلغت ١٢٠٠ كيلومترًا . والأنباء البرقيّة تفيد بأنّ الاشغال من جهة المدينة قائمة ايضاً على ساق

ومن الخطوط التي يلوح اليوم عظم شأنها خطّ حيفا الى دمشق فانّهُ فتح للتجارة بابًا واسعاً فنهضت بهِ تلك الجهات من خمولها واجدى للمدينتين منافع لا تُحصى ولاسيّما حيفا التي يزيد ميناها كل يوم حركةً وتقدُّماً حتى صارت تزاحم بيروت بوفرة السفن التي ترسي عندها هذا فضلًا عن خطوطها التلغرافيّة الثلثة وخصب اراضيها . وتقطع السكّة بلادًا ذات مناظر جميلة فتّانة وهي تتّصل بالخطّ الحجازي . وعلى هذه السكّة سارت آخرًا الى الحجّ سعادة الخاتون والدة حضرة شاه العجم

وكذلك خطّ رياق الى حلب فانّ سوق اعمالهِ في رواج عظيم حتى لم تَعُد عنابر البضائع كافية لإحراز السِلَع الواردة على الشركة في عدّة محطّات . وترقي اشغال هذه السكّة اوجب توسيع مينا بيروت . وقد بُوشر بهذا العمل منذ زمن قليل

وممّا سرّتنا بُشراهُ في تذكار جلوس الحضرة العليّة افتتاح اشغال شركة العجلات العثمانية بين حلب وبغداد فتقرّبت بذلك المسافات حتى صارت العجلات تقطعها في ثمانية ايّام وكانت لا تُقطع سابقًا الّا بشهر من الزمان . ففي اليوم المذكور خرجت عجلتان من الزوراء والشهباء فقطعتا البوادي متعاكستين وناشرتين على رؤوس الاشهاد مفاخر العرش الحميديّ

وكذلك قد رخّصت الذات السلطانيّة بادخال عجلات الاوتوموبيل في الممالك المحروسة فاسرعت شركتان الى طلب امتياز لتسييرها الواحدة بين القدس وغزّة ويافا ومدينة الخليل والاخرى بين بروسة وضواحيها

امّا خطّ بغداد الحديديّ فانّ اعمالهُ قد خمدت قليلًا في هذا السنة بسبب الازمة الماليّة التي حصلت في انحاء اوربّة . الّا انّ الشركات التي أُنعم عليها بمدّ هذا الخطّ عازمة على مواصلة الشغل بنشاط ولنا ضامن على ذلك المحطّة الفخيمة التي أُقيمت لهذه الغاية في حيدر باشا قريباً من اسكدار بازاء استنبول

ومن الادلّة الجليلة على سموّ نظر الحضرة السلطانيّة انّها حفظها الله عوّلت على

سدّ باب المجاعة في وجه رعاياها . ولذلك قد عُنيت بسقي مفازة واسعة الارجاء تُدعى ماكري جنوبيّ غربيّ قونية على بُعد مئة كيلومتر منها فعُقد وفاق بين الباب العالي وشركة السكة الحديديّة في الاناضول فحتمت الدولة على الشركة بان تخزن فروع بحيرة باي چاير على طول ١٤٥ كيلومترًا فتشيّد لها احواضاً وخزانًا وقنيًّا لهذه الغاية تستطيع ان تسقي سهولًا متّسعة بائرة يبلغ تكسيرها ٥٤,٠٠٠ هكتار فانّ تلك السهول يمكنها ان تغلّ سنويًّا ٢٠,٠٠٠ عجلة من عجلات السكّة الحديديّة . وفي نيّة جلالة السلطان الاعظم ان يجعل تلك الانحاء مستعمرات لمسلمي بلغارية وروسيّة

وما هو اخطر واجلّ من ذلك الترقّي الصنائعيّ الذي حصل في باطن الممالك المحروسة فانّ عدّة شركات نالت فرمانات شاهانيّة لمشروعات جليلة وخصوصاً للتنوير بالكهرباء . فالامل معقود ان تُبدل الترامواي الجارية مع الخيل بترامواي كهربائيّة في الاستانة . وعمّا قليل ستفوز بيروت بمثل هذه النعمة كاختها دمشق التي تجري فيها الكهرباء منذ سنةٍ بنيف كما انها تُنار بالكهرباء ولا تلبث بيروت ان ترى ذلك في طُرقها واحيائها الى حدود لبنان . وترى مثل هذه الحركة في سلانيك وازمير للترامواي والتنوير الكهربائي

هذا ولا يسعنا ان نسكت عن اثر آخر للحضرة العليّة السلطانيّة الذي يؤمّل منهُ منافع جمّة لهذه البلاد ألا وهو المكتب الصناعي الذي جرى تدشينهُ في رأس بيروت في عيد جلوسها المأنوس ومَنْ زار هذا المكتب تحقّق انهُ أُنشئ بتمام الاهبة وعلى احسن طرز يليق بالغاية المرغوبة ويوافق التمدُّن العصري . وقد بلغ عدد طلبتهِ حتّى الآن نحو ١٥٠ طالباً

ثمّ افادتنا مراسلات بغداد مؤخرًا انّ المتبوع الاعظم امر باجراء مسابقات لاصائل الخيل تنشيطاً لتربية جياد الخيل وتوفيرًا لعددها وأُضيف الى تلك السباقات العابٌ اخرى بهجة

ونضرب الصفح عن المناجم وتعدينها فانّ نطاقها يتّسع يوماً بعد يوم نخصّ منها بالذكر معادن هرقلة

ولمّا حدث في بعض انحاء الدولة ارتفاع في اسعار الحنطة اسرعت الحضرة السلطانيّة

فاستدركت الامر لطفاً بالعباد ورحمةً بالبائسين فامرت بمنع اصدار الحبوب الى الخارج وخفض الضرائب على ما يرد منها الى الممالك المحروسة

امَّا العلائق الرسميَّة مع بقيّة الدول فانها غاية في الولاء والتودُّد. وكانت الحضرة السلطانيَّة اوفدت لمؤتمر السلم في لاهاي صاحب الدولة طرخان باشا دلالةً على نواياها السلميَّة وارتياحها الى التحابّ والأُلفة العامّة

ومن شارات هذه العلائق الوداديّة انَّ جلالتهُ اوفد الى ايطالية صاحب السعادة سليم باشا ملحمة ليقدّم لجلالة ملك ايطالية الوسامات الشاهانيَّة ولتوثيق عُرى الوداد مع قداسة الحبر الاعظم

وكذلك استقبلت الذات السلطانيَّـــة بكل حفاوة الوفد الحبشيّ الذي ارسلهُ النجاشي منليك مع الامير مشاشيـــا الى دار السلام لتقدمة واجبات الاكرام الى العرش الحميديّ

وممَّا اعلن بهِ سيادة المطران غسپاري الذي تعيَّن في الشهر المنصرم للمقـــام الكردينالي انهُ وجد في سياحتهِ الاخيرة الى الشرق الشعب الكاثوليكي جميعاً والجمعيَّات الرهبانيَّة خصوصاً حاصلين على كل مرغوبهم لاقامة فرائضهم الدينيَّـــة وتعزيز مشروعاتهم الخيريَّة

ومن التعطُّفات الشاهانيَّة على لبنان تعيين خلفٍ لمتصرّف الجبل المشـــير المرحوم مظفر المتوفى في ٢٨ حزيران فوقعت انظـــار الذات العليّة على صاحب الدولة يوسف فرنكو باشا ابن المرحوم المتصرّف السابق فرنكو باشا الذي كان قدومهُ الى بيروت في ٢٤ تموُّز وقد باشر منذ وصولهِ باعمال مأموريتهِ السامية بغاية النشاط والحزم والدراية فحاز برضى المتبوع الاعظم وحقَّق امانيهُ

الكرسي الرسولي

ستكون هذه السنة من السنين المعدودة في تاريخ الكنيسة ولاسيا في حبريَّة البابا بيوس العاشر فانَّ نائب المسيح اظهر في تدبير امور الكنيسة درايةً واسعة وحسن نظرٍ سامٍ يُقضى بهما العجب

واوَّل ما ينبغي لنا ذكرهُ عنايتهُ بكنيسة فرنسة التي لا تزال معرضةً لاخطـــار جمة

أثارتها الحكومة لمعاكسة الدين وهضم حقوق اصحابهِ وافتتح السنة برسالةٍ تتدفّق حكمةً كتبها امام الاحبار مثنياً فيها على طاعة الكاثوليك ومحرّضاً لهم على الاتّحاد التام مع روٴسائهم الروحيين. فبايعاز قداستهِ اجتمع اساقفة فرنسة واتّفقوا للدفاع عن الدين بازاء اعدائهِ على عدّة بنود عرضوها على الكرسي الرسولي مجاهرين بالخضوع التام لتدابيرهِ. والحقّ يقال انّ الكاثوليك رغماً عمّا يرونهُ من سوء المعاملة في امورهم الروحيّة كسلب اوقافهم وطرد رهبانهم وإقفال مدارسهم والغاء رواتب كهنتهم وجدوا في قيادة الحبر الاعظم وارشاداتهِ اعظم مساعد على تنظيم احوالهم وتلافي الشرور التي تنصبُّ عليهم. ولا جرم انّهم يفوزون بالغلبة لأنَّ انتصار الباطل لساعةٍ وانتصار الحقّ الى قيامة الساعة

وجاء ضبط اوراق سفير الكرسي الرسوليّ السيد مونتانيني على خلاف المعاملات الجارية في كلّ الدول شاهدًا جديدًا على مساوىء الحكومة وصدق نيّات الكرسيّ الرسوليّ واستقامتهِ في المخابرات فضلًا عن كونها لم تكن محتويةً لشيءٍ يبتخس حقوق الدولة. امّا تصفية اموال الرهبان التي كانت الحكومة اشاعت بأنّها ستكون مصدرًا لارباح طائلة للاهلين فانّها على خلاف ذلك سبّبت خسائر متعدّدة للبلديّات الموكول اليها تصفيتها. وكان الرابحون بعض افرادٍ اشتروا تلك الاموال باثمان زريّة لا تفي بنفقات بيعها. وزد على ذلك ما جرى من التلاعب في مساومة تلك الاملاك وفي التصرُّف بها دون تحقيق

وقد لاحت حكمة الاب الاقدس كضوء النهار في مسألة اخرى ذات خطر عظيم نريد ضربهُ على تلك التعاليم المستحدثة التي اشاعها بعض العصريين فحاولوا ان ينقضوا معتقدات الكنيسة الكاثوليكيّة وينكروا الوحي الالهيّ وينتصروا للاضاليل الناجمة عن الالحاد والهرطقات الحديثة. فرأى كبير الاحبار ان يضع حدًّا لاقوال هوٴلاء المبتدعين كالدكتور شيل في المانية ولوازي في فرنسة وتيرلّ في انكلترة فجمع اقاويلهم على شاكلة ٦٥ قضيّة نهى المجمع المقدَّس عن تعليمها لما فيها من الضلال. وقد اثبت المشرق (١٠: ٩١٣ — ٩٢١) جدول تلك القضايا وابدى رأيهُ في فساد مضامينها

ثمَّ الحق الحبر الاعظم ذلك الحكم ببراءة جليلة ضمَّنها البحث في مذاهب هوٴلاء المحدثين وفي اسانيدها الواهنة التي بنى عليها اصحابها مزاعيمهم الباطلة مع تعريف عواقب

تلك التعاليم الوخيمة . فكان لهذه الرسالة احسن وقع في القلوب واسرع الى الاعتراف بصحتها ويقينها كلّ من لم يستغوِهم روح الضلال وشيطان البدع . امَّا العُصاة فلم يُجدِهم عصيانهم نفعاً فانّ الكرسيّ الرسولي حرم منشوراتهم واوقع بهم القصاصات الكنسيّة

ولم يكتفِ البابا بيوس العاشر بقطع دابر الشقاق فانَّهُ في هذه السنة نشَّط بكتاباتهِ وخطبهِ كثيرًا من المشروعات العمرانيَّة والاعمال الخيريَّة . فمن ذلك ما اوصى بهِ الكاثوليك بان يجعلوا الصحافة في مقدَّمة اسباب الدفاع عن الدين ويتَّخذوا الطباعة كآلة فعَّالة لنشر التعاليم القويمة . ومنها كتاباتهُ الى المؤتمرات الكاثوليكيَّة الفرنساويَّة والالمانيَّة كمؤتمر الشبيبة الفرنسويَّة والجمع القرباني ومؤتمر كاثوليك المانية ومؤتمر الرقيق فانَّ الحبر الاعظم كتب الى اصحاب هذه المؤتمرات او خطب في مُنشئيها باعثاً لهممهم منشطاً لعزائمهم مشيرًا الى الخطط التي يجب عليهم نهجها . وقد اتَّصلت همَّتُهُ الى ما هو ادقّ واصغر من ذلك الى جمعيَّات الشبَّان الكاثوليك المتروّضين بالرياضات البدنيَّة (راجع المشرق ٩ : ٢٨-٣١) والى شركات حماية الحيوانات مع انَّ اكثر اعضاء هذه الشركات من البروتستانت .

وما هو ارفع من ذلك قدرًا انشاء الحبر الاعظم لمحفل كاثوليكيّ لنشر العلوم وتنشيط المعارف في العالم الكاثوليكيّ فعهد بتشكيل هذا المحفل الى ثلاثة من اعظم كرادلة رومية المشهود لهم بطول الباع وسموّ الادراك فجعلوا مقدَّماً للَّجنة المركزيَّة للمؤرخ الكاثوليكيّ الشهير لويس پاستور . ومن اعضاء اللجنة العاملين الاب هاكن اليسوعي الفلكيّ الاميركيّ الذائع الصيت الذي استقدمهُ الاب الاقدس لادارة مرصد الڤاتيكان . وقد اخذت المكاتيب ترد عليهِ من كل الاندية العلميَّة طالبةً الانضمام الى هذا المحفل الجديد الذي أسهبت الصحف على اختلاف نزعاتها في بيان فوائدهِ الجمَّة .

ومع اهتمام بيوس العاشر بكل هذه الاعمال الخطيرة تراهُ لا ينسى رعاية المؤمنين وترقية روح العبادة والتقى في الكنيسة . فانَّهُ كرَّر غير مرَّة رغبتهُ في مواترة المسيحيين للمناولة والمواظبة على الاسرار المحيية وقد سهَّل الامر على المرضى حتى الذين لم يمكنهم الصوم ومنح الغفارين على المتقرّبين وحضّ الرُّعاة على اقامة ثلاثيَّات استعداديَّة لعيد القربان الاقدس

ومما لا يزال صداهُ يتردَّد على مسامعنا منذ خمسة اشهر ذكر الحفلات العظيمة التي امر البابا بعقدها اكراماً للقديس يوحنا فم الذهب بنسبة تذكار وفاته المئوي . (اطلب المقالة التي في اوَّل هذا العدد من المشرق)

وكذلك ابتدأت مظاهر الافراح تنتشر في العالم الكاثوليكيّ منذ اليوم ١٨ من شهر ايلول الماضي احتفاء بيوبيل كهنوت قداسة الحبر الاعظم الخمسينيّ فيُختم برونق عظيم في ١٦ تشرين الثاني من العام المُقبل . ولا شكَّ انَّ الكاثوليك في هذه المدة لا يدَّخرون وسعهم في اكرام ابي الآباء ورئيس الاحبار وقد اخذ الشرقيُّون يجارون في هذه الحلبة اخوتهم الغربيين كما ثبت للذين اطَّلعوا على رسالة غبطة بطريرك الكلدان يوسف عمانويل الثاني (في البشير في غاية كانون ١)

امَّا علائق الكرسيّ الرسولي مع الدول فهي بالاجمال مرضيَّة مستجادة لا يعكّر أديم سمائها الَّا غمامة امور فرنسة وسُنَنها المجحفة بحقوق الكاثوليك . لكنَّ بيوس العاشر لا يدع فرصةً يجاهر فيها عن مودَّته لفرنسة واشعبها فانَّ قداستهُ تبرَّع بمبلغ مائة الف فرنك لمكتب باريس الكاثوليكيّ لانشاء فرع جديد في تعليمهِ اي تفنيد الاضاليل العصريَّة . وكذلك ادخل في سلك الكرادلة اسقفين فرنسويين وهما السيد اندريو رئيس اساقفة مرسيلية والسيد لوسون رئيس اساقفة ريمس اختارهما لهذه الرتبة الاثيلة مع السيّدين غسپاري ودهلاي الايطاليَّين

قد اشرنا الى حسن العلاقات بين الكرسيّ الرسوليّ والدولة العليَّة ويضاف الى ما سبق قولهُ ما صار للبطريرك الاورشليميّ الجديد غبطة السيد كامسَّاي من الاحتفاء من رجال الحكومة السنيّة عند قدومهِ الى القدس الشريف في آذار الماضي . هذا فضلًا عن شارات العظمة والاكرام التي تظاهرت بها نحو شخصهِ الكريم كلّ الطوائف والاهلين

وكذلك بقيَّة الدول فانَّها مجمعة على تعظيم الدين الكاثوليكيّ متسابقة في اكرام رئيسهِ الاعظم . وقد تبيَّن الامر بجلاء في المؤتمرات الكاثوليكيَّة السابق ذكرها فانَّ الملوك ورؤساء الدول انتهزوا تلك الفرصة لاعلان رضاهم عن تصرُّف الكاثوليك ديناً ودنيا . ويمتاز ملك اسبانية في اجلالهِ للحبر الروماني . ولمَّا ولد ابنهُ البكر امير استورية لم يرضَ لهُ غير الاب الاقدس شبيناً في عمادهِ الذي تمّت حفلتهُ في ١٧ ايَّار

وفي روسيّة تحسّنت احوال الكاثوليك منذ أُعلنت رسميًا حرّية الاديان فجاهر بالكثلكة ٢٣٠,٠٠٠ من الروثان المتبعين للطقس اليوناني في ابرشيّة شلْم وحدها وكذلك ارتدّ منهم ٢٠٠٠٠ في بلاد ليثوانية وروسيّة المعروفة بالبيضاء. وبلغ عدد المرتدّين الى الكثلكة في بقيّة انحاء روسيّة ٧٥٠,٠٠٠ بينهم الاعيان والاشراف والكهنة والرهبان. وقد رخصت الدولة الروسيّة لبعض الرهبانيّات الكاثوليكيّة ان تسكن تخومها بعد نفيها منها . فاخذت هذه الجمعيّات تشيّد اديرةً وتشتغل بالمواعظ والرياضات وكافّة الاعمال الخيريّة. وانّما شاب صفاء هذه الافراح سوء تفاهم بخصوص رئيس اساقفة ڤلنا الكاثوليكيّ الذي نُسبت اليهِ زورًا معاكسة الحكومة لكنّ الامل معقود بازالة هذه العثرة قريبًا

وفي ايطاليــة ايضاً قد لحظ السياسيّون انهُ حصل بعض التقرُّب بين بلاط الكويرينال والڤاتيكان رغمًا عمّا جرى في رومية من المظاهرات العدائيّة التي جاهر بها بعض اصحاب الاشغاب. والدليل على ذلك انّ الجنود الايطاليّة اخذت سلام الكردينال لورنزلّي عند دخولهِ الى لوك مركز رعايتهِ . وأدلّ من ذلك انّ الحكومة الايطاليــة ارسلت مدرَّعة لمشاركة الكاثوليك في الاعياد المقــامة لاكرام القديس فرنسوا دپول وانّ الكردينال صار لهُ استقبال حافل بهيج . وقد تقلت الجرائد هذين الخبرين وبنت عليهما الاقاويل المختلفة حتى انّ الامر وصل الى ندوة المندوبين فقــام وزير البحريّة والمسيو جيوليتي ودافعا عن الحكومة ببلاغة اوجبت ثقة الجميع واستحسانهم

وان تخطّينا الى الامم التي هي خارج اوربّة وجدناها مرتبطــة مع الحبر الروماني باواخي الحب والحفاوة. ففي ٢٦ حزيران قبل البابا الوفد القادم من العجم من قبــل الشاه الجديد فسلّم الحضرة البابويّة رسالة بخط يد مولاه

ومثلهُ الميكادو امبراطور اليابان فانهُ ارسل نقابةً يرأسها المسيو اوشيد الى الحبر الاعظم يشكر قداستهُ على تنفيذهِ السيد اوكونل الى توكيو ليمثل الكرسيّ الرسوليّ فيها

وصار في روميــة للوفد الحبشيّ استقبال شائق. وكان هذا تعزيةً عظيمة لقلب الحبر الاعظم لانّ الامير مشاشيا رئيسها قرأ في المواجهة الخاصّة التي منحهُ ايّاهــا البابا عريضةً باسم سيدهِ كان ضمّنها ارفع الألقاب واشرف الاسماء الدالّة على اعترافهِ بالحبر

الرومانيّ كخلف للقديس بطرس هامة الرسل وابٍ لكافَّة المسيحيين· فاجاب بيوس العاشر على هذا الخطاب بكلام انيق شكر فيهِ امبراطور الحبشة على حسن نيَّاتهِ ومجاملتهِ للمرسلين الكاثوليك في انحاء مملكتهِ

وقد وجد بيوس العاشر في تعزُّز الكثلكة في الولايات المتَّحدة ما ضاعف سرورهُ· ففي هذه السنة نبذ قومٌ من وجهاء الاميركيين الشيع البروتستانية وانضمُّوا الى الدين القويم نخصُّ منهم بالذكر اسقف مقاطعة اوريغون مع امرأتهِ وبنيهِ التسعة· والدكتور مَرْشال (Marschall) رئيس كنيسة اڤنستار· والاستاذ المتضلّع بالعلوم اليونانية وست (Wisth) احد معلمي كلية كولمبية· والسيد هال (Hall) رئيس شركة الطباعة في شيكاغو· ثمَّ مدير السكك الحديديَّة المنسوبة الى البحر الهادي· ثمَّ ابنة الاميرال ورْد (Wirde)

وممَّا يستحقّ الذكر انَّ رئيس بلديَّة انديانوبوليس البروتستاني رحَّب باعضاء شركة الاتحاد الكاثوليكيّ لمَّا عقدوا مؤتمرهم الاخير في مدينتهِ وخطب فيهم خطبةً رسميَّة بليغة اوضح فيها باسمهِ وباسم الحكومة عن اعتبارهِ الخاصّ واعتبار ذوي الامر « لتلك الكنيسة التي يحقّ لها ان تتباهى بمبادئها الصحيحة وسموّ قدرها ولرأسها الجليل الذي يستحقُّ كلّ اكرام وتبجيل »

ومن دلائل اعتبار حكومة الولايات المتَّحدة للكثلكة انَّها أمرت بأن تُنقَل على نفقتها من فرنسة الى اميركة الف راهبة من راهبات المحبَّة كأنَّها احتجَّت بذلك على ما يلقاهُ اولئك ملائكة الرحمة من العنف والفظاظة من اعداء الدين في وطنهم· وكذلك كاثوليك فيلادلفيا ارسلوا الى الحبر الاعظم رقيماً اقاموا فيهِ الحجَّة على ما اصاب اخوتهم الكاثوليك في فرنسة من الظلم وسوء المعاملة

وفي هذه السنة انشأت لها حكومة بلاد شيلي سفارةً لدى الكرسيّ الرسولي· فصار بها تعويض عن سفارة بوليڤية التي أُلغيت بمساعي بعض الاشرار

ولسنا لننسى اجتماع الكاثوليك في اوسترالية في آذار بتصدُّر الكردينال موران رئيس اساقفة سيدني فانَّ الخطباء قد بيَّنوا ما اصابتهُ هناك الكنيسة من التقدُّم العجيب ولاسيما في السنين الاخيرة فانَّ اسم الكاثوليك كاد يكون مجهولاً قبل مئة سنة وهم

اليوم الف الف ومئة الف يسوسهم كردينال ورئيسا لساقفة و١٤ اسقفاً و١٤٠٠ كاهن وقس على ذلك بقيّة مشروعاتهم وكلها يُقضى منها بالعجب

وكذلك نالت اعمال المرسلين في هذه السنة نموًّا عظيماً في كل اقطار المعمور في الصين واليابان وجهات افريقية وجزيرة مدغسكار وجزائر اوقيانية ولم يقصروا اهتمامهم بالنفوس بل انشأوا ايضاً عدّة منشآت خيريّة كمستشفيات للمرضى والمصابين بداء النُوام ومياتم للُقطاء ومآوى للبرص فضلًا عن فتحهم للمدارس العديدة · ومع كثرة عددهم لا يكفون للقيام باعمالهم فيطلبون حصَدة من ربّ الحصاد ليساعدوهم اثابهم الله وكثّر امثالهم (لهُ بقيّة)

كتابات شرقيّة جديدة

مكتوبة على البَرْديّ ومكتشفة في مصر

للاب سبستيان رنزفال اليسوعي مدرّس الآثار الكتابيّة في المكتب الشرقي

استلفتنا انظار القرّاء في بعض اعداد سنتنا المنصرمة (ص ٦٧٣ وما يليها ثمّ ص ٧٦٤) الى ما وُجد حديثاً من الكتابات الآراميّة منها على البردي ومنها على الخزفيّات(١ في جزيرة اليفانتين وفي اسوان· واشرنا هناك الى خطر تلك الاكتشافات وعظم شأنها لمعرفة التاريخ الشرقيّ ولدرس الخطوط الساميّة القديمة مع ما يُستفاد منها لفهم الاسفار المقدّسة ولتأييد صحّتها · وقد ختمنا مقالتنا بأُمنيّةٍ ورجاء عاقدين الامل على قرب اكتشاف بعض نصوص من الكتب المقدّسة مكتوبة بالخط الآرامي القديم يرتقي عهدها كبقيّة الكتابات الى القرن الرابع او الخامس قبل المسيح· ولا يخفى ما يترتّب على مثل هذا الاكتشاف من المنافع اذ اقدمُ ما يُعرف اليوم من نصّ الكتاب المقدّس في العبرانيّة لا يتجاوز القرن التاسع او على الأكثر القرن الثامن بعد المسيح

انّ رجاءنا هذا لم يتحقّق بعدُ الّا انّ الاثريين قد توفّقوا الى اكتشافات أُخرى من شأنها ان تحيي آمالنا فضلًا عن ان تخمدها · وفي الاسطر التالية شاهد على قولنا· ولا

١) أُصلحْ ما ورد في الصفحة ٦٨٣ من التصحيف في السطر الاخير قبل الحاشية فطُبع هناك «كتابة حجريّة» والصواب «خزفيّة» (ostraca)

نشك في انَّ قرّانا الكرام يتلقّون بالشكر ما نرويهِ لهم نقلًا عن المجلّات العلميَّة الخاصَّة التي لا يتيسَّر لهم الحصول عليها

*

ممَّا اثبتنا سابقًا انَّ العلّامة كلرمون غانو احد كبار المستشرقين في عهدنا لمَّا بلغهُ نشر الكتابات الآراميَّة التي ابتاعها روبرت موند (Rob. Mond) وجعلها في متحف مصر عرضَ نفسهُ على جماعة الفنون والكتابات في باريس لترسلهُ الى اسوان وضواحيها حيث وُجدتْ تلك الكتابات لعلَّهُ يكتشف آثارًا غيرها من جنسها · فلبَّت الجماعة الى دعوتهِ وافرزت لهُ لهذه الغاية مبلغًا من المال

فأبحر الى مصر ولم يألُ جهدًا في معرفة المكان الذي استُخرجت منهُ تلك الآثار لأنَّ اقوال الباعة كانت ملتبسةً متباينة فبعد التفتيش والتنقيب تحقَّق الاثريُّ المومأ اليهِ بأنَّ تلك الكتابات لم تُكتشف في اسوان لكن في جزيرة اليفانتين كما سبق اليهِ حَدْسهُ بدرس الكتابات المنشورة حيث تكرَّر اسم تلك الجزيرة المدعوَّة يب (יב) في الآراميَّة وفي اليونانيَّة IHB كما وردت في احدى الكتابات : وكان في الوقت عينه اوفدت جمعيَّة العلوم والمتاحف في برلين المسيو اوتّو روبنسوهن (O. Rubensohn) لمراقبة تلك الكتابات والبحث عنها

واليوم قد وقفنا على نتيجة البعثتين الفرنسويَّة والالمانيَّة · اما بعثة المسيو كلرمون غانو فانَّ خلاصتها قد طُبعت في نشرة جمعيَّة الكتابات والفنون (Comptes rendus de l'Acad. des. Inscript. 1907, p. 201-203) فدوَّن هناك قرار اعمالهِ ومكتشفاتهِ وقد أطلعنا القرَّاء في وقتهِ (المشرق ١٠ : ٧٦٤) على جملة هذه المقالة · وكان رافق المسيو كلرمون غانو في حفريَّاتهِ تلميذهُ القديم في باريس المسيو كليدا (G. Clédat) احد الاثريين المصريين فاتَّضح لكليهما كما وقف عليهِ ايضًا المسيو روبنسوهن من جهتهِ انَّ الكتابات البرديَّة المبيعة حديثًا استُخرجت من جزيرة اليفانتين ليس من غيرها · ومن ثمَّ قصرا العمل على تلك الجزيرة وتوليا الحفر فيها

وكان شغل العَمَلة باديءَ بدءٍ شاقًّا عنيفًا لأنَّ جزيرة اليفانتين المعروفة اليوم بجزيرة اسوان صغيرة الارجاء كثيرة الردوم والاطلال ليس فيها شيء يستدعي نظر السائح الَّا اكوام من القحوف المكسَّرة والخزفيَّات وقِطَع اللبن المجفَّف بالشمس ممَّا لا يؤمل منهُ

كبير منفعة · وفي الجزيرة علاوةً على ذلك قريتان حديثتان تشغلان مكاناً كبيراً منها
على انَّ بعض الاثار كانت تدلُّ على موقع مدينة « يب » في تلك الجزيرة اخصُّها بعض الاخربة التي تُرى في طرفها الجنوبيّ · فبعد البحث الطويل توفّق اخيراً صاحبا الحفريّات الفرنسويّان باكتشاف آثار جليلة اخصُّها تمثالان من الحجر الاسود المانع المعروف بالديوريت (diorite) يرتقيان الى عهد تحوتمس الثالث وعلى كليهما كتابات غاية في الخطر · ثم بقايا معبد قديم كانت تزينهُ مسلّات صغيرة فيهِ مدافن لكبوش من معبودات المصريين كانوا حنّطوها باعتناء كلّي وجعلوهـا في نواويس من الحجر المحبَّب الصلب · فكان لهذا الاكتشاف رنّة عظيمة فعدَّهُ العلماء بمثابة اكتشـاف ماريت باشا لهيكل سيرابيس في سقّارة حيث وُجدت مدافن ثيران ابيس المقدَّسة فشاع بذلك اسم ماريت في عالم العلم · امّا الكبش فكان رمز الاله خنوم او خنوب معبود اليفـانتين وحيوانهُ الخاصّ بهِ · وسترى قريباً في وصفنا للآثار البرديَّة الجديدة ذكرًا لهذا الاله

على انَّ هذه الاكتشافات مهما عظم شأنها لم تكن لتحقق امانيّ المسيو كلرمون غانو الذي كانت غايتهُ قبل كلّ شيء وجود آثار آراميّة · فما كان ظنُّـهُ ليخيب في ذلك ايضاً فانهُ بعد البحث توصّل اخيراً الى اكتشاف الدفائن المطلوبة فوقف على ١٢٤ قطعة من الخزفيّات على وَجهَيْ اكثرهـا كتابات في اللغة والقلم الاراميّين سطّرها في القرن الخامس قبل المسيح قوم من اليهود المستعمرين في تلك الجزيرة · وقد بيَّنّا لقرّائنا في مقالتنا السابقة عن بعض الآثار البرديَّة المكتشفة في مصر انَّ كاتبيهـا من يهود تلك المستعمرة عينها · فثبت بذلك لدى العلماء انَّ في هذه الجزيرة يؤمَّل اكتشاف آثار اخرى لتلك المستعمرة فان لم يكُنْ هيكل الربّ الذي اقامهُ فيها اولئك اليهود او نسخة من توراتهم فعلى الاقلّ كتابات جديدة تزيد علمنا باحوالهم · وكانت نهاية حفريّات المسيو كلرمون غانو تلك الدفعة بعد اربعة اشهر تامّة

امّا بعثة المسيو روبنسوهن فقد نشر تفاصيلها في الاشهر الاخيرة العلّامة الشهير ادوار ساخو (Ed. Sachau) احد ائمّة مكتب برلين في نشرة جمعيّتهـا العاميّة (١

(١) اطلب مقالتهُ في عدد ٢٧ تموز ١٩٠٧

Ed. Sachau : Drei aramaeische Papyrusurkunden aus Elephantine, *Abhandlungen d. koenigl. preuss. Akad. d. Wissenschaft*. 25 *Juillet*, 1907.

مع تعريف ثلاث كتابات آرامية مكتشفة في تلك البعثة. وقد تلطف جناب الكاتب فارسل الينا منها نسخةً نشكرهُ عليها. وها نحن نقرّر هنا مُجمل محتويات هذه المقالة

يُستفاد منها اوّلًا انّ الاستاذ روبنسوهن كان قد اجتمع بالمصري الذي باع المسيو موند (Mond) الكتابات البرديّة السابقة فاعلمهُ موضع اكتشافها ودلّهُ على نقطة معلومة في جنوبيّ جزيرة اسوان في غربي اخربتها التي هناك حيث المسيو روبنسوهن اكتشف كتابات بَرْديّة يونانيّة (شباط ١٩٠٦). ثم عاد المسيو روبنسوهن في السنة التالية واستأنف الحفر في المكان المعيَّن ووافق عملهُ عملَ المسيو كلرمون غانو في الوقت ذاتهِ ودون تواطوْ بينهما. وكانت البعثتان تشتغلان لغاية واحدة تتجاريان في العمل لا يفصل الواحدة عن الاخرى الّا بضعة امتار بل اقتربتا حتى لم يفصل بينهما سوى حبل ممدود. لمّا نتيجة البعثة الالمانيّة فكانت كنتيجة البعثة الفرنسويّة لأنها تحقّقت مثلها بانّ المستعمرة اليهوديّة في القرن الخامس قبل المسيح كان مقامها في هذا المكان من الجزيرة كما أنها عثرت على بعض آثار مكتوبة على البرديّ لها عظيم الشأن

واوّل هذه الآثار كتابةٌ على قطعة من البردي هي من اكبر الكتابات المكتشفة الى يومنا واتمها حسناً وصوناً طولها ٥٠ سنتمترًا في عرض ٣٠ س تتضمّن ٣٠ سطرًا بقلم بديع فلا تستوجب قراءتها كبير عناء. وهي الكتابة التي توخّينا تعريبها مع اضافة بعض شروح تاريخيّة اليها (١ ننقل معظمها عن مقالة الدكتور ساخو

والكتابة البَرْديّة الثانية هي لحسن الخطّ نسخة أُخرى من المخطوط السابق. يُستفاد منها بعض روايات مهمّة لاصلاح نصّ الكتابة المذكورة مع اختلافات لغويّة ذات بال وقد راجعنا هذه الكتابة في ترجمة الكتابة الاولى فاخذنا عنها بعض الفوائد. الّا انّ هذه النسخة غير كاملة ينقص منها اوّلها ثمّ ذهب نحو خُمسها في الهامش

أمّا الكتابة الثالثة فانها قصيرة جدًّا لا تحتوي غير ١١ سطرًا لكنّها مهمّةٌ جدًّا لعلاقتها بالكتابتين السابقتين كما سترى

واوّل هذه الكتابات قد رُسمت صورتها فيسهل مراجعتها لمعرفة صحّة شرحها.

١) ويقضي علينا ضيق المكان بالاضراب من تصويرها او رسمها بالحرف العبرانيّ. وكتابتها مثل كتابة الاثر الذي اثبتناهُ في مقالتنا السابقة. وكذلك النصّ محكم لا يحتاج الى اصلاح

امّا الكتابتان الثانية والثالثة فلم يمثلهما الدكتور ساخو بالتصوير فلا يمكن الرجوع الى الاصل وان كنّا لا نشكّ في امانة المترجم وحسن قراءته

واعلم انَّ المسيو روبنسوهن وقف على كتابات اخرى غير السابقة بعضها يونانيّة مكتوبة على البردي والبعض الآخر آراميّ اللهجة كُتب على قطع خزفيّة كبيرة لم يُنشر حتّى الآن بالطبع . امّا الخزفيّات فقد وُجدت على مقربة من معبد الاله خنوم بجوار المكان الذي فيهِ اكتشف المسيو كلرمون غانو قطعةَ الخزفيّة التي نوّهنا بها

فتبيَّن جليًا من هذه الاكتشافات المتوالية (اوّلًا) انَّ الكتابات التي حصل عليها سابقًا المسيو موند انَّما اكتُشفت في هذا المكان عينهِ . (ثانيًا) انَّ من هناك ايضًا صدرت كتابات أُخرى آراميّة خزفيّة نُشرت بالطبع وقيل انَّ اصلهـا من اليفانتين (١ . فلا بُدَّ من نسبتها الى المستعمرة اليهوديَّة التي كانت مقيمةً هناك . (ثالثًا) واخيرًا انَّ الكتابة الآراميّة الاولى التي نشرها بالطبع العلّامة اوتنغ (Euting) فوصفناهـا في المشرق (٦ : ٨٦١) وهي تتضمَّن ذكر مدينة « يب » والاله خنوم ومساوئ كهنتهِ مصدرُها من الجزيرة ذاتها ومن المستعمرة عينها (٢ . وكانت تلك الكتابة بيعت في الاقصر ولم يُعرَف مكان اكتشافها . واليوم لا يبقى في اصلها ريب

وخلاصة القول قد ظهرت بهذه المكتشفات العلاقة بين تلك الآثار الآراميّة الجليلة وبرزت الى الوجود صفحةٌ عزيزة من تاريخ بني اسرائيل بعد جلائهم . وما يزيد الامر قدرًا انَّ معارفنا عن ذلك العهد كانت اعزّ من بيض الانوق لا نكاد نعلمُ شيئاً من امر اليهود منذ عهد نحميا وعزرا الى ملك الاسكندر فجاءت هـذه الكتابات تسدُّ بعض الخلل في ذلك

وها نحن نورد هنـا ترجمة الكتابة الاولى بكل ضبط مشيرين الى كلّ سطر منها

---

١) تجد جدول كلّ هذه الدفائن المنشورة في كتاب الاستاذين كولي وسايس الذي سبق لنا وصفهُ (المشرق ١٠ : ٦٧٣ - ٦٨٣) بقلم العلامة سيمور دي ركشي (Seymour de Ricci)

٢) هذا الاثر كان طُبع اوّلًا في احد مجاميع المكتب العلميّ في فرنسة (Mémoires présentés par divers Savants à l'Acad. des Inscriptions, 1903, t. XI. 2e partie). وهذه الكتابة قد اعاد العلّامة سايس وكولي طبعها مع الاشارة الى ما كتب فيها من المقالات

بالعدد وقد قطعنا بعض الفقرات عن اخواتها زيادةً للايضاح امَّا في الاصل فالاسطر لاحقة ببعضها :

(١) الى سيدنا بجوهي (בגוהי) حاكم جوذا من عبيدك يدونيه وزملائهِ الكهنة الساكنين في حصن يب سلام (٢) فليُفِض عليك ربُّنا إله السماء نعمهُ في كلّ حين ويجعلك من ذوي الحظوى بازاء داريوس (وفي الاصل درويوش דריוהוש) الملك (٣) والاسرة الملكيَّة الف مرَّة از يد من الان ويَمنحك حياةً طويلة. دمتَ في الهناء والصحَّة في كلّ حين

(٤) امَّا بعد انَّ عبيدك يدونيه وزملاءهُ يعرضون ما يلي : في شهر تموُّز من السنة ١٤ لداريوس الملك بعد ان ارشم (ארשם) (٥) رحل قادماً الى الملك قد دبَّر كهنةُ الاله خنوب (חנוב) الذين في حصن يب مكيدةً مع ويدرنج (וידרנג) المدير هنا (٦) قاصدين ان يعدموا من حصن « يب » هيكل (אגורה) الله (יהו) المقام فيهِ . ثمّ ان ويدرنج ذاك (٧) اللعين انفذ رسائل الى نَفَين (נפין) ابنهِ الذي كان قائدًا للجند في حصن اسوان (סון) قائلًا لهُ : « عليك بالهيكل الذي في يب (٨) الحصن فاهبطوهُ » . وعليهِ اخذ نَفَين قوماً من المصريين وغيرهم من الجند فقدموا الى حصن يب بعدَّاتهم (٩) ودخلوا الهيكل المذكور فأهبطوهُ الى الحضيض وحطَّموا ما كان فيهِ من العواميد الحجريَّة . وكذلك الابواب (١٠) الحجريَّة التي كانت سبعة في هذا الهيكل وكلّها بالحجارة المنحوتة فانَّهم اهبطوها واقتلعوا مصاريعها ورزَّاتها (١١) وكانت لتلك المصاريع رزَّات من النحاس امَّا سقفها كلهُ الذي كان من خشب الأرز وكذلك اخشاب الجدران وبقيَّة المحتويات (١٢) احرقوها كلها بالنار . ثم نهبوا كلَّ آنية الذهب والفضَّة وكل ما كان في الهيكل (١٣) واستملكوهُ

منذ ايَّام ملوك مصر كان آباؤنا شيَّدوا هذا الهيكل في حصن يب ولمَّا دخل مصر كنبوزي (כנבוזי) (١٤) وجد هذا الهيكل مشيَّدًا فأخربت كل هياكل آلهة المصريين اما هذا فلم يمسَّهُ قطّ احدٌ بأذى (١٥) فلمَّا فعلوا ذلك لبسنا المسوح نحن ونساؤنا واولادنا وعمدنا الى الصوم والصلاة الى الربّ (יהו) اله السماء (١٦) الذي انتقم لنا من هذا الكلب ويدرنج فنزعوا الاغلال من رجليهِ (١ وفُقِدت كل الكنوز التي ربحها . وكذلك كل (١٧) الذين اضمروا الشرّ لهذا الهيكل فانَّهم قُتِلوا جميعهم وفُزنا بهم

وكنَّا قبل ذلك حينما كان هذا الشرّ (١٨) لاحقاً بنا ارسلنا عريضةً الى مولانا والى يهوحنَّان كبير الاحبار وزملائهِ كهنة اورشليم والى اوستان (אוסתן) اخيهِ (١٩) الذي هو (يُدعى) عَنَني (ענני) والى اعيان اليهود فلم يوجّهوا الينا رسالة (اي جواباً) البتَّة

وايضاً منذ شهر تموز من السنة ١٤ لداريوس الملك (٢٠) الى يومنا هذا لا نزال لابسين المسوح وصائمين . وقد اضحت نساؤنا كالارامل ولا ندَّهن بالزيت (٢١) ولا نشرب خمرًا . ومذ ذاك الوقت ايضاً الى السنة ١٧ لداريوس الملك لم تُقرَّب تقدمة البتَّة لا طعام ولا بخور ولا ذبيحة (٢٢) في هذا الهيكل

---

١) هذه العبارة غريبة مبهمة والمرجَّح ان المقصود بها « قد قادوهُ الى الموت »

وعليهِ فانَّ عبيدك يدونيه وزملاءهُ اليهود وكلُّهم اصحاب يب يعرضون ما يأتي (٢٣) ان راق لديك سيدنا ان توجّه قلبك الى هذا الهيكل (فترخص لنا) بان نُعيد بناءهُ لانَّ ذلك لا يُسمَح بهِ لنا. تعطَّف على اصحاب (٢٤) نعمتك ومحبيك الذين هنا في مصر. فلتُرسَلْ اليهم من قبلك رسالة بخصوص هيكل الرب (יהו) (٢٥) ليُستأنف بناؤهُ في حصن يب كمثل ما كان مشيَّدًا في الماضي. فتُقدّم تقادم الطعام والبخور والذبائح (٢٦) على مذبح الالـه الرب (יהו) باسمك ونُصلي لاجلك في كلّ حين نحن ونساؤنا واولادنا واليهود (٢٧) كلهم الذين هنا إن تمكّن هؤلاء من تكرار بناء الهيكل. وسوف يكون لك حصّة امام الربّ (יהו) اله (٢٨) السماء من كل رجل يقدّم لهُ قربانًا او محرقة من قيمة (١...) امّا الذهب (٢٩) فقد ارسلنا عنهُ المعلومات سابقًا وكذلك كنّا كتبنا رسالةً اوضحنا فيها كل الامر باسمنا الى دليه (דליה) والى شَلَميه بن سنابلط (סנאבלט) حاكم السامرة

(٣٠) ولم يعلم ارشم شيئًا من كل ما جرى لنا

في ٢٠ مرحشون (מרחשון) السنة ١٧ لداريوس الملك

*

هذا هو الاثر الجليل الذي يقدّرهُ قدرهُ كلّ من يطلع عليهِ. فانَّ الذي يتصفّحهُ في نصّهِ الاصلي يخال لهُ بأنه يقرأ فصلًا من كتاب عزرا او من سفر دانيال للشبه التام بين لغتهِ الاراميّة وبين لغة ذينك السِفْرين. وقد حِدْنا في تعريبنا قليلًا عن ترجمة المسيو ساخو الالمانيّة وسنبين في فرصة أخرى سبب الاختلاف. وانّما تبعنا في بعض الاشياء اصلاحات المسيو كلرمون غانو وترجيحاتهِ التي دوّنهـا على عجلة في نشرتهِ الموسومة بمجموع آثار شرقيّة (Recueil d'Archéologie Orientale, t. VIII, p.128-132)

فممّا يفيدنا بهِ هذا البَرْدي بنوع قطعيّ انَّ لفظة اجوره (אגורה) التي وردت في آثار روبرت موند (المشرق ١٠: ٦٧٨ — ٦٧٩) تدلُّ حقيقةً على هيكل الربّ الذي شيَّدتهُ المستعمرة اليهوديّة المقيمة في جزيرة اسوان. وكان العلماء لا يعرفون قبلًا عهد الهيكل المذكور فاتانا الاثر الجديد بمعلومات في منتهى الاهميّة لتاريخ بني اسرائيل. يؤخذ من السطرين ١٣ و١٤ انَّ هذا الهيكل كان مبنيًّا منذ عهد ملوك مصر اعني قبل السنة ٥٢٥ ق م وكان قمبيسس غلب فيها پساتيك الثالث وجعل القطر المصري اقليمًا للفرس. ويا حبّذا لو علمنا متى قدمت الى اليفانتين العشائر اليهوديّة التي ابتنت لربّ اسرائيل هذا

١) الظاهر انَّ الاصل هنا قد تشوّه فلا نأخذ على نفسنا تعريبهُ

الهيكل أأتت اليها في زمن خراب اورشليم على يد نبوكدنصر اعني نحو سنة ٥٨٨ قبل الميلاد او قبل ذلك العهد بعد افتتاح الاشوريين للسامرة اعني بعد السنة ٧٢٣ والمرجَّح عندي انَّ قدومهم الى مصر كان في زمن خراب الهيكل نحو سنة ٥٨٨ ولولا ذلك لأتسع صاحب الكتابة الآرامية في ذكر قِدَم هيكل اليفانتين

وما لا ريب فيهِ انَّ في عهد قمبيسس لمَّا فتح هذا الملك مصر وسار بجيوشهِ زاحفاً الى جهات الحبشة لم يَمسّ هيكل اله اسرائيل على خلاف صنعهِ بهياكل آلهة مصر. وهذا يوافق كل الموافقة مداراة الدولة الفارسيّة لبني اسرائيل كما اثبتها عزرا في سفرَيهِ. وكلٌّ يعلم ان كورش سلف قمبيسس ومنشئ دولة الفرس القديمة هو الذي رخَّص لليهود الذين جلاهم البابليُّون الى بابل بان يعودوا الى اليهوديَّة ويجدّدوا بناء هيكل اورشليم وقد تمَّ ذلك على عهد داريوس الاول خلف قمبيسس في السنة ٥١٥—٥١٦ ق م

فلا بدع اذن انَّ في ذلك الوقت وقبلهُ بسنين كان لبني اسرائيل هيكلان يعبدان فيهما الرب إلههم اعني هيكل اورشليم وهيكل اليفانتين وكان بالطبع هذا الهيكل الآخر منوطاً بهيكل اورشليم حيث كان يقيم كبير الاحبار

وكنَّا وددنا لو نعلم من ايّ عهدٍ كانت تُقدَّم لهذا الهيكل التقادم والذبائح وكلّ العبادات الجارية عند اليهود التي يُشير اليها الأثر الجديد أكان اليهود باشروا بذلك منذ اقامتهم في مصر. والاسفار المقدسة تعلمنا على خلاف ذلك انَّ هذه الرُّتب الدينيَّة كانت مبطلة بين اليهود المجليّين الى بابل وكانت قصوى رغبتهم في الرجوع الى فلسطين ليجدّدوا فيها نواميس الرب الشرعيَّة على مألوف عاداتهم السابقة لجلاء بابل. والغالب على ظنّنا انَّ يهود اليفانتين لم يبنوا هيكلهم في اوَّل الامر الَّا ليقيموا فيهِ الفرائض الدينيَّة كما في اورشليم فباشروا بذلك منذ عهد ملوك مصر. لا بل نرجّح كون بني الجلاء في بابل لم يهملوا رُتبهم الدينيَّة التي ورثوها عن آبائهم ولعلَّهم اتَّخذوا لذلك هيكلًا موقّتاً تمّموا فيهِ مراسيم دينهم عند ما كان يتساهل بالامر ملوك بابل. لكنَّ ذلك التساهل لم يُسمح بهِ تماماً قبل عهد الفرس. امَّا في مصر فانَّ بني اسرائيل نالوا من ملوكها الوطنيين الرخصة بتشييد هيكل في اليفانتين ومن المحتمل انَّ ملوك مصر فعلوا ذلك لاسباب سياسيَّة ولا يبعد انَّهم هم الذين دعوهم الى ارض الفراعنة في زمن الحروب ولاسيما حروب البابليين لفلسطين ومصر في عهد نبوكدنصَّر. فان صحَّ

ذلك تأيّد ما قلناهُ سابقاً في تاريخ بناء هيكل اليفانتين اعني اوائل القرن السادس قبل المسيح اذ لا يقبل العقل انّ بني اسرائيل قبلوا دعوة ملوك مصر دون ان يشترطوا عليهم اتمام واجباتهم الدينيَّة علانيةً كما في بلادهم (١. ولكنَّنا نعلم ايضاً انَّ كهنة الآلهة وعامَّة الشعب في مصر لم يكونوا ليرضوا بهذا التساهل الملكي. فكان نفورهم سبب ثورتهم (٢

ومن عجيب ما ورد في كتابتنا الجديدة اسم اله اسرائيل الذي يُدعى غير مرَّةٍ يَهُو اله السماء (מראן אלה שמיא). ولمَّا كان الاثر رسالةً من اليهود الى حاكم الفرس بجوهي فلا غرو انَّ هذا الاسم كان شائعاً عند الفرس معروفاً عندهم. ولعلَّ المصريين من كهنة وعامة لم ينقموا على اليهود الَّا لكونهم كانوا يلقبون إلههم بهذا اللقب الجليل. واخطر من ذلك انَّ هذا الاسم العظيم قد ضمَّنهُ كورش الملك في التقرير الذي كتبهُ لبني اسرائيل لمَّا منحهم الرخصة ليعودوا الى اورشليم ويجدّدوا بناء هيكل اورشليم كما هو مدوَّن في سفر عزرا الاول (١ : ١ — ٤) قال كورش: «جميع ممالك الارض قد اعطانيها الربّ اله السماوات (אלהי השמים) واوصاني بان ابني لهُ بيتاً في اورشليم (٣.» وقد ورد هذا الاسم في القسم الارامي من سفر دانيال (٢ : ١٨—١٩) على الصورة التي تراها في هذا الاثر الجديد. وكان السوريون قد اتّخذوا هذا الاسم لاحد آلهتهم الاله هدد منذ القرن التاسع قبل المسيح فدعوهُ بعل السماء (בעל שמן) فاراد اليهود ان

١) اعلم انهُ ليس بالامر اليسير (لقلَّة ما لدينا من الآثار القديمة) تحديد زمن مجيء اليهود الى جزيرة اليفانتين أكان ذلك قبل خراب اورشليم او بعد وانَّما افادنا ارميا النبي (ف ٤٢ و ٤٣) انَّ فرقةً من اليهود وكان هو منهم نزلوا مصر بعد خراب اورشليم بزمن قليل. وافادنا ايضاً النبيَّان ارميا (٤٤ : ١) واشعيا (١١ : ١١) انَّ بعض اليهود استوطنوا الصعيد والنوبة كما اعلمنا الكاتب ارستاوس (ed. Wendland, 13) انَّ بعض المستعمرين من اليهود قطنوا القطر المصري في عهد بسمَّاتيك الثاني (٥٩٤—٥٨٩ ق م) وانَّ هذا الفرعون استأجرهم في جيشهِ في كبح فتنة الحبشة. فعلى رأيي آخر عهد لمجيء اليهود الى اليفانتين كان سنة ٥٨٩ وذلك ممَّا يُعلّل تساهل بسمَّاتيك مع هؤلاء الاجراء بان يقيموا لإلههم هيكلًا

٢) وكان العلماء قد ارتأوا هذا الراي بعد ان نشر الدكتور اوتينغ كتابتهُ الارامية لكنَّ الامر كان ملتبساً واليوم قد ظهر ظهورًا تامًا لا يُبقي من بعدهِ ريباً لاسيَّما ان ويدرنج المذكور في اثرنا الجديد ورد ايضاً اسمهُ في الكتابة السابقة

٣) اطلب ايضاً سفر اخبار الايَّام الثاني (٣٦ : ٢٣)

يخصّوا بهِ الاله الحقيقي دلالةً على انهُ يستحقّ وحدهُ هذا الاسم سواء كانوا سبقوا الى استعمالهِ او استعاروهُ منهم (لهُ تتمّة)

رسالة الخُجَنْدي في المَيْل وعَرْض البلد

نشرها الاب لويس شيخو اليسوعي

توطئة

هذا اثر جديد من المجموع النفيس الذي وصفناهُ سابقًا (في المشرق ٩ : ١٨-٢١) ونقلنا عنهُ عدَّة مقالات فريدة كالرسالة في الآلات المنغّمة لمورسطس (٩ : ٢١-٢٨) والرسالة في الآلة الزمّرة بنفسها لبني موسى (٩ : ٤٤٤) والرسالة في المكحلة (١٠ : ٨٦). وقد أُعجب المستشرقون بكل هذه الآثار الجليلة الحيّية بعد دفنها وألحّوا علينا بان ننشر فصولًا اخرى من ذلك الكتاب الخطير. فتلبيةً لسؤلهم ها نحن نورد الأثرين الأوَّلين منهُ وهما رسالة الشيخ ابي محمود حامد بن الخضر المعروف بالخجندي (١ المتوفّى سنة ٣٨٢ ﻫ (٩٩٢ م) التي عنوانها تصحيح الميل وعرض البلد. وكان الخجندي من كبار الفلكيين قد اصطنع آلة رصديّة دعاها بالسدس الفخريّ نسبة لفخر الدولة بن بويهِ ونصبها في الريّ فكان يرصد بها الأميال وعروض البلاد فيعرّف ليس فقط درجاتها ودقائقها كما فعل الفلكيُّون من قبلهِ بل بلغ الى ضبط الثواني ايضًا وبذلك قدَّم العلوم الفلكيَّة ورقَّاها ترقيةً تُذكر. وكان العلّامة اميداي سيديليو (٢ في مقالتهِ من آلات الرصد عند العرب اشار الى آلة الخجندي نقلًا عن ابي الحسن المرّاكشي لكنَّهُ تأسَّف على فَقْد وصفها وشرحها. فالمقالة التي ننشرها تسدُّ هذا الخَلَل وهي للخُجَنْدي نفسهِ وليس احد ادرى بها منهُ ولعلَّ هذه الالة هي التي حسَّنها بعدئذٍ هبة الله ابن الحسين الاصطرلابيّ كما ذكر جمال الدين القفطي في تاريخ الحكماء (ص٢٢٩). وقد سعينا في ضبط هذه النسخة على قدر الاستطاعة فانَّ العثّ قد اكل بعض الفاظها فأعَدْناها الى اصلها لمَّا امكنَنا ذلك وتركنا الباقي على علّاتهِ رجاء ان يصلحهُ احد العلماء على نسخة اخرى

---

١) نسبة الى خُجَنْدة مدينة على شاطئ سيحون في ما وراء النهر بينها وبين سمرقند عشرة ايَّام

٢) اطلب مقالتهُ في الآلات الرصد عند العرب Mémoires de l'Académie des Inscriptions et Belles-Lettres, 1re *série*, Paris 1844, Mémoire sur les Instruments astronomiques des Arabes, par M. L. Am. Sédillot, p. 1-229.

امّا الاثر الثاني فهو لفلكيّ آخر ذائع الشهرة وهو ابو الريحان محمّد بن احمد الشهير بالبَيْرونيّ المتوفّى على رأي ابن ابي اصيبعة (٢: ٢١) سنة ٤٣٠هـ (١٠٤١م) وكان من كبار ائمة العلم لهُ في العلوم الفلكيّة قدمٌ راسخة كما تشهد لهُ تآليفهُ التي طُبع منها جانب في انكلترة. والمقالة التي نثبتها هنا لا ذكر لها في جملة مصنَّفاتهِ لقصرها وضعها لوصف آلة الخجندي للأرّ ذكرهُ تعريفًا للسدس الفخري. والسدس (sextant) آلة تُقاس بها الزوايا وارتفاع الاجرام السماوية ومَيْل البلاد وعَرْضها ومسافات غيرهــا. ومعلوم انّ السُّدس لا يزال حتى يومنا مستعملًا للرصد لاسيّما عند ارباب البحر ترى صورتهُ في حاشية الصفحة (٦٦) وهذه المقالة كان الفلكيّ ابو الحسن نقلها عن البيروني في كتابهِ عن آلات العرب الرصديّة (١ دون ان يشير الى نقلـه فاحببنا اثبات كلامهِ بحرفهِ بعـد اثباتنا لوصف ابي الحسن (في المشرق ٣: ٩٨٣) ليُصلح منهُ بعض عبـاراتهِ وليُعرف كلام البيرونيّ الاصليّ لانّهُ كان عاين في مراغة ذلك السدس فوصفهُ وصفًا مدقّقًا فروى ابو الحسن كلامهُ بتغيير خفيف. وقد دللنا في ذيل المجلّة على رواية ابي الحسن تسهيلًا للمقابلة. وفي اثر هذه المقالة جدول اسماء بعض المهندسين الذين عُرفوا في العراق وخراسان وما وراء النهر ألحقناهُ بالمقالة تتمّةً للفائدة

واعلم انّ في المقالة الاولى عدّة الفاظ فارسيّة تدلّ على شهور الفرس القدماء فلا بُدّ من التنبيه عليها. وهذه اسماؤهـا على الترتيب مع زيادة «ماه» اي شهر على كل اسم: ١ فروردين ٢ اردیبهشت ٣ خرداذ ٤ تير ٥ مرداذ ٦ شهريور ٧ مهر ٨ آبان ٩ آذر ١٠ دي ١١ بهمن ١٢ اسفندارمذ

امّا الايّام فهم يجعلون اسمًا لكل يوم من ايام الشهر كما يأتي ويضيفونها الى «روز» اي يوم: ١هرمز ٢ بهمن ٣ اردیبهشت ٤ شهريور ٥ اسفندارمذ ٦ خرداذ ٧ مرداذ ٨ دی بآذر ٩ آذر ١٠ آبان ١١ خور ١٢ ماه ١٣ تير ١٤ جوش ١٥ دی بمهر ١٦ مهر ١٧ سروش ١٨ رشن ١٩ فروردين ٢٠ بهرام ٢١ رام ٢٢ باذ ٢٣ دی بدين ٢٤ دين ٢٥ ارد ٢٦ اشتاذ ٢٧ اسمان ٢٨ زامياذ ٢٩ مارسفند ٣٠ انيران (٢

واعلم ايضًا ان الخجندي في بيان أقيسة اميال البلاد واعراضها وصعود الشمس وهبوطها يتّخذ حروف الابجديّة الدالّة على الاعداد مثالهُ يج يراد بها العدد ١٣ . وان وجد حروف ثلاثة دلّ الحرف الاوّل على المئات نحو قلب اي ١٣٢ . وان وجدت مجاميع حروف متتابعة دلّ الاوّل على الدرجات والثاني على الدقائق والثالث الثواني . مثالهُ كد يه لا فمعناه ٢٤ درجة و١٥ دقيقة و٣١ ثانية . لكننا ننبّه القرّاء على انّ بعض هذه الاعداد قد سقطت لتخرّق النسخة الاصليّة وقدمها

ل . ش

---

١) راجع المقالة ذاتها Ibid., p. 202-204

٢) اطلب الآثار الباقية للبيروني (٤٢–٤٣)

بسم الله الرحمن الرحيم

(2) ربّ يسرْ برحمتك

رسالة ابي محمود حامد بن الخضر الخُجنديّ في تصحيح المَيلَ وعرض البلد بعد حصول ارتفاعات نصف النهار المحققة عند الانقلابين

الحمد لله الواهب الحقّ المرشد اليهِ وصلواتهُ على النبيّ محمّد وعلى اهــل بيتهِ الطاهرين وسلّم تسليماً

لقد رفع الله بمولانا الامير السيّد الاجلّ وليّ النعم شاهنشـــاه فخر الدولة وفلك الأُمة اطال الله في العزّ بقاءهُ وادام سلطانهُ وعلاءهُ قدرَ العلوم واعزّ بها اهلها فهم على طبقاتهم يشكرون ذلك منهُ بإعمال الفكر وبذل المجهود من الجــدّ في اثارة طرقٍ لم يُسبَقوا اليها ولم يُشارَكوا فيها . وقد اقتدى خادمــهُ بهم ورصد ببلد الريّ الشمس بآلة قريبة المأخذ عظيمة القَدْر وحقّق بها المَيْل وعرض البلد وهو يرصد بدولتهِ العالية سائر الكواكب بما يعملهُ من ذوات الحلق وغيرها من الآلات ليبني على ما يخرج من ذلك الزيجَ الفخريّ الله تعالى يديم ايّامهُ لتكون من تواريخ العدل والفضل بمنّةٍ وسعدِ طوَلها باسعدَ طالعٍ واصعد جد

رصدنا الشمس بالريّ سنة اربع وثمانين وثلثمائة من تاريخ الهجرة (٩٩٤—٩٩٥ م) وهي سنة ثلاث وستين وثلثمائة من سني يزدجرد (١ بآلة ابتدعتُها وهي قوس من دائرة قطرُها ثمانون ذراعاً وسمَّيتهُ السدس الفخري اذ هي سدس دائرة نصف النهار وسيأتي ذكرها فيما بعد على التفصيل وذلك بمشهد جماعة من المهرَة بهذا العلم المثبتة اسماؤهم في ثبت الارتفاعات فقد امضوا خطوطهم (3) بذلك فيهِ فوجدنا اكثر ارتفاع الشمس لنصف الخطّ يومين متواليين وهما يوم السبت ويوم الاحد روز هرمز دون در بهمن

١) يريد يزدجرد بن شهريار آخر ملوك بني ساسان الذي انتصر عليهِ العرب سنة ٢٠ هـ (٦٤٢ م) في نهاوند فهرب وكانت وفاتهُ سنة ٦٥٢ للمسيح

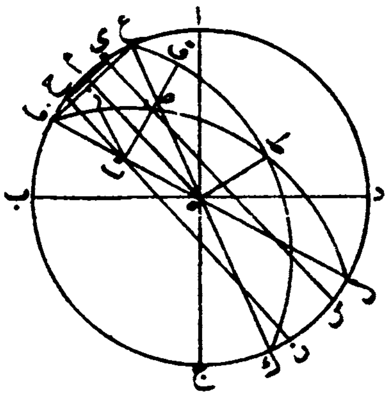
من ماه تير من السنة المذكورة متطابقين وهو هز يز م فدلّ ذلك على ان حلول الشمس اوّل السرطان كان في الليلة التي صباحها يوم الاحد روز بهمن بين نصف الليل سواء.
ثمّ رصدنا الشمس يوم الجمعة روز اسمان من هذه السنة فوجدنا الارتفاع نصف النهار ل يج له ويوم السبت كانت السماء متغيمة وكذلك يوم الاحد ووجدنا الارتفاع يوم الاثنين روز انيران من ماه آذر نصف النهار ل يج لب ينقص عن ارتفاع يوم الجمعة روز اسمان من ماه آذر نصف النهار ثلاث ثوانٍ فدلّ ذلك على انّ حلول الشمس اول الجدي كان في الليلة التي صباحها يوم الاحد روز مهر سعيد من ماه آذر قبل نصف الليل بشيء يسير والمدّة التي بين نصف نهار يوم السبت روز هرمز من دين(؟) ماه تير وبين نصف النهار يوم الاحد بهمن منهُ اربع وعشرين ساعة معتدلة فيجب ان تقسمها بنصفين لانّ حلول الشمس اوّل السرطان كان نصف الليل ومعدّلهُ (؟) كان اثنتي عشرة ساعة.
وينبغي ان نعرف سير الشمس في هذين الزمانين اللّذين عند نقطتي الانقلابين ولم نعرفهُ بالحقيقة لانا لم نعرف موضع الاوج من فلك البروج وما بين المركزين والتعديلات للشمس وغيرها ونحن نجهلها ولم يضرنا(؟) ان نعرف مسير الشمس في هذين الوقتين من احد الزيجات المتقدّمة لانّ الميل وجدناهُ بهذه الآلة قريبًا ممّا وجدهُ من كان قبلنا فكذلك نجد الاوج وما بين المركزين والتعديلات قريبًا ممّا وجدوه قبلنا وان وقع التفاوت بينها فانهُ يكون قدرًا يسيرًا جدًا (4) وخاصّة في هاذين الموضعين من فلك البروج فلا يأتي لهُ في المَيل قدر محسوس فعرفنا مسير الشمس في اثنتي عشرة ساعة من اول السرطان من زيج البتّاني فوجدنا مسيرها في هذا الزمان ه كح لو بالتقريب وكذلك المدّة التي بين نصف النهار يوم الجمعة روز اسمان من ماه آذر وبين نصف نهار يوم الاثنين روز انيران روز اثنتان وسبعون ساعة معتدلة فنصفناها للعلّة التي ذكرناها وكانت ستًا وثلاثين ساعة ووجدنا سير الشمس في هذه الساعات الا مح بالتقريب. ولأنا وجدنا ارتفاع نصف النهار يوم الاثنين روز انيران من ماه آذر اقلّ من ارتفاع نصف نهار يوم الجمعة روز اسمان منهُ بثلاث ثوانٍ زدنا على مسير الشمس في هذه الساعة وهو الا مح خمس دقائق فصار ذلك مع الزيادة الو مح لكون ميل هذه الخمس دقائق عن معدّل النهار ج ثوانٍ ويكون ارتفاع النقطة التي بعدها من اوّل الجدي الو مح ؟ نطا الارتفاع يوم الجمعة في هذه الستّ وثلاثين ساعة مع الزيادة

الو مح وما بين سير الشمس في هذه لو ساعة مع الزيادة من اوّل الجدي ومسيرها في يب ساعة من اوّل السرطان ح يب فيجب ان ينقص ح يب من الو مح ليصير الباقي وهو اكح لو مساويًا للبعد الذي هو من اوّل السرطان وهو البعد من اول الجدي بعد الزيادة على مسير الشمس في المدّة المذكورة والنقصان منهُ . ويجب ايضاً ان تعرف ميل هذه الاجزاء المنقوصة وهي ح يب فتجدهُ سه مد لب ل (؟) بالتقريب ويجب ان تنقصهُ من الارتفاعين المتطابقين اللذين هما ل نج له فيبقى ل نج ي ل (؟) وهو ارتفاع النقطة التي بُعدها من اوّل الجدي كبعد النقطة التي بعدها من اول السرطان د كح لو وهو نج ي ل (5) فنسميهِ اقلّ الارتفاعين المعدّل . فاذا فعلنا ذلك فقد وجدنا نقطتين من تلك البروج بُعدهما من نقطتي الانقلابَين بعدٌ واحد وهما ٥ كح ل ووجدنا ارتفاع النقطة التي تلي المنقلب الصيفي هزيزم ووجدنا ارتفاع النقطة التي تلي المنقلب الشتوي ل نج يب ل وهو اقلّ الارتفاعين المعدّل فاذا نقصنا اقلّ الارتفاعين المعدل من اكثر(؟) وجدنا مز دل ل وهو ما بين الارتفاعين الموجودين فينبغي ان نعرف وترهُ فنجده مز نه لو (؟) وضربناهُ في ٢٥ فكان ٢٨٧ لو دقيقة فنحطهُ وسنذكر علتهُ فيما بعد . ثم ننقص القوس التي هي البعد من اوّل السرطان وهي ٥ كح لو من ٩٥ فيبقى فد لا كد ونعرف جيب هذا الباقي وهو نط نط يح قسمنا عليه المحفوظ فخرج مز يه لا له (؟) فهو وتر ضعف الميل المحقق فقسمناهُ بنصفين فكان كج يز مه قوسناه وكانت قوسهُ كج لب كا وهو الميل الاعظم . ونديرلذلك دائرة ابجد ونتوهمها (؟) د ر ل ؟ نصف النهار ونخرج قطري اج ب د يتقاطعان على ط على زوايا قائمة ونفرض نقطة ا سمت الراس ونقطة ب الجنوب ونقطة ج سمت الرجل ونقطة د الشمال فيكون خط د ب قطر الافق ويكون قوس ا ب ربع دائرة نصف النهار الجنوبي ووجدنا الارتفاعين المذكورين المتطابقين عند منقلب الصيفي هز يز م ونفرضهُ في الصورة قوس يب ثم وجدنا ارتفاع النقطة التي بعدها من اوّل الجدي كح لو وهو ل يح لب ونفرضهُ في الصورة انصا (؟) قوس يح وهو الارتفاع المعدّل ونقصنا اقل الارتفاعين من اكثرهما فكان الباقي منهُ دلرل وهو قوس رح قسمناهــا بنصفين على رو نهمل (؟) مه فمن البيّن انّ خط مه هو الفصل المشترك بين دائرة نصف النهار وبين معدّل النهــار (6) ويخرج من نقطتي ر ح خطّي يس حن موازيين لخط مه فهمــا قطر

الدائرتين الموازيتـين لمعدل النهـار المشبهين بنقطتيَ يح من دائرة نصف النهار وبنقطتي ق ر م فلك البروج لان قوس ير ارتفاع نقطة ق وقوس يح ارتفاع نقطة ر من فلك البروج ثمّ رسم دائرة كطع ونصف دائرة لط ف يتقاطعان على ط وتقطع كل واحدة منهما دائرة ابجد على زوايا قائمة ونصل خطي عهك فهل . فخط عهك هو الفصل المشترك بين دائرة فطل من دائرة ابجد ونصل طه فهو الفصل المشترك بين دائرتي عطك فطل ولان كل واحدة من دائرتي عطك فطل قطعت دائرة ابجد على زوايا قائمة يكون خط طه عمودًا على دائرة ابجد فخط طه عمود على خطي عك فل وكل واحـدة من زاويتي طهع قائمة ولكل واحدة من قوسي عط فط ربع دائرة ونفصل من قوسي عط فط قوسي فز عق وكل واحدة منهما بقدر الباقي من نقطتي الانقلابين وهو ه كح لو ونخرج من نقطتي ق ز خطي قص زت عمودين على خطي مه فه ونثبت خط هط على حالتها ونحرك دائرة عطك حتى تقع نقطة ص من خط مه على خط يس وكذلك نحرك دائرة فطل حتى تقع نقطة ت من خط فه على خط حن فاذا اتفق ذلك يصير حينئـذٍ قوس عط ربع دائرة فلك البروج الذي هو من اوّل السرطان الى آخر السنبلة ويصير قوس فط ربع دائرة فلك البروج الذي هو من اول الجـدى الى آخر الحوت ونصل خطوط صت عف عك فخط عف منها مطلوب

فاقول ان خط عف معلوم . ان قوسي عط فط من فلك البروج متساويين (كذا) وكل واحدة من قوسي عط فط ربع دائرة (?) فيبقى قوسا طق طز متساويين ويكون بُعدا نقطتي ح ي ? عن معدّل النهار متساويين وهما قوسا م حم باعيانها وبُعدًا نقطتي الانقلابين عن معدّل النهار ايضاً متساويين وهما قوسا عم فم فيبقى قوسا عي فح متساويين ويخرج وترهما وهما خطًا عف يح (?) المستقيمان فهما متساويان ولأنّ خطّي عهك فهل قطرا الدائرة تكون زاوية صمي التي يحيط بها خط مه وقوس عي مساوية للزاوية التي يحيط بها خطّ فه وقوس فح فيبقى زاوية صمي التي يحيط بها خطًا صع عي المستقيمان مساوية للزاوية التي يحيط بها خطا نف فح المستقيمان وايضاً لانّ القوس مق مساوية لقوس فز يكون خطًا صع فت اللذان هما جيبان لها المعكوسان متساويين وقد تبيّن انّ خطّي مي حف المستقيمين متساويان يكون كلا خطي صع مي مساويين لكلي خطّي تف فح وزاوية صمي مساوية لزاوية تفح وقاعدة صي مساوية لقاعدة تح وقد كان

تبيّن انهُ موازٍ لهُ فخطّا صي بح متوازيان متساويان والخطوط التي تميــل عن اطراف الخطوط المتساوية المتوازية هي ايضاً متوازية متساوية فخط صت مســاوٍ لخط بح وخط بح المستقيم وتر قوس بح فخط صت وتر قوس بح وقوس بح معلومة فخط صت معلوم [وقوس طق معلومة وخط طه جَيبُهــا فخط صد معلوم وخط مه هو الجيب ار (؟) . ثم نسبة هص الى صت كنسبة هع الى عف لتشــابه المُثلَّثين وخطوط هص صت هع الثلثة معلومة فضربُ صت في عه مقسوم على صه . . يخرج عف . فخط مف معلوم وهو وتر قوس مف فقوس عف معلومة وهي ضعف المَيل الاعظم

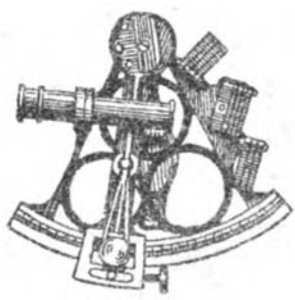


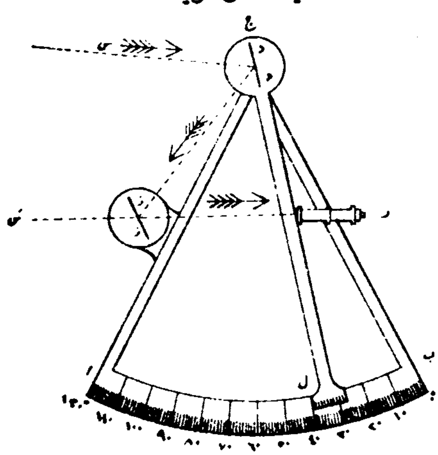
وقد (8) قسمنا بنصفين على م . قوس عم معلوم وهي الميل الاعظم المحقق فضربنا وقوّسنا كما ذكرنا قبل الشكل فخرج المَيل الاعظم كج لب كا .

واما عرض الريّ فانّا وجدنا اقــلّ الارتفاعين المعدَّل ل يح لب ووجدنا ما بين الارتفــاعين مز د ز ل فقسمناهُ نصفين فكان كج لب يح مه زدناهُ على اقــلّ الارتفاعين المعدَّل . وبلغ ند كه كا يه فهو ارتفاع نقطتي الاعتدالين فنقصناهُ من ٩٠ بقي له لد لح يه وهو عرض المحمّديّة (١ فقد تبين ان جملة الميل كج لب كا في عصرنا هذا (٢ وعرض الريّ له لد يه

١) المحمديَّة حصن الريّ

٢) وهذه صورة السدس المستعمل اليوم





وذلك ما دلّ عليه الرصد الميمون بالآلة المسمّاة السدس الفخري والحساب المتقن والفرق بين هذه الآلة وغيرها من الآلات انّ اصحاب الارصاد قد ادركوا بها الميـل درجاً ودقائق فقط ونحن أدركنا بهذه الآلة درجاً ودقائق وثواني حتى ادركنا رندينه (كذا) واحدة . وقد وجدنا الَميل الاعظم عند اهل الهند كد درجة وبطلميوس وجده كج يا واصحاب الممتحَن وجدوه كج له ونحن وجدناه كج لب كا (9) والتفـاوت بين الطرفين من هذه الارصاد المذكورة اعني بين رصد اهل الهند وبين رصدنا نحوٌ من نصف درجة ويمتنع ان يقع هذا الاختلاف بين الآلتين فدلّ ذلك على انّ هذا الاختـلاف ليس من جهة الآلات لانهُ لوكان من جهة الآلات لوجب ان يكون وجود هذا الَميل زائدًا او ناقصاً لا على النقصان على نسق واحد فلمّا وجدوهُ على النقصـان دلّ على ان الاختلاف من جهة أُخرى وهو انّ اعظم ميل فلك البروج عن معدّل النهار غير ثابت .
وقد ظنّ قوم انّ الَميل نقص

وسُئلتُ عن ذاك مرارًا هل يجوز نقصـان الَميل فقلتُ لهم انّ ذلك غير ممتنع لانّ بطلميوس وبعض اصحاب الارصاد ذكروا انّ لكلّ واحد من كوكبي الزُّهرة وعطارد فلكاً خارج المركز وهو في سطح فلك جوزهر (؟) الكوكب ويميل عن فلك البروج بمقدار ما . ثمّ ينقص هذا الميل وينطبق الفلك الخارج المركز وفلك البروج ثمّ تنفتح في جهة أُخرى الى غاية الميل ثمّ ينقص ايضاً وينطبق الفلكان ويعرض هذا الانطباق في السنة الواحدة مرّتين وكذلك يعرض في افلاك تداوير الكواكب الخمسة المتحيّرة فانّ الدائرة التي يسير عليها جرم الكوكب تنطبق مع الفلك الخـارج المركز وينفتح ايضاً ويعرض هذا الانطبـاق في الدائرة الواحدة للكوكب على فلك تدويره مرّتين فان جازت هذه الحركة من جهة الطبيعة لفلك الخـارج المركز ولفلك التدوير جازت حركة فلك البروج في زيادة ميله عن مركز النهار ونقصانه منه لأنّ كلي الامرين انما ندركهما على كرة واحدة وهي كرة الكواكب السبعة والامر فيهما شيء واحـد ولا فرق بينهما فان كان احدهما جائزًا فالآخر جائز غير ممتنع (10) الحركة ظاهرة هيّنة ان كانت الاخبار المثبتة في كتب اصحاب الارصاد لها حقيقة الّا أنها حركة بطيئة جدًّا

تمّت الرسالة والحمد لله ربّ العالمين

(قلنا) يؤخذ من هذه الرسالة امران : (الأوّل) أنّ الخجندي عرف احدى الطرق الجارية

اليوم في تعيين عرض البلد استنادًا الى هذا المبدا بان مَيل كل كوكب مساوٍ لارتفاع السمت ثم لارتفاع القطب المساوي لعرض بلد المراقبة . والامر (الثاني) انهُ كان اطّلع على اختلاف انحناء فلك البروج الذي كان في زمانهِ مساويًا ٢٣° ٣٢′ ١٨″ وهو ينقص ٤٨″ كلّ مئة سنة

حكاية الآلة المسمَّاة السدس الفخري

على ما حكاهُ ابو الريحان (البيروني) ايّدهُ الله بعد ان شاهده

استخرج الاستـــاذ أيدهُ الله خطّ نصف النهار وبنى [على جنبتيه (١ حائطين [متوازيَين (٢ لخطّ نصف النهار وبُعد ما بينهما ٧ اذرع وبنى بينهما من جهة الجنوب طاقًا محكم الصنعة وهيَّأ في اعلاهُ ثقبةً مقدار قطرها [شبر (٣ وارتفاعها عن سطح الارض [٣٥ ذراعًا (٤ وركب على قطرها حديدةً [متينة (٥ في حفر في الارض على استقامة مسقط غير مركز الثقبة ٣٥ ذراعًا (٦ وركّب على قطرها حديدة متينة فعمل منها سهمًا مربعًا مجوَّفًا صلبًا ممتدًا غير مائل طولهُ ٤٥ ذراعًا (٧ وركّب في احد طرفيهِ زرفينًا وعلّقهُ في الحديدة المعترضة على الثقبة فقام السهم مقام نصف قطر الدائرة [ثمّ ادارهُ في الحفرة المحفورة حتّى عمل قوسًا من دائرة وكانت سدسها (٨ وركّب فيها ألواحًا ملّسها وسوّاها وصحّحها وألبسها صفائح [شبه القسمة (٩ وقسم هذه القوس [٦٥ قسمًا متساوية (١٠ فكانت درجةً وقسم كل دائرة من الدرج التي ظنّ أنّها الميـــل ثلثمائة وستين قسمًا وكان لكل قسم منها ١٥ ثوانٍ ولما بلغت الشمس فلك نصف النهار القت شعاعها من تلك الثقبة [على ثقوب (١١ خطّ نصف النهار [لامتداد (١٢ الشعاع من الشمس على هيئة مخروط كان ما القت من الشعاع على الارض اعظم مقدارًا من مقدار

١) رواية ابي الحسن (المشرق ٣ : ٩٨٢) : على جنبيه

٢) ناقصة في رواية ابي الحسن

٣) روى ابو الحسن (ح) : سدس ذراع

٤) ح : عشرون ذراعًا ٥) ح : مبنيَّة

٦) ح : ثمّ تحفر في الارض على استقامة مسقط حجر مركز الثقبة عشرين ذراعًا

٧) ح : وتعمد الى ألواح متينة وتعمل منها بينهما مربَّعًا صلبًا ممتدًّا غير مائل طوله اربعون ذراعًا ٨) رواية ابي الحسن : ثمّ يدار في الحفرة المحفورة حتى يحصل قوس قدرها سدس دائرة

٩) ح : صالحة للقسمة

١٠) ح : بستين قسمًا وهو الصواب ولعلّ الناسخ في كل هذه المقالة غيّر الصفر بعدد ٥ فتأمل

١١) ح : على حوالي ١٢) ح : ولأنّ امتداد

الثقبة] مهيّئًا آلة اخرى وهي دائرة قد ركّب (11) فيهـا قطرين متقاطرين يوافق تقاطع حرفيهما مركز الدائرة وعملها موافقةً لمقدار الشعاع الواقع على الارض (١ فكان اذا قرب (٢ من خطّ نصف النهار [اطبقها عليه وحرّكها بحركته رويدًا رويدًا (٣] حتى يوافي خطّ نصف النهـار (٤ فيتحقَّق بذلك موقع وسط الشعاع من فلك نصف النهار ويُعرف من ذلك ارتفاع الشمس [في خطّ الزوال (٥] فمن تلك العلقة الى مسقط حجر الثقبة هو تمام الارتفاع (٦ ومنها في الجهة الاخرى الى سطح الارض هو الارتفاع منقوصاً منهُ ٣٥ درجة وهو فضل بين السدس والربع والله الموفق للصواب

(وجاء بعد هذا الفصل جدول اسماء المهندسين العراقيين وغيرهم ثبتهُ هنا لفائدته)

مما وقع من اسماء المهندسين

بالعراق وخراسان وما وراء النهر في الدولة الديلميَّة وما يليها

ابو الريحان محمَّد بن احمد البيروني   ابو نصر منصور بن علي بن عراق مولى امير المؤمنين   ابو محمود حامد بن الخضر الخجندي   ابو عبيـد الضرير الجوزجانيّ ابو سهل ريحان بن رستم الكوهي   احمد بن عبد الله حبش   ابو الجود محمَّد بن الليث   ابو عبـد الله محمَّد بن احمد السبتي ؟   ابو عليّ بن الليث الخوليّ ابو الحسن كوشيار بن لبان الجيليّ   ابو عليّ الحسن بن الحسين البصري ؟   ابو سعد القس ؟ سهل   ابو الحسن ادحور ابن استاذ حمص ؟   ابو سعيد احمـد بن محمَّد عبد الجليل البحري   ابو الوفاء محمَّد بن محمد البوزجانيّ الصغاني

١) ح: فلذلك ينبغي ان تُهيّأ آلة اخرى لتحقيق ذلك وهذه الالة هي دائرة مساوية لمقدار الشعاع الواقع على الارض ويُعمل فيها قطران متقاطعان على زوايا قائمة

٢) ح: فاذا قربت الشمس

٣) ح: اطبقت هـذه الدائرة على شعاعها الواقعة على الارض وحُرّكت بحركة الشمس رويدًا رويدًا

٤) ح: حتّى يقع مركزها على خطّ نصف النهار

٥) ح: في نصف النهار

٦) ح: فان من الموضع الذي وافاه مركز هذه الدائرة الى مسقط حجر الثقبة هو تمـام الارتفاع والله اعلم. اه

مطبوعات شرقية جديدة

Paul Monceaux : Enquête sur l'épigraphie Chrétienne d'Afrique. [Extrait des Mémoires présentés par divers Savants àl'Académie des Inscriptions, tome XII, 1re partie]. *Paris, Klincksieck.* 1907. — Prix 7f, 50.

بحث في الكتابات الحجريّة عند قدماء نصارى افريقية

انّ جمعيّة الكتابات والفنون الفرنسويّة أدرجت هذا التأليف في اخر مجاميعها العلميّة دلالةً على اعتبارها لعظم شأنهِ . ولا غرو فانّ المؤلف قد عُرف سابقًا بابحاثهِ عن افريقية وتاريخها القديم ومن تآليفهِ كتاب نفيس وضعهُ « في تاريخ آداب افريقية المسيحية » وقد استحقّ اليوم شكرًا جديدًا من العلماء بجمعهِ في كتاب واحد الكتابات الحجريّة المتفرّقة التي وُجدت منذ بضع سنين على آثار النصارى الاقدمين في بلاد افريقية . ولم يكتفِ بنقلها بل اصلح فيها عدّة اغلاط واضاف اليها تفاصيل جديدة لبيان معانيها وقد صدّر كتابهُ بمقدّمة خطيرة عموميّة في فوائد هذه الكتابات ودلائلها التاريخيّة وما يستنتج منها لمعرفة اصحابها في دينهم ومعاشهم الاهلي وغير ذلك . واكثر هذه الكتابات تصف لنا تقى المسيحيين الافريقيين واكرامهم للرسولين بطرس وبولس وللقديس اسطفانوس وبعض القديسين الشرقيين كميناس الاسكندري ولاسيما الشهداء الوطنيين الذين تكرّرت اسماؤهم في هذه الكتابات فبيّنت بنوع واضح صدق الروايات المكتوبة قديمًا في وصف استشهادهم وفي تراجمهم التي كانت تتلى في الكنائس المحليّة وفي عدد هؤلاء الابطال الذين ضحّوا النفس والنفيس في سبيل دينهم . فنوصي محبّي الآثار المسيحيّة القديمة ان يقتنوا هذا الكتاب فانّهُ اصدق واوسع ما يجدونهُ في معرفة تاريخ افريقية النصرانيّة في القرون الاولى . هذا الى هوادة سعر الكتاب فانهُ بخس الثمن بالنسبة الى وفرة موادّهِ ومضامينهِ

ر . م

H. B. Walters : The Art of the Greeks. 112 pl. et 18 figures dans le texte —*Methuen et C°, Londres*, 1906, gr. 8°.

صناعة اليونان وفنونهم

اوضح مؤلف هذا الكتاب غايتهُ من وضعهِ في الفصل الاوّل فيقول انهُ قصد بذلك

ان يرشد الطلبة الى معرفة الصناعة اليونانيَّة وتقدُّمها في اطوارهـا المختلفة ثمَّ ان يمثّل لمحبي الفنون صوراً يفرزون بها خواصّ كلّ اطوار وكلّ انواع الصناعة ثمَّ اخيراً ان يشرح طرائق اليونان واساليبهم الصنـاعيَّة في كل ضرب من ضروب الفنون وفي الموادّ التي كانوا يتخذونها لشغلهم. وهذه الغاية المثلَّثة قد ادركها المؤلف بوضوح كلامهِ وحسن شرحهِ في بيان خواصّ الصناعة عند اليونان . ومن محاسنهِ تقديمهُ المقدّمات على كل فصل مع خلاصة فوائدهِ ومنها ايضاً عدَّة جداول تاريخيَّة وجغرافيَّة ضمَّنها فصول الكتاب وفي آخره فهرس عموميّ للموادّ على حروف المعجم. ومن مميزات هذا التأليف بحث كاتبهِ عن خواصّ كلّ صناعة وطريقتها الفنيَّة في استحضار الموادّ وتنظيمها واستخدامها لكل فن وهو بابٌ لم يطرقهُ الكتبة سابقاً في الكتب الصناعيَّة المدارسيَّة فأحسن الكاتب بفتحهِ وهو دليل خبير كما يظهر من مطاوي كلامه ومن قائمة الكتب التي راجعها لتصنيفـهِ وان كانت هذه القائمة ليست بكاملة لم تشمل في الغالب الَّا الكتب الانكليزيَّة . امَّا تصاوير الكتاب فوافرة اختارها الكاتب بذوق واشار اليها في اثناء شرحهِ ليستـدلّ بها القارئ على مقصوده. على انَّ صورة ناووس صيداء الشهير المُثبتة في الصحيفـة ٥١ غير كافية لتعريف مزاياه الفنيَّة فكان ينبغي ان يضاف اليها صورة ثانية لبيان محاسنهِ الخفيَّة. وبالاجمال نقول انَّ هذا الكتاب من افضل ما وضع للمدارس في درس الفنون اليونانيَّة يستطيع بهِ الدارسون ان يقفوا على تاريخ الفنون الجميلة عند اليونان فيدركون ما كان لهم من الفضل السامي في هـذا المعنى بحيث اضحت اعمالهم قدوةً لكل طالبي المشروعات الصناعيَّة الجميلة الاب ر. موترد

LECONS DE THÉOLOGIE DOGMATIQUE, par **L. Labauche,** professeur à l'Ecole de Théologie catholique de Paris, I vol. in-8, 1907, *Paris*, *Bloud et Cie*.

دروس اللاهوت النظري

لا تُحصى التآليف التي كُتبت في زماننا عن اللاهوت النظريّ وكثيرٌ منها لا يزال حتى اليوم دارجاً في المدارس الاكليركيَّة يُتَّخذ كدستور للمترشحين للكهنوت. لكنَّ معظم هذه المصنَّفات مكتوب في اللغة اللاتينية لا ينظر فيهِ غير ارباب الدين فأحبَّ احد اساتذة مكتب باريس الكاثوليكيّ الاب لابوش ان يصنّف في الفرنسويَّة كتـاباً لاهوتيًّا يستطيع العاليون ان يستقوا من مناهلـهِ فضلًا عن الاكليريكيين . وهو نعم

العمل لأنَّ العالمين في زماننا يخوضون في ميــادين العلوم ويكتبون في مجلّات عديدة ويسمعون اعتراضات متعدّدة ضد الدين الكاثوليكيّ او يحتــاجون الى درس المسائل الاعتقاديّة درساً متعمقاً فلا غنىً لهم من كتاب واسع يقرّب اليهم كلّ الابحــاث الدينية. ففي هذا التاليف ما يشفي غليلهم فانهم يجدون فيهِ كل قضيــة من قضايا الدين مشروحةً ومؤيدة بالبراهين النقلية المبيّنة لصواب كلّ قضية وردّ الاعتراضات الشائعة فيها. وقد سعى المؤلف في تضمين كتابهِ الابحاث التي يتعاطاها اليوم علماء عصرنا متوخياً في كل بحث لأصدق الاراء واثبتها. ومدار هــذا القسم الاوَّل على احوال الانسان الثلاثة حالة البرّ الاصلية التي خُلق فيها آدم ثمَّ حالتهُ بعد الخطيئة الاصلية في حالة النعمة الموهوبة لهُ بالاسرار ثمَّ حالتهُ الاخيرة في المجد الذي سينالهُ بالعيشة الصالحة وعمّا قليل ان شاء الله تنتهي بقية الاقسام فيصبح هذا الكتاب منتجعاً ينال من فوائده كلُّ من يريد ان يُتقن معرفة دينهِ ويدافع عن ايمانهِ بازاء الملحدين. ونحن نحضُّ اهل بلادنا الذين يعرفون اللغة الفرنسويّة على اقتناء هذا الكتاب والتروّي في مضامينــهِ فيرون كم هو لذيذ ومفيد درس العقائد الدينية

س. ل

L'AU-DELA par **Mgr. Wilhelm Schneider** évêque de Paderborn. Ouvrage adapté de l'allemand par l'abbé **A. Gazagnol**, I vol. in-61, *Paris, Bloud et Cie*, 1907.

ما هنالك

هذا عنوان كتابٍ ألّفهُ احد افاضل اساقفة المانية السيد شنَيدر بحث فيهِ بَحْثَ فيلسوف ومؤرخ عمّا يرويهِ العقل والتاريخ عن العالم الآخر فمن حيث كاتبهُ فيلسوفٌ وضع لنتائجهِ مقدّمات عقلية راهنة يستنتج منها ذوو العقول السليمة وجود عالم آخر ينال فيهِ المرءُ جزاء عن اعمالهِ امّا ثواباً عن حسناتهِ اما عقاباً عن سيئاتهِ. ومن حيث هو مؤرخ استفتى الاجيال السابقة والامم القديمة عن معتقدها في دار البقاء بعد دار الفنــاء فوجدها لساناً واحداً في هذا القول لا تحيد فيهِ البتّة (اطلب مقالة الاب شرڤيليو عن خلود النفس في المشرق ٩: ٤٣٣-٥١٣) فاضاف اليها صوت الدين قبــل المسيح في بني اسرائيل والاسفار المقدَّسة ثم بعدهُ في الكنيسة وتواتر تعليمها منذ تجسُّد الله الكلمة ورسلهِ الاطهار الى يومنا. فلا نظنُّ انَّ ملحداً يقرأ هذا الكتاب دون ان تتَّضح لهُ انوار الابديّة فتنجلي امام عيونهِ وتضمحلّ كلُّ شكوكهِ في الآخرة. فيا ليت احداً من اهل

بلادنا يعرّب هذا الكتاب بترجمتهِ من الفرنسويّة كما نقلهُ اليها من الالمانية الخوري كازانيول فاجاد ل. ش

SAINTE HÉLÈNE, par le **P. A.-M. Rouillon O. P.**, 1 vol. in-12 (Collection «LES SAINTS»). *Paris, Lecoffre, J. Gabalda et Cie*, 1907.

القديسة هيلانة

يحقّ للشرق ان يكرم القديسة هيلانة اكرامًا خصوصيًا كما يكرمها الغربيُّون لانّ فضلها على هذه البلاد معروف فانّ جذب زوجها قسطنس كلور الى محبّة المسيحيين وارتداد ابنها قسطنطين الى دين الحقّ واكتشاف الاماكن المقدَّسة التي تمت فيها اسرار الخلاص بميلاد وحياة وموت ابن الله كلّ ذلك ممَّا يعود معظم فضلهِ الى هيلانة. وقد احسن كاتب هذه الترجمة بوصفها للقرّاء في رتبها الثلاث كمرأةٍ فاضلة وكامٍّ كاملة وكملكة باسلة فاستحقَّت من هذه الوجوه الثلثة ان تُعظَّم وتكرَّم. فنثني على مؤلف هذه الترجمة ونتمنى لكتابهِ رواجًا في بلادنا ايضًا كما راج في اوربَّة س. ل

G. Ferrero: **Grandeur et décadence de Rome- V**, La République d'Auguste, traduit de l'italien par M. U. Mengin — *Paris, Plon-Nourrit*. 5e éd., 1907.

ارتقاء رومية وهبوطها: اوَّل حكم اوغسطس

يذكر قرَّاؤنا الفصل الواسع الذي وضعهُ حضرة الاب موترد (في المشرق ١٠: ٥٤١) عن انطوان وكليو باطرة. وذلك الكتاب كان الجزء الرابع من تاريخ نفيس كتبهُ المؤرخ الايطاليّ الشهير في دولة الرومان من السنة ٣١ الى السنة ٤١ قبل المسيح. وها قد ظهر اليوم المجلَّد الخامس من الترجمة الفرنسويّة لهذا الكتاب وهو يحتوي اعمال اوغسطس قيصر منذ انتصارهِ على انطوان في واقعة اكسيوم الى يوم تقلُّدهِ الامر بصفة نهائيّة ثابتة كامبراطور مطلق السلطة الى آخر حياتهِ فهذه السنين قضاها اوغسطوس في تقرير حكمهِ وفي اعادة السلام التام لرومية ليُعد بذلك النفوس الى مجيء ربّ السلام وظهوره على الارض. فالمسيو فرّيرو يتتبَّع مآثر اوغسطوس في تلك المدَّة ويبيّن حسن سياستهِ في تدبير الامور مع اعيان رومية اوّلًا ثمَّ مع بقيّة الممالك الرومانيّة الممتدّة الى اقصى العالم المعروف في ذلك الزمان. وقد قسم روايتهُ الى فصول تشمل كلّ تلك الاعمال على طريقة سهلة يأنس اليها القارئ فيطالعها بكل بهجة ولذَّة منتقلًا معهُ من طور الى طور

ومن عمل الى آخر دون سأم ولا ملل ويجد نفسهُ كالمسافر الذي تأذّى طويلًا بالسحب والامطار والبروق والرعود فيرى السماء تركن الى الهدوء ثمّ تنقشع الغيوم شيئًا فشيئًا فتعود الشمس الى بهائها وتحيي الطبيعة المكدّرة بالانواء . هذا ما يُقال بالاجمال عن هذا القسم الجديد الذي يشبه اخوتهُ السابقين في كلّ المزايا التي اثنينا عليها . امَّا الترجمة فجامعة بين ضبط المعنى وطلاوة الانشاء وهي غاية المرام ل . ش

KARL BÆDEKER. **Egypte et Soudan**. Manuel du voyageur. 3e édit. refondue et mise à jour. 1908. *Leipzig K. Bædeker*. CLXXX-430 pp, avec 37 cartes et plans de villes, 65 plans de temples etc. et 57 vignettes.

دليل مصر والسودان لبيداكر

ادلّة بيداكر الالمانيَّة شهيرة تعدَّدت طبعاتها وقد بلغ بينها دليل مصر والسودان الطبعة السادسة في الاصل الالمانيّ . وها قد صدرت الطبعة الثالثة الفرنسويَّة منهُ وهي افضل من الطبعة الثانية لان صاحبها قد استفاد من الاصلاحات التي تحسَّنت بها الطبعة الاخيرة فصار بالغًا الحدّ من الضبط والتدقيق وسعة المعلومات ووفرة الاوصاف للامكنة والآثار بحيث يتّخذهُ المسافر في رحلتهِ الى تلك الجهات كدليل امين وعالم معًا . ولا غرو فانَّ المسيو ج . شتيندورف (G. Steindorff) اعاد فيهِ النظر للمرَّة الثالثة ليجعلهُ كتابًا في نهاية الضبط والحسن وهو الذي ادرج فيه كثيرًا من الاوصاف للآثار المصريَّة التي تُرى في مقدَّمة هذا الدليل البالغة صفحاتها ١٨٠ صفحة (١ ولا نتَّسع هنا في وصف هذا التأليف الذي سبق لنا ذكر طبعتهِ السادسة الالمانيَّة ولا يسعنا الّا الثناء على هذه الطبعة الفرنسويَّة الجديدة لا يؤخذ عليها غير مآخذ خفيفة لا تقلل شيئًا من محاسنها الجوهريَّة اللهمَّ الّا في امر آثار الكرنك وبالخصوص وصف هيكل عمون الكبير . فانهُ كان ينبغي على المؤلف ان يصلح الوصف ويغير الرسوم والصور

١) وقد حُذف من هذه المقدَّمة الاصل المختصّ بالهندسة العربيَّة لفرنتس باشا وجُعل بدلهُ فصل في الصناعة الاسكندريَّة للمسيو تاودور شنَيدر . امَّا الترجمة الفرنسويَّة فانَّها تُشعر بان صاحبها المسيو جرج كلام (G. Calame) ليس بفرنسويّ الاصل فكثيرًا ما يترجم العبارة الالمانيَّة بحرفها فتكون غريبةً غير مانوسة في الفرنسويَّة . والاولى ان يترجم هذه التآليف رجال افرنسيُّون خبيرون باللغتين س . ر

على مقتضى الحفريّات والاكتشافات التي اجراها حديثًا العالمان الفرنسويّان ماسبيرو ولوغران (Legrain) س٠ ر

اثر حسن لفقيد الوطن

منسوق بقلم رزق الله نعمة الله عبُّود

طُبع في المطبعة الادبيّة (سنة ١٩٠٤ ص ٢٨٨)

هو مجموع مراثي وتأبين وترجمة حياة احد ادباء حمص واطبّائها النطاسيين الدكتور سليمان افندي الخوري الحمصي. وكنَّا قد عرفنا الفقيد واجتمعنا بهِ غير مرَّة في حمص واختبرنا بالعيان ما خصَّهُ الله من حسن السجايا ولطف الطباع والعلم الواسع فنشكر جامع الكتاب على همَّتهِ في تدوين اعمال ذلك الوطنيّ الهمام ليبقى ذكرهُ مطبوعًا في قلوب آلهِ الكرام ومعارفهِ واصحابهِ فيتَّخذوه كقدوة حسنة ويقتفوا بآثارهِ ل٠ش

هدايا أُرسلت الى مجلَّة المشرق

١ الكون والمبدأ او الفنون الجميلة والكنيسة نظم الخورفسقفوس جرجس شلحت السريانيّ الحلبيّ. وهي الارجوزة المبتكرة التي وضعها حضرة المنسنيور في الصناعة والعلم والدين فدبَّجنا صفحات المشرق بقطع مستملحة منها ثمَّ طبعها بتمامها في هذا الكرَّاس وهي كخلاصة احد اجزاء كتابهِ المسمَّى النجوى (في المطبعة الكاثوليكيَّة ١٩٠٨ ص ٣٦)

٢ الولد والمدرسة. خطاب أنيق القاه حضرة الاب الملفان برنردس غصن مدير الدروس والتهذيبات في المدرسة الشرقيَّة امام اساتذتها وتلامذتها في ١٦ ك١ سنة ١٩٠٧ (ص ١٣)

٣ عواطف الصفا. سبع قصائد في مدح هامة الكنيسة المارونيَّة الجليل غبطة البطريرك ماري الياس بطرس الحويك نظمها ورفعها تقدمة بنويَّة الخوري بطرس حبيقة تهنئة واحتفاء بأعياد ارتقاء غبطتهِ الى السدَّة البطريركيَّة ووداعهِ وعودهِ الميمون من رومية العظمى والاستانة العليَّة ونيلهِ الوسام العثماني المرصَّع من فيض تعطُّفات الذات الشاهانيَّة (١٩٠٧ص٣٠)

شذرات

سنتنا الجديدة تفضَّل جناب الكاتب البارع والشاعر المُجيد عيسى افندي اسكندر معلوف فكتب الينا هذه الاسطر ندوّنها شاكرين لفضلهِ:

اهنّئكم بقدوم الاعياد السعيدة ما مرَّ وما هو حاضر وما سيأتي وتهنئتي اياكم خصوصًا بما عزمتم عليهِ من نشر مجلتكم المشرق القرَّاء شهريَّة فحققتم بذلك قول شاعرنا:

واذا رأيت من الهلال نموَّهُ أيقنتَ أنْ سيصير بدرًا كاملا

فلا زلتم تنيرون باشعتها الوطن العزيز وآلهُ ولهذا اجترئ الآن عن التطويل بهذا التاريخ الشعري الذي حضرني الان وعدده عشرة ابيات على عدد سني المجلة المحبوبة

في الشرق قد نشأت مجلّة مشرقٍ ... أبحاثها الغرّاء ترفع قدرَهُ
والغربُ لم يُحرَم اشعّةَ نورها ... فغدت تصوّر للمشارق قطرَهُ
لله درّ القائمين بها فهم ... روض البرارة قد قطفنا زهرَهُ
أَحيوا بها الدين المعلّى مثل ما ... قتلوا من الجهل الوخيم أضرَّهُ
فجنوا من العلم البديع أجلّهُ ... وجلوا من الادبِ الرفيع أغرّهُ
ولكم خفيٍّ قد تحرّوا كشفهُ ... ولكم كتابٍ قد تولّوا نشرهُ
قد محّصوا تاريخنا بدرايةٍ ... حتى اذاعوا بالحقائق ذكرهُ
وبكل موضوع مفيد ارهفوا ... أقلامهم حتى أرونا سرّهُ
وبقوله (واذا رأيت ...) اشارةٌ ... قد حقّقت فيها المجلة أمرهُ
فلذا المهنّئُ قال في تأريخها ... جاءت هلالَ الشهر صارت بدرَهُ

٤٠٤ ٦٦٦ ١٥٣ ٦٩ ٢١١

سنة ١٩٠٨ م

مثل الحمامة والقرد ارسل الينا حضرة الخوري مارون الخوري غصن هذا المثل وقد عرّبهُ من الافرنسية ونظمهُ رجزًا حسنًا. وصاحب المثل احد ادباء الفرنسويين يُدعى المسيو ڤيلفرانش (Villefranche) صنّف عدّة كتب تاريخية وادبية وامتاز بخدمتهِ النصوح للدين وبمدافعتهِ عن الكنيسة وعن راسها المنظور الحبر الاعظم. وقد كتب هذا المثل ليبيّن لاهل عصرهِ انَّ كنيسة المسيح مهما تفاقمت عليها الاضطهادات وتعدّت المحن تبقى في قوتها وعزّها لانها موعودة بالثبات على ابواب الجحيم أمّا اعداؤها فانّهم لا يفلحون بل تذهب ريحهم وتتضعضع قواهم ولو كانوا قياصرة الرومان وابطال الزمان. فمثل الكنيسة مع مناونيها كمثل الحمامة والقرد وهاك تحرير الحادثة :

حمامــة بيضــاء كالثلج النقي | حطَّت على غصنٍ لَدونٍ مُورقِ
يُشرف فوق هوَّةٍ مخيفهْ | كانها غيهبــة كثيفــه
فجاءها قردٌ بعينهِ قذى | بيــده فاسٌ وقد نوى الاذى
تسلَّق الخبيثُ جــذعَ الشجرهْ | والحسدُ المـذيب اعمى بصرهْ
لمَّا دنا من الحمامــة ابتــدا | يضربُ غصناً فوقهُ قد قعــدا
فقالت الورقاء يا حطَّابُ | انظر فقي امرك ذا عجابُ
ألا ترى بانَّ هــذا العودا | إخالهُ سندَك الوحيــدا
اذا لسوء الحظِّ كمَّلتَ سقطْ | وانت تهوي فوقــهُ انت فقطْ
اجابهـا الغبيُّ كــلّا كــلّا | عن عمــلي لستُ اعودُ إلّا . . .
فانت غــايتي وكلُّ جــدّي | انالُ حــين تهبطينَ قصــدي
ألا اعلمي بانَّ لي الطهــارهْ | تجرحني كأنهــا عهــارهْ
هديرُك الصبحيُّ قــد ارّقني | وعن لذيذ النوم قــد فرّقني
سهامهُ قــد طعنت فؤادي | وكوَّنت فيــهِ دم الاحقــادِ
اوراق ذي الافنان هاتيك التي | تخفيكِ تُلقى الآن وسط الهوَّةِ
ثم انثنى يضاعف الشغــل بلا | كلالةٍ فارتجَّ في قعر البــلا
فقرقع الغصن وخرَّ ساجــدا | ودهدهَ القردَ الغبيَّ الحاقــدا
تدحرج الوغــدُ وحالّا صفقَّت | بخفــة ورقــاؤنا وحلّقت
فرفع القردُ حزيناً بصرهْ | يغشاه ظلُّ الموت مثل الغبرَهْ
حينئــذٍ أبصرهــا تطــيرُ | نحو السما وحبَّذا المسيرُ

*

كم مرَّةٍ قــد مُدَّت الايادي | الى كنيسة المسيح الفــادي
فقطَّعت اغصانها المفيده | وهي التي بجدّهم مقصوده
ألا اضربوا يا ايهــا الاشرارُ | وعمّوا المسعى أيا كفّــارُ
وقوّضوا بعزمكم اركانهــا | وقطّعوا بفأسكم اغصــانها
لكن ستنظرون في الغمامــه | اجنحة البيعة كالحمامــه

العزاء بالصليب نظم جناب الاديب فليكس افندي فارس هذه القصيدة تحت هذا العنوان فجعلها كأساة في فقد الاعزاء:

نحنُ نُوبٌ يا ربِّ في الارض لكن ... ليست النفسُ قبضةً من رمادِ
إن يكن جسمُنا جمادًا فليس الـ ... قلبُ كالجسمِ نُطفةً من جمادِ
قد رضينا يا ربُّ حكمكَ بالمو ... تِ اقتصاصاً يحلُّ بالاجسادِ
ورضينا العذابَ دون دموع ... وقبلنا الشقا بدارِ الجهادِ
فجثمنا عند الردى وهو يُلقي ... ظلمةَ السرّ فوقَ ويلٍ بادِ
ليس فينا شاكٍ من الموت لكن ... كلنا نشتكي لجرحِ الفوادِ
لا ارى مدنفًا يعارضُ حكمَ الـله ... فالقبرُ مدخلُ الآبادِ
ليس غيرُ الاحياء يبكون لمّا ... تملك الحيَّ ظلمةُ الالحادِ
ففناء الانسان موتٌ ولكن ... الفُ موتٍ فناء اهل الودادِ
ما بكى آدمٌ لفقد جنانٍ ... كان فيهِ يعلو نظامَ الفسادِ
كبكاهُ لفقد هابيلَ لمّا ... دامَ حيًّا والموتُ طيُّ الفوادِ
اولُ الناسَ لم يرَ الموتَ حتى ... ذاق بالعيشِ حرقةَ الاولادِ
إنَّ فقدَ الاحبابِ اعظمُ وقعاً ... من فراق البقا بقلبِ العبادِ
ليسَ موتًا ان يسكنَ المرءُ قبرًا ... رقدةُ القبرِ نهضةٌ من رقادِ
انما الموتُ أن نلاقي عزيزًا ... راحلًا للظلامِ دون معادِ
انما الموتُ أن ترى الأمُّ ابنًا ... جلّلته اسرّةُ الاعوادِ
أن ترى الاختُ اختها في المنايا ... فتنادي ومَيتةٌ مَنْ تنادي
بجنينٍ كالطيرِ يبكي جناحًا ... كسرتهُ قساوةُ الصيادِ

. . .

يا الهي انزلت حكمك فارفق ... بنفوسٍ تشقى لحفظ الودادِ
صيّر القلبَ كالجسومِ جمادًا ... او فخفّف وقعَ السهامِ الحدادِ

. . .

عفوك اللهُ ليس قولي اعتراضاً ... حكمةُ الخلقِ نقطةٌ في سوادِ
غير اني ارجو العزا لقلوبٍ ... البستها الاقدارُ ثوب الحدادِ

اطلبُ الحق لا ارى من عزاه غير سرٍّ مضيّعٍ للرشادِ
لا ارى للعزاء غير صايبٍ غارقٍ في دموعٍ أم الفادي

الرجوم في مرصد الفاتيكان — قد اهدى احد مشاهير علماء الطبيعة في فرنسة المركيز دي مونزوا (de Montroy) هديّة ثمينة لقداسة البابا بيوس العاشر في نسبة يوبيله الكهنوتي ألا وهي مجموع من الرجوم اعني الحجارة الواقعة على الارض من الاجرام الفلكيّة وهذا المجموع يبلغ ١٠٥ اعداد من الحجارة تختلف حجماً وثقلاً وقد اضاف اليها هاديها الفاضل جدولاً لتعريف كلّ حجر مع بيان زمن ومكان سقوطهِ . وسيُجعل هذا المجموع الفريد في المرصد الفاتيكاني

اسئلة واجوبة

س كتب الينا جناب المعلم الفاضل ناصيف افندي الزغزغي ما نصُّهُ : اذا الحقّ سبحانهُ وتعالى حكم على نفس عند وفاتها عشر سنواتٍ مثلاً بالعذاب في المطهر هل ممكن الرجوع بالحكم وتخلص النفس من العذاب في مدّة اقل

نجاة النفوس المطهريّة

ج معلوم انّهُ ليس في الله تعالى تغيير البتّة كما انّ احكامهُ ثابتة منذ الازل . لكنّ الله منذ الازل ايضاً رأى كلّ ما يكونُ وما يستطيع ان يحدث فجعل احكامهُ الازليّة في بعض الامور طبقاً لهذه الطوارئ المنوطة باعمال البشر وذلك لطفٌ منهُ ورحمة . فقدّر مثلاً انّ داهيةً تحلّ بانسان ان حاد هــذا الانسان عن جادّة الفضيلة ولا تحلّ بهِ ان عاش في الصلاح والله عالمٌ مع هذا ايّة الطريقتين يختار الانسان بحرّيتهِ . فحُكم الله لا يتغير مهما صنع هــذا الانسان سواء عاش في الصلاح فسلم او ارتطم في الاثم فهلك بالداهية . وكذلك الامر في عذاب المطهر فانّ الله منذ الازل بعد نظرهِ لاعمال نفس من النفوس انّها مستحقّة عقاباً زمنياً بالمطهر لمدّة عشر سنوات مثلاً يجعل حكمهُ هذا منوطاً بصلوات بعض اوليائهِ او ذبائح كنيستهِ الطــاهرة فإن أُقيمت تلك الصلوات وقُدّمت تلك الذبائح قصرت مدّة العــذاب وان لم تُقدَّم بقي حكمهُ . وفي كلّ هذه الامور ومثلها لا يتغيّر حكمهُ تعــالى وانّما التغيير في المخلوقات التي يمكنها أن تُصَلي او لا تُصلي تقدّم تلك الذبائح او لا تقدّمها . والله تعــالى عالم بكل ما ستفعل يرى كلّ ذلك منذ الازل دون أن تؤثر معرفتهُ السابقة في حرّية الانسان

س وكتب صديق سافر قريباً الى مصر انَّهُ لحظ ليلًا لمَّا كانت السفينة تمخر البحر ضوءًا لامعاً في مقدَّمة السفينة على سطح المياه فسأل عن حقيقة الامر

فسفوريَّة مياه البحر

ج هذا الضوء الخفيف يدعوهُ العلماء بالضوء الفسفوريّ (phosphorescence) وهو إشعاعٌ تستنير بهِ مياه البحر فتُرى ليلًا عندما تشقُّ السفينة البحر في سيرها. وكان العلماء يجهلون سببهُ سابقًا ويظنُّون انَّ ذلك ينتج من احتكاك الدقائق الملحيَّة التي في البحر فتشعُّ كما يشعُّ الفسفور عند احتكاكهِ وقد أطلع العلماء على سبب الامر منذ بضع سنوات فتحقَّقوا انَّ سبب ذلك حييوينات بحريَّة غاية في الدقَّة لا يتجاوز كبر الواحدة منها ربع المليمتر يدعونها «اسرجة الليل» (Noctiluques) وهي تسكن عادةً اعماق البحار الَّا انَّها تصعد في بعض الاوقات على سطح المياه فاذا مسَّتها السفينة بمرورها بينها ضاءت وشعَّت. وربما ظهر شعاعها لبعض طوارئ الجوّ ايضًا كالحرارة وتكاثر الكهربائيَّة او عنصر الاوزون (ozone) في الهواء الى غير ذلك من الاسباب. امَّا عددها فيربي على الوف الالوف والمليارات. فسبحان الخالق

س وسال من مصر الاديب ب. س: ما هي المدينة في الصين التي يدعوها مؤرخو العرب بالخنساء

مدينة الخنساء

ج مرَّ في المشرق (٤: ١٠٤١) كلامٌ في هذه المدينة نقلهُ حضرة الاب لامنس عن صبح الاعشى للقلقشندي. والخنساء يدعوها اهل الصين «هنغ تشاوو» وهي مدينة ساحليَّة ومركز ولاية تشاكيانغ. وجعلتها الدولة الصينيَّة من سلالة سُنغ التي تملكت من السنة ١١٢٧ للمسيح الى سنة ١٢٧٦ حاضرةً لملكها ودُعيت لذلك باسم «كنغ ساي» اي امُّ المدن والعاصمة فصحَّفها مَن رحل اليها من العرب باسم خنساء وقد زارها الرحَّالة مركو پاولو الشهير في اواخر القرن الثالث عشر واتَّسع في وصفها وهو يدعوها «كينساي» (Quinsay) وهذه الرحلة كان اهتمَّ بتنقيحها «كونتوغي» وذيَّلها بحواشٍ واضاف اليها عدَّة فوائد وقدَّمها سنة ١٥٥٤ «للسيّد لويس غنزاغا تنشيطاً لهُ في دروسهِ الجغرافيَّة والفلكيَّة» ولويس المذكور هو القديس لويس غنزاغا الذي كان عمرهُ لا يتجاوز وقتئذٍ ١٦ سنة ودخل الرهبانية اليسوعيَّة. وفيها توفي بعد ان قضى فيها اقدس حياة وابرَّ عيشة. وقد نُشرت هذه النسخة بعد وفاة القديس في فرنكفورت سنة ١٦١٧ — ١٦١٨ (راجع مجلَّة الابحاث Etudes, 20 Nov. 1907, p. 554) ل. ش

المشرق

رحلة

السيد المسيح الى فينيقية والمدن العشر

خطبة القاها الاب الفرد دوران اليسوعي

مدرّس شرح الاسفار المقدَّسة في المكتب الشرقي

سادتي الاجلّاء (*)

يسرني أن اخطب بينكم في امر تصبو اليهِ قلوبكم وتتوق الى معرفتهِ جوارحكم ألا وهو مجي السيّد المسيح الى بلادكم وتقديسهُ لاوطانكم · في رحلةٍ باشرها الى تخوم فينيقية وعقَّبها بزيارة المدن العشر وانجزها كمألوف عادتهِ بعمل الخير وصنع الايات (١

١

يخبرنا الانجيل الشريف بصريح العبارة انَّ السيّد المسيح في ايَّام بشارتهِ « ذهب الى تخوم صور وصيداء » (ἀπῆλθεν εἰς τὰ ὅρια Τύρου καὶ Σιδῶνος) (مرقس ٧ : ٢٤) ولم تكن تلك الرحلة فقط الى جهات الجليل المجاورة لفينيقية بل دخل فينيقية وتجوَّل فيهــا كما يظهر من كلام القديس متى حيث يقول (١٥ : ٢١) · « انهُ رحل الى جهات صور وصيداء » فانَّ النص اليوناني (εἰς τὰ μέρη) يدلُّ على توغُّلهِ في اصقاع فينيقيـــة

(*) تُليت هذه الخطبة بحضور نيافة القاصد الرسولي السيّد فريديانو جيانلّي والسادة اثناسيوس صوايا مطران بيروت على الروم الكاثوليك وبولس بصبوص رئيس اساقفة صيدا وبطرس زغبي رئيس اساقفة قبرص على الموارنة ويوسف الدوماني اسقف طرابلس على الروم الكاثوليك

١) ليست غايتنا في وصف هذه الرحلة ان نجزم قطعياً بوصف كل المراحل التي قطعها السيد المسيح وانَّما اردنا فقط الدلالة على وجهة مسيرهِ وتعيين طريقهِ على التقريب كما يستفــاد من نصوص الاناجيل المقدَّسة

وتجوّله في انحائهـا . وقد صدَّر الانجيليّ هذه الآية بلفظة تدلُّ على انهُ لم يزر فقط تلك الجهات بل تردَّد فيها مدَّة من الزمان (ἀνεχώρησεν) معتزلًا فيها لينجو من دسائس اعدائهِ ويبتعد عن البلاد الخاضعة لحكم هيرودس انتيباس الذي كان يتوقع الفرصة الملائمة ليلقي عليهِ الايدي . فذلك ما حملهُ على ان يتجاوز حدود الجليل ويطلب لهُ مأوى في فينيقية لا لكونهِ يخاف اولئك الاعداء بل لكونهِ اراد ان ينتظر الساعة المحدودة من ابيهِ السماوي لانجاز سرّ الفدى . وهذا ما دفعهُ ايضًا الى ان يجيب الهيرودسيين الذين اتوا بعد ذلك ليجسُّوا اعمالهُ وينقلوها لسيّدهم (لوقا ١٣ : ٣٢) : « اذهبوا قولوا لهـذا الثعلب ها انا أُخرج الشياطين وأُجري الشفاء اليوم وغدًا وفي اليوم الثالث أُكمّل » كأنَّهُ يقول لهم : ليس لاحد من البشر ان يمدَّ اليَّ يدًا قبل الساعة المعينة في حكم ابي الذي في السماوات

كم دامت رحلة السيد المسيح الى فينيقية والمدن العشر ؟ ليس الامر معلومًا . وعليهِ لا نوافق بعض الذين كتبوا سيرة المخلص في زعمهم بان الربّ قضى في سياحتهِ المذكورة ستَّة اشهر منذ فصح سنتهِ الاخيرة في الربيع الى عيد المظلّات الواقع في الخريف . فانَّنا نرى تلك المدَّة طويلةً بالنسبة الى مجمل حياة المسيح العلنيَّة التي يجعلونها ثلاث سنوات ونصف سنة

بقي تعيين الطريق التي سلكهـا المسيح . وما لا شكَّ فيهِ ان المعلم الالهي كان خارجًا من كفر ناحوم التي موقعها على الضفَّة الشماليَّة من بحر الجليل ولكن في ايّ وجهةٍ سار ؟ هل مال توًّا الى الغرب كما ظنَّ الكاتب فوار في ترجمة حياة المسيح : Fouard) *Vie de J.-C.*, II. 10) ليبلغ بحر الشام على علوّ عكًّا ومنها يصعد على الساحل الى صور مارًّا بالرأس الابيض ؟ قال : « وانَّما فعل الربُّ ذلك لتجوُّله في ارض غريبة حيث لا يستطيع الناس ان ينالوا بسهولةٍ قوتهم اليوميّ امَّا البحر فكان الرُّسل الصيَّادون يستطيعون ان يلقوا فيهِ شباكهم ويرتزقون بثمرة صيدهم ولذلك ما كان الربّ ليقدر ان يبتعد عن السواحل البحريَّة او عن ضفاف الانهار كالاردن والقاسميَّة » . لكنَّ هذا كما ترى برهان ضعيف وهو يقتضي القول بان الرسل كانوا حيثما ساروا يحملون معهم شباكهم وقواربهم وهو قول من الغرابة بمكان

والمرجَّح عندنا انَّ السيـد المسيح وتلاميذهُ اتَّجهوا الى صور على خط مستقيم

فقطعوا بلاد الجليل العليا على سكّة كان الرومان اصطنعوهـا هناك وكان يسكن تلك الجهات اليهود والوثنيون معاً ولذلك كانت تُدعى بجليل الأمم وهي المعروفة اليوم ببلاد بشارة. وما كان الربّ ليحتاج الى قوتهِ اليومي مع رسلهِ لأنَّ اسمهُ كان ذائعاً في تلك النواحي وكثيرون من اهلها كانوا سمعوا تعاليمهُ مع القوم المزدحمين حولهُ عنـد بحيرة طبريَّة ورأوا معجزاتهِ وآمنوا بهِ فتسارعوا الى دعوتهِ وضيافتهِ عندهم

امَّا مسافة هذه الطريق بين كفرناحوم وصور فليست بطويلة اذ يمكن قطعها بست عشرة ساعة ومن ثمَّ لم يكن من داعٍ كافٍ ليسرع السيّد في رحلتهِ فانَّ هيرودس كان يضعف صوتُ هديره على قدر مـا كان السيد المسيح يتقدَّم نحو الشمال. واحتلَّ ضيفاً كريماً في المدن التي يسكنها سبطا بني اسرائيل اشير ونفتـالي. فزار من مدنهم صفد حيث كان ذكر طوبيّا البارّ حيّاً مكرَّماً. ثم جشّ موطن بولس الرسول على رأي القديس ايرونيموس. وكفر برعم مدفن القـاضي بارق والنبيّ عبديا. وقانا التي هي على زعم اوسابيوس القيصري القرية التي فيها اجترح المسيح اول معجزاتهِ المذكورة في انجيـل يوحنَّا (ف٢). على اننا نذكر رأي اوسابيوس دون ان ندافع عن صحتهِ

وكانت بلاد بشارة في ذلك العهد من اخصب بلاد الشام تجـاري بلاد الجليل السفلى من بحيرة طبريَّة الى مرج بني عامر في خصبها ووفرة غلّاتها حتى انَّ يوسيفوس المؤرخ كان يدعوها بجنة عدن فيها تمّت نبوَّة يعقوب حيث قال عند موتهِ لابنهِ اشـير (تك ٤٩ : ٢٠) : « اشير طعامهُ دَسِمٌ وهو يعطي ملذَّات الملوك » وكان موسى قد اضاف الى ذلك قولهُ (تث ٣٣ : ٢٤) : « يكون اشير بين البنين مرضيًّا عند اخوتهِ وفي الزيت يغمس رجلهُ » ويشهد على تمام هذه النبوَّة مـا هناك من غابات الزيتون التي هي ثروة الاهلين

واذ توقَّل السيد المسيح الاكمات التي تُرى عندها تبنين وقعت ابصـارهُ الالهيَّة على صور وصيـداء فتذكر ما جرى في تينك المدينتين من الامور الخطيرة وفكَّر في حضارتهما السابقة وصلَف اهلهما وتمام نبوَّتي اشعيا وحزقيال في خرابهما. والحقُّ يقـال انَّ صور كانت يومئذٍ اشبه بقفر في وسط المياه لا تكاد تُسمع جلبةُ اهلها وعمَّا قليل سوف تصبح صخور جزيرتها كما يقول حزقيـال النبي (٢٦ : ٥) « مبسطاً للشباك في وسط البحر ». امَّا صيدون الكبيرة أمها فكانت في حالة اسوأ ايضاً فكـان السيّد

المسيح يبصرها جالسةً على ساحلهـا كعذراء مهينةٍ مذلّلة يردّد البحر على مسامعها نشيد اشعيا النبي (٢٣ : ٤) حيث يقول: « اخزي يا صيدون فان البحر حصن البحر قد تكلّم قائلاً : اني لم احبل ولم ألد ولم أربّ فتياناً ولم أنشئ عذارى »

فكل هذه النبوات قد تمّت لم يُنقَض منها حرفٌ لكنّ الربّ تذكّر ايضاً احتجاجهُ للمدينتين الفينيقيّتين لمّا رجّح خطيئة الجليل على خطيئتهما فقال مخاطباً كورزائيم وبيت صيدا: « لو صُنع في صور وصيـدا ما صُنع فيكما من القوات لتابتا من قديم بالمسوح والرماد »

وكان مسير السيّد المسيح في تخوم صور وصيدا بين الاهلين الوثنيين مسير راحل ومسافر ليست غايتهُ الدعوة والبشارة لأنّ اباه كان وكّل اليهِ فقط الرسالة « الى الخراف الضالّة من آل اسرائيل » (متى ١٥ : ٢٤) بل كان يسير مستخفياً « ولم يُرد ان يعلمَ احد » (مرقس ٧ : ٢٤) لكنّ الانجيليّ يُردف كلامهُ بقولهِ « فلم يقدر ان يستتر » لانّ اسمهُ وعجائبهُ كانت شائعة » قبل ذلك بزمان « فذاع خبرهُ في جميع سوريّة » (متى ٤ : ٢٤) وكان « كثير من أدوم وعبر الاردنّ وممن حول صور وصيدا قد سمعوا بما صنع فاتوا اليه » (مرقس ٣ : ٨ ولوقا ٦ : ١٧) . فلا غرو انّ الجموع عند مرورهِ في سواحل فينيقية عرفت بمجيئهِ وتقاطرت الى رؤياه

على انّ الانجيليين لا يخبروننا أدخل يسوع في مدينة صور ام لا . ورأينا انهُ دخلها لأنّهُ كان ايسر لهُ في مدينة كصور أن يتوارى عن اعين النـاس من ان يستخفي في ضواحي البلاد المكشوفة . لكنّنا كما قلنا لم يقدر السيّد المسيح ان يستتر تماماً وكيف يا ترى تحتجب الشمس التي تبهر بنورها وتُضرم بحرارتها وكذا السيد المسيح كان لا يجتاز في مكان الّا ويصنع الخير فما كان يمكنهُ ان يبقى مجهولاً

ومن آثارهِ في رحلته تلك شفاؤه لابنة المرأة الكنعانيّة كما اخبر القديسان (متى ف ١٥ ومرقس ٧) ولا بدع انهُ اظهر لها الجفوة والغلظة لا لانكاره عليها شفـاء ابنتها بل ليظهر قوّة ايمانها ويثني على ثقتها . قلنا انّ المرأة كانت كنعانيّة وهكذا دعاهـا القديس متى (١٥ : ٢٢) وفقاً للاصطلاح الجاري وقتئذٍ عند اليهود في تسميتهم لاهل سواحل سوريّة وقد زادنا القديس مرقس في اصلها ايضاحاً بقولهِ (٧ : ٢٥) انها « كانت يونانيّة جنسُها من فينيقية سوريّة » (Ἑλληνίς , Συροφοίνισσα) مشيرًا بذلك الى اختـلاط

الاجناس في سواحل الشام. وكان اليونان منذ عهد هيرودوتس يطلقون اسم سوريَّة ليس فقط على فينيقية وضواحي دمشق بل ايضاً على كلّ سهول البقـــاع فيدعونها بالوادي العظيم وعلى بلاد فلسطين

وان سأل السائل عن تحديد المكان الذي فيهِ اجرى المسيح شفاء ابنة الكنعانيَّة اجبنا انَّ الامر ليس بواضح فمن الممكن القول بانَّ ذلك حدث في صور. ولعلَّ الارجح انهُ حصل بين صور وصيدا. وقد جاء في بعض التقاليد انَّ الربّ اتمَّ ذلك في صرفند. وليس بمستبعد انَّ اصحاب هذا القول ارادوا معارضتهُ على ما فعل اليأا النبيّ هناك من المعجزات الباهرة خصوصاً باقامتهِ من الموت ابن ارملة صرفند الوحيد (٣ ملوك ١٧). وقد ورد في الميـــامر المنسوبة الى القديس قليميس المكتوبة في سوريَّة في القرن الثالث للميلاد انَّ الكنعانيَّة التي رحمها الربّ بشفاء ابنتها كان اسمها يُستا اي عادلة وكانت ابنتها تُدعى برينيقي

ثمَّ تجاوز السيّد المسيح حدود صور صاعدًا الى صيدا. مجتـــازًا بها يشهد على ذلك الانجيليّ مرقس بقولهِ (٧ : ٣١) : « ثمَّ خرج من تخوم صور ومرَّ في صيدا ». وكأني بكم تسألوني وهل بلغ ابن الله مدينتنا بيروت ؟ قلتُ انَّ الامر لمحتمل وان لم نجد نصًّا صريحًا في ذلك. وممَّا يزيدهُ رجحانًا تقليد محليّ يرتقي على الاقل الى الاجيال المتوسطة (١. ولعلّ سبب سكوت الانجيليين عن ذكر بيروت انها في ذلك الزمان لم تحرز بعد شيئًا من المفاخر التي نالتها بعد هذا بسنوات قليلة من الابنية الفخيمة التي شيَّدهـــا هيرودس اغريبا والمدرسة الفقهيَّة الشهيرة التي أُقيمت فيها وتقاطر اليها الطلبة من اقاصي العـــالم الروماني. وعلى كلّ حال اننا نفضـــل رأي القائلين بمجيء السيّد المسيح الى بيروت على قول بعض الكتبة الذي يزعمون بأنهُ أبحر الى جزيرة قبرس وبلغ الى جبل اثوس

٢

على ايّ طريق رجع المسيح من سواحل فينيقية الى بحر طبريَّة ؟ افادنا عن الامر بعض الافادات البشير مرقس حيث قال (٧ : ٣١) : ومرَّ في صيدا وجاء فيما بين المدن العشر الى بحر الجليل (Καὶ πάλιν ἦλθεν . . . διὰ Σιδῶνος εἰς τὴν θάλασσαν τῆς Γαλιλαίας ἀνὰ μέσον τῶν ὁρίων Δεκαπόλεως

١) اطلب الحواشي في ذيل تاريخ بيروت لصالح بن يحيى (ص ١٧)

فاوّل ما يُقتضى بيانهُ ما هو المقصود بالمدن العشر · كان اهل ذلك الزمان يدعون بهذا الاسم مدناً متحالفة من المدن اليونانيَّة الرومانيّة الواقعـة في عبر الاردن في شرقيهِ وشرقي دمشق الى عمَّان ومن بصرى شمالًا الى بيسان· التي كانت وحدها في ضفَّة الاردن الغربيَّة . فكان موقع المدن العشر يوافق مـا ندعوهُ اليوم ببلاد جولان وحوران وقد دخلت هذه المدن العشر في حكم بني حشمناي على عهد اسكندر يانّاوس في مبادئ القرن الثاني قبل المسيح ثمَّ نالت من فضل پمپيُوس نحو سنة ٦٤ ان تُدير احوالهـا بنفسها معتزلة عن حكم فلسطين خاضعةً لعاصمة المملكة الرومانيَّـة· ثمَّ غلب عليها العنصر اليوناني وكان اهلها يتعصبون ليردُّوا عنهم غزوات القبائل الساكنة في جوارهم وربما تمكَّنت منهم تلك القبائل حتى مدَّت عليهم سيطرتها واختلطت الحضارة الساميَّة بالتمدن اليوناني· بل كان لتلك الغلبةُ على هذه كما حدث في عهد دولة النبطيين الذين قويت شوكتهم وامتدَّت سلطتهم الى دمشق وكان المالك عليها في عهد المسيح وبولس الرسول الحارث الرابع كما يُستفاد من رسالة بولس الى اهل غلاطية

وكانت محالفة هذه المدن مباشرةً تنحصر في عشر مدن فقط ذكرهـا پلينيوس الكاتب الروماني في كتاب النبات (Pline, V, 16 (18) وهي سيتوپوليس (بيسان) وپالّا (طبقات فاهيل) وديون وفيلادلفية (عمَّان) وغدارة (امّ قيس) ورفنية وقنوات وهيپوس ودمشق ثمَّ انضمَّ اليها غيرهـا من المدن حتى اصبحت في عهد بطليموس الجغرافي (Tab. IV Asiæ) بعد ذلك بخمسين سنة ثماني عشرة مدينة وهو يستثني منها مدينة رفنية ويجعل بدلًا منها تسع مدنٍ اخصُّها آبِل في البتنيَّة والقنوات وكاپيتولياس· ولمَّا تولَّى الامر الامبراطور ترايان قسم تلك المدن وجعلها اقليماً ممتازًا رأس عليهِ نائباً من قبلهِ · وكانت تلك البلاد كثيرة الخصب واسعة المرافق تصدر منها الغلَّات الوافرة الى انحاء المملكة وتأتيها محصولات البلاد فتُقام فيها الاسواق التجاريَّة وتزدحم اليها اهل البادية

دعنا الان نعود الى سياحة المخلص · فترى اي طريق انتهجهـا ليعود من سواحل فينيقية الى بلاد المدن العشر على حدود بادية الشام ؟ قد زعم السيّد لوكامو (M^{gr} Le Camus) في سيرة السيد المسيح انَّهُ لذكرهِ المجد رجع على اعقابه من صيـدا الى صور الى الكرمل ثمَّ عدل الى الشرق عن شمالهِ فعبر الاردن على ارتفاع بيسان · وهو على رأينـا زعمٌ باطل يخالف نصَّ الكتاب فانَّ الانجيليَّ مرقس صرَّح بان الربَّ « مرَّ في

صيدا وجاء فيما بين تخوم المدن العشر » فيتبادر الى العقل انهُ عطف من حيث وصل الى المدن العشر قاصدًا لها على خط مستقيم ليس انهُ كرَّ راجعًا على آثارهِ . مثال ذلك قولنا عن زيد انهُ رحل من صيداء الى دمشق مارًّا في بيروت فلا يخطر على بال احد ان يجعل طريقهُ على صور ومنها الى بانياس ثمَّ دمشق . وكذلك يقول الكتاب انَّ السيد المسيح اجتاز في وسط المدن العشر (ἀνὰ μέσον Δεκαπόλεως) فلو رجع القهقرى الى الكرمل ودخل منها الى ناحية بحر الجليـل لمَا صدق ذلك لأَنَّ المسيح لا يكاد يرى منها غير طرفها بين بيسان وغدارة وهيبوس (اطلب خارطتنا)

فلنقولنَّ اذن انَّ السيّد المسيح بعد زيارتهِ لصيدا عرَّج الى اليمـين ومال الى الشرق في وجهة بلاد جولان ومن ثمَّ انهُ قطع جبل لبنان . ولكن في اي مكان فعل ذلك أتبع وادي الليطـاني فقطع هذا النهر تحت قلعة الشقيف الشهيرة على الجسر المسمَّى اليوم بجسر الخردليّ كما يفعل اهل تلك النواحي ؟ او سار على السكة الرومانيَّة التي كانت تؤدي من بيروت الى دمشق ؟ او بالحري جرى على خطّ مستقيم من صيداء الى البقاع في بعض السُّبُـل غير المسلوكة اليوم او ايضًا على طريق جزّين فكلُّ ذلك تخمينات لا نستطيع ان نبتَّ فيها الحكم ولعلَّهُ اختار طرقًا غير مطروقة اذ لم تكن غايتهُ اذ ذاك ان يُعلن بنفسهِ للعالم ويجلب النظر الى شخصهِ الكريم

ومهما كان من امر الطريق التي سلكها المسيح لا بُدَّ انَّهُ لقي عنـد وصولهِ الى بلاد البقاع طريقين امكنهُ ان يجري على ايتهما شاء : الواحدة طريقة سهلة وقريبة كان الرومان مدُّوها حول جبل الشيخ الى قيسارية فيليبوس اي بانيـاس . والأُخرى كانت تصعد الى الشمال فتبلغ الى راشيا ثمَّ تمرُّ بقَطَنة . وعلى رأينـا انَّ الربّ اعتزل الطريق المطروقة ليسير في هذه الطريق الاخيرة لقلَّة سابلتها ثمَّ ايضًا لمحايدة قيسـاريَّة التي يذكر الانجيليّ رجوعهُ اليها بعد عودتهِ الى الجليل بزمن قليل . وزد على ذلك انَّ سياق الرواية الانجيليَّة ينطبق اكثر مع هذه الطريق من غيرها

فمن ثمَّ نقول انَّ السيّد المسيح مرَّ على هذه الطريق الشماليَّة التي هي طريق دمشق . ولكنْ أَتُراهُ دخل تلك المدينة الفيحاء ؟ الغالب انهُ لم يدخلها فلو زارها لأَبقت زيارتهُ فيها أثرًا ما سواء كان في الانجيل الكريم او في تقليـد النصارى الاوّلين وليس في كليهما دليل على ذلك

وكذلك سكت الانجيليُّون عن تفصيل اخبار السيّد المسيح في اجتيازهِ للمدن العشر . وغاية ما نعلمهُ انهُ رجع الى الجليل من عن شرقيّ بُحيرة جنّاسر مارًا في وسط نواحي كان الشركُ يعدُّ اطنابهُ على قسم كبير من اهلها فقدّس الربّ منازلهم وشفى عاهاتهم وزرع في قلوبهم بذور الخلاص التي نمت بينهم بعد صعودهِ نموًّا عجيبًا . وكان سكان المدن العشر يعرفونهُ عزّ وجلّ قبل مرورهِ في جهاتهم فجاؤوا غير مرَّة الى الجليل لاستماع كلامهِ وقد صرّح متى الانجيليّ بذلك (٤ : ٢٥) عند ذكرهِ خطبة المسيح الى الجموع الذين « تبعوهُ من الجليل والمدن العشر واورشليم واليهوديَّة وعبر الاردنّ »

ومن نعمهِ الحديثة نحو اهل تلك البلاد شفاء ذلك المجنون الذي بُلي بشيطان نجس او بالحري بجوقةٍ من الشياطين (مرقس ٥ : ١—٢٠) فطرد السيّد المسيح الابالسة الاشرار وردّ اليهِ عقلهُ سليمًا ولمَّا سألهُ ذلك الرجل ان يكون معهُ قال لهُ طبيبهُ الالهي : « اذهب الى بيتك الى ذويك وأخبرهم بما صنع الربُّ اليك وبرحمتهِ لك » وقد جرى ذلك في بقعة الجرجاسيين . ومدينتهم جرجاس تُعرف اليوم بخان كرسا . الَّا انَّ اسم المدينة قد تصحَّف في نُسخ الاناجيل فجاء في بعضها بدلًا من جرجاس اسم غدارة او جدَر المسماة اليوم بأمّ قيس (المشرق ٨ : ٥٤) وروى ايضًا اسم جرازة المعروفة بجرش . قال البشير : « فلما برئ ذاك الرجل من سقمهِ خرج وطفق يُنادي في المدن العشر بما صنع يسوع اليهِ وكان الجميع يتعجبون » (مرقس ٥ : ٢٠)

فلا غرو انّ اهل تلك المدن ذكروا تلك النعم فتقاطروا الى يسوع لمَّا عرفوا بقدومهِ الى بلادهم فجدَّد بينهم الخوارق والايات منها تلك المعجزة الباهرة التي اجترحها مع اصمّ اخرس نحَّاه عن الجمع وجعل اصابعهُ في أذنيهِ ولمس لسانهُ قائلًا : انفتحْ فانفتح مسمعاهُ وانحلّت عقدة لسانهِ وتكلّم بطلاقة . وكان الربّ امر ذلك الانسان ان لا يخبر بامرهِ احدًا لكنّ الشكر اطلق لسانهُ ولسان اهلهِ فبشّروا بشفائهِ في كلّ ناحيةٍ حتى كان الجميع يصرخون : « لقد احسن في كل ما صنع جعل الصمّ يسمعون والبكم ينطقون » (مرقس ٧ : ٣٢—٣٧) وقال متى (١٥ : ٣٠) : « انَّ جموعًا كثيرة دنت اليهِ معهم خرس وعميان وعُرج ومعوَّهون وآخرون كثيرون فطرحوهم عند اقدامهِ فشفاهم . . . . وكانوا يمجدون إله اسرائيل »

وكانت تلك الجموع تتراكم حول المخلص وتزيد يومًا بعد يوم حتى بلغ عددهم

اربعة الاف سوى النساء والصبيان وتبعوهُ مدَّة ثلاثة ايَّام في القفـار حتى انفدوا ما اصطحبوهُ معهم من الزاد فتحنن عليهم الربّ « ولم يشاء ان يصرفهم صائمين لئلا يخوروا في الطريق » . فجدَّد بسببهم آية كان اصطنعها سابقًا مع غيرهم وقات اولئك القوم بسبعة ارغفة وبيسير من السمك . وقد جرت تلك الاية في ضفَّة بحر الجليل الشرقيّة في مكان لم يمكن اليوم تعيينهُ بالتدقيق . ثمَّ صرف الجمع وركب السفينة

٣

فلمَّا عبر البحيرة نزل غربيَّها في تخوم مجـدل (متى ١٥ : ٣٩) الى نواحي دَلمانوتا (مرقس ٨ : ١٠) والرأي الغالب عند المفسرين ان مجدل هذه هي قرية مريم المجدليَّـة وموقعها على ساحل بحر الجليل شمالي طبريَّة . ولعلَّ دلمانوتا تدلُّ على الغيضة التي فوق مجدل عند الطريق الصاعدة الى قرن حطّين

وما كاد السيّد المسيح يظهر في الجليل بعد عودتهِ من رحلة فينيقية والمدن العشر حتى اقبل اليهِ الفرّيسيُّون والصدُّوقيُّون ليهلكوه فاخـذوا يدسُّون لهُ الدسائس ويلقون عليهِ الاسئلة ليصطادوهُ بكلمة فزجر الربّ اولئك المرائين بقولهِ (متى ٢٦ : ٢—٤) : « اذا كان المساء قلتم صحوٌ لأنَّ السماء محمرَّة . وبالغداة اليوم مطر لانَّ السماء محمَّرة كالحة . أفتعلمون ان تميّزوا وجه السماء وعلامات الازمنة لا تستطيعون أن تعرفوها »

ولمَّا تحقَّق الربّ ان اعداءهُ لا يزالون يكيدون لهُ المكايد ويطلبون هلاكهُ اراد ثانيةً الابتعاد عن الجليل فابحر من وقتهِ وكرَّ راجعًا الى العـبر الى حيث يصبُّ الاردن في البحيرة فنزل وراء النهر قريبًا من بيت صيدا يوليا المدعوَّة بهذا الاسم نسبةً الى يوليا ابنة الامبراطور اوغسطوس . وكانت تلك الجهة واقعة في املاك فيليبُّوس رئيس الربع اخي هيرودس انتيباس وكان هذا لا ينوي الشرَّ للمسيح كاخيهِ هيرودس

وهناك قدَّموا اليهِ أعمى (مرقس ٨ : ٢٢—٢٦) فاخرجهُ الى خارج القرية فابرأهُ سرًّا ثمَّ صرفهُ بعد ان اوصاهُ بألَّا يقول لاحدٍ شيئًا عن شفائهِ . وكأن الرجل هـذه المرَّة اطاعهُ

ثمَّ واصل الربّ طريقهُ الى الشمال صاعدًا على ضفَّة الاردن الشماليَّـة الى عيونهِ في حف جبل الشيخ . وفي عطف هذا الجبل مغارة تُعرف منذ زمن قديم باسم پانيون (Πανεΐον) اي مغارة الإله پان لاختصاصها بعبادة هذا المعبود ومنها اسم بانياس للبلدة

المجاورة لها . وكان اوغسطس قيصر اقطع هذه البلدة مع ما يحدق بها هيرودسَ الكبير . فلما مات هيرودس وقعت المدينة في حصّة فيلبُّوس اصغر اولاده . وقد سعى هذا بترميمها وتحسينها ثمَّ دعاها بقيساريَّة شكرًا لطيباريوس قيصر الحسن اليهِ ثمَّ اضافوا اليها اسم فيلبُّوس تمييزًا لها من قيساريَّة المدينة القديمة الواقعة على ساحل بحر الشام بين يافا والكرمل . وقد استولى الخراب على قيساريَّة فيليبوس . وفوق بقاياها تقوم اليوم بانياس الحديثة

وكان هذا المكان المنفرد يوافق رغبة السيّد المسيح الطالب العزلة ولاسيما انَّ الرومان كانوا اعترفوا لتلك المدينة ببعض حقوقها القديمة فعدُّوها من الملاجئ التي يستطيع ان يلوذ بها من تخوَّف عدوَّهُ . ولنا على ذلك شاهد في نقود المدينة فيُقرأ عليها باليونانيَّة ΠΑΝΕΙΟΝ ΑΣΥΛΟΣ اي « بانياس مدينة الملجأ »

ولا غرو انَّ المسيح نزل في قيساريَّة ضيفًا موقرًا في بيت امرأة كان شفاها من عاهتها في كفر ناحوم . نريد المرأة المبلوَّة بنزف الدم من اثنتي عشرة سنة (متى ٩ : ٢٠ مرقس ٥ : ٢٥ لوقا ٨ : ٤٠) التي تسرَّبت الى يسوع في وسط الجمع ومسَّت ثوبهُ خفيةً فشفاها الربّ لاجل ايمانها . فاوسابيوس المؤرخ الكنسيّ اثبت في تاريخهِ (ك ٧ ف ١٧) انَّ تلك المرأة كانت من قيساريَّة فيلبُّوس وانَّها شكرًا للمخلص اقامت في بستانها تمثالهُ الكريم وزاد ثاوفانوس في تاريخهِ انَّ هذا التمثال بقي الى زمن يليانوس الجاحد فأمر هذا بتحطيمهِ

ولا نظنّ انَّ السيّد المسيح اطال المكث في قيساريَّة فلم يؤثّر في قلبه شيء من محاسنها وفخامة ابنيتها وبهجة مناظرها الطبيعيَّة من اشجار باسقة وآكام تتوجها الثلوج الغرَّاء . وانَّما كانت نفسهُ مفعمةً باكدار الساعة الحاضرة تتوق الى الوحدة والانفراد فكان تارةً يصعد الى مشارف جبل حرمون وتارة يتبطَّن الاودية التي يخصبها الاردنّ بمياههِ الزلاليَّة ويُنسي فيها الغابات الوارفة الظلال . وربما كان يخلو بنفسهِ عن تلاميذهِ « ليصلي على انفراد » كما اخبر القديس لوقا (٩ : ١٨) ومن البديهيّ انهُ كان يفيض نفسهُ امام ابيهِ السماويّ وكأني بهِ يردّد صلاةً لداود توافق احوالهُ ايَّ موافقة (مز ٤١) : « لماذا تكتئبين يا نفسي وتقلقين فيّ . . . الهي اذكرك من ارض الاردنّ وجبال حرمون من جبل مِصعر . غمرٌ ينادي غمرًا على صوت خرَّاراتك . جميع تيَّاراتك وامواجك قد جازت عليَّ »

ولمّا انتهى من صلاتهِ ومن مناجاة ابيهِ اراد ان يكشف عن ابصـار تلاميذهِ شيئاً من حجاب الغيب بازاء تلك المحاسن الطبيعيّة البديعة في لحف تلك المشارف التي خصّها البشر بعبادة الاصنام لاسيا بعل حرمون. فالقى على رسلهِ سؤالاً لم يكونوا لينتظروهُ قائلاً(متى ١٦ : ١٤—٢٠) : «من تقول الناس انّ ابن البشر هو؟ فقالوا: قوم يقولون انّك يوحنا المعمدان وآخرون انك ايليا وآخرون انك ارميا او واحد من الانبياء. فقال لهم يسوع: وانتم من تقولون اني هو ؟ فبادر بطرس واعلن بايمانهِ قائلاً: انت المسيح ابن الله الحيّ». وكلكم سادتي يعلم كيف الربّ جازى ايمان بطرس حيث طوّبهُ بسببهِ واكّد لهُ ان الذي وضع على شفتيهِ ذلك القول ليس هو اللحم والدم وانما هو ابوهُ الذي في السموات ثمّ جعلهُ صفاة كنيسته الثابتة التي لن تقوى عليهـا قوّات الجحيم ثمّ قلّدهُ الرئاسة التامّة على بيعتهِ بكلام لا يبقي شبهة لكل طالب حقّ قائلاً: «ساعطيك مفاتيح ملكوت السماوات (١ فكلّ ما ربطتهُ على الارض يكون مربوطاً في السماوات وكلّ ما حللتهُ على الارض يكون محلولاً في السماوات» فيا لله ما اعظم مـا نال بطرس وخلفاؤهُ من السلطة السامية. دعوني ايّها الكرام نحيّي هنـا كنيسة المسيح ورأسها المنظور حيث انّ اسمهـا واسم رأسها سُمعا لاوّل مرّة في جيرتكم فيحقُّ لكم ان تفتخروا بما نالتهُ بلادكم من المجد الاثيل بانشاء تلك السلطة الروحيّة العجيبـة في ظهرانيكم وليفرح منكم كلّ من حظي بنعمة الوقوف على تلك الصفاة وليضحِ كلّ شيء دون الانفصال عنها لانّ الخلاص موعودٌ لمن يثبت عليها

وبعد هذا العمل الخطير انحدر السيد المسيح مع تلاميذهِ الى وادي الاردن ثمّ سار على ضفّتهِ اليمنى. وفي طريقهِ لقي آثار مدينة دان التي كانت اقصى حدود اسرائيل الشماليّة. ثمّ أدّى بهِ المسير الى بحيرة الحولة فرأى على سواحلهـا نباتات السدر والبرديّ التي كان ألفها في منفاهُ الى مصر. ثمّ عاد أخيرًا الى كفر ناحوم ليواصل هناك بشارتهُ بملكوت السماوات منتظرًا بهدوّ وثقة ساعة ضحيّتهِ الاخيرة. لكنّهُ اراد قبل ذلك أن يؤيد ايمان بعض خاصتهِ بتجليهِ على جبل الطور. امّا انا فاقف عند هذا الحد لأن ذلك الحادث لا يدخل في ما توليت وصفهُ من رحلة المسيح الى فينيقية والمدن العشر

١) راجع مقالة حضرة الاب م. شوسًا في معنى هـذه العبارة ملكوت السماوات (المشرق ٤ : ٨٩٣)

ألا اني لا يمكنني ان اختم كلامي دون ان اشير الى اثمار تلك السياحة الالهيّة فانها لم تنحصر ببعض المعجزات اصطنعها الربّ في اثناء مسيرهِ . كلّا فان المسيح كان حيثما يحلّ يلقي زرعهُ كالزارع النشيط فيزكو الزرع وينمو ويأتي في وقتهِ بثلثين ضعفاً بل بالستين والمئة . وقد تحقّق ذلك خصوصاً في سواحل الشام اذ لم يمرّ عليها بضع سنوات حتى ازدهرت كنائسها وتوفَّر موءمنوها كما يشهد على ذلك كتاب الاعمال في وصف اسفار بولس الرسول الذي كان يرحّب بهِ الاخوة في مدن فينيقية

وكذلك المدن العشر انتشر فيها الدين النصرانيّ فاليها سار القديس بولس وبقي ثلاث سنين بعد ارتدادهِ ثمّ صارت احدى مدنها اي پلّا (طبقات فاهيل) مفزعاً لنصارى اورشليم التجأُوا اليها قبل خراب المدينة المقدّسة وتدبير الهيكل على يد طيطوس . وبعد قليل أُنشئت هناك كنائس عامرة تنبئ بتقدُّمها الآثار والتآليف القديمة

نعم انهُ حصل لتلك الكنائس محن وبلايا حتى تقهقرت مدّة اجيال متوالية وضعفت انوارها لكنّ زرع ابن الله لا يتلف تماماً واملنا وطيد بان تلك الكنائس سوف تعود قريباً ان شاء الله الى حسنها وجمالها ولنا ضمناء على آمالنا الطيبة اولئك الرعاة الصالحون الذين اقامهم عليها الكرسي الرسولي والمرسلون الغيورون الذين يتجوّلون فيها لنشر الانجيل وخصوصاً سيادة القاصد الرسولي الكلي الشرف والجزيل الاحترام . وحضور نيافتهِ هاهنا في هذه الحفلة ينعش رجاءنا ويكفل بقرب حلول امانينا فانّ امام الاحبار قد اقامهُ كنائبهِ على كنائس فينيقية وانحاء دمشق وحوران ليجدد مفاخرها السابقة ويستمطر عليها نعم ذلك الراعي العظيم الذي تنازل وقدّسها بمرورهِ في اقطارها . امين اللهمّ امين

دبرا ليبانوس

او دير قديم في الحبشة العليا

لجناب الصيدلي القانوني عبد الله افندي ميخائيل رعد

(تتمّة لما سبق في المشرق ١٠ : ٣٧٣)

قبل ان اواصل القراء الكرام بتتمة رواية زيارتي لدبرا ليبانوس استميح حضرة

الاب الفاضل المدقق القس جرجس منش الاذن بشكر حضرتهِ علناً على الملاحظة التي اتاها عن هذا الدير في المشرق (١٠: ٩١١) تتمةً للفائدة. فقد فتحتْ لي ملاحظة حضرتهِ هذه باباً للبحث عن حقيقة زمن تسمية دبرا ليبانوس بهذا الاسم اذ انَّ ما اتيتهُ في افتتاح مقالتي عن ذلك المنسك (المشرق ١٠: ٧٧٢) كان من باب الحدس والتخمين لا من باب التوكيد كما ذكرت

ظننتُ ان لطلاق هذا الاسم على دير دبرا ليبانوس قريب العهد وقلت انَّ « لعلَّهُ لا يتجاوز مائة سنة ». ورجّح حضرتهُ الظن انهُ سمّي كذلك في الجيل السادس عشر مستشهداً بالقس يعقوب ورفقتهِ الرهبان الاحباش الذين نزلوا جبل لبنـــان واستوطنوا دير مار يعقوب في اهدن المعروف بعدهم بدير الاحبـــاش الخ . الى ان قال انهُ « من القريب الى الصواب ان فرقة من هؤلاء الرهبان الذين طُردوا من لبنان سنة ١٤٨٨ قفلوا عائدين الى بلادهم وعمّروا الدير السابق الذكر (يريد دبرا ليبانوس) فأُطلق عليهِ او (أَطلقوا عليهِ) اسم دير جبل لبنان . اه

فيسرّني ان اعترف اليوم ان ظنّ حضرة الاب جرجس منش كان اقرب الى الصواب من ظنّي وليس الاقرار بالغلط عاراً . على اني بعد التنقيب — وقد ساعدني على هذا التنقيب معرفتي باللغة الحبشيَّة — رأيت انَّ قولينا ظنٌّ وان ظني كان ابعد من ظنّ حضرتهِ . وهاك خلاصة ما استنتجتهُ بدليل الحجج الآتية:

١ً ان تسمية دير دبرا ليبانوس بهذا الاسم ترتقي الى عهد تأسيس الدير في الجيل الثالث عشر . فان مؤسسهُ هو الاسقف الحبشي الكاثوليكي الشهير تقلاهيمانوت (١ : ተክለ ፡ ሃይማኖት ፡) — وليس رفقة الراهب يعقوب الذي نزل الشام — وهذا الاسقف سامه ميخائيل البطريرك القبطيّ الثالث والستون عداً على كرسي الاسكندريَّة . وقد جاء في تاريخ حياة هذا الاسقف الصالح انهُ مؤسس العيشة النسكيَّة في الحبشة وانهُ بعد عودته الى مدينة « عدّا ابونا » (٢ ترك في هذا الدير سبع تلامذة رهبـــان سلّم اليهم قانونه في النسك ورأَّس عليهم رئيساً قانونياً . وقد اقامت الكنيسة الحبشيــة في

١) اطلب المشرق (٦: ٩١٩)

٢) ومعنى الكلمات « السدة الاسقفيَّة » هي مدينة في بلاد تكَره لم تزل آثارها الى اليوم قرب مدينة عدوى ويقطنها الانبا بطرس اسقف تكَره الحالي

سنكسارها تذكارًا لاكثر هؤلاء الرهبان كما سأذكر وعدَّتهم من الابرار. وقد ذكر ايضاً ان الاسقف تقلاهيمانوت المشار اليهِ نُقل جثمانه بعد وفاتهِ الى بلاد الأمحرة فأُودع كنيسةَ الدير الذي بناه وذكر السنكسار الحبشي هذا الحادث مسمياً الدير باسم دبرا ليبانوس (ደብረ ፡ ሊባኖስ ፡)

٢ً بدليل ما جاء في السنكسار المذكور عن القديس «كبرا منفس قدوس» (ገብረ ፡ መንፈስ ፡ ቅዱስ ፡) — اي عبد الروح القدس — انه «كان رئيس الرهبان السبعة الذين تركهم القديس تقلاهيمانوت في دبرا ليبانوس» والكنيسة الحبشية تقيم لهُ عيدًا في اليوم الخامس من شهر مكابيت — وهو برمهات القبطي — وتجعل لهُ تذكارًا في الخامس من كل شهر اذ هي تعتبرهُ من اكبر قديسيها

٣ً تجعل الكنيسة الحبشيَّة في اليوم الرابع والعشرين من شهر طِرْ — طوبة القبطي — تذكار وفاة الاب «مهرا كرستوس» (መሕረ ፡ ክርስቶስ ፡) — اي نعمة المسيح — «احد رهبان دبرا ليبانوس السبعة تلميذ القديس تقلاهيمانوت

٤ً في اليوم الثالث من شهر طِرْ المذكور يعيّد الاحباش للراهب «ليبانوس متى» (ሊባኖስ ፡ መቴ ፡). جاء في سيرة حياة هذا الراهب انه «بعد ان عاش مدةً في دير دبرا ليبانوس ذهب واتمَّ بقيَّة حياتهِ النسكيَّة في دير القديس باخوميوس في الصعيد وكان ذلك في عهد القيصر مكسيميانوس»

٥ً جاء في اليوم الثاني من شهر هِدارْ — هاتور القبطي — انه «تذكار وفاة الاب ليبانوس» الذي كان راهباً في دير دبرا ليبانوس في عهد الملك «لاليبلاً» . ومعلوم ان هذا الملك كان كاثوليكياً عاش في نهاية الجيل الثالث عشر واوائل الجيل الرابع عشر. ويدعوه ايضاً الاحباش باسم القديس لويس الحبشي (١

٦ً في اليوم الثالث من شهر ميازيا — برموده القبطي — ذُكر في السنكسار الحبشي لنياح الاب «سَمَرَة حيُون» (ስመረተ ፡ ጽዮን ፡) — اي ثمرة صهيون — «احد المتوحدين السبعة في دير دبرا ليبانوس في عهد رئاسة الاب كبرا منفس قدوس» وهو الآنف الذكر

٧ً في الواحد والعشرين من نفس هذا الشهر ميازيا «تذكار نياح الاب حبقوق

١) راجع المشرق (٦: ٩١٩)

حادي عشر رئيس لدير دبرا ليبانوس المنسوب للقديس تقلاهيمانوت في عهد الاسقف بطرس » وبطرس هذا هو الرابع بعد تقلاهيمانوت في سلسلة لساقفة الحبشة

٨ً في اليوم العشرين من شهر كنبوت — بشنش القبطي — ذكر الاب « بطرا ومنكل » (ኪዋሪ፡ወንጌል፡) — اي صخرة الانجيل — الرئيس السادس عشر لدير دبرا ليبانوس »

٩ً في اليوم التاسع والعشرين من شهر سانيه — باونه القبطي — نقل رفات القديس « عمدا ميكائيل » (ዐምደ ሚካኤል፡) — اي عامود ميخائيل — الى دبرا ليبانوس في عهد الملك « لبنا دنكل » (ልብነ፡ድንግል፡) — اي بخور العذراء — ومعلوم ان هذا الملك هو من اجداد الامبراطور منليك الثاني الحالي تملك على الحبشة من سنة ١٥٠٨ الى سنة ١٥٤٠ ويُعرف ايضاً باسم « أطانا دنكل » (ዐጣነ፡ድንግል) اي بخور العذراء ايضاً فان كلمتي « لبن » و « أطان » مترادفتان في اللغة الحبشيَّة. وباسم « ونك سكّد » (ወናግ፡ሰገድ፡) — اي سجد السبع » وهو اكثر شهرةً ايضاً باسم داود الثالث

١٠ً في اليوم العشرين من شهر هملِه — ابيب القبطي — « ذكر المتوحدين « تقلا ادوناي (ተከለ፡አዶናይ፡) — اي غرسه ادوناي — وتُولَدَ مَدهِن ُ (ተወልደ፡መድኅን፡) — اي ذرية المخلص — تلميذي القديس تقلاهيمانوت من رهبان دبرا ليبانوس السبعة »

١١ً في الثامن والعشرين من شهر هملِه نفسِه « ينـاح فلبس اللاهوتي وكبرا مسكل (ክብረ፡መስቀል፡) — اي عظمة الصليب — من رهبان دبرا ليبانوس السبعة » الموما اليهم

فهذه النصوص كلها تشهد جلياً ويُستنتج منها ان دير دبرا ليبانوس دُعي بهذا الاسم منذ عهد تأسيسهِ. ومما يزيدني توكيداً لما سبقتُ فقلت (المشرق ١٠ : ٧٧٠) « ان الباعث الذي حدا الاحباش في سالف الزمان الى ان يدعوا هذا المكان باسم جبل لبنان هو اولاً تيمُّناً باسم ذلك الجبل الذي جاء ذكره في نصوص الكتاب الكريم ثمَّ لوجه الشبه بينه وبين جبل الشام من حيث التكوين الطبيعي .... الخ » هو ان الاحباش يطلقون على اديرتهم اسماء كتابية وتاريخية كثيرة تيمُّناً بها. تشهد على ذلك اسماء الاديرة

الاخرى الموجودة او الباقية آثارها الى اليوم في الحبشة كدير « دبرا صيّون (ደብረ ፡ ጽዮን ፡) — اي دير جبل صهيون — ودير « دبرا تابور » (ደብረ ፡ ታቦር ፡) — اي دير جبل تابور — ودير « دبرا برهان » (ደብረ ፡ ብርሃን ፡) — اي دير جبل النور — وهذه الاديرة الثلاثة هي في بلاد الامحرة . كذلك دير « دبرا كرمل » (ደብረ ፡ ከርሜል ፡) — اي دير جبل الكرمل — ودير « دبرا زيت » ደብረ ፡ ዘይት اي دير جبل الزيتون — في بلاد تكره وغيرهم كثير

*

فبعد هذه المقدّمة اعود الى مواصلة الكلام عن الدير المبحوث عنهُ فاقول :

منسك دبرا ليبانوس عبارة عن سهل من الارض منخفض ٍ محاطٍ تكتنفهُ الجبال قدرتُ مساحتهُ بنحو عشرين هكتارًا من الحضيض مغطًّى كله بغابة كثيفة اشجارها من الفصيلة الراتنجية مع بعض اشجار الزيتون البرّيّة غير المثمرة . يجتازه من جهته الشرقيّة نهر مزبد المياه سريع الجري وهذه المياه هي التي تسقط اليه من اعلى الجبل شلّالًا كما اشرت فويق هذا . اما الماء المنفجر من قلب الصخر في ذلك المنسك والذي يعتبره الحبش مقدسًا فانه ينحدر كالانبوب او كالميزاب فيسقط اوّلًا في جرن من الصخر يحوط بهِ سياج وله مدخل واحد . هناك يستقي الزوار الماء مشرب الامانة فيسقون منهُ المرضى ويملأُون الاوعية التي يحملونها الى امكنتهم البعيدة ويقوم على حراسة هذا الجرن راهب شيخ يرتدي وشاحًا من جلد البقر وله كوخ حقير عند مدخل هذا الجرن وهذا الراهب يغمس في كل مرة اصبعهُ في طين تلك الارض ويرسم بهِ على جبهة الزوار صليبًا يحافظون عليهِ اطول ما يستطيعون من الزمان . ثمَّ يسيل الماء المقدَّس من ذاك الجرن فيجري تحت جذوع الاشجار حتى يصبُّ على مقربة من هناك في بركة صغيرة حُفرت بين الصخور بعمق نحو ذراع واحد غير مستوية الدائرة ينزل اليها الزوار ومرضاهم فيغتسلون بها اصطباغ الامانة وعددٌ منهم يُشفون من عاهاتهم كما اشرت . وبعد ذلك يواصل الماء الجري في ارض المنسك فيستقي منهُ النساك ثمَّ يصبُّ اخيرًا في الوادي الكبير الذي ينسكب فيه النهر الشرقي والذي قلتُ انهُ يحدّ المنسك من جهتهِ الجنوبيَّة

يعيش في هذا الدير نحو من ثلاثة آلاف ناسك يسكنون الاكواخ الحقيرة ومغاور الجبل وبين اغصان الاشجار في الحرش . يفترشون كلهم الارض على التراب او يجعلون

تحتهم شيئاً من العشب واوراق الشجر ولا يرتدون بسوى جلود الحيوانات. هؤلاء هم الجماعة النسكيّة التي أسسها الطيب الذكر الاسقف تقلاهيمانوت في الحبشة ناسخاً اياها عن سيرة نساك القديس باخوميوس في بلاد الصعيد. لا يذوقون طعاماً آخر سوى السليق من الحبوب وخبز التقدمة الذي يحضر الى الدير في كل يوم من انحاء كثيرة. اما السليق فانهُ يُطبخ في الدير نفسه ويُشترط ان يقوم الرهبان بعمله وهم ليس فقط لا يخالطون النساء بل انهم ايضاً لا يريدون ان يأكلوا سليقاً طبختهُ ايدي المرأة. وقد قُدم لي من هذا السليق بينما كنت ازور الدير فاكلتهُ وهو خليط من القمح والشعير والعدس والحمّص والفول مسلوقاً بالماء لا غير وقلما زيد عليهِ شيء من الملح. وبوجه الاجمال انَّ نسّاك دير دبرا ليبانوس يتبعون الى اليوم السيرة النسكيّة كما كان يتبعها في سالف الزمان رهبان بريّة الصعيد ومصر تباع قوانين آباء الرهبان القديسَين انطونيوس وباخوميوس. وفي ثبات اتباع هذا التقشف الصارم الى اليوم عند رهبان دبرا ليبانوس في الحبشة كما كان جارياً في القديم برهانٌ حسيّ ساطع على قول امتناع الرهبان الشرقيين قطعياً عن اكل اللحوم قديماً (١

اما كنيسة الدير فهي حديثة العهد بناهــا الراس دارگه عمّ النجاشي الحالي في مكان الكنيسة القديمة التي يقال ان بها رفات تقلاهيمانوت على ان جلالة الامبراطورة طايتو تشاء هدم هذه الكنيسة ايضاً وانشاء كنيسة حسنة البنــاء في مكانها لكنَّ الرهبان يضادُّون هذا المشروع مفضّلين قدمية كنيستهم. وليس في هذا المعبــد شيء يستجلب الابصار ولا آثار تستحق الانتباه او كتابات تاريخية او تصاوير قديمة فهي كبقية كنائس الحبشة مستديرة الشكل تكثر الاخشاب الغليظة في بنايتها وحجاب هيكلها حديث التصوير وارضها مفروشة من حصير متين الصنعة محبوك بقصب البامبو يضمُّهُ الى بعضهِ سيور من جلد البقر وسقفها من الهشيم كسائر ابنية الحبشة. ويقرب هذه الكنيسة معبد آخر يدعونه مقام الصليب يُحفظ فيهِ صليب خشبي كبير غليظ الصنعــة يعملون بهِ الزياحات والبواعيث في كثير من الاعياد وهم يدّعون انه نزل من السماء في عهــد

١) راجع الرسالة الزاخرية التي نشرهــا حضرة الاب تيموثاوس جق (المشرق ١٠ : ٨٧٩ و٩٢٦ و٩٧١)

تقلاهيمانوت وهي خرافة كالتي ذكرناها قُبيل هذا اعني قولهم عن ماء الدير انه من نهر الاردن

على ان ما يستوقف الابصار في هذا الدير غيرما ذكرناه عن هول الطبيعة ومناعة المكان هي آثار المدافن القديمة فهناك قبور مكشوفة نُقرت في الصخر واحدها بجنب الآخر وذلك في اسفل الجبل الذي يحدُّ المنسك على طول السهل وعرضهِ. ولم يزل الاحباش ينقلون الى هذه القبور عظام موتاهم حتى من امكنةٍ كثيرة البعد فيغادرونها في هذه القبور المكشوفة وسط الصندوق الذي حملوها بهِ . ومن نوع هذا الصندوق يعرف الناظر اليهِ ان كانت العظام المودوعة بهِ نُقلت من محلّ بعيد ام لا . فصناديق البضاعة الاوربيَّة الحسنة الوضع تنبئ ان ما فيها من الرفات نُقلت من بلاد ليست كثيرة البعد تصل اليها اليوم البضائع الواردة ممَّا وراء البحر كأمارة هرر ومملكة الشوا ومقاطعة تكره وما جاورها. والصناديق المحكمة الصنع المجليَّة الواحها بالفارة تعرّف ان ما تحواه من العظام حُملت من بلاد قريبة فيها الصنائع والنجارة بنوع اخصّ. وصناديق البترول المصلَح كسرُها بالواح قُدّت من الاشجار بالقَدُوم الوطني والمرتبطة اقسامها بالجلود تفيد الناظر اليها ان الرفات المودوعة بها واردة من بلاد متوسطة البعد دخلها التجار القليلون ولكن ليس فيها بعدُ من صناعةٍ كبلاد كودجام وامارة سلاله وبلاد الكوراكي والكافا والشانكلا وغيرها. ومن الصناديق الاوَّلية المحضة وهي كناية عن قطعة واحدة من ساق الشجر الغليظ محفورة بالقدوم الوطني على شبه صندوق ومغطاة بقطعة نظيرها يربطها بعضها سيور من جلد بلا مسمار ولا مفصلة ولا ما شابه ذلك. او من العظام الموضوعة ضمن ظروف من جلود الحيوانات مع شعرها يعرف الزائر ان هناك رفات اتت من بلاد متوغلة في الداخليَّة ليس فيها شارة من شارات دخول بعض الحضارة . .

وهذه الرفات كلها معروضة للناظر لا يغطّيها تراب ولا حجر. اما قبور الملوك والامراء فهي كناية عن ابنية كبيرة بعضها من حجر منحوت وهي الحديثة العهد كقبر الراس داركه وابنهِ الامير اصفاو وقبر الراس ألولا وقبر ملكة الشوا امرأة النجاشي منليك الاولى وبعضها سقيمة البناء تشبه البيوت الحبشيَّة وهي قبور الملوك والامراء الاقدمين وعلى كل هذه الآثار لا تجد تاريخًا ولا اشارة ولا كتابة يستطاع منها معرفة عهد الدفين وهم يفرقون بين قبر وقبر بالتقليد والله فوق علمهم عليم

اللغة العربية

في طور النشوء والتكوُّن (تتمة)

لحضرة الاب انستاس الكرملي

٤ كيف تُرد اللفظة الثلاثيَّة الى اصلها الثنائيّ

لقد تقرَّر انَّ كل لفظة ثلاثيَّة هي من اصل ثنائيّ الَّا ما ندر وشذَّ. فيجب علينا الان ان نعلم كيف تُردُّ الكلمة الثلاثيَّة الى اصلها الثنائي. فنقول: قد المعنا الى ان المتوّجات والحاشيات او المذيّلات لا تخلو من ان تكون من أحد حروف الذلاقة وهي ل ر ن ب ف م. ومعها حروف العلَّة (و ي ا) والهمزة والهاء. وكلهنَّ من اسهل الحروف واسلسها واذلقها على اللسان فتُدمَج في الكلمة وتُكسبها قوَّة وحياة نُطقٍ بيّنة. الَّا انهُ قد يَتَّفق ان يكون في اللفظ الثلاثي اكثر من حرفٍ من هذه الحروف المذكورة بل وقد تكون الثلاثة كلها بأسرها مأخوذةً منها. مثل «بَرَمَ» فكيف نهتدي الى الاصل الثنائي الاب

نجيب: تؤخذ اللفظة فَيَنظُر اليها الباحث اللغوي بعين التحقيق فان رأى في الكلمة حرفاً واحدًا من الحروف المشار اليها سهل عليهِ معرفة الاصل. وان راى فيها حرفين او اكثر فحينئذٍ ينظر الى اللفظة من جهة مشابهتها لأقرب صوتٍ طبيعيّ يطابق المعنى وهذا يتوفَّق اليهِ باسرع من الطَّرْف اذا كان يعرف مؤدَّى الكلمة واذا كان يجهلهُ او لم يكن هنالكَ صوت لا في الكلمة ولا في الطبيعة فيطرح حينئذٍ من الكلمة ما كان من حروفها اخفّ واسهل على اللفظ لسهولة دخولهِ وخروجهِ بدون ان يضرّ بتركيبها ضررًا مذكورًا

واذ قد اتضح ما مرَّ بك يحسن بنا الآن ان نذكر شاهدًا على كل حالٍ من هذه الاحوال الثلاثة يعني من وجود حرف او حرفين او ثلاثة من الحروف الزوائد القارَّة في الكلمة. فاذا أردتَ ان تعرف مثلًا الحرفين الاصليين في كلمة «شرق» فانك لا ترى في هذهِ الثلاثة الَّا الرَّاء من حروف الذلاقة ومن ثمَّ كانت هي الزائدة واتضح لك ان الاصل الثنائي هو «ش ق» وشروق الشمس من شقّها اديم الظلام

او حجـابهُ واضح وهو للشمس مجاز اذ لا حكاية صوت هناك ولغيرهِ حقيقة لا شبهة فيها

واليك الشاهد الثاني «أكل» ففيهِ الهمزة واللام معًا وهما من حروف الزيادة القارَّة فاي الحرفين هو الزائد الذي أُتي بهِ بعد ان صيغت اللفظة من الحرفين الثنائيين الاصليين؟ — فلا جرم انهُ الهمزة لسلاستها والاصل «ك ل» وهو حكاية صوت المضغ اذا كان في الفم طعام يُسمع صوتهُ من وقع الاسنان بعضها على بعض. ويوافقهُ في اللاتينيَّة «ك م» يعني comedere وقد قلنا غير مرَّة ان الحروف القريبة المخرج تتعـاور في ما بينها وتتبادل على سبيل المعاونة والمجاورة

والمثال الثالث «بَرَم» فكلها من حروف الذلاقة فاذا نظرنا من وجهٍ الى حكاية صوت البرم نراها «بر» او «تر» واذا نظرنا من الوجه الآخر الى أضعف الحروف جرسًا نراهـا ولا شك الميم المتطرّفة. ولو لم تكن متطرفة لكانت الباء اضعف منها. ومن ثم يكون الاصل الثنائي «بر» واما الاجانب فانهم اشتقوا اللفظة من اصل «تر» فقـال اليونان στρεφω وقـال اللاتين torquere ووضع الفرنساويون عدة كلم منها: tordre, tresser, tourner وقـال الانكليز braid كالعرب وقالوا ايضًا tress كالفرنسيس

وقد تحتمل الكلمة (اذا كان فيها حرفان ذولقيّان أو أكثر) تأْويلين او اكثر. مثال ذلك لفظة «قمر» فكل من الميم والراء هو من الاحرف المذكورة فأَيهما الاصل وايهما المزيد. قلنا: يُحتمل ان تكون الراء هي المقحمة فتكون اللفظة من مادَّة «ق م» التي يتفرَّع منها القيـام وما ضاهاهُ. فيكون معنى القمر هذه السيَّارة التي «تقوم» من الافق سريعًا. وقد تكون الميم هي المُدْمَجَة فتكون الكلمـة من مادة «ق ر» التي يتفرع منها القَوْر وهوقطع الشيء من وسطهِ خرقًا مستديرًا كهيئة القمر عند ما يبدو هلالًا. فيكون المعنى تلك السيَّارة التي تبدو مقوَّرة من بين جميع السيَّارات

على ان هذه القاعدة قاعدة حذف الحرف الأذلق لا تكفي وحدهـا في اغلب الاحايين بل تحتاج الى ان تُضمَّ الى قاعدة ثانية لتتمَّ بها الفائدة وذلك امَّا لخلوّ الكلمة من هذه الحروف بتاتًا. واما لانك اذا حذفت الحرف الأَذلق لا تتلقَّاك الفائدة المنشودة بل تلتزم بان تحذف احيانًا الحرف الاذلق نفسهُ وتبقي ما ليس فيهِ اثر الذلاقة. ومن ثمَّ

وجب ان تعرف هذه القاعدة الثانية وهي: اذا اردت مزيد تحقيق وتدقيق في معرفة الاصل الثنائيّ يحسن بك ان تعارض اللفظة بما يقابلها في اللغات الاخوات وفي اللغات الغربيّة. فانّ هذه المعارضة تفتح لك ابوابًا تبوح لك باخفى الاسرار وباغمض المسائل وادقها مدبًا

فهذه لفظة «القمر» اذا قابلناها بما يقابلها في الارامية ܣܗܪܐ نرى ان الاصل الثنائي في هذه هو «س ر» ويوافقها في اللاتينيّة luna والاصل الثنائي فيها «ل ن» والقمر باليونانيّة σελήνη والاصل الثنائي فيها «س ل» ولليونان لفظة μήνη للدلالة على الهلال والاصل فيهِ «م ن» واسم القمر بالانكليزية moon والاصل فيه «م ن» فانت ترى ان القاف في العربيّة هي الزائدة بعد المقابلة فتكون المادة الأمّ هي «م ر» ومنها في العربيّة «مرّ» فيحتمل ان يكون اصل القمر من «مرّ» لمروره بناحية السماء وعبورهِ ايّاها. وقد زيدت القاف لغاية هي خفيّة اليوم عن ابصارنا (١

وكذلك القول في «الشمس» فالحرف الوحيد الاذلق الذي يحسنُ حذفهُ لمعرفة اصل المادّة هو الميم. لكن لما كانت القاعدة الاولى لا تكفي في ذاتها فلا بُدّ من الجمع بينها وبين القاعدة الثانية وهي معارضتها باللغات الاجنبيّة للوقوف على الاصل المكين. فاسم هذا النجم باليونانيّة ἥλιος والاصل الثنائي فيها «ه ل» او «أ ل» وباللاتينيّة sol والاصل فيها «س ل» وبالانكليزيّة sun والاصل فيها «س ن» وفي اللغات السامية كلها كالعبريّة والارميّة والاشوريّة «شمش أو شَمْشا» يعني بشينين والاصل هو «ش م» فمن هذه المعارضة يتّضح انهُ لا يَحسُنُ بك ان تعتبر الميم هي المقحمة ولو كانت ذلقاء بل السين وان كانت غير ذلقاء لسبب قصور القاعدة الاولى في حدّ ذاتها. ولما كانت مادّة «ش م» او «س م» تدل على الارتفاع (من ذلك: الشَمَم والشُمُوخ والشُمُوذ والسُمُوّ والسُمُوك والسُمُوق) كان معنى الشمس «النير المرتفع او العالي»

---

١) الارجح ان العرب لمّا لاحظوا ما في حرف القاف من المزايا الخاصة بهِ اذا ما وقع في صدر الكلمة توجّوا بها لفظة «مر» فصارت «قمر». ومن خصائص هذا الحرف اذا وقع في الانف الدلالة على القوة والقدرة والرئاسة والجمع. ومن ثم فيكون محصّل هذه اللفظة «هذه السيارة التي قد اقيمت بمنزلة سلطان الليل بضيائهِ الذي يكسف ضياء سائر الكواكب والنجوم الليلية وقد جمع فيهِ نور الشمس الذي يستمدّهُ منها»

ولا جَرَم ان درس اللغة العربيّة وتطبيق الفاظهـا على هاتين القاعدتين معاً من ألذّ الدروس وأفودها للعقل واطيبها للخاطر وارضاها لهُ . دَعْ عنكَ ما يتكشّف بين يديك من الاسرار الغريبة وتتّضح امامك غوامض كانت الى هـذا العهد بعيدة الوصول اليهـا . والبَسْط في هذا الموضوع يزيد بحثنا جلاء من جهة وثباتاً وقراراً من جهة اخرى

وها نحن نختار الآن اربعة الفاظ ناضين عنها ثياب التستُّر والتخفّي ومُنضِين اليهـا ركاب التأثُّر والتخفّي وهي اسماء اربعة فصول السنة الربيع والصيف والخريف والشتاء فنقول :

ان المادّة الأُم في « الربيع » هو « رع » بعد حذف الباء الذلقاء التي هي اضعف من الراء التي هي اختها في المخرج . ومن « رع » يتفرّع اقرب لفظ اليها وهو رَاعَ الشيء نما وزاد . فيكون الربيع فصـل النموّ والزيادة كما هو الواقع . ومن الرَيع تولّد الربيع ومنهُ : ربعت الابل : سرحت في المرعى واكلت كيف شـاءت وشربت (وبذلك اي بالاكل والشرب يتوفّق ويتمّ نموُّها)

ولفظة « الصيف » ماخوذة من مادة « ص ف » ومنهُ الصَفو نقيض الكدر . والاجوف والناقص من عَهْد واحد في التكوُّن لا بل وقد يتعاوران في اغلب الاحيان . ففصل الصيف هو فصـل صفو الجوّ من كل كدر في الماء والسماء كما هو الواقع في بلاد العرب ولو نشأت اللغة العربيّة في غير تلك الربوع المعهودة بل في البلاد الغربية الشماليّة او الجنوبيّة لسمّوها باسم يدلّ على الحرارة مثلًا أو على غير ذلك

وامّا لفظة « الخريف » فمادّتها التي استمدّت منها الوجود والاشتقاق هي ولا ريب في ذلك : « خ ف » ومنها : خفَّ الشيء : نقيض ثقُل وقلَّ . وسبب تسميتـهِ بذلك واضح من ان الاشجار في هذا الفصل تُقطَفُ اثمارهـا وتسقط اوراقها فتخفّ مما كان عليها من الحمل وثيـاب الزينة . وقد يكون كلمة الخريف المشتقّة من مادّة « خ ف » إشارة الى الخفاء (لان المضاعف والاجوف والناقص من عهدٍ واحد في التكوُّن وتكاد تكون لغاتٍ عند البعض من العرب ولنا على ذلك شواهد عديدة ليس هذا مقامها) فيكون الخريف قـد أُخذ من الخفاء لاستتار قوّة الاشجار ومانيتها في هذا الفصل من السنة

وقد كفانا العلامة جرجي افندي زيدان مؤونة البحث في سبب تسمية الشتاء بهذا الاسم قال حرسهُ الله في تاريخ اللغة العربيَّة ص ١٣ ما هذا نقلُ عبارتهِ « اننا اذا راجعنا هذه المادة في اللغــات الساميَّة رأينا الاصل في دلالتها: « الشرب » او « الريّ » او « الصبّ » فهي كذلك في العبرانيَّة والسريانيَّة الى اليوم . وقد شقُّوا منها الافعال والاسماء لمعانٍ كثيرة ترجع الى الريّ ونحوهِ — الّا فصل الشتاء فانهم شقُّوا لهُ كلمة من اصل آخر يقرب منهُ لفظاً . ويوخذ من مراجعات كثيرة انّ المادَّة الاصليَّة (شتا) كانت تدلّ على الرطوبة او الريّ في اللغة الساميَّة فلما تفرَّقت القبائل كما تقدَّم تولَّدت منها المشتقات وتنوَّعت معانيها على مقتضى الاحوال فتولَّد منها لفظ الشتاء للمعنى المعروف لهُ في العربيَّة وأُهمل معنى الشرب والريّ منها . ومع ذلك فلو تدبَّرت مشتقات هذه اللفظة في اخوات العربيَّة لرايتها تختلف في الواحدة عمَّا في الاخرى »

فيتحصَّل ممَّا تقدَّم شرحهُ ان فصل الشتاء هو فصل الامطــار وشُربِ الأَرضين إياها . على ان « شتا » بمعنى رَوَى موجودة في العربيــة ببعض إبدال وهي « سقى » « وشتا » بمعنى « رَوَى » أَقدم عهدًا من « سقى » وما هذه الّا لغة في تلك . وذلك ان قبيلة من العرب كانت تجعل التاء كافًا في اغلب الالفاظ إِنْ لَمْ تكن في جميعها . وهذا امّا لغةٌ مطَّردة عندهم واما لُثغة . فامَّا كونها لغةً فتشهد على صحَّة ذلك جملة الفاظ وردت على هذه الوتيرة اي انها وردت بالكاف عند قبيلة وبالتاء عند قبيلةٍ أُخرى . قــال في خزانة الادب (في هامش ٤ : ٥٩١) في شرحهِ لهذا البيت :

يا ابنَ الزُبَيرِ طالما عَصَيْكا [وطَالَمَا عَنَيْتَنا إِلَيْكَا

لِنَضْرِبنْ بِسَيْفِنا قَفَيْكَا]

« قائلهُ راجز من حِمير . كذا في نوادر ابي زيد . . . . الاستشهــاد فيهِ : في قولهِ « عَصَيْكا » . فان اصلهُ « عَصَيْت » فابدل الكاف من التاء لانها اختها في الهمس (كذا وعندنا انها لغة او انها لثغة في الاصل ثمَّ انتشرت فصارت لغة . ففي بغداد ابنتــان من أَقارب متباعدة لا تستطيع الواحدة منهما ان تلفظ الكاف وكل مرة تحتاجان الى ذلك تقلبان الحرف وتجعلانهِ تاء فتقولان مثلًا : « تال وتلمة ومتان وترت » في : « كال وكلمة ومكان وترك » وكان سُحَيم اذا أنشــد شعرًا قــال : « أَحسَنْكَ والله » يريد

«أحسنتَ» (١ اهـ. ولا نشك ان من قال عَصَيْكَا بدلًا من «عَصَيْتَ» قال ايضاً: «عَنَيْكَا» الّا انّ الرواة غيّروا حيث لم تمنعهم القافية (راجع حاشية مشرق ١: ٧٩١)

ومن الالفاظ الخالية من الضمير والدالّة على هذه اللغة الحكد والحتد. وهو الاصل. قال الميداني: بالكاف لغة عقيل وبالتاء لغة كلاب (التاج في ح ك د) وعن ابن الاعرابي: امراة عَفْتاء وعَفكاء. ورجل أعفت وأعفك وهو الاخرق (التاج) والإفتُ: الإفك وهو الكذب. ويُقال: أفَتَهُ عنهُ كأفَكَهُ: اذا صرفهُ. ووادي لكّة ووادي لتّة من ديار الاندلس(Guadalete) الى غير ذلك من الالفاظ الكثيرة. ثم ان الكاف صارت قافاً بلغة قبيلة اخرى والشواهد لا تحصى منها: قشيش الافعى وكشيشها والدعكة والدعقة والدقّ والدكّ ودقهُ ودكهُ (راجع ايضاً المزهر ١: ٢٦٩, ٢٦٢, ٢٦٨, ٢٦٦)

وربّما قُلبت تاء «شتا» قافاً فصارت «سقى» مباشرةً بدون ان تُنقَل الى الكاف ثمّ الى القاف. ولنا على ذلك ايضاً الفاظ كثيرة ممّا يشهد انها كانت لغة شائعة في السابق من ذلك: حمار نهّات ونهّاق (عن المزهر ١: ٢٦٤) والحَتِد والحَقِد (التاج في ح ف د) والمُنقَّع والمُنتَع: (ثمر التنضُب) وتبّ الشيء وقبّهُ: قطعهُ. وفي هذه الشواهد ابدال في الصدر والحشو والطرف. وعليه «فسَقَى» «وشتاَ» من اصل واحد. وسُمّي الشتاء شتاء لسقيه الارضين في عهد الامطار كما مرّ بك شرحهُ

ولولا ضيق المقام وخوف الاطالة لاوردنا لك شيئاً كثيرًا من هذا القبيل يأخذ بالالباب ويفتح لك موصد الابواب ويثبت لك ان تتبع مفردات اللغة على هذا النحو من احسن أبحاثها على الطلّاب

• ترتيب نشوء الافعال بحسب قدمها

لقد أسلفنا القول ان المضاعف الثلاثي هو اول ما نشأ من الافعال من بعد ان توفّق الاولون الى النطق بهِ من الالفاظ العربيّة فلا حاجة الى الاعادة بدون افادة. وتلاهُ في النشوء المضاعف الرباعيّ ويحسن بنا هنا ان نستشهد بكلام الشيخ ابرهيم اليازجي اذ قال (في الطبيب سنة ١٨٨٤ — ١٨٨٥)

---

١) لاحظ جيدًا ان هذه اللغة لغة قلب التاء كافاً كقولهِ: احسنك والله هي غير قلب الكاف تاء كقولهم: «الافت» في «الافك» فهما لغتان متناقضتان اصلهما في النشوء لثغة في اللسان على ما قدّمنا ذكرها من هاتين الابنتين البغداديتين في عهدنا هذا

(ليس المضاعف الرباعي) الّا تكرار الثاني بصورتهِ كما سبق لنا الالماع اليهِ لا محوّلٌ عن فَعَّل المُثَقَّل العين بابدال احد طرفي التضعيف كما هو مذهب كثيرٍ من اللغويين. ولا ماخوذ من مضاعفين ثلاثيين كما صرَّح بهِ بعض المتصدّين للمباحث اللغويَّة حيث زعم ان قولهم: هَزْهَز وحَثْحَث إنْ هو الّا هَزَّ هَزَّ وحثَّ حثَّ. وانهم لما بنوهُ كذلك احتاجوا الى التسكين (كذا) وفي هذا التعبير ما لا يخفى. فان مقتضاهُ جمع الساكنين مرَّتين في الكلمة مع بقاء الفعل حينئذٍ على ستَّة احرفٍ لا اربعة. ويؤيد ما ذكرناهُ شواهد من اللغة ذهبوا فيها هذا المذهب في التاليف كقولهم: مأمأتُ المِعزى وهو حكاية صوتها اذا قالت مِيْ مِيْ وصَهْصَهَ بهم اي اسكتهم. وحقيقتهُ قال لهم: صَهْ صَهْ وكذلك مَهْمَهُ اي كفّهُ بقوله مَهْ وبَخْبَخَهُ اي قال لهُ بَخْ بَخْ وبَسْبَسَ بالناقة اذا دعاها بِسْ بِسْ. ومن هــذا القبيل قولهم عَنْعَنَ الحديث اذا قال: حدثني فلان عن فلان. وغير ذلك مما لا شبهة في كونهِ مصوغاً على الوجه المذكور»

قلتُ: وقد يكون المضاعف الرباعي مصوغاً من اصول الاجوف الصحيحــة او من الناقص او من المثال وهو مما لم ينبّه اليهِ احد وان اشاروا اليهِ. والسبب لان الناقص من اصل المضاعف الثلاثي وكذلك الناقص والمثال كما ألمعنا اليــهِ غير مرَّة في تضاعيف هذه المقالة. قال في اللسان في مادَّة مصص:

«في حديث مرفوع: القتل في سبيل الله مُمَصْمِصَة» المعنى: ان الشهادة في سبيل الله مطهّرة الشهيد من ذنوبهِ ماحية خطاياهُ كما يُمَصْمِص الاناء الماء اذا رُقرق الماء فيهِ وحُرِّك حتى يطهر. واصلهُ من «الموص» وهو الغسل. قال ابو منصور: والذي عندي في ذكر الشهيد فتلك مُمَصْمِصة اي مُطَهِّرة غاسلة. وقد تكرَّر العرب الحرف واصلهُ معتلٌ ومنهُ نَخْنَخَ بعيرهُ. واصلهُ من الاناخة. وتَمَظْمَظَ اصلهُ من الوعظ. وخَضْخَضْتُ الاناء واصلهُ من الحوض» اه المقصود من ايراده

قلت انا: ولو كانت مصمص وحيدة المثال لما اعتُمــد عليها. والسبب هو انها قد تكون لغة في الضاد. لانهُ يقال مَضْمَضَ الماء في فمهِ: حرّكهُ بالادارة فيهِ. ومَضْمَضَ الاناء والثوب وغيرها: غسلهُ ولغة تحويل الصاد ضادًا وبالعكس لغة شائعــة عندهم وحروفها لا تحصى

ولا تتوهم ان المضاعف الرباعي يوجد في الافعـــال فقط بل هو موجود ايضاً في الاسماء. قال في التاج ومثلهُ في لسان العرب:

« جاء في الحديث: فاتينا على جُدْجُدٍ مُتَدمنٍ. قيل: جُدجُد بالضم: البئر الكثيرة الماء. قال ابو عُبَيد: وهذا لا يُعرف. انما المعروف الجُدُّ: وهي البئر الجيدة الموضع من الكلإ. قال ابو منصور: وهذا مثل الكُمْكُمَةِ للكُمِّ والرَفْرَف للرفِّ»

واعلم ان الفائدة المتحصلة من المضاعف الرباعي غير الفائدة المتحصلة من المضاعف الثلاثي ففي معنى ذلك ضعف بل اضعاف ما في معنى هذا. والرباعي يفيد تكرار مؤدى الفعل اما الثلاثي فلا يُفيد الّا وقوعهُ لا غير. وقد اشار الى ذلك لغويو العرب السابقون. قال في اللسان في مادة صرر:

«صرَّ العصفور: اذا صاح. وصرَّ الجُنْدُب يَصِرُّ وصرَّ الباب يصِرُّ وكل صوت شِبْهُ ذلك فهو صريرٌ اذا امتدَّ. فاذا كان فيهِ تخفيفٌ وترجيعٌ في اعادةٍ ضُوعِف كقولك: صَرْصَرَ الاخْطَبُ صَرْصَرةً كأنّهم قدَّروا في صوت الجُنْدُب المدَّ. وفي صوت الاخطب الترجيع فحكوهُ على ذلك. وكذلك الصَقْر والبازي»

ومثلهُ قال صاحب التاج. وقال الزبيدي في مادة كبب في شرح «فكُبْكِبُوا فيها وهم الغَاوُونَ»:

قال اهل اللغة معناهُ: دُهْوِروا. وحقيقة ذلك في اللغة تكرير الانكباب كأنهُ اذا أُلقي ينكبُّ مرةً بعد مرة حتى يستقرَّ فيها

وهناك مضاعف آخر لم يذكرهُ احد من النحاة او اللغويين. وهو ما نُسمّيهِ بالمضاعف الخماسيّ السُداسيّ فهو ليس بخماسيّ لان عدد اصول حروفهِ ستة وليس بسُداسيّ لان حروفهُ الظاهرة المعدودة خمسة فاطلقنا عليهِ هذه التسمية لنجمع بين الأمرين. وهو ولا ريب فيهِ منحوتٌ من كلمتين متكررتين فخُففتا ونُحتتا وجُعلتا في حكم الواحد. مثل قولك شَمَقْمَق فانهُ مركَّب من شِمِقٍ شِمِقٍ. والشِمِقُ الطويل ومثلهُ الشَمَقْمَق الّا ان الزيادة في الحروف تدل على الزيادة في المعنى على ما اثبتهُ ابن فارس. قال صاحب التاج في ع ن ط:

«العَنَطْنَطُ: كسَمَعْمَع: الطويل من الرجال ومنهم من عمَّ بهِ. قال الجوهريُّ: واصل الكلمة ع ن ط (قلت واصل هذا الاصل: «ع ط». ومنهُ: الأَعطّ: الطويل وعاطت العنق: طالت. والعطو من الظباء: الذي يتطاول الى الشجر ليتناول منهُ. وهذه كلها تدلُّك دلالةً فوق دلالةٍ على ان المضاعف الثلاثي والرباعي والخماسي السداسيَّ والاجوف والناقص من مَوْرِدٍ واحدٍ) فكُرِرتْ. وقال الليث: اشتقاقُهُ من عنط ولكنهُ أُردف بحرفين في معجزهِ (والاصح أُردف بشبههِ وقُطع راس اول الثاني لاحكام الوصل والجمع بين الاثنين ليصحَّ النحت واصدار معنى جديدٍ غير معنى الثلاثي) . . . وكذلك يوم عَصَبْصَبٌ بيّن العَصَابة. وفرسٌ غَشَمْشَمٌ بيّن الغَشَم» ا ه

قلت ومما يُعدّ من هذا الباب جيش عَرَمْرَمٌ منحوت من عُرَامٍ عُرَام: ورجل حَوَلْوَل محتال شديد الاحتيال وهو منحوت من حُوَلٍ حُوَلٍ. قال الازهري في شرح هذه اللفظة: «الحَوَلْوَلةُ: الكَيِّسةُ. وهو ثلاثيّ الاصل أُلحق بالخماسيّ لتكرير بعض

حروفها » اه. والاصل ما اوردنا تعليلهُ. ومثلهُ في قولك عَنْشَنَش وهو مأخوذ من العَنْش وهو سَوق الدابة وطردها:

وفي اللغة غير هـذه الالفاظ وقد اجتزأنا بما ذكرنا فرارًا من الاطناب على غير جدوى

ومما يستفاد من هذا الموضوع انهُ اذا وُجِد مضاعف رُباعي في اللغة ولم يُذكر في جانبهِ المضاعف الثلاثي يحقّ لنا ان نحكم ان مدوّني متن اللغة نسوهُ لانهُ لا يمكن ان ينشأ مضاعف رباعي بدون ان يكون قد سبقهُ الى الوجود المضاعف الثلاثيّ. وهذه ملاحظة تَزيد اللغة مادةً وحقيقةً

وفي عَهْد نشوء المضاعف ظهر الناقص والاجوف ايضًا لاننا نرى هولاء الثلاثة مجموعة دائمًا في وادٍ واحدٍ وكلها تَرِد موْرِدًا واحدًا وكلها ترجع في المعنى الى مَرَدٍّ واحدٍ. وقد علّلنا سبب ذلك بوجيز الكلام في مشتمل العدد ٢ من هذه المقالة. يعني انهُ من بعد ان برز المضاعف للوجود تطرّق الواضعون الى تحريك الاخر ومدّ الحركة فنشأ الناقص وكأنهم فعلوا ذلك اولًا في الثنائيّات التي لا يتمّ معناها الّا اذا نُطق بها دفعةً واحدةً فيُخرجها المتكلم لكي يسرع في تأدية ما يجول في خاطرهِ ويعبّر عمّا في ذهنهِ. ويتلقّاها السامع باسرع ما يمكنهُ ليقف على مُراد المتكلم ويعمل بما يتلقّفهُ او يتلقّنهُ عنهُ. واما الاجوف فنشأ اولًا في الثنائيات التي يدلُّ اوّل حرفيها دلالة بيّنةً على المطلوب او يدلُّ دلالة ظاهرة على ما يليهِ من الحرف. وهكذا نشأ هذان القرعان من أمٍّ واحدةٍ ودبًّا من وكرٍ واحدٍ. وفضلًا عن هذا البرهان العقلي لنا أدلّة عديدة في ما وصل الينا من الامثلة اللغويّة العديدة. ولا بُدَّ من ان نذكر شيئًا منها:

(لَطّ) بالامر: لزمهُ. والشيء بهِ: ألصقهُ. (ولَطَى) الرجل: لزق بالارض. (ولاطَ) الشيء بالشيء: الصَقَهُ بهِ. ولا وجود في هذه المادة لمضاعف الرباعي. ومن هذا الباب:

(لَمّ) الشيء: جمعهُ. (ولَمْلَمَ) الشيء: جمعهُ ايضًا. (ولَمَا) الشيء يَلمُوهُ: اخذهُ باجمعهِ (واللِيمُ) الصلح وهو الجمع بين قُلُوب الاعداء وحملها على الصلح والسلام. والفعل الثلاثي مفقود. (ويَلَمْلَم) في ياقوت: « ويقال ألَمْلَم واُلَمْلَم: الجموع. موضع على ليلتين من مكة وهو ميقات اهل اليمن » اه. ويجتمعون اليهِ من كل صبب

وحدبٍ من ديارهِ وربوعهِ — والشواهد كثيرة يجمع شتاتهـا من يحبّ الوقوف على اسرار اللغة

ولنا دليل آخر غير دليل الاستقراء الشخصي وغير دليل العقل وهو دليل النقـل . قال ابن الاعرابي: ومن العرب من يقلب احد الحرفين المُدْغَمَين ياء فيقول في مَرٍّ : مَيْرٌ وفي زرٍّ . زيرٌ وهو الدُجةٌ . وفي رزٍّ : ريزٌ» اه (عن اللسان في مادة زور) . وقالوا في انضخ : انضاخَ . وفي انتضَّ : انتاضَ وفي كَعَّ يَكَعُّ : كاعَ يَكاعُ . وفي زلَّ عمرهُ : زالَ عمرهُ . وفي ضَهَّهُ : ضاهاهُ . ومما جاء في هذا الصدد ما اوردهُ التاج في مادة ق ر ي قال :

« قال معاوية بن شكل يذمّ حجل بن نضلة بين يدي النعمان : انهُ مقبل النعلين منتفخ الساقين . قعو الاليتين . فشاء بأقراء . قتّال ظباء بيّاع إماء . فقال لهُ النعمان : اردت ان تذيمهُ فدهتهُ » اه اي اردتَّ ان تذمّهُ فدحتهُ

هذا من جهة جعل المضاعف اجوف . واما ما نقلوا عنهم انهم ينقلونهُ الى الناقص ايضاً فتؤيدهُ شهادة ابي عُبيدة اللغوي الشهير وقد اورد كلامهُ صاحب المزهر (١ : ٢٢٥) اذ قال :

قال ابو عبيدة : العرب نقلت حروف المضاعف الى الياء . ومنهُ قولهُ تعالى : « وقد خاب من دساها . » وهو من دسستُ . قولهُ : لم يتسنّه من مسنون وقولهم سَرِيّة من تسررْت وتلعيتُ من اللعاعة . » اه

قلتُ : ومثلهُ . التمطّي من التمطُّط . والتقضّي من التقضُّض . والتظنّي من التظنّن . والتلبّي من التلبّب . والمُسبي من المُسبّب . والتصدية في التصدُّد او التصديد . والمُربّى في المُربَّب . وربّيتُ في ربّبتُ (وهذا الباب مشهور في كتب التصريف)

وقد وهم صاحب الالفاظ العربيّة بتسميتهِ هذا البـاب بالترخيم (٢ (ص ٥٠ من

---

١) وهذه هي عبارتهُ : « الترخيم اهمال الاسم الاخير من الكلمـة تفنّنًا في اللفظ كقولهم يا ابا الحكا في يا ابا الحكم . وامثال الترخيم كثيرة في العربيّة . منها قولهم : احتمى في احتمى وتجمّى في تجمّع . . » وقد مرَّ بك في الحاشية (ص ١٠٤) من مقالتنا ان حذف الاخر من الكلمة يسمّى القبض (وفي كتب اللغة يسمّى ايضاً بالقصر) واذا وقع القبض في المنادى يسمّى ترخيماً . والامثلة كثيرة في كلامهم . واغلب الشواهد التي ذكرها المؤلف ليست من قبيل القبض ولا من قبيـل الترخيم بل هو من قبيل الابدال لان المشروط في القبض والترخيم « حذف الحرف فقط » بدون تعويض . فافهمهُ

الطبعة الاولى) اولًا: لان الترخيم «هو حذف آخر الاسم في النــداء خاصَّة» (عن ابن الانباري في كتاب اسرار العربيَّة ص ٩٥) وثانياً: لانهُ بعد أنْ ذكر شاهدًا على الترخيم الحقيقي يعني قولهُ: «يا ابا الحكَا» في: «يا ابَا الحكم» ذكر امثلة ليست من الترخيم بشيء وانما البعض منها من قبيل المضاعف المجهول ناقصاً كتَجَنَّى وقــال انَّ اصلهُ تجمَّع والاصح تجنَّم. وتظَّى وتقَضَّى الخ والبعض الآخر من قبيل جعل الصحيح ناقصاً كقولهِ: احتسى في احتسب وتجنَّى في تجنَّب وشجــا في شجب... الخ مع ان الاصحَّ هو ان الصحيح من اصل ثنائي كما اوردهُ هو ثم زادُوا حرفًا آخر لغاياتٍ مقصودة

هذا فاذا حفظت كل ما اوردناهُ في هذا الباب باب تبادُل المضــاعف والاجوف والناقص الواحد من الاخر ثبت لديك انهُ اذا وُجد بين يديك اجوف بدون مضاعف او ناقص بدون مضاعف عرفت ان المضاعف قد فُقد تدوينهُ او قد تُنوسي العهد بهِ او قد أُميت ويحقُّ للقياس اللُغَويّ ان يدوّنهُ بعد ان يبعثهُ من قبر النسيــان او الإهمال او الموت. وهذه ملاحظة لغويَّة عظيمة يَعرف قدرهــا الرفيع من يبحث عن الأُصول اللسانية ويجمْع شتاتها المتفرقة بين قبائلهم المختلفة

ونشأ المثال الواويّ واليائي في عهد نشوء الصحيح يعني بعد أمدٍ مديدٍ من تجمُّع اصول اللغة الاولى. والظاهر من مقابلة اللغات الاخوات الساميــات بعضها مع بعضٍ ان المثال اليائي اقدم وجودًا من المثال الواوي وذلك لان امثلة هذا الاخير في العبرانيَّة والآراميَّة أندرُ ورودًا من ورود الالفاظ المثاليَّة اليائيَّة ولأنَّ ما كان مثــالًا واويًّا في العربيَّة يقابلهُ في اللغتين السابقتين وفي اللغة السامرية والصابئيّة والحبشية المثــال اليائيُّ فاتَّضح من هذا ان المثال الواويّ العربيّ شاعَ وانتشر في سائر الالفاظ بعد عهد المثال اليائي. ومن الشواهد على ذلك ܝܬܒ (جَلس ويقابلهُ بالحميريَّة وَثَبَ بمعنى جلس) ܝܠܕ وُلِد. ܝܠܠ وَلْوَل ܝܗܒ وَهَبَ. الى آخر الامثلة التي تتفق فيها اللغــات الساميات الاخوات وتفترق عنها اللغة العربيَّة وحدها

ولا شك ان الواو او الياء في المثال الواوي من الزوائد القــارَّة اللهم الَّا في الأَلفاظ التي هي من قبيل المضــاعف والموجود في ثُنائيّها الواو في اصل الوضع من مشابهة الصوت فحينئذٍ تكون كل من الواو والياء اصليَّة. ففي وَلْول مثلًا الواو فيهــا اصليّة وامــا في وعدَ فانها متوجِّهة يعني ان الاصل في اللفظة «ع د» لان الواعد يعدُ

اقسام الوقت لانجاز وعدهِ . ووخطهُ الشيبُ من «خ ط» كانهُ رسم كتابةً بيضاء على حاشية سوداء او كأنَّ الشيب كتب احرفاً سوداء (اي ابقى شعرًا اسود) على قرطاس ابيض (يعني على الراس الذي قد زاد فيهِ الشيب) وهكـذا نقول: وَخمَ من خمْ. ووَخز من خزْ . . . . الخ

واماً اللفيف بقسميهِ فالمفروق منـهُ اقدم من المقرون ويشبه الناقص في تكوُّنهِ . واما المقرون فانهُ اقرب عهدًا وان كان تكوُّنهُ من قبيـل تكوُّن أخيهِ ومن عهدهِ . الّا انهُ بالنسبة الى الاوَّل هو الثـاني وذاك البكرُ عند تصوُّرهِ في داخل الفكر

وكان يجب ان نسكت هنا عن تكوُّن المهموز لأَنهُ لم ينشأ في عهد اللغة الاول كسائر اخوتهِ (ما عدا مهموز الاول فانَّهُ قديم النشأة) بل نشأَ في الطور الثـالث من اطوار اللغة يعني في طور الانضمام والتجمُّع او طور عهد الجاهليَّة يعني في القرن الثامن او السابع قبل المسيح الّا اننا نتعرَّض للكلام عنهُ مناسبةً للمقام ولأَنَّ مقتضى الحال يُوجبهُ . فنقول:

من البديهيّ ان مهموز الفاء نشأ من قديم الزمان لان الالف اذا مـا وُضعت في راس الكلمة اماً من قبيل قلب الاجوف او الناقص بأَن تُقلَبْ الفهما الى الاول واماً من قبيل ان الالف سهلة الانسلال الى بدء الكلمة وانَّهُ لا يمكن ثبوتها الّا بان يُتَلَفَّظ بها اصبحت تلك الالف همزةً لا محالة . وهذا ما لا مشاحَّة فيهِ ولا نزاع . واللغـات الاخوات متَّفقة مع اللغة العربيَّة لتشهد بقدم هذا النوع من المهموز

واماً مهموز العين فهو قليل في اللغة الارميَّة وهو اقلّ منها في اللغة العبرية وهـذا دليل على انَّ المهموز ليس من اصل هاتين اللغتين وانما قد تطرَّق اليهما من اللغة العربيَّة . واماً مهموز اللام فهو أندر وجودًا في الارمية من مهموز العين فيها واغلب ما جاء مهموز اللام في العربيَّة فهو ناقص في الارمية مثل ܩܪܐ (قرأ) ܒܪܐ (بَرَأ) ܣܢܐ (شنأ) . بل اعجب من هذا انهُ لم يُسمع في الارميَّة مجيءُ فعل ثلاثيّ مجرَّد مهموز اللّام وكل ما ورد من هذا القبيل فهو من المزيدات إلّا فعلٌ واحدٌ جاء مجرَّدًا وهو مع ذلك مهموز اللام يعني فعل ܣܢܐ (قَنأ واحمرَّ وتشنَّج وابغض وحقد) وذلك في مراثي ارميا ٥ : ١٠ وهو ولا شك في ذلك منقول عن العرب -لأَنَّ العبريين أنفسهم يعتبرونهُ ناقصاً اذ ان

مهموز اللام لا يوجد في لغتهم البتَّة وعليه فيكون المهموز قد نشأ بين ظهراني قبائل العرب في القرن الثامن او السابع للمسيح ومنهم اتصل بجيرانهم العبريين والارميين. امَّا الصابئيَّة والحبشيَّة والسامريَّة فهنَّ خاليات من مهموز اللّام والعين. فاحفظ ما مرَّ بك تُصِبْ

هذا ما نتوفّق الى العثور عليهِ اذا ما عارضنا اللغات الاخوات الساميَّات بعضها ببعض بعين النقد والاعتبار. وممَّا يدعم هذه الحقيقة ما نقلهُ الينا ائمة العرب المحقّقين من الشواهد العديدة التي دوَّنوها في كُتُبهم ممَّا يدلُّنا على ان مهموز العين كان في الاول اجوف. وكان مهموز اللام في السابق ناقصاً. من ذلك ما اوردناهُ في مادة « ل ط » فقد جاء في مهموز العين: لأَطهُ: امرَهُ بامرٍ فألحَّ عليهِ. وبسهمٍ اصابهُ بهِ. وبالعصا ضربهُ بهِ. وقالوا في الاجوف: لاطَ في الامر: ألحَّ. وفلاناً بعينٍ او بسهمٍ: اصابهُ بهِ. ولاط الانسانَ ضرَبَهُ. فالمعنى الاصلي والفرعي واحد في المرجح

وذكرنا مادة « ل م » فقالوا في اجوفهِ: اللِيم وهو الصلح. وقد بيَّنا ان الصلح ليس الَّا الجمع بين قلوب الاعداء وحملها على الوفاق والسلام . . . ولا جرم ان الثلاثي مفقود ولَّما همزوهُ قالوا: لأَمهُ اصلحهُ. والجرحَ والصدعَ شدَّهُ وجمعهُ. (وهو المعنى المتحصل من مادة ل م) مما يحملنا على الظنّ بان الاجوف الثلاثي كان بهذا المعنى ايضاً وقد فُقد او نُسي تقييدهُ

ولما صاغوا الناقص من هذه المادَّة قالوا: لَمَا الشيء يلمُوهُ: اخذهُ بأجمعهِ. ولما همزوه بعد ذلك قالوا: لمأ الشيءَ: اخذهُ اجمع. فنتج من ذلك وثبت ان الاجوف والناقص هما اللّذان أنتجا مهموز العين واللّام نتاجاً لا يحتمل الريب او التوقُّف في الظنّ وانهما سبقا وجود هذَين الفرعين سبق الاب للولد في التكوُّن والوجود. واذا استقريت جميع موادّ الناقص والاجوف وقابلتها بمعاني موادّ مهموز اللام والعين رأيتها واحدة وحيث لا ذكر لواحدٍ منها يُعتبر منسيًّا او مفقوداً لا غير. وهذا باب آخر يتسع بهِ مجال اللغة وكشف غوامض اسرارها الخفية

وممَّا يزيدنا اثباتاً في هذا الراي المكين الذي لا يقبل الزعزعة قولُ الائمة انفسهم وذلك بصريح العبارة . واول كل شيء ان قريشاً وهي أفصح العرب لساناً لم تكن تعرف النبر أي الهمز وبقيت كذلك الى ظهور الاسلام

فقد جاء «في الحديث: قال رجل للنبيّ صلعم يا نبيء الله. فقال: لا تَنبِرْ باسمي اي لا تهمز. وفي رواية: فقال: إنّا مَعشَرَ قُرَيشٍ لا نَنبِرُ». والنبرُ همز الحرف ولم تكن قُرَيش تهمز في كلامها. ولمّا حجَّ المهديُّ قَدَّمَ الكسائيَّ يُصلّي بالمدينة فَهَمَزَ فانكر اهل المدينة عليهِ وقالوا: تَنبِرُ في مسجد رسول الله صلعم بالقرآن» اه بحرفهِ من اللسان في مادة (نبر)

وهنا محلُّ حكاية وقع فيها سوءُ فهم. فقد جاء في تاج العروس في مادة دفأ ما هذا نقلهُ:

«الادْفاء هو القتل في لغة بعض العرب. وفي الحديث: أُتِيَ بأسيرٍ وهو يُرْعَدُ (من البرد) فقال لقوم: اذهبوا بهِ فأَدْفُوهُ. فذهبوا بهِ فقتلوهُ. فوَداهُ رسول الله صلعم (كما في الصحاح. قال ابن الاثير): اراد الادفاء من الدِّفء. وان يُدفأ بثوبٍ فحسبوهُ بمعنى القتل في لغة اهل اليمن. واراد أَدْفِئوهُ بالهمز. فخفّفهُ (شذوذًا) وتخفيفهُ القياسيُّ ان تجعل الهمزة بين بين لا ان تحذف لانَّ الهمز ليس من لغة قُريش. فامّا القتل فيقال فيهِ أَدفَأْتُ الجريح ودافأْتهُ ودَفَوْتهُ ودَفَيْتُهُ: اذا اجهزتَ عليهِ

وقال صاحب التاج في مادة دأب:

«أَدْأَبَهُ: احوجهُ الى الدؤوب. عن ابن الاعرابي. وانشد:

اذا توافوا آدَبُوا أخاهم

اراد: «أَدْأَبوا» فخفّف لانهُ لم يكن الهمز لغة الراجز وليس ذلك لضرورة شعرٍ لانهُ لو همز لكان الجزء اتم» اه

فقد اتّضح مما سبق تمثيلهُ ان من العرب من كان لا يهمز البتّة. ومنهم من كان على خلاف ذلك اي انهم كانوا يهمزون ما لا يجب همزهُ. وقد نصَّ على ذلك صاحب اللسان في اول حرف الهمزة اذ قال:

ومنها همزة الوقفة في آخر الفعل لغة لبعض دون بعض نحو قولهم للمرأة: «قُولِئْ» وللرجلين «قُولأْ» وللجميع: «قُولُؤْ» واذا وصلوا الكلام لم يهمزوا. ويهمزون «لا» اذا وقفوا عليها. ومنها همزة التوهم كما روى الفرّاء عن بعض العرب انهم يهمزون ما لا همز فيهِ اذا ضارع المهموز. قال: وسمعتُ امراة من غنيّ تقول: «رثأْتُ» زوجي بابيات. كانها لمّا سمعت رثأت اللبن ذهبتْ الى ان مرثية الميت منها. قال: ويقولون «لَبَأْتُ» بالحجّ. و«حَلأْتُ» السويق. فيغلطون. لان حلأْتُ يقال في دفع العطشان من الماء. ولبأْتُ يذهب بها اللبأ. وقالوا استنشأْتُ الريح. والصواب: استنشيتُ ذهبوا بهِ الى قولهم نشأ السحابَ. . . قال ابو العباس احمد بن يحيى فيمن همز ما ليس بمهموز:

وكنتُ ارجّي بئر نعمان حائرًا «فَلَوَّأْ» بالعينين والانفِ حائر

اراد «لَوْى» فهمز كما قال: «كَمُشْتَرِئٍ بالحمد ما لايَضِيرُهُ». قال ابو العباس: هذه لغة من يهمز ما ليس بمهموز... وقال الزجّاج: زعم سيبويه ان من العرب من يخفّف الهمزة ولا يجمع بين الهمزتين وان كانتا من كلمتين. قال: واهل الحجاز لا يحققون واحدةً منهما.... قال ابو زيد: اهل الحجاز وهذيل واهل مكة والمدينة لا ينبرون (اي لا يهمزون). وقف عليها عيسى بن عمر فقال: ما آخذُ من قول تميم الّا بالنبر وهم اصحاب النبر. واهل الحجاز اذا اضطرّوا نبروا. (قال) وقال ابو عمر الهذليّ: قد توضّيتُ فلم يهمز وحوّلها ياء. وكذلك ما اشبه هذا من باب الهمز... قال (ابو زيد) وسمعتُ رجلًا من بني كلب يقول: هذه دَأبّة وهذهِ امرأة شأبّة. فهمز الالف فيهما وذلك انهُ ثقل عليهِ اسكان الحرفين معًا وان كان الحرف الاخر منهما متحركًا» اه كلامهُ بتقديم وتأخير

نعم ان بعض اللغويين كصاحب ادب الكاتب والمزهر واصلاح المنطق اعتبروا خطأً همز ما لم يُنقل عنهم مهموزًا وتركُ همز ما يجب همزُهُ الّا انَّ ذلك قصور منهم لان ما كان لغةً عند قوم لا يُعتبر خطأً كما رايت من كلام صاحب لسان العرب وصاحب المزهر نفسهِ. وهذا القدر كفاية في هذا الباب وان اتصل بنا الكلام الى الاسهاب

ومن بعد ان نشأ المضاعف والناقص والأجوف والمثال واللفيف الّا المهموز (الذي نشأ بعد كثير من الزمن) بدا في الوجود الصحيح الثلاثيّ. وقد أسلفنا الكلام عليهِ بالكفاية. واول حروف زيدت على الاصول الثنائيّة من بعد حروف المدّ يعني حروف العلّة كانت حروف الذلاقة فضلًا عن حروف الزيادة التي لم يزيدوها فقط في الافعال واوزانها ومشتقاتها بل في اصولها ايضًا يعني في صدرها وحشوها وطرفها. فزادت اللغة زيادةً عظيمةً حتى كادت تصبح وبالًا على من يتكلم بها او يحفظها. ودونك الان امثلة الزيادات القارّة من كل حرف من الحروف المذكورة ١ً في الصدر و٢ً في الحشو و٣ً في الطرف مبتدئين بحروف الذلاقة الستة وهي ل ر ن ب ف م

(ل) ١ً لهذَمَ في هَذَمَ. لمسَ في مسَّ. ولقسهُ: عابهُ. وقسَّهُ: آذاهُ بكلامٍ قبيح. ولقِصت نفسهُ كلقست: غثت وخبثت كقزّت بقلب الزاء سينًا

٢ً سلطحَ في سطحَ. سَلحف في سحف لغة في زحف. طلمس الكتاب بمعنى طمسهُ. والثعلب في الثعب وهو مخرج الماء من الحوض وغيرها

٣ً الفعملُ من فَعُم. وخذعَلَ الشيء في خذَعهُ اي قطعهُ. وحدقَلَ اي أدار حدقتهُ في النظر وهو من الحدق. ورعبل اللحم: رعبهُ اي قطعهُ

(ر) ١ً رجسَ الماء: قدَّرهُ بالمرجاس. وجسَّ الشيءْ: مسَّهُ بيده. والاخبارَ تفحَّصها. والمرجع واحد. ورَمَثَ الشيء: مسحهُ بيدهِ. ومثَّ يده: مسحها بشيء. والرُّحامس: الجريءْ الشجاع مشتق من الحماسة

٢ً جَخمَرش في جَخمش وهذه من الجَخش وهو الجفاء. والجحشُ من الجشّ (وموضع جشٌّ: خشن الحجارة). وقِرْطعبة في قطعة. وبرعطَ في بعطَ

٣ً بَختر في بحث. بَعثر في بعث. سَخفر في سحف مُبدل زحف. قَطمرَ في قطع عامية. وشَمخر في شمخ. وفجّ الشيء وفجرهُ

(ن) ١ً نَبذر في بذر. وتَقضَ بمعنى صوَّت كقضَّ. النحرير اصلهُ حرِير وهو ثمات صيغة مبالغة من فعل مزيد وهو حرَّر الكتابَ بمعنى قوَّمهُ وحسَّنهُ

٢ً شَنبَك في شبك. الرَّتر في الرز. الانجاص في الاجاص. الخُرنابتان في الخرَّابتين. الانجانة في الاَجانة. القنشورة كجرنوبة كالقَشور

٣ً قَطمنَ في قطعَ. وما عليهِ قِرطعنة بمعنى ما عليهِ قطعةٌ من ثياب. والعُرَيقصانة كالعُرَيقصاء لنوع من النبات ساقهُ كساق الرازيانج

(ب) ١ً بجَّل من جلَّ. وتَبغنجت المراة: بالغت في التغنُّج والزيادة ظاهرة. وبَزمخَ الرجل: زمخَ اي تكبر. وبَجذعهُ كجذعهُ: قطعهُ

٢ً الحَبرقصة وهي الحرقصة (الناقة الكريمة). وخبرقَ الشيء كخرقَهُ ومثل الاول خربقهُ. ويقال ما عليهِ خَربَصيصة اي شيء من الحليّ والخِرص من الحليّ

٣ً العقرب من العقر (وهو العضّ). وخذعب الشيء خذعهُ اي قطعهُ. وتسعبَبَ الشرابُ في تسعَّبَ: اذا تمطَّط. والدُعبب في الدُعابة

(ف) ١ً الفدوكس مثل الدوكس وهو الاسد. رفَرتكَ الرجلُ: مشى مشية متقاربة. ورَتك البعيرُ: قارب خطوهُ في رَملانهِ. وموْدًى فرتخ كرتخَ

٢ً كنَّ الشيء: سترهُ وغطَّاهُ واخفاهُ. وكفنَ الخبزةَ في المَلّة: واراها بها. وكفتَ الطائر وغيرهُ: اسرع في الطيران والعدو. وكتَّ فلان: قارب الخطو في سرعةٍ

٣ً نشفَ الغدير في نشَّ. وخطرفَ البعير في خطَر (التاج). والخذروف كالخذرة وهو طين يلعب بهِ الصبيان. والخَنطَرف كالخنطير (التاج)

(م) ١ً مخض من خضَّ. وامرخَدَّ: لسترخى وهو من الرُّخودة وهي اللـين

والتعومة. ومَرِج الخاتم قلق ورجَّ الشيء: حرَّكهُ فرجَّ هو اي تحرَّك

٢ حَطْمرَ القوسَ في حطرَها. جَلْمحهُ في جلحهُ. السَّرْمدَ من السَّرْد (التاج في سرد). جلمَطَ راسهُ في جلطهُ. وقَصْمل الشيء قصلهُ اي كسرهُ

٣ خِضْرم (في خُضار علَم للبحر) والجُلْهمة والزُّرق والسُّتهم والشَدْقمُ. والحُلكُم والجِحظم. والسِرطم. والحثلمُ والكَلدم. والصلدِمُ. وفرصمَ الشيء: قطعهُ من فرصهُ. وزيادة الميم في الآخر مشهورة قد صرَّح بها جميع اللغويين على الاتفاق (١

ولمّا استحكمت في انفسهم ملكة زيادة احرف الذلاقة على الالفاظ في اي موطن من مواطن اصولها انتقلوا الى زيادة غير هذه الحروف على الاصول الثنائيَّة حتى تجاوزوا الى التصرُّف بجميع حروف المعجم فتوَّجوا بها الثنائيَّات وحشوها وطرَّفوها او ذيَّلوها بموجب اغراضهم. وكنا نودّ ان نذكر شواهد على هذه الحروف المزيدة كما فعلنا في احرف الذلاقة الَّا انَّ هذا يطول وليس هذا الموطن موطنها غير انهُ ما لا يُدرك جلُّهُ لا يُترك كلهُ بل يُذكر قلُّهُ فدونك بعض الشواهد اثباتاً لراينا هذا. وهو ولا شك رأي حديث لم يتعرَّض لذكرهِ احد من اللغويين السَّابقين من اقدمين ومحدثين يعني على المذهب الذي نذهب اليهِ ونظنهُ ممثلًا للحقيقة وصورةً منقولةً منها بدون ادنى مبالغة. من ذلك:

القُلْبُ كاللبّ اي شحمة النخلة او اجود خوصها. والقَرْقفة. قال في اللسان: القرقفة الرِعدة وقد قرقفهُ البرد ماخوذ من الارقاف كرِّرت القاف في اولها. اه. والزَّحْنقف: الزاحف على استهِ. والقياس من جهة الاشتقاق ان يكون بفائين من زحف (عن القاموس) وقالوا: زلق واصلهُ: زلَّ. فهذه القاف من اثقل الحروف لفظًا زيدت في الاول وفي القلب وفي الذيل فما القول في سائر الحروف التي هي اخفُّ منها على اللسان والاذان. ومن هذا القبيل: الحرقصةُ كالرقص ومغطهُ ومعطهُ كمطَّهُ والخنفس والخنفسةُ والخنفساء والخنفساءة بمعنى واحد. والاصل في كل ذلك «ف س» ومنهُ مادَّة «ف س و» فانظر حرسك الله كيف صار الثنائيّ ثلاثيًا ثم رباعيًا ثم خماسيًا ثم سداسيًا ثم سباعيًا

١) راجع مثلًا ما قالهُ ابن الاثير والازهري وابو حيَّان في زيادة الميم في الآخر (التاج في مادة ج ل ه م)

ثم انظر الى سبب زيادة كلّ حرف جديد على ما تقدّم وتأخر من حرفي أصول هـذه اللفظة فامّ المادة « ف س » متّفقة على هذا المعنى في جميع لغات الدنيا . وزادت العرب الواو وهو من حروف المدّ (يعني حروف العلّة) في موّخر اللفظـة وفي ذلك اشارة لا تخفى على الباحث ولا يُحتاج الى ان ينبّه عليهـا فضلًا عن ان مضاعفها الرباعي وهو « فسفس » لا يخرج عمّا في « فسّ » او « فسو » من المعاني . ثم انظر كيف انهم جعلوا في أنف مادة « ف س » النون اشارة الى اخراج الروح او الريح من مكان محصور وقد اشرنا الى ذلك في صدر هذه المقالة وجميع اللغات تستعمل النون والفاء معًا للدلالة على هذا المؤدّى ومن ذلك في الفرنسيّـة renifler, ronfler, souffle وكذلك في سائر اللغات الارمية والهنديّة الجرمانيّة وقد اثبتوا النون في أنف المادة (وهي ف س) وفي ذلك من دقيق الاشارة ما فيه اذ ان الانف هو العضو الذي يظهر فيه التنفّس ظهورًا أبين ممّا في غيره من الاعضاء . وان بواسطته تدخل الريح والروح المـاديّة الى داخل الجسم واذا خرجت من غير مدخلها فلها مخرج تخرج منـهُ . وفي ذلك من الحكمة في وضع هذه الحروف ما لا يمكن ان يُعبّر عنهُ قلم الواصف . ومن بعـد ان تدرّجوا في المادّة ووصلوا في تاليفها بصورة « نفس » وضعوا في راسها الخـاء . وهي حرف الرخاوة والخفّة والخفاء تلميحًا الى ما في هذا الصوت الطبيعي من مدلولات خواصّ الخـاء وتخصيص هذا الامر بهذه الدويبة اجدر من غيرها . فصارت الكلمة خنفس وهو الدويبة الذكر من هذه الدويبات . ثم زادوا على آخرها الهاء للاشارة الى التأنيث . ولمّا مدّوا الكلمة وقالوا « خُنفساء » ارادوا زيادةً في القدر والكبر في الدويبة . ولما قالوا « خنفساءة » بهاء بعد المدّ ارادوا تخصيص الافراد . فهل بعد هذا التبيين المبين من يقول ان الالفاظ وُضعت بدون تدبُّرٍ وحكمة ولاسيما اللغة العربيّة التي تألفت اصولها على اصواتٍ منشأها محاكاة الطبيعة . فسبحان خالق الأكوان الذي علم الانسان هذا السحر سحر النطق والبيـان وجعل اللسان ترجمان سرائر الفكر والجنان

ومن هذا الوادي قولهم : كبّار وطوّال وطرمّاح للمفرط الطول وسمعنّـة ونظرنّة للكثيرة التسمّع والتنظّر (عن المزهر ١ : ١٥٧) ومنهُ دحدره من حدَره وكذلك جحدره . وفي الاول زادوا دالًا في الصدر وفي الثاني زادوا جيمًا . وخضرب الماء بمعنى ضرب يعني تحرّك . وقالوا : رجل مصمغدّ اي منتفخ من شحمٍ او ورم والمشمغدّ من الجداء الممتلئ

شجماً وكلاهما من مغَدَ بدنُهُ: اذا سمن وامتلأ. ورجل وشجر مُعَجْرد وعجَرْد: عريان وهما من التجريد. وتبعثق الماء من الحوض: اذا انكسرت منهُ ناحيـة فخرج منها وهو من البثق ويحتمل ان يكون من الثعب مقلوباً على حدّ قولهم ادرمجّ من درج: اذا دخل بغير اذنٍ فتكون القاف مزيدة. ومن هذا المورد: ازلغبّ الشعر: اي نبت بعد حلقهِ وهو من الزغب بزيادة اللام. وبلدح: ضرب بنفسهِ الارض وهو مثل بلّد وجاء بمعناهُ بلطحَ وحسبٌ قدموس اي قديم فزادوا السـين واخرجوهُ على فُعلول. وافرنقعوا اي تفرقوا والعين زائدة والنون للالحاق. والدهاريس: الدواهي من دَهرَهم امرٌ اذا نزل بهم مكروهُ. والقرناس: شبهُ الانف يتقدم من الجبل كأنهُ ماخوذ من القرن. والجِلِخطاء: الارض لا شجر فيها كأنهُ من الجلح. والضبارز: المضبّر الخلق الموثق فهو من التضبـير والزاي زائدة. والقلهبس: المسنُّ من حمر الوحش. وجاء القَهْب بمعنى الجمـل المسنّ. والقلهزم: القصير الضخم الراس واللهزمتين كانهُ منحوت من كلمة قصير وكلمة اللهزمة. والخدلس: الناقة الكثيرة اللحم المسترخية. ويقال: امرأة خَدْلة وخدلاء وهي الممتلئـة اعضاؤها لحماً في دقّة عظام. وجاء الخَنداس بحاء مهملة وهو ابدال او تصحيف

ومن هذا الباب تكثير الحروف بتكريرها واكثر مـا يقع ذلك في ذيل الكلم كأتانٍ قَيْدود من القَوْد. ورماد رِمْدِد ورِمْديد. والظنبوب من الظنب. والعرْندد من العرد. والرِعْديد من الرعد. والرعشيش من الرعش. والشُعرور من الشعر. والحرجوج من الحرَج. واقعَنْسس من القعس

وقد تقع هذه الزيادة في صدر الكلم وقلبها من ذلك: جمل قِهقَبٌ من القهب. ومثلهُ القهقمّ وهو ابدال. وعجوز شَمَشْليق او شفشليق وهو مبالغة لقولهم شملق اي كبيرة ويقال ايضاً شلمق وهذا قلب ذاك او بالعكس. والقِرْقس هو القرس اي صغار البعوض. ودَرْدب بالشيء من دَرِب بهِ. ودهدمهُ من هدمهُ. وما في السماء طحر اي لطخ من سحاب ومثلهُ بل اذا بالغوا قالوا طِحْمرة وطِحْمير وطُخرورة فاذا ارادوا نهاية المبالغـة قالوا ما فيها طَخمَريرة. (راجع في هذا الباب وهذا المعنى ما كتبهُ الشيخ محمود شكري افندي الالوسي في المشرق ١: ١٠٢٥ و١٠٢٦)

ولقد تغلغل بنا الكلام الى حيث لم يدُرْ في خلدنا. ألّا انّنا نسرع بايصاد البـاب موقتاً ولو اننا لم نتعرّض الّا الى شيء نزرٍ منهُ موْجلين هذا البحث الى فرصة أُخرى فيهِ

نذكر: ١ً خصائص الموازين العربيَّة وكيفيَّة نشوئها ٢ً خصائص الصيغ اللغوية ٣ً خصائص الحروف العربيَّة ٤ً خصائص اللغة العربية نفسها ٥ً الحركات المفقودة ٦ً الحروف الضائعة ٧ً منقرضات اللغة التي لم تصل الينا من كلام ومبانٍ ومعانٍ وعند ختام هذه الاقسام السبعة العظام يفرغ الكلام عن مجمل نواشئ هذا العهد الذي هو ايضاً عهد الانتظام وعليك السلام

كتابات شرقيَّة جديدة

مكتوبة على البَرْديّ ومكتشفة في مصر

للاب سبستيان رنزڤال اليسوعي مدرّس الآثار الكتابيَّة في المكتب الشرقي (تتمَّة)

صدَّرنا مقالتنا السابقة عن الكتابات الاراميَّة الجديدة المكتشفة في مصر بوصف الحفريَّات التي اجراها الفرنسويُّون والالمان في جزيرة اسوان واكتفينا بترجمة واحدة من الكتابات الثلاث التي نشرها الدكتور ساخو وهي اكبرها ثمَّ الحقناها ببعض الملحوظات في تاريخ مستعمرة اليفانتين اليهوديَّة وفي هيكل الربّ (يهو יהו) وتعريف عبارة « اله السماء » الموصوف بها اله اسرائيل في تلك الكتابة . وقد بقي علينا بعض الشروح التاريخيَّة على تلك الكتابة الخطيرة مع تعريف الكتابة الثالثة مُضربين عن الثانية لانها كما قلنا نسخة الاولى وصورتها

على انَّ في وجود هذه النسخة الثانية لَأمرًا يستدعي الالتفات فانهُ يؤخذ من بقائها انَّ الكهنة اليهود في جزيرة اسوان اصطنعوا من هذه العريضة ثلاث نسخ على الاقل: الاولى ضائعة وهي النسخة المرسلة الى الحاكم الفارسيّ الذي كان يحكم على اليهود ولنا دليل على وجودها في الكتابة الثالثة التي نعرّبها آنفاً وهي تتضمن جواب الحاكم «بجوهي» امَّا النسختان الأُخريان فهما اللتان استخرجها الالمان في حفريَّات الجزيرة كما سبق

ومن غريب امر هاتين النسختين المكتشفتين انَّ بينهما بعض اختلاف لا يمكن نسبتهُ الى النسَّاخ فقط . والغالب على ظننا انَّ الواحدة منهما هي المسوَّدة التي اصطنعها اصحاب العريضة فنسخها النسَّاخ بعد تحوير بعض الفاظها وأُرسلت الى الحاكم .

فأبقوا تلك المسوَّدة مع نسخة ثانية من العريضة بعد اصلاحها . ولكن أيَّة الكتابتين الباقيتين هي الصحيحة وايتهما المسوَّدة فالامر مشتبه لا يمكننا الجزم بهِ حالًا ولاسيَّما انَّ الواحدة منهما ناقصة سقط منها قسمٌ وانَّ الفرق بين الاصل الصحيح والمسوَّدة يكون زهيدًا لاسيما اذا كان الكتَّاب حاذقين بالعمل متقنين للكتابة تكاد مسوَّداتهم تشبه المبيَّضات (١

ومهما كان من الامر يُستفاد من وجود هذه النُسخ الثلاث انَّ كهنة اليهود في جزيرة اسوان كانوا حريصين على حفظ صور العرائض التي يكتبونها كما ينبئنا الامر بحرصهم على حفظ نُسخ الاسفار المقدَّسة التي كانت تصان في السجلَّات الكهنوتيَّة ليس فقط في الزمان الذي نبحث عنهُ ولكن في الاجيال السابقة ايضًا . نعم انَّ الكتبة لم يخلفوا لنا نسخًا من الكتاب الكريم يمكن ان ندعوها بمسوَّدات وانَّما يلوح من مثل هذه الاكتشافات الحديثة سهولة وقوع بعض روايات مختلفة في النُسخ كالروايات الموجودة مثلًا في الترجمة السبعينيَّة اليونانيَّة الراقية نُسخها الى قرون النصرانيَّة الاولى وفي النُسخ العبرانيَّة المعروفة بالمشوريَّة التي لا يتجاوز القرن التاسع او العاشر للمسيح . الَّا انَّ تلك الروايات عرضيَّة لا تمسُّ المعنى الجوهريَّ في شيء . كما لا تمسُّهُ النسختان الآراميَّتان المكتشفتان حديثًا والراقيتان الى القرن الخامس قبل المسيح . وهذا ممَّا يقوي آمالنا في اكتشاف نسخة من التوراة او قسم منها فتتَّضح لنا بذلك عناية الله الصمدانيَّة بحفظ الكتب المقدَّسة دون خللٍ جوهريّ يفسد نصَّها

وقد مهَّد لنا اكتشاف هذه الآثار البرديَّة سبيلًا الى امل آخر وهو وجود بقايا او اساس الهيكل الذي ابتناهُ اليهود في جزيرة اسوان . وفي متن الكتابة التي نشرناها انَّ الهيكل المذكور تشيَّد في عهد الفراعنة وبقي الى السنة ١٤ من ملك داريوس (٢ وانهُ كان مزدانًا بالعمد يغطيهِ سقف من خشب الارز المجلوب من لبنان بلا شك وانَّ

---

١) ومما كان يمكنهُ ان يساعدنا على حلّ المشكل رسمُ هذه الكتابة الثانية بالفوتوغراف للمقابلة بين خطها وخطّ النسخة الاولى فنعلم أهما لكاتبٍ واحد او لاثنين لكنَّ المسيو ساخو لم يثبت غير رسم الاولى فقط

٢) يريد داريوس الثاني الملقَّب نوثوس الآتي ذكرهُ المالك من سنة ٤٢٤ الى ٤٠٥ قبل المسيح

لهُ سبعة ابواب (١ بعضاريع حجريّة محكمة النحت ورزّات من نحاس وانّ ويدرنج وكهنة الاله خنوم اخربوا كلّ ذلك في السنة المزبورة. لكنّ الكتابة عينها تفيدنا بانّ رسوم الهيكل لم تُمسّ بأذى اذ لا تصرّح بأنّ القوم العُداة اقتلعوا تلك الاساس. ولعلّ اليهود جدّدوا بناء هذا الهيكل كما سترى من الكتابة الثالثة قريباً . ومن البديهي ان تجديدهُ لم يكن على غير اساسهِ ورسمهِ القديم . نعم ان هذا الهيكل الثاني قد هُدم ايضاً او خرب بفعل الزمان لكنّ الارجح انّ اساسهُ باقية يمكن الوقوف عليها اذا ما واصل اصحاب الحفريّات شغلهم الى عمقها ولا نظن انّ اعداء اليهود الوثنيين او اهل الجزيرة بكرور الأيّام اقتلعوا تلك الحجارة الاساسيّة لأبنيتهم الخاصّة . وان قال قائل وما ادرانا ان تلك الاساس كانت حجارةً وليس آجرّاً أجبنا انّنا نقضي بالامر ترجيحاً لأنّ اهل مصر كانوا يشيدون عادةً هياكلهم بالحجارة ويبنون دورهم الخاصّة وقصور ملوكهم نفسها بالآجرّ

فيا حبّذا لو وجد رسم هيكل جزيرة اليفانتين فانّهُ اذ تشيّد في عهد ملوك مصر فلا بُدّ ان يكون رسمهُ على رسم هيكل سليمان وبذلك يُحلّ مشكلٌ عظيم قد توفّرت فيها المقالات والتآليف وكثر فيهِ القال والقيل ألا وهو رسم هيكل الاورشليميّ الاوّل الذي سعى العلماء بتصويرهِ مستندين الى نصّ الاسفار المقدّسة فتعدّدت فيهِ الآراء على عدد الكتبة وذهب كل واحد الى مذهبهِ في ذلك

منذ ثلاث سنوات ارتأى العلّامة پتري (Fl. Petrie) انهُ اكتشف في الحفريّات التي تولّاها في تلّ اليهوديّة قريباً من مصر بقايا الهيكل الذي ابتناهُ اليهود هناك برخصة الملك بطلميوس المعروف بفيلوميطور اي محبّ امّهِ وتحت نظارة كبير الاحبار اونيا . فصرف المسيو پتري همّتهُ استناداً الى تلك الآثار ليمثّل رسم ذلك الهيكل زاعماً بانهُ صورة مصغّرة لكنّها شبيهة كل الشبه لهيكل اورشليم الثاني الذي بناهُ اليهود بعد جلاء بابل . فكان لهذا النبإ صدى استحسان في عالم العلم لولا انّ البعض منهم لم يقبلوا برأي المسيو پتري وظنّوا رسمهُ خياليّاً وهميّاً . فان كان لهذا الامر شأنٌ هذا قدرهُ

١) ليس المقصود من هذا الكلام الدلالة على ان الهيكل لم يكن لهُ الّا سبعة ابواب فقط وانما المراد بهِ ان ويدرنج واصحابهُ حطّموا هذه الابواب السبعة الكبيرة ليقتلعوا رزّاتها وينهبوها مع ما نهبوا من الانية المقدّسة وغيرها . امّا الباقي الذي لم يمكنهم سلبهُ فاحرقوهُ بالنار

فيا ليت شعري ماذا ينالهم من الفرح والابتهاج اذا ما أُتيح لأهل البحث ان يكتشفوا رسم هيكل اليفانتين الذي كان بلا شكّ صورةً لهيكل اورشليم الاوَّل وبناء سليمان

ولا نظنّ انهُ فات قرَّاءنا امرٌ ورد في الكتابة الآرامية التي نشرنا ترجمتها وهو انَّ يهود جزيرة اسوان كانوا في حالة من الغنى كافية لأَن يستجلبوا من لبنان الارز اللازم لهيكلهم (١. ومما يثبت ايضاً ثروتهم انّ الهيكل المذكور كان مجهَّزًا بآنية من الذهب والفضة. ولنا دليل آخر على حسن احوال هذه المستعمرة اليهوديَّة في اليفانتين حرصها على صيانة سجلاتها. فان لم تكن لها هناك السيطرة فلا يُنكَر على الاقل أنها كانت في مقام وجيه. ولولا رتبتها الممتازة لما امكنها ان ترفع دعواها الى حاكم الفرس وتتظلَّم اليهِ من جور كهنة الاله خنوم ومدير المدينة ويدرنج

ومن الابحاث التي يتداول فيها العلماء عن مستعمرة اليهود في اليفانتين أَكانوا هناك بصفة فرقة عسكريَّة ليدافعوا عن تلك الاماكن أم لا. انهُ لمن المقرَّر انَّ ملوك الفرس كانوا اقاموا او رمَّموا حصني اسوان واليفانتين ليردُّوا غارات النوبة والحبش عن وادي النيل. ومن الآثار الحديثة المؤيدة لذلك نصبٌ وجد سنة ١٩٠٣ في اسوان اقامهُ احد ضبَّاط الفرس وهو اليوم في متحف القاهرة. فعلى هذا النصب المتحطّم كتابة آراميَّة (٢ نشرها العلّامة دي ڤوكوي (de Vogüé) مضمونها تقدمة لأَحد الالهة الذي تلف اسمهُ. امَّا صاحب التقدمة فيلقب نفسهُ بامير العسكر (רב חילא) في حصن اسوان كما سبق لنا في وصف نفين بن ويدرنج. وهذا النصب اقدم من كتابتنا البرديَّة بنحو خمسين سنة تاريخهُ السنة السابعة لارتحششتا الاوَّل الذي ملك من سنة ٤٦٥ الى ٤٢٥ قبل المسيح

وقد اثبتنا السنة الماضية في كلامنا عن المدارج الآراميَّة المنسوبة الى موند (المشرق ١٠: ٦٧٢ —٦٨٣) انَّ اليهود الذين ورد عنهم الكلام في تلك الكتابات أُلحِقوا

---

١) وفي اتخاذهم للارز في تشييد هيكلهم دليلٌ آخر على انهم ارادوا ان يمثّلوا في ابتناء معبدهم هيكل سليمان الذي كثر فيهِ خشب الارز كما يفيدنا سفر الملوك الثالث واخبار الايَّام الثاني

٢) اطلب تاريخ هذا الاكتشاف وما كُتب فيه في الكتاب المنون (Répertoire d'épigraphie sémitique, I, n° 438)

بفرقة عسكريَّة (ص ٦٧٩) من حصن «يب» فمن البديهيّ أن يُقال انَّ يهود جزيرة اليفانتين كانوا بصفة مستعمرة عسكريّة. وليس الامر بمستبعد لاسيما اذا تذكّرتَ ما قلناهُ سابقًا عن اصل هؤلاء اليهود وسبب قدومهم الى اليفانتين. على اننا لا نظنّ أن هولاء المستعمرين ثبتوا على خطّةٍ لم يألفوها سابقًا وهم احرار لم يقدموا الى مصر الّا بصفة أُجراء فقط. وممّا يدلُّ على انهم أَلفوا مستعمرةً مدنيَّة او انَّهم عادوا الى عيشتهم البيتيَّة بعد مدَّة وجيزة كونُهم شيَّدوا لهم هيكلًا فخيمًا ذا سقف من خشب الارز يقوم بخدمتهِ كهنةٌ عديدون ولهُ الارزاق الدارَّة. وعلى كل حال كما قال المسيو كلرمون غانو لا يلزم كون احدٍ منوطًا بفرقة عسكريَّة ان يكون هو ايضًا جنديًا وغاية ما يُستفاد من هذا القول انَّ الدواوين هي عسكريَّة وانَّ الامر لها لا لغيرها كما يجري عادةً في البلاد التي تُفتح عنوةً فتكون ادارتها وقتيَّةً وفي ايدي الاجانب معًا. وزد على ذلك انهُ حتى اليوم لم يأتِ في الكتابات البرديَّة المكتشفة ذكرٌ لاحد اليهود المتجندين لا بصفة جنديّ ولا بصفة ضابط. واغرب من ذلك انهُ يُقال عن احدى نساء يهود اليفانتين انَّها منوطةٌ بفرقة حصن «يب» أفيقال انَّها كانت من الجند ؟. فنوافق اذن المسيو كلرمون غانو في رأيهِ (RAO, VIII. p. 135-136) حيث يقول بان يهود اليفانتين لم يكونوا بصفة فرقة عسكريَّة على الاقلّ في القرن الخامس قبل المسيح او في اواخرهِ وعنهُ الان كلامنا

وقد بقي علينا قبل وصفنا للكتابة الثالثة ان نذكر اسماء الاعلام الواردة في كتابتنا الاولى. وهو امر ذو شأن يفيد الاسفار المقدَّسة والتاريخ معًا كما سترى

قلنا انَّ داريوس المذكور في هذه الكتابة هو داريوس الثاني المعروف بداريوس نوثوس الذي تولى الامر من السنة ٤٢٤ الى ٤٠٥ ق م وذلك ممَّا يلوح من معارضة هذه الكتابة بالكتابة التي نشرها الدكتور اوتنغ حيث وردت عدَّة احداث مجانسة لاحداث كتابتنا. لا بل جاء في الكتابتين ذكر الامور نفسها كناواة ويدرنج لليهود (في سنة ١٤ لداريوس) بعد سفر ارشم حاكم الفرس وقتيئذٍ. ومن جهة أُخرى قد اثبت المسيو اوتنغ انَّ داريوس هذا ليس هو داريوس الاوَّل كما انَّ المسيو كلرمون غانو في كلامهِ عن كتابة اوتنغ بيَّن نقلًا عن المؤرخ كتيزياس ان مرزبان مصر الذي حالف داريوس الثاني بين كليهما وكان يُدعى اركسانيس (Ἀρξάνης) وهو اسم مصحَّف بدلًا من

اركساميس (Ἀρξάμης) او ارساميس Ἀρσάμης والمراد بهِ أرشم الذي ورد في كتاباتنا الآراميَّة

واعلم انَّ الكتابة التي نحن في صددها قد كُتبت السنة السابعة عشرة لداريوس اعني سنة ٤٠٨–٤٠٧ ق م. وانَّ هيكل الرب في مصر هُدم على يد ويدرنج والمصريين ثلاث سنوات قبل ذلك اعني سنة ٤١١ — ٤١٠ وبعد سفر اورشليم

ثمَّ انَّ هذه الكتابة موجَّهة الى «بجوهي» حاكم يهوذا الفارسيّ امَّا حاكم السامرة الفارسيّ فكان وقتئذٍ سنابلط (في السطر ٢٩). وكان رئيس الكهنة في اورشليم في عهدهما يهوحنّان (السطر ١٨). وكلّ هذه الاعلام مذكورة في التاريخ او في الاسفار المقدَّسة. فقد افادنا يوسيفوس في العاديَّات اليهوديَّة (Ant. Jud., X. 7) انَّ احكام الفرس على بلاد اليهوديَّة في ايَّام رئيس الكهنوت يوحنَّا (Ἰωάννης) كان يُدعى باغواس (Βαγώας)(١ ويوحنَّــا المذكور على هذه الصورة اليونانيَّة هو نفس «يوحنان» او «يهوحنان» كما روي في كتاباتنا. امَّا اسم الحاكم فلا احد يشكّ في كونهِ «بجوهي» عينهُ المذكور في كتابتنا الَّا ان يوسيفوس يجعلهُ احد قوَّاد ارتحشمتا ويُطلق هذا الاسم على ملكين من ملوك الفرس يمتنا امرهما: ارتحششتــا الاوَّل الملقَّب بطويل اليد كان قبل داريوس الثاني من السنة ٤٦٤ الى ٤٢٤ ق م وارتحششتــا الثاني المسمَّى منامون (Mnémon) خلف داريوس من السنــة ٤٠٤ الى ٣٥٨. ولا بدَّ من القول بانَّ «بجوهي» كان عاملًا لداريوس الثاني ولارتحششتا الثاني ليس الاوَّل. ويؤيد ذلك قول يوسيفوس الذي روى (في بعض النسخ) بانَّ بجوهي كان مرزبانًا في عهد ارتحششتا الثاني

واعلم انَّ اسم «بجوهي» قد ورد مرارًا في سفري عزرا ونحميا على صورة «بجواي» (בגוי) وهكذا ضبط اسمهُ الرَّبانيون المعروفون بالمشوريين. امَّا الترجمة اليونانيَّة السبعينيَّة فانَّها اثبتت اسمهُ على صورة اقرب من الاسم المذكور في كتابتنا «بجوهي» — בגוהי) Bagoas اعني Βαγοι اوΒαγουαι وفي الترجمة اللاتينيَّة Begoai. هــذا ولا ندَّعي بان المسمَّى بهذا الاسم في التوراة هو نفس الحاكم المذكور فى كتابتنــا لا بل نرّجح انهُ

١) ويروى ايضًا باجوسيس (Βαγώσης) والاسم واحد كما لا يخفى

ليس بهِ لانَّ «بجواي» المدوَّن اسمهُ في التوراة (نحميا٧: ١٩) هو احد شيوخ العشائر الذين عادوا من جلاء بابل الى اورشليم مع نحميا (١

أمّا اسم سناباط او سنبلّط فهو ايضاً من اعلام الاسفار المقدَّسة ذكر نحميا في سفرهِ (٢: ١٠ و١٩) رجلًا بهذا الاسم كأحد اعدائهِ الالدَّاء الذين تصدَّوا لهُ في ترميم اسوار اورشليم فلم يفلحوا . ولعلَّ القارئ يسألنا أسنبلّط المذكور في كتابتنا الآراميّة هو سنبلّط المعادي لنحميا . نقول ان الامر ممكن تاريخيًا لانَّ ترميم اسوار اورشليم نجز سنة ٤٣٣ ق م وتاريخ كتابتنا في السنة ٤٠٨—٤٠٧ . ولعلَّهُ كان ايضاً حيًّا في هذه السنة لانَّ كتابتنا موجَّهة كعريضة الى ولديه شلميه ودليه (ص ٥٧) وليس شيء يدلُّ على وفاة والدهما المنعوت بحاكم السامرة . وكذلك التوراة تجعل سنابلط سامريًّا ومن اعيان السامرة . أمّا اسمهُ فهو بابليٌّ محض وبهِ عُرف كرزبان ملوك الفرس . أمّا ولداهُ فاسمهما عبرانيٌّ (٢

ويُستفاد ايضاً من هذه الاعلام انَّ اليهود في ايَّام جلائهم كانوا اتَّخذوا لابنائهم اسماء اعجميّة استعاروها من البلاد التي جُلوا اليها كما رأيت في اسم بجوي الفارسي . وكان معظمهم يتخذون اسمين اسماً عبرانيًّا واسماً اجنبيًّا كما ترى في كتابتنا الآراميّة التي ورد فيها (اطلب السطرين ١٨ و١٩) اسمان لاحد اليهود من سبط الكهنة وهو اخو يهوحنَّان رئيس كهنة اورشليم فانهُ يُدعى باسم اوستان الفارسي وباسم عَنَني العبراني ولعلَّ كثيرين من اليهود فعلوا ذلك مراعاةً للاحوال وتقرُّبًا الى الاجانب ليحظوا في

١) ولا شكَّ في ان باغواس المذكور في تاريخ يوسيفوس كحاكم يهوذا كان فارسيَّ الاصل والدين والدليل عليهِ انهُ اضطهد اليهود مدَّة سبع سنين واثقل اعناقهم بالضرائب لاجل اثمٍ ارتكبهُ رئيس الكهنة يوحنان المذكور آنفًا وكان قتل اخاه .

٢) ولعلَّ احدًا يعترض قائلًا ان كان سنابلط حاكم السامرة وهو هو عدوّ نحميا وبني اسرائيل رفقتهِ فكيف استطاع يهود اليفانتين ان يرسلوا بكتاب الى ولدي احد اعدائهم المبغضين لهم ليوقفوهما على حالتهم الدينيَّة في مصر ويطلبوا منهما ان ينالا لهم الرخصة بترميم هيكلهم هناك . فالجواب عندي انَّ العداوة التي كانت في قلوب السمرة في عهد نحميا كانت خفَّت في تاريخ كتابتنا سنة ٤٠٧—٤٠٨ . وتوجيه هذه الكتابة الى ولدي سنابلط ممَّا يؤيّد صحَّة الكتاب الكريم لانَّ الولدين كانا كما يظهر من اسمهما يهوديين بخلاف ابيهما الذي كان مال الى عادات السَّمرة

اعينهم او ينالوا عندهم المناصب واعلم ان اخا يهوحنَّان المذكور لم يُعرف سابقًا. وانَّما عُرف اخواهُ يشوع ومنسَّا (اطلب سفر نحميا ف ١٢ و١٣ وتاريخ يوسيفوس) فيشوع قتلهُ يهوحنَّان لأنَّ بجوهي الحاكم كان يريد ان يقيمهُ على رئاسة الكهنوت بدلًا منهُ امَّا منسَّا فصار صهرًا لسنابلط (١

فمن الملحوظات السابقة ترى ما لهذه الكتابة الآراميَّة التي نشرنا ترجمتها من الخطر العظيم. وهذه الكتابة عينها تستدعي ملحوظات أُخرى لغويَّة لا يسعنا الآن ذكرها فنورد ترجمة الكتابة الثالثة وهي تتضمَّن جواب بجوهي لطلبة يهود اليفانتين

تعريب الكتابة الآرامية الثالثة

[١] ذكر ما قال لي بجوهي ودليه:
[٢] انهُ يكون لك في مصر كلمة خبر [٣] امام ارشم على مذبح اله [٤] السماء الكائن في «يب» الحصن المبنيّ [٥] من قديم قبل كنبوزي [٦] والذي اهبطهُ ويدرنج ذلك الكلب [٧] في سنة ١٤ لداريوس الملك [٨] ليُبتنى في مكانهِ كما كان قبلًا [٩] والتقادم من القوت والبخور ستقدَّم على [١٠] ذلك المذبح كمثل ما كانت قبلًا [١١] تُقَدَّم

هذا هو الاثر الثالث المكتوب على البرديّ فانهُ مع قصرهِ غاية في الشان من حيث التاريخ وعلم الآثار. وفيهِ ترى صورة موجزة لما جرى في ترميم هيكل اورشليم الذي اخربهُ نبوكدنصَّر فامر ملوك الفرس بتجديدهِ

ثمَّ تتضمَّن هذا الكتابة جوابًا شفاهيًّا اعطاه بجوهي حاكم الفرس على يهوذا مع دليه احد ابني سنابلط مرزبان السامرة للساعي الذي ارسلهُ يهود اليفانتين ووكلوا اليهِ بان ينقل الى فلسطين الرسالة الاولى التي نشرناها مع الرسالة التي اخبروا بانفاذها الى السامرة. والساعي المذكور لم يوقع اسمهُ تحت الكتابة فلا نعرف شيئًا من احوالهِ. لكنَّ

---

١) ومن هذا يُستدلّ ما قلناهُ في الحاشية السابقة عن خمود البغض بين سنابلط ويهود سبط يهوذا بعد نحميا . والمسيو ساخو (ص ٣٢) ينسب ما يقولهُ يوسيفوس في هذا الصدد الى منطوق آية سفر نحميا (١٣ : ٢٨) حيث ورد قولهُ : « وكان واحد من بني يوياداع بن الياشيب الكاهن صهرًا لسنبلّط الحوروني » لكنَّ هذه الاية لا تنطبق مع ما ورد في الفصل ١٢ ع ١٠ — ١١ و٢٢ الَّا بأن يقال انّ المقصود هنا بلفظة « الولد » ابن الولد

الجواب واضح يوافق كلّ ما كان يطلبهُ اليهود في الرسالة الاولى ولعلَّهُ كتب الجواب كما املاهُ عليهِ اصحاب الامر. وكان ينبغي على البريد ان يقدّم هذه الرسالة لارشم مرزبان مصر ومن المحتمل انَّ ارشم كان رجع الى مركزهِ في اثناء هذه المخابرات. وما لا شك فيه انَّ بجوهي ودليه يوجّهان بجوابهما ليس الى اليهود ولكن الى الحاكم الذي كان وحدهُ يستطيع ان يأمر ببناء الهيكل

وقد أُودعت هذه الرسالة كبقيَّة الرسائل في سجلّات الكهنة في مستعمرة اليفانتين وهي تؤيد آمالنا بوجود آثار هيكل الربّ في تلك الجزيرة. وكما انَّ نصّ هذه الكتابة يأمر بتجديد الهيكل في مكان الهيكل المهدوم الذي قدَّمنا بانهُ كان على شكل هيكل سليمان فنستطيع ان نعقد الرجاء في وجود رسم هيكل سليمان نفسهِ اذا واصل العلماء حفرهم في جزيرة اسوان

ويسرُّنا في الختام ان نبشر القرَّاء بان العلامة كلرمون غانو قد استأنف الحفريّات في شهر كانون الاوَّل الاخير. ونتمنى ان تُطلعنا المجلّات العلميَّة قريباً على نتيجة اتعابهِ (١

لمحة

في حوادث العام المنصرم

نظر للاب لويس رنزفال اليسوعي (تتمة)

وان تخطَّينا الآن الى ذكر الاحداث التي جرت في سائر الدول مباشرةً بدول اوربَّة فاوَّل ما ينبغي علينا ايرادهُ كمقدَّمة لتلك الماجريَّات موتمر لاهاي الدوليّ الذي سعى جهدهُ في توثيق عُرى السلم والوفاق بين الممالك والشعوب . وكان هذا الموتمر جامعاً وكلاء ٤٧ دولة وقد طُرحت على مندوبيهِ اهمُّ الابحاث وأخطر المسائل كاقامة لجنة تحكيم في المنازعات الدوليَّة وتعيين شروط الحرب برًّا وبحرًا وتعريف حقوق الدول في البحار وامور اخرى ذات بال كوضع حدود للتسليحات ونفي بعض القذائف الضارَّة

(١) ونظنّ ان المسيو روبنسوهن عاد ايضاً الى عملهِ كما اخبرنا احد طلبة مكتبنا الشرقي الذي رأى في اليفانتين موخرًا (ورشتين) الواحدة في جوار الاخرى

وغير ذلك فكل هذه المباحث الخطيرة وغيرها لمَّا تبثُّ روح السلم وتحصر ويلات الحروب الَّا انَّ دون تقييد الدول نفوسهم بقوانين تلك الاجتماعات السلميَّة خَرْطَ القتاد. فبقيت تلك المباحث غالباً دون حلٍ نهائيّ الَّا انَّ نيّات هذا المؤتمر الصالحة قد أثرت في المجتمعات الأُمميَّة ومهَّدت السُّبل للتوافق والوئام حقَّق الله تلك الامانيّ واطفأ في القلوب جُذى كلّ خصام وعداء.

١ اوربَّة

نذكر حوادث الدول الاوربيَّة دولةً دولةً على ترتيب معجم اسمائها:

﴿ اسبانية ﴾ تجري هذه الدولة على طريقة التقدُّم والعمران في كل امورها بهمَّة ملكها الشاب ذي النشاط العجيب المتزّين بالمبادي المسيحيَّة القوية. وقد جاءت حوادث مراكش منبئة لاسبانية بما هي عليهِ من الحاجة الى اسطول بحريّ منظَّم وجيش قويّ المراس. نعم ان الاسبان اتَّفقوا مع الفرنساويين في فتح البيضاء في ٥ آب أخذًا بناصر مواطنيهم المقتولين. غير انَّ قوَّاتهم البحريَّة والبرّيَّة الحاضرة لا تفي بحاجات مواطنيهم ولذلك قد أُلقيت مسألة عمارة الاسطول وتجديد العُدَد الحربيَّة على بحث الندوة غير مرَّة فكثر فيها الجدال حتَّى فاز وزير الحرب برغائبه وطلب من معامل فرنسة تجهيز مدافع واسلحة من احدث طروزها الممتازة. وممَّا زاد اسبانية هذه السنة ترقياً امران عظيمان الاوَّل فوز المحافظين وتشكيل وزارة المسيو مورا التي اصابت ثقة الملك والاهلين. وقد تمَّ ذلك في ٢٢ نيسان عقيب افراح أُخرى كانت سبقت الامر بثلاثة ايَّام نريد مولد امير لستوريا وليّ عهد ملك اسبانية. فدُقَّت لذلك البشائر وأُعلن بهِ رسمياً الى جميع الدول — والامر الثاني تقرُّب اسبانية من انكلترة على اثر زواج الملك الفنس باميرة انكليزيَّة بينها وبين الملك ادوار السابع وشيجة رحم. وفي ٨ نيسان من السنة التقى الملكان في مدينة قرطاجنة. ومع انَّ ذلك الاجتماع كان ودادياً شخصياً قد نتج منهُ نتائج صالحة لاسبانية خصوصاً في مسألة مراكش — وقد ردَّ مؤخرًا الملك الفونس وقرينتهُ الزيارة لملك الانكليز فصار لهما استقبال فخيم ليس فقط في انكلترة ولكن في فرنسة ايضاً حيث كان مرورها في عاصمتها. ومنها سارا الى زيارة معبد لورد الشهير بعجائبه فكانا بتقاهما وعبادتهما احسن قدوةٍ لمن وقف على فعلهما. ولاسيما الملكة

التي بعد رجوعها عن الدين البروتستانيّ اصبحت مثالًا حيًّا لكل الاعمال الصالحة

ومما لا يسعنا ضرب الصفح عنهُ الحركة العلميَّة التي تشغل العقول في جهات القطر الاسباني نخصُّ بالذكر مدارسها العليا التي تُدرَّس فيها اللغات الشرقيَّة كجريط وبرشلونة وغرناطة فلا غرو انَّ هذه النهضة ستأتينا عمّا قليل بأثمار شهيَّة من نشر المخطوطات القديمة وغيرها . وكذلك الرياضيَّات والعلوم الفلكيَّة فانَّها في تقدُّم متواصل وقد انشأ الاباء اليسوعيون في طرطوشة مرصدًا فلكيًّا احرز لهُ منذ اوَّل عهدهِ شهرة واسعة

﴿ اسوج ﴾ أُصيبت اسوج بفاجعة مؤلمة نريد وفاة ملكها اوسكار الثاني المتوفى في اواسط كانون الاوَّل . وهو رابع ملوك اسوج من ذرّيَّة برنادوت احد قوَّاد نابوليون الاوَّل الذي تولى الامر على تلك البلاد باسم كرلوس الرابع عشر (١٨١٨ — ١٨٤٤) فخلفهُ ابنهُ اوسكار الاول (١٨٤٤—١٨٥٩) ثم ابن اوسكار كرلوس الخامس عشر (١٨٥٩ — ١٨٧٢) ثمَّ اوسكار الثاني اخو كرلوس المذكور وابن اوسكار الاوَّل (١٨٧٢ — ١٩٠٧) فملك ٣٥ سنة فامتاز بسياستهِ وحكمتهِ وحسن اخلاقهِ وكان مع ذلك محبًّا للاداب متضلّعًا بالعلوم مُغرىً بكل الفنون الجميلة . ومن آثارهِ المحمودة مؤتمر المستشرقين الذي سعى بجمعهِ في حاضرة مملكتهِ سنة ١٨٨٩ . وقد خلفهُ في الملك يوم وفاتهِ ابنهُ غستاف فتسمَّى باسم غستاف الخامس وهو في الخمسين من عمرهِ

﴿ المانية ﴾ لو اردنا تلخيص ما جرى في المانية العام المنصرم من الامور الجديرة بالذكر لخرجنا عن الحدود التي تحرَّيناها في هذا النظر الاجمالي . وغاية ما يقال عن هذه الدولة العظيمة ان امبراطورها بما طُبع عليهِ من الحزم ومضاء الرأي لا يزال ساعيًا في رفع شأنها وتعزيز سلطانها الى ان تقوم في مقدَّمة الدول الاوربيَّة من حيث الاقتصاد والتجارة وقوَّة الجيوش والنقابة البحريَّة فغلب كلَّ معاكسة ونال ما رغبهُ من تخصيص المبالغ الطائلة لتجهيز الدوارع والنسَّافات والطرَّادات الكافلة بفوز بلادهِ في حرب بحريَّة — وفي شهر شباط المنصرم تجدَّدت انتخابات المندوبين فنال حزب الكاثوليك فوزهم المعتاد وبلغت عدد كراسيّهم ١٠٥ بينما هبط عدد الديموقراطيين السوسيالست الى ٤٣

ومن المشاكل التي يطلب لها الامبراطور حلًّا سلميًا مسألة المقاطعات البولونيّة الواقعة في مملكتهِ. فغايتهُ ان ينزع عنها كل صبغة وطنيَّتها السابقة ولعلَّهُ ارسل المسيو موهلبرج كسفير الى الكرسي الرسولي لازالة هذه العقبة. وكذلك أُصيبت المانية بازمة ماليَّة انعكس صداها الى بعض مشروعاتها فخمدت قليلًا حركتها. وسدًّا لهذا الخلل استقرضت المانية من مصارف فرنسة نقودًا بفائدة معلومة لكنَّها مع ذلك تحاول فتح شعبة لمصرفها الوطني في طهران وعهدت تدبيرهُ الى احد رجالها المحنَّكين المسيو غوتمان

ومما توفَّقت فيهِ المانية آخرًا رجوع مستعمرتها الافريقيَّة الى السكينة والهدوّ بعد حروبها المتواصلة مع قبائل الهوتنتوت والهرّيروس وذلك بموت مورنغا زعيم الاعداء وكانت تلك الحروب قائمة على ساق منذ السنة ١٩٠٣ وقد خسرت فيها المانية مبالغ كثيرة وعددًا وافرًا من الجنود

امَّا علاقات المانية مع الدول فوديّة. وكان البعض يخافون ان حوادث مراكش تعكِّر صفاءها مع فرنسة لكنَّها اعلنت انَّها لا ترغب سوى صيانة حقوقها والقيام بشروط معاهدة الجزيرة. والامل معقود بانَّ السلام يعود قريبًا الى تلك الجهات—وكذلك اوجس البعض خوفًا من خلاف يقع بين المانية وانكلترة بسبب اهتمام الاولى بزيادة اسطولها انَّما ذلك كان كسحابة صيف انقشعت باجتماع ملكي الدولتين مرَّةً اولى في ١٤ آب على قارة اوربة في وِلهلمسهوه حيث زار ادوار السابع ابن اختهِ غليوم الثاني ثمَّ مرَّة ثانية اذ ردَّ الامبراطور الزيارة لجلالة خالهِ مع قرينتهِ الكريمة في انكلترة في ١١ الى ١٩ تشرين الثاني. فكانت هذه الزيارة داعيةً لمظاهرات غاية في الوداد بين الدولتين. وكان امبراطور المانية قبل ذلك مكَّن اواخيّ الصداقة مع ملك دنيمرك فريدريك الثامن في ٣ الى ٦ تموُّز ثمَّ مع ملك نروج هاكون ثم مع جلالة القيصر نيقولا على دارعة هوهنزولرن في سوينمند في ٣ آب وكان ارباب السياسة يعلقون على هذه الزيارة الاخيرة آمالًا كبرى. امَّا علاقات المانية مع الدولة العليَّة فما من احد يجهل انَّها غاية في الولاء والمجاملة

ومما يسرُّنا تدوينهُ على صفحات مجلَّتنا شكر كاثوليك المانية لجلالة غليوم الثاني على ما يظهرهُ من الاكرام والتودُّد للكرسي الرسولي ومن اللطف والتساهل نحو رعاياهُ الكاثوليك الذين يعشون تحت راية الدين ورعاية اساقفتهم باتحاد عجيب ذلَّل امامهم

كل العقبـات وكان مؤتمرهم العمومي هذه السنة في ڤرتسبورج عقبةُ في مِتس المؤتمر القرباني الذي تصدَّر فيهِ السيّد ڤانوتلي وحضرهُ ٦٠٠٠ كاثوليكيّ

ولا ننسى ما فُجعت بهِ المانية بانفجار مناجم ريدن (Reden) حيث هلك ١٥٤ من الفعلة فاظهر الفرنسويون في هذه النكبة من الشهامة في خلاص المنكوبين ومساعدة عيالهم نخوة عظيمة كما فعل الالمان سابقاً في حادثة كوريار. وقد تعدَّدت في السنة في عدَّة بلاد ملمّات كهذه وغيرها كأن الله ينبه الاحياء بها على السهر والاستعداد للآخرة في كلّ ساعة

﴿ انكلترّة ﴾ سُرَّ كلّ اصحاب العقل والبصيرة فضلاً عن ذوي الورع والتديُّن بحبوط نظام التعليم الابتدائي الذي كانت غايتـهُ نفي الدين من مدارس الاحداث. وعقيب ذلك رأى دعاة الدين انهُ من الواجب تعزيز روح العبـادة في الأُمَّة فاتَّفق رئيس اساقفة وستمنستر الكاثوليكي مع رئيس اساقفة كنتوربري الانكليكاني وزعيم الكنائس الانكليزيَّة المستقلّة على توجيه رسالة عامَّة الى كل مرؤوسيهم ليستدعوهم الى تقديس يوم الرب. ومن الوسائل التي اتَّخذها الكاثوليـك الانكليز على مثال اخوتهم الالمان عقد مؤتمر سنويّ للنظر في شؤون كنيستهم فكان مجتمع هذه السنة تحت نظارة السيّد الجليل بورن (Mgr Bourne) رئيس اساقفة وستمنستر مهيباً عظيماً عرف بهِ الجميع ما في الكنيسة الكاثوليكيَّة في تلك الدولة الفخيمة من الحيويَّة وعلو المقام على انَّ عدداً من البروتستان لاسيما الوجوه بينهم ينبذون شيعهم ليجاهروا بالدين الكاثوليكيّ . وكانت الجموع تزدحم لاستماع مواعظ الاب ڤون (Vaughan) اليسوعيّ الشهير فيُعجب البروتستان من بلاغتهِ وقوَّة براهينهِ فيكتبون اليـهِ في اثر كل خطبـة ليستفتوهُ في مشاكلهم. وكانت عظاتهُ تُنشر بالطبع في الجرائد يلتذُّ بقراءتها جلالة الملك ادورد عينه

لم تنجُ انكلترّة كبعض الدول المجـاورة من الأزمات الماليَّة فتوقَّفت بعض المصارف وزاد الامر ارتباكاً باعتصاب عملة السكك الحديديَّة وكاد الشرّ يستفحل لولا حكمة الوزير لويد (C. Loyd). وقد انتهت السنة بانواء شديدة واعاصير مريعة فطغا نهر التاميز وغمر مياههِ ضفَّاتهِ كما انَّ البحر هاج وماج فاغرق عدَّة سُفن او اتلفها

وكان همُّ الانكليز في الخارج ان يخمدوا فتنة قبائل الوطنيين في زولولند وقد

قصّوا جناحها بضبط رأس المتمرّدين المدعو دنيزولو . وكذلك تصدّوا لبعض اصحاب المشاغب في بنغال وكلكوتّا الذين كانوا يجتهدون في احياء روح العصبيَّة

اظهرت انكلترة وجلالة ملكها هذه السنة ارتياحهما الى السلم مع سائر الدول وقد كانت سياحة الملك ادوار والملكة قرينته في معظم الدول الاوربيَّة ضامناً للسلام العام . فما خلا البلاد التي سبق ذكرها قد تجوّلا ايضاً في فرنسة وزارا عاصمتها في شهور السنة الاخيرة فتجدّدت بقدومهما الافراح وتوثّقت عرى التحابّ . ومن مظاهر الولاء بين انكلترة وفرنسة انَّ شركات الشبّان الرياضيَّة الفرنسويَّة اجتازت مضيق المنش فنزلت في ملاعب كنتربري الواسعة في ٢ تمّوز وأجرت فيها ضروب التمرينات البدنيَّة والالعاب الرياضيَّة . وكان في صحبة هذه الشركات ادوات الطرب ونوبة عسكريَّة فحدّث عن تلك مجالي الفرح والبهجة ولا حرج . وكذلك اولمت غرفة التجارة الانكليزيَّة لشقيقتها الافرنسيَّة فتبودلت بين اعضاء الغرفتين انخاب الشكر والمودَّة . ويا ليت هذه المظاهرات الولائيَّة كانت ختمت بمصادقة ندوتي انكلترة على فتح نفق المنش بين البلادين الّا ان الامر قد أُرجئَ الى زمن لا يعلمهُ الّا الله

ومن الحوادث السياسيَّة الهامَّة عقد المعاهدة بين انكلترة وروسيَّة في ٣١ آب فبموجب هذا الوفاق حُلَّت مشاكل متعدِّدة كانة معترضةً بين الدولتين تحول دون صفاء ودّهما . فاظهرت كلتاهما تساهلًا ازال كلَّ العقبات في طريقهما فمن ذلك انهما اتّفقتا على تعيين حدودهما في العجم وبلاد الافغان والتبّت

اما ملكُ البحار فتأبى انكلترة ان تتخلّى عنهُ ولذلك لا تدَّخر وسعها في محافظة سيطرتها على المياه . ولما رأت أنَّ المانية حازت قصبة السبق بسرعة بعض سفنها مثل دوتشلاند وقيصر ويلهلم انشأت لها سفناً تباريها في تلك الحلبة كاوقانيا مثلًا ثمَّ عادت وجهَّزت لها باخرتين أُخريين لوزيتانيا وموريتانيا فقطعتا المسافة بين كنغستون ونيويرك بظرف اربعة أيام واقلَّ من ٢٠ ساعة بسرعة ٢٤ عقدة في الساعة فسبقتا السفينتين الالمانيّتين بعشر ساعات — وكذلك تسعى الحكومة الانكليزيَّة في تقوية جيشها البرّي وقد سنَّت لذلك بنوداً ترجو منها بلوغ الغاية المأمولة

﴿ ايطالية ﴾ قلنا انهُ حصل بين هذه الدولة والكرسيّ الرسولي بعض التقرُّب ومع هذا قد حدثت ايضاً امور مكدّرة استاء منها الكاثوليك واوجبت تأجيل اعياد

يوبيل الحبر الاعظم الكهنوتيّ · فانتهز اعداء الدين فرصة انتخاب اعضاء الدوائر البلديّة المعادين لحزب الاكليروس فأتوا بمظاهرات اقلقت راحة الكاثوليك ثمّ تجدّدت تلك المشاحنات لمّا اراد اولئك الرعاع الاحتفال بالسنة المئة لمولد غاريبلدي وبذكر دخول جنود پيامنتي الى رومية في ٢٠ ايلول وبانتخاب ناثان اليهوديّ لرئاسة بلديّة رومية · فكلّ هذه الحفلات الضاجّة عكّرت صفاء الراحة العموميّة حتّى اضطرّت الحكومة ان تتشدّد على بعض اهل الشرّ فتقطع دابرهم · ولنا الامل انّ السلام يستتبّ قريباً وقد سُررنا بانّ شورى الدولة لم تُصادق على سُنّة دار الندوة الطالبة نفي التعليم الديني من المدارس

امّا امور ايطالية الاقتصاديّة فليس فيها شيء يستحقّ الذكر اللهمّ الّا تجديد معاهدتها التجاريّة مع فرنسة لترويج محصولاتها · ومع هذا لا تزال المهاجرة الى اميركة تتوالى وتتواصل رغماً عمّا حلّ بكثيرين من المهاجرين من الازمات في القارّة الاميركيّة حتى اضطرّ كثيرون الى العود الى اوطانهم — وبُليت ايطالية في شهر تمّوز بازمة عملة السكك الحديديّة خصوصاً في ميلانو ونواحيها فتضعضعت لذلك احوال التجارة مدّةً · وعقب الامر في اواخر ايلول والعشر الاوّل من تشرين امطار عرمرميّة طغت من جرائها انهار ايطالية الشماليّة نهر پو ونهر تسين ونهر اديج · وكانت ثالثة الاثافيّ عودة الزلازل الهائلة في كلابرية اوجست بسببها القلوب هلعاً · وقد بلغ عدد الموتى نحو الالف. وكانت الطامّة العظمى في آخر السنة انفجار بارودخانه بلرمة ذهبت بها ارواح كثيرين من العباد فلبست المدينة بسببها الحداد واقيمت الحفلات الدينيّة تحت رئاسة الكردينال لوالدو

وممّا تكدّرت لهُ الخواطر ايضاً دعوى الوزير القديم نازي ورفيقهِ لباردو فاكتشفوا ما حصل على يدهما من التلاعب بمال الدولة · وقد أُجلت هذه الدعوى الى وقت غير معلوم تفادياً من اضطراب العقول

وما هو ابهج من ذلك رحلة جلالة ملك ايطالية الى اليونان فصار لهُ في اثينة استقبال شائق في ٨ نيسان وكانت تلك الزيارة مدعاةً لتقرُّب الدولتين · وفي ١٨ منهُ التقى الملكان ادوار وفكتور عمانويل في غائتًا وكان اجتماعهما غاية في المودّة

﴿ بلجكة ﴾ استقالت في اواسط نيسان وزارة بلجكة التي كان يترأسها المسيو

دي سمت دي ناير (de Smet de Nayer) وذلك بسبب وضع قانون لشغل المدّنين فخلفتهـا وزارة المسيو دي تروز (de Trooz) لكنّ الامر بقي في ايدي المحافظين الكاثوليك والمسيو دي تروز من رجال السياسة المعدودين كان يُعرف بثقابة عقلهِ وحسن تدبيرهِ وايمانهِ الصادق لكنّ الله استأثر بهِ في غرّة السنة الجديدة فمات مأسوفاً عليهِ—ومن المعروف انّ دولة بلجكة مع صغرها في مقدّمة البلاد من حيث وفرة عمرانها وترقيها الدائم في الداخل والخارج معاً. ولبلجكة الشركات الماليّة المزهرة تتولى اعمالاً خطيرة في عدّة بلاد لاسيما مدّ السكك الحديديّة والترامواي الكهربائيّة. ولنا في سوريّة ادلّة على نشاطها واتساع اعمالها . ومما يحقّ لبلجكة ان تفتخر بهِ مشروعاتها الادبيّة على ايدي المرسلين الكاثوليك من نشر الدين وانشاء المدارس وفتح الملاوي والمستشفيات والمياتم في اقطار عديدة لاسيما في الهند والكنغو. ومن اعمالهم المشكورة اشهارهم الحرب العوان على عدوى تفشو في اواسط افريقية فتتلف كثيراً من اهلها نريد داء النوام والامل معقود بقرب وجود الدواء الشافي لهذا الداء العياء

ومن الامور التي تشغل افكار القوم في هذه المملكة مسألة ضمّ الكنغو الى المملكة . فانّ تلك المستعمرة مال خاص بجلالة الملك ليوبلد وهو يريد ان يجعلها من املاك الدولة على شروط معلومة لم يصادق عليها مجلس المندوبين حتى الان لما يرى في تلك الشروط من الاعباء الثقيلة على الدولة والرأي عندهُ ان تُباع تلك المستعمرة لفرنسة جارتها هناك

وقد روت الجرائد في هذه السنة انّ العلاقات بين بلجكة وشقيقتها هولاندة زادت تحسناً أجدى الدولتين منافع اقتصاديّة جديدة

ومن الاخبار الواردة مؤخرًا تعيين نيافة القاصد الرسولي في الاستانة العليّة السيد تاكشي پورشلي برتبة نائب رسولي في بروكسل . فلا غرو انهُ سيلقى في تلك الحاضرة استقبالاً اهلاً بمقامهِ . والدين في تلك البلاد راسخ القدم عالي المنار . ومن دلائلهِ المستحدثة تلك الكنيسة الفخيمة التي وُضعت حجرتها الاولى في هذه السنة . وهي تشيَّد على اسم قلب يسوع الاقدس وستكون اعظم من كنيسة «منت مارتر» في باريس طولها ١١٠ امتار امّا نفقاتها فتبلغ اثني عشر مليوناً من الفرنكات

﴿ الدانمرك ﴾ سبق ذكر زيارة الامبراطور غليوم الى الاسرة الملكيّة في الدانمرك

وفي اواسط حزيران زار ملكها فردريك الثامن وهو اخو ملك اليونان مع الملكة لويزا قرينته عاصمة باريس فلقي فيها من الحفاوة والاكرام ما يليق بجلالته — ومما يسرُّنا ذكرهُ تقدُّم الديانة الكاثوليكيَّة في دولة الدانمرك . وفي حاضرتها كوپنهاغ سيُعقد مؤتمر المستشرقين في شهر آب

﴿ روسيَّة ﴾ امتازت السنة المنصرمة بامرين الاوَّل فُرجةٌ نالتها هناك الكنيسة الكاثوليكيَّة كما قدَّمنا . والثاني هدوٌّ الخواطر وازالة المشاغب . وكان مجلس الدوما الثانية التي قُدّم عليها المسيو غولوشين قد أُلغي في ١٦ حزيران . وفي ٢ تشرين الثاني صارت انتخابات الدوما الثالثة التي تُبنى عليها الامال في تسكين كلّ بلبال . وقد قدّم اعضاؤها لجلالة القيصر عريضة غاية في الوقار

ومن الامور الحرّيَّة بالنظر في الخارج معاهدة روسيَّة وانكلترة بخصوص املاك الدولتين في آسية كما مرّ . وكان سبقها معاهدة أُخرى في ٢٨ تموُّز بين روسيَّة واليابان اتَّفقتا بموجبها على اربعة امور : ١ٌ تعريف حقوق كلّ دولة بخصوص صيد الاسماك . ٢ٌ تجديد عهدتهما التجاريَّة . ٣ٌ اتفاقهما في مواصلة الخطوط الحديديَّة الروسيَّة واليابانيَّة في منشوريا . ٤ٌ صيانة املاك الصين على تمامها

امَّا الحرب الروسيَّة مع اليابان فانَّ لها ملحقًا غاية في التأثير بمحاكمة الضبَّاط الذين سلَّموا پور ارثور وخصوصاً الجنرال ستوسل الذي تراكمت عليهِ الشكايات . والمظنون انهُ لن ينجو من حكم المجلس العسكريّ عليهِ لاسيما لاخفائهِ الرسالة الموجَّهة اليهِ في پور ارثور وفيها تعيين الجنرال سميرنوف كحاكم على ذلك الحصن

﴿ رومانية ﴾ هذه الدولة الصغيرة جارية ايضاً في معارج الفلاح . وممَّا ينبئ بهمَّتها انشاؤُها للشركات البحريَّة ولها الان عدَّة مراكب مجهَّزة على وفق السُّفن المستحدثة التي لا ينقصها شيء من اسباب الرفاهية والسرعة من ذلك سفينتان سريعتا الجري تنتقلان بين كوستنجة والاستانة العليَّة وازمير . وهما مركبان جميلان عليهما جهاز التلغراف الاثيري مع بقيَّة الاختراعات العصريَّة للاسفار — ومن اكبر موارد الثروة لرومانية مناجمها البترولية فانَّ مجموع ما كان يُستخرج منها في السنة ١٨٩٧ كان يبلغ ١١٠,٠٠٠ طنّ وقد بلغ في العام ١٩٠٦ ٨٨٧,٠٠٠ طنٍّ (١ ومنها تبتاع المانية ما تحتاج اليهِ من

١) رومانية اليوم الدولة الرابعة بين الدول المستخرجة للپترول فالاولى الولايات المتَّحدة

البترول بعد تصفيتهِ فاصدرت رومانية اليها بقيمة ٧٠,٠٠٠,٠٠٠ فرنك واصدرت الى فرنسة بقيمة ٣١,٠٠٠,٠٠٠ ف وقد عُقدت آخرًا بين فرنسة وورومانية معاهدة تجاريّة

﴿ فرنسة ﴾ تأخذنا الحيرة في تسطير ماجريات هذه الدولة في الخارج والداخل في امورها الدينيّة والمدنيّة . يعلم الكل في اي حالة حرجة صارت فيها الكنيسة بسبب السُّنن المجحفة التي أعلنت فيها . وترى مع هذا الاكليروس في كلّ درجاتهِ ولفيف المؤمنين سائرين على خطة عجيبة من الاتحاد والتُّقى وهم عازمون على تضحية كل نفيس في سبيل الدين فوجد الحبر الاعظم في سلوكهم ما عزّى قلبهُ في المحن الحاضرة واستدعى ثناءهُ عليهم بازاء العالم في خطابهِ الذي القاهُ في تنصيب الكرادلة الجدد . ومما يمكننا تأكيدهُ بعد مشاهدتهِ العيانيّة انّ هذه المحن انعشت في القلوب روح الايمان فضلًا عن كونها لم تُمتهُ . فانّا في العام المنصرم في جمعة الآلام اذ كنّا في ليون عاصمة فرنسة الثانية اخذ منّا العجب كلّ مأخذ اذ عاينّا كنائسها العديدة غاصّة بالحضور يتزاحم الناس فيها لاستماع المواعظ ومعاكفة الاسرار بغاية ما يشتهى من التقوى والنظام

أمّا غيرة الفرنسويين في نشر الدين في الرسالات الاجنبيّة فلهم فيها السبق على الجميع فانّ عدد المرسلين الذين ماتوا في السنة المنتهية في البلاد الاجنبيّة بلغ ١٦٤ فكان الفرنسويّون منهم ٨١ مرسلًا . وكذلك فرنسة وحدها تُعطي نصف المبالغ اللازمة لمعاش المرسلين وهي نحو سبعة ملايين من الفرنكات — وما قولنا بزارات فرنسة الشهيرة . كلورد وباراي لومنيال فانّ الزوّار يأتونها زرافاتٍ ووحدانًا من كل انحاء اوربّة واميركة . وقد جرت في العام الماضي في لورد المعجزات الباهرة المعتادة التي لا يرى الملحدون انفسهم وجهًا لنكرانها والتي تأسر القلوب في حبّ امّ الاله وتجذب الكل الى اقدامها حتى الملوك عينهم كما رأينا في امر ملك وملكة اسبانية — وممّا يدلّ على انتعاش روح الدين في فرنسة عقد المؤتمرات التي اشرنا اليها منها مؤتمر الشبيبة المسيحيّة التي شرّفها قداسة

المتّحدة كان محصولها من البترول في السنة ١٩٠٦ ١٦,٠٠٠,٠٠٠ طنّ والثانية روسيّة استخرجت ٨,٠٠٠,٠٠٠ . والثالثة مستعمرات هولندة الهنديّة ١,٢٥٠,٠٠٠ . والرابعة رومانية ٨٨٧,٠٠٠

البابا برسالة من يده وجّهها الى المسيو ليرول (Lerolle) رئيس هذه الجمعيّة — وقد سبق المشرق (ص ٤٣٠) فاشار الى رسالة اخرى انفذها بيوس العاشر الى مجلّة المباحث الكاثوليكيّة التي منذ خمسين سنة دافعت عن المبادئ السليمة دفاع الابطال فاستحقّت ثناء الكرسي الرسولي

امّا امور فرنسة في الخارج فانها على ما يظهر جارية على احسن حال. كفانا دليلًا على ذلك الزيارات المتوالية لفرنسة التي سبق لنا ذكرها من قبل رؤساء الدول وملوكها. وفي السنة المنصرمة ارادت ايضاً الدولة اليابانيّة ان تتقرّب من فرنسة لتقرُّب انكلترة حليفتها منها فحصل في ١٠ حزيران اتّفاق بين وزير الخارجيّة المسيو پيشون وسفير اليابان المسيو كورينو كانت الغاية منهُ توثيق الامور الآتية في الشرق الاقصى: استقلال الصين ثمّ فتحُ موانيها للتجارة ثمّ صيانة الامور الحاليّة على حالتها. ولا يخفى ما في هذا الوفاق من الضمان لسلام العالم. وفي ٢٤ تمّوز دخل قسم من الاسطول الياباني في مينا برست فحصلت من جرّاء ذلك مظاهرات ولائية بين الدولتين زادت ودادهما وثاقة

هذا ولا حاجة الى تفصيل الامور الجارية بين فرنسة ومراكش فانّ جريدة البشير قد اعلنت ذلك في حينهِ. والامل معقود بقرب انتهاء الحرب ورجوع مياه السلم الى مجاريها بعد استلام القبائل المعادية. وممّا لعب في هذا الحرب دورًا مهمًّا التلغراف اللاسلكيّ الذي كان متّصلًا بين مراكش وبرج ايفل في باريس فيوقف الوزراء على كل احوال مراكش ويبلغ القوّاد اوامر الوزراء — وكذلك حلّق في الجوّ منطادان فسارا فوق رؤوس الاعداء واستدل ضبّاطهما على احوال المعادين واستكشفوا مكامنهم واطلقوا عليهم القذائف من علُ

وكان بودّنا ان نضرب الصفح عمّا يجري في فرنسة من الامور المكدّرة المنذرة بتفرُّق الكلمة وانتشار الفساد. منها تحامل بعض الافراد على الجيش حتى اضطرّ الجنرالان متسنغر وهاغرون (Metzinger et Hagron) ان يقدّما استعفاءهما. لاسيّما بعد تخفيض مدّة التمرينات العسكريّة سنويًا ما اوجب المسيو دي فريسينه ان يستقلّ من منصبهِ كمتقدّم على اللجنة العسكريّة. وزاد الطين بلّة باكتشاف خيانة الضابط اولمو (Ullmo) الذي أقرّ باثمهِ

وكأنّ الله نبّه تلك الدولة العظيمة بمصائب حلّت بها تترى فآلمت القلوب واغضت

الاطراف منها انفجار الدارعة ياتا في ١٤ آذار فهلك بهذا المصاب مئة من الجند بينهم الكومندان اديغار (Adigard) والضابط البطل رو (Roux) — وما مرّ على ذلك ٤٠ يوماً حتى جاءت فاجعة ثانية جدَّدت الاحزان وهدَّدت الاركان ألا وهي حريق مسلحة (ترسخانة) طولون وقد شبَّت النار في امكنة أُخرى بحيث لم يشكّ كثيرون بان ليدٍ اثيمة في ذلك عملًا — ثمَّ توالت بعدها الرزايا كفقدان نسَّافة صدمتها سفينة اخرى فاغرقتها وكانفجار مدفع كبير في بورج اودى بحياة ثمانية من الطوبجيَّة ثم خسارة البالون لاپاتري الذي نقلتهُ الرياح العاصفة الى انكلترَّة فتحطَّم وقد مرَّ في المشرق(١٠ : ٧٥٦— ٧٥٧) انَّ هذه المركبة الجويَّة فتحت سُبل الجوّ وذلَّلت الصعاب في تسيير المناطيد الهوائيَّة. ثم ازمة الكروم في جنوبيّ فرنسة واخيرًا طغيان عدَّة انهار كنهر رون ونهر لوار التي اندفعت مياهها في السهول فعاثت ايّ عيث وتسرَّبت الى باطن الجبال فكادت تقلعها من آساسها. وزد على ذلك ما بُليت بهِ فرنسة بموت بعض رجالها العظام كالاب مُنسبراي الخطيب الدومنيكيّ الشهير توفي في شهر شباط. والمسيو كازمير پاريه رئيس الحكومة الفرنسويَّة سابقًا مات في ١٢ آذار وحضر حفلة جنازتهِ الرئيسان اللذان خلفاهُ لوبه وفاليار. وفي ١٨ منهُ خسرت العلوم الكيمويَّة إمامها المسيو برتلو. ويا حبَّذا لو ارعوى منيبًا الى ربّهِ قبل وفاتهِ لأجداه علمهُ نفعًا لآخرتهِ. وقد خلفهُ في منصبهِ في محفل فرنسة العلمي المسيو دي لاپاران احد كبار العلماء المصريين فضلًا عن كونهِ متحمسًا في دينهِ — وفي ٢٠ نيسان فُجعت الآداب الفرنسويَّة بموت كاتب بارع المسيو پيار ڤوليو بكر المرحوم اوجين ڤوليو وابن اخي الشهير لويس ڤوليو. وكان جاريًا على آثار ابيهِ وعمهِ في الكتابة فاصاب منها نصيبًا حسنًا فهُصر غصن حياتهِ الرطيب. وقد خلفهُ في ادارة جريدة الاونيفير الكاثوليكيَّة اخوهُ فرنسوا

فهذه بعض الرزايا التي دهمت فرنسة هذه السنة فالله نسأل ان لا تكون علامات غضب بل آيات تأديب ورحمة منهُ تعالى فتبقى فرنسة كما كانت بكرًا للكنيسة وعضدًا لكل مشروع صالح في سبيل الدين والوطن

﴿ نمسة والمجر ﴾ جرت انتخابات مجلس ندوتهما في ١٤ ايَّار فكان الفوز للكاثوليك فلا شكَّ انَّ بذلك سقط ايضًا القانون المطلوب سنُّهُ لينفي الدين من المدارس

ومن اخبار النمسة مواجهة وزيري الخارجيّة لدولتي النمسة وايطالية وهما البارون دي ايرنتال (d' Ærenthal) والمسيو تيتوني (Tittoni) وقع ذلك في ديزيو وقد ظنّ ارباب السياسة انّ في اجتماعهما علاقةً مع تجديد المحالفة الثلاثيَّة — وفي هذه السَّنة خمدت نوعاً ثائرة الاحقاد بين غمسة والمجر. والشائع انَّ الشقيقتين عادتا الى الائتلاف والمصالحة بمُهدةٍ صادقت كلتاهما عليها لعشر سنوات

وممَّا تطايرت له القلوب فرحاً في بلاد النمسة بلوغ جلالة الامبراطور فرنسوا جوزيف السنة الستين من ملكهِ (١٨٤٨ — ١٩٠٨) والثامنة والسبعين من حياتهِ (١٨٣٠) فشمل السرور لفيف رعاياهُ بل تضاعف بعد بُرئهِ من مرضٍ شديد كان أبلَّ منهُ قبل ذلك بزمن قليل . وسوف تقام في كلّ هذه السنة اعياد يوبيليَّة بهيجة يُعلن بها النمسويُّون والمجريُّون حبَّهم الخالص لملكهم

أمَّا الحركة الدينيَّة في النمسة فهي في ازدياد ونموّ. ومن الادلَّة البيّنة على ذلك المؤتمر المريمي الذي عُقد في غمسة العليا فجاء كشاهد حيّ على عبادة تلك الدولة للبتول العذراء منذ عهد ملوكها الاوَّلين القدّيسين — ثم اجتمع الكاثوليك في مؤتمر آخر مدني وهو السادس للنمسة. وقد حيَّا رئيس بلديَّة فينا المسيو لويغر الكاثوليكيّ هذا المجتمع بخطبه البليغة فأوضح واجبات الكاثوليك في الساعة الحاضرة وضرورة اتّفاقهم لمناقضة اعداء الدين والوطن

❁ هولندة ❁ سبق لنا ذكر مؤتمر السلم فيها كما اشرنا الى تقرُّبها الى باجكة ومن المنتظر ان تُعقد معاهدة بين الدولتين. وفي مطاوي السنة زار امبراطور المانية وقرينتهُ ملكة هولندة فتبودلت الأنخاب وتوفَّرت المسرَّات — امَّا الملكة وليهلمين فان شعبها مغرًى بحبّها لحسن سجاياها لا ينقصها لتمام رغائبها سوى مولد وليّ لعهدها

ومن الامور الجديرة بالثناء سخاء الهولنديين في المشروعات الخيريَّة فانَّ شركة مار منصور دي بول في هولندة تجمع من المبالغ المصروفة في المبرَّات نحو مليوني فرنك لا يسبقها في ذلك سوى فرنسة التي تزيد حسناتها على المليونين

❁ اليونان ❁ ذكرنا زيارة ملك ايطالية لاثينا وابرام حبل الوفاق بين الدولتين بعد انتقاضهِ — وفي كانون الاوَّل الاخير اقترن البرنس جرج ثاني اولاد ملك اليونان

بالاميرة ماري لويزة بونابرت—وفي السنة الماضية ايضاً عمد اليونان الى استجلاب مدافعهم من فرنسة من معمل كروزو لوقوفهم على افضليّتها

واعلم انّ العلم لا يزال موجهاً بابصارهِ الى بلاد اليونان رجاء اكتشاف شيء من كنوز تلك البلاد الصناعيّة والادبيَّة . ومن ثمَّ ترى الحفريّات جاريةً على ساق ونشاط في انحاء مختلفة فلا يمرّ علينا اسبوع دون ان تفيدنا المجلّات عن اتّساع ثروة العلم باكتشافات جديدة

٢ آسية

﴿ الصين ﴾ بلغت فيها الجماعة مبلغاً فاجعاً بتلف مزروعات الأرزّ الذي هو طعام معظم اهل تلك البلاد. على انّ الله يعزّي قلوب المرسلين برجوع الالوف المؤلّفة من المشركين الى جادّة الحقّ

واعلم انّ غاية ما يطلبهُ الصينيّون اليوم أن يكونوا في غنىً عن كل الاجانب وها انهم قد باشروا بسكّة حديديّة وطنيّة محضة في مقاطعة فوكيان وفي كنتون—وكذلك اخذت الصين تسعى في تجديد اسلحتها — ومن مرويّات تلك البلاد عودة البوكسر الى مشاغبهم في ايلول لكنَّ الحكومة الجأتهم الى الفرار

﴿ العجم ﴾ جلس على عرش هذه الدولة شاه جديد اسمهُ محمّد علي مرزا خلف اباهُ مظفر الدين المتوفى في كانون الثاني فما استلم زمام التدبير حتى ارسل وفداً الى جلالة المتبوع الاعظم يبلغهُ بالامر رسمياً . وكذلك اوفد الوفود الى بقيّة رؤساء الدول والملوك — وقد سبق القول عمّا جرى بين انكلترة وروسيّة من الوفاق بخصوص حدود العجم

﴿ اليابان ﴾ اصيبت بالمجاعة كالصين جارتها كما انّها بُليت بازمة مالية على انّ ذلك لا يمنعها من تقوية اسلحتها وانماء جهازاتها الحربيّة كأنها تتوقّع حرباً قريبة — وفي تمّوز الاخر حصلت في كورية قلاقل لم تنتهِ الّا في تشرين الاوّل بعد ان تشدّدت الجنود اليابانيّة على الكوريين فقُتل منهم ٨٠٠ وكان ذلك بعد أن تنزّل الملك عن حقوق التدبير لامر لابنهِ

وما يشغل الآن افكار السياسيين احوال اليابان والولايات المتحدة وكان سبب

الخلاف اوّلًا إباء الاميركيين في سانفرنسسكو ان يعاملوا شبيبة اليابان معاملة مواطنيهم . ثمّ جاءت مسألة جزائر الفيليبين تتهدّد راحة تلك البلاد وذلك انّ حزبًا من الاميركيين لا يؤمل خيرًا كبيرًا من امتلاك تلك الجزائر لفظاظة اهلها فيطلبون تخليتها . لكنّ حزبًا آخر وهو الأعظم لا يرضى بذلك لأنّ تلك الجزائر تمكّن اصحابها من ملك البحر الهادي فان تخلّى عنها الاميركيّون وقعت في ايدي اليابان واضحوا بذلك سادة كل البحار في الشرق الاقصى وهذا ممّا لا يطيقهُ الاميركيّون ولذلك وجّهوا الى البحر الهادي الاسطول الاميركيّ مع قسم من سفن الاتلنتيك ليجروا هناك مظاهرات باهرة تُعلن بقوّاتهم وتصدّيهم للمعادين . فترى السياسيين يخوضون في حالة الدولتين وما سيؤول اليهِ مستقبلهما ومساعي اليابان تؤيد ذلك بتعزيز اسطولها وجيوشها كما انَّ بعض اعمال الولايات المتّحدة تُنذر بالشرّ كابعادها مثلًا من سفنها كل العملة اليابانيين وكأمرها الى المسيو تافت (Taft) بالرجوع من سفرتهِ الى اليابان والصين وروسيّة . على انَّ لهجة الدولتين الرسميّة لم تكن لتهدّد الراحة العموميّة

أمّا تجارة اليابان فهي في ترقٍّ عجيب حتّى انّها صارت تزاحم التجارة الانكليزيّة في الشرق الاقصى واخذ التجّار الانكليز هناك يتأسفون من المعاهدة التجاريّة بين الدولتين

٣ افريقية

﴿ مصر ﴾ في ١١ نيسان استعفى اللورد كرومر وقدم مصر السير ألدون غورست . وممّا أُصيب بهِ القطر المصري في السنة المنصرمة الازمة الماليّة التي لا يزال ينوء تحت عبأتها

وممّا سرّ بهِ الاهلون توسيع مدخل المينا في الاسكندريّة لكي تستطيع المراكب الكبيرة ان تدخلهُ بلا عناء . كسفينة هليوبوليس وهي من الطرز الجديد طولها بين ١٧٠ الى ١٨٠ مترًا فانّها تنفذ في المينا وترسو عند الرصيف . وهذه المركب تقطع المسافة بين الاسكندريّة ومرسيلية بثلاثة أيّام ونصف وسرعتها غريبة فتقطع ٢١ عقدة في الساعة وتنفق من الفحم الحجري ٢٠,٠٠٠ طنّ حتى كاد فحمها يوازي محمول سفينة كبيرة

﴿ الحبشة ﴾ معلوم انّ دولة النجاشي في تقدُّم متواصل: وبين الحبشة فئة كبيرة تميل الى المانية ولذلك أوفد منليك وفدًا خصوصيًا الى برلين يقودهُ الامير مشاشيا. ومع هذا ترى ملك الحبشة مراعيًا لحقوق الدول كلها يتحبَّب الى جميعها . وهو ينظر بعين الرضى الى المرسلين الكاثوليك الذين في مملكتهِ وقد اطلق لهم الحريَّة لانشاء المدارس ولتعليم الدين لرعاياه— وفي هذه السنة في اواخر تشرين الثاني دُشنت اوَّل كنيسة كاثوليكيَّة في اديس ابابا عاصمة المملكة على اسم البتول الطاهرة . فجرت رتب جليلة واعياد شائقة أثّرت في كلّ الحضور المتقاطرين من كل فجّ لمعاينة هذه الحفلة التي ترأسها الاب ماري برنرد السفير الرسوليّ هناك

﴿ الترنسفال) جرت فيها الانتخابات الوطنيَّة فوقع الاختيار على كثير من الهولنديين الاقدمين. وتقلّد منصب الوزير الاوَّل الجنرال بوتا في ٢ آذار

٤ اميركة

﴿ كندة ﴾ وقَّعت كندة وفرنسة على عهدة تجاريَّة بين البلدين وتجارة كندة كما لا يخفى متَّسعة جدًّا وقد توفَّرت فيها السكك الحديديَّة الى حدّ غريب

﴿ الولايات المتحدة ﴾ من المحتمل انّ الولايات المتَّحدة كانت الاصل الاوَّل لتلك الازمات الماليَّة التي دهمت بلادًا شتى فانَّ احتكاراتها العظيمة ومقامراتها الخطيرة ومضارباتها الماليَّة تجاوزت كلّ الحدود فهبطت واهبطت معها بيوتًا ماليَّة لا تُحصى في العالمين . وقد تضاعف الشرّ بما جرى هناك منذ شهر تشرين الاوَّل من النكبات الصناعيَّة . ومن ثمَّ اعلن الرئيس روزفلت انهُ سيتَّخذ كل الاحتياطات الفعَّالة لاستدراك الشرّ . الّا انَّ الامور حتى اليوم لم تتحسن ففي اواخر كانون الاوَّل اضطرّ ٧٥,٩٠٠ من المهاجرين الاوربيين ان يعودوا الى بلادهم لعدم وجودهم شغلًا يقوم بأودهم فلينتبه محبُّو المهاجرة

وممَّا يشغل الافكار قرب تجديد انتخاب رئيس الولايات المتحدة وروزفلت يأبى الرئاسة ثانيةً

وقد كثرت في اميركة النكبات كما في جهات اوربّة فسقطت الجسورة عند مرور القواطر الحديديَّة وانفجرت الغازات الملتهبة في المناجم . واعظم من هذا انَّ نهرًا كبيرًا

وهو نهر كولورادو قد خرج من مسيلهِ ولم يَعُد يصبّ في خليج كاليفورنيا فهو يتحدّر بسيولهِ الجاحفة الى بطائح صارت اليوم بحيرة جديدة

﴿ المكسيك ﴾ قد هدمت الزلازل في نيسان مدينتين من ولاياتها

﴿ الجامائيك ﴾ أُصيبت ايضاً عاصمتها كنغستون بزلزال اودى بحياة الفين من اهلها

﴿ اميركة الوسطى ﴾ انتشبت الحرب بين حكومتي هوندوراس ونيكاراغوا ثمَّ انتهت بعقد الصلح بينهما

نصير الحقّ وقدوة الخطباء

وهي خلاصة حياة القديس يوحنا الذهبي الفم

نظم جناب الشماس نعمان البستاني بمدرسة الحكمة ببيروت

متى برزت شمسُ البهاء من الخِدرِ ... توارت عن العين الكواكبُ في سَترِ

تنحَّوا اذاً يا صاغةَ القولِ جانباً ... بدا الكوكبُ الشرقيُّ في نورهِ الدُرّي

فسيروا على متن الخيال وعرّجوا ... بانطاكيا الشمَّاء مطلعِ ذا البدرِ

سلوا رسمَ صرحِ العدلِ عمَّن بهِ ازدهى ... وأضحت بهِ الارجاء آرجةَ الذكرِ

سلوا عن خطيبٍ ردَّدَ الدهرُ صوتهُ ... قروناً لقد أربت على الخمس والعشرِ

سلوا عن صفيِّ الله ذاك الذي حمى ... ذمارَ الهدى والعدلِ في السرِّ والجهرِ

لقد كان للأيتام حصناً ممنَّعاً ... وملجاء ملهوفٍ ومنجعَ ذي فقرِ

وهولَ العُتاةِ الغاشمين وصارماً ... يُعالجُ أوداجَ المحاباةِ بالبترِ

تردَّى رداء الشرعِ ثمَّ انبرى بهِ ... يبدِّدُ شملَ البغي بالمنطق التبري

فسلَّ من البرهان عضبَ بلاغةٍ ... بهِ فلَّ غربَ الإفك والبطل والغدرِ

فذاعت مزاياهُ بشرقٍ ومغربٍ ... وضاعت كنفحِ الروض تبسمُ عن زهرِ

ولمّا رأى المجدَ الزمانيَّ ضارباً ... قباباً عليهِ قد تعوَّذَ من كبرِ

فغادرَ اوطاناً ومجداً ومعشراً ... ومالاً ومالَ القلبُ منه الى الفقرِ

فناجى بتلك البيد مولاهُ مصغياً … لوحيٍ يُميط الغُمض عن مُبهم السرّ
فقضى دُجنّات الليالي مسهّدًا … وبرّ مُ ربّ النور في قلبه يجري
فأذخر كنزًا ليس يفنيه سارقٌ … تجارتهُ ربحٌ وما فيه من خسر
ولما ارتدى الوسمَ الشريف قد أنتضى … حُسام هُدى واراهُ في اكبُد الكفر
فنادتهُ يثربٌ تروم إغاثةً … فكان جواب المستغيثة من ضرّ
فحلَّ شغافاً من فؤادٍ رعيّةٍ … تُفدّيه بالمهجات والمال والعمر
وتاهت دلالاً فيه أعوادُ منبرٍ … تصفّقُ ترحاباً وتمرحُ عن فخر
فَراشَ نبالَ الحق من جعبة النهى … واوتَرَ قوساً نصلُ أسهمها يفري
وقام على أقدام إقدام جهبذٍ … تدرَّع بالتقوى وبالفضل والخُبر
وهبَّ يُفيض الدُّرَّ من بحر علمهِ … وما من عجاب ان اتى الدرُّ من بحر
يُزفُّ لكلٍ من لآلئ لفظه … قلائدَ ارشادٍ على مبتغى النحر
فطورًا تراهُ في السحاب كأنّما … يُحلِّقُ بالمعنى على أجنح النسرِ
ونُلفيه حيناً آخذًا بتحدُّرٍ … ليُدرك قلبَ الشعبِ في لفظه الفطري
يرى تارةً باب المجاز ذريعةً … فيقرعهُ ان شامَ تسهيل ذي وعر
ويسبك احياناً عقود تمثّلٍ … تؤثّر في نفسٍ وترسخ في الفكر
وآونةً يحكي اليمام وداعةً … وطورًا على الطغيان ينقضُّ كالصقر
فلا بدعَ إذ مولاه اعطاهُ مِقلدًا … يزيل به الاشكالَ من مُوصَدٍ عَسِر
اذا أربدَّ أفقٌ وادلهمّت مسالك … يشقّ لها من فكره ساطعَ الفجر
لكم وعظةٍ او خطبةٍ أو مُؤلَّفٍ … تخلّدها الأعصارُ من انفس الذخر
لقد كان للأيمان والحقّ ناصرًا … فما راعه خصمٌ ولا فادحُ الامر
يقولُ ولا يخشى تحدُّم غاشمٍ … فيغري على فضلٍ ويَنهي عن النُكر
فعنّف ذاتَ الإثم غير محاذرٍ … من النفي والأهوال والكيد والمكر
فردَّ من الوزنات خمساً بخمسةٍ … فأولجه المولى نعيماً الى الدهر

الآداب العربيَّة في القرن التاسع عشر

الفصل الخامس

الآداب العربيَّة من السنة ١٨٥٠ الى السنة ١٨٧٠

بحث تاريخي وانتقادي للاب لويس شيخو اليسوعيّ (تابع)

كانت حالة الآداب العربيَّة في هذا الطور الثالث كحالة الحدَث الذي يدخل في شبابهِ ويشعر بقوَّتهِ فيحوّل افكارهُ الى عالم العلم ومنتدى الآداب وهو الى ذلك الحدّ مشغول البال بشواغل الاحداث لا يجد كبير نفع بامور العقل والابحاث العلميَّة والاتساع في آداب اللغة واساليب الكتابة

امّا ما امتاز بهِ هذا الطور فانشاء الجرائد في الشرق. والظاهر انَّ اوَّل جريدة ظهرت في الممالك المحروسة انَّما كانت في ازمير انشأها المسيو بلاك (Blacque) سنة ١٨٢٥ ودعاها بريد ازمير (Le Courrier de Smyrne) ثمَّ استدعاهُ جلالة السلطان محمود الثاني الى دار السعادة فانشأ فيها جريدة تركيَّة تُدعى «تقويمي وقائع» لكنهُ مات بعد قليل وانشأ السائح الانكليزي شرشل (Churchill) جريدة اخرى سمَّاها «جريدتي حوادث». امَّا الصحافة العربية فنشأت اوَّلًا في مصر بطبع «الوقائع المصريَّة» التي صدرت سنة ١٨٢٨ على عهد محمَّد علي باشا فظهرت سنين عديدة. وكان ظهورها ثلاث مرَّات في الاسبوع. ثمَّ توفَّرت الجرائد في الممالك المحروسة حتى ان سالنامة سنة ١٢٦٨ (١٨٥١–١٨٥٢) المطبوعة في دار السلام عدَّت منها ١١ جريدة في استانة العلية و ٥ في ازمير و٤ في مصر (Cfr. Journ. As., 1852^b, p. 248) في التركية والفرنسويَّة والارمنيَّة واليونانيَّة والعبرانية والعربية. وجاء في مجلة الهلال (٥ : ٣٠٠) انَّ رزق الله حسُّون الحلبي انشأ في دار السعادة جريدة عربيَّة وسمَّاها «مرآة الاحوال» والمعلوم انَّ هذه الجريدة كانت تُطبع في لندن. وخلفتها سنة ١٨٥٧ جريدة السلطنة لمحرّرها اسكندر افندي شلهوب. امَّا سوريَّة فكانت اوَّل جرائدها «حديقة الاخبار» انشأها فقيد الآداب المتوفى في العام الماضي خليل افندي الخوري ظهر اوَّل

اعدادها في غرَّة كانون الثاني من السنة ١٨٥٨ ولم تزل في الوجود حتَّى وفاة منشئها فانطفأ سراج حياتها معهُ . وفي سنة انشاء حديقة الاخبار ظهرت في مرسيلية جريدة « عطارد » كان يديرها المستشرق كرلتي (Carletti)

وأُنشئت في اثر تلك النشرات عدَّة جرائد اخصُّها الرائد التونسي وهي جريدة تونس الرسميَّة سنة ١٨٦٠ . وفيها في تموُّز انشأ الشيخ احمد فارس الشدياق في الاستانة جريدة الجوائب فبقيت فيها الى السنة ١٨٨٤ . وفي ذلك الوقت ايضاً ظهرت في باريس جريدة البرجيس كان يحرّرها سليمان الحرائري التونسي . وعقبها في دمشق جريدة سوريَّة الرسميَّة ظهرت سنة ١٨٦٥ . ثمَّ وليها في مصر جريدة وادي النيل سنة ١٨٦٧

وفي تلك الاثناء شرع المرسلون الاميركيُّون في بيروت بتحرير جريدة دينيَّة دعوها « النشرة الشهريَّة » ثمَّ ابدلوها في غرَّة السنة ١٨٧٠ بالنشرة الاسبوعيَّة . فكان ذلك داعياً لنشر جريدة كاثوليكيَّة انشأها الآباء اليسوعيُّون في السنة نفسها ودعوها « المجمع الفاتيكاني » ثم عقبها « البشير » في ايلول من تلك السنة وكان اوَّلاً على قطع المجلَّات ثم طُبع على قطع الجرائد ولم يزل في اتّساع وتحسين حتى صار كما هو اليوم . ورأت السنة ١٨٧٠ انشاء جرائد ومجلَّات اخرى كالزهرة وكانت جريدة اخباريَّة عُني بنشرها الاديب يوسف الشلفون والنحلة للقس لويس صابونجي السريانيّ وكانت ادبيَّة وعلميَّة والنجاح وكانت اخباريَّة سياسيَّة انشأها القس المذكور مع يوسف الشلفون ثم . صارت ملكاً للمرحوم رزق الله خضرا بشراكة الطيب الذكر المطران يوسف الدبس . وفي تلك السنة ذاتها انشأ المعلم بطرس البستاني وابنهُ سليم مجلة الجنان وجريدة الجنَّة فصار لهما رواج

وممَّا امتاز بهِ هذا الطور الثالث ايضاً الجمعيات العلمية في الشرق فعُقدت جمعية آسويَّة (انجمن دانش) في دار السلام نُشرت قوانينها واسماء اعضائها في المجلَّة الاسيويَّة الالمانيَّة (ZDMG. VI, 273-285) وكذلك اخذ العلماء المصريُّون يضمُّون قواهم لنشر الاداب فبهمَّتهم طُبعت في بولاق تآليف معتبرة كالاغاني لابي الفرج الاصفهانيّ وامثال الميدانيّ واحياء علوم الدين للغزَّاليّ والخطط للمقريزيّ . ولم تخلُ سوريَّة من جمعيَّات علمية نفعت الآداب بمنشوراتها الحسنة

امَّا المدارس فانَّها زادت في هذا الطور ترقياً لاسيما مدارس المرسلين الكاثوليك من ذكور واناث ومدارس الاميركان لاسيَّما كليَّتهم التي علَّموا فيها اللغات والعلوم وكانت

الدروس تُلقى فيها اوّلًا بالعربيَّة وطبعوا عدَّة كتب مدرسيَّة في ضروب العلوم كالطبيعيَّات والرياضيَّات والهيئة والكيميا والجغرافيا ثمَّ اتخذوا للتدريس اللغة الانكليزية لتوفُّر اسبابها لديهم

وقد أُنشئت في هذا الطور مدارس جديدة اخصُّها المكتب العسكري الذي ترقّى بهمَّة اصحابهِ ونال الشهرة في انحاء سوريَّة . والمدرسة الوطنيَّة التي فتحها بطرس البستاني سنة ١٨٦٣ في بيروت فجارت في تعاليمها بقيَّة مدارس المدينة بمساعي منشئها وولدهِ سليم . وفي السنة ١٨٦٥ انشأ الروم الارثذكس مدرسة الثلاثة الاقمار على طرز المدرسة الوطنيَّة . وفي اواخر تلك السنة وضع الطيب الذكر غريغوريوس يوسف بطريرك الروم الكاثوليك اساسات المدرسة البطريركيَّة فذاعت شهرتها واقبل اليها الطلبة من الشام ومصر وقبرس وتخرَّج فيها كثيرون من الادباء فنبغوا في المعارف والآداب العربيَّة . ولم يلبث السيّد البطريرك ان فتح ايضاً في عين تراز مدرسة اكليركيَّة لتهذيب طلبة الكهنوت . ومن المدارس المارونيَّة المنشأة في ذلك الوقت مدرستان في عرمون انشأ الواحدة همَّام مراد سنة ١٨٦٥ وعُرفت بمدرسة مار نيقولا العريقة والاخرى مدرسة المحبة جدَّدها الخوري ميخائيل سباط سنة ١٨٦٧

امَّا المطابع فانَّها في مدَّة العشرين سنةً اصدرت عدداً لا يُحصى من المطبوعات في كل الفنون سواء كان في سوريَّة او في مصر والهند . وقد ذكرنا تاريخ معظم هذه المطابع في الشرق وممَّا استجدَّ من المطابع في هذا الزمان في بيروت المطبعة السوريَّة التي انشأها المرحوم خليل افندي الخوري سنة ١٨٥٧ وقد وصفنا تاريخها وقائمة مطبوعاتها في المشرق (٣ : ٩٩٨) وفي السنة التالية احدث الدكتور ابراهيم النجار مطبعةً عُرفت بعد ذلك بالمطبعة الشرقيَّة (المشرق ٣ : ١٠٣٢) . وبعدها بثلاث سنوات نال يوسف الشلفون الرخصة بفتح مطبعة دعاها المطبعة العمومية (المشرق ٣ : ٩٩٩) فنشر فيها عدَّة كتب ونشرات وجرائد . ثمَّ ظهرت المطبعة الخاصيَّة سنة ١٨٦٥ فخدمت الآداب العربيَّة نحو ثماني سنوات (المشرق ٣ : ١٠٣٢) وفي السنة نفسها كانت المطبعة السريانيَّة التي نُقلت ادواتها بعد قليل الى الشرفة (المشرق ٤ : ٨٩) وكذلك ظهرت وقتئذٍ المطبعة الوطنية لجرجس شاهين (المشرق ٤ : ٨٦) . ثمَّ انشأ جناب الاديب الفاضل خليل افندي سركيس مطبعة المعارف سنة ١٨٦٧ شركةً مع المعلم بطرس البستاني الى

سنة ١٨٧٤ حيث انشاء المطبعة الادبية . وكان آخر ما انشئ من المطابع في هذا الزمان سنة ١٨٦٩ المطبعة اللبنانية لحنا جرجس الغرزوزي (المشرق ٤ :٨٦ — ٨٧) ومطبعة الجمعية الارثذكسية لجرجس يزبك التي لم تطل مدّتها ولم تتجاوز مطبوعاتها ثلاثة او اربعة كتب دينيّة

وفي هذا الطور نفسهِ انتشر فنّ الطباعة العربيّة في لبنان وكان قبلها منحصرًا في مطبعة مار يوحنّا الصابغ في الشوير امّا مطبعة قزحيا فكانت حروفها سريانيّة واوّل مطابع لبنان في هذا العهد مطبعة بيت الدين كان الساعي بادارتها حنّا بك اسعد الصعب باشر اوّلًا سنة ١٨٥٣ بعض المطبوعات الحجريّة ثمّ طبع على الحروف سنة ١٨٦٢. ثم ندب المرحوم داود باشا يوسف الشلفون لانشاء مطبعة لمتصرفيّة لبنان فأنشئت المطبعة اللبنانيّة سنة ١٨٦٣ تولى تدبيرها ملحم النجّار ثمّ نقلها الى دير القمر سنة ١٨٦٩ . وفي المطبعة اللبنانيّة طبعت جريدة لبنان الرسميّة كان يحرّرها حبيب افندي خالد (المشرق ٤ :٤٧٣)

ثمّ ظهرت مطبعة دير طاميش سنة ١٨٥٨ فوق وادي نهر الكلب (المشرق ٤ : ٤٧٣) فاشتغلت عشر سنوات. وأنشأ المرحوم رومانوس يمين سنة ١٨٥٩ مطبعة اهدن فشاركهُ في العمل الخوري يوسف الدبس (المشرق ٤ :٤٧٣)

امّا الجهات فظهرت فيها ايضًا مطابع اخرى فانشأ المرحوم حنّا الدوماني سنة ١٨٥٥ في دمشق مطبعة انتقلت بعد ذلك بالشراء الى حنّا الحدّاد ثمّ الى محمّد افندي الحنفي . ثمّ جلبت ولاية سوريّة الجليلة سنة ١٨٦٤ مطبعةً نشرت فيها جريدتها الرسميّة «سوريّة» مع عدّة مطبوعات اخرى (المشرق ٤ :٨٧٩) — وانشئت في الموصل سنة ١٨٥٦ مطبعة جليلة بادارة حضرة الاباء الدومنيكان فأدت للدين والعلم والآداب خدمًا متعدّدة ولم تزل حتى اليوم جارية على خطّتها (المشرق ٥ :٤٢٢). وفيها انشئت ايضًا المطبعة الكلدانيّة بهمّة احد ابنائها الشمّاس رافائيل مازجيّ سنة ١٨٦٣ (المشرق ٥ :٨٤٠) — وظهرت في كربلاء مطبعة حجريّة سنة ١٨٥٦ طُبعت فيها مقامات الشيخ محمود الالوسي (المشرق ٥ :٨٤٣) ثمّ استحضر الميرزا عبّاس مطبعةً اخرى حجريّة في بغداد فعُرفت بمطبعة كامل التبريزي ونفعت العلوم ببعض المنشورات نحو خمس سنوات (المشرق ٥ :٨٤٣ — ٨٤٤) . ثمّ بطلت تلك المطبعة بظهور مطبعة ولاية بغداد سنة

١٨٦٩ فأصدرت جريدة الولاية ومطبوعات غيرها (المشرق ٥ : ٨٤٣) — وكذلك حلب فانَّ فنَّ الطباعة تجدَّد فيها في اواسط القرن التاسع عشر. وكان اوَّلا احد الفرنج المدعو بلفنطي السرديني نشر بعض المطبوعات الحجريَّة في الشهباء. منها ديوان الفارض سنة ١٢٥٧ (١٨٤١) وكتاب المزامير. ثمَّ اهتمَّ الطيّب الاثر المطران يوسف مطر بانشاء مطبعة على الحروف فطُبع فيها منذ السنة ١٨٥٧ الى يومنا نحو ٥٠ كتاباً بين كبير وصغير (المشرق ٣ : ٣٥٧—٣٥٨)

امَّا اوربَّة فكانت فيها الدروس الشرقيَّة لاسيا اللغات الساميَّة على خطّتها الشريفة. وكان عدد وافر من تلامذة دي ساسي قد انتشروا في اقطار شتى فبعثوا الهمم لدرس آثار الشرق ولغاتهِ واحياء دفائنهِ فعُقدت جمعيَّات جديدة وأُنشئت المدارس وتوفَّرت المطبوعات والخزائن الكتبيَّة. وكانت فرنسة في مقدَّمة الدول لما كان بينها واقطار الشرق من العلائق والمعاملات وخصوصاً بلاد الجزائر

وممَّا ساعد على توفير اسباب الترقي للآداب العربيَّة في هذا الطور الثالث بين نصارى الشرق خاصَّة بطاركة اجلَّاء محبُّون للعلوم وساعون في تنشيطها بين مرؤوسيهم. فكان يسوس طائفة الروم الكاثوليك الملكيين السيّد المفضال مكسيموس مظلوم الذي مع وفرة اشغالهِ في تدبير بنيه ابقى لهم من تآليفهِ او ترجمتهِ نيّفاً وخمسين كتاباً طُبع نحو نصفها في بيروت ورومية والاستانة ومصر وهي في كل ضروب العلوم من لاهوت نظري وادبي وجدل واخبار قديسين وعبادة وطقوس وتاريخ وجغرافية وصرف ونحو وطبيعيَّات. فكان مثال جدٍّ ونشاط لم تخمد همتهُ الَّا مع خمود انفاسهِ في ١٠ آب سنة ١٨٥٥

وقام على الطائفة المارونيَّة غبطة البطريرك بولس مسعد سنة ١٨٥٤ وكان من البارعين في معرفة الانساب والتاريخ الشرقيّ والحقّ القانوني خلَّف من كلّ هذه العلوم آثارًا حسنة

وفي هذه الغضون كان على السريان الكاثوليك البطريرك اغناطيوس بطرس جروه وقد ذكرنا في المشرق (٩ : ٦٩٧) ما لهُ من الآثر العلميَّة. ولمَّا دعاهُ الله الى دار الخلود في سنة ١٨٥١ خلفهُ ذلك الرجل المفضال الكثير المبرَّات اغناطيوس انطون السمحيري (١٨٥٣—١٨٦٤) الذي عُني بتهذيب اكليروس طائفتهِ في مدرسة الشرفة وفي

مدرسة غزير ومدرسة البروباغندا في رومية العظمى فخرج من هذه المدرسة رجال افاضل سنذكرهم في تاريخ وفاتهم

أمّا الارمن الكاثوليك فكان يدبّرهم البطريرك غريغوريوس بطرس الثامن منذ السنة ١٨٤٣ فما كان لينسى تعزيز الاداب في طائفته فاهتمّ في نماء مدرسة بزمّار وتنظيم كهنتها على قوانين خصوصيَّة كما انَّهُ ارسل الى غزير بعض بني جنسهِ فانجزوا فيها دروسهم ثمَّ اشتهروا في خدمة النفوس ولهم تآليف دينيَّة. ثمَّ قام بتدبير الطائفة الارمنية السيّد انطون حسُّون سنة ١٨٦٦ وكان من رجال الفضل والعلم فجرى على مثال سلفهِ في نشر الآداب بين أبناء امّتهِ

وكذلك الكلدان فانَّ بطريركهم يوسف اودو (١٨٤٨—١٨٧٨) سعى في انماء الآداب في ملّتهِ. وهو الذي انشأ لابناء طائفتهِ مدرسة اكليركيَّة في الموصل وارسل احداثًا منهم الى مدارس اخرى فنجحوا

وقد عُرفت الرسالة الاميركيَّة في هذا العهد بنشاط عظيم اشتهر بينها الدكتور عالي سميث والدكتور طمسن والدكتور ڤان ديك فانكبُّوا على درس اللغة العربية حتَّى اتقنوها. وكان من اثمار اجتهادهم ترجمة الكتاب المقدَّس باشر فيها سنة ١٨٤٩ الدكتور سميث بمعاونة المعلم بطرس البستاني فعرَّب قسمًا من كتب موسى ثمَّ توفي سنة ١٨٥٧ فقام بتعريبها من بعدهِ الدكتور ڤان ديك ولم يزل يفرغ في انجاز العمل كنانة جهده حتى انتهى منهُ سنة ١٨٦٤ بمساعدة الشيخ ناصيف اليازجي. ثم طُبع الكتاب سنة ١٨٦٧. ولم تُثبَت فيهِ الاسفار المعروفة بالقانونيَّة الثانويَّة . وصار لهذه الترجمة رواج كبير حتى اتت من بعدها ترجمة الاباء اليسوعيين بمساعدة المرحوم الشيخ ابراهيم اليازجيّ فكانت اضبط نقلًا واشمل موضوعًا وابلغ لسانًا واجود طبعًا

(لهُ بقيَّة)

مطبوعات شرقية جديدة

Felix Rosen : Eine deutsche Gesandtschaft in Abessinien. *Veit, Leipzig*, 1907, in-8°, XII-496.

بعثة المانيَّة الى بلاد الحبشة

ليست غاية هذا الكتاب وصف الحبشة وتعريف مجمل احوالها وانما المقصود منهُ ذكر رحلةٍ باشرتها بعثة علميّة وسياسيّة معاً وتفاصيل اخبارها في مسيرها وما حدث لها في طريقها. ومؤلف الكتاب كان احد اعضاء هذه الرحلة فلم يصف شيئاً الّا عاينهُ. وكانت طريق هذه البعثة على حواضر الحبشة من جيبوتي الى هرار فأديس ابابا فدبرا مرقس فكوراتو فقندهار فاكسوم فعدوى فاسمارو فمصوَّع وزاروا من اقاليمها هرار والشوا وكدجام ودامات واحرة وتغراي والبلاد المتاخمة لبحر قلزم. وقد دخلت البعثة المذكورة تلك الاصقاع كلها فرقبت حيوانها ونباتها واحوال جوّها وعادات اهلها في دينهم ودنياهم وسياستهم وتجارتهم الى غير ذلك ممَّا يتوق الى معرفتهِ الاوربيُّون ورسموا الصور العديدة فاستفاد من كل ذلك صاحب الكتاب ودوَّن خلاصتهُ في تأليفهِ ريثما تُنشر الاشياء بالتفصيل في مجلَّدات عديدة يقتبس من انوارها العلماء. ونتمنَّى أن يطلعنا قريباً الدكتور فلامنغ (D^r Flemming) على المخطوطات التي عثر عليها في هذه الرحلة واليوم نشكر المسيو روزن الذي سبق فعرَّفنا اجمالًا بنتائج البعثة الاب م · شان

A. CRICHTON : **Ethiopic Grammar** by **August Dillmann**, 2^d ed. enlarged and improved by **Carl Bezold.** *London, Williams and Norgate*, 1907, 8°, XXX-581 pages.

اصول اللغة الحبشيَّة

ليس في اللغة الحبشيَّة غراماطيق اوسع واضبط من تأليف المستشرق اوغست ديلمان في الالمانيَّة · فقصد الاديب الانكليزي كرشتون ان يفيد بهِ اهل وطنه كما افادهم بترجمة غراماطيق العلّامة نلدكه الالمانيّ في اللغة السريانيَّة · ولم يكتفِ المسيو كرشتون بترجمة بسيطة موافقة للاصل بل زاد عليها فوائد متعدّدة فمن ذلك انَّهُ صدَّر كلَّ فصل بعنوانهِ زيادةً للايضاح ثمَّ وفَّر الامثلة بعد كل قاعدة وذيَّل الكتاب بملحوظات جديدة تؤيد اقوال ديلمان او تصلح بعض آرائهِ · ومن فضلهِ ايضاً انَّهُ اشار الى كل المطبوعات

الحديثة التي نُشرت بعد تأليف ديلمان تنويهاً بمضامينها. وكان المنشّط على هذا العمل السيوكرل بتسولد احد أعلام المستشرقين في زماننا وهو يؤمل – وكذلك نشاركهُ في امله – بانّ هذا التأليف الجديد سوف يوسّع نطاق الدروس الحبشيَّة ويقرّب فوائدها ليس فقط من الطلبة الانكليز لكن من كل محبّ اللغات الشرقية م. ش.

G. RIVIÈRE : **La Terre des Pharaons**. *Paris, Schleicher*, 1907, 8°. *Prix* 3f.50.

ارض الفراعنة

نسي صاحب هذا الكاتب ان يعرض لقرّائهِ الغاية التي قصدها من وضع تأليفهِ. وما تحقّقناه بعد المطالعة انّ العلم لم يكن اليهِ في حاجة ماسّة. نعم انّهُ لا يخلو من معلومات عديدة موافقة للتاريخ لكنّها كلّها معروفة من التآليف السابقة. وقد بخس هذه الامور شيئاً من حقّها اذ خلط فيها مذاهبهُ الوهمية غير المستندة الى الحقائق الوضعيَّة. كفانا دليلًا على قولنا انّهُ جعل منشأ الدين النصرانيّ في ارض الفراعنة لا في اليهوديّة. وكذلك قد اكتشف اكتشافاً آخر هو في الغرابة بمكان فقد زعم انّ الاسفار المقدّسة ليست هي سوى مقتطفات من خزائن كتب الاسكندريّة ومنف على يد بعض الربّانيين. فترى من هذه الآراء العجيبة ما يستحقّهُ الكتاب من الاعتبار

م. ش

R. Hartmann: Die geographischen Nachrichten über Palaestina und Syrien in Ḫalîl aẓ-Ẓâhirîs زبدة كشف الممالك. Dissert. 1907.

جغرافية فلسطين والشام في كتاب زبدة كشف الممالك

ازهر غرس الدين خليل بن شاهين الظاهريّ في القرن التاسع للهجرة والخامس عشر للمسيح. ولهُ كتاب مفيد في وصف الممالك الاسلامية وقد اتّسع خصوصاً في وصف بلاد الشام وفلسطين التي كان استوطنها مدّةً. وممّا اخبره انّ اباهُ شاهين كان رمّم قبر راحيل على طريق بيت لحم. والعلماء اشاروا غير مرّة الى تأليفهِ حتى نشرهُ بالطبع سنة ١٨٩٤ الفرنسوي راڤاس (Ravaisse) الّا انّ في هذه الطبعة اغلاطاً كانت تشوّههُ فاراد السيو هرتمان احد تلامذة العلّامة سيبولد الذي قضى زمناً في مكتب الآثار القديمة الالماني في القدس الشريف أن يُصلح تلك الاغلاط فخصّ بنقدهِ القسم

المختص بالشام عموماً (١ والقدس خصوصاً اوّلًا بمقابلة الطبعة الباريسيّة بنسختي اوكسفرد وبرلين الخطّيتين ثمّ ثانياً بدرس تاريخ وآثار اورشليم على عهد الظـاهريّ فجمع عدّة ملحوظات مفيدة واصطلاحات مهمّة نشرها في هــذا التأليف. وقد وجدنا انهُ مُصيب في معظمها وانهُ لم يدخر وسعهُ في مراجعــة كلّ التآليف المساعدة لهُ في العمل ليس الالمانيّة فقط بل الفرنسويّة ايضاً كمجموع الآثار الشرقية للمسيو كارمون غانو. وكذلك بحث في جغرافيّ العرب لملّهُ يقف على ما نقلهُ الظاهري عن الكتبة الاقدمين فاستدلّ على موارده لكنهُ لم يمكنهُ الاطلاع على كتاب اوسع صنَّفهُ الظاهري ودعاهُ كشف الممالك وهو الذي لخصهُ بكتــاب زبدة كشف الممالك. فنمحض الشكر لمؤلف هذا الكتاب ونتمنى لتأليفهِ رواجاً س. ر

G. MASPERO: **L'Archéologie égyptienne.** Nouvelle édition entièrement refondue. [BIBLIOTH. DE L'ENSEIGNEMENT DES BEAUX-ARTS]. *Paris, Picard et Kaan,* 1907, 8° 336 *pp.* et 330 *fig. et photographies.*

الآثار القديمة المصريّة

كان ظهور هذا الكتاب مرّةً اولى قبل عشرين سنة فانتشر بسرعة غريبة لشهرة كاتبهِ المسيو مسپيرو الاثريّ الفرنسويّ الذي وُلّي اليوم ثانيةً ادارة شؤون العــاديات المصريّة. وقد كُرّر طبعهُ غير مرّة ليس فقط في الفرنسويّة لكنْ في الانكليزيّة ايضاً حتى بلغ فيها طبعتهُ الخامسة السنة ١٩٠٢. وكان المؤلف في طبعاتهِ الفرنسويّة السابقة لا يكاد يُصلح فيهِ الّا النزر القليل وقد رأى اليوم انّهُ لا بُدّ لهُ من اعادة النظر فيــهِ واصلاحهِ بالتمام وفقاً للاكتشافات المتعدّدة التي ابرزت الى الوجود عالمًا مجهولًا كان قبلًا مدفوناً في اعماق الارض. وهذه الطبعة الجديدة قد انتهت منذ زمن قريب فتصفّحناهــا لمعرفة خواصها فوجدنا فيها تحسينات عديدة. نعم انّ المؤلف لم يغيّر هيئة كتــابهِ وتقاسيمهُ القديمة الّا انهُ قد دقق النظر في كل صفحة من صفحاتهِ فأصلح ونقّح وهذّب وحسّن وقد اختار من التصاوير ادقّها واحدثها. وممّا استغربناهُ انّهُ لم يثبت اكتشــافات عديدة اتّسعت فيها المجلّات والجرائد وكذلك لم يغير رأيهُ في الاهرام والمقصود من بنائهــا.

١) وكان العلّامة روزنمولّر نقل هذا القسم الى اللاتينيّة (Rosenmüller: *Analecta arabica,* III, 1828).

ولعلّ المسيو مسپرو مع علمهِ الواسع بالعاديّات المصريّة والاكتشافات الحديثة لم يرَ الوقت مناسباً لتدوين محصولات العلم ريثما تخمد اقوال العلماء المتناقضة وتتّضح الامور المبهمة باكتشافات أُخرى تزيل الغموض وتثبت الحقّ. وما لا ريب فيهِ انّ المؤلف الفاضل ضرب صفحاً عن آثار عديدة لانهُ لم يقصد من كتابهِ خلاصةً تشمل كل تاريخ الآثار المصرية كما فعل سپيغلبرغ (Spiegelberg: *Gesch. d. aegyp. Kunst*) بل نوى وصفاً لأهم تلك الآثار الصناعية وأخطرها ليقف عليها محبّو الفنون الجميلة والعاديّات المصريّة وعلى كلّ حال ستفوز هذه الطبعة الجديدة برواج اعظم من الطبعات السابقة س. ر

AL-BATTANI sive ALBATENII OPUS ASTRONOMICUM. Pars secunda. Versio Tabularum omnium cum Animadversionibus, Glossario, Indicibus a **Carolo Alphonso Nallino**, *Mediolani, Hœpli*. 1907, XXI-413.

كتاب الزيج الصابئ. الجزء الثاني

أطرينا مرّتين (المشرق ٣: ٧١٧ و٦: ١٠٠٤) على خواص هذا الكتاب وعلى محامد صاحبهِ ابي عبد الله محمّد بن سنان بن جابر الحرّانيّ المعروف بالبتّانيّ من علماء الصابئة في القرن العاشر كما أنّنا بيّنا ما للعلامة الايطالي المستشرق كرل نلّينو من الفضل بطبع هذا السفر الجليل الذي لم يكن يُعرف منهُ سابقًا الّا ترجمة لاتينيّة قديمة سقيمة فطبع لاوّل مرّة في رومية العظمى اصلهُ العربي ثمّ الحقهُ بعد سنتين بترجمة لاتينية جديدة وكان بقي عليهِ ان يتمّهُ بكتاب ثالث يودعهُ ملحوظات شتى وهو القسم الذي وصل الى يدنا منذ عهد قريب فقلّبناه لاستطلاع فوائدهِ فاذا هو اهل بالقسمين السابقين لا بل يستوجب شكرًا اعظم لما يستدعيهِ من النظر الدقيق والابحاث الرياضية الشاقّة المملّة. فنقل الى اللاتينيّة اوّلًا الجداول المديدة التي اضافها البتّاني الى زيجهِ الصابئ منها جداول تاريخية وجداول جغرافية وجداول حساب مساحة المثلثات وجداول الهيئة الكرويّة وجداول حركات الشمس والقمر وكسوفهما واختلاف منظرهما في الطول والعرض وجداول تعديل السيارات وعروضها وجداول الكواكب واوضاعها. ثمّ عقّبها بحواشي واصطلاحات على النسخة الاصلية وهو شغل شاغل لا يعرفهُ الّا الذي عُني به مع كثرة ما يقع من الاغلاط النسخيـة التي تشوّه المعنى لاسيما في حساب الجمـل اذ تتغيّر

الاقدار بتغيير الحروف. فراجع المسيو نلينو تلك الجداول وبعد ان طبعها كما وجدها في الاصل الحقها بجداول صحيحة كما استنتجها بالحسابات المضبوطة. وزاد على ذلك معجماً للالفاظ الفلكيَّة التي وردت في كتـاب البتَّاني مع شرحها وافادات على صحَّة معانيها. فلا يسعنا بعد هذا الوصف الَّا ان نكرّر شكرنا للمسيو نلينو وتحريضنا لمحبّي العلوم العربية بان يغنوا مكاتبهم بهذا الكنز الفريد الاب م. كولنجت

CAIRO, JERUSALEM, DAMASCUS. Three chief cities of the Egyptian Sultans, by **D. S. Margoliouth,** with illustrations in colour by **W. S. S. Tyrwhitt** and additional plates by **Reg. Barratt.** *London*, *Chatto*, 1907, gr. 8°, 301 pp.

مصر القاهرة — القدس الشريف — دمشق الفيحاء

هو كتاب جليل بل طرفةٌ من طرف صناعتي الطبع والتصوير اهداناه اياهُ الطبَّاع تشاتو بوصاة المؤلف الدكتور مرغوليوث احد ائمة المستشرقين الذين شهدت مجلّتنا غير مرَّة على معرفتهم الواسعة وتآليفهم النفيسة. وهذا الاثر الجديد عملٌ صناعيّ وادبيّ فمن حيث الصناعة قد استوفى محاسنهُ انكليزيَّان بارعان بالتصوير وهما المسيو تيرويت وبرَّات فاودعاهُ ٦١ صورة منها اربعة اشكال رسمية و٥٧ تصويرًا بالالوان الزاهية الناصعة تمثل ٣٧ منظرًا من مناظر مصر وآثارها و٦ من مشاهد القدس الشريف و١٤ من محاسن دمشق. وكلها مناظر رائعة تأخذ بالابصار ويكاد يحيا بها الجماد. امَّا العمل الادبيّ فهو للدكتور مرغوليوث الذي يصف تلك الآثار المصوَّرة وصفاً مدقّقاً بقلم يسيلُ رقّة وانسجـاماً. وهذا الكتاب قد جعلهُ الدكتور مرغوليوث كتحفة اهداها صاحبةَ الفضل كريمة مصطفى فضل باشا. امَّا الطبع والتجليد فهما كما يليق بكتاب كهـذا الذي هو من جملة مطبوعات اخرى شبيهة بهِ في خواصّ الطبع والتصـاوير ومن شأنهِ أن يأسر قلوب الاوربيين بمحاسن الشرق ويزيد الشرقيين اعتبارًا لمسقط رأسهم س. ر

D. Bernard Maréchaux: Les Litanies du St Nom de Jésus. *Paris*, *Beauchesne*, 1907, in-36, pp, 171.

طلبة اسم يسوع

قال الكتـاب عن اسم يسوع (اعمال ٤: ١٢) : «ليس اسم آخر تحت السماء ممنوحاً للناس بهِ ينبغي ان نخلص» وقال القديس بولس (في ٢: ٩). «وهب الله (السيد

المسيح) اسماً يفوق كل اسم لكي تجثو باسم يسوع كل ركبـــة مما في السماوات وعلى الارض وتحت الارض » . فلما عرف المسيحيُّون شرف هذا الاسم وقوَّتهُ التجأوا اليهِ ودعوهُ في كل حاجاتهم . ومما وُضع لذلك ابتهالات تُعرف بطلبة اسم يسوع يتلوها اهل التُّقى فيربحون الغفرانات الممنوحة لتاليها . فهذه الطلبـــة قد وضع عليها الاب البندكتي ماريشو شروحاً وارشادات خشوعية تصلحُ للنفوس التقويَّة فنوصي بكتابه محبي الكتب الدينية ل . ش

Dr WILHELM LERMANN: **Altgriechische Plastik**, Eine Einführung in die griechische Kunst des archaischen u. gebundenen Stils, mit 80 Textbildern u. 20 farbigen Tafeln. in-4°, *München* 1907, *Beck'sche Verlagsbuchhandlung*.

صناعة النقش عند قدماء اليونان

بلغت النقاشة اليونانية القديمة مبلغاً من الدقَّة والحسن لم يبلغها احد من الشعوب بعدهم . فيحتاج كلُّ من يريد التعمُّق في هذه الصناعة ان يدرسها متمعناً في آثارهم التي ابقوها من بعدهم . على انَّ هذه الآثار قد توفَّرت منذ خمسين سنة بالحفريَّات المتعدّدة التي أجراها ارباب الفحص فصار محبو الفنون الجميلة في حاجة الى كتاب يشمـــل هذه الآثار الجديدة ويبني عليها قوانين فنّ النقاشة . وهذا ما توخَّاهُ صاحب الكتاب الذي نحن في صددهِ المسيو لرمان لاهل وطنهِ الالمانيين فانَّهُ دقَّق النظر في كل نقوش اليونان واستخلص من درسها القوانين التي كان القدماء يحفظونها في رسومهم ونقوشهم وبذلك صحَّح عدَّة آراء كان الالمان يذهبون اليها مستندين الى احد علمائهم الذين برزوا قبـــل ١٥٠ سنة في هذا الفنّ وهو العلامة ڤيكلمان (J. J. Wickelmann) وكان بعض المحدثين كبرون (Brunn) وفرتڤنكلر (Furtwaengler) ولانج (Lange) قد اصلحوا شيئاً من اوهام ڤيكلمان بدرس الآثار الَّا انَّ الدكتور لرمان قد جدَّد هـــذا العلم بابحاثهِ ووضع لهُ قوانين راهنة استمدَّها من فحص الاثار وخصوصاً آثار قلعة اثينا . وأيَّد تعاليمهُ هذه بنحو ٨٠ تصويراً رسمها في كتابهِ بياناً لمقصودهِ كما فعل في فرنسة العالمان لوشا (Lechat) وبيرو (Perrot) ولهُ فوق ذلك فضـــل آخر وهو انهُ ضمَّن كتابهُ ٣٠ صورة من ابدع النقوش اليونانية الملوَّنة التي وجدها في المتاحف وبهذا حفظ دورتها الاصلية قبل فقدها لأنَّ الالوان كما لا يخفى تبور بعد مدَّة بفعل النور ر . م

Hi LEROY. S. J.: **Jésus - Christ, sa vie, son temps.** Leçons d'Ecriture Sainte prêchées au Gesù de Paris et de Bruxelles. Année 1907. *Beauchesne* 1907, in-12, 360 pp.

مجموع خطب على الكتاب المقدَّس

انَّ حضرة الاب لوروا اليسوعيّ الذي نزل ضيفًا في كليتنا قبل بضع سنوات من الوعّاظ المعدودين. وقد شرع منذ السنة ١٨٩٤ في عاصمتي فرنسة وبلجكة بخطب على طريقة قدماء الآباء كالقديس يوحنَّا فم الذهب والقديس كرلس الاسكندري يضمّنها شروحًا على الاسفـــار المقدَّسة فيعلّم ويرشد معًا وكانت الجموع تزدحم حول منبره لاستماع هذه الميامر التي بلغ عدد مجلّداتها ١٣ كتابًا تجد فيها موادّ لا تُحصى من اعمال وامثال واقوال العهدين القديم والجديد شرحها شرحًا مستوفيًا خطـابيًا من شأنهِ تنوير الالباب وتحريك العواطف. وربَّما اختار حضرة الواعظ الابحاث الدينيـــة العصريَّة التي يتداولها ارباب القلم فمن ذلك المجلد الاخير من عظاتهِ الذي بلغنا مؤخرًا فهو يحتوي على خطب في حقوق الكنيسة والحكومة وفي الاضاليل العصريَّة وفي سلطة الكنيسة لتحديد القضايا التعليميَّة الى غير ذلك من المواضيع التي خطب فيها في العام الماضي ١٩٠٧ . فكفى بوصف هذه المواعظ المستطرفة تنويهًا بفائدتها ليس في فرنسة فقط بل في بلادنا ايضًا حيث اخذت تسري بيننا تلك الاضاليل فيحتاج الكهنة الى تفنيدهـــا وهذه الخطب من افضل الموارد التي يمكنهم الاستمداد منها لمنفعة العموم ل. ش

شَذَرَاتٌ

الكليَّة الغريغوريَّة هذه الكلية يديرهـــا الآباء اليسوعيُّون في رومية يرتقي اصلهـــا الى ايَّام غريغوريوس الثالث عشر الذي انشأها وسلَّم ادارتها الى الرهبنة اليسوعيَّة. ولما دخل الايطاليُّون الى رومية ضبطوا المدرسة فانتقل المعلمون الى المدرسة الجرمانيَّة القديمة وأُصيبت المدرســة ببعض التأخر الَّا انَّ تعليمها لم يزل يزيد شهرةً حتَّى اضحت اليوم من اكبر المدارس الكاثوليكية وارقاها فضلًا واكثرها عددًا مع انَّهُ هناك لا تُلقى غير الدروس العليا من لاهوت وفلسفة وآداب خاصَّة وشرح الاسفار المقدَّسة. وقد وقفنا على لائحة المدرسة في آخر العام الماضي واذا طلبتها يبلغون ١٠٥٠

عدًا من كل بلاد العالم الكاثوليكيّ والجمعيات الرهبانية وكثيرًا ما صرّح الاحبار الرومانيون بسامي رضاهم عن تلك الكلية وتعاليمها. وقد خرج منها العدد العديد من الباباوات والكرادلة والاساقفة الذي كانوا منذ ٣٠٠ سنة فخرًا للكنيسة وسندًا لكل الاعمال العظيمة

✤ قِدَم الانسان في اميركة ✤ وجد العلماء في نبرسكا ووسكنسين من اعمال اميركة عدّة رفات من البشر الاقدمين الذين سكنوا اميركة وكانت هذه الجثث في اعماق الارض وطبقاتها السفلى التي يقدّر علماء الجيولوجية ارتقاءها الى خمسة آلاف سنة قبل المسيح وقد صوّروا كثيرًا من هذه الرفات التي لا تخالف الهياكل البشريّة في يومنا شيئًا. امّا دخول هؤلاء الناس الى اميركة فيقدّرون انهُ حصل من شمالها في الطور الجليديّ اذ كان بنو آدم يستطيعون ان يدخلوا اليها مجتازين على الجليد من آسية

✤ فسيفساء بره جيك ✤ بره جيك وهي البيرة مدينة على الفرات عندها يقطع النهر المسافرُ الى جهات الرها وديار بكر فهناك وُجد حديثًا اثر جليل يرتقي الى عهد الرومان صُنع في القرن الثالث للمسيح وذلك فسيفساء بديعة تمثّل قيصر الرومان جالسًا على عرشهِ في هيئة الملك يحيط بهِ اثنا عشر اقليمًا من اقاليم رومية على شكل تصاوير رمزيّة ومن جملتها اقليم غاليا وُجد لاوّل مرّة مصوّرًا على شكل امرأة جليلة على رأسها تاج تزينهُ البروج كما يمثّلون الإلهة سيبال. وهذه الفسيفساء قد نُقلت الى متاحف اوربا يُعرف منها اليوم ٢٧ قطعة في برلين وروميه وبطرسبرج ودرسد

✤ مجلّة المشرق والدين ✤ نقلنا في المشرق (١٠ : ٨٦٢) نبذة من خطاب ألقاه جلالة الامبراطور غليوم اطرأ فيهِ روح الدين الى ان قال «لا شيء ادعى الى الالفة والوئام والنجع لتوطيد دعائم الوفق والمحبّة بين عموم الطبقات من التدرّع بالدين والتمسُّك باهدابهِ» فرأت مجلّة اميركيّة عُرفت بمبادئها السقيمة ان توجه سهام الملام الى مجلّتنا لقولنا بان هذا الكلام الجدير بالاعتبار ينفي رأي الذين يدّعون «ان تقويض اركان الكنيسة وغسل الهيئة الاجتماعية من كل صبغة دينيّة من اسباب الارتقاء العصريّ». ثمّ اخذ صاحبها بيانًا لحجّتهِ يؤيد قولنا ويدعمهُ باوضح برهان من حيث لا يدري فقال «ان الدين يجب ان يُحصَر في المنازل والكنائس ولا يُعلّم في المدارس لانهُ يملأ الاذهان بالتصوُّرات والخيالات» ثمّ اردف قولهُ «بانّ الامبراطور لا يعني وجوب

اتصال الدين بالحكومة » . حتى اتمّ ذلك بقولهِ انَّ الامبراطور رئيس دينيّ ومدني في بلادهِ فلا يصحّ ان يُتّخذ رأيهُ حجّة يُحتجّ بها . . » لانهُ لتوطيد عرشهِ « لم يجد خيرًا من الدين آلة ووسيلة . . . منعاً للشعب ان يميل الى مبادئ حقوق الانسان » فيا لهُ من فيلسوف ضليع بالمبادئ الفلسفية يريد الاحتجاج علينا وفي لغطهِ مناقضة تزيد كلامنا حجّة . فيا ليت شعري ان كان الدين كما قال الامبراطور « ادعى الامور الى الألفة والوئام وانجعها الى توطيد دعائم الوفق والمحبة فكيف يُحصر الدين في المنزل والمعابد كما يريد هذا الكاتب النحرير ويُنزع من المدارس كأنَّ الاحداث والصغار لا يتربّون في المدارس كما يتربّون في المنازل والمعابد وكأنَّ العلم الدينيّ لا يُعد من العلوم الاجتماعية كبقية العلوم . واقبح من هذا قولهُ بأنَّ الامبراطور لا يعني « وجوب اتّصال الدين بالحكومة » وكلامهُ يشمل كلّ شعبهِ ولا يقوم الشعب بلا حكومة . وبلغ الغاية في التناقض حيث قال انَّ الامبراطور « لم يجد خيرًا من الدين لتوطيد عرشهِ وان مصلحة عرشهِ وكل عرش مرتبطة ارتباطاً اصليًّا بالدين » لعمري اليس هــذا هو نفس قولنا . فان كان كلّ عرش مرتبطاً بالدين أفلا ينتج ايضاً من ذلك صحّة قولنا بوجوب اتّصال الدين بالحكومة . فيرى كل ذي عقل انَّ المشرق « لم يصارع الهواء » كما قالت تلك المجلة وكفى بأقوالها دليلًا على انّنــا اصبنا المرمى ولم يبقَ السهم طائشاً

سرعة الحركة في الثانية قد حسب احد الرياضيين حركة المتحركات فوضع لها جدولًا نقتطف منهُ الافادات الآتيــة . يقطع الماشي اذا مشى مشياً منظّماً مترًا في الثانية بمعدّل ٣٦٠٠ متر في الساعة . ويقطع الراكض المسرع ٥ امتار في الثانية . والفارس في شوطهِ ٦ امتار . والريح الليّنة ٧ امتار . وقطار السكّة الحديديّة لنقل البضائع ١٢ مترًا . والسفينة التجاريّة ١٣ م . والدرّاجة السريعة ١٥ م ونصف . وحمام الزاجل ٢٢ م . والريح الشديدة ٢٤ م . والاوتوموبيل السريع ٢٨ م . والقطــار المجدّ في السرعة (الاكسبرس) ٣٢ م . والاعصار ٤٥ م . والصوت في الهواء يجري بسرعة ٣٣٧ مترًا في الثانية . والرصاصة ٧٠٠ م . وكُرَة المدفع ٩٠٠م . وتبلغ حركة ضوء الشمس الى ارضنــا بسرعة ٣٠٨,٠٠٠ كيلومتر في الثانية . واعظم منها سرعةً تُعرف الكهرباء التي تقطع في الثانية ٤٤٠,٠٠٠ كيلومتر

ثروة فرنسة الزراعيّة تفوق فرنسة على الدول الاوربيّــة بثروتها

الزراعيَّة فانَّ محصولاتها تقدَّر بما يساوي ثمانية مليارات من الفرنكات. فانها تغلُّ من الحبوب ما يبلغ ثمنهُ ٢,٩٠٥,٢٠٣,٣٩٧ فرنكاً ومن البطاطا والخضر ٣,١٩١,٧٧٣,٤٩١ ف ومن الكروم والخمور ١,١٥٢,٦٤٢,٩٨٣ ف ومن النباتات الصناعيَّة كالشمندر والقنّب والكتّان ٢٠٤,٨٨١,٠٣٧ ف . ومن الاثمار والفواكه ٣٥٥,٤٧٩,٠٢٠ ف ومن نباتات الحدائق واصناف الزهور ٢٦٥,٧٦٢,٥٩٩ ف

السكك الحديديَّة في العالم يبلغ اليوم مجموع اطوال السكك الحديديَّة في العالم مليون كيلومتر والسبق في ذلك لاميركة التي يبلغ طول سككها نحو ٥٠٠,٠٠٠ كيلومتر اي نصف المجموع كله ثم تتبعها اوربَّة التي تبلغ سككها الحديديَّة نحو ٣٧٠,٠٠٠ ك . ثم آسية ٧٥,٠٠٠ ك . ثم اوسترالية نحو ٣٠,٠٠٠ ك . ثم افريقية ٢٥,٠٠٠ ك

اسئلة واجوبة

س سألنا احد ادباء البلدة السؤالات الاتية: ١ً يؤخذ من رواية الانجيليين الثلثة متى ومرقس ولوقا انَّ العشاء الربَّاني كان في اورشليم بخلاف رواية يوحنا الذي يجعلهُ في بيت عنيا فايَّة الروايتين هي الصحيحة — ٢ً كيف التوفيق بين قول متَّى (٢٦: ١٧—١٩) الراوي بان السيّد المسيح ارسل كافَّة تلاميذهِ لإعداد العشاء السرّي وبين قول مرقس (١٤: ١٣) « بانهُ ارسل اثنين من تلاميذه » وهما (في لوقا ٢٢: ٨) « بطرس ويوحنَّا » — ٣ً لقد قال متَّى (٢٦: ١٨) بان السيّد المسيح ارسل تلاميذه الى رجل معيَّن (اذهبوا الى فلان) واما مرقس ولوقا فيقولان بانَّ المرسلين الاثنين أُمرا باتباع خادم يلقيانهِ في المدينة حاملًا جرَّة ماء يتبعانهِ وانهما يجدان غرفةً معدَّة لهم: فما سبب هذا الاختلاف — ٤ً كذلك يقول لوقا بانَّ السيّد المسيح قال لبطرس انهُ سينكرهُ بينما هم جميعًا على المائدة يتناولون الطعام واما متَّى ومرقس فيقولان بانهُ قد قال ذلك لبطرس وهم سائرون الى جبل الزيتون فبأي الحالين كان ذلك؟ — ٥ً وقال متَّى ومرقس بان المسيح ذهب وحدهُ ليصلي قبل تسليمهِ اما لوقا فيقول بانهُ اخذ واحدًا من تلاميذهِ فما الباعث لاختلاف الرواية — ٦ً لايّ سبب لم يذكر متَّى ومرقس ظهور الملاك للمسيح وقت صلاتهِ في البستان — ٧ً ماذا تعملون من امر انجيل الطفوليَّة وانجيل نيقوديموس فنرجو الافادة

حلّ مشاكل كتابيَّة

ج نجيب على السؤال (الاوَّل) ان جناب السائل لم يُحسن مطالعة انجيل القديس يوحنَّا فانَّ هذا الانجيليّ ذكر في الفصل الثاني عشر عشاء كان في بيت عنيا «قبل الفصح بستَّة ايّام» وليس هذا العشاء بالعشاء السرّي الذي يذكرهُ الانجيليون الثلاثة

في اورشليم . فانَّ يوحنَّا تكلَّم عن هذا العشاء الثاني في الفصل الثالث عشر بعد ذكرهِ عدَّة امور جرت بين العشائين مفتتحاً قولهُ بهذه الكلمات « وقبل عيد الفصح » . وان لم يذكر « اورشليم » بلفظ صريح فانهُ اشار اليها في آخر خطبة يسوع الى تلاميذهِ بقولهِ « قال يسوع هذا وخرج مع تلاميذه الى عبر وادي قدرون » فعبر وادي قدرون يدلُّ على انَّ خروجهُ كان من اورشليم ليس من بيت عنيا . ونجيب على (الثاني) انَّ القديس متَّى لم يقل « ارسل كافَّة تلاميذهِ » لكن « ارسل تلاميذهُ » دون اشارة الى عددهم أهم اثنان او اكثر . امَّا مرقس ولوقا فعيَّنا العدد مضبوطاً . وليس بين الامرين تناقض ألا ترى انَّنا نقول عن رجل « أرسل اهل بيتهِ الى فلان » وان لم يرسل منهم الَّا بعضهم . جوابنا على (الثالث) انهُ ليس ايضاً اختلاف في الروايات فانَّ متى بقولهِ « اذهبوا الى فلان » دلَّ على ربّ المنزل الذي ارسل السيّد المسيح التلميذين اليهِ دون واسط اي حامل الجرَّة المذكور في مرقس ولوقا وهو الذي قاد التلميذين الى ربّ المنزل . فان رُوي عن رجل انهُ أرسل عبدهُ الى زيد وجاء في رواية أُخرى ان العبد أُرسل الى عمرو ليقودهُ الى زيد فليس في الكلام اختلاف بل مزيد ايضاح في احدى الروايتين . جوابنا على (الرابع) انَّ لوقا لم يقل بانَّ المسيح تنبأ بالامر لبطرس « بينما هم جميعاً على المائدة يتناولون الطعام » وانَّما ذكر الامر بعد ذكرهِ للعشاء السرّي دون اشارة الى المكان (راجع لوقا ٢٢ : ٣١) . وكذلك لا يؤخذ من كلام متى ومرقس بأنَّ هذه النبوءة صارت «بعد الخروج» ويكفي ان يُقال في شرح قوليهما انَّ الربَّ تكلَّم بذلك « عند خروجهِ » الى جبل الزيتون . قال متى (٢٦ : ٢٤ — ٢٥) : «ثمَّ سبَّحوا وخرجوا الى جبل الزيتون حينئذٍ قال لهم يسوع الخ » فقولهُ « حينئذ » يمكن تأويلهُ بمعنى قولنا « وهم خارجون » — الجواب على (الخامس) انَّ جناب المستفيد وَهِمَ في سؤالهِ فانَّ الانجيليين الثلاثة متَّفقون في قولهم بانَّ المسيح جاء مع تلاميذهِ الى جبل الزيتون وانفرد عنهم ليصلي لكنَّ متى ومرقس زادا على لوقا قولهما بانهُ لذكره المجد ترك تلاميذه في ضيعة جتسماني واخذ منهم ثلاثة بطرس ويوحنَّا ويعقوب ولمَّا انتهى الى مكان صلاتهِ تباعد عنهم قليلًا نحو رمية حجر فصلَّى . امَّا (السادس) فنجيب عليهِ بان كل واحد من الانجيليين الاربعة ذكروا اموراً اختصَّ بها الفرد منهم دون الآخرين لأنَّ الله اوحى الى كل منهم ما شاء ان يكتبهُ دون غيره — امَّا انجيل الطفولية وانجيل نيقوديموس فسنفرد لها فصلًا في عدد آخر ل . ش

المشرق



التهنئة بالاسقف الجديد

دوَّن المشرق قبل ثلاث سنوات (١٠٩٩:٧ — ١١٠٥) سلسلة رؤساء اساقفة بيروت على الطائفة المارونية الجليلة وسطَّر خلاصة اعمالهم الخطيرة وما كان ليظنّ ان سينطفئ قريبًا سراج عمر الطيِّب الذكر ذي المآثر العديدة المطران يوسف الدبس وسيُزاد على تلك السلسلة الذهبيَّة حلقة جديدة لا تنقص عن الحلقات السابقة شيئًا في حسنها وبهائها. وها قد نزعت اليوم ابرشيَّة بيروت ثوب حدادها ورفلت ببزَّة الافراح بعد ترمّلها بتعيين سيادة المطران بطرس شبلي لرعاية ابنائها الموارنة. فما كاد يقع عليه الاختيار حتَّى تطايرت اليه القلوب وشكر الجميع لغبطة بطريرك الطائفة الكلي الطوبى حسن رأيه وجودة نظرهِ. فترفع الى مقام الاسقف الجديد التهانئ بهذه الرتبة التي اهَّلته لها فضائلهُ السامية ومعارفهُ الواسعة ونهنّئ رهبانيَّتنا التي كان من انجب طلبة مدارسها كما نهنئ مجلَّتنا التي رُقم فيها اسمهُ الكريم غير

مرَّةً ولكنّنا بالخصوص نهنّئ بهِ اولادهُ الذين سيجدون فيهِ راعيًا غيورًا يهديهم الى المراعي الطيبة وينكّب بهم عن المنتجعات الوخيمة. وكفى باسمه اشارة الى علو همتهِ وقوّة نفسهِ فهو بطرس اي صخرةٌ لا تضعضع عزيمتهُ الانواء وهو الشبل فالويل للذئاب التي تترصّد رعيّتهُ لتخطف خرافها فانهُ يضحّي النفس والنفيس لخلاصها . فاعزّهُ الله واطال ايّام رعيّتهِ وبلّغهُ قصوى امانيه وبلّغ بهِ طائفتهُ غايات الخير والصلاح بظل المتبوع الاعظم ل . ش

الاسقف الصالح

تبلغ حكمة الله غايتها بالقوّة وتدبّر كل شيء بالرفق (سفر الحكمة ٨ : ١)

تبارك ربُّ الخلقِ ذو العزّ والقدرِ — هو الله يدعو مَن اراد الى الفخرِ
وليس ينالُ المرء يومًا كرامةً — سوى مَن دعاهُ اللهُ من سابق الدهرِ
كحبرٍ اتانا صالحٍ باسم ربّهِ — يماثل في تدبيرهِ مالكَ القدرِ
يديرُ الملا المولى بلينٍ وشدّةٍ — فيُنقذ من بحرٍ ويُهبط في بحرِ
يغرّق بالطوفان ابناء آدمٍ — ويجعل مَنْ بالفلك يسخرُ بالغمرِ
يعامل بالغفران والصفح نينوى — ويحرق سادومًا ويقسو على مصرِ
يُعاقب شاوول الذي عقّ ربّهُ — ويشمل بالاحسانِ داوود ذا البرِّ
كذا حبرنا وافى ليرعى خرافهُ — برفقٍ واقدامٍ لدى العرف والنكرِ
كشبلٍ لشمشونٍ وقد تمّ لغزهُ — قويٌّ وعذبٌ يمزجُ الحلو بالمرِّ
فحلوٌ لدى الأبرار مرٌّ على العدى — عداة التُّقى والدين في السرِّ والجهرِ
هو الدبس لطفًا وهو عون بباسهِ — فسقيًا لشهم يجعل الدبس في الصبرِ
ولي مذهب بالوزنتين مقرّرٌ — فبأسٌ ولينٌ وزنتا تاجرٍ حرِّ
صلاةٌ وفضلٌ ثم عقلٌ وفطنةٌ — وعلمٌ فهذه الخمسُ رابحة العشرِ
ومَنْ كان ذا بأسٍ ولم يكُ ليّنًا — فوزنتهُ مدفونةٌ اسفل القعرِ

* * *

يمثّل راس الدين إيسوع جالسًا — باعلى السما وسط المنائر كالبدرِ
برؤياه يوحنا رآه ممجّدًا — تحف بهِ الاطهارُ بالعزّ والنصرِ

على الرأس تاج والعصا بيمينه وخاتم حكم والصليب على الصدرِ
تردّى بثوب الخزّ للارض سابغًا ومنطقَ ثدييه بمنطقة الدرِّ
فشعرٌ كصوفٍ ابيضٍ فوق راسهِ لهيبٌ بعينيهِ أحرُّ من الجمرِ
وتبعث يمناهُ ضياء كواكبٍ وفي فيهِ سيفٌ صارمٌ قاطع الظهرِ
ووجهٌ كشمس الصيف عند اشتدادها تضيء بنورٍ اذ تحرّقُ من حرِّ
ورجل نحاسٍ بالوقيد مسعَّرٍ وصوت كصوت الماء في السيل اذ يجري
مناثرنا سبعٌ باسرار بيعة واشرفها تقديسهم في العشا السري
وثوب الحرير السابغ الذيل عفّةً ومنطقة الدُرِّ التُقى الفائق الحصرِ
اذا اشتهر الانسان بالطهر والتقى يحلّق في جوّ الفضائلِ كالنسرِ
ينير عقول الناس كالشمس علمه بغيرته ذابت قلوب ذوي المكرِ
طبيبُ نفوسٍ ليس يُهمل نفسهِ ويُصلحها ممَّا يشين وما يزري
لهُ قدمٌ يسعى الى الخير مطلقًا ومنطق صدق لا يُسكَّت من ذُعرِ
يمين لصنع المكرمات سخيّة لسانٌ يشقّ القلب لو قُدَّ من صخرِ
فذلك حبرٌ مثلهُ الناس ترتجي يقرّب قربانًا عن الاثم والشرِّ
ملاكًا يُسمّى في الكتابِ وكوكبًا خروفًا وليثًا راعيًا ثاقب الفكرِ
ليُسكنَ ذئبًا مع خروفٍ ونعجة ويُربض جديًا في الحظيرة مع نمرِ
فهيهات لا يطفي سراجًا مدخّنًا ويظهر في الضوضاء بالصمتِ والبشرِ
من القصب المرضوض ليس مكسّرًا وخادم كل الناس في العُسر واليُسرِ
غنيٌّ بحال الفقر والفقر كنزه وكالحمل المبرور قد سيق للجزرِ
لكالاسد الرئبال ان مُسّ شبلهُ كفنحاس يُودي بالعُصاة الى القبرِ
يغار كايليا على الدين غيرةً فيُنزل نارًا حرّقت شيعة الكفرِ
فتي صُورة الحبر المشابه ربّه وقدوة احبارٍ سموا في سما النصرِ
وكم قد بدا في بيعة الله منهمُ رجال بدوا في الليل كالانجم الزُهرِ
وانّا لنرجو ان يتمّ بحبرنا كلام الرسول الشهم في السيد الحبرِ
فيا ايها الاحبارُ هذا مثالكم فكونوا خيار الناس يا سادة العصرِ

الخوري يوحنا طنوس

اكتشاف أثر فينيقي

للاب سبستيان رنزفال اليسوعيّ مدرّس الآثار الكتابية في مكتبنا الشرقي

هو أثر جديد تزفّهُ الى قرّائنا الشرقيين يقتبسون منهُ ثلاث فوائد: تصويرهُ الصناعي ثمّ معرفة كتابتهِ القديمة وآخرًا الاطلاع على بعض تاريخ الدين الفينيقيّ

كنّا نشرنا هذا الاثر لاوّل مرّةٍ منذ بضعة اشهر في مجلّة الكتابات والفنون في باريس (١ وشرحنا على عجلة الكتابة الفينيقيّة المرقومة عليه. فأورى تفسيرنا زناد الافكار وكتب بعض العلماء فيهِ ملحوظاتهم فرأينا ان نعودَ الى هذا البحث في مجلّة المشرق ونزيد كلامنا ايضاحًا. والاثر المذكور هو اليوم في باريس ولا شكّ انهُ سيُنظم في سلك الكتابات الساميّة (CIS) التي يُنشر هناك مجموعها

الشائع من امر هذا الاثر انهُ وُجد في صور او بالحري في نواحي صور. ويؤيد ذلك انهُ شبيه من حيث صورتهِ وكتابتهِ بالآثار المكتشفة سابقًا في تلك الجهات مباشرةً من صور الى البصّة

وقياس الاثر المذكور ٤٧ سنتمترًا في علوهِ الحالي وهو منحوت في حجر كلسي خشن لكنهُ صلد ويمثّل شبه عرش صغير. في جانبيهِ صورتا ابي الهول المصريّ مجنّحتان وعلى مسند العرش المذكور نصبان متشابهان ناتئان تتوازى جوانبهما وينتهيان في اعلاهما بشكل القوس. وعلى كل نصب صورة بشريّة خفيفة النقر. وفي وجه الاثر بين صورتي ابي الهول وتحت حافة العرش المنقورة على الطرز المصريّ قد نُقش نبات رمزيّ على شبه النقوش المصريّة الاشوريّة التي وُجدت سابقًا في ضواحي صور. وفي اسفل العرش صفيحة يستند اليها الاثر كانهُ عليه كتابة فينيقيّة نُقرت في الحجر نقرًا حسنًا

ومجمل هذا النقش الذي اثبتنا هنا صورته (طالع الصورة ١) غريب في بابه يدلّ على حذقٍ في عاملهِ الّا انهُ خالٍ من الدقّة كثير الخلل لا يراعي قوانين الضبط والموازنة. وصورتا ابي الهول لم يتقنهما المصور وقد تلف رأسهما لكنّ اجنحتهما ظاهرة الشكل محكمة

(١ اطلب Comptes rendus de l'Acad. des Inscript. et Belles-Lettres, 1907, p. 589.



الصورة ١ عرش الالهة عشترت مع الكتابة الفينيقيّة التي في اسفلهِ

الريش. وفي نصب الشمال كسرٌ لحق بقسمهِ الاعلى . وعلى رأينا انَّ الأَثر غير كامل تلف منهُ ما فوق النصبين كما يظهر بالمقابلة مع اثر آخر يشبههُ وهو كرسيٌّ صغير وقف عليهِ رينان في امّ العَمَد (١ وقِطَعُهُ محفوظة في متحف اللوفر (٢ محطَّمةً الَّا انَّ المهندس البارع طوبوا (Thobois) قد سعى في تركيبها على اصلها واثبت صورة عملهِ في كتاب بعثة فينيقية (Pl. LIII.) فاذا هي غاية في الضبط والاحكام. واذا امعنتَ النظر في مسند هذا الكرسيّ وجدتَ فيهِ كُرَةً مجنَّحة في اعلاه . فلا ريبَ ان ذلك الاثر كان مزدانًا كأثرنا بنصب منحوت في نفس الصخر او بتمثال أحد الآلهة المركوز عليهِ ومثل هذا النقش شائع في العاديات الشرقيَّة . فكثيرًا ما ترى عليها ولاسيما على الفصوص الفينيقيَّة صورة احد الآلهة جالسًا على عرش مع صورتي ابي الهول في جانبيهِ. وقد وجد صاحب السعادة حمدي بك في صيداء صورة هيكل صغير على الطرز المصريّ اثبتها في الكتاب الذي أَلَّفهُ مع المسيو ت. ريناخ في مدفن صيداء الملكي(٣ وهي تؤيد قولنا بنوع واضح . فانَّ هناك صورتين لابي الهول تزينان داخل المعبد ومن مقدمتهما تنتشر اجنحتهما على شكل مسند لعرش صغير فيهِ مشكاة لتمثال بعض الآلهة وفي كل هذه الآثار كان يلعب ابو الهول دورًا ثانويًا استعير من الرموز الاشوريَّة والمقصود بهِ ان يُظلِّل ويحرس النبات المقدَّس الذي يصوَّر فيها (٤

وما يجعل لهذا الاثر الجديد شأنًا خصوصيًا أنَّك ترى على عرشٍ واحد نصبين يمثِّل احدهما تمثالًا الهيًّا اي الإلهة عشترت والآخر صورة المتعبد لها المتوسّل اليها بالكتابة (٥ .

*

هلمَّ بنا الآن بعد وصفنا للأَثر نذكر الكتابة التي عليهِ. وهذه الكتابة تامَّة لم يسقط منها سوى قسمٍ من آخر حرف السطر الاوَّل وقد كنتُ اطلعت عليها قبل تنظيف الحجر من اوساخهِ فرجَّحت كون الحرف المطموس فيها شينًا فينيقيَّة (ש) ثمَّ رجَّحت كونهُ باء (ב) بعد تنظيف الحجر فقرأتُ على هذا البناء:

١) قد دعا رينان وبعض الفرنج من بعدهِ هذا المكان باسم امّ العواميد. والصواب كما روينا

٢ اطلب كتاب بعثة فينيقية Mission de Phénicie, p. 707

٣) اطلب Une Nécropole royale à Sidon, p. 45

٤) راجع بعثة فينيقية لرينان (ص ٦٧١) ٥) طالع الصورتين (ص ١٦٨)

לרבתי לעשתרת אש בגו חקרב
אש לי אנך עברבסת בן ברבעל

وفسَّرتها على هذا النمط :

لربَّتي عشترت التي (هي مصوَّرة) في الداخل قُرِّب
الذي لي (اي صورتي) انا عبدبست بن بدبعل

يريد صاحب الكتابة انهُ قرَّب للإلهـة عشترت المثَّلة في داخل الاثر صورتهُ تقرُّبًا منها وتعبُّدًا لها . على انَّ هذا التفسير أدَّى بي الى القول بانَّ الفعل قرَّب ورد هنا شاذًّا على صورة (חקרב) في وزن أفعل على خلاف ما عُرف حتى اليوم من الكتابات الفينيقيَّة التي يبتدئ فيها وزن أفعل باليود (י) اي اليـاء وكانوا يلفظونها كالهمزة المكسورة . فرجَّحتُ قراءتي هـذه موقَّتًا . ولما سافر الى باريس حضرة الاب لويس جلابرت وحضر جلسة المكتب العلميّ المنعقدة في ٥ تشرين الاوَّل سنة ١٩٠٧ قرأ هناك ما سطَّرتهُ بخصوص هذه الكتابة الجديدة مع مقالة اخرى قدَّمها حضرتهُ باسمهِ عن كتابة يونانيَّة وُجدت حديثًا في دير الزور

امَّا انا فما لبثتُ ان رحلتُ من بيروت الى فلسطين متوجهًا الى القدس الشريف على طريق السامرة . واذا في السامرة اذ خطرت على بالي الكتابة الفينيقيَّـة واللفظة المشبوهة لعلَّ الباء (ב) فيها شين (ש) والراء (ר) دال (ד) فتكون اللفظـة التي قرأتها « هقرب » (חקרב) هي في الحقيقة « هقدش » (חקדש) ومعناهـا القدس وليست الهاء سوى اداة التعريف في الفينيقيَّة . وعليهِ يكون معنى الكتابة هكذا :

لربَّتي عشترت التي في داخل القدس (١
الذي لي (٢ انا عبدبست بن بدعبل

ولكن ما امكنني اذ ذاك ان ابتَّ الامر دون مراجعة رسم الطبع الذي اخذتهُ عن الحجر والتحقُّق صحَّة هذه القراءة الجديدة التي كانت لاحت لي في اوَّل مشاهدتي لذلك الاثر قبـل تنظيفهِ . فبقيتُ مرتابًا في تفسيري الذي عرضتهُ على المجمع العلمي مرجحًا

١) اي في داخل الاثر المقدَّس
٢) اي الذي قدَّمتهُ لها !

لبطلانهِ لاسيما اني وجدتُ معنىً ثانياً للفظــة «هقرب» (הקרב) على افتراض صحّتها اذ يمكنها ان تكون اسماً مع اداة التعريف بمعنى القربان والتقدمة

فلمّا بلغ بي المسير الى القدس الشريف حيث اطلعني البريد على الجرائد والرسالات التي وردت باسمي في مدّة سفري علمتُ بان العلّامة الاثري الشهير كلرمون غانو لدى سماعهِ تفسير الكتابة الفينيقية المذكورة اعترض عليهــا وفسّرها تفسيرًا مباينًا لتفسيري فعلى رأيهِ انَّ صاحب الكتابة عبدبست قصد بها «تقدمة هــذا العرش لعشترت الساكنة في معبدهِ الخاصّ» فنقلت الجرائد كلام الاثريّ المنوَّه بهِ واردفتــهُ بقولها انَّ المسيو كلرمون غانو يرى في هذه الكتابة دليــلًا على «حضور عشترت الحقيقي» في معبد عبدبست. لكن هذه الفقرات الواردة في الجرائد لم تُطلعني بالتمام على فكر ذلك المستشرق البارع ولم يمكني وقتئــذ ان اكتب لهُ لأعرض عليهِ رأيي الحديث اذ كان على وشك السفر الى مصر ليواصل حفريّات جزيرة اسوان كما ذكرنا في مقالتنا الاخيرة (المشرق ١١: ١٢٦)

فلمّا رجعتُ الى بيروت كان اوّل فكري ان اعيد النظر في رسم الطبع الذي اخذتهُ عن الكتابة الحجريّة فتحقّقت انَّ اللفظــة المشبوهة يمكن قراءتها كما ظننتُ اعني «هقدش» (הקדש) وانَّ تفسيري الثاني هو الصحيح وليس من داعٍ يُوجب القول بما ارتآهُ المسيو كلرمون غانو. وكتبتُ في ١٧ تشرين الثاني لاحد اعضاء المجمع العلميّ في باريس اعلمهُ بتفسيري الاخير الذي أعجبهُ لكنهُ لم يعلنــهُ في المجمع العلميّ الّا في جلسة ٢٤ كانون الثاني

ومنذ بضعة ايام قد وصل اخيرًا الى يدنا عدد نشرة المكتب العلمي الذي دُوّن فيهِ قول المسيو كلرمون غانو (ص ٦٠٦) . فسرَّني كون جنابهِ استدلَّ على اللفظــة المشبوهة فقرأَ كما قرأتُ بعد مراجعــة رسمي الخاص «هقدش» (הקדש) بدلًا من هقرب (הקרב) لكنهُ في ما خلا ذلك يوافق تفسيرهُ ما نقلناهُ آنفًا عن الجرائد. وهذا تفسيرهُ معرَّبًا :

لربّتي لعشترت التي في داخل المَقْدس
الذي لي (اي الذي يخصني) انا عبدبست بن بدبعل

فاخذ جناب المفسّر لفظة «قدش» بمعناها الشائع في العبرانية في قول التوراة (קדש

הקדשים) « قدس الاقداس » اي مقدس الهيكل فاستنتج من هـذا التفسير ان الإلهة عشترت كانت « حاضرة » حضوراً حقيقياً في داخل معبد (הקדש) عبدبست

ولكنني كما قلت سابقاً لا ارى هذا التفسير موافقاً للواقع للاسباب الآتية:

١ً لانَّ الفينيقيين كانوا يطلقون لفظة القدس (מקדש) على ايّ معبدٍ كان. امَّا العبرانيّون فالمرجح عندي انهم كانوا يقصدون بلفظتي قُدس الاقداس (קדש הקדשים) معنى مجازيًا لا بل اطلقوا كغيرهم لفظة القدس (מקדש) على كلّ معبد (١

٢ً لا اعرف لقول المسيو كلرمون غانو عن حضور الإلهة عشترت شخصياً داخل معبد عبدبست سندًا يقينًا. نعم انّنا نعلم بان الوثنيين كانوا يجعلون لكل إله من آلهتهم مركزًا حقيقيًا سواء كان في التماثيل او في الحجارة او في السماء او في الجحيم ولكن لم نجد اثرًا حتى اليوم يثبت كون الوثنيين كانوا يتخذون المعابد لاسيا المعابد الخاصَّة لمقام احد الآلهة خارجاً عن تمثال او مذبح او حجر ينوب عنه في ذلك المعبد

٣ً انَّ لفظة בגו (اي في الداخل) تدلُّ دلالةً ماديّةً اوضح على العرش نفسهِ حيث تُمثَّل صورة عشترت

٤ً كذلك لا نوافق جناب المسيو كلرمون غانو في ترجمة אש לי بمعنى « الذي لي » اي يخصُّني. لانَّ عبدبست ما كان محتاجاً الى ايضـاح هذا الامر في معبد خصوصيّ اصطنعهُ لبيتهِ. ولو اراد ذلك لأَلحق بلفظة קדש ضمير المتكلم وهو في الفينيقيـة الياء كبقيَّة اللغات الساميَّة فكتبها קדשי (قدسي) دون زيادة. وعلى رأينا انَّ لهاتين اللفظتين معنًى آخر خاصًا بهمـا في هذا الاثر فيريد بقولهِ « الذي قدَّمتهُ » او « الذي نصبتهُ » او ايضاً « الذي صنعتـهُ » على افتراض ان صاحب الكتابة هو ايضاً صانع الأَثر والامر محتمل. وعلى كلّ حال ما كان عبدبست ليصرّح بذكر ملكهِ للاثر بهِ وهو معبدهُ الخاصّ كما قال المسيو كلرمون غانو

٥ً وان قيل بل كان هذا الاثر منصوبًا في هيكل عشترت او غيرهـا لقينا مشكلًا آخر واعظم في شرح المسيو كلرمون غانو لانهُ يلزم القول بان عبدبست قدَّم هـذا الأثر كنذر للإلهة عشترت في هيكلٍ مع أنَّ الإلهة ساكنة في معبدهِ

١) امَّا מקום הקדש اي مقام القداسـة فمن الواضح انهُ يوازي لفظة מקדש (المقدس) لا غير



الصورة ٢ رسم النصبين مكبّراً مع رسوم الكتابة

الخاصّ (١. وفي هذا الزعم من مشاكل ما لا يخفى. وهذا ما حمل المسيو غانو على القول بأنّ الاثر بقي في معبد عبدبست الخاص وينسب الى الفينيقيين المتأخرين مذهباً دينيًّا جديدًا لم يُعرَفوا بهِ اعني قولهم بوجود الآلهة شخصيًّا في فضاء معابدهم

٦° ولعلّ للكتابة شرحاً آخر مخالفاً لشرحنا ولشرح جنابه. فانّ للفظة לי (لي) في الفينيقيّة ثلاث معانٍ فمعناها «لي» كما في العربيّة ثمّ معناها «لهُ» ثم «لهـا» فانّ حرف اليود י يدلّ على المتكلم والغائب والغائبة على سواء. فمن المحتمل ان يكون معناها «لها» اي لعشترت ومن ثمّ يكون التأويل:

لربّتي عشترت التي في القدس

الذي لها . انا عبدبست بن يدبعل

وخلاصة المعنى انّ عبدبست اهدى لربّتهِ عشترت هذا القدس اي هـذا العرش الذي هو كرسيّها او الذي اصطُنع لاجلها. فمعنى קדש العرش نفسهُ كما في الشرح المتقدم وهذا التفسير اعرضهُ على العلماء دون القطع بصحّتهِ قصدي بهِ ان ابين ما للكتابة من المعاني العديدة التي يمكن القول بها وانّ رأي المسيو كلرمون غانو لا يجوز التسليم بهِ الّا اذا انسدّت بقيّة الابواب في وجه الشارح لانهُ ينسب كما قلت للفينيقيين راياً دينيًّا غير معهود

وفيما انا اسطّر هذه المقالة ورد عليّ كتاب من باريس يفيدني بان الاثري الشهير المسيو فيليب برجه (Ph. Berger) عاد الى ذكر كتابتنا في جمعيّة باريس العلميّة وعرض على اعضائهِ شرحاً شبيهاً بشرحنا. هذا ما بلغني دون زيادة في الافادة

ذلك ولا نختم مقالتنـا دون ذكر اكبر مشكل يُمكن ان يُعترض بهِ على تفسيرنا. فلقائل ان يقول ان تفسير الكتابة يستدعي تأخير اسم الاشارة على اسم القدس فيقال «لربّتي عشترت التي في داخل [هذا] القدس . . . .» واسم الاشارة في الفينيقيّـة هو حرف الزاي (ז) يؤخرونهُ على الاسم اعني هنا على (הקדש)

انّا نسلم بقوّة هذا الاعتراض لكنهُ يشمل تفسيرنا وتفسير المسيو كلرمون غانو معاً. ويُستنتج منهُ انّ الاثر المذكور لم يُجعـل في معبد صاحب الكتابة ولكن في موضع آخر اي في بعض الهياكل على خلاف ما اثبتنا

١) وهذا القول يصحّ سواء كان النذر المذكور في داخل هيكل الالهة او في حرمها ليس في بيت عبدبست

فنجيب على هذا الاعتراض بقولنا انَّ الكتابة كما تُرى اليوم خاليــة من اسم الاشارة فاني فحصتها فحصاً مدقّقاً قبل تنظيفها وبعده فلم اقف على غير ما وصفت في كلامي السابق لكنَّ رأيي الخاص يحملني على القول بانَّ اسم الاشارة سواء كان وحده (ז) او مع اداة التعريف (הז) كان مرقوماً على الحجر وانما طُمس كما طمس نصف حرف الشين (ש) في كلمة «هقدش». ومــا يؤيد رايي انَّ للكتابة في جهة الشمال هامشاً اوسع منهُ في جهة اليمين وهناك مكان كافٍ لزيادة حرف او حرفين: ولا مانع من وضعهمــا في آخر السطر لأنَّ الفينيقيين في كتاباتهم كانوا عادةً يكمّلون السطر السابق دون مبالاة لطول السطر الذي يليه. وعليهِ نظنُّ انَّ الكتابة الاصليَّة كانت تتضمَّن اسم الاشارة اي «هذا القدس»

*

وكنَّا نودّ ان نلحق هذه العجالة ببعض الملحوظات في الديانة الفينيقية. استنادًا الى الكتابة السابق ذكرها لكنَّنا خوفًا من الاطالة المملّة نؤجل كلامنا في ذلك الى فرصة أخرى بعد ذكر تاريخها وابداء ملحوظ في احد آراء المسيو كلرمون غانو

امَّا تاريخ هذا الاثر فانَّهُ سابق لعهد المسيح بلا مراء. وهو يتراوح بين القرن الثاني والقرن الرابع قبل الميلاد ولعلَّهُ فقط من القرن الثاني لانَّ صورة حرف القاف (ק) فيهِ حديثة فهي تشبه القاف المرقومة على بعض النقود الفينيقيَّــة في ارواد التي هي من القرن الثاني (١. ومن المحتمــل ان الاثر اقدم من ذلك يرتقي الى القرن الثالث او الرابع قبل المسيح حتى عهد الاسكندر ذي القرنين

امَّا ما اردنا ان نستلفت اليهِ النظر من آراء العلامة كلرمون غانو فهو ما ختم بهِ مقالتهُ في صدد اثرنا الصُوري. قال جنابهُ انَّ هــذا الأثر جاء مؤيدًا لمذهب ذهب اليهِ سابقًا في العرش والمذبح عند القدمــاء. وكان حضرة الكاتب اثبت في مجموعهِ الاثري (RAO, IV, 247) بانَّ الشعوب الساميَّة كغيرها من الامم الوثنيَّة كانت تعتبر في بعض الاونة العرش الذي هو كرسيّ احد الآلهــة بمثابة المذبح الذي تُقرَّب عليهِ القرابين لذلك الإله. وربما اعتبروا هذا المذبح الذي كان عرشاً يجلس عليهِ الإله

١) راجع ايضًا ما نشرناهُ في المشرق (٨: ٢٢٥) وهو كتابة فينيقية وُجدت في جزيرة مالطة (CIS, I, 123) ومنتمية الى اهل صيدا

ويُظهر فيهِ القوّات لعابديهِ كنفس الاله فأقاموا المذبح مقـام الاله . وممّا يدعم هذا الرأي انّهم وجدوا في نواحي حلب كتابة مضمونهـا « للاله مذبح » . فرأى المسيو كلرمون غانو في اثرنا الجديد سندًا جديدًا لهذا المذهب

(قلنا) ان صحّ هذا الراي اعني قيام العرش مقـام المذبح فما بال المسيو كلرمون غانو خالفهُ بعض المخالفة اذ جعل حضور الالهة ليس في نفس الاثر لكن في معبـد عبدبست الخاصّ . فان كانت الالهة عشترت تتّخذ العرش كذبحها فيكون هذا العرش ايضًا محل مقامها وليس في معبد عبدبست الخاص ومن ثمّ يجب تفسير لفظة « في داخل القدس » (בם חקדש) بمعنى وجود الالهة في ضمن الاثر وليس في معبد آخر

هذا ما رأينا تدوينهُ اليوم وسنعود ان شاء الله الى هذا البحث . وكفى بقولنا دليلًا على ما لاثرنا من الخطر لمعرفة الديانة الفينيقيّة وعسى مواطنينا يلقون آثارًا أُخرى تزيدنا علمًا باحوال هذه البلاد في سالف الاعصار (١

البارون ڤيكتور ڤون روزن

المستشرق الروسي العلّامة الشهير

لجناب الاستاذ الاديب انطون خشاب
مدرّس اللغة العربية الحديثة في كلّيّة بطرسبرج الامبراطورية

في صباح النهار الثالث والعشرين من شهر كانون الثاني غربي قد انتقل الى رحمته تعالى المستشرق الروسي الشهير عضو الاكادميّة العلمية الامبراطوريّة الروسية واستاذ اللغة العربية في قسم اللغات الشرقية بكلية بطرسبرج البـارون ڤيكتور ڤون روزن اثر علّة لم تمهلهُ الّا قليلًا وكان الاحتفـال بجنازته في نهار السادس والعشرين في كنيسة الكليّة الامبراطوريّة فشيّعهُ الى مدفنهِ جمّ غفير من العلماء واعظم الاعيان

١) قد فتحنا مذكّرة سفرنا وهذه المقالة تحت الطبع فوجدنا ان ما رسمناه فيها من الكتابة قبل تنظيفها الكامل يُظهر جليًّا وجود حرف الشين الفينيقي في آخر السطر الاول . ولذا قطعنا من دفترنا الصفحة الموجود فيها الرسم المذكور وهو بقلم الرصاص فطبعناه مع باقي التصاوير لزيادة الايضاح (طالع الصورة ٢)

والمتوظفين وفي مقدّمتهم عظمة الغراندوق قسطنطين عمّ جلالة القيصر الذي هو رئيس الاكادمية العلمية . وبين الاكاليل العديدة التي وضعت على محمله كان اكليل جميل من اساتذة المدرسة الكلية مكتوب عليه بالعربية : « الناس موتى واهل العلم احياء » وبما انهُ رحمهُ الله كان ولا شكّ من اشهر مشاهير عصرنا ويستحقّ ان يدوَّن اسمهُ على صفحات التاريخ ليبقى خالدًا مدى الايام قد وافيتُ قرّاء مجلّة المشرق الغرّاء بخلاصة ترجمة حاله ليطلعوا على ما كان له من الهمّة العالية واليد البيضاء في رفع راية العلم ونشر معرفة اللغة العربية والحبّة للشرق في روسية وكافة البلاد الاوروبية

ولد رحمه الله تعالى في سنة ١٨٤٩ في مدينة رول من مقاطعة استلاند من عائلة عريقة بالحسب والوجاهة . وبعد ان تلقَّن العلوم في المدينة المذكورة في مدرسة الجمناز للاشراف (Ritter und Domschule) باشر سنة ١٨٦٦ درس اللغات الشرقية في كليّة بطرسبرج وفي سنة ١٨٧٠ اجازتهُ المدرسة المذكورة بوِطرٍ ذهبي على تأليف بحث فيه ببراعة عظيمة عن كتاب شاهنامه اي قصص الملوك للشاعر الفارسي الشهير ابي القاسم فردوسي . وما ابداه في مدّة تحصيله العلوم في المدرسة الكلية من علائم الذكاء الممتاز والنجابة وعلو الهمة والجدّ في سبيل العلم جعل المدرسة ان تطلب اليهِ بالبقاء فيها والدخول في سلك اساتذتها فاجاب الطلب وسافر الى اوروبا ودخل كلية مدينة ليبسيك حيث تمّم تحصيل علومه عند العالم المستشرق الشهير الشيخ فليشر وبعد رجوعهِ الى بطرسبرج سنة ١٨٧٢ ابتدأ معاطاة التدريس في مدرستها الكلية . ومن ثمّ نال على تآليفه رتبة دكتور في اللغة العربية وانتخبته الاكادمية الامبراطورية العلمية عضوًا عاملًا لها وصار رئيساً للقسم الشرقي في الجمعية الامبراطورية فانشأ مجلّتها العلمية وكان مديرًا لها الى حين وفاته . ولا استطيع ان اعدّد اسماء الجمعيات العلمية في كافة اوروبا التي انتُخب لها عضوًا عاملًا وكان بها معتبر الرأي ومسموع الكلمة

اما تآليفهُ العلميَّة فهي كثيرة العدد — من اهمّها ابحاثهُ عن الشعر عند العرب في الجاهليَّة وعن تاريخ يحيي الانطاكي حيث رفع القناع عن تاريخ بزنطية في الجيل العاشر وعن علاقاتها مع امم الصقالبة وتاريخ حبيب المنبجي وغيرها من التآليف النفيسة وقد اشترك مع بقية العلماء الاوروبيين بطبع تاريخ ابي جعفر الطبري ونشر قوائم الكتب الخطية العربية والفارسية الموجودة في مكاتب روسية وبولونية مع تفصيل البحث عن

كل كتاب فيها . وما لي اعدد تآليفه وهي معروفة عند كل مستشرق في اوروبا ولا يخلو عدد من السجلات العلميَّة الروسيَّة التي لهـا تعلُّق بالشرق من مقالة او بحث له اظهر فيه من البراعة وسعة المعارف ما لا يستطاع وصفه

وما كل هذا الَّا شيء زهيد بالنسبة لكل ما عمله رحمه الله لاجل توسيع نطاق المعارف في روسيَّة عن الشرق اذ انه هو وطد فيها درس تاريخ ولغات الشرق على النسق العلمي الاوروبي وكان روحاً لكل المجالس العلمية التي لها تعلق بالشرق وواسطة لتوطيد العلائق الحبيَّة المتواصلة بين الجمعيات العلميَّة والعلماء في اوروبا وروسية فترى الآن ان كل مستشرقي روسية والعدد الاكبر من قناصلها في الشرق هم من تلامذته — وما كان عليه الفقيد من لين العريكة ولطافة الخلق والزهد بالجد والمال والسعي في صالح الغير جعله محبوباً عند الخاص والعام فلا تجد تاليفاً علمياً لمستشرقٍ روسي الَّا ومؤلفه يشكر فيهِ همة ومساعدة هذا الاستاذ الفاضـل ولا قنصلًا او ترجماناً درس في كلية بطرسبرج الَّا ونال مرتبتهُ بسعيهِ فكأنهُ كرَّس حياته للسعي في الصالح العمومي ومنفعة القريب ناسياً نفسهُ وصالحـه الشخصي . فلا غرو ان تذكاره سيكون خالدًا في قلوب جميع اصدقائهِ ورفقائهِ في العلم وتلامذته المنتشرين في كافة الاقطار الشرقية كما قيل :

اخو العلم حيٌّ خالد بعد موتهِ   واوصالهُ تحت التراب رميمُ

ومما يؤكد تولعه باللغة العربية وحبه لها ان آخر كلماته قبل مماته كانت بهذه اللغة « الله كريم » فليتغمده الله برحمته ورضوانه

(المشرق) ونحن ايضاً بلسان مجلّتنا نستمطر لضريح الفقيد سجال الرحمـة والرضوان جزاء اتعابهِ في سبيل الآداب . شاكرين لهُ ما ابداهُ من اللطف والمجاملة نحو آباء كليتنا لاسيا بمؤازرتهِ الثمينة لهم في مباحثهم وتآليفهم نخصّ بالذكر منها نشر ديوان الاخطل الشهير لحضرة الاب انطون صالحاني . فانَّ سعادة البارون رضي بمراجعة مسودّات هذا الديوان واصلاحها على الاصل الذي لم يُعرف منهُ وقتئـذٍ الَّا نسخة بطرسبرج واضاف الى اصلاحاتهِ ملحوظات دقيقة كانت تدلُّ على سعة علمهِ وتضلُّعهِ باللغـات الشرقيَّة رحمهُ الله

تجارة صيدا وزراعتها وصناعتها

بقلم الاديب توما افندي كيَّال

١ التجارة

قد لعبت مدينة صيدا دورًا مهمًا في الاجيـــال الماضية نظرًا الى ما حازته من الشهرة الواسعة بتقدّم تجارتها وعلاقاتها مع امهات المدن والممالك العديدة فاذا بحثنـا عن حالتها في السنين السابقة للتاريخ المسيحي نراها وصلت الى درجة من العمران حسدتها عليها اكبر مدائن المعمورة فكانت محصولاتها التجاريَّة والزراعيَّة تُحمـــل الى مسافات بعيدة على مراكبها الشراعيَّة الذائعة الشهرة وقد بقي لها اهميَّة تُذكر في الاجيال المتوسطة لانها كانت مقصودة من التجار الاوربيين الذين كانوا ينقلون قسمًا من منسوجاتها الى بلادهم . وبقيت هذه المدينة محطّ رحال كبار التجار من الاوربيين والوطنيين الى اوائل الجيل الماضي اذ كانت ميناها تقريبًا المينـــا الوحيدة لبلاد سوريَّة . ومن ذلك الوقت أُصيبت ببعض الانحطاط ثم اصبح اهلها في حالة من التأخير لم يسبق لها مثيل ولم تنتعش قواها الّا من بضع سنوات اي من الوقت الذي فُتحت بينها وبين بعض المدن السوريَّة طرق المواصلات ومَن اطلع على حالتها الماضية (اي من عشر سنوات الى الان) يرى تقدُّمًا مهمًّا في حالتها التجارية والزراعية والصناعية

وممَّا زاد تجارة صيدا تحسُّنًا توارد الاهلين اليهـــا لاسيا القائمقاميات والقصبات المجاورة نظرًا الى تقدُّم تجارتها البحريّة والبرّيَّة ولاقتناع اهاليها بالارباح ولو زهيدةً واكرامهم للتجار الغرباء ولوجود عمال بها مشتهرين في الصنـــائع كافة ولهذا يتردد الى صيداء لمشترى احتياجاتهم منها سكان قضائهـــا والنباطية وجديدة مرجعيون وحاصبيا وراشيا وقسم من اهالي صور وبلاد بشارة ويقصدها من لبنان اهالي قضاء جزين وقسم معهم من قائمقامية الشوف ومديرية دير القمر . فاذا كان معدَّل عدد سكان المحلات التي ذكرناها مائتي الف نسمة فقط بان حينئذٍ للباحثين عما يلحق مدينـــة صيداء من الارباح اذا بقيت الحال على تقدم متواصل في الاشغال التجاريَّة . ومن الجداول الآتية ومقابلتها مع ما عبر من السنين تتضح حقيقة الامر

٢ الصناعة

عادت الصنائع الى صيدا تدريجاً وها اننا نراها تتقدم من يوم الى آخر وقد زادت اقبالاً في عامنا الغابر ١٩٠٧ فاذا بحثنا عن المشتغلين بعمل السفن الشراعية من مواطنينا البارعين وجدنا انهم اتقنوا هذا الفن حتى ان صيدا اصبحت مقصودة من الثغور السورية وخلافها في الاشغال المذكورة وقد تمَّ بها موخراً عمل ثلاث سفن شراعيَّة يتراوح محمول الواحدة منها من ١٢٠ الى ١٤٠ طناً اما السفن الصغيرة فقد أُنجز منها عدد ليس باليسير وكلها غاية في الاتقان والمتانة · اما صناعة القرميد فقد راجت سوقها كثيراً لانهُ فتح في العام الماضي معمل لصنعهِ ههنا فاقبل على مشتراه اهالي المدينة والمدن المجاورة وقد زادت رواجاً في المدَّة الاخيرة صناعة الجلود المهيأة في مدابغ المدينة لانهُ صدر منها قسم كبير الى بيروت وقبرص · واخيراً بان للجميع ان باقي الصنائع كالنجارة والحفر والحدادة قد اصبح اربابها قادرين على اتقانها فلذا يقصدهم كثير من اهالي المدن الكبيرة لعمل ما يحتاجون اليهِ وقد ازداد في العام المنقضي عدد المشتغلين بالحلويات فاتقنوها · وبالاختصار ان الصنائع على وجه العموم سائرة في مدينتنا في حالة التقدم والازدهار

٣ الزراعة

خفَّت ولله الحمد في السنة المنصرمة المهاجرة الى الديار الاميركيَّة لان اهالي بلادنا بحثت عن الطرق المؤدية لنجاحها فرأت بأن المهاجرة قد سببت لها اضراراً جمة فلذا عدلت عنها وقام فريق من السكان يحرض الفريق الاخر مشجعاً اياه على الاهتمام بامر الزراعة

امَّا المهاجرة فانهُ لأمر مقرر بأنها اضرَّت بصوالح كثيرين من اهالي بلادنا واتتنا بضربات كثيرة اما فوائدها فهي قليلة جدًا ولا تذكر اذ قابلناها مع الاضرار المتأتية منها · ها ان كثيرين من المهاجرين عادوا في هذه السنين الاخيرة الى اوطانهم حاملين الينا الامراض الوبائيَّة كالسلّ والامراض الزهرية والجلدية ولم يكتفوا بحملهم ما ذكرنا من الاوبئة حتى اتونا بضربة للمزروعات بحملهم بعض نباتات موبوءة ألا وهي ضربة جديدة للبرتقال هذا ولولا تدارك الحكومة السنية لكان تفاقم امرها وتعاظمت اضرارها · وبالحقيقة ان المهاجرين الذين قصدوا اميركا لم يعد منهم الا النذر القليل

بدراهم جُمعت باتعاب ومشقات سنوات طويلة فلو صرفوا اوقات شبيبتهم الثمينـة في وطنهم واشتغلوا بحراثة اراضيهم الخاصّة أو بالاجرة لكانوا حصّلوا اكثر مما جمعوهُ هنالك بالذل والعار. هذا فضلًا عن الاضرار الادبيَّة المتأتية من المهـاجرة فترى الاب يذهب ويترك امرأة واولادًا صغارًا لا معين لهم بعد ان يكون باع او رهن ما ورثهُ عن اجداده فيذهب والامال تسكرهُ ومحبة المال تخدعهُ والغيرة تحرّكهُ الّا انهُ عند وصولهِ الى تلك الديار يلعن من كان سببًا لتركهِ وطنهُ وعائلتهُ فيندم ولاتَ ساعة الندم يعيش مغرورًا بعد ان يكون ذاق مع اهلهِ لذَّة العيش العائليَّة فان كان من اصحاب الشفقـة يعيش هنالك في التقتير الزائد موفرًا بعض دريهمات لعائلتـهِ المسكينة المتضورة جوعًا. اما الاعزب فيصل الى بلادٍ نُصبت فيها الاشراك العديدة لمن يعطي النفس هواها فيعيش عيشة غير مرتَّبة يخسر بها دينهُ ودنياه ويعود بعدئذ الى بلادهِ مريضًا نحيلًا صفر اليدين. اما الذين يموتون هنالك في حالت الشقاء او تنقطع اخبارهم تمامًا فهم كثيرون وترى دائمًا الجرائد الاميركيَّة والمحليَّة ملأى من اخبـارهم المحزنة. وان قال قائل: الم ترَ يا هذا زيدًا عاد الينا بالوف من الليرات. ولكن بالله قل لي من اي مدينـة او قرية هو ذلك المهاجر فبعد ان تكون اوقفتني على حقيقة امره اسرد لك عندئذ اسماء ٥٠ او ٦٠ شخصًا على الاقل من تلك المدينة او القرية عادوا الينا وايديهم فارغة من الدراهم ولم ينالوا في تلك الاقطار الّا ما يكفيهم لسـد حاجاتهم الضروريَّة امَّا مَن بقي منهم هنالك فمات حزنًا وقهرًا. فالنتيجة ان منافع المهاجرة قليلة جدًا امَّا اضرارها فعديدة لا تُحصى. والآن فلنعد الى بحثنا الاول

من المعلوم ان اراضي سورية المشهورة منذ القدم بحسن تربتها وكثرة خيراتها قادرة على ان تقوم باود اهاليها وتزيد عنهم بشرط ان يهتمُّوا بامرها ويعتنوا بحراثتها فالارض المفلوحة في جهاتنا والتابعة لمدينتنا تنيف عن ١٧٠٠٠٠ هكتار والباقية دون فلاحة تزيد على هذه اضعافًا فليتعاون الكل على العمل في الارض لانَّ بها حياتهم وسعادتهم ونجاح بلادهم

(البرتقال والحامض) كانت ارساليتهُ الى الخارج اقل من ذي قبل وسبب ذلك متأتٍ عن قلة الطلب عليهِ كالعـادة من البلاد الروسية فقد وُضعت ضريبة مهمّة على الصناديق المرسلة الى ثغورها لكن الاهالي عزمت اذ ذاك على تصديره الى داخليـة

ولايتي بيروت والشام فتصرَّف منهُ كثير باسعار موافقة ولعلَّهم في المستقبل يعدلون عن ارساله الى الخارج

(التوت) قد كان موسم الشرانق غاية في الاقبال في العام الغابر رغماً عن اضرار الصرصر (الجيز) وقد رأينا من مدَّةٍ مئات من الصرصر المذكور منتشرة على الطرقات ما بين القرى القريبة من المدينة فاذا لم يتدارك ارباب الزراعة هــذا الامر ويهتمّ لهُ فتكون حينئذٍ لا سمح الله ضربة قاضية على الملّاكين في هذه السنة . وعلى ما ظهر لنا ان البرد الشديد يضرُّ بهِ كثيرًا ويميت اغلبهُ لانهُ منذ سقوط الامطار الاخيرة واشتداد البرد اختفى تماماً ولم نعد نرى اثرًا لهُ . اما التوت فقد زرعت منهُ الاهالي الوفاً في القرى المجاورة وقد نشطهم على ذلك ارتفاع اثمان الشرانق في الموسم الماضي

(ماء الزهر) استُخرج منهُ اقلّ من العادة وكانت اسعاره مرتفعةً نظرًا الى قلة الزهر وقد صدر منهُ الى الخارج قيمة جزئية خصوصاً الى بيروت لانهُ استخرج بها كميات كبيرة في معمل الخواجات موريل ومطر وبيع باسعار بخســة الّا ان فرقاً كبيرًا بين المستخرج هنا وهناك في الرائحة والطعم والجودة

(التين) صدر منهُ اكثر من العادة الى الاسكندريَّة ومنها الى بلاد النمســة حيث يستخرجون منهُ مواد سكريَّة وكحوليَّة

(العسل) كان بهِ نقص مهمّ في هذه السنة لان الاهالي اهملت امر الاعتناء بتربية النحل اما اسعاره فكانت عالية جدًا ووجوده نادرًا

(الرمان) قد كان هذا الصنف في سنتنا الماضية من احسن السنين اقبالًا وقد زادت ارساليته الى الخارج والداخلية

(الانكدونيا) لم يكن موسمهُ ذا اقبالٍ وقد عدَّل العارفون بانهُ حدث في غلّتهِ نقص ٢٠ في المائة في سنة ١٩٠٧ وسبب ذلك شدة هبوب الارياح في ايام الخريف اي وقت عقدهِ وسقوط البرَد قبل قطفهِ بقليل

(اللحم والسمك) تعالت اسعار اللحم كثيرًا فبيع الرطل منهُ باربعة وعشرين غرشاً الامر الذي لم يسبق لهُ مثيل . اما الحكومة المحليَّة والبلدية فلم يضربا على ايدي الجزّارين بل تركوهم وشأنهم واذا لم يردعهم رادع عن اعمالهم فلربما يوصلون الرطل الى ٣٠ غرشاً . اما الصيــادون واصحابهم سماسرة السمك فاقتدوا بمثل الجزارين وحذوا

حذوهم لا بل اخذوا الفوز عليهم فرفعوا اسعار الاسماك الى حدّ فاحش مدعين بان قلّتهُ سببت ارتفاعاً بسعره (كذا)

(الغلاء) قد كانت سنة ١٩٠٧ من السنين الشديدة الغلاء انزلت في الاهالي ضيقاً عظيماً لم تره منذ ٣٠ سنة فارتفعت في اثنائها اسعار الحبوب والماكولات رغماً عن الكميات الكبيرة المخزونة من الحنطة في اهراء بعض المّلاكين والتجــار ولم تزل الى الان في حواصلهم الّا ان الحكومة السنية خففت عن الاهالي شر هــذا الضيق فاصدرت اوامرها المطاعة مانعة ارسال الحبوب الى الخارج فهبطت اذ ذاك الاسعار ولم تزل بهبوط متواصل وقد تعالت كذلك اسعار الملبوسات واجور المنــازل والدكاكين وبالنتيجة قد عمّ الغلاء الاصناف كافة

فمما تقدم بيان للمطالع اهمية التجارة في مدينة صيدا والاهــالي متشوقة لان ترى افتتاح شعبة صغيرة للبنك العثماني في هذا الثغر ترويجاً لمعاملاتها التجاريَّة فيــا حبذا لو اهتمّ لهذا الطلب اصحاب النهي والامر واوفدوا من قبلهم من يبحث عن هذه المسألة المهمة فعلى ظني يجدون حينئذٍ بان المدينة غاية في الاحتياج الى وجود شعبة بها. فالرجاء من الحكومة السنية ان تعير طلب الاهالي هذا اذناً صاغية فتربح بذلك دعاء الالوف من سكان هذه الجهات المشهورين بطاعتهم وتفــانيهم في محبة ولي نعمتهم ومولاهم المعظم حفظ الله ملكهُ السعيد اجيالًا عديدة بالفخر والاقبال

وها نحن نورد جدول واردات صيداء وصادراتها بياناً لتقدُّمها:

اهمّ واردات صيدا سنة ١٩٠٧

كاز	٤٥,٥٠٠	صندوق من روسية .
سكر	١٢,٧٠٠	كيس بطريق الاسكندرية
سكر قوالب	٥٠٠	〃 〃 〃
ارز انكليزي	١٥,٠٠٠	〃 〃 〃
〃 رشيدي	٢٤,٠٠٠	قفة من رشيد
بن	٢٨٥	كيساً كبيراً بطريق بيروت
بن عدني	٧,٥٠٠	كيلو من عدن
ملح	٢,٥٠٠٠٠٠	〃 〃 بنغازي
طحين	٢,٧٠٠	كيس من بيروت

حبوب	٥٥,٠٠٠	كيلة من عكا وحيفا
حصر	٨,٩٠٠	حصيرة من الاسكندرية
فول العيد	٢٧,٢٠٠	رطل بطريق الاسكندرية
خشب	١٠,٣٠٠	متر مكعب من بر الاناضول وروسية ورومانية
جلود	٢٥٠	بالة من اوربة بطريق بيروت
اكياس فارغة	٧,٦٠٠	كيس من الهند بطريق اسكندرية
جبن عكاوي	١,٢٠٠	سحارة من عكا وحيفا
جبن قشقوان	٣٥٠	عديلة من ادرنة واستانة
تنباك	١٣,٨٣٧	كيلو من العجم
دخان	١٨,٥٠٠	〃 من الاستانة
بلح	١,١٥٠	قفة بطريق الاسكندرية
كلس وتراب افرنجي	٦,٠٠٠	كيس وبرميل من فرنسة بطريق بيروت
مقددات وحلويات	١,٣٠٠	صندوق بطريق بيروت
اجواخ	١٢٠	بالة 〃 〃
اقمشة قطنية وحرائر	٨٥٠	〃 〃 〃
قزاز وقيشاني	٢٥٠	صندوق 〃 〃
قرميد	٣٠٠,٠٠٠	قرميدة 〃 〃

اهم صادرات صيداء سنة ١٩٠٧

شرانق	١٠٠,٠٠٠	كيلو الى لبنان
〃	١٦٠,٠٠٠	〃 بطريق صيدا
تين يابس	٧٥,٠٠٠	〃 الى الاسكندرية
زيت	٥٠,٠٠٠	〃 〃 〃
زيتون	٢٥,٠٠٠	〃 〃 〃
زبيب	١٢,٠٠٠	〃 〃 〃
ماء زهر	٤,٠٠٠	〃 الى سورية ومصر والاستانة
انكدونيا	٢,٥٠٠	سحارة الى بيروت والشام الخ
دخان (تبغ)	٧٨,٠٠٠	اقة من صيدا وصور الى القطار المصري
رمان	٩٠٠	قنطار الى بيروت والشام والقطر المصري

موز ارسل منهُ الى بيروت ولبنان ما قيمته ٣,٤٠٠ ليرة

بيض	٦٠٠,٠٠٠	بيضة الى الاسكندرية
〃	٧٠٠,٠٠٠	بيضة من قضاء صيدا وبواسطتها الى بيروت
دجاج	١٢٠,٠٠٠	طير من صيدا

برتقال وحامض	١٨,٠٠٠	حبة يومياً في وقت الموسم الى بيروت ولبنان وسورية
برتقال وحامض	٥٠,٠٠٠	صندوق الى الاستانة وروسية وانكلترة
سمسم	٢,٠٠٠	اقة الى مصر وعليهِ طلب كثير من اوروبة
جلود مهيأة	٢٥٠	ربطة الى بيروت وقبرص

بيان المراكب التي دخلت ميناء صيداء سنة ١٩٠٧

البخارية		محمولها طن	الشراعية	محمولها طن
عثماني	١٢٧	١١,٣٧٩	٨٨١	٩,٧٩١
انكليزي	١٤	١٨,٦٤١	٠	٠
نمساوي	١	٥٣٧	٠	٠
يوناني	٧	٧,٦٤٣	١	٣٩٩
ايطالي	١	١,٢٥٦	٠	٠
سكوتي	٣	٥,٨٤٥	٠	٠
	١٥٣	٤٥,٣٠١	٨٨٢	١٠,١٩٠

تربية دود الحرير

لصاحب العزة المير محمَّد فؤَاد بك الشهابيّ

(المشرق) قد قرب موسم القزّ في سواحل الشام ولبنان فيسرُّنا ان نبشر القراء بكتاب جامع لاصول هذا الفنّ صنَّفهُ احد افاضل عمَّال الدولة السنيَّة برخصة نظارة المعارف الجليلة ونشرهُ في بيروت في المطبعة الاهليَّة ودعاه «الروض النضير في تربية دود الحرير» وقد جمع في صفحاتهِ البالغة ١٥٠ عدًّا كل ما ينوط بهذه الصنعة فبحث في الباب الاول في اوصاف الدودة واحوالها . ثم في الباب الثاني في الجيز والفيلجة (الشرنقة) . وفي الثالث في الفراشة . ويقسم كل باب الى فصول عديدة استوفى فيها جناب المير كلَّ ما يختص بالبزر وخواصهِ وصيانتهِ من التأثيرات الجويَّة وتفريخهِ ثمَّ باطوار حياة الدودة وطعامها من التوت وامراضها والتدابير الآيلة لزيادة موسمها كما انَّهُ اتَّسع في تعريف احوال الجيز والفراشة وعللهما وفي الفيالج وتركيبها وحلّها واوصاف الحرير وتلوينه . فجاء اجود كتاب صنف في العربيَّة في هذا الفنّ الذي منهُ يرتزق معظم اهل لبنان . وممَّا يزيدهُ

اعتباراً انَّ صاحبهُ الاديب انتفع بالاكتشافات الجديدة التي اختبرهـا العلماء كباستور وارباب هذه الصناعة لتحسين تربية القزّ وتوفير مادّتها · وبياناً لفضل الكتاب قد نقلنـا هنا عنهُ احد فصولهِ الجليلة وهو الفصل الخامس من بابه الاوَّل الذي عنوانهُ « الطرق والتدابير العملية الآئلة لزيادة الموسم »

قال جنابهُ (ص ٥٨) :

اهمّ شيء لزيادة المحصول تقليل كميَّة الدود مع الاعتناء بالتربيـة · وعليهِ فلاجل الحصول على خمسـين اقة من الشرانق عوضاً عن ان يربي نيفاً وعشرين درهماً يمكن الحصول على هذه الكمية بتربية ثمانية دراهم مع العناية وحسن المحافظة

وذلك يتطلَّب امرين : اوَّلاً سلامة البزر من كل علَّة · وثانياً مراعاة التـدابير التي اشار اليها ارباب هذا الفن · وهذان الشرطان يتفرَّع عنهما موادّ كثيرة · ونحن نبحث في هذا الفصل عن التدابير والقواعد اللازمة للتربية . . وهي

١ المساواة
٢ السعة (ويتفرع عنها تفريق الدود والتنظيف تحته وتربيته على الورق والاغصان)
٣ التهوية (ويتفرع عنها كيفية انشاء اماكن التربية) ٤ التغذية
٥ حرارة المحل ٦ اصول وضع الشيح ٧ كمية الدود

١ ﴿ المساواة ﴾ ينبغي ان يكون حجم الدود الموضوع على طبق واحد مساوياً بعضه بعضاً وبعكس ذلك يصير تفاوت بين مواعيد غفلاتهِ ويقظاتهِ · فبينما يكون قسمٌ منه منهمكاً في الغذاء يكون القسم الآخر (الصائم) تحت الورق محجوزاً عنه الهواء وعرضة للتلف وهذا ممَّا لا تُحمد عواقبـهُ · ولذلك اذا صار خلطُ الدود الذي يفرّخ في اوقات مختلفـة بعضه مع بعض يتلف اكثرهُ وهو صغير فيجب ان يكون الدود الصغير مساوياً لبعضهِ بعضاً في السنّ لكي عند تغذيته بصورة منتظمة تحصل المساواة في الحجم ايضاً · وبما انَّ مساواة الدود حجماً من اهمّ دواعي الاقتصـاد في المصروف ايضاً فعلى المربي ان يعتني بهذا الامر الخطير وذلك بان يفرق :

(اولاً) بين الدود الذي يفرّخ بساعات مختلفـة كما يفرق بين الدود عند خروجه من كل صومة (غفلة) بوضع كل صنف لوحده من الذي يخرج بوقت واحد

(ثانياً) ان يجعل حرارة المحلّ متساوية في كل نقطة من انحـائه ويوزع الورق

بالتساوي كي لا يشعر بعض الدود بزيادة الحرارة فيأكل بزيادة او يكون غذاؤه مبذولًا فينمو جسمه على كلا الحالين اكثر من الباقي

ثم ان اعطاء الورق للدود بصورة متساوية من اهمّ لوازم التربيـة فمتى كان الدود صغيرًا لا يجوز اعطـاؤه الورق صحيحًا بل يجب ان يكون مفرومًا فرمًا رقيقًا يرشّ على الدود دفعات متعدّدة حتى لا يخفّ ويعود الدود غير قادر على اكله

(ثالثًا) لا يجوز قطع الغذاء عن الدود عند اول دخوله في الصومـة حتى يصوم جميعه وعند اول استفاقة يقطع الغذاء عنه كي لا يتغذّى المستيقظ منه قبل الباقي بحالة الصوم تخلُّصًا من عدم المساواة كما تقدّم فيجب ان يكون نصفهُ على الاقل مستفيقًا كي عند اعطائه الغذاء وتسلُّقهِ الورق يُنقل وهو بهذه الحالة الى اطبـاق ثانية ويوضع بمكان لوحده مفروقًا عن الذين لم يزالوا بحـال الصومة فيربّوا على حدةٍ. وبهذه الصورة يكون اتّسع مكان تربية الدود اكثر من الاوَّل فاذا لم يُفعـل هكذا وتُرِك الدود المستفيق من الصومة بدون غذاء الى ان يستفيق باقيه يضرُّ بهِ الجوع واذا أُعطي الغذاء وهو مع الصائم منهُ على طبق واحد تختلّ المساواة ويبقى الدود مزدحمًا بعضه فوق بعض مع تقدُّم سنّهِ

وبما ان مساواة الدود ممَّا يسهّل الخدمة ويقلّل التعب فاذا شاء المربي ان يجمع بين الدود المفرّخ من البزر او المستيقظ من الصومة باوقات مختلفـة عليه ان يقلّل الحرارة درجة او درجتين من الدود المتقدّم ويمنع الغذاء عنه مرّة او مرّتين ويزيد للصغـير الحرارة درجةً او درجتين والغذاء دفعة او دفعتين فتحصل بذلك المسـاواة المطلوبة بظرف يومين

ومع ذلك لا يحسن ان يكون جميع الدود الموجود في محل واحد بحجم واحد اذ يصعب على المربّي وضع الشيح دفعـةً واحدة لكل الموجود متى بلغ اشدّهُ فيلزم ان يكون مقدار الدود المساوي بعضه بعضًا بنسبة مقدار الشيح الذي يتمكن من وضعـه العامل بظرف يوم واحد

والحاصل ان مساواة الدود هي من اهمّ الاسباب الآئلة لتوفير مقـدار الموسم وللوصول اليها يجب مراعاة الشروط المار ذكرها والمسـاواة هي اعظم دليل على مهارة المربي

٢ ﴿ السعة ﴾ يجب ان يربَّى الدود في محلّات فسيحة يتمكن بها من اجراء وظائفه الحيويّة بكل سهولة التي هي عبارة عن حركات الاعضاء والتغذي والتنفس وتبديل البشرة (الصوم) . . الخ حفظاً لصحته واتّقاء ظهور الامراض بهِ فيُعطَى لكل دودة من السعة بقدر مساحة جسمها ثلاث مرَّات . ولما كان طول الدودة وعرضها مع المساحة التي يسترها جسمها في كل دور من عمرها كما ترى ادناه

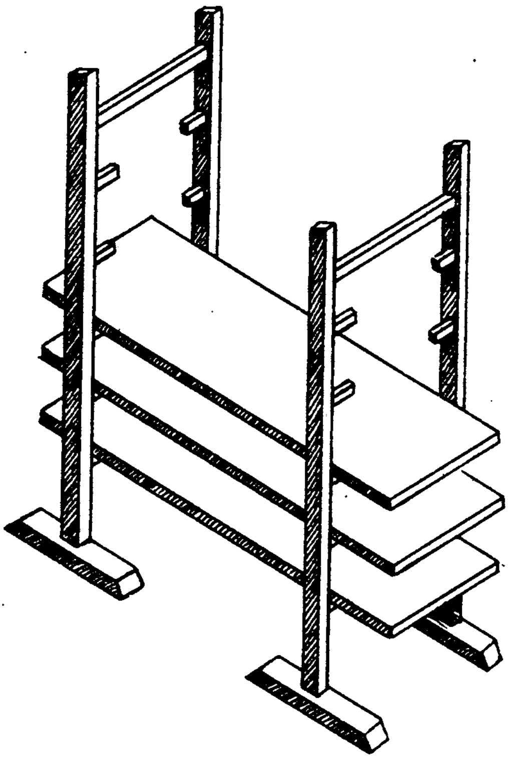
مساحة المحل		عرض		طول	
٣	مليمتر مربع	١	مليمتر	٣	مليمتر حال خروجها من البزر
١٠	«	١,٢٥	«	٨	« « « « الغفلة الاولى
٣٠	«	٢	«	١٥	« « « « « الثانية
٩٠	«	٣	«	٢٨	« « « « « الثالثة
٢٢٠	«	٥,٠٥	«	٤٠	« « « « « الرابعة
٦٠٠	«	٧,٠٥	«	٨٠	« عند غاية جسامتها

فاذا ضربتَ كل رقم من ارقام المساحة بالعدد ٣ يحصل ما يلزم من اتساع المحل في كل دور من ادوارها واذا كررت ضرب الحاصل بعدد الدود الذي تحتويه العلبة (٢٥ غراماً) وهو من ٣٠,٠٠٠ الى ٣٥,٠٠٠ دودة يتعيَّن الاتساع للعلبة الواحدة من بداية التربية لنهايتها

غير انه من المعلوم فنًا وعملًا ان الدود الذي يربَّى في اماكن ضيقة لا يؤمن نجاحه ولا يمكن ان يزيد حاصل العلبة منه على ٢٠ كيلو مهما كانت العناية مبذولة في تربيتهِ بالعكس عن الذي يربى منه على سعةٍ فيبلغ محصول شرانقه من ٥٠ كيلو فما فوق ولذلك يقتضي ان يفسَّح للدود باكثر من احتياجه الفسيولوجي منذ خروجه من البزر الى نهاية عمره فيجعل مساحة المحل للعلبة الواحدة في الدور الاول ٥ امتار مربَّعة مثلاً وفي الدور الاخير ٣٥ مترًا مربعًا على الاقل هذا اذا لم يكن سببٌ يقضي بالتفسيح اكثر من ذلك والحاصل يلزم ان تكون سعة المحل هكذا :

متر مربع		متر مربع	
٥	في الدور الاول	٤٠	في الدور الرابع
١٠	« الثاني	٤٥:٦٠	« الخامس (اي من الصومة
٢٠	« الثالث		الرابعة الى ان يتسلق الشيح)

(التربية على السقالة) وهذه السعة لا يمكن الحصول عليها بكل محل الّا بتربية الدود على سُرُر (سقالات) ذات طبقات عديدة توضع فوق بعضهـا بعضاً على مسافة ٣٥ : ٤٠ سانتيمترًا او اكثر



سقالة ذات ست طبقات

ولا يتجاوز عرض الطوالة (الطبق) منها عن ٧٥ : ٨٠ سانتمترًا على طول يد الشخص الموكل بتغذية الدود ولا طولها عن مترين ونصف بل مترين و ٤٠ سنتمترًا كي لا يتعسَّر رفعها ونقلها عند مسيس الحاجة

ويمكن تكثير عدد طبقات السقالات بحسب سعة المحل وارتفـاع سقفهِ فالمحل الذي لا يزيد ارتفاعه عن ٣ : ٤ امتار لا يتحمل اكثر من اربع طبقات على ان الاماكن

المعدّة للتربية خاصة قد تحتوي ١٥ الى ٢٠ طبقة مركوزة على دعائم ثابتة ومتينة وتصنع هذه الطبقات من الشريط الرقيق على شكل الغربال بحيث تُستر بالورق الكثيف عند ما يوضع عليها الدود لمنع سقوط الاوساخ والافرازات من الاعلى للاسفل

(تفريق الدود والتنظيف تحته) والدود الذي يربّى على الوجه المارّ الذكر ياخذ جسمهُ في النمو يوماً فيوماً فيحتاج في كل زمن من ادوار حياتهِ الى تفريق بعضه عن بعض تخلُّصاً من الازدحام الذي يضرُّ فيه وطلباً للسعة والهواء النقي . وهذه المسئلة يلزم الاعتناء فيها اعتناء خاصًا منذ بداية التفريخ

فعند ما يخرج الدود من البزر يُجمع على قطع ورق التوت وتوضع هذه الاطباق كل واحدة بموازاة الاخرى بأبعاد متساوية بحيث يكون بين الواحدة والاخرى مسافة يجول بها الدود عند ما يُرشّ ورق التوت المفروم على جوانبه من اليمين والشمال وحينئذٍ ترى الدود منتشرًا في كل جهة منها وهكذا يجري عند كل يقظــة من الصوم (اي في كل فطرة) بحيث يرفع الدود كما تقدَّم آنفاً ويُرشّ على جوانبهِ مفروم ورق التوت

وعند ما يكبر الدود يسهل تفريقهُ جدًا بوضع بعض غصينات ذات اوراق على المحل المزدحم فيه الدود من الطبق عند اعطائه الغذاء ورفعها كلّما تسلق عليها مقدار كافٍ من الدود ووضعها في محل آخر

اكثر مهرة مربّي الدود يستعملون لهذه الغاية وللتنظيف تحت الدود اوراق بطــال بقدر طبقة السقالة مثقوبة على شكل الغربال وثقباتها على حسب سن الدودة ويضعونها فوق الدود المطلوب تفريقه او التنظيف تحته ويطرحون ورق التوت عليها فحينئذ يصعــد الدود من الثقبــات المار ذكرها ويتسلل الورق وبهذه الصورة يسهل تفريقهُ ونقلهُ كثيرًا

فبعد ان يرفع الدود لمحل آخر بقصد التنظيف يُشاهَد بعضه لا يصعد على الورق بل يبقى في ارضه وهو بطيءُ الحركة لا يُعدّ بهذه الحالة صالحاً للتربيــة لاحتمال كونه لا يخلو من بعض الامراض فيلقى به بعيدًا عن محل التربية مع بقايا الورق والاوساخ التي تخرج من تحت الدود .

وحيث لا يجوز استعمال الاوراق المار ذكرها للتغذية او التنظيف اكثر من مرة واحدة فالبعض لاجل التخلص من كلفة تجديدها في كل سنة اصطنعوا اشباكاً من خيطان على

تلك الصورة قابلة للغسل والتطهير غير ان الدود الذي يرفع بها يتراكم بعضه فوق بعض عند ما يتدلى وسطها من الثقل فيحصل له ضرر ولذلك يرجّح استعمال الورق على تلك الاشباك

(التربية على الاغصان) ثمّ ان طرز السقالة المار ذكرها يستلزم مشقّة في الخدمة وزيادة مصروف حيث يلزم به تجريد الورق الذي يُعطى للدود من الغصن ومواصلة تفريق الدود عن بعضه بعضاً والتنظيف تحته فلاجل الاختصار بالكلفة والمصروف مع جمع الاسباب الآيلة لتحسين صحة الدود ونجاح الموسم فكَّر البعض في ترجيح تربيته على الاغصان مع التنظيف تحته بسهولة وانتظام كلما لزم الامر واستعملوا لهذه الغاية نوع سقالة اساسها على الطرز المألوف في بلاد ايران المسمى (تيلمبار) حيث يربُّون الدود ضمن حدائق التوت فيركزون في الارض ٦ : ٨ دعائم خشبية (عواميد) يحددون بها محلّاً طولهُ ٦ وعرضهُ ٤ امتار ويشبكونها بعوارض على ارتفاع مترين عن الارض بحيث يتمكن الشخص المربي من الوقوف والتجوُّل عليها عند الحاجة ويجعلون سقفها من جذور الجودار (١ بشكل (جملون) على ارتفاع ٥ الى ٦ امتار ثم يشبكون تحت العوارض المذكورة على بعد ٥٠ سنتيمترًا تقريباً سقالة من عوارض اخرى (انظر صورتها ١٨٨)

وعند ما يبلغ الدود الدور الثاني والثالث يرفعونهُ وهو على الاغصان ويضعونه على السقالة المذكورة حيث يصير تغذيته صباحاً ومساء باغصان التوت التي تلقى عليه من يد المربّي اثناء تجوُّله على العوارض وعلى هذه الصورة ينتشر الدود بين الاغصان فتصبح سعة ٢٤ مترًا مربعاً بحكم ٠٤٨ . واما الافرازات والاوساخ فتسقط على الارض رأساً ولا يبقى لزوم للتنظيف تحته ويدوم الحال هذا الى ان يبلغ ارتفاع العيدان والاوساخ المتراكمة تحت الدود والعوارض التي يمشي عليها المربي فيكون تقرَّب زمن وضع الشيح فيوضع هذا ويملأ به خلاء التيلمبار حتى السقف الذي يكون ذاته بمثال الشيح

انما التربية على هذه الصورة لا تخلو من نواقص مهمَّة تحول دون نجاح الموسم كما ينبغي حيث لا بد من سقوط مقدار كبير من الدود على الارض وضياعه كما انَّ تراكم الاغصان التي تبقى تحت الدود مما يمنع جريان الهواء الذي هو اهمُّ الامور الضروريَّة

١) نوع من القمح

لصحة الدود خصوصاً عند ما يقرب حضوره على الشيح ثمَّ انه لا يمكن بهذه الاحوال تربية الدود الّا على طبقة واحدة

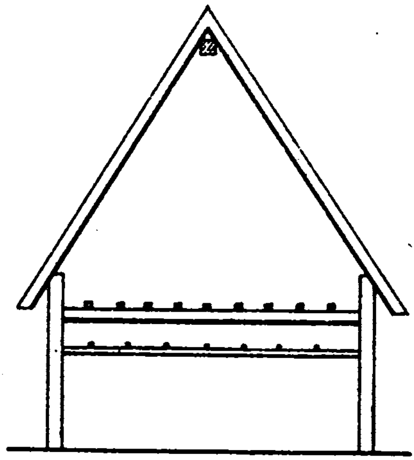
على اننا نرى الاصول التي تتخذها اهل السواحل من هذه الولاية بتربية الدود في خيام مخصوصة تسمى« خصًا » انسب وافضل خصوصاً لامكان اصطناع عدَّة طبقات بها على قدر اللزوم

غير ان هذه الطريقة كذلك لا تخلو من شوائب عديدة اهمها بقاء الدود معرَّضًا لتأثير كافة العوارض الجوية مع مضرَّة الحشرات والهوام البرّيَّة في كل وقت فاذا لم يكن طقس الربيع معتدلًا قليل الامطار لا يمكن نجاح الموسم وكثيرًا ما تذهب الاتعاب ضحية رداءة الطقس

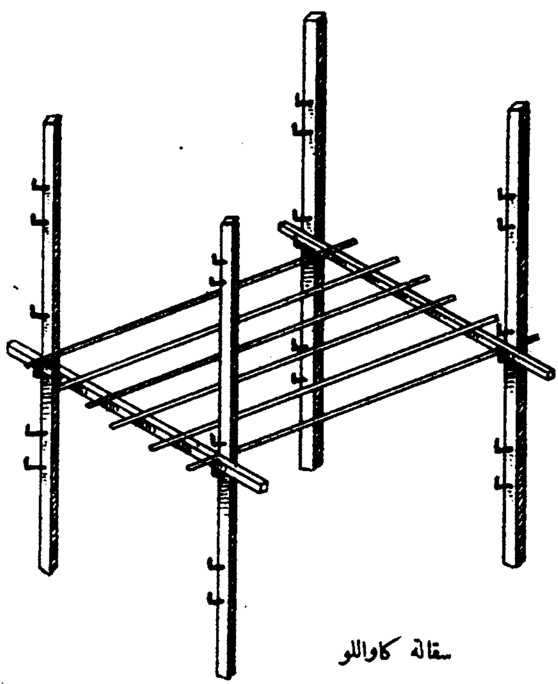
واحسن طريقة للتربية هي طرز السقالة التي اصطنعها احد ارباب الفن في ايتاليا يدعى (كاواللو) بصورة يمكن بها تربية الدود على الاغصان بدون اقلّ محذور. وهذه السقالة هي عبارة عن عامودين من الخشب حذاء بعضهما بعضاً سعة الواحد عن الاخر ٨٥ سنتيمترًا وآخرين بالسعة المذكورة على بعد ١ متر و٢٠ سنتيمترًا عن الاولين وعلى كل هذه الدعائم الاربعة بكل ٥٠ سنتيمترًا يوضع شنكل من الحديد لاجل حمل العوارض التي تلقى عليه بطول متر واحد وعلى هذه العوارض يطرح عدَّة عوارض خشبيَّة رقيقة غيرها حذاء بعضها بعضًا بطول ١ متر و٤٠ س (اي حسب ما تقتضيه سعة المكان) يتشكل منها ارض السقالة وبهذه الصورة يمكن تكثير عدد الطبقات على معدل ارتفاع الدعائم (انظر صورتها ص ١٨٨)

وعند ما يخرج الدود من الصومة الثالثة يوضع على هذه السقالة ويعلّق تحت كل طبقة منها شراشف من الخام لاجل استلقاء الاوساخ ومنع سقوطها من الاعلى للاسفل وحيث انه يوجد فوق كل شنكل على بعد ١٠ سنتيمترات شنكل اخر فلاجل التنظيف تحت الدود عند ما تتراكم الاغصان فوق بعضها حتى يبلغ ارتفاعها حذاء الشنا كل الثانية يوضع عليها عوارض اخرى جديدة عرضاً وطولًا على الصورة المار ذكرها فتصبح سقالة بارتفاع ١٠ س عن الاولى ويلقى عليها اغصان التوت فيتسلّقها الدود من الاسفل ولمّا لا يبقى منه شيءٌ على سطح السقالة الاولى تُسحب عوارضها السفلى المركوزة على الشنا كل فتسقط بما عليها من العوارض الرقيقة وعيدان الاغصان على الخام الموضوع

تحتها فتطرح تلك العيدان والاوساخ خارجاً ثم تنزّل الطبقـة الجديدة بتمامها وتلقى على الشناكل السفلى وهكذا يستمرّ الحال الى النهاية



السقالة المدعوّة تيلمبار



سقالة كاواللو

وهذه الطريقة للتربية قد اظهر الاختبار انها افضل الطرق المستعملة لانها تجمع بين سعة المحلّ وتوفير التعب بتجريد الورق عن الاغصان فضلًا عن سهولة جريان الهواء بصورة منتظمة وبتوفير هذه الاسباب يكون الموسم مكفول النجاح. فنرغب الى المربّين عموماً ان يتّخذوها قاعدة لتربية مواسمهم عليها فيشاهدون من حسن النتيجة ما ينسيهم كلفة اصطناعها لاول سنة

٣ ﴿ التهوية ﴾ كنا ذكرنا في المباحث الاولى ضرورة الهواء في محلّات التربية وهذه الضرورة ليست لاجل الحصول على المقدار اللازم من الاوكسجين لتنفُّس الدود فقط بل لاجل ازالة حامض الكربون والرطوبة الناشئة عن الابخرة المتصاعدة فيها

وعليهِ يلزم ان يكون ذلك الهواء جافًّا وبالتجربة قد عُرف ان السنين التي يكون الهواء فيها جافًّا تكون مواسمها جيدة ولو كانت التربية واقعة في محلات غير مناسبة كالاخورات والمتابن وما شاكلها وهذا السبب الوحيد الذي جعل اهالي القرى يعتقدون عدم الفرق بين اماكن التربية لجهلهم الاسباب الحقيقيَّة وهم لا يعلمون ان اسباب عدم حصولهم على مواسم جيدة في اكثر السنين هي ناشئة عن رداءة تلك الاماكن وعدم مناسبتها نظرًا لوجود الرطوبة فيها وان تلك الصدفة التي حصلوا عليها ليست الّا من فعل تأثير الهواء الجافّ وكلٌّ يعلم ان مواسم الجبال والمحلات المرتفعة تكون بصورة دائمة احسن كثيرًا من مواسم سواها من المحلات الواطئة والمنخفضة لان هواء الجبال دائماً يكون انشف من سواه

وبعض ارباب الاختبار تصوَّروا ازالة ما يحصل من الرطوبة بوضع الكلس الحي في اماكن التربية حتى ان البعض منهم توفَّق لازالة مرض الموسكاردين بواسطة رشّ الكلس الناعم على الاطباق بعد بلوغ الدود الدور الرابع من حياتهِ. انما هذه الطريقة تحتاج لكلفة ومصروف زائد فنرى ان ذلك يتوفَّر لهم باحراق مقدار من الحطب اليابس في تلك الاماكن في حال عدم كفاية الهواء لتنشيف الرطوبة. ومع كل ذلك فالفنّ قد توصل لتحسين نتيجة مواسم الحرير في كل المحلات رغمًا عن التقلبات الجويَّة بانشاء اماكن على الاصول الفنية تساعد على تغيير الهواء فيها عند اللزوم ممَّا يكفل للمربي حسن النتيجة

فمن اشهر محلات التربية في العالم هي الاماكن المصطنعة في ايالة « سافن » في فرنسا اذ يبنونها على عقد اشبه بالمغارة ذات منافذ في اعلاها تُفتح كلّما مسّت الحاجة لتجديد الهواء ويوجد بكل زاوية من زوايا البناء العلوي المعدّ للتربية اوجاق عادي من المصطلح عليه في القرى يحرق بهِ الفحم الحجري والجبصين معاً وبحيطانه شبابيك صغيرة مستورة بالورق الخشن عوضاً عن القزاز وسقفهُ مصنوع من القرميد يوضع على التكنة رأساً بدون طيوان كي لا يصعب اندفاع الغازات والرطوبة التي تحصل للخارج فضلًا عن وجود عدّة منافذ بالسقف ذاته يمكن فتحها عند اللزوم . . . .

والذي نراه ان اقصر الطرق التي تؤدي الى الغاية المطلوبة من حيث التهوية عدم وضع كمّية من الدود تزيد عن ما تقتضيهِ سعة المكان فمع هذا الاحتياط لا يبقى محذور من تربية الدود في اي بناء كان بشرط ان يكون به منافذ تُفتح عند اللزوم

هذا ولا ينكر ان لحيطان البناء الخارجية تأثيرًا مهمًّا يختلف باختلاف الموادّ المبني منها فالآجرّ او اللبن يساعدان لنفوذ الهواء جداً بالنظر لكون الهواء يخترق مسامّها بسهولة بشرط ان لا يكونا مطليين بالكلس من الخارج التي سعتها عبارة عن ٧٥ مترًا مكعباً يتجدد هواؤها بظرف ساعة واحدة فيما اذا كان الفرق بين هوائها والهواء الخارجي مقدار ١٩ فاذا كان ذلك الفرق لا يزيد عن درجة واحدة يكون مقدار ما يجري من الهواء عن سطح كل متر مربع ٢٤٥ ليترة انما اذا وقع المطر عن الحيطان المبنية بالاجرّ او اللبن يقل جريان الهواء منها ولذلك ينبغي عند بناء المكان ان تكون تكنة القرميد بارزة الى الامام مقدار متر من كل جهة للمحافظة على الحيطان من الامطار

٤ ﴿ التغذية ﴾ يجب ان تكون كمية الغذاء التي تعطى للدود بظرف اربعة وعشرين ساعة بنسبة درجة حرارة محلّ التربية وجفافهِ فبقدر ما يكون الهواء حارًّا وجافًّا يزاد في عدد العلف وعليه يلزم تغذية الدود الصغير حتى ثاني وثالث دور من حياتهِ ٦ الى ٨ دفعات بكل ٢٤ ساعة ومن الدور الثالث يكفي اربع مرات بشرط ان يكون مقدار الورق كبيرًا . . .

ونرى بكل الاحوال ان على المربي ان يضع نصب عينيه لزوم مقدار ١٢٠٠ لحد ١٥٠٠ كيلو لكل علبة وزنها ٢٥ غراماً لان المائتين كيلو ورق التي تعطى للدود الصغير

في بداية ادواره تُعتبر حاصلة من ٤٠٠ كيلو فاذا ضُمَّ اليها ٧٠٠ كيلو التي يصرفها الدود في اخر دور من حياته يتبيَّن ان اللزوم لا يقل عن ١٢٠٠ ك

وقد لاحظ (داندولو) المربي الايتاليانى الشهير عدم لزوم اعطاء الدود غذاء طالما انه موجود على الاطباق ورق طري فيجب على صاحب الموسم اذا كان له شركاء بالقسم ان يلاحظ هذا الامر لانه قد جرت عادة الشركاء ان يكثروا من اطعام الدود فوق الاحتياج بقصد اخذ الفضلات (الجزّة) علفاً لحيواناتهم . . .

(وللمؤلف الاديب هنا باب طويل في الورق وكيفية غرس التوت على الاصول الفنية لتوفيره وفي طرائق قطف الورق وفي خواصهِ من طراءة او يبوسة وتمييز صالحهِ من فاسدهِ وعلى حفظ نظافتهِ لسلامة الدود من الافات اللاحقة بهِ فلم ننقلهُ هنا حذرًا من الاطالة)

٥ ﴿ حرارة المحل ﴾ ذكرنا ان الدود يتحمَّل الحر والبرد الشديد بدون ان يحصل له ضرر غير ان انتظام درجة الحرارة بمحلات التربية لها تأثير كبير على صحة الدود واحواله فاذا كانت الحرارة دون ٢٥ س يطول عمر الدود اي تطول المدة التي يصرفها منذ خروجه من البزر حتى نسج الشرنقة فيستوجب زيادة مصروف ما بين اجرة فعلة واثمان ورق يتلف تحتهُ باكثر من المعتاد واذا صادف ظهور عرض بطيء السير كالببرين والدودُ بهذه الحالة يتلف القسم الاكبر منه قبل ان يصل للغاية

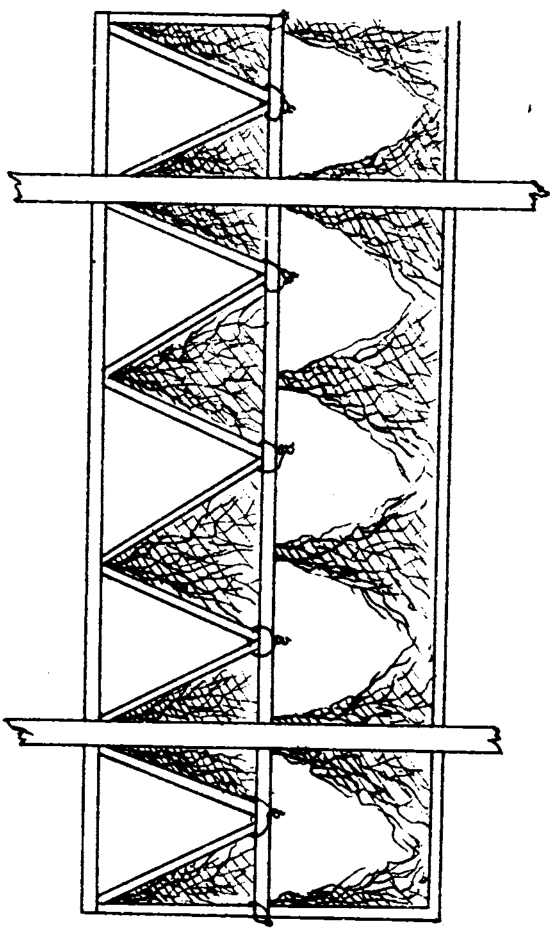
هذا والحرارة الزائدة لا توافق ايضاً لانها تضرُّ بصحة المربين والعملة الذين يلازمون خدمة الدود بدخولهم وخروجهم سيما في اثناء الليل ثم بصحة الدود ذاته عند وقوع اقل تهاون او تأخير بامر تغذيته وحيث ان الحرارة تعجّل في جميع حركات الدود فحرير الشرنقة التي تنسجها الدودة بالعجلة يبقى خشناً ويترك مقداراً وافراً من الفضلات عند حلّهِ

ولذلك يُختار الدرجة المتوسطة من الحرارة ان يكن سببٌ قاض بالتزييد والتنقيص كما لو تأخر نمو ورق التوت من برودة الطقس يلزم تنزيل الدرجة كي تقلّ الحاجة الى الورق او لزم الامر الى اغتنام الوقت بسبب من الاسباب

واهم ما يجب الانتباه اليهِ بهذا الباب هو تغذية الدود بحسب حرارة المحل اي تزييد عدد العلفات او تنقيصه تبعاً لزيادة الحرارة وقلتها . . .

والآلات المستعملة لاجل ايجاد الحرارة في محلات التربية هي على عدّة اشكال

احسنها التي تنشر الهواء حارًّا في اماكن التربية تسمى (كالوريفير) انما هذه الالة تحتاج الى مصروف كبير يتعذَّر على كل مربي استحضارها وعليه فالأكثر يستغنون عنها باصطناع اوجاقات قروية في زوايا تلك الاماكن والاوفق ان تكون هذه مصنوعة من الآجرّ بدلًا عن اللبن لان الآجرّ يحمى ويبرد ببطء فلا يخشى من سرعة التغيرات التي تحصل في الطقس وقد يستعمل البعض ايضاً اوجاقات من الحديد وافضلها التي تكون من النوع الصيني فانها تمتاز عن تلك بكونها كالاولى تسخن وتبرد ببطء



والحاصل ان كل انسان يستعمل ما يتمكن من استحضاره والحصول عليه انما القصد ان تكون الدرجة منتظمة للنهاية ...

٦ ﴿اصول وضع الشيح﴾

عند ما يشاهد المربي استعداد الدود للصعود على الشيح يجب عليه حالًا ان يركز الاغصان اللازمة التي لا بدّ ان يكون استحضرها قبل ذلك الوقت بزمان واحسن الاغصان المستعملة لهذه الغاية هي اغصان (الشيح) ثمَّ (الطيون) ثم (الصنوبر) ثمَّ (السنديان) وكافة اغصان النباتات ذات الاوراق النحيفة اليابسة فتجمع حُزَماً صغيرة وتركز

ا الشيح الاعتيادي ب الشيح ذو الشمريات

في جوانب ووسط كل طبقة من طبقات سقالة التربية بحيث يكون جذرها في الاسفل واعلاها في نهاية كل طبقة ببعد ٣٥ : ٤٠ سنتيمترًا بين كل واحدة واخرى حتى يبقى مجال لتغذية الدود الباقي والتنظيف من تحته ويجب الدقة في عدم الضغط عند ربط كل حزمة حتى يبقى محل لسير الدود فيها وعمل شرنقتها

هذا وكثيرًا ما يستدعي الحال لوضع اغصان الشيح لكمية كبيرة من الدود في وقت واحد فلا يخلو عندئذٍ من كلفة زائدة وتعب عظيم على المربّي اختصره البعض بعمل شعريات من الخشب ذات عارضتين في اعلاها واسفلها بثخن ١٥ ملمترًا مشبوكة على الوجهين بعوارض رقيقة من الخشب بين كل عارضة واخرى مقدار ٢٧ ملمترًا بحيث يصادف محل ارتكاز عوارض الواحدة بمنتصف المسافة الواقعة بين عارضتي الثانية فيتكوّن من معارضة تلك العوارض شقوق مستطيلة الشكل تتمكن الدودة من الدخول اليها ونسج الشرنقة بها . . . .

٧ ﴿ كميّة الدود ﴾ ليست النتيجة الحاصلة من تربية كميّة معلومة من الدود في مكان واحد كالنتيجة الممكن الحصول عليها فيما لو تربّت تلك الكمية في محلّات متعددة فقد عُلم بالتجارب ان تقليل مقدار البزر مع سعة المحل يأتي دائمًا بنتائج حسنة اعني ان العلبة التي تربى بهذه الصورة قلّما ينقص محصولها عن ٥٠ : ٦٠ كيلو مع انه لو كان المقدار كثيرًا لما زاد عن ٢٥ : ٣٠ كيلو واسباب ذلك واضحة لانه اذا كثر ازدحام الدود فتعود الشرائط اللازمة لصحة الدود غير كافية ولا يتمكن المربي من خدمة الدود كالواجب ولا يمكن حفظ نظافة الورق وتجديد الهواء

والحاصل لو امكن دفع كل هذه المحاذير فيبقى محذور لا يمكن ازالته بوجه من الوجوه وهو عدم كفاية حجم الهواء بالنسبة الى مقدار الدود وبعبارة اخرى تراكم الدود بزيادة عن اللزوم وهذا يكون سببًا كافيًا لاشتداد وطأة ايّ مرض ظهر في الدود . على انه مهما كان البزر جيدًا لا بدّ من وجود بعض دودات مريضة بين هكذا كمية كبيرة او اوراق توت غير صالحة او ان جهة من المحل اصبحت عرضةً لزيادة الحرارة او جريان الهواء او تأثير الرطوبة وهي الاحوال التي تُعدّ من اهمّ الاسباب لظهور الامراض فاذا ظهر مرض الفلاشري يتلف اكثر الدود بسرعة مدهشة

ومن جملة محسّنات تقليل كمية الدود تقليل الكلفة والمصروف اذ بتلك الحال يمكن

ايصال الدود للدور الثالث او الرابع بخدمة اهل البيت فقط عوضاً عن استخـدام عملة بأجورة باهظة نظرًا لثقل الخدمة

نعم ان فائدة تربية القليل ربما تكون قليلة بحسب الظاهر انما نشير باتخـاذ هذه الطريقـة لمن يعطون مواسمهم بالشركة فيكثرون من عدد الشركاء الذين يعطونهم مقدارًا بقدر سعة محلهم وبذلك يتمتعون بربح وافر

واذا شئنا ان نضع قاعدة مطردة لاجل الاستفادة الحقيقية من تربية دود الحرير نقول انهُ يلزم انتقاء بزر جيد وتوزيعه على شركاء متعددين مدرَّبين على اصول التربية مع اعطائهم الورق اللازم من الحدائق المختصة بصاحب الموسم وبهذه الصورة لا يقلّ محصول شرانق العلبة الواحدة عن ٥٠ الى ٦٠ كيلو

الاناجيل القانونيَّة واناجيل الزُّور

نظر للاب لويس شيخو اليسوعي

ذكرنا في آخر العدد السابق سؤَالًا لاحد أُدباء البلدة عن انجيل الطفوليَّة وانجيـل نيقوديموس فوعدنا بأَنَّنا نفرد لذلك بحثًا خصوصيًا . ثمَّ رأينـا ان الكلام عن هذين الانجيلين المزوَّرين لا يكون مستوفيًا الَّا بكتابة فصلٍ كامل في الاناجيل القانونيَّة ليعرف القرَّاء مميّزاتها وعلوَّ مقامها في كلّ اطوار النصرانيَّة ويكون كتوطئة لكلامنـا في الاناجيل المصطنعة التي ابدعها الهراطقة غالبًا لترويج تعاليمهم الفاسدة

*

ما صعد السيّد المسيح الى السماء حتى اخـذ المسيحيُّون الاوَّلون في الانضمام تحت رعاية الرسل الكرام وسمعوا شهادتهم في تعاليم الرب واعمالهِ منـذ مولده الى موتهِ وقيامتهِ . فذلك كان الانجيل الذي امرهم المسيح ان يكرزوا بهِ في العـالم كلهِ هم وخلفاؤهم من بعدهم ولم يأمرهم بتصنيف كتاب خاصّ يدوّنون فيـهِ تلك التعاليم والاعمال . الَّا انَّ المسيحيّين الاوَّلين أَلحُّوا على الحواريين واتباعهم ان يسطِّروا لهم سيرة الرب وتعاليمهُ ليرجعوا اليها بالنظر ويقرأوها في الجتمعات الدينيَّة ويتَّخذوا مضامينهـا

كقدوة في حياتهم فكان اوَّل من لبَّى دعوتهم القديس متى كتب انجيلهُ في اللغة الآراميَّة المعروفة بالسريانيَّة الفلسطينيَّة الشائعة في ذلك العهد بين اليهود لانهُ وضع انجيلهُ لمن تنصَّر منهم في اورشليم واليهوديَّة ثمَّ نُقل بعد ذلك بزمن قليل الى اليونانية والسريانيَّة الحدثة وأُهمل الاصل الآرامي بعد تفرُّق شمل اليهود

ثم كتب مرقس انجيلهُ من بعد متى وكان مرقس تلميذًا لبطرس هامة الرسل ورفيقهُ في اسفارهِ فسطَّر انجيلهُ كما تلقَّنهُ من بطرس معلمهِ باليونانيَّة لمن تنصر من اهل رومية لشيوع اليونانيَّة بينهم. وصنَّف الانجيل الثالث لوقا تلميذ بولس الرسول ورفيقهُ في اسفارهِ ومؤلف كتاب اعمال الرسل. وكان لوقا طبيبًا متخرجًا بآداب اليونان خبيرًا بالعلوم وكتب انجيلهُ بعد ان تحرَّى البحث المدقّق في اعمال السيّد المسيح واقوالهِ اخذها عن اوثق المصادر اعني الرسل واقارب الربّ وكل « الذين كانوا معاينين منذ البدء وخادمين للكلمة » . وهذه الاناجيل الثلاثة سبقت كلها فتح اورشليم على يد طيطس اعني قبل السنة ٧٢ وتدعى بالاناجيل المتوافقة (Synoptiques) لتوافقها في تعداد اعمال السيد المسيح وذكر اقوالهِ ومشابهتها في سياق الروايات وطريقة الكتابة مع اختصاص كل منها بعدَّة امور . وكان آخر من سطَّر الانجيل يوحنَّا التلميذ الحبيب وضعهُ باليونانيَّة بعد خراب اورشليم للمتنصرين من اليونان في آسية الصغرى وكانت غايتهُ من وضعهِ أن يدوّن ما لم يثبتهُ الانجيليُّون الاوَّلون ويتصدَّى للمبتدعين الذين قاموا في اواخر القرن الاوَّل للميلاد وجعلوا يبثُّون الاضاليل في عقول المسيحيين (راجع مقالة حضرة الاب دوران عن انجيل القديس يوحنَّا في (المشرق ١٠ : ١٠٥٧ — ١٠٦٧)

تلك كانت الاناجيل الاربعة التي كُتبت بالهام من الله على يد الرسل الاطهار وصادقت عليها الكنيسة جمعاء دون تردّد وانتشرت منذ ظهورها حتَّى في اقاصي العالم المعمور ونُقلت الى لُغات كلّ الشعوب المتمدّنة قبل القرن الخامس كما تشهد على ذلك التواريخ الصحيحة

وممَّا يدلّ على انَّ هذه الاناجيل كانت منذ اوَّل عهدها كما هي اليوم حرصُ الكنيسة على حفظ نصوصها المنزلة وضربها على يد كل من حاول تحريف شيء من متونها الجوهريَّة حتَّى انَّ اعداء الدين الذين اهتمُّوا في العصر السابق بجمع عدد لا يُحصى من النسخ الانجيلية في كل جيل وكل لغة وبمعارضة تلك النسخ بعضها على

بعض لم يجدوا بينهـا اختلافًا يُذكَر اللهمَّ الَّا في امور عرضيَّة لا دخل لها في معاني الكتاب. وبعد ان افرغوا الوسع في تزييف الاناجيل المقدَّسة وابطال عقائدها واسقاط حرمتهـا رجعوا بخفَّي حنين ويكادون اليوم يسلّمون بكل ما تعلمه الكنيسة في شأن تصنيف الاناجيل المقدَّسة وكتبَتها وزمن تاريخها وبراءتها من التحريف لكنهم لا يرضون برواية معجزاتها لأنهم ينكرون كلَّ ما يتجاوز طور الطبيعة

ومن البراهين اللامعة التي لا تدع مجالًا للريب في صحَّة الاناجيل انَّ الآباء الاولين الذين لدينا قسمٌ كبير من تآليفهم قد استشهدوا بآيات عديدة منها وذلك مباشرةً من القرن الاوَّل في رسالة القديس برنابا وفي رسائل اقليميس تلميـذ بطرس والقديس اغناطيوس الانطاكيّ وفي اعمـال پاپياس تلميذ القديس يوحنا الذي يذكر انجيلي القديسين متى ومرقس باسمهما . ثمَّ القرن الثاني في مصنَّفات القديس ايريناوس الذي يذكر الاناجيل الاربعة ويستشهد في كتبهِ باكثر من ٤٥٠ آيةً انجيليـة وفي اعمال اقليميس الاسكندري ويوستينوس الشهيد وهرماس ثمَّ اوائل القرن الثالث الى اواسطهِ في تآليف المعلمين الشهيدين ترتوليان واوريجانوس والقديس قبريانوس الشهيد وغيرهم نصوص حرفيَّة منقولة من الاناجيل المقدَّسة وقس عليهِ بقية الآباء الذين ضمَّنوا كلَّ اعمالهم نصوصاً مع شروح عليها واشارات متعدّدة الى اعمال الربّ ومعجزاتهِ الوارد ذكرها في تلك الاسفار حتى لو فُرض انَّ تلك الاناجيل فُقدت اليوم بغتةً لأمكن جمعها واعادتها على حالها من الشواهد المتفرّقة في مصنَّفات الاباء في القرون الثلاثة الاولى فقط ففي تآليف ترتليان وحدهُ ٩٢٥ آيةً من الاناجيل المقدَّسة

وما هو اجدر بالاعتبار انَّ الاناجيل الاربعة المذكورة وُجدت وحدهـا في جدول الاسفار المقدَّسة القانونيَّة التي كانت تقبلها الكنيسة الرومانية امّ الكنائس ومعلمتها في مطاوي القرن الثاني (المشرق ١٠ : ١٠٦٢) كما ظهر باكتشاف هذا الجدول منذ سنين قليلة على يد موراطوري (Muratori) — ولمَّا اراد في ذلك القرن طاطيـانوس تلميذ القديس يوستينوس أن يسرد حياة السيّد المسيح لم يرَ طريقـةً افضل من نقل آيات الاناجيل الاربعة بحرفها وادماجها ببعضها بحيث يحصل من تلك الروايات الاربع قلادة تجمع سياقة السيرة الربَّانيَّة متتابعةً في مساق سيرة شاملة لخواص الاناجيل الاربعـة . وذلك السفر الجليل الذي عرفهُ القديس افرام ونقل عنهُ في القرن الرابع قد وُجدت

نسخةٌ منهُ عربيَّة طبعت في رومية العظمى قبل عشرين سنة ومنها في مكتبتنا الشرقيَّة اوراق منفرطة تاريخها سنة ٧٣٢ للهجرة ١٣٣٢ للمسيح منقولة عن نسخة راقيـة الى القرن العاشر او التاسع (المشرق ٤ : ١٠٠)

وقد صرَّحت الكنيسة بمعتقدها في هذه الاناجيل الاربعة في مجامعها وابطلت ما سواها. لا بل ما كانت لتأذن بابدال كلمة منها غير فصيحة بمـا هو افصح منها كما ذكر سوزومان المؤرخ (ك١ ف٢) عن احد الاساقفة في مجمع قبرس حيث طلب تغيـير لفظة « سرير » في اليونانيَّة في قول المسيح للمخلع (مرقس ٢ : ٩) : « احمل سريرك وامضِ » فرأى انَّ تلك اللفظة عاميَّة فتصدَّى الآباء للخطيب وزجروه لطلبـهِ تغييرًا في كلام الله . فكفى بذلك دليلًا على عناية رؤساء الكنيسة في صيـانة النصوص الانجيليَّة من كلّ تحريف

*

بعد هذه المقدَّمة نستطيع ان نتخطَّى لذكر الاناجيل المزوَّرة فنقول: جاء في مثل « انَّ لكل شيءٍ آفةً من جنسهِ » وهو مثلٌ يصدق في الاسفار المقدَّسة كما في غيرهـا من الامور ولعلَّهُ فيها اصدق من سواها لانَّ الباطل يكتسي عادةً بثوب اليقين كما يتزَّيا البهرج بزيّ الحُسن والجمال فان وجد شيئًا ثمينًا تقلَّدهُ لترويج بضاعتهِ السخيفة

وان عدَّدنا الكتب المزَّيفة التي وضعها اصحاب التدليس معارضةً للكتب الالهيَّة المنزلة لأربى عددها على المئات ظهرت في كلّ قرن من قرون النصرانية ومنها ما وُضع لتقليد اسفار العهد القديم كرؤيا آدم وسفر احنوخ ووصايا آباء الاسبـاط الاثني عشر ومزامير سليمان الحكيم ورؤيا اشعيا النبيّ وسفري عزرا الثالث والرابع وسفري المكابيين الثالث والرابع الى غير ذلك. ومنها ما تأثَّر اعقاب كتبة العهد الجديد فادَّعى باسم بعض الحواريين او اتباعهم كبطرس الرسول وبولس وتوما وبرتلماوس ويعقوب. وهذه المصنَّفات اوسع من تقليدات العهد القديم اتَّخذها اهل البدع غالبًا كوسيلةٍ لنشر اضاليلهم. وقد امتازت بين هذه المؤلَّفات المبهرجة « الاناجيل الزور » لاختصاصها بالسيّد المسيح لذكره المجد وباقاربهِ كالعذراء مريم والدتهِ عليها السلام والقديس يوسف ابيهِ بالذخيرة وباطوار حياة الرب المختلفة كطفوليَّتهِ وشبابهِ وكهوليَّتهِ وتعاليمهِ وموته ونزولهِ الى الجحيم واشياء

كثيرة تنوط بشخصهِ الكريم . وها نحن نقتصر بتعريفها اجابةً لطلب الاديب الذي عرض علينـا السؤال في انجيلين منها فنقول:

انَّ اناجيل الزور قد توفَّرت في قرون النصرانيَّة الاولى. وكانت الكنيسة ترقبها بعين ساهرة لئلَّا يدسَّها اصحابها بين ابنائها المستقيمي الرأي. وكان آباء الكنيسة ينبهون الى ذلك المؤمنين. قال اوريجانوس المعلم في اخر القرن الثاني واوائل الثالث في تفسيرهِ على القديس يوحنَّا: « انَّ لاصحاب البدع عدَّة اناجيل امَّا الكنيسة فلا تعرف الَّا اربعة اناجيل فقط » . وقد كرَّر مثـل هذا القول غيرهُ من الآباء كالقديسين يوحنَّا فم الذهب وامبروسيوس. وسبقهما الى مثل ذلك اوسابيوس القيصريّ الذي شبَّه كنيسة المسيح بمركبة ذات اربعة افراس يُقلّ عليها الانجيليُّون جلالةَ الكلمة الالهيَّة ويطوفون بها في جميع اقطار العالم. امَّا تلك الاناجيل الكاذبة فكان اصحابها ينشرونها سرًّا لئلَّا يردّ الآباء ومعلمو الكنيسة على المدلسين الذين صنَّفوها ولهذا قد ضاع بعضهـا بتوالي الاعصار كما يزهق الباطل بظهور الحقيقة. وقد اجتهد كتبة عصرنا بنشر ما لقوهُ من كلّ هذه الاناجيل المزوَّرة وها نحن نعرّفها فردًا فردًا

١ ﴿ انجيل يعقوب ﴾ هو يعقوب الصغير المعروف باخي الرب اي نسيبهِ ابن كلاوفا واوَّل اساقفة اورشليم. فالابيونيُّون اي اليهود المتنصّرون لما عرفوا لهـذا الرسول من المقام في بيعة المسيح فضلًا عن قرابتهِ معهُ نسبوا اليهِ انجيلًا زورًا أشاعوهُ منـذ اواسط القرن الثاني فضمَّنوهُ روايات مصنوعة مزجوها ببعض اقوال الاناجيل المقدَّسة مع تقاليد شفاهيَّة كانت شائعة بين النصارى الاوَّلين يجوز اعتبارها كاخبار تاريخيَّة صحيحة دون البتّ بصحَّتها . وقد عرف آباء الكنيسة هذا الانجيل المصنوع منـذ ظهورهِ ولم ينظموهُ البتَّة في سلك الاسفار القانونيَّـة او اذا استعاروا منهُ شيئًا نقلوهُ على علّاتهِ كروايات شائعة في عهدهم. وهذا الانجيل قد كُتب في اليونانية ومنـهُ نسخ متعدّدة مخطوطة وطُبع مرارًا في اصلهِ اليوناني ومنقولًا الى لغات شتى. وهو يُقسم الى ٢٥ فصلًا. يبتدئ بذكر نسب يواكيم وحنَّة ابوي العذراء مريم وكيف منحهما الله ابنتهمـا الطاهرة مريم البتول بعد عقرهما على طريقة عجيبة كما رويناها في المشرق عن بعض الاناشيد العاميَّة القديمة (المشرق ٧: ١٠٨٨) ويلي ذلك خبر طفوليَّة العذراء وتقدمتهـا الى الهيكل وعيشتها فيهِ ثمَّ زواجها العجيب مع القديس يوسف بعد ازدهـار عصاتهِ بمعجزة باهرة.

وفي اثرها ظهور الملاك لها مرّتين يبشرها بولد السيّد المسيح ثمّ ذكر تفاصيل ميلاد الربّ الى مجيء المجوس للسجود له وقتل اطفال بيت لحم على يد هيرودس. هذا هو انجيل يعقوب الذي انتشر انتشارًا عظيمًا في بعض الكنائس الشرقيّة ولِما يتضمّنهُ من الاقوال التقويّة عدّهُ البعض كسفرٍ قانونيّ واستشهدوا بهِ الّا انّ الكنيسة منذ القرن الرابع جعلتهُ في مصافّ الكتب المصنوعة

٢ ﴿ انجيل متى في مولد العذراء وطفوليّة المسيح ﴾ نُسب هذا الانجيل زورًا للقديس متّى وفيه روايات متعدّدة منقولة عن انجيل يعقوب السابق ذكرهُ مع زيادات أُخرى اعجب منها كتبرئة البتول من التهمة بعد حبَلها العجيب وكعدّة معجزات حصلت للعائلة المقدّسة في سفرها الى مصر منها انحناء النخلة بثمرها الجنيّ امامها ومنها قطعها مسافة ٣٠ يومًا بلمحة عين. واغرب من ذلك قصّة الطفل يسوع في مدرسة الناصرة حيث يبهر معلميهِ بشروحهِ لحروف الهجاء. الف باء ومن عجائبهِ انهُ يصطنع في يوم السبت طيورًا من طين فينفخ فيها فتطير وانهُ يدخل في عرين الأُسد فيمنعها عن الأذى بقرب اريحا. وهذا الانجيل في ٤٢ فصلًا كُتب اوّلًا في اللاتينيّة كما يظهر وتاريخهُ بعد القرن السادس للميلاد. طبعهُ اوّلًا العلّامة تيشندُرف في كتابهِ الاناجيل المزوّرة (Tischendorf: *Evangelia apocrypha*, p. 113) ومنهُ نسخ مخطوطة متباينة في طولها ومروياتها

٣ ﴿ انجيل ولادة البتول مريم ﴾ هذا الانجيل كتب ايضًا باللاتينيّة في القرن السادس للمسيح واكثر ما ورد فيهِ من الروايات منقول عن الانجيلين السابقين مع تفاصيل جديدة واختلافات في الظروف. والغالب انّ مصنفهُ احد الكتبة المجهولين وضعهُ رغبةً في بيان بتوليّة العذراء وهو لا يزيد على عشرة فصول تحتوي ما جرى لمريم العذراء منذ ميلادها العجيب الى ظهور الملاك ليوسف بعد حبلها من الروح القدس. وهذا الانجيل طُبع غير مرّة. وقد جدّد طبعهُ تيشندرف

٤ ﴿ انجيل توما ﴾ قد صار لهذا الانجيل المصنوع شهرة كبيرة ايضًا في القرون الاولى وهو يحتوي اعمال الطفل يسوع من السنة الخامسة من عمرهِ الى سنتهِ الثانية عشرة وفيهِ من العجائب المرويّة عن السيد المسيح ما يزيد على الاناجيل السابقة غرابةً منها عقاب الخطأة واصطناع المعجزات العديدة. وفي نسخ هذا الانجيل اختلاف عظيم

في الفصول والروايات. وصورتهُ في اللاتينيَّة غير صورتهِ في اليونانية كما انَّ النسخ اليونانية غاية في الاختلاف. ولعلَّ هذه النسخ لا توافق النسخ القديمة التي اشار اليها الاباء. وما لا شكَّ فيهِ انَّ البابا جلاسيوس في القرن الخامس نظم هذا الكتاب في سلك الاسفار المزوَّرة وروى عنهُ شيوعهُ بين المانويين. والعلّامة تيشندروف قد طبع منهُ ثلاث نسخ متباينة نسختين يونانيتين ونسخة لاتينيَّة

٥ ﴿ انجيل الطفولية ﴾ شاع هذا الانجيل في لغتنا العربيَّة. وقد طبعهُ سنة ١٦١٦ في المانية العلامــة سَيْك (H. Sike : *Evangelium Infantiæ*, 1697) وترجمهُ الى اللاتينيَّة. وهو اوسع من الجاميع السابقة مع ذكر تفاصيل وروايات ومعجزات جديدة وكفكٍّ رقى سحريَّة وامور اخرى لا وجود لها في غيرهِ. والنسخة العربيَّة منقولة كما يُظَنّ عن السريانية وهي لكاتب نسطوري من اواسط القرن الخامس. وكان النساطرة يعتبرون هذا الانجيل ويقرأون فصولًا منهُ في حفلاتهم ثمَّ نُقل الى القبطية فشاع في مصر. وها نحن نذكر من هذا الكتاب فصولًا بحرفها تلبية لطلبة السائل الذي رغب الينا بذلك :

قصَّة المجوس

(الفصــل السابع) وكان لمَّا اتَّلد الرب يسوع في بيت لحم يهوذا على عهد ايروديس الملك اذا مجوس وافوا من المشرق الى يروشليم كما تنبأ زرادشت وكان معهم القرابين الذهب واللبان والمرّ فسجدوا له وقربوا له قرابينهم حينئذ اخذت مرتْ مريم احد اولائك القمط ودفعتهُ لهم بحسب البركة فقبلوه منها احسن قبول وفي تلك الساعة ظهر لهم ملاك شبه الكوكب الــذي كان دليلهم اوَّلًا فضوا مهتدين بنوره حتى وصلوا بلادهم

(الفصل الثــامن) فاجتمعوا اليهم ملوكهم وسادتهم وقالوا لهم: ما الذي رأيتم وفعلتم وكيف مضيتم وعدتم وما الذي استصحبتم. فاظهروا لهم ذلك القماط الذي دفعتهُ لهم مرت مريم فعملوا لذلك عيدًا واضرموا نارًا مثـل عادتهم وسجدوا لها والقوا ذلك القماط فيها فاخذتهُ النار وحزتهُ فيها ولما خمدت النار اخرجوا ذلك القماط وهو مثل ما كان اوَّلًا كأن لم تمسهُ النار فبدوا يقبّلوه ويضعوه على روسهم وعلى عيونهم وقالوا ان هذا هو الحق بغير شك ان هذا امر عظيم ان لم تقدر النار ان تحرقهُ او تفسده واخذوه وادَّخروه عندهم بالكرامة الجليلة

قصَّة اللصوص

فلما انطلقوا من هناك وصلوا الى ارض مقفرة وسمعوا انها مخيفة ففكر يوسف ومرت مريم ان يجوزوا في تلك الارض ليلًا وبينما هما سايران واذا هم ينظرون في طريقهم لصين نائمين ومعهم

جماعة لصوص اصحابهم وهم ايضاً راقدون وكان اسم هؤلاء اللصين الذين صادفوهم طيطوس ودوماكوس فقال طيطوس لدوماكوس: اسألك ان تطلق سبيلهم ليمضوا ولا يعلم بهم اصحابنا فابى دوماكوس ذلك فقال له طيطوس: لك مني اربعين درهماً وخذ هذا رهناً عندك وناوله الهميان الذي على وسطهِ ليسكت ولا يتكلم. فلما نظرت السيدة مريم هذا اللص قد احسن اليهم قالت لهُ: الرب الهك ينجدك بيمينهِ ويمنحك مغفرة الخطايا. فاجاب الرب يسوع وقال لامهِ: يا امي بعد ثلثين سنة يصلبوني اليهود في مدينة اورشليم فيصلبون هذين اللصين معي طيطوس عن يميني ودوماكوس عن شمالي وبعد ذلك اليوم يسبقني طيطوس الى الفردوس. قالت: حاشاك يا ولدي من ذلك. ومضوا من هنالك الى مدينة الاصنام فلما قربوا منها انقلبت وصارت روابي رمل

قصّة يهوذا الاسخريوطي

وايضاً كان هناك في تلك البلاد امرأة ولها ولد ممتحن من الشيطان وكان اسمهُ يهودا وكان كلّما اعتراه ذلك الشيطان كان ينهش كل من دنا اليهِ وان لم يجد عنده احداً كان ينهش يديه وباقية اعضائهِ فلما سمعت امّ هذا الشقي بخبر مرت مريم وابنها يسوع قامت وحملت يهودا وجابته الى عند السيدة مريم وكانا يعقوب ويوسى قد حملا الرب يسوع وهو طفل ليلعبوا مع الاطفال. فلما خرجوا من البيت جلسوا والرب يسوع معهم فجا يهودا المجنون وجلس عن يمين يسوع فاعترضهُ الشيطان مثل عادته فاراد ان ينهش الرب يسوع فلم يستطع لكنهُ ضرب ليسوع على جنبه الايمن فبكى الرب يسوع وفي تلك الساعة خرج الشيطان من ذلك الصبي هارباً وهو يشبه الكلب المكلوب. وهذا الصبي الذي ضرب ليسوع وخرج منهُ الشيطان مثل الكلب هو يهودا الاسخريوطي الذى اسلمهُ لليهود وفي الجنب الذى ضربهُ يهودا فيه بعينهِ طعنوه اليهود بالحربة

قصّة يسوع والصبي الميت

(الفصل ٤٤) وفي بعض الايام ايضاً كان الرب يسوع مع الصبيان وهم يلعبون على السطوح فوقع بعض الصبيان الى اسفل ومات لوقتهِ فهربوا الصبيان وبقي الرب يسوع وحده على السطوح فلما حضروا اهل ذلك الصبي قالوا للرب يسوع: انت الذي رميت ابننا من السطوح. فقال لهم: انا ما رميته فاما هم جعلوا يصرخوا قايلين ان ابننا مات وهذا الذي قتلهُ فقال لهم الرب يسوع: لا تشنّعوا عليّ ان كنتم لم تصدقوني تعالوا نسأل الصبي فهو يظهر الحق. حينئذ نزل الرب يسوع وقام على راس الميت وصرخ بصوت عال: يا زينون يا زينون من رماك من السطوح فحينئذٍ اجابه الميت قائلًا: يا سيدي ما رميتني انت بل فلان الذي رماني. فقال الرب للحاضرين: اسمعوا كلامه. فكل من حضر سبح الله على هذه الاعجوبة

٦ ﴿ رواية يوسف النجّار ﴾ نلحق هذا الكتاب المصنوع بالاناجيل السابقة لانّ بينهُ وبينها علاقةً. وهو عربيّ اللهجة يحتوي قصّة يوسف خطيب مريم العذراء مع تفاصيل واخبار عديدة منوطة بحياة السيد المسيح والعذراء مريم. وهو في ٢٢ فصلًا على شكل رواية يخبر بها السيّد المسيح تلاميذه فيقصّ عليهم ما جرى ليوسف البار ابيهِ

بالذخيرة من اوَّل حياتهِ الى وفاتهِ الصالحة بين ذراعي يسوع ومريم. وهذا التأليف قد كُتب في مصر اوَّلًا. ومنهُ نسخ قبطيَّة ولاتينيَّة. ولعلَّهُ كُتب اوَّلًا في اليونانيَّة او السريانيَّة في القرن السادس وقد طبعهُ في اصلهِ العربي مع ترجمتهِ الى اللاتينيَّة سنة ١٨٣٢ العلَّامة تيل (Thiel)

٧ ﴿ انجيل نيقوديموس ﴾ انَّ الاناجيل السابقة كلَّها تذكر القسم الاوَّل من حياة المسيح او حياة والدتهِ الطاهرة الى اوَّل بشارة الربّ ومعموديتهِ. امَّا انجيل نيقوديموس فانَّهُ مختصّ باعمال السيّد المسيح في آخر حياتهِ اعني آلامهُ وموتهُ وقيامتهُ. وهذا الانجيل كما يُعرف اليوم طبعهُ العلَّامة تيشندرف (Apocrypha, 210-432) ويقسم الى قسمين مختلفين فالقسم الاوَّل في ١٦ فصلًا وهو من اقدم الكتب المصنوعة لكنَّهُ لم يُعرف باسم انجيل نيقوديموس بل عُرف باسم «اعمال بيلاطوس» واستشهد بمضامينهِ آباء القرن الثاني والثالث كالقديس يوستينوس الشهيد في دفاعهِ عن النصرانية (ف ٣٥ و٤٨) وكترتليان في دفاعهِ (ف ٢١). ومن المحتمل انَّ بيلاطوس بعد موت السيّد المسيح ارسل الى طيباريوس تفاصيل دعوى الرب وموتهِ كما كانت عادة الولاة في ذلك الزمان لكنَّ العلماء ينكرون ان هذه الاعمال التي لدينا هي لبيلاطوس حقيقةً وهذا القسم مكتوب باليونانيَّة بلغنا على روايتين مختلفتين. امَّا القسم الثاني فاحد عشر فصلًا وهو يتضمَّن رواية شاهدين يُدعيان لوقيوس وقارينوس يُزعم عنهما انهما قاما عند موت السيّد المسيح فأخبرا بما جرى لنفس الربّ عند نزولها الى الجحيم اي مقام الاباء في اليمبوس. ولهذا القسم روايات اخرى في اللاتينيَّة نُشرت ايضًا بالطبع. وهذا الانجيل نُسب الى نيقوديموس لانهُ يُقال في اوَّلهِ ان نيقوديموس سطَّر في العبرانيَّة خبر آلام وموت السيّد المسيح ونقل اعمال بيلاطوس المرسلة الى طيباريوس قيصر. ورواية هذا التأليف تشبه غالبًا رواية الاناجيل الاربعة القانونية وتؤيد صحَّة موتهِ وقيامتهِ من بين الاموات كالاناجيل الصحيحة ودونك تعريب ما ورد في هذه الاعمال عن موت الربّ:

(الفصل ١١) وفي نحو الساعة السادسة من النهار انتشرت الظلمة على جميع الارض الى الساعة التاسعة وانكسفت الشمس وانشق ستر الهيكل الى نصفين من اعلاهُ الى اسفلهِ وعند الساعة التاسعة صرخ يسوع بصوتٍ عالٍ: «ايلي ايلي لما سبقتني» الذي معناهُ «الهي الهي لماذا تركتني» ثم قال يسوع:

« يا ابتاه اني اسلم روحي بين يديك » . واذ قال ذلك اسلم الروح . فلمَّا رأى قائد المئة ما جرى مجَّد الله قائلًا : حقيقة ان هذا الانسان كان رجلًا بارًّا . وكل الحضور اضطربوا لدى نظرهم هذه الامور وانصرفوا قارعين صدورهم . ثم اتى قائد المئة واخبر الحاكم بما جرى . فاصابهُ من جرَّاء ذلك حزن عظيم وقضوا يومهم بلا اكل ولا شرب . ثمَّ دعا بيلاطوس اليهود فقال لهم : « أما رايتم ما حدث » : فاجابوا الحاكم انَّ الشمس انكسفت كعادتها . امَّا اقارب يسوع فكانوا واقفين من بعد . . .

(الفصل ١٣) فدخل احد الجند على اليهود في مجمعهم وقال : « اذ كنَّا ساهرين على قبر يسوع تزلزلت الارض ورأينا ملاك الله قد دحرج القبر وجلس عليه وكان وجههُ يضيءُ كالبرق وثيابهُ بيضاء كالثلج وبقينا لخوفنا كالموتى ثمَّ سمعنا الملاك يقول لنسوة اتين الى القبر : لا تخفنَ فاني اعرف بانكنَّ تطلبنَ يسوع المصلوب . فانهُ قام كما قال . . . قال اليهود (للجند) : « حيٌّ هو الله فانا لا نصدّق مقالكم » فقال الحرَّاس : « وكيف تصدقون قولنا وقد رايتم كلَّ معجزات يسوع ولم تؤمنوا . لقد صدقتم بقولكم حيٌّ هو الله لانَّ الربَّ الذي حبستموهُ في القبر حيّ هو بالحقيقة . . . . »

هذه هي الاناجيل المصنوعة التي صبرت على افات الدهر الَّا انهُ قد وجدت اناجيل غيرها عديدة ذكرها اباء الكنيسة دون ان يعيروها باًلا فضاعت لقلَّة رواجها وها نحن نذكر هنا بعض ما ورد عنها

٨ ﴿ الانجيل الى العبرانيين ﴾ هذا الانجيل الذي عُرف منذ اوائل النصرانيَّة انما كان مكتوبًا بالارامية ولعلَّهُ كان انجيل القديس متى الاصليّ ولكن لمَّا انتشرت ترجمتهُ اليونانيَّة وتضعضع امر اليهود أُصيب هذا الانجيل الارامي بتحريفات شتى حتى لم تعُد الكنيسة تعتبرهُ البتَّة وكان قد وقع منهُ نسخة في ايدي القديس ايرونيموس الذي نقل بعض رواياتهِ في شروحهِ على الاناجيل القانونيَّة . وانما جمع العلَّامة هلغنفلد (Hilgenfeld) ما وجد منهُ مفرَّقًا في اعمال الاباء

٩ ﴿ انجيل الابيونيين ﴾ كان يحتوي كالانجيل السابق روايةً محرَّفة لانجيل القديس متَّى لكنَّهُ كان اكثر منهُ تحريفًا . ذكرهُ ارسابيوس القيصري في تاريخهِ (ك ٣ ف ٢٧) ولعلَّهُ اراد بهِ انجيل يعقوب المذكور سابقًا

١٠ ﴿ انجيل برتلماوس ﴾ لا يُعرف من امرهِ الَّا اسمهُ . فانَّ البابا جيلاسيوس في القرن الخامس نظم بين الاسفار المزوَّرة المصنوعة « انجيل برتلماوس الرسول »

١١ ﴿ انجيل بطرس ﴾ اشار اليهِ اوريجانوس واوسابيوس القيصري والقديس ايرونيموس . وافادنا تاودوريطوس في كتاب البدع انَّ انجيل بطرس المذكور كان منتشرًا بين انصار الشيعة الناصريَّة (Nazaréens) وانهُ كان قريباً من انجيل القديس متَّى الَّا في بعض الامور الموافقة لرأي اليهود المتنصّرين

١٢ ﴿ الانجيل الى المصريين ﴾ كان هذا الانجيل ممَّا ابتدعهُ اصحاب الشيع الاسيويَّة المعروفة بالادريَّة (Gnostiques) واستندوا فيهِ غالباً الى رواية القديس متى . وهذا الانجيل ظهر منذ اواخر القرن الاوَّل لأَنَّ اقليميس تلميذ بطرس الرسول اشار اليهِ في رسالتهِ الثانية الى القورنتيين

١٣ ﴿ انجيل الاثني عشر ﴾ دُعي بذلك لورود اسماء التلاميذ الاثني عشر في اوَّلهِ . ولا يُعرَف منهُ غير اسمهِ . وكذا قل عن انجيل فيلبُّس وانجيل تداوس وكلها مذكورة في اعمال الآباء كاناجيل زور ليس الَّا

١٤ ﴿ انجيل برنابا ﴾ هو احد الاناجيل التي زيَّفها الهراطقة وحرمها البابا جيلاسيوس في جملة التآليف المصنوعة سنة ٤٩٤ . الَّا انَّ هذا الانجيل مفقود لا يُعرف منهُ شيء . وفي السنة المنصرمة طُبع في اكسفرد في الطليانيَّة والانكليزيَّة (١ كتاب موسوم باسم انجيل برنابا فاسرعت مجلَّة المنار المصريَّة الى ترجمتهِ الى العربيَّة ظنًّا منها انَّهُ اكتشاف مهمّ ولو راجعت مقدَّمة الكتاب لتحقَّقت انَّهُ من الكتب المصنوعة الحديثة لا علاقة لهُ مع انجيل برنابا المذكور في حكم البابا جيلاسيوس وانَّ صاحبهُ على ما يظهر راهب ايطالي يُدعى ماريني حرمهُ رؤساؤهُ لسوء سلوكهِ فكتب هذا الانجيل في النصف الثاني من القرن السادس عشر وما النسخة التي وجدت حديثًا سوى النسخة الاصليَّة التي تاريخها سنة ١٥٧٥ . وكان الراهب المذكور أَلَّف كتباً اخرى حرمتها الكنيسة فتقدَّم الى وضع هذا الكتاب ونسبهُ الى برنابا احد تلاميذ الرسل . هذا ما يرجحهُ ناشرا هذا الانجيل . وقد اطَّلعنا عليهِ (٢ فاذا هو خلطٌ من الاناجيل الاربعة

(١ هذا اسمهُ THE GOSPEL OF BARNABAS edited and translated from the italian Ms in the imperial Library at Vienna by **Lonsdale** and **Laura Ragg**. *Oxford, at the Clarendon Press*, 1907, LXXVI-500

(٢ ونشكر العلامة المستشرق المسيو اميدروس (H. F. Amedroz) الذي اهدانا منهُ نسخة

المقدَّسة ومن الاناجيل المزوَّرة التي سبق ذكرها ومن اساطير ربينيَّة وتلموذيَّة ومن مزاعم هراطقة القرون الوسطى. وفيهِ آثار ظاهرة من تآليف ايطاليَّة قريبة العهد لاسيما شعر دانتي. وهو في مائتين واثنين وعشرين فصلًا. يلوح من اثناء كل فصولهِ انَّ صاحبهُ ينكر لاهوت السيد المسيح وعقائد الدين المسيحيّ وانَّ غايتهُ نفي كلّ الاسرار والمساواة بين كلّ الاديان وناهيك بذلك دليلًا على حدوثهِ وسوء نية كاتبهِ هذا مع ما فيهِ من الروايات الصبيانية والاقاويل الملفَّقة التي لو اردنا تزييف قسمٍ منها لاقتضى وضع مقالات مطوَّلة بل تآليف واسعة (١

١٥ ﴿ انجيل يهوذا الاسخريوطيّ ﴾ واغرب من الانجيل السابق انجيل شاع بين هراطقة يُدعَون قاينيّين لانتمائهم الى قاين بن آدم وكانوا يدافعون عن هذا الاثيم وعن يهوذا الاسخريوطيّ فوضعوا انجيلًا على اسم هذا الاخير لترويج آرائهم الفاسدة

١٦ ﴿ انجيل يعقوب بن زبدى ﴾ هو تأليف وضعهُ راهب ممسوس في القرن الثالث عشر ثم وُجد كتابهُ في اسبانية سنة ١٥٩٥ وحرمهُ البابا اينوقنت الحادي عشر سنة ١٦٨٢

هذا نظر اجمالي في تلك الاناجيل الزور وهي كما ترى عديدة. مع أنَّنا لم نذكرها كلها فانَّ الهراطقة الاوَّلين كباسيليدس وقيرنثوس ومرقيون ووالنتيان كما المبتدعين في القرون الوسطى كالقثاريين والمانويين اتَّخذوا كلُّهم اناجيل خاصَّة كانوا يلفقونها كما يشاؤُون وينسبونها الى احد الرسل او يدعونها باسماء مبهرجة ليخدعوا بها السذَّج كانجيل الكمال وانجيل الحقّ والانجيل المخلَّد وغير ذلك ممَّا يدلنا على ضرورة كنيسةٍ ساهرة على التعاليم الصادقة والاسفار المنزلة الصحيحة تصونها من كل تحريف وتضرب على يد كلّ مدلّس لا يخجل من دسّ ترهَّات البشر في كلام الله. وقد عرف ذلك القديس اوغسطينوس حيث قال: «لولا شهادة الكنيسة وعلمي الاكيد بحرصها على صيانة النصوص الالهيَّة لما آمنتُ بالانجيل»

١) راجع مقالةً مختصرة وضعها صاحب المقتطف في هذا الصدد في عدد تشرين الثاني من السنة المنصرمة (ص ٨٧٣ — ٨٧٦)

الترجمة الحرقلية السريانية

لحضرة الاب الفاضل القس جرجس منش الحلبي الماروني

دُعيتُ الى النظر في هذا الاثر السرياني وبيان مزيَّتهِ العلميَّـة فلبَّيت الدعوة على وعورة المسلك وقصر باعي في مثل هـذا المطلب العسير فتصفحتهُ صفحةً صفحة حتى ألممت بما يتبطَّنهُ من التآليف وتعجَّلت في ارسال هذه الرسالة الى مجلَّة المشرق فيما عرفتهُ منهُ على ما وسعهُ قصر الوقت وسمحت بهِ كثرة اشغالي عسى ان يشاركني القراء الافاضل في اثبات منزلتهِ العالية وخطورة مندرجاتهِ العديدة. ولعلمي بما في نشر مثل هذه الكتب القديمة من جميل الاثر في نفوس الشرقيين والمتمشرقين

*

واول ما يراهُ القارئ في هذه المجموعة السريانية البحتة . انما هو رسالـة يعقوب الرهاوي في سياسة الكلمة الالهيَّة من بدء الخليقة الى نهاية سياستهِ وفي انذار الانبياء والرسل والملافنة الذين بشَّروا بهِ بروح القدس. ويذكر آدم واخنوخ ونوح وملكيزادق وسواه من الاباء وموسى وصاموئيل وداود وسليمان واشعياء وغيرهُ من الانبياء ومتى ولوقا ومرقس ويوحنا وما عداهُ من الرسل وديونيسيوس واغناطيوس واثناسيوس وغريغوريوس والذهبي الفم وكيرلس الاسكندري وديسقورس (محامي الامانة القويمة على زعمهِ . اي اليعقوبيَّة . . .) وساويروس البطريرك الانطاكي (عمود البيعة. اي البيعة اليعقوبية . .) ومار فيلكسين المنبجي وما خلا هؤلاء من العلماء والآباء الملافنة. وفي ظني الراجح ان هذه الرسالة الرهاوية انما هي (تاريخهُ للازمان) الذي ذكرهُ لهُ الصوباوي في قصيدتهِ الشهيرة وتمنَّى السمعاني العثور عليهِ اذ لا بدَّ من ان يكون فيهِ ما يكشف الغطاء عن معتقدهِ وقد رأيت نعتهُ ديسقورس بحامي الايمان وتلقيبهُ ساويرا بعمود الكنيسة ممـا لا يبقى معهُ ريب في معتقد الرهاوي اليعقوبي وقد ادركتهُ الوفاة سنة ٧٠٨ على رأي ابن العبري او سنة ٧١٠ على رأى التلمحري

وهناك ميمر مار افرام (+سنة ٣٧٢ او ٣٧٣) في الوهية السيد المسيح وميمر مار يعقوب السروجي (+ ٥٣٢) في المخلص جلَّ شانهُ . وتفسير ساويرا (+ ٥٣٨ او

٥٤٩)وبركفيا (+ ٩٠٢ او ٩١٣) لرؤيا حزقيال النبي . وفصل ابن الصليبي (١ في قول داود النبي : ارفعن رؤوسكن ايتها الابواب . . . (٢٣ : ٩) وميمر سابا الفاضل القديس (+ ٥٣٠ او ٥٣١) في عناية الله تعالى . ونبذة اوسابيوس القيسري (+ ٣٣٨) المعروفة بقوانين تفسير الانجيل وقد ذكرها ابن الصليبي وابن العبري والصوباوي والسمعاني في مكتبتهِ الشرقية (٣ : ١٨) وشرح الحكيم ابن صليبا لقوانين اوساب السابق ذكرها . وبيان اعداد كل انجيل بالمقابلة على الاناجيل الاخرى لابن الصليبي . ومعارضة فصول الاناجيل بعضها ببعض واظنهُ لهُ ايضاً . وجدول الاعياد المتحوّلة وتفصيل الاناجيل عليها وقوديك (اي فهرس) الاخبار المار ذكرها . وصورة ايمان اليعاقبة سقطت منها ورقتها الاولى وعُوّض عنها بغيرها بخط حديث . هذا كل ما صدّر بهِ الناسخ او الجامع كتاب الانجيل العزيز من (فصول الذين الفوا في هذا الشأن الخطير اي فحوى الاناجيل او العناية الالهية الخلاصية) على انهُ وان كان بعض هذه الفصول او المقدمات على الانجيل معروفاً او مطبوعاً ففي البعض الآخر من الخطورة ما لا يخفى على المطالع الكريم

*

ويلي هذه الفصول او المقدمات جزء ثانٍ يحتوي على انجيل القديس متى وهو مصدّر ببيان اسماء المخلص وكناه مجموعة من كتب متفرقة . وصلاة فيلكسين المنبجي وموسى بركيفا التي تُتلى عند قرأة الانجيل . ومقدمة تفاسير ابن صليبا على الانجيل . وقرآآت الانجيل حسب قوانين اوسابيوس السابقة . وجدول عجائب المخلص وامثالهِ . وفصل في نسب المخلص على اختلاف الروايات في شأنهِ . وفصل او مدخل في ادراك معنى مغلق الايات الكتابية الذي وضعهُ اللافنة الموفّقون والمفسّرون المتأخرون كما هذّبهُ واصلحهُ حديثاً المغفور لهُ ابن الصليبي والاوّل انجيل مار متى الرسول . ويليه انجيل مار مرقس وهو موطّأ ايضاً بفصل او اسلوب في فحوى مستغلق الآيات الذي رتّبهُ اللافنة المدققون والمفسرون المحققون وعلقوه على الانجيل . والقرآآت التي في انجيل مرقس وجدول العجائب والامثال والفصول ونسب المخلص وبعدهُ انجيل مرقس . وفي

١) توفي سنة ١١٧١ على رواية ابن العبري وتعقبهُ السمعاني فقال ان ابن الصليبي لم يمت قبل سنة ١٢٠٧ انظر المكتبة الشرقية (٢ : ١٧٦)

اثناء التفسير المعلّق عليـهِ يذكر ابن الصليبي النساطرة والخلقيدونيين والسريان اليعاقبة وهو شاهد خطير على ان الملكيــة كانوا يُعرَفون بالخلقدونيين الى منتهى القرن الثاني عشر على ما نبَّه عليهِ العلامة السمعاني في مكتبتهِ الشرقية (١ : ٥٠٨). ويليهِ انجيل مار لوقا البشير وعليهِ فاتحة ايضاً في بيــان الفصول والقراآت والعجائب والامثال كالسابق. ويليهِ انجيل مار يوحنا الرسول وفي اوله مقدمة ايضاً في الفصول والقراآت التي انفرد بها عن بقية الانجيليين . وجدول العجائب والامثال وذكر الآيات التي تمثل بها المخلص من الانبياء القدماء . وكل انجيل منفَّصل الى فصول على معنى الاعياد حسب الطقس اليعقوبي . وعلى هامش كل انجيــل تفاسير ضافية لابن الصليبي الذي فسَّر الكتاب المقدَّس كلَّهُ واعتمد فيها على تفاسير يوحنــا فم الذهب وكيرلس الاسكندري وموسى بركيفا ويوحنا الداراوي وغير هؤلاء من الايمة المشاهير. وقد اورد العلامة السمعاني فقرًا في مباحث خطيرة من تفاسير ابن الصليبي في المكتبة الشرقية (٢ : ١٥٧ وما بعدها) ومن هذه التفاسير نسخ في مكتبة الفاتيكان وغيرها من المكاتب الشرقية والغربية

*

وهذه اسفار العهد الجديد قد عني توما الحرقلي بنقلها من اللغة اليونانيــة الى اللغة السريانية فعُرفت بالترجمة الحرقلية (ܗܪܩܠܝܐ) وقد ذكرها المؤلفون السريان ولاسيما اليعاقبة متواترًا وكان اليعاقبة يستعملونها هي والترجمة البسيطة المذاعة في الكنيســة السريانية من عهد الرسل على ما اثبتهُ السمعاني في مكتبتهِ الشرقية (٢ : ٢٤) ومن هذه الترجمة الحرقلية نسخة في المكتبة الاوغسطينية برومية واخرى في المكتبــة الفيرنسية بايطاليا واخرى في المكتبة الملكية بباريس مخطوطة سنة ١٥٠٣ يونانيــة اي سنة ١١٩٢ م (١ وقد ورد في ذيل نسخة مار اوغسطين ما خلاصتهُ :(نُقل كتاب الاناجيل الاربعة المقدسة من اليونانية الى السريانية بدقة كبرى في ايام مــار فيلكسين اسقف مدينة منبج وقابلتهُ بثلث نسخ يونانية انا توما وكان ذلك في دير القديس انطونيوس في مدينة اسكندريَّة العظمى . . وقد تمت معارضتهُ ونسخهُ في المحل المذكور في سنة ٩٢٧

١) انظر كتاب الليترجيات الشرقية (٢ : ٣٨٩) للعلامة رينودوت الفرنسوي

للاسكندر الموافق سنة ٦١٦) . ويشاكل هذا ما جاء في خاتمة انجيل يوحنا من النسخة الموصوفة وهذا لفظهُ العربي الحرفي : (ترجمتهُ (؟) من اليوناني الى السرياني سنة ٨١٩ يونانية (سنة ٥٠٨ م) ونُسخ هذا الانجيل سنة ٩٢٧ يونانية (سنة ٦١٦م) بمدينت(؟) الاسكندرية بيد لسقفها تومه) اه . وخطّ السطر الاخير حديث وفي الاصل كان (بمدينة مرعش) فحكّ وابدل (بالاسكندرية) فأدى هذا الى جهل الناسخ حيث لم يصر توما الحرقلي اسقف الاسكندرية مطلقاً على ما هو معروف عند كل من لهُ اقل المام بالتاريخ (١

وبعد هذه الحاشية العربية ثلاث حواشٍ اخرى سريانية هذه خلاصة الاولى منها : (. . . كتاب الاناجيل الاربعة الذي نُقل من اليونانية الى السريانية اولًا بتعبٍ جزيل بمدينة منبج سنة ٨١٩ للاسكندر المقدوني في ايام المعترف فيلكسين اسقف هذه المدينة . وقد عارضتهُ حديثاً باهتمام عظيم انا توما المسكين في دير الانطونيين (ܐܢܛܘܢܝܐ) المقدس من مدينة اسكندرية العظمى . . .) وهذه الحاشية على ما ترى توافق حاشية نسخة دير مار اوغسطين السابق ذكرها . واما الحاشية الثانية من الاصل فهي خاتمة تفاسير الصليبي ولا فائدة من ايراد شيء منها . والحاشية الثالثة سيأتي ايرادها ان شاء الله تعالى

*

وبعد هذه الاناجيل الجليلة جزء ثالث من المجموعة يشتمل على قرآات الحاش الخلاصي المجموعة من الانجيليين الاربعة كما اتمّها توما الحرقلي وفي هذا دليل على ترقية كتاب الحاش في الكنيسة السريانية الانطاكية الى اقدم الايام . وعلى ميمر مار ايفان اسقف قبرس في المخلص ودفنتهِ الخلاصية وهو ميمر معروف نقلهُ الى اللغة العربية الخوري يوحنا زنده الحلبي . وعلى قراءة حرقلية اخرى مجموعة من الانجيليين الاربعة . وعلى حضّ او تنبيه على حفظ الوصايا المسيحية مقتضب من الكتب الالهية ومن رسالة القديس فيلكسين الى فاطريق المتوحد . وصورة ايمان مار فيلكسين المذكور مراراً اسقف منبج . وارتياب القديس فيلكسين في مناهضي السيد المسيح . وميمر مار يعقوب الملفان

١) قد علمنا انَّ في كنيسة اليعاقبة في حمص نسخةً اخرى من الترجمة الحرقلية رسمها قبل سنتين بالتصوير الشمسي المسيو ديلابرت الفرنسويّ وهو الان يُعنى بنشرها (المشرق)

(السروجي) في الامانة الحقيقية . ووصايا اخرى مجموعة من الانجيل المقدس . والوصايا الروحيـــة للكملاء عن بولس الرسول . وتفسير الامانة لمار ديونيسيوس المعروف بابن الصليبي الذي سبق ذكرهُ تكرارًا

هذا كل ما مرَّ بي في هذه المجموعة الجليلة فيتحصَّل منهُ عدة امور اخصُّها ثلاثة : الاولى ان في هذه النسخة شاهــدًا عدلًا على ان السريان قد طاولوا سائر الطوائف المسيحية في ما بذلوهُ من العناية السامية في الكتاب العزيز من مثل ترجمتــهِ وشروحهِ ومقدماتهِ وخواتمهِ التي يقتضي لها من التعب والعناء ما لا يقدَّر وقد وفّوا هــذا العمل الجليل حقَّهُ وان كدَّر مشرعهُ ما دسَّوه فيهِ بعض الاحايين من الضلال المذهبي . الثاني ان فيها شاهدًا ناهضًا على ان السريان قد اعتادوا ايضًا ان يضمُّوا اسفارًا من الكتاب المقــدس الى جلد واحد يعلقون على هوامشه ما قالهُ الاباء من الشروح على التنزيل الكريم مجارين في هذا العمل الخطير البوزنطيين الذين أَلِفوهُ قبــل اللاتينيين في اواخر القرن الخامس على ما اشار اليهِ الاب هودتش في المشرق (١١ : ٤٠) . الثالث ان فيهــا شاهدًا آخر ايضًا على ان السريان قسموا فصول الانجيل من عهد بعيد على مدار السنة بما لا يوصف من الحكمة والذوق مما لا نجدهُ في بقية الطقوس الشرقية والغربيــة كما قالهُ العلامة يوسف داود السرياني في قصاراهُ (ص ٨٧)

*

والنسخة الموصوفة واقعة في ٦٠٧ صفحات ومخطوطة بحبرين اسود واحمر وناسخها الغفــل متفنِّن ما شاء بنسخها فكتب رؤوس الفصول بالخط السرياني المعروف بالسطرنجلي وبقية المجموعة بالخط المدوَّر المعروف بالبسيط او اليعقوبي فكتب اسفــار العهد الجديد بحرف غليظ والهوامش بحرف دقيق والمقدَّمات والخاتمات بحرف متوسط . ولا يخفى انهُ من الخط السطرنجلي تولَّد الخط النسطوري والخط الملكي والخط المدوَّر المشترك بين اليعاقبة والموارنة ومن مراجعة هذه النسخة يظهر ان اليعاقبة أَلِفوا هــذا الخط قبل القرن الخامس عشر ومن مراجعة صفحــات المشرق (٥ : ٨٩٤—٨٩٥) يظهر ان الموارنة اعتادوهُ من مبادئ القرن المذكور دون ان يخترعهُ يعقوب الرهاوي كما زعمهُ البعض ولا ابن العبري كما توهمهُ العامَّة ولا تعمَّدهُ الخطاطون كما صار اليهِ العلامة الدويهي في تاريخهِ الطائفي (ص ١٤٠) والسمعاني في مقالتــهِ السريان النساطرة

(ص ٣٧٨) بل ان الخطاطين السريان تدرجوا فيهِ قليلًا قليلًا لسهولتهِ في الكتابة. وفي النسخة الموصوفة شاهد آخر على ما ذهب اليهِ العلامة يوسف داود من ان الخط السطرنجلي خصصهُ الخطاطون بعد اهمالهِ بكتابة الانجيل وسائر اسفار الكتاب المقدس والكتابات الرسمية ورؤوس الفصول وعنواناتها وليس هنا محلّ الافاضة في هذا البحث فأدعهُ الى فرصة اخرى ان شاء الله

واما سنة نساخة هذه النسخة فظاهرة من الحاشية الثالثة السابق ذكرها وهذه خلاصة تعريبها : (انتهت كتابة الاناجيل الاربعة لمتى ومرقس ولوقا ويوحنا في سنة ١٨٨٦ يونانية (سنة ١٥٧٥ م) . . . وانتهت تفاسير الملافنة القديسين والالهيين من التفسير الذي عُني بتأليفهِ الملفان القديس المدقق مار ديونيسيوس المكنَّى بابن الصليبي الملطي مطروبوليط آمد (ديار بكر) . . . في المغارة التي هي تحت العمود المنقور في الصخرة على جنب كفرا القرية المباركة في طور عابدين من معاملة حصن كيفا . .) . هذا ما رأيتهُ في هذه المجموعة وصفتهُ بكل سرعةٍ على غاية الاختصار خوفًا من ملل القراء . فيا اني اسأل الله ان يأخذ بيدنا لننشر ما يرضيهِ سبحانهُ ويفيد عبادهُ

الآداب العربيَّة في القرن التاسع عشر

بحث تاريخي وانتقادي للاب لويس شيخو اليسوعيّ (تابع)

الاداب الاسلاميَّة في هذا الطور (١٨٥٠–١٨٧٠)

انحصرت الاداب الاسلاميَّة في هذا الطور الثالث اعني من السنة ١٨٥٠ الى ١٨٧٠ في العلوم اللسانيَّة خاصَّةً من صرف ونحو ولغة وبديع وبيان وشعر وادبيَّات منثورة . امَّا التاريخ والعلوم الطبيعيَّة والهيئة والرياضيَّات فانَّ التأليف فيها كان نادرًا . الَّا انَّ بعض الادباء كالشيخ الرفاعيّ الطهطاويّ في مصر وسليمان الحرائري في الجزائر عرَّبوا عدَّة مؤلفات اوربيَّة في العلوم المستحدثة والاختراعات الجديدة فكانت تعريباتهم دليلًا على سعة اللغة العربيَّة ومرونتها وكفايتها للمعارف العصريَّة . فنهج غيرهم منهجهم بعد ذلك لاسيما جماعة الاميركان في بيروت . وها نحن نختصر تاريخ

أدباء المسلمين في هـذا الطور بذكر مشاهيرهم بلدًا بلدًا مباشرة بالشام ثمَّ مصر ثمَّ العراق وبقية البلاد

﴿ ادباء المسلمين في الشام ﴾ يحضرنا منهم اسماء قليلين ولعلَّ مصنَّفات اكثرهم لا تزال مدفونة في بيوت الخاصَّة . فممَّن اشتهروا في هذه المدَّة بآدابهم السيد مصباح البربير اسمهُ محمَّد بن محمَّد البربير وجدُّه احمد البربير الشاعر الذي ذكرناهُ في جملة ادباء الطور الاوَّل من القرن التاسع عشر . ولد محمَّد مصباح سنة ١٢٦١ (١٨٤٥) واظهر منذ صغرهِ نجابةً عظيمة فبعد اتقانهِ اصول اللغة ومبادئ العلوم على شيوخ بيروت في ايامهِ كالشيخ عبد الرحمان افندي النحَّاس والشيخ عبد الله افندي خالد البيروتي واخيهِ الشيخ ابراهيم البربير استُخدم في مجلس التحقيق بوظيفـة كاتب وكان في شرخ شبابهِ مولعًا بالشعر فينظم في اوقات الفراغ القصائد الرائقة التي تُعرب عن فضلهِ . وقد وافاهُ اجلهُ فقُصف غصن شبابهِ طريًّا في وباء الهواء الاصفر الذي حدث سنـة ١٢٧٢ (١٨٦٥م) . ولهُ ديوان صغير جمعهُ شقيقهُ الاديب عمر البربير فطبعهُ في المطبعة الاميركانيَّة سنة ١٢٩٠ (١٨٧٣ م) ودعاهُ البدر المنير في نظم مصبـاح البربير . فمما نظمهُ قولهُ مؤرخًا بناء دارٍ لوالدهِ سنة ١٢٧٩ (١٨٦٢)

لمحمَّد البربير دارٌ قد زهتْ ونجوم مطلع عزّها حرَّاسُهـا
في بابها كتبَ المؤرخ قُلْ بها دارٌ على التقوى أُقيم اساسهـا

ومن ظريف اقوالهِ تهنئة بمولد ابن عمهِ محمَّد نجيب ابن احمد البربير سنة ١٢٨٢ :

بُشراك احمـد قـد اتاكَ نجيبُ حَيِيَتْ بمرآهُ نُهًى وقلوبُ
نجلٌ كُسِي من كل ظرفٍ حلَّةً فهوَ الحبيبُ بلى ابوهُ حبيبُ
قد لاحَ في افق السعادةِ ساطعًا ان غابت الاقمارُ ليس يغيبُ
في مهـدهِ كالعنـدليب مغرّدًا وكذا اللبيبُ من المهـادِ لبيبُ
الخيزرانُ حبـاهُ لين غصونهِ لطفًا ونفحتَـهُ حبـاهُ الطيبُ
نادت علاماتُ السعود بوجهـهِ يحيى سعيـدًا انهُ لأديبُ

ولهُ مكاتبـات مع بعض ادباء زمانهِ نخصُّ منهم بالذكر الشيخ ناصيف اليازجي وكان هذا كتب اليهِ :

برعتَ والله في قولٍ وفي عملٍ لفظًا ومعنًى وتهذيبًا وإفصـاحا
أعطاك ربُّك نورًا يُستضـاءُ بهِ فقد اصاب الذي سمَّاك مصباحا

فاجابهُ محمَّد مصباح بقولهِ :

يا من غدا شعرهُ الشِعْرَى فكان لنا   قاموسَ فضلٍ وللتخليصِ ايضاحا
لأنت شمسُ علومٍ حين مطلعها   كم أخجلتْ قمرًا يزهو ومصباحا

(محمَّد ارسلان) واشتهر ايضاً في الشام بآدابه وتآليفهِ الميرمحمَّد بن المير امين ارسلان وُلد في الشويفات سنة ١٢٥٤ (١٨٣٨ م) وطلب العلوم منذ حداثة سنهِ وتعلَّم اللغات الاجنبية فضلًا عن اللغات الوطنية . ولمَّا بلغ الخامسة عشرة من عمرهِ فوَّضت اليهِ الحكومة السنية ادارة الغرب الاسفل فتولَّاها تحت نظارة والدهِ حتى مات والدهُ سنة ١٢٧٥ (١٨٥٨) فقام بعمل والدهِ . ثمَّ انتقل الى بيروت مع اهل بيتهِ واستوطنها وتفرَّغ للتأليف والكتابة وكان عضدًا لكلّ طالبي الآداب ساعيًا في ترويج العلوم يجمع في دارهِ محبي المعارف . وسنة ١٢٨٥ (١٨٦٤) استدعتهُ الدولة العلية الى الاستانة لتعهد اليهِ بعض المهامّ لكنَّ الموت عاجلهُ عند وصولهِ فمات بمرض القلب ولهُ من العمر ٣١ سنة وقد ابقى المترجم عدَّة تآليف لا تزال مخطوطة منها كتاب في اصول التاريخ وتآليف عدَّة في الصرف والنحو والمنطق وكتاب حقائق النعمة في اصول الحكمة والمسامرة في المناظرة وتعديل الافكار في تقويم الاشعار وتوجيه الطلاب في علم الآداب . والتحفة الرشديَّة في اللغة التركية الذي نُشر بالطبع . وكان بين المير محمَّد امين وأُدباء زمانهِ مكاتبات تدلُّ على براعتهِ في فنون الآداب . وهو ممن مدحهُ الشيخ ناصيف اليازجيّ فلهُ في ابيهِ المير امين وفيهِ اقوال حسنة فقال في المير امين :

كريمٌ لا يضيعُ لديهِ حقٌّ   فقد سُمّي امينًا بالصوابِ
وليس يخلُّ في الدنيا بشيءٍ   لغير المال من حفظ الصحابِ
يعيشُ بظلهِ من عاشَ منَّا   ويَقضي تحتهُ ميتُ التراب
ويُدركنا نداه حيثُ كنَّا   على حال ابتعادٍ واقترابِ
وتُكسِبنا مكارمهُ ارتفاعًا   كصِفرٍ زاد في رقم الحسابِ
فدام نداهُ يَقرَعُ كلَّ بابٍ   ويأتيهِ الثنا من كل بابِ

ومن حسن اقوالهِ في المير محمَّد ما كتبهُ اليهِ يعزّيه في ابيهِ بقصيدة كان مطلعها :

ما دام هذا اليومُ يخلفهُ غدُ   لا تُنكروا انَّ القديمَ يُجدَّدُ
لا تُقطَع الاغصانُ من شجراتها   الَّا رأينا غيرها يتولَّدُ

هذا الامينُ مضى فقامَ محمَّد خلفاً فنابَ عن الامين محمَّدُ

وختمها بقولهِ:

خلفٌ كريمٌ أشبهَ السَّلفَ الذي كانتْ له كلُّ الخلائق تَشْهَدُ
ما كان يوجَدُ كالأمين بعصرهِ واليومَ مثلُ محمَّدٍ لا يوجدُ

وقد مدحهُ احمد فارس الشدياق بلامية اوَّلها:

انَّ الامير محمَّدًا مفضالُ من آل رَسْلانَ ونعمَ الآلُ

وقال يصف معارفهُ:

سيَّان في نظمٍ ونثرٍ قولهُ فصلٌ وحكمٌ لا يليهِ جدالُ
قد ألَّف الكُتُب التي شهدت بأنْ أصحاب آرسطو عليهِ عيالُ
فاجاد في التاريخ ايَّ اجادةٍ وبكلّ فنٍّ لم يَفُتْهُ مقالُ

وقال الشاعر المشهور اسعد طراد يعزّيهِ بوالدهِ بقصيدة هذا مطلعها:

الارضُ تخبر والجماجمُ تشهدُ انَّ ابن آدم فوقها لا يخلدُ

ومنها في مدح الفقيد:

غدت بنو رسلانَ نائحةً ومن فرط الاسى أمست تقومُ وتقعد
لك يا امين مع القلوب أمانةٌ حزنٌ بما اودعتها لا يُنْفَدُ
فارقتَ لبنان الذي مهَّدتهُ عدلًا وكان الظنَّ لا يتمهَّدُ
اضرمتَ نارًا في القلوب كانما نار القرى بحماك ليست تخمدُ

وممَّن نقدّر وفاتهُ في هذا الوقت الشاعر محمود بن خليل الشهير بالعظم الدمشقيّ لهُ في المكتبة الخديويَّة (٤ : ٣٥٣) ديوان شعر خطَّهُ سنة ١٢٨٤ (١٨٦٧ م) الاديب احمد زكية . وكان صاحب الديوان موجودًا سنة ١٢٨٥ (١٨٦٨ م)

ولا نشكُّ في انهُ اشتهر في هذا الطور من ادباء المسلمين في الشام غير هذين المذكورين الّا انَّ اخبارهم لم تُنشر حتى الان فلم نقف على تاريخهم . وممَّا وقع في ايدينا منذ عهد قريب مجموع فيهِ قصائد لشعراء بلاد الشام في القرن السابق نظموها في مدح علي بك الاسعد من البيوتات الشريفة في طرابلس فهناك اسماء عدَّة ادباء مرَّ لنا ذكر بعضهم كالشيخ عمر اليافيّ والسيّد احمد البربير والسيّد الشيخ عبد اللطيف افندي فتح الله مفتي بيروت وبطرس كرامة والياس ادّه والبعض الآخر لم نعرف منهم غير

اسمائهم كالشيخ عثمان والشيخ عمر البكري والشيخ مصطفى الكردي والحاجّ عليّ ابن السيّد البكري والسيّد عمر افندي الكيلاني · ولكلهم قصائد اجادوا فيها لكنّنا نعرض عن ذكرها لجهلنا اخبار قائليها

﴿ مصر ﴾ خلّف لنا أدباء المسلمين المصريين مادّة اوسع من اخوتهم في الشام وممّا ساعد على حفظها انتشارها بالطبع فسلمت من الضياع · ودونك اسماءهم :

(عليّ الدرويش) هو السيّد عليّ افندي الدرويش بن حسن بن ابراهيم المصري الشاعر المفلق اصاب في اواسط القرن التاسع عشر شهرة كبيرة في القطر المصريّ وتقرّب من اصحاب الامر ومن أدباء وطنهِ فمدحهم وكاتبهم · ولمّا توفي سنة ١٢٧٠ (١٨٥٣) جمع ديوانهُ واقوالهُ النثريّة تلميذهُ مصطفى سلامة النجّاري فطبعهُ على الحجر في مصر في ٤٨٢ صفحة وأرّخهُ بالإشعار في حميد الأشعار (١٢٧٠) . وها نحن نورد منهُ بعض امثلة بياناً لفضل قائلهِ · قال مؤرخاً قصر صديقهِ عرفي افندي

وقصرٍ كالسماء بـهِ نجوم ... مطالعُها السعادة والبـدورُ
على اقطـاره تبكي عيونٌ ... اذا ابتسمت لوارده زهورُ
فليس لوافـد وافـاه عذرٌ ... وقد نفدت لمدحتهِ البُحورُ
لئن اضحى لمبنـاهُ متونٌ ... فقد شُرحت لرونقهِ الصدورُ
يقول الروض اني مستعـيرٌ ... شذا عرفي ومن عرفي العبيرُ
اذا سارت مواكبُ كلّ لطف ... يمن فيها فذاك هو الاميرُ
وحسبك روضةٌ في كل مجدٍ ... وفضل بالبنـان لهُ يشيرُ
تقاصر من سنـاهُ ذو ثناء ... وحسن القصر ما فيهِ قصورُ
يقول العزّ والاسعـاد ارّخ ... سعود البيت يا عرفي منيرُ سنة ١٢٥٩

وقال شاكرًا :

سُررت بنيل القصـد من غير موعدٍ ... ولا شيء اشهى من سرورٍ مجـدَّدِ
سُررت بنعماه ولكن حزنتُ من ... قصوري بحق الشكر في فضـل سيدي
لهُ الحمـدُ والشكر الذي هو اهلـهُ ... وقلّ له حمـدي وشكري ومنشدي
فلو كل عضوٍ فيهِ عدّة ألسُنٍ ... لأعجزني شكر الندى المتمـدّدِ
وهل انا الّا عبد احسـان عفوكم ... فاضحى لديه مدحكم كالتعبّدِ
تعوّدتُ لولا لطفكـم غير عـادتي ... وصعب على الانسـان مـا لم يعوّدِ
وزدتم نعيمي نعمـةً ابديـةً ... وزدتم مقامي رفعـةً فوق مقصـدي
وكدّرتمُ ظنّ الحسود بنعمتي ... واشهى من الانعـام تكدير حسّـدي

وحمّلتني ما لا أُطيق وجوبهُ فينطق حالي عن لساني المقيّد
واشهى لروحي عند ترويح فكرها بصورة معناه من السوسن الندي
وقلّدني حسنُ السلوك الى المنى واهديتهُ حبّات درّ منضّدِ
وهل يُهدى للاملاك تاليفُ جوهرٍ وهل عرَضٌ يُهدى لنور مجرّدِ
فيا اسعد الله السَّعيدَ لملكه ودولته والموكب المتجدّدِ
فقد اشغل الدرويش شكرًا مؤرخًا مليك سعيد النجم خير محمّدِ

(شهاب الدين) وقد فاق على درويش المذكور شاعر آخر كان يُعاصرهُ وهو الاديب الاريب السيّد شهاب الدين محمّد بن اسماعيل وُلد في مكّة سنة ١٢١٨ (١٨٠٣ م) ثمّ قصد مصر فدرس على مشايخها لاسيما شيخَي الازهر محمّد العروسي وحسن العطّار فبرع في الكتابة والشعر. ولمّا انشأ الشيخ حسن اوّل جريدة طُبعت في الشرق وهي الوقائع المصريّة سنة ١٨٢٨ اتخذ كساعد لهُ في انشائها شهابَ الدين المذكور ثمّ خلفهُ في ادارتها سنة ١٢٥٢ (١٨٣٦ م) وجُعل مصححًا لمطبوعات مطبعة بولاق الشهيرة وبقي في مهنتهِ الى السنة ١٢٦٦ (١٨٤٩ م) وانقطع الى الكتابة والتاليف. وكانت وفاتهُ سنة ١٢٧٤ ﻫ (١٨٥٧ م) وقد ابقى السيّد شهاب الدين من تآليفهِ كتاب سفينة الملك ونفيسة الفلك ضمّنهُ مجموعًا وافيًا من الزجليّات والموشحات والاهازيج والموالي التي يتغنّى بها ارباب الفنّ في مجالي الافراح ومعاهد السرور ولمّا اتمّهُ سنة ١٢٥٩ قال في تاريخهِ :

هذي سفينةُ فنّ بالمُنى شُحنتْ والفضلُ في بحرهِ العجّاج أجراها
واذ جرت بالاماني فيهِ أرّخها سفينةُ البحر بسم الله مجراها

ثمّ طُبع سنة ١٢٧٧ (١٨٦٠) ديوان شعرهِ في ٣٨٠ صفحة وفيهِ القصائد الرنّانة في كل فنون العروض ومعاني الشعر. فمن نظمهِ قولهُ يصف مزولة انشأها حضرة سلامه افندي المهندس لجامع القلعة لبيان الاوقات والساعات بحساب البروج الاثني عشر

ومُظهرةٍ للوقتِ ظهرًا وغيرهِ وللبرج ايضًا فهي واحدةُ العصرِ
سلامةُ منشي رسمها وحسابها لجامع خيرات تفرّد في مصرِ

وقال من قصيدة يمدح بطرس بكتي اذ زارهُ يومًا وكان قنصلًا لدولة روسية :

اتى ينجلي كالبدر في سندسيّة وهل حلّ في الآفاق بدرٌ بأطلسِ
فتمّ ليَ الصفوُ الذي كاد حظّهُ يكونُ كحظي يومَ ايناسِ بطرسِ
ألا وهو تاج الفخر والحسنِ والبها مُشيّد اركان المكرمات المؤسسِ

جميـل السجايا الالمعيّ فطـانةً ... رقيق الحواشي ذو الحجى والتفرُّسِ
هشوشُ الحيَّا ضاحك السنِّ دائمًا ... حليفُ المعاني ذو الجناب المقدَّسِ
بنفسِ الفدِيهِ وقــد جاء زائرًا ... بتشنيف اسماعٍ وتشريف مجلسِ
يصوغُ لهُ نظمي نفيسَ مدائحٍ ... فتثنيــهِ غايات الكمال بانفسِ

وقال عن لســان بعض الكاثوليك يمدح كبير ملَّتهم وكان المذكور التمس منهُ ذلك:

بابا النصــارى مربي روح ملَّتهـم ... حامي حمى كلّ شمَّــاسٍ وقسّيسِ
شخصٌ ولكن هيولى روحــهِ ملَكٌ ... وجسمــهُ صورة في شكل قـديسِ
اقام وهو وحيد العصر مفردهُ ... دينَ النصــارى بتثليثٍ وتغريسِ
تسعى الملوك الى تقبيــل راحتــهِ ... في البحر والبرّ فوق الفلك والعيسِ
احـيا الكنائس جسمًا بعد ما درست ... وشيّــد الروح تشييــدًا بتأسيسِ
فعظّموا الربّ فيها بالصلاة لــهُ ... ومجّــدوهُ بتسبيح وتقــديسِ

ولهُ في مديح حنَّا البحري من قصيدة:

هو كهفٌ اذا لجأنا اليــهِ ... في مَخُوفٍ ممَّا نخافُ امنَّــا
من أتاهُ مستنصرًا بحماهُ ... عــاد بالنصر بالغًا مــا تمنَّى
كلَّمــا عنَّ امرُ خطبٍ مهمّ ... بك فيها نراهُ عنَّ استغنَّــا
يصنعُ المكرمات سرًّا وجهرًا ... وهو في عون من يقولُ أعنَّا
كلّ من قد رآهُ وهو بشوشٌ ... عنــهُ ولَّت همومــهُ واطمأنَّا

ولهُ قصيدة طويلة في مدح نصر الله (نصري) الطرابلسيّ الشاعر الذي مرَّ لنــا ذكرهُ هذا اوَّلها:

لا رعى الله يوم حان وداعي ... انهُ جالبٌ لحَيْني وَداعي
فيــهِ قد ازمع الرفاق فراقًا ... واصاب الشتاتُ شمل اجتماعي
وغدا الدمع سائلًا يتجــارى ... وفؤادي في موقفِ الابداعِ

الى ان قال:

أَترى هل تعودُ اوقاتُ أُنسي ... وبقرب المزار تحظى رباعي
واذا ما الزمــان جاء بنصري ... فبحمــد يُجزى وشكرٍ مساعي
هو بحر تُروى المآثر عنــه ... بل هو البرّ في جميع البقاعِ
روضُ آدابهِ النضيض جنــاهُ ... عَطِرُ النشر طيّب الاينــاعِ

وختمها بقولهِ:

زادك الله بهجــةً وكمالًا ... ما ترجَّى حسنَ الختامِ الداعي

ونظم الابيات الآتية لتُرسم على سفرة الطعام:

اجتَبا السيد الكريم تكرَّمْ وتناولْ ما شئت اكلًا شهيًّا
وتفضَّلْ بجبر خاطر مَنْ هُمْ أتقنوا صُنْعهُ وخذ منهُ شيًّا
وتحدَّث على الطعام وآنسْ واحدًا واحدًا بشوش المحيَّا
واستزدهم اكلًا وقلْ انَّ هذا طابَ نضجًا وصار غضًّا طريًّا
فهلمُّوا بنا ومدُّوا اليهِ ايديًا باعها ينالُ الثريًّا
ثمَّ قُلْ يا احبَّتي هل لكم في بعض شيءٍ من النبيذِ المهيَّا
ولئن ساغَ شربهُ للتمرّي فكلوا واشربوا هنيًّا مريًّا
واذا ما آكلت ضيفًا فارّخْ انَّ هذا لرزقنا كُلْ هنيًّا (١٢٦٦)

(الشيخ البيجوري) واشهر من السابقين شيخ الاسلام ابراهيم البيجوري. ولد في قرية البيجور بمديريَّة المنوفية سنة ١١٩٨ (١٧٨٤ م) وطلب العلوم في الازهر مدَّةً وتتلمذ للشيخين محمَّد الفضالي وحسن القويسني وغيرهما حتى نبغ بين طلبة الازهر وتفرَّغ للتأليف فوضع كتبًا عديدة في التوحيد والفقه والمنطق والتصريف والبيان واشتغل بالتدريس. ثم انتهت اليهِ رئاسة الازهر قيل ان صاحب الدولة الخديوي عبَّاس باشا كان يحضر دروسهُ في الازهر. وكانت وفاتهُ سنة ١٢٧٧ (١٨٦٠ م)

(ابراهيم بك مرزوق) ويُلحَق بأُدباء مصر احد مشاهير كتبتها ابراهيم بك مرزوق. ولد سنة ١٢٣٣ هـ (١٨١٧م) وكان منذ نعومة اظفارهِ مغرًى بالاداب كثير الحفظ من مختار الشعر قيل انهُ كان يحفظ منهُ عشرين الف بيت كما انهُ احرز جملة وافرة من منتخب المتون العلميَّة ومأثور الاخبار وكان كثير التصرُّف في فنون الكتابة ويحسن نظم الشعر. ورحل الى بلاد السودان فكانت وفاتهُ في الخرطوم سنة ١٢٨٣ (١٨٦٦) وقد عُني بجمع قصائدهِ وطبعها الهمام محمَّد بك سعيد بن جعفر باشا مظهر وقسمها الى سبعة ابواب على حسب معانيها ووسم هذا الديوان « بالدرّ البهيّ المنسوق بديوان الاديب ابرهيم بك مرزوق » . وكان طبعهُ سنة ١٢٨٧ (١٨٧٠) وممَّا جاء فيهِ من الحكميَّات قولهُ:

انَّ الفضيلة في الانام غدت على شرفِ النفوس الشمّ اقوى حجَّةِ
فاذا ادَّعيتَ بانَّ اصلك يا فتى من سادة الابطال اهل الهمَّةِ
أوضح لنا نور الشهامة مثلهم وعلى رفيع المجد أحسنَ غيرةِ
واذا اردت الفخر فاسهر دائبًا لطلابهِ واهجرْ لذيذ الهجعةِ

فتكونَ ذا شرفٍ فتلك دلائل　　دلَّت على شرفٍ وكلّ فضيلةِ

وقال مستعطفاً لصديق نفر عنهُ :

يــا معرضاً متجنباً　　حاشاك من نقض الذمامْ
مولاي مـا لك قـد بخلتَ عليَّ　　حتَّى بالكــلامْ
سلِّم عليَّ اذا مرر　　تَ فلا اقــلَّ من السلامْ

وقال يرثي اسكاروسَ افندي الباش كاتب القبطيّ :

لا شكَّ عندي في فناء الوجودْ　　فافضلُ السيرةِ خيرُ الوجودْ
والمرء مجزيٌّ باعمالــهِ　　فشأنهُ يومَ تُقــامُ الحدودْ
وانمــا طوبى لمن قــد قضى　　دنياهُ بالخير وسعــد السعودْ
كالبارع اسكاروسَ في فضلهِ　　باهي الحجا والجدّ غيظ الحسودْ
فقلْ لراجي شأوهِ ارخوا　　يكفي ثوى اسكاروسُ دارَ الخلود (١٨٦٠)

وقد عُرف في مصر غير هوَّلاء ممن ورد ذكرهم في كتب الادباء كالاستاذ الشيخ احمد عبد الرحيم والشيخ مصطفى سلامة وكان كلاهما محرّرًا للوقائع المصريَّة في هذا الوقت. مدحهمــا صاحب كنز الرغائب في منتخبات الجوائب (ص١٢١ و١٢٩) . وكذلك في مصنَّفات الشيخ ناصيف اليازجي مراسلات دارت بينهُ وبين ادباء مصر من المسلمين كالشيخ محمَّــد عاقل افندي كاشف زاده الاسكندريّ والشيخ حمد محمود افندي الاسكندريّ والشيخ عبد الرحمــان افندي الزيلعيّ والشيخ حسن بن علي اللقّاني الاسكندريّ . ولكلّهم قصائد جيّــدة اثبتها الشيخ ناصيف في مجموع شعرهِ لكنَّنا لا نعرف من تاريخ اصحابها شيئاً . فمَّا روى للشيخ محمَّد عاقل قولهُ يصف الهواء الاصفر :

دهانا بوادي النيــلِ كالسَّيل حادثٌ　　لهُ تَذْهَل الالبــابُ حــين يخيفُ
دعوهُ بريحٍ اصفرٍ شــاع ذكرهُ　　ومــا هو الَّا هيضــةٌ ونزيفُ
بهِ احتارت الافكــارُ والعقل والنُّهى　　وكل طبيبٍ شأنهُ موصوفُ (كذا)
فلم يبقِ دارًا لم يَزُرْهــا ولم يذرْ　　جنانًا بهِ ركبُ السرور يطوفُ
ثُكلنــا رجالًا للزمان نعدُّهم　　طروساً وهم للمعضلاتِ سيوفُ
تراهم ليوم البأس والبأس عُدَّةً　　وجاههمُ للقــاصدينَ منيفُ
وكم فيهــم من اهل ذوقٍ وفطنــةٍ　　وفيهــم لطيفٌ المبيّ وظريفُ
لقد أقفرت اقطارُ مصرٍ لفقدهم　　وكان بهم روح الكمال لطيفُ
نأوا وأقاموا بارح الحزنِ في الحشــا　　فليس بديلًا تالــدٌ وطريفُ

فشيّمهم عقلي وفكري وفطنتي ولم يبقَ من لي لديَّ طفيفُ
وناقصُ امثالي صحيحٌ مضاعفٌ ومهموز حزني اجوفٌ ولفيفُ

وقال يمدح بيروت وادباءها وخصوصاً الشيخ ناصيف اليازجيّ:

لقد قصدَتْ بيروت دار اعزّةٍ لهم تنتمي الآلاء في اللفظ والمعنى
تزيلهم قد شكَّ في اصل داره وصار يقين الامر في علمه ظنّا
مدينة ظرفٍ ما جا غير فاضل بسيم وسيم قد حوى الحُسن والحسنى
تشدُّ لهُ الألبابُ كلَّ مطيَّةٍ مجرّبة الاسعاف في كل ما عنّا
صغيرهمُ في المجد سيّد غيرهم على انَّ ذاك الغير قدوة من اثنى
وما منهم الّا وقد شبَّ طوقهُ بنادي نصيف اليازجيّ وقد أُفنى
مجيد المعاني وهو للقول حجّةٌ لاهل النّهى كم قد اجاد لنا فنّا

ومن اقوال الزيلعي في المدح:

بلغتَ مقاماً لم تنلهُ الاوائل وحزت كمالا تبتغيهِ الافاضلُ
ولستَ براءٍ غير فضلكَ يرتجى لكل مُلمّ فيهِ تدمي الصياقلُ
ولولاك لم تدر العلوم باتّها تُجلُّ وان قد بانَ منها دلائلُ
يطول لسان الفخر في فضلك الذي بنيتَ لهُ ركناً ليرجع ثاكلُ
ويقصر باع الدهر من وصف ماجدٍ لهُ جُمعت في المكرمات الفضائلُ
فيا لك من مجدٍ ويا لهُ من يدٍ تطول اذا مُدَّت وان حال حائلُ

وقال حمد محمود افندي من قصيدة متشوقاً الى اهل الفضل في بيروت:

يا اهل بيروت ان لاقيتمُ كبدي فتّموا جدركم من قبلُ بالحفرِ
أكبادُ اهل الهوى حرَّى وما بردت الّا لترمي من الاشواق بالشررِ
ودونكم حرٌّ لي فهو رقكمُ وارعوا ذمام شجٍ فيكم على سفرِ
ملكتموه بالفاظٍ همُ غررٌ ورابحٌ مَنْ شرَى الالباب بالغُرَرِ

وللشيخ حسن بن علي اللقّاني الاسكندريّ يصف ديوان الشيخ ناصيف:

بدائع ما فيها سوى السحر منطقٌ حلالٌ وفي اجناسها لا ادافعُ
اذا جرَّ فوق الطرس سُمْر يراعةٍ تصافحهُ الآداب وهي رواكعُ
وان راح ينشي او يكاتب صحبهُ نفرُّ معانيهِ الحسان تسارعُ
كانَّ صرير السمر في روض طرسهِ غناء حمامٍ وهو بالشعر ساجعُ
تآليفهُ قد فصّحت كلّ اعجمٍ بليدٍ وكم ولّى بليغٌ وبارعُ
لآلئُ من زهر الربيع تناثرت علينا وفي منظومها الدرُّ ذائعُ
لئن فاح في ارض الشآم ثناؤه ففي مصرنا منهُ شذا الذكر ضائعُ (لها تابع)

الكنيسة الشرقية الاورثذكسية

نظر للاب فرنسيس تورنبيز اليسوعي

قد توجَّهت انظار كتبة الغرب الى درس الشرق وكلّ ما ينوط بهِ من تاريخ وآثار وآداب ودين فلا يمرّ علينا يوم واحد دون ان نطّلع على مطبوعات جديدة تميط القناع عن بعض مجهولات الشرق. ومما تلقّيناه آخرًا بملءِ الفرح كتاب وضعهُ احد نزلاء كليتنا في العام المنصرم وسليل أُسرة انكليزيَّة عريقة في الشرف الدكتور ادريان فرتسكيو كان قصد بلاد الشام لينجز عملهُ فتمَّ اليوم نشرهُ طبعًا . وهو بالانكليزيَّة وعنوانهُ « الكنيسة الشرقيَّة الاورثذكسيَّة * » ولما كان هذا التأليف ذا شأن عظيم لمعرفة احوال الكنائس الشرقيَّة في بلادنا اردنا ان نتَّسع قليلًا في وصفهِ تنويهًا بمحاسنهِ

١ مصنف الكتاب واسانيده

ليس مصنّف هذا الكتاب ممَّن يتسرون الكتابة قبل التروّي والتنقيب الطويل ومعلوم انَّ الكلام في الكنيسة اجمالًا يقتضي معارف دينيَّة واسعة كاللاهوت النظري والادبي والحقّ القانونيّ ودرس اعمال الآباء والمجامع . امَّا الكلام في الكنيسة الشرقيَّة خصوصاً فانهُ يستدعي ما خلا ذلك درس التاريخ الكنسي ونظام كنائس الشرق وطقوسها ومختلف احوالها في داخلها وخارجها . وقد ادرك ذلك كلّهُ مؤلف هذا الكتاب فانَّهُ تخرَّج في كل العلوم الدينيَّة في كليَّة انسبروك من اعمال النمسا على اساتذتها البارعين من الرهبانيَّة اليسوعية فنال رتبة الملفان في الفنون المذكورة ثمَّ تفرَّغ للبحث عن امور الشرق الدينية حتى اتقنها ولنا شاهد على همتهِ واتّساع معارفهِ في هذا الصدد في المقدَّمة التي صدَّر بها كتابهُ حيث سرد اسماء المصنَّفات المتعدّدة التي راجعها لتأليف هذا السفر الجديد مضيفًا الى كلّ كتاب انتقادًا على مزاياه الخاصة امَّا استحسانًا لها وامَّا نفيًا لشوائبها . ومما ساعدهُ على مراجعة كتبٍ عديدة معرفتهُ التامَّة لمعظم لغات اوربَّا فتقرَّبت اليهِ بذلك مؤلفات بلادٍ شتى امكنهُ اقتباس فوائدها ولاسيما المجلات الشرقية

* وهذا عنوانهُ في الانكليزية THE ORTHODOX EASTERN CHURCH by Adrian Fortescue, Ph. D., D. D. with illustrations by the Author, *London, Catholic Truth Society*, 1907, XXVII-451.

[illegible]

[illegible] (Hergenroether Photius) [illegible] (Katholische [illegible] (Lehrbuch d. vergleich. Konfessionskunde) [illegible] ([illegible] History of [illegible] the Holy eastern Church) [illegible]

[illegible] (Pitzipios) [illegible]

[illegible]

[illegible]

بل عنون كتابه باسم رضيت هي به وهو اسم الكنيسة الشرقية الاورثذكسية قاطعاً النظر عن مطابقته للمسمّى وكلّ الكنائس كما لا يخفى تنعت نفسها بالاورثذكسية اي المستقيمة الرأي . وهو يلمّ به هنا كلّ الكنائس التي كانت سابقاً تحت حكم الكنيسة البوزنطية او تلتجئ اليها في عهدنا وان كانت مستقلة عنها

٢ موادّ الكتاب واجماله

هلمّ بنا بعد تعريفنا لصاحب هذا التأليف وللمصادر التي اخذ عنها لنقرّي فصول الكتاب ونتّبع ما اودعهُ فيها من الابحاث

قد قسم المؤلف كتابهُ الى اربعة اقسام تشمل مجموع المطالب التي تختصّ بالكنيسة الشرقية الاورثذكسية . ففي القسم الاوّل يبحث عن تاريخها قبل انفصالها عن الكنيسة الرومانية . وفي الثاني يافحص خبر ذلك الانفصال ويروي اسبابهُ الصحيحة . ثمّ في القسم الثالث يبيّن ما تقلّبت فيه الكنيسة الاورثذكسية من الاطوار بعد الانفصال . ويختم كتابهُ بقسم رابع خصّهُ بتعريف احوال الكنيسة الشرقية في ايامنا

﴿ القسم الاوّل ﴾ مدارهُ على البطاركيات الشرقية واصولها وعددها وترتيبها وامتيازاتها وهو بحث جليل سبق اليه المشرق في مقالاته الخاصة . فذكر حضرة المؤلف علاقة الكرسيين الانطاكي والاسكندري بالكرسيّ الاوّل اي الروماني ثمّ تخطّى الى ذكر الكرسيّ الاورشليميّ الذي نال في القرن الرابع امتيازات خاصة لما جرى في القدس الشريف من الاسرار العظيمة واعقب ذلك بتاريخ الكرسيّ القسطنطينيّ الذي لم يزل امتيازات البطركيات الّا بطريقة غير قانونية فما برح اصحابهُ يطمعون في التقدّم ويبذلون طاقة جهدهم في طلب الرئاسة زعماً منهم بان القسطنطينية اضحت رومية الجديدة بعد ان جعل فيها القياصرة مركز اعمالهم فتحقّ لها السيطرة على الكنائس الشرقية لهذا السبب . لكنّ الاحبار الرومانيين لم يزالوا يدافعون عن حقوق الكرسيين الانطاكي والاسكندريّ ويحتجّون على تطاول الكرسي البوزنطي كما فعل خصوصاً القديسان لاون الكبير وغريغوريوس الكبير حتى احوجتهم الظروف بالصفح عن تلك المطامع . وكان مع ذلك كرسي القسطنطينية مُقرّاً برئاسة الحبر الروماني على الكنيسة جمعاء الى عهد فوطيوس كما تدلّ عليه البيّنات الثابتة والشواهد التاريخية الواضحة ولا سيما اقوال آباء المجامع المسكونية السبعة الاولى . وقد خصّ حضرة الدكتور فصلاً طائلاً في بيان

ذلك استناداً على شهادات الكتبة الاقدمين والمؤرخين المحققين. وقد انهى هذا القسم بفصل افردهُ لايضاح معتقدات الكنيسة الشرقيــة في القرون التسعة الاولى وفي آدابها وليتورجياتها وفنونها الصناعيــة لاسيما التصوير والنقش. . . فهذا القسم كما ترى شامل لاحوال بوزنطية الدينية احسن الكاتب في بيانهِ ملخِصاً مضامينهُ عن اوثق الكتبة الشرقيين والغربيين

﴿ القسم الثاني ﴾ يحتوي تاريخ الانفصــال بين كنيسة رومية والكرسي البوزنطي وبيــان ذلك يقتضي شروحاً وتفاصيل متعدّدة يصعب ايضاحها بكلام وجيز وقد عرف الدكتور فورتسكيو كيف يوردها بحيث يكون القارئ على بصيرة من الاسباب التي أدّت الى ذلك الانشقاق المشؤوم . وقد بيّن مـا تفرّد به فوطيوس من المزايا والصفات وخصوصاً ذكاء عقله وسعة معارفهِ التي ابقى منها آثاراً جميلة الّا انهُ شوّه تلك السجايا الطيّبة بحبّ مفرط للرئاسة وذلك مــا كان السبب الاعظم للشرور التي حلّت بالكنيسة البوزنطيــة فاضطهد القديس اغناطيوس البطريرك الشرعيّ ولم يزل يضطهدهُ حتى ازالهُ مرغوماً عن كرسيّهِ سنة ٨٥٧ فحدا الامر بالقديس نيقولا الكبير بابا رومية بجرم فوطيوس فلم يجد هذا ليدافع عن نفسهِ وسيلةً الّا بنسبة الهرطقــة للكنيسة الرومانية لقولها بانبثاق الروح القدس من الاب والابن معاً

على انّ ذلك الانفصــال الذي سبّبهُ فوطيوس لم يكن نهائياً وقد بيّن مصنِّف هذا الكتاب بعدّة شواهد انّ أخلاف فوطيوس عادوا الى الوحدة مع الكرسيّ الرسوليّ والخضوع لاوامر الاحبار الاعظمين حتى قام ميشال كورولاريوس الذي فصم نهائيًا عروة الوحدة. نعم انّ الدكتور فورتسكيو ينسب لبعض الغربيين هفوات ارتكبوها عجّلت وقوع ذلك الانفصال الّا انّ البطريرك كورولاريوس اتى بأعمالٍ لا يُمكن تركيتها على الاطلاق فانهُ ازال اسماء الاحبار الرومانيين من الدبطخا المقدّسة وأقفل كنائس اللاتين في جهات بطريركيّتهِ وبالغ في سوء تصرّفهِ الى حدّ اوجب القياصرة بنفيــهِ كما نفوا سلفهُ فوطيوس على انّ وحدة الكنيسة منذ ذلك اليوم أُصيبت بضربة لازبة

﴿ القسم الثالث ﴾ يتضمّن اخبار الكنيسة الشرقيّة الاورثدكسيّة بعد انفصالها في القرن الحادي عشر عن مركز الوحدة . فيفصّل ما سعى بهِ كبار الاحبار لرتق الفتق وردّ الابنة الشاردة الى امّها. وذلك في المجامع المقدّسة التي عُقدت في مدينة باري ثمّ في

مدينة ليون ثمَّ في فيرنسة وكان الروم في كل هـذه المجامع يقصدون الانضمامَ الى امّ الكنائس ويسعون فيـهِ بعض السعي ثمَّ لا يلبثون ان يعودوا الى إبائهم ونفورهم حتى تُقطع امل الانضمام في سنة ١٤٥٣ بما ناب الكنيسة الاورثدكسيَّة من النوائب والرزايا. على انَّ الكنيسة الرومانيَّة لم تهمل كرسيّ القديس غريغوريوس اللاهوتي والقديس يوحنا فم الذهب كما تشهد عليهِ الرسالات اللاتينية التي لا تزال في الشرق تمهّد الطرق للاتحاد الدينيّ وإبطال اسباب النفور

ومن فصول هذا القسم المفيدة تاريخ المدارس والدروس في البطريركية القسطنطينية وتفصيل مساعي البروتستـانت في اجتذاب اصحاب الكرسي البوزنطي الى آرائهم خصوصاً في القرن السابع عشر على عهد كيرلس لوكاريس. ولولا همَّة المرسلين الكاثوليك لغلبت تلك الآراء على كنائس الشرق

﴿ القسم الرابع ﴾ هذا القسم يصف احوال الكنيسة الشرقية الاورثدكسية في عهدنا فيعدّد في فصل اوَّل بطريركياتها وكراسيّها المستقلَّة التي انفصلت بالتدبير والنظام عن الكرسيّ القسطنطيني كقبرس ثمَّ روسيا (سنة ١٥٨٩) ثمَّ الكرج ثمَّ كرلوفتس للمجر وكرارناغورا للجبل الاسود (١٧٦٥) ثمَّ كرسي طور سينـا الذي عُرف استقلالهُ رسميًّا سنة ١٧٨٢. ثمَّ كنائس اليونان (١٨٦٠). ثمَّ كرسي هرمنستاد للفلاخ والرومان (١٨٦٤). ثمَّ كرسي البلغار (١٨٧٠). ثمَّ كرسيّ كرارنوفتس لبلاد بوكوفين في النمسا (١٨٧٣) ثمَّ كنيسة سربيا (١٨٧٩) ثمَّ كرسي الهرسك والبشناق (١٨٨٠) ثمَّ اخيراً كنيسة رومانيا (١٨٨٥)

ويلي الفصل السابق عدَّة ابواب اوَّلها باب في نظام الكنائس الشرقية الاورثدكسية وخدَمة دينها من رأسها البطريرك ومطارنتهـا واساقفتها وكهنتها ورهبانها الى شمامستها وطلَبتها. وفي الباب التالي تعريف ايمان تلك الكنائس وما يفصل بينها وبين الكنيسة الرومانية كرئاسة الحبر الاعظم وقضية الانبثاق والاستحالة الجوهرية والمطهر والحبل بمريم العذراء بدون الخطيئة الاصلية. ويبدي الكاتب رأيهُ في كل ذلك ولا يرى من المستحيل تذليل تلك العقبات

والباب الثالث يحيط علماً الغربيين بعادات الروم وكلندارهم واعيـادهم ورتبهم

وكتبهم الطقسية الى ما هناك من الافادات عن الفنون الصناعية الدينية كبناء الكنائس والتصاوير والموسيقى والآنية القدسية الخ

وقد ختم الكتابَ مجاهرًا بأملهِ في عود تلك الوحدة التي هي زينة الكنيسة وموضوع دعاء السيّد المسيح الذي طلب من ابيه ان تكون الحظيرة واحدةً والراعي واحدًا

هذا نظر عموميّ عن ذلك السفر الجليل الذي احببنا وصفهُ لقرّائنا . وغاية ما نرغب ان يُنقل هذا الكتاب الى لغتنا العربية لتقرب فوائدهُ من اهل هذه البلاد ويسعوا جهدهم في تعجيل تلك الوحدة المرغوبة التي يشتاق اليها كل المسيحيين

وكنّا نودّ بان نلحق الاسطر السابقة ببعض ملحوظات في هذا الكتاب ونحن نعلم انّ مؤلفهُ يتقبّلها بالشكر ويستفيد منها لطبعة ثانية . لكنّ ملحوظاتنا هذه في امور عرضيّة لا تمسّ جوهر الكتاب ولا يسعنا هنا ايرادها لضيق المكان . وانّما نكتفي بان نُعلم حضرتهُ عن مجمع الارمن المنعقد في توفين انهُ عُقد سنة ٥٠٥ او ٥٠٦ وليس كما كان يزعم الاقدمون سنة ٥٩١ وقد ثبت الآن بأن انفصال الارمن عن الكنيسة على عهد نرسي الثاني تمّ سنة ٥٥٤ . والامر قد تبيّن بنشر كتاب قديم موسوم بكتاب الرسائل الذي طُبع في تفليس سنة ١٩٠١ . وبالختام نتمنّى لهذا الكتاب رواجًا وانتشارًا جازى الله مصنفهُ كلّ خير

مطبوعات شرقية جديدة

Abbé Curtet: La Terre Sainte autrefois par aujourd'hui. *Nouv, édit.*, 1905, Belley, Chaduc. 172 pp., gr. 8° — Suppléments 1907-1908, 32 pp.

الاراضي المقدسة وتعريف قديمها من حديثها

قد زار صاحب هذا الكتاب غير مرّةٍ بلاد فلسطين فاذهلتهُ امورها وعادات اهلها فأدرك بالمقابلة ما بينها وبين روايات الكتب المقدّسة من التشابه ثمّ وجد في رحل كثيرين من الزوّار ملحوظات كملحوظاتهِ الخاصّة فجمعها واضافها الى ما عاينهُ بنفسهِ

ونشرها افادةً لمواطنيهِ الفرنسويين . وقد تصفَّحنا هذا الكتاب فوجدناه جامعاً بين اللذيذ والمفيد اهلًا بأن يتَّخذهُ الزوَّار كدليل في أسفارهم الى الاراضي المقدَّسة . نعم لا يخفى على المؤلف بأنَّ كتابهُ ليس بكاملٍ اذ لم يمكنهُ ان يراجع ما كتبهُ في هذا الصدد علماء المانية وانكلترَّة لكنه افرغ كنانة الجهد في تدوين كلّ ما بلغت اليه معرفتهُ فرتَّبهُ احسن ترتيب تسهيلًا للمطالعة فوصف اوَّلًا المسكن ثمَّ المأكل ثمَّ العادات البيتيَّة والآداب الاهلية ثم الزواج ثم الجنازات الى غير ذلك مما تُستحبّ معرفتهُ ويؤيد مرويَّات الاسفار المقدَّسة . ولذلك قد نشَّطهُ الحبر الاعظم ببراءة ثنائيَّة ارسلها اليه على يد نيافة الكردينال مري دَالْقال كما اثنى عليه غبطة البطريرك الاورشليميّ والمؤلف لا يزال يحسّن كتابهُ ويضيف اليهِ الاضافات المفيدة منها ملحقات قد طبعهما حديثًا وعما قليل سيشفعهما بملحق ثالث . ونحن ايضاً نشكر حضرة مصنف الكتاب ونحضّ الشرقيين على اقتنائهِ (١ س . ر

G. Robinson Lees: VILLAGE LIFE IN PALESTINE, with 50 illustr. from photogr., New edit. revised. *Longmans*, 1907, X-236 pp. 8°

الحياة الاهلية في فلسطين

يُشبهُ هذا الكتاب التأليف السابق في موادهِ الَّا انهُ في الانكليزيَّة وذاك في الافرنسية . فقد تتبع الكاتب كلّ احوال اهل فلسطين في دينهم ومعاشهم وآدابهم وصنائعهم ومزاعمهم الخرافية فوصفها وصفاً مدقّقاً ليبين ما بينها وبين مرويَّات الكتاب الكريم من العلاقات وقد زاد اوصافهُ حسناً بخمسين تصويرًا بديعاً يمثّل احوال الشرقيين . ومن فصول الكتاب الذي اجاد فيها الفصل الاوَّل في وصف هيئة فلسطين واقسامها وتعريف تربتها واحوال جوّها ولهُ فصل حسن في دين اهل فلسطين وعباداتهم ومناسكهم واعيادهم وكذلك خصَّ بابًا من كتابهِ بعادات الفلاحين في تلك البلاد في الزراعة ورعية المواشي والصناعات وفي حياتهم البيتيَّة وعاداتهم الاهليَّة في الاسواق والمجتمعات العموميَّة وفي افراحهم واغانيهم . فترى من هذا الوصف ما يحتويه الكتاب من المضامين المفيدة . وهنا فليسمح لنا اهل بلادنا بان نستلفت انظارهم الى امرٍ طالما قضينا منهُ

(١ يساوي الكتاب فرنكين ونصف فقط وهو يطلب من صاحبهِ بهذا العنوان
Mr. L'abbé Curtet, à Groissiat, par Martignat (AIN), France

العجب وهو حرص الاوربيين على معرفة بلادنا ووصف احوالهـا فيكتبون فيها الأَسفار الواسعة مع كوننا أحرى منهم بوضع هذه المصنَّفات وصاحب البيت أدرى بما فيهِ من سواهُ فلو دوَّنّا كل ما نعرفهُ من احوال معاشنا وعاداتنا الدينيَّة والمدنيَّة لتلقَّى الاجانب كتبنا بمزيد الشكر واستدلُّوا بها على ضوالّهم التي ينشدونها وخصوصاً على حقيقة الامور المرويَّة في الكتب المنزلة وتأييد صحَّتها بما يجري اليوم بيننا س٠ ر

PHILIPS' SCRIPTURE ATLAS. London, G. Philip and Son, 4°

مجموع خوارط الكتاب المقدس

هو مجموع في ١٦ خارطة لدرس الكتاب المقدَّس٠ فالخارطة الاولى تمثّل الارض التي عرفها الاقدمون ويليها خارطة ثانية في تقسيم الامم ثمَّ ثالثة في مصر وطور سينـا ثمَّ بلاد كنعان واسبـاط اسرائيل ثمَّ صورة تابوت العهد وهيكل اورشليم في اطوارهِ المختلفـة ثمَّ خوارط مملكة سليمان وملوك يهوذا واسرائيل وبلاد سوريا وفلسطين ثمَّ دولة الفرس واليونان ثم الرومـان ٠ والخوارط الاخيرة وُضعت لوصف فلسطين في زمن السيد المسيح ولاسفار القديس بولس هذا مع رسوم لاورشليم سابقًا وحاضرًا ولبلاد فلسطين في عهدنا الى حدود نهر الكلب شمالًا واخيرًا خارطـة في أديان العالم٠ وهذا المجموع وافٍ بالمقصود اذ وُضع لعموم القرَّاء ليس للعلماء ٠ وخوارطهُ الملوَّنة حسنـة تروق النظر الَّا انهُ ينقصها شيء من الوضوح والجلاء٠ وللكتاب غلاف زهي الالوان يمثل الاهرام وأبا الهول المصري٠ ولهُ فضلٌ آخر وهو بخسُ ثمنهِ اذ لا يزيد على نصف شلين فلا غرو انهُ نال بذلك رواجًا عظيمًا في كل البلاد س٠ ر

A. Erman. LA RELIGION ÉGYPTIENNE. Traduction française par **C. Vidal**. *Paris, Fischbacher*, 1907, in-8°, 355 pp.

الديانة المصريَّة

ألقى المسيو ادولف ارمان في برلين عدَّة خطب في وصف ديانة قدماء المصريين ثمَّ جمعها في كتاب مستقل ونشرها بالطبع فرأى المسيو ڤيدال ان ينقلها من الالمانية الى الفرنسيَّة تعميماً لفائدتها٠ وهي الترجمة التي أُهديت الى ادارة المشرق٠ فمـا نقولهُ اجمالًا عن هذا الكتاب ان صاحبهُ ممَّن تعمَّقوا في درس الآثار المصريَّة وبعـد ان استخلص مضامينها لمعرفة احوال المصريين الدينيَّة في سالف الزمان عرضها في كتابهِ بجلاء ودقَّة

بحيث يستطيع القــارئ الوقوف على مبادئ تلك الاديان ومجمل معانيها . ومن ثمَّ لا نرضى بما قالهُ المؤلف في مقدّمتهِ ناعتاً كتابهُ بالنقص والتقصير. الَّا انَّنا كنَّا وددنا لو زادنا جنابهُ ايضاحاً في امرين معتبرين احدهما معتقد المصريين في الحياة الآتية وخلود النفس والآخر في الفرائض الدينيَّة التي كانت العامَّة تألفها م . ش

M. Lepin: CHRISTOLOGIE. Commentaire des Propositions XXVII-XXVIII du Décret du S[t] Office « LAMENTABILI ». *Paris, Beauchesne,* 1908, in-12, 120 pp., *Prix* 1 fr. 25.

التعليم الصحيح في السيد المسيح

بين القضايا التي حرمها الكرسيّ الرسولي في العام الماضي قضيتــان وهما السابعة والعشرون والثامنة والعشرون (المشرق ١٠ : ٩٢١) تنفيان لاهوت السيــد المسيح فتحفّز للردّ على القائلين بهذا الرأي الباطل حضرة الخوري الفرنسويّ لوپان الذي اشتهر بعدَّة تآليف لاهوتيَّة اخصُّها كتابهُ في السيد المسيح ابن الله (١ فخاض في هذا البحث ثانيةً وخصّ بلاهوت السيد المسيح كتابهُ الجديد. وقد بيَّن هذه القضيَّة الجوهريَّة بالبراهين التي شاعت منذ اوائل الكنيسة الى يومنــا مستندًا في تأييدها على شهادات الاناجيل وعلى معجزات السيد المسيح وعلى تعاليم الآباء بسلسلة متواصلة لم تنفصم حلقتها البتَّة . ومع قوَّة براهين المؤلف تراهُ يتحاشى كل كلمة تمسّ اخصامــهُ او تجرح احساساتهم البتة لعلمهِ بأن الحقّ يعلو ولا يُعلى الاب ي. ديلنسيغر

S[t] ATHANASE, par **F. Cavallera.** Paris, Bloud et C[ie], in-16. (Collection « *La Pensée chrétienne* »), 1908.

القديس اثناسيوس

انتقل صاحب هذا الكتاب المسيو كافليرا من تاريخ انطاكية الى تاريخ الاسكندريَّة فبعد ان وصف انشقاق انطاكية (المشرق ١٠ : ٤٩٩) تحوَّل الى ترجمة حياة القديس اثناسيوس الاسكندريّ وهي نعم الحلبة تتجارى فيها فرسان الكتابة وقد ركض الكاتب جوادهُ في ذلك الميدان بعد ان أعمل نظرهُ في مآثر رجل الله ودرس كتاباتهِ وراجع ما كتبهُ فيهِ ائمة عصرهِ . وقد افتتح كتابهُ بمقدَّمة ضافية بحث فيها الكاتب عن

(1) **M. Lepin**: JÉSUS, MESSIE et FILS DE DIEU, d'après les Evangiles Synoptiques, 3[e] ed., *Paris, Letouzey et Ané*, pp. LXXV-430 pp.

ترجمة القديس اثناسيوس وتعاليمهِ ونفوذهِ في اهل زمانهِ ومقاومتهِ لهرطقة آريوس . امّا الكتاب فهو مقسوم الى ثلثة اقسام خصّ كل قسم منها لعمل من اعمال القديس اثناسيوس فالقسم الاول يمثّل اثناسيوس كبطل شهم يدافع عن حقيقة سرّي الثالوث الاقدس ولاهوت المسيح . والقسم الثاني مختصّ بتعليم اثناسيوس في تجسّد ابن الله . اما القسم الثالث فمدارهُ على بقيّة اعمال البطريرك الاسكندريّ وخصوصاً على شروحهِ للأسفار المقدَّسة وعلى عظاتهِ وميامرهِ وعلى مصنَّفاتهِ الادبيَّة . وقد اوضح الكاتب الاديب كلّ هذه الاقسام بعبارة سهلة وانشاء رائق فجاء كتابهُ حاوياً لمحاسن المصنَّفات التي سبقت في القديس اثناسيوس . فيجدر بالشرقيين ان يزيّنوا بهِ مكاتبهم ر . ش

Albert Dufourcq : Histoire comparée des religions païennes et de la religion Juive jusqu'au temps d'Alexandre le Grand, *Paris*, *in*-16, *Bloud et* Cie., 1908.

الاديان الوثنية وديانة بني اسرائيل الى زمن الاسكندر

قد اضحى منذ سنوات قليلة درس الاديان علماً قائماً بذاتهِ فأُنشئت لهُ المجلّات ونُدب لتعليمهِ الاساتذة في الكليّات الّا انّ هذا العلم لا يزال حتى اليوم متضعضعاً غير ثابت الاركان وكثيرًا ما يتخذهُ الملحدون كسلاحٍ لمناقضة الدين القويم ومن ثمَّ يحتاج الكاثوليك الى تآليف علميَّة في هذا المعنى خالية من كل غرضٍ لا ينوي اصحابها غير ايضاح الحقّ واثبات اليقين . وذلك ما نواه العلامة البرت دوفرك الذي وقف نفسهُ لدرس الاديان القديمة والكتاب الذي نحن في صددهِ احدى ثمرات اجتهادهِ قد اودعهُ في ستَّة فصول ما اتّصلت اليهِ الاكتشافات الحديثة في اديان الشعوب التي سبقت عهد الاسكندر اعني بها اديان المصريين ثمَّ البابليين والآراميين ثمّ اليونان والرومان . وبعد ان عرض ما خُصَّت بهِ اديان تلك الامم سواء كانت وحدها او في جملة الديانات الوثنيَّة انتقل الى ديانة الشعب الاسرائيلي فدرس خواصها في حالتيها المختلفتين قبل الشريعة الموسويَّة في عهد الآباء الاوَّلين ثمَّ بعد موسى في ايَّام الانبياء الى زمن عزرا ونحميا . ثمَّ عارض دين بني اسرائيل باديان الامم الوثنيَّة فأظهر ظهورًا تامًّا انَّ بين ذاك وهذه كما بين الثريّا والثرى . فعدَّد الاختلافات التي تفرز ديانة العبرانيين عن ديانة الشرك من حيث اصلها ومعانيها ومناسكها وطرائق عباداتها ودعم كلّ اقاويلهِ الى نصوص

مأخوذة من آثار تلك الامم ومن الاسفـار المقدَّسة رواها بلغاتها واستمدَّ ترجمتها من اساتذة تلك اللغات الموثوق بهم · فنشير الى محبي درس الاديان ان يستعينوا بهذا الكتاب ليقفوا على عبادات الشعوب القديمة وخواصها ونقائصها وليوفوا الدين الاسرائيليّ قدرهُ اذ لم يكن دينٌ صحيح دونهُ قبل المسيح ل٠ش

الدليل المستبين الى تاريخ وشرائع الروم الملكيين

تأليف جنـاب الاديب ناصيف بن جرجي ابي زيد اللبناني

طُبع في المطبعة العمومية في مصر (سنة ١٩٠٤ ص ٤٠٧)

يدلُّ اسم هذا الكتاب على غاية مؤلفهِ الفاضل فانهُ اراد اوَّلًا ان يضع ملخَّصاً لتاريخ الروم الملكيين الكاثوليك ثم ثانياً ان يذكر القوانين والاحكام التي يجرون عليها في امورهم الدينيَّة والمدنيَّة · وقد اوضح ذلك في خمسين فصلًا ما خلا ذيل الكتاب في ثلاثة فصول · ومن تصفَّح هذا التاليف تحقَّق ما لمؤلفهِ من الاعتبار لطائفتهِ العزيزة اذ يجلّ رؤساءها ويعظِّم رتبها ويشيد في محامدها شأن الابن نحو امهِ المحبوبة · وقد جمع في كتابهِ ما اتَّصلت اليهِ يدهُ من المعلومات القريبة المنال استمدَّها خصوصاً من كتابات الطيب الذكر البطريرك مكسيموس مظلوم والسيّد غريغوريوس عطا وجنـاب يوسف ورده · وممَّا تفرَّد بهِ هذا التأليف الفصول المختصَّة باحكام طائفـة الروم الكاثوليك في الزواج والفرائض والاوقاف والوراثة والدعاوي الطائفيَّـة والنظامات التي تقرَّرت في الدواوين المليَّة ممَّا يحتاج الى معرفتهِ عموم اهل الطائفـة في معاملاتهم وسنداتهم وتقاريرهم · ومع ثنائنا على صاحب هذا الكتاب نفيد جنابهُ انهُ يحتـاج الى تحسين واصلاحات في طبعة ثانية فينزع منهُ بعض الفصول التي لا علاقة لها بالكتاب كالفصل التاسع والاربعين في اهمّ حوادث العالم منذ انشائهِ وينقح غيرها كالفصل الثـاني في جدول مؤرخي الطائفة فانهُ مخلّ من عدَّة وجوه ويراجع تآليف جديدة تحتوي عدَّة فوائد عن تاريخ الطائفة قديمًا وحديثاً ويضبط امورًا اخرى التي لم تُروَ بتدقيق كبعض اخبار السيّد الجليل مكسيموس مظلوم واخلافهِ التي لا تنطبق مع حقيقة الواقع وهي مرويَّة في مجلَّة اصداء الشرق الافرنسيَّة على تمام صحَّتها ومثالها ما رُوي عن الطيّب الذكر غريغوريوس يوسف (ص ٣٥٦) في المجمع الفاتيكاني فلو اطلع جنابهُ على اعمـال

الجمع لمَّا نقل تلك الروايات الضعيفة والحقُّ يقال انَّ آباء الجمع لم يبخسوا البتَّة حقوق الشرقيين . فهذه الشوائب وغيرها تفقد الكتاب شيئًا من محاسنهِ فاذا ما ازالها جناب المؤلف زاد تأليفهُ حسنًا على حسن ل . ش

كتاب الالفاظ الفارسيَّة المعرَّبة

تأليف السيّد ادّى شير رئيس اساقفة سعرد الكلداني

(المطبعة الكاثوليكية ١٩٠٨ ص ١٩٤)

كان سيادة المطران ادّى شير ابرهينا صايبا نشر سابقًا في المشرق (٣ : ٧٢١) فصلًا مفيدًا في الدواعي لغنى اللغة العربيَّة ذكر من جملتها الالفاظ الاعجميَّة لاسيما الفارسيّة التي توفَّرت في اللغة العربيَّة . ثم اخذ سيادتهُ من ذلك الحين يخوض عباب هذا البحث فراجع المعاجم اللغويَّة وجمع منها نحو الفي لفظة استعارها كتبة العرب فادخلوها في سلك لغتهم ثمَّ نظم تلك المفردات عقدًا ثمينًا على سياق حروف المعجم وخصَّ كلَّ لفظة بملحوظات جمَّة وشواهد حسنة وعارَضها باللغات القديمة والحديثة كالسنسكريتيَّة والعبرانيَّة والسريانيَّة والتركيَّة والارمنيَّة واليونانيَّة واللاتينيَّة واللغات الاوربية فجاء اوسع كتاب صُنف في هذا الصدد ليس فقط في لغتنا العربيَّة ولكن في ما سواها ايضًا . ذلك ولا يخفى ما في هذه الابحاث اللغويَّة من المشاكل العديدة التي تتحيَّر منها العقول وترتاب لها الاذهان ومن ثمَّ لا نشكّ في ان العلماء يعترضون على اشتقاق بعض هذه الالفاظ فلا يسلّمون باصلها الفارسيّ لاسيَّما الافعال الثلاثيَّة التي لا نرضى بفارسيتها كخَفَتَ الصوت وخمَّ اللحم وكَسَفَ الله الشمسَ وتَفِهَ الطعام وشرب الماء وشَبأَ الفرسُ ورزَب الرجل . وكذلك كثير من الافعال الرباعيَّة التي اوردها سيادته فيمكن ردّها الى ثلاثيّ عربيّ الاصل فلا حاجة الى اشتقاقها من لغة غريبة فتَرَدَّ سَرْبَخَ مثلًا الى سَبَخَ وطَرْسَعَ الرُجل الى طَسَعَ وبَذْرَقَ الى بَذَرَ . ومع امساكنا عن الحكم في هذه الالفاظ وأمثالها لا يسعنا الّا الشكر لسيادة المؤلف على وضع هذا الكتاب الذي يدلُّ على وفرة علمهِ ومعرفتهِ للغات المتعددة وخصوصًا للفارسيَّة وبصيرتهِ الثاقبة في الاصول اللغويَّة . والكتاب مطبوع اجود طبع وقد صورت الالفاظ بحروف لغاتها الخاصَّة . وفي آخرهِ جداول واسعة حسنة للمفردات المشروحة لغةً لغةً . فنحضّ كل المستشرقين على مطالعة هذا السفر الجليل والاقتباس من انوارهِ الساطعة ل . ش

منهل الورّاد في علم الانتقاد

تأليف قسطاكي بك الحمصي الحلبي

الجزء الثاني طُبع في مصر سنة ١٩٠٧ (ص ٢٩٦)

وعدنا في كلامنا على الجزء الاوَّل من هذا الكتاب (المشرق ١٠ : ٨٦١) بأن نعرّف القرَّاء بمبادئ حضرة كاتبهِ البارع في الانتقاد رجاء أن تتَّضح لنا تلك المبادئ في الجزء الثاني فنقف على افكار المؤلف برمَّتها ونستطيع ابراز الحكم فيها. وها نحن قد اطَّلعنا على هذا الجزء المنتظر فلم نجد فيهِ بعد مراجعتهِ بالتروّي ما يُزيل ريبنا. فعدلنا عن انجاز وعدنا لئلا نحمل كلام المؤلف على غير معانيه فتكون النتيجة عكس ما نحبّ من افادة طلَّاب الادب واظهار فضل التأليف. وما سبب عدولنا كما قلنا سابقاً الَّا كوننا لم نتبيَّن موضوع الكتاب ولم ندرك بنوع جليّ غاية المؤلف. فان كان حضرتهُ رام وضع قوانين للتفتيش عن الحقيقة — وهو تعريف الانتقاد عنده — فلم نجد هذه القوانين في كتابه ولا عجب اذ الامر مستحيل لان التفتيش عن حقيقة النواميس الطبيعية مثلًا لا يكون كالتفتيش عن حقيقة القضايا الهندسية او غيرها. وان كان مراد المؤلف التكلُّم عن المصنوعات الفنيَّة او العلميَّة فقط وبيان اصول نقدها كما يظهر من بعض فقرات كتابهِ فلا نخاله اصاب المرمى لأنَّ النقد لمَّا كان ردّ الصنعة الى اصولها الفنيَّة او العلمية لا يتمّ الَّا بعد شرح تلك الاصول لتطبيق الصنعة عليها. والحال أنَّنا لم نجد لهذه الاصول ذكرًا في تأليف حضرته. وامَّا الاحكام الكلية التي ذكرها المؤلف واسهب في بسطها فهي من المسلَّمات التي لا تكاد تحتاج الى بيان وليست مع ذلك الَّا ممهِّدات لصناعة النقد عموماً. وان كان المؤلف توخى النقد البياني كما يتوهمه القارئ من غزارة المادَّة البيانية التي تكاد تشغل كل صفحات الكتاب فهناك ابحاث خطيرة جدًّا ومذاهب متباينة في اصول الصناعة الادبية كنَّا نتوقع من حضرته الالمام بشيء منها فلم نجد لها اثرًا البتة وهي مع كونها مستفيضة عند الفرنج لم تزل مهملة عندنا. وعلى رأينا الضعيف انَّ جنابهُ خُدع بلفظة النقد (la critique) التي يُطلقها الاوربيُّون على الابحاث التي غايتها ردّ المصنوعات الى اصولها فظنَّ انَّ الصناعة واحدة يُمكن ان تُوضع لها احكام كلية شاملة

ولكلّ متفرّقاتها فأضعف بذلك قواهُ وترك قارئهُ متضعضعاً متحيرًا ولو اكتفى بالنقد البياني لكانت فائدة تأليفهِ اعظم سيما للطلبة الذين قصد نفعهم وكان سدَّ ثلمةً واسعة في لغتنا العربيَّة. ولعلّهُ يفعل في طبعة ثانية من كتابهِ ان شاء الله خ. ا

ܟܬܒܐ ܕܪܓܬ ܥܠܝܡܐ

كتاب رغبة الاحداث

تأليف القس اسحق ارملة السرياني

الجزء الثاني طبع في الشرفة (سنة ١٩٠٨ (ص ١٨٣)

وصفنا منذ زمن قريب (في المشرق ١٠: ٩٥٦) الجزء الاول من هذا الكتاب وبيَّنَّا ما تضمَّنهُ من الفوائد اللغويَّة والادبية. وهذا القسم الثاني ارقى من سلفه طورًا فجعلهُ حضرة المؤلف اربعة ابواب فأودع الاوَّل منها حِكَماً نقل بعضها عن الاسفار المقدَّسة وروى بعضها الآخر عن نسخة كليلة ودمنة السابقة للترجمة العربية. وضمَّن الباب الثاني مقاطيع حسنة من بعض آباء الكنيسة السريانية. وملافنتها كمار افرهط ومار سهدونا وفيلوكسين المنبجي وابن العبري الشهير. وفي الباب الثالث امثال ورموز واحاجي. ويحتوي الباب الاخير حكايات وفكاهات. وهذه الابواب الاربعة كلها بالسريانية والعربية يستفيد منها الطلبة ترجمة السريانية الى العربية والعربية الى السريانية. وفي اثر هذه الابواب قسم آخر ضافي الذيل في ٧٣ صفحة فيهِ تراجم مختصرة لنحو ٢٠٠ كاتب سرياني قديم وحديث جعلهُ حضرة الكاتب بمثابة تاريخ للاداب السريانية مباشرة بالقديس افرام السرياني الى مشاهير الازمنة المتأخرة من كل الطوائف السريانية الكاثوليكيَّة وغيرها. وقد ختم الكتاب بفصل في المراسلات والفصول الكتابية. وهذا القسم كلهُ بالسريانية دون العربية لافادة الطلبة للذين تقدَّموا في درس اللغـة. فترى ما لهذا الكتاب من المزايا الحسنة ولا نشكّ لن محبي السريانيَّة يقبلون عليه لاتقان لغة اجدادهم الشريفة ل. ش

اطيب المجاني في حياة يوسف كلداني

تأليف القس ميخائيل اخرس الحلبي الماروني (المطبعة الادبية ١٩٠٧ ص ٢٠٦)

قد تعطَّرت سابقاً مجلّة المشرق (٧: ١٣١) بأريج قداسـة الخوري يوسف كلداني

الماروني قدوة الكهنوت اذ سطّر حضرة القس جرجس منش اعمالهُ ومآثره في حلب الشهباء. على انَّ اتقياء الحلبيين ولاسيما كهنتهم الافاضل ما كانوا ليكتفوا بتلك الترجمة المختصرة فرغبوا الى حضرة القس الغيور ميخائيل اخرس نسيبهِ ان يتّسع في رواية اعماله المبرورة ليشفي بروايتهِ غليلهم فجعل حضرتهُ يستقري تلك الآثار بنشاط عظيم قبل ان تأخذها ايدي الضياع فلمَّا جمع منها شيئاً كثيرًا سرد اوَّلًا ترجمة حياة رجل الله بالتفصيل ثمَّ شفعها بذكر اخص فضائله وختمها برواية وفاتهِ الصالحة وقد ألحق ذلك بالخطب والتآبين والمراثي التي جادت بها قريحة الادباء في وليّهِ تعالى بعد موتهِ على اختلاف نزعاتهم واديانهم. ولم يشأ حضرة المؤلف ان يكون كتابهُ مجموعاً بسيطاً لأعمال احد الابرار بل اراد ان تكون تلك المآثر كالزرع الجيد في قلوب القرّاء ليمجدوا الله في قديسيه ويستنهجوا سبلهُ الصالحة فزج كلَّ فصلٍ بمواعظ مؤثرة من شأنها ان تنير العقول وتهذب الاخلاق. وقد سُررنا برفع حضرته هذا الكتاب الى قداسة الحبر الاعظم فاجابهُ جواباً لطيفاً بواسطة كاتم اسرارهِ الكردينال مري دَلفال الذي طلب من الله ان يجازي حضرة الكاتب خيرًا ويعزّي قلبهُ برؤية كهنةٍ غيورين صالحين يحيون في حياتهم اعمال صاحب الترجمة القديس ل. ش

شَذَرَات

☙ انجيل ملكيّ سريانيّ ❧ كنا اشرنا الى هذا الانجيل المخطوط سابقًا في المشرق (٥ : ١٠٥-١٠٦) وهو من اوقاف كنيسة الروم الاورثذكس في الحيدثة قريباً من بكفيا واليوم قد أطلعنا عليهِ احد افاضل الطائفة جناب الياس افندي حسون فتمكنَّا من فحصهِ مليًّا. فرأينا ان نصفهُ وصفًا تامًّا لفائدة القرّاء. قياس هذا السفر الجليل ٣٢ سنتمترًا طولًا في عرض ١٨ س وهو مجلَّد بخشب وجلد الَّا انَّ تجليدهُ قد تلف فرغب الينا اصحابهُ بتجليدهِ من جديد على طرز جميل. وعدد صفحات الكتاب ٤٧٥ صفحة تحتوي كل صفحة ٢١ سطرًا وهو على عمودين (حقلين) في كل صفحة. وقد خُطَّ الكتاب على ورق قطني صفيق جدًّا يشبه الرقَّ بمتانتهِ. امَّا مضمونهُ فالاناجيل الطاهرة مقسَّمة على كلّ يوم من ايَّام السنة واعيادها المنتقلة والثابتة على حسب الطقس

اليوناني كالاناجيل المطبوعة في حلب وفي مار يوحنا الشوير. وهو مكتوب بحبر اسود الّا فصولهُ فانّها بالحبر الاحمر تزينها بعض النقوش الملوّنة. امّا قلمهُ فهو القلم المعروف بالقلم الملكيّ وهو الخطّ المتوسط بين الخطّ الكلداني والسريانيّ يشبه الخطّ السطرنجليّ. امّا لغتهُ فهي السريانيّة وهو منقول عن النسخة المعروفة بالبسيطة الشائعة في كلّ الكنائس السريانيّة. ومن مميّزاتهِ انّ في اوّلهِ قد صُوّر صليب بعارضتين منكوس الراس وفي عرض الصورة رسمُ ما ياتي:

ܒܟ ܢܒܘܪ ܠܒܥܠܕܒܒܝܢ. ܗܢܐ ܙܟܐ ܘܒܫܡܟ ܢܕܘܫ ܠܣܢܐܝܢ ܗܘܘ ܙܟܐ

اي «بك نغلب اعداءنا فهذا قد غلب. وباسمك ندوس مبغضينا فهو الغالب».
وليس في هذا الكتاب من اللغة العربية الّا بعض شروح تتخلّل الفصول لتعريف الازمنة المقدّسة والاناجيل المختصّة بها. امّا تاريخهُ فهو مكتوب في موضعين اوّلًا في الصفحة ٣٩٢ بالسريانيّة بحروف سطرنجيلية كبيرة ثمّ بالعربية

ܫܠܡ ܦܢܩܝܬܐ ܗܢܐ ܒܫܒܬܐ ܘܗܘܬ ܫܘܠܡܗ ܕܟܬܒܬܐ ܕܟܠܗ
ܫܢܬܐ ܡܢ ܚܕ ܒܫܒܐ ܕܦܨܚܐ ܥܕܡܐ ܠܥܐܠܬܗ ܕܝܘܡܐ ܕܟܡ
ܥܕܬܐ ܕܫܢܐ ܘܡܟܪܐ ܐܪܐ واناجيل ܕܡܫܡܠܬܐ ܟܠ ܕܡܪܐ ܟܗ
ܢܘܠܐ ܟܠ ܫܠܝܐ ܒܗܢܐ ܢܣܦ ܕܐܒܪ ܒܐܝܕ ܚܠܗ

يليهِ النص العربي:
كتبهُ العبد الخاطئ الحقير باسم قس يوسف بن سلامــه ابن بطرس حاج من قرية الكفور غفر الرب خطاياه وخطايا والديه وخطايا كل من يقرا ويترحم على كاتبهِ المسكين بشفاعة السيــدة ام النور وجميع القديسين امين

وثانيًا ورد التاريخ بالعربيّة في الصفحهِ ٤٧٣ هكذا:
كملت نساخة هذا الكتاب الشريف الانجيل المقدّس المسمّا كاتيمارون قرآة لذاتها يوم بعد يوم لجميع ايّام السنة اوّل ذلك من احد الفصح الى العنصرة من بشارة يحنا ومن العنصرة الى عيد الصليب من بشارة متّى ومن عيد الصليب الى المرفع من بشارة لوقا قرآآت مختصّات لكل يوم ويتبعها سبوت وحدود الصيام من بشارة مرقس وسبّة الآلام من الاربعة كذلك وبعدها اناجيل القيــامة الاحد عشر وبعدها المشاهرة افهم ذلك. فكان النجاز من كتبتهِ نهار الثلثا ثامن عشر يوم ثمانية(؟) من شهر اذار المبارك بتاريخ سنة سبعة الاف وخمسين للعــالم وسنة الف وثمانمائة اثنين عشرين سنة لاسكندر اليوناني وسنة الف وخمسمائة وعشرين سنة لتجسّد سيــدنا المسيح لهُ السجود.
كتبهُ العبد الحقير الخاطي المسكين باسم قسّ عشرة وستة وستين وثمانين (يريد «يوسف») بحساب

الجمل) ابن سلامه ابن بطرس حاج من قرية الكفور في جبل لبنـان غفر الربّ خطاياه وخطايا والديه وخطايا كلّ من يقرأ فيهِ ويترحم على كاتبهِ المسكين بشفاعة السيدة ام النور والقديس مار طومطيوس (دو.ط) والاربعة الانجيليين متى ومرقس ولوقا ويوحنا وعلى كافة الشهـداء والقديسين امين

اسأل انا الخاطي انّ كل من يقرأ في هذا الكتاب المبارك ويجد فيهِ زيادة او نقصـان يصلحهُ لانّ كل مخلوق ناقص وليس كامل غير الله لاني ضعيف كلّ شيءٌ لهُ الاخر غفر الله خطايا(نا) امين

وفي الصفحة ٤٧٤ صليب بالوان كالصليب المرسوم في اولهِ ببعض اختـلاف . وفي عرض الصورة هذه الالفاظ

ܒܗ ܢܚܐ ܠܟܠܗܘܢ ܥܡܡܐ ܢܗܘܐ ܠܥܠܡ

وتحت الصورة ما نصهُ بخطّ احدث :

هذا الانجيل المبارك وقف على كنيسة الحيدثة في عاملة بيروت وهو من رزقها فكل من غيّره من مكانهِ بسبب بيع او رهنيَّة يكون محروم من مجد الله ومن ملايكة القديسين . وتكون السيـدة خصمهُ يوم القيامة

وفي اخرهِ بخط آخر :

(كُتب هذا الكتاب) بتاريخ سنة سبعة الاف ومائة (من عشر الاف ؟) للعالم (اعتنى) في هذا الانجيل الشريف المبارك اقلّ عبيد الله واحقرهم اسم بلا فعل باسم عطاالله بن عون المعلوف من قرية الحيدثة وهو (يطلب) ممن يقرا يدعي لهُ بالمغفرة وكون لهُ تقـدير ذلك من الواعد الصادق لمرسو (؟) وحضر هذه الاسطر الاب الخير الخائف من الله العامل بوصاياه باسم خوري اسحاق ونسأل الله ان يرحمنا بصلاة يوسف

وفي هذا الوصف كفاية لتعريف هذا الاثر الجليل

— أثر نفيس — كتب المسيو ديفرجه (Ch. Desvergers) من رومية في تاريخ ٢٦ شباط المنصرم الى جريدة الاونيفير انّ الاثريّ الايطاليّ الشهير السينيور بالريني اكتشف آخرًا كتابة نصرانيَّة ذات شأن عظيم وهي على صفيحـة من الرخام الاسود مكتوبة باليونانية بخطّ شبيه بالخطوط الراقية الى القرن الاوّل بعـد المسيح . وهذا تعريبها :

Ἐνθάδε αὐτοῦ ὁ μακάριος Πέτρος ἡμῖν τοῖς ἐκλεκτοῖς τὰ παραπτώματα τὰ ἐξωμολογημένα ἤφίει

هذا تعريبها : « هُنا كان الطوباوي بطرس يغفر لنا المختارين خطايانا التي كنّا نقرّ

بها » . فان صحّ الخبر كان هذا الأثر من اجل الآثار واعظمها شأناً وسنعود الى ذكرهِ عندما تزيدنا المجلات العلميَّة ايضاحاً

تآليف مجهولة للتولوي كتب الينا حضرة القس جرجس منش ما نصُّهُ : « رويتُ في ترجمة الفيلسوف الخوري بطرس التولوي ما أطّلعت عليهِ من آثارهِ الادبيَّة في جدول مسهب (في المشرق ٦ : ٧٣٥) فاستطيبهُ سيادة فقيد الدين والدنيا يوسف الدبس مطران بيروت فرواهُ في كتابهِ تاريخ سوريا (مج ٨ ص٥٥٣) . على انهُ قد فاتني اذ ذاك ما اسعدني الحظ ان اقف عليه الان من تآليفهِ المجهولة وهي الكتب الآتية : ١ً النهج القويم لبغية النعيم وهو رسالة مختصرة في الكمال الروحاني . ٢ً كتاب الايساغوجي وهو غير كتابهِ المعنون بالمنطق الكبير في جزئين . ٣ً ميامرهُ العربيَّة ولم اتحقق منها سوى الميمر المثبت في كتاب الحاش . ٤ً رسالة في القضايا التي يدعي بها الروم على اللاتين سألهُ عنها الروم سنة ١٦٩٧ فاجاب عليها ولكن بايجاز وفي مكتبتي منها نسخة ناقصة من خط تلميذهِ (يوسف سعد الحلبي الماروني) ويسأل الله في آخرها « ان يديم حياتهُ (اي التولوي) على علومهِ التي نوَّرة (كذا) البلاد الشرقية وردَّة (كذا) الشعب الى طاعت (كذا) الكنيسة الارثودكسية » اه بلفظهِ . هذا ولا شك في ان للتولوي تآليف اخرى تكتنفها ظلمات الخفاء ملقاة في زوايا الاهمال وكلها يحمل الادباء ان يستمطروا على ثرى هذا النابغة وابل الرحمة والرضوان »

كتاب مخطوط مصوَّر أطلعنا حضرة الخوري نيقولا كرم الروميّ الملكي الكاثوليكيّ في صور على كتاب مخطوط مصوَّر يُحفظ في مطرانخانة طائفتهِ . وهذا الكتاب طولهُ ٣١ سنتمترًا في عرض ١١ س تبلغ صفحاتهُ ٢٣٦ صفحة وفي الصفحة ١٧ سطرًا . وهو مجلَّد تجليدًا شرقيًا احمر بنقوش ومكتوب على ورق صفيق مصقول . امَّا تاريخ الكتاب فناقص او بالحري قد قصَّتهُ يدٌ مجهولة . على انَّ جنس الورق والخطّ والحبر يسمح بترقيتهِ الى اواخر القرن السابع عشر . ومن المحتمل انهُ من الكتب التي استنسخها الطيّب الذكر افتيموس صيفي مطران صور لكنيستهِ وكان مغرماً بالكتب المحكمة الكتابة . اما موضوع الكتاب فهو يحتوي ليتورجيَّات القديسين الثلثة الاقمار اي القديسين يوحنا فم الذهب وباسيليوس وغريغوريوس مكتوبة على حقلين باليونانيّة والعربيَّة بخط جميل مُشرق وبحبر ملوَّن اسود واحمر واخضر ومذهَّب . وفي

مقدّمة الفصول حروف يونانية ذات اقدار والوان مختلفة فمنها حروف متوسطة ذهبيّـة ومنها حروف كبيرة على نحو ربع الصفحة بالوان زاهية وتصاوير جميلة في تقاطيعها رموز من الحيوانات كالتنين والحيّات والعنقاء والحمام والطيور وبعض التصاوير التقويّة كصور السيّد المسيح والرسل والملائكة والاسرار. وفي الكتاب ما خلا ذلك صور أُخرى اكبر من السابقة وملوّنة مثلها بالوان بديعة بينها صور اعمال المخلّص والعـذراء الطاهرة وبعض اولياء الله من الرسل وغيرهم. ولا نعلم من امر مصوّر هـذه الصور شيئًا وقد جاء فقط في اخر صفحة من الكتاب في نهاية الحقل العربيّ انهُ كُتب «بيد يواصاف» وفي ختام الحقل اليوناني باليونانيَّة «بيد دانيال» ومن المحتمل انَّ احدهمـا صوَّر التصاوير السابق ذكرها

كتابة يونانيَّة مكتشفة في قورش — قورش هي المدينـة التي ورد ذكرها في سيرة القديس مارون الناسك. ومن اساقفتها الشهيرين تاودوريطوس الكاتب في القرن الخامس. وممَّا وُجد آخرًا هناك من الآثار كتابة يونانية نشرها العلاَّمة كومون (F. Cumont) في نشرة جمعيَّة باريس العلميَّة في الكتابات والفنون سنة ١٩٠٧ (ص ٤٤٧—٤٥٧) وهذه الكتابة على عمود كان بازاء كنيسة القديس ديونيسيوس وفحواها «ان الامبراطور انستاس قد منح كنيسة القديس ديونيسيوس هذا الانعام بان تكون ملجأ للهاربين دون ان يصابوا فيها بأذى». وقد ظنَّ العلاَّمة «كومون» انَّ ديونيسيوس المذكور هو القديس ديونيسيوس احد اعضاء مجلس اثينة الذي نصَّرهُ القديس بولس. لكن الاب اليسوعي ديليهاي (H. Delehaye) من جمـاعة البولنديين يرجّح انهُ شهيدٌ بهذا الاسم كان مكرَّمًا في قورش وضواحيهـا ورد ذكرهُ في كتاب التاريخ الرهبـاني لتاودوريطس

اسئلة واجوبة

س سأل جناب الاديب اليا بارودي: ١ً كيف تفسّرون اعتقادكم في استحالة الخبز الى جسد المسيح وهل تحصل الاستحالة قبل او بعد اكل الخبز ٢ً هل تعتقدون انَّ كل قطعة من الخبز تؤكل هي كناية من جسد المسيح ٣ً ما رأيكم في الذين يعتقدون انَّ اكل الخبز وشرب الخمر هو اشارة الى الاشتراك بالمسيح روحيًا لا ملانية

استحالة الخبز الى جسد السيّد المسيح

ج نجيب على (الاوّل) انّنا نفسر اعتقادنا كما فسّرتهُ الكنيسة الكاثوليكيّة منذ ١٩ جيلًا والبراهين على تواتر تعليمها لا تُحصى فنقول انّ الاستحالة تتمّ عند تلاوة الكاهن لكلام الربّ القائل « هذا هو جسدي هذا هو دمي » وذلك بامرٍ منهُ تعالى حيث قال لتلاميذهِ : « اصنعوا ذلك لذكري » . نجيب على (الثاني) انّ جسد ودم السيد المسيح في كل قطعة مهما كانت صغيرة فهو فيها بتمامهِ كما هو في القطعة الكبرى دون اختلاف البتة . وهكذا صنع الربُّ نفسهُ لما اخذ الخبز والخمر وباركهما وامر تلاميذهُ ان يقتسموهما بينهم فالاقتسام لم يفقدهما شيئًا من جوهرهما . نجيب على (الثالث) انّ رأي القائلين بأنّ اكل الخبز وشرب الخمر هما اشارة الاشتراك مع المسيح روحيًا ليس بكافٍ وحدهُ لتعليل كلام السيد المسيح ما لم يُقَلْ انّ الخبز والخمر يحتويان جسد ودم ابن الله وانّ المتقرّب يأكل حقيقة جسد ابن الله ويشرب دمهُ كما يستدلُّ من منطوق كلام الربّ « كلوا هذا هو جسدي . اشربوا هذا هو دمي » وكما صرَّح بهِ القديس بولس الرسول وجميع الاباء منذ اوّل النصرانيّة ومعتقد كل الكنائس شرقًا وغربًا فضلًا عن جميع الآثار القديمة (المشرق ٤ : ٦٧٣)

س وسأل احد ادباء المسلمين ما رأينا في بعض الكتب المشار اليها في التوراة كحروب الايّام (العدد ٢١ : ١٤) وسفر المستقيم (يشوع ١٠ : ١٣) وسفر اخبار سليمان (٣ ملوك ١١ : ١٤) وسفر اخبار ايّام الملك داود (سفر الايّام الاوّل ٢٧ : ٢٤) وهل بقي شيءٌ من تلك الاسفار وكيف فُقدت وهل يعرف العلماء شيئًا ممّا كانت تحتويه

اسفار مفقودة من العهد القديم

ج نجيب على هذا السؤال انّ الكتب المذكورة هنا وغيرها ايضًا ممّا اشار اليهِ كتبة الاسفار المقدّسة كاخبار ملوك يهوذا واخبار ملوك اسرائيل (٣ ملوك ١٤ : ١٩ — ٢٠) وكلام ناثان ونبوّة احيا الشيلوني ورؤى يَعدُو الرآءي (اخبار الأيّام الثاني (٩ : ٢٩) قد فُقدت تمامًا ولا يُعرَف من امرها غير اسمائها المذكورة في التوراة . امّا محتويات تلك الاسفار فالغالب على ظنّ علماء الدين انّها كانت تحتوي كثيرًا من الاخبار التي في الاسفار الالهيّة فلمّا رأى اليهود انّ زبدتها في كتبهم القانونية اهملوا نسخها حتى فُقدت بتوالي الازمنة . ولا يتّفق العلماء في تعريف علاقتها مع الوحي وهل كانت من الاسفار المنزلة ام لا والمرجّح انّ البعض منها فقط كان موحى بهِ كنبوّة احيًا ل . ش

المشرق

العلوم في السنة ١٩٠٧

للاب اندراوس روشه اليسوعي

العلوم في ترقٍّ مستديم بهمّة ارباب المعارف وتقرُّب اسباب البحث واتساع دوائر الاعمال وتوفُّر المجلات العلميَّة فلا يسعنا الَّا ان نشير الى بعض ما يهمُّ منها قرّاءنا الكرام ليكون عندهم المام بالاكتشافات الجديدة والاختراعات المستحدثة التي اغنت عالم العلم في العام المنصرم

١ علم الهيئة

(كسوف الشمس) حدثت في العام الماضي ظواهر جوّيَّة معتبرة اهمُّها كسوف الشمس التام الذي وقع في ١٤ كانون الثاني رصدهُ الفلكيون في العجم واواسط آسية واثبتوا مفاعيل الكسوف المختلفة في النبات والحيوان والانسان وتحققوا عدّة مسائل كيماويَّة وطبيعيَّة كالنور والحرارة والكهرباء كما انهم رقبوا القمر والاجرام المجاورة للشمس ورسموا لهذا الحادث عدَّة رسوم فوتوغرافيَّة مكَّنتهم من درس النيّرَين العظيمين اللذين تحيا بهما ارضنا

(عطارد) ومن المظاهر الفلكيَّة المهمّة التي كان يترقبها ارباب الفلك مرور السيَّارة عطارد على الشمس في ١٤ تشرين الثاني وهو مظهر نادر يصعب تعيين وقته بدقّة لعظم ميل عطارد على منطقة البروج . وكان مرور هذه السيَّارة بازاء الشمس قبل هذه السنة بستَّة وعشرين عاماً اعني سنة ١٨٨١ وهو لا يعود ثانية الَّا في السنة ١٩١٤ ثم في السنة ١٩٢٤ . وعطارد كما لا يخفى اقرب السيَّارات الى الشمس يصدُّنا النور الشمسي عن نظرها بالعين المجرَّدة الَّا في بعض ايَّام السنة عند طلوع الشمس وغروبها قريباً من الافق . وبرصد عطارد في ابَّان مرورها امام الشمس قد اتَّصل الفلكيّ الفرنسوي

الشهير لوفاريه (Le Verrier) الى اكتشاف عظيم وبيَّن سبب عدم انتظام حركاتها الفلكيَّة فاثبت انَّ لعطارد سرعةً اعظم عند اقترابهِ الجيليّ من الشمس . ومما استفادوهُ من رصد عطارد آخرًا انَّهم تبيَّنوا اموراً كانوا في ريبٍ منها سابقًا اخصُّها ما رصدهُ الخوري مورو (Th. Moreux) في مرصد بورج اعني دائرةً منيرة تُحدق بالسيَّارة ثم نقطةً ساطعة النور في وسطها يزعم البعض انَّها بركان نار في جرم السيَّارة

ومَّما كثر فيهِ القال والقيل مسألة تُرَع المريخ . وقد بيَّن المشرق سابقًا (٤ : ١٧٣ — ١٧٩) ما لهذه السيَّارة من الخواص الشبيهة بارضنا من حيث منظرها وحالاتها وظواهرها ومما استلفت اليهِ الانظار احد كبار الفلكيين المسيو سكياپارلي الايطاليّ ما دعاهُ بقِني المرِّيخ او تُرَعهِ وكان المذكور رآها تمتدُّ على مسافات بعيدة وتبلغ الى احواض شبيهة بالبحار . وبقي العلماء مرتابين في امرها وربَّما نسبها البعض الى الوهم والمخيلة . وكان غيرهم يرونها على اشكال مختلفة منها مفردة ومنها مزدوجة ولا يعرفون تعليل كلّ ذلك . ففي تموز من السنة المنصرمة لمَّا حصلت مقابلة مرِّيخ الاخيرة والسيَّارة اذ ذاك في اوفق احوالها للرصد كان الاستاذ لوِّل اعدَّ بعثةً علميَّة من الفلكيين في الولايات المتحدة فسار بصحبتها الى جبال أند شماليّ بلاد شيلي فرصدوا المرِّيخ في مقابلتهِ للشمس واخذوا منه الوفاً من الرسوم التصويريَّة بالفوتوغراف وتأكدوا وجود تلك الترع المشبوهة وتحقَّقوا اختلاف صورها وانَّ تلك الترع مسايل لمياه عرمرميَّة تجري فيها عند ذوبان الثلوج . الَّا انَّ الدكتور لوِّل قد بالغ في القول اذ زعم بأنَّ تلك الترع من الاعمال الصناعيَّة وانَّ صانعيها سكَّان المريخ فانَّ المظاهر الطبيعيَّة وقوَّة المياه كافية لتعليل تلك الترع دون القول بعمل صناعي البتة . وغاية ما يمكننا قولهُ عن الحياة في المريخ انَّها ممكنة لبشر مثل بني آدم يجدون فيها لوازم المعاش الجوهريَّة من هواء وماء ومعادن وإنْ وُجدت ايضاً بين سيَّارتنا والمرِّيخ عدَّة اختلافات تجعل فيها حياة الحيوان عموماً والانسان خصوصاً كثيرة الاوجاع (اطلب المشرق ٤ : ١٧٧ — ١٧٩)

(مذنَّب دانيال) زارنا هذا المذنَّب في الصيف الماضي وكان اوَّل من رآهُ الاستاذ الاميركيّ دانيال في مدرسة برنستن في العشر الاوَّل من حزيران فدُعي باسمهِ . ثمَّ تقرَّب من كرتنا حتى رؤي بالعين المجرَّدة وقد رأيناهُ في بيروت مدَّة نحو شهرين كان يلوح مع ذنبهِ البهي شرقًا قبل طلوع الشمس نحو ساعتين (المشرق ١٠ : ٨١٥) .

وقد ظهر غير هذا النجم ثلاث مذنّبات اخرى لكنها اصغر منهُ وادقّ فلم يلحظها سوى ارباب الفلك وقد اشتهر برصدها العلّامة الايطاليّ جياكوبيني

(موت الفلكي جانسن) ممن فُجع بهم علم الفلك في هذا العام بيار جانسن الفرنسويّ توفي في باريس في كانون الاوّل وعمرهُ ٨٣ سنة بعد ان قضى في خدمة العلم نحو خمسين سنة من حياتهِ وقد اشتهر خصوصاً باكتشافاتهِ الطَّيفيَّة . فرصد الشمس وعرَّف كثيرًا من احوالها وخصوصاً تركيب غازاتها المتفجرة منها ومعادنها وعناصرها المختلفة . وبمساعيهِ أُنشئ سنة ١٨٩٣ مرصد الجبل الابيض في سويسرة على علو ٤٢١٠ امتار . وهو كذلك اوّل من صعد الجوّ في المراكب الهوائيَّة لرصد الافلاك عموماً والشمس خصوصاً . وما كان يحدث كسوف شمس في بلد الّا تعهد اليهِ الحكومة بان يرصدهُ باسم الدولة الفرنسويَّة

وقد خسرت العلوم الفلكيَّة انيسةً انكليزيَّة تُدعى اغنس كلارك اشتهرت في انكلترة بتآليفها العديدة في النجوم والفلكيَّات اخصُّها تاريخ علم الفلك ثم العلوم الفلكيَّة في القرن التاسع عشر . واشتغلت كالعلّامة جانسن بالتحليل الطيفي والسبكتروسكوب لتعريف المركبات الكيماويَّة والطبيعيَّة واحسنت في بيان تلك الحقائق وتنظيمها واثبات علائقها . كانت وفاتها في ٢٠ كانون الاوّل

٢ الطبيعيَّات

(التلغراف) الالة التلغرافيَّة الشائعة لتدوين الانباء البرقيَّة هي آلة مورس وهي تبلغ لمسافة بعيدة ٤٠٠ كلمة في الساعة . وقد اخترع عالمان افرنسيَّان اسمهما پولاك وڤيراغ (Pollak-Virag) آلة سريعة النقل يمكنها ان تدوّن في الساعة امّا خطاً وامّا طبعاً نحو ٥٠,٠٠٠ كلمة . وهذه الالة تنقل الصوت من الباعث الى القابل فتدوّنهُ رأساً بسرعة غريبة

(التصوير التلغرافي) قد سعى الطبيعيون منذ زمن طويل بان ينقلوا الصور الى امكنة سحيقة كما ينقلون الاخبار باهتزازات كهربائيَّة يصطلحون على معانيها . لكنَّهم لم يبلغوا الغاية تماماً الّا في السنة المنصرمة . وقد اصاب المرمى في ذلك عالمان المانيّ وفرنسويّ في وقت واحد مع بعض اختلاف في الطريقة امّا الالمانيّ فهو الدكتور كورن

(Korn) احد اساتذة كليَّة مونيخ في باڤارية فانهُ تمكَّن من رسم الصورة الفوتغرافيَّة ونقلها الى مسافة بعيدة وفي زمن قليل فيرسم صورة الشخص في نحو عشر دقائق فقط وبنوعٍ جليّ واضح وقد جاء الدكتور كورن الى باريس فاجرى اختبارات عديدة في بعض نواديها العلميَّة حضرها نخبة الادباء والاعيان ودامت اسبوعًا كاملًا

امَّا اختراعهُ فهو مبني على الخواصّ الطبيعيَّة التي يمتاز بها عنصر السيلينيوم ولاسيما تأثير الكهربائيَّة فيهِ بفعل النور فانَّ المجرى الكهربائي تختلف فيهِ سرعتهُ على اختلاف نورهِ فيزيد سرعةً على قدر ما يزداد نوره. وآلة التصوير تتركب من قسمين باعث وقابل فالباعث يتألف من اسطوانة زجاجيَّة تُجعل عليها جُليدة مصوَّرة تصويرًا ايجابيًا ثمَّ تُدار بفعل الكهرباء في غرفة سوداء كالغرف الفوتغرافيَّة الَّا انَّها تمرُّ في دورانها بازاء كوَّة تنير الصورة فتبعث نورها من الزجاجة الى موشور والموشور يميل بتلك الصورة ويعكسها الى صفيحة من السيلنيوم في اسفل الغرفة السوداء فتُرسَم عليها الصورة بواسطة سلك كهربائي رسومًا مختلفة على اختلاف النور الذي اثار اقسامها الغامقة او الفاتحة. امَّا الآلة القابلة فتقرب من الالة الباعثة فانَّ لها غرفة سوداء في وسطها اسطوانة. ولعدسيَّتها ميزان كهربائي يُقاس بهِ مقدار ما يأتيها من النور اللازم لرسم الصورة على صفيحة ثانية من السيلينيوم فاذا جرى المجرى الكهربائيّ في الباعث نقلهُ سالك ممدود منهُ الى القابل يكرّر في القابل كلّ ما حدث في الباعث. ولا بدَّ من توافق حركات الباعث والقابل في وقت واحد ولذلك جهاز خصوصي فاذا انتهى العمل رأيت صورة القابل تشبهُ شبهًا تامًا صورة الباعث على صفيحة السيلينيوم كأنَّها هي

امَّا الآلة الفرنسويَّة فقد اخترعها المسيو ادوار بلين (E. Belin) وهي ايضًا تصوّر الصورة بواسطة عنصر السيلينيوم. الَّا انَّ اصفيحة السيلينيوم هيئة أُخرى فهي مقسَّمة الى ١٨٠ قسمًا مستقلًا لا يؤثر القسم الواحد الَّا في القسم المجاور لهُ والمسيو بلين يصور المنظورات الطبيعيَّة والاشخاص رأسًا ولا يحتاج الى صورة سابقة كما يفعل المسيو كورن. فاذا اراد رسم صورة شخص على بُعدٍ ما من بلد الى بلد جعل الباعث في بيروت مثلًا والقابل في الاسكندريَّة فيقيم الصورة او الشخص الذي يريد تصويره بازاء الباعث ثمَّ يدير الالة فترسم في موشورها صورة الشخص وتجتاز من الموشور الى الصفيحة المقسَّمة فتنطبع اقسامها على صفيحة السيلينيوم مختلفةً على اختلاف النور المنبعث من صورة

الشخص ومن كل جزء من اجزائها . ثمَّ ينتقل المجرى الكهربائي الى القابل فيولّد هناك في ملفَّة مجرًى ثانويًّا يجرى الى صفيحتين مجهزتين بروءوس مسنَّنة قائمة الواحدة بازاء الاخرى وبين الصفيحتين طلحيَّة من الورق فاذا جرى المجرى الى الصفيحة الأُولى نفذت روءوسها في الورقة فثقبتها ثقبًا خفيفًا وكذلك الصفيحة الثانية . والخروق المذكورة هي تقاطيع الصورة الاصليَّة التي ترتسم في الورقة كما تُحفر على الزنك او على الخشب . فاذا كان النور بليغًا كان الثقب اعظم واذا كان خفيفًا كان الثقب ادقّ . ويمكن تنوير تلك الورقة المثقوبة بحيث تظهر صورتها تمامًا وتُرسم على ورق حسَّاس . وقد دعا المسيو كورن آلتهُ تليفوتغراف اي الراسم عن بُعد والمسيو بلين تليغرافوسكوب اي المبيّن للصور البعيدة وكلاهما من عجائب الاكتشافات العصريَّة فتسمح للاحباب ان يتمتَّعوا في ايّ ساعة ارادوا بصورة بعضهم مهما بعدت بينهم المسافة

(التلغراف الاثيري) انَّ ترقي هذا الاكتشاف يزداد يومًا بعد يوم وممَّا ثبت الان لارباب الطبيعة انَّ قوَّة التموجات الكهربائيَّة في بُعد انتشارها تناسب اولًا قوَّة الالة الباعثة اي المحرّك الكهربائي وثانيًا ارتفاع السواري التي تنبعث منها الكهربائيَّة في الجوّ . وكانت الغاية التي تبلغ اليها قوَّة هذا التلغراف لا تتجاوز في السنين الماضية الفي كيلومتر واليوم تبلغ الى اربعة آلاف كيلومتر بنيّف . وقد جهَّز المسيو مركوني في ارلندة معامل محرّكة للكهرباء ذات قوَّة عجيبة ترتفع في سوارٍ شاهقة تبلغ سبعين مترًا ثمَّ تنتشر في الفضاء فتبلغ سواحل كندا . وقد أُنشئت الان محطَّات تلغرافيَّة بلا سلك لمنفعة العموم تكلّف أُجرة الكلمة ٥٠ سنتيمًا . ولفرنسة منفعة كبيرة في برج أيفل يمكنها اذا شاءت ان تخابر كل سواحل البحر المتوسط وقسمًا من مستعمراتها الافريقيَّة كما فعلت موءخرًا في الحرب المرّاكشية

(التليفون الاثيري) كما نقلوا بواسطة الكهرباء العلامات والحركات الى أبعاد شاسعة كذلك يكدُّ اليوم العلماء اذهانهم لينقلوا الصوت البشري دون وسيط الى امكنة بعيدة . فالاختبارات جارية مجراها في بلاد شتى ولا بُدَّ لذوي العزم ان يفوزوا بمرغوبهم ويسترقوا من الطبيعة هذا السرّ ايضًا . وممن يحقُّ لهم الثناء في ذلك للسيو دي فورست (de Forest) الاميركيّ الذي اخترع آلات تنقل الصوت الى مسافة نحو ١٥ كيلومترًا . ولهذه الالة ايضًا باعث وقابل . فالباعث عبارة عن آلة ميكروفون عليها جُلَيْدة

تتحرَّك بحركة صوت المتكلم فتتولد بحركاتها اهتزازات تقوى بقوس پولسن (Poulsen) الكهربائيّ ثمَّ تندفع من سارية عالية الى الجوّ وتنتشر حتى تبلغ الى القابل فيسمعها من آلة شبيهة بالباعث. ولا بدَّ من دوزان للآلتين لئلا يسترق الاجانب الاصوات المرسلة

ومن عجائب الاختراعات التلغرافيَّة ما اكتشفهُ المسيو د. جونس (M. A. D. Jones) في الولايات المتحدة فقد اخترع آلة تمكّن قواطر السكة الحديدية في طريقها من مخابرة المحطات البعيدة منها. فانهُ يعمد الى مجرى من بخار آلة السكة الحديدية فيجيزهُ في خزانة اودعها بعض المواد الكيموِيَّة التي تكهربها ثمَّ يرسلها على اسلاك التلغراف التي في طريقها فتصبح قابلةً للانباء التليفونيَّة فيخابر عمَّال المحطات التلغرافيَّة بواسطة التليفون متى شاء

(المراكب الجويّة) أصبح الهواء ميداناً تتجارى فيهِ طيور من الجماد تطير بلا اجنحة وتكافح كلَّ انواء الجوّ حتى كادت تمدُّ سيطرتها على ممالك لم تألفها سابقًا غير النسور وجوارح الطير. وقد تراءت كلُّ الدول تتبارى في هذا الميدان وتتسابق لئلَّا يأتيها حتفها من علٍ فيخيّم فوقها ملاك الموت في حرب مستقبلة وهي لا تستطيع أن تدفع عنها العدوّ بسلاح يردعهُ او بسور يقيها من هجماتهِ. وقد سعت المانية في ذلك المساعي المتواترة فكادت مساعيها تصيب الهدف في السنة المنصرمة على يد تزاپلين(Zepplin) وپرسڤال (Von Parseval) فالاوَّل جعل مركبتهُ على شكل اسطوانيّ ينتهي طرفاها على شكل بيضويّ وطول هذه المركبة ١٢٨ مترًا وحجمها ١٤,٣٠٠ متر مكعَّب. وفي باطن المركبة ١٦ خزانة تشتمل كل خزانة على بالون صغير يُنفخ بغاز الهدروجين وتحت المركبة جهاز كبير طولهُ ٥٦ مترًا على طرفيهِ مركبتان فيهما محركان بخاريان تساوي قوَّة كل محرك ٨٥ حصاناً وهما يحركان رفَّاسين بسرعة ٨٠٠ دورة في الدقيقة. قيل انَّ هذه المركبة تقطع ١٣ مترًا في الثانية — . امَّا الثاني وهو الماجور فون پرسڤال من ضبَّاط بافارية فقد اصطنع بالونًا من الحرير المدهون وفي طرفيهِ كُرتان منتفختان تصعدان او تهبطان على قدر انتفاخهما . وحتى الآن لم يُعرف تامًا سرّ تحريكهِ . ويشك البعض في موافقتهِ للحرب. وقد جهَّز آخرًا الماجور گروس (Gross) مركبًا آخر جعلهُ على هيئة اسطوانة تنتهي بنصف كرتين في كل طرف من طرفيهِ نصف كرة ويسهل

تفريغ غازه بسرعة فيُنقل على العجلات الى حيث يشاء صاحبهُ وطول هذا البالون ٤٠ مترًا وقطرهُ ١٢ مترًا . لكنَّ العلماء لا يرون هـذه المراكب الالمانية تستوفي كل الشروط اللازمة لخوض المساحات الجويّة

ولم تشاء ايطالية ان تتأخر في هذه الحلبة المائعة فان الكونت ألماريكو دا شيو اخترع ايضاً بالونًا على شكل المغزل طولهُ ٣٩ مترًا تتوازن حركاتهُ في الجوّ باناء كالحوض يتقلّص ويمتدّ على اختلاف درجات الحرارة والضغط وهو مصنوع بالكاوتشوك . وقد جهَّز آلتهُ بادوات مختلفة منها مسطَّحان يرتفع بهما او ينحدر الى اسفل

وقد ذكرت الجرائد انَّ الانكليز ايضاً فازوا بالمقصود وانهم وضعوا لهم مركبة جويّة يحسن تجهيزها للحرب . لكنَّ الامر لا يزال سرًّا دفينًا

ومما لا ينكر انَّ الفرنسويين حتى اليوم في مقدَّمة كل المجارين لهم فان مركبتي الكنت دي لاڤو (de la Vaux) وليبودي اي مدينة باريس ولاپتري تقطعان في الجوّ المسافات البعيدة وتجريان على طوع ارادة صاحبيهما تصعيدًا وتصويباً رغمًا عمَّا يحول دونها من الموانع ولذلك قد عوَّلت الحكومة الفرنسوية على اتخاذ هذه المراكب لاسيما بالون ليبودي لحروبها وامرت بأن يُصطنع مثلهُ عشرون بالونًا لتُجعل في بعض معاقل فرنسة

ومع هذه التحسُّنات في المراكب الجويَّة ترى بعض ذوي الحزم كسانتوس دومون وديلاغرانج وبلاريو ودوغاي يتزاحمون في اكتشاف ادوات المناسبة للطيران . فلا تكاد ترى عددًا من المجلّات العلميَّة خالياً من وصف بعض الآلات الجديدة لذلك . وقد زاد نشاط المكتشفين بجوائز ثمينة وضعها اهل المروّة لمن يقطع اشواطاً معلومة فعمَّا قليل ستفيدنا الانباء اسماء الذين استحقُّوا تلك الجوائز

ومما ينوط بالمناطيد المقيَّدة انَّ واحدًا منها بلغ في السنة الماضية من الارتفـاع في العلوّ ما لم يُسبق اليهِ . وهذا البالون كانت اطلقتهُ جمعيَّة بلجكيَّة من مرصد اوسال قريباً من بروكسل فبلغ بعد ٥٥ دقيقةً علوّ ٢٥,٩٨٩ مترًا وكان مجهَّزًا بالآلات الرصديَّة التي دوَّنت احوال الجوّ بدقة . ولم يبلغ قبل ذلك منطاد اخر مثـل هذا العلوّ . وكان السباق قبلهُ لمنطاد ايطالي أُطلق من مدينة پاڤي فصعد الى علوّ ٢٣,٨٩٠ مترًا . وكذلك في هذه السنة ايضاً قطع احد البالونات في السرعة مسافةً لم يبلغها غيره سابقًا فانَّهُ اجتاز من باريس الى بلاد فنلاند في ٢٠ ساعة فقطع ١٩٥٠ كيلومترًا اعني نحو مئة ك . في الساعة

ونختم هذا الفصل بذكر وفاة احد مشاهير علماء الطبيعة وليم طومسن الذي عُرف باسم اللورد كلفن الانكليزي الذي اشتهر باكتشافاتهِ العلميّة فانهُ توفي في كانون الاوَّل وعمرهُ ٨٤ سنة خصَّ معظمها بخدمة العلوم فاحرز لهُ فيها اسماً طيباً. لاسيما في الابحاث الكهربائيَّة. ومن فضلهِ انهُ مدَّ الاسلاك الكهربائيَّة بين اوربَّة واميركة ومهَّد كل العقبات التي تحول دون ذلك فاكتشف آلة تدوّن من تلقاء نفسها كلَّ العلامات الكهربائيَّة (siphon-recorder) وحسَّن الحكَّ البحريَّ (la boussole) فثبَّت حركة ابرتهِ ثمَّ ابدل الابرة الوحيدة بإبر متعدّدة قصيرة متساوية المغناطيسيَّة. ومن اكتشافاتهِ ايضاً آلة عجيبة لتعريف ساعات المدّ والجزر في البحار الشماليَّة. واشتهر بابحاثهِ في تحويل قوَّة الحرارة الميكانيكيَّة وبيَّن انَّ الحرارة احدى هيئآت الحركة كما انهُ اثبت كيف يمكن نقل الحرارة الى الكهربائية وما بين الحرارة والكهرباء من العلائق الوثيقة. وقد عُني ايضاً بدرس تركيب الاجساد وتعريف عناصرها الهيوليَّة الّا انَّ رأيهُ في ذلك لم يُصب الحظوى لدى العلماء وقد عدل هو عنهُ في آخر حياتهِ

٣ الكيميا

(الهواء السيَّال) منذ تمكَّن الطبيعيون من تحويل الهواء الى جسم مائع سيَّال لا يزال الكيمويُّون يبحثون عن خواصهِ ومفاعيلهِ. فممَّا اكتشفوه بالتجربة عزل الهواء السيَّال للكهرباء وضعفهُ عن نقلها وتلك خاصيَّة يمكن الانتفاع بها في عدَّة امور اقتصاديَّة. فان وضعت مثلًا الادوات المولّدة او الناقلة للكهرباء في آنية محاطة بالهواء السيَّال بقيت الكهرباء في قوَّتها لا تفقد قسماً من مفعولها بالتشعشع والحرارة المحيطة بها — وممَّا اتخذوا لهُ الهواء السيَّال اقتلاع الحجارة في مقالعها والفحم الحجريّ في مناجمهِ فجعلوا يثقبون الثقوب في الحجارة وبدلًا من نسفها بالبارود يصبُّون الهواء السيَّال فاذا حمي بعد زمن قليل في الثقوب تمدَّد ونسف ما حولهُ من الصخور وغيرها كما يفعل البارود وهم يفضلونه لانهُ لا يتَّقد كالبارود ولهُ فعل منتظم في اللغوم

كما فقدت الطبيعيَّات بموت اللورد كلفن احد ائمتها كذلك رُزئت الكيميا في العام الماضي باحد رجالها المبرزين نريد العلامة مرسلين برتلو (M. Berthelot) والحقُّ يقال انَّ هذا الرجل العظيم بلَّغ العلوم الكيمويَّة اقصى درجات عظمتها بعد منشئيها الاولين

لافوازيار (Lavoisier) ودوماس (Dumas) فهؤلاء العلماء الفرنسويين الثلاثة خطت الكيميا خطوات جبّارية فانّ الاول جعل الكيميا علماً مجرّداً عن خرافاتهِ القديمة منظَّماً مبنيًّا على قوانين راهنة مثبتاً لتركيب الاجسام بواسطة التحليل القانوني . ثمَّ قام بعدهُ دوماس فبيَّن انَّ هذه المركبات يمكن استبدال بعض عناصرها بغيرها ووضع مركَّبات اخرى جماديَّة مثلها . امَّا برتلو فجرى الى غاية ابعد منهما فلم يكتفِ بالتحليل والاستبدال بل درس العناصر البسيطة وركَّبها تركيباً مبتكراً فحصل على اجسام جديدة ذات خواصّ عجيبة وركَّب عدَّة مركبات آليَّة ما كان العلماء ليظنُّوا انَّها تُركَّب دون مبدإ الحياة فركَّب البنزين والكافور والحامض الاوكساليك والاسيتيلين . ووضع علماً جديداً يُدعى الترموكيميا بيَّن فيهِ تحوُّلات الحرارة بالافعال الكيمويَّة ادَّت بهِ الى اكتشافات عظيمة لاسيما تركيب الاجسام المتفجرة بل لم يدع فرعاً من فروع الكيميا دون ان يغنيهُ بعدَّة اكتشافات ولا تكاد اليوم تجد صناعةً لم تنل شيئاً من فضل اختراعاتهِ . نخصّ منها بالذكر الاجسام الدهنية والاصباغ والالوان والمركَّبات العطريَّة . وقد اهتمَّ بالكيمياء النباتيَّة وفتح للزراعة ابواباً جديدة للارباح الطائلة . وقد درس ايضاً الكيميا القديمة عند اليونان والسريان والعرب واستعان ببعض المستشرقين لنشر تآليفهم وترجمتها وهي في عدَّة مجلَّدات . توفي برتلو في اواخر اذار . وكان المذكور مع علمهِ بالطبيعيَّات قليل الدين على خلاف سلفهِ دوماس لكنهُ مع هذا كان يعتقد بوجود الاله كما يظهر من بعض اقوالهِ التي رويت عنهُ في المجلات العلميَّة حيث قال : « انَّ البشريَّة قد شعرت في كلّ اطوار وجودها بان وراء كل حسن وجميل كائناً صمداً فيهِ العزّ والكمال اعني بهِ الله تعالى فهو المركز والكائن الفرد السرّي الغير المدرك الذي يتَّجه اليهِ نظام العالم » فعسى برتلو قبل وفاتهِ وجَّه بنظر عقلهِ الى هذا المركز الاسمى لينال بهِ على الحسن والجمال التامّ الذي ضاءت لذهنهِ منهُ في الحياة بعض الاشعة الخفيفة

وكان سبق الى الآخرة مرسلين برتلو عالمٌ آخر كيمويّ وفرنسويّ مثلهُ وهو الاستاذ هنري مواسان (Moissan) اشتهر خصوصاً بابحاثهِ عن المعادن وهو اوَّل من افرز عنصر الفلوور (fluor) وعنصر الكروم واليود واوَّل من حلَّل هذه العناصر بالمجاري الكهربائيَّة فوضع لذلك موقداً كهربائيًّا مكَّنهُ من استحضار عدَّة عناصر منها كربور الكلسيوم والالماس الصناعي وقد سبق في المشرق (٥ : ١٠٧٣ و٨ : ٧٢٠ و١٠ : ٦٧٠ .

الخ) انَّ البعض انكروا عليهِ اصطناع الماس وحتى الان لا يزال الامر مشبوهاً. ومن اكتشافاتهِ ايضاً طرائق مجهولة لاستقطار النحاس والذهب وغيرهما . وكل ذلك من الاكتشافات التي وسَّعت نطاق العلوم الطبيعيَّة واستلفتت انظار العلماء الى معرفة بعض خواصّ المادَّة المجهولة. وقد تزوَّد موسَّان قبل وفاتهِ بكل الاسرار الدينيَّة

وكما فُجعت الكيميا الفرنسويَّة بهذين العَلَمين كذلك فقد الانكليزيون كيمويًّا شهيرًا جارى برتلو وموا‌سّان باكتشافاتهِ وهو السير وليم هنري بركين (W. H. Perkin) مات في سادبرج في ١٤ تموز في السبعين من عمرهِ . وقد برَّز خصوصاً في استحضار الموادّ الملوَّنة من الفحم الحجريّ والقطران وهو الذي ركَّب اللون المعروف اليوم بارجوان صور وانشأ مع اهلهِ معملًا لاصطناع تلك الالوان تقصدهُ المحلات التجاريَّة في العالم كلهِ. ومن اكتشافاتهِ استخراجهُ للحوامض العطريَّة وتركيبها وذلك من اخطر اكتشافات عصرنا

وممَّا ينوط بالعلوم الكيمويَّة احتفال الفرنسيّين بالسنة الخمسين لجمعيتهم الكيموية في اواسط ايَّار وكان علماء اوربَّة واميركة قد دُعوا الى هذه الحفلة وفيها تُليت الخطب في ترقي الكيميا العجيب منذ نصف قرن وعُدّدت فوائدها الجمَّة في ضروب اعمال الصناعة والزراعة بل لحفظ الصحَّة وتخفيف وطأة الاسقام البشريَّة

بعد موتمر العلماء الاخير لدرس الزلازل في العام الماضي اخذ العلماء في مراصد شتى يضاعفون همتهم في مراقبة الحركات الزلزليَّة للاستدلال على اسبابها وقوانينها ومفاعيلها . ومما ثبت للعلماء من اسبابها ليس فقط ما يحصل في بطن الارض من التقلُّبات في احوال النيران الباطنية لكن ايضاً ما يحدث في خارج كُرَتنا من الظواهر كالمجاري البحريَّة التي تغيّر شيئاً من موازنة مياه البحر وكالسيول الجارفة وثقل الثلوج على قمم الجبال . وقد تحقَّقوا انَّ الزلازل في الشتاء اكثر منها في الصيف وقد أحصوا معدَّل حركات الزلازل في السنة نحو ٣٠,٠٠٠ هزَّة اغلبها ضعيف لا ينتبه اليه احد امَّا المعتبر منها فيبلغ في السنة نحو الستين . واكثرها يقع في جهات الهند الشرقيَّة اللاحقة بجبال حملايا

٤ الصناعة

انَّ اشغال السكة الحديديَّة التي يمدُّها الانكليز في وسط افريقية من بلاد الكاب الى مصر تتقدَّم بسرعة فانَّ السكَّة تقطع الان نهر زمبيزي على جسور متقنة العمل

ثمَّ تسير الى الشمال على مسافة ٦٠٠ كيلومتر. وقد اتَّسعت بواسطة هذه السكَّة اشغال التجارة والصناعة وبُنيت مدن جديدة اخصُّهـا ليفنغستون على ضفَّة نهر زمبزي . وتمرُّ السكَّة في عدَّة جهات غنيَّة بمعادنها فاخذت الشركات الماليَّة تتزاحم في استثمارها منها معادن نحاس وتوتيا ورصاص واسعة جدًّا في بروكن هيـل . وعما قليل ستبلغ السكَّة حدود الكونغو فتزداد حركة معادنها الذهبيَّة التي تضاعفت اعمالهـا في السنة السابقة لاقتراب السكَّة الحديديَّة من جهاتها

افاد المشرق القرَّاء قبلًا عن اتخاذ الاميركيين القساطل الحديديَّة ليصبُّوا فيها غاز البترول في اواسط اميركة بدلًا من نقلها في السكك الحديديَّة وتوفيرًا للنفقات . فمنها قساطل كاليفورنيَّة التي طولها ٨٢ كيلومترًا تجري من محل استخراجها فتبلغ البحر حيث تنقلها مراكب خصوصية الى بلاد شتى . وقد احتـذى الروس حذو الاميركيين فوضعوا قنيًّا بين مناجم باكو الى البحر الاسود في مسافـة ٨٨٢ كيلومترًا وهم يؤملون بذلك اقتصادًا عظيمًا اذ ينقلون في السنة ١,٨٦٠,٠٠٠ متر مكعب من البترول

وممَّا ابتدعهُ بعض المهندسين بغيةً بالاقتصاد في نقل الفحم الحجريّ أن يوقد الفحم في امكنة تعدينهِ ثمَّ تنقل قوَّتهُ البخاريَّة بالاسلاك الكهربائيَّة كما تحوَّل قوَّة المياه السائلة والشلَّالات الى تحريك الادوات الكهربائيَّة فتنقل الى مسافة بعيدة. وقد بُوشر بهذا العمل في اميركة فزاحموا المحركات الكهربائيَّة المتحرّكة بالمياه المتحدّرة

وفي العام الماضي درس كثيرون خواصّ الاثمار ومفاعيلها في الجسم فوجدوا لكثير منها خواصّ صحيَّة تزيد الرغبة في أكلها . فمن ذلك العنب الذي افرد لهُ المشرق سابقًا مقالة خصوصيَّة (٦ : ٧٤٨) فوجدوا صلاحيتهُ لشفاء عدَّة امراض ولاسيما السلّ الرئوي. وكذلك وجدوا انَّ الانكدنيـا (المشرق ٨ : ٤٩٨) تناسب كثيرًا امراض الاحشاء فتزيلها او تخففها. وقد اخترع المسيو كوبير قوميسير مقاطعة كاليفورنية في اميركة طريقة جديدة لحفظ الاثمار وذلك ان توضع في علب من الكرتون المطلي بالقار منعًا للهواء ولا يترك فيهـا الَّا شق صغير للغاية ثمَّ تجعل هذه العلب في اناء كبير من المعـدن يستخرج منهُ الهواء ايضًا ويجعل مكانهُ كمية كافية من الازوت ثمَّ تختم العلب بطريقة مخصوصة وتحمل الى اسواق اميركة او اوروبة وقد اختبر المسيو كوبير بنفسهِ هذه الطريقة فرأى ان كثيرًا من الاثمـار كالعنب والتين والتفاح والاجاص وغيرها تحفظ

سالمة من كل فساد مدَّة خمسة الى ستة اشهر وتراها عند استخراجها من العلب كأنها قد جُنيت في تلك الساعة عينها

ومن الآلات الصناعيَّة المفيدة التي اختُرعت في العام الماضي آلة وضعها المسيو ڤلّاس (Wallace) لحلب البقر حلباً ميكانيكيًّا. والآلة المذكورة يمكنها ان تحلب اربع بقرات في وقت واحد بنظافة كاملة

٥ الصحة والطب

كل قوى الاطباء في العام الماضي كانت مصروفة الى درس السلّ واسبابهِ وكيفيَّة انتشارهِ واكتشاف الوسائل الفعَّالة للوقاية منهُ وردّ غاراتهِ. وممَّا قرَّرهُ كبار العلماء في ذلك انَّ الجراثيم المَرَضيَّة لا تنتشر عادةً بالجهاز التنفسي فانَّ الدكتور كلمَت من مكتب باستور في لِيل كرَّر الامتحانات المختلفة في عدَّة حيوانات جعلها في اصطبلات كثرت في هوائها ميكروبات السلّ وتركها مدَّةً هناك فلم يُصَبْ منها الَّا واحد في ثمانية. وعلى خلاف ذلك الجهاز الهضميّ فانَّ ميكروب السلّ اذا ولج منهُ الى المعدة وجد مستنبتاً موافقاً لعملهِ فينمو ويزداد بعد زمن قليل حتى يعجز الدم عن سدّ باب الرئة في وجههِ واذا بلغ الرئة ضرب فيها اطنابهُ وزحف بخيلهِ ورجلهِ على القلب واصاب منهُ مقتلًا سهلًا. امَّا دخولهُ في الجهاز الهضميّ فيكون بواسطة بعض المآكل الملوَّثة كحليب البقر المسلول ولحومها وبعض الموائع التي تمتزج بالريق. واذا كانت الجراثيم الموبوءة منتشرة في الهواء الرطب دخلت في الفم بالتنفس فامتزجت برضاب الفم وبلغت بواسطتهِ الى الجهاز الهضميّ ففتكت بهِ

وممَّا تقرَّر ايضاً بالتجربة الصحيحة انَّ الوراثة الدمويَّة لا تعدي فانَّ المولودين من المسلولين ليسوا بمسلولين ضرورةً فقد تبيَّن اليوم انَّ كثيرين ممَّن يلزمهم السلّ مولودون من والدَين صحيحي البنيَة او مصابَين بالتدرُّن على حدّ سواء لا بل وجدوا انَّ في بعض الاحيان المولودين من المسلولين قد نالوا شيئاً من المنعة فلا يعمل السلّ فيهم كما في غيرهم. فقد فحصوا فحصاً مدققاً عجولًا اولدتها بقرات مسلولة فلم يجدوا فيها الَّا نادرًا اثرًا لجراثيم السلّ اربعة فقط في الف. ولعلّ هذه الاربعة مُنيت بالمرض لسكناها في محلّ موبوءٍ ليس بطريقة الوراثة

فنتيجة هذه الابحاث الجديدة انَّهُ يجب الاحتراز من كلّ مأكول التاث بشيءٍ من

الجراثيم التدرُّنيَّة ولاسيما حليب البقر المشبوه وعلى كل حال لا يؤكل ألا بعد ان يُغلى مدَّة ربع الساعة غلياناً تامًّا

وكذلك المساكنة ربَّما كانت سبباً لنقل العدوى ليس بطريقة التنفُّس كما سبق بل بطريقة الاستطعام وبنفوذ باشلوس التدرُّن الى المعدة باي نوع كان

أمَّا الدواء الشافي من السلّ فحتى الان لم يوجد نهائيًّا. واحسن علاج بان يعتزل المصاب بالتدرُّن عن المكان الموبوء ويطلب لهُ مكاناً نظيفاً ذا هواء صافٍ لاسيَّما الامكنة المرتفعة واعالي الجبال . ثمَّ يعتني بطعامهِ فيتَّخذ منهُ ما كان كثير الغذاء كالبيض والزبدة واللحوم . وافضل اللحوم اللحم النيّ كما يؤكل في هذه البلاد في الكبَّة . فالشفاء مع هذا ممكنٌ لا بل قد حظي بهِ كثيرون

ومما يشير اليهِ الاطباء بعد الامتحان ركوب الاوتوموبيل فانَّ السائر فيها يتنسم هواء محيياً فتنشط قواهُ وتزيد قابليتهُ للطعام ويكون نومهُ اطيب وتنمو فيهِ كُرَيَّات الدم الحمراء التي تقوم بازاء باشلوس التدرُّن فتضعفهُ وتقوى عليهِ

وكذلك الاستاذ لانلونغ (Lannelongue) الافرنسيّ جرَّب مصل الحمار في معالجة المتدرّنين فنال بعض النتائج الحسنة

وقد اكثر ايضاً الاطباء تجاربهم لعلاج السرطان والظاهر انَّهم اصابوا شيئاً من مقصودهم وذلك بواسطة الكهرباء. فان المسيو دي هارت (de Hart) عالج كثيرين ممَّن ايس من شفائهم الاطباء بالمجاري الكهربائيَّة القويَّة والمتواترة. ففحصت لجنة من علماء اكادمية الطب الباريسيَّة اساليبهُ واثنت على اعمالهِ فاخذ الاطباء يحذون حذوهُ

ومما اكتشفهُ ايضاً الدكتور كالمت من مدرسة ليل لمعالجة سم الحيَّات حقن الملدوغين بمصل الخيل ممزوجاً بهيبوكاوريت الكلس فان هذا الدواء افضل من الكي ويُحصل على هذا المصل في مكتب باستور في ليل وفي اجزائيَّة پولنك (Poulenc) في باريس . ويجوز ايضاً استعمال هيپوكاوريت الكلس وحدهُ بأن يُحلَّل في الماء بنسبة اثنين في المئة فاذا لُدغ انسان صُبَّ المحلول على الجرح فيزول كل خطر التسمُّم ويخمد الوجع بسرعة

وجد بعض الاطباء الالمان طريقة سهلة لتنظيف المياه الملوثة بالجراثيم المعدية وذلك بواسطة مسحوق من فلورور الفضة (fluorure d'argent) يُلقى في الماء فينظفهُ بسرعة

صَلَبُوت (١ بَلِنْسِية او صَلبوت بيروت

لحضرة الاب انستاس الكرملي

من يَزُرْ امّ الكنائس في بلنسية من الديار الاسپانيَّة يجد على باب البيعة بعض الباعة يبيعون عدة اشياء من العُرُوض التي تبعث في النفوس العابدة شواعر الخشوع والتقى ومن عدادها كُتَيِّبٌ ظريفٌ هذا ملخصهُ :

« بعد خراب اورشليم ظعن تلامذة الفادي آخذين معهم عدَّة عُروض تقوية كانوا متعلقين بها . ومن الجملة صلبوت نُقـل الى بيروت يُنسب نقشهُ وحفرهُ الى نيقوديمس . وهذا المنحوت هو عبارة عن تمثال يسوع المسيح معلق على خشبة العار

« وفي سنة ٧٦٥ م وقع هذا الصلبوت مُلكًا بيد احد النصارى . ثمَّ نسيهُ في الدار التي كان قد ارتحل منها حينما اراد ان يحتلَّ دارًا اخرى . ولا جرم ان هذا النسيان وقع بسماحٍ من الرحمان . — فنزل في ذلك المنزل بعد النصراني رجلٌ من اليهود . وما استقرَّ فيهِ الَّا ورأى الصلبوت المذكور . فاخبر بذلك جماعة الربَّانيين في بيروت فقضى هؤلاء ان يُعاد على المصلوب جميع الاهانات التي قاساها في سابق الزمان في عهد آلامهِ . ولما خُرق جنبهُ بالحربة خرج للحال دمٌ وماء بنوع عجيب . وما طار الخبر في انحاء البلدة الَّا وتسارع النصارى من كل محلَّة ورشُّوا من ذلك الدم شيئًا على بعض الزمنى والمرضى فتعافوا للحال باذنهِ تعالى

« ولمَّا راى اليهود الشهود هذه الآيات الباهرات طلبوا التنصُّر فعُمِّدوا بعد ان تفقَّهوا باصول الدين القويم

---

١) الصلبوت عند نصارى العراق لفظة على وزن ملكوت وجبروت ويراد بها « المصلوب العظيم او الاله المصلوب » واغلب ما يخصون هذه اللفظة بما كان من تصاوير الاله المصلوب تصويرًا مجسَّمًا ناتئًا ومسمَّرًا على خشبة معلقًا بها . وما لم يكن كذلك اطلقوا عليهِ اسم « الصليب » . والقياس يوافق احسن الوفاق لهذا الاصطلاح وذلك ان ما كان على وزن فَعَلُوت المفتوح الاول والثاني والمضموم الثالث والساكن الرابع يدلّ على العظمة كقولك : المَلَكوت والجَبَروت والكَهَنوت والرَهَبُوت » اللهم الَّا ما كان منقولًا عن الاعجمية المحضة مثل لفظة سَلَكُوت (راجع المشرق ٢ : ٩٢٢) فلا يدخل تحت هذه القاعدة

« امّا الاسقف فبعد ان تثبّت الوقائع على اقوم وجهٍ واصحّهِ وتحقّق ما حدث اخذ القنّينة التي كان فيها شيء من ذلك الدم العجيب ووزّعهُ على بعض الكنائس الشرقيَّة ملتمساً من رؤسائها ان يقيموا عيدًا تذكارًا لهذا الحادث العجيب يكون في ٩ ت ٢ وان يُحتفل بهذا العيد بكل الاحتفال الذي هو في الامكان . اما الصلبوت فبقي محفوظاً في احدى الكنائس المسمَّاة باسم فادي البشر (١ . » وقد روى هذا الحادث اثناسيوس اسقف ديار الشام لآباء مجمع نيقيــة الثاني وكان فيهِ ٣٦٧ اسقفاً

« وبقي الصلبوت في بيروت فلما كانت السنة ١٢٦٠ انتُهكت حرمة البيع والكنائس المسيحيَّة ومُزّقت الصور وأُلقيت التماثيل في البحر ومن جملتها الصلبوت العجـائبي . وفي ذلك العهد طغى الوادي الكبير (Guadaliavar) وهو الذي قد ركبَتْهُ بلنسية فرأى السكَّان متعجّبين صلبوتًا طافيًا على الماء وعلى طرفي ذراعيهِ نوران عائمان على سطحــهِ والصلبوت يصعد مجرى النهر . فلما وصل بازاء جسر الثالوث (وهو من جسور البلدة) وقف الصليب فاسرع بعض شجعان المدينة وألقوا انفسهم في المــاء وانتشلوهُ منهُ بحضور جمٍّ غفير لا يحدُّ الطرْفُ طرَفهُ . والحال تناوهُ بأُبّهة عظيمــة الى قصر السيِّد . ومن جملة ما يلاحَظ فيهِ انهُ مقطوع الذراع اليمنى طويل اللحية وافر الجمّــة (وكل ذلك يُرى الى اليوم ايضًا على هذا الوصف) ومن اهمّ ما يستلفت اليهِ الانظار لون الدم الذي يجري من الجنب فكانهُ لم تصبغهُ يد ارضية » اه تلخيصــهُ ونحن لا نزيد على هذا الكلام شيئًا (٢

١) كتب الاب لويس جلابرت اليسوعي (في المشرق ٧ : ٣٩٢) مقالة حسناء في « اصل صورة المصلوب في الشرق » وهي عبارة عن خلاصة كتاب ألفهُ احد علماء الفرنسيس وهو لويس برهيار يثبت بان صورة المصلوب كما هي شائعة اليوم في كل انحاء المعمور إنما اصلها من الشرق . وخلاصتنا هذه تؤيد تلك المقالة وذلك الكتاب . الَّا ان القول بان « صورة المصلوب لم ترَ مرسومة في جملة تصاوير القرون الاولى الاربعة » يُحمَل على الاغلبية . ووجود صلبوت بلنسيـة او صلبوت بيروت هو اعظم شاهد على وجودهِ في القرن الاول لا بل وفي صدره . وان كان البعض ينكر هذا الامر فنحن لا نجسر ان ننكره لان التقليد الذي يحتقرهُ اليوم بعض العلماء يؤيّدهُ فريق آخر منهم . ونحن ممَّن يسلم بوجود التقليد على ما تفهمهُ الكنيسة الكاثوليكية المقدَّسة وعلى الوجه الـذي صرَّح بهِ قداسة بيوس العاشر في المنشور الاخير من مناشيرهِ السيَّارة الذي يشجب فيهِ التعاليم المحدثة

٢) وفي تقليد نصارى بيروت انَّ ذلك حدث قريبًا من الجامع الذي عند باب ادريس وكان قريبًا هناك ديرٌ للآباء الفرنسيسكان (المشرق)

وبخصوص موجودات امّ الكنائس في بلنسية كاسٌ يُروى انها الكاس التي شرب بها فادي البشر في عشائهِ السرّي اما كيفية وصولها الى هناك فكانت على الوجه التالي: أرسل هذه الكاس القديس لورنسيوس شماس الجيلي من شمامسة الكنيسة الرومانيــة الى بيعة هوَيسكة (١ Huesca من ديار الاندلس. وفي عهد العرب نُقلت الى كنيسة القديس حنا في پنية في جبال الپيرينة San Juan de la Penâ dans les Pyrénées وفي سنة ١٤٠٠ م وقعت في حوزة مرتينس ملك اراغونة وبعد ذلك احتاج الى دراهم فرهنها في بلدية مدينة بلنسية فقبلتها. ثمَّ ان ديوان قانونيّي الكنيسة الامّ في تلك المدينة دفع الى البلدية المبلغ الذي اتفق الطرفان عليهِ ومنذ ذاك الحين دخلت تلك الكاس في ملك الكنيسة المذكورة وهي هناك الى اليوم. وهي توجد في محفظة من فضّة. اما الكاس فهي من عقيق موضوعة في بيت الثياب وكل من يحب من المؤمنين ان يتبرَّك بها يستطيع ان ينال ذلك الانعام في الايام والساعات المعيَّنة

(المشرق) انَّ خبر صورة بيروت مذكور في الاعمال المنسوبة الى القديس اثناسيوس بطريرك الاسكندريَّة الشهير رواهُ مين في مجموع اعمال الاباء اليونان .Migne, PP) (GG., XXVIII, 695-724 لكنَّ اهل النقد مُجمعون على انَّ هذه الرواية ليست للقديس المذكور. والمرَّجح انها كُتبت بعــده بزمن طويل وانَّ كاتبها اثناسيوس احد اساقفة بيروت في القرن السادس (اطلب المشرق ٨: ١٩٦). ومما يروى في ذلك الخبر ان المعجزة ظهرت في عهد اديوداتس (اي عطاء الله) اسقف بيروت الذي لم نجد لاسمهِ ذكرًا بين اساقفة المدينة. وما لا ينكر انَّ هذه الرواية كانت شائعةً في القرن الثــامن ولما عُقد مجمع نيقيــة الثاني سنة ٧٨٧ لشذب بدعة الايقونوقلست استشهد الاباء بمعجزة صلبوت بيروت اثباتاً لكرامة الصور وما جرى بواسطتها من العجــائب (اطلب مجموع اعمال المجامع (Mansi, XIII : 23-32). وفي السنكســار الروماني ذكر لهذه الاعجوبة في اليوم التاسع من شهر تشرين الثاني. وقد انتشرت رواية الاسقف اثناسيوس ونقلت الى لغــات شتى فزيدت فيها تفاصيل مختلفة كما ترى في مجموع مين الذي اثبت

---

١) هو يسكة هي «وشقة» عند العرب وقد ذكرها ياقوت في معجمهِ وخرج منها عدة علماء من ابناء العرب

منها اربع روايات متباينة اثنتان باليونانية وهما القديمتان واثنتان لاتينيَّتان احدث عهدًا.
وقد عرَّب صاحب كتاب مروج الاخبـــار في تراجم الابرار اصحّ هذه الروايات

هذا ما كنّا نعلمهُ من خبر صورة بيروت . امَّا التفاصيل التي نقلهـــا حضرة الاب انستاس عن الكتيّب الذي ذكرهُ فلا نعلم ما فيها من الصحة (واوَّلها) ما جاء في هذا التاليف عن اصل صورة بيروت وانَّها الصلبوت الذي نقشهُ نيقوديموس المذكور في انجيل يوحنَّا فهو بعيـــد لانَّ الشائع اليوم بانَّ الصلبوت المنسوب الى نيقوديموس هو في كنيسة لوك الكاتدرائيَّة من اعمال تسكانا. وليس بين الروايات الاربع المنقولة في مجموع اعمال الآباء الَّا رواية واحدة لاتينية نسبت مصلوب بيروت الى نيقوديموس. وغاية ما ذكرت بقيَّة الروايات انَّ الصورة كانت معلقـــة على جدار احد بيوت اهل بيروت فلما استأجر بعض اليهود ذلك البيت بقيت الصورة في محلّها. (وثانيها) ما ذُكر في هذا التاليف عن هيئـــة الصورة اعني انهـــا كانت صلبوتًا مجسَّمًا . والمرجَّح انَّ تلك الصورة كانت منقوشة على خشب وليس في رواية اثناسيوس المذكور ما يُشعر بغير ذلك. (وثالثها) ما روي عن انتقال تلك الصورة من بيروت الى بلنسية. فانهُ من الامور العجيبة التي لم نسمع بها سابقًا. وقـــد ذكر صاحب تاريخ بيروت صالح بن يحيي ما يظهر لنا اقرب الى الصحة حيث قال:

ويزعمون ايضًا انهُ كان بكنيسة الفرنج ببيروت قونة خشب فيها صورة مصوَّرة فضربها بعض اليهود بسكين فصارت تنزف دمًا. ونُقلت هذه الصورة الى قسطنطينيَّة فعمَّروا عليها كنيسة يعظمها الفرنج

ولا نعلم ما اصاب الصورة بعد ذلك. ولعلَّها نُقلت في اواخر القرون المتوسطة الى بلاد الفرنج. وعلى كل حال نشكر حضرة الاب انستاس الذي افادنا ما اطَّلع عليهِ في كتيّبهِ ريثما يزيدنا بعض الاثريين علمًا في ذلك

هاء التعريف عند العبريين

بقلم حضرة الاب انستاس الكرملي

اداة التعريف عند العبريين هي الهـــاء فيقولون ארץ اي ارض ويقولون הארץ اي الارض وهكذا في سائر الالفاظ . واما اصلهـــا فقد قال فيهِ الاديب جرجي افندي

زيدان في كتابهِ الالفاظ العربيَّة ص ٦٣ من الطبعة الاولى ما هذا حرفهُ :

«ان « أل » الموصولة والتعريفية من المرجَّح عندي كونها مأخوذة عن « ها » بدليل كون هذا المقطع هو وحده اداة التعريف في العبرانية . على ان نحويّي اللغة العبرانية يقولون بوحدة الاصل في « أل » المشار اليها في اللغتين العربية والعبرانية . وبناء على هذا القول زعموا ان الاصل في الاداة العبرانية « هل» قياسًا على العربية . وقالوا ان اللام لا تظهر خطًا وانهُ يُعاض عنها لفظًا بتشديد الحرف الاول من الكلمة الملحقة هي بها . فاذا ارادوا تعريف בית « بيت » مثلًا قالوا הבית « هَبَّيت » بالحاق الهاء محرَّكة بالفتح في اولهِ وتشديد الباء . فتعليلًا لمذهبهم يقولون : ان اللام تدغم بالحرف الاوَّل ويُعاض عنها بالتشديد . وعندي انهم اصابوا بوحدة اصلهما . ولكنهم ربما لم يصحّ زعمهم بان الاصل في كليهما « هل » او « أل » اذ ان اللام لم تظهر في العبرانية لا لفظًا ولا خطًا الَّا في كلمة واحدة وهي اسم موصول اعني הלזה « هَلَّزي» وهذه قليلة الورود جدًا في كتاباتهم . فالارجح عندي انها ماخوذة من العربية اذ انها والاسم الموصول « الذي » شيء واحد لفظًا ومعنى . امـا التشديد المرافق لاداة التعريف في العبرانية فربَّما قُصد به التأكيد او توضيح الاشارة

« فبناء عليهِ يرجَّح ان الاصل في « ال » العربية « ها » التنبيه كما هو الحال في العبرانية . امَّا اللام فقد دخلت عرضًا لاسناد الحركة . واللام كما لا يخفى من الاحرف (ل م ن ر) التي كثيرًا ما تدخل في اللفظة اسنادًا لحركة او مقطع كما مرَّ

« ومن الآثار التي تدلُّ على سابق استعمال «أل» للاشارة قولهم : « اليوم » و « الساعة » و « السنة » بمعنى هذا اليوم وهذه السنة وهذه الساعة .

قلنا نحن : وهذا يكون من باب الاشتهار والاستغناء من اداة تفسرة الحال كقولك : الحية الحية . يعني هذه الحية . والكتاب . يعني هذا الكتاب . فلا اظنّ ان كلام جرجي افندي مقنع هنا . ثم قال :

«ومن الواضح ان التعريف انما هو ابن الاشارة لان ابسط طريقة لتعريف امر ما يقوم بالاشارة اليهِ . ويؤيد ذلك ان « ذا » التي هي اسم اشارة كما لا يخفى قد استُعملت ولا تزال تُستعمل للتعريف والموصول في قسم عظيم من اللغات الشرقية فان « ذي » في اللغة البابلية و « ذ » او « د » في اللغة السريانية هي بقية « ذي » البابلية فلم يستعمل بنو طيّ « ذو» للموصول عبثًا . وما قولنا « الذي» الَّا حجة دامغة على ان الموصول انما هو ابن الاشارة » اه كلام حضرة اللغوي المتفنن

قلنا نحن : لا ننكر على الكاتب العملاّة كون التعريف هو ابن الاشارة او من مورد واحدٍ . فالادلة التي اوردها راهنة لا تحتمل الرد ولاسيما انها بديهيَّة او تكاد تكون بديهيَّة . الَّا اننا لا نسلّم لهُ كون الاداة العبريَّة ماخوذة من الاداة العربية فهاتان اللغتان هما اختان فاذا اتفقتا في امرٍ لا يقال ان الواحدة اخذت ذلك الشيء عن اختها

بل انهما نشأتا من «فرع» واحدٍ بل الاصحّ عندي من «أصلٍ» واحدٍ هو النطق في اوَّل وضعهِ . اللهم الَّا ان يكون هنــاك أدلَّة غير ادلَّة الاشتراك بمزايا اللغتين العامَّة فحينئذٍ يُسلَّم ان الواحدة اخذت اشياء عن اختها . — امَّا الامر الثاني الذي ناخذهُ عليه فهو ان اداة الاشارة الاصليَّة التي اتُّخذت اداة للتعريف كانت الهمزة في العبرية كما في العربيَّة فالهمزة اقدم عهدًا من الهاء . ولذا نرى الفاظًا في العبرية يتقدمها حرف الهمزة فاعتبرها العبريُّون اصليَّة وما هي الَّا اداة تعريف لا غير من ذلك : אגוז اي الجوز فالالف او الهمزة في العبرية هي زائدة وما هي الَّا اداة التعريف يشهد على تلك الزيادة اللغات العربيَّة والمالطيَّة والارميَّة والفارسيَّة الخ . فضلًا عن ان الكلم الزائدة عن ثلاثة احرف تردّ الى هذا الثلاثي والثلاثيّ هو ثنائي في الاصل كما اشرنا اليــهِ غير مرَّة . ومن هذه الزيادة للتعريف الالفاظ الاتي تعدادها وهي :

אגם اجمة واصلها من גם و אגור و אגרוף و אדם و אדרע و אחב و אתמול و אכזב و אחבן و אפרת و ארבע و אזרח و אצבע

فهذه كلها اصلها بدون همزة او الف وانما ظنوها أصليــة لقدمها في كلامهم ولحداثة الهاء بالنسبة الى الهمزة فأصَّلوها فضلُّوا عن سواء السبيل

واما اصل هذهِ الهمزة فانها ماخوذة من نطق الاطفــال . فهؤلاء اذا ارادوا الاشارة الى شخصٍ او الى شيء كان اول نطقهم : «أ» او «آ» وربَّما فخَّموهــا فقالوا «ها» . ولذا نرى الفنيقيين يتخذون الالف أو الهمزة والهاء على التبــادل بمعنًى واحد هو معنى التعريف فضلًا عن الهمزة والهاء في اللغات السامية كلها كثيرًا ما تتعاقب في الفاظ جمــة هي اشهر من ان تُذكر . ومما يُؤيدنا في هــذا القول اي القول ان التعريف والاشارة هما من مورد واحدٍ وانهمــا غريزيان في الانسان منذ طفوليتهِ كون اليونان يستعملون للاشارة والتعريف الفاظًا متشابهة وهي ὁ, ἡ, τό . فالاولى عبارة عن الهمزة الممالة . والثانية عن الهمزة او الالف المفخمة . والثالثة عن الالف المفخمة يتقدمها التاء وقد أُقحمت للتفرقة بين المذكر والمؤنث ولجعلها للجنس المشترك . ومن ثم يتضح ان الفاظهم للتعريف والاشارة هي كالفاظ العرب والعبريين ولا يقــال مع ذلك انهم اخذوها عن العرب ولا عن العبريين بل اخذوها عن لسان الانســان في اول طور من اطوار حياتهِ وعليهِ فقد اتفق العرب والعبريون واليونان ومن اخذ عنهم لهجاتهم ان اسم

الاشارة واداة التعريف هي واحدة منقولة عن الطبيعـة ليس الَّا

ولا شك ان العرب كانوا يتخذون اداة التعريف الهمزة من ذلك اسم الإِطُوريين القديم (راجع المشرق ٦ : ١٩٠) ومعناهُ الجبليُّون . الَّا انَّهم زادوا اللام لتزيين اللفظ . ومن الغريب ان نحاة العرب نسوا مقام الهمزة واهميَّتها في التعريف وعلَّقوا كل الاهميَّة باللام حتى قالوا اغلب الاحايين « لام التعريف » فسبحان الكشَّاف للسرائر والاسرار . وا لُمبرز لخفايا الابرار والاشرار . ومضمر الاوضار والآصار . الى ان يشاء وبمقدار ما يشاء . انهُ على كل شيء قدير

الفتية التوَّابون

مقدَّمة

نقلنا هذه الرواية عن احد مخطوطات مكتبتنا الشرقيَّـة وهو مجموع قديم يحتوي عدَّة اخبار اكثرها في الزهـد . امَّا مؤلف الكتاب فليس مذكور فيهِ والغالب انهُ من أُدباء القرن الرابع عشر للمسيح . فاخترنا منهُ هذه الرواية لما تحتويهِ من الفوائد التاريخيَّة لتعريف بعض احوال المدينة في القرن الثاني للهجرة لأنَّ الفتية المذكورين عاشوا في ذلك الزمان وقـد وجدنا في كتب التاريخ بعض اسمائهم . امَّا الراوي فهو عيسى بن يزيد الشهير بابن داب احد كبار المحدّثين في ايَّام الخلفاء من بني العبَّاس واختصَّ بخدمة المهديّ وابنهِ الهادي ومات في ايَّام هارون الرشيد . وروايتهُ هذه مع فائدتها لا تروي غليلًا اذ لم يُفِدْنا صاحبها عن الدواعي التي حملت هؤلاء القوم الى التوبة وعن ثباتهم في توبتهم كما انهُ لم يُبيِن من اعمالهم الصالحة غير انقطاعهم عن الملذَّات . والتوبة كما لا يخفى لا تقوم فقط بالانتهاء عن المحارم بل بعمل المبرَّات ومُلازمة الصلاح ل . ش

ذكر عيسى بن داب ان هولاء الفتية كانوا عشرة نفر وهم سليمان بن عمرو القرشي واخوهُ يحيى بن عمرو وهارون بن الحُصَين التميميّ واخوه احمد بن الحصين ومحمَّد بن زرعة العبدي واحمد بن محمد اليشكري وبشر بن مطر الازدي وسعيـد بن اسماعيل الاسدي ويعقوب بن عبد الكريم الطائي وعبد الله الأَنصاري . قال عيسى بن داب : وكان السبب في توبة هولاء القوم انهم كانوا في المدينـة على امرٍ من الامور التي لا يُحبُّها

الله تعالى. وكان هولاء الفتية العشرة في كل نعمـة سابغة لا يأتي عليهم يوم من الايام الّا وهم اشدُّ سرورًا واطول حبورًا من يومهم الذي مضى الى ان اراد الله عزَّ وجل هدايتهم الى الخير وان ينقذهم من ظلمة المعاصي الى نور الطاعة

فاوّل من ارتدع منهم ودعتهُ نفسهُ الى التوبة والانابة الى الله يحيى بن عمرو القرشي. فعزم على ذلك وجعل يسرُّهُ في نفسهِ ولا يذكر لاخوانهِ شيئًا مما عزم عليهِ. وهو مع ذلك يجالسهم ويحـادثهم فبينما هم ذات يوم في شرابهم ولهوهم اذ اخذوا شيئًا من نشائد الاشعار التي قد احدثوها بينهم. فجعل كل واحد منهم يقول شيئًا ويحيى بن عمرو القرشي ساكت لا ينطق بشيءٍ حتى فرغوا من نشيدهم. فاحبَّ ان يلقي اليهم شيئًا ممَّا عزم عليهِ من امر التوبة ونزوعهِ عمَّا هو عليهِ فانشد يقول:

قالت سلوتَ فقلتُ لستُ بجاحدٍ آيَ المهيمن ذي الجلال الواحدِ
وسلختُ ودَّكِ من فوادي مثلما سُلخ النهارُ من الظلام الراكدِ
قالتْ أعِدْ فالعَوْد عندي احمدٌ فأجبتُها هيهـات لستُ بعـائدِ
اني اخاف عذاب ربٍّ سرمـدٍ تبدو نصائحهُ فلستُ بيائدِ

(قال) فلما سمع القوم من يحيى بن عمرو هذه الابيات انكروا ذلك منهُ انكارًا شديدًا. ثمَّ انَّهم عذلوهُ وأكثروا من عذلهِ ولومهِ ثم قالوا: يا هذا لقد سمعنا منك شيئًا نخاف ان يكون فيهِ تفريق جماعتنا وتشتيت أُلفتنـا وانَّا نناشدك الله في ذلك. فتبسم يحيى بن عمرو وحرَّك راسه وقال هذه الابيات:

ان في اللهو ما علمتُ سرورًا لم يُوقَّ حوادث الأقدارِ
غير أني تركتُ ذلك خوفًا وحذارًا من شرّ نارٍ وعارِ
فأنيبوا الى الالهِ وتوبوا كم الى كم نقيمُ في الإصرارِ

(قال) فلما سمع القوم ذلك اقبل اليـهِ اخوه سليمان بن عمرو وقال لهُ: والله يا اخي ما عدا جميعُ ما تكلمتَ بهِ سويداء قلبي. ولقد اخذ بمجامع عقلي ولبي. حتى لقد غلب على سمعي وبصري واحال بيني وبين لذَّاتي. ولقد علمتُ ان الامر كما ذكرت وان الرغبة فيما رغبت. ثمَّ انشأ سليمان بن عمرو يقول هذه الابيات:

يـا من يلوم موفَّقًا يدعو الى اسعـادهِ
انَّ النصيح اذا دعا لم يألُ في اجهـادهِ
لا تنكروا مـا قالـهُ من بذلـهِ لرشـادهِ
فلقـد اتى بنصيحـة موصولـةٍ بسـدادهِ

(قال) فلما سمع القوم كلام سليمان بن عمرو ورأوا ميلهُ الى اخيه جعل بعضهم يقول لبعض هذا ما كنَّا نحذر منهُ تفريق الالفة وتكدير صفو العيش فعند الله نحتسب ما فُجعنا به منكما

(قال) ثمَّ انصرف القوم عن مجلسهم ذلك وهم مغمومون بامر يحيي واخيهِ سليمان. فلمَّا كان في الليلة المقبلة اجتمعوا ايضاً وجلسوا فلما اطمأنَّ بهم المجلس اقبل عليهم يحيي بن عمرو فقال لهم: يا اخوتي واخلائي ومن تقرُّ عيني بصلاحهم واجتماع كلمتهم انه قد ينبغي للراقد ان يستيقظ من رقدتهِ ويتخلَّى عن غشوته. ومهما شككتم في شيء فلا تشكوُّا في الموت انه نازل بي وبكم. واسأل الله العصمة والتوفيق والتسديد لي ولكم. ثمَّ انشأ يقول هذه الابيات:

دعوتكمُ للرشدِ والنصح جاهدًا ... وما زلتُ للاخوان مذ كنت ناصحا
فان تقبلوا نصحي تنالوا سعادةً ... وتأتوا طريقًا بيّنَ القصد واضحا
ومن يتركِ القصد المنيرَ طريقُهُ ... يلاقِ غدًا نارًا ليخلد طالحا

ثم اقبل عليهم سليمان بن عمرو فقال: يا اخوتي ومن قد عظمت حقوقهم عليَّ وابيضَّت ايديهم عندي انكم قد علمتم ما افترقنا عليهِ ليلتنا الماضية وما دعاكم اليه اخي يحيي الناصح لكم الشفيق عليكم فإنْ تُجيبوا الى التوبة والنزوع عمَّا انتم عليهِ فحظَّكم اصبتم وللخير أجبتم. وان تقيموا على ما ارى من لعطكم واتّباعكم أهواءكم فاني أسأل الله لكم التوفيق والسلام. ثم أنشأ يقول:

سألت الهي ان يؤلّفَ بيننا ... على الخير كالتأليف في سالف الدهرِ
فقد عشتمُ عصرًا وعصرًا واننا ... لفي غمرةٍ جهلًا فنُهوي ولا ندري
نلجج في بحرٍ سكارى بحيرةٍ ... فحتى متى لسنا نفيق من السكرِ
فتوبوا تنالوا جنَّة الخلد انما ... ينال جنان الخلد من كان ذا صبرِ

(قال) فلما سمع بشر بن مطر الازدي مقالة يحيي واخيهِ سليمان واستحكم قولهم في قلبهِ اعجبهُ ذلك فقال:

لعمري لئن بعتُ الهديَّة بالعمى ... وآثرتُ غير الحقّ اني لخاسرُ
أأترك حظي بعد اذ انا قادر ... على اخذه والحقُّ فيه بصائرُ
سأجبر نفسي عن هواها وغيِّها ... بصبر قويّ العزم والحُرُّ صابرُ

(قال) فلما سمع القوم مقالة بشر غمَّهم ذلك غمًّا شديدًا. ثمَّ اقبل هارون بن

الحصين على اصحابه وقال لهم: انا لله وانا اليه راجعون · مـا اعظم الرزيّة بفرقتكم واجلّ المصيبة بتباعدكم والله ما اظنُّ هذا الامر مشتتاً جماعتنا مكدّراً علينا صفو عيشنا لان الذي دعوتمونا اليه من مزايلة مـا نحن فيهِ لشديد وهو اثبت وارسخ من ان تزيله العظات · ثم افترقوا ليلتهم مغمومين

فلما كان من الليلة الثالثة اجتمعوا فلما اطمأنَّ بهم المجلس اقبلَ عليهم محمّد بن زرعة العبدي فقال: يا اخوتاه اسمعوا مني كلاماً وتدبّروه بقولكم فقد اتيتكم باعجوبة · فقالوا: هات ما بدا لك · قال: اعلموا اني لما فارقتكم الليلة الماضية وسرتُ الى منزلي أرقت أرقاً شديدًا حتى اذا كان قبل الصبح اغفيتُ فاذا انا بآتٍ قد اتى في منـامي وهو يقول:

يا تاركَ القصـد بعد معرفة وسالكاً غـيرَهُ من الطرقِ
يحيى واصحـابه على رشـدٍ كما جلا الليلَ ساطعُ الفلق
فلا تكوننَّ كالمقيم على دَحضٍ مُزلٍّ اشفى على غرقِ

(قال) فلما سمعت ذلك استيقظت فزعاً مرعوباً حتى كاد الخفقان ان ينزع قلبي · (قال) فاقبل عليه يعقوب بن عبد الكريم الطائيّ فقـال: كاني وايّاكِ يا اخي والله على امرٍ واحدٍ غير ان الالفاظ مختلفة وذلك لمّا اني قمت من مجلسنا حين افترقنا بالامس وبي من الفرقة والاسف لتشتُّت الشمل ما لا ابلغ وصفهُ حزناً على اخواني لِما رأيت من مفارقتهم لنا ونقضهم علينا ما نحن فيه من الأُلفة والمودّة · اتيت الى منزلي واقمت عامّة ليلتي أُدير عيني على الغمض فلا اقدر على ذلك · فبينما انا كذلك بين النـائم واليقظان اذ انا بهاتف يقول هذه الابيات:

يـا خائضاً في غمرة الجهـلِ وحائدًا عن اوضح السبلِ
لست على شيء فـلا تكذبن وأرْجعْ الى التوبة في مهلِ
من قبـل يوم معظم هائلٍ يُشيب راس المرضع الطفلِ

فلمَّا سمعت ذلك استيقظت وما معي شيءٌ من عقلي فهذا والله يا اخوتي ما رأيت · فلما سمع القوم ذلك عجبوا وجعـل بعضهم يقول لبعض كيف خُصَّ محمد بن زرعه ويعقوب بن عبد الكريم بهؤلاء الهواتف من بيننا هذا سكونٌ لِنأبنا

(قال) ثمَّ اقبل سعيد بن اسمعيل الاسدي على محمد بن زرعة وهو يقول هذه الابيات:

لولا الذي أُحرمتَ من غدرة ما راعك الهاتف اذ يهتفُ
خُصصت بالهاتف من بيننـا ما لك في قولك ما تنصفُ
والله ربِّ العرش يـا اخوتي فانّني مجتهدًا احلفُ
لا خنت مَن اهوى ولا سُمتُهُ هجرًا ولا مثلي به يوصفُ

(قال) ثم انشأ هارون بن الحصين التميمي يقول هذه الابيات :

أبالاحلام اسلو عن هواءي لاقوامٍ اتوا بالتُرَّهـاتِ
اتونـا يزعمون بانَّ زَورًا اتى بنصيحةٍ عند البيـاتِ
يحضّهمُ على هجرٍ وغـدرٍ وقطعِ الحبلِ منّا والشتاتِ
فمن يك راغبًا عن وصل الفٍ فلست براغب حتى المماتِ

(قال) وتفرق القوم ليلتهم تلك ايضاً وقد وفق الله تعـالى منهم خمسة نفر للتوبة وهم يحيي وسليمان وبشر ومحمد ويعقوب وبقي منهم خمســة هارون وعبدالله وسعيد والاحمدان

(قال) وجعل هؤلاء الخمسة الذين تابوا يدعون الى الله ويتضرّعون في ان يردّ قلوب اخوانهم الى ما هم عليهِ من التوبة ويدعوهم اليهـا فلم يزالوا كذلك الى ان استجاب الله منهم دعاءهم في اخوانهم واقبلوا بقلوبهم الى الطاعة . فكتب كل واحد منهم بابيات من الشعر وارسلوها الى اخوانهم التوابين . فلمّا وصلت هذه الابيات من هولاء الخمسة الى اخوانهم فرح الذين سبقوهم الى التوبة واستبشروا واشتدَّ سرورهم ثم ابتهلوا الى الله عزَّ وجل في ان يقوّيَ عزمهم فيما عزموا عليهِ من التوبة فاستجاب الله لهم ذلك

(قال) ثم انهم تواعـدوا ان يجتمعوا في مشربة لهم فيكلم بعضهم بعضاً فاجتمعوا في مشربتهم تلك وهي مشربة معروفة بالمدينة يقـال لها اليوم مشربة التوبة وكانت تعرَف قبلًا بمشربة العطارين بالمدينة . فلما اجتمعوا هناك اعتنقوا وبكى بعضهم على بعضٍ لطول الفرقة ومـا كانوا عليـهِ من التباعد وحمدوا الله على ما هم عليه من التقوى وسالوه التوفيق والعصمة والثبات

رسالة في الحروف العربية

تمهيد

بين مخطوطات مكتبتنا الشرقيّة مجموع فيه عدّة مصنّفات لغويّة وادبيّة وفقهيّة منها شعر ومنها نثر لكتبة من ادباء المسلمين مخطوطة باقلام مختلفة وفي ازمنة متباينة بين القرنين السادس عشر والثامن عشر. اوّلها ارجوزة في الالفاظ المثلّثة الحركات وفي اثرها ارجوزة اخرى في شرح مثلثات قطرب الشهيرة. ويليهما رسالة اقدم خطًّا في الحروف العربية. وهذه الرسالة لا تتجاوز اربع صفحات بخط ناعم جليّ يتراوح عمرها بين مائتي سنة وثلاثمائة سنة. مدارها على الحروف الهجائية وما لها من وجوه المعاني. امّا مؤلفها فلم يصرّح باسمهِ ولعلّها لاحد قدماء النحويين لم يمكنّا أن نتحقّقهُ. وغاية ما نعلم انّ بعض اللغويين وضعوا في ذلك تآليف اخذتهــا يد الضياع منها كتاب الحروف لابن دريد (الفهرست ص ٥٩) وكتاب الحروف لابي عمرو الشيبانيّ (ص ٦٨) وكتاب الهجاء لابي بكر محمَّد الجعد (ص ٨٣). وقد بحثنا في مخطوطات المكاتب الأوربيَّة فلم نجد من ذلك شيئًا يرشدنا الى ضالتنا وكذلك في كشف الظنون للحاج خلفا لم يذكر سوى كتابين في الحروف لا علاقة لهما مع هذه الرسالة وهما كتاب الحروف الستة س ص ض ط د ذ للبطليوسيّ وكتــاب الحروف والعدد لعبد الرحمان المغربي وللشيخ احمد البونيّ. فمن ثمَّ تولَّينا طبع هذا الاثر القديم ليسلم من الضياع والامل معقود باحد القرّاء ان يفيدنا عن صاحبهِ. وقد نشرنا الرسالة كما وجدناهــا مع اصلاح بعض اغلاط للناسخ كانت شوَّهت محاسنها. وكذلك جمعنا بين كل وجه من وجوه الحروف المذكورة والمثل المضروب عليهِ لأن المؤلف كان فرق بينهما فهو يعدّد اوّلا معاني الحرف تباعاً ثمَّ يُعقبها بالامثال منفردةً. فراينا ان الاوفق أن يُلحق الشاهد بالمشهود عليهِ زيادةً في الايضاح. ثمَّ ذيَّلنا المقالة ببعض الفوائد التي اقتبسناها من كتب اللغة تتمَّةً لمعاني الحروف واستدراكاً لمــا فات المؤلف

ل. ش

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ الالف ﴾ في كلام العرب على اثنين وعشرين وجهاً: ١ً الف الأَصل في الافعال مثل: أَبى يأبى ٢ً الف الوَصل مثل الف الامر في اكتُبْ واْحضَرْ ٣ً الف الاطلاق مثــل الف نَصَرُوا وكَتَبوا ٤ً الف القطع نحو: أَكرِمْ وأَنعِمْ ٥ً الف

لولا الذي أُحرمتَ من غدرة ما راعك الهاتف اذ يهتفُ
خُصصت بالهاتف من بيننا ما لك في قولك ما تنصفُ
والله ربِّ العرش يا اخوتي فانني مجتهدًا احلفُ
لا خنت مَن اهوى ولا سُمْتهُ هجرًا ولا مثلي به يوصفُ

(قال) ثم انشأ هارون بن الحصين التميمي يقول هذه الابيات:

أبالاحلام اسلو عن هواءي لاقوامٍ اتوا بالتُّرَّهاتِ
اتونا يزعمون بانَّ زَوْرًا اتى بنصيحةٍ عند البياتِ
بحضّهمُ على هجرٍ وغدرٍ وقطع الحبل منّا والشتاتِ
فمن يك راغبًا عن وصل الفٍ فلست براغب حتى المماتِ

(قال) وتفرق القوم ليلتهم تلك ايضاً وقد وفق الله تعالى منهم خمسة نفر للتوبة وهم يحيي وسليمان وبشر ومحمد ويعقوب وبقي منهم خمسة هارون وعبدالله وسعيد والاحمدان

(قال) وجعل هؤلاء الخمسة الذين تابوا يدعون الى الله ويتضرَّعون في ان يردّ قلوب اخوانهم الى ما هم عليهِ من التوبة ويدعوهم اليها فلم يزالوا كذلك الى ان استجاب الله منهم دعاءهم في اخوانهم واقبلوا بقلوبهم الى الطاعة. فكتب كل واحد منهم بابيات من الشعر وارسلوها الى اخوانهم التوابين. فلمّا وصلت هذه الابيات من هولاء الخمسة الى اخوانهم فرح الذين سبقوهم الى التوبة واستبشروا واشتدَّ سرورهم ثم ابتهلوا الى الله عزَّ وجل في ان يقوّيَ عزمهم فيما عزموا عليهِ من التوبة فاستجاب الله لهم ذلك

(قال) ثم انهم تواعدوا ان يجتمعوا في مشربة لهم فيكلم بعضهم بعضاً فاجتمعوا في مشربتهم تلك وهي مشربة معروفة بالمدينة يقال لها اليوم مشربة التوبة وكانت تعرَف قبلًا بمشربة العطارين بالمدينة. فلما اجتمعوا هناك اعتنقوا وبكى بعضهم على بعضٍ لطول الفرقة وما كانوا عليهِ من التباعد وحمدوا الله على ما هم عليه من التقوى وسالوه التوفيق والعصمة والثبات

رسالة في الحروف العربية

تمهيد

بين مخطوطات مكتبتنا الشرقيَّة مجموع فيه عدَّة مصنَّفات لغويَّة وادبيَّة وفقهيَّة منها شعر ومنها نثر لكتبة من ادباء المسلمين مخطوطة باقلام مختلفة وفي ازمنة متباينة بين القرنين السادس عشر والثامن عشر . اوَّلها ارجوزة في الالفاظ المثلَّثة الحركات وفي اثرها ارجوزة اخرى في شرح مثلثات قطرب الشهيرة . ويليهما رسالة اقدم خطًّا في الحروف العربية . وهذه الرسالة لا تتجاوز اربع صفحات بخط ناعم جليّ يتراوح عمرها بين مائتي سنة وثلاثمائة سنة . مدارها على الحروف الهجائية وما لها من وجوه المعاني . امَّا مؤلفها فلم يصرّح باسمهِ ولعلَّها لاحد قدماء النحويين لم يمكنَّا أن نتحقَّقهُ . وغاية ما نعلم انَّ بعض اللغويين وضعوا في ذلك تآليف اخذتهـا يد الضياع منها كتاب الحروف لابن دريد (الفهرست ص ٥٩) وكتاب الحروف لابي عمرو الشيبانيّ (ص ٦٨) وكتاب الهجاء لابي بكر محمَّد الجعد (ص ٨٣) . وقد بحثنا في مخطوطات المكاتب الأوربيَّة فلم نجد من ذلك شيئًا يرشدنا الى ضالتنا وكذلك في كشف الظنون للحاج خلفا لم يُذكر سوى كتابين في الحروف لا علاقة لها مع هذه الرسالة وهما كتاب الحروف الستة س ص ض ط د ذ للبطليوسيّ وكتـاب الحروف والعدد لعبد الرحمان المغربي وللشيخ احمد البونيّ . فمن ثمَّ تولَّينا طبع هذا الاثر القديم ليسلم من الضياع والامل معقود باحد القرّاء ان يفيدنا عن صاحبهِ . وقد نشرنا الرسالة كما وجدناهـا مع اصلاح بعض اغلاط للناسخ كانت شوَّهت محاسنها . وكذلك جمعنا بين كل وجه من وجوه الحروف المذكورة والمثل المضروب عليهِ لأن المؤلف كان فرق بينهما فهو يعدّد اوّلًا معاني الحرف تباعًا ثمَّ يُعقبها بالامثال منفردةً . فراينا ان الاوفق أن يُلحق الشاهد بالمشهود عليهِ زيادةً في الايضاح . ثمَّ ذيَّلنا المقالة ببعض الفوائد التي اقتبسناها من كتب اللغة تتمَّةً لمعاني الحروف واستدراكًا لمـا فات المؤلف

ل . ش

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ الالف ﴾ في كلام العرب على اثنين وعشرين وجهاً : ١ً الف الأَصل في الافعال مثل : أبى يأبى ٢ً الف الوَصل مثل الف الامر في اكتُبْ واَحضَرْ ٣ً الف الاطلاق مثـل الف نَصَرُوا وكَتَبوا ٤ً الف القطع نحو : أَكرِمْ وأَنعِمْ ٥ً الف

الضمير مثل الالف في ضَرَبا ويَضرِبانِ ٦ً الف التثنية كما في: زيدان وعَمْران ٧ً الف الواسطة مثل قوله تعالى: آنذرتَهم ٨ً الف التفضيل كقولك: زيد أفضل من عمرو ٩ً الف التعجُّب نحو: أحسِنْ بزيدٍ ١٠ً الف الاستفهام مثل: أزيدٌ قائم ١١ً الف الإنكار مثل قولهِ تعالى: أتدعون بعلًا ١٢ً الف التقرير مثل قولهِ تعالى: ألستُ بربكم قالوا: بلى ١٣ً الف الاستقبال (اي الف المضارع) مثل الالف في أنصرُ ١٤ً الف النداء في مثل: أزَيدُ ١٥ً الف الندبة كقولك: أزَيداه ١٦ً الف الاعراب مثل: رأيتُ اخاكَ واكرمتُ اباكَ ١٧ً الف البدل مثل الالف في باعَ وقالَ (وهي مبدلة من الياء والواو) ١٨ً الف الزيادة مثل: أفعَلَ ١٩ً الف التأنيث مثل: دنيا وحمراء ٢٠ً الف الصفة مثل: أحمَر وأصفَر ٢١ً الف جمع التكثير كما في منَابر ومسَاجد ٢٢ً الف جمع الاناث كسلمات ومُؤمنات (١

﴿ الباء ﴾ على خمسة اوجه: ١ً باء الاصل مثل باء كَتَبَ وضَرَبَ ٢ً باء الوصل كقولك: مرَّ زيد بعمرٍو ٣ً باء البدل عن الميم نحو: سَبَدَ رأسهُ معناهُ سَمَدَ رأسهُ ٤ً باء القسم نحو: بِاللهِ ٥ً باء الثمن نحو: اشتريتُ بدرهم (٢

١) (الالف) ممَّا فات المؤلف في باب الهمزة والالف الوجوه الآتية: ١ً الف الدَّوية كقولك: سواء عندي أيموتُ ام يحيَا ٢ً الالف المبدلة من نون التوكيد نحو: ولا تعبدِ الشيطان واللهَ فاعبدا اي فاعبدن ٣ً الف الفصل كالالف الفاصلة بين نون الاناث ونون التوكيد نحو: يضربنانِّ ٤ً الف القافية كقول الشاعر:

يا رَبعُ لو كنتُ دمعًا فيكَ منسكبًا قضيتُ نحبي ولم اقضِ الذي وَجَبَا

٥ً الف لام المعرفة نحو الرَّجل. وقد احصى الثعالبي في كتاب سر العَرَبية معاني اخرى للالف في وزن أفعَل كالحينونة في مثل قولك: أحصَدَ الزرعُ اي حان أنْ يُحصد. وكالوجدان في مثل: أكذَبْتُهُ اي وجدتهُ كذَّابًا. والاتيان كقولك: أحسنَ اي اتى بفعلٍ حَسَن. وممَّا يجب الانتباه اليهِ انَّ المؤلف لم يفرق بين الهمزة والالف وكان الاولى التمييز بينهما. والهمزة تبدل من العين فيُقال: آديتهُ على الامر وأعديتهُ اي قوَّيتهُ وقوم عَباديد وأبابيد (كتاب الابدال لابن السكيت (ed. Haffner., p. 22)

٢) (الباء) وممَّا يضاف الى وجوه الباء انها تاتي: ١ً زائدة فيقال: اخذ بيدهِ اي اخذ يدهُ وكفى بالله معينًا اي كفى الله وتزاد في خبر ليس نحو: ليس الله بظالم. وبعد فعل التعجب: أحسِنْ بفلان اي ما احسنهُ ٢ً وللباء الجارَّة معانٍ متعدّدة كالالصاق نحو: مسحت يدي بالارض. والاستعانة نحو: كتبتُ بالقلم. والمصاحبة نحو: اذهب بسلام اي مع سلام ٣ً وتاتي على معاني غيرها من

﴿ التاء ﴾ على سبعة اوجه: ١ً تاء الاصل نحو: ثَبَتَ ٢ً تاء التأنيث مثل: ضربتْ وتضربُ هي ومؤمنةٌ ومؤمنات ٣ً تاء المتكلم مثل ضَرَبْتُ ٤ً تاء المخاطب نحو: انتَ وضربتَ وتضربون ٥ً تاء الضمير في ضَرَبْتُ وضَرَبْتَ وضرَبتِ ٦ً تاء الزيادة نحو: افتخر وتفاخر ٧ً تاء البدل من الواو في القَسَم نحو: تاللهِ (١

﴿ الثاء ﴾ تأتي على وجه واحد وهو الاصل نحو: عَبَثَ فالثاء للاصل (٢

﴿ الجيم ﴾ على وجهين: ١ً جيم الاصل نحو: جبل ٢ً جيم البدل من الياء مثل قول الشاعر:

يا ربِّ ان كنتَ قبلتَ حُجَّتِجْ   فلا يزالُ شاحِجٌ يأتيكَ بِجْ

اي قبلتَ حجَّتي ويأتيك بي (٣

﴿ الحاء ﴾ على وجه واحد حاء الاصل نحو: فَرِحَ (٤

الحروف كمن وعن وفي فتقول: لقيتُ بِهِ شرًّا اي منهُ . واسأل بِهِ خبيرًا اي عنهُ. وهذه بلدة يسكن بها الناس اي فيها. وحلَّت بِهِ الداهية اي عليهِ ٤ً وتبدل الباء من الميم كقولك: أزمى على الخمسين وأربى. ولون أرمَد واربَد اي أغبر (اطلب كتاب القلب والابدال لابن السكّيت (ed. Haffner, p.10) ٥ً وتاتي في كلام العامَّة قبل المضارع (اطلب المشرق ٣: ٤١٥؛ ٤٧٦)

١) (التاء) امكن المؤلف ان يزيد في وجوهها انَّها تجعل في افتعل من المثال بدلًا من الواو نحو: اتَّحد. وفي المهموز الفاء بدلًا من الهمزة نحو: اتَّخذ. وكذلك تزاد على الاسم والحرف كما تزاد على اوزان الفعل نحو: تَتْفُل من اسماء الثعلب ورُبَّت وثُمَّت في ربَّ وثمَّ

٢) (الثاء) جاء في كتاب القلب والابدال لابن السكيت (ed. Haffner, p. 34) انَّ الثاء تُبدل من الفاء وضرب لذلك عدَّة امثال كجَدَف وجَدَثَ للقبر. والحفالة والحثالة للرديء من كل شيء. وثَلَغَ راسهُ وفلغهُ اي شدخهُ. وتبدل من تاء افتَعَلَ في الثلاثي الذي اوَّلهُ ثاء كقولك: اثَّأر واثَّمدَ واثَّنى

٣) حكى ابن السكيت في الابدال (ib. 38) عن الأصمعي ان الجيم والكاف تتبادلان نحو: ارتكَ وارتجَ. وريح سَيْهَج وسَيْهَك اي شديدة. وسَحكَهُ كسَحَجَهُ وسَحَقَهُ

٤) (الحاء) ورد في كتاب القلب والابدال لابن السكيت (ed. Haffner, p. 26) ان الحاء والهاء تتبادلان واتى لذلك بعدَّة شواهد كَمَدَحَ ومَدَهَ وقَحَل جلدُهُ وقَهَل وجَلَحَ راسهُ وجَلِهَ. ونَحَمَ ونَهَمَ. وكذلك الحاء والخاء (ib. 30) كفاحت الرائحة وفاخت. والحَثي والخَثيّ اي اليابس. وحَسَلَهُ وخَسَلَهُ اي رذلهُ. ومثلها العين والحاء (ib. 24) كضبعَت الخيل وضَبَحت اي نحمتْ ورجل عُفاضِج وحفاضِج اي كثير اللحم. وبعثر المتاعَ وبحثرهُ اي فرَّقهُ

﴿ الخاء ﴾ على وجه واحد خاء الاصل نحو: فَرْخ (١

﴿ الدال ﴾ على وجهين: ١ً دال الاصل نحو: مَمدُود ٢ً دال البدل من الذال نحو: ادَّكَرَ (٢

﴿ الذال ﴾ الذال على وجه واحد ذال الاصل نحو: ذَكَرَ (٣

﴿ الراء ﴾ على وجه واحد راء الاصل نحو: ظَهَرَ (٤

﴿ الزاي ﴾ على وجهين: ١ً زاي الاصل نحو غَزَا ٢ً زاي البدل من السين نحو: يَزْدِل ورَزَبَ بمعنى يَسدِل ورَسَبَ (٥

﴿ السين ﴾ على خمسة اوجه: ١ً سين الاصل نحو: حَسدَ ٢ً سين الطلب نحو اَستَزَادهُ اي طلب منهُ الزيادة ٣ً سين الزيادة نحو: اَستقـام ٤ً سين البدل عن الصـاد نحو: سَفَقَ الباب كصَفَقَهُ ٥ً سين سوف نحو: سَتُنْصَرُ معناهُ سوف تُنصَر (٦

﴿ الشين ﴾ الشين على وجهين: ١ً شين الاصل نحو شَمَلَ ٢ً شين البدل عن الكاف نحو: رأيتُش اي رَأَيتُكِ (٧

---

١) (الخاء) تتبادل كالحاء مع الهاء (ed. Haffner, 32) كصَخَدَتْهُ الشمس وصهدَتْهُ. وكَبَخْ بَخْ وبَهْ بَهْ حكاية المتعجب

٢) (الدال) تُبدل من التاء في افتعل من الافعال التي فاؤهـا دال او ذال او زاي نحو: ادَّفَعَ واذْدَكَرَ وازْدَهَرَ. وتبدل من التـاء والذال والزاي في الاصول نحو: هَرَدَ الثوب وهَرَتَهُ ومدَّ في السير ومتَّ (ib. 53-54). والدَّحْدَاح والذحذاح اي القصير وشرَّد وشرَّذ. وذَبرَ الكتاب وزبرهُ

٣) (الذال) تبدل من الثاء فيقال تَلَعْذم وتَلَعْثَمَ. ومن الدال كما مرَّ

٤) (الراء) تُبْدل من اللام فيقال النَّثْرة بمعنى النَّثْلة اي الدِرع ورَجُل وَجِر ووَجل (ib. 59)

٥) (الزاي) تُبْدل ايضاً في الصاد كمزدغة ومِصْدَغة. وبزَقَ وبَصَقَ (ib. 43-44)

٦) لسين استفعل معانٍ اخرى كالوجدان يقـال استعظمهُ اي وجدهُ عظيمـاً . والصيرورة يقال استَنْسَر البُغاث اي صار نسرًا. وهي تبدل من عدَّة حروف من الزاي كما مرَّ. ومن الصاد كما نصَّ عليهِ المؤلف. ومن التاء والثاء والشين كقولك: فلان على تُوسهِ وسوسهِ اي خلقهِ. وكالوَطْس والوَطْث للضرب الشديد بالخفّ. وجرسٌ من الليل وجرشٌ (ib. 36, 40-41). ويزاد على ذلك سين الكَسْكَسة في لغة تميم يلحقونها بكاف الخطاب

٧) يُزاد على وجوه الشين شين الكشكشة وهي كسين الكَسْكَسة. وقد مرَّ تبادلها مع السين

﴿ الصاد ﴾ على وجه واحد صاد الاصل نحو: صَبَرَ (١

﴿ الضاد ﴾ على وجه واحد ضاد الاصل نحو: ضَرَبَ (٢

﴿ الطاء ﴾ على وجهين: ١ً طاء الاصل نحو: طَهُرَ ٢ً طاء البدل من التاء نحو: أضطَرَّ (٣

﴿ الظاء ﴾ على وجه واحد ظاء الاصل نحو: ظَهَرَ (٤

﴿ العين ﴾ على وجهين: ١ً عين الاصل مثل: عُمَر ٢ً وعين البدل عن الهمزة فيقولون: رَعَيتُ وجهُ اي رأيتُ (٥

﴿ الغين ﴾ على وجه واحد غين الاصل نحو: غَفَرَ (٦

﴿ الفاء ﴾ على اربعة وجوه: ١ً فاء الاصل نحو: فَارس ٢ً فاء العطف كقولك دخل المسجد فصلَّى ٣ً فاء جواب الشرط نحو: إنْ يأتي فلهُ الشكر ٤ً فاء الجزاء ائتني فأُكرِمك (٧

---

١) تبدل الصاد من الزاي كما مرَّ. ومن الضاد والطاء. كقولك مَصْمَصَ اناءه ومَضْمَضهُ ونَصْنَصَ لسانهُ ونَضْنَضَهُ اذا حرَّكهُ. وقصَّ وقطَّ. وأَمْلَصَت الناقة وأَمْلطت (ed. Haffner 48-49)

٢) تُبدل تاء افتعلَ ضادًا في الافعال البادئة بالضاد نحو: اضَّرَبَ

٣) تتبادل مع الدال نحو: قَطْني ذلك وقَدْني اي كفاني. ومع التاء والطاء نحو: غَلَت وغَلَط ومطَّهُ ومدَّهُ. ومع الجيم كَبطَّ الجُرْح وبجَّهُ وأُجُم وأُطُم للبيت المربَّع. ومع الصاد كما مرَّ (ib. 46-49)

٤) يجوز قلب تاء افتعل ظاءً في الافعال التي اوَّلها ظاء نحو: اظَّلَمَ

٥) العين والهمزة تتبادلان كما روى المؤلف فتقول: يوم عَكّ ويوم اكّ اي شديد الحرّ وموت زُعاف وزؤاف اي عاجل (ib. 22). وكذلك العين والحاء كما مرَّ. والعين والغين كالوَعْل والوَغْل اي الملجأ وبَعْثَرَ المتاع وبَغْثَرهُ

٦) تأتي الغين بدلًا من العين كما سبق. وبدلًا من الحاء كالغِطْريف والغِطريف اي الواسع. وغَبَنَ الثوب وخبَنَهُ (ib. 32)

٧) (الفاء) لفاء العطف معانٍ مختلفة كالترتيب نحو: زار الملك فالوزير. والتعقيب نحو: غزا مصر ففتحها. والسببيَّة نحو: شرب السمَّ فمات. ومن وجوه الفاء كونها للمصدر وهي التي بعد النفي والنهي والامر والاستفهام والعرض والتمني فتنصب فعل المضارع نحو: لا تسرق فَتُقْتَلَ. وليت لي مالًا فأُعطِيَك. وتكون الفاء زائدة نحو: اخوك فزيدٌ. وقد مرَّ انَّها تبدل من الثاء. وذكر ابن

﴿ القاف ﴾ على وجه واحد قاف الاصل نحو: قَهَرَ (١

﴿ الكاف ﴾ على خمسة وجوه: ١ً كاف الاصل: نحو كَفَرَ ٢ً كاف الزيادة مثل قولهِ: ليس كمثل الله شيء ٣ً كاف البدل عن القاف مثل: كَهَرَهُ اي قَهَرَهُ ٤ً كاف الخطاب مثل: ضربكَ وضربكِ ٥ً كاف التشبيه مثل قولهِ تعالى: كسرابٍ بقيعةٍ (٢

﴿ اللام ﴾ على اربعة عشر وجهاً: ١ً لام الاصل مثل: لَيس ٢ً لام الزيادة كعَبْدَل وهو بمعنى العَبْد ٣ً لام الجنس نحو: اشتريتُ الاملاك ٤ً لام التعريف مثل: هذا الرجل ٥ً لام التخصيص نحو: الحمدُ لله ٦ً لام التَّمليك نحو: عبدٌ لعمرٍو ٧ً لام الامر مثل لِيَضْرب ٨ً لام التأكيد كقولهِ تعالى: لأَغلبنَّ انا ورُسُلي ٩ً لام الابتداء نحو: لَزَيدٌ خارجٌ ١٠ً لام كي الناصبة: جاء لِيملكَ ١١ً لام العَرَض (كذا دون مثل) ١٢ً لام العلّة نحو: فعلتهُ لحصول الثواب ١٣ً لام الاستغاثة مع فتحها للمستغاث وكسرها للمستغاث لهُ: يا لَزَيد لِعَمْرو ١٤ً لام التعجّب نحو: يا لِلأَمرِ غريب ويا لِله (٣

السكيت عن الاصمعي (ed. Haffner, 36) إبدالها من الكاف كالحسيفة والحسيكة للعداوة. وسِانكان الحجَل وسلفاها اي اولادها

١) (القاف) تُبْدل من الجيم كزلقت قدمُهُ وزلجَت. والبائقة والبائجة اي الداهية. وتُبدل من الكاف كقول: قَشَطَهُ وكَشَطَهُ. واعرابي قُحّ وكُحّ. ولون اقهب واكهب (ib. 37)

٢) (الكاف) تكون لاشارة المتوسط والبعيد كذاك وذلك وتلك. ومن معانيها المرادَفة لَعَلى نحو: كُنْ كما انت اي على ما انت عليهِ. وقد مرَّ انَّها تكون بدلًا من الجيم والفاء والقاف

٣) (اللام) قسم النحويون اللام الى ثلاثة اقسام: لام الجرّ ولام الجزم واللام الخالية من العمل. ثمَّ عدَّدوا للام الجرّ معاني مختلفة بلَغوها اثنين وعشرين معنى اخصُّها التمليك والتخصيص والتعليل والاستغاثة والتعجب كما ذكر المؤلف. ومن معانيها الاستحقاق نحو: العزّ لله. والصيرورة: للموت ما تلدُ الامهات. وتأتي بمعاني حروفٍ غيرها كمعنى (الى) نحو: ارسل لهُ اي اليه. ومعنى (على) نحو: خرُّوا امامهُ للاذقان اي على الاذقان. ومعنى (في): مضى لسبيلهِ اي في سبيلهِ. ومعنى (من) خرج لوقتهِ اي من وقتهِ. ومعنى (بعد): كتبهُ لثلاثٍ خلون من محرَّم اي بعد ثلاث ليالٍ. وتُدعى لام الوقت او لام التاريخ. ومعنى (عند): صلَّى لطلوع الشمس. وتكون للتوكيد وهي الزائدة كقولك: ضرب لزيدٍ اي ضربه. ويا بؤساً للحرب اي يا بؤسها. امَّا اللام الجازمة

﴿ الميم ﴾ على اربعة اوجه : ١ً ميم الاصل نحو : رَجَمَ ٢ً ميم الزيادة نحو : منصور ٣ً ميم الجمع مثل : نصرتم ٤ً ميم البدل عن النون نحو : أَيْن وأيم وهي الحيَّة . ويقال: يوم غَيْن كما يقال يوم غَيْم (١

﴿ النون ﴾ على ثمانية اوجه: ١ً نون الاصل نحو : نَصَروا ٢ً نون الزيادة نحو : أَنْقَطَعَ ٣ً نون العرض نحو :ألا أنصرَنْ ٤ً نون الاستقبال (اي المضارع) نحو : نَنصُرُ ٥ً نون الخبر عن نفسهِ وعن غيرهِ نحو : دَخَلْنَا ٦ً نون التاكيد: واللهِ لأَفعلنَّ ٧ً نون جمع التأنيث نحو : يَنظُرْنَ ٨ً نون الاعراب (في الافعال الخمسة) نحو : تضربونَ وتضربينَ (٢

﴿ الواو ﴾ على اربعة عشر وجهاً: ١ً واو الاصل نحو : وَعَدَ ٢ً واو الزيادة نحو : عَمرو ٣ً واو العِوَض نحو يُوسر بقلب الياء واواً ٤ً واو الجمع نحو: مُسْلِمُون ٥ً واو الضمير نحو : كَفَرُوا ٦ً واو العطف نحو : ضربتُ زيداً وعمراً ٧ً واو الاستقبال نحو : تَنصُرون ٨ً واو الحال نحو : قَدِمَ وهو يَبكي ٩ً واو القسم

فتتقدَّم المضارع المجزوم بمعنى الامر والطلب وتسكَّن بعد الفاء والواو وثمَّ :فَلْيكتب. اماَّ اللام الخاليَة من العمل فلام الابتداء ولام الخبر الزائدة : زيدٌ لَعاقل. واللام الواقعة في خبر انَّ وتكون للتاكيد: انَّ الله لَعادل. ولام جواب لو: لو جاء لأَكرمناهُ . ولام الاشارة للبعيد نحو : ذلك وتلك. وروى ابن السكيت في القلب والابدال (ed. Haffner ,1) انَّ اللام تكون بدلاً من النون نحو: هتنت السماء وهتَلَتْ. وعلْوان الكتاب وعُنْوانهُ. صَنَّ اللحمُ وصَلَّ. وبدلاً من الدال (ib.. 46) نحو : مَمْكُون ومَمْكُود اي محبوس . ومَمَلَهُ ومَدَهُ اذا اختلسهُ. وبدلاً من الراء كما مرَّ

١) (الميم) انَّ ميم الزيادة تكون اما لصيغة الاوزان كمفعول ومفعال . واماَّ للمبالغة في آخر بعض الاسماء كَرجُل فُسْحُم اي واسع الصدر. وزُرْقُم اي ازرق . وشَدْقَم اي واسع الشدق . وتتبادل الميم مع الباء كما مرَّ ومع النون كما اشار اليهِ المؤلف ونصَّ عليهِ ابن السكيت (ib., 17)

٢) (النون) تكون زيادة النون في اوَّل الكلمة كالنُّخْروب وهو الثقب . وفي الوسط كتون وزن انفعل مطاوعة فعل وكما في قلَنْسوة . وفي الاخر كضَيْفَن اي الضيف والمتطفل وكَرَعْشَن للذي يرتعش. وممَّا فات المؤلف من وجوهها نون التنوين بمعانيها كما في رجلٍ وفي قاضٍ وفي يومئذٍ. ونون الوقاية الواقية لآخر الكلمة من الكسر نحو: ضربَني وانَّني والنون الزائدة وهي نون الاعراب في الافعال الخمسة ونون المثنَّى والجمع السالم نحو: زَيْدان وزَيدُون. اماَّ نون التوكيد التي ذكرها المؤلف فتكون اماَّ مشدَّدة كيضربنَّ واماَّ خفيفة كيضرِبَنْ . وأنطاهُ لغة في أعطاهُ

نحو : والله ١٠ً واو الاشباع نحو: عَلَيْهُمو ١١ً واو الندبة نحو: واعَيني ١٢ً واو ربَّ نحو: ورَجُلٍ كريمٍ زرتُهُ معناهُ رُبَّ رجلٍ ١٣ً واو الفصل نحو: عمرو. فصلًا لها عن عُمَر ١٤ً واو الاعراب نحو: جاء أبوكَ (١

﴿ الهاء ﴾ على ثمانية اوجه: ١ً هاء الاصل نحو: هَرَبَ ٢ً هاء الزيادة نحو: طَلْحَة ٣ً وهاء الضمير نحو: نصرهُ ٤ً هاء التأنيث نحو: قاعدة ٥ً هاء الوقف نحو: رَهْ ٦ً هاء الجمع نحو: قُضاة وكَتَبَة وحجارة وقياصرة ٧ً وهاء المبالغة نحو: رجل عَلاَّمَة وداهية وضُحَكَة ٨ً وهاء الاستراحة كقوله تعالى: ما أغنى عنّي مالِيَه (٢

﴿ اللام الف ﴾ على وجهين: ١ً لام الف الاصل ٢ً لام الف النهي نحو: لا يَنصُرْ

﴿ الياء ﴾ على اثني عشر وجهاً: ١ً ياء الاصل مثل: رَمى يَرْمي ٢ً ياء الزيادة مثل: يَبطَرَ ٣ً ياء البدل من الواو مثل: سيّد وميّت ٤ً ياء الضمير مثل: تَضربي ٥ً ياء الاستقبال نحو: تَضربينَ ٦ً ياء الاشباع نحو: عليهِ ٧ً ياء الاضافة مثل: غُلامي ٨ً ياء التصغير مثل: قُرَيْرَة ٩ يا النسبة نحو: بصريّ ١٠ً ياء التثنية نحو: الرجلين ١١ً وياء الجمع نحو: رايتُ المسلمين ١٢ً وياء الاعراب نحو: مررتُ باخيك

تمَّ والله اعلم بالصواب

---

١) (الواو) وتكون الواو ايضاً لاوزان الاسم والفعل كما في جَوْهَر وكَوْثَر وفي وزن إفعوعل كاعذَوْذب . ومن معانيها المعيَّة في المفعول معهُ نحو: سرتُ والشَّمسَ اي مع الشمس. ومنها واو المصاحبة الناصبة المضارع كالفاء بعد الامر والنهي والاستفهام الخ نحو: لا تَنهَ عن خُلق وتأتيَ مثلَهُ . ومن الطوارئ الجاربة عليها انَّها تُقلَب كما في تُكلان وتُراث اصلهما وُكلان ووُرات (ed. Haffner 62). وتتبادل مع الهمزة نحو: أرِّخ الكتاب وورِّخهُ . وأَكَفْتُ الدابَّة ووكَفتها . وآخيتُهُ وواخيتُهُ

٢) (الهاء) وممّا يزاد على قول المؤلف هاء المرَّة والنوع كمِيتَة وضَربة . وتُبدل الهاء من الهمزة فتقول أرَقتُ الماء وهرقتُهُ . وأيا زيد وهَيَا زيد (ib. 25). وتبدل من الحاء والخاء كما مرَّ

٣) (الياء) تُبدَل الياء من الهمزة نحو: يَلمَعيّ وألمعي وأرَقان ويَرَقان (ib. 54) ومن الجيم كما مرَّ

الآداب العربيَّة في القرن التاسع عشر

بحث تاريخي وانتقادي للاب لويس شيخو اليسوعيّ (تابع)

﴿ أدباء المسلمين في العراق ﴾ تذكَّر العراق في اواسط القرن التاسع عشر مفاخرهُ السابقة فاراد أن يحييها فنزل في حلبة الآداب وركض فيها جياد الالباب فنال قصبة السبق والغلاب . وها نحن نذكر الذين وقفنا على شيء من اخبارهم نقلًا عن مخطوطات مكتبتنا الشرقية وبعض المطبوعات النادرة مباشرةً بالالوسيين والسويديين

﴿ الالوسيُّون ﴾ هم قوم من فضلاء بغداد احبُّوا العلوم والاداب فاوقفوا نفوسهم لخدمتها ونشروا معالمها في وطنهم . واصلهم من ألوس احدى قرى الفرات ثمَّ انتقلوا الى بغداد وامتازوا فيها بحسن الخصال . ولما كانت اواسط القرن التاسع عشر برزَ بينهم أولاد السيد صلاح الدين ابن السيد عبدالله الالوسي . وكانوا ثلاثة رضعوا كلهم افاويق الأدب وذهبوا في فنونهِ كل مذهب

واوَّلهم ابو الثناء شهاب الدين السيّد محمود افندي المعروف بالشهاب الأَلوسي . ولد في بغداد في ١٤ شعبان سنة ١٢١٧ (١٨٠٢ م) وهناك توفي في ٥ من ذي العقدة سنة ١٢٧٠ (١٨٥٤م) كَلِف بالعلوم منذ حداثة سنهِ وبذل النفس والنفيس في احراز جواهرها حتى انَّ رغبتهُ في طلب المعارف شغلتهُ عن حطام الدنيا وأنستهُ هناء العيش وملاذَّ الحياة وبرَز بالعلوم الدينية فصار اماماً في التفسير والافتاء وكان مع ذلك كاتباً بليغاً وخطيباً مصقعاً وفي سنة ١٢٦٢ (١٨٤٥) سافر برفقة عبدي باشا المشير الى الموصل ثم الى ماردين فديار بكر فارزروم فسيواس فالاستانة العليَّة واجتمع حيثما دخل بأعلام العلماء وائمة الادباء وكانوا يتهافتون اليهِ ليقتبسوا من انوارهِ ويغرفوا من بحارهِ . ثمَّ عاد الى وطنهِ معزَّزًا ممدَّحًا بكل لسان مشمولًا بألطاف الحضرة العليّة السلطانيَّة . وكان جلالة السلطان عبد المجيد منحهُ الوسام المرصع العالي الشأن . فلما عاد الى وطنهِ سنة ١٢٦٩ انقطع الى التأليف . وفصَّل اخبار رحلتهِ في عدَّة مصنَّفات منها كتابهُ رحلة الشمول في الذهاب الى اسلامبول طُبع في بغداد سنة ١٢٩١ واتبعهُ بكتاب نشوة المدام في العود الى بلاد السلام ثمَّ كتاب غرائب الاغتراب في الذهاب والاقامة والاياب ويُدعى ايضاً بنزهة الالباب ضمَّنهُ تراجم الرجال والابحاث العلمية التي جرت بينهُ وبين حضرة السيد

احمد عارف حكمت بك شيخ الاسلام. وكان السيد محمود سريع الخاطر ونسيج وحدهِ في قوَّة التحرير وسهولة الكتابة ومسارعة القلم قيل انهُ كان لا يقصر تأليفهُ في اليوم والليلة عن اقلّ من ورقتين كبيرتين. وقد ألف كتباً عديدة في التفسير والفقه والمنطق والادب واللغة كشرح السلّم في المنطق. وكتاب كشف الطرَّة عن الغرَّة وهو شرح على درَّة الغوَّاص للحريري. ومن تآليفهِ رسالة في الانسان. ولهُ حاشية على شرح قطر الندى لابن هشام ألفها وعمرهُ لا يتجاوز ثلاث عشرة سنة. وكتاب المقامات طبعهُ في كربلاء وكتاب التبيان في مسائل ايران وكتب اخرى غيرها. وكان لهُ شعر قليل الَّا انهُ غاية في الرقَّة كقولهِ يذكر العراق في غربتهِ:

اهيمُ بآثار العراقِ وذكرهِ ... وتغدو عيوني من مسرَّتها عَبرَى
والثمُ اخفافًا وطئنَ ترابهُ ... واكحل اجفانًا بتربتهِ العَطرَى
واسهرُ ارعى في الدياجي كواكبًا ... غرٌّ اذا سارت على ساكني الزورا
وأنشقُ ريح الشرق عند هبوبها ... أداوي بها يا مَيُّ مُهجتيَ الحرَّا

وقال في وصف بغداد وفراقهِ لها:

ارضٌ اذا مرَّت بها ريحُ الصبا ... حملت من الارجاءِ مسكًا أذفرا
لا تسمعنَّ حديث ارضٍ بعدها ... يُروى فكل الصيد في جوف الفرا
فارقتُها لا عن رضىً وهجرتُها ... لا عن قلىً ورحلتُ لا متخيرا
لكنَّها ضاقت عليَّ برحبها ... لما رايتُ بها الزمان تنكرًا

ومن حسن قولهِ وصفهُ لشاعر سهل الالفاظ بعيد المعاني:

تتحيَّرُ الشعراء ان سمعوا بهِ ... في حسن صنعتهِ وفي تأليفهِ
فكأنهُ في قربهِ من فهمهم ... ونكولهم في العجز عن ترصيفهِ
شجرٌ بدا للعين حسنُ نباتهِ ... ونأى عن الايدي جَنى مقطوفهِ

وقال مستغفرًا وقد افتتح بهِ كتاب مقاماتهِ:

انا مذنبٌ انا مجرمٌ انا خاطي ... هو غافرٌ هو راحمٌ هو عافي
قابلتهنَّ ثلاثةً بثلاثةٍ ... وستغلبنْ اوصافهُ اوصافي

وكانت وفاة الشهاب الالوسي في السنة التي ذكرناها فرثاهُ قوم من الفضلاء كما مدحوهُ في حياتهِ وقد جُمعت تلك المدائح في كتاب حديقة الورود في مدائح ابي الثناء شهاب الدين محمود. وكان اولادهُ اغصانًا نضرة لتلك الدوحة الباسقة سنذكرهم في وقتهم. واشتهر في زمانهِ اخواهُ عبد الرحمان وعبد الحمد فعُرف عبد الرحمان بفصاحة

لسانهِ وخلابة اقوالهِ في الخطابة والوعظ وكان يدرّس العلوم الدينيَّـة في اكبر جوامع الكرخ الى وفاتهِ سنة ١٢٨٤ (١٨٦٧) وعمره نحو ثلث وستين سنة

امَّا عبـد الحمد الالوسيّ فكان مكفوف البصر ولم تصدّهُ تلك العاهة عن طلب العلوم فاخذها عن اخيه السيّد محمود الذي اجازهُ في المعقول منها والمنقول والفروع والاصول فجعل يدرّس في مدرسة بغداد المعروفة بالنجيبيَّة ويتقاطر لاستماعه الناس حتى علية القوم وفي مقدَّمتهم عليّ رضا باشا والي بغـداد وله بعض مصنَّفات نثريَّة بليغة وقصائد غرَّاء منها قصيدة في مدح احد مشايخهِ العظام اوّلها:

تنوح حمامـاتُ اللوى وانوحُ ... واكتمُ سرّي في الهوى وتبوحُ
وتُعجم ان رامت أداء مرامهـا ... ولي منطق فيما اروم فصيـحُ
لهـا مقلةٌ عند التنـائي قريرةٌ ... ولي مدمـع يوم الفراقِ سفوحُ

الى ان قال مادحًا:

فتى كلُّهُ عفوٌ ولطفٌ وعفَّـةٌ ... وعن زلَّة الشاني الحـودِ صفوحُ
حليمٌ وهل كالحلم في المرء زينـةٌ ... سموحٌ وذو الشانِ الجليل سموحُ
وفارس فضـلٍ لا يجاريهِ عارفٌ ... وأنّى يجـاري العـاديات جموحُ
يفوح بأفواه العدى نشر فضـلهِ ... كما فاح نشرًا في المجامر شيحُ
لقد عطَّر الارجاء منك فضائلٌ ... فوصفك مسكٌ في الانام يفوحُ

ومن نثرهِ قولهُ يصف الاولياء:

لقد فاز قومٌ عاملوا الله بالاخلاص والصدق ، وعاملوا الناس بخفض الجناح ورفع الجُناح وحفظ الوداد مع اللين والرفق ، تحمَّلوا من اجلهِ ألم الاذى والمشاقّ ، فأزالوا بأنوار شهود جمالهِ عن بصائرهم حجب العوائق الانسانيَّة ، وتحمَّلوا اذا اذاقهم الورى مرَّ المراء والشقـاق ، فاماطوا بعذوبة انسهِ ووصالهِ عن رقابهم رَبق العلائق النفسانيَّة ، أعرضوا عن الدنيا وأفرضوا في طلب الأُخرى حيث علموا بأنَّ الأولى والأحرى السعيُ في تقديم الباقية على الفانية . فأنحلوا الاجسام بالصيام والقيـام ، لمَّا أنْ حلا لهم شرب صافي المدام . . . فرضوا على نفوسهم القناعـة والصبر ، ورَضُوا عن هذه الدنيا بالقليل النزر . وراضوا زكيَّ انفسهم عن انفس جواهرها واعراضهـا ، ترفَّعوا عن الشكوى وتمسكوا بعُرى التقوى ، لانَّها الركن الاوفى والسبب الاقوى ، فانجابت عن قلوبهم غمائم آلامها وامراضها . . .

وكانت ولادة السيّد عبد الحمد سنة ١٢٣٢ (١٨١٧) وطالت حياتهُ ولم نقف على سنة وفاتهِ

(السويديون) هم من أُسرة فاضلة اصلها من سرَّ من رأى او سامرَّا فانتقلوا الى بغداد وعُرفوا بين اكابر علمائها . منهم الشيخ ابو البركات عبـد الله السويديّ صاحب

المؤلفات الادبية العديدة كشرح دلائل الخيرات وكتاب مقامات بليغة والامثال السائرة والرحلة المكيَّة توفي سنة ١١٧٠ (١٧٥٦ م). ومنهم الشيخ ابو الخير عبد الرحمن زين الدين البغداديّ السويدي ابن ابي البركات كان ذا باع طويل في العلوم الدينية واللسانيَّة. ولد سنة ١١٣٤ وتوفي سنة ١٢٠٠ (١٧٢٢ — ١٧٨٦ م) فارَّخهُ اخوهُ الشيخ احمد السويدي بقولهِ من ابيات:

وفارقَنا فردًا فقلتُ مؤرخًا   ابو الخير في ازكى الجنان نزيلُ

وكان الشيخ احمد المذكور اماماً في التصوُّف وقد ردّ على المُلحدين بكتاب سمَّاه الصاعقة المحرقة في الردّ على اهل الزندقة. توفي سنة ١٢١٠ وكان مولدهُ سنة ١١٥٣ (١٧٤٠ – ١٧٩٥)

ومن السويديين الشيخ عليّ ابن الشيخ محمد سعيد السويدي المتوفى سنة ١٢٣٧ (١٨٢٢ م) لهُ كتاب في تاريخ بغداد قد رثاهُ شاعر بابيات ختمها بهذا التاريخ:

مذ وُسّد اللحدَ نادانا مؤرخهُ   انَّ المدارس تبكي عند فقد علي

ومنهم ايضاً الشيخ ابو الفوز محمَّد امين السويدي احد كبار الكتبة في بغداد لهُ مؤلفات جليلة في عدَّة فنون منها كتاب سبائك الذهب في معرفة انساب العرب الذي نُشر بالطبع وقد مرَّ لنا وصفهُ (المشرق ١٠: ٥٦٦) وكتاب الجواهر واليواقيت في معرفة القبلة والمواقيت. وكتاب ردّ على الرافضة. ورسالة في الواجب والممكن. ولهُ شرح تاريخ ابن كمال باشا مع نظم لطيف. كانت وفاتهُ سنة ١٢٤٦ (١٨٣٠). واشتهر من السويديين في العهد الذي وصلنا اليهِ الملا نعمان السويدي ابن الشيخ محمَّد سعيد ابن احمد وهو خاتمة السويديين توفي في رجب سنة ١٢٧٩ (١٨٦٣)

واشتهر بالاداب العربيَّة في بغداد والعراق غير الالوسيين والسويديين في اواسط القرن التاسع عشر بعض الائمَّة . وها نحن نذكر منهم الذين ابقوا آثارًا من علمهم طبعاً او خطاً على ترتيب سني وفاتهم

(البَيتوشي) هو ابو محمَّد عبد الله بن محمَّد الكردي البيتوشي من كبار ادباء بلادهِ. ولد في بيتوش من قرى العراق سنة ١١٦١ (١٧٤٨) وجدَّ في طلب العلم ثمَّ قدم بغداد طلباً للمعاش وارتحل منها الى بلدة الأحساء فابتسم لهُ الدهر وحسنت حاله واشتهر صيتهُ وانقطع الى التأليف في الصرف والنحو ونظم كتاب كفاية المعاني وشرحهُ

وذيل شرح الفاكهي على قطر الندى لابن هشام . وله نظم حسن منهُ قولهُ متشوقاً الى وطنهِ :

ألا حيِّ بيتوشاً واكنافَها التي يكاد يروّي الصاديات سرابُها
بلادٌ بها حلَّ الشبابُ تمائمي واوَّل ارض مسَّ جلدي ترابُها
لقد كان لي منها عرينٌ وكان من مقامي لها سُحبٌ سَكوبٌ ربابُها
ولم تَنْبُ لي إنْ يَنْبُ يوماً باهلهِ مكانٌ ولم ينعقْ عليَّ غرابُها

توفي البيتوشي سنة ١٢١٣ (١٧٩٨). وكان الاحقّ بنا ان نذكرهُ في الابواب السابقة فاثبتنا اخبارهُ هنا مع بقيَّة افاضل العراق وكذا فعلنا بالشيخين الوارد ذكرهما

(الشيخ عثمان بن سند البصري الوائلي) اصلهُ من النجد فسكن البصرة وكان يتردَّد كثيرًا الى بغداد واشتغل بفنون لسان العرب وكان لهُ في اللغة باع طويل والف عدَّة تآليف مفيدة منها كتاب في تاريخ بغداد ارَّخ فيهِ ما وقع في زمانهِ من الوقائع وسمَّاهُ مطالع السعود بطيب اخبار الوالي داود وقد طبع مختصرهُ في بمبي سنة١٣٠٤. ومن تآليفهِ منظومة في علم الحساب ونظم قواعد الاعراب والازهريَّة ومغني اللبيب. ولهُ رسائل ادبيَّة كفاكهة المسامرة وقرَّة الناظر. ونسمات السحر وروضة الفكر. وكانت لهُ شهرة عظيمة في البصرة ونواحيها يُقبل كلامهُ لدى جميع اهاليها. توفي سنة ١٢٥٠ (١٨٢٤).

(الشيخ علاء الدين الموصلي) هو علاء الدين علي افندي الموصلي واحد شيوخ شهاب الدين الوسي زاده . ذكرهُ في كتابهِ نزهة الالباب في غرائب الاغتراب واثنى على آثارهِ الادبيَّة لكنهُ ذمّ اخلاقهُ وضيقَ صدرهِ وجهلهُ بمداراة الناس قال:

كان لا يدري مداراة الورى ومداراةُ الورى امرٌ مهمّ

وروى لهُ شعرًا حسناً منهُ:

لئن لم تشاهدني أخافشُ أعينٍ فلي من عيون الفضل شاهد رؤيةِ
وان انكرتني الحاسدون تجاهلًا كفانيَ عرفاني بقدري وقيمتي
فاين لشمس الاستواء من السها واين زلالٌ من سراب بقيعةِ
وليس الذي في الناس كالحي ميتٌ لفضلٍ وافضالٍ فحيٌّ كميتِ

وقوله :

وزمانٍ عدتُ على ليالِيهِ وقصتني قوادمي وجناحي

ودعتني صروفهُ في شتات وعناءٍ وخيبةٍ وتراحِ
لا لذنبٍ اتيتهُ غير انَّ الـ ـفضل لم نلقهُ قرين نجاحِ
واذا ما الصلاحُ فيكم فسادٌ ففسادي الذي لديكم صلاحي

وكانت وفاتهُ بالطاعون سنة ١٢٤٣ (١٨٢٧م) وانشد قبل وفاتهِ:

اسفي على فصلٍ قضيتُ ولم أَكن ابصرتُ عارفَ حقـهِ فيبينُ
ومن العلوم الغامضاتِ ورمزها أملي قضيتُ وللفنون ديونُ
واخذت في كفني علوماً لم اجدْ مستودعاً هي في الدفين دفينُ

(عبد الحمد الموصلي) هو عبد الحمد ابن الشيخ جواد الموصليّ الشهير بابن الصبَّاغ احد شعراء العراق الذين شرَّفوا تلك الاصقاع بآدابهم وشعرهُ رقيق لكنهُ مفرّق لم يُجمع في ديوان. فمن قولهِ ابيات كتبها الى الشاعر بطرس كرامة والتزم في كل صدورها واعجازها تاريخًا للسنة المسيحية ١٨٤٤ الّا المصراع الاخير فجعلهُ تاريخًا هجريًا هذا مطلعهُ:

بعثنا اليكم بنتَ رمزٍ من الفكرِ دهاها جوًى أعطتْ بهِ خالصَ الشعرِ
أمنتم صروع الدهر من قيد حادثٍ شهدتم هلال الافق من كامل الشهرِ
ميامن ترعى بطرسًا في كرامةٍ الى غاية الدنيا الى اوحد الدهرِ
هديتم بنور الربّ بابًا فأرّخوا هو الله لا ما زلّ من مشرق الفجرِ

فاجابهُ بطرس كرامة برسالة طويلة نظمًا ونثرًا افتتحها بقولهِ:

مشقتكمْ من قبل لقياكمُ وكلُّ مشوقٍ بما يوصفُ
كالشمس لا تدركها مقلةٌ لكنَّها من نورها تُعرفُ

وقال الشيخ عبد الحمد يمدح الشيخ ناصيف اليازجيّ من قصيدةٍ:

كبش الكتائب والكتاب وانهُ بالنحر ينطحُ هامةَ ابن خروفِ
متوقد الافكار يوشك في الدُّجى يبدو لهُ المستورُ كالمكشوفِ
فطنٌ تمنطق بالفصاحة وارتدى جلبابَ عامِ النحو والتصريفِ

الى ان ختمها بقولهِ وفي البيت الاخير تاريخ السنتين الهجرية والمسيحيَّة (١٢٦٤ — ١٨٤٨):

لا زال محفوفًا بحظٍ وافرٍ والحظُّ مثل الحظّ بالتصحيفِ
فيهِ صفا عبد الحميد مؤرخًا ناهيتُ نظمي في مديح نصيفِ

ولهُ مخمساً لقصيدة الشيخ ناصيف المهملة فجعل تخميسهُ مهملاً كقصيدة الشيخ :

عدوّ المرء اولادٌ ومالُ لواسعهم اساودها صلالُ
أحاول طَوْلهم وهو المحالُ لاهل الدهر آمالٌ طوالُ
واطماعٌ ولو طال المطالُ

ومنها : مرور العسر مَرَّ مَرَّ كلّ حالِ وامرُ الله دمَّر كلّ احالِ
سرورك والهموم دِلاءُ دالِ كرورُ الدهر حوَّل كلّ حالِ
هو الدهرُ الدوام لهُ محالُ

وكانت وفاة الشيخ عبد الحمد ابن الصبَّاغ سنة ١٢٧١ (١٨٥٤) فرثاهُ الشيخ اليازجي بقصيدة جميلة استهلَّها بقولهِ :

لا عين تثبت في الدنيا ولا اثرُ ما دام يطلع فيهِ الشمس والقمرُ

الى ان قال :

قد كنت انتظرُ البشرى برؤيتهِ فجاءني غير ما قد كنت انتظرُ
ان كان قد فات شهدُ الوصل منهُ فقد رضيت بالصبر لكن كيف اصطبرُ
أحَبُّ شيء لعيني حين اذكرهُ دمعٌ واطيب شيء عندها السهرُ
هذا الصديق الذي كانت مودَّتهُ كالكوثر العذب لا يتنالها كدرُ
لا غرو أنْ احزنَ الزوراءَ مصرعهُ فحزنهُ فوق ابنٍ لهُ قدرُ

فاستحسن اهل بغداد هذه المرثية وقرَّظها السيد شهاب الدين العلويّ بابيات منها :

وافت فعزَّت بتأساءٍ وتعزيةٍ عليهما يَحْسد الاحياءُ مَنْ قُبروا

وارَّخها بقولهِ :

أسديتَ سلوة محزونٍ مؤرَّخةً اسدى رثاؤ بهِ السلوان والعبرُ

(عبد الجليل البصري) هو السيد عبد الجليل بن ياسين البصري ينتهي نسبهُ الى علي ابن ابي طالب ولد في البصرة سنة ١١٩٠ (١٧٧٦ م) ثمَّ ارتحل منها الى الزبَّارة فسكنها حتى استولى عليها صاحب الدرعيَّة ابن السعود فسار الى البحرين وسكن بها الى سنة ١٢٥٩ (١٨٤٣ م) ثمَّ استوطن الكويت وتوفي هناك سنة ١٢٧٠ (١٨٥٤م). واشتهر عبد الجليل بالحلم والكرم وكان ذا ادبٍ وعلم كما يشهد عليهما ديوان

شعرهِ الذي طُبع سنة ١٣٠٠ (١٨٨٣م) في بمبي (ص ٢٨٠). واوَّل نظمهِ ابيات قالها مؤرخاً مولد ابنهِ عبد الوهَّاب سنة ١٢١١ (١٧٩٦)

حمدتُ الله إذ اسدى بفضلٍ وآلاو تسامتْ أن تُضاهى
كريمٌ مَنَّ فيمن فيهِ اضحتْ رياضُ القلب مخضرًا رباهـا
وطاب العيشُ وانكشفتْ هومٌ كذاك النفس منتفيًا عناها
فيـا من قد مَننتَ بغير منٍّ بمن ساد الورى فخرًا وجاها
أدِمني فيهِ مسرورًا دوامًا وفيهِ العينُ قرَّ بها كراها
ووَفِّقهُ لِما ترضى وجنِّب هوى الاهواء واحفظ من غواها
وخيرُ الفالِ قد أرَّختُ لابني بطلعتهِ بشير السعد باها

وقال عن لسان فقيرٍ من ابناء السبيل طلب منهُ ابياتًا يرتزق بها:

يا ماجدًا ساد عن فضلٍ وعن كرمٍ وهمَّةٍ بلغتْ هامَ السماك عُلا
يا من اذا قصد الراجي مكارمَهُ نال الاماني وبرًّا وافرًا عجلا
انَّا قصدناك والآمالُ واثقـة بانَّ جودك ينفي فقر من نزلا
جئنا ظماءً وحسنُ الظنّ اوردنا الى معاليكَ لا نبغي بها بَدَلا
لقد اضرَّ بنا جَور العُداة وما اودى بنـا الدهر يا بؤس الذي فعلا
عسرٌ وغُرْبَةُ دارٍ ثم مسكنة وذلَّـةٌ وفراق قاتلٌ وبَلا
نشكو الى الله هـذا الحـال ثم الى ندبٍ جوادٍ يفيـد القاصـدَ الأملا
عسى نصادف من حسناك مرحـمةً تكون رفدًا لنا اذ نقطعُ السبلا
واغنم بذلك منَّا خيرَ أدعيةٍ يزفّها قلبُ عافٍ بات مبتهلا
لا زلت تولي جميـلًا كلَّ ذي املٍ في رفعةٍ ونعيمٍ دام متَّصـلا

ولهُ يذمُّ الغيظ:

للغيظ آفاتٌ يضيقُ بهـا الفتى فاذا استطعتَ لهُ دفاعًا فاجهدِ
منها حجاب الذهن عن ادراكهِ امرًا تحاولهُ كأن لم يعهدِ
وبهِ يُرى الفَطِنُ اللبيبُ كأنَّهُ ممَّا بهِ المعتوه او كالأبلهِ
وبه الحليم الى الجهـالة صائرٌ وجِدٌّ عنهُ بهِ منارَ السؤددِ
وبهِ تسيءُ لدى الورى اخلاقـهُ حتى يُقال لهُ لئيمُ المحتدِ
لا يرعوي لصحيح قول نصيحةٍ ويرى النَّصوح كخائبٍ ومفنّدِ
من حبَّ طَبَّ بما تناولَ علمهُ واخو النباهـة يقتدي بالمرشـدِ

وقد سبق لنا حكم السيد عبد الجليل البصري لبطرس كرامة على الشيخ صالح التميميّ وروينا ابياتًا من قصيدتهِ في مدح الشاعر النصرانيّ فراجعها

(الشيخ عبد الفتّاح شوّاف زاده) اخذ العلوم الادبيّة عن الشهاب الالوسي حتى صار من اكمل الادباء . صنَّف تعليقات على كتب عديدة وقد كتب ترجمة شيخه الالوسيّ في جزئين كبيرين ودعاهُ حديقة الورود في ترجمة ابي الثناء شهاب الدين محمود وضمَّنهُ دقائق ادبيَّة ومسائل علميَّة . توفي سنة ١٢٧٢ (١٨٥٥ م) . واشتهر بعدهُ اخوهُ الشيخ عبد السلام ووضع تصانيف عديدة منها كتاب في المواعظ وانتهى اليهِ علم الفقه والحديث . ولا نعرف سنة وفاتهِ

(السيّد عبد الفتاح السلفيّ) هو الشيخ محمَّد امين الشهير بالواعظ . كان ذا خبرة تامَّة بالمسائل الشرعيَّة ونال من فنّ الادب باوفر نصيب . وكان ماهرًا في انشاء الصكوك ودرَّس مدَّة في المدرسة الخاقونيَّة . وصنَّف عدَّة مصنَّفات كمنهاج الابرار . ونظم التوضيح . وكان لهُ النظم اللطيف منهُ قولهُ في مدح السيّد محمود الالوسيّ مخمسًا :

يا سائلي عن بحر علمٍ قد طما بعلومهِ يروي العطاش من الظما
ان قلتَ صفْ لي من نداك توسّما انَّ الشهاب ابا الثناء لقد سما
قدرًا على اقرانهِ من أوجهِ

سعد السعود ببابهِ متقاعدًا والمشتري برحابهِ متعاقدًا
لا تنكرنْ لأُنسهِ يا جاحدًا ما زارني الّا حسبتُ عطاردًا
في الدار أمسى نازلًا من أوجهِ

وتوفي سنة ١٢٧٣ (١٨٥٦) فقال السيّد عبد الغفَّار الاخرس فيهِ رثاء ختمهُ بهذا التاريخ :

بكى العلم والمعروف أرّخ كلاهما بقبرٍ ثوى فيهِ الامين محمَّدُ

(السيد محمد سعيد) كان ابوهُ محمد امين الشهير بالمدرّس يعلم في بغداد العلوم اللسانيَّة ووضع فيها بعض المصنَّفات فلما توفي سنة ١٢٣٦ (١٨٢١) خلفهُ ابنهُ السيّد محمد وقُلد عدَّة مناصب كالنيابة والافتاء ثم انفصل وبقي مشغولًا بالتدريس الى سنة وفاتهِ ١٢٧٣ (١٨٥٧ م) وتآليفهُ منها نحويَّة ومنها شرعية . وصفهُ السيّد نعمان افندي الالوسي بقولهِ : « انهُ كان ذا تقوى وديانة وعفَّة وصيانة لا يغتابُ احدًا ولا ينمُّ على احد ابدًا

وكان بشع الخطّ حديد المزاج كثير الوسواس عيّ الكلام ... وكان كثير الصدقات على اليتامى والارامل ». ولما مات رثاه السيد عبد الغفار الاخرس بقوله:

في رحمة الله حلَّ شيخٌ وجنَّةٌ دارها الخلودُ
تفيضُ من صدرهِ علومٌ وقد طمى بحرُها المديدُ
ولم يزل ميّتاً وحيّاً من علمهِ الناسُ تستفيدُ
سار الى ربهِ غير فانٍ بالعزّ وهو العزيزُ الحميدُ
ومذ توفاهُ قلتُ أرّخ مضى الى ربّهِ سعيدُ

(عبد الباقي العمري الفاروقيّ) هو اديب العراق عبد الباقي بن سليمان بن احمد العُمَريّ الفاروقيّ الموصلي ولد في الموصل سنة ١٢٠٤ (١٧٨٩ م) انتهت اليهِ رئاسة الشعر والادب في وطنهِ. تغذَّى منذ صغرهِ لبان العلم. وانتدبتهُ الحكومة السنية وهو ابن عشرين الى منصب كتخدا ووكيل الوالي فرافق قاسم باشا وعلي باشا الى بغداد وقام باعباء رتبتهِ اتمّ قيام وكذلك سار بالعساكر الشاهنيَّة الى قبيلتي الزكرت والشمرت في النجف فقصّ جناح الفتنة بينهما بحسن درايتهِ وعاد الى بغداد مقروناً باليمن والاسعاد ونال الحظوة من الدولة العليَّة. ثمّ انقطع الى الكتابة والآداب فشاع نثرهُ الرائق وشعرهُ الفائق فألَّف التآليف التي احرز بها قصب السبق في مضمار ادباء العراق وفاز بين فصحائهم بالقدح المعلَّى. وكانت وفاتهُ سنة ١٢٧٨ (١٨٦١) قيل انهُ أرَّخ نفسهُ في عام مماتهِ ببيتٍ كُتب على قبرهِ:

بلسانٍ يوحّدُ الله أرِّخ ذاقَ كأسَ المنون عبد الباقي

امَّا تآليفهُ فكلُّها ناطقة بفضلهِ وتوقُّد فهمهِ منها ديوان اهلَّة الافكار في مغاني الابتكار وكتاب نزهة الدهر في تراجم فضلاء العصر وكتاب الباقيات الصالحات وكتاب نزهة الدنيا اودعهُ تراجم بعض رجال الموصل في القرن الثاني عشر والثالث عشر. ولهُ ديوان شعر يسمّى بالترياق الفاروقي من منشآت الفاروقي طبع مرَّة بمطبعة حسن احمد الطوخيّ سنة ١٢٨٧ بمصر في ٣٣٦ صفحة ثم اعاد طبعهُ الشيخ عثمان الموصليّ بعد توسيع ابوابه وتكملته سنة ١٣١٦ في ٤٥٦ صفحة. وها نحن نذكر بعض نتف من شعرهِ تنويهاً بعلوّ مقامهِ في الآداب قال يؤرخ جاوس السلطان عبد العزيز واجاد:

للتلِغراف الفضلُ اذ جاءنا يقول بُشراكم بلفظٍ وجيزْ

قد أحرزت ملَّتكم ارّخوا عزًّا بظلّ الله عبد العزيزْ (١٢٧٧)

وقال في التشبيه:

كأنَّ ضوء البدر في دجلةَ حين يشرقُ
والموج في اثنائهِ منهُ العبابُ يخفقُ
قراضةٌ من ذهبٍ طفا عليها الزئبقُ

وقال في فتح الدولة العليَّة لحصن سيواستبول مع الدولتين الفرنسويَّة والانكليزيَّة:

اقول للدُّول المنصورِ عسكرُها لا زال عسكرها بالله منصورا
لمَّا اتَّفقتم على صدق المحبَّة في ما بينكم واتحدتم صرتمُ سورا
بسطوةٍ دعتِ الاطوادَ راجفةً دمَّرتمُ محصَّنات الروس تدميرا
مدافعٌ غطَّتِ الدنيا غمائمها فغادرت صبح يوم الحرب ديجورا
افواهُها دلعتْ للنار ألسنةً فقرَّرت دَرْس ملك الروس تقريرا
رعدٌ وبرقٌ وغيمٌ من سدًى ولظًى ومن دخان اعاد الكونَ ممطورا
ومن فلزّاتها غيثٌ تراكمُهُ يسحُّ منتظمًا طورًا ومنثورا
أقلُّهم فرَّ لمَّا فرَّ اكثرهم لكونهِ بات مقتولًا ومأسورا
والسيف غنَّى على هاماتهم طربًا حتى حسبناهُ فوق الغصن شحرورا
غادرتمُ البرَّ بحرًا يستفيضُ دمًا والبحرَ برًّا على الأشلاء معبورا
سيوَستبولُ التي اعيتْ معاقلُها سخَّرتم حصنها أرِّختُ تسخيرا

ولهُ مشطرًا ابياتًا منسوبةً لابي نصر الحكيم الفارابي:

(كمّلْ حقيقتك التي لم تكملِ) وعن ارتكاب النقص كُن في معزلِ
وابغِ لنفسك ما ترقّيها بهِ (والجسمَ دَعْهُ في الحضيض الأسفلِ)
(اتكمِّل الفاني وتترك باقيًا) تكميلُهُ أولى بحقِّ الاكملِ
فهو الذي لا ينبغي لك تركهُ (همَلًا وانتَ بأمرهِ لم تحفَلِ)
(فالجسم للنفسِ النفيسة آلةٌ) تقضي المرام بها إذا لم تكسلِ
ولكم عليها من حقوقٍ للعلا (ما لم تحصّلها بهِ لم تحصلِ)
(يفنى وتَبقى دائمًا في غبطةٍ) ان فارقَتْهُ ودولة لم تنقلِ
وسعادةٌ ابديةٌ لا تنقضي (او شقوةٌ وندامةٌ لا تنجلي)
(أعطيتَ جسمك خادمًا فخدَمْتَهُ) وأحَلْتَ حكم معزَّزٍ لمذلَّلِ
وجعلتَ من هو فوقَهُ من دونهِ (أتُملِّكُ المفضولَ رقَّ الافضلِ)
(شركٌ كثيفٌ انتَ في حبلاتهِ) قيد الحياة اسير قيدٍ مُثقلِ

منهُ وانت بهِ بأيّةِ حيلةٍ (مـا دام يمكنك الخلاصُ فعجّلِ)
(من يستطيع بلوغَ اعلى منزلٍ) متدرّجاً فوق السماك الاعزلِ
ويرى الثريّا تحت أخمص رجلهِ (ما بالهُ يرضى بأدنى منزلِ)

ولعبد الباقي الفاروقيّ مع ادباء زمانهِ مراسلات لطيفة فمدحوهُ ومدحهم بقصائد لا تُحصى لا يسعنا ذكرها وكثيرٌ منهـا يتضمّن الطُّرَف المستطرفة. ونكتفي بذكر بعض ابيات قالها في تقريظ مقامات مجمع البحرين للشيخ ناصيف اليازجيّ اولها:

غُرَرٌ أمْ دُرَرٌ مكنونةٌ في عُباب البحر بين الصدَفَيْنْ

الى ان قال:

قد أتتني تتقاضى دَينَها فوفتْ للمجـد عني كلَّ دَيْنْ
بمراياها العقولُ ارتسمتْ فمحتْ عن عين عقلي كل غـينْ
وتجلّت صُور العلم بهـا فجلت عن كل قلبٍ كلَّ رينْ
وعلى الاحسـان والحسن معًا طُبعت والطبع مشغوفٌ بذَينْ
رحتُ من راحةِ معناهـا ومن روح مبناها حليفٌ النشأتَينْ
يا لسِفرٍ اسفرتْ الفاظُها بين أُفقَيهِ سفورَ النيّرَينْ
يا لهُ قاموس فضلٍ قد طوى مجمع البحرين بين الدفّتَينْ

وكان مدحهُ سنة ١٢٦٤ (١٨٤٨) بقصيدة بائيّة يقول فيها:

أبلى النوى جسدي النحيفُ كأنّني قلمٌ بدا بيدَيْ نصيف الكاتبِ
حبرٌ حلا في حبرهِ قرطاسهُ كالتبر لمّا لاح فوقَ ترائبِ
فسطورهُ وطروسهُ في حسنها حاكت سماءً زُيّنت بكواكبِ

وختمها بقوله:

لو قمتُ طول الدهر انشد مدحهُ بين الانام فلم أقم بالواجبِ
وبمدحهِ العُمَريُّ آبَ مؤرخًا ترتيب مدحي في نصيفِ الكاتب

فقال الشيخ نصيف يجيبهُ بقصيدةٍ من البحر والقافية:

احسنتَ في قولٍ وفعلٍ بارعًا وكلاهما للنفس اكبرُ جاذبِ
انتَ الذي نال الكمال موفّقًا من رازقٍ مَن شاء غير محاسبِ
فاذا نظمت فانتَ ابلغ شاعرٍ واذا نثرت فانت افصح خاطبِ
واذا نظرتَ فمن شهابٍ ثاقبٍ واذا فكرت فمن حسامٍ قاضبِ
هذه رسول لي اليك وليتني كنتُ الرسولَ لها بعرض نائبِ

هذا وقد اشرنا سابقًا الى قصيدتهِ الخالية التي عارض بها خالية بطرس كرامة تجدها في ديوانهِ (ص ٢٤٢ — ٢٤٣ من الطبعة الجديدة) فدارت بسببهما المراسلات بين الشاعرين. وقد هنَّأهُ بطرس كرامة برتبتهِ الكتخداويَّة بقصيدة مطوَّلة يقول فيها:

الشاعر الفرد الذي اهدى لنا دُرَر البُحور نُظِمْنَ في الاوراقِ
درٌّ بجيدك ام حباك قلائدًا من شعرهِ العُمَريُّ عبد الباقي
جمع الفصاحة بالبلاغة مثلما قرن الحجى بمحاسن الاخلاقِ

وممن خدموا الآداب بين العراقيين غير المذكورين بعض اهل الفضل ممَّن لم نعلم من احوالهم الَّا النزر القليل فنثبت هنا اسماءهم تتمَّةً للفائدة فمنهم (الشيخ يحيى المروزيّ العمَّادي) اصلهُ من العمَّاديَّة من قرى الاكراد قرب الموصل برَّز في التدريس وصار عليهِ المعوَّل في مذهب الامام ادريس وكان احد مشايخ الشهاب الالوسيّ الذي اثنى على زهدهِ وعلوّ نفسهِ وخصَّهُ ببيتين قيلا في الشافعي:

عليَّ ثياب لو يُباعُ جميعها بفلسٍ لكان الفلسُ منهنَّ اكثرا
وفيهنَّ نفسٌ لو تُباع بمثلها نفوسُ الورى كانت اعزَّ واكبرا

توفي الشيخ العمَّادي سنة ١٢٥٠ (١٨٣٤) . ومنهم (الشيخ احمد بن عليّ بن مشرف) كان اصلهُ من نجد فانتقل الى العراق وطار صيتهُ فيها ومات بعد السنة ١٢٥٠ وكان اعمى يحسن نظم الشعر فمن قولهِ في المدح ما انشد في آل مقرن:

وهما ذكرنا الحيَّ من آل مقرنٍ تهلَّل وجه الفخر وابتسم المجدُ
همُ نصروا الاسلام بالبيض والقنا فهم للمدى حتفٌ وهم للهدى جندُ
غطارفة ما إن يُنال فخارهم ومعشر صدقٍ فيهم الحدُّ والجدُّ

ومنهم (عبد الغنيّ بن الجميل) هو عبد الغني افندي الشهير بابن جميل. ولد سنة ١١٩٤ (١٧٨٠) واتقن الفنون العربية واتَّسع في سائر العلوم. ورحل مرارًا الى دمشق الشام وصاحب فضلاءها كالشيخ عبد الرحمان الكزبري والشيخ حامد العطَّار حتى فوَّض اليهِ رضا باشا افتاء الحنفيَّة في بغداد ثم أُصيب ببعض الآفات والبلايا وتوفي ابن جميل سنة ١٢٧٩ (١٨٦٢) وله شعر طيب كلهُ في الحماسة فمن ذلك قولهُ:

أيذهب عمري هكذا بين معشر مجالسهم عاف الكريم حلولها

وابقى وحيدًا لا ارى ذا مودَّةٍ من الناس لا عاش الزمانَ ملولها
وكيف ارى بغداد للحرّ منزلًا اذا كان مفريّ الاديم ِ نزيلها
فما منزل فيهِ العداء بمنزلٍ وفي الارض للحرّ الكريم بديلها

ومنهم (محمّد الاخفش) هو محمّد سعيد افندي البغداديّ الشهير بالاخفش. قرأ على العلّامة الالوسيّ وشرح الالفيَّة في النحو للامام السيوطيّ. وكان محبًّا للاداب ولهُ شعر حسن اخذتهُ يدُ التلف وكان كثير المزاح واللطائف توفي سنة نيف وثمانين بعد المائتين والالف (١٨٦٣). ومنهم الشيخ جمال الدين الكوّاز كان اصلهُ من الحلّة ويرتزق بحرفة الكوازة الّا انهُ كان مشغوفًا بالآداب خفيف الروح حسن المحاضرة. ولهُ شعر كلهُ في الغزليَّات وقيل انهُ نظم الشعر قبل البلوغ. توفي في الحلّة سنة ١٢٧٩ (١٨٦٢). ومنهم (الشيخ عيسى البنديجيّ) هو ابو الهدى عيسى افندي صفاء الدين البنديجي اصلهُ من بنديج على حدود بلاد العجم فسكن بغداد ودرس العلوم اللسانية والفقهيَّة والادبيَّة حتى اشتهر فيها وكان ذا تقوى وصلاح ودرَّس زمنًا في مدرسة داود باشا وجُعل رئيس المدرّسين. ومن تآليفهِ كتاب تراجم مَن دُفن في بغداد وضواحيها توفي سنة ١٢٨٣ (١٨٦٧) (لها بقية)

المفريان

باسيليوس اسحق جُبَير الموصليّ

لحضرة الفاضل القس اسحاق ارملة السريانيّ الكاثوليكيّ

من مشاهير طائفتنا السريانيَّة الكاثوليكية في القرن السابع عشر مطران موصلي يُعرف باسحق جُبَير كان مع البطريركين الجليلين اندراوس اخيجيان واغناطيوس بطرس من اكبر السعاة في ردّ اليعاقبة الى الوحدة الكاثوليكية

وُلد المفريان باسيليوس اسحق ابن الشماس عبد الحيّ جُبير في مدينة الموصل عام

١٦٢٩ ونشأ منذ حداثته على التقوى والمعارف . وكانت آيات النجابة والوقار مرقومة على جبهته فاخذ يوماً يفكر في الدنيا وامورها وعزم على الزهد فيها . ولما وقع اليه خبر اغناطيوس اندراوس اخيجان بن عبد الغال مربى المارديني بطريرك الطائفة السريانية الكاثليكية عوّل على القدوم اليه الى حلب ابتغاء مشاهدته ورجاء ان يرسلهُ الى مدرسة يتاتّى فيها العلوم الكهنوتية . فلما ظفر به البطريرك وتوسم فيهِ الذكاء والنباهة بعثهُ الى رومة فانخرط في سلك تلامذة مدرسة مجمع انتشار الايمان المقدّس وانصبّ بكلّ جهده على اقتباس الفضائل الراهنة واحراز العلوم والآداب وتفرّغ خاصّةً لدرس الفلسفة واللاهوت فنبغ فيهما وفي سائر الفنون اللغوية والادبية وحاز قصب السبق على اقرانه حسبما يُستدلّ من السجلات المحفوظة في تلك المدرسة . وكان يتردّد على مدرسة الموارنة ايضاً . وعند انتهاء دروسه قدم الى لبنان فرقّاه سنة ١٦٧٢ اسطفانس بطرس الدويهي بطريرك الموارنة المثلث الرحمات الى الدرجة الكهنوتية (١ واستمرّ لديه سنتين . كان في اثنائهما منصبًّا على مطالعة الكتب

ثم انطلق الى حلب فارسله البطريرك اندراوس المغبوط الى ديار بكر ليسعى بردّ المنفصلين الى حظيرة البيعة الجامعة

واستمرّ على تلك الحال حتى عام ١٦٧٢ فانتدبه مار اغناطيوس بطرس الرابع خلف اندراوس اخيجان الى حلب واقامهُ مطراناً على ديار بكر وما بين النهرين ودعاه طيمثاوس اسحق وبعث بهِ الى رعيتهِ فاخذ يسوسها بما آتاه الرب من الحذق وجاءت اتعابهُ بالثمار النضجة . وكان يقيم القداس في كنيسة الكلدان البطريركيّة تارة وطورًا في كنيسة اللاتين اذ لم يكن آنئذٍ ثمّ للسريان الكاثوليك كنيسة

وما كادت تستقيم امور تلك الابرشيّة حتى أجج عدوّ الخير نيران الحسد في قلوب يعاقبة تلك المدينة فحاولوا ازعاجه رغمًا عن سعيهِ في خيرهم ونجاح امورهم واغاثته لملهوفيهم وسدّه لحاجاتهم بالقول والعمل . واستنجدوا لبلوغ مأربهم مفريانهم اسحق عازر

---

١) ذكر اسطفانس الدويهي في رسالتهِ الى القسّ بطرس مبارك سنة ١٧٠١ في ١١ ايار ما نصهُ : « وكذلك حضر لعندنا القس اسحق وانا بطرك مسكته عندنا سنتين ورتبتهُ ورسمته ايضاً . وعندما حضر بعده الى عندنا بطرس بطرك السريان ثبت عندنا مدّة بكلّ اعزاز واكرام . ثم بعد المذكورين التجى الينا الخوري نعمة والقس سليمان السريان من جور بطركهم الضال »

فوشي بالكاثوليك وحصل على اوامر بصدّ السريان اليعاقبة عن الكثلكة . فسار الى حلب واختلس كنيستها وأخرج منها البطريرك الكاثوليكي . واكمل مسيره الى ديار بكر وألحق ضررًا جسيماً بالسيد طيمثاوس وطرده . غير ان عملهُ هذا الفظيع لم يكن ليذهب بالمترجم عن الاهتمام بطائفته وطلب النصرة لها والتملص من اعدائها بل شخص الى حلب وتفاوض مع بطريركهِ المطوّب الذكر . ثمَّ توجه الى الاستانة العلية عام ١٦٩٠ واثبت صدق عبودية الكاثوليك للدولة العليـة وان ما يدّعيه اليعاقبـة عليهم افكٌ محض وتعدٍ . ولما تأكد جلالة السلطان احمد خان الثاني ذلك اظفره بحاجتهِ وأنعم عليهِ في ٢٦ ذي القعدة ١١٠٤ بالفرمان العـالي الشان المسفر عن عزل جرجس الموصلي بطريرك اليعاقبة الدخيل واقامة مار بطرس الرابع كبطريرك شرعي . فعاد المترجم الى حلب منتصرًا واستردّ الكنيسة من اليعاقبة . فسرّ البطريرك بطرس غاية السرور ودعا للسيّد طيمثاوس بالخير والفلاح ونوى ان يكافيئه على اتعـابهِ الوفيرة فقلده منصب مفريان (١ على الشرق وسمّاه باسيليوس اسحق وفوّض اليه تدبير ابرشية الموصل وما بين النهرين . وهو اول وآخر مفريان لدى السريان الكاثوليك . ويشقّ علينا كون تلك الرتبة الشريفة التي اتت بالمنـافع الجمـة على الطائفة قد أُلغيت في السنودس الذي التأم عام ١٨٨٨ في الشرفة مع انهـا استمرّت نحو ١٢٨٠ سنة (٢ وهي لا توجد عند سائر الطوائف

غير ان مفريان اليعاقبة لم يتمالك ان ينظر البطريرك ومفريانه الجديد مستريحين فلم يكفّ عن الدسائس حتى نفى البطريرك بطرس ومن يلوذ به . فلما اتصل هذا الخبر المشؤوم بالمترجم فرّ مع بعض الكهنة والشمامسة الى خان التتن بحلب واتروى فيه . فشعر بهِ الاخصام وتتبعوه وهجموا عليه كالذئاب واوثقوه بالحبال وضربوه بالاسواط ضربًا عنيفًا وساقوه

١) للمفريان ܡܦܪܝܢܐ اي الجاثليق وعند اللاتين بريمات (Primatus) قوانين خاصة منها ان اساقفته يجب ان يخضعوا له . وانهُ ليس للبطريرك ان يتولج في تدبير ابرشيتهِ إلاَّ يكلَّف رسمياً . ومنها ان للمفريان المقام الاول في مجمع المطارنة . وان ينادى باسمهِ فى الرتب الكنسية بعد البطريرك . وان رسامة البطريرك دون رضاه غير جائزة . وان الاسقف الذي يربطـهِ يُربط من البطريرك ايضاً . الخ (راجع كتاب الهدى لابن العبري باب ٧ ف ١ والمشرق ١ : ٢٦٧-٢٦٨)

٢) ان اول مفريانات اليعاقبة كان احادامه (ܐܚܘܕܐܡܗ) المفريان الذي قُتل سنة ٥٧٥ وآخرم هو حادبشابا بن كنده النحليّ سنة ١٨٣٧

الى السجن بحال تمزّق الاكباد وبلغت منهم القحة الى ان طلبوا شنقــه . لكن المولى القهّار قيّض له قوماً من اصحاب الخير والمروّة فحاموا عنهُ وأُطلق سبيله مع ارفاقه . وكان يتجلد على احتمال الاهانات والضربات تأسياً بالرسل الاطهار (اعمال ٥ : ٤٠)

ولما تعذّرت عليه الاقامة بحلب ذهب خفيةً الى جزيرة قبرس ريثما تصفو الاحوال. غير ان الهموم والاكدار احاطته من كل جانب لاسيما لسماعه بما جرى لبطريركه البــارّ القديس مــار اغناطيوس بطرس الرابع وما لاقى من العذابات الفادحة والاشجان المؤلمة مع حاشيته الصالحة حتى فاضت روحه الزكية بيد خالقها سنة ١٧٠٢ في اطنه

وعُهد اليه اذ ذاك تدبير الطائفة السريانية بصفــة نائب رسوليّ . فظعن الى دار السعادة سنة ١٧٠٤ واقام في دير المرسلين الكبوشيين ثم جُعل ترجماناً للسفارة الافرنسية سنتين ونصف لم يألُ جهدًا في اثنائها بعضد طائفتهِ واعانتها . وكان الموسيو فيريول السفير الفرنسويّ يراسل رومية بشانه ويثني عليه ويعدّد المشاقّ التي نالتهُ من اليعاقبة مفصّلًا لاخبارهِ . ومن جملة ما كتبه قوله : « انّ اسحق مفريان الشرق هو الرجل الفريد ما بين السريان الذي ينبغي الاعتماد عليهِ لكثرة تعلقه بالديانة الكاثوليكية » . فنتج من ذلك ان وردته في ١٦ آب ١٨٠٤ بوساطة السفير المشار اليه براءة رسوليَّة من اقليمنس الحادي عشر فيها يسميه بطريركاً انطاكيًا للطائفة السريانية ويثني عليهِ ويحرضهُ على اقتبــال تلك الدرجة السامية ايثارًا للخير العام . فلما انتهت اليهِ البراءة اخذ يستعفي بجامع قواه والحّ ملتمساً التوجه الى رومية . وفي ٢٦ نيسان ١٧٠٦ ودّع السفير شاكرًا له حسن التفاته فأصحبه برسالة الى المجمع المقدّس فيهــا يقول « ان مطران نينوى راغب التوجه الى رومية وقد استمرّ عندي ثلاثين شهرًا . وقد كنت اتمنّى ان يقيم لديّ مدّة اطول عسى تاتي فرصة لرسامته بطريركًا على السريان . بيد اني لا ادري سبب سفره الى رومية . لقد تحققتُ في هذا المفريان فضائل جمة وتقى واستحقاقًا (١ »

ولما وصل الى رومية اقام في دير السريان مع السيّد اثناسيوس سفر (٢ الماردينيّ

---

١) الاثار الخطية للاب انطون رباط اليسوعيّ (جزء ١ ص ١١٧–١٢٢)

٢) ان لاثناسيوس سفر فضلًا عظيماً على الطائفة السريانية . فانهُ بسعيه اقام ديرًا على اسم مار افرام برومية . وارسل مبلغًا لتشييد دير مار افرام الرغم بلبنان . وله خدم ومآثر جمّة لا يسعنــا ان نذكرها الساعة

وفي عهده أُسس دير مار افرام عين الرغم في جبل لبنان سنة ١٧٠٩ بواسطة القسوس والرهبان الذين كانوا في اظنه مع مار بطرس الرابع كما قدمنا. وأُنشئت فيهِ مدرسة بادارة القس العلّامة الشهير نعمه قدسي الذي تسقّف بعدئيذ على دمشق. وكان اثناسيوس سفر اكبر مساعد للمفريان في عمله

واقام المفريان في ذلك الدير غير غافل عن رعاية ابرشيتهِ عن بعد. واهتمّ خاصة بالتصانيف والترجمات حتى آخر حياته ولدى احتضاره استدعى الاب بنيامين الراهب اليسوعي الذي كان سابقاً مطراناً مارونياً واعترف لديه. ووصّى بكل ما ملكته يده لدير السريان والموارنة في رومية ودير مار فرنسيس في القدس الشريف. وفي ١٨ ايار ١٧٢١ انتقل الى جوار ربه ليتلقّى جزاء اتعابهِ وله من العمر اثنتان وتسعون سنة (١ ودُفنت جثتهُ الكريمة في كنيسة مجمع انتشار الايمان المقدّس. وكان اماماً مشهوداً له بمكارم الاخلاق ومحاسن الشيم ومقداماً متّصفاً بالغيرة والشهامة وملفاناً خبيراً بانواع العلوم والاداب. وها اننا نورد بعض تآليف اطلعنا عليها ممّا خلّفهُ لعالم العلم

١ً استخرج رحمه الله من اللاتينية الى العربية كتاب الخلاصة اللاهوتية والفلسفية للقديس توما الاكويني في خمسة مجلّدات بعبارة فصيحة. وعلى ما نُمي الينا ان منها نسخة في مكتبة دير المخلص للملكيين بقرب صيدا (٢

٢ً نقل سنة ١٧١٥ من اللاتينيَّة الى السريانية كتاب الاقتداء بالمسيح لتوما الكمبيسي. ونسخته الاصلية محفوظة في الخزانة الواتيكانية. وفي مكتبة الاباء اليسوعيين ببيروت نسخة خطية منه كتبها احد الموارنة. غير ان القس يوسف كبريال الكلداني الفارسيّ لما طبع ذلك الكتاب عام ١٨٥٧ برومية لم يذكر اسم المترجم. ولم يطبع المقدمة السريانية التي صنفها رغماً عن كونها موجودة في كلتا النسختين الخطيتين المنقول عنهما وانما اثبت فقط في آخر الكتاب ما يشهد على انَّ باسيليوس جبير هو المترجم حيث قال: «ܘܦܢ ܠܗ ܒܣܘܪܝܬ ܡܠܦܢܐ ܒܣܝܠܝܘܣ

١) راجع السلاسل التاريخية في اساقفة الابرشيات السريانية لمؤلفه الفيكنت فيلب افندي دي طرّازي

٢) من الخلاصة اللاهوتية للقديس توما الاكويني نسخٌ مخطوطة في عين تراز ومكتبة الموارنة في حلب ولعلّها نسخٌ من ترجمة اسحق ابن جبير (المشرق)

ܘܡܫܠܡܢ ܒܝܕܐ ܘܐܟܬܒܗ ܡܛܪܢ ܒܣܝܠܝܘܣ » ومؤدّاه : « هكذا كتب بالسريانية المطران باسيليوس الكائن في دير الاباء الموارنة برومية »

٣ً ترجم فلسفة ارسطو الى العربية ٠

٤ً صنّف كتاباً سماه «مدرك النجاة ومحجة الفوز بالحياة في صدق الكنيسة المصطفاة ضمّنهُ براهين راهنة من الملافنة الشرقيين المقبولين لدى السريان تفنيدًا لمعتقد اليعاقبة · وفي المكتبة الشرقية للاباء اليسوعيين ببيروت ومكتبة مدرسة الشرفة الاكليريكيّة نسخة منه ألّفهُ اذ كان مطرانًا على آمد اي ديار بكر

٥ً انشأ مائة وخمسين موعظة في كتاب سماه العلل لدفع المِلَل وفي المكتبة الواتكانية ومكتبة الموارنة بحلب نسخة منهُ

٦ً وضع كتاباً ضمنهُ السؤال والردّ على اعتراضات كوركيس الاوّل بطريرك اليعاقبة سنة ١٦٩٢ واتى بشهادات من ملافنة السريان خاصة لتأييد المعتقد الكاثوليكي · وفي مكتبة غبطة بطريركنا الجليل اغناطيوس افرام الثاني منهُ نسخة قديمة كاملة · واخرى في مكتبة مدرسة الشرفة

٧ً الف غرماطيقاً سريانيًا في عهد استقفيّته على ديار بكر وسماه ܢܘܗܪܐ ܕܡܬ̈ܠܡܕܐ اي نور المبتدئين ومنهُ نسخة في المكتبة الشرقية للاباء اليسوعيين في بيروت واخرى في مكتبة مدرسة الشرفة

وكان المفريان الصالح الذكر متضلعاً بالسريانية والعربية والايطالية واللاتينية والتركيّة وغيرها · نفعنا الله سبحانه بصلواته وفضائله وآتانا اوفر الفوائد بعلومه وتآليفهِ

الصليب في عاديات رومية وسورية

للاب رينه موترد اليسوعي

ابرز قسطنطين الكبير في مدينة ميلانو سنة ٣١٣ مسيحية حكماً أُلغيت بموجبهِ تقارير القياصرة اسلافهِ في حقّ النصارى · فعُرفت النصرانية مذ ذاك الحين كدين قانوني يمكن الجميع الانضواء تحت رايتهِ دون عائق البتة · فدخل حينئذٍ الدين المسيحي

في طور جديد ولاح على رؤوس الاشهاد بعد احتجابهِ في الدياميس مدَّة ثلاثة قرون

وكما ظهرت اذ ذاك النصرانية في جلالها وعزّها كذلك برزت الفنون الجميلة المنوطة بالدين كالنحت والنقش والتصوير بعد ان كانت تتستَّر مستخفيةً في العزلة والخلوة فبدت بكل رونقها في ذلك الوقت

واكثر ما تجلَّت تلك الصنائع بمجالي الفخر وبمظاهر الابهة والجمال انما كان في بلاد سوريَّة حتى اضحت الصناعة النصرانيَّة الشامية شائعة في كلّ اقسام الدولة الرومانية واثَّرت في اعمال الصَّنَعة المسيحيين في سائر البلاد. واليوم نكتفي بذكر اثر واحد من تلك الاثار الصناعية اعني الصليب ورموزه في العاديَّات النصرانية القديمة في رومية واقطار الشام. وفي بيان ذلك من الفوائد العلميَّة ما لا يخفى فضلًا عن كون الامر يشهد بايمان اهل تلك الاعصار السالفة وينطق بلسان حالهِ عن مكنونات صدورهم

١

وهنا سؤال نقدّمهُ على بحثنا هذا تمهيدًا لايضاح الامر . يقول السائل : هل عمد المسيحيُّون الاولون في اوائل النصرانية الى ابراز الصليب على صورةٍ هيوليَّة وبشكل محسوس ؟ وفي اي زمن باشروا بتمثيله امَّا نقشًا وامَّا نحتًا ؟

وليس هنا كلامنا عن الصلبوت اي صورة المصلوب الذي لم يُمثَّل على الصليب الَّا بعد قرونٍ عديدة ومن اراد الوقوف على صحَّة الامر فعليهِ بمقالة في هذا الصدد سبق حضرة الاب لويس جلابرت فنشرها في المشرق (٧ : ٢٩٣ — ٣٠٢) وقد بين انَّ اقدم ما يُعرف من تلك الصور لا يتجاوز القرن السادس وانّ اخصَّها واشهرها صورة صلب السيد المسيح مُمثَّلة على كتاب انجيل خُطَّ سنة ٥٨٦ للميلاد في دير زغبة من بلاد ما بين النهرين. ثمَّ اشار الى آثار غيرها لاحاجة الى تكرار ذكرها. وانما نزيد عليها اثرين جديدين لم يذكرهما حضرتهُ احدهما قطعة من القماش وُجدت في مدافن اخميم تمثل السيد المسيح على صليبهِ. والاخر صفيحة من فضة تُحفظ في پرْم (Perm) من اعمال روسية اصطنعها بعض العملة السوريين وكلا الاثرين من القرن السادس للمسيح ايضاً

اما اذا عدلنا عن ذكر الصَّلبوت الى الصليب وحده فان آثارهُ في العاديَّات النصرانية كثيرة منذ القرون الاولى للميلاد دون انقطاع الى زمن مجمع نيقية الثاني حيث اعلن آباء ذلك المجمع بوجوب تأدية الاكرام لصور القديسين وفي مقدّمتها صور

السيد المسيح وخصوصاً مثال آلامهِ المحيية اعني الصليب الذي جعلهُ آلةً للخلاص فيحق لهُ الاكرام كما يكرّم الجنديُّ رايتهُ التي اعانتهُ على الفوز بالغلبة او يقبّل السيف الذي نجّاهُ من فتك عدوهِ بهِ

لا غرو انَّ المسيحيين منذ قرون النصرانية الاولى رسموا صورة الصليب على ادوات خفيفة النقل يسهل احتجابها عن اعين الوثنيين وذلك تبرُّكاً بتلك الرسوم واستدراراً للنعم الالهية من ايدي المخلص الذي اتّخذ خشبة العار كسلاحٍ أباد بهِ ملك العدوّ الجهنمي

فمن تلك الاثار فصوص وحجارة كريمة كان النصارى يتختّمون بها تُرى اليوم في متاحف اوربّة فعليها علامة الصليب واضحة ظاهرة وذلك قبل عهد قسطنطين الكبير بسنين عديدة

وقد ورد في اعمال الشهيد السوري القديس بروكوبيوس المستشهد في ايام ديوقلطيانوس قيصر انهُ تقدَّم الى جوهريّ في بيسان في السامرة بان يعمل لهُ صليباً نصفهُ ذهب والنصف الاخر فضة ليحملهُ على صدرهِ (١

ألا انَّ هذه الآثار وغيرها مثلها كانت لبعض الافراد ولا تشهد على شيوع اكرام الصليب شيوعاً كافياً. فلا بدَّ اذن من البحث عن آثار أُخرى عمومية مرسومة على ابنية تعمُّ النصارى

(قلنا) انَّ رسم الصليب في الآثار العمومية أقل منهُ في الاثار الخصوصية والسبب واضح وهو خوف النصارى الاولين من أن تُمتهن علامة الصليب او تُنهك حرمتها فلذلك قبل عهد قسطنطين الملك لا ترى تلك العلامة واضحةً جليّة الّا في آثار قليلة اخصّها ديماميس رومية. والديماميس كما هو معلوم كانت اسراباً خفيّة محفورة تحت مدينة رومية كان يقتلع منها الرومان اوّلا حجارةً وموادّ أُخرى يتّخذونها لابنيتهم. ولمّا ظهرت النصرانية وسعى اعداؤها الوثنيون في اضطهاد تبعتها وقتل المتدينين بها لم يجد النصارى وسيلة اجدر بالنجاة من ان يسكنوا تلك الديماميس ويقيموا مناسكهم في دفائنها ثمَّ

١) اطلب معجم العاديّات لمارتيني وكتاب برايار عن الصليب
Martigny: *Dict. des Ant. Chr.*, 3° ed., 214; Bréhier: *Les origines du Crucifix dans l'Art*, 21.

وجدوها بعد قليل قد ضاقت مع وسعها عن جمع شملهم فأخذوا يزيدون في حفرها ويوسّعون مسالكها وجعلوها طبقات عديدة ينزلون اليها بسلالم او مراقٍ خفيّة لا يعرفها الّا اصحابها واتّسعوا فيها حتى بلغوا ضواحي رومية . وكانوا يدفنون موتاهم في تلك الداميس ويتمّمون فيها كل واجبات ديانتهم . وقد حسب بعض المهندسين طول تلك الاسراب فوجدها لا تقل عن ٨٧٦ كيلومترًا وهي لعمري مسافة عظيمة تدلُّ على انتشار النصرانيّة في عاصمة العالم الرومانيّ . وقد بقي من تلك الاسراب قسم كبير لم يفتحهُ حتى الان ارباب الآثار . امّا القسم الذي يُعرف منها فهو كلّهُ كمتحف من العاديات النصرانيّة مشحون بكل اصناف المآثر الدينية . وبين تلك الاثار عدد وافر من رسوم الصليب يمكننا ان نقسمها اقساماً على اختلاف اصنافها

فمنها صنفٌ يمثّل الصليب جهارًا لا يشكُّ ناظرهُ في غاية تصويرهِ اعني اكرام آلة خلاص البشر ويُعرف من تلك التصاوير تقريباً حتى الان عشرين صورة . منها صورتان تمثلان الصليب المعروف باليوناني ذا الاربعة الاطراف المتساوية + وهو مقحم مرةً بين اسمين يونانيّين هكذا : ΡΟΥΦΙΝΑ + ΕΙΡΗΝΗ . وقد ورد رسم هذا الصليب في احد المدافن على آجرّة مكرّرًا ثلاث دفعات . ولعلّ هذا الشكل من الصلبان المربعة هو اقدم صورة لعلامة الخلاص اذ يرتقي عهدهُ الى القرن الثاني (الصورة ١ عدد١ ص٢٩٦)

وقد جاءت صورة الصليب على الشكل المعروف باللاتيني ذي العارضة السفلى الطويلة † في آثار اقرب الينا عهدًا في اواخر القرن الثالث واوائل الرابع . منها صفيحة ضريحيّة وُجدت في مدفن القديسة دوميتيلا فترى على الصفيحة تحت اسم الدفين سعفًا من النخل مع صليب لاتيني (الصورة ١ عدد ٢)

على انّ هذه الصور الجليّة كما قلنا كانت نادرة كأنّ النصارى الاوّلين تخوّفوا من عرض الصليب للاهانة اذا اظهروهُ علانيةً . ولعلّهم لم يكثروا من تصوير الصليب في الداميس لأن الداميس كانت مدافنهم فآثروا ان يرسموا عليها صورًا غيرها تشعر بايمانهم في الاخرة وبرجائهم بالخلود بدلًا من نقش الصليب الذي يذكر بالالام وعذاب الموت

هذا ما يختص بصور الصليب الظاهرة لكل العيان غير المحجوبة تحت ستر الرموز . امّا صورهُ الرمزيّة المشيرة اليهِ باشارات لطيفة خفيّة التي كان يدركها اصحاب المعرفة فقط

فانها اكثر من ان تحصى وكان النصارى يفضلون تلك التصاوير التلميحية على غيرها لانها كانت تثبت ايمانهم دون ان تثير عليهم فتن المشركين وتبعث في قلوبهم البغض والشحناء·

واوّل صورة من هذا الشكل الخفيّ لدى الاجانب مع وضوح معناها للنصارى حرف التاء العبرانيّة· وهذا الحرف الذي يُرسم اليوم هكذا ת كان يرسم في الزمن القديم على هذه الصورة × وشبهها بالصليب ظاهر· وفي سفر حزقيال (٩: ٤ و٦) انّ الربّ امرهُ بروءيا بقتل كل مَنْ لم يُرسم على جبهتهِ علامة هذا الحرف· فالنصارى الاولون كانوا يلمحون الى كل ذلك برسم هذا الحرف· وكانوا يرسمونهُ على صورة التاء اليونانية على هذا الشكل T لامتزاجهِ ببقيَّة الاحرف اليونانية (الصورة ١ عدد ٣) وربما رسموهُ في وسط اسماء الاعلام لئلّا يكتشف احد سرّهم كما ترى في الكتابة الاتية وهي تحتوي على ثلاثة اعلام ديونيسيوس وكيرلُّس وايلارا:

ΔΙΟΝΥ^TCΙΟΥ—ΚΥΡΙ^TΛΛΟΥ—ΙΛΑ^TΡΑ

ويشهد المعلم ترتوليان في اوائل القرن الثالث على استعمال النصارى لحرف T اليوناني دلالةً على صليب السيد المسيح· ويُحكى عن القديس انطونيوس ابي الرهبان ان رداءهُ كان مزداناً بصورة الصليب على هذا الشكل

ومن الرموز التي تشير الى الصليب واتخذها قدماء النصارى للإشعار بايمانهم ورجائهم بنوع خفيّ المرساة وكان بولس الرسول قد شبه الرجاء المسيحيّ بها (عبر ٦: ١٠) فرسمها المسيحيون الاولون على آثارهم وقبورهم وزادوا على قبضتها عارضةً تمثل الصليب فلم يقف الوثنيون على غايتهم (اطلب الصورة ١ عدد ٤)

ومما استعارهُ النصارى الاوَّلون من الرموز القديمة للدلالة على صليب ربهم علامةٌ وردت في آثار اليونان والهنود قبل المسيح وهي عبارة عن صليب مربَّع لكلّ عارضة من عوارضه الاربع ملحق فاستعملهُ المسيحيون بين رموزهم الخفية الرامزة عن صليب المسيح (الصورة ١ عدد ٥) والاثريون يدعون هذا الصليب بالصليب الجيميّ لانهُ عبارة عن اربعة حروف من الجيم اليونانيَّة Γ (croix gammée)

وكذلك استعار نصارى مصر الاولون من ديانة المصريين الاقدمين شكلًا آخر استدلوا بهِ على الصليب المقدّس وذلك عبارة عن صليب ينتهي بعروة ☥ وكان قدماء

المصريين يجعلون هذه الاداة في يد آلهتهم اشارةً الى مصدر الحياة (croix ansée) فاتّخذها النصارى المصريون كعلامة الصليب الحي (اطلب الصورة ١ عدد ٦)

الصورة ١



١ ٢ ٣ ٤ ٥ ٦ ٧ ٨

(١) الصليب المعروف باليوناني (٢) الصليب اللاتيني (٣) التاو العبرانيّة القديمة مع التاو اليونانية المشيرتان الى الصليب (٤) المرساة والصليب (٥) رمز الحياة عند المصريين (٦) الصليب المستعار عن الآثار الهنديّة (٧) شوكة اله البحر عند اليونان رمز الصليب (٨) الطير الباسط لاجنحتهِ كاشارة الى الصليب

وحجبوا ايضاً آية الفداء تحت مظاهر أُخرى كسواري السُّفن فمثلوا الصليب بعوارضها . وممّا رأيناهُ عند احد وجوه بيروت قالب قديم لاصطناع السُّرج والمصابيح فقد رُسمت عليهِ دائرة على شكل اطار وفي وسط الدائرة سفينة تمخر المياه وتعلو السفينة ساريةٌ مصلّبة . وكذلك كانوا يتخذون الشوكة المثلثة الاسنان ♆ من رموز اله البحر عند الرومان ليشخّصوا بها الصليب (اطلب الصورة ١ عدد ٧) . او كانوا يرمزون اليهِ بطائر باسط جناحيهِ على شكل الصليب (انظر الصورة ١ عدد ٨) الى غير ذلك من الاشارات الدقيقة التي لم يدرك احد سرَّها غير النصارى

٢

كل ما تقدَّم قد سبق القرن الرابع وظهور الدعوة النصرانيــة بتنصُّر قسطنطين الكبير فان سرَّحنا النظر في عاديات رومية خصوصاً بعد هذا الزمان وجدنا النصــارى قد تلطَّفوا في تصوير الصليب فأخرجوا لهُ صورًا على هيئات بهيَّة تأخذ بالنظر

واكثر ما ظهر اذ ذاك الصليب على صورتيهِ اليونانية اي المربَّعة واللاتينيَّــة اي المستطيلة . ولا يظنَّن القارئ بان الصليب اليوناني لم يُرسم الَّا في بلاد اليونان واللاتينيُّ الَّا في بلاد الغرب كلَّا فانك تجد صورتيهِ في رومية وفي الآثار اليونانية معاً ورسوم

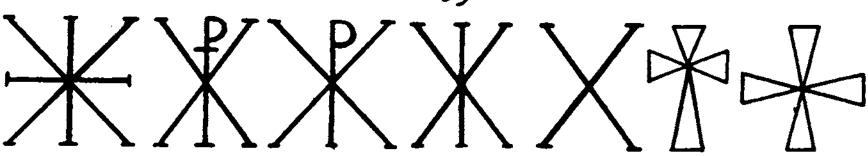
الكنائس التي شيّدت وقتئذٍ تمثّل اما الصليب اليوناني وامّا الصليب اللاتيني على سواء دون فرق بينهما في سائر الاقطار المسيحيّة

وظهرت حينئذٍ الصلبان المزيّنة ذات الاشكال الرائقة كالصليب المزدوج * المعرَّض الاطراف (croix pattée) سواء كان يونانيًا او لاتينيًا (الصورة ٢ عدد ١ و ٢)

وربّما رُصّعت تلك الصلبان بالجواهر والحجارة الكريمة (croix gemmée) كالصليب الفاتيكاني الذي هو من الفضة المموَّهة بالذهب تزينهُ الجواهر النفيسة اهداهُ الامبراطور يوستينوس الثاني للحبر الروماني (اطلب صورتهُ في المشرق ٣ : ١ ٣٤) . ومثلهُ صليب بالفسيفساء يُرى في حنيّة كنيسة القديسة پودنسيانة من اقدم كنائس رومية فانّ المصوّر مثّل هناك رواق اورشليم السماويّة وفوق الرواق ابنية المدينة المقدسة يشرف عليها السيّد المسيح ويعلو هامتهُ الالهية صليب مرصّع

وفي النُصب الذي وجد في بلاد الصين في مدينة سينغان فو وتاريخهُ سنة ٧٣٥ للمسيح قد رُسم صليب من الصلبان المزخرفة (انظر الصورة ٤) مع كتابة صينيّة وسريانيّة ضمّنها النساطرة المرسلون الى تلك البلاد ملخّص العقيدة النصرانية وهذه الكتابة قد نشرها آخرًا الاب هڤره (Havret) اليسوعي مع شرحها وبيان مضامينها ورسوم صورها (راجع المشرق ٧ : ١٠٣٥—١٠٤٣)

الصورة ٢



رسوم للصلبان القديمة المزخرفة او المشجّرة

وممّا شاع اكثر من كلّ ذلك صليب يعرف بصليب القديس اندراوس (crux decussata) لاستشهاد هذا الرسول على صليب من شكلهِ وهذه صورتهُ X يشبه حرف X اللاتينيّة وحرف χ اليونانية . ولما كان هذا الحرف اوّل حروف اسم

المسيح في اليونانية صوَّره النصارى الاوَّلون حتى في القرون السابقة لعهد قسطنطين منوّهين بالمسيح واسمه وصليبه معاً وذلك أمّا وحده كما رأيت وأمّا مسبوقاً بحرف الياء اليونانية اوّل اسم يسوع I على هذه الصورة IX وربّما ركّبوا الحرفين تركيباً لطيفاً هكذا * (انظر الصورة ٢ عدد ٣ و ٤ و ٥) وقد عُرفت هذه الصورة باسم المونوغرام (Monogramme du Christ) اي الشعار المشجّر وكثيرًا ما يُستبدل الحرف الاوسط I بحرف الراء P ثاني اسم المسيح في اليونانية (انظر الصورة ٢ عدد ٦ و ٧) . وقد زاد شيوع هذا الشعار مذ أمر قسطنطين بروْيا من الله ان يرقمهُ على رايتهِ الحربيَّة المعروفة باللابارم (labarum) كما تراها في المشرق (٧ : ٧٩٦) ، فعمّ استعمالهُ كلَّ اطراف المعمور فكانوا يتفنّنون برسمهِ فتارة يرسمونهُ بسيطاً كما شاع عند اهل مصر وسوريَّة وتارةً يجعلونهُ ضمن اكليل او يزينونهُ في طرفيهِ باسعاف النخل او يحيطونهُ باشعة من النور كلُّ ذلك تنويهاً بانتصار السيّد المسيح على الآلام والموت وظفرهِ بقوَّات الجحيم

وفي اواسط القرن الرابع اخذ اهل رومية يجعلون الشعار المذكور في وسط اوّل الحروف اليونانية وآخرها اعني A Ω وقد ألمعوا الى آية وردت في سفر روْيا يوحنا (٢٢ : ١٣) حيث يقول الربّ : «انا الالف والياء البداية والنهاية الاوّل والآخر» مشيرين بالحرفين المذكورين الى لاهوت المسيح ومجده الابدي معلنين بايمانهم على راس الملا ليس كما كانوا قبلًا متسترين مستخفين (١) . وكثيرًا ما يصوّرون صورة الربّ قريباً من تلك الرموز وهو ملتحف بالجلال جالس بهيئة السيد تارةً وحدهُ وحيناً مع تلامذتهِ لاسيما بطرس هامة الرسل الذي تراهُ قريباً من معلمهِ ممتازًا عن بقيّة التلاميذ . وفي بعض هذه التصاوير قد مُثّل السيد المسيح ورأسهُ متوج بهالة في وسطها صليب وعلى جانبي الصليب حرفا A Ω

*

دعنا الآن ننتقل الى آثار الصليب في بلاد سوريَّة خصوصاً فنقول :

انَّ صور الصليب وردت في الصناعة السوريَّة متعدّدة ذات هيئات مختلفة . فجاء الصليب على صورتهِ المألوفة بسيطاً في بعض الآثار منها نقشٌ منقور في الصخر وجدهُ

(١) اطلب الآثار النصرانية لبيراته Pératé: *Archéologie chrétienne*, p. 199.

الكنت دي ڤوكويه (١ في قرية دير سنبل يمثّل الحَمَل المرموز بهِ عن السيد المسيح وعلى مؤخّر ظهره صليب مربَّع . وهي صورة فريدة لم يوجد شبهها في محل آخر وانّما وجدوا في بعض جهات الغرب الحمل الالهيّ مستندًا الى الصليب او مضجعًا عليهِ

ووجدوا ايضاً الصليب في سوريّة على هيئة شعار قسطنطين مزيّناً بحرفي اسم المسيح . من ذلك ناووسان من رصاص اكتشفوهما في صيداء نُقش عليهما الشعار المذكور بسيطاً مع ان الناووسين مزدانان بالتصاوير والرسوم الجميلة (٢ بينها اساريع الجفنة واغصانها ورؤوس ملائكة وآنية شتى بينها كأس يشرب منهُ حمامتان . وهناك حنايا في وسطها الصليب المستعار من حرف اسم المسيح وحول هذا الشعار لفظة يونانية IXΘYC معناها السمكة يُشار بها الى خمسة الفاظ جمعت حروفها الأُولى مشجرة وهي تدلّ على صفات السيد المسيح Ἰ (ησοῦς) X (ριστός) Θ (εοῦ) Υ (ἱός) Σ (ωτήρ) اي « يسوع المسيح ابن الله المخلص » (اطلب ما كتبهُ عن هـذا في المشرق ٤ : ٦٧٤ حضرة الخوري بطرس عزيز)

الّا انّ اهل سوريّة ما كانوا غالباً ليكتفوا بتمثيل الصليب على صورة بسيطة وانّما ارادوا ان يحيطوهُ بضروب الحليّ والنقوش المشجرة بتعظيمهم لآية الخلاص فترى في عدّة تصاوير وُجدت في سوريّة الوسطى كـرجلّة وبتورسة ودانا وبارا الصليب بارزًا في هيئة جليلة فيعرّضون اطراف الصليب ويُحلّون جوانب شعار قسطنطين ويجعلون من جهتيهِ الحرفين اليونانيين A Ω وكثيرًا ما يزيدون الى هذه التصاوير رموزًا اخرى كصورة نجم واوراق نباتيّة مثلّثة الاطراف او يرسمون نقطاً على شكل ثلاثي يشيرون بكل ذلك الى لاهوت السيد المسيح وسرّ الفداء والى الثالوث الاقدس (اطلب المشرق ٨ : ٩٢٠ والصورة ٣)

وفي بعض هذه التصاوير السوريّة قد جُعل الصليب او شعار المسيح في ضمن اكليل او قوس يدلّان على انتصار الربّ من اعدائهِ ويرقمون تحت الصليب ادعيةً بالفوز والنصر كما ترى في احد آثار دير سنبل حيث كُتب تحت الصليب هاتان اللفظتان

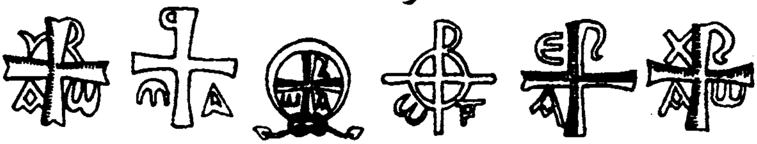
---

١) اطلب كتابهُ عن سوريّة الوسطى De Vogüé : *Syrie Centrale*, pl. 48

٢) اطلب Pératé : fig. 218

TOYTO NIKA اي هذا قد غلب (١ . وتاريخ هذا الاثر سنة ٤٢٠ للمسيح

الصورة ٣



شعار اسم المسيح وصليبهِ في الصناعة السوريّه القديمة

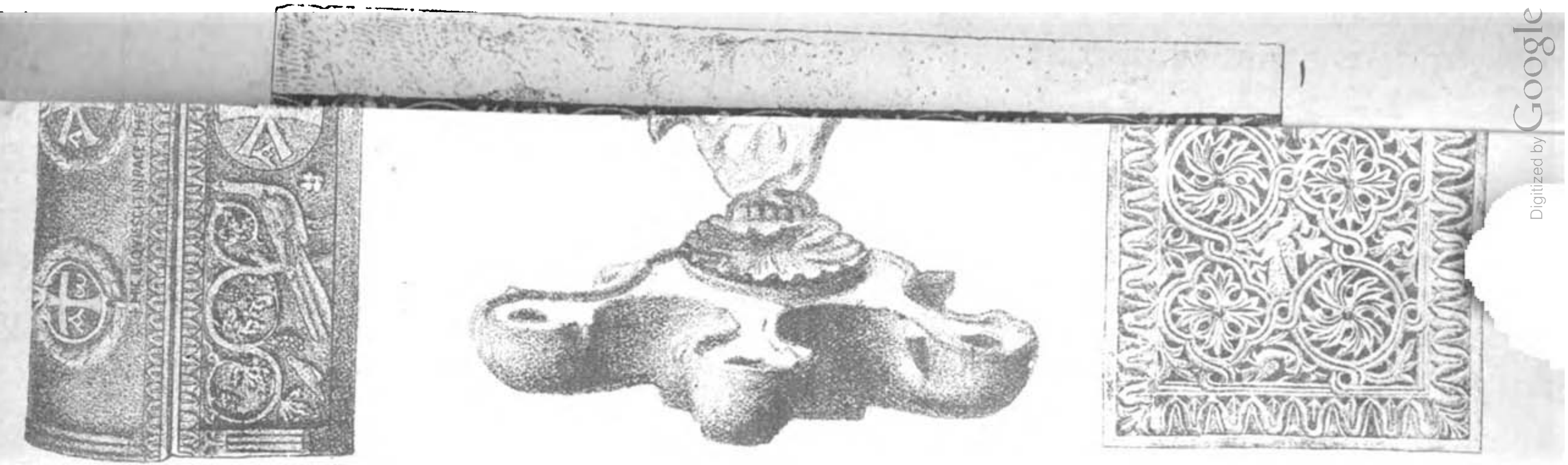
ومما عهدهُ الصَّنَعة السوريون في تصوير الصليب انهم كانوا اذا نقشوهُ على بناء ما زانوهُ بضروب التهاويل واحاطوه بالاسماط المزخرفة والقلائد المزوّقة وحبَلات الكرم وخرصان النخل المحبوكة واوراق الكنكر (acanthe) المتلوّية بينها الطيور الرمزيّة وخصوصاً الطاووس. وقد تلطّفوا في صنع هذه الزخارف حتى عُرفوا بها واستعارها منهم حُذّاق النقاشين في برّ الاناضول ومصر وبلاد الغرب وقد رسمنا هنا مثالاً لتلك الزين نقلاً عن كتاب الكنت دي ڤوكويه في عاديّات سوريّة الوسطى (٢ اخذ رسمهُ من عتبة باب قديم في قرية موجلية (اطلب الصورة ٤). وقد وجدوا مثل هذه النقوش في مدينة راڤانّة وهو صليب في جانبيهِ درابزين مزيّنة بالاغصان والاكاليل كالآثار السوريّة التي ذكرناها (٣

واكتشفوا في راڤانّة ناووساً تاريخهُ سنة ٦٥٨ يُشبه ايضاً الآثار السوريّة المنمقة. فعلى غطاء الناووس شعار السيد المسيح مثلّثاً وعلى جانبهِ طاووسان يوجهان نظرهما الى المشجَّر القسطنطينيّ تُحدق بهما اساريع الكرم واغصانهُ. فتقليد صانع هذه النقوش للآثار السوريّة ظاهر. والسوريون كانوا اعتادوا هذه المحبوكات النباتية منذ زمن مديد كما ترى في نقوش هيكل بعلبك الذي تأخذ زخارفهُ الجميلة بالابصار وخصوصاً نقوش الهيكل الصغير فانّها ايضاً تمثل حبلات الكرم واقداحاً وكؤوساً بديعة العمل (٤

(١ اطلب Syrie Centrale, pl. 151   (٢ Syrie Centrale, pl. 32

(٣ اطلب نشرة المراسلات اليونانية (Bull. de Corresp. hell., 1899. p. 264.)

(٤ اطلب تأليف الاب غاروشي اليسوعي في تاريخ الصناعة عند قدماء النصارى: Garrucchi: *Storia dell Arte Christiana* V, 491



الصورة ٤

١ شعار المسيح على عتبة دار في موجلية قريباً من المعرَّة = ٢ و٣ شعار السيّد المسيح وصليبهُ كما وردا على عمودين من كنيسة القديس تاوناس في الاسكندريَّة = ٤ صليب سينغان فو من اعمال الصين = ٥ صليب بنقوش شرقيَّة في راڤانّة = ٦ شعار السيّد المسيح مع تصاوير ونقوش شرقيَّة على ناووس في راڤانّة = ٧ سراج قديم يعلوهُ شعار السيّد المسيح وُجد في سالينانت من اعمال صقلية

وقد قلّد هذه الاعمال السوريّة محبُّو الفنون الجميلة حتى اليونان كما تبيَّن الامر في النقوش المكتشفة حديثاً في دلفي

وفي الآثار السوريّة النصرانيَّة خواصّ أُخرى امتازت بها وهي الاطارات الهندسية التي ينقشونها حوالَ تصاويرهم فكثيرًا ما يفصلون بين صورة وصورة بعمدٍ وسوارٍ يسندون اليها مثلثات او اقواساً مستديرة. ففي نواويس صيداء مثلًا قد جُعل شعار السيد المسيح ضمن اطار مقوَّس. وربما مثّلوا فوق الاقواس اصدافًا بحريّة كما ترى في ابنية بعلبك. ولعلَّ نصارى الشام حذوا في هذه الاطارات حذو العَمَلَة اليهود في فلسطين الذين كانوا ينقشون على مدافنهم مثل هذه النقوش محاطةً باطارات هندسيَّة كالسواري والاعمدة تعلوها المثلثات في واجهتها امَّا النصارى فجعلوا تلك الافاريز حول الصليب المقدَّس او شعار السيّد المسيح زينة لهما

وبين الصور التي رسمناها ترى مثالين لهذه الأُطر يكتنف الواحدُ منهما علامةَ الصليب والثاني شعارَ المسيح وهما على شبهِ حنايا قائمة على عمد وهذه النقوش المستعارة كما نظن عن الصناعة السوريّة موجودة في كنيسة قديمة في الاسكندريّة كانت على اسم القديس تاوناس منقورة في عواميد الكنيسة (١ (اطلب الصورة ٤). ووجودها هنالك يذكّرنا بما كتبهُ روفينوس المؤرخ في اواخر القرن الرابع للمسيح بانَّ نصارى مصر ازالوا من ابنية الوثنيين صورة الاله سيرابيس فجعلوا بدلًا منها صورة الصليب فصوَّرها على ابوابهم وجدرانهم وعمد بيوتهم وعلى رؤوس اكلّتها

وما قالهُ روفينوس عن صور الصليب في مصر يصحُّ قولهُ في انحاء سوريّة حيث لا تكاد ترى بناء قديمًا خلوًا منهُ. فكانوا ينصبونهُ ليس فقط في الهياكل والمعابد لكن ايضاً في الابنية العموميَّة ويرسمونهُ على عتبات بيوت الخاصّة وعلى ابوابهم وعلى كل اثاث بيوتهم كالملابس والآنية والسُرُج. كما ترى السراج الذي نقلنا رسمهُ عن بعض عاديات صقلية وفيهِ شعار المسيح مع هذا الدعاء « الشكر لله » (٢ وجعلهُ الملوك حلية لتيجانهم ورسموا صورتهُ في نقودهم وزيَّنوا بهِ صدور خاصتهم

١) اطلب نشرة جمعية العاديات فى الاسكندرية (Bulletin de la Soc. Arch. d'Alexandrie, n° 5)

٢) فى تاريخهِ الكنسي (ك ٢ ف ٢٩)

وكانوا يودُّون خصوصاً ان تستظل رفاتهم في مدافن يزينها الصليب المقدَّس ويحرس بقاياها الى يوم الدينونة وقد ارادوا أنْ تظهر صورة الصليب حتى في رسوم ابنيتهم لاسيما البنايات الدينيَّة فمنذ ابتنى قسطنطين الكبير كنيسة القديسين الرسولين بطرس وبولس على هيئة صليب لتكون مدفناً لجسمهِ بعد موتهِ اخذ النصارى في كل الاصقاع ولاسيما في سوريَّة يبنون هياكلهم على هذا الشكل تبرُّكاً . ولنا شاهد صدق على كرامة الصليب وشيوع صوره في بلاد سوريَّة بما كتبهُ احد ابنائها العظام القديس يوحنا فم الذهب في العشر الاخير من القرن الرابع في ميمرهِ عن لاهوت السيّد المسيح وكلامهُ احسن ختام لهذه النبذة قال: « ترى الصليب حيثما سرتَ . فانَّ الملوك ألقوا تيجانهم واتَّخذوا الصليب رمز موت المخلص حليةً لرؤوسهم كما انهم زانوا بهِ حللهم الملكيَّة وارجوانهم . فان سمعت الصلاة رنَّ في مسمعك اسم الصليب . ان سرت بين الجند نظرت رأية الصليب تتقدَّمهم . الصليب زينة المائدة المقدَّسة الصليب زينة العالم كلهِ فهو يغلب ضوء الشمس بانوارهِ الساطعة »

كتابة آرامية

لزكر صاحب حماة ولعش

للاب سبستيان رنزفال اليسوعيّ مدرّس الآثار الكتابية في مكتبنا الشرقي

قد انجز العلَّامة المسيو پونيون قنصل فرنسة سابقاً في بغداد وحلب كتابهُ النفيس الذي ضمَّنهُ ما توفَّق الى اكتشافهِ من الكتابات الساميَّة في سوريَّة والجزيرة وجهات الموصل (٢ . وكان العلماء ينتظرون برغبة هذا التأليف لما بلغهم عن مضامينهِ الجليلة . وقد سرَّحنا فيهِ النظر فوجدناهُ سفراً جليلاً في قسمين من قطع الربع مزيناً برسوم وتصاوير

---

١) اطلب Führer u. Schultze: *Die Altchristl. Graebstaetten Siziliens*, p. 289

٢) هذا عنوانهُ

M. Pognon: **Inscriptions Sémitiques de la Syrie, de la Mésopotamie et de la région de Mossoul,** Librairie Lecoffre, J. Gabalda et C[ie]. Prix. 80 francs.

رائعة محتويًا لعدد عظيم من الآثار التي وقف عليها سعادة القنصل في اسفاره الى تلك الجهات اذ كان قنصلًا عامًا لدولته الفخيمة. ومعظم هذه الكتابات باللغة السريانية. ومنها اثنتان بالاشوريَّة واثنتان بالآرامية مكتوبتان بخط يصعب فكُّ اسراره وادراك مضمونه (١. واخيرًا كتابة فريدة آراميَّة ايضاً تاريخها القرن الثامن قبل المسيح وهي على جانب عظيم من الخطر ذُكر في مطاويها اسم الملك برهدد بن حزائيل الذي ورد اسمهُ في الاسفار المقدسة التاريخيَّة فاحببنا أن نُفرد لها مقالةً لقرَّاء المشرق لتوقفهم على محتوياتها موجلين الكلام عن بقيَّة الكتابات الى فرصة اخرى ان شاء الله

كان اكتشاف الاثر الذي رُقمت فيه هذه الكتابة في بعض شهور سنة ١٩٠٣ في مكان ضرب المسيو پونيون صفحاً عن ذكرهِ لاسبابٍ. والاثر لسوء الطالع مكسور فُقدت بعض قطعهِ. وكان في الاصل نصباً ينيف طولهُ على مترين فتحطَّم وبقي منهُ اربع قِطع اذا رُكب بعضها على بعض كانت قريباً من نصف الاثر الاسفل. وكان نصفهُ الاعلى يمثّل شخصاً منتصباً متجهاً الى اليمين وقد تلفت صورتهُ الَّا شيء من طرف ثوبهِ وبعض آثار قدميهِ. وكان القدمان منتصبان على موطأٍ ثبتت صورتهُ. وفي اسفل ذلك الموطإ الكتابة التي نحن في صددها او بالحري ما بقي منها لأنَّ الكتابة كانت متواصلةً متتابعة على دائرة الصخرة. فالكتابة التي كانت على واجهة الاثر (اطلب رسمها في الشكل الاول) قد بقي منها لحسن الحظّ اوَّلها البالغ ١٧ سطرًا اعني اربعة اخماسها وقد تلف آخرها الذي كان قصيرًا. امَّا النصوص التي كانت على جهتي الحجر يمينًا وشمالًا فقد سلم من كتابة الجهة الشمالية ٢٨ سطرًا (اطلب الشكل الثاني) الَّا انَّ الاسطر غير تامَّة غلب على قسم منها الفساد امَّا كتابة اليمين فلم يسلم منها سوى سطر ونصف. وعليهِ فيكون المفقود من كتابة الطرفين نحو ثلثيهما

نعم انَّ هذا الخلل ممَّا يوجب الاسف لكنَّنا رغمًا عن ذلك نعتبر هذه الكتابة من جملة الآثار الخطيرة وذلك لاسباب عديدة: (اوَّلها) لقدم عهد قلمها لانها مخطوطة بقلم عتيق كقلم الكتابة الآراميَّة التي ادرجناها سابقًا في المشرق فان شاء القارئ ان يتمرَّن على مطالعة مثل هذه الآثار فعليهِ بمراجعة حروفها في جدول الحروف الفينيقيَّة

١) يرتأي المسيو پونيون بان هاتين الكتابتين اقدم عهدًا من المسيح وعلى رأيي انَّهما كُتبتا في عهد الرومان وبعد التاريخ المسيحي والدليل على ذلك شكل النصب الموجود عليهِ الكتابة الصغيرة

الذي نشرناهُ هناك (١. والسبب (الثاني) لعظم شأن تلك الكتابة اذ تحتوي كما قلنا اموراً تاريخية تؤيد أحداث الاسفار المقدّسة. وزد عليهِ سبباً (ثالثاً) وهو ما يختصّ بلغة تلك الكتابة التي تحتوي آراميّتها عدّة خواصّ تقرّبها من اللغة العبرانية. ويضاف الى ذلك سبب (رابع) واخير وهو اشارة الكتابة الى الهِ وهو الاله بعل شمين او بعل شمائين الموافق لاحد اسماء الله الحسنى اعني اله السماء الوارد ذكرهُ في كتابة جزيرة اسوان التي مرّ لنا وصفها منذ عهد قريب (راجع الصفحة ٥٩)

فهذه الاسباب الاربعة حدَتْ بنا على تعريف تلك الكتابة وها نحن نعرّبها تعريباً حرفيًّا سطرًا بسطر متعقبين آثار المسيو پونيون في شرحهِ الذي لا نحيد عنهُ الّا في بعض عوارضهِ التي نشير اليها. وممّا يسهل ترجمة هذا النصّ انّ حافرهُ قد فصل كل لفظة عن قرينتها بخطٍ صغير عموديّ (٢. وفي ترجمتنا جعلنا بين معكّفين بعض الالفاظ او اقساماً من الالفاظ التي تلفت لدلالة القرائن عليها او ترجيحاً لوجودها في الاصل الضائع. امّا الالفاظ التي وضعناها بين قوسين فهي زيادات منّا لبيان المعنى ولعلاقة الجمل بعضها ببعض

تعريب الكتابة التي على وجه الاثر

١) النصب الذي وضعهُ زكر ملك حماة ولعش لألور [إلهِ اورّبه ؟]

٢) [ا] نا زكر ملك حماة ولعش هكذا (؟) اقول انا : « وبَعْد » [مَاضَدَ]

٣) ني بعلشمين وقام معي وملّكني بعلشمين

٤) [قد] اثار وحشّد عليَّ برهدد بن حزال ملك آرام .

٥) .. عشر ملكاً (وهم) برهدد وجيشه وبرجش وجيشه

٦) [ملك] قوه وجيشه وملك عمق وجيشه وملك جرجم

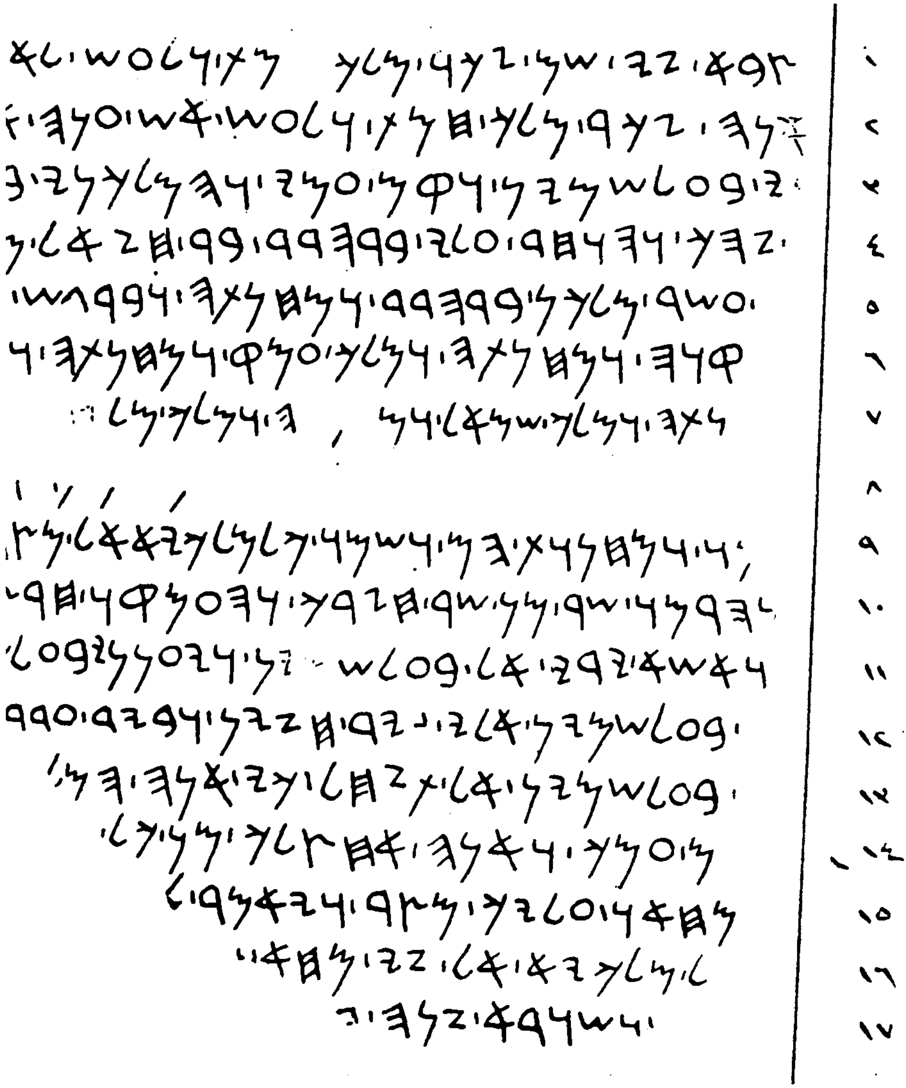
٧) [وجيش] ه وملك شمأل وج [يش] ه وملك مل . [وجيشه

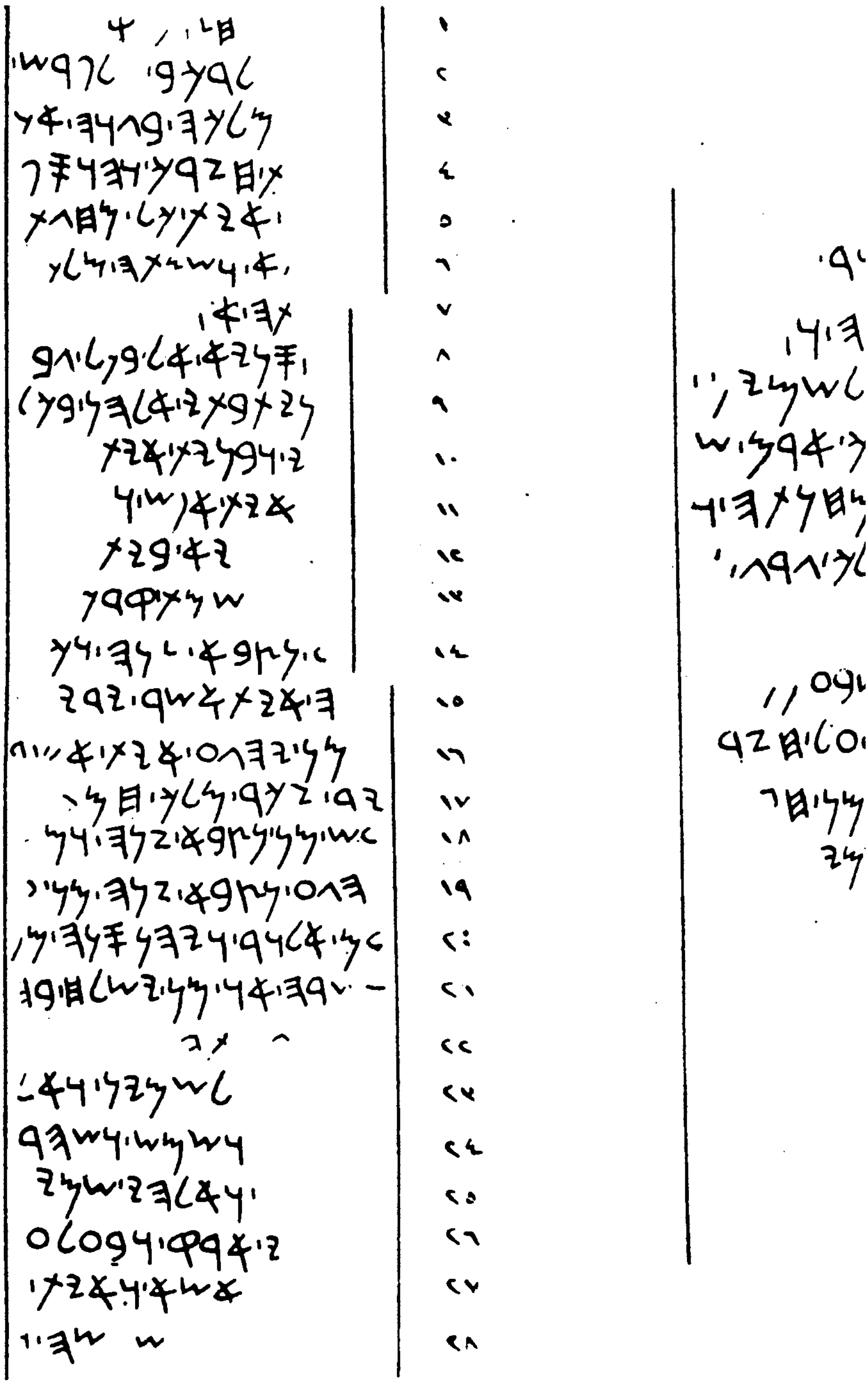
---

١) اطلب في المشرق (٨ : ١٢٨) الجدول الثالث من القسم الاوّل. وتاريخ ذلك الجدول تقريباً كتاريخ الكتابة التي نشرها المسيو پونيون. وسيأتي عنها الكلام قريباً

٢) وقد نسي النقّاش اثبات هذا الخُطَيط في بعض الاحيان كما انهُ زادهُ ايضاً مرّات اخرى دون داعٍ الّا انّ ذلك سهو لا يصعب اصلاحهُ. والرسمان اللذان اثبتناهما هنا قد اخذناهما رأساً عن الاصل المرسوم بالفوتوغراف واستعنّا في قراءة بعض الاماكن الصعبة بقراءة المسيو پونيون

١ صورة الكتابة التي على وجه الأثر





٨) . . . . سبع[ة] م[لوك]
٩) [هم] وجيوشهم فوضع هؤلاء الملوك حصارًا بحزر[ك]
١٠) وأعلوا سورًا حول (؟) سور حزرك وعمّقوا خندقًا من خندقها
١١) فرفعتُ يدي الى بعلشمين فاجابني بعلشمين [وتجلّى]
١٢) لي بعلشمين بيد المرائين وبيد العدّاد[ين فقال
١٣) لي] بعلشمين لا تخف لاني ملّكـ[تك وانا
١٤) اقو]م معك وانا اخلصك من كل [هؤلاء الملوك
١٥) الذين] ضربوا عليك الحصار وقال لـ[ي انا انصرك من]
١٦) كل هؤلاء الملوك الذين ضربوا . . . . .
١٧) . . . . وهذا السور. . . . .

. . . .

تعريب الكتابة التي عن شمال الاثر

١) . . . . حزرك . . . .
٢) . . . . للمراكب والفرسان
٣) . . . . مَلِكها في داخلها و[انا
٤) بنـ]ـيتُ حزرك واضفتُ
٥) اليها كل ولاية
٦) . . . . ورسمتهُ ملكًا
٧) . . . . ته[. . . فلما فرّقـ]
٨) تُ هؤلاء الاعداء بكل صوب
٩) [بـ]ـنيتُ هيا كل الآلهة في كل
١٠) [مملكـ]ـتي فبنيت. . . .
١١) . . . وافش و. . . . .
١٢) . . . . . هيكل. . .
١٣) . . . ووضعت اما[م أ]لُ
١٤) ور] هذا النصب وكـ[ـتـ
١٥) بتُ اثر يديَّ [عا
١٦) يه] . من ينزع ا[ثر
١٧) يدَي] زكر ملك حما[ة ولـ]
١٨) عش مِن هذا النصب ومن
١٩) [يـ]ـنزع هذا النصب مِن أ
٢٠) مام ألُور ويقلعهُ [من
٢١) مكا]نه او مَن يمدّ اليه
٢٢) [يدَه] . . . . [فـ . . . .
٢٣) الور (؟) وبعـ[ـلشمين وال
٢٤) [و ركبأل ؟] وشمس وشهر
٢٥) [و . . . .] وآلهة السماوات
٢٦) [وآلهة] الارض وبعل
٢٧) . . . .
٢٨) . . . .

أمّا جهة اليمين فلم يبقَ منها كما قلنا الّا النزر القليل وهي ختام الكتابة كلها وقد طُمس هذا الباقي بحيث لا يمكن ان يُقرأ منهُ الّا هذه الالفاظ الثلاثة « اسم زكر واسم . . . »

هذا ما صبر على آفات الدهر من ذلك الاثر النفيس . فبيانًا لعظم قدرهِ ها نحن نلحقهُ ببعض الملحوظات البديهيّة في مضمونهِ التاريخي وفوائدهِ الجغرافيّة والدينية

يظهر لقارئ هذه الكتابة من اول وهلةٍ انَّ صاحبها قصد من تدوينها تخليد ذكر انتصارٍ فاز بهِ زكر ملك حماة على برهدد ومحالفيهِ في حصار مدينة حزرك . ففي القسم الاوَّل يخبر الملك كيف الاله بعلشمين الذي طلب مشورتهُ على يد كهنتهِ وعرَّافيهِ سبق وتنبأ لهُ بالانتصار التامّ على كل اعدائهِ . وكان لهذا القسم الاوَّل الذي فُقد منهُ سطر او سطران في أسفل النصب قسمٌ آخر يوازيهِ في الجانب الشمالي حيث الملك كان يروي ما فعلهُ بعد انتصاره فعلى الغالب انهُ اخبر بنصبهِ ملكاً من حزبهِ على المدينة . ثمَّ انهُ يصرح ببعض اعمالهِ بعد غلبتهِ اذ شيَّد او رمَّم بعض هياكل مملكتهِ . ويردف قولهُ بما يأتي انهُ بنسبة تلك الامور قد اقام هذا النصب للإِله ألور ودوَّن فيهِ مآثرهُ . وفي الباقي من قسم هذه الكتابة يتهدَّد الملك زكر بلعنة جميع آلهتهِ كلَّ من يجترئ فينتهك حرمة هذا الاثر او ينزعهُ من امام الاله ألور . وكان لهذا القسم من الكتابة تتمَّة في الجانب اليمين لانَّ القدماء في مثل هذه الكتابات كانوا يتَّسعون عادةً في التهديدات والدعوات التي يدعونها على المنتهكين . ومن المرَّجح انَّ الكتابة كانت موقعة في آخرها باسم الملك زكر وباسم الملك الذي اقامهُ كنائبهِ على حزرك

هذا ولو كان المسيو پونيون أطلعنا على المحل الذي فيهِ وُجدت هذه الكتابة لأمكنا ان ندقق بزيادة في بعض ملحوظاتنا الآتية وما لنا الَّا ان نعرضها كما خطرت على بالنا . واوَّل ما يدور على خلَدنا انَّ النصب كان في مدينة حزرك في هيكل الاله ألور . وحزرك هذه مدينة ورد ذكرها على الاقل مرَّةً واحدة في الاية الاولى من الفصل التاسع من نبوة زكريًا والنبي يدعوها باسمها وينذرها بالويلات كمدينة دمشق وهذا مما يدل على انَّ حزرك كانت قريبة من الفيحاء وحتى الان لم يمكن العلماء تحقيق موقعها . وما لا بدع فيهِ انها كانت بين دمشق وحماة لانَّ الآثار الاشوريَّة صرَّحت ايضاً بذكرها مرارًا وهي تدلُّ على انَّ موقعها كان في النواحي الشمالية من لبنان وجبل الشيخ (١ ولكن ما دمنا نجهل المحلّ الذي وجدت فيهِ كتابتنا تبقى كل الاراء ضعيفةً واهنة ولذلك نعرض الآن راينا بكل تحفظ دون القطع بهِ

١) وقد رأى البعض ان لفظة חדרך اي الطريق المذكورة في حزقيال (٤٧ : ١٥) تصحيف لفظة חדרך اي حدرك او حذراك فان صحَّ هذا الراي وليس الامر مقرَّر يكون موقع حدرك قريباً من ساحل البحر ولكن في شمالّي لبنان (اطلب المجلة الاسيوية ومعجم الكتاب المقدس لغوته) (Halévy : JA-1899[1], 158-160 ; Guthe : *Bibelwoerterbuch,* 276).

ثمَّ انهُ يؤخذ من نصّ الكتابة انهـا أُقيمت بازاء الاله ألور فنستطيع اذن ان نستنتج من هذا القول بان الشخص الذي كان مصوَّرًا في اعلى النصب انمـا كان ممثّلًا للملك زكر كانهُ يتضرَّع الى إلههِ . امَّا الاله ألور فهذه اوَّل مرَّة على ما أرى ورد ذكرهُ في الآثار . فماذا هو يا تُرى هذا الاسم الغريب أهو اسم ساميّ او اسمٌ حثّي (١ ؟ انَّ الامر ليس بواضح ولكن من المحتمل انَّ هذا الاسم كعَلَم بعلشمين يتركب من لفظتين اعني ايل واور فيكون معناهُ اله النور كما انَّ بعلشمين تأويلهُ اله السماوات

واسم هذا الاله قد تكرَّر في كتابتنـا فتجدهُ في اوَّل سطر من القسم الاوَّل ثمَّ في السطر ٢٠ من كتابة الجهـة الشماليَّة والغالب انهُ مذكور ايضًا في السطر ٢٢ ليس بعد اسم بعلشمين كما ظنَّ المسيو پونيون ولكن قبلهُ على رأيي . وكان بعلشمين عنـد اهل حماة المشركين معتبرًا كاله الحرب فهو الذي استشارهُ زكر لحصـار حزرك وهو الذي نصر الملك على اعدائهِ ولذلك ترى اسمهُ مكرَّرًا في هـذا الاثر . على انَّ تقدمة النصب ليست لهُ بل لألور سواء قيل انَّ ألور هو احد ألقاب بعلشمين او انَّ النُّصب أُقيم في هيكل ألور .

وممَّا يُستغرب في هذه الكتابة انَّ ملك حماة يروي في السطرين ٤ و٥ بان محالفي برهدد كانوا يُربون على العشرة وهو مع ذلك لا يُسمي منهم غير سبعة ولعلَّهُ يمكن ايضًا ان يزاد عليهم اسمان آخران سقطا من السطر الثامن . فيكونون تسعة فاين البقيَّة . فالجواب على ذلك انهُ من المحتمل انَّ المحالفين لم يحضروا كلُّهم حصار مدينة حزرك فضرب الملك صفحًا عن الغائبين

قلنا انَّ محصَّل هذه الكتابة انتصار ملك حماة ولعش على برهدد وأحلافهِ . فلسائل ان يسأل وما هي « لعش » المنوَّه بها ؟ يجيب المسيو پونيون حدسًا بانَّها حمص ويفترض انها قديمًا دُعيت بهذا الاسم . وعندي انَّ حمص لم تُدعَ في سالف الزمان باسم غير اسمها الحاضر كحماة جارتها . امَّا « لعش » المذكورة فاني لا اعرف البتَّة اين كانت . وعلى كل

---

١) ورد في الآثار الاشورية اسمٌ لمدينة قريبة من جبال الاسكندرونة تدعى أتالور يُظَنّ انها اسم مكان حثّي وبين اسم ألور واتالور شبه ظاهر (اطلب تاريخ الامم الشرقية القديمة لمسبيرو (Maspéro : *Histoire*, III. p. 33 ; Schrader-Winckler : *KAT*³. p. 38)
ان الحثّيين خلَّفوا جملة آثار من عهدهم ولغتهم لاسيما في اعلام مدن سوريَّة وخصوصاً في تل بني مند وهي قدَس القديمة جنوبيّ حمص

حال لا ريب في انها كانت من مدن الشام وموقعها شمالي دمشق · وعسى احد ارباب الرحل يكتشفها يوماً في بعض الاخربة المهملة فيستدلّ على اسمها من اهل البادية او رعاة المواشي الذين وحدهم يعرفون تلك الاسماء القديمة · وكأني بالسائل يردف قولهُ بقولهِ : ومن هو «زكّر» او «زكِر» الملك الوارد اسمهُ هنا ؟ نجيب ايضاً انهُ من الاعلام المجهولة · أمّا اسمهُ فهو ساميّ بحت كما يظهر بالمقابلة مع اسماء اخرى تتركب منهُ مثل زكريا وزكر بعل وهلمّ جرّا

هذا وان كنّا نجهل اسم «زكر» فانّنا نعرف حقّ المعرفة «برهدد» المزبور في كتابتنا فانه كان بلا شكّ ابن حزائيل ملك آرام وكانت دمشق من حواضر مملكتـه · وقد تكرّر اسم برهدد واسم ابيهِ حزائيل في الاسفـار المنزلة وفي الآثار المسماريّة · ووجود اسمهما في كتابتنا يسمح لنا بتعريف تاريخها بخلاف بقيّة الأعلام التي هي مدوّنة في هذه الكتابة فانها كلها مجهولة · فانّ اسم «برجش» لا يُعرف مطلقاً ولم يذكر صاحب الكتابة البلد الذي كان يملك عليه (١

امّا الملوك الذين ذكرهم بعدهُ فلم يرو اسماءهم وانّما ذكر البلاد التي كانوا يملكون عليها اولها «قوه» وهي من الاقطار المذكورة في الآثار الاشوريّة وفي اسفار التوراة (٢ · ثمّ «عمق» وهي بلاد سهليّة في جهات انطاكية · ثم جرجم (٣ التي ورد ذكرها في الآثار الاشوريّة وكان موقعها جنوبي مرعش · ثمّ «شمأل» التي يعرف موقعها تماماً ولهـا ذكر في الآثار الاشوريّة وفي الكتابات الآرامية القريبة العهد من كتابتنا التي وجدت في زنجرلي وفي كرجين وهما محلّان اقرب جنوباً الى مرعش من جرجم بينهما مسافة نصف ساعة في عرض عينتاب في جبـال امانوس اي اللكّام · امّا الملك الاخير فان اسم بلدهِ قد تلف منهُ بعض حروفهِ (٤

---

١) انَّ تركيب اسم برجش كتركيب اسم برهـدد فيتألّف من لفظتي «بر» اي ابن و «جش» الذي هو على ما نظنّ اسم إله كما ان هَدَد اسم اله

٢) اطلب الملوك الثالث (١٠ : ٢٨) فدعاها بالعبرانية קוה وفي الترجمة اللاتينية Coa

٣) راجع ١ا كتبهُ المشرق عن الجراجمة وعاصمتهم جرجومـة (٥ : ١١٢٢ و٦ : ٢٠١ و١٠ : ٩٥٩)

٤) انَّ حرفيِ الاولين يظهران ظهورًا جليّاً وهما ميم ثمَّ لام . والحرف الثالث قريب من حرف الزين لكنّـهُ ليس باكيد ويمكن ان يكون حاء فتصبح الكلمة «مَلَح» ومن المحتمل انهـا

وذِكر هؤلاء الملوك وبلادهم مما يبيّن انهم كانوا اشبه بامراء منهم بملوك اذ كانوا لا يحكمون الّا على بلاد صغيرة. وكذلك الملك زكر فانهُ لم يكن من الملوك الكبار رغماً عن انتصاره على كل اولئك المتحالفين. وكذا يُقال ايضاً عن ملك آرام برهدد الذي لم يكن ذا شوكة وبأس اذ غلب زكر عليهِ وعلى احلافهِ بخلاف ابيهِ حزائيل الذي ملك زمناً طويلًا وانتصر مرارًا على ملوك اسرائيل ويهوذا واخذ منهم قسماً من بلادهم. وفي السطر العاشر من الكتابة الثانية اسم مدينةٍ تُدعى «افش» يقول زكر انهُ جدَّد بناءها. وحتى الآن لم يُعرف موقعها

امَّا اسماء الآلهة المذكورين في السطر ٢٤ وما يليهِ فانَّها ليست بثابتة. وانمــا نسلّم بصحَّة اسم ألور امَّا اسماء «ايل وركابيل» فنرجح صحَّتهما دون القطع بذلك لسببين اوَّلًا لانَّ عرض الحجر كافٍ لتدوين هذين الاسمين وثانياً لانهما وردا على هذه الصورة في كتابات زنجرلي الآرامية. اما الالهان «شمس وشهر» فهما معروفان شائعان وهما اله الشمس واله القمر بخلاف الاله المذكور بعدهما الذي هو مجهول قطعاً. وبعده الهــان آخران لم يدوَّن اسمهما بل يدعيان باسم الهي السماوات والارض. والاسم الاخير بقي منهُ اربعة حروف فاظنُّهُ اما بعله[مق] اي اله الاعماق والجحيم او بعله[لم] اي اله الابد وهو نعتٌ لاحد معبودات تدمر .

وباقي الكتابة مطموس لا يمكن ادراك شيء من معانيها. وقد قلنا انَّ تاريخ كتابتنا معروف لأنَّها تحتوي اسم برهدد وكان مُلك برهــدد قصيرًا فانَّ الجداول الاشوريَّة واخبار التوراة تفيدنا ان برهدد مات قبل الملك يواش الذي ملك من نحو السنة ٨٠٠ الى ٧٨٥ فصحَّ اذن انَّ تاريخ هذا الاثر من اوائل القرن الثامن قبــل المسيح وعليهِ اضحت هذه الكتابة اقدم الكتابات الآراميَّة المكتشفة حتى يومنــا وصار لها السبق على اقدم كتابات زنجرلي التي يتأخر تاريخها الى بعد الربع الاوَّل من القرن الثامن

مدينة «ملحة» التي وُجد اسمها آخرًا على كُرَة من الرخام الاسود في حفريات بلاد اشور وقــد اكتشفتها البعثة الالمانية هناك (cf. Mitteilungen d. deutschen Orient-Gesell. n 29, p. 45) ومكتوب على هذه الكرة بالاشورية انَّ سلمناصر بن اشور تزربال اخذ ذلك الاثر من هيكل الاله شير في مَلَحة او مَلَح «مقام حزائيل في بلاد دمشق». فقراءتنا لهذا العلم على صورة «ملح» توافق نصَّ كتابتنا لأنَّ ملح كانت في دائرة البلاد الخاضعة لحزائيل ابي برهدد. ويسرُّني ان أستلفتَ انظار العلماء الى هذا الاثر الذي يفيد تاريخ بلادنا الشرقية

بقيت علينا مسألة لغة هذه الكتابة وهي كما قلنا الآراميَّة ولكنَّ آراميَّتها تتضمَّن خواصّ لم تُعرف سابقاً الّا في العبرانيَّة وفي اللغة الفينيقيَّة شقيقتها اعني خواصّ كانت تمتاز بها اللغات الكنعانية دون غيرها من اللغات الساميَّة . منها استعمال كاتبها لواو الحال في السطر ١١ مرَّتين ثم مرَّةً في السطر ١٥ على الاقلّ

وعلى رأي المسيو پونيون انَّ آراميَّة كتابتنا كانت ضعيفة غير فصيحة كثر فيها تأثير اللغات الكنعانية . امَّا انا فعندي لذلك شرح آخر فعلى ظنّي ان الكتابة لقدمها حفظت قسماً من الخواصّ الممتزجة التي كانت عليها اللغات الآرامية واللغات الكنعانيَّة قبل ان ينفصل بعضها عن بعض . ويؤيد رأيي امرٌ آخر اظهرُ للعيان وهو انَّ في كتابات زنجرلي آثار لغويَّة عربيَّة لا يمكن الشك فيها . فان كان ذلك كذلك ولا يُنكر تأثير العربيَّة في لغة آراميَّة كانت شائعة في شمالي سوريَّة فكم بالاحرى يجب القول بانَّ اللغات التي نشأت وشاعت في بلاد واحدة حفظت شيئاً من لغتها الاصليَّة قبل انفصالها . ولو كان في يدنا آثار عربيَّة ترتقي الى القرن الثامن قبل الميلاد لتحقَّقنا انَّها حاوية ايضاً لخواص بعض اللغات التي صارت بعدئذ مستقلة منفردة بنفسها . وفي ما سبق كفاية اذ اننا لا نريد ان نخوض الان في هذا الموضوع الذي يخرجنا عن المقصود . وغاية ما اردنا ان نمتّع القرَّاء ببهجة هذا الاكتشاف الجديد الذي حظي بهِ المسيو پونيون

مَطْبُوعَاتٌ شَرْقِيَّةٌ جَدِيدَةٌ

Vigouroux, Bacuez et Brassac : MANUEL BIBLIQUE. T. III. —Nouveau Testament: JÉSUS-CHRIST—Les SS. Evangiles. 12ᵉ édition totalement refondue du Manuel de M. Bacuez par M. A. Brassac. *Un vol. in* -12. *pp. XII* - 768., *Paris, Roger et Chernoviz,* 1908.

دستور التعليم الكتابي

للكاهنين الفاضلين ڤيغورو وباكويس كتاب مدرسي ذو شهرة عظيمة لدرس الاسفار المقدَّسة بلغ عدَّة طبعات . وها قد أتتنا طبعتهُ الثانية عشرة قد تولى نشرها الخوري براساك الذي ينبه القرَّاء في مقدَّمة الكتاب انهُ جدَّد هذا التاليف في موادهِ واساليبهِ وتصاويرهِ حتى لم يكد يُبقى من الطبعات السابقة سوى بعض صفحات قليلة

متفرقة. وليس هذا التنبيه شقشقة كلام فانّا اطلعنا على هذا القسم المختصّ بالعهد الجديد فوجدناهُ يفوق الطبعات الاولى بعدَّة تحسينات وممَّا سعى بهِ سعياً محموداً انهُ اعمل فكرتهُ في الابحاث المستحدثة التي استجدَّها العلماء فدرسها درساً مدققاً ليأخذ عنها ما يراهُ موافقاً للصواب مقرَّرًا بالاكتشافات الصحيحة كما انهُ يفند ما يجدهُ في اقاويل اولئك الكتبة من المزاعم غير المثبتة . وهو في كل ذلك يجري على تعاليم الحبر الروماني في براءاتهِ الاخيرة عن درس الكتب المقدسة. ومن محسّنات الكتاب ترتيبهُ الاصوليّ فان الخوري براساك صدَّره بفصل عموميّ قصير اودعهُ كل الابحاث العموميَّة المنوطة بالاسفار الالهيَّة كمخطوطات الكتب المقدَّسة واللغات التي وُضعت فيها وانتقاد نصوصها الحرفي الى غير ذلك من المضامين العامَّة. ثمَّ الحقهُ بالمباحث الخصوصية التي تشمل الاناجيل الطاهرة من حيث تاليفها كصحتها والتوافق او التباين الذين بينها ومن حيث مرويَّاتها عن حياة السيد المسيح وتعاليمهِ ومعجزاتهِ. وهو ترتيب قريب المنال جامع لكل الابحاث الكتابيَّة رغماً عن صغر حجم الكتاب. ولعلَّ اساتذة الكتاب المقدَّس يجدون في هذه الخلاصة ايجازًا بالغاً في بيان بعض ابحاثٍ كانت تقتضي توسعاً اعظم فباختصارها اصبحت مبهمة او غير مقرَّرة كقول حضرة المؤلف (ص ٣) « ان الترجمة اللاتينيَّة القديمة التي يرتقي تاريخها الى السنة ١٥٠ بعد المسيح تقريباً وشاعت في الاقطار الغربيَّة كانت دائماً تتضمَّن الكتب الثانويَّة » وكقولهِ (ص١٥) عن مجموع الروايات التي في النسخ المخطوطة أنها « ستكون بمثابة نصٍّ اقدم من المخطوطات المعروفة حالًا». وكقولهِ ايضاً (ص ٣٨) عن المسيحيين الاوَّلين « ان قوة ذاكرتهم كانت في الغرابة بمكان ». وكقولهِ ايضاً (ص١٣٢) انَّهُ « يجوز القول بان الروايات التي يتضمَّنها الانجيل الاوَّل (اي متى) أُخذت عن رواة كان يوسف (خطيب العذراء) كمركز دائرتهم ». فمثل هذه الاقوال وغيرها تقتضي بعض الايضاح لئلَّا تكون كألغاز غير مدركة. ومثلها ما كتبهُ حضرة المؤلف عن مسألة كثر فيها آخرًا القال والقيل وهي حقيقة بعض مرويَّات الكتاب المقدَّس (١٢٨ الخ) ايمكن ان يُنسب لها الغلط بحجة كونها منقولة على علّاتها دون الحكم في صحتها. فهذا البحث يقتضي شروحاً مطوَّلة وكان الاولى بحضرة الخوري براساك أن يضرب عنهُ صفحاً من أن يعرضهُ مختصرًا كما فعل — هذا وانَّ ملحوظاتنا السابقة لا تشمل كل الكتاب بل هي اخصّ بقسمهِ الاول الذي هو دون القسم الثاني

خطرًا. امّا هذا القسم الثاني فوجدنا فصولهُ حسنة جيدة الترتيب محكمة النظام كثير الوضوح كافية الاتساع لا يحتاج المعلم الى غير عرضها على تلامذتهِ وبيان محتوياتها وشرحها. كما انَّ الطلبة نفسهم يسهل عليهم حفظ هذه الدروس ومراجعتها واستثبات مضامينها التي اشار اليها المؤلف في ذيل الكتاب. ومما يجدرُ بالثناء ما يحتويهِ هذا التأليف من الافادات عن المصنَّفات الكتابيَّة المنوطة بالكتب المقدَّسة. وكذلك قد احسن المؤلف في بعض الفصول المهمّة حيث جمع في باب واحد معلومات متفرقة في فصول الاناجيل الاربعة بحيث يعضد بعضها بعضاً ويوضح بعضها بعضاً فتزيد بذلك قوَّتها وتنجلي معانيها. وقد فعل ذلك خصوصاً في الفصل الاوَّل من قسمهِ الثاني الذي عنوانهُ حيـاة السيد المسيح العلنية. وفي الختام نشكر صاحب هذا التاليف ونتمنى لكتابهِ كل رواج فانهُ لا ينقصهُ الَّا بعض تحسينات ليصير احسن دستور للدروس الكتابيَّة   لاب ي. ديلنسيغر

I. BENZINGER : **Hebraeische Archaeologie**. 2[te]. vollstaend. neubearbeit. Aufl. [« Grundr. d. Theolog. Wissensch. » VI]. 1907. gr 8°, XX — 450 pp. *illustr. Mohr* (*Siebeck*).

العاديات العبرانية

مصنف هذا السفر الجليل هو اليوم نزيل القدس الشريف وقد اشتهر عنـد العلماء بتآليفهِ في الدروس الكتابيَّة وبالاخصّ في الآثار الفلسطينيَّة. ومن اعمالهِ المشكورة انهُ اصلح دليل بديكر الشهير عن فلسطين وسوريَّة وحسَّنهُ تحسيناً مهمًّا. ولا غرو فانَّهُ منذ سنين عديدة قد توطَّن فلسطين وعرف خفاياها حقَّ المعرفة. ومن الخدم التي ادَّاها للعلم كتابٌ وضعهُ سنة ١٨٩٣ في العاديَّات العبرانيَّة راجت سوقهُ لمحاسنهِ. وها هوذا اليوم قد اعاد طبعهُ بعد تنقيحهِ وإضافة فوائد جمة اليهِ فطبعهُ على قطع أكبر من السابق حجماً فاهدانا منهُ هذه النسخة القائم بنفقات طبعهِ. ومما يستحقُّ ذكرًا في هذه الطبعة الجديدة وصف العاديَّات العبرانيَّة التي ظهرت من دفائنها في جهات فلسطين بعـد الحفريَّات المستجدَّة في تل الحسي حيث كانت قديمًا مدينة لكش وفي تلّ زكريَّا وتل جديدة وتل الصافي وتل جزر (ابو شوشه) وتل تعنك وتل المتسلم الى غير ذلك من الحفريات التي قامت بها البعثـات العلميَّة فاستخرجت من بطن الارض آثارًا لا تحصى كادت تغيّر افكار العلماء في قدم الآثار الفلسطينيَّة. فاستخلص المسيو بنتسنغر من تلك الحفريَّات زبدة معلوماتها وزيَّن بها تأليفهُ. نعم انَّ الحفريات المذكورة لم تبلغ بعد منتهاها ولا بُدَّ

ان تظهر بعـد عاديّات كثيرة الّا انّ الآثار المعروفة حتى اليوم من شأنها ان تفتح لارباب البحث مسالك جديدة ينهجونها ويتوسّلون بها الى معرفة اخبـار الاسرائيليين وآثارهم لاسيا انهُ اثبت في كتابهِ صوراً لتلك العاديّات تبلغ ٢٥٣ عدداً. ومع ثنائنـا على همة المؤلف لا نرى بدًا من تنبيه قرّائنا الكاثوليك الى تطرّفهِ في بعض الاراء المؤيدة لمذهب البروتستـانت ولمزاعم الاباحيين. فعليهم اذن ان يأخذوا حذرهم من احكامهِ. وسنعود الى هذا البحث ونتتقد عدّة اقاويل للمؤلف غير راهنـة في مقالة اخرى ان شاء الله س. ر

GEOGRAPHISCHE MONOGRAPHIEN : LAND U. LEUTE herausg. v. A. Scobel. **Palaestina** v. Prof. **D. H. Guthe** *Bielfeld*, *Velhagen u. Klasing.*, gr. 8°, 142 Photogr. et une carte color. (4 Marks).

فلسطين

تألّفت في ألمانية جمعية لنشر اوصاف البلدان بلغ مجموع مطبوعاتها حتى الان ٢١ مجلّدًا في تعريف اقطار شتّى. وكان اعضاؤها قد انتدبوا الاستـاذ « غوته » الى وضع كتاب مستقلّ في بلاد فلسطين. فأُعطيت القوس باريها لانّ جناب الاستاذ ممن خصّوا نظرهم في درس تلك البلاد ومعرفة آثارها وتاريخها وجغرافيّتها. وقد انجز جنابهُ هـذا العمل فربح بهِ شكر محبي الآثار الشرقية عموماً وفلسطين خصوصاً. وكتابهُ دليل كافٍ لعموم القراء والزوّار يمكنهم ان يستغنوا بهِ عن التآليف الموسّعـة التي لا يسمح لهم الوقت بمراجعتها. فانّ المؤلف لخبرتهِ بآثار فلسطين قد انتقى من كل شيء نخبتهُ وزاد على محاسنهِ تصاوير عديدة احسن اختيارها لاسيا الرسوم التي نقلها عن قائمة تصـاوير « بونفيس » في بيروت. والكتاب مع فوائده وصورهِ البالغة ١٤٢ صورة متهاود السعر جدًا فنحضّ القرّاء على اقتنائهِ. وسنصف للشرقيين بطيب الخاطر ما نشرتهُ هـذه الجمعيّة من التآليف الجغرافيّة اذا تلطّفت وارسلت الينا شيئًا منها س. ر

KARL BAEDEKER. **Griechenland.** Handbuch für Reisende. 5[te] Aufl. mit ein. Panorama von Athen, 15 Kart., 25 Plaen., 5 Grundr. u. 2 Taf. 1908.

دليل بديكر لبلاد اليونان

في رحلتنا الاخيرة قبل سنتين الى بلاد اليونان كنّا نقلّب صباح مساء الطبعة الرابعة من دليل بديكر لبلاد اليونان فتحقّقنا تدقيق اوصافهِ لآثار تلك الاقطار وقدّرنا قدرهُ

في حسن اساليبهِ وكثرة فوائدهِ وشمولهِ للمعلومات التامّة في الاكتشافات المستحدثة. وما كان ذلك ليدهشنا اذ كنّا نعلم انّ متولي هذا العمل هم من العلماء الأثبات الذين لا يفوتهم شيء من احوال تلك الاصقاع. واليوم قد وقفنا على طبعة الكتاب الخامسة التي وجدناها افضل من الطبعات السابقة من عدّة وجوه زيدت عليها معلومات جديدة وأُضيفت اليها نتيجة الحفريّات والاكتشافات التي جرت الى غاية العام الماضي. وممّا استحسنّاهُ الفصل المختص بمدينة سپارتة والصناعة القديمة. وكذلك قد جُددت رسوم عديدة وأُضيفت خوارط متقنة وفقاً لتقدُّم العلم وترقّي المعارف. فلا يسعنا الّا الثناء على صاحب هذا الدليل. وان سمح لنا ان نعرض عليهِ مرغوبنا لطبعة مستأنفة طلبنا منهُ ان يتوسّع في وصف اكتشافات اقريطش ومآثرها التي تلهج فيها كل المجلات العلميّة والنشرات الاثريّة. وكذلك نرغب اليهِ ان يزيد شرحاً عن عاديات متحفها ويقابل بين آثارها وآثار متحف أثينة. وذلك خلل نؤمل منهُ سدَّهُ قريباً ان شاء الله س. ر

كتاب النبراس

للورتبيد بولس بليط الارمنيّ الكاثوليكيّ

(الجزء الاول. طبع في بيروت سنة ١٩٠٧ ص ٢٦١)

لحضرة الورتبيد الخوري بولس بليط فضل سابق في خدمة الكنيسة الكاثوليكيّة وكلّ من عرف كتابهُ الدعامة تحقّق طول باعهِ في اثبات الحقائق الدينية وقوّة برهانهِ في دحض اعتراضات الملحدين. وقد وافانا اليوم حضرتهُ بشاهد جديد على همتهِ في تأييد المعتقدات الكاثوليكيّة فاضاء العقول بنبراس يسطع نورهُ لكل طالب حقّ. وهذا النبراس عبارة عن عدّة محاورات عرض فيها حضرة المؤلف بعض العقائد الجوهريّة على طريقة مباحثات بين اشخاص معلومين يقوم احدهم مقام الناكر فيجيب على مشاكلهِ شخص آخر ينوب مناب المعلّم وربما تداخل في البحث غير هذين امّا تفكيهاً للسامعين وامّا تأييدًا لحجّة احد المتباحثين وهذه الطريقة كما ترى من شأنها ان تبرز القضايا على وجه حيّ وتزيد السامعين رغبةً في ادراك الحقائق وانتباهاً لفضّ المشاكل لاسيما اذا تفنّن الكاتب في مزج الحديث وتمثيل المتباحثين بصفات متباينة فيصوّر كلًّا منهم بخلال يمتاز بها. امّا المحاورات التي في هذا الجزء فهي في امور خمسة في الكنيسة وعلاماتها المميّزة لها. ثمّ في طبيعتي السيّد المسيح الالهية والانسانيّة. ثمّ في انبثاق الروح القدس

من الاب والابن. ثمَّ في المطهر وسعادة القديسين . ثمَّ اخيرًا في رئاسة الاحبار الرومانيين. وقد اودع حضرة الورتبيد خلاصة التعليم الكاثوليكيّ في القضايا الخمس التي تدور عليها المحاورات وذلك على نمط قريب المنال سهل الادراك لترسخ البراهين في الذهن دون عناء. فنثني على مؤلف هذا الكتاب ثناء طيبًا ونتمنى ان يمتعنا قريبًا بجزئه الثاني كما انّنا نحضُّ القرّاء على تنوير اذهانهم بضياء هذا النبراس الوهّاج ل. ش

Albert Gayet: La Civilisation Pharaonique. *Paris, Librairie Plon, in*-12, VIII-333.

تمدُّن القراعنة

في مقدمة الكتاب يصرح صاحبهُ بمقصوده منهُ قال « انهُ لم ينوِ بعملهِ هذا رواية الأحداث القديمة لانهُ يعتبر الحوادث كأمور ثانويَّة عرضيَّة وانَّما قصد منهُ النظريات ». وليست هذه المرَّة الاولى يسعى المسيو غايه بتغليب النظريَّات على الامور الواقعيَّة بل نهج هذا السبيل في كتاب ابرزهُ قبل ستّ سنوات في الصناعة القبطيَّة. ولسنا نحن لنبغض النظريَّات لكنَّ النظريات اذا لم تكن مقرَّرة مبنيَّة على الواقعيَّات كثيرًا ما تكون اوهامًا وخيالات لا صحَّة لها في التاريخ . وهذا ما يلوح من الكتاب الذي نحن في صددهِ فانَّ صاحبهُ في فصول كثيرة يؤكد اموراً لا يثبت صحَّتها بالنصوص والبيّنات الصادقة كما ترى خصوصًا في مزاعمهِ عن معتقدات قدماء المصريين في الآخرة فانَّ الذي يعمل نظره بتروٍّ في النصوص الهيروغليفيَّة يستنتج منها نتائج مخالفة لاراء المسيو غايه الاب م. شان

كتاب اهمّ المعاملات في الصكوك والاستدعاآت

بقلم المحامي القانوني اسعد مخلوف روفائيل اللبناني

طبع في المطبعة العثمانية في بعبدا (سنة ١٩٠٥ ص ٢٩٠)

للمعاملات المدنيَّة والمحاكمات الحقوقيَّة قواعد نظاميَّة وشروط شرعيَّة لا يُحسن معرفتها الّا من تعاطاها مدَّة وتمرَّن فيها على استاذ بارع او استمدَّها من كتاب اصولي لبعض المحقّقين والكتبة المدققين ليجري في سواء السبيل وينكّب عن دواعي الضلال. فتحقيقًا لهذه الغاية راجع صاحب هذا الكتاب وهو من وكلاء الدعاوي في الثغر افضل الكتب القانونيَّة فجمع منها اهمّ ما يلزم لصحَّة المعاملات وما يتعلق بها من الصكوك

والاستدعآات فنظم تلك الشوارد في كتاب جديد المنهج قريب المنال واضح العبارة جعلهُ ثلاثة اجزاء تشمل عقود المعاملات والدعاوي الحقوقيَّة وبعض الدعاوي الجزائيَّة مع بيان كل متعلقاتها وتدوين عدَّة صور ونموذجات من صكوك وسندات واستدعاءات ممَّا يغني المتعاملين عن الالتجاء الى اصحاب الدعاوي. فنشير الى كل من يريد الوقوف على هذه المعاملات وكيفيَّة التصرُّف فيها ان ياخذها عن هذا الكتاب الذي اودعهُ صاحبهُ الاديب خلاصة القوانين الشرعية ل. ش

كتاب الصرف الشامل

تأليف يوسف كامل

طبع في المطبعة العثمانية في بعبدا (١٩٠٩ ص٢٨٨)

احسن الكتب المدارسيَّة ما كانت جليَّة المعنى سهلة الادراك مع سعة مادَّتها وكثرة امثلتها. وهذا الكتاب احد التآليف الجامعة لكل هذه الصفات يظهر للمطلع عليهِ بان صاحبهُ أَلِفَ التعليم واعتاد تذليل الصعوبات لطلبة اللغة العربيَّة ولا غرو فانهُ مدير مدرسة الثلاثة الاقمار وناظر عام لمدارس الجمعية الخيريَّة الارثوذكسيَّة. وكذلك قد استفاد من التآليف المتعدّدة التي سبقتهُ لضبط التحديدات والتدقيق في الشروح واضاف الى كل هذه الصفات انهُ ألحق كلَّ فصلٍ بتمرين يلجئ التلميذ الى مراجعة القواعد المشروحة. فنشكر لجناب المؤلف حسن مساعيهِ ونتمنى لكتابه رواجًا في المدارس حتى يجدّد قريبًا طبعهُ ويزيدهُ تنقيحًا واصلاحًا في بعض ابوابهِ ويجرّدهُ عن بعض الاغلاط الطبعية التي حجبت شيئًا من محاسنهِ ويتقن طبعهُ المادّيّ فيصبح كاملًا كمصنّفهِ الاديب اثابه الله ل. ش

المختار من ثمرات الحياة

للحكيم حسني باشا الطويرانيّ

الجزء الاول: عُني بهِ عبد الغني العريسيّ. (طبع في مصر سنة ١٣٢٥ ص ١١٢)

هذه نخبة من نظم احد شعراء العصر المجيدين حسن حسني باشا الطويرانيّ الذي فقدتهُ الآداب العربيَّة التركيَّة منذ عشر سنوات ولهُ من الآثار في اللغتين نحو المئة منها نثر ومنها شعر واشتغل بادارة عدّة جرائد ومجلّات. وسنعود الى ذكرهِ ان شاء الله في مقالتنا عن الاداب العربية في القرن التاسع عشر. وحسبنا الان أن نشكر جناب

الفاضل عبد الغني افندي العريسي همّتهُ في جمع هذه الطُرف المستملحة التي نعدُّها من اجنى ثمرات الحياة واطيبها ويحتوي هذا الجزء مختار اقوال الشاعر الحكيم في خمسة ابواب: الحماسة ثم الحكم والموعظة ثمَّ الزمانيَّات ثمَّ المدح ثمَّ المراسلات وها نحن نثبت من هذا المجموع ابياتاً نراها من اجود ما قيل في التربية:

يا والدًا يبتغي خيرًا لمن ولدا هذّبهُ يومَك حتى ترتجيه غدا
هذّبْهُ والنفس للآداب قابلةٌ فانها فُرَصٌ يحظى بها السُّعَدا
ما احسن العلمَ والاقبال في رجل اذا هما بمعالي خلقهِ اتّحدا
لا ترأفنَّ بسوءٍ في كسب محمدة فما بتبتني من نعمةٍ وُجدا
والطفل كالتبر والآباء صاغتهُ فاصنعْ تَبعْ وادّخرْ خيرًا وان كسدا
فان تصوّرْهُ كلبًا كان ذاك ولم يصعبْ عليك اذا صوَّرتهُ اسدا

شذرات

✤ موريق وموريقيان ✤ كتب الينا حضرة العلّامة الفاضل القس جرجس منش ما نصهُ: « روى العلامة الدويهي تقليد الموارنة في شأن موريق وموريقيان فارتاب فيهِ جناب ر.ع الدمشقي كما ارتاب فيهِ غيرهُ من قبلهِ فراح يستفتي مجلة المشرق فيهما ويستنزل رأيها في حقيقتهما لعلّها تفيده ما يزيل ريبهُ ويثبت صحّة هذا التقليد فاعترفت على رؤوس الملا بعدم معرفتها بورودهِ في تاريخ قديم متوقعة من قرائها الافادة عن امرهما فافادها البعض بما لم يقنعها لاستنادهِ فيهِ الى غير التاريخ القديم (المشرق ٦: ٢٤٠ و٢٩٠) فزاد هذا في ريب السائل بلا ريب وكاد يوهن هذا التقليد او يبطلهُ لولا اثر تاريخي ثبّطني عن ايرادهِ شغل شاغل كل هذه المدة حتى اذا سنحت هذه الفرصة بادرتُ الى روايتهِ لاعتقادي ان الحقيقة بنت البحث على تقادم العهد وتراخي الايام وهذا كل ما عرفتهُ

« اني قد شاهدت بعيني نسخة من مزامير داود النبي بالسريانية والعربية مخطوطة بالحرف الملكي ومقسومة على مقتضى الطقس الملكي ايضاً ترتقي الى ما قبل القرن الخامس عشر وهذه النسخة كانت مصونة في مكتبة أسرة الدلّال الملكية الحلبية الكريمة وبيعت من غبطة العلامة المفضال اغناطيوس افرام رحماني منذ سنوات قليلة فطالعتُ منها بغيّ الحاشية الواردة في ذيلها فاذا بها ما مؤداهُ: « انها كُتبت بكنيسة

الشهيد موريق في قرية اميون» فاذا كان موريق هذا غير موريق الدويهي فمن هو يا ترى ؟ ارجو الافادة عنـــهُ وعن زمانهِ وكيفية استشهادهِ . واذا كان هو اياه على ظني المقرَّر فيجب الاعتراف بصحة اخبار الدويهي الشهير الذي طالما ايَّدتها الاكتشافات الحديثـة كما سأبينهُ في غير هذا الموضع» اه

(المشرق) لا نظنّ انَّ موريق المذكور الذي على اسمهِ بُنيت كنيسة اميون هو موريق الذي يذكرهُ بعض الكتبة كقائد جيش الملك قسطنطين الاخرم . وانما كان احد شهداء الكنيسـة في عهد الملك مكسميانوس مات في سبيل الايمان مع سبعين آخرين في مدينة افامية من اعمال الشام . وترجمتهُ في اعمال البولنديين في تاريخ ٣ نيسان

حفريَّات اريحا كلُّ من لهُ إلمام بتاريخ بني اسرائيل وخصوصاً بسفر يشوع بن نون يعلم ما كانت عليـــهِ اريحا من العز والفخر عند دخول العبرانيين في ارض الميعاد الّا انَّ صروف الدهر كانت منـــذ أُلوف من السنين حوَّلت تلك المدينة الى قرية حقيرة . وفي العام الماضي اجرى العالمان النمسويَّان سلّين ونيمان حفريات في ضواحي البلدة الحاضرة فوجدا انَّ المدينـــة خربت مرارًا وتراكمت أَخربتها حتى صارت ثلاث طبقات . والاثار التي اكتشفها العالمان المذكوران تتراوح على ما يقال بين السنــة ٢٥٠٠ الى ١٣٠٠ سنة ق . م . ومماَّ توفقا الى اكتشافهِ بقايا قلعتين للكنعانيين فوجدوا الاولى على احد التلال السبعة التي كانت اريحا مبنيَّة فوقها . وتحققوا انَّ تلك القلعة كانت ذات ثلاث طبقات فيها ١٧ معهدًا او حُجرة يُصعد اليها بدرج من حجر وكان لهـــا ابراجٌ تحميها . امَّا القلعة الثانية فلم يجدوا منها حتى الان غير زاويتها . وكان موقعها على تلّ آخر . وما هو اخطر ما روياهُ عن وقوفهما على آثار اسوار المدينة التي اسقطها الله بمعجزة باهرة امام بني اسرائيل . وهذه الاسوار كالابنية الاشوريَّة مبنيـــة بالاجرّ فوق دعائم حجريَّة وعرضها لا يقلُّ عن ثلاثة امتـــار . ووجدا وراء السور اساس عدَّة بيوت قديمة فيها قسم من اثاثها القديم من جملتها اجاجين للزيت . ومما يستحقُّ الذكر عدَّة خزفيـــات بينها قطع منقوشة عليها تصاوير اسود وغزلان وغيرها . ووجدوا بينها بعض حروف عبرانيَّة قديمة وهو اكتشاف اثير لمعرفة شيوع اللغة العبرانية واصل قلمهـــا على انَّ القطع بصحَّة قولهما لا يجوز الّا بعد نشر مكتشفاتهما . وسيعود العالمان النمسويان الى تتمَّة هذه الحفريات قريباً

اسئلة واجوبة

س سال من غلبون حضرة الخوري الياس الخوري كم كانت قاعدة السنة التي مات فيها السيد المسيح وباي شهر وباي يوم مات

سنة وشهر ويوم وفاة السيد المسيح

قد كتب حضرة الاب صالحاني في المشرق مقالة مطوَّلة في الخمير والفطير واثبت فيها انَّ السيد المسيح اكل الفصح في مساء يوم الخميس ١٤ نيسان ومات يوم الجمعة ١٥ منهُ وبيَّن ذلك باقوال الانجيليين الثلثة الاوَّلين وردَّ على الاعتراضات المبنيَّة على بعض آيات انجيل يوحنَّا. (راجع المشرق ١ : ٧٧ و١٠٨). امَّا السنة التي وقع فيها موت المخلص فانَّ الانجيليين لم يعينوها بنوع صريح والرأي الغالب اليوم بين العلماء انَّ ذلك قد تمَّ اربع سنوات قبل التاريخ الجاري اليوم عند النصارى اعني السنة ٢٩ او ٣٠ من تاريخنا والكنيسة لم تُبدِ رأيها في ذلك وانما جرت على التاريخ الحالي منذ اواسط القرن السادس وفقاً لحسابات احد العلماء المسمى ديونيسيوس القصير المتوفى سنة ٥٤٠ دون ان تقطع حكمها في صحَّة تاريخهِ

س وسالنا مستفيد كيف يصحُّ قول السيد المسيح في متى (١٢ : ٤٠) عن دفنهِ حيث شبَّه نفسهُ بيونان النبيّ وقال: «مثلما كان يونان في بطن الحوت ثلاثة ايام وثلاث ليال كذلك يكون ابن البشر في قلب الارض ثلاثة ايام وثلاث ليال». ومعلوم من رواية الانجيل ان السيد المسيح لم يبق في القبر اكثر من ٣٨ ساعة

زمن السيد المسيح في قبرهِ

ج لهذا المشكل جوابان: (الاوَّل) مبني على حساب الرومانيين الذي كان في عهد المسيح شائعاً بين اليهود. فان الرومان كانوا يحسبون اليوم كما يحسبهُ الفرنج في ايامنا من نصف الليل الى مثلهِ. وعلى هذا فيكون السيد المسيح بقي في القبر قسماً من نهار الجمعة وليلتهِ الى نصف الليل وذلك يُحسب يوماً اول. ثم من نصف ليلة الجمعة الى نصف ليلة السبت وهو يومٌ ثانٍ كامل. ثمَّ من نصف ليلة يوم الاحد الى سحرهِ وهو يومٌ ثالث. فيحصل من ذلك ثلاثة ايَّام وثلاث ليال وان لم تكن كاملةً — الجواب (الثاني) مبنيّ على حساب اليهود الذين يعدُّون يومهم كجميع اهل الشرق من غروب الشمس الى غروبها. وذلك بملاحظة تحديد الربانيين للنهار. جاء في التلمود (شبوت ١٢ : ١) :

« ان اليوم يتركب من ليل ونهار او من قسم منهما » اخذوا ذلك من اليونان الذين دعوا اليوم كاملًا كان او ناقصاً νυχθήμερον ومعناها « نهار وليل » وعليهِ امكن المسيح على هذا البناء ان يكون في قلب الارض ثلاثة ايام وثلاث ليالٍ فانَّ دفنهُ كان قبل غروب الشمس في يوم الجمعة وهو قسمٌ من الجمعة يكفي ان يقال عنهُ يوم وليلة على اصطلاح اليونان والربانيين . وكان اليوم الثاني كاملًا الى غروب السبت ثم ليلة الاحد الى صباح الاحد وهو ايضاً يوم وليلة على الاصطلاح المذكور آنفاً وهكذا يصحُّ قول السيد المسيح على الوجهين

س سألنا جناب الصيدليّ مراد افندي بارودي ما نعرف من جغرافيَّة الشريف الادريسيّ وطبعاتها

جغرافيَّة الادريسيّ

ج جغرافية الشريف الادريسيّ من اجلّ وانفس مــا وضعهُ العرب في تخطيط البلدان . وكتابهُ مُعَنون بنزهة المشتاق في اختراق الآفاق يُعرف منــهُ اربع نُسخ كاملة اثنتان منها قديمتان مزيَّنتان بخوارط عديدة ملوَّنة زاهية الواحدة في مكتبــة باريس العمومية . والاخرى في خزانة كتب اوكسفرد وفي المكتبتين ايضاً نسختــان أُخريان كاملتان دون الخوارط . وهذه الجغرافية قد نقلهــا اميداي جوبار الى الافرنسيَّة عن نسختي باريس . امَّا النص العربيّ فلم يُطبع منهُ الَّا بعض الاقسام كوصف الشام ووصف المغرب ووصف ايطالية . ومن الجغرافية المذكورة مختصر منهُ عدَّة نسخ اشهرها نسخة باريس ولا يُعرف اسم صاحبها . وهذا المختصر قد طُبع اوَّلًا في رومية في مطبعة أُسرة مادسيس سنة ١٥٩٢ . وطُبعت على صورتين الاولى في العربيَّة فقط دون ذكر محل الطبع والسنة وعنوانها « نزهة المشتاق في ذكر الامصار والاقطار والبلدان والجزر والمدائن والآفاق » والثانية في العربية مع عنوان لاتيني والتصريح باسم المطبعة وسنة الطبع وهذا المختصر نقلهُ الى اللاتينيَّة العالمان المارونيَّان جبرائيل الصهيوني وحنَّا الحصروني وطبعاهُ في باريس ١٦١٩

س كتب الينا من صور جناب الاديب رفلي حلاج ان نفيــدهُ عن صلاة وُجدت في قبر المسيح ينال تاليها انعامات عجيبة في هذا العالم والعالم الآخر

الصلاة الموجودة في القبر المقدَّس

ج ليس لهذه الصلاة اصلٌ البتة وكلُّ ما يُقال في مفاعيلها العجيبة من الخرافات التي يشيعها بعض المشعوذين ليخدعوا بها السذَّج . وقد طبعها بعض اهل المطــامع دون رخصة ارباب الدين رغبةً في الارباح الخسيسة فبئس التجارة ل . ش

العدد ٥ | ايار سنة ١٩٠٨

المشرق

يوبيل سيّدة لورد

وتدشين تمثال مريم العذراء في لبنان

نظر للاب لويس شيخو اليسوعي

وافقت هذه السنة موسمين جليلين لا يمكننا السكوت عنهما لعظم شأنهما في جانب الدين فانَّ للمسيحيين عموماً وللكاثوليك خصوصاً في كليهما عِبَرًا اذ يعزّزان فيهم روح التُّقى ويبعثان في قلوبهم عواطف الشكر والحبّ لتلك التي طالما غمرتهم ولم تزل بنعمها السابغة وبركاتها الدارّة. فالموسم الاول يوبيل ظهور السيدة البتول الطاهرة في مدينة لورد من اعمال فرنسة قبل خمسين سنة. امَّا الثاني فموسم حديث كان موعدهُ في الثالث من هذا الشهر المبارك شهر أيّار المختصّ باكرام ذات العذراء الشريفة بتدشين اوَّل تمثال يُنصب في لبنان لشخصها الكريم. فيليق بنا ايضاً ان نقرن صوتنا الضعيف الى اصوات كلّ المتعبدين لوالدة الاله فنكتب هذا الفصل الموجز في ذكر العيدين وبيان خطرهما لتنمو في قلوب اهل الوطن العزيز الثقة بشفاعة العذراء المشفعة فيستلفتوا انظار تلك الامّ الشفوقة ويستمطروا من جودها الخيرات الروحيَّة والزمنيَّة فتبارك عيالهم وتوفق امورهم وتساعدهم في نوال سعادة الدارين

١ يوبيل سيدة لورد

في ٨ كانون الاوَّل من السنة ١٨٥٤ اعلن بيوس التاسع بملءْ سلطتـهِ الروحيَّة كنائب السيد المسيح وخلف القديس بطرس هامة الرسل ومعلم الكنيسة الاعلى بانَّ البتول العذراء مريم ابنة القديسين يواكيم وحنَّة حُبل بها بلا دنس الخطيَّة الجدِّيَّة التي ورثها الجنس البشري كافَّة منذ تجاوز الابوان الاوَّلان وصيَّة الرب في الفردوس وذلك بنعمةٍ خصوصيَّة منهُ تعالى الذي صانها من تلك الوصمة الشائنـة لسابق نظرهِ الى استحقاقات ابنهِ الوحيد السيد المسيح المولود منها

فتهلَّل وتتنذر العالم الكاثوليكيّ طرباً وصرخ مذعناً لتعليمهِ: «قد نطقت رومية ونطقها عين الصواب» . ولا غرو فان هذا القول يوافق بالتمام تعاليم الكنيسة والآباء شرقاً وغرباً منـذ عهد الحواريين كما تشهد على ذلك الشهادات المقرَّرة في بطون التواريخ وفي الكتب الطقسيَّة والآثار الكتابيَّة (١

على ان السيدة البتول لم تكتفِ من سموّ عرشها في السماء ان تبتسم لتحيَّة اهل الارض وتتقبَّل تطويب الشعوب لها بسبب تلك النعمة الفريدة التي خصَّها الله بهـا وحدها بين ابناء آدم بل ارادت ان تصرّح بشكرها للكنيسة وتفتح لاولادها ينابيع جديدة من الخيرات والنعم يستقون من مواردها مياهاً تتبجس للحياة الابديَّة

في ضحى اليوم الحادي عشر من شباط من السنة ١٨٥٨ وهو الخميس من الجمعة الواقعة قبل الصوم خرجت ثلاث فتيات من اهل مدينة صغيرة تُدعى لورد شهيرة بحصنها القديم في مقاطعة جبال پيريناي العليا من اعمال فرنسة ليجمعن حطباً يابساً على مسافة ربع ساعة من البلدة. وكانت اثنتان منهنّ اختين تُدعيان برنادات ومريم سوبيروس والثالثة ابنة جارهما اسمها حنة أبادي وكانت هذه اكبرهنّ عمرها خمس عشرة سنة. وكانت الصغرى مريم. امَّا برنادات الوسطى فكان عمرها اربع عشرة سنة وهي اضعفهنَّ بنية والطفهنَّ مزاجاً وارقهنَّ طبعاً وكان ابواها سلَّماها الى بعض الاصحـاب في قرية

١) راجع مقالتنا المنونة «عقيدة الحبل بلا دنس في الكنائس الشرقية» في المشرق (٧: ٢٩٥ (٤١١

قريبة اسمها برتراس ليهتمّوا بتربيتها فعهد هؤلاء اليها لمّا كبرت رعيةَ قطيع صغير من الخراف فقضت حياتها في السذاجة والتقى لا تعرف القراءة والكتابة وانما كانت علّمت من امها الصلوات العادية فتتلوها بنشاط. وبقيت برنادات في برتراس الى ان حان الوقت لتستعدّ لمناولتها الاولى فاستدعاها ابواها الى لورد لتحضر شرح التعلم المسيحيّ في كنيستها. وفي تلك الاثناء بعد اسبوعين من رجوعها خرجت حاطبةً كما سبق

يجري قريباً من لورد نهر يُدعى الگاف على ضفّتيهِ قطع الحطب المتكسر الساقط من اشجار الغابات المجاورة فسارت الفتيات الثلاث وجمعن منهُ ما تيسّر لهنَّ الى ان اصبن منهُ كميّة اوفر عند صخور هناك اسمها صخور مسّابيال فاسرعت حنَّة ومريم الى قطع جدول مياه متصقعة تجري ثمَّ. وسبقتا برنادات الى جمع حزم الحطب. امَّا هذه فتريَّثت قليلًا واخذت تقلع حذاءها وجواربها لتتبع رفيقتيها. وهي كذلك اذ سمعت على بغتةٍ صوت ريح شديدة مع انَّ السماء كانت في ذلك اليوم رائقة ساكنة الريح فاندهشت الفتاة والتفتت الى الوراء فنظرت شجر الغاب لا تبدي حراكًا فاطمأنَّ بالها وانتهت من خلع نعليها لتقطع الماء. واذا بالريح هبَّت ثانية بشدَّة ونور ساطع تراءى لها فوق رأسها في خلال الصخرة في شبه كوة هناك وكان في وسط النور كأنها ملتحفة بهِ سيّدةٌ فائقة الجمال في ريعان شبابها تأخذ بمجامع القلوب وعلى محيّاها تلوح كل امارات العزّ والجلال مع عواطف الرقّة والحنوّ وكانت متّشحة بثوب ابيض كالثلج سابغ الذيل وهي متنطّقة بنطاق ازرق مشدود في وسطها يتحدَّر طرفاهُ من امامها. وكان على راسها منديل ابيض ينزل من وراء كتفيها الى ذيل ثوبها وكان على ذراعها الايمن سبحة الوردية ذات الحبوب الفضيَّة اما رجلاها فلم يغطهما الثوب وانما كانت تزينهما وردتان زهيتان بلون ذهبي

حدّث ولا حرج بما اصاب الفتاة من الهلع والحيرة لدى نظرها لهذا المرأى العجيب اذ شعرت بأن قواها كادت تخور فانحنت جاثيةً وأخرجت من جيبها سبحة الصلاة لتستمد عونًا من الله في هذا الواقع الغريب. وكانت برنادات مع خوفها لا تحيد بنظرها عن تلك السيدة التي كانت تفتن قلبها بمحاسنها الفائقة لكل وصفٍ. امَّا السيدة فكانت تنظر اليها بكل تعطف وحنان وتبتسم لكل حركاتها وتدعوها اليها. فانتعشت بذلك

قوى الفتاة واخذت تصلي بحرارة سبحتهــا والسيدة امامها حتى مرَّ عليها ربع ساعة . فحينئذٍ توارت الصورة عن عيانها وبقيت الابنة وحدها عند مسيل الماء فقطعتهُ ولحقت برفيقتيها وهي كلهــا متعطرة بشذا تلك الرؤيا حتى الحّت عليها رفيقتاها بان تخبرهما ما جرى لها ففعلت وبلغ الخبر ابويها فنسبا الامر الى الوهم والتخيل فلم يعيراه بالًا

بعد ثلاثة ايام كان الاحد فاسترخصت الابنة من والدتها بان تعود الى مكان الرؤيا عند صخور مسابيال وكانت أُمها انكرت عليها ذلك غير مرة حتى لبَّت اخيرًا الى دعوتها وسمحت لها فرافقها ما خلا اختها مريم وابنة جارتها حنَّــة بعضُ لداتها اللواتي سمعن بالحادث العجيب ورغبن في مشاهدة المكان الذي جرت فيهِ الرؤيا فوصلن اليــهِ ولم يجدن شيئاً خارق العادة فقالت لهنَّ برنادات : دعنــا نتلو سبحة العذراء . فجثون على الحضيض وجعلن يصلّين فبعد برهة قليلة تغيَّر وجه الابنة وشخصت الى المكان حيث رأت السيدة المرَّة الاولى فصرخت : ها هي ذا وأنها تنظر اليكنَّ . فكانت الفتيــات يحدقنَ بابصارهنَّ ولا يرين شيئاً لكنَّهن تحقَّقن بنعمــة رفيقتهنَّ المغبوطة واستحررنَ بالصلاة معها . وكانت احدى رفيقاتها أتت بماء مصلى خوفاً من شرٍّ يصيبهنَّ في المغــارة فجعلت الماء بين يدي برنادات واوعزت اليها بان ترش منهُ على الرؤيا قائلة : « ان كنت من عند الله فهلمي » فردَّدتها برنادات وكانت السيدة تنظر الى فعلها بتبسُّم وبهجة وبقيت بازائها تملأ منها ابصارها وتنعم بها قلبها الى ان تمت صلاة الوردية فاحتجبت عن نظرها

انتشر خبر هذا الحادث الثــاني في لورد وكان معظم الذين يسمعون بهِ يعتبرونه كفعل صبياني وكنتيجة مخيلة شديدة التأثير فاخذ الناس يتواردون الى بيت الفتاة فيسألونها عمَّا حدث لها فتخبر بالرؤيا بكل سذاجة وتقصُّ بما رأت وكل من يسمعها يقرُّ بصدقها الَّا انَّ اكثرهم كانوا يعزونهُ الى التخيلات . وكانت كلما تذهب الى مغارة مسَّابيال يزداد عدد الذين يتعقَّبون آثارها ليعاينوا ما يجري لها ويقفوا على صحَّة قولها فيعودون والسنتهم تلهجُ بتلك الامور الغريبة ولا يدرون كيف يؤَّولون تلك الاسرار

وفي تلك الاثناء تكرَّرت رؤى السيدة لابنة سوبيروس دفعة ثالثة في ١٨ شباط وهي المرَّة الاولى التي كلَّمت السيدة المجهولة الفتاةَ الأُميَّة وقالت لهــا أنها تريد ان تأتي الى المغارة هي مع الجموع الغفيرة مدَّة خمسة عشر يوماً متوالية . ففعلت برنادات ما أُمرت بهِ وأخبرت كل من امكنها بوصاة السيدة

فكان اليوم الاوَّل من ذينك الاسبوعين في ١٩ شباط ونهاية الأمد المعيَّن في ٤ آذار فكانت الفتاة تذهب الى مغارة مسأبيال وتباشر بالصلاة مع القوم القادمين معها فلا تلبث السيدة ان تتراءى لها كما رأتها سابقًا الَّا اليوم ٢٢ من شباط فانَّ الابنة لم ترَ شيئًا. وكانت السيدة في كل روءية من روءاها ترشد الفتاة فتارة تعلمها كيف تتلو صلاتها وتارة تأمرها بان تبلّغ الحضور رغبتها في توبتهم وانابتهم الى الله مع تحريضها للفتاة بان تصلي لاجل الخطأة. وفي ٢٣ شباط قالت لها السيدة بأنها ترغب ان يبني الكهنة هناك كنيسة ويحتفلوا فيها بالطوافات الدينيَّة. وفي ٢٥ منهُ دلَّتها السيدة على مكان يابس بازاء المغارة وأمرتها ان تشرب من ينبوعهِ وحيث لم يكن هناك ينبوع اخذت الابنة تحفر التراب والرمل باصابعها فنبع ماء عكر جرعت منهُ بعض جرعات ثمَّ تبجّس الماء وما كان المساء حتى صار النبع يتدفق وجرت مياههُ الطيبة الى نهر الكاف

وفي اليوم الاخير من الاسبوعين كان عدد الحضور يربي على عشرين الفًا حضروا مع برنادات من لورد والقرى المجاورة. فكرَّرت السيدة للفتاة امرها بان تُشيَّد هناك كنيسة تجري فيها الطوافات الدينية

وكانت تفاصيل هذه الماجريات بلغت مسامع الكهنوت فكتب الاب بيرامال خوري مدينة لورد الى اسقفهِ السيد برتران لورنس في مدينة تارب يعلمهُ بحوادث مغارة مسأبيال ويرجوهُ بان يبيّن لهُ الخطة التي ينبغي لهُ الجري عليها. فكان جواب السيد برتران بانهُ يجب على ارباب الدين ان يجروا في ذلك بفطنة كليَّة وامر بان لا احد منهم يتظاهر البتة في تنشيط الفتاة وان يمتنعوا عن الاختلاط بالقوم المتردّدين الى المغارة ريثما يصير الفحص القانوني عن تلك الحوادث. والحقّ يقال انَّ ارباب الحكومة واعداء الكنيسة نفسهم اثنوا على حكمة الاسقف وفطنة كاهن لورد وبقيَّة الاكليروس في اثناء تلك الاحداث. وكان الاكليريكيُّون عمومًا لا يصدّقون صحتها

امَّا السلطة الحاكمة فانَّها اضطربت لوقائع لورد ايّ اضطراب لاسيما بعد أن تباحث فيها اعداء الدين وكتبة الجرائد فكانوا كلهم صوتًا واحدًا بانَّ تلك الروءى شعوذة وخداع او على الاقل نتيجة امراض دماغيَّة او عصبيَّة في الفتاة. فأرسل المفوضون لاستنطاق الفتاة من عُمَّال الحكومة ومن نُطس الاطبَّاء ومن علماء الفيسولوجية فألقوا عليها الاسئلة ودسّوا لسذاجتها الدسائس وفحصوا حالتها الصحيَّة فكانوا كلهم يرجعون

خائبين خاسرين اذ لا يجدوا لها فيها غاية بشرية فلم ترغب في المال ولم تحرص على شهرة وهي ابنة امّية لا تعرف الّا لهجة بلدها وتصف ما رأت لا تزيد عليهِ حرفاً ولا تؤكد شيئاً ممَّا جهلتهُ بل تجيب بلسان صادق يلوح في كل مشاعرها: لا ادري . اما مزاجها فمع ضعفهِ لم يكن مبلوًا بشيءٍ من الاسقام العصبية كما انَّ دماغها كان سليماً لا يُرى في كلامها او حركاتها شيءٌ يدلُّ على هوس او خبال او استهواء وامتحنها بعضهم بالمواعيد فازدرت بهم والتجأ غيرهم الى الوعيد فوجدوهـا ثبتة القلب صلبة الجنان . وفحص العلماء الماء الذي تبجّس قريباً من صخور مسّابيال بعد ان تحققوا من كل اهل لورد انهُ لم يكن هناك نبع البتة فوجدوا انَّ تركيب الماء كيمويًا كتركيب كل المياه الجبليَّة في جبـال پيريناي وانهُ ماء طيب شروب كبقية المياه . وبعد اللتيا والتي لم يجسر عمّال الحكومة من التعرُّض للفتاة ولا للذاهبين الى المغارة اذ كان كل شيءٌ بهدوءٍ ونظـام لم يحدث مطلقاً امر يكدر الراحة العموميَّة

وعادت برنادات بعد ذلك مرارًا الى صخور مسّابيال حيث كانت تجذبها قوَّة دافعةٌ لا تستطيع مقاومتهـا . فظهرت لها السيدة في ثاني يوم عيد الفصح في ٥ نيسان وكان في يد الفتاة شمعة مضيئة بلغ لهيبها اصابعَها فلم تشعر البتَّة بالحريق طالما كانت السيدة امامها . واشتهر من ذلك رؤيا يوم عيد البشـارة في ٢٥ آذار من السنة حيث ألحّت الفتاة على السيدة بان تُعلن لها اسمها وكانت الى ذلك اليوم لم تجترئْ لتلقي عليها هذا السؤال . فكان جواب الرؤيا بالافرنسية والابنة لم تفهم من تلك اللغة الّا القليل فكرَّرتهُ كما سمعتهُ دون ان تدرك معنـاهُ . وتعريبهُ: « أنا التي حُبل بها بلا دنس » . قالت ذلك بعد ان ضمَّت يديها على زيّ المصلي ووجّهت اعينها الى السماء . فلم يبق شك لاحد من الحضور انَّها البتول الطاهرة مريم

والرؤيا الاخيرة التي حصلت عليها برنادات انَّما وقعت في ١٦ تموز يوم عيد سيدة الكرمل ظهرت مريم للفتاة ونظرت اليها مليًا دون ان تكلّمها ثمَّ احنت لها راسها كانها تودّعها ولم تعد تظهر لها

وكانت في مطاوي تلك الشهور قد ابتدأت المعجزات الباهرة والخوارق العجيبـة تظهر عند صخور مسّابيال فاخذ المرضى يتواردون الى المزار فيشربون من مـاء النبع الجديد ويغتسلون فيهِ فيعود منهم قومٌ بالشفاء التامّ

ثم عادت السلطتان الروحية والمدنيَّة الى البحث عن تلك الامور للاستدلال على صحّتها او كذبها . أمّا السلطة الروحيَّة فان الاسقف اختار بعض افراد اكليروسهِ الممتازين بفضلهم وفضيلتهم وألحق بلجنتهم بعض العالمين من اطبـاء وغيرهم فعقدوا لذلك الجلسات المتعدّدة واستنطقوا الفتاة وكلّ من كان يمكنهُ ان يفيدهم عن امر الرؤى . فطال بحثهم وتروّيهم الى ان كاد يملُّ الناس من تدقيقهم وكثرة تفتيشهم عن حوادث عدُّوها اوضح من النور الى أن صرّح الاسقف لورنس بعد اربع سنوات انَّ الرؤى حقيقة لا ريب فيها

اما السلطة المدنيَّة فقامت وقعدت لتلك الحوادث حتى اهتمَّ لها حاكم مقاطعـة پيريناي المسمى ماسّي ووزير الاديان المسيو رولان واصدر بعض العمال امرًا ليمنع الناس من زيارة المكان ومن شرب النبع الجديد غير انَّ كل هذه المناهضـات زادت الامر شيوعاً حتى صار يبحث فيه القاصي والداني وتزايدت رغبة كثيرين في معاينة المحل وكان المرضى يأتون زرافات ووحدانًا من كلّ فجٍ فيشفون حتى اضطرَّ العامل بالغـاء امرهِ وتحقَّق الحكام بانهم لا يستطيعون مقاومة ارادتهِ تعالى

ومن اعظم ما جرى حينئذٍ من الايات شفاء ولدٍ صغير عمرهُ سنتان كان ابواهُ منذ مولدهِ يبذلان النفس والنفيس لحفظهِ في الحياة الى ان اهملهُ الاطباء آيسين من علاجهِ لسقم بنيتهِ وتراكم الاوجاع عليهِ . ففي احد الايام اذ كان ابوه ينتظر من دقيقةٍ الى أخرى ان يسلم الروح قامت امُّهُ كانهُ لاح لها برقٌ من الرجاء . فلفَّت الولد في صدرتها وخرجت مسرعة لا تلوي على شيءٍ فاتجهت نحو المغارة واقتربت من حوض النبع المنبجس حديثًا فحلَّت قماطات الولد امام الحضور وهمَّت بتغطيسه في ذلك الماء الصقيع . فحاول البعض ان يمنعوها وابنها على آخر رمق لئلَّا تقتله بيدها فأبت صارخة : ان مريم العذراء قادرة بان تحيي ولدي . ثمَّ غطست ذلك الطفل في الحوض وابقتهُ ربع ساعة في الماء بينما كانت الصلاة تخرج من لسانها الى البتول كأسهمة النار ثمَّ اخرجتهُ وابوهُ يقول : قد مـات الغلام . لكنَّ الامّ رجعت الى بيتها بحملها الخفيف واضجعتهُ في سريرهِ وواصلت صلاتها عندهُ فما كان بعد قليل من امر الولد الَّا ان تلوَّن وجههُ بالحمرة وفتح عينيـهِ متبسماً لأمهِ كانهُ افاق من سبات عميق وقام بتمام الصحة وعاش مذ ذاك الحين بالعافية التامة . وشهد ثلاثة من نُطس الاطباء بان شفاءه لم يُمكن تعليلهُ بسببٍ طبيعيّ وان غمس

طفلٍ منازع في ماء جليديّ مدَّة ربع ساعة كان كافيًا لقتلهِ قتلًا وحيًّا . وهـذا الحادث الذي جرى ثمانية ايام بعد نبوع الماء في مغارة مسابيال انتشر خبرهُ في كل ناحية كانتشار البرق . وعقبهُ بعد قليل شفاء شاب يُدعى « هنري بوسكه » كان مصابًا بقرحٍ في ترقوتهِ يسيل منهُ القيح وايس الاطباء من علاجهِ فشفي تمامًا في ٢٨ نيسان من تلك السنـة بعد ان غسل بماء النبع جرحهُ العياء ففي غدِ ذلك النهار التحم اللحم ولم يعـد يظهر من الجرح الّا جلبةٌ يابسة بقيت كعلامة محسوسة لشفائهِ العجيب

فهاتان الآيتان وايات أُخرى كثيرة أفحمت المعترضين والناكرين فصـار اسم لورد كمستشفى سماويّ يقصدهُ ذوو العاهات لينالوا من السيدة العذراء دواء لعللهم على اختلاف اسبابها وضروب مظاهرهـا

وبعد ان نجز الفحص القانونيّ عن صحّة تلك الرؤيا والمعجزات المتعدّدة التي ظهرت في تلك الناحية بموجب قرار من الاسقف المحلي السيد لورنس شمَّر الاهلون عن سـاعد الجدّ لتحقيق مرغوب العذراء الطاهرة وبناء هيكل عظيم فوق تلك الصخور . فلم يدَّخر المؤمنون وسعهم في وضع اثر جليل يُعدّ كآية هندسيّة في عصرنا . فانتدب الرؤسـاء ابرع المهندسين ليخطّطوا لهم رسم كنيسةٍ تنطق في الاجيال التالية عن شكرهم لملكة السماء . فشُيّدت كنيسة فخيمة لا ينقصها شيءٌ من البهاء والجلال بلغت نفقـاتها عدّة ملايين من الفرنكات كان يتبرَّع بها بطيب القلب كلُّ المسيحيين من فرنسـة وبقية البلاد حتى اقصاها بعدًا

ومن الحفلات البهيجة التي عُقدت في السنة ١٨٦٤ في ٤ نيسان نصبُ تمثال عظيم أُقيم في مغـارة لورد حيث ظهرت العذراء . وكان التمثال من الاعمال الصناعيـة الجميلة على هيئة السيدة كما تراءت لبرنادات وكما استطاعت الفتاة وصفها للنقَّاش بعد معاينتها مرارًا . وكان الحضور الذين قدموا لهذه الرتبة أُلوفًا مؤلفة

وفي السنة ١٨٦٦ اتمَّ البناة قسم الكنيسة الاسفل الذي كان كسربٍ يُنزل اليـهِ بالدرج فجرت حفلة شائقة لتدشينهِ في ثاني يوم العنصرة من السنة ١٨٦٦ واخذ الكهنة مذ ذاك الحين يقيمون فيهِ الرتب ريثما تنتهي العمارة العليا

وكان التعبُّد لسيدة لورد قد اتسع نطاقًا في تلك الاثناء بمـا يحدث كل يوم من الآيات العجيبة . نخص منها بالذكر شفاء احد مشاهير الكتبة اسمهُ هنري لاسار الذي

شفي بغتةً من داء عياء في بصرهِ بعد غسل عينيهِ بماء لورد. في ١٠ تشرين الاوَّل من السنة ١٨٦٢ فاراد بعد تلك النعمة ان يبدي شكرهُ لملكة السماء فسطَّر تاريخ سيدة لورد وكل تفاصيل ظهورها . وهو تأليف نفيس كُرّر طبعهُ نيفاً و١٥٠ مرَّة ونُقل الى اغلب اللغات الشعوب المتمدّنة ·

وفي السنة ١٨٧٧ في ثاني يوم من تمّوز سمح الاب الاقدس الحبر الاعظم بيوس التاسع بوضع اكليل بهي من الحجارة الكريمة على هامة التمثال المنصوب سابقاً . وفي غد ذلك اليوم دُشنت الكنيسة العليا على حسب الطقوس المؤثرة التي تُقام في تكريس اكبر الكنائس . وهاتان الرتبتان قام بهما احد القصاد الرسوليين الموفد من قبل كبير الاحبار مع نيافة كردينال باريس وخمسة وثلاثين مطرانًا او اسقفًا وجم غفير من الشعوب لا يحصى عديدهم

وفي السنة ١٨٨٣ وُضع الحجر الاوّل لكنيسة أُخرى على اسم سيدة الوردية . فجرت اذ ذاك مشاهد تقوية قلّما رأى مثلها الراوون في الاعصار السابقة . وكانت تلك السنة موافقة للعام الخامس والعشرين من ظهور السيدة فقدم الى لورد عدد من الزوَّار جاوز المئات من الالوف . ولما انتهت كنيسة الوردية بعد ست سنوات تجدَّدت تلك مجالي التقى والعبادة بل زاد رونقها اذ منح عظيم الاحبار تلك الكنيسة امتيازات كنائس رومية الملكيَّة . واقام لذكر ظهور العذراء عيدًا سنويًا في ١١ شباط مع نافور خاصّ لقداسهِ

على انَّ الحفلات السابقة كلها مع عزّها وجلالها ورتبها الشريفة سوف تفوق عليها المظاهرات التي يعدُّها الكاثوليك في هذه السنة الواقع فيها اليوبيل الخمسيني لظهور السيدة . وقد باشر الزوَّار منذ شهر شباط المنصرم بالسياحات التقويَّة الى لورد يقدمون اليها مع رعاتهم من كل اوب ليربحوا الغفارين والنعم التي تبرع بها راس الكنيسة الاعلى بيوس العاشر . فنتمنَّى ان يكون لشرقنا العزيز لجنات خصوصية تمثّل بلادنا عند اقدام تلك التي تنبأت بان الشعوب كلها سوف تطوّبها

*

هذه خلاصة اخبار سيدة لورد غير انَّ الذي رويناهُ من تاريخ هذا المزار الشريف ليس الّا تمهيدًا الى ما هو اعظم شانًا واجلّ خطورةً فنقول:

ورث القرن التاسع عشر من خلفهِ الجيل الاسبق روح الزندقة والكفر فكان الطبيعيون بعد الاكتشافات المستحدثة في مواليد الكون الثلاثة قصروا نظرهم الى عالم الطبيعة لا يكادون يسلمون بحقيقة شيء يعلو طور مشاعرهم وادراكهم الحسيّ . وعليه نظموا اسرار البيعة ومعتقدات الدين في سالك الاوهام لأنّ حواسّهم ما كانت لتدرك مثل هذه التعاليم الفائقة للعقل البشري . وكذلك المعجزات التي ترويها الكتب المنزلة وتراجم اولياء الله لانها تؤيد صحة تلك العقائد وتريح عنها برقع الريب والنكران عدّها هؤلاء المدّعون بالعلم انّها كلها نتيجة المخيلات او هي اعمال طبيعيَّة محضة نسبها السذّج على زعمهم الى اسباب علوية لجهلهم بقوى الطبيعة الخفيَّة كالمغناطيس والكهرباء والسيَّالات اللطيفة

فلما ظهرت العذراء الشريفة في لورد وجرى فيها من الخوارق ما جرى وقف العلم الكاذب حائرًا مرتابًا وكان اوَّل ما فعل لمناهضة تلك الاعمال الفائقة للطبيعة انهُ التجأ الى الهزء والسخرية ظنًّا منه انها شعوذة وليس لإبطال الشعوذة كالازدراء بها والاستخفاف بذويها . الّا انّ هذا السلاح لم يَقوَ هذه المرَّة على غلبة الحقيقة وكان عدد الشهود الاثبات الذين رأوا وسمعوا واختبروا الامور عن كثب أوفر واصدق من أن تستطيع السخرية نفي شهاداتهم

فلما حبط مسعى هؤلاء المكابرين من هذا الجانب طلبوا لهم بابًا آخر قرعوهُ مؤملين النجاح فاخذوا يقرّفون الفتاة برنادات تارة ينسبونها واهلها الى الاغراض الخسيسة كالطمع في المال او الرغبة في الشهرة وتارةً يصوّرونها في اعين الناس كابنة ممنوَّة بالامراض العصبيَّة والتشويش الدماغي الى غير ذلك ممَّا سوَّلهُ لهم بغضهم للامور الفائقة للاطوار الطبيعيَّة

الّا انّ هذه التُّهم كلها لم تثبت على التفتيش المدقّق الذي قامت بهِ الحكومة المحليَّة فكثيرًا ما لمتحنوا الفتاة واهلها بالهبات الماليَّة فلم يقبلوا من ذلك ولا فلسًا وبقوا في عيشتهم الساذجة يتعاطون الفلاحة والطحانة . وكان أبوا الفتاة في مقدمة الذين عارضوها في صحَّة رؤاها ولم يقنعا حتى لاح لهم الامر جليًّا فخافا ان يقاوما ارادة الله اذا ما تعرَّضا لابنتهما . امَّا هذه فانّ ارباب الدين كاهل الدولة وعمَّالها افرغوا كنانة الجهد في فحص حالتها الادبيَّة ومزاجها الطبيعيّ واخلاقها واستعانوا لذلك بالاطباء

وانمة العلوم فكان جوابهم بالاتفاق انَّ الفتاة ذات آداب مشكورة صحيحة المزاج رصينة العقل ابيَّة الخلق. وبعد ان انتهت الروءى التي عاينتها بين شهري شباط وتموز كانت تأتي الى المغارة كغيرها من الاهلين تصلي مثلهم وتختلط معهم دون ان تطلب لنفسها امتيازًا وبقيت على بساطتها وتقاها ودماثة اخلاقها الى ان بلغت الرابعة والعشرين من سنها فدخلت وقتئذٍ اعني سنة ١٨٦٩ في دير راهبات نقار اللواتي يخدمنَ المرضى في المستشفيات وعاشت بينهنَّ عشر سنوات وهي قدوة حيَّة لكل الفضائل الرهبانيَّة لاسيما التواضع الذي كان يجعلها تستنكف من كل مجد فارغ او جاهٍ زمنيّ. وكانت وفاتها كحياتها بكل هدوءٍ وطمأنينة بالٍ وسذاجة مزوَّدة بكل اسرار الكنيسة وقضت نحبها في ١٦ نيسان ١٨٧٩ في غدوة عيد الفصح حيث الكهنة يترغون بنشيد التهليل والانتصار كأنَّ الله والسيدة العذراء ارادا ان يشركاهـا بالافراح السرمدية في يوم فوز ابن الله بالمجد بعد كسره لشوكة الموت. فكانت حياة برنادات ووفاتها جوابًا مسكتًا لكل من تجاسر ونسب اليها شيئًا من الغايات البشريَّة

لكنَّ اعداء الدين اذ راوا هـذا الباب الاخر موصدًا في وجههم لاسيما انَّ نبعًا جديدًا كان تفجَّر في محل لم يُعهد فيهِ الماء قبلًا وانَّ كثيرين كانوا يجدون فيهِ الشفاء من عاهاتهم عدلوا عن اقوالهم السابقة الى نسبة العلاجات الى خواص المياه التي زعموا انها ذات مزايا طبيعيَّة عجيبة. وقد اسلفنا انَّ ذلك الكلام رماه اصحابهُ على عواهنهِ وبان فسادهُ بفحص العلماء الأثبات للمياه كيمويًّا اذ وجدوها كبقيَّة المياه الجبلية الطيبة الصافية لا تمتاز عنها في شيءٍ البتة. فانَّ العلاج بالماء ينفع في كل البلاد ولكن لا يمكنهُ في لورد وحدها ان يأتي بتلك المفاعيل الغريبة التي لا نظير لها في بقيَّة انحاء المعمور

فلم يبق بعـد ذلك لاولئك المتشدقين الَّا أن يلتجئوا الى الاستهواء فزعموا بان تلك العلاجات المذهلة المحيرة التي تجري في لورد انما سببها التأثير العظيم الذي يُصيب المرضى في لورد فزيد رغبتهم في الشفاء وجهد نفسهم على نوال الصحة يجديان الطبيعة قوى عجيبة تجعلها تغلب الامراض وتبرئ الاسقام. ذلك آخر ما وجدهُ الملحدون لنكران المعجزات ونفي القوى غير المدركة التي تظهر في لورد مفاعيلها الباهرة شاء اعداء الدين ام أبوا. لكنَّ هذا الجواب كالاجوبة السابقة لا يجديهم نفعًا لانَّ الاستهواء مهما عظمت قوَّتهُ لا يعمل الَّا في المصابين ببعض الآلام العصبيَّة ولا يستطيع البتَّة في شفاء كسر

او جرح او يغيّر حالة الاعضاء فيردّ اليها المفقود منها او يفتح دملًا او يزيل ورمًا او ينظّف الدم من جراثيمه الفاسدة او يعيد لاعمى بصره ولاصمّ سمعهُ اللهمَّ الّا بعد المعالجات الطويلة الشاقة . ويا ليت شعري كيف يعمل الاستهواء في اطفال صغار لا يقوون على فعل عقليّ . وفي لورد ترى كل يوم امراضًا متباينة من كلّ ضروب الاسقام تبرأ بمجرد الصلاة في محل ظهور العذراء او عند الطواف بالقربان الأقدس او بالاغتسال في حوض ماء الينبوع العجيب . وهذه الشفاءات ينالها الناس دون اختلاف في الاعمار كالاطفال والشيوخ والكهول او في الاديان من يهود وبروتستانت وغيرهم او في تباين العناصر والبلاد او اجناس الامراض كما سترى

ومن اغرب ما يرى في لورد ديوان طبي شُكّل منذ السنة ١٨٨٢ لهُ اعضاء من الاطباء الرسميين الذين يعقدون جلساتٍ منظّمة في اوقات معلومة يجرون فيها فحص المرضى الواردين الى المدينة من كل اقطار المسكونة . وهذا الديوان الطبي علنيّ يمكن كل من شاء من الاطباء والعلماء من اي بلد او طائفة او دين كان حضور جلساتهِ ولتقاريرهم نشرة تُطبع فيها نتائج فحص الاطباء وحكمهم في حالة المرضى قبل التجائهم الى البتول في مزارها او الاغتسال بنبعها ثم يفحصون المرضى بعد شفائهم ان حصل الشفاء ويقابلون بين حالتيهِ من مرض وشفاء دون ان يبدوا حكمًا في المعجزات تاركين ذلك الى السلطة الروحيّة ولا يكتفون بهِ بل يواصلون المخابرات مع المرضى المبروئين مدّة سنين طويلة ليتحققوا انّ الامراض لم تَعُد تفتك باصحابها ثانيةً . وهذه النشرة الصحيّة أصبحت اليوم مجموعًا فريدًا في جنسهِ لا يمكن احدًا ان يطلع على مضامينها الرسمية دون ان يصرخ : انّ اصبع الله هاهنا

قال الخوري برترين في كتابهِ المعنون بتاريخ انتقادي لحوادث لورد (١) : هذا جدول للاطباء الذين حضروا جلسات الديوان الطبيّ والمرضى الذين تقرّر شفاؤهم رسميًا في الخمسة عشرة سنة الاولى بعد تشكيل الديوان المذكور : بلغ عدد الاطباء الذين اختلطوا باعضاء الديوان الطبي في لورد في تلك المدّة ٢٧١٢ طبيبًا منهم ٤٥١ من البلاد الاجنبيّة والباقون فرنسويون : ومن جملة الاطباء ثلاثة من اساتذة مكتب

(1) **L'abbé Bertrin:** Histoire critique des événements de Lourdes. *Paris, Lecoffre.* 1905

باريس و٢٦ من اساتذة مكاتب فرنسة الاخرى و١٤ من اساتذة مكاتب البلاد الاجنبيَّة و٤٨ من اطباء او جرَّاحي المستشفيات العموميَّة و٧٥ من اللاحقين بهؤلاء الاطبَّاء والمساعدين لهم . ولكلهم شهادات صريحة نشروها بالطبع اعلنوا فيها بانَّ الدكتور بواساري (D^r Boissarie) رئيس الديوان الطبي في لورد والاطباء المؤزرين لهُ كلهم يجرون في تشخيصهم على طريقة علميَّة محضة فيجب على كل عاقل ان يقبل شهاداتهم ويقطع النظر في مطالعة كتاباتهم عن كلّ تحمُّس ديني

أمَّا عدد المرضى الذين فحصهم هؤلاء الاطباء وتحقَّقوا شفاءهم الرسمي في تلك المدَّة فكان ٢٦٦٢ (هذا فضلًا عن الوفِ غيرهم شفوا من اجناس الامراض دون ان يعرضوا نفوسهم على الديوان الطبيّ) فمنهم ٥٧١ برئوا من السلّ والتدرُّن و٣٩٤ من امراض الجهاز الهضميّ و٦٧ من امراض أجهزة دوران الدم و٣٤ من امراض القلب الثقيلة و٩٩ من امراض أجهزة التنفس كالبرسان وذات الجنب و٤١ من ادواء معضلة في الجهاز البوليّ و٣٨٣ من الامراض الدماغية كالجنون وما شاكلهُ و٩٦ من العاهات في الشوكة النخعيَّة و٩٥ من اوجاع في الهيكل العظمي ككسر العظام واعوجاجها وفسادها و١٢٨ من اوجاع المفاصل و٣١ من الامراض الجلدية و٦٩ من الدماميل القيحيَّة و١٠٧ من امراض الخُدار والنقرس و١٥ من داء السرطان و٢٧ من الجزوح المؤيسة و٣٤ من العمى او امراض البصر الخبيثة و٢٨ من الصمم التام

فهذه لعمري قائمة تنطق بلسان حالها عمَّا يجري في مدينة لورد من القوَّات التي اقرَّ العلم بصحتها حتى يصحُّ القول بان المعجزات الالهيَّة دخلت اليوم في الطور العلمي وهو امر لا نظير لهُ في التاريخ حتى زماننا فقام العلم الصادق يشهد بازاء العلم الكاذب انَّ المعجزات ليست امرًا وهميًا مبنيًا على الخيال والوهم كما كان يزعم بعض ارباب الغايات بل هي حقائق وضعيَّة يمكن نظرها حسيًا والبحث عن مفاعيلها المشهودة . وقد قلنا انَّ هذه القائمة لخمس عشرة سنة فقط واليوم قد تضاعفت الشفاءات المقرَّرة بشهادات الاطباء . منذ السنة ١٨٩٧ التي فيها سُردت اللائحة السابق ذكرها . وزد عليهِ انَّ اكثر من نصف المرضى الذي برئوا من اسقامهم لم يرضوا بفحص اللجنة الطبيَّة فشفوا دون ان يبوحوا بسرّهم . ثم يجب ان يُلحَق بكل هؤلاء الذين نالوا الشفاء قبل تشكيل اللجنة الطبيَّة اعني منذ السنة ١٨٥٨ حيث ظهرت البتول الى السنة ١٨٨٢ فيبلغ مجمل

عدد اولئك المعافين من ادوائهم عشرات الالوف . فيا لله ما اقوى هذه البينات للدلالة على صحّـة الدين وصدق المعجزات وآيات الله في خلقهِ

وكل ذلك فضلًا عمن شفتهم سيدة لورد خارجاً عن مزارهـا في كل بلاد الله وعددهم ليس بالقليل . وذلك امّا بنعمة ماء نبع لورد الذي يرسل اليهم وامّا بتعبُّد خاصّ لبعض تماثيلها كما جرى في كنيسة الرهبـان المعروفين بالكرجيين (Géorgiens) في الاستانة العليّة فانّ هناك معبدًا باسم سيدة لورد حدثت فيهِ شفايات غريبة لمرضى وزمنى من كل الطوائف والاديان وقد كثرت حتى جمع تاريخها احد العلماء الفرنسويين سنة ١٨٨٦ (١

هذا ولسنا نزعم انّ كلّ المرضى الذين يذهبون الى لورد او يتوسلون الى شفـاعة مريم العذراء فيها يبرأون . كلّا ثمّ كلّا . فانّ السيدة البتول تشفي من تشاء ومتى تشاء وكيفما تشاء . وعلمنا ان بعض ذوي العاهات لم ينالوا العلاج من دائهم الّا بعد الزمن الطويل او بعد زيارة لورد مرارًا متعدّدة كأنّ البتول ارادت ان تزيدهم ايمانًا . ومنهم من لم تبرئهم البتّة رغمًا عن ايمانهم الحيّ وثقتهم التامة لعلمها بما هو انسب لنفسهم واجدى نفعًا بخلاصهم فربما كانت صحة الجسد سببًا لهلاك النفس فهؤلاء لم تُجب العذراء الى ملتمسهم بل تعوّضهم من مقصودهم خيرًا افضل وأليق بحالهم

والحقّ يقال انّ سيدة لورد شفت من المبتلين باوجاع النفس وامراض الروح اكثر ممن نجتهم من ادواء الجسد فانّ في لورد وجد كثيرون من الخطأة والكفرة العتق من ربقة آثامهم والنجاة من اغلال كفرهم حتى اصبحت تلك المدينة اليوم كمستوقد النـار يأتي اليهِ كل من برد قلبهُ بحبّ الارض ليضرمهُ بحب الآخرة وكالمنارة الموضوعة فوق جبل شاهق يستضيءُ بها المتسكعون في ظلمـة الاضاليل وكالقلب في جسم المسكونة تجري منهُ الدماء المحيية الى اقاصي المعمور لتحيي الشعوب وتجذبهم الى خالقهم الذي لهُ وحدهُ العزّ والثناء الى منتهى الدهور

٢ تدشين تمثال العذراء في لبنان

هو الواقع الثاني الذي قصدنا استيقاف الابصار اليهِ وعلاقتهُ مع الامر السابق بيّنة

(١ وهذا اسم الكتاب Notre Dame de Lourdes à Constantinople. *Paris*, 1886

جليَّة. قد عُرف لبنان واهلهُ منذ سالف الاعصار بتعبُّدهم الخالص لوالدة الاله التي اتخذوها لهم كشفيعة ومحاميةٍ في كل ضيقاتهم حتى كاد يرضع صغارهم حبها مع حليب الامهات. ولو لم نجد شاهدًا آخر على قولنا غير المعابد المتعدّدة التي تُكرَّم فيها السيدة البتول في كل انحاء لبنان بل في كل قرية من قراه تحت اسماء وألقاب غاية في الرقة والتفنن كسيدة البرج وسيدة الحصن وسيدة الحقلة وسيدة الزروع وسيدة النجاة وسيدة التلة وسيدة البزاز الخ لكان ذلك دليلًا كافيًا على صدق قولنا (١

وقد اعتبرت الكنيسة الجامعة نفسها لبنان كأحد اقداس البتول والمقامات التي ترتاح فيها السيدة الطاهرة الى عبادة المؤمنين. وكأنها رأت بين ذلك الجبل والعذراء الجليلة اشباهًا متعدّدة ذكرتها في كتبها الطقسية وألمح اليها الاباء في كتاباتهم. ولا غرو فان الكنيسة والاباء وجدوا في الاسفار المقدَّسة اوصافًا للبنان تنطبق مع كمالات البتول المجيدة فاستعاروها لمديح مريم فتارةً يخصُّون باطرانها ما يقولهُ الكتاب في مفاخر لبنان كقول اشعيا (٣٥: ٢): «قد أُوتيتِ مجد لبنان» وقولهِ (٦٠: ١٣): «مجد لبنان يأتي اليكِ» وتارة ينسبون الى فضائلها روائح لبنان العطرية التي يعظمها الروح القدس في سفر نشيد الاناشيد (٤: ١١) ونبوَّة هوشع (١٤: ٧) وطورًا يشيدون ببهاء شخصها ويعارضونهُ بجمال زهور لبنان (نحوم ١: ٤) او بنشوة خمرهِ الطيبة (هوشع ١٤: ٨) وآنات يعظّمون قدرتها كقوة السيول المتحدّرة من لبنان (النشيد ٤: ١٥) او كطودهِ الشامخ الناطح برؤوسهِ عنان السماء (المزمور ٧١: ١٦) وكثيرًا ما كرروا على مثال الاسفار المنزلة ذكر ثلج لبنان (ارميا ١٨: ١٤) وارزهِ الشهير (المزامير ٢٨: ٥ و٩١: ١٤ وابن سيراخ ٢٤: ١٧ وحزقيال ١٧: ٣) فشبهوا بالاول طهارة البتول وخلوَّها من اثر كل دنس وخطإ. وبالثاني عزَّها وطيب عرفها وصبرها على الزمان دون فساد حتى دعوها بأرزة لبنان واضحى ذلك كاحد الالقاب المميزة لها

على انَّ هذه المناقب التي قرَّبت لبنان من مريم واستعطفت انظار مريم الى لبنان بقيت مكتومة في قلوب اهل ذلك الجبل وفي باطن كنائسهم كما يتجلَّى الملك لاهل رعيَّتهِ في داخل بلاطه فيتقبَّل منهم مظاهر اكرامهم وفرائض تعبُّدهم. على انَّ للملوك مواقف

١) اطلب الكتاب الذي انجز طبعه حديثًا حضرة الاب غودار اليسوعي في مزارات العذراء في لبنان (J. Goudard: *La Sainte Vierge au Liban*)

أخرى يظهرون فيها لشعوبهم علانيةً بملءِ عزهم وشرفهم لا يحجبهم عنهم حاجب يرون اهل بلادهم ويراهم هؤلاء فتتبادل بينهم مجالي الحبّ وتتواثق عُرى الاتحاد

ومما وضعهُ المسيحيون لهذه الغاية السامية في بلاد متعددة انهم اختاروا رؤوس جبالهم ليقيموا في مشارفها تماثيل فخيمة للعذراء ليقع من ثمَّ نظرها الوالدي على جميع اطراف البلاد فتصونها من كل المصائب والاضرار. وكان لبنان حتى اليوم خلوًا من تمثال كهذا يكون لهُ كحربة الصاعقة تردّ عنهُ كل الافات والبلايا

فلما كانت السنة ١٩٠٤ وفيها وقع يوبيل العام الخمسين لإعلان قضيَّة الحبل بلا دنس رأى غبطة بطريرك الطائفة المارونيَّة الجليلة مار الياس الحويك الكلي الطوبى والجزيل الاحترام ونيافة الطيب الذكر المثلث الرحمات السيد كرلوس دوڤال القاصد الرسوليّ على سوريَّة ان يخلدا ذكر تلك السنة المباركة باقامة اثر خطير في لبنان ألا وهو تمثال عظيم يقام في مكان مرتفع ويكون هناك كنار على علم يراهُ الناظر حيثما سار

ومن سعوا في اخراج هذا الفكر الصالح الى عالم الوجود حضرة الاب الفاضل الهمام لوسيان كاتين رئيس رسالتنا السوريَّة وحضرة الاب بيره كاتب اسرار القصادة الرسوليَّة سابقًا ورئيس الرسالة الدومينيكيَّة حالًا في بلاد ما بين النهرين فعُقدت لذلك الاجتماعات وتعيَّنت لجنة من السيدات الكريمات في البلدة لجمع النفقات الكافية لهذا المشروع. ولا حاجة الى تعداد كل ما ابداهُ الاهلون في بيروت وجهات لبنان من الاريحيَّة والحميَّة الدينية في بلوغ تلك الغاية الشريفة تاركين لهُ تعالى الذي لا يدع كاس الماء البارد المعطى باسمهِ دون جزاء أن يكافئ بفيض نعمهِ كلَّ من تبرَّع بمالهِ لهذا المقصود كثيرًا كان او قليلًا ونحن نعرف انَّ فلس الارملة الفقيرة كثير في عين ذلك الذي يرى القلب قبل الهبة والنيَّة قبل العطاء

وما يمكننا التصريح بهِ انّ التمثال مع البناية التي هي تحتهُ كلَّف نحو خمسين الفًا من الفرنكات جُمع منها النصف من هبات المحسنين في هذه البلاد وتبرعت بالقسم الاخر ايدٍ كريمة طلبت ان تبقى مجهولةً لئلا يُبخس جزاؤها عند الله. أمّا المكان الذي شُيّد فيهِ الاثر فقد قدَّمهُ مشاطرةً لهذا العمل المبرور غبطة السيد البطريرك ونيافة القاصد الرسولي

وشخص البتول الطاهرة ليس هو كشخص سيدة لورد وانمّا هو ممثل لدميـة اخرى من دُمى سيدة الحبل بلا دنس فهو على هيئة صورتها التي ظهرت فيها سنـة ١٨٣٠ لراهبة المحبة كاترين لابوره في باريس وحولها هذا الدعاء: «يا مريم البريئة من الخطيئـة الاصلية صلي لاجلنا نحن الملتجئين اليك (١)» فتوافق اذن كل الموافقة يوبيل اعلان عقيدة الحبل بلا دنس ويوبيل هذه السنة اذ كان ظهور العذراء الطـاهرة في لورد لتأييد تلك العقيدة عينها . وهذا التمثال غاية في الورع والبهاء والجمال تلوح منهُ لوائح العفـاف والجلال الملكيّ

وقد سبك هذا التمثال احد معامل فرنسة يتولّاهُ المسيو دوران (Durenne) من اقارب فقيد الرسالة اللعازريَّة الطيب الذكر الاب فرنسيس بوفي وقد قام بهذا العلم احسن قيـام ورضي في حقهِ بما هو دون قيمتهِ جودًا وكرمًا وقد جعلهُ ١٢ قطعة وثقلهُ ١٤,٠٠٠ كيلو وبلغ محمولهُ مع صناديقهِ عشرين طنًا وهو الذي عُني بارسالهِ الى بيروت فوصلها تامًا صحيحًا

وكان نقل هذه القطَع الثقيلة من المركب الى البرّ يقتضي تعبًا شاقًا الّا انَّ همـة مدير المرسى العام المسيو بورگان (M^r Bourgain) ونائبهِ في اشغال الميـنا المسيو فلامان (M^r Flamand) قويت على كل المصاعب وأُنزلت الصناديق سليمة صحيحة . ولمَّا علم المأسوف عليهِ صاحب الدولة مظفَّر باشا بان التمثال على رصيف بيروت ارسل تلغرافيًا الى الاستانة العليَّة يطلب من المرجع الاعلى الرخصة بادخالهِ الى لبنان فتلطَّفت الحضرة العليَّة السلطانيَّة حفظها الله واعلنت بارادتها السنيَّـة بان تجري لذلك كل التسهيلات اللازمة . ثمَّ نُقلت الصناديق الى محطَّة صربا على ثلاثة قطـارات ومنها جرَّها على عربات ضخمة عشرون رأسًا من الخيل في اواخر تموز من السنة ١٩٠٦

وكان في تلك الاثناء جناب المهندس الفرنسويّ البارع المسيو جيو (Giot) قد وضع رسمًا للبناية التي فوقها يُنصب التمثال . وما هذه البناية غير معبد لطيف ذي سعة كافية لنحو مئتي شخص طولهُ ثمانية امتار في مثلها عرضًا ولهُ مدخل سعتهُ خمسة امتار طولًا في مثلها عرضًا . واذا دُهن ونقش وتمت زينتهُ يكون من اجمـل معابد لبنان

١) راجع في المشرق (٤: ١٠٣٩) خبر هذه الرؤيا بتفاصيلها لاحد اساتذة مدرسـة عين طورة العامرة

وأدعاها الى العبادة والتقى . وعلو هذا البناء ٢٢ مترًا وهو على شكل مخروط وسوف يزيَّن خارجهُ بانواع النبات وضروب الازهار فيصبح أنسب موطئ لقدمي العذراء التي تجعل الكنيسة على لسانها قول سفر النشيد (٥:٢) : « أحدقوني بازهار الروض »

وقد تمَّ هذا البناء في اوائل السنة الجارية بهمَّة الفاضل ابراهيم افندي مخلوف . ثمَّ نُصب التمثـال فوقهُ فكان علوّ المشهد كلهِ لا يقل عن ٣٧ ذراعاً يُرى على بُعد خمس ساعات . وقد جُعل وجه البتول مائلًا الى جهـة بيروت لتبارك تلك المدينة خصوصاً اذ هي مركز الولاية ومرسى لبنـان وفيها الممثلون لكل الطوائف المسيحيّة الشرقيّة والغربيّة

ومن يتوقّل الى مقام هذا الاثر الجليل يتحقّق انهُ قلما يوجد في انحاء المعمور مكان مثل هذا جامعٌ لكل محاسن الطبيعة فكأن السماء والارض والبحر توافقت في زخرفتهِ وتنميقهِ بالبدائع وقد اجتمعت فيهِ طرائف الاعمال البشريّة مع كل مبـاهج الكون . فنعم العرش الفخيم لتلك التي ندعوهـا في صلواتنا « سلطانة السماوات والارض » . وحول هذا العرش السامي لبنان بآكامهِ الخضراء ومناظره الفتانة وثلوجه الغرّاء مع عدد من القرى الزهيّة والاديرة العامرة للموارنة والروم الكاثوليك والمقامات الشريفة للبطريكيات الشرقيـة الكاثوليكية كبكركي للموارنة والشرفة للسريان وبزمّار للارمن فتحققت نبوّة البتول بانَّ الشعوب كلها تجاهر بتطويبها

امَّا حفلة تدشين هذا التمثال والمعبد الذي في اسفله فانَّها قد جرت بأبهة وعظمة لا نحاول هنا وصفها لما يقتضيهِ الامر من طول الشرح . وانَّما نُحيل القرّاء الى ما كتبتهُ في ذلك جميع الجرائد الوطنيّة وفي مقدَّمتها جريدتنا البشير فانَّ هنـاك من التفاصيل الشائقة ما يبهج القلب ويفعم الصدر رجاء وحبًّا . وناهيك القول بانَّ هذه الحفلات التي لا تبرح من ذاكرة الذين شاهدوها قد ترأسها غبطة السيد البطريرك الذي رأى عنـد قدمي البتول لبنـان كلهُ مجتمعاً معلناً بايمانهِ المستقيم ومعترفاً بفضل السيدة التي حفظتهُ بعينها الساهرة من كل الشرور في طول الاجيال وقد احتفـل غبطتهُ بقداس حبري يكتنفهُ سيادة اساقفة طائفتهِ الاجلاء ثم ألقى خطبة نفيسة في محامد سيّدة لبنان استفزَّت لها الارواح وطربت الالباب

وهناك ايضاً قد تصدَّر نيافة القـاصد الرسولي السامي الشرف السيد فريديانو



تمثال سيّدة لبنان

جيانيني شاكرًا لله على انهُ مكنهُ من مشاهدة هذا الاثر الجليل بعد ان كدَّ وجدَّ في انجاز نيات سلفهِ المبرور فجازاه الله بنظرهِ تامًا كاملًا مع قربهِ من دار القصادة الرسوليَّة في لبنان حيث تسكب البتول فيض نعمها على نوَّاب الكرسي الرسولي وتقوّيهم على رفع شان الكنيسة الرومانيَّة وتعزيز الدين الكاثوليكي المستقيم في شرقنا العزيز

وقد قام نيافتهُ بتدشين المعبد والتمثال على وفق الرتبة المقرَّرة في الكتب الطقسية فطاف بالمعبد مصليًا ورقي الى اوج المنارة حيث شخصُ البتول فباركهُ ونضحهُ بالماء المصلَّى وطلب الى العذراء ان يكون ذلك المقام معدن نعمة وبركات على كلّ من يؤُمهُ زائرًا

وقد كان سيادتهُ سبق وارسل الى الاعتاب الرسولية رسالةً برقية يعلم بها قداسة الحبر الاعظم بالحفلة التي اتفق مع غبطة السيد البطريرك على عقدها في ذروة لبنان. فاجاب نيافة الكردينال ماري دلڤال كاتم اسرار قداستهِ بنبإٍ برقيّ انَّ امام الاحبار يشكر ويبارك زعماء تلك الحفلة والاكليروسين اللاتينيّ والشرقي والشعب كلهُ

وكان الكرسيّ الرسولي بايعاز سيادة القاصد تكرَّم بمنح نعمة أُخرى لمقام سيدة لبنان وهي: ١ً غفران كامل على الشروط المعلومة (اي الاعتراف بالخطايا وتناول القربان الاقدس والصلاة على نيات الحبر الاعظم: يربحهُ اوَّلًا كل من يزور معبد سيدة لبنان يوم التدشين وثانيًا الجموع التي تقدم الى زيارة هذا المقام في ايّ يوم كان من ايام السنة. ٢ً غفران غير كامل سبع سنين وسبع اربعينيات ينالهُ كل زائر يزور المعبد بشواعر التقوى والعبادة وذلك في كل يوم من ايام السنة. فلا نلبث ان شاء الله ان نسمع قريبًا بتوارد اهل لبنان الى هذا المقام الجليل فيجاهروا بتعبُّدهم المألوف نحو والدة الاله وشفيعة جبلهم المبارك لتفيض عليهم ينابيع نعمها وتصونهم من كل اضرار النفس والجسد. امين اللهمَّ امين

ونختم هذه الاسطر بذكر الكتابة اللاتينية التي نُقشت على رخام وجُعلت في جدار داخل المعبد الجديد وهي ملخص ما رويناهُ في الصفحات السابقة:

Cui gloria Libani data est per sæcula
B. M. V. Deiparæ Immaculatæ
Hoc monumentum
L^mo^ a pontificia definitione anno recurrente
Communi consilio inceptum
Delegatio Apostolica Syriæ
Atque Antiochenus Syro-Maronitarum Patriarchatus
Ad finem feliciter perductum
Ex voto dedicarunt
Solemniterque consecrarunt
Anno Domini MCMVIII
L^mo^ tum ab apparitionibus ad oppidum Lourdes
Tum ab initio Sanctissimi Patris
Pii Papæ X Sacerdotio.

(تعريبهُ) كرَّست هذا الاثر الدينيّ تصادة سوريَّة الرسولية والبطريركية المارونية الانطاكية بعد اتفاق كلتيهما على المباشرة بهِ وانجازهما لهُ باليمن والسعد. فاوقفتاهُ نذرًا لمن أُوتيت مجد لبنان الطوباويَّة مريم العذراء والدة الله البريئة من كل عيب في السنة الخمسين من تحديد الحبر الرومانيّ لعقيدة الحبل بلا دنس واحتفلتا بتدشينهِ في السنة المسيحية ١٩٠٨ الموافقة للعام الخمسين من ظهور السيدة في لورد ومن كهنوت الاب الاقدس بيوس العاشر

الى سيدة لبنان

أيا جَبَل الله الجليل ألا افتخرْ بمريمَ أمّ الربّ مالكةِ القدسِ
اتتكَ بثوبٍ شبه ثلجك طاهرٍ وحسنٍ بلا مثلٍ يفوقُ على الشمسِ
لها عَرْف فضلٍ فوق زنبقك البهي تعطّر ارواحَ الملائكِ والانسِ
تمدُّ يديها بالهبات لمن يشا فحاشا لأمٍ أن تخيّب ذا البؤسِ
فهيَّا بني لبنان أمّوا لذا الحِمى تنالوا مُنى الدارَين للجسم والنفسِ

العرس الفضي للمكتب الفرنسوي الطبي

للاب موريس كولنجت اليسوعي وللدكتور هنري نكر

من اساتذة المكتب الفرنسوي الطبي

دخل مكتبنا الطبيّ الفرنسويّ في العام الخامس والعشرين لانشائهِ . فلم يشأ مديروه الافاضل ان يدعوا هذه الفرصة دون اقامة عيد خصوصيّ يكون في تاريخ هذا المكتب كختام الطور الاوَّل من حياتهِ ومُفتتح طور جديد لمستقبلهِ على مثال البيوتات الكريمة التي تقيم الأفراح بعد مرور ربع قرن على نشأة أُسرهـا فتدعو ذلك الموسم بالعرس الفضيّ تفاؤُلًا ببلوغها الى ما هو اعزّ وأرقى شأنًا اي العرس الذهبيّ . واوَّل ما يحقُّ علينا الشكرُ الحميم للمولى الوهَّاب الذي في هذه المدَّة كلها افاض على هذا العمل سجال فضلهِ وسوابغ نعمهِ فرقَّاهُ من حضيضهِ الى المقام الذي اصابهُ اليوم فلا زالت عينهُ اليقظى ترعاهُ ويدهُ القديرة تكلأُهُ من مكايد الزمان . ثمَّ نرفع الى العرش الحميدي السامي أيَّدهُ الله فرائض الاكرام والعرفان بالجميل لما نالهُ المكتب الطبي من ألطاف الحضرة العليَّة الشاهانية من الامتيازات التي اعلت قدرهُ وجعلتهُ في مقام ترنو اليهِ الابصار وتطمح اليهِ الامال . جعل الله ايام المتبوع الاعظم في دوائر السعد دائرة وفي افلاك العزّ سائرة ما كرَّ زمان وتوالى الملوان . كما انَّنا نقدّم للحكومة الفرنسويَّة واجبات الشكر اذ لم تنفك عن شمول هذا المكتب بنظرها فانَّهُ من اكبر الشواهد على فضلها في جهات الشرق بلَّغها الله امانيها الطيبة وصانها من كل آفات الدهر

ولا ريب في أنَّ الاهلين يحبُّون ان يطَّلعوا على مجمل اعمال هذا المكتب في مدَّة ذلك ربع الجيل ليقفوا على بعض تفاصيل اخباره فيشاركونا في تأدية الشكر الى صاحب كلّ نعمةٍ واحسان مع رفع اكفّ الدعاء اليهِ تعالى ليديم عليهِ آثار جودهِ اذ انَّ هذا المشروع لا غاية لهُ سوى مجدهِ عزَّ وجلَّ بنفع البلاد وخدمة العباد

*

﴿ تاريخ المكتب ﴾ كان ظهور المكتب الطبي الفرنسويّ في بيروت في

خريف سنة ١٨٨٣ بعد ان اتّفق على فتحهِ حضرة الاب ريمي نورمـان رئيس الرسالة السوريّة ووزراء الدولة الفرنسويّة مع مصادقة الدولة العلية. وكان من اكبر السعاة بهذا الامر زعيم الحكومة الفرنسويّة المسيو لاون غمبّاتا ووزراء الخارجيّة سنت هيلار ودوكلار وجول فرّي وغوبله وكلهم معروفون بميلهم الى معاكسـة الدين في وطنهم الّا انهم رأوا في هذا المشروع شرفًا لبلادهم وخدمةً للانسانيّـة بتهذيب اطبّاء نطاسيين لا يجهلون شيئًا من اسرار الاكتشافات الحديثة لعلاج المرضى وحفظ الصحة العموميّة

نشأ المكتب الطبيّ صغيرًا حقيرًا شأن كلّ المواليد الطبيعيّة ولم يعلم الناس مـا يكون من امر هـذا الطفل الرضيع أيقوى على صروف الدهر ام لا وكان بعض كهّان السوء يرون ان المولود لا يعيش مع ما يتهدّدهُ من المصائب والآفات وجاهروا بسوء ظنهم فيهِ وتهكّموا بمنشئيهِ. لكنَّ هؤلاء وجدوا في نائب المسيح قداسة الطيب الذكر ورجل العصر لاون الثالث عشر ما وطد آمالهم فكرّروا أمامهُ كلمـة بطرس الى سيّدهِ لمّا امره بصيد الاسماك: « بكلمتك القي الشبكة »

وكان افتتاح المدارس الاولى في بناء لاحق بكليّة القديس يوسف ليس فيـهِ غير حجرتين واسعتين يصل بينهما رواق مسقّف وكان عدد المعلمين اربعـة بين يسوعيين ودكاترة عالميين وكان التلامذة تسعة فقط منهم اثنان للصيدلة والبقيّة للطبّ

امّا رئاسة المكتب فكانت ولم تزل في ايدي آباء الرهبانيـة اليسوعيّة. على انّ هذه الرئاسة كان يتقلّدها رئيس الرسالة العام او رئيس المدرسة الكليّة. وهم اربعة من السنة ١٨٨٣ الى ١٨٩٥ اعني بهم الآباء يليان هنري وپيار لوفاڤر وفرنسوا تيراس واتيان كلاره. واتخذوا لهم منذ السنة الثانية ١٨٨٤ مساعدًا باسم كنشليار لتدبير امور المدرسة والعناية بادارتها والاهتمام بكل شؤون اساتذتها وطلبتها. فتولى هذه الرتبة الاباء هيپوليت مرسليه (مرّتين) وادوار دي جيغور ويوسف اوتفاج. ثمَّ ضبط ازمّة الرئاسة وتدبير المكتب الطبي معًا حضرة الاب لوسيان كاتين من السنة ١٨٩٥ الى السنـة الجارية. ولكل هؤلاء الرؤساء من الآثار الحسنة التي تنطق بفضلهم حتى الان. لكنَّ للرئيس الحالي من ذلك ما يفوق على كل ما سبق اليهِ اسلافهُ كما تشهد عليهِ الاعمـال العديدة التي قام باعبائها

تلك كانت حبّة الخردل التي زُرعت في العام الاوّل سنة ١٨٨٣. ومن يعـارض

حالتها اليوم بحالتها في تلك السنة وجد انَّ تلك الحبَّة اضحت شجرة باسقة الاغصان وارفة الاظلال تأوي اليها طيور تقبل اليها من كل وجوه السماء فيعرف بهذه المقابلة نموَّها العجيب. على انَّ هذا الترقي ليس هو بعمل يوم واحد وانَّما هو نتيجة خمس وعشرين سنة من كل ضروب الاتعاب ومجموع المساعي ووحدة الهمم المتواصلة التي لم ينقطع عنها طرفة عين اصحاب هذا المكتب الطبي

ومما لا يسعنا السكوت عنهُ انَّ قناصل الدولة الفرنسويَّة الفخيمة في الثغر استفرغوا الوسع في تعزيز هذا المشروع وترقيتهِ في معارج الفلاح والتقدُّم مباشرة بالسري الامجد المسيو پاتريمونيو ثم الوجوه الافاضل دي پتيتڤيل ثمَّ غويو ثمَّ سان رينه تليانديه ثمَّ جوليه ثمَّ سوار ثم بوبو ديكوتور ثمَّ دي سرسه والقنصل الثاني پيان ثمَّ سعادة القنصل الحالي فوك دوپرك. ولكلهم تقارير قدَّموها لوزارة الخارجيَّة في فرنسة تُصرّح بنجاح المكتب الطبي ونتائجهِ المشكورة لخدمة الوطن

وكذلك الوكلاء الذين كانت الدولة الفرنسويَّة تعيّنهم لنظارة المدرسة وبيان احوالها قد اثنوا بصوت واحد على تقدُّم المكتب الطبي وسعوا طاقة جهدهم في توسيع نطاقهِ وتنظيم بعض فروعهِ وتجهيزهِ بكل الادوات للقيام بلوازمهِ لئلَّا ينقص شيئاً عن مكاتب الطب الكبرى في حواضر اوربَّة

وكانت السنون الثلاث الاولى سني درسٍ واجتهاد يسعى المعلمون والطلبة في تحقيق الآمال المبنية عليهم وقلوبهم مع ذلك تتنازعها العوامل المتباينة من نجاح المكتب او حبوطهِ. وكان عدد الاساتذة في السنة الثالثة قد بلغ التسعة. منهم ثلاثة يسوعيُّون والباقون عالميُّون. امَّا الطلبة فبلغوا ٢٨ ما خلا ٧ طالبي الصيدلة

وممَّا انهض آمال المكتب في السنة الرابعة انَّ الدولة الفرنسويَّة ارسلت لجنتها لاوَّل مرَّة لفحص التلامذة وكان رئيسها الدكتور ڤيلجان (Villejean) فسُرَّ اعضاء اللجنة ايَّ سرور من نجاح الطلبة ومنحوهم الشهادة الطبيَّة وطلبوا الى الوزارة بان تمنح المكتب امتيازات ونعماً جديدة فاجابت الحكومة الى ملتمسهم وجعلت هيئة التعليم كما في مكاتب اوربَّة العليا وقضت بان تكون الدروس اربع سنوات لكل الطلبة دون تمييز. ومن نعمها انَّها نظَّمت ايضاً الدروس الصيدليَّة وعيَّنت شروطها وادخلتها في سلك المكتب الطبيّ بعد ان كانت ملحقةً بهِ لا يُعلم أتكون اختياريَّةً دون شهادة

رسميَّة ام تُلغى تماماً . وكان الدكتور ريمي (Rémy) رئيس اللجنة الثالثة عضد بكل قوَّتهِ هذا المشروع ففاز بهِ سنة ١٨٨٨

على انَّ الشهادة الطبيَّة الممنوحة من المكتب الفرنسويّ ما كانت لتنفع اصحابها وتجيز لهم مزاولة مهنتهم الَّا بان تُصادق عليها الدولة العليَّة فجرت المخابرات في ذلك بين الدولة العليَّة والحكومة الفرنسوية وبعد امتحانات شتى لم تأتِ بنتيجة مرضيَّة صار القرار بين الدولتين بان كلًّا منهما تُرسل لجنةً من الفاحصين كلَّ سنة فتمنح الشهادة لمستحقيها على سواء . فكان هذا الوفاق مدعاةً لشكر الاساتذة والطلبة يعدُّونهُ من اكبر النعم التي خوَّلتهما الحضرة العليَّة السلطانيَّة للمكتب الطبيّ الفرنسويّ . وقد بوشر بهذا النظام لاوَّل مرَّة في ١٥ شباط ١٨٩٩ فتشرَّف المكتب مذ ذاك الحين بزيارة ابرع اساتذة المكتب السلطاني الافخم كاصحاب الدولة مزهر باشا وخير الدين باشا وشاكر باشا ومحمود باشا حقي واصحاب السعادة خيري بك رفعت ومصطفى بك شوقي واسماعيل بك جلال وتوفيق بك واجد وخالد بك وفخري بك ويوسف بك رامي واسعد بك درويش واسماعيل بك وعلي بك . وكلَّما تحضر اللجنتان تستقبلهما عمدة المكتب استقبالًا غاية في البهجة فتصدح الموسيقى بالنشيد الحميدي والنشيد الفرنسويّ واذا تمَّت جلسات الفحص تُعقد حفلة شائقة يتصدَّرها القنصل الفرنسوي فتعلن امام اللجنتين اسماء الذين استحقُّوا الشهادة فتوزَّع عليهم وألسنتهم تلهج بالدعاء للمتبوع الاعظم ولثبات عرش جلالتهِ مخلَّدًا

وها عشر سنوات قد مرَّت على انشاء هذا النظام الذي ازال كل العقبات في سبيل طلبة المكتب الطبي ففتح لهم طريقاً واسعاً لبلوغ امانيهم . ومذ ذاك الحين تقرَّر ايضاً سياق الدروس وزاد إقبال الطلبة على المكتب المذكور فتواردوا اليهِ من كل ولايات الدولة العليَّة لا بل من كل الجهات المجاورة لها كالعجم واليونان ورومانية

وممَّا اجداهُ نفعاً انشاء مكتب اعدادي منذ سنتين يتهيَّأ فيهِ طلبة الطبّ بالدروس الثانويَّة التي تؤهبهم لاحراز العلوم الطبيَّة كاتقان لغة التدريس اي اللغة الفرنسويَّة ودرس اصول المنطق والفلسفة والعلوم الطبيعيَّة والرياضيات وكل ما من شأنهِ ان يمهّد عقول الشبيبة لدرس الطبّ وملحقاتهِ وهذه السنة الثانية لانشاء هذا المكتب الاعدادي الذي نجح نجاحاً جاوز الامال وطلبتهُ هذا العام ٤٠ . ومن منافعهِ توحيد قوى التلامذة

وترشيحهم للطب على طريقة متناسبــة بعد ان تلقّوا الدروس في مدارس متعددة تختلف اسلوباً ونظاماً وموادّ تدريس

﴿ دروس المكتب الطبي ﴾ كان الطبّ قديماً ينحصر في امور قليلة اخصّها: درس الجسم البشريّ ومعرفة ما يعتريه من العاهات ثمّ البحث عن الطرائق العلاجيّــة لشفاء تلك العلل. ومنذ توفّق ارباب الطبيعة الى الاكتشافات الجديدة بواسطة المجاهر المكبّرة وبمعرفة العوامل المجهولة سابقاً كالنور والكهرباء وبالوصول الى تركيب الادوية الآليّة وغير الاليّة قد انفتحت للاطبــاء ابواب جديدة لا نُدحة لهم من قرعها. ودونك اخصّ العلوم التي ينبغي لطلبة الطبابة درسها وقد تعيَّن لكلها اساتذة متضلّعون في مكتبنا الطبي

١ (علم الابدان وتركيبها) يقتضي هذا العلم معرفةً تامّة للجسم البشريّ وبنيتهِ وتركيب اعضائهِ ودرس كل عضو بمفردهِ وما يتألف منهُ من عظم ولحم وغضاريف وعروق وشرايين الى غير ذلك من العناصر. وهذا العلم يُدعى ايضاً بعلم الاناتوميا او تشريح الاعضاء

٢ (علم تركيب العظام) ويدعى ايستولوجيا هو علم مستجدّ تفرّع من العلم السابق وصار مستقلًّا بذاتهِ مذ بيَّنت النظّارات المكبرة مركبات العظام وأليافها وخلاياها الاوليّة ونموّها وعِللها الطارئة عليها

٣ (علم قيام الحياة) وهو الفيسولوجيا يبحث عن المظاهر الحيويّة التي تُرى في الحيوان عموماً وفي الانســان خصوصاً ويشمل وظائف الاجهزة افراداً واجمالًا في قوام الحياة وحفظها وتنميتها. وهو ايضاً من فروع علم الابدان المستحدثة

٤ (الطبابة) غايتها درس الامراض الباطنة التي تصيب البدن ومــا يلحق بذلك من تشخيص المرض ومعرفة اسبابهِ ومناعيلــهِ وطرائق علاجهِ. وتُعرف بعلم الپاثولوجية الذي ينقسم الى علمين الپاثولوجية الباطنة والپاثولوجيّة الخارجة

٥ (الجراحة) اي معالجة الجروح كانت سابقاً تُضمّ الى الطبابة وهي اليوم مستقلّة بذاتها لوفرة الوسائل الجديدة لشفاء الجروح واجراء العمليات الخطيرة التي مــا كانت لتدور على خلد القدماء

٦ (علم الادوية) وهو ايضاً من فروع علم الطبابة الذي تفرّد عنها بعــد

اكتشافات الازمنة الاخيرة ليعلم بهِ خواص كل دواء وطريقة استعمالهِ في الادواء

٧ (علوم النبات والحيوان والجراثيم المعدية) العلمان الاوَّلان يفيدان الطبيب من حيث علاقتهما مع الانسان. أمَّا العلم الثالث فهو علمٌ مستجدٌّ منذ اكتشافات العلّامة بستور الذي اظهر للاطباء عالمًا جديدًا لا غنى لهم عن معرفة قاصيهِ ودانيه وقد دُعي هذا العلم بالبكتريولوجيا او علم الميكروبات فيعرّف تلك الجراثيم الدقيقة التي لا ترى بمجرَّد العين وما لها من العلاقات بالامراض والعُدَويات ويبين الوسائل لنفي تلك الجراثيم الوبيئة او مناهضة عملها والاتقاء منها

٨ (علم الصحّة) هو علم عمليّ غايتهُ صيانة البدن من الامراض وتعريف ما ينفع لذلك

٩ (علم الكيميا الطبيَّة) يبحث عن تركيب العناصر الطبيعيَّة وتحليلها من حيث علاقتها مع الجسم والصحَّة

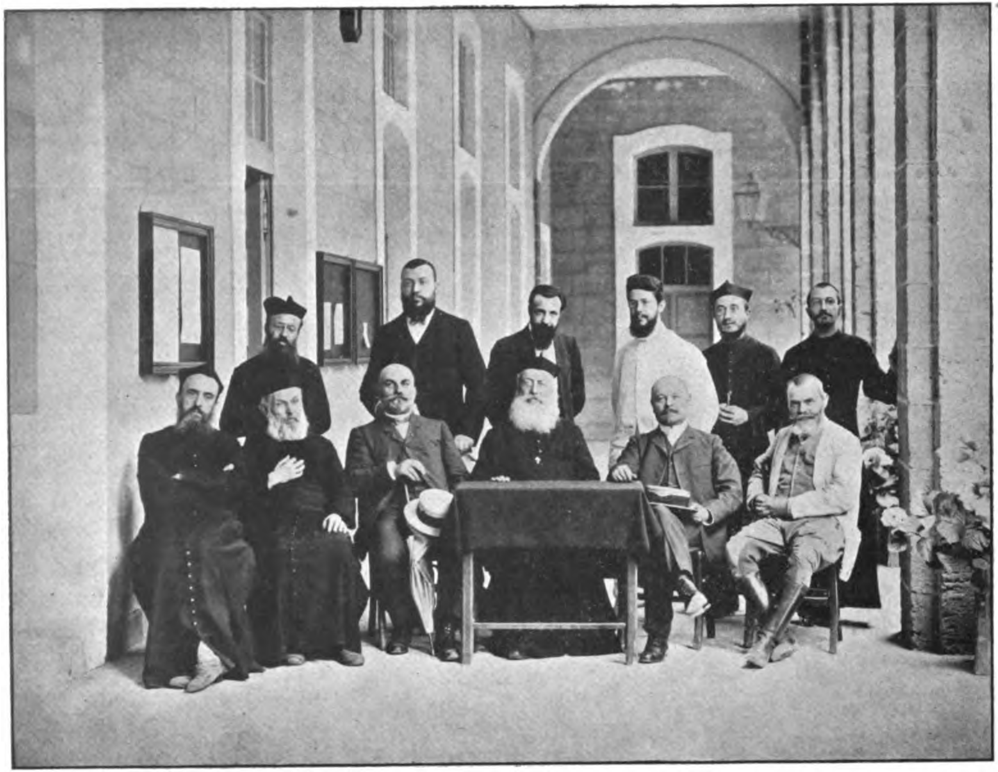
١٠ (علم الطبيعيَّات) للطبيعيَّات علائق متعدِّدة مع الطبّ لا بُدَّ من درسها. ومما أُضيف اليها منذ عشر سنين فقط العلاج بالكهرباء وباشعَّة رنتجن. وهو علم يتَّسع نطاقهُ يومًا بعد آخر.

١١ (علم التوليد) غايتهُ الحرص على مبدإ حياة الانسان وعلاج الادواء التي تصيب الوالدات عند مولد اطفالهنَّ

١٢ (علم الصيدلة) هذا العلم مختصّ بتركيب الادوية مع قطع النظر عن الامراض واصحابها وهو علم منفرد يختصّ بهِ بعض الدارسين ممن لا ينوون معالجة المرضى بنفسهم وانما يستحضرون ما وصف بهِ الطبيب

فكلّ هذه العلوم كما ترى لا يمكن الطلبة احرازها الَّا بعد الشغل الطويل وكثرة المطالعة والدرس ويتفرَّع منها فروع أُخرى كعلم امراض العيون واعراض الاذان وعلوم أُخرى ثانويّة لا نأتي بذكرها. ومن تعداد العلوم السابقة يستدلّ القرَّاء على ما احتاج اليهِ مكتبنا الطبي من الاتعاب والنفقات ليماثل اعظم المكاتب الطبيَّة الاوربيَّة.

ولما كان للاطباء واجبات وفرائض خصوصيَّة تلزمهم بسبب علاقات مهنتهم بالحياة البشريَّة وبحفظ الهيئة الاجتماعيَّة. عُهد الى احد الاباء القاء الخطب في كل اسبوع على طلبة الطبّ لشرح الآداب الطبيَّة وما يترتَّب على الطبيب للقيام باعباء وظيفتهِ



عمدة المكتب الطبّي واساتذته في السنة المدرسيّة ١٩٠٦—١٩٠٧

الاب نيرون	الاب بوفيه لابيار	الدكتور شابوتان	الدكتور علمت	الدكتور حيك	الاب كولنجت
الدكتور هاش	الدكتور دي برون	حضرة الاب كاتّان	الدكتور نكر	الاب سولران	الاب بُلموا

خدمةً للانسانيَّة ودفعاً للمضارّ التي تنجم عن سوء معاملتهِ للمرضى والمسقومين

﴿ معاهد المكتب الطبي ﴾ قُلنا انَّ اوَّل ما أُنشئ هذا المكتب في سنة ١٨٨٣ لم يكن لهُ غير حجرتين مع مُسقَّف في وسطهما . لكنَّ ترقي الدروس وازدياد عدد الطلبة اضطرَّ اصحابهُ الى ان يشيّدوا بعد ثلاث سنين بناءً كبيرًا ذا طابقين أُلحق بالبناء الاوَّل فخُصَّت معاهد كافية بالطبيعيَّات والكيميا والتشريح . وأُفردت في الطابق الاوَّل معاهد أُخرى للمكتبة التي تجمع اليوم نيِّفاً وعشرين الف كتاب طبي ثمَّ للمتحف الطبي الذي عُرضت فيهِ قطعٌ متعدّدة من الاجهزة الطبيعيَّة والمركبات المصنوعة على هيئة الجسم البشريّ وامثلة الامراض الجلديَّة وامراض العيون والادوات الطبية والجراحيَّة وهياكل الحيوانات المصبَّرة . وهناك ايضاً ديوان واسع تنعقد فيهِ الجلسات الرسميَّة وتُقام فيهِ الامتحانات السنويَّة على جوانبهِ خزانات فيها ٥٠٠ قمطرة تحتوي مجاميع لحشائش لبنان ونباتات سوريَّة يبلغ عددها عدَّة الوف جمعها الابوان اليسوعيان ڤنسان وبولوا مع اربع مجاميع من جنسها اهداها للمكتب جناب الافاضل الدكتور جول روڤيه احد اساتذة المدرسة سابقاً والمرحوم المسيو بلانش مدير جمعيَّة سكَّة بيروت الى دمشق والخوري تيله (Tillet) من كهنة مدينة ليون والدكتور ڤيو-(D^r Viaux-Grand-Marais) . وفي هذا الطابق عينهِ في طرفهِ الشرقيّ معبد خاصّ بالمكتب الطبيّ تُقدَّم فيهِ كل يوم احد الذبيحة الطاهرة يحضرها الاساتذة والطلبة المسيحيون معاً

اما الطابق الاسفل فخصَّ بغرف مختلفة منها غرفتان كبيرتان للمدارس فيهما المقاعد على شكل نصف الدائرة يتراقى بعضها فوق البعض . وغُرف أُخرى لادوات العلوم الطبيعيَّة وللمركَّبات الكيمويَّة وللاختبارات الصيدليَّة ودواوين لاستقبال المرضى وفحصهم

وفي السنة ١٨٩٦ شُيدت غرفة كبيرة شرقاً بازاء البناء الاوَّل خُصَّت بتشريح جثث الاموات ودرس تركيب العظام . وخُصَّت الغرفة المبنيَّة لذلك سابقاً للدروس الميكروبيَّة واستنبات الجراثيم الوبيئة وغيرها . وكذلك أُفرز مكان خصوصيّ للاستحمام الكهربائيّ والعلاج بالمجاري الكهربائية ولادوات اشعَّة رنتجن وللتصوير الشمسيّ اللازم لاستثبات بعض الامراض

على انَّ المدارس الطبية تحتاج الى معاهد أُخرى غير المذكورة آنفاً اخصُّها

المستشفيات . وكلٌ يعرف ما للفضل في ذلك لراهبات المحبة اللواتي انشأن في بيروت اوَّل مستشفى سنة ١٨٤٨ فدعونهُ مستشفى الرحمة ومن اطَّلع على ترجمة رئيستهنَّ الاخت المكرَّمة جيلاس يدرك ما قاسينَ من ضروب المشقات في انشائهِ وتوسيعهِ وتبليغهِ الى حالته الحاضرة التي تجعلهُ كمستشفيات اوربَّة المتقنة . اذ لا ينقصهُ شيءٌ من اسباب الراحة لكل المرضى والسقماء الذين يتواردون اليهِ من مدن الساحل وجهات لبنان على اختلاف الطوائف والاديان فيجدون من التفاني في خدمتهم ما ينسيهم حنان الوالدين

فلمَّا أُنشئَ المكتب الطبيّ التمس اصحابهُ من راهبات المحبة الفاضلات بان يأذنَّ للاساتذة والطلبة معاينة المرضى وفحصهم فاجبنَ الى ذلك بما يُعهد فيهنَّ من اللطف لكل عمل خيري وجهَّزن لذلك كل اللوازم لهذه الغاية بحيث يستطيع المتطببون في اوقات معلومة ان يشخصوا العلل ويدرسوها درساً نعماً ويعدّوا لها العلاجات المناسبة . وهذا القسم العملي من الطبابة هو كتتمَّة للدروس النظريَّة واقرب طريقة لاتقانها واخراجها الى حيز الفعل وذلك تحت قيادة بعض اساتذتهم البارعين ويساعدهم في هذا المشروع بعض قدماء الطلبة الذين تخرَّجوا في المكتب ونالوا شهادة الدكتوريَّة

وهناك ايضاً معهد واسع للعمليات الجراحية على موجب كلّ الاكتشافات المستحدثة يجتمع فيهِ تلامذة الطبّ مع زعمائهم فيحضرون العمليات ويتمرَّنون على اجرائها كما يرون

وكذلك شُيّدت سنة ١٨٩٨ قريباً من المستشفى دار أُلحقت بهِ وخُصَّت بتوليد النساء فسُدَّ بذلك خللٌ عظيم في تعليم طلبة الطبّ الذين تمكَّنوا بهذا المنوال من انقاذ عددٍ وافرٍ من الاطفال من مخاليب الموت اذ حصلوا على الحذق المقتضى لتلك الغاية

أمَّا تعليم الصيدلة والكيمياء فلا بُدَّ لهما من مختبرات لاستحضار الادوية وتحليلها وتركيبها ولكلا الفنين غرفٌ خاصة مجهَّزة لذلك يروّضهم فيها اساتذتهم على كلّ ذلك

ومما يلحق بتعليم النبات جنينةٌ لاستنبات المواليد الطبية وغيرها يتولى امرها

استاذ علم النبات . وهذه الجنينة اليوم غنية بالنباتات الاهلية والاجنبيـة يتردَّد اليها التلامذة للدروس النباتية ومعرفة الحشائش الطبية

فترى من هذا النظر الاجمـالي انَّ مدرسة الطبّ لا ينقصها شيءٌ من الاجهزة والمعاهد التعليمية لولا انَّها تضيق اليوم بعدد طالبيها . والحقُّ يقـال انَّ المكتب لمَّا شُيدت مبانيه ما كان اصحابهُ ليظنُّوا انَّ عدد الدارسين يُربي في السنة على الخمسة عشر وفي كل السنين الاربع على الستين . الَّا انَّ هذا العدد قد زاد اليوم الى ما لم يكن في الحسبان فزاد عليه ضعفين بل ثلاثة اضعاف اذ يبلغ اليوم عدد طلبة المكتب الطبي نيِّفاً ومائتين . فاضحت تلك المعاهد والغرف ضيِّقة على الدارسين تستدعي ابنية ارحب واوفق بالمرام حقَّق الله الاماني قريباً ان شاء الله

﴿ اساتذة المكتب الطبي ﴾ انَّ شهرة المكاتب المدرسيَّـة تقوم خصوصاً باهليَّة معلميها . ومن ثمَّ منذ انشاء مكتبنا الطبي استفرغ اهلهُ الوسع باستحضـار اساتذه ماهرين تخرَّجوا في الكليَّات الاوربيَّة وامتـازوا ببراعتهم في فنون الطبابة . وليست غايتنا هنا أن نجاهر بمدح اللذين علَّموا في هذه المدرسـة فانَّ ذلك امر نافلٌ فضلًا عن كون هؤلاء العلماء ليسوا بحريصين على مثل هذا الثنـاء اذ لم ينووا بعملهم مدحاً زائلًا بل قصدوا خدمة الدين والعلم معاً . على انَّنا لا يسعنـا السكوت عن ذكر بعض الامور التي دخلت في طور التاريخ وانتشر خبرها عند الخاصّ والعام

انَّ اساتذة المكتب الطبي كلَّهم فرنسيُّون جنساً قسمٌ منها يسوعيُّون يدرّسون العلوم التي لا تُنافي رتبة الكهنوت كالطبيعيَّات والكيميا الطبيَّة والنبات والامراض الميكروبيَّة والتداوي بالكهرباء وقسمٌ عالميُّون يلقون دروسهم في بقيـة فنون الطبّ كالجراحة والامراض الباطنية والخارجية والتوليد والصيدلة

اما اليسوعيُّون الذين درَّسوا في هذا المكتب منذ انشائهِ فاحد عشر . قضى منهم نحبهم الابوان لاون ڤنسان في ٣ كا ١ سنة ١٨٩٨ وميشال غوتيه في ١٣ ت ٢ سنة ١٩٠٧ وكان الاوَّل رجلًا عالمًا بالفلسفة والآثار والهيئة والعلوم الرياضية والطبيعية والنبات علَّم تلك الفنون نحو ثلاثين سنـة ولهُ فيها عدَّة تآليف مهمَّة طُبع منها بعضها فقط . وكان الثاني من اساتذة الطبيعيات المتازين . يذكر اهل بيروت الى يومنـا هذا الخطب التي ألقاها مدَّة على وجوه المدينة مع اجراء الاختبارات في الاكتشافات المستحدثة

وننظم في سلك الموتى اليسوعيين الذين تولوا ادارة المكتب دون التعليم وكانوا كلهم من الرجال المعدودين علماً وفضلاً وقدرةً على التدبير كالاب پيار لوفاڤر المتوفى في ١٢ آذار سنة ١٨٨٨ والاب يوليان هنري (+٣١ تموز ١٨٩٨) واتيان كلاره (+١٦ ت١ ١٩٠١) ويوسف اوتفاج (+ايلول ١٩٠١). وكذلك الاب يوحنا راي (+١٠ شباط ١٩٠٨) الذي كان خطب سنين عديدة في الطلبة وارشدهم الى اتمام واجباتهم الطبية مع رعية الاداب المختصَّة بمهنتهم

امَّا الاحياء فقد بقي منهم ثمانية احدهم الاب بولس سولران حضر افتتاح المكتب سنة ١٨٨٣ وعلَّم فيهِ حتى السنة المنصرمة وقد اقام لهُ تلامذتهُ القدماء والحاليُّون حفلةً بهيجة تفنَّنوا فيها في ذكر مآثرهِ المتعدّدة ولاسيما عنايتهُ في ترقيتهم وتفانيهُ في تهذيبهم. وقد قضت الاحوال على ثلاثة آخرين بالابتعاد عن بيروت امَّا طلباً للصحَّة وامَّا خدمةً للمكتب الطبي. والباقون يعلّمون بما عُرفوا بهِ من النشاط اقدمهم في التعليم الاب لويس بولوا الذي درس مدَّةً في مكتب پاستور في باريس ولا يزال يواصل دروسهُ منذ السنة ١٨٩١. ويليهِ الاب موريس كولنجت استاذ الطبيعيات وملحقاتها منذ السنة ١٨٩٥. ومن المعلوم الشائع انَّ اليسوعيين لا يطلبون لهم الامتيازات الشرفية الَّا انَّ الحكومة الفرنسويَّة من تلقاء ذاتها قد منحت خمسة منهم وسامات فخريَّة تدلُّ على تقديرها لمساعيهم

امَّا الاساتذة العالميُّون فشيوخهم اليوم اربعة اقدمهم الدكتور هنري نكّر الذي انضوى الى معلمي المكتب الطبيّ في ١٠ آذار سنة ١٨٨٥ ثمَّ تبعهُ في تشرين الاوَّل من السنة الدكتور دي برون. وثالثهم الدكتور هاش جاء بيروت في تشرين الاول من السنة ١٨٨٨. والرابع الدكتور كيك ابتدأ تعليمهُ الصيدلة في تشرين الاول من السنة ١٨٩٤. وقد منحت الحكومة الفرنسويَّة كلَّ هؤلاء المعلمين امتيازات شتى من اوسمة وجوائز شرفية ونظمتهم في سلك دواوينها العلميَّة. وكذلك منحهم قداسة الحبر الاعظم بواسطة سيادة القاصد الرسولي وسام القديس غريغوريوس من رتبة كومندور في السنة المنصرمة. ولكلهم تآليف متعدّدة نشروا معظمها في فرنسة ونال الكثير منها انواطاً ذهبية او جوائز أُخرى شرفية. والبعض من هذه المطبوعات طُبع في بيروت او نُقل الى العربية.



الدكاترة المساعدون في المستشفى الفرنسَويّ

الدكتور ابراهيم نعمة مدوَّر   الدكتور نعمة مرعي   الدكتور الياس الحاج   الدكتور الياس جبارة

ومنها ايضاً نصوص طبيَّة قديمة نشروها في لغتنا وذيَّلوهـا بالحواشي وعلَّقوا عليها التعليقات المفيدة

ومن الاسـاتذة الذين دخلوا حديثاً في عداد معلمي المكتب الطبي الدكتور كَلمت (من السنة ١٩٠٣) والدكتور شابوتان (١٩٠٥) وقد احرز كلاهمـا السمعة الطيبة منذ قدومهما واستوقفا انظار الناس باعمالهما المشكورة وخدمهما المذكورة

ولسنا لننسى في جملة هؤلاء الاساتذة الدكتور جول روفيه الذي حضر افتتـاح المكتب الطبي سنة ١٨٨٣ وخدمهُ ٢٢ سنة بنشاط الى السنة ١٩٠٥ فندبتهُ الحكومة الفرنسويَّة الى التعليم في مكتبها الطبي في الجزائر. وامتيازاتهُ الشرَفية وكتاباته العلميـة اشهر من أن تحتاج الى تعريف

وممن لا يبرح ذكرهم من قلوب الاحيـاء ثلاثة معلمين توفَّاهم الله في منتصف اعمارهم فانتقلوا الى دار البقاء قبل ان يحققوا كلّ الامال الطيبة المبنيـة عليهم وهم الدكتور سينس وكان من عمدة منشئي المكتب (١٨٨٣ — ١٨٨٧) والدكتور بويه (١٨٨٩ — ١٨٩٧) افادنا بكتابهِ الفرنسوي النفيس المعنون « الشروط الصحية الحالية في بيروت وضواحيها » والدكتور دي لابوزديار (١٨٩٨ — ١٩٠٣) ولهُ ايضاً كتـاب جزيل الفائدة في القوانين الصحية لم يظهر منـهُ الَّا قسم واحد. رحم الله هؤلاء الموتى واجزل ثوابهم في دار الخلد. وقد امتاز الاثنان الاخيران بتقاهم وكانت ميتتهم صالحةً فخلَّفا الاسف في قلوب كل من عرفهما

﴿ تلامذة المكتب الطبي ﴾ يقول المثل العربي انَّ من اشبـه اباه ما ظلم. فأطيب ثنـاء نثني بهِ على المكتب الطبيّ واساتذتهِ الافاضل ذكر التلامذة الذين تخرجوا فيه على علوم الطبابة

واوَّل ما ينبغي تنبيه الافكار اليهِ عدد هؤلاء الطلبـة الذين تواردوا الى مناهلهِ الطبية ليستقوا منها : فانَّ تزاحم الورَّاد على الماء احسن دليل على عذوبتهِ وطيبهِ . ولو اعتبرنا عدد كلّ الذين دخلوا المكتب ليتلقَّنوا فيهِ المعارف فانهُ لا يقل عن ٨٢٧ بمعدل ٣٣ في السنة. نعم انَّ كل هؤلاء لم ينجحوا في دروسهم او لم يتمموها لاسبـاب شتى لكنَّ مجرَّد تعدادهم كافٍ للدلالة على رواج العلوم الطبية في هذا المكتب

وان لحظت جنسيَّات هؤلاء الطلبة وجدتهم من جنسيات عديدة وناهيك بذلك

شاهدًا على اتفاق الجميع في اعتبار المكتب الطبي . ولا غرو انَّ اكثرهم عددًا العثمانيون فمنهم ٤١٧ قدموا من كل انحاء الممالك المحروسة وولاياتها ومنهم ١٧٥ لبنانيون و٨٦ مصريون و ٣٠ فرنسويون و٢٥ يونان و١٨ ايطاليون و١٠ روسيون و ٩ نمسويون و٦ انكليز و٣ اسبانيون واثنان المانيَّان وواحد من هذه البلاد الثلاث : البرتغال ورومانية والحكومة الفضية . امَّا عدد الذين حصلوا على الشهادة النهائية فهو ٢٨٥ للطبّ و٦٧ للصيدلة (اطلب الجدول ص ٣٥٥)

وكذلك اديان الطلبة مختلفة جدًّا فالمسلمون ٨٣ والاسرائليون ٥٥ . امَّا النصارى غير الكاثوليك فمنهم الروم الارثدكس ١١٨ والارمن الغريغوريون ٤١ والاقباط الارثدكس ٥ والبروتستانت ١٠ . على انَّ معظم الطلبة من الكاثوليك اكثرهم الموارنة وعددهم ٢٤٣ ثم الروم الملكيون ١١٠ ثمَّ اللاتينيون ٧٢ ثمَّ الارمن ٣٨ ثمَّ الاقباط ١٢ ثمَّ الكلدان ١٠ والسريان ١٠

اما المدارس التي تخرَّج فيها هؤلاء التلامذة فهذا جدولها على الترتيب ٢٤٢ طالبًا في مدارس الاباء اليسوعيين ثمّ ١٣٨ في مدارس الاباء اللعازريين ثمَّ ٩٥ في المدارس المارونية ثمَّ ٦٥ في المدارس العالمية الحرَّة ثمَّ ٤٧ في مدارس اخوة المدارس المسيحية (الفرار) ثمَّ ٣٨ في المدارس الاسرائلية ثمَّ ٣٤ في مدارس الروم الكاثوليك ثمَّ ٣٣ في مدارس رهبان مختلفين كالاباء الفرنسيسيين والاباء الافريقيين وغيرهم ثمَّ ٣٠ في مدارس علمانية شتى ثمّ ٢١ في مدارس الحكومة المصريَّة ثم ١٤ في المدارس الارمنية الغريغوريَّة ثم ١٣ في مدارس الروم الارثدكس ثمَّ ١١ في بعض المدارس العثمانية ثم ٦ في المدارس البروتستانية ثم ٥ في مدارس القبط الارثدكس ثم ٣ في مدارس الارمن الكاثوليك ومثل ذلك في مدارس الحكومة العجمية

هذا ما يختصّ بعدد التلامذة واصلهم وجنسياتهم والمدارس التي اخذوا فيها مبادئ العلوم وتعريف الذين نالوا الشهادات . وذلك ليس بكافٍ لبيان فضل الطلبة وتقدُّمهم في العلوم فانَّ للمدرسة وسائل فعَّالة لترقية الدروس وتنشيط الدارسين على إحكامها من ذلك سهر اصحاب المدرسة على آداب الطلبة ومثابرتهم على حضور الدروس في اوقاتها ومنها المفاوضات الاسبوعية للتمرُّن على الدروس ومراجعتها . ومنها الامتحانات العلنية مرَّتين في السنة قبل زمن المرفع وفي غاية حزيران ليتحقَّق الاساتذة

نجاح الطالبين فان لم ينجحوا تُقضي عليهم بمراجعة المواد التي لم يتقنوها مدة ستة اشهر اخرى

ومن اسباب التنشيط المساعدة على ترقي الطلبة الداخلين جلسات اسبوعية يعقدونها في فنون العلوم ويلقون في ذلك خطباً يُجازى اصحابها بانعامات خاصة اذا ما وُجدت متقنة واهلًا بالجزاء

وكل هذه الوسائل ووسائل اخرى غيرها تزيد رغبة التلاميذ في طلب العلوم وتنهض بهممهم الى الامور الشريفة . ومما يدلُّ على انَّ اصحاب المكتب قد اصابوا المرمى انَّ معظم هؤلاء الطلبة لم ينالوا فقط الشهادة الطبيَّة بل نالوها ايضاً بامتياز مع علامات فخريَّة لا تُحصى ربما اندهل بسببها اصحاب اللجنتين العثمانية والفرنسويَّة واثنوا من جرّائها على الطلبة واعلنوا بثنائهم في المجلات والجرائد

وزد على ما تقدَّم انَّ المكتب الطبي بعد انتهاء دروس طلبتهِ لا يهمل امرهم بل يسعى في نجاحهم وفي كافَّة شؤونهم ليقوموا بمهنتهم القيام الحسن . ومن الوسائط المؤدية الى هذه الغاية اجتماعات سنويَّة يحضرها كلُّ من يمكنهُ من التلامذة الاقدمين ويتفاوضون فيها عن كل الشؤون الطبيَّة . وفي هذا الشهر عُقد اجتماع من هذا الصنف دعي اليهِ جميع الدكاترة المتخرجون في المكتب منذ ابتدائهِ وهو الاجتماع العاشر من جنسهِ تصدَّر فيهِ كلٌّ من حضرة ملاذ الولاية وسعادة القنصل الفرنسوي مع عمدة المدرسة . ومنذ سبع سنوات صارت هذه المجتمعات على شكل المؤتمرات العلميَّة تتشكل فيها اللجنات وتُقام فيها الابحاث . ويدوَّن كل ذلك في نشرة خصوصية تُطبع سنويًّا .

ولا ندحة هنا من توجيه النظر الى الدكاترة الذين خرجوا من المكتب الطبي لعلّنا نقف على شيءٍ من اعمالهم التي حقَّقوا بها آمال مواطنيهم لانَّ عند الامتحان يُكرم المرء او يهان

ومما نراهُ باديَ بدءٍ انَّ تلامذتنا اليوم قد تفرَّقوا تحت كلّ كوكب تجدهم في ثلاث قارات العالم القديم بل في العالم الجديد نفسهِ فتجدهم في كل جهات الممالك المحروسة ومدنها العامرة لا تكاد تخلو منهم مدينة ذات شأن مباشرةً بدار السلام . وقد عُرف منهم كثيرون بنشاطهم وحذقهم في جزائر اليونان والبحر الاحمر وفي قبرص وفي كريت وفي اقطار العجم وكذلك منهم في اوربَّة واميركة بعض الافراد الذين

احرزوا هناك ثقة الاهلين رغمًا عن كثرة الاطبَّاء فيهما . امَّـا افريقية فانَّ فيها عددًا وافرًا من المتخرجين في مكتبنا منهم في تونس وطرابلس الغرب والحبشة وكل جهات مصر والسودان . وقد طابت الحكومات المحليَّة بعضاً منهم لاعتبارها لتهذيبهم العلمي . وقد توفَّرت لدينا الرسالات من المراجع الرسميَّة التي تثني على اعمـال كثيرين منهم وتطنب في تفانيهم في مزاولة مهنتهم حتَّى في تمريض الموبوءين . وفي السنـة ١٨٩٠ لما ظهر الهواء الاصفر في جهات طرابلس طلب ستة منهم الرخصة من الحكومة السنيـة ليضحُّوا نفوسهم في خدمة المصابين بالعدوى فنـالوا غايتهم وعادوا مصحوبين برقيم من أرباب الامر هناك يشهدون على مروءتهم : وكذا فعل غيرهم في يافا ومصر

ويشهد ايضاً على كفايتهم والقيامَ بمهام وظيفتهم اوسمة وامتيازات شرفية نالها بعضهم من دولتنا العلية وبعضهم من الحكومة الافرنسية وهم عشرة وغيرهم من دولة العجم او حكومة مصر والسودان . وقد افاد البشير غير مرَّة ما حظي بهِ جناب الصيدلي القانوني عبد الله افندي مخائيل رعد من الانعامـات من جلالة ملك الحبش منليك الثاني وهو من نُجب تلامذة المكتب الطبي

ومن الشواهد ايضًا على همتهم تآليف طبية نشروها في عدَّة لغـات نخصّ منها بالذكر ما كتبوهُ في العربية من فصول ومقالات وكتب مختلفـة الحجم والموضوع لجناب الدكاترة خير الله فرج صفير وحبيب الدرعوني ونابوليون ماريني ونجيب ادّه وامين جميـل وعبد الله ميخائيل رعد وفيليب بركات وكامل خوري والفرد خوري وشحاته خزام وغيرهم ايضًا

وقد كان بودّنا في هذه الحفلة ألَّا نلقى ليد الموت اثرًا في الشبيبـة التي نشأت في مكتبنا بيد انَّ حكم المنية لا يُردّ وقد دارت كاسها على شفاه كثيرين منهم فجرعوا سمّها الزؤاف . وقد بلغ عدد هؤلاء المرحومين ٣٥ بمعدَّل واحدٍ في السنـة . وكان ١١ منهم اتمُّوا دروسهم ونالوا الشهادة الاخيرة . وممَّا يعزينا انَّهم كلُّهم كانوا من ذوي الورع والتقى فنؤمل لهم الرحمة الواسعة في الاخرة

ونجعل مسك ختامنا الدعاء الى الله بان يكون هذا النصف القرن الجديد الذي يستأنفهُ المكتب الطبي مقرونًا باليمن والسعد لمجدهِ تعالى ولخير الوطن العزيز

جدول

الطلبة الذين تخرَّجوا في المكتب الطبي

من السنة ١٨٨٣ الى ١٩٠٧

السنة	الداخلون في الطبّ	الداخلون في الصيدلة	الخارجون مع الشهادة في الطبّ	الخارجون مع الشهادة في الصيدلة
١٨٨٣	١٠	١	—	—
١٨٨٤	١٢	٢	—	—
١٨٨٥	٨	٤	—	—
١٨٨٦	١٧	٧	—	—
١٨٨٧	١٢	٢	٣	٢
١٨٨٨	٩	١	٧	٣
١٨٨٩	١٤	٤	٤	١
١٨٩٠	١٢	٣	٧	٣
١٨٩١	١٤	٠	٦	١
١٨٩٢	١٥	٤	٧	٠
١٨٩٣	١٦	٤	٤	٢
١٨٩٤	٢٤	٥	٨	٢
١٨٩٥	٢٦	٨	١٠	٠
١٨٩٦	٢٦	٨	٧	٠
١٨٩٧	٢٥	١٤	١٠	٣
١٨٩٨	٢٤	١	١٢	٣
١٨٩٩	٢٣	١٢	٧	٣
١٩٠٠	٤٧	١٧	١٧	٧
١٩٠١	٤٥	٩	١٦	٦
١٩٠٢	٤١	١٣	٢٢	٥
١٩٠٣	٣٨	٦	١٢	٥
١٩٠٤	٣٩	٧	٣٠	٧
١٩٠٥	٥٢	١٦	٢٥	٥
١٩٠٦	٥٠	١٢	٣١	٥
١٩٠٧	٤٩	٩	٣٠	٧
المجموع	٦٥٨	١٦٩	٢٨٥	٦٧

السِيْلَى أو السِّلَى او بلاد السَرَق

بقلم حضرة الاب انستاس الكرملي

كل يعلم ما للعلماء الغربيين من الاعتناء بمعرفة الامور الشرقية ومـا يتعلّق بها من قريب وبعيد اذ لا نرى بحثاً الّا وطرقوا بابهُ ولا فنّا إلّا ودخلوا رحابهُ . ومن جملة مـا شُغفوا بهِ الأُممُ الشرقية الحالية وما كانت عليهِ في سابق وجودها وعزّها ومجدها حتى انهم توصلوا الى معرفة الكثير منها ومن دقائق ما يتعلّق بمعيشتها واحوال داخل بيوتها وهو من الامور العزيزة ما يقدّرها العارف حقَّ قدرها

هذا وإذا عرفوا جيلًا من الاجيال الغابرة احبُّوا ان يعرفوا حالتهُ في الايام الحاضرة ليقابلوها قرناً بقرن وعصراً بعصر بعد ان يكونوا قد صرّحوا ان هذه الأمّة تسمَّى الامة الفلانية اليوم وهذا الجيل كان معروفاً باسم آخر عند اصحاب اللغة الفلانية . او ان الاسم تصحّف وانتقل بالصورة الفلانية او على الوجه الفلاني . والخلاصة انهم هتكوا أستـار أسرار ما كانت تخطر على بال وكشفوا لنا حقائق حيّتنا عزَّ اجدادنا واسلافنـا حتى اخذت حُمّيا الحميَّة تدبُّ في عروقنا لنبلغ مبلغهم او على الاقل ان نتشبه بهم

فتشبَّهوا ان لم تكونوا مثلهم   انَّ التشبُّـه بالكرام فـلاحُ

وممّا تصدّوا للبحث عنهُ والكشف عن غامضهِ السوال عن بلاد السِلَى واهلها . وعن الأمّة المعروفة اليوم خلفًا لها . ثمّ ما كان اسم السلى عند الغربيين من الرومان واليونان . ومن اين جاء العرب بهذه اللفظة يعني لفظة السلى . وهل يقابلها لفظة أُخرى عنـد غير العرب . هذه عدة اسئلة لم يظفروا منها الّا بجواب واحد ولا اظنُّ انَّ هذا الجواب يفي بالمقصود كما سترى في محلهِ ان شاء الله تعالى

وقبل ان نبوح بسرّ هـذا الغامض لننظر الى اقوال بعض المؤرخين من العرب الاسبقين ونرى ماذا يريدون بالسيلى . قال صاحب تقويم البلدان :

« السِيلى : خارجة عن [الاقليم] الاول الى الجنوب [وهي] من اقصى الصين الشرقي [والاسم] بالسين المهملة والياء المثنّاة التحتية ولام ياء ثانية في الاخر . هكذا وجدناها في الكتب : ويقال سِيْلَا (وفي رواية سِلَا) وهي في اعالي الصين من الشرق . وقلما يُسلك اليها في البحر . وهي من جزائر في

بحر الشرق كجزائر الخالدات والسعادة في بحر الغرب لكن هـذه معمورة في خصبٍ وخيرات بخلاف تلك »

وقال في كلامه عن الصين(١ :

« والصين الاقصى ويقال لهُ صينُ الصين (٢ هو غاية العمارة من جهة الشرق وليس وراءه غير البحر المحيط . ومدينتهُ العظمى يُقال لها السيلا واخبارها منقطعة عنّا »

ولم اقف لها على اثر في كتب ابن خرداذبه وابن الفقيــه واليعقوبي ولا في معجم ياقوت الواسع ولا في كتابهِ مراصد الاطلاع ولا في تاريخ المقدسي . والخلاصة قد بحثت عنها في اغلب كتب اصحاب دواوين البلدان فلم أفُز بطائل . والذي أكثر من ذكرها المسعوديُّ في جميع كتبهِ من ذلك في كتاب التنبيه والاشراق قال :

« واقصى العمران في المشرق : اقصى حدود بلاد الصين والسيلى الى ان ينتهي ذلك الى ردم ياجوج وماجوج »

١) في كتابهِ : المختصر في احوال البشر . طبع الاستانة ١ : ١٠١ و١٠٢

٢) ان البستاني صاحب دائرة المعــارف لم يذكر السلى ولا السيلى في كتابهِ كما انهُ لم يذكرها بلغةٍ من لغاتهــا المختلفة . بيد انهُ ذكر صين الصين لكنهُ اخطأ الحفرة وجاء بما لم يذكره العرب عن صين الصين . واليك نصّ كلامهِ : « صين الصين . جزيرة على مسافــة نحو ستمائة خطوة فقط من شاطئ ينغ تسي كينغ . ويقال لها ايضاً « جبــل الذهب » . وهي مرتفعة الجوانب جداً ومشحونة بالبساتين والبيوت المعدّة للنزهة حتّى كانهُ اجتمع بها صنع الله وصنع البشر فمنظرهــا يأخذ بالالباب ويستلب العقل وهي تُنسب لسلطان الصين وفي السهل الذي باطرافهــا ينمو شجر القطن الغريب الذي يتّخذ منهُ القماش المعروف في اوربا باسم « نتكين » ولهُ وبرٌ يخرج على ازهارهِ ولونهُ الاصلي البياض مع الصفرة الضاربة الى الحمرة وهذا اللون يبقى فيهِ بعــد الغزل والنسيج » اه

الّا ان هذا كلهُ لا ينطبق على كلام العرب فان هؤلاء قد ذكروا ان صين الصين ديار واسعة ولها ملوك تعادن ملوك الصين والسفر الى تلك الاصقاع يكون برّاً وبحراً الى غير هــذه التفاصيل التي لا تشبه التفاصيل التي اوردها صاحب الدائرة . والظاهر ان الذي ساقهُ الى هــذا الوادي تُضُلل انهُ طالع في كتب العرب ان بلاد السيلى هي جزيرة وراء بلاد الصين فقــال ما قال . وليسمح لنا القرّاء ان نقول هنا استطراداً ان دائرة المارف كثيراً ما اهملت ذكر الامم الشرقية الغابرة او المنقرضة كالجراجمة والجرامقة والاحامرة والاجامرة والبرجان والداوودة والركوسية الى غيرها من الاجيال التي هي بمنزلة عظيمة من الاهمية التاريخية . ونحن نجهل سبب هذا الاهمال الذي يثير لواعج الاسف في النفس . فعسى المتولون اتمام هذا المشروع يتلافون هذا النُقصــان بالملحق الذي قد صمّموا على ابرازهِ بعد نهاية هذا الاثر الجليل . حقّق الله النيات والاماني واصدرها الى حيّز الوجود

وقال ايضاً في تعداد الامم :

« والامة السابعة : الصين والسيلي وما اتّصل بذلك من مساكن عامور بن يافث بن نوح ملكهم واحد ولغتهم واحدة »

وقال في كتابهِ مروج الذهب :

« وليس بعد بلاد الصين مما يلي البحر مالكٌ تُعرَفُ . ولا بلادٌ توصفُ . الّا بلاد السيلى وجزائرها . ولم يصل اليها من الغرباء احدٌ من العراق ولا غيره فخرج عنها لصحّة هوائها ورقّة مائها وجودة تربتها وكثرة خيرها الّا النادرُ من الناس . واهلها مهادنون لاهل الصين وملوكها . والهدايا بينهم لا تكاد تنقطع . وقد قيل انّهم تشعّبوا من وُلْد عامور وسكنوا هنالك على حساب ما ذكرنا من سُكنى اهل الصين في بلادهم » اه المقصود من الاستشهاد بهِ

وقال في محل آخر من كتابهِ :

« سيلا (وفي رواية شيلي بالشين المثلثة) بلدة من اواخر بلاد الصين في غاية الطيب لا يُرى بها ذو عاهة من صحة هوائها وعذوبة مائها وطيب تربتها . اهلها احسن الناس صورةً واقلّها امراضاً . وذُكر ان الماء اذا رُشَّ في بيوتها تفوح منهُ رائحة العنبر . وهي قليلة الآفات والعلل قليلة الذباب والهوامّ . اذا اعتلَّ احدُ الناس في غيرها ونُقل اليها زالت علّتهُ . قال محمّد بن زكريّا الرازيّ : من دخلها استوطنها ولا يخرج عنها لطيبها ووفور خيراتها وكثرة ذهبها »

وقال ابن رسته :

« ومن دخل من المسلمين بلاداً في آخر الصين تُدعى السيلا (وفي نسخة السلا) بها ذهبٌ كثير استوطنها ولا يخرج عنها بَتّةً »

وذكرها ابن خلدون في مقدمتهِ في كلامهِ عن الاقليم الاول قال :

« يحتفّ بها (باعالي بلاد الصين) في هذا البحر (البحر الهندي او الحبشي او بحر الصين) من جنوبيها جزائر الواق واق ومن شرقيها جزائر السيلا (وفي النسخة المطبوعة السيلان وهو من غلط النُسّاخ)

فما عسى تكون هذه البلاد ؟ فاذا سألنا صاحب شرح المجاني فانهُ نراه يتوقّف في تعيين ما يوافقها اليوم فقد قال (في ٧ : ٨٧) : « بلاد السيلي . نظن انها جزائر الفيليبين » وقال في ص ١١٧ من ذلك المجلد عينهِ بعد ايراد ما نقلناه من كلام ابي الفداء في تقويم البلدان : لا يبعد عن الظن ان هذه الجزائر هي جزائر اليابان . وقيل ان بعض العرب اجازوا الى تلك البلاد وفي بعض الاسفار ما يشير الى ذلك » اه

واما الافرنج فقد ذهبوا مذاهب فمنهم من قال انها بلاد اليابان ومنهم من راى انها جزائر الفيليبين الى آخر ما قالوا وتقوّلوا . لكن لا يمكن ان تكون السيلي او

الشيلي او السلى وغيرها من اللغات بلاد اليابان ولا جزائر الفيليبين ولا جزائر سخاليان ولاجاوة ولا ولا ولا. . . . . غيرها من الجزائر الواقعة في غمر البحر . والسبب هو ان السيلى هي شبه جزيرة لا جزيرة . والدليل على ذلك:

١ً ما قالهُ عنها ابو الفداء انهُ « قلما يسلك اليها في البحر » اذن فالاكثر ان يسلك اليها من البر لأن البحر هناك مخطر . والعرب يسمون شبه الجزيرة جزيرة كما هو مشهور فيقولون جزيرة العرب . لا بل وربما لم تكن جزيرة ولا شبه جزيرة بل اذا حاط بالارض نهران او اكثر قالوا انها جزيرة ومنها « الجزيرة او ما بين النهرين ». الى آخر ما هناك من الاسماء المشهور باسم الجزيرة

وعليهِ فلا يصدق هذا الوصف وما يتلوه الا عن جزيرة كورية التي هي بجوار الصين ومما يؤيدنا في هذا الراي

٢ً ان ملوك كورية لا تقطع هداياها عن ملوك الصين وهم في مهادنة دائمة في سابق الزمان . هكذا نقلهُ العرب في السابق وهكذا ايضاً ينقلهُ الاخباريون من ماضين وعصريين ومن أعراب وأجناب

٣ً وصفَ العرب موقعها في « اعالي الصين من الشرق » وهذا لا يصدق ايضاً ألا على بلاد كورية

٤ً وقالوا ايضاً : ان مدينتهُ العظمى اسمها « سيلا » وهي توافق « سيول » من بعض الوجوه ولاسيا اذا فرضنا انهُ وقع فيها تصحيف او تحريف وهو من الامور التي قلما تخلو منها الالفاظ الاعجمية الداخلة في العربية اللهم ألا في النادر الذي لا يقاس عليهِ

٥ً يجعل القزويني لغة الصين والسيلى وملوكهما من الامور التي أُنزلت منزلةً واحدة . وهذا الامر لا يوافق ايضاً لا لغة اهل الفيليبين ولا لغة اليابان ولا جزيرة سخاليان بخلاف لغة كورية فانها مشابهة كل مشابهة للغة الصين ولاسيا في القديم فانها كانت واحدة في الاصل لان الصينيين هم اللذين فقَّهوا الكوريين بعلومهم ولغتهم واما الملوك ملوك كورية فانهم ما كانوا يجلسون على عرش مملكتهم ألا بإشارة الصينيين او برضاهم كما اثبتهُ اليوم تاريخ المحدثين واسانيدهم . وهذه الامور كلها لا تنطبق على غيرها من الجزر والديار القاصية ألا على هذه الجزيرة التي يدور عليها قطب كلامنا

٦ً ان العرب سمّوا بلاد اليابان « جمكوت او جيبنكر او جين كو » فليس بعد ذلك حاجة الى تسميتها باسم لا يقرب من هــذه الاسماء الثلاثة اذ شتّان بين هذه الالفاظ الثلاثة وبين « السيلي »

٧ً منذ ان دخل العرب بلاد الصين دخلوا ايضاً بلاد السيلي بخلاف بلاد يابان فانهم لم يدخلوها الّا بعد أمد مديد . والذين دخلوا بلاد السيلي قلّمـــا خرجوا منها لطيب هوائها وعذوبة مائها واعتدال امزجة اهلها . الى غير هذه الاوصاف التي لا تقع الّا على كورية

٨ً ذكر القزويني ان اهل السيلي فرع من اهل الصين وهذا لا يوافق الّا اهل كورية ايضاً

والخلاصة ان جميع الاوصاف الارضية والتاريخيّــة والبلاديّة لا توافق الّا بلاد كورية وتقع عليها وقع الحافر على الحافر فلننظر الان الى الشواهد اللغويّة فنستقريها لنستلّ منها النتائج القاضية القضاء الاخير والفاصلة الفصل النهائي . فنقول :

١ً ان لاهل العراق نوعاً من الثوب (النسيج) رقيقاً جدًّا يُستشف منهُ ما وراءه يسمونهُ « الشَيْلي » وتلفظ Shéléh او Shélé كان يُتَّخذ سابقاً من الحرير الابيض الناعم ويؤتى بهِ من بلادٍ غير بلاد الهند وغير بلاد الصين بل من بلاد الشيلي او السيلي فسُمي باسمها . ثمَّ لما كانت قيمتهُ باهظة جدًّا ابدلوهُ من القطن الفاخر النـــاعم فسُمي باسمهِ من باب التقليد كما يُقلَّد شال قشمير مثلًا . ثمَّ زادوهُ حسناً ان طبعوا عليـــهِ نقوشاً مختلفة وأعلاماً شتّى . فسمَّوهُ « شيله بصمة » (الباء اصلها واو والصـــاد سين والبصمة تساوي الوسمة اي الشيلي او الشيلة الموسومة بالالوان) والبعض يقول شـــيرة بصمة او سيرة بصمة ويقولون ايضاً اول هاتين الكلمتين بالشين او السين مع الراء ولو لم تكن بعدها كلمة بصمة . والحاصل انهم يتلاعبون بها تلاعبهم بالكرة لغرابتها

وهذه الثياب الحريريّة تُعرف ايضاً باسم « السَرَه » او « السرق » . والظاهر انها ليست بفارسيَّة ولو صرَّح بها اللغويون . نعم ان الفرس يسمون الحرير بكلمة « سَرَه » ايضاً . لكن من يقول لنا انهم لم ياخذوا هــذا اللفظ عن التجّار الذين كانوا ينقلون هذه الثياب من الشرق الاقصى الى الشرق الادنى . وعلى كل فاننا نرى بأن السَرَق للثياب الحريريّة ماخوذ من اسم البلاد التي كانت تجلب منها وكثيرًا ما تسمّى الاقمشة باسماء

البلاد التي تُصنع فيها. وهو اشهر من ان يُذكر. امّا راي العرب في اصل كلمة السَّرَق فدونكهُ. قال صاحب التاج:

« السرق: شُقَق الحرير. قال ابو عُبَيد: الابيض. وانشد للعجاج:

ونسجت لوامعُ الحَرُورِ من رقرقان آلها المسجورِ
سبــائبًا كَسَرَقِ الحريرِ

او الحرير عامّة. قال ابو عُبيد: اصلها بالفارسيّة « سَرَه » اي جيد فعرّبوهُ كما عُرب بَرَق للحمَل ويلمق للقباء. وهما « بره ويلمه » الواحدة جاء اه

وفي اللسان انهُ يقال في سرَق:

« صرَق ايضًا بالصاد. قال: وانشد ابن بريّ للاخطل:

كانّ دجائجًا في الدار رقطًا بناتُ الروم في سرَق الحريرِ

وقال آخر [ناسبًا الشعر للاخطل]:

يرفلن في سرَق الحرير وقزهِ يسحبنَ من هدّابهِ أذيالا اه المقصود منهُ

فاذا عرفنا هذا عرفنا ايضًا ان الحرير يُسمى عند اللاتين sericum وعند اليونان σηρικόν وهي والسرق من اصل واحد. والاجانب يشتقونها من Seres او Σήρ ويراد بها بلاد السرق او بلاد السيلى والعرب ابدلوا من الراء لامًا كما هو من عادتهم في نقل الالفاظ الاعجميّة فانهم خصّوا اللفظة الموجودة فيها الراء للحرير والتي فيها اللام للبلاد. واما الارميُّون فانهم سمّوا الحرير ܫܪܐ (شارا او شَرَا) وهي كسَرَق او سَرَه العربية والفارسيّة واليونانية واللاتينيّة من مورد واحد

وقد خفي على الافرنج الى يومنا هذا حقيقـة هؤلاء الاقوام الذين سماهم اللاتين Seres واليونان Σῆρες فاصحاب المعـاجم فسّروها بالصينيين وهو غلط لان اللاتين سموا هؤلاء Sinenses واليونان Σῖναι فلا يمكن ان يكون السيلى والصينيون شيئًا واحدًا. وامّا اهل التواريخ وكتب البلدان فقد قالوا: ان السيلى هي البلاد التي يؤتى منها السرق او الحرير وهي على ما اوضحوه من أقصى بلاد الشرق المعروفة يومئذٍ. فربما كانت احدى ديار بلاد الهند وربما كانت البلاد المعروفة اليوم ببلاد سيام او صيـام او لعلها بلاد هند الصين. والخلاصة انها البلاد التي يوتى منها الحرير. لكنهم لم يعرفوا على التحقيق الى يومنا هذا ما كانت تلك البلاد. ومما تقدّم نرى انها بلاد كورية المشهورة بنفاسة حريرها منذ قديم الزمان

لكن كيف تكون السيلى او السَرَق او السَرَه Σηρ واحدة مع كلمـة كورية

وبينهما فرق عظيم. قلنا: ان كلمة «سره» او «سرا» ماخوذة من اسم احدى ولاياتها الثلاث التي ينتابها الاجانب اكثر من سائر الولايات والتي يكثر فيها احسن انواع الحرير او السرق وهي ولاية «سِنرا» Sinra فسقطت النون كما سقطت من الفاظ كثيرة لانها من حروف الذلاقة وبقي «سرا» فنقلها كل قوم الى لسانهِ ببعض تحريف او تصحيف. كما تقدم الكلام عنها. والاصل واحد

ولا عجب من ان الاقدمين سمّوا كورية باسم «سرا» او «سلي» او «سره» او ما تصحّف من هذه الالفاظ (١ فان كورية نفسها ماخوذة من كلمة «كوراي» وهي اسم ثاني الولايات الثلاث التي تُقسم اليها تلك البلاد. واسم الثالثة «ايبكتساي» او «فاكساي» او «فاقزاي» او «فاخزاي». فاشتق منها العرب ايضاً «كلمة» قزّ وخزّ والترك كلمة «إيبك او إيبك»

واماً العبرانيون فانهم سمّوا الحرير «מֶשִׁי» مقطوعة من «ابريشمي» او «ابريسم» او «برشيم» او من «أبيشم» او «ابيشمي» لنوع من الحرير وهو مما تساقط منهُ

ومما نستلفت الانظار اليهِ ان الكلمة السريانية ܣܪܝܩܐ ܣܝܪܝܩܐ ܫܪܝܩܐ (٢ هي نفس كلمة Σήρ باختلاف في الكتابة وذلك دلالةً على عجمتها في لغة الارميين

---

١) يتحصّل من هذه المقالة ان لفظة السيلي تختلف حسب الرواية حتى تبلغ احدى وعشرين لغة وهي. السيلي والسلي. والسيلا والسلا. والسيرا والسرا والسيراء. والشيلي والشلي. والشيلا والشلا. والشيرا والشرا. والشيله والسيلة والشيرة والشرة. والسيره والسره. والدرق. والصرق. ما عدا اللغات الاجنبية التي نضرب عنها صفحاً

٢) للعرب كلمة تقابل هذه الالفاظ الارمية وهي السيراء وقد اختلف العلماء في وزنها ومعناها وصيغتها واحسن من فصّل ذلك صاحب التاج قال: السِيَراء كالعِنَباء وبسكن (اي يقال السِيْراء): نوع من البرود. وقيل: هو ثوب مسيّر فيهِ خطوط. تُعمل من القزّ كالسيور. وقال الجوهري هو بُرد فيهِ خطوط صفر. قال النابغة:

صفراء كالسيراء اكمل خلقها كالغصن في غلوائهِ المتأوّدِ

او يخالطهُ حرير. وقيل هي من ثياب اليمن. قلتُ: وهو المشهور الان بالمضفّ (هذا كلهُ كلام التاج) وفي كلامهِ عن الصُنَيْبة يقول ايضاً: ... او ثوب يمنيّ يعرف بالمضفّ اليوم يرتدى بهِ. فاي القولين هو الاصح الاسدّ لان المؤلف سمى كل ثوب ياتي من اليمن بالمضف ولذا اطلق عليهِ كلًّا من اسمي السيراء والصنيبة مع ان الفرق بين هذين الثوبين ظاهر فان الصنيبة تلبس فوق

ولم يقابلها احد من اصحاب المعاجم بالكلمة اللاتينيَّة او اليونانيَّة كما يفعلون ولعلهم استبعدوا موردها من Σηρ وليس الامر كما توهموه

ومما نستوقف لهُ أطيار الانظار والافكار اسم دودة الحرير في الارمية ܙܘܚܨܠ (صربوقا) فهي عندنا منحوتة من صرق « سرق » (بمعنى الحرير كما نقلناهُ عن اللسان) و ܚܨܠ وهي الدودة والسوسة والبعوضة . فيكون محصل معناها « دودة الحرير » ولما دودة الحرير باللغة الارمنية فاسمها *Եpuմ* (١ (شيرام) فهي لفظة « شيرا » الارمية بزيادة ميم في الاخر كأنها بمنزلة التمييم في سابق اللغات الساميَّة (راجع مقالتنا في اصل التنوين عند العرب وغيرهم)

هذا ما اردنا تبيانهُ في هذا الباب ولا يخفى ما يترتب على معرفة هذه الكلم على اختلاف لغاتها في الالسنة المشهورة من الامور الجغرافية والتاريخيَّة واللغوية فضلًا عن معرفة منزلة هذه الاقوام وفضلهم في سابق العصور الخالية ثم في القرون التاليـة الى هذه السنوات الحالية . ولله الحمد اولًا وآخرًا

(المشرق) روينا هذه المقالة لحضرة مكاتبنا البغداديّ الفاضل بحرفها ولا غرو أنَّ العلماء يميرونها بالّا . لاسيَّما ان حضرتهُ ليس بأوّل من ذهب الى هذا المذهب فانَّ العلّامة المستشرق الهولندي دي خوي (de Goeje) ارتأى هذا الرأي قبل ٢٧ سنة في كتابهِ من آراء قدماء العرب في جزائر اليابان (Arabische Berichten over Japon. *Amsterdam*, *Müller*, 1880, p. 3,4) وتبعهُ في رأيهِ العلامة رينو في ترجمتهِ الافرنسية لتقويم البلدان (٣ : ١٢٤) لكنَّ الامر حتى الآن لم يقرّرهُ العلماء . وفي حجج حضرة الاب انستاس ما هو حدس وتخمين فقط

الثياب من قبيل الرداء بخلاف السيراء فانها من قبل الثياب التي تكون تحت الرداء وفوق الشعار واهل العراق يسمون اليوم السيراء بالاغبَاني) . وفي الحديث : اهدى اليهِ اكيدر دومةَ حلَّةً سيراء . قال ابن الاثير : هو نوع من البرود يخالطهُ حرير كالسيراء وهو فعلاء من السير : القدّ . قال : هكذا روي على هذه الصفة . قال : وقال بعض المتاخرين : انما هو على الاضافة . واحتجّ بان سيبويه قال : لم يأتِ فعلاء صفة لكن اسماً : وشرح السيراء : الحرير الصافي . ومعنـاه حلة حرير . وفي الحديث : اعطى عليًّا بردا سيراء وقال : اجعلهُ خُمُرًا . وفي حديث عمر : رأى حلة سيراء تُباع »

اما الان فبعد النظر في اصل اللفظة اتضح لنا انها من اصل اريّ معرب وان اصل هذا الاري من السره او السلى او من غيرهمـا مما تصحف من اللفظ الذي ذكرناه والذي ينبع اصلهُ من بلاد كورية

١) شيرام بمعنى دودة الحرير لفظة ارمنية ومنها لغة ثانية وهي شيراس بسين في الآخر

لاسيَّما ان الجغرافيين الأثبات يحملون مدينة « سره » التي تكلم عنها بطليموس الجغرافي (Sera metropolis) والتي منها يشتقّ اسم الصينيين واسم الحرير عند القدماء قريبة من مدينة سنغانفو (Si-ngan-fou) الحالية وموقع هذه المدينة في الصين وليست في كورية . والله اعلم

وصف اثار كوم الشقافة

بقلم حضرة الخوري لويس ملحة المارونيّ

في احدى ضواحي الاسكندريَّة الكائنة في الجهة الغربية منها والمسماة بكوم الشقافة أكمة وأنقاض اكتُشف فيها منذ بضع سنوات بطريق الاتفاق سراديب في قلب الارض وجدوا في داخلها قبورًا عديدة وحُجَرًا كثيرة منقورة بالصخر نقرًا محكمًا وقد تسنَّى لنا ان نزور هذه العاديات مرارًا فتمكنَّا في اثنائها من مشاهدة ما فيها من النواويس والحُجَر والكتابات والنقوش والرسوم والتماثيل . ومن ثم رأينا ان نصف في هذه المجالة لقراء المشرق الاغرّ هذه القبور وصفًا اجماليًا غير متعرضين الان للخوض في عباب البحث عن زمن تاريخها وآراء الاثريين فيها الّا فيما يجيء عرضًا في خلال الكلام وهو قليل

ان هذه السراديب هي عبارة عن طبقات ثلاث يركب بعضُها فوق البعض وقد انارتها البلديَّة من الداخل بمصابيح كهربائيَّة ما عدا الاخير منها فان المياه قد تسرَّبت اليها منذ زمن بعيد بسبب انخساف حدث هناك للارض تدريجًا كما يذهب اليهِ علماء الآثار وقد انحدرنا الى هذه السراديب على سُلَّم لولبيّ الشكل لا يقلُّ عدد درجاته عن المئة فوصلنا اولًا الى الطبقة الاولى واذا نحن بحجرةٍ مدوَّرة الشكل وفي وسطها بئر يعلوها صخر نُقر على شكل قبة وعلى جانب هذه الحجرة الشمالي ترى قاعة فسيحة الارجاء كان يجتمع فيها على ما قيل اهل الميت لحضور وليمة سنوية كانوا يصنعونها يوم تذكار الاموات عندهم وهي لا تزال على هيئتها الاصليَّة . وفي داخلها ثلاثة مراقد من حجر واربع ركائز منقورة في جدران هذه القاعة واليها يستند سقفها وقد شاهدنا هناك كميَّة وافرة من شظايا العظام البشريَّه والحيوانيَّة كالجماجم والفكوك والكعوب والاكارع مع عدَّة آنية من الخزف والآجرّ مثل قوارير وجرار مختلفة الشكل

ثمَّ خرجنا من هذه القاعة وانحدرنا على درج يؤدي الى الطبقة الثانية فوصلنا الى حجرة ذات شكل مربع كانت معدَّة للصلاة على الاموات ولهذه الحجرة واجهة مشيدة على عمودين من الطرز المصري القديم يعلوهما نقوش ناتئة بديعة الصنع تستلفت اليها الانظار ثمَّ تقدَّمنا الى الامام واذا بكُوَّتين منقورتين بالجدار الواحدة تجاه الاخرى والصناعة فيهما تقرب من صناعة ابواب قدماء المصريين وفي كل منهما تمثال من الحجر الكلسي احدهما تمثال امرأة والآخر تمثال رجل . امَّا سحنة هذين التمثالين فلا تدلّ انهما مصريان مع انهمـا قد اصطُنعا على اسلوب الصناعة المصرية كما يظهر من النظر اليهما بدقة وإمعان . وبعد ان أعملنا النظر في هذه الآثار الجليلة ولجنا الحجرة واول ما وقع بصرنا على جانبي الباب اللذين على كل منهما رسم ثعبان ناتئ قد التوى على نفسهِ وهذه الحجرة المشار اليها تتضمَّن ثلاثة اضرحة تتشابه شكلًا وصناعة انما تختلف نوعاً عن بعضها فيما يتعلق بزينتهـا وبالتصاوير التي تعلوها فالضريح الموجود بالوسط منقوش عليــهِ من الخارج رسم ازهار ونقوش بارزة على شكل اكلَّة متدلية وفي وسطها صورة امرأة راقدة يظن انها المرأة التي أُعدَّ لها هذا الضريح لتُدفن فيهِ

اما النقوش التي على المدفنين المذكورين آنفاً فهي مؤلفة من عناقيد عنب تنتهي بشرائط محبوكة وفي وسط هذه النقوش ترى رأس فدَّان معلقاً بحلقة اما اغطيــة هذه الاضرحة الثلاثة فهي مزدانة باطار على دائرها وفيها من الدقَّة في الصناعة ما يحمل على العجب والاستغراب بحيث ان النحَّات الذي نحت هذه الاضرحة قد عمد الى وسيلة حسنة تقي اغطيتها من التفتت والتكسُّر فيما لو اضطرَّ الى رفعها لفتح الضريح وهي انه نقر ابواباً في الرواق الذي يكتنف الحجرة التي نحن آخذون بوصفها ثمَّ افرغ داخل هذه الابواب وبذلك استغنى عن ادخال الجثة الى الحجرة غير انهُ بقوا يدخلون بها اليها حيث يضعونها برهة من الزمن قصد الصلوات الاخيرة عليها ثمَّ يودعونها ألحادهـا من الابواب التي سبق وصفها

اما النقوش التي تعلو تلك الاضرحة فهي غاية في الجمال فنقوش اللحــد الذي في الوسط تمثل الاله اوزيريس متعصباً بالعصابة الملوكيَّة ومنبسطاً على سرير الموت وترى تحت السرير ثلاثة آنية لافراغ احشاء الميت فيها ووراء السرير ترى الاله انوبيس(Anubis) اله التحنيط واقفاً وفي يده الشمال جام مجنَّح بجيَّتين ولهذا الجام عروة تشبه الحلقة وعند

راس السرير ترى الاله توت (Tut) اله الكتابة والعلم ممثلًا بصورة انسان الّا رأسهُ فهو بصورة راس الباشق وهو يمسك بيده اليمنى كوبًا وفي اليسرى مخصرة ويقدم للميت المضَّجع على السرير علامة شبه الصليب ترمز الى الحياة العتيدة وترى تجاه اقدام الميت هوروس (Horus) الـه الشمس منتصبًا بصورة راس باشق ماسكًا بيديه مخصرة واناء وترى ايضًا عن يمين الميت كاهنًا متشحًا بجلد فهد فوق ثوب طويل يقدّم جامًا وذرًا من نبات السدر الى الالهة ايزيس المزينة الراس بجمّة مستعـارة من الشعر والى شمال الميت يرى كاهن يقرأ امامه صلوات في درج

امّا النقوش التي تعلو الضريح الكائن في جانب الحجرة اليمنى فهي تمثل رجلًا على راسهِ تاج بشكل خوذة وهو محلى الجيد بعقد ومتدثر بثوب يصل الى ما فوق ركبتيهِ فقط وفي يده اناء يقدم فيـهِ تقدمة للاله ابيس القائم امامه على قاعدة تشبه قاعدة الاسطوانة وترى على صدر هذا الاله رسم هلال بارز ووراءهُ واقفة الالهة ايزيس وفي يدها اليمنى الريشة التي ترمز الى الحقيقة عند المصريين القدماء وهي باسطة اجنحتها دلالة على الحماية . وفي الجهـة الداخلية اليمنى ترى صورتين الواحدة منهما تمثل راس حيوان يشبه كلبًا يعلو راسهُ قرص على شكل هالة والثانية تمثل الهًا بصورة راس انسان على راسه قرص في دائرة مشعَّة . وفي الجهة الداخلية الشمالية ترى شخصًا يُظن انهُ احد الفراعنة يقدم تقاديم للميت . امـا النقوش التي فوق الضريح الثالث فهي كالتي تقدَّم وصفها وعليهِ لا حاجة الى تكراره هنا

وعلى الجهة اليمنى من مدخل الحجرة ترى الاله انوبيس بصورة جندي رومـاني يمسك بيده اليمنى مجنًا وباليسرى حسامًا . وترى في الجهة الشمالية تمثال الاله تيفون نصفهُ السفلي بصورة تنّين وهو متشح ايضًا بلباس جندي روماني

ثم تركنا هذه الحجرة الجميلة ومررنا ثانية بالرواق الكائن امامها وما لبثنـا ان ولجنا السرداب الذي يطوّق الحجرة كما قدمنا . وكان ولوجنا هـذا السرداب من الجهة اليسرى وبعد ان اجتزنا فيهِ بعض خطوات شاهدنا على الجدار مدافن كثـيرة لم يزل القسم الكبير منها مسدودًا بحجارة وعلى اغطية هذه المدافن كتابات يونانية عريقـة في القدم تدلّ على اسم الميت وعمرهِ واكثر هذه المدافن تحتوي ضمنها من ثلاث الى اربع جثث . وفي جدار هذا السرداب طاقات صغيرة تحتوي قوارير من خزف ما زالت باقية

في امكنتها الى اليوم وهي تضمّ رفات الذين آثروا احراق جثثهم على ايداعها اللحد

ثمَّ تركنا هذا السرداب وسرنا الى حُجَر مدفنية تؤدي الى حجَر تشبه الحجرة التي مرَّ بك وصفها الّا انها عارية عن كل نقش وزخرفة

ثمَّ صعدنا على الدرج الكبير واذا نحن ببئرٍ كائنة على جانب الدرج قد استخرج منها الفعلة اثناء الاشتغال في تفريغ مياهها ثلاثة رؤوس من الرخام الناصع البياض وهي معروضة اليوم في المتحف الاسكندري. ثم ولجنا بعد ذلك مسلكاً ضيقاً كلهُ مدافن ادّى بنا الى حجرة صغيرة تتضمَّن قبوراً مسدودة عليها بقايا رسوم لا تخلو مشاهدتها من الافادة ومنها دخلنا قاعة كبيرة فيها عدّة مدافن منقورة بنفس جدرانها وهذه القاعة تُعرف بقاعة كاراكلّا وسبب اطلاق هذا الاسم عليها هو لانهم وجدوا فيها تلك الجماجم والعظام البشريّة والحيوانية التي مرَّ بك ذكرها. وقد عزى بعضهم وجود هذه العظام هناك الى المذبحة الشهيرة التي أحدثها كاراكلا احد ملوك الرومان الذي ملك من سنة ٢١١ الى ٢١٧ بعد المسيح وكان هذا الملك سفّاحاً سافكاً للدماء كما يُعلَم من مطاوي تاريخ حياتهِ وعلّلوا ذلك بقولهم انه لما بلغ الاسكندريين ما سيحدثه كاراكلا هذا فرّ فريق منهم هارباً الى تلك السراديب التي نحن بصددها حيث اختبأوا فيها مع خيلهم الّا ان جنود كاراكلا قد ادركوهم هناك واذاقوهم الموت الزؤام برمي الحجارة

هذا ولا تزال مصلحة الآثار تهتمّ باخراج المياه الباقية في الطبقة الثالثة كما اسلفنا في مقدمة هذه المقالة ولنا الامل ان هذا المسعى الجليل يصادف نجاحاً فيغنم بذلك محبو الآثار فوائد جمة وسنوافي قرّاء المشرق الاغرّ عما يجدّ في تلك السراديب من الاكتشافات الهامّة في مقالة خصوصية ان شاء الله

القديس توما وخلاصته اللاهوتيّة

بقلم حضرة القس جرجس منش الماروني الحلبي

هو القديس توما الاكويني نابغة القرن الثالث عشر في الفلسفة واللاهوت لخذ دروسهُ عن البرتوس الكبير فلقبهُ بعض رفاقهِ بالثور الصامت لشدة صمتهِ وعبالتهِ فخالفهُ

استاذهُ فيهِ بقولهِ: ان هذا الثور اذا عاش فسيدوي خوارهُ في المسكونة كلها. فحقّق القديس تكهّن استاذهِ فمهر وفاق وسار صيتهُ في الآفاق فعُرف بصخرة الكنيسة لا يزعزعها تيار الكفر الجارف ولا تقلقلها عواصف الاهواء الزائغة. وعمود عقائد الكنيسة الذي اعتمدت عليهِ آمنة مطمئنة بعد ان ظنَّها الجهلة قائمة على شفير التلاشي. ومجنّ الدين الكاثوليكي يناضل عنهُ نضالًا دونهُ نضال المستميت المتهالك ففلّ شباة خصومهِ العديدين. ومطرقة المبتدعين التي اندقّت بها رؤوس المبتدعة والملاحدة الشامخة فارتدوا خائبين خاسرين يحرقون الأُرَّم غيظًا وحنقًا. والاستاذ الملكي الذي شرب زلال المعارف من معين اللاهوت حتى ارتوى عقلهُ منهُ فحلّق في سماء الطبيعة البشرية. وشمس المدارس بعد ان اشرقت انوار حكمتهِ في اخريات ليالي القرون الوسطى فمزقت غياهب الجهالة والضلالة عن سماء المغرب والعلّامة بين القديسين بعلومهِ الالهية والبشرية التي بزَّ بها اهلَ عصره فرأتهُ الكنيسة في مقدمة لفيف الاباء والعلماء المشاهير والقديسين. الجليل بين العلماء وحسبهُ ما قالهُ البابا يوحنا الثاني والعشرون في اثناء تقديسهِ: لا حاجة لهُ الى العجائب لكي يُعدّ في جملة القديسين من حيث انهُ اجترح من المعجزات بمقدار ما فكك من معضلات المسائل. الى غيرهِ من الاوصاف التي قرظهُ بها الاباء القديسون والعلماء الكاثوليكيون فرواهُ الرواة والمؤرخون الاثبات. ومن العجيب بعد هذا كلهِ ان يضرب صاحب دائرة المعارف عن ترجمتهِ الى ترجمة سميهِ توما الكمبيسي وبين الاثنين من الشهرة والمعرفة العلمية ما لا يجهلهُ احد

وما انا ممن يسرد اعمالهُ وفضائلهُ انما رويت ما ذكرتهُ وما ساذكره على سبيل الاستطراد مقدمة بين يدي ما يأتي من انتشار تعاليمهِ في الغرب والشرق وتعريب خلاصتهِ اللاهوتيَّة الشهيرة فمن شاء مطالعة ترجمتهِ فعليهِ بروح الاخيار في تراجم الابرار للاب بطرس فرماج اليسوعي فانها كافية وافية بالمرام

١ في الطريقة الفلسفية الجدلية

لستُ بباحث عن ماهية الفلسفة وموضوعها وعلاقاتها بسائر العلوم الرياضيَّة والطبيعيَّة والتاريخية واللاهوتيَّة ولا بذكر اجزاء الفلسفة المعروفة بعلم المنطق وعلم ما وراء الطبيعة وعلم الادب ولا بعدد مذاهب فلاسفة اليهود والهنود والفرس والصينيين والمصريين واليونان والرومان ولا بمستقصٍ ما طرأ على الفلسفة من الاطوار متقلبة

بين الزهو تارةً والذبول اخرى فان كل هذا لا يسعهُ صدر مثل هذه المقالة الموجزة وقد وفاهُ حقَّهُ مورخو الفلسفة فليراجعهُ طلّابهُ في مظانّهِ ان شاؤوا

انما اقتصر على ما يقتضيهِ البحث ويندمج في مساق الكلام وهو الاسلوب المدرسي المعروف بالطريقة الفلسفية الجدلية التي خلفتْ الطريقة الاخرى الوضعيَّة . وهذا الاسلوب ليس هو الّا اخاء الايمان والعقل وائتلاف نظام الفلسفة بنظام اللاهوت معًا ونظامهُ عند الفلاسفة قائم في تجزئة الموادّ العلميَّة المتنوعة وفي ترتيب اجزاء الموضوع وفي تهيئة قضايا كلٍّ من اجزائهِ (اي الموضوع) وفي إعداد المواد بالنظام المنطقي واخيرًا في حدّ وتعريف كلّ الالفاظ والاشياء المفتقرة الى الحد والتعريف واثبات القضايا المرتاب فيها بالقضايا المؤكدة الواضحة التي لا تفتقر الى بينةٍ او برهان (١

اما مشاهير الاسلوب المدرسي فلا يُذكر منهم سوى القديس يوحنا الدمشقي (+ سنة ٧٥٤) والقديس انسلموس (+١١٠٩) وبطرس اللمبردي (+ ١١٦٠) والبرتوس الكبير (+١٢٨٠) والقديس توما الاكويني (+ ١٢٧٤) والقديس بناونتورا التوسكاني (+ ١٢٧٤) ودون يوحنا سكوت (+ ١٣٠٨) وليسوا من الفلاسفة الوضعيين بل هم اساتذة من شأنهم ان يجمعوا الحقائق التي يتوصل العقل البشري الى معرفتها بذاتهِ وينظموها في سلك فلسفي سهل المنال مستندين فيها الى القياس المنطقي الذي هو دعامة الفلسفة الجدلية التي عُرفت عند الخاصة من ذويها بفلسفة القرون الوسطى

واول من جرى على هذا الاسلوب هو القديس يوحنا الدمشقي كبير فلاسفة العصر المتوسط وكتابهُ المعنون (المقالات المائة) هو مختصر في اللاهوت الاعتقادي رتّبهُ على نسق فلسفي جامعًا فيهِ ضروب الفصاحة والبلاغة معًا فدُعي بسببهِ ابا الفلاسفة واللاهوتيين المدرسيين

على ان المجلّي في هذه الحلبة انما هو القديس توما المدعو ملاك المدارس الذي

١) يُقسم علم اللاهوت الى طريقتين الطريقة المعروفة بالوضعية (Théologie positive) وغايتها البحث عن حقائق الايمان في الاسفار المقدسة وتقليد الكنيسة المتواتر . والطريقة المدرسية (Théologie scolastique) وجلُّ مقصودها ان تفسّر المعتقدات الموحى بها باظهار حقيقتها وحدودها واسبابها ومفاعيلها مع العلاقة التي تربط بعضها ببعض و بيان موافقتها للعقل والردّ على حجج مناهضيها ومجمل القول انَّ الطريقة اللاهوتية الوضعية تبحث عن وجود العقائد والمدرسية تسعى في ادراك تلك الحقائق الاعتقاديّة (المشرق)

طرس على آثار القديس اوغسطين العلامة الشهير. قال الاب مارين دي بواليف اليسوعي في كتابهِ الفلسفي: ان توما كان معدن النظام واوغسطين معدن الاختراع ذاك جمع المواد كداود وهذا شاد البناء كسليمان ذاك كان افلاطونياً مسيحياً بحتاً وهذا كان ارسطوطاليسياً كاثوليكياً قحاً ذاك اختصر وهذّب واكمل افلاطون الذي اصلحهُ ارسطو وهذا اختصر اوغسطين وارسطوطاليس مفسّراً ما وضعهُ هذا وشارحاً ما ألّفهُ ذاك وبالنتيجة ان اوغسطين ألّف بين افلاطون وارسطو واماَّ توما فالّف بين الثلاثة جميعاً. وعليهِ قد اصاب المعلم كوزان فيما قالهُ عن توما: انهُ اراد ان يكون إستاذاً فعزَّ نظيره وانفرد بفصاحتهِ فلُقب بشمس المدارس وسما بمضاء اقوالهِ فكُني ببوق الكنيسة واجاد في سمو تعاليمهِ فدُعي الاستاذ الملكي. اجل لا جزالة ولا بهرجة ولا بلاغة لانشائهِ ولكنهُ ذو قوة وايجاز وطلاوة تخلب الالباب. واخطر من هذا ما شهد السيد المخلص بهِ وبخطورة تآليفهِ حيث خاطبهُ وهو جاثٍ ومصلٍ لدى صورة المصلوب بهذه الالفاظ الالهيّة: «يا توما قد كتبت عني حسناً فما تكون مكافأتك». فاجاب الاستاذ القديس: «ما هي الّاك وحدك» فما اعظمها شهادة صادق عليها لا مؤرخو عصرهِ فقط بل البابا اقليميس الثامن ايضاً. وسترى في الفصل الآتي ما اصابت تعاليمهُ من الاعتبار والانتشار

ومن اشهر مؤلفاتهِ «الخلاصة اللاهوتيّة» التي بسط فيها المباحث اللاهوتيـة والفلسفيّة والادبية بطريقة القياس المنطقية فبينا هو يتحد فيها الايمان والعقل ويقرن الى الحكمة البشرية الحكمة الالهية السامية ويؤلف بين مبادي الفلسفة واقوال الاباء القديسين المشاهير تراهُ يميّز بين الايمان والعقل ويحمي ذاك ويرقي هذا الى اسمى درجات الطبيعة البشرية. فخلاصتهُ هذه خلاصة الفلسفة التامة. وقد طبعت في جملة مؤلفاتهِ في رومية سنة ١٥٧٠ وسنة ١٥٧١ وطبعت في باريس سنة ١٦٣٦ وما بعدها وطبعت في البندقية سنة ١٧٤٥ وطبعت في برم من صقلية سنة ١٨٥٧ وما يليها. وقد لخصت هذه الخلاصة وترجمت الى لغات اخرى عدة ترجمات مماَّ لا محلّ لذكره هنا. ونقلت ايضاً الى اللغة العربية مرات مماَّ ستقف عليه في الفصول التابعة من هذه المقالة ان شاء الله

٢ في انتشار التعاليم التوماوية

وعليهِ أعجب الاحبار العظماء بالقديس توما واجلّوا حكمتهُ البالغة وانزلوها منزلتها العالية واطروها غاية الاطراء. فشهد اقليميس السادس ونيقولاوس الخامس وبنادكتوس

الثالث عشر وسواهُ من الاحبار بما اولى تعليمهُ الكنيسة الجامعــة من عجيب الرونق والبهاء . واعترف البابا بيوس الخامس بان تعليمهُ يخزي البدع ويفنِّدها ويبيدهـا ويقي العالم المعمور باسره من الغوايات الوبائية . وقال ايضاً البابا اقليميس الثـاني عشر : ان الكنيسة قد جنتْ من مصنفاتهِ ثمارًا كثيرةً فهو خليق بما تؤدّيه الكنيسة من الاجلال لكبار أيمتها من مثل غريغوريوس وامبروسيوس واغسطينوس وايرونيموس

بل تنافس بهِ آباء المجامع المسكونية حتى كأنهم رأوه في مجـامع ليون وويئة وفلورنسا في مقدَّمة لفيف الآباء فيما يتداولونهُ ويبرمونهُ من الاحكام مفنِّدًا بعزيمتهِ الناهضة اضاليل المشاقين والمبتدعين والبرهانيين الجاحدين . قال الطيّب الاثر البابا لاون الثالث عشر : على ان اعظم ما حُفَّ بهِ من الاجلال وخُصَّ بهِ دون غيره من مشاهير الكاثوليك قد اتاه من آباء المجمع الواتيكاني لمَّا اقاموا على المذبح في بهرة المجمع المقدَّس كتاب القديس تومـا الاكويني المعروف بخلاصة اللاهوت مفتوحاً الى جانب الصحف المقدَّسة والخطوط الحبرية يرتشفون من منهلـهِ زلال الاراء السديدة والنصوص والاسانيد الكريمة

وقد رأى احبار رومية العظمى ان يكون القديس توما بمنزلة دستور واستاذ تتفقهُ بحكمتهِ المنتديات العلمية والمدارس الكبرى آمنةً من مزالق الزلل وبوادر الخلل قال البابا اوربانس الخامس في اثناء كلامهِ الذي وجههُ الى منتدى طولوز العلمي ما تعريبهُ : « اننا نريد بكم ونأمركم بمقتضى رسالتنا هذه ان تتبعوا الطوباوي توما لكونهِ صادقاً وكاثوليكياً بحتاً وان تكبُّوا بكل عزمكم على بسطهِ » . وحذا حذوهُ اينوكنت الثاني عشر في امرهِ المنفذ الى مدرسة لوفان الكلية . وجرى على منهاجهِ بنـادكتوس الرابع عشر في امره الذي صيرهُ الى المدرسة الديونسيانيّة القريبة من غرناطة . وقال اينوكنت السادس وقولهُ فصل الخطاب في اتباع التعاليم التوماويّة وهذا حرفهُ : « ان لتعليم القديس توما مزيةً على سائر التعاليم ما خلا الاسفار المنزلة باحكام كلامهِ وضبط تعابيرهِ وصحة قضاياهُ فمن يتمسَّك بهِ يأمن الشرود عن الصراط القويم وما ناقضهُ احد في وقت ما الّا سقط في شبهة الضلال . وأحرِ بهذا القول السامي ان يُكتب بالتبر لا بالحبر على وجه الدهر بياناً لقدر الحكمة التوماوية الباهرة

فاصاخ المغرب الى صوت هداة الكنيسة ومناور حكمتها في مجامعها العامّة واقبل

اهلهُ على ان يتصفحوا تصانيف هذا النابغة الخالد الذكر باجتهاد ليس وراءهُ زيادة لمستزيد بل ان يكبُّوا على دراسة حكمتهِ البالغة وتحصيل تعاليمهِ الرائعة برغبةٍ ليس بعدها مطلع لناظر من مثل سوارس اليسوعي الفيلسوف واللاهوتي الشهير وبسويت الخطيب والفيلسوف الخطير وسواهما من مشاهير الفلاسفة والأئمة اللاهوتيين في الاعصر الغابرة

واوعز واضعو الطرائق الرهبانية الى مقتفي خطتهم ومنتهجي طريقتهم بدراسة المعارف التوماوية وحذروا على ايٍّ منهم الحيد او الزيغ عن جادّتها المثلى ولو قيد خطوة من مثل الرهبان الدومينيكيين والرهبان البناديكتيين والرهبان الكرمليين والرهبان الاوغسطينيين والرهبان اليسوعيين الافاضل وسواهم على ما شهدت بهِ كتب قوانينهم وطرائقهم

وكنت ترى اذ ذاك معاهد الادب ومنتديات العلم التي عمرت بالغرب منتشرة في باريس وسلامنك ودواي وطولوز وبادوا وبولونيا ونابولي وكوميرا والقلعة (Alcala) الى اخرى غيرها كثيرة كانت حجة الفلسفة في معضل القضايا بلا معارض وعرى غرض المستفيدين في عويص المشاكل اللاهوتية بلا منازع. وقد كان القديس توما استاذ هذه المعاهد الخطيرة التي دُعيت بكل صواب معاهد الحكمة البشريَّة وكان اساتذتها وطلبتها اجمعون يرتاحون الى تعاليمهِ السامية دون سواهُ ويجمعون على الوقوف عنده والتعويل عليهِ وكفى بهذا دليلًا واضحًا على انتشار الحكمة التوماوية في المغرب بما لم يسبق اليهِ سابق في احد العصور الدارجة (انظر خط البابا لاون الثالث عشر الصادر في ٤ آب سنة ١٨٧٩)

واما في المشرق فلم تُنشر التعاليم التوماوية بين شعوبهِ الَّا بعد ارتداد الطوائف المنفصلة الى الوحدة الكاثوليكية فاقبلوا على ارتشاف زلال حكمتها الصافية بعد ان ادركوا خطورتها. واول من اعرفهُ منهم انما هو طيموتاوس اسحق مطران آمد (١ السرياني الكاثوليكي الذي استشهد بالقديس توما ونشر آراهُ بين الشرقيين وتحرّاهُ

---

١) هو اسحاق ابن جبير الذي روى ترجمتهُ حضرة الخوري اسحاق ارملة في العدد السابق من المشرق (ص ٢٨٦)

في طريقتِهِ المدرسية الجدليَّة في كتابِهِ المعلَم: مدرك النجـاة ومحجة الفوز بالحياة (١ انظر منهُ الفصل الـ ١ من الاصحاح الـ ١ في القول عن الاتحاد الاقنومي وامكانهِ

وبعد ان تلقَّى تلاميذ باقي الشرقيين معارفهم في المدارس الرومانية واول من اعرفهُ منهم العلامة اسطفان الدويهي الذي اكثر من سابقهِ في الاستناد الى مار توما في كتابهِ الخطير المسمى بمنارة الاقداس في تفسير القداس . والثـاني الفيلسوف الخوري بطرس التولوي الذي جرى على اثار القديس توما وفاق كل متقدّميه في الاكثـار من الاراء التوماوية في كتابِهِ المعروف باللاهوت النظري في اجزائهِ الخمسة . وأقف عنـد هؤلاء العلماء المشاهير خوف ملل القراء الكرام

٣ في تعريب الخلاصة اللاهوتية

على ان هذا السند وتلك الشهادة ليسا هما الَّا ثمدًا من قطر ووشلًا من بحرٍ لا ينقع امج طلّاب المبادئ الفلسفية والاصول اللاهوتية الجدلية في ذلك العهـد الذي كان الاباء والعلماء احوج فيهِ الى مدافعة مناهضي الدين الكاثوليكي في ارتدادات الطوائف الشرقيَّة المعروفة فشمّر اهل المعرفة عن ساعد الجد الى اخراج تلك اللآلئ التومـاوية من اصداف العجمة وابرازها مجلوَّةً على روَّامها تتهادى في حلَّتها العربية الانيقة . وهانذا اذكر من عرفتـهُ من هؤلاء النقَلة الافاضل الواحد تلو الآخر ببعض تقديم وتأخير اقتضاهُ المقام

١) لا بد من ادراج فصول الكتاب للتعريف بهِ وهي: الاصحاح الاول في الاتحـاد الاقنومي وامكانهِ . والاصحاح الثاني في خاصة الاتحاد الاقنومي . والاصحاح الثالث في قوام التجسد . والاصحاح الرابع في بيان كيفية صيرورة التجسد . والاصحاح الخامس في كيفية صيرورة التجسـد من طرف الطبيعة المأخوذة . الاصحاح السادس ان الكلمة اخذ الطبيعة الانسانية بكل اجزائها الذاتية حقيقيًا . الاصحاح السابع في كيفية اقتران التجسـد ونسبتهِ الى حد غايتهِ . وكل اصحـاح منفصّل الى فصول وكل فصل مجزَّأ الى مقاصد . والمؤلف يفند فيها النسطورية واليعقوبية والمونثلية والاريوسية والمرقيونية وسواها من اضاليل المشرق . وممن يستشهد جم من اللاتين ما خلا القديس اوغسطين القديس توما والمعلم سكوتو . فالظاهر ان المؤلف اخذ شهاداتهم اما بنفسهِ او بواسطة احد رهبان الفرنجـة الفرنسيين او الكبوشيين او اليسوعيين . وجزء كبير من هذا الكتاب مورد بادلتهِ وشهـادتهِ في كتاب المرآة الوضية او الجلية ليوسف الثاني بطريرك الكلدان وعلى كل يصحُّ قول السمعاني ان الاسناد والشهادات غير مدققة انظر وصف المرآة في مكتبتهِ الشرقية (٣: ٦٠٥)

والنسخة التي بيدي من مخطوطات القرن السابع عشر امتلكها فتح الله بن سفر اشتا السرياني في ٢٥ ايلول سنة ١٧٢١ وخطها ليس بجلي واضح

فمنهم الحصروني وهو الاسقف يوحنا بن حاتم بن شمعون بن فهد الحوشبي الحصروني الماروني اخذ دروسهُ عن مدرسة رومية المارونية وفي سنة ١٦٠٣ رقاه البطريرك يوسف الرزي الى الاسقفيَّة وبعث بهِ الى رومية في حاجات الطائفة فنهض بعبء بعثتهِ بما عهد بهِ من النشاط . وفي سنة ١٦٠٦ انتهى الى حلب قضاء لبعض المهام فحمل الطائفة فيها على متابعة الحساب الغريغوري دون مبالاة بخصمائهِ الذين بذلوا اقصى الجهد في مناهضتهِ فاخفقوا سعياً . وعاد الى رومية فادركتهُ الوفاة فيها سنة ١٦٣٢ ومن آثارهِ الادبيَّة ترجمتهُ للجزء الاول من الخلاصة اللاهوتيَّة ولا ادري ما جرى بها وما هي قيمتها العلمية (انظر ص ١٨٥ و٢٠٣ و٤٥٠ من تاريخ الدويهي)

ومنهم التولوي وهو الخوري بطرس بن بطرس بن اسحق زيتون التولوي والحلبي الماروني ولد بتولا من عمل البترون وتلقى دروسهُ بالمدرسة السابق ذكرها وفي سنة ١٦٨٢ اعلاهُ العلامة البطريرك اسطفان الدويهي الشهير الى درجة الكهنوت وعهد اليهِ مناظرة ارزاق الكرسي البطريركي الى ان ارسلهُ الى خدمة موارنة حلب فاظهر من الهمة في الخدمة في سبيل الله والقريب ما يخلد لهُ الاحدوثة الطيبة الى ما شاء الله ولقي ربهُ فيها سنة ١٧٤٦ . اقرأ ترجمتهُ في المشرق (٦ : ٧٦٩—٧٧٧) ومن تركتهِ العلمية على ما شافهني بهِ حضرة صديقي الفاضل الخوري ق . . . . تعريب الخلاصة اللاهوتية قال انهُ رأى هذا في نسخة مكتبة حلب المارونية الاتي ذكرها التي كانت باقية عند جناب الاديب موسى افندي صفير صاحب مكتبة المعارف فأطربني هذا الخبر الذي جهلتهُ في جدول تآليف التولوي (المشرق ٦ : ٧٧٥) واقبلت في رحلتي الاخيرة الى بيروت على طلب هذه النسخة لاعادتها الى المكتبة المذكورة ولكن ما اشدَّ ما كانت خيبتي عند مراجعتها حيث رايتها من تعريب اسحق بن جبير الاتي ذكرهُ والظاهر ان صديقي شبّه عليهِ اسحق هذا بجد التولوي فظنَّهُ اياهُ وشتَّان بين الاثنين

ومنهم الموصلي وهو المفريان اسحق بن عبد الحي بن جبير الموصلي السرياني(١ ولد بالموصل في الربع الثاني من القرن السابع عشر وتلقى دروسهُ الابتدائيَّة بها واتمَّها برومية فغدا ماهراً في السريانيَّة واللاتينيَّة عارفاً بالعربيَّة واعتنق الكثلكة في جملة من اعتنقها اذ ذاك فجعلهُ البطريرك اغناطيوس بطرس غريغوريوس الكاثوليكي مفرياناً على الشرق

١) اطلب ترجمتهُ في العدد السابق (٢٨٦—٢٩١)

بعد ارتقائه الى البطريركية في سنة ١٦٧٨ فجعل اسحق مقرَّهُ في آمد (دياربكر) يتحمل مناصبة اعدائهِ اليعاقبة لهُ حتى اضطرُّوه الى الرحيل فارتحل عنها الى حلب الشهباء. وعمرها مدة الى ان استطاع الهرب الى رومية في رفقة يشوع عبد الاحد مطران اورشليم ويوسف سفر مطران ماردين وبعد وفاة بطريركهِ السابق الذكر اختارهُ الكاثوليك بطريركًا في خبر ليس هنا محلُّهُ (١ وهو اذ ذاك في الاستانة ولا باس ان ابتسر الخبر فاقول انهُ آثر العزلة على البطريركيــة وقفل عائدًا الى رومية في سنة ١٧٠٦ وقطنها اعوامًا متطاولة الى ان استاثرت بهِ رحمة الله في سنة ١٧٢١. ومن آثاره الادبية (٢ ترجمتهُ الخلاصة اللاهوتيَّة (٣ في اربعة مجلدات ضخمة. المجلد الاول في ٦٨١ صفحــة كبيرة ويحتوي على القسم الاول من الاصل اللاتيني وينتهي بالبحث المائة والتاسع عشر: في انتشار الانسان بالنظر الى الجسد. والمجلد الثاني في ٥١٦ص وينطوي على الجزء الاول من القسم الثاني ويختتم بالبحث المائة والرابع عشر: في ان الاستحقاق معلول النعمــة الفاعلة. والمجلد الثالث في ٨٧٥ ص ومداره على الجزء الثاني من القسم الثــاني وتواليهِ البحث المائة والتاسع والثمانون: في الدخول الى الرهبنــة. والمجلد الرابع في ٤٠٩ ص ومضمونهُ القسم الثالث ومصانره البحث التسعون: في اقسام التوبة اجمالًا. وهــذه النسخة الكاملة (٤ من خط واحد وقطع واحد خطها كاتبها يعقوب الارمني الآتي ذكرهُ

١) ذكر خبر ارتقائه الى البطريركية في جملة اخبارهِ سيادة الحبر المفضال افرام نقاشة في تاريخهِ للسريان مجلد ٢

٢) اثنى عليهِ العلامة السمعاني وعدَّد تآليفهُ في مقالة المنوفسيتيين ص ١٧٠ وفي المكتبــة الشرقية (٢ : ١٠)

٣) من آثارهِ غير المعروفة ترجمتهُ عن اللغة اللاتينية (فلسفة ارسطو جميعها) لشارحها (بطرس باربي الباريسي المشهور بين مدرسين (كذا) باريس) ومنها نسخة في مكتبة حلب المارونيــة تحت عدد ١٩٩ وهي نسخة حسنة تقع في ٦٩٨ ص وكل صفحة ٣٧ سطرًا خطَّهــا الشماس يعقوب السابق الذكر. وقد جاء في اخرها ما حكايتهُ: «هذا كتاب الفلسفة قد اخرجهُ الحقير بروٴســاء الكهنة المفريان اسحق من اللغة اللاتينيَّة الى اللغة العربية برومية الكبرى حماهــا الله في ايام الحبر الاعظم اقليمنطوس ١١ (١٧٠٠–١٧٢١) صانهُ الله اياماً مديدة امين يا معين» ويليه بخط فرحات: «قد اقتنى هذا الكتاب واوقفه على كنيسة مار الياس الحقير في روٴساء الكهنة جرمانوس اسقف حلب بثمن ٦٣ اسديًّا» وذلك سنة ١٧٢٦. وأقف عند هذا الوصف الى غير هذا الموضع

٤) في مكاتب حلب مجلدات متفرقة من هذه الترجمة ففي مكتبة الروم الكاثوليك نسخة من

بحبر اسود واحمر وجمل رؤوس الفصول والابحاث بحبر احمر وازرق واصفر وكل مجلد منها مبدوءٌ بعد البسملة بما حرفهُ: « نبتدي بعون الله تعالى وحسن توفيقه العظيم. المختصر في الالهيات لمار توما الاكويني المعلم الملائكي». وفي ظاهر هذه الصفحة ما خلاصتهُ: « ان جرمانوس فرحات قد اوقف هذا الكتاب وقفًا مؤبدًا على كنيسة مار الياس في مدينة حلب باعتناء يوسف بن اغوسطين الهندي وفرنسيس بن حنا حصرم في سنة ١٧٢٦ » ويليها بخط جرمانوس نفسهِ ما حكايتهُ: «هذه هي النسخة الاولى (١ المترجمة من اللغة اللاتينية الى اللغة العربية في مدينة رومية وعليها المعوَّل لانها كليَّة الصحة». وفي آخر كل مجلد يستفاد ما نصهُ الحرفي: « قد اقتنى هذا الكتاب من مالهِ الحقير في رؤساء الكهنة جرمانوس اسقف حلب» فابتاع كلًّا من المجلد الاول والثاني بثلاثة وخمسين اسديًا وكلًّا من المجلد الثالث والرابع بثلاثة وسبعين اسديًا فتكون الجملة ٢٥٢ اسديًا والاسدي يساوي غرشًا واحدًا تكسيرهُ اذ ذاك على ٥ فرنكات فيكون ثمنها الفًا ومئتين وعشرة فرنكات من النقود الدارجة اليوم

وقد جاء في آخر المجلد الثالث ما روايتهُ الحرفيَّة: « الحمد لله رب العالمين على انعامهِ واحسانه اجمعين والذكر الصالح لوالديهِ وقديسيه امين. قد تمَّ الكتاب بعون الملك الوهاب في رومية الكبرى (٢ على يد احقر العباد الشماس يعقوب بن بقدسار القسطنطيني ارمني المذهب قاتوليقي المعبد (٣ غفر الله لهُ ولوالديه ولجميع المؤمنين والمؤمنات

المجلد الاول وفي مكتبتي الخطية نسخة من المجلد الثالث وفي مكتبة الورتبيت الفاضل بولس بليط جزء من المجلد الرابع الى نسخ اخرى في مكاتب الشرق والغرب (اطلب العدد السابق من المشرق ص ٢٩٠ وأضف على ما ذُكر هناك نسخة مصونة في دير الشير للروم الكاثوليك)

١) لا يُعترض على فرحات بترجمة الحصروني السابق ذكرها فالظاهر انها غير معروفة او غير شائعة وبالتالي غير تامة كما مرَّ بك سابقًا

٢) يذهب سيادة الحبر العالم السابق الذكر الى ان ابن جُبير عرَّب الكتاب في الاستانة وفي ظني انهُ عرَّبهُ في رومية او انهُ ابتدأ بهِ في تلك المدينة وانجزه في هذه على ما يظهر من تضاعيف هذه الحاشية

٣) عند ارمن حلب تقليد في ان المعرب ارمني على ما اخبرني بهِ حضرة صديقي العالم الورتبيت ب . . . . عن الجدلي المشهور حنا مخماجي رحمهُ الله ولكنهُ لا يُعرف اسمهُ ولا نسختهُ المعربة والظاهر ان التقليد مسنود الى يعقوب السابق الذكر فقام في ظن البعض انهُ المعرِّب وروى الحبر البعض الاخر بلا تدقيق مع انهُ الناسخ فقط

بالمسيح والدين الصحيح في اليوم الثامن من شهر كانون الاول نهار عيد حبل العذراء في بطن امّها من شهور سنة ١٧٠٨ مسيحية (١ . فهذا ثاني القسم الثاني من مختصر مار توما الاكويني المعلم اللانكي المتكلم بالالهيات . وهو ما (مما) ترجمهُ من اللغة اللاتينيَّة الى اللغة العربيَّة العبد الضعيف النحيف الحقير في روْساء الكهنة المفريان اسحق الموصلي ابن المرحوم شماس عبد الحي سرياني البيان قاتوليقي الجنان عفى الله عنهُ وعن والديهِ . فصار ذلك برفقة اخوتنا الكرام المطران يشوع خادم القدس الشريف واسقف (كذا) سفر اسقف ماردين حرسهما الله وعفى عنهما وعن والديهما اجمعين امين يا معين . حُرّر في كنيسة السريان داخل روميــة الكبرى » . وبعدها كلمات مكشوطة لا يتبين منها سوى : وقف « الدير المومى اليهِ » انتهى

وهذا التعريب اول تعاريب الكتاب التامَّة المعروفة واصدق دليـــل على جلَد ابن جُبير وجزيل فضلهِ على ابناء جلدتهِ الشرقيين في نشره مثل هذا الكتاب الجدلي الفلسفي واللاهوتي المنقطع النظير . تغمّد الله معربهُ وناسخهُ ومقتنيهِ بالرحمة والرضوان

٤ في معارضة ترجمة الخلاصة

ولما قضى الله بافضاء الرئاسة الكبرى البطرسيَّة الى داهية البشر البابا لاون الثالث عشر وجَّه طرف عنايتهِ الى انعاش الحكمة الحقَّة بعد خمولهــا فاشار في خطهِ الرسولي الآنف الذكر الى تعليم العقائد الدينية والحقائق الفلسفيَّــة على الطريقة التوماويَّة واعتماد كتابهِ الموصوف فهبَّت مدارس الغرب الى اقتباس فوائده من خلال حكمتهِ البالغة في حين ان ترجمتهُ المار وصفها كانت في الشرق ملقاة في زوايا المكاتب لا يستفيــد منها الخاصة شيئاً فضلاً عن العامَّة . فدفعت عندها النخوة الشرقيَّة سيــادة الجهبذ العلامة المفضال المطران بولس عواد الى ان يصرف منتهى غايتهِ في تعريبها عن الاصل اللاتيني تعريباً جامعاً بين البلاغة والاحكام وابرازها من تحت ملزم الطبع الى عالم القراء ليعلم نفعها الخاص والعام . وهنا لا بدّ من معارضة ترجمتهِ بالترجمة القديمة ليظهر لك فيها مزية هذه على تلك يسوق اليها مساق المقابلة وان تكن من المقرارت الواضحات وضوح الشمس في رابعة النهار . وقد اخترت الفصل الـ ٤ من البحث والقسم الاولين لاختصــارهِ خشية ملل القراء وهو هذا :

---

١) اي قبل وفاة المعرب بثلاث عشرة سنة

الترجمة الجبيرية

هل التعليم المقدس هو علم عملي

اعتراض اول يقولون ان التعليم المقـدس هو علم عملي لكون غاية العلوم العلمية هي العمل كقول الحكيم في ب (٢) من الالهيات والتعليم المقدس قد ترتب للعمل كقول يعقوب الرسول صح ١ كونوا فعلة الكلمة لا مستمعيها فقط . فاذًا التعليم المقدس هو علم عملي

ع ب يقولون ان التعليم المقـدس ينقسم الى العهد العتيق والجديد والشريعـة تتعلق بالعلم الفقهي فهذا علم عملي فاذًا التعليم المقدس هو علم عملي

فهذا خلف لكون كل علم عملي هو في الاشياء العملية الواجب فعلها للناس كالفقه في اعمـال الناس والمعارية في افعال البناء والتعليم يختص بالله اولاً وافعالهُ تعالى بالحري هم النـاس فاذًا التعليم المقدس ليس بعلم عملي بل بالحري نظري

المقصد في ان التكلم بالالهيات المقدس هو علم عملي ونظري بنظام عالٍ لكنهُ نظري اوفر من ان يكون عمليًا . الدليل نقول كما مرَّ ان التعليم المقدس اذ يقوم واحدًا فيمتدّ الى الامور المتعلقة بالعلوم الحكمية المختلفة بسبب التصوير الصوري فهذا يراعى بامور مختلفة اعني من حيث انهـا معروفة بالنور الالهي فحقًا ان العلوم الحكميـة بعضها نظري وبعضهـا عملي ولكن التعليم المقدس يتضمن كليهما كما ان الله تعـالى يعرف ذاتهُ القدسية ومصنوعاتهِ بعلم واحد لكنهُ نظري اكثر من ان يكون عمليًا لكونهِ يبحث خاصـةً عن الامور الالهية اوفر من بحثهِ عن الافعال البشرية التي يشتغل بها حسبما يرتب بها الانسـان الى معرفة الله الكاملة القائم بها السعادة الابدية

ومن هذا بيان جواب الاعتراضات

الترجمة العوّادية

هل التعليم المقدس هو علم عملي

يتخطى الى الرابع بان يقال يظهر ان التعليم المقدس علم عملي لان غاية العلم العملي العمل كما قال الفيلسوف في الالهيات ك ٢ م ٣ والغرض المقصود من التعليم المقدس هو العمل كقولهِ في يع ١ : ٢٢ (كونوا عاملين بالكلمة لا سامعين لها فقط) فاذًا التعليم المقدس علم عملي

٢ وايضًا ان التعليم المقدس ينقسم الى شريعة عتيقة وشريعة جديدة . والشريعة من قبيل علم الاخلاق الذي هو علم عملي . فاذًا التعليم المقدس علم عملي

لكن يعارض ذلك ان كل علم عملي يبحث عما قد يمكن ان يعملهُ الانسان كما يبحث علم الاخلاق عن افعال الناس وعلم البناء عن الابنية . والتعليم المقدس يبحث بالاصالة عن الله الذي هو بالاحرى صانع النـاس فاذًا ليس علمًا عمليًا بل نظريًا

والجواب ان يقال ان التعليم المقدس على كونهِ واحدًا يعمُّ ما تبحث عنهُ علوم فلسفيـة متمايزة لانهُ ينظر الى الامور المتمايزة من جهـةٍ صورية جامعة اي من حيث هي مدركة بالنور الالهي : فاذًا ولئن كان النظري من العلوم الفلسفية غيرًا والعملي غيرًا فالتعليم المقدَّس مع ذلك شامل لكليهما كما ان الله ايضًا يعلم نفسـهُ وآثارهُ بعلم واحد . الَّا ان كونهُ نظريًا ارجح على كونهِ عمليًا لان بحثهُ عن الامور الالهية آصل منهُ عن الافعال الانسانية التي انمـا يبحث عنها من حيث ان الانسان يتأدى بها الى معرفة الله التامة القائمة بها السعادة الخالدة

وبذلك يتضح الجواب على ما اعترضَ بهِ

فمن تتبَّع هذين التعريبين دون كدّ ذهنٍ وتصفَّح اسلوبهما بلا اعمال رويةٍ واعتبر بعضهما ببعض فلا جرم انهُ يرى التعريب القديم حسناً على الجملة ولكنهُ قلق الاسلوب ساذج الانشاء والعبارة فيهِ غير نضيجة بل غير مهذَّبة والمعرِّب رحمهُ الله على معرفتهِ بالعربيَّة جرى فيهِ على الاصل اللاتيني الَّا ما اشكل عليهِ بيانهُ فافرغهُ في مثل تلك القوالب التي يبدو على اكثرها مسحة العجمة (اي التعريب الحرفي) وابرزهُ في مثل تلك الالفاظ التي لا تخلو من هجنة العامي وهذا احد الادلَّة على قلة ضلاعتهِ من مصنفات الحكمة حتى يتخيَّر في التعابير ما تخيره فلاسفة العرب من الالفاظ المنتقاة والمصطلحات الفلسفية المتداولة المشهورة على ما يعرفهُ اهل الذوق السليم(١) على ان هذا لا يغضّ من قدرهِ ولا يحطُّ من فضلهِ فهو السابق في هذه الحلبة المجلّي في هذا الفضل وقد جاء بما وسعهُ ذرعهِ وهل يطالب المرء باكثر ممَّا عندهُ فليس فوق الطاقة مطلب

واذا اعتبر التعريب الحديث وجدهُ انقى ديباجة واخلص الفاظا واكثر تفنناً بل يرى من المتانة والاندماج والانسجام وانقياد الاغراض وانتقاء الالفاظ ما يخيل لهُ في عبارة سيادة المعرب ان هناك جوهراً صافياً ونسقاً مطرداً لا يتوقف دونهُ الفكر ولا يعترض بيانهُ لبس ولا اشكال ولو لم يكن لسيادتهِ فيهِ الَّا انهُ كساهُ من ديباجة لفظهِ ووَشْي بيانهِ ما جعلهُ من الطراز الاول بين المعرَّبات في هذا العصر الزاهر لكفاهُ دليلاً على غزارة فضلهِ ورئاستهِ بين ارباب البلاغة وامراء الانشاء

وقد حسن هذا التعريب الدقيق العزيز النظير في بابهِ وقعاً في العالمين فتبسم لهُ ثغر الاب الاقدس والسادة البطاركة والمطارنة مسرَّةً وارتياحاً وترنحت لهُ معاطف العلماء اللاهوتيين إكباراً واجلالاً وشرفهُ عظماء الدين والعلم برسائل عديدة اودعوها اطيب الثناء على براعتهِ واجزلوا لهُ فيها من عبارات التنشيط وامر الحبر الاعظم ان يُطبع المجلدان الاولان من تعريبهِ الموصوف على نفقة الكرسي الرسولي. ومن الغريب ان يكون بلديُّهُ الحصرونيُّ السابق الى تعريبهِ هذا الاثر الخطير كما ان سيادتهُ حفظهُ الله السابق الى ابرازه الى عالم المطبوعات العربية فجاء من الصالحات الباقيات التي تستنطق لهُ افواه الناطقين بالضاد بالحمد والثناء. فالله نسأل ان ياخذ بيدهِ في متابعتهِ واطرادهِ عوداً على بدء انهُ اللطيف الكريم

---

١) نظنُّ ان حضرة كاتب المقالة بالغ في وضعهِ من قدر الترجمة الجبيرية (المشرق)

ذيل

يضطرني الحق الصراح الى ان اعلن على رؤوس الملا ان سيادة المعرب المفضال نشر المجلد الاول من ترجمتهِ سنة ١٨٨٧ قبل ان يقف على الترجمة الجبيرية السابق وصفها بنحو سنتين على ما يشاهد بكل جلاء في وصل استعارتهِ هذه الترجمة المصون في خزانة مكتبة حلب المارونيّة فاقتضى التنبيه دفعاً لظنون من يزعمون بان سيادته طالعها او استعان بها من قبل وان يكن من المعروف المقرر انهُ حفظهُ الله ليس هو ممَّن يحومون على مثل هذا الورد

الآداب العربيَّة في القرن التاسع عشر

بحث تاريخي وانتقادي للاب لويس شيخو اليسوعيّ (تابع)

﴿ أدباء المغرب ﴾ انَّ اخبار المغرب تكاد تكون مجهولة في اصقاعنا فدونك النزر القليل الذي امكنَّا جمعهُ من تراجم أُدباء تلك الجهات

(سليمان الحرائري) هو ابو الربيع عبده سليمان بن علي الحرائري الحسني ولد في تونس سنة ١٢٤١ (١٨٢٤) واصلهُ من اسرة قديمة قدمت من العجم الى المغرب فدرس العلوم الدينية في وطنهِ ثمَّ تفرَّغ لدرس اللغة الفرنسويَّة والعلوم الرياضية والطبيعيَّات والطب. وعُهد اليهِ تدريس الرياضيَّات في بلدهِ وعمرهُ ١٥ سنة ثمَّ اتَّخذه باي تونس كرئيس لكتاب ديوانهِ. وفي سنة ١٨٤٦ قدم الى باريس فصار احد اساتذة مدرسة لغاتها الشرقيَّة وكان يحرر في جريدة عربية هناك تُدعى البرجيس. ونشر فيها قسماً من سيرة عنترة وكتاب قلائد العقيان للفتح بن خاقان ثمَّ طبعهما على حدة. وممَّا طبعهُ في تونس كتاب مقامات الشيخ احمد بن محمَّد الشهير بابن المعظم احد ادباء القرن الثالث عشر للمسيح. ووصف معرض باريس سنة ١٨٦٧ في كتاب سمَّاه عرض البضائع العام. ولهُ رسالة في القهوة دعاها «القول المحقَّق في تحريم البنّ المحرق». وعرَّب الاصول النحويَّة للغوي الفرنسويّ لومون (Lhomond). وكذلك وضع كتاباً في الطبيعيَّات والظواهر الجويَّة لخَّصهُ عن كتب الفرنج وسمَّاهُ رسالة في حوادث الجوّ وطبعهُ سنة ١٨٦٢ في

باريس. ولا نعرف تاريخ وفاة الحرازي ولعلَّهُ مات بعد سنة ١٨٧٠ الَّا انَّ تآليفهُ كلها قبل هذا العهد

(محمَّد التونسيّ) هو محمَّد بن عمر بن سليمان التونسي ولد سنة ١٢٠٤ (١٧٨٩ م) وتخرَّج على شيوخ الازهر في مصر ثمَّ سافر الى درفور والسودان وكتب تفاصيل رحلتهِ في كتاب دعاهُ: كتاب تشحيذ الاذهان بسيرة بلاد العرب والسودان. وقد طبعت هذه الرحلة على الحجر في باريس سنة ١٨٥٠ بهمَّة المستشرق الفرنسوي بارون (Perron) الذي نقل مضامينها الى الفرنسوية وذيَّلها بالحواشي. ولما عاد التونسيّ من رحلتهِ خدم الاداب في مطبعة بولاق فتولى تصحيح مطبوعاتها. توفي سنة ١٢٧٤ (١٨٥٧)

(محمود قبَّادو) هو الشيخ السيد ابو الثناء محمود قبَّادو الشريف. كلف باحراز الاداب فنال منها نصيباً وافراً. وكانت لهُ ذاكرة عجيبة لا ينسى شيئًا ممَّا سمعهُ قيل انهُ سمع يوماً رسالة افرنسية وهو لا يعرف تلك اللغة فاعادها بحرفها. وكان متضلعاً بكل علوم العرب لكنهُ برَّز في الشعر وكان يقولهُ بديهيًّا. ولهُ ديوان شعر في جزئين جمعهُ تلميذهُ الشيخ عبده محمد السنوسيّ فطبعهُ في تونس (١٢٩٣—١٢٩٦). توفي السيد محمود ولم يدرك الخمسين من عمرهِ نحو السنة ١٢٨٥ (١٨٦٨). وكان بينهُ وبين الكنت رشيد الدحداح صداقة ومراسلات. وقد روى لهُ الشيخ رشيد بعض الآثار الدالَّة على فضلهِ من ذلك تشطيرهُ لقصيدة بشر بن عوانة في مبارزة الأسد بعد ان افتتحها بابيات حسنة يقول فيها:

أفاطمَ هل علمتِ مضاء عزمي ... ومطمح همَّتي نخواً وكِبرا
وَجُود يدي واقدامي وبأسي ... ولا اعمي لباغي العُرف امرا
تلين لمن يسالمني قناتي ... وتصلبُ ان يَرُم ذو الغمز هَصرا
واني لا اَعدُّ الوفرَ ذُخرًا ... ولكنّي اعدُّ الذكر ذخرًا
وما كلُّ الحلال تُذاع بأوا ... ولا كلُّ المذاع يصحُّ سبرا
وفي التجريب ما ينفي ارتياباً ... ويصدقُ سنُّ بكرٍ منهُ فرًّا

ثم يليها التشطير الذي هذا اوَّلهُ:

(افاطمَ لو شهدتِ ببطن خبتٍ) ... لهانت عندك الأخبارُ خُبرا
ولو اشرفتِ في جنحٍ عليهِ ... (وقد لاقى الهزَبرُ اخاكِ بشرا)
(اذًا لرايتِ ليثًا رام ليثًا) ... وكلٌّ منهما باخيهِ مُغرى

يرى كلٌّ على ثقةٍ اخاهُ (هزبرًا اغلبًا لاقى هزبرا)
(تبهنس اذ تقاعس عنهُ مهري) واقبل نحوهُ أُذنَيْهِ ذعرا
فكاد يريبُهُ فيخال مني (محاذرةً فقلتُ عُقِرْتَ مهرا)...

ومن نظمهِ قصيدة دالية قالها تهنئة للسلطان عبد المجيد سنة ١٢٧٦ (١٨٥٩) ضمَّنها عددًا وافرًا من التواريخ تفنَّن فيها على طرائق عجيبة . ومن مديحهِ قولهُ في رشيد :

فيا مخبرًا لاحت بمرآة طبعهِ خبايا طباع الدهر فهي لهُ تبدو
بقيت رشيدًا طبق وَسمك مرشدًا حُييتَ من كل الامور لك الرشدُ

أُدباء النصارى

نذكر الذين اشتهروا من النصارى بخدمة الآداب العربيَّة في هــذا الطور مدوّنين اسماءهم على توالي الزمان

(جبرائيل المخلّع) هو جبرائيل بن يوسف المخلع ولد في دمشق في اواخر القرن الثامن عشر وتفقَّه في العلوم العربيَّة والتركيَّة والفارسيَّــة ثمَّ سافر الى مصر وبقي فيها مدَّة يتنقَّل في دواوين الانشاء في الاسكندريَّة ثمَّ عاد الى دمشق ومات نحو السنــة ١٨٥١ . ومن مآثره ترجمة كتاب شهير عند العجم يسمَّى الجلستــان اي روضة الورد لصلاح الدين السعدي . عرَّبهُ تعريبًا متقنًا بالنظم الرائق والنثر المسجَّع المنسجم ثمَّ طبعهُ سنة ١٨٤٦ في بولاق . وهذا مثال من ترجمتهِ (ص ٨٤) :

(حكاية) نظرتُ اعرابيًّا في حلقة الجوهرية بالبصرة ، وهو يقول : اسمعوا يا ذوي النقــد والخبرة ، كنتُ ضللتُ في الصحراء طريق الجواز ، ولم يبقَ معي من معنى الزاد ولا المجاز ، فايقنت بالهلاك ، وسمحتُ لهُ بالاؤاد اذ ذاك ، فبينما انا في البيداء اتلظَّى الضرّ ، واذا بي وجدتُ كيسًا مملتئًا بالدرّ ، فلا انسى ما علاني من الفرح والمسرة ، اذ توهَّمت ان اجــد قمحًا مقليًّا في تلك الصرَّة ، فلمَّا تحقَّقتُ فيــهِ وعاينتُ الدرّ والماس ، دُهشتُ من الغمّ الذي لا يبرح عن الفكر بحلول الياس

في يابس البيــدِ او حرّ الرمال فــا لظامئ القلب يُغني الماس والصَّدَفُ
العــادم الزاد اذ تحوى بهِ قــدمٌ لهُ استوى الذهبُ المكنوزُ والخزفُ

(حكاية) كان بعض العرب يُنشد من شدَّة الظما ، وقد علا عليهِ حرُّ البادية وحمى :

يا ليت قبل منيَّتي يومًا افوزُ بمُنيتي
نهرًا يُلاطمُ ركبتي وأظلُّ املا قُربتي

(حكاية) كذلك ضلَّ في قاع البسيطة بعض السفَّار ، ولم يبقَ معهُ قوتٌ ولا قوَّة اقتــدار ،

ما خلا يسرًا من الدراهم قد ادَّخره في وسطهِ ولم ينفقهُ في الضيق ٬ ولا اهتدى بعد ان طاف كثيرًا الى الطريق ٬ فهلك بالمشقة ٬ وبعد الشقّة ٬ فرَّ عليهِ طائفة من الناس ٬ فوجدوهُ قد وضع الدراهم عند الراس ٠ وخطَّ على التراب من عدم القرطاس :

جميعُ نُضـار الجعفريّ لمن خلا ... من الزادِ لا يغنيهِ شيئًا من الضرِّ
ومن يحترقْ في القفر فقرًا فانـهُ ... لهُ السلجمُ المطبوخُ خيرٌ من التبرِ

وفي تقريظ ترجمة هذا الكتاب قال شهاب الدين الشاعر المصريّ :

كواكبٌ اشرقتْ تزهو بانوارِ ... ام لاح لي روضُ ازهار وانوارِ
كلَّا بل الألمعيُّ اللوذعيُّ بدا ... منـه بدائعُ اسجـاعٍ واشعار
زهتْ معاني جلستانَ البديعةُ في ... ما صاغَ من عربيِّ اللفظِ للداري
لا غرو أن جاء جبريلُ الكريمُ بما ... مقروهُ حيثُ يتلى يعجب القاري
معرَّب عبَّرت عنهُ براعتهُ ... عبارةٌ اظهرتهُ ايَّ اظهارِ
منثورهُ دررٌ في سـطـهِ نُظمت ... نظمًا بلاغتهُ جاءت باسرارِ
واذ زهـا حسنهُ بالطبع مبتهجًا ... أرَّختُ ازهى بهيجٍ روضَ ازهارِ

(مارون النقَّاش) هو مارون بن الياس بن مخائيل النقَّاش ولد في صيدا سنـة ١٨١٧ ثم انتقل مع والدهِ الى بيروت وانكبَّ على درس اللغـات والآداب العربية حتى حذق فيها واخذ عن المرسلين اللاتينيين مبادئ اللغتين الفرنسويَّة والايطالية ٠ وجعلتهُ الحكومة السنية باشكاتبًا لدواوين (كمارك) بيروت وملحقاتها ٠ ثمَّ تجوَّل مدَّة في القطر المصري واجتمع بادبائهِ ثم ساح في انحاء اوربا ورجع مغرًى بفنِّ التمثيـل فعرَّب عدَّة روايات وسعى بتشخيصها وكان اول من مهَّد الطريق لهذا الصنف من الملاهي في هـذه البلاد ٠ وقد طبع بعد وفاتهِ اخوهُ نقولا الحامي الشهير قسمًا من رواياتهِ في كتاب سمَّاهُ ارزة لبنان يحتوي روايات البخيل والمغفل والحسود حذا فيها مارون حذو الراوية موليار الفرنسويّ واودعها كثيرًا من العادات الشرقيَّة ٠ وجاراهُ في عملهِ اخوهُ نقولا المذكور وسليم ابن اخيهِ خليل فراجت بذلك سوق الروايات ويا ليتها كسدت مع كثرة مضارّها وقلّة من يراعون فيها الآداب الصالحة ٠ ثمَّ سافر مـارون النقَّاش الى طرسوس للمتاجرة وفيها كانت وفاتهُ سنة ١٨٥٥ فقال اخوهُ نقولا يرثيهِ :

بدرٌ هوى لا بل ذوى ... غصنٌ وذا مرقدهُ
نقَّاشُ علمٍ سيّد الـ ... ـعلم ارتضى يسعدهُ
يا رحمة المولى على ... ماروننـا تعضدهُ
ويصبُّ هاطل غيثها ... أرّخْ وتغمـدهُ

ثم نقل بعد ذلك جسد المرحوم الى بيروت ودفن فيها سنة ١٨٥٦ فقال شقيقهُ:

ناديتُ مذ عاد سؤلي منتهى الامل طرسوسُ لا ناقتي فيها ولا جملي
عودًا كبدرٍ تولاهُ الخسوف لـذا ها قد أرختُ سناهُ غير مكتملِ

وكان مارون صديقاً للشيخ ناصيف اليازجي يتنـاوبان على الرسالات الوديَّة الادبيَّة منها رسالة وجَّهها الشيخ ناصيف الى مارون اذ كان في طرسوس اوَّلها:

ماذا الوقوفُ على رسوم المنزل هيهات لا يجـدي وقوفك فارحلِ

قال فيها:

يا ايهـا النحريرُ جهبـذُ عصرهِ مـا لي ابثُّك علمَ مـا لم تجهـلِ
انَّ المقدَّم الحكيمِ افادة كمقدّمٍ للشمسِ ضوءَ المشعـلِ
بَعُـدَ المزارُ على مشوقٍ لم يَـكُن يشفى على قرب المزار الاولِ

وختمها بقولهِ:

ان كان قد بَعُدَ اللقاء لعلَّةٍ فابعَث اليَّ بلهنةِ المتعـالِ

فاجابهُ مارون بما مطلعهُ:

وردتْ اليَّ من المقـام الافضل غرثى الوشاح من الطراز الاول

الى ان قال:

يا من اذا سمح الزمـان بنعمةٍ ابقاك نورًا في الظلام لينجلي
كلُّ الرجال اذا مضوا يُرجى لهم بدلٌ سواك فاست بالمُستَبْـدَلِ
جاريتني فقصرتُ دونك همَّـةً حتى عجزتُ حقَّ العُذْرِ لي
انَّ الضعيف مقيَّداً بلسانهِ مثل الاسيرِ مقيَّـدًا بالارجلِ

فلمَّا نُعي الى الشيخ صديقـهُ بعد اشهرٍ نظم في رثائهِ قصيدتين من اجود مراثيه قال في الواحدة:

مات الحبيبُ الذي مات السرورُ بهِ من القلوبِ وعاش الحُزن والضَرَمُ
قد كنت اشكو بعاد الدار من قدمٍ فحبَّـذا اليوم ذاك البعد والقـدمُ

ومنها:

ايُّ الفضائل ليست فيك كاملةٌ وايُّ عيبٍ تراه فيك يتَّهمُ
فيك التُّقى والنقا والعلم مجتمعٌ والحلم والحزم والاحسانُ والكرمُ
نرثيك بالشعر يا نقَّاشَ بردتهِ والشعرُ برثيك حتى تنفد الكلمُ

تبكي عليك القوافي والمحابر والا أقلام والصحف والآراء والهمم
وكلُّ ديوانِ شعرٍ كنتَ تنظمهُ وكلّ ديوانِ قومٍ فيكَ ينتظمُ

وفي ختامها:

ان كنتَ قد سرتَ عن دار الفناء فقد نلتَ البقا حيث لا شيبٌ ولا هرمُ
انَّ السعيد الذي كانت عواقبهُ بالخيرِ في طاعة الرحمان تختتمُ

وقال في المرثاة الثانية:

لا تجزعي يا نفس من حكم الردى ان كان ما لا بُدَّ منهُ ولا فدى
لا خير في هذي الحياة فانَّها تزداد سوءًا كلَّما طال المدى

ومنها:

والموت يختار النفيس لنفسهِ منَّا كما نختار نحن فما اعتدى
قد نال منَّا درَّة مكنونة كانت لبهجتها الدراري حُسَّدا
كنزٌ ذخرناه لنا فاغتالهُ لصُّ المنيَّة خاطفًا متمرِّدا

وختمها بهذا التاريخ:

لو غبت عن نظرٍ فقد خلَّفت بالتـاريخ ذكرًا في القلوب مخلَّدا

وكذلك رثاهُ الشاعر المفلق اسعد طراد بقصيدة طنَّانة اوَّلها:

دهرٌ يغرُّ فخذ من دهرك الحذرا أما تراه يريك العجب والعبرا

وختمها بتاريخ هذا منطوقهُ:

لو غابَ قُلْ في السما تاريخهُ سيُرى فانهُ في نعيم الله قد حضرا

ولمارون النقَّاش ما خلا رواياتهِ قصائد متفرقة . وفقرات. ورسائل جمع اخوهُ قسماً منها في آخر كتاب ارزة لبنان منها منظومة في نحو مئتي بيت في علمي العروض والقوافي . ومن اقوالهِ قصيدة تهنئة رفعها الى سعيد باشا خديوي مصر سنة ١٢٧٠ (١٨٥٣) اوَّلها:

لسعد سعود من سلفوا حدودُ وسعد سعيدِ مصرَ لهُ خلودُ
اتاه النيل معترفًا بفضلٍ لهُ اذ فاضَ من كفَّيهِ جودُ
فهذا حكمهُ مدٌّ وجزرٌ وهذا حلمهُ طامٍ مديدُ
فقد بلغت مناقبهُ كمالًا وهما ازداد مدحًا لا يزيدُ

وكتب من الاسكندرية مجيباً على قصيدة للخوري يوسف الفاخوري معلمهِ:

هل هلالٌ حلَّ ام اهلُ الكرمْ نثروا التبر على خط القلمْ

الى ان قال :

اي ابي الروحي ولولا لائمي قلتُ مَن يشبهْ اباه ما ظلمْ
فهو بحرٌ نلت من فيضانهِ وانا تلميذ ذيَّاك العلمْ
مخزنُ العلم وفي تدريسهِ معدن الحلم وكلّيُّ الهممْ
قد كساني ثوب تعليم بما فتح الله عليهِ وقسمْ
لست انسى جوده حاشا ولم انسَ اياماً تقضَّت في نعمْ

وللمرحوم عدَّة تواريخ منها تاريخ على لسان اسعد ابن اخيهِ حبيب ومات صغيرًا سنة ١٨٤٢ :

انّي هلالٌ قد دنوتُ من الثرى قبل ان أتمَّ فهكذا ربيّ امرْ
لكن لعمري لم اغب عن منزلي الّا لاشرق في النعيم كما القمرْ
وكما روى النقّاش نَقش تأرُّخي لأفوز اسعد بالسعادة عن صغرْ

ومنها قولهُ مؤرخاً لوفاة البطريرك يوسف الخازن وارتقاء خلفهِ السيد بولس مسعد سنة ١٨٥٤ :

في افق كرسي انطاكيةٍ عجبٌ بدرٌ توارى وبدرٌ فوقَ سدَّتهِ
ان غاب ذاك واضنانا بغيبتهِ فناب هذا واشفانا بنوبتهِ
دعا الاله لذاك المرتضي خلفاً ارِّخت بولس مختارٌ لدعوتهِ

(ابراهيم بك النجار) ولد في دير القمر سنة ١٨٢٢ وتوفي في بيروت سنة ١٨٦٣ . كان رجلًا هماماً محبًا للاداب منذ نعومة اظفاره فلما قدم لبنان الدكتور الفرنسويّ كلوط بك رئيس اطبّاء العساكر المصرية سنة ١٨٣٧ نال من محمَّد علي باشا بان يدخلهُ مع غيره من السوريين في مدرسة القصر العيني في مصر فتلقَّى فيها الدروس الطبيَّة ونال الشهادة المؤذنة ببراعتهِ سنة ١٨٤٢ ثمَّ سافر الى الاستانة العليَّة ودرس على اساتذتها المتطبين وبقي مدَّة هناك يتعاطى مهنتهُ فاصاب شهرةً عظيمة حتى عيَّنتهُ الدولة العليَّة كطبيب اوَّل للعساكر الشاهانيَّة في مارستان بيروت العسكريّ . وفي سنة ١٨٤٩ تجوَّل في انحاء اوروبة وطبع في مرسيلية سنة ١٨٥٠ كتابهُ « هديَّة الاحباب وهداية الطلّاب » في المواليد الثلاثة وملخص العلوم الطبيعيَّة ثمَّ عاد الى بيروت ومعهُ ادوات طبعيَّة فانشأ مطبعتهُ الشرقية (اطلب المشرق ٣ : ١٠٣٢) نشر فيها تاريخ رحلتهِ الى مصر

تبكي عليك القوافي والمحابر والا أقلام والصحفُ والآراء والهمَمُ
وكلُّ ديوانِ شعرٍ كنتَ تنظمهُ وكلّ ديوانِ قومٍ فيكَ ينتظمُ

وفي ختامها:

ان كنتَ قد سرتَ عن دار الفناء فقد نلتَ البقا حيث لا شيبٌ ولا هرمُ
انّ السعيد الذي كانت عواقبهُ بالخير في طاعة الرحمان تختتمُ

وقال في المرثاة الثانية:

لا تجزعي يا نفس من حكم الردى ان كان ما لا بُدَّ منهُ ولا فدى
لا خير في هذي الحياة فانَّها تزداد سوءًا كلَّما طال المدى

ومنها:

والموت يختار النفيس لنفسهِ منَّا كما نختار نحن فما اعتدى
قد نال منَّا درَّة مكنونة كانت لبهجتها الدراري حُسَّدا
كنزٌ ذخرناه لنا فاغتالهُ لصُّ المنيَّة خاطفًا متمرّدا

وختمها بهذا التاريخ:

لو غبت عن نظرٍ فقد خلَّفت بالتاريخ ذكرًا في القلوب مخلَّدا

وكذلك رثاهُ الشاعر المفلق اسعد طراد بقصيدة طنَّانة اوَّلها:

دهرٌ يغرُّ فخذ من دهرك الحذرا أما تراه يريك العجب والعبرا

وختمها بتاريخ هذا منطوقهُ:

لو غابَ نُقلُ في السما تاريخهُ سيُرى فانهُ في نعيم الله قد حضرا

ولمارون النقَّاش ما خلا رواياتهِ قصائد متفرقة . وفقرات ورسائل جمع اخوهُ قسماً منها في آخر كتاب ارزة لبنان منها منظومة في نحو مئتي بيت في علمي العروض والقوافي . ومن اقوالهِ قصيدة تهنئة رفعها الى سعيد باشا خديوي مصر سنة ١٢٧٠ (١٨٥٣) اوَّلها:

لسعد سعود من سلفوا حدودُ وسعد سعيد مصرَ لهُ خلودُ
اتاه النيل معترفًا بفضلٍ لهُ اذ فاضَ من كفَّيهِ جودُ
فهذا حكمهُ مدٌّ وجزرٌ وهذا حلمهُ طامٍ مديدُ
فقد بلغت مناقبهُ كمالًا ومهما ازداد مدحًا لا يزيدُ

وكتب من الاسكندرية مجيباً على قصيدة للخوري يوسف الفاخوري معلمهِ:

هل هلالٌ هلَّ ام اهلُ الكرمْ   نثروا التبر على خط القلمْ

الى ان قال :

اي ابي الروحي ولولا لانني   قلتُ مَن يشبهُ اباه ما ظلمْ
فهو بحرٌ نلت من فيضانهِ   وانا تلميذ ذيّاك العلمْ
مخزنُ العلم وفي تدريسهِ   معدن الحلم وكلّيُ الهممْ
قد كساني ثوب تعليم بما   فتح الله عليهِ وقسمْ
لست انسى جوده حاشا ولم   انسَ اياماً تقضّت في نعمْ

وللمرحوم عدَّة تواريخ منها تاريخ على لسان اسعد ابن اخيهِ حبيب ومات صغيرًا سنة ١٨٤٢ :

انّي هلالٌ قد دنوتُ من الثرى   قبل أن أتمَّ فهكذا ربيّ امرْ
لكن لعمري لم اغب عن منزلي   الّا لاشرق في النعيم كما القمرْ
وكما روى النقّاش نَقش تأرُّخي   لأفوز اسعد بالسعادة عن صغرْ

ومنها قولهُ مؤرخاً لوفاة البطريرك يوسف الخازن وارتقاء خلفهِ السيد بولس مسعد سنة ١٨٥٤ :

في افق كرسي انطاكيةٍ عجبٌ   بدرٌ توارى وبدرٌ فوقَ سدّتهِ
ان غاب ذاك واضنانا بغيبتهِ   فناب هذا واشفانا بنوبتهِ
دعا الاله لذاك المرتضي خلفاً   ارّخت بولس مختارٌ لدعوتهِ

(ابراهيم بك النجار) ولد في دير القمر سنة ١٨٢٢ وتوفي في بيروت سنة ١٨٦٣ . كان رجلًا هماماً محبًا للاداب منذ نعومة اظفارهِ فلما قدم لبنان الدكتور الفرنسويّ كلوط بك رئيس اطبَّاء العساكر المصرية سنة ١٨٣٧ نال من محمَّد علي باشا بان يدخلهُ مع غيره من السوريين في مدرسة القصر العيني في مصر فتلقَّى فيها الدروس الطبيَّة ونال الشهادة المؤذنة ببراعتهِ سنة ١٨٤٢ ثمَّ سافر الى الاستانة العليَّة ودرس على اساتذتها المتطبيين وبقي مدَّة هناك يتعاطى مهنتهُ فاصاب شهرةً عظيمة حتى عيَّنتهُ الدولة العليَّة كطبيب اوَّل للعساكر الشاهانيَّة في مارستان بيروت العسكريّ . وفي سنة ١٨٤٩ تجوَّل في انحاء اوروبة وطبع في مرسيلية سنة ١٨٥٠ كتابهُ « هديَّة الاحباب وهداية الطلّاب » في المواليد الثلاثة وملخص العلوم الطبيعيَّة ثمَّ عاد الى بيروت ومعهُ ادوات طبعيَّة فانشأ مطبعتهُ الشرقية (اطلب المشرق ٣ : ١٠٣٢) نشر فيها تاريخ رحلتهِ الى مصر

واعقبها بتاريخ السلاطين العظام (سنة ١٢٧٢ — ١٢٧٥=١٨٥٥ — ١٨٥٨) وسمّاهُ مصباح الساري ونزهة القاري فقرَّظه مفتي زاده السيد محمَّد مفتي بيروت بقولهِ:

جزا الله المؤلف كلَّ خيرٍ لهذا العقد في جيد الحسانِ
امصباحٌ بدا ام بدرُ سارٍ بافق سما البلاغة والمعاني

ومن حسن مساعي ابراهيم بك انهُ عُني باستجلاب ادوات الطباعة لدير طاميش سنة ١٨٨٥ كما ذكرنا سابقًا (المشرق ٤: ٤٧٣). وكان للمترجم شعر قليل منهُ قولهُ في مدح السلطان عبد المجيد:

ملكٌ اضا على الانامِ ببهجةٍ احيا الزمان بها فاتَ الحُسَّدُ
حزمٌ وعدلٌ رحمةٌ وطلاقةٌ حلمٌ وبذلٌ غيرةٌ لا تُجحدُ
دانت لباب جلالهِ أُمم الورى فغدت بشوكتهِ تسرُّ وتسعدُ
خضع السدادُ لحزمهِ وبعزمهِ هزم العدى بالسيف حيث يجرّدُ
فاذا الخطوبُ تجمَّعت قاتلوا لها عبد المجيد فانها تتبدَّدُ
واذا تصوَّر في الدجنَّة ذاتهُ لاح الصباح ونوره يتوقَّدُ

وتوفي ابراهيم بك بعزّ كهولتهِ فقال الشيخ ناصيف اليازجي يرثيهِ:

ضاق الرثاء بنا من فرط ما اتَّسعا كالماء طال عليهِ الورد فانقطعا

ومنها:

قد كان في طبهِ للناس منفعةٌ فاذ اتى الموت ذاك الطبُّ ما نفعا
وكان يبري من الناس الجراحَ فهل يبري جراح فؤادٍ بعدَه انصدعا
سارت الى الله تلك النفس تاركةً جسمًا يُرى في تراب الارض مضطجعا
كلٌّ الى اصلهِ قد عاد منقلبًا فانحطَّ هذا وهذا طار مرتفعا

(طنوس الشدياق) هو الشيخ طنوس بن يوسف بن منصور الشدياق ولد في اوائل القرن التاسع عشر في الحدث من سلالة قديمة اصلها من حصرون يُعرف نسبها من القرن السادس عشر. درس طنوس مع اخوتهِ في مدرسة عين ورقة وتعاطى التجارة مدَّةً ثمَّ انقطع الى خدمة الامراء الشهابيين فارسلوهُ الى عكا ودمشق وقام باعباء خدمتهِ بكل نشاط وأُقيم بعد ذلك قاضيًا على النصارى في لبنان. وقد اشتهر طنوس بمعارفهِ التاريخيَّة. وكان كلفًا بتاريخ لبنان فصنَّف كتابهُ المسمى باخبار الاعيان في تاريخ لبنان جعلهُ ثلاثة اقسام في جغرافيَّة لبنان ثم في انساب اعيانهِ ثمَّ في اخبار ولاتهِ وقد راجع في تأليف كتابهِ عدَّة مخطوطات سرد اسماءها في المقدَّمة. وهو ادقُّ واضبط ما

وضع الى يومنا لاسيما في تاريخ الازمنة الاخيرة وساعدهُ في تهذيبهِ وتنقيحهِ ونفقات طبعهِ المعلم بطرس البستاني . وكان نجازهُ سنة ١٨٥٩ بعد شغل نحو خمس سنوات . وقد عُرف صاحب هذا الكتاب بتجردهِ عن الاغراض كما قال :

خلا تاريخنا من كلّ ميلٍ ومبين بين اخبار الزمانِ
وجاء بعون مولانا سديدًا مفيدًا ما لهُ في النفع ثانِ

ولم نعرف سنة وفاة الشيخ طنوس . ومما يُذكر من آثاره ايضاً انهُ كان يشتغل بمعجم الالفاظ العاميَّة ولم ينجزه (١

(ابراهيم العوراء) هو ابن المعلم حنا العوراء الروميّ الملكيّ الكاثوليكيّ ولد في عكّة في اواخر القرن الثامن عشر وتخرَّج بالآداب هو واخوهُ ميخائيل على ابيهما الذي خدم في ديوان انشاء محمَّد باشا الجزَّار ثمَّ في ديوان خلفه سليمان باشا . فبرع حنا في الكتابة وضُمَّ الى كتاب ديوان الانشاء تحت نظارة والده وخالهِ ابراهيم نحّاس وذلك سنة ١٢٢٩ (١٨١٤ م) . وكان مغرماً بتاريخ بلاد الشام يدوّن من حوادثها ما امكنهُ ثمَّ جمع ذلك في كتاب ضمنهُ تاريخ سليمان باشا افتتحهُ بمجمل اخبار القرن الثامن عشر ثمَّ اتسع في تاريخ الاحوال التي جرت في آخر ايَّام الجزَّار ولاسيما في عهد خلفهِ سليمان باشا الى وفاته سنة ١٢٣٤ (١٨١٨) ولم يزل يحسّن هذا التاريخ ويهذبهُ حتى اتمَّهُ سنة ١٢٦٩ (١٨٥٣) وفي مكتبتنا الشرقيَّة نسخة منهُ وهو سفر جليل يحتوي امورًا عديدة وتفاصيل لا تكاد تجدها في غيرهِ روى اكثرها عن ادباء عصرهِ وعن معرفتهِ الخاصة ممَّا عاينهُ بنفسهِ فزادت بذلك خطورتهُ . توفي ابراهيم العوراء سنة ١٨٦٣ فكتب الشيخ ناصيف اليازجي هذا التاريخ على قبرهِ :

لا تجزعوا يا بني العوراء واصطبروا لفقد ذخرٍ لكم بالاسى قد فُقِدا
من فوقهِ احرف التاريخِ ناطقةٌ في طاعة الله ابراهيمُ قد رقدا

(ناصيف المعلوف) هو احد الذين اشتهروا في هذه المدَّة بين نصارى الشرق بآدابهِ ومعارفهِ اللغويَّة . وقد مرَّ لهُ في المشرق(٨ : ٧٧٣ : ٨٤٧الخ) ترجمة مطوَّلة بقلم الكاتب البارع عيسى افندي معلوف نقتطف منها ما يليق بالمقام . هو ناصيف بن الياس بن حنا

١) اطلب المجلَّة الاسيويَّة الالمانيَّة (ZDMG. IX : 269) .

المعلوف. كان ابوه في خدمة الامير بشير الشهابيّ يقطن مع اسرتهِ قرية زبوغة وفيها ولد ابنهُ ناصيف سنة ١٨٢٣ فسلمهُ ابوه الى بعض افاضل المعلمين من كهنة ومرسلين فانكبَّ على درس اللغات والعلوم بكل رغبة ثم رافق في رحلتهِ الى ازمير سنة ١٨٤٣ التاجر الشهير يوحنا عرقتنجي واتمَّ هناك دروسهُ في مدرسة الاباء العازاريين واتقن اللغات التركيَّة واليونانيَّة الحديثة والافرنسية والايطالية حتى امكنهُ ان يصنف عدَّة كتب في كل هذه اللغات (اطلب قائمتها في المشرق ٨: ١٠٤٩) لكنهُ برَّز خصوصاً في التآليف التركيَّة التي اقبل عليها المستشرقون وافاضوا في مدحها ونال بسببها الاوسمة الشريفة والامتيازات الخاصة. وبين تآليفهِ ما يشهد لهُ ايضاً بمعرفة آداب لغتهِ العربيَّة وحسن انشائهِ فيها وكان وجوه الاوربيين واعيانهم يحبُّون ان يتخذوهُ كترجمان في امورهم لكثرة آدابهِ وطلاقة لسانهِ في كل لغات الشرق. توفي ناصيف في وباء الهواء الاصفر في ازمير سنة ١٨٦٥

هذا ما امكنّا جمعهُ من مآثر النصارى في تلك المدَّة ولا غرو انهُ قد فاتنا من اعمالهم شيء كثير كما اننا لم نذكر بعض الذين عرفوا بآدابهم ولم يصبر على الزمان الَّا القليل من كتاباتهم كالدكتور يوسف الجلخ الذي وردت لهُ بعض خطب في اعمال الجمعية السوريَّة. توفي سنة ١٨٦٩ وقد جمعت في كرَّاس المراثي التي قالها الادباء في وفاتهِ منها تاريخ للشيخ ناصيف اليازجي:

قِفْ عند تُربَةِ يوسف الجلخ الذي ما زال يغلبُ دينُهُ دنياهُ
ولذاك نال ختام خيرٍ فائزًا أرّخْ برحمةِ ربّهِ ورضاهُ

ومنهم الشيخ حبيب اليازجي ابن الشيخ ناصيف توفي سنة ١٨٧٠ وسنذكرهُ مع والدهِ واخوتهِ في تسطير تاريخ الآداب في الطور الرابع ان شاء الله. ومنهم الشيخ مرعي الدحداح (١٧٨٢–١٨٦٨) كان درس في عين ورقة وكتب في دواوين الامراء وتنقَّل في البلاد ولهُ رسائل وكتابات متفرّقة وقد نُشرت سيرة حياتهِ في كرَّاس. قال الشيخ ناصيف في تاريخ وفاتهِ:

مضى الشيخ مرعي راحلًا عن ديارنا ولكن حيًّا في السماء لهُ قصر
واولى بني الدحداحِ حزنًا مخلَّدًا يدومُ كما يبقى لهُ عندهم ذكرُ
همامٌ تلقَّى الحادثاتِ بنفسهِ فتىً لهُ من بعدها المجدُ والفخرُ
اذا زرتَ مثواهُ فأرّخْ وقل بهِ عليك الرضى والعفوُ يا ايها القبرُ (لها بقية)

مطبوعات شرقية جديدة

Mechitar's des Meisterarztes aus Her «TROST BEI FIEBERN» ubersetzt u. erlaeutert von Dr. Med. **Ernst Seidel.** *Leipzig, verlag v. J. A. Barth.* 1908 pp. 309.

السلوان في الحميات

هذا الكتاب لمؤلف ارمني ازهر في القرن الثاني عشر للميلاد يُدعى مكيتار اصلهُ من مدينة هار المدعوَّة اليوم خوي في بلاد العجم وكان طبيباً نطاسيًّا وحكيماً عالمًا بالفلسفة والفلكيَّات. ومن آثاره المخطوطة كتابٌ واسع وضعهُ في الحميات سنة ١١٨٤ جمع فيهِ آراء الاطباء الذين سبقوا عهدهُ من يونان وعرب وعجم ودعاهُ بالسلوان رجاء ان يفيد الاطباء بمضامينهِ فيشفوا مرضاهم من بلاء الحمّيات. وكان منهُ في مكتبة باريس نسخة مخطوطة تاريخها سنة ١٢٩٤ بقيت في زوايا النسيان حتى استخرجها من مكمنها الاباء المكيتاريون فنشروها بالطبع سنة ١٨٣٢. وقد بيَّن الدكتور وهرام تركوميان احد اطباء الاستانة العليَّة عظم شأن هذا الكتاب بمقالة مطوَّلة انشرها في اكادميَّة العلوم الطبيَّة في باريس سنة ١٨٩٩. واحبَّ الدكتور سيدل مؤخَّرًا ان يقرب منافع هذا الاثر الى العلماء الاوروبيين. بنقلهِ الى الالمانية وتذييلهِ بالحواشي والملحوظات الضافية. فنحضُّ المتطببين على درس هذا التأليف فانهُ يفيدهم معرفة آراء القدماء في الحمّيات وطرائقهم المختلفة في معالجتها فانَّ بعض تلك الادوية لا تخلو من المنافع في تطبيب المحمومين حتى في يومنا هذا الاب ت. كورنز

Dr **Rauschen.** ÉLÉMENTS DE PATROLOGIE ET D'HISTOIRE DES DOGMES. Traduits de l'allemand et adaptés par **E.Ricard.** *Paris, Roger et Chernoviz.* VIII-365 pp. in-16.

اصول معرفة تآليف الاباء وتاريخ المتقدات الدينية

قلَّما يجد الدارسون في اللغة الفرنسويَّة كتباً تعليميَّة لدرس تآليف آباء الكنيسة. وكلُّ ما كُتب في هذا الصدد قد عتق او هو اكبر حجماً من ان يستعين بهِ طلبة العلم. وفي اللغة الالمانية كتاب محكم يسدُّ هذا الخلل ألفهُ الدكتور روشن احد اساتذة

كليَّة بون الكاثوليكيَّة . فطلب الخوري ريكارد من معلمي مدرسة اكس الأكليريكيَّة الى المؤلف بان يسمح لهُ بنقل كتـابهِ الى الفرنسويَّة مع التصرُّف ببعض اجزائهِ وفقاً لذوق الفرنسويين فرخَّص لهُ الدكتور في ذلك . وقد اطَّلعنا على هذه الترجمة فوجدناها مناسبة للغاية المقصودة اذ هي جامعة لصفات الكتب المدرسية من وضوح وحسن تقسيم الفصول ومراعاة احوال الدارسين في اطالة بعض الاقسام وتلخيص غيرها . وقد تحقَّقنـا انَّ هذه الصفات زادت رغبة ارباب المدارس في ذلك التاليف فادخلوهُ في جملة كتبهم التعليمية . ولا نشكّ في رواجهِ بين الأكليروس الشرقي ايضاً لاسيما انهُ مع كثرة موادهِ رخيص الثمن يباع بثلاثة فرنكات فقط س . ر

A LITERARY HISTORY OF THE ARABS. By **R. A. Nicholson** M. A., London, T. Fisher Unwin, 1907, XXX-500 pp.

تاريخ العرب الادبي

ينبئ صاحب هذا الكتاب قرَّاءهُ في مقدمتهِ بانَّ غايتهُ من وضعه ليست تسطير تاريخ الآداب العربية لانَّ ذلك يقتضي ابحاثاً طويلة ودروساً واسعة لم يفكِّر في خوضها وانَّما اراد فقط ان يرشد الاوربيين الى بعض الالمام بآداب العرب فيمثّل لهم في كتابهِ افكار كتبتهم واساليبهم النثريَّة والشعريَّة . ولبلوغ هذه الغاية قد قسم كتابهُ الى ثلاثة اطوار واسعة اودع مضامينها في عشرة فصول . فالطور الاوَّل مختصّ بعهد الجاهلية يليهِ طور الاداب الاوسط المعدود كعصر العرب الذهبيّ في ايَّام العبَّاسيين . ثم الطور الثالث وهو الاخير منذ ظهور المغول الى اواخر القرن الخامس عشر للميلاد . وقد المح في كلّ هذه الاطوار ولاسيما الطورين الاولين الى الحركة الادبية بين العرب متتبعاً اخبار شعرائهم وخطبائهم وفلاسفتهم ولغوييهم وكتبتهم الدينيين . ولم يتسع في كل ذلك الَّا قدر ما رآهُ مناسباً لغايتهِ . وانَّما اختار بين شعراء العرب خمسةً ممن رآهم في الطور الثاني كقدوة زمانهم والمثـال الذي على منوالهِ نسج اخلافهم فأعمل النظر في طرائقهم الشعريَّة ومعانيها ودرسهـا درساً خصوصياً وهم مطيع بن اياس وابو نوَّاس وابو العتاهية والمتنبي وابو العلاء المعرّي . فنقل من كلامهم نتفاً وسعى بان يبيّن خواصهم الكتابيـة التي حذا الاخرون حذوها . على انَّنا مع اقرارنا بفضل المؤلف لم نجدهُ كفوءًا لمثل هذا التاليف وقد يلوح من مطاوي كتابهِ انهُ لم يعرف مصنَّفات العرب في اصلها العربي وانمـا درسها

في كتب بعض المحدثين من الاوربيين كبروكلمان (Brockelmann) عند الالمان وهوارت(Huart)عند الفرنسويين وكذلك راجع بعض المنشورات الحديثة التي تبحث عن آداب الجاهليَّة اجمالًا فالتقط منها شيئًا من فوائدهـا دون ان يتعمَّق في مضامينها كما انهُ نقل عن تلك الكتب جداولها للمصنفات العربية دون ان يشير الى عدَّة تآليف كان حقهُ ان يذكرها وفيها من الفوائد ما لو اطَّلع عليهِ لاستفـاد منهُ كثيرًا كتأليف الدكتور ڤولرس في لغة قريش والطبعة الثانية من كتـاب نلدكه في الاصول العربية. وكذلك لا يشير البتة الى الكتابات اليمنية التي ابطلت عدة مزاعم كان الكتبة ينقلونها بلا تروٍّ. ومما فاتهُ كتابة نمارة العربية التي وجدها العلّامة دوسُّو وهي مكتوبة بالحرف النبطي. وكذلك لو اطَّلع على رسـالات الدكتور كلازر لَما نسب ما اكتشفهُ من الآثار اليمنية الى القرن الثامن قبل المسيح. وكان يمكنهُ في كلامهِ عن الاخطـل والخنساء ان ياخذ عدَّة فوائد من مقالات الاب لامنس الافرنسية في الاول وعن ديوان الثانيـة المطبوع في مطبعتنا وكانهُ جهل كل ذلك. وما يُقال اجمالًا انَّ تاريخ العرب الادبيَّ لا يمكنهُ ان يحصر في كتاب كمثل هذا وقد رأينـا الدكتور برون (Dr Browne) خصَّص عدَّة مجلَّدات لتاريخ الفرس الادبيّ مع انَّ العرب اغنى بآدابهم من العجم بكثير ل. ش.

A. Durand S. J. L'ENFANCE DE JÉSUS-CHRIST D'APRÈS LES ÉVANGILES CANONIQUES, suivie d'une étude sur les Frères du Seigneur, in- 16, XLI-287 pp., *Paris*, *Beauchesne et Cie*, 1908.

طفولية السيد المسيح وفقًا للاناجيل القانونية

وضع حضرة الاب الفرد دوران احد اساتذة الدروس الكتابيَّة في مكتبنا الشرقي عدَّة مقالات في طفولية السيد المسيح ليشرح ما جاء ورد عنها في الفصول الاولى من انجيلي متى ولوقا ونشرها في مجلَّة الدفاع عن العقائد الدينيـة (Revue pratique d'Apologétique) وها هوذا قد جمع تلك الفصول المتفرقة في كتـاب مستقل يسرُّنا ان نُعرف بهِ قرَّاء مجلة المشرق. وما كان ليخفى على حضرة المؤلف مـا كتبهُ نـكَرَة الوحي في هذه السنين الاخيرة لتخطئة الاناجيل المقدَّسة في مـا رووهُ عن ميلاد السيد المسيح من العذراء الطاهرة وعن العجائب التي رافقت الاشهر الاولى من ظهوره على الارض. ومن يقرأ كتاب الاب دوران يتحقق انَّهُ اطلع على كلّ اعتراضات الملحدين

وهو يدونها في تآليفهِ دون خوفٍ ثمَّ يفنّدها بكل دراية ببراهين لا يرفضها غير الذين يناهضون الدين بغضاً لحقائقهِ ولا يطلبون الحقيقة باستقامة النية. ومما اعجبنا في كتاب حضرتهِ انهُ يجمع تلك الاعتراضات ويبيّن مناقضة بعضها للبعض الآخر بحيث لا يحتاج غالباً لتفنيدها بطريقة اخرى غير معاكستها لبعضها . وبعد تقويض كل تلك المزاعم تراه يوضح تعاليم الاناجيل المقدَّسة مبيناً صدق كاتبيها وبعدهم من كل زور ومكر ثمَّ يثبت توافق التعاليم مع بعضها ومع ما ورد في نبوءات العهد القديم لاسيما بخصوص ميلاد الرب من بتول طاهرة قبل الولادة وبعد الولادة وخلاصة القول انَّ هذا الكتاب لم يدعْ مسئلةً منوطة بطفولية الرب الّا استوفى شروحها تماماً — ولهذا التأليف ملحق وهو مقالة واسعة نشرها حضرة الابِ في المجلّة الكتابيَّة عن اخوة الربّ الذين ورد ذكرهم في الانجيل فاثبت بالشواهد النقليَّة والعقليَّة انهُ لا يراد في الانجيل باسم « الاخ » الاخ الشقيق من الاب والامّ بل اولاد الاعمام والاخوال . وهو جوابٌ صادقٌ كان قدماء الاباء منذ قرون النصرانية الاولى قد اجابوا بهِ الهراطقة فافحموهم. فاستعارهُ حضرة الاب من تلك الموارد القديمة وأيدهُ بشواهد جديدة لا تبقي للمرتابين شكًّا في الامر. فنثني على رصيفنا الفاضل ونحضُّ محبي الدروس الكتابية على مطالعة هذا الكتاب النفيس

الاب ي. ديلنسيفر

Mgr. de Beauvais: La liberté intellectuelle après l'Encyclique « Pascendi ». *Paris, Beauchesne,* 1908.

البراءة البابويَّة في الاضاليل العصريّة وحريَّة الابحاث

زعم بعض اعداء الدين انَّ رسالة البابا في الاضاليل العصريَّة التي مرَّ فيها الكلام سابقاً من شانها أن تعيق الابحاث العلمية فقام احد اساقفة فرنسة وهو اسقف مدينة بوفه في فرنسة مفنداً تلك الشكايات في تأليف صغير نحثُّ قرَّاءنا على مطالعتهِ. فقد بيَّن سيادتهُ انَّ قداسة الحبر الاعظم لم يقصد بهذه الرسالة الّا شيئاً واحداً ان يمنع ابناء الكنيسة عن الضلال فبفعلهِ هذا هيهات ان يكون اضرَّ العلوم بشيء والاحرى ان يُقال انهُ جعل للعقل البشريّ حدوداً اذا تجاوزها تاه في بيداء الوهم ووجد فيها مضرَّة ليس نفعاً

ن. ل

U. Holzmeister s. J. II COR. III. 17 « DOMINUS AUTEM SPIRITUS EST » Eine exegetische Uebersicht ueber die Geschichte der Erklaerung dieser Stelle. p. X-104, 1908, *Innsbruck*, *Fel. Rauche*.

شرح الاية « انَّ الربَّ هو روح »

في رسالة القديس بولس الثانية الى اهل كورنتس (٣ : ١٧) آية هذا منطوقها «انَّ الربَّ هو روح » كثر فيها جدال ناكري الاسرار فانَّهم زعموا انَّ هذه العبارة تنفي تعليم الكنيسة المسيحيَّة في الثالوث الاقدس فيشرحون الاية على هذا المنوال بقولهم : ان لفظة « الرب » (وفي اليونانيَّة ὁ Κύριος) في هذا المكان تدلُّ على المسيح امَّا لفظة الروح فهي في اليونانيَّة معرَّفة τὸ πνεῦμα وبتعريفها دلالة على انَّ المقصود هو الروح القدس فيكون المعنى انَّ الرب اي السيد المسيح هو الروح القدس وهو قول يضادّ المعتقد المسيحي في تثليث الاقانيم. لكنَّ هؤلاء المتشدقين لو تروَّوا في اقوال الاباء ومفسري الكتاب المقدَّس لتحقَّقوا انَّ سهمهم قد طاش ومسعاهم قد خاب اذ انَّ لهذا النصّ تفاسير صحيحة مغايرة لتفاسيرهم. ومن جملة هذه الشروح الصوابيَّة شرحُ الاب اليسوعي اوربان هلستمايستر تريل كلّيَّتنا في العام الماضي فانَّهُ صنَّف كتابًا كاملًا في بيان معنى هذه الاية الصحيح. فدرس لذلك هذه العبارة درسًا مدقَّقًا ليس فقط في منطوقها المنفرد بل في قرائنها ايضًا. وخلاصة شرحهِ انَّ معنى الاية هو هذا : « الله هو الروح القدس » بتقديم المبتدإ على الخبر اي انَّ الروح القدس هو الله . ولتوطيد هذا الشرح درس حضرتهُ المفردات التي تتركب منها تلك الجملة الاسمية وقابلها بكل الاناجيل المقدَّسة التي ورد فيها ذكر الربّ او ذكر الروح فكانت نتيجة بحثهِ انَّ الربّ (ὁ Κύριος) هنا لا تدلُّ على المسيح بل على الاله الحقيقي الذي يدعوهُ اليهود يَهْوَه יהוה وقد قدم الرسول الخبر على المبتدا اثباتًا لمعناه. وعليهِ قد استنتج حضرة المؤلف بانَّ هذه الاية لا تجعل السيد المسيح والروح القدس واحدًا بل تثبت كون الروح القدس هو الله كما الاب والابن. وقد تصفحنا ما كتبهُ حضرتهُ في هذا الصدد فوجدنا ادلَّتهُ ثابتة وبراهينهُ مقنعة لاسيا انَّ اباء الكنيسة اليونانية اجمالًا جنحوا الى هذا التفسير. لكنَّنا لا نوافق المؤلف في نفيهِ لشروح أخرى وردت في هذه الاية وخصوصًا شرح الاباء اللاتينيين حيث قالوا انَّ لفظة الربّ هنا تدل على المسيح وانَّ معنى الاية هو « ان الربّ اي

المسيح روح هو» كما نُقلت في توراتنا العربية وهو شرح لا يخلو من الصحة ايضاً وان كان تفسير حضرتهِ ارجح واوفق للاصل اليوناني الاب ي. ديلنسيفر

AUX CATÉCHISTES- PROGRAMME POUR LE TEMPS PRÉSENT, par l'abbé **F. Gellé**, in-16, 1908, *Paris, G. Beauchesne et C*[ie].

دستور مفسري التعليم المسيحي

انّ رسالة الاب الاقدس بيوس العاشر في التعليم المسيحي استوقفت انظار كثيرين فأخذوا يبحثون عن اقرب الوسائل وانفعها لشرح التعليم المسيحي. وهـا هوذا كتاب صغير الحجم جمع فيهِ احد افاضل الكهنة الفرنسويين كلّ ملحوظاتهِ الشخصيَّـة في كيفية القاء التعليم على الاحداث لينشأُوا بمعرفة المعتقدات الدينيّة والفرائض التي يقضي بها الدين عليهم. وقد قسم كتـابهُ الى ابواب متعدّدة بيّن فيها كيف يستطيع المتولون لتدريس التعليم المسيحي ان يجذبوا الاحداث ويرغّبوهم في ذلك ثمّ ينتقـل الى فصول التعليم فردًا فردًا فيرشد المعلم الى فهم مضامينهِ والطرائق المختلفـة التي يمكنهُ ان يستعين بها لتلقين تلك التعاليم وطبعها في عقول الصغار ثمّ يدلّهُ على المشاكل التي ينبغي لهُ حلّها وعلى كل التسهيلات التي تجديهِ نفعاً في هذه المهنة الجليلة لتهذيب عقول الاحداث بكل آداب الدين منذ نعومة اظفارهم ل. ش

PROVERBES ARABES DE L'ALGÉRIE ET DU MAGHREB recueillis, traduits et commentés par **Mohammed Ben Cheneb**.T. III, in-8. pp. 324, *Paris, Ernest Leroux,* 1907.

الامثال العربية الشائعة في الجزائر والمغرب

مرّ لنا وصف القسمين الاولين من هذا المجموع المفيد (المشرق ٨: ٨٦٣ و١٠: ٢٣٤) فثناؤنا عليهما ينطبق على هذا القسم الثالث والاخير. وقد دوّن صاحبهُ الاديب في هذا الجزء الامثال الباقية من حروف المعجم الاخيرة اعني من النون الى الياء (ص١— ٦٦) واضاف اليهِ ملحقاً واسعاً مما فاتهُ في الاقسام السابقة (ص ٦٧ —٣٢٤). وكلّ هذه الامثال منقولة الى الافرنسيَّة مع ملحوظات شتّى عليها. وقد لقينـا في هذا القسم ايضاً عدَّة اغلاط امَّا في رواية المثل واما في شرحهِ. ولا نشكّ في انّ صاحبهُ الفاضل يصلحها في طبعةٍ جديدة نتمنى وقوعها قريباً برواج الكتاب ان شاء الله ل. ش

كتاب الفوائد الكُبرى في السياحات الصغرى

الجزء الاوَّل سياحة في التيبت ومجاهل اسيا

ترجمة وتأليف حكمت بك شريف الطرابلسيّ الشاميّ (المطبعة الادبية ١٣٢٥ ص ١١٦)

انَّ النفس تتوق الى معرفة البلدان السحيقة واخبار اصحاب السياحات فيها. وقد خصَّ حضرة الكاتب المتفنن حكمت بك شريف قلمهُ السيَّال لتسطير تواريخ تلك البلاد كتاريخ سيَّام وتاريخ زنجبـار وقد افادنا اليوم بأثر جديد اذ باشر بنقل زوايات بعض السيَّاح الى الاقطار المجهولة. وهذا الجزء الاوَّل منها يحتوي تفاصيل سياحة في التيبت ومجاهل آسيا نشرتها سابقًا جريدة لسان الحال الغرّاء فتمكَّه بها القرَّاء حينًا وها هي اليوم جُمعت في هذا الجزء لئلا تضيع فائدتها فنثني على همة كاتبها ونحضُّ احداث المدارس وكل الراغبين في عجائب الاخبار على اقتنائها ل. ش

منهاج الخشوع في حبّ يسوع

ترجمة الاب كميل مارون من مرسلي الاخوة الاصاغر

طبع في اورشليم بمطبعة الاباء الفرنسيسيين (سنة ١٩٠٧ ص ٦٦٣)

قام في انكلترة في اواسط القرن المنصرم كاهن كاثوليكيّ شهير يُدعى وليم فابر ولد في الشيعة البروتستانية ثمَّ هداهُ الله بنوع عجيب الى الدين المستقيم فنبذ اضاليل بيعتهِ ودخل في زمرة كهنة الأُوراتوار في لندن فعُرف بينهم بفضلهِ وتُقاهُ وصارت لهُ بين مواطنيهِ شهرة واسعة بمعارفهِ اللاهوتيَّة وقد صنَّف لافادة الانكليز عدة مؤلفـات روحية في كل المواضيع الدينية اقبلت عليها النفوس الصالحة بكل رغبة حتى انَّها نُقلت الى معظم اللغات الاوربية. فنشكر اذن همـة حضرة الاب الفرنسيسي الفاضل كميل مارون الحلبيّ على تعريب احد هذه المصنفات وهو كتاب الاب فابر المعنون بالانكليزية (All for Jesus) ولعلَّهُ اجلُّ وانفع تآليفهِ جمع فيهِ بين العلم الراسخ والتقى المؤثر في الارواح. وقد راعى حضرة المعرّب في نقلهِ مع الامانة في الترجمـة احوال الطوائف الشرقية فحذف منهُ ما لم يجد فيهِ فائدة لاهل بلادنا متحريًا في عبـارتهِ الوضوح والسذاجة ليكون اوقع في النفوس واجدى نفعًا لخلاصها جازاهُ الله عن عملهِ ومتَّعـهُ بوفرة المقبلين على جنى اثمارهِ الطيبة ل. ش

هدّيَة المُقل

أثر مصطفى المخزومي العضو في مجلس المعارف الكبير بدار الخلافة العليّة
طبع في المطبعة العلمية في بيروت (سنة ١٩٠٨ ص ٥٥)

هذه فصول متفرّقة صنّفها صاحب السعــادة مصطفى بك المخزومي ثمّ جمعها في كتاب واحد. وهي خمسة عشر فصلًا افتتحها بكلام اجمالي في الصحة وشروطها واردفها بفصل في المسكرات ثمّ في القهوة ثمّ في بعض الشؤون البيتيّة والاجتماعيــة الى ان ختمها بفصلين احدهما في اطباء السوء والآخر في الاعتدال. فنهنئ حضرة الكاتب بعمله ونطلب الى الله ان يجازيهُ عن تعبهِ ل. ش

شَذَرَاتٌ

معاهد بغداد العموميَّة عند سقوطها الاول — كتب الينــا حضرة مراسلنا البغداديّ الاب انستاس الكرملي هذه الرسالة التي نرويها بحرفها الواحد:

«كثيرًا ما بحثتُ في كتب التواريخ عن احصاء يذكر معاهد بغداد في عهد اوجها او قبل سقوطها فلم اظفر الّا بشيءٍ قليلٍ منها وفيهِ من الغلوّ الفاحش مــا يدفع المرء الى ان يرتاب في صحة ما يقرأ. وفي هذه الايام اشتريت كتابًا تاريخيًّا اسمــهُ «الدُرّ المكنون. في المآثر الماضية من القرون» لمؤلفهِ يا سين العمريّ الموصليّ الحنفيّ. وتنتهي وقائعهُ التاريخية سنــة ١٢١٨ هـ (=١٨٠٣–١٨٠٤ م) وفي آخره يقول: «انتهى ما اردنا من جمعهِ نهار الاحد رابع وعشرين من جمادى الاولى على يد جامعهِ الفقير ياسين العمري بن خير الله الخطيب العمري الموصلي غفر الله لهم آمين امين سنــة ١٢١٨». فيظهر من ذلك ان النسخة الموجودة بيدنا . كُتبت في السنة التي أُلّف فيها الكاتب سفرهُ. ومن هذا الكتاب نسخة في لندن وهي النسخة الوحيدة المعروفة في اوربا. وليست غايتنا ان نصف الكتاب نفسهُ بل ان نذكر ما جاء في الصفحة الاخيرة منهُ وفيها فائدة عميمة وهي الضالّة التي كنت انشدها من عدّة سنوات بخصوص معاهد بغداد العامّة عند سقوطها الاول. وها اناذا انقلها بحرفها حفظاً لهــا من التلف والبوار واطلاعاً للقرّاء على ما كانت عليهِ بغداد في سابق مجدها وسامق عزّها:

« في بيان جوامع ومساجد وخانقاهات ومدارس ودور حديث وقيسريّات(١ وفنادق وخانات وحمامات ومدارات (هي المطاحن) وبزّارات (هي معاصر الشيرج) ومزمّلات ماء السبيل وكنائس اليهود وبيع النصارى وحوانيت وسراديب وبساتين وسفائن ورووس الرجال النصارى الذين يؤدّون الجزية ورووس الرجال اليهود والذين هم ايضاً يودون الجزية والقرى التي هي في شرقي نهر دجلة. والتي هي في غربيّ دجلة في زمن ملوكها الاتابكية وآخرهم لؤلؤ الملك الحكيم الى ان أخرجها كفرة التتار عند مجيء الملعون هلاكو خان عابد النيران وقتل المستعصم بالله الخليفة العباسي وذرّيتهُ وقتل عامّة سكان مدينة السلام الغربية العظيمة وذلك في عام ٦٦٠ من الهجرة (= ١٢٦١ و١٢٦٢ م)

جوامع خطبة ٣٦ مساجد ٤٠٠٠ خانقاهات ٤٧ مدارس ٣٨ دور الحديث ١٨ قيساريات ١٢٠ اسواق ٣٦ خانات ٩٨٠ حمّامات ٢١٠ مدارات ٤٢٠٠ بزّارات ١٢٠ معاصر للزيت ٩٩ مزمّلات سبيل ١٠٢٥ رحوات الماء ٦٨ الدواليب التي يديرها الماء ١٦ بيع النصارى ٥٦ كنائس اليهود ١٦ حوانيت ٤٨٥١٥ الحوانيت التي يُباع فيها العطريات ١١ قناطر ١٠٦٠ السراديب ١٠٦٠ البساتين في داخل المدينة ٣٦ البساتين في خارج المدينة ٩٥ ابواب المدينة ٩ الجسور ٣ القرى الموجودة في الجانب الشرقي من نهر دجلة ٢٣٠٠٠ القرى الموجودة في الجانب الغربيّ من دجلة ٢٣٠٠ انوال الحياكة التي ينسج فيها الخام والديباج والحرير وغيرها ٧٥٠٠ السفائن ٢٥٠ رجال النصارى الذين يودون الجزية ٤٣٠٠٠ رجال اليهود الذين يودون الجزية ٣٦٠٠٠ اه بحرفه

ولسوء الحظ ان الكاتب لم يذكر اسم الكتاب الذي ورد منهلهُ ولا اسماء الكُتّاب الذين اخذ عنهم هذه الفوائد الجليلة على اننا نظن ان لا مغالاة في هذه الارقام ولعلّ فيها قصورًا بيّناً اذ يذكر مدارسها ٣٨ والبساتين في خارج المدينة ٩٥ فقط والسفائن ٢٥٠ لا غير فلا جرم ان في هذه الاعداد غلتاً. والله اعلم

١) القيسريّة بالسين والعامة تقولهُ بالصاد جرياً على هذه القاعدة المشهورة « اذا اجتمعت السين والقاف. او السين والطاء. او السين والغين. او السين والصاد. او السين والعين. او السين والخاء. فانت الخيار بها ان شئت سيّنتها وان شئت صوّدتها. هذا من جهة اللفظة واما من جهة المعنى فالقيسرية نوع من الخان يكون مسقوفاً في اغلب الاحايين وفيهِ دكاكين للباعة والتجار وربما كان فيهِ حجر فوق الدكاكين او في جانب منهِ يسكنها اصحاب الدكاكين او الباعة او التجار. الّا ان وجود الحجر في القيسريات قليلٌ. وهذا هو وجه الفرق بين الخان والقيسرية. ويقال فيها قيسرية وتجمع على قياسير وقيساريات وقد وردت في كتب المولّدين من ذلك في كتاب المقدسي ص ٧٦ س ١٥ في كلامهِ عن مِنَى قال: بها آبار ومصانع وقياسير وحوانيت حسنة البناء. وذكر العبارة ياقوت فقال بدلًا من قياسير: خانات. وقال ياقوت (في ١: ١٨٦ س ٢٢) عند كلامهِ عن اربل: « قام بعمارتها (اي بعمارة المدينة الجديدة) وبناء سورها وعمارة اسواقها وقيسارياتها الامير مظفر الدين كوكبري بن زين الدين كوچك »

المعادن في الترنسڤال — نُشرت لائحة المعادن في بلاد الترنسڤال للسنة المنصرمة مباشرةً باوّل تموز من السنة ١٩٠٦ الى مثله في ١٩٠٧ فكانت نتيجتها انّ المناجم المعدنية كلها في ترقٍ ونموّ. فانّ محصول مناجم الذهب بلغ في السنة المذكورة ٦٦٠,٠٠٠,٠٠٠ فرنك بزيادة ١٠٨,٠٠٠,٠٠٠ على العام السابق. وكذلك مناجم الالماس زاد محصولها على الضعف فانها في السنة ١٩٠٥—١٩٠٦ أدّت لأصحابها من الحجارة الكريمة ما يساوي ٢٤,٠٠٠,٠٠٠ ف فكان في العام المقبل ثمن تلك الحجارة ٥٥,٠٠٠,٠٠٠ امّا الفضّة فانها قد استُخرج من مناجمها ما تساوي قيمتهُ ٢,٣٠٠,٠٠٠ بزيادة ٦٠٠,٠٠٠ فرنك على العام السابق. وبلغ محصول النحاس مليونًا من الفرنكات بزيادة ٥٢٥,٠٠٠ ف وترقّى محصول القصدير من ١١٠,٠٠٠ ف الى ٧٠٠,٠٠٠ والرصاص من ٦٨,٠٠٠ الى ٥٠٠,٠٠٠

* مزامير القديس بوناونتورا * للقديس بوناونتورا (+ ١٢٧٤) المعروف بالمعلم السروفيّ رياضة تقويّة وعدّة صلوات خشوعية لاكرام مريم البتول الطاهرة منها تسابيح او مزامير مرتّبة على حروف اسم العذراء مريم تبتدئ آيات كل مزمور منها باحد حروف هذا الاسم الكريم على لفظهِ في اللاتينية « ماريا ». فاحبَّ حضرة الشمّاس الفاضل داود صليوا الكلداني الكاثوليكي ان ينظم هذه المزامير بالشعر العربي التماساً لشفاعة العذراء المجيدة. فطلب الينا ان نثبتها في صفحات المشرق. فلبّينا دعوته بطيب القلب في هذا الشهر المريمي المبارك . وقد التزم حضرة الناظم في اوّل كل بيت ورويّهِ حروف اسم مريم كما في الاصل وهو نوع من البديع العربي يُدعى بمختّم الطرَفين او محبوك الطرَفين. وقد تجاوز حضرته في نظمهِ بعض الجوازات الشعريّة ليكون اقرب الى نصهِ الاصليّ

المزمور الاوّل (من بحر الطويل)

مدينةُ مولاها تُعظِّمُ مريمُ ... وفي بيعةِ الابكار تسمو وتُكرَمُ
مراحمكِ الغرّاء شاعتْ لدى الورى ... فبارِكَ اعمالًا أتيتِ المعظَّمُ
مولّاتنا زيحي البلا عن بلادنا ... واشفي لنا سقماً يسوءُ ويؤلمُ
ملاكًا بشيرًا ارسليهِ لقاءنا ... يقينا من الاعداء شرًّا فنسلمُ
موقيةً كوني لنا ورحيمةً ... لانَّ رجاء الكونِ أنتِ أمريمُ
مناانا اذكرينا واستجيبي بكاءنا ... وردي زفراتٍ من حمانا تُقدَّمُ
ملكتِ علينا فاشفعي وتضرعي ... ونحّي حجابَ الهمِّ عنا تُرنَمُ

مراحمَكِ العظمى نوءمُ بضيقنا أنيري لنا قلباً بحقّكِ يُفعمُ
مماليككِ الانَ ارحمي لا تني بهم اذا مسهم ضيقٌ وضرٌ يُسوَمُ
ملكتِ زمامَ المجدِ صوني حياتنا ونجي عبيـدًا من مكارهِ تَبرمُ
مصائبنا تُجلى برافتك التي نوءماها سُلوانَ حزنٍ يُختمُ
من الضيق مسحوقي القلوب انشلي كذا بأزر النجـا شدّي متونا تُهدَّمُ

المزمور الثاني (من بحر البسيط)

اليك ارفعُ مدحاً قد خُصصتِ بهِ فأبهجيني بصوتٍ من حماكِ أتى
انّا نُناديكِ من قلبٍ يضيقُ بنا من طوركِ الاقدس اصغي يُشفَ كلُّ أسى
أقدِم أيا خاطئاً نحو البتول وتبْ ثمَّ اعتنق قدَميها تلقَ خيرَ اسا
أقبل اليها باكرام وحسنِ رجا يا عابدًا تحظَ بالانعام حيث ترى
ايتوا اليها وانتم في شدائدكم يُضيئكم نورها في ظلمةٍ ودُجى
أنّا نجونا بها من غيّ طالبنا من يزأرنْ لابتلاع النفسِ منذُ هوى
احفظ وصايا العلي يا شعبهُ أبدًا واذكُر اوامرَ مولاةِ السما وكفى
افتح فوادك وافحصهُ بجملتهِ وارفع عقيرة حمدٍ واعترف بغنى
انم ِاتّقد يا هوى قلبي بها شغفاً بالخزي ردّت عدوًا بالهلاك سعى
ازالتِ الحزنَ من جنانِ عابدها وابهجت لُبَّنا بلينها فنجا
أُسجـد لمن بكمال الحسن أبدعها وعظِّمنْ قدرها ذاك الرفيعَ سنـا
الجأ الى عونها تُنقذك مسرعةً من الوباء وطاعونٍ وشرٍ ردى

المزمور الثالث (من بحر البسيط)

رايتُ مريم في الضيقات ملجأنا وقوةً تسحقُ الاعداء والضررا
راعوا كرامتها يا عابديها تكن في عونكم تشفعَنْ فيكم لغيرِ مرا
روحوا اليها الجأوا في وقت كربكمو فانها العتق لا تُبقي ولن تذرا
رجزَ ابنكِ عن عبادكِ اصرفي ابدا وارضي بان تشفعي فيهم بما غبرا
رَي ضعفنا يا بتولًا في تحنُّنكِ وأسرعي ان تزيلي الضيق والخطرا

رعيّةُ ابنك فاذكري مقاصدهم وأسنديهم فهم عبيدك الفقرا
رجوك كيلا شرور الدهر تدهمهم عيني لدى الموت كي نحيــا وننتصرا
روّي صدى قلبنــا من فيض لذّتك العليا لننسى كروب الدهر والكدرا
رَيْ من تواضعنا ذلّا ولا تدّعي ان نغرقنْ في البلايا او نرى عُسرا

المزمور الرابع (من بحر البسيط)

يا مريمُ البكرُ اني أستغيث بك من اجل وفر مراحمِ أبنك في يدَيْ
يا مريم البكر نوري من صباي لقد خرجتُ نحوك كي لا ضعف يقوى عليّ
يا مريم البكر روحي في يديك لقد اودعتُها وحياتي ناذرًا أصغرَيْ
يُفاض نورٌ علينا من تحنتــــكِ السامي لكي نستنير اليوم في كل شيْ
يا مريم البكر أمّ الله فيــكِ غدا خلاصُنــا فاشفعي فينا فلم نلقَ غيْ
يا مريمُ البكر مضمونَ الصلوة الى ناديكِ ترفعُ فارتضي بنا لا تنيْ
يا مريم الفوزُ والافراحُ أنتِ لنــا وسرمدًا مجــدنا ينجو بك كلُّ حيْ

المزمو الخامس (من بحر الطويل)

الى مريم انّا صرخنا بضيقنا فكم لبّتِ الداعي برفقٍ متى جاء
اليها رفعنا النفسَ عند القضا ترى بطلْباتها لم نخزَ او نلقَ ضرّاء
أهني التي فيها تخلّص آدمٌ عليك سلامُ الله ما كوكبٌ ضاء
الى العرش رقّاها باحن ملائكٍ وكلّلهــا وردًا زنابقَ غرّاء
ألا يا أرحضي مولاتنا كلَّ اثمنــا واشفي لنا سقمًا وداويَ أدواء
ألا فرّجي الهمَّ اصرفي كل شــدّةٍ ولاشي لنا الاوجاع منها لقد ساء
أما بكِ عنّا يُصرفنْ رجزُ ربنــا فأرضيه بالطلْبات عنا كما شاء
ألا يا افتحي ابواب برٍ أمامنا فنخــبرَ بالايات سرًّا وانبــاء
ألا أقدمي نجو ابنكِ واشفعي بنا لننجوَ من سوء ونحظى بسرّاء
أما عوننا فيها وفي قوّة اسمها بها كلُّ أمرٍ يستقيم وما فاء
ألا يا انقذي خدّامك من بلابلٍ فيحيوا بأمنٍ فيك اذ لن يروا داء
ألا نحوك كلُّ القبــائلَ تسجدنْ ومعهمُ اجواقُ الملائكِ اسواء

اسئلة واجوبة

س سالنا مستفيد من ادباء البلدة : ١ً من هم الالهة الذين ورد ذكرهم في هذه الاية (خروج ٢٢ : ٩) : كلّ دعوى جناية في ثور او حمار او شاة او ثوب او كل ضالة يقال فيها « الامر كذا » فالى الآلهة تُرفع الدعوى ومن تحكم الالهة عليهِ يعوض صاحبهُ مثلين . ٢ً كيف التوفيق بين اية انجيل يوحنا (١٠ : ٣٠) : « انا والاب واحد » وقولهِ (١٤ : ٢٨) : « الاب هو اعظم مني »

حل مشكلين كتابيين

ج نجيب على (الاوَّل) انَّ بني اسرائيل كانوا اذا ارادوا الدلالة على الاله الحقيقيّ دعوه باسم يَهْوَه اي الكائن كما اوحى الله بهِ الى موسى . وقد استعملوا في اسمهِ الكريم اسماء أُخرى كانت شائعة عند بني سام كالاشوريين وغيرهم اخصُّها ايل وألوهيم . ولمَّا كانت الشعوب السامية تشير بهذين الاسمين الى آلهتها الكاذبة لم يأنف الاسرائيليُّون من استعمالهما ايضًا للاصنام . ولئلَّا يقع الالتباس في المعنى عرَّفوهما عند دلالتهم على الاله الحقّ اما باداة التعريف فيقولون الايل (האל) او الالوهيم واماً باضافتهِ الى اسم آخر كقولهم « ايل ابراهيم » والوهيم يعقوب او « ايل السماء » او « ايل الخلاص » . وقد جاء اسم ألوهيم مجازيًا في آيات متعدّدة من الكتاب المقدَّس كما يظهر من القرائن . فالاية المطلوب شرحها تدلُّ فيها لفظة « الوهيم » على القضاة اذ لا يمكن ان تُرفع الدعاوي الجنائية الى غيرهم . ومثل هذا آياتٌ اخرى بمعناها (راجع سفر الخروج ٢١ : ٦ ثم المزامير ٨١ : ١ و٦) وهلم جرًّا . ونجيب على (الثاني) انَّ السيد المسيح يستطيع ان يقول دون أدنى تضادّ في قولهِ « انهُ والاب واحد » و« انَّ الآب اعظم منهُ » كما يمكنهُ القول « انا انسان » و« انا اله » وذلك على حسب اعتبارهِ في ذاتهِ احدى طبيعتَيهِ اللتين يتألف منهما اقنومهُ الواحد . كما يمكن الانسان ان يقول عن شخصهِ انا روح (اي من حيث نفسي) وانا هيولي (اي من حيث جسدي) ل . ش

س ورد علينا هذا السؤال من غزير فنثبتهُ بحرفهِ : أيجوز لأيّ علم كان ان يرافق الجنازة الى الكنيسة ولاسيما اذا منعهُ الاسقف وحرم نشرهُ في الحفلات الدينية

الأعلام في الجنائز

ج انَّ المجمع المقدس اجاب غير مرَّة على اسئلة كهذه بالسلب . منهـا جواب ارسلهُ الى اكليروس پادوا في تاريخ ١٤ تموز ١٨٨٧ وتعريبهُ : « لا يُسمح في حفلات

الدين ان يُتَّخذ غير الأعلام الدينية المباركة بالصلوات المدوَّنة في كتاب الطقوس الرومانيّ » — وفي رقيم آخر تاريخهُ ٣ ايلول سنة ١٨٨٧ امر المجمع المقدَّس « بان لا يبارك خادم الدين سوى أعلام الجمعيَّات التي صادقت السلطة الروحية على رسومها وقوانينها ولها مع الدين بعض العلاقة ويجب ان تنقش على تلك الرايات رموز تقويَّة ولا تتضمَّن البتَّة علامة مستكرهة. امَّا ادخال الرايات الى الكنيسة فلا يجوز الَّا اذا كانت لاخويات دينيّة وباركها الكاهن كما مرَّ »

ومن ثمَّ اذا ما رأى الكاهن في الكنيسة عَلَماً ما لم يُراعِ هذه الشروط عليهِ بتنبيه حامليهِ على إبعاده من الرتب الدينية واخراجهِ من الكنيسة فان اصرَّ اصحابهُ على اثباتهِ في الكنيسة يترتَّب على الكاهن ان يخرج هو منها ويكفَّ عن اجراء الرتبة الدينية ن٠م

س سألنا احد الرهبان من الجزائر ما هي الكتب التي طُبعت في العربية عن سيدة لورد المطبوعات العربية عن سيدة لورد

ج لا نعرف منها غير هذه الكتب الثلاثة: ١ً كتاب النزهة في الورود يمثل ظهور السيدة في لورد. عرَّبهُ القس جرجس السرياني (طبع في الموصل سنة ١٨٩٣ ص ٢٦٠). ٢ً تحفة المغارب في سيّدة لورد امّ العجائب للعلّامة دانيال بار به تعريب القس افرام الديرانيّ (طبع في مطبعتنا الكاثوليكية سنة ١٨٩٤ ص ١٤٣ وهو مزيَّن بالصور). ٣ً لورد وفتاتها بقلم السيد جرمانوس معقد مطران اللاذقية (طبع في مطبعة الفوائد سنة ١٨٩٦ ص ٩٥)

س وسال من غلبون حضرة الخوري الياس الخوري ١ً هل الجهل النير مقدور الدفع يمنع انفاذ البطلان ٢ً وهل يمنعهُ متى كانت الشريعة لم تقصد بالابطال الَّا معاقبة الجريمة مفعول الجهل

معلوم انَّ الجهل الذي لا يمكن دفعهُ لا يُبطل مفعول الشريعة من ذاتهِ لِما ينتج عن ابطال الشريعة من المفاعيل السيئة. مثال ذلك ان ترتبط امرأة بسرّ الزواج مع رجل وثني وهي لا تعلم بدينهِ فان العقد باطل من ذاتهِ وان كانت بريئة من الخطيئة لجهلها. امَّا اذا كان المقصود بوضع الشريعة معاقبة الجريمة فقط فيبطل مفعول الشريعة اذا كان الانسان يجهلها لأن الجهل التام يمنع الجريمة ل٠ش

المشرق

معادن الرند الذهبية

والتعدين في الترنسفال وافريقية الجنوبية

بقلم اسكندر افندي طحيني احد طلبة السنة الثالثة في المكتب الهندسي في جوهنسبورغ

مقدمة

يدعون بالرَّند (the Rand) سلسلة تلك الطبقة الارضية التبرّية الترنسفالية الممتدة من انحاء بوكسبرغ (Boksburg) (١ شرقًا الى اطراف كروجرسدورب (Krugers-dorp) (٢ غربًا مسافة ستين ميلًا طولًا بعرضٍ تعديلهُ خمسة عشر ميلًا. ففوقها ارتفعت بنايات تلك المعادن البديعة بتركيبها ونظامها التي ادهشت العالم بوفرة غناها واستدرار ذهبها وقامت في ضواحيها المدن العامرة بالسكان واشهرها مدينة جوهنسبورغ التي منذ عشرين سنة لم تكن سوى سهول قاحلة نُصبت فيها عدَّة مضارب حقيرة لم يأمن فيها نازلوها هبوب الارياح وعواصف الامطار وقد اصبحت الان جنَّة فيحاء تضمُّ في بطحانها مايتين وخمسين الف نسمة من السكان ابتنوا لسكناهم القصور الشاهقة والمخازن

١) هي بلدة تبعد زهاء ثلاثين ميلًا عن جوهنسبورغ فيها معادن غنية بالفحم الحجري والذهب وفيها بنايات حسنة ودار للحكومة جميلة و بحيرتها هي من اجمل المناظر الطبيعية في الرند يقصدها آل جوهنسبورغ في الاعياد للنزهة والراحة وسكانها زهاء ١٧٠٠

٢) واسمها مشتق من اسم الرئيس كروجر تبعد ٢٠ ميلًا عن جوهنسبورغ وهي اهمُّ بلاد الرند الغربي وبها الكنائس الجميلة وسراية للحكومة متقنة البناء والهندسة وبها غرفة تجارة وبها مقام الجمعية الترنسفالية الزراعية ومناخها جيد للغاية والعواصف وآفة البرَد قليلة الحدوث فيها جدًّا وفيها ايضًا تمثال يرمز الى انتصار البوير على الزنوج سنة ١٨٣٦ تؤمُّه الزوار كل سنة تذكارًا لهذا الحَدَث الجليل الذي خلص البيض من الهلاك والدمار

الجميلة والحدائق الغناء واستخدموا لاسفارهم الخيول المطهمة والمركبات المتحركة المعروفة بالاوتوموبيل فضلًا عن البخار والكهرباء (١

*

اما بعد ولما كانت معرفة احوال هذا الرند العجيب تستلفت اليها انظار الادباء والعلماء والتجار والعمال نظرًا لاهميتهِ التاريخية والاقتصادية والمالية والتجارية والسياسية والصناعية فضلًا عن المضاربات الطائلة التي تتنازع اسهمها العديدة قد رأيت ان اسطّر على صفحات المشرق الاغرّ لمحة وجيزة عن تاريخهِ واحوالهِ وكيفية التعدين بهِ الى غير ذلك مما توصلتُ اليهِ بعد الدرس والتدقيق الطويل والاختبار وعلى الله الاتكال

١ً تاريخ الرند

انهُ لقد اصبح من المقرر والثابت الان ومما لا ريبة فيهِ ان تعدين الذهب في جنوبي افريقية عريق في القدم كما تثبتهُ الآثار والخرائب الكثيرة فقد تبين من خرائب زيمبابوي (Zimbabuy) الشهيرة (٢ وهندسة جدرانها العاديّة شارات بينة تدل على علائق ومواصلات تجارية بين ثغر صوفالا (٣ وهو ثغرها الطبيعي ومدينة سبإ المذكورة في الكتاب المقدس والقائمة على سواحل جزيرة العرب الجنوبية . وهناك امرٌ خطير قد شغل عقول العلماء طويلًا واثار بينهم الجدال العنيف في اصل هذه البقايا الموجودة في زيمبابوي وغيرها من الخرائب المجاورة أهي من بقايا الفينيقيين السوريين ام من بقايا السابيين العرب وايُّ الشعبين شادها فهذا الامر لا تزال المناقشة قائمة فيهِ

١) هذه هي التآليف التي استعنّا بها لتدوين مقالتنا : ١ً Skinner's : *Mines of Transwaal* ٢ً The New Foster: *Ore and stone Mining* ٣ً رحلة كارل موخ (Carl Mauché) الى افريقية ٤ً تقارير غرفة المعادن في جوهنسبورغ ٥ً تقارير دائرة المعادن للحكومة الترنسفالية الخ والمجلات *The African World* ; *South African* ; *S.Africa Mines*

٢) اكتشف هذه الاثار فيلبس G. A. Philips سنة ١٨٦٧ ولكن على ما يظن ان البرتوغاليين كانوا يعرفونها قبل هذا الاكتشاف وهي عبارة عن بنايات ضخمة يظهر منها انها مبنية لاجل الدفاع والحجار المبنية بها هذه البنايات مربعة الشكل وليست مشيدة بالكلس والطين وفيها كان القدماء يمالجون الذهب المستخرج من ضواحيها ويسبكونهُ على النار

٣) هي بلدة قديمة وحقيرة موقعها الان الى جنوبي بلدة بيرا (Beira) على الاوقيانوس الهندي بها عدة اثار قديمة وفي ضواحيها نهر يسحي شذرات التبر

على قدم وساق لا سيما بعد ان وجدوا فيها اثارًا من العبادة الفلّيقية (Phallique) التي يصح انماؤها الى الشعبين سواء

وقد وُجدت آثار التعدين منتشرة في تلك الانحاء اي على مقربة من زيمبابوي المذكورة انتشارًا عظيمًا الى ان بلغ بعض المعادن التي عدّنها القدماء في جوار الرند و بعض المعادن لا تبعد عنهُ اكثر من مائة ميل وقد احصي من هذه المعادن المكتشفة والمهملة الان ما ينيف عن الالف وخمسمائة معدن

وقد ذهب بعضهم الى ان بلاد المشونالند (Mashonaland) ليست هي سوى بلاد اوفير المذكورة بالتوراة ولكن لا يمكننا المصادقة على هذا الرأي لاسباب يطول ذكرها الان

ومما وُجد موَخرًا في قعر بعض الانهر حجر الظّران على شكل فوْوس وحراب وغيرها لاحتياجات الانسان وقد وجد ايضًا منها في قعر بعض المعادن المطمورة وهو امرٌ يدل على سكنى البشر جنوبي افريقية من اقدم الزمن . واما تلك القبائل الوطنيَّة التي كانت قاطنة بين نهري الزمبيز والليمپو پو (Zambese and Limpopo) قبل ان تطردها قبائل المتابيلي (Matabele) وتدمّر بلادها فقد تبين ان اصحابها كانوا يحسنون تعدين الذهب والنحاس والحديد في قلب الارض لاصطناع اسلحتهم وكانوا يشيدون حول قراهم اسوارًا من حجارة مربعة الشكل يتّقون بها من هجمات اعدائهم

ومما يستدلّ عليهِ من قياسات وموقع خرائب زيمبابوي ومن قطع الخزف والزجاج وآثار العبادة الفلّيقيَّة بها ووجود صورة العُقاب على احد جدران المعبد وكان عند الاشوريين والفينيقيين رمزًا الى عشتروت او الزهرة إلهة المعادن يظهر بلا شك ان اصحاب تلك الآثار شعب من الشعوب الساميَّة ويستدل على تاريخها من هيئة بنائها واعتقادات بُناتها على انها شُيّدت قبل العهد الكوراني (Koranine era) اعني العصور السابقة للجيل السادس قبل المسيح

واما هندسة الخرائب في زيمبابوي فانها تشبه غاية الشبه الخرائب والآثار الموجودة حتى ايامنا في سوريَّة حيث احاطت الحصون بالمعابد ومما يُظن لا بل يرجَّح على ان المهندسين كانوا من سبا على شاطىء جزيرة العرب الجنوبي والمشهور عن اهلها انهم حلوا الرحلات الزاهرة الطويلة في المحيط الهندي قبل عهد الملك سليمان و بعده وقد تبيَّن

من بعض الاساطين وغيرها من الادوات المستخرجة من حفائر هذه الخرائب حديثاً على ان الذهب كان يُسبك على النار ويُمحص محصاً محكماً في تلك القاعات المصنوعة لهذه الغاية . وقد يُستدل من تعداد طبقات شذرات الخزف المكسور وغيرها التي تغطي وجه ارض تلك الاماكن على ان شعوباً كثيرة اخذت عن سالفيها هذه المهنة واشتغلت في تلك المحلات . ومما يدل ايضاً على ان المشتغلين في تلك الحرفة كانوا اجانب غير وطنيين ما يغلب من الخوف الشديد على قلوب الزنوج واهالي البلاد الاصليين حين اقترابهم من تلك الاماكن اذ يظنونها مسكونة بالارواح وقد وُجد هناك كمية وافرة من انواع الادلية والحبال المصنوعة من قشر الشجر والقُنَّب مطمورة تحت الردم بحالة صالحة جيدة

ولم يستخرج ويعالج الذهب في بلاد المنشونالند وحدها بل كانت توجد معامل لسبكهِ في شمالي الترنسفال ايضاً كما تبينهُ الآثار المكتشفة حديثاً في بلاد ناماكوالند (Namaqualand) وهي اثار قديمة جداً

ولما انقرضت مملكة سبا وخسر السابيون بزوالها السيادة البحريَّة وامتلكتها من بعدهم رحالة العرب القدماء الممتدة شواطئ بلادهم على سائر جهات البحر الهندي بقيت المواصلات بين بلاد المشونالند وبين بلادهم وبين الثغور الافريقية التي كانوا يؤمنها متواليةً مدة عدة اجيال ولم تزل بعدئذٍ معروفة عند عرب الجزيرة واهل الهند

ولما دار البرتوغاليون دورتهم المشهورة حول راس الرجاء سنة ١٥٠٠ مسيحيَّة وجدوا مستعمرة عربيَّة قائمة على الشواطئ الواقعة بين صوفالا وشمالي بلاد الزنجبار

ومما وجدوهُ مؤخراً في محل يدعى مومبي (Mombi) على مسافة ستين ميلاً شرقي بولوايو (Bulowayo) حيث تكثر الخرائب والآثار مدفعان برتوغاليّان احدهما نحاس والآخر حديد فالاول ذو فتيل والثاني يُحشى من فوهتهِ وقد وُجد ايضاً في جملة آثار اخرى ختم احد الرهبان اليسوعيين الخصوصي مع مبخرة وبعض الحلي الكهنوتية الخ

وقد زار افريقية الجنوبية العالم الالماني والجيولوجي الشهير ليوبولد فون بوخ (L. v. Buch) سنة ١٨٤٥ وقال انهُ استدلَّ بعدَّة دلائل على وفرة الذهب في حقولها ولم تطل المدَّة حتى شاع انهُ اكتشف قليلاً من هذا المعدن قرب جوهنسبورغ الحالية سنة ١٨٥٤ ولكن على ما يُقال خشي البوير حينئذٍ عاقبة هذا الاكتشاف

على استقلالهم اذ كانوا نزلوا تلك الناحية منذ زمن قريب فاقاموا الحواجز في وجه طالبي الذهب وطمسوا آثاره

وقد جاب السائح الالماني والمعدني الشهير كارل موخ شمالي الترنسفال ووصف البلاد الواقعة بين نهري اللمبوبو والزمبيز سنة ١٨٦٥ ومما قال في رحلته انهُ توجد دلائل باهرة على وجود معادن ذهبية غنيَّة للغاية في الترنسفال وفي بلاد المتابيلي كما انهُ قال ايضاً ان مقاطعة مالماني (Malmani) في جنوبي افريقية هي اغنى مقاطعة بالمعادن الذهبيَّة لكن زعمهُ هذا الاخير لم يثبت فعلاً . وقد باشر قومٌ بتعدين احد المعادن التي اكتشفها هذا السائح سنة ١٨٦٨ واسمها حقول ذهب التاتي (Tati) لكن النتيجة لم توافق آمال اصحابها

وفي سنة ١٨٧٢ اخذ البعض بتعدين معدن ذهبي موقعـهُ الى الشمال الغربي من بلدة ليدنبرغ في مزرعة ارستلين (Ersteling) فاتى عملهم بنتائج حسنة

وفي السنة ذاتها اكتُشف الذهب التبري النهري (Alluvial gold) في مقاطعة كوماتي (Komati) قرب حدود البرتوغاليين الشرقية وفي سنة ١٨٧٥ اكتُشف ذهب مثلهُ في محلّ يقال لهُ دي كاب ڤالي (De Kaap Valley) ولكن اشغال التعدين لم يُباشَر بها الّا في سنة ١٨٨٢ فجاءت موافقة للمرغوب

وفي سنة ١٨٨٤ اعلنت الحكومة في جريدتها الرسمية بان دي كاب ڤالي تحتوي على شذور التبر وفتحتها لمن اراد التعدين بها على شرط ان يأخذ الاجازة من الحكومة و يدفع قسماً زهيدًا من المال . ثم عهدت الى الكشّافين ان ينظروا أيجدون آثار الذهب في غير مقاطعات

وفي سنة ١٨٨٦ اكتشف على المقلع الذهبي المشهور المدعو شبا (Sheba) فاخذ اذ ذاك الطمع في الذهب ومحبة المكسب تدبُّ في عروق من يسمع خبر هذه الاكتشافات واخذت الناس تتوارد زرافات زرافات من جميع انحاء المعمور الى محل التعدين قرب بلدة باربرتون (Barbarton) الى ان بلغ سكان تلك البلدة بعد سنة واحدة ٨٠٠ نفس ولكنهم صادفوا في وجههم من العوائق ما لا تحصى انواعهـا نظرًا لوعورة المسالك وقلّة الطرق وعدم وجود السكك الحديدية والامراض والحميـات الخ ولم تقف المصائب عند هذا الحد بل ان الشركات الاحتيالية التي تالفت على الفور اصاب معظمها

بل قُلْ كلّها الإفلاس فكانت هذه المصيبة الثانية قاضيةً على ارباب التعدين فأحبطت مساعيهم واياستهم من النجاح

وحينئذٍ اخذ الناس المجتمعون في بار برتون وكان اكثرهم خبيرين بالتربة الذهبية واكتشافها وتعدينها يتفرقون في اكثر انحاء الترنسفال واكثرهم قدموا الى ضواحي الرند اذ سمعوا بخبر اكتشاف الذهب فيهِ

وكانت الرند حينئذٍ خاوية خالية ليس يسمع فيها الّا صوت ابن آوى ونعاب الغراب وكان قد قدمها سنة ١٨٨٤ المستر فُرد ستروبون (F. Strobbon) وتوصل مع رهطهِ بعد جهد النفس والتعب المفرط الى اكتشاف منجم الذهب الشهير الان باسم بوكت روف (Bauket Ruf) واخذ يعدنهُ على قدر استطاعتهِ لقلة الوسائط لديه وفي سنة ١٨٨٥ اقام فوقهُ طاحونة ذهب صغيرة ذات اربع مطارق تطحن الحجارة المحتوية على الذهب الدقيق . وفي سنة ١٨٨٦ اعلنت الحكومة ان وادي الرنـد مفتوح للتعدين فاخذت الجماهير تتقاطر اليه

ثم اخذت الاكتشافات تتوالى وبعضها مما ليس لهُ اهميّـة كبرى فسنة ١٨٨٥ اكتُشف الذهب في سوازي لند (Swaziland) وقبل حلول سنة ١٨٨٧ اكتشف في كنيسنـا (Knysna) وپوتشفستروم (Potchefstroom) وكلركسدورب (Klerksdorp) وفي هضاب الزوتبنسبرغ (Zoutpansberg) وفي بـلاد الزولو وسنة ١٨٨٩ في بلاد دامارالند (Damaraland) وفي سنة ١٨٩٠ في مقاطعة لورنسو ماركس (Laurenzo Marquez) وفي مقاطعـة برنس البرت وفي ناماكوالند (Namaqualand) وسنة ١٨٩٣ في مقاطعة كرادوك (Qradoch) وفي باركلي وست (Barkley W^st^) وسنة ١٨٩٥ في جنوبي مقاطعة كمبرلي وفي مقاطعة هيدلبرغ (Heidelberg) في الترنسفال

وقد هيجت الاعمال المعدنية القائمة في بلاد المتابيلي والمشونالند طمع المتموّلين وطلّاب الذهب لكثرة انتشارها في تلك الجهات حتى انَّ الحكومة الانكليزية نفسها طمعت بها رجاء ان توازي بغنى معادنها البلاد الترنسفالية ولذا عقدت تلك الدولة بجهودها وثالث ١٨٨٥ وسنة ١٨٨٨ معاهدات مع ملك المتابيلي المدعو لوبنكولا (Lobengula)

بها يتعهد انهُ لا يعقد ادنى معاهدة مع احدى الدول الاجنبيَّة سوى بريطانيـا العظمى واصبحت بلاده بهذه الواسطة تحت حماية الانكليز . فتألفت الشركات وأُرسل قوم من الروَّاد والمهندسين الى بلاد لوبنكولا حيث نالوا الامتيازات الجمة وسنة ١٨٨٩ نالت الشركة البريطانيـة لاواسط افرقية امتيازًا من دولتها يخوّلها حقوق التعدين

وفي سنة ١٨٩٠ شيد بعض افراد هذه الشركة معقل سالسبري للدفاع عن انفسهم من تلك الامم المتوحشة القاطنة هناك وردّ غاراتهم ولمـا استتبّ لهم الامن اخذوا يتجوَّلون في تلك السهول والاوعار طلبًا للذهب

لا يتمّ وصفنا لتعدين الذهب في جنوبي افريقية ما لم نقل كلمة وجيزة عن الذهب النهري (Alluvial gold) المستخرج منهـا فنقول ان اغنى سهل بالذهب النهري في جنوبي افريقية هو بلا شك السهل الواقع في مقاطعة ليدنبرغ (Lydenburg) في الترنسفـال حيث وُجدت قِطعٌ ذهبيَّة (Nugget) يوازي وزن الواحدة منها عدة لبرات ولكن معظم تلك الاملاك الآن في يد الشركات ولم يبقَ منهُ بلا تعدين الَّا النزر القليل

ومما يحسن بنا ذكره هنا هو ان تربة الذهب النهري في جنوبي افريقية تختلف نوعًا ما عن تربة الذهب النهري الموجود في المعمور ففي افريقيـة الجنوبية لا توجد معادن الذهب النهري الَّا في الاماكن المرتفعة التي لم تجرفها السيول واما في اوستراليا وغيرها فلا يوجد الذهب فيها الَّا في الاودية وضمن مجاري الانهر او في التربة الزائحة حديثًا

وامـا مروج الذهب النهري في كنيسنا (Knysna) وبرنس أُلبرت فلم تاتِ بنتيجة تُذكر واما اراضي القومبانيَّة الملوكانية في روديسيا المذكورة آنفًا فان الكاشفين زعموا بانها غنيَّـة بمناجم الذهب وليس لقولهم سندٌ متين اذ ان الذهب النهري الذي وجد بها عدنهُ الاقدمون واستنفدتهُ اجيال القرون الوسطى وقد فتحت القومبانية المذكورة معدن « مازوي » على سبيل التجربة ولسهولة النجاح بهِ اذ يمكن المعدّن بضربة معول ان يغتني لطول حياتهِ لكن هذه الامتحانات لم تُصب المرمى في جنوبي افريقية حتى ان المشتغل بهـا في هذه التارةَ لم يتوصل بما يستخرجه من الذهب الى تسديد نفقة اشغالهِ اكثر المرَّات

٢ جيولوجية مقاطعة الرَّند

لمعادن الذهب الرنديَّة قصب السبق على سواها من معادن الذهب في افريقيا الجنوبيَّة لا بل في المعمور باسره لوفرة غناها وسعة ثروتها والاقبال على تعدينها ولذا نخصُّ بها المقام الاول في ذكرنا لمعادن افريقيا الجنوبيَّة مقتطفين اهمَّ الحوادث والاحصاءات عن تقارير غرفة المعادن في جوهنسبورغ وتبليغات دائرة المعادن الخاصة بالحكومة . ويجب قبل وصفنا لتلك المعادن ان نقدّم عليها لمحة وجيزة لنعرّف تركيب تربتها وترتيب طبقات ارضها مستندين بذلك الى ائمة الجولوجيين واشهر العارفين فنقول :

ان الطبقة السفلى الصخريَّة في جنوبي افريقيا هي من نوع الحجر المحبب(granit) ولكنهُ كثيرًا ما تنفذ من هذه الطبقة نواجذ عديدة تخترق غيرها من الطبقات الارضية الحديثة فتطفو احيانًا على سطح الارض واهمُّ هذه النواجذ هي المساحة الممتدة بين نهري الفال (Val) واللمبوبو وهي التي على منعطفها الجنوبي قائمة بلدة جوهنسبورغ البالغة ٥٧٠٠ قدم فوق سطح البحر واما الطبقة الارضية المحتوية للذهب في مقاطعة الرند فان المياه الكائنة فوق سطح الطبقة الصخريَّة المحبَّبة جرفتها الى هناك اذ كانت هذه الطبقة الصخريَّة أُفقية الشكل قديمًا واما هذه التربة التبريَّة والاراضي المجروفة الى هناك فهي طبقة رملية مختلطة بحجارة كلسية وهي مختلفة السمك والهيئة ولا يعلم من اين اتت ففي هذه الطبقة توجد طبقات التبر « كالورق المكبوس » مختلطة بنوع من الجصّ والحديد وكُرات الرمال المتبلورة

فبعد حلول تلك التربة على سطح الطبقة السفلى الصخريَّة وتراكم عدة الاف من الاقدام فوقها حدث انقلاب في جوف الارض وانفجار رفع تلك الطبقات الافقية الى شكل هرَمي ذي زوايا عديدة وقد قذف جوف الارض كذلك عدة حجار بركانية على وجه الارض من الفوهات العديدة مع حمم بركانية كثيفة غطت وجه القشرة الارضية

واما الطبقة السفلى الصخريَّة المحبَّبة فحين ارتفاعها كما ذكرنا آنفًا رفعت فوقها الطبقة الرملية الكلسيَّة التي فيها الذهب كما ذكرنا ونظرًا لكثرة الضغط والحرارة وبدلًا من ان تبقى على حالتها الافقية اصبحت كما تُرى الآن بهيئة هرميَّة الشكل

فخط هذه النتوءات المسنَّنة يمتـد بكل ترتيب من الشرق الى الغرب على مسافة ستين ميلًا وهو ينحني قليلًا عند طرفيه لكن اكثر اعوجاجهِ يميل الى جهة الجنوب وهو الخط الذي يسميه العلماء وادي الرند

ثم انهُ بعد مرور ذلك الانفجار العظيم اخذ سطح الطبقة التبرّية المذكورة يكتسي بالنبات (وهو الآن المتحول الى فحم الحجري والذي يُكتشف بعض الاحيان مع الذهب) وكذلك كثرت فيهِ الحيوانات الصدفيَّـة والمستحجرات كما ترى في تلك المناجم ثم انهُ بعـد زمن اهبطهُ للطبقات المذكورة ارتفاعٌ ثانٍ جرى بسببهِ تغيير الهيئة القديمة التي احدثها الانقلاب الاول وبسبب هـذا الارتفاع تعرَّت الطبقة المرتفعة الصخريّة للعيان وانقلبت هيئتها تمامًا

واما الآن فان الطبقات الارضية التي يجري التعدين فيها فهي فوق المقلع الاصلي (Main Reef) وهي منقسمة الى اربعة او خمسة فروع واهمهـا «المقلع الاصلي» و«المقلع الجنوبي» (South Reef) الذي يختلف سمكهُ من خمسة ابهـام الى ستة اقدام واما الاصلي ذاتهُ فطبقته التبرّية ضخمة في جوف الارض وغنية جدًا لكن اكثر نظرًا لعمقـه في قاع الارض لم يتمكنوا من تعدينه كما يجب

وقد تُوجد مواضع كثيرة بين كروكسدورب وهيدلبرغ حيث اطراف الطبقـة السفلى الصخريّة المتكسرة بارزة للعيان وكان التعدين هناك سهلًا ووافر الارباح ولكن اطراف هذه الطبقات السفلى قد غطتها التربة الحديثة او جُرفت الى محلٍ آخر من جرَّاء تلك الانفجارات الارضية البركانية التي حدثت في جوف الارض

٣ تعديل غنى المعادن الرندية

ان من اراد تعديل غنى المعادن الترنسفالية ومدَّة تشغيلها الممكنة لا بد لهُ ان يلحظ كل الاحوال المنوطة بهذا الموضوع ومع ذلك فلا يتوصل الَّا الى نتيجة حدس وتخمين واَّما اهمُ هذه القياسات التي يجب ان تبنى عليها الحسابات فهي زاوية الانحـدار التي يتبعها العرق الذهبي فان بها تتعلق وفرة تشغيل المعادن

وهذه زاوية الانحدار اذا كانت على مقربة من سطح الارض توازي سبعين درجة انحدارًا او اكثر في بعض المواضع لكن تعديل هذه الزاوية على طول آلاف اقـدام من العروق الذهبية لا يزيد عن الست وعشرين درجة انحدارًا ومع ذلك فان هذا الانحدار

لو دام على الدرجة المذكورة لتعذَّر عمًّا قليل تعدين المعـادن لكثرة الضغط والحرارة في قلب الارض لكنهُ يخفُّ قليلًا قليلًا بنسبة العمق . ومما يثبت هذا الظن هو انهُ عند حفر الفوهة العظيمة المدعوة بفوهة فيكتوريا الى جنوب وادي الرند وقد بلغ عمقهـا ٤١٠٠ قدم ظهر للعيان ان العروق الذهبية ليست مداومة الانحناء كما غلب الظن وقد جرى هذا الامتحان في عدة محلات على هذا النمط وكانت النتيجة واحدة وقـد ثبت ايضاً وقتئذٍ ان عرض العرق الذهبي في ذلك العمق يبلغ اربعة اقدام وبعد الامتحان ظهر ان الطن الواحد منهُ يعطي اوقية وثلاثة ارباع من الذهب وامـا العرق الذهبي المعروف « بالاصلي » فانهُ اعطى في بعض محلات عشر اواق في كل طن من التربة

ومما يزيد الثقة في غنى معادن الرند الذهبية هو انهُ لمـا حُفرت فوهة ترفونتين (Turffentein) في تموز سنة ١٩٠١ بلغ عمقها من٤٨٠٢ الى ٨٥٦٥ قدماً من ابتداء العرق الذهبي على وجه الارض . واما اعمق فوهة حُفرت فهي الى الجنوب الشرقي من جوهنسبورغ وقد بلغ عمقها ٥٥٠٠ قدم وذلك سنة ١٩٠٥

ومما تقرَّر بعد الاختبارات الحديثـة ان الحرارة الداخليَّة في جوف الارض تزيد بالتدريج نظرًا للعمق وفي السراديب التي يبلغ عمقها ٨٠٠٠ قدم لا تزيد على ١٠٠ درجة (فاهرنهيت) . ومما يؤخذ كذلك من الاختبار ان السراديب العميقة هي عادةً انشف هواء من غيرها ولا يخشى وجود الماء فيها واما الذهب فيوجد ممتزجاً بالتربة وهو في غاية النعومة حتى انهُ لا يظهر للبصر ولو في اغنى تربة

وقال المستر تيودور ريونرت (H. Reunert) سنة ١٩٠٤ وذلك بعـد ان بنى حسابه على طول العرق الذهبي الى ثلاثين ميـلًا واستطاعة تعدينهِ على مسافة ميل واحد فقط انحدارًا وتعديل سمكهِ الى خمسة اقدام ومحصول ثلث الأوقيـة من كل طن واحد من التربة ان الذهب الكائن في ارض الرند يعادل ٤٥٠,٠٠٠,٠٠٠ ليرة انكليزية

ثم انهُ سنة ١٨٩٥ عدَّل الخواجات هتش وشلمر (Hatch and Chalmer) انهُ من بعد تشغيل المعادن مع كل عروقها تقدَّر قيمتها بـ ٧٠٠,٠٠٠,٠٠٠ ليرة

ولكن اذا قدَّرنا ان طول العروق الذهبية خمسون ميلًا بسمكٍ طولهُ خمسة اقدام وانحدار ميـل واحد بمعدل الذهب بالطن الواحد على محصول سنة ١٨٩٨ فتناهز قيمة

الرند نحواً من ١,٢٥٠,٠٠٠,٠٠٠ اعني ستة اضعاف الذهب المستخرج من كاليفورنيا بين سنتي ١٨٤٩ و١٨٩٣

وقد اكد المستر ليونل فيلبس في الوليمة الافريقية التي اقيمت في لندن في تموز سنة ١٩٠٤ انهُ لقد ثبت بان العروق الذهبية تبلغ مسافة ٦١ ميلاً وربع الميل واذا افترض انَّ هذه العروق تنتهي بمسافة اربعة الاف قدم فتكون مساحتها توازي ٤٠٢٠٠ فرضة (claim). فمن هذه القيمة كلها لم يعدَّن ليوم تاريخهِ الَّا ٣ ١/٢ بالماية اعني بما قيمتهُ ٦٥,٦٦٦ ليرة لكل فرضة فتكون قيمة الذهب الموجود في الرند انئذٍ ٢,٥٠٠,٠٠٠,٠٠٠.

وقد قال المستر ج.١. دني (G. A. Denny) في كتابهِ «معادن الطبقات السفلى في الرند» انهُ كان يطحن شهريًا في سنة ١٩٠٦ ١,٦٨٨,٤١٥ طنًا من التربة الحاملة الذهب وهي تعطي ٥٤١,١٣٦ اوقية من الذهب الدقيق الخالص و١١٨,٨٩٠ طنًا من الذهب الممتزج بالتراب والذي يمكن ان يستخرج منهُ ما يوازي ٢٤٠,٥١٤ اوقية من الذهب الخالص و٢١٠,٠٠٠ طن من غسيل الذهب تعطي ٢١٠١٠٥ اواق من الذهب الخالص فيكون المجموع ٨١٢,٧٥٦ اوقية من الذهب الخالص توازي قيمتها ٣,٤٥٠,٨٢٨ ليرة استرلينية بتعديل استخراج ٤٠ شلينًا وثلاثة ارباع من كل طن مطحون

وهذه الارقام التي اعتنى بضبطها والتدقيق فيها المؤلف هي قريبة جدًّا للصواب وتُعتبَر كحجة وقد زاد محصول الرند زيادة عجيبة بين سنتي ١٨٨٧ و١٨٨٩ وذلك لوفرة عدد المطارق المشتغلة في الرند وسهولة التعدين في الطبقة العليا وطحنها. وفي هذه المدة كذلك كثرت المضاربات في سوق بورصات لندن وباريس وبرلين بمحصولات الرند الى حد الجنون

واماَّ من سنة ١٨٨٩ الى ١٨٩٠ فان ردة الفعل وضيقة الحال في جوهنسبورغ والاحتياج الى ادوات من الطرز الجديد والى طلمبات (مضخَّات) واحجام المتمولين عن الاقدام على المشاريع العظيمة جعلت الزيادة قليلة بالنسبة الى ما قبل

ولكن لم يطل الامن والامل ان رجعا الى النفوس وتيسر النجاح لقدوم الآلات الجديدة ورخص الفحم فزاد محصول الترنسفال سنة ١٨٩١ ٤٨ في الماية وسنة ١٨٩٢

٦٦ في المائة وكان قد ظهر لاعين الجميع اهمية هذه المعادن وثباتها ونجاح اكثر مشاريعها وخصوصاً المعادن الكبيرة وقد زاد محصول الذهب المستخرج منها بمعالجتها بالطريقة المعروفة بالكلورين (Chlorine) التي استُبدلت بطريقة أيسر منها وهي طريقة السيانيد (Cyanide) فزادت بذلك سنة ١٨٩٣ ٢٢,٢ بالماية بمحصولاتها و٣٩ ٥/١ بارباحها واما سنة ١٨٩٥ فانها زادت على سنة ١٨٩٣ ٥٤ بالماية بمحصولها وتقريباً ١٠٠ بالماية بارباحها

وفي سنة ١٨٩٨ لم تبقَ شركة واحدة في الترنسفال وخصوصاً في الرند الّا زادت ثروتها حتى ارجعت راس مالها وفرّقت على حاملي اسهمها الارباح الطائلة الفائضة عن احتياجاتها. ثم خمدت تلك الحركة في السنة ١٨٩٩ التي أُشهرت بها الحرب بين الترنسفال والانكليز وضُبطت من المعادن بامر الحكومة الترنسفالية مقادير من التبر توازي ١,٩٥٢,٧١١ ليرة

وفي اذار سنة ١٩٠١ اذنت القوة العسكريّة الامبراطوريّة المحتلّة وقتئذٍ لبعض القومبانيات ان ترجع الى تشغيل المعادن وقد بلغ عدد المطارق الطاحنة الذهب في كانون الثاني سنة ١٩٠١ ٦٥٣ وفي نيسان سنة ١٩٠٢ ١٦٣٥ وكان محصول الرند في هذه السنة ١,٦٩٠,١٠١ اوقية من الذهب الدقيق استخرجها ٤٥ معدناً مع شغل ٢٩٧٠ مطرقة وقد فرقت في السنة ذاتها ٢٣ قومبانية ارباحاً على حاملي اسهمها تبلغ ٢,٢٤٨,٧١٥ جنيه وقد سهلت الطرائق العلمية باستخراج الذهب مشاكل عديدة واسقطت نفقات الطن الواحد من التربة المعدنية الى ٢٥ شلناً

وسنة ١٩٠٣ اكتُشف على العرق الذهبي المعروف باسم « عرق التتويج » (Coronation Reef) الممتد خمسين ميلًا جنوبي جوهنسبورغ الى شرقي بلدة هيدلبرغ وسنة ١٩٠٤ كان محصول اثنتين وستين قومبانية تشغِّل ٥٦٧٠ مطرقة لطحن الذهب ٣,٦٥٨,٢٤١ اوقية من الذهب الدقيق فكان معدل محصول المطرقة ما يناهز خمسة طنات في اليوم الواحد وكان مجموع ارباح ٣٣ قومبانية ٣,٨٥٥,٣١٣ ليرة وكان عدد المعدنين وقتئذٍ اعني في ٣١ آب سنة ١٩٠٤ ١٤,١٧٣ ابيض و١٧٧,٠١٤ زنجياً و٢٠,٣٩٦ صينيًّا و٢,٣٢٣ هندياً وقوماً سمرًا من مستعمرة الكاب

ثم بلغ في سنة ١٩٠٥ عدد شركات التعدين ٦٨ ذات ٧١٩٩ مطرقة طاحنة

وكان محصولها ٤,٧٠٦,٤٨٣ اوقية من الذهب الخالص قيمتها ١٩,٩٩١,٦٥٨ جينه وقد دفعت القومبانيات ارباحًا الى حاملي اسهمها تُقدَّر بـ ٤,٨٣٢,٤٣٦ جينه واما عدد المشتغلين في غرة كانون الثاني سنة ١٩٠٦ فكان ١٩,٣٥٥ ابيض و٨١,٠٧٨ زنجيًا و١,١١٨ اسمر من مستعمرة الكاب و٤٨٨ هنديًا و٤٦,٥١٠ صينيًا

٤ استخراج الذهب

عُرفت طرائق جمة لاستخراج الذهب وطحن « الكوارتس » منذ قديم الاجيال لا نذكرها هنا خوفًا من الملل ولكن الطرائق الجديدة هي اقل نفقةً واسهل منالًا من غيرها مع انها لتاريخ هذه الساعة لم تبلغ المنتهى بالتحسين

واما الطريقة المستعملة في الرند فهي على هذا النمط :

تُستخرَج التربة المختلطة بالذهب من الانفاق العديدة بواسطة الغام الديناميت والجلاطين والمعاول والمجارف ثم تُطرح في عربات حديدية معدَّة لاستقبالها وسالكات على سكك حديدية وهي والحالة هذه على جميع الهيئات والاشكال وتُجلب الى قاعة كبيرة حيث تُكسر كلها الى حجم يقارب الجوزة ثم تنقَّى على طاولات دائرة بواسطة الات مخصوصة وهناك ترى الوفًا من العملة المختصين بهذا الشغل فالحجارة التي لا نفع منها تلقى خارجًا واما الحجارة الحاملة الذهب فتمر تحت مطارق المطحنة التي تشبه كل الشبه مطاحن كالفورنيا حيث تُطحن هذه الحجارة طحنًا دقيقًا للغاية

واما مطحنة الذهب فهي مؤلفة من عدة اجران حديديَّة كبيرة ومطارق على شبه الاجران مستطيلة الشكل وفي الغالب يكون وزن المطرقة الواحدة الف ليبرة وهي التي تطحن التربة الحاملة الذهب كما ذكرنا . وفي الرند تستعمل الطريقة الرطبة فان التربة عند طحنها يقذفها جدول من المياه الى « منخل » عدد ثقوب الانش المربع منهُ ١٢٠٠ ثقب على طاولات من النحاس المطليّ بالفضة والزئبق فتمتزج كمية وافرة من الذهب المتدفق على هذه الطاولات ومنها يجري في قساطل الى براميل كبيرة جدًا اشبه منها بمستنقعات بها محاول سيانيد البوطاس (cyanide de Potassium) فيحصل بهذه الواسطة على اكثر الذهب الباقي في التربة اذ الذهب يذوب في السيانيد واذا توفرت الكمية على تلك الطاولات المذكورة يقشر عنها الذهب ممزوجًا

بالزئبق ثم يُفرز عن الزئبق بالحرارة ويُصنع الذهب قوالب ويُرسل الى اوربا حيث يباع هناك

ومما استفدنا حديثاً ان طريقة التعدين المذكورة انفاً ستُبدَل بادخال المطحنة المدعوة بطحنة « الاسطوانة » (Tube - Mill) بان يجري الطحن بمنخل اوسع ثقوباً ثم ان القطع الصخريّة الكبيرة تطحن في هذه المطحنة فبعد ان يمر دقيق الحجارة والذهب على الواح نحاسية مكهربة يصير اهتزازها قليلاً بهزة ترتيبية في محلول السيانيد . ومما يقال ان هذه الطريقة تزيد محصول الذهب ٥ بالمئة فضلاً عن اقتصاد عظيم في ثمن الادوات المتخذة لذلك

• زيارتي لاحد معادن الرند الذهبية

لا شيء يستلفت النظر في موقع معادن الذهب الرنديّة التي هي اهم معادن المعمور . فلا ترى امامك الّا كثباناً بيضاء من الحجارة المطحونة طحناً دقيقاً والتي ترتفع كل يوم في الفضاء بما تقذفهُ فوقها العجلات المتعدّدة من الحجارة التبريّة المطحونة . ولعمري ان هذه الجبال الاصطناعية تذكّر الانسان بتلك الاعمال العظيمة وتلك الكهوف الهائلة التي حفرتها يد الانسان في امعاء الارض لغاية الحصول على الذهب الوهّاج . و بعد ان تقدمنا قليلًا رأينا امامنا منتصبةً بعلوٍ هائل تلك المداخن العظيمة التي تداوم قذف الدخان الكثيف من فوهاتها العديدة وسمعنا للحال دويّاً عظيماً متواصلاً كصوت مرور السكك الحديديّة بالقرب منا فسألنا عنه فقيل ان هذا صوت المطارق المتعددة الطاحنة للتربة الذهبيّة

ولما دخلنا ارض المعدن استلفتت انظارنا لأوّل وهلة قطع الحديد والماكنات المتحطمة الملقاة في جوانبها ورأينا عجلات الحديد الصغيرة تسري فيُسمع لاحتكاكها دويٌّ عظيم وزاد في آذاننا دوي البطاريات فتقدمنا بين تلك الدواليب المتحطمة والحبال البالية والقساطل المصدية و بعض الآلات المطروحة فلم نرَ امامنا الّا بيوتاً كبيرة مبنية من الخشب والحديد ضمنها الآلات المتحركة ورأينا زنوجاً لا يحصى عددهم سائرين من كل الجهات ورأينا كذلك قوماً من البيض بملابسهم المشمّعية مستعدين للهبوط الى اعماق عدة الاف من الاقدام لاستخراج التبر اذ رأينا غيرهم صاعدين من تحت

الارض اثوابهم ملطخة بالوحول والزيوت وعلى وجوههم علامـات الاصفرار وفي ايديهم شموع ذاب اكثرها ومما ظهر لنا من سحنتهم انهم بحالة الضنك والتعب

واذ كنّا نودّ ان نعرف كيف يُعالج الذهب في كل اطواره عزمنا على الهبوط الى بطن الارض حيث تُستخرج التربـة الحاملة الذهب فقادنا الدليل الى بيت واطئ الجدران قرب الفوهة التي كان ينبغي لنا الهبوط فيها وهناك ارتدينـا بشمّعات طويلة لتمنع عنا الرطوبة والمياه ولبسنا في ارجلنا احذية ضخمة لتقينـا الوحول وأُعطي كلُّ واحد منا ستة شموع فوضعناها في جيوبنا واقترنا بنا من الفوهة التي أشرفنا على النزول فيها فلمّا أطلَلْنا عليها رأيناها قاعاً بلا قعر ينبعث منها رائحة تربة متعفنة مع بخارات كادت تغمي علينا واذا « بالقفص » صاعد ينضح المياه من جميع جوانبهِ يسحبه حبل فولاذي طويل جدًا فهذا الحبل يدور على لولب مركب على صقالة فوق الفوهة ومن اعلى بكرة عظيمة تديرها قوة البخار بالهبوط والصعود

وما لبثنا هنيهة حتى سمعنا طرق جرس كهربائي فوق رأسنـا يدق ثلاث دقات متوالية وكان الوكيل الواقف على الفوهـة ضغط زرًّا كهربائيًا في الغرفة الموازية ليطلب لنا الرخصة في النزول فاتاه الجواب بثلاث طرقات اي بالايجاب. ففُتحت ابواب القفص ودخلناه ثم اغلقت الابواب وأُقفلت بقطعة من الحديد حتى لا يمكنهـا الانفتاح حينما القفص يأخذ في الهبوط واذا بالجرس الكهربائي يرنُّ ثانية وحينئذٍ اخذ القفص بالهبوط فينا في اعماق الارض وتحوَّل النور الى ظلام. حالك وكنا نسمع والحالة هذه صوتاً اشبه منهُ بخرير المياه حين هبوطها في الوادي وكنا نعتقد انا عن قريب نهبط في وسط بركة من المياه فسألنا عن هذه المياه اين تصبُّ فقيل لنا ان هذا الصوت ليس صوت ميـاه بل صوت مرور دواليب القفص على قضبان الحديد الرطبة فيُسمع لهُ هذا الصوت. وللحال رأينا ان نورا برق من ورائنا فعلمنا ان هذا احد السراديب العليا من المعدن وعلمنا ايضاً ان القفص يهبط بسرعة ٥٠ ميلًا بالساعة ولم يكد ينتهي تعجبنا من هذه الحالة حتى وقف القفص بنا امام سرداب طويل منار بالكهرباء نورًا يبهر الانظـار ففتحت ابواب القفص وأعاننا على الخروج رجل مرتدٍ بشمع طويل

(التتمة لعدد آخر)

التماثيل والدُّمى في العبادة المسيحية

نظر للأب لويس شيخو اليسوعيّ

انّ التمثال الجليل الذي نُصب حديثاً على مشارف لبنان لإكرام العذراء الطاهرة يحدو بنا الى وضع مقالة موجزة في توقير المسيحيين للمنحوتات التقويّة التي تمثّل الابرار او اسرار الدين وليس ذلك فقط في الكنائس الغربيّة ولكن في بيع الشرق على اختلاف طقوسها ومنذ القرون الاولى للنصرانيّة فانّ في بيان الامر فائدةً تاريخيّة لا تُنكر فضلًا عن انّها تُفحم بالدّلائل الراهنة بعض الذين يرون في مثل هذه العبادة غلوًّا وافراطاً بل كادوا يعدّونهُ كبدعة كما كتب احد المتجوّلين في غربي اورّبا اذ دخل كنائسها فرأى فيها التماثيل الدينيَّة فكتب سامحهُ الله (اطلب المشرق ٤: ٧٦٢ — ٧٦٥):

وقد أدهشني ما رأيتهُ في الكنائس التي زُرتها في فرنسة كثرة المنحوتات والتماثيل حتى خُيّل لي انَّ مساجد المسيحيين أصبحت اكثر قربًا لهيا كل ديانا وامُّون . وتذكّرت خلوّ المعابد النصرانيّة البعيدة العهد في كلّ من سوريّا ومصر من كل اثر للتماثيل والانصاب فقلتُ لنفسي وما الذي يا تُرى حبّبها لاهالي المغرب هل ذلك لمحض الزينة او لاعتبار ائمّتهم انَّ التماثيل مدعاة الى التقوى ومزيد الخشوع للمعبود فاذا كان السبب الاخير فقد اصاب الوثنيّون اذًا فيما كانوا يفعلون ويكون النّهي الالهي من اتخاذ اقل منحوت في غير محلّهِ استغفر الله (ورد هذا بحرفهِ في الصحفة ١٦ من كتاب «سياحة في غربي اورّبا» بقلم نسيم خلاط سنة ١٩٠١)

ففي هذه الاسطر القليلة جمع الكاتب الحجج التي يستند اليها بعض خصوم الدين الكاثوليكيّ لنفي التماثيل وبخس شأنها . فنعقد الامل بانّ القرّاء يجدون في النبذة التالية ما يدحض هذه الشكاوى ويزكّي العبادة المسيحية عن كل تهمة باطلة وقبل أن نتقفّى آثار القرون السالفة وننقل شواهد المؤرخين لا نرى بُدًّا من توطئة نقدّم فيها للقارئ بعض الملحوظات التي تمهد الطريق لبيان حجتنا فنقول:

اوّلًا انَّ الانسان من حيث هو مركّب من نفس وجسد لا يستغني عن الاستعانة بالمحسوسات ليترقّى بها من عالم الكون الهيولي الى عالم الغيب الذي يفوق طور المخلوقات . وليست الغاية من وضع الفنون الجميلة للذّة الحواسّ فقط بل هي من أقوى الوسائل للترفُّع فوق المادة وللتقرُّب الى اللاهوت فترى اصحاب كل الديانات قد تأنّقوا في

بناء المعابد ووضع الرسوم والنقوش وتطريب المسامع بالالحان الموسيقيَّة والاصوات الشجيَّة مما يعظّم المعبود في القلوب ويجرّ الافكار عن الصور الهيوليَّة الى استجلاء مجالي الحق سبحانهُ وتعالى وراء سجوف هذا العالم المحسوس

ثانياً ولا يخفى انَّ بين الفنون الجميلة فنَّين بديعين يجد فيهما المرءُ صور المخلوقات بشبهٍ ادقّ وتاثيرٍ اعظم في النفوس اذ يكادان يُحييان في اعيننا عالم الغيب ويمثّلان كل عواطف الغابرين بحيث يظنُّ الناظر الى آثارهما انَّهُ يعيش في صحبة الاحباب الذين انفصلوا عنهُ . ألَا وهما فنّا التصوير ونقش المنحوتات . وليس من ينكر صلاح هذين الفنّين (اللهمَّ اذا رُوعيت اصولهما واستُوفيت شروطهما) لرسم التصاوير المتقويَّة وتمثيل الصور العقليَّة على شكل محسوس ما لم ينهَ عنها ناهٍ لأسباب صوابيَّة

ثالثاً ولسنا نجهل ان العقل البشريّ لضعفهِ معرَّض في بعض الاحايين الى التورُّط في العبادة فينسب الى المحسوسات قوَّات خفيَّة تخرجها من طورها التمثيليّ الى رتبة الحقيقة فيقيم تلك الصورة او ذلك المنحوت مقام المعبود نفسهِ وبدلًا من ان ينتقل من الصورة كما في سُلَّم الى المصوَّر فيها ليؤدي لهُ الاكرام الواجب لشخصهِ تراهُ يجعل تلك الصورة المحسوسة او ذلك التمثال المنحوت كصنمٍ أُفرغت فيهِ قوَّة الهيَّة بل اندمج فيهِ ذلك الشخص البعيد الذي رُسمت صورتهُ . وعلى هذه الطريقة اتّخذ عَبَدة الاصنام صورًا محسوسة لأبطالهم وتماثيل لمشاهيرهم ثمَّ بالغوا في تعظيمها وتجاوزوا طور الاكرام الى حدّ الشرك فعبدوها عبادتهم للإله الحقيقي الذي لم يرهُ قطُّ بشر

رابعاً ومن المعلوم انَّ عبادة الاصنام قبل تاريخ الميلاد اتَّسعت نطاقًا حتى كادت تعمّ كل شعوب الارض من ارفعها في معارج التمدُّن الى ادناها في المدنيَّة ولم ينجُ من خطر الشرك الَّا شعب بني اسرائيل وحدهُ وكانت قلَّتهُ وتوسُّطهُ بين امم المُشركين يعرّضانهِ للتوثُّن كما ترى ذلك في اسفار العهد القديم التاريخيَّة حيث يؤدّب الله شعبهُ لعبادتهِ لأَصنام الامم المجاورة ويضربهُ الضربات الفادحة لشطوطهِ عن خدمة ربهِ الاعظم ولذلك كان اوَّل ما تقدَّم الربّ في وصاياهُ الى شعبهِ أن لا يعبد غيرهُ إلهاً «ولا يصنع لهُ منحوتًا ولا صورة شيءٍ مما في السَّماء من فوق ولا مما في الارض من اسفل ولا مما في المياه من تحت الارض لا يسجد لهنَّ ولا يعبدهنَّ» (الخروج ٢٠ : ٤—٥)

فنفى الله جلَّ جلالهُ ليس فقط كل التماثيل المنحوتة بل كل صورة ايضاً آيةً كانت تمثل كل المخلوقات

خامساً على انَّ امرهُ تعالى لم يتناول تلك التصاوير ليرذلها الّا مع احتياطٍ واحتفاظ . فنفاها « خوفاً من السجود لها واتخاذها بمثابة المعبودات » لانهُ قال: لا تسجد لهنَّ ولا تعبدهنَّ . امَّا اذا كانت تلك التصاوير او المنحوتات لغير هذه الغاية فتسمق بافكارنا عن الارضيَّات وتذكّرنا بالسماويَّات وتقرّبنا من الله ومن اوليائهِ القديسين فليت شعري أفي ذلك خطرٌ ان يعتبرها المرْكصنم او يعبدها كما يعبد خالقهُ ألا ترى انَّ الولد يُكرم صورة والدهِ ويقبلها كما لو كان ابوهُ حاضرًا امامهُ وهو يعلم حقَّ العلم انَّ اكرامهُ ليس هو للصورة الهيوليَّة بل يرجع لشخص ابيهِ الكريم فأيَّ نصٍ من الكتاب المقدس يمكن المناظر ان يستشهد بهِ لنفي مثل هذا الاكرام . ولا حرج في كون الصورة او الدُّمية تمثل احد اولياء الله او الانبياء القديسين فان الاكرام يوافق رتبة المصوَّر دون ان يبلغ مقام الحق سبحانهُ وتعالى علوًّا عظيماً

سادساً والدليل على ان موسى كليم الله لم ينفِ الصور والمنحوتات الّا حسماً للشرك ورعايةً للعبادة الحقيقة بالخالق انَّهُ هو نفسهُ لمَّا مُني بنو اسرائيل بالحيَّات ومات كثيرٌ من نفث سمهنَّ اقام في البرّية حيَّةً من نحاس كانت رمزًا الى صليب الربّ كما صرَّح يوحنَّا الحبيب في انجيلهِ (٣ : ١٤) . وكذلك لمَّا ابتنى بامرهِ تعالى تابوت العهد تقدَّم الى صانعيهِ بان يمثّلوا فوقهُ منحوتتين من الذهب الخاص وهما كروبان يبسطان فوقهُ اجنحتهما. فقل لي رعاك الله كيف استطاع موسى أنْ يصوّر هذه التماثيل ويجعلها في اقدس مكان من هيكل الربّ ان كان امرهُ تعالى يعمُّ كل التصاوير على اختلاف غاياتها

سابعاً وزد على ذلك انَّ الله عزَّ وجلَّ مع كونهِ روحاً مجرَّدًا عن كل جسم قد تراءى غير مرَّة في العهد العتيق للانبياء كاشعيا وحزقيال بزيٍّ محسوس تارةً كملك مهاب جالس على عرش القضاء وتارةً على شكل شيخ جليل عريق في الأيَّام وكان الانبياء يخرُّون سُجَّدًا امام تلك الرؤى التي كانت اشباهاً فقط فمن ترى يلوم الانبياء على سجودهم لتلك الاشباه والصور وليست غايتهم من فعلهم الّا السجود للعزَّة الالهيَّة المتجلّية لهم متشحة بتلك الازياء المحسوسة . وان اراد بعض المصوّرين ان يرسم تلك الاشباه بالالوان ويُدوّنها امَّا على الانسجة وامَّا على الخشب وامَّا بنحتها في الرخام

أفيُقال انَّ ذلك الشبه صنمٌ وانَّ الاكرام لتلك الصورة عبادةٌ باطلة اذ المتعبد لها لا ينوي توجيه كرامتهِ الَّا لذاك الذي ظهر على هذا الشبـه لمخلوقهِ . وكم بالاحرى يسوغ ذلك لمن يمثّل صورة الاله المتجسد الذي لبس طبيعتنا وعاش بيننا بصفـة ابن البشر فان المكرم لتلك الصورة يعلم حق العلم ان اكرامهُ ليس لما تتركَّب منهُ الصورة من دهون او نقوش او الوان او موادّ نسجيَّة او خشبيَّة او حجريَّة بل يقصـد بسجوده واكرامهِ شخص ابن الله نفسهِ الذي امامهُ تجثو كل ركبة في السماء وعلى الارض وفي الجحيم . وقس عليهِ بقيَّة الصور والتماثيل

*

هذه بعض ملحوظات قدَّمناها على اثباتنا لكرامة الصور عنـد المسيحيين سواء كانت منقوشة فقط او كانت منقورة بالنحت او مسبوكةً في المعامل الصناعيَّة بالذهب او الفضة او الحديد اذ ليس من فرق جوهري بين تلك الاشكال والهيئات المختلفـة . فهلمَّ بنا الآن نتقصَّى شواهد التاريخ المسيحيّ في اكرام التماثيل فنقول : لما انتشرت الدعوة النصرانيَّة في انحاء العالم وانارت بضيائها عقول الوثنيين لم يأنف اصحابها ايضاً أن يتَّخذوا في نشرها كل الوسائل الحسنة التي كان من شأنها أن تصرف انظار المتنصّرين عن مشاهد الوثنيَّة ومناسكها الباطلة وتعدل بهم الى التُّقى والصلاح . ومن ذلك اهتمام الكنيسة بان يتنكَّب ابناؤها عن التصاوير والدُّمى التي كان الوثنيُّون يوقّرونهـا في هياكلهم وساحاتهم وشوارعهم و بيوتهم وابرزوهـا على اشكال شتَّى ليسترقفوا افكار الناس و يعظّموها في اعينهم . فتلافياً لهذا الشرّ المتفـاقم سمحت الكنيسة منذ اوَّل النصرانيَّة بعرض الصور التقويَّة على المؤمنين ليكرموها بدلًا من تلك الصور السمجة التي شاعت بين الوثنيين

ولنا على ذلك ادلَّة في بعض التقاليد الراقية الى عهد السيد المسيح ورسلهِ الكرام فانَّها وان لم تكن قاطعةً راهنةً تنبئ مع ذلك بمعتقد المسيحيين الاوَّلين فنها المنديل الذي كان يُكرَم في كنيسة الرها وعليهِ صورة الربّ قيل انَّ الله تبارك وتعالى جعل ذلك المنديل على وجههِ الالهي فرسم صورتهُ وارسلها الى الابجر صاحب الرها (١ . ومنهـا منديل ڤيرونيكة الذي يرقيهِ التقليد الى زمن آلام المسيح اذ مسحت بهِ احدى النساء

(١) اطلب مختصر تاريخ الدول لابن العبري ص ٢٨٧

وجه المخلّص وهو صاعد الى الجلجلة ينوء تحت صليبهِ فارتسمت صورتهُ المباركة على منديلها . ومنها ما يُنسَب الى القديس لوقا الانجيلي من التصاوير لاسيما صورة العذراء الطاهرة المعروفة بهِ والمكرَّمة منذ اجيال عديدة في رومية العظمى

وبانتشار النصرانيَّة على يد تلاميذ السيد المسيح وارباب الدين المسيحيّ انتشر ايضاً اكرام الصور . وناهيك بما وجد منها في ديماميس رومية حيث كان النصارى الاولون في القرون الثلاثة الاولى يقيمون فرائض دينهم . فانَّ التصاوير التقويَّة التي تزيّن جدرانها او وُجدت بين آثارها وعلى نواويس المقبورين فيها تبلغ المئين وتملأ مجلَّدات ضخمة . وكذا قل عمَّا اكتُشف من ذلك في دفائن مدن ايطالية وفرنسة وافريقية والاسكندريَّة وغيرها . وبين هذه التصاوير ما يدلُّ على براعة مصوّريها واتقانهم لأُصول الفن ولعلَّهم كانوا زاولوه قبل ان يدينوا بالنصرانيَّة فخصُّوا صنعتهم بخدمة الكنيسة بعد ان تفرَّغوا زمناً لتصوير خرافات الوثنيين

وما يَدلُّ على عموم اكرام الصور في كنائس الشرق قبل القرن الخامس انَّ الامم التي انفصلت عن الكنيسة الرومانيَّة في ذلك العهد كنساطرة الكلدان (اطلب مقالة حضرة الخوري بطرس عزيز في ذلك . المشرق ١٠ : ٨٤٤) ويعاقبة السريان والارمن والاقباط لم يزالوا يكرمون الصور كما ألِفوا الامر قبل انفصالهم . ومن المقرَّر انهم لم يُحدثوا ذلك تبعاً لكنيسة رومية التي لم يخضعوا لاوامرها مذ ذاك الزمان

ولنا دليل اعظم منهُ في تصدّي الكنيسة جمعاء لمكايد الايقونوقلست المبتدعين الذين حاولوا نزع الصور وكسرها باغراء الامبراطرة لاون الثالث الايزوري (٧١٧—٧٤١) وقسطنطين الرابع الزبليّ (٧٤١—٧٧٥) ولاون الرابع الخزري (٧٧٥—٧٨٠) فدافع كثيرون من القديسين عن تعليم الكنيسة نخص منهم بالذكر القديس يوحنا الدمشقيّ(١ وتلميذهُ ثاودورس ابو قرَّة وللاوَّل ميامر عديدة في اثبات الحقّ امَّا الثاني فلهُ مقالة مطوَّلة كتبها بالعربيَّة وهي من اجلّ آثار القرن الثامن طُبعت في بونَّة سنة ١٨٩٧ . وقد مات كثيرون في ذلك الاضطهاد شهداء ايمانهم وبقي الامر على ذلك الى أن عُقد بمساعي الحبر الاعظم والامبراطورة ايريني مجمع في نيقية فشجب الآباء اصحاب تلك البدعة وقرَّروا اكرام الصور فلم يَعُد المخالفون الى مناقضة هذه الحقيقة

١) وقد صرَّح القديس بذكر التماثيل ايضاً في كتابهِ من الايمان المستقيم (ك ٤ ف ١٥)



الشكل الاوَّل . تمثال الراعي الصالح الذي وُجد في الداميس

في كل اقطار الشرق . امَّا الغرب فان تلك البدعة لم تجد لها عضدًا الى القرن السادس عشر حيث ظهر لوتاروس وذووهُ فجروا في محاربة الصور والقون مجرى الايقونوقلست . وترى كثيرين من البروتستنت في عهدنا عادوا الى اكرام التصاوير ونصبوها في هياكلهم دون أن يجدوا في توقيرها اثرًا البتَّة للشرك والوثنيَّة كما زعم بعض اجدادهم

*

ومن الامور المستغربة انَّ البعض فرقوا بين الصور المنقوشة بالدهون على الالواح او الانسجة والتماثيل المجسَّمة فسمحوا باكرام تلك دون هذه وادَّعوا ان اكرام الدُمى من البدع المستحدثة وانَّ الكنيسة لم تكرّم في سالف الاجيال مثل هذه التصاوير المنقورة في الصخر او الناتئة الشكل بالحَفر او النحت وانَّ الكنيسة الرومانيَّة ابتدعت هذا في القرن العاشر كما زعم جناب الكاتب نسيم خلاط في سياحتهِ (ص ٣٣—٣٤) وقال هناك انهُ لم يجد في متاحف اوربَّا اثرًا للتماثيل الدينيَّة فاستنتج «ان البروز في وجوه الصور الملساء عن مساواة الجسم لم يظهر في الايقونات الَّا في آخر القرن العاشر »

فقبل الجواب على هذا الاعتراض يحسن بنا ان نقول انَّهُ لمقرَّر انَّ عدد التماثيل في قرون الكنيسة الاولى لم يكن وافرًا مستفيضاً لا لكون الكنيسة كانت تعتبر هذا الاكرام كمخالف لوصاياهُ تعالى او خوفًا منها ان يكون هذا التبجيل شبيهاً بعبادة الاصنام لا لعمري وانمَّا سببهُ احتراز الكنيسة في قرونها الاولى من كل ما يمكنهُ ان يشكّك الطالبين للتنصُّر فيظنُّون انَّ اكرامنا لتلك التماثيل يشبه اكرامهم الباطل سابقًا لتماثيل الهتهم . وكان للكنيسة داعٍ آخر يحملها على الاقلال من تلك الدُمى خوفها من أن تقع في ايدي المتعصبين فيعرّضونها للهزء والسخريَّة . امَّا التصاوير الملونة المنقوشة على الجدران او الانسجة فكان إخفاؤها عن العيان من الامور السهلة فلم يَلقَها اهانة واحتقار

قلنا انَّ اصطناع التماثيل في اوائل النصرانيَّة كان قليلًا ولا ننكر مع ذلك وجودها كما نبيّنهُ في الاسطر التالية

(اولًا) اخبر اوسابيوس القيصري في تاريخهِ الكنسي (ك٧ف ١٨ . مجموع الاباء اليونان لمين مجلَّد ٢٠ ص ٦٧٩) ومثلهُ المؤرخ سوزمان (ك٥ف ٢١ مجموع الاباء . مجلَّد ٦٧ ص ١٢٧٩) وغيرهما بانَّ المرأة التي شفاها السيّد المسيح من نزيف الدم (لوقا ٨ : ٤٣) لمَّا رجعت الى وطنها قيساريَّة اقامت تمثالًا للسيّد المسيح جعلتهُ على باب دارها

وصوّرت نفسها امامهُ حين ابرأها من مرضها . قال اوسابيوس انهُ شاهد ذلك الاثر. واخبر سوزومـان بانَّ الوثنيين في ايّام يليانوس الجاحد حطّموا ذلك التمثال لكنَّ النصارى جمعوا قطعهُ وحفظوها باكرام في كنيستهم (١

(ثانياً) في المتحف اللاتراني في رومية دميـة صغيرة من الرخام الابيض تمثّل صورة السيّد المسيح على صفة الراعي الصالح فهو لابس ثياب الرعيان وعلى جنبيـهِ مزاد الراعي وفوق منكبيهِ الخروف الضالّ يمسك بيديهِ قوائمهُ الاربعة . وهو تمثال غاية في البهاء والحسن يُعدُّ من اجمل المنحوتات واحكمها صنعاً وارباب العاديّات يُرقّون عهدهُ الى القسم الاوَّل من القرن الثالث (٢ ومن سوء الطالع انَّ هذا التمثال مكسور الساقين (اطلب الشكل الاول)

(ثالثاً) وفي المتحف عينهِ تمثال آخر للراعي الصالح دونهُ صنعاً ودقّة لكنّهُ تامٌّ سليم وصورتهُ تخالف صورة التمثال السابق وفي رجليهِ حذاء طويل يبلغ ركبتيهِ . وباحدى يديهِ يمسك عصاة الراعي والمرجح انهُ اقدم من التمثال السابق (٣ .

(رابعاً) ورد في تاريخ حيـاة قسطنطين الكبير لاوسابيوس القيصري (٤ انَّ قسطنطين لمَّا ابتنى القسطنطينيَّة زيَّن ساحتها الكبيرة بتماثيل بهيَّة في جملتها تمثال الراعي الصالح وتمثال دانيال النبيّ بين أسدين كما كان في بئر الاسود . وقد وصف الاثريّ الشهير دي روسّي تمثالين آخرين من الراعي الصالح وجدهما في متحف الاستانة الجليل اكتُشف الواحد في دار السلطنة والآخر في بروسة لكنهما من القرن السادس فقط وعلى رأي هذا النابغة انَّ تماثيل الراعي الصالح نُحتت اوَّلاً في بلاد الشرق ومنهـا انتشرت في جهات الغرب . فيكون اذن السبق للشرق في اصطناع التماثيل الدينيَّـة كما في امور اخرى كثيرة

(خامساً) ومن التماثيل الشهيرة التي شاع ذكرها وتُرى اليوم في المتحف اللاتراني

---

١) اطلب تاريخ الآثار النصرانيـة لدون لوكلار (Dom H. Leclercq : *Manuel d' Archéologie Chrétienne*. II, 248-250)

٢) في التاريخ عينهِ (*ibid*. II. 251-253)

٣) في التاريخ عينهِ (*ib*. II. 254)

٤) اطلب Eusebius : *De Vita Constantini*, l. III. c. 49

تمثال احد كتبة الكنيسة في اواسط القرن الثالث اعني بهِ القديس هيبوليتوس اسقف مدينـــة پورتو . وهذا التمثال منحوت في الرخام الابيض والقديس جالس على سُدَّة المعلّمين وفي ظهر التمثال جدول تآليف القديس هيپوليتوس باليونانيَّة

(سادساً) ومن التماثيل الشهيرة التي تنبئ باكرام قدماء النصارى لمثـــل هذه الصور المجسَّمة تمثال هامـــة الرسل القديس بطرس الذي يرتقي الى القرن الخامس وتزدان بهِ كنيسة الواتكان الكبرى . فهذا الاثر من الشبه يمثّل القديس بطرس جالساً يبارك بيمينهِ ويمسك في شمالهِ المفاتيح الرمزيَّة . وقد رسمنا هذه الصورة في المشرق (٦ : ٥٧٨) في جملة آثار أُخرى جليلة وُجدت في الدياميس وكلُّها تنوّه برئاسة ذلك الرسول على الكنيسة جمعاء (اطلب هنـــاك مقالة حضرة الاب لويس جلابرت) . والمظنون ان هذا الشخص من عمل الوثنيّين فلمّا تغلب قسطنطين على الدين الوثني أعاد المسيحيون سبكهُ وخصُّوه باكرام كبير الرسل

(سابعاً) وقد وُجد في دياميس رومية سنة ١٧٠٢ تمثـــال آخر من البرنز صغير الحجم يمثّل بطرس الرسول منتصباً كمعلّم وعلى منكبـــهِ الايسر صليب الربّ ينتهي طرفهُ الاعلى بالحرف الاوَّل من اسم السيّد المسيح . وقـــد حُفرت هذه الصورة على عدة آثار نصرانيَّة قديمة (١

(ثامناً) وقد جاء في اعمال القديس غريغوريوس النزينزي الثاولوغس في رسالة كتبها سنة ٣٨٢ انهُ سعى بتشييد كنيسة وزيَّنها بالصور والتماثيل (٢

(تاسعاً) في متحف العاديَّات المصون في الاستانة تمثال للعذراء مريم حاملة على ذراعيها الطفل يسوع . وهو موسوم هناك بالعـــدد ٥٩٠ (راجع وصف عاديَّات هذا المتحف للاثري س. ريناخ)

(عاشراً) ومثلهُ تمـــال آخر للبتول سابق للقرن السابع وجدهُ الرحَّالة دومون (A. Dumont) في مدينة ميريوفيت من اعمال ثراقية (٣

١) راجع دون لوكلار Dom Leclercq II. 259

٢) راجع نشرة الاثار النصرانية للعلامة دي روسّي (Bull. di arch. christ., 1887, p. 148)

٣) راجع مجموع البحثات العلمية القسم السادس المجلد ٣ ص ٧٨٧

(حادي عشر) وفي عاديّات كنيسة خلكيس دمية اخرى تمثّل العذراء مريم واقفة في هيئة المصلّين

(ثاني عشر) وممّا كان يزين كنيسة أيا صوفيا من التصاوير تمثال عظيم للقديسة هيلانة والدة قسطنطين الملك (١ ولا تتعرّض هنا لذكر تماثيل أخرى كانت منصوبة في الساحات كتمثال قسطنطين الكبير في القسطنطينيّة وتمثال ثاودوسيوس في انطاكية لئلّا نخرج من طور الدين الى الطور المدنيّ وغايتنا أن نصف خصوصاً التماثيل الدينيّة

(ثالث عشر) ومن الآثار العزيزة الوجود تمثال من الرخام منقوش بالالوان الزاهية يمثّل القديس بطرس على كرسيّ الرئاسة وفي يده المفاتيح وهو لابس رداء اخضر وعلى الرداء بُردة حمراء. وهذا التمثال يُرى اليوم في سراديب الواتكان تاريخهُ القرن الثالث للمسيح (٢ (انظر العدد الاوّل من الشكل الثاني)

(رابع عشر) وممّا يؤيد رأينا في شيوع التماثيل ما يُخبر عن قسطنطين الزبليّ أنّهُ لمّا اشهر الحرب على المدافعين عن الصور امر بان تُجمع كل التصاوير والتماثيل التي في عاصمة ملكهِ فاحرق الصور واذاب التماثيل ليتّخذ ذهبها وفضّتها لخزائنهِ. وفي ذلك دليل قاطع على انّ الروم في الاستانة كانوا يكرمون الصور على اختلاف اشكالها سواء كانت منقوشة او منحوتة

(خامس عشر) وممّا يضاف الى الادلّة السابقة عدد دثر من النواويس النصرانيّة القديمة التي تُرى اليوم في معظم متاحف اوربّة وعليها نقوش محفورة وتصاوير ناتئة تمثّل اسرار الدين المسيحي واولياء الله والرسل والشهداء. ولولا انّ اولئك النصارى اعتبروا نقرها كشيء حلال يبعث في النفوس روح التُقى لما تساهلوا بالامر. فمن تلك الآثار ناووس القديسة هيلانة الذي يُرى اليوم في متحف الفاتيكان وعلى جوانبهِ احداثٌ كتابيّة مستعارة من الانجيل المقدّس. ومنها ناووس بنقوش محفورة وجد في حارة بساماتيا في اسطنبول وهو اليوم في متحف برلين يمثّل السيّد المسيح في وسط اثنين من رسلهِ وهو من ابدع الآثار النصرانيّة المكتشفة حتّى الآن — ومنها في المتحف الالماني

١) راجع كتاب بندروي (Banduri : *Imperium Orientale*, I. 14)

٢) اطلب وصف الآثار الرومانية للاب غريزار اليسوعي (Grisar: *Analecta romana*, I, 627)



الشكل الثاني . ١ تمثال بطرس الرسول من الرخام الملوَّن من القرن الثالث . ٢ و٣ حجران كريمان حُفر فيهما رسم الراعي الصالح . ٤ صورة من العاج حُفر فيها رسم السيّد المسيح والمرأة التي شفاها من نزيف الدم مع صورة موسى عند ضربهِ الصخرة (هذه الرسوم منقولة عن كتاب العاديات النصرانية لدون لوكلار)

في رومية ناووس عليهِ صُور ناتئة ومنقوش بالالوان من القرن الرابع للمسيح او الثالث و بين تصاويرهِ صورة الراعي الصالح وصور بعض المسيحيين في هيئة الصلاة. وفي المتحف ذاتهِ قطع منقوشة منقورة في الرخام ملوَّنة تمثّل السيّد المسيح في بعض اعمال حياتهِ كوعظهِ على الجبل وتكثيرهِ الخبزات للجموع. وهي آثار من القرن الخامس . ولو شئنا لأَمكنَّنا ان نذكر عدداً وافراً من مثل هذه النواويس النصرانيَّة وفي ما قلنا كفاية

(سادس عشر) وكما تعدَّدت النقوش البارزة والتصاوير الناتئـة من آثار النصرانيَّة القديمة كذلك تجد في المتاحف عدداً جمّاً من قطع العاج والخواتم والمصاغات واثاث البيوت ممّا تواصل عهدهُ منـذ القرن الثاني الى القرن العاشر . فمن ذلك منبر كنيسة سالونيك الذي سلمت منهُ قطع صالحة وهو من الخشب المنقوش البارز تاريخهُ القرن الخامس للميلاد عليهِ صورة سجود المجوس للمسيح والربُّ بين ذراعي امّهِ مريم. ومنها نوط في متحف چينيلي كشك في الاستانـة يمثّل شلو القديس مرقس بارزاً . وهناك صورة اخرى من الرخام نُقر فيهـا عماد السيد المسيح وعلى كثير من الحجارة الكريمة قد حُفرت تصاوير نصرانيَّة غاية في الدقَّة بعضها يمثّل اسرار حيـاة المسيح كصلبهِ وموتهِ وقيامتهِ الى غير ذلك. امَّا صَنَعة هذه الحجارة فمنهم يونان ومنهم سوريون ومنهم ايطاليُّون — ومثل هذه الآثار خزفيَّات ومصابيح وصحائف بيتيَّة منها ما نُقرت بالحفر ومنها ما هو ناتئ النقش وكلها تحتوي صوراً اورموزاً ومشاهد مختلفـة استعارها المصوِّرون من اخبار العهدين القديم والحديث (اطلب الاعداد ٢و٣و٤ من الشكل ٢)

وزد على ذلك نقوداً ومسكوكات نصرانيَّة قديمة ضُربت في كل المالك الشرقيَّة والغربيَّة وفيها تصاوير دينيَّة شتَّى يطول ايضاحها وتشهد بان القدماء لم يفرقوا بين الصور الملساء والصور البارزة الشكل

(سابع عشر) ولنا شاهد آخر على اتّخاذ قدماء النصارى للتماثيل واكرامها في كنائسهم وذلك في الشعر العربي الجاهليّ حيث ورد ذكر التماثيل والدُّمى يريدون بها غالباً الصُّور المنحوتة في كنائس النصارى كما ترى. قال الحارث بن خالد المخزومي (كتاب الاغاني ١٥ : ١٣٣)

وبشرة خَوْدٍ مثل تمثال بيعةٍ تظلُّ النصارى حولهُ يوم عيدها

قال في التاج (٨ : ١١١) التمثال الشيء المصنوع مشبَّهاً بخلق من خلق الله عزَّ

وجلّ . وقال : التماثيل هي صور الانبياء وكان التمثيل مباحاً في ذلك الوقت. وقال عبدالله بن العجلان (اغاني ١٩ : ١٠٢)

غرّاء مثل الهلالِ صورتها ومثل تمثال صورة الذهبِ

وأبينُ من ذلك قول عديّ بن زيد وقد جعل الدُّمية من عاج ووصفها بكونها في المحراب :

كدُمي العاج في المحاريب او كالـبَيْض في الرَّوض زهرهُ مستنيرُ

ومثله في الوضوح قول النابغة :

او دميةٍ من مَرْمرٍ مرفوعةٍ بُنيت بآجرٍّ تُشادُ وقرمدِ

ومثلهُ لامرئ القيس يذكر تماثيل في موضع لبني طيّ يُدعى سُقُف في وادي الساجوم(١

كأنَّ دُمى سُقْف على ظهر مرمرٍ كسا مُزْبد الساجوم وشياً مصوّرا

وقد صرّح الاحوص بأنَّ الدُّمى كانت تجعل في الكنائس (الاغاني ٤ : ٤٩)

كأنَّ لُبنى صبيرُ غابةٍ او دُميةٌ زُيّنت بها البيع

فهذه بعض شواهد اقتبسناها كلّها من القرون العشرة الاولى للنصرانيّة فعسى نسيم افندي خلاط يقنع بها ويتحقّق انَّ الكنيسة الكاثوليكية باكرامها التماثيل والصور البارزة لم تحدث بدعةً وانّما تعقَّبت آثار كل القرون السابقة مباشرة من عهد الرُّسل الى ايّامنا (٢ . وقد رأينا والحمد لله انّ اهل عصرنا من غير الكاثوليك انفسهم شرقاً وغرباً يرون اليوم رأينا ويتّخذون الدُّمى والتماثيل التقويّة في معابدهم او مقاماتهم الدينيّة وهيهات ان يكرموها اكرام الوثنيين لاصنامهم وهم اذكى عقلًا وارفع تمدُّنًا من أن يشوبوا العبادة الصحيحة بأرجاس الشرك وفظائع الوثنيّة ومثال ذلك ما رأيناه مرارًا في معابد البروتستانت في انكلترّة الذين نصبوا التماثيل واكرموها كما يليق باشخاص القديسين والاولياء . ففي كنيسة القديس بولس وهي امُّ الكنائس البروتستانيّة في لندن قد نُصب منذ عشرين سنة تمثال البتول على المذبح الاوسط ومن عن يمينهِ تمثالا الرسولين بطرس وبولس . وكأنَّ جناب نسيم افندي خلاط لم يدخل

١) اطلب شهادة الازرقي في تمثال المسيح والعذراء في الكعبة في الجاهلية (مجاني الادب ٣ : ٢١٧)

٢) وهنا يجدر بنا ان نذكر انّ عدة كنائس قديمة في الغرب لاسيّما في فرنسة تكرّم تماثيل للعذراء مريم منذ اجيال عديدة وهم ينسبونها كلها الى الشرق ويزعمون انّها نُقلت الى بلادهم في القرون الوسطى

تلك الكنيسة ورمى الكلام على عواهنهِ اذ قال (ص ٥٨) انَّ كنيسة مار بولس في لندن «خلوة من تماثيل القديسين» وكان الاجدر بهِ ان يلوم الانكليز في تحويلهم كنيسة وستمنستر الى متحف اذ زيّنوها بتماثيل رجالهم الكبار فخلطوا التصاوير الدينيَّة بصور المشاهير من الأمَّة

وممَّا تقرُّ لهُ انظارنا في بيروت مشاهدتنا لمقبرة الروم الارثذكس في مار متري حيث ترى اكثر المدافن مزدانة بتماثيل من الرخام غاية في الحسن بينها صور القديسين والملائكة والعذراء مريم ومن هذه التماثيل التقويَّة ما نُصب حتى في بيوت الخاصة كتمثال القديس نيقولا الذي يُرى في بيت قريب من الناصرة وكذلك رأينا صورًا وصلبانًا ناتئة في بعض اديرة وكنائس الملكيين من كاثوليك واورثذكس ولم يعدُّوا ذلك بدعةً

فيحقُّ اذن لكل الطوائف النصرانيَّة أن تفتخر بالتمثال الجديد الذي رُفع فوق لبنان كنار على علم يُستضاء بها او كحربة الصاعقة تردُّ عن اهلهِ البلايا والاضرار بشفاعة البتول الطاهرة التي أُعطي لها مجد لبنان . وفي الختام يسرُّنا ان نشير هنا الى ما نظمهُ حضرة المنسنيور جرجس شلحت في الفنون الجميلة والكنيسة وخصوصاً الى ما كتبهُ في فن النقاشة (المشرق ١٠ : ٩٨٤) حيث بيّن ما لهذه الصناعة من الوقع في القلوب وكيف قدَّستها الكنيسة للرب باتخاذ التماثيل التقويَّة لتصرف قلوب اولادها الى الكنيسة العلويَّة ومصافّ القديسين في السماء فقال عن المعبد وزينتهِ بالتماثيل فاجاد :

ان لم تَقُم فيهِ التماثيلُ يُرى ... كالأرض إن حرَّمها اللهُ الورى
او كالسماء بَرِحَتْها الشُهُبُ ... او كأس راحٍ لم يَزِنْها الحَبَبُ
او سِلكِ تِبرٍ لم يُحَلَّ بالدُررْ ... او مُزْنَةٍ ضنَّتْ علينا بالمطرْ
اجل اذا القصرُ خلا من دُمْيَةِ ... تخالهُ جوًّا خلا من ديمةِ
او بقعةً قد ذبلتْ ازهارها ... وخسرت اثمارَها اشجارُها
والمرءُ لا يبعثهُ على التُّقى ... سوى شميمِ لزنبقِ النقا
وحدجِهِ التمثالَ بالأبصارِ ... يُذكرهُ فضائل الابرارِ
يجثو امام دمية القديسِ ... مقدّسًا لربّهِ القدوسِ
ملتمسًا منهُ غياثًا ومددْ ... مستشفعًا الى المولى الصَّمَدْ
لكنَّنا لا نعبدُ التمثالا ... كما هذى جهَّالنا مقالا
بل نتمثَّل بها اصحابها ... مبجّلين كأنَّنا اربابها

نظر انتقادي في المطبوعات المصرية

نظر للاب لويس شيخو اليسوعي

نشرت الجرائد المصريّة اعلانًا وقع لدينا احسن موقع فتلقّيناهُ بالمسرّة والشكر ومفادهُ انَّ الاديب محمّد افندي رشدي عزم على ان يصدّر قريبًا مجلّة تسمى « مجلّة طبع الكتب العربيّة » قال جنابهُ ان « موضوعها ان تطبع في كل عدد منها اربع ملازم من اربعة كتب مختلفة المواضيع ممّا هو موجود بالكتبخانة الخديويّة وذلك تسهيلًا لاقتناء الكتب ومطبعتها (كذا) » ونسي صاحب الاعلان ان يعلمنا عن ميعاد صدور اعداد المجلة أتكون اسبوعيّة او شهريّة كما انهُ لم يتفضل بتعريف محلات الاشتراك وقيمة بدلهِ

وهذا الخبر من شانهِ ان يبهج الارواح ويثلج صدور الادباء لعلمهم بما تحتويهِ خزانة الكتب الخديويّة من الكنوز الدفينة التي يتشوّق الى معرفتها ارباب البحث . ولا ندري لايّ سبب يقتصر جناب المتولي لهذا العمل الجليل على مخطوطات الكتبخانة الخديويّة وفي مصر ما خلا تلك الخزانة مكاتب أُخرى غنيّة بآثارها الكتبيّة منها مكتبة الازهر التي أضحت اليوم من المكاتب العمومية يمكن ايًّا كان ان يستقي من مناهلها الطيبة . هذا فضلًا عن خزائن أُخرى للخاصّة لا نظنّ ان اصحابها يضنّون على محمّد افندي بنقل مضامينها ونشرها

وعلى كلّ حال نتمنى لجناب الاديب ان يباشر بالعمل قريبًا ويقوم بهِ احسن قيام ويداوم على المشروع رغمًا عما يصادفهُ في طريقهِ من العوائق . وان سمح لنا حضرتهُ ابدينا هنا بعض ملحوظاتنا في المطبوعات المصريّة مؤملين ان يعيرها بالًا لئلا تعثر رجلهُ كمن سبقوه الى نشر المطبوعات العربية فنقول :

كلٌّ يعلم ما صارت اليهِ الطباعة العربية في عهد اسماعيل باشا وخلفيهِ . فانَّ مطبعة بولاق الشهيرة نشرت في زمن قليل عشرات من التآليف الجليلة التي راجت سوقها في انحاء الشرق حتى اصبحت اليوم عزيزة الوجود يكثر طلابها ولا يحصلون عليها الّا بالاسعار الفاحشة . ولا بدع فانَّ المتولين لطبعها كانوا من شيوخ الازهر وائمة العلوم الذين شابوا بالانكباب على الدروس وكثرة المطالعة كالشيخ شهاب الدين والشيخ حسن العطّار

والشيخ مصطفى سلامة والشيخ عبد الرحمان الزيلعي وكان اولياء الامر عرفوا ما لهؤلاء المشاهير من الفضل فوكلوا اليهم تصحيح المطبوعات · فنهضوا بأعباء وظيفتهم بدراية ونشاط وكانوا لم يألوا جهدًا في تنقيح الكتب ومراجعة المسودات وهو شغل لا يعرف عناءَهُ غير الذين باشروهُ · فجازاهم الله خيرًا على ما فعلوا

هذا ولسنا لننكر انَّ مطبوعات بولاق عينها لم تبلغ اذ ذاك الى كمالها الّا انها كانت قليلة الاغلاط حسنة الضبط · ومما كان يتمنّاهُ الادباء في ذلك العهد أن يقابل المصححون ما تولوا طبعهُ على نسخٍ متعددة ويثبتوا رواياتها المختلفة في ذيل المطبوعات بدقّة وتمييز كما يفعل العلماء المحققون

وكذلك كان يرغب أرباب الادب الى اهل الطباعة المصريّة ان يصدّروا كل كتاب بتعريف صاحبهِ وبيان مرتبتهِ من العلم ووصف النسخ الباقية من كتابهِ مع الافادة عن محاسنها ومساوئها · وان يضيفوا الى الطبعة الجداول والفهارس التي تقرب الى الادباء الانتفاع بها

وممّا كان يأخذهُ العلماء على المطبوعات البولاقية ايضاً انَّ اصحابها لم يتقنوا ماديات الطبع من جلاء الحروف والتوسيع بين الاسطر وافراز القطع بعضها عن بعض عند تغيير المعنى حيثما تجد في الكتب الخطيَّة الفاظًا بالحبر الاحمر دلالةً على ذلك فترتاح العين بالنظر الى تلك الاشارات · وكانوا يزيدون بلاء على بلاء بطبع كتابين الواحد في النص والاخر على الهامش رغبةً في ترويج الكتاب بكثرة موادّهِ وهو بئس الاقتصاد بالدراهم مع ما ينجم عن ذلك من فقد الوقت الثمين للتفتيش على المطلوب

تلك مآخذ اخذوها على مطبوعات بولاق القديمة مع ما اشتهرت بهِ من الضبط والتنقيح كما سبق اليهِ القول · والى ذلك الطور تُنسب عدَّة تآليف مُثلت بالطبع كمجمع الأمثال للميداني وخطط المقريزي ونفح الطيب للمقري والصحاح للجوهري والقاموس المحيط للفيروزبادي والمصباح للفيومي وتاريخ ابن خلدون وكتاب الاغاني لابي الفرج الاصفهاني وشرح مقامات الحريري للشريشي ومفردات ابن البيطار وكليات ابي البقاء ووفيات الاعيان لابن خلكان واحياء علوم الدين للغزالي واسد الغابة في معرفة الصحابة لابن الاثير وحياة الحيوان الكبرى للدميري وكشف الظنون للحاج خليفة والعقد الفريد لابن عبد ربهِ شرح ديوان المتنبي للعكبري وخزانة الادب للحموي وكتب

اخرى مفيدة قرّبت الى الدارسين موارد الآداب ومكّنتهم من اقتباس انوار الاقدمين اثاب الله الافاضل الذين كدُّوا اذهانهم واسهروا اجفانهم لاستخراج تلك الدفائن من قبورها واحيائها بعد دثورها

هذا ومنذ نحو ثلاثين سنة دخلت مصر في طور جديد فتحسّنت احوالها المادّيّة وانفتحت في وجوه اهلها ابواب المكاسب ورقيت في معارج الفلاح في زراعتها وتجارتها وصنائعها ونمت مع هذا ايضاً حياتها الادبيّة فتوفّرت المدارس وكثرت المطابع وتعدّدت المطبوعات وانتشرت في كل الانحاء الجرائد والمجلّات وأُنشئت خزائن الكتب العموميّة فكان العلماء يبنون على هذه النهضة الادبيّة آمالًا طيّبة بنشر مآثر القدماء وابرازها على صورة موافقة لترقي الانتقاد في عصرنا فيسير الخلف على آثار السّلف بل يزيدون عليهم فضلًا مع توفُّر الوسائل الجديدة الكافلة بالنجاح · لكنّنا لسوء الطالع لسنا نرى هذه الآمال قد تحقّقت الأهم الّا في بعض المطبوعات التي اجتهد في إصلاحها وضبطها افرادٌ يُشار اليهم بالبنان لفضلهم · فمن تلك الآثار التي تشرفت بها المطبعة الاميريّة خصوصاً معجم ابن منظور الموسوم بلسان العرب الذي قام بتصحيحه الشيخ محمّد الحسيني مع غيره من الائمّة وراجعوا في تنقيحه عدّة تآليف لغويّة مطبوعة ومخطوطة وضبطوه بالشكل الكافي فقلّت اغلاط الكتاب (١ بالنسبة الى غيره من المطبوعات

وممّا أُتقن طبعهُ في المطبعة نفسها اثرٌ لغويٌّ جليل تولّى نشرهُ حديثاً بعض فضلاء المصريين وسراتهم نريد كتاب المخصّص لابن سيده في ١٧ جزءًا و٣٠٠٠ صفحة فلم يضنّوا حفظهم الله بالتعب والنصب ليكون الكتاب مثالًا في الصحّة والضبط وكان في مقدّمتهم الشيخان الفاضلان محمّد الشنقيطي وعبد الغني محمود

وكذلك أحسن الشيخ محمود مصطفى في ضبط مطبوع آخر نفيس وهو كتاب سيبويه فجارى بطبعهِ النسخة الباريزيّة وزاد عليها فضلًا بما اضافهُ اليها من شروح ابي سعيد السيرافيّ وشرح شواهدها للأعلم الشنتمريّ · ولو ختمها بالفهارس الموسّعة لأتى بذلك عملًا خلّد لهُ الذكر الجميل بين الادباء والنحويين · وممّا يستوجب الثناء من

١) قد نشر صاحب مجلّة الضياء المرحوم الشيخ ابراهيم اليازجي بعض هذه الاغلاط التي لم شوّه هذا التأليف الّا في نصوص قليلة

المطبوعات اللغويّة الحديثة التي نُشرت في المطبعة العثمانيَّة في القاهرة كتاب النهاية في غريب الحديث والاثر لمجد الدين ابي السعادات الشهير بابن الاثير اخي صاحب تاريخ الكامل . ساهر على ضبط اصلهِ الشيخ عبد العزيز الطهطاوي

فهذه المطبوعات وغيرها قايل حفظت لدار الطباعة المصريّة حُسن سمعتها لكنك اذا قستها على عدد المطابع المصريّة وكثرة مطبوعاتها وجدتها بعيدة عن المقصود لا تجدي طالبيها نفعًا او تنحصر فائدتها في الشيء الزهيد . هذا ولا ننكر انّ الطباعة المصريّة قد تحسّنت مادّياتها منذ نحو عشرين سنة فكادت تشبه باشراق حرفها وجودة طبعها مطبوعات الشام الّا انّ هذه المنفعة ثانويَّة بالنسبة الى مضامين تلك التآليف

فمن آفة الطباعة المصريّة اشتغال كثيرين من اصحابها بنشر الروايات الخياليّة والقصص الهزليّة التي ينقلونها في الغالب عن اللغات الاجنبيّة فلا تفيد قرّاءها شيئًا لا من حيث معانيها ولا من حيث عبارتها وانّما هي كسائر الملاعيب التي يتلهى بها الناس ويقتلون الوقت كما يزعمون ولعل هذه الروايات تربي على نصف المطبوعات المصريّة

ومنها انّ عددًا كبيرًا من التآليف العربيّة يصنفها اصحابها المصريون ليعارضوا فيها الاوربيين في فنونهم وآدابهم وطرائقهم الكتابيَّة في السياسة والمعارف والصنائع فلا تكاد تروي غلّة ولا تشفي علّة الّا القليل منها التي يُشار اليها بالبنان كترجمة شعر الالياذة لسليمان افندي البستاني

وكذلك الكتب المدرسيَّة التي تُطبع في مصر فانّها حتّى الآن لم تبلغ ما بلغتهُ مطبوعات الشام من الاتقان والايضاح وحُسن الاسلوب في ترويض الاذهان الّا البعض منها لسوريين يستوطنون اليوم القطر المصري . وربّما نقل المشتغلون بهذه المطبوعات المدارسيَّة ما نشرهُ اهل الشام رغبةً في الربح دون ان يشيروا الى ما سبقهم اليهِ هؤلاء. مثال ذلك كتبنا المدرسيَّة التي سعينا بجمعها ونشرها قبل عشرين سنة ولا سيّما مجاني الادب ومرقاة الجاني ومقالات علم الادب فانّ بعض المصريين استحسنوها وطبعوا منها قطعًا عديدة وصفحات طويلة بل كتبًا كاملة كما كنّا انتقيناها من كتب الاقدمين متصرّفين فيها بعض التصرُّف وفقًا للشؤون المدرسيَّة . وكان هؤلاء النسّاخ في غنى عمّا فعلوا مع كثرة الوسائل ووفرة التآليف في كتبخانات مصر

أمّا التآليف التي شحذ بها المصريون قرائحهم فخصّوها آخرًا بمواضيع جديدة

وأخرجوها مخارج مستظرفة ليخدموا بها الآداب فقائمتها ليست بمتّسعة لا يصبر منها على صروف الدهر الّا ما لا يُعبأ بهِ كبعض مصنفات علي باشا مبارك وعبدالله فكري باشا وبعض الدواوين الشعريّة لخمسة او ستّة من الشعراء المجيدين وتآليف ادبيّـة قليلة كتاريخ التمدُّن الاسلامي لجرجي افندي زيدان وحضـارة الاسلام للمرحوم جميل مدوَّر . ومصنَّفات اخرى سوف نذكرها ان شاء الله في مقالتنـا عن تاريخ الآداب العربيَّة في القرن التاسع عشر . وكذلك تآليف قليلة في التاريخ والجغرافية كتاريخ السودان لنعوم بك شقير وتاريخ مصر الحديث لجرجي افندي زيدان والجغرافيّـة العموميَّة لاسماعيل افندي علي

وقد طُبع غير ذلك في مصر من الآثر الادبيَّة في هذا الربع الجيـل الاخير كنَّا وددنا لو امكنَّا تقريظها بالثناء التامّ لولا عيوب فيها ظاهرة تطمس شيئاً من محاسنها اوَّلها كتاب تاج العروس الذي مع جزيل فوائده ووفرة موادّهِ وقع فيهِ الخلل لنقص لوازم طبعهِ كاهمال شكل مفرداتهِ وشواهده وعدم الافراز بين متنـهِ وشروحهِ وقلَّة الفواصل بين مظانهِ مع اختلاطها فيضيع المفتّش قبل البلوغ الى مطلوبهِ وقتاً ثميناً كان يمكنهُ توفيرهُ لولا هذا الخلل

ومن المطبوعات التي اتحسها طبعها السيّئ كثيرًا من قدرها كتاب خزانة الادب ولبّ لباب لسان العرب للشيخ عبدالقادر بن عمر البغدادي وهو من اجدى المطبوعات المصريّة فائدةً بكثرة موادّه ومضامينهِ الادبيَّة واللغويّة ولذلك احب العلّامة اغناطيوس غويدي الاستاذ الايطالي الشهير ان يسرد لاعلامهِ فهرساً ليسهّل على المطالعين تناول شذوره الذهبيّة وبذلك سدّ شيئاً من خللهِ

وكذلك صنع الاستاذ النمسوي والمستشرق الشهير مولر (الذي دعا نفسهُ بامرئ القيس بن الطحّان) فألحق بفهرس مفيد كتاب عيون الانباء في طبقات الاطبَّـاء لابن ابي اصيبعة المطبوع في المطبعة الوهبيَّة وبذلك وفّر محاسن هـذا السفر الجليل الذي كان حقُّهُ ان يُطبع بكل دقَّة واحكام

وممّا نأسف ايضاً على سوء طبعـهِ المصري وعدم ضبطهِ بالشكل الوافي كتاب اساس البلاغة لجار الله ابي قاسم الزمخشريّ وهو من الكتب الفريدة الذي كان انتفع بهِ العلماء منفعة مضاعفة لو أُحكم طبعهُ

ومثله في الفوائد وسوء الطبع كتاب الروضتين في اخبار الدولتين لشهاب الدين المقدسي المعروف بابي شامة طُبع في مطبعة وادي النيل فضاعت معهُ جلّ منافعه · وكتاب مثل هذا كان ينبغي لمتولّي طبعهِ ان يزينهُ ببعض الشكل ويذيّلهُ بالحواشي ويوفّر لهُ المحاسن الطبعيّة · كما فعل الفرنج الذين طبعوا منهُ قسمهُ الاكبر (Hist. des Croisades, *Hist. Orientaux*, IV, 1-525) ونقلوه الى الفرنسيَّة واضافوا اليـهِ التذييلات والفهارس جازاهم الله خيرًا

وقد استحقَّت ادارة الكتبخانة الخديويّة شكر العلماء بطبع عدَّة موَّلفات قديمة غاية في النفع كتاريخ مصر لاحمد بن اياس وجزء من كتاب الانتصار لواسطة عقد الامصار لابن دقماق وكتاب اسماء البلاد المصريّة للامـام ابن جيعان وتاريخ الفيّوم وبلادهِ لابي عثمان النابلسيّ الصفـديّ وقسم من كتاب صبح الاعشى للقلقشنديّ ونشرتها بهمَّة مديري مكتبتها المستشرقين كرل فولرس وب· مورتس وكلّهـا مذيّل بالفهارس وطبعت قسماً منها بالمطبعة الاهليَّة وقسماً بالمطبعة الاميريّة (المشرق ١٠ : ٥١٥) لا ينقصها من الكمال الّا زيادة في حسن الطبع وتعليق الحواشي على بعض مبهماتها· ومثلها في الافادة تاريخ السخاوي المعنون بالتبر المسبوك الذي وقف على طبعهِ وتصحيحهِ الوجيه الاديب احمد زكي بك ويا ليتهُ وجد منهُ نسخةً ثانية للمقابلة واصلاح ما بقي فيهِ من الاغلاط وحشّاه ببعض الملحوظات وختمهُ بفهرس

وكل هذه المطبوعات طُبعت بالحرف الناعم الدقيق الذي لا تقرّ لـهُ العين ولا يأنس بهِ الخاطر · واحسن منها طبعًا وانضر حرفًا كتاب الامامة والسياسة لابن قتيبة الذي طبعهُ محمَّد افندي محمود الرافعي في مطبعة النـيل لولا انهُ خالٍ من الحواشي والفهارس المستوفية · وكذلك مطبوعات مجلّة الهلال فانها جليَّة مشرقة الحرف وقـد مرَّ لنا انتقاد على كتاب جليل طُبع في هذه المطبعة ولم تُستوفَ شروط طبعهِ (اطلب المشرق ٨ : ٧٥٧و٧٨١) وهو كتاب الفرج بعد الشدَّة للقاضي التنوخي · وكذلك انتقدنا على اثر آخر نظر فيهِ وصحَّحهُ محمَّد افندي صادق عنبر فبيَّنَّا ما ينقصهُ من اسباب الكمال (المشرق ١٠ : ١٣)

وقد تألفت في مصر شركة لطبع الكتب العربيَّة منذ نحو عشر سنوات فنشرت بعض التآليف القديمة اخصُّها كتاب الاحاطة في اخبار غرناطة للوزير لسان الدين ابن

الخطيب . أتقن طبعهُ وضبطهُ وكان حقُّهُ ان يُحلَى بغير ذلك من المحسّنات الطبعيّـة اعني الملحوظات التاريخيّـة والفهارس وتشكيل بعض الاعلام

وممن قام بأكثر هذه المرغوبات اسكندر افندي آصاف مدير المطبعة العموميّة في طبع الاعجاز والايجاز لابن منصور الثعالبي فالتزم تذييلهُ بشروح حسنة والحقـهُ بفهرس للاعلام ولو ضبطهُ ببعض الشكل لكان أصاب المرمى

ومن المطابع المصريّة التي تحسّنت في مصر مطبوعاتها مطبعة السعادة ومطبعـة الترقي ومطبعة التمدّن والمطبعة الحسينيّة ومطبعة التقدّم وقـد وجدنا لكلها بعض المطبوعات التي توازي في نضارتها وجودة ورقها وصورة حروفها احسن المطبوعات الشاميّة لكنها كلّها ايضاً خلوةٌ من تلك التسهيلات التي يرغب فيها الادباء كالمقابلة على نسخ متعدّدة وتزيينها بالمقدّمات والشروح والفهارس والتدقيق في ضبط الاعلام وهلمّ جرًّا

ومما لا يجوز لنا السكوت عنهُ انَّ كثيرًا من المطبوعات المصريّة قد نُشرت بعد طبعها السابق في حواضر الفرنج فيعيد المصريّون طبعها دون أن يشيروا الى طبعاتهـا الاولى وهم في الغالب يتعقَّبون آثارها و ينقلون عنها دون التصريح بفضل السابق لينتفعوا من ارباحها و يسلبوا لانفسهم فخر نشرها . وكثيرًا ما تُنشر هذه الطبعات دون شيءٍ مما يزينها في الطبعات الاوربيّة من ورق حسن وطبع نظيف وحواشٍ مفيدة وفهارس مقرّبة لتفتيش المطلوب وانّما غايتها الوحيدة أن يستغني بها الشرقيّون عن طلب ما هو انفع لهم فيشتروها لبخس اسعارها وهي بئس التجارة

ولدينا اكثر من خمسين تأليفاً من هذه المطبوعات الحديثة التي استجاز اصحابهـا نشرها على هذه الطريقة دون أن يتكلّفوا في طبعها ومراجعتها نصباً وكدًّا بل جرّدوها كما قلنا عن كثير من محسّناتها اقتصادًا في النفقة وتوفيرًا للمكسب فمن ذلك كتاب الكامل لابن المبرّد الذي كان احسن العلّامة ريت (W. Wright) طبعهُ وضبطـهُ على سبع نسخٍ. فكرّرت طبعهُ المطبعة الخيريّة وادّعى في آخرهِ ناظر مسوّداتـهِ « انهُ افرغ في تصحيحهِ وتنقيحهِ الجهد و بذل في تحرير ضبوطهِ ما في وسعهِ مشمّرًا عن ساعد الجد فازهر بحول الله يانع ورده وصفا بحمـد الله مورد وردهِ » ولم ينسَ المصحّح ألّا التصريح بنقلهِ عن الطبعة الاوربيّة التي تفوق الطبعة المصريّة من وجوه متعدّدة

ومثل هذا سيرة صلاح الدين الايوبي للقاضي بهاء الدين بن شدّاد طُبعت بحرفها

عن طبعة ليدن (سنة ١٧٣٢) دون الاشارة الى تلك الطبعة . وكانت قد طُبعت ايضاً في باريس طبعةً منقَّحة مع شروح وفوائد عديدة (.Hist. des Croisades Hist. Orientaux, III, 1-430) فجاء الطابع المصري منصور عبد المتعال ونشر الكتاب عن طبعتهِ الاولى مع اغلاطهِ ودون الانتفاع بشيءٍ من ملحوظاتهِ اللاتينيَّة التي جهل الطابع معانيها لا بل نقل عنها المُلحَق المأخوذ عن تاريخ ابي الفداء دون مراجعتهِ على طبعة الاستانة — ومثلهُ ايضاً كتاب تاريخ ابن الطقطقي المعروف بالفخريّ الذي سبق طبعهُ في المانية وفرنسة فاتَّخذهُ بعض اهل مصر غنيمة باردة باعادة طبعهِ نقلًا عنهما — وكذا فعل قبلهُ طابع رحلة ابن بطوطة بعد ان نشرها في باريس المستشرقان ديفرامري وسانغو ينانّي ونقلاها الى الفرنسويّة وحلَّياها بالحواشي والفهارس فجرَّدها الطابع المصري عن كل هذه الفوائد لينال بها ربحًا خسيسًا

وفي هذه المدَّة الاخيرة قد كثرت هذه السرقات لتوفُّر المطابع فصار كل من يجد كتاباً عربيًا من المطبوعات الاوربيَّة النفيسة تسارع الى طبعهِ كأنَّ الكتاب لمجرَّد كونهِ قديمًا صار ملكاً لمن أمَّل منهُ الربح ولعلَّ بعض المختلسين يظنُّون انَّ مطبوعات الشرق لا يعرفها الغربيُّون لبعد اصحابها عنهم فلا يقيمون عليهم الحجَّة

وممَّا نُقل في هذا العهد الاخير عن تلك المطبوعات الاوربيَّة كتاب الموشَّى لابي الطيّب محمَّد الوشَّاء طبعهُ في ليدن العلَّامة برونوف فتلقَّفتهُ المطبعة الحسينيَّة وطبعهُ احمد ناجي الجمالي ومحمَّد امين الخانجي منذ سنتين «الطبعة الاولى» (كذا) مع تغيير اسم الكتاب الذي دُعي كتاب «الظرف والظرفاء» قال المتولّي طبعهُ انهُ انتحل لهُ هذا الاسم الجديد «ليطابق مسمَّاه» كأنَّ صاحبهُ لم يدرِ تطبيق الاسم على المسمَّى(؟). ولا حاجة للقول انَّ الكتاب عُرّي من كل حليهِ الطبيعيَّة كالشكل والروايات والاصلاحات والفهارس بل زيدت فيهِ بعض التصحيفات التي لا تراها في الطبعة الاصليَّة — وكذلك طبع الاديبان المارّ ذكرها على الطريقة المختصرة ذاتها كتاب المعترين لابي حاتم السجستاني الذي طبعهُ في مدينة ليدن الاستاذ الشهير غلدتسير (I. Goldziher) — وقد طمحا الى ما فوق ذلك فطبعا معجم البلدان لياقوت الحموي عن نسخة ليبسيك التي عني بنشرها وستنفلد (F. Wüstenfeld) ولم ينتفعا البتَّة من الجلد الضخم الاخير الذي ضمَّنهُ ذلك المستشرق ملحوظات واصلاحات وفهارس تبلغ ١٣٠٠ صفحة كما

انهما لم يقابلا طبعتهما على الطبعة التي ظهرت في العجم التي مع سقمها لا تخلو من بعض الفوائد والروايات المختلفة

وممّا كان سعى بنشرهِ استاذان من كليّة ليدن العلّامة دي غوي (de Goeje) والمأسوف عليه فان فلوتن (Van Vloten) كتاب الشعر والشعراء لابن قتيبة اجاد في طبعهِ ما شاء الموسيو دي غوي ثمّ آثار الجاحظ ورسائلهُ منها كتاب البخلاء وكتاب المحاسن والاضداد ورسائل عزيزة الوجود افنى فان فلوتن حياتهُ في جمعها ونشرها فكل هذه الآثار استولى عليها المجتهد محمّد افندي امين الخانجي وطبعها «الطبعة الاولى» (كذا) . لكنَّنا نقرّ مع ذلك بما لهُ من الفضل في طبعتهِ اذ زاد على تلك الرسائل رسالتين لم ينشرهما سابقًا الاستاذ الهولنديّ . فياليتهُ كان راجعهما مثلهُ على نسخ مختلفة واحكم ضبطهما . ويقتضي العدل ايضاً بان نقول ان جريدة مصباح الشرق كانت سبقت المرحوم فان فلوتن فنشرت احدى رسائل الجاحظ في فضائل الاتراك سنة ١٨٩٨ وصحّحتها وزيّنتها بالشكل الكامل . كما أننا لحظنا اختلافات في الروايات بين طبعة مصر وطبعة ليدن من كتاب الشعر والشعراء ما يدلُّ على ان صاحب الطبعة المصريّة استعان بنسخة خطيّة مختلفة وعلى كل حال انَّ الفرق بين الطبعتين كفرق الثريّا والثرى

ونضيف الى السرقات السابقة كتاب عيون الاخبار الذي تولّى طبعهُ الالماني الهمام كرل بروكلمان فما ظهر لعالم الوجود حتى اسرع المصريون الى طبعهِ فطبعهُ ايضاً «طبعة اولى» (كذا) على نفقتهِ محمّد افندي ابراهيم ادهم . فلله ما اكثر الطبعات الاولى في مصر . ولعلّ الكتبيّ مصطفى افندي فهمي نسي ان ينبه في تاريخ الاندلس انها طبعتهُ الاولى والظاهر انهُ أنف من هذا الكذب لكنَّهُ لم يصرّح بانَّ هذا الكتاب قد طبعهُ في ليدن العلّامة دوزي سنة ١٨٤٧ وانَّ طبعتهُ هذه منقولة عنهُ

وكان العلّامة الدكتور ديتريصي (F. Dieterici) مولعاً بآثار الفارابي ورسائلهِ الفلسفيَّة فاجتهد في جمعها وطبعها وترجمتها وتذييلها بالحواشي فجاءت طبعتهُ حجّةً لمن يريد درس مآثر ذلك الفيلسوف الامام فقحم بعض المصريين على هذه المطبوعات فنشروها بحرفها الواحد في مطبعة السعادة ومطبعة النيل وكلها على زعمهم «الطبعة الاولى» وربَّما زادوا عليها «انَّ حقوق الطبع محفوظة» اي للمختلس

ومن ظريف ما رأينا من هذه المطبوعات المصريّة شرح ديوان ابن الفارض للشيخين البوريني والنابلسيّ الذي اهتمّ بطبعهِ الكونت رشيد الدحداح في مرسيلية سنة ١٨٥٣ واجاد في تصحيحهِ وضبطهِ فرأت المطبعة الخيريّة ان تختصّ هذا الاثر بنفسها وطبعتهُ بعد ان غيّرت مقدّمتهُ ونسبتهُ الى « رشيد بن غالب المجتنى » كأنّ « المجتنى » مرادف للدحداح

ولمّا كان المثل بالمثل يُذكر نروي هنا ما رأيناهُ مؤخّرًا من امر بعض المطبوعات الشاميّة نريد كتاب مناجاة البلغاء في مسامرة الببغاء الذي افرغ الوسع في ترجمتهِ من التركيّة جناب القانوني سليم افندي باز وطبعهُ في المطبعة الاديبّة سنة ١٨٨٢ . ففي السنة الجارية اختلس هذا الكتاب سعيد علي الخصوميّ الكتبيّ وطبعهُ بحرفهِ بعد ان غيّر اسم الكتاب فدعاهُ « نوادر الادباء ومنادمة الظرفاء » وابدل صفحتهُ الاولى وصفحتهُ الاخيرة ليوهم القرّاء بان الكتاب من تعريبهِ وهكذا غلب الصقر على الباز

هذا ولم نكتب ما سبق لنضعف عزائم ادباء مصر المجتهدين في نشر الآثار القديمة وتقريب مضامينها من العموم بل مراعاةً لحقوق الذين لهم الاسبقيّة في العمل أفما كفاهم التعب والعناء في خدمة الاداب حتى يُسلَبوا ايضاً ثمرة اتعابهم ولا يسدُّوا نفقات طبعها . فانَّ في كل البلاد المتمدّنة سننًا مرعيَّة لا تسمح بطبع كتاب ألّفهُ او نشرهُ احد الكتبة الّا على شروط معلومة . وفي العام الماضي صدرت ارادة سنيّة للحضرة السلطانيّة العليّة تحظر على اهل الطباعة انتهاك حقوق المؤلفين وتقضي بعقاب من يتجاوز في ذلك طورهُ فيا ليت المصريين يجرون على هذه السنَّة

وليس لادباء المصريين حاجة الى هذه الارباح الدنيئة فانَّ عندهم مكاتب غنيَّة بالمخطوطات النفيسة فتُرى ماذا يصدُّهم عن الاستقاء من مناهلها . وان رأوا فائدة في تجديد طبعة احد الكتب القديمة فلا بأس من ذلك وانَّما يترتَّب عليهم أن يراجعوهُ على نسخهِ المخطوطة ويستفرغوا الجهد في تنقيحهِ وان يحسنوا طبعهُ المادّي ويُضيفوا اليهِ ما يزيدهُ رغبةً في اعين الادباء من تعليقات وشرح الالفاظ المبهمة وضبط الاعلام وتدوين الفهارس الواسعة الى غير ذلك ممَّا يكسبهم شكر ارباب العلم ويوفّر لهم الارباح الهنيئة . أفلا ترى ان الذين جدَّدوا آخرًا طبع كتاب الاغاني لابي الفرج الاصبهانيّ اكتفوا بنقلهِ عن طبعتهِ الاولى فلم يصلحوا اغلاطها بل وجدنا فيها اغلاطاً جديدة لا اثر لها في

الطبعة الاولى واضافوا اليه القسم الحادي والعشرين دون أن يشيروا الى فضل صاحبه الدكتور برونوف (R. E. Brünnow) الذي قاسى في طبعه المشقّات فطبعوا هذا الجزء دون اثبات رواياته المنقولة عن اثنتي عشرة نسخة مخطوطة وقبح من ذلك انهم لم يوفّقوا اعداد الصفحات بين الطبعة الجديدة والقديمة فخسروا واخسروا فوائد الفهارس الجليلة التي وضعها لهذا الكتاب ائمّة من المستشرقين في مطبعة ليدن . فترى من ذلك ما تحرمنا الطبعات المصريّة من الفوائد . فيا ليت هذه الاسطر تبلغ ارباب الطباعة في القطر المصري وتجد عندهم آذان صاغية وقلوباً واعية فيجاروا المستشرقين في طباعتهم المتقنة وتنال منشوراتهم رضى العلماء فيثنوا عليها كما اثنوا على بعض مطبوعاتنا البيروتيّة

كتاب

الرَّحل والمنزل

نشرهُ الاب لويس شيخو اليسوعيّ

اقتطفنا هذا الفصل من كتاب سبق لنا في المشرق الاشارة اليهِ غير مرّة اعني احد مخطوطات مكتبة الملك الظاهر في دمشق الشام وهو مُعنون في تلك النسخة بكتاب الجراثيم ومنسوب لابي محمَّد عبد الله بن مسلمة الشهير بابن قتيبة . على انَّ الذين سردوا جدول مصنّفات ابن قتيبة لم يذكروا لهُ كتاباً بهذا الاسم وليس في مخطوطات خزائن الكتب المعروفة نسخة ثانية ترشدنا الى حقيقة الامر . وما لا ينكرهُ احد انَّ الكتاب من آثار قدماء اللغويين ومن عجيب الامور انَّ معجم لسان العرب وكتاب المخصَّص لابن سيده يكادان يذكران معظم مضامين هذا الكتاب متفرّقةً في مظانّها وبحرفها الواحد وهما ينسبانها لابي عُبيد المتوفّى سنة ٢٢٤ ﻫ (٨٣٩) والله اعلم. وهذا الفصل الذي نقلناهُ هنا من أجدى ابواب الكتاب نفعاً يتضمَّن معظم المفردات التي يستعملها العرب في اسفارهم ومنازلهم فتفيدنا كثيراً من عاداتهم وامورهم الاهلية . والنسخة الدمشقيّة التي نُقلت منها نسخة مكتبتنا الشرقيّة قديمة العهد طُمست منها بعض فقراتها فأمكنّا بمراجعة كتب اللغة أن نروجها بما تستحقّهُ من الضبط الَّا الفاظاً قليلة اثبتناها كما وجدناها دون القطع بصحّتها

(101) بَابُ ٱلرَّحلِ وَآلَاتِهِ وَٱلْأَوَانِي فِي ٱلسَّفَرِ وَٱلحَفَرِ (١ وَٱلدُّورِ (102) وَٱلبُيُوتِ وَٱلْأَخْبِيَةِ وَٱلْأَبْنِيَةِ

اَمَّا حَاجَاتُ (٢ ٱلسَّفَرِ فَاِذَا كَانَ فِي رَحْلِ ٱلْاِنْسَانِ مُحَلَّاتٌ نَزَلَ حَيْثُ شَاءَ مُنْفَرِدًا عَنِ ٱلنَّاسِ وَهِيَ : ٱلقِرْبَةُ وَٱلْفَأْسُ وَٱلْقَدَّاحَةُ وَٱلدَّلْوُ وَٱلشَّفْرَةُ وَٱلْقِدْرُ تُحِلُّهُ حَيْثُ شَاءَ وَاِلَّا فَلَا بُدَّ لَهُ مِنَ ٱلنَّاسِ. وَلِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْ هٰذِهِ نُعُوتٌ وَاَسْمَاءٌ ، وَمِنْ اَدَاتِهِ ٱلْمِيزَانُ وَٱلسِّكِّينُ وَحَجَرُ ٱلْمِسَنِّ وَٱلْمَزَادُ وَٱلْاَسْقِيَةُ وَٱلْقِرَبُ وَٱلنَّارُ وَاَدَوَاتٌ تُعْتَمَلُ فِي ٱلْحَفَرِ (١ وَٱلرَّحَا وَمَا فِيهَا

فَمِنْ اَدَاةِ ٱلرَّحْلِ ٱلْغَرْضُ وَٱلْغُرْضَةُ وَٱلتَّصْدِيرُ وَٱلسَّفِيفُ فَهُوَ حِزَامُ ٱلرَّحْلِ ، وَٱلْوَضِينُ يَصْلُحُ لِلرَّحْلِ وَٱلْهَوْدَجِ ، وَٱلْبِطَانُ لِلْقَتَبِ ، وَٱلْحَقَبُ لِلْبَعِيرِ مِمَّا يَلِي ٱلثِّيلَ ، وَٱلسِّنَافُ(٣ حَبْلٌ يُشَدُّ مِنَ ٱلتَّصْدِيرِ اِلَى خَلْفِ ، اَلْكِرْكِرَةِ حَتَّى يَثْبُتَ ، وَٱلشِّكَالُ اَنْ يُجْعَلَ حَبْلٌ بَيْنَ ٱلتَّصْدِيرِ وَٱلْحَقَبِ وَهُوَ ٱلزِّوَارُ وَجَمْعُهُ اَزْوِرَةٌ يُشَدُّ تَحْتَ ظَلِفَاتِ ٱلرَّحْلِ ، وَفِيهِ ٱلْمَوْرِكُ وَهُوَ ٱلْمَوْضِعُ ٱلَّذِي يَثْنِي ٱلرَّاكِبُ عَلَيْهِ رِجْلَهُ ، وَٱلْوِرَاكُ هُوَ ٱلَّذِي يُلْبَسُ ٱلْمَوْرِكَ وَهُوَ مُقَدَّمُ ٱلرَّحْلِ . ثُمَّ يُثْنَى تَحْتَهُ ، وَٱلنُّعْفَةُ جِلْدَةٌ تُعَلَّقُ عَلَى آخِرَةِ ٱلرَّحْلِ وَتُسَمَّى ٱلْعَذَبَةَ وَٱلذُّؤَابَةَ ، وَٱلشَّلِيلُ (٤ مِسْحٌ يُلْقَى عَلَى عَجُزِ ٱلْبَعِيرِ ، وَٱلْبَرْذَعَةُ هُوَ ٱلْحِلْسُ

---

١) كذا في الاصل . ولعلّ الصواب : الحَضَر ٢) قد طُمست هذه اللفظة في الاصل

٣) في الاصل : الثناف وهو تصحيف

٤) في الاصل : السليل وهو تصحيف

لِلْبَعِيرِ ، وَهُوَ لِذَوَاتِ ٱلْحَافِرِ قِرْطَاطٌ وَقُرْطَانٌ ، وَٱلطِّنْفِسَةُ ٱلَّتِي فَوْقَ ٱلرَّحْلِ تُسَمَّى ٱلنُّمْرُقَةَ ، وَٱلْفِتَانُ غِشَاءٌ يَكُونُ لِلرَّحْلِ مِنْ اَدَمٍ ، وَٱلْاَرْبَاضُ حِبَالُ ٱلرَّحْلِ ، وَٱلْخِلَالُ مَتَاعُ ٱلرَّحْلِ .

وَيُقَالُ مِنَ ٱلْمَرَاكِبِ سِوَى ٱلرَّحْلِ ٱلْغَبِيطُ وَهُوَ ٱلْمَرْكَبُ ٱلَّذِي مِثْلُ اُكُفِ ٱلْبَخَاتِيِّ ، وَٱلْقَتَبُ هُوَ ٱلصَّغِيرُ ٱلَّذِي يَكُونُ عَلَى قَدْرِ سَنَامِ ٱلْبَعِيرِ ، وَٱلْحَوِيَّةُ كِسَاءٌ يُحَوَّى حَوْلَ سَنَامِ ٱلْبَعِيرِ ثُمَّ يُرْكَبُ ، وَٱلسَّوِيَّةُ كِسَاءٌ تُحْشَى بِثُمَامٍ اَوْ لِيفٍ (103) وَنَحْوِهِ ثُمَّ يُجْعَلُ عَلَى ظَهْرِ ٱلْبَعِيرِ وَاِنَّمَا هُوَ مَرْكَبُ ٱلْاِمَاءِ وَاَهْلِ ٱلْحَاجَةِ ، وَٱلْقَرُّ مَرْكَبٌ لِلرِّجَالِ بَيْنَ ٱلرَّحْلِ وَٱلسَّرْجِ ، وَٱلْكِفْلُ مِنْ مَرَاكِبِ ٱلرِّجَالِ كِسَاءٌ يُؤْخَذُ فَيُعْقَدُ طَرَفَاهُ ثُمَّ يُلْقَى مُقَدَّمُهُ عَلَى ٱلْكَاهِلِ وَمُؤَخَّرُهُ عَلَى عَجُزِ ٱلْبَعِيرِ يُقَالُ مِنْهُ قَدِ اكْتَفَلْتُ ٱلْبَعِيرَ ، وَٱلْحِصَارُ حَقِيبَةٌ تُلْقَى عَلَى ٱلْبَعِيرِ وَيُرْفَعُ مُؤَخَّرُهَا فَيُجْعَلُ كَآخِرَةِ ٱلرَّحْلِ وَيُحْشَى مُقَدَّمُهَا فَيَكُونُ كَقَادِمَةِ ٱلرَّحْلِ يُقَالُ قَدِ احْتَصَرْتُ(١ ٱلْبَعِيرَ ، اَلْحَرَجُ مَرْكَبٌ لِلنِّسَاءِ وَٱلرِّجَالِ لَيْسَ لَهُ رَأْسٌ ، وَٱلْمِشْجَرُ وَٱلْمَشْجَرُ لِلنِّسَاءِ دُونَ ٱلْهَوْدَجِ ، وَٱلْكِدْنُ مَا تُوَطِّئُ بِهِ ٱلْمَرْأَةُ هَوْدَجَهَا وَجَمْعُهُ كُدُونٌ ، وَٱلظَّعِينَةُ جَمْعُهَا ظَعَائِنُ وَظُعُنٌ ثُمَّ اَظْعَانٌ وَهِيَ ٱلْهَوَادِجُ كَانَ فِيهَا نِسَاءٌ اَوْ لَمْ يَكُنْ ، وَٱلْحُمُولَةُ وَٱلْحُمُولُ وَاحِدُهَا حِمْلٌ وَهِيَ ٱلْهَوَادِجُ اَيْضًا كَانَ فِيهَا نِسَاءٌ اَوْ لَا . وَٱلْهَوَادِجُ هِيَ مَرَاكِبُ مِثْلُ ٱلْمَحَفَّةِ اِلَّا اَنَّ ٱلْهَوْدَجَ مُقَبَّبٌ وَٱلْمَحَفَّةَ لَا تُقَبَّبُ ، وَٱلْحِدْجُ مِثْلُ ٱلْمَحَفَّةِ وَجَمْعُهُ اَحْدَاجٌ وَحُدُوجٌ ، وَٱلْوَلِيَّةُ ٱلْبَرْذَعَةُ وَيُقَالُ هُوَ ٱلَّذِي يَكُونُ تَحْتَ ٱلْبَرْذَعَةِ ، وَٱلْفِئَامُ وِطَاءٌ

---

١) وفي الاصل : احتضرتُ مُصحَّف

يَكُونُ لِلْمَشَاجِرِ وَجمعه فُؤُمٌ مِثَالُ فُعُمٍ ، اَلرَّجَائِزُ مَرَاكِبُ اَصْغَرُ مِنَ اَلْهَوَادِجِ وَيُقَالُ اَلْفِئَامُ اَلْهَوْدَجُ اَلَّذِي قَدْ وُسِّعَ اَسْفَلُهُ وَمِنْهُ قِيلَ لِلرَّحْلِ (١ مُفْأَمٌ مِثَالُ مُفْعَمٍ ، اَلْمَشَاجِرُ عِيدَانُ اَلْهَوْدَجِ وَيُقَالُ مَرَاكِبُ دُونَ اَلْهَوْدَجِ مَكْشُوفُ اَلرَّأْسِ . وَيُقَالُ لَهَا اَيْضًا اَلشِّجَارُ . وَاَلشِّجَارُ اَيْضًا اَلْخَشَبَةُ اَلَّتِي تُوضَعُ خَلْفَ اَلْبَابِ يُقَالُ لَهَا بِالْفَارِسِيَّةِ اَلْمِتْرَسُ . وَكَذٰلِكَ اَلْخَشَبَةُ اَلَّتِي يُضَبَّبُ بِهَا اَلسَّرِيرُ مِنْ تَحْتِ اَلشِّجَارِ . اَلْحِلَالُ مَرَاكِبُ اَلنِّسَاءِ ، وَاَلْمُجَفْعَلُ اَلْمَقْلُوبُ (٢

وَفِي اَلرَّحْلِ عَظْمُهُ وَهُوَ خَشَبُ اَلرَّحْلِ بِلَا اَنْسَاعٍ (٣ وَلَا اَدَاةٍ ، وَجِلْبُ اَلرَّحْلِ عِيدَانُهُ ، وَفِيهِ حِزَامُهُ ، وَاَلْعَرَاصِيفُ خَشَبَتَانِ تُشَدَّانِ بَيْنَ وَاسِطِ اَلرَّحْلِ وَآخِرَتِهِ يَمِينًا وَشِمَالًا . وَيُقَالُ اَلْعَرَاصِيفُ خَشَبٌ تُشَدُّ بِهَا رُؤُوسُ اَلْأَحْنَاءِ وَتُضَمُّ بِهَا وَفِيهَا اَلظَّلِفَاتُ وَهِيَ اَلْخَشَبَاتُ اَلْأَرْبَعُ اَللَّوَاتِي يَكُنَّ عَلَى جَنْبَيِ اَلْبَعِيرِ ، وَيُقَالُ لِأَعْلَى اَلظَّلِفَتَيْنِ مِمَّا يَلِي اَلْعَرَاقِيَ اَلْعَضُدَانِ وَاَسْفَلُهُمَا اَلظَّلِفَتَانِ وَهُوَ مَا سَفَلَ (٤ مِنَ اَلْحِنْوَيْنِ اَلْوَاسِطِ وَاَلْمُؤْخِرَةِ . وَيُقَالُ لِلْادَمِ اَلَّتِي تُضَمُّ بِهَا (٥ اَلظَّلِفَتَانِ وَيُدْخَلُ فِيهِمَا اَكْرَارٌ وَاحِدُهَا كَرٌّ وَاَلْعَرْقُوتَانِ اَلْخَشَبَتَانِ اَللَّتَانِ تَضُمَّانِ مَا بَيْنَ وَاسِطِ اَلرَّحْلِ وَاَلْمُؤْخِرَةِ ، وَيُقَالُ لِلْادِيمِ اَلَّذِي يَضُمُّ اَلْعَرْقُوَتَيْنِ مِنْ اَعْلَاهُمَا وَاَسْفَلِهِمَا صُفَّةٌ ، وَاَلْبِدَادَانِ فِي اَلْقَتَبِ بِمَنْزِلَةِ اَلْكَرِّ فِي اَلرَّحْلِ غَيْرَ اَنَّ اَلْبِدَادَيْنِ لَا

١) في الاصل : للرَّجل . وهو غلط (راجع المخصَّص لابن سيده ٧ : ١٤٧)

٢) هنا قد وضع في الاصل ما يختصّ بالرَّحى وما فيها ثمَّ يعود المؤلف الى الرَّحل وادواته فأخرنا مادَّة الرَّحى لئلّا ينقسم الباب . ولعلَّ هذا الخلط من غلط النسَّاخ

٣) وفي الاصل اتّساع وهو غلط

٤) صُحِّف الاصل بتَنَفَّل (اطلب المخصَّص ٧ : ١٤٠)

٥) ويروى : الادم الذي يُضَمُّ به

يظهران من قدام الظلفة، ويقال لاحناء الرحل القبائل. ويقال للحديدة التي فوق المؤخرة الغاشية، وقال بعضهم: هي الدامغة، ويقال للحديدة التي تضم ما بين القيلتين وهما الحنوان اهلّة واحدها هلال، ويقال للقد الذي يضم العرقوتين القيد، ويقال للقدة التي تضم العراصيف خنكة وحناك، ويقال للقد الذي تشد به الخشب الاسار وهي الأسر، فان كان في الرحل كسر فرقع فاسم تلك الرقعة الرؤبة (مهموز)، ومن الرحال القاتر وهو الجيد الرقوع (١ على ظهر البعير، والمعقر وهو الذي ليس بواق، والملحاح الذي يعض (٢، والمركاح (105) الذي يتأخر فيكون مركب الرجل فيه على آخرة الرحل، والذئبة فرجة ما بين دفتي الرحل والسرج والغبيط اي ذلك كان، والشرخان جانبا الرحل

(الرحى وما فيها) اللهوة ما القيت في الحجرين. يقال: الهيت الرحى، والرائد العود الذي يقبض عليه الطاحن، ويقال: طحنت (104) بالرحى شزرا وهو الذي يذهب بيده عن يمينه وبتا عن يساره، الثفال (٣ الجلد الذي يبسط تحت الرحى، والقطب القائم الذي تدور عليه الرحى وفيه ثلث لغات: قطب وقطب وقطب

(الأبنية) من الأبنية الخباء وهو من وبر او صوف ولا يكون من شعر، والبرجد كساء ضخم فيه خطوط يصلح للخباء وغيره، والسبيج مسح مخطط يكون في البيت يستتر به ويفترش، والارائض بساط

١) وفي مخصص ابن سيده (٧: ١٤٣): الوقوع

٢) وعبارة اللسان: الذي يعض على غارب البعير فيعقره

٣) قد صحف في الاصل بالسفال

ضَخمٌ مِنْ وَبَرٍ اَوْ صُوفٍ ، وَٱلْفَلِيجَةُ شُقَّةٌ مِنْ شُقَقٍ لَا اَدْرِي اَيْنَ يَكُونُ ، وَٱلْكِفَاءُ ٱلشُّقَّةُ ٱلَّتِي تَكُونُ فِي مُؤَخَّرِ ٱلْخِبَاءِ يُقَالُ مِنْهُ اَكْفَأْتُ ٱلْبَيْتَ ، اَلرَّدْحَةُ سُتْرَةٌ فِي مُؤَخَّرِهِ اَيضًا يُقَالُ مِنْهُ رَدَحْتُ ٱلْبَيْتَ وَاَرْدَحْتُهُ ، وَٱلْحَمَائِرُ حِجَارَةٌ تُنصَبُ حَوْلَ ٱلْبَيْتِ وَاحِدَتُهَا حِمَارَةٌ ، وَرِوَاقُ ٱلْبَيْتِ سَمَاوَتُهُ وَهِيَ ٱلشُّقَّةُ ٱلَّتِي دُونَ ٱلْعُلْيَا ، وَٱلتَّحِيزَةُ طُرَّةٌ تُنْسَجُ ثُمَّ تُخَاطُ عَلَى شَفَةِ ٱلشُّقَّةِ ٱلَّتِي تَلِي ٱلْاَرْضَ ، وَهِيَ ٱلْعَرَقَةُ اَيضًا ، وَٱلْحُتُرُ اَكِفَّةُ ٱلشِّقَاقِ كُلٌّ وَاحِدٍ حِتَارٌ ، وَٱلْكِسْرُ ٱلشُّقَّةُ ٱلَّتِي تَلِي ٱلْاَرْضَ ، وَٱلطَّوَارِفُ مِنَ ٱلْخِبَاءِ مَا رَفَعْتَ مِنْ نَوَاحِيهِ لِيُنْظَرَ اِلَى خَارِجٍ ، وَٱلسَّجْفَانِ ٱللَّذَانِ عَلَى ٱلْبَابِ يُقَالُ مِنْهُ بَيْتٌ مُسَجَّفٌ ، وَٱلْاِصَارُ ٱلطُّنُبُ وَجَمْعُهُ أُصُرٌ (وَٱلْاَيْصَرُ ٱلْحَشِيشُ ٱلْمُجْتَمِعُ وَجَمْعُهُ اَيَاصِرُ وَيُقَالُ ٱلْاِصَارُ وَتِدٌ قَصِيرٌ لِلْاَطْنَابِ ، وَٱلْاَزْرَارُ خَشَبَاتٌ يُخْرَزْنَ (١ فِي اَعْلَى شُقَقِ ٱلْخِبَاءِ وَاُصُولُ تِلْكَ ٱلْخَشَبَاتِ فِي ٱلْاَرْضِ ، وَٱلصُّقُوبُ ٱلْعُمُدُ ٱلَّتِي يُعْمَدُ بِهَا ٱلْبَيْتُ وَاحِدُهَا صَقْبٌ ، وَٱلْبُونُ ٱلَّتِي دُونَ ذٰلِكَ (106) وَاحِدُهَا بُوَانٌ ، وَٱلْخَوَالِفُ ٱلَّتِي فِي مُؤَخَّرِ ٱلْبَيْتِ وَاحِدُهَا خَالِفٌ ، وَٱلظَّهَرَةُ مَا فِي ٱلْبَيْتِ مِنَ ٱلْمَتَاعِ وَٱلثِّيَابِ . وَٱلَّذِي يُوضَعُ عَلَيْهِ يُقَالُ لَهُ ٱلْمُنْتَجَدُ وَهِيَ اَعْوَادٌ تُرْبَطُ كَٱلْمِشْجَبِ ، وَٱلنَّضَدُ مَا نُضِدَ مِنْ مَتَاعِ ٱلْبَيْتِ بَعْضِهِ اِلَى بَعْضٍ ، فَاِذَا كَانَ قَلِيلَ ٱلْمَتَاعِ قِيلَ : بَيْتٌ بَاهٍ وَمِنْهُ قِيلَ : ٱلْمِعْزَى تُبْهِي وَلَا تُبْنِي وَذٰلِكَ اَنَّهَا تَصْعَدُ فَوْقَ ٱلْبَيْتِ فَتُخَرِّقُهُ وَلَا تُتَّخَذُ (٢ مِنْهُ اَبْنِيَةٌ اِنَّمَا ٱلْاَبْنِيَةُ مِنَ ٱلصُّوفِ وَٱلْوَبَرِ . وَيُقَالُ لِذَوَاتِ ٱلصُّوفِ

---

١) وفي الاصل : تُخرَزْنَ

٢) في الاصل تنجز . راجع المخصّص (٦ : ١٣)

إِنَّهَا تُبْنِي لِأَنَّهَا إِنْ مَكَّنَتْكَ مِنْ أَصْوَافِهَا فَقَدْ أَبْنَتْ . وَقَدْ أَبْنَيْتُهُ بَيْتًا إِذَا جَعَلْتَ لَهُ بَيْتًا . وَٱلْبَاهِي مِثْلُهُ . وَيُقَالُ : أَبْهُوا ٱلْخَيْلَ أَيْ عَطِّلُوهَا فَلَا تَغْزُوا عَلَيْهَا . وَقَدْ أَبْهَيْتُهُ وَقَدْ أَبْهَى يُبْهِي . وَبَيْتٌ بَاهٍ لَا شَيْءَ فِيهِ . بَهِيَ ٱلْبَيْتُ بَهَاءً ٱنْخَرَقَ ، وَيُقَالُ مِنَ ٱلْخِبَاءِ : أَخْبَيْتُ إِخْبَاءً إِذَا عَمِلْتَهُ . وَتَخَبَّيْتُ أَيْضًا وَخَبَّيْتُ مِثْلُهُ ، وَإِصَارُ بَيْتِي إِلَى إِصَارِ بَيْتِهِ وَهُوَ ٱلطُّنُبُ ، ٱلشُّحُوبُ أَعْمِدَةٌ مِنْ أَعْمِدَةِ ٱلْبَيْتِ ، وَٱلْمِسْمَاكُ عُودٌ يَكُونُ فِي ٱلْخِبَاءِ ، وَٱلْبَاقُ ٱلْفُسْطَاطُ ، وَٱلسِّطَاعُ عَمُودُ ٱلْبَيْتِ ، وَٱلسُّرَادِقُ مَا أَحَاطَ بِٱلْبِنَاءِ ، وَٱلْأَوَاخِيُّ ٱلْأَطْنَابُ . وَاحِدَتُهَا آخِيَّةٌ ، وَمِنَ ٱلْبِنَاءِ وَأَشْبَاهِهِ ٱلْمُشَيَّدُ ٱلْمُطَوَّلُ . وَٱلْمَشِيدُ ٱلْمَعْمُولُ بِٱلشِّيدِ وَهُوَ ٱلْجِصُّ وَكُلُّ شَيْءٍ طَلَيْتَ بِهِ ٱلْحَائِطَ مِنْ بَلَاطٍ وَنَحْوِهِ . وَيُقَالُ ٱلْمَشِيدُ بِٱلتَّخْفِيفِ لِلْوَاحِدِ . قَالَ ٱللهُ تَعَالَى : وَقَصْرٍ مَشِيدٍ . وَٱلْمُشَيَّدَةُ لِلْجَمِيعِ . قَالَ جَلَّ ذِكْرُهُ : فِي بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ (١ ، وَٱلْبَيْتُ ٱلْمُحَرَّدُ ٱلْمُسَنَّمُ ٱلَّذِي يُسَمَّى ٱلْكُوخَ . وَٱلْمُحَرَّدُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ ٱلْمَعْوَجُ (107) وَيُقَالُ ٱلْبِنَاءُ ٱلطَّوِيلُ ، وَٱلْبَيْتُ ٱلْمُعَرَّسُ ٱلَّذِي عُمِلَ لَهُ عَرْسٌ وَهُوَ حَائِطٌ يُجْعَلُ بَيْنَ حَائِطَيِ ٱلْبَيْتِ لَا يُبْلَغُ بِهِ أَقْصَاهُ . ثُمَّ يُوضَعُ ٱلْحَائِزُ مِنْ طَرَفِ ٱلْعَرْسِ ٱلدَّاخِلِ إِلَى أَقْصَى ٱلْبَيْتِ وَيُسَقَّفُ ٱلْبَيْتُ كُلُّهُ وَمَا كَانَ تَحْتَ ٱلْجَائِزِ فَهُوَ ٱلْمُخْدَعُ ، وَٱلْجَائِزُ هُوَ ٱلَّذِي يُسَمَّى بِٱلْفَارِسِيَّةِ ٱلتِّيرِ وَجَمْعُهُ جَوَائِزُ وَأَجْوِزَةٌ وَجُوزَانٌ ، وَٱلْعَتَبَةُ أُسْكُفَّةُ ٱلْبَابِ ، وَٱلطَّنَفُ وَٱلطُّنُفُ ٱلسَّقِيفَةُ تُشْرَعُ فَوْقَ ٱلْبَابِ ، وَهِيَ ٱلْكُنَّةُ وَجَمْعُهُ ٱلْكُنَّاتُ ، وَهِيَ ٱلسُّدَّةُ أَيْضًا وَسُدَّةُ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَعْظَمِ مَا حَوْلَهُ مِنَ ٱلرِّوَاقِ ، وَهِيَ ٱلسَّقِيفَةُ ، وَيُقَالُ ٱلسُّدَّةُ ٱلْبَابُ نَفْسُهُ وَٱلْأَوَّلُ

١) هذه الفقرة مرويّة للكسائي في المخصّص (٥ : ١٢٢)

اَصحٌ ، اَلاَصِيدَةُ كَالْحَظِيرَةِ تُعْمَلُ ، وَالْوَصِيدُ اَلْفِنَاءُ وَقَدْ اَصَّدتُ اَلْبَابَ وَوَصَدْتُهُ اِذَا اَطْبَقْتَهُ

وَالسَّافُ فِي اَلْبِنَاءِ صَفٌّ مِنَ اللَّبِنِ وَاَهْلُ الْحِجَازِ يُسَمُّونَهُ اَلْمِدْمَاكَ وَالسَّمِيطُ عِنْدَهُمْ اَلْقَائِمُ الْآجُرُّ الْقَائِمُ بَعْضُهُ فَوْقَ بَعْضٍ يُسَمِّيهِ اَلْفُرْسُ بَرَاسْتَقَ ، وَالْمِلَاطُ هُوَ الطِّينُ الَّذِي يُجْعَلُ بَيْنَ سَافِي الْبِنَاءِ ، وَالْمِطْمَرُ اَلْخَيْطُ الَّذِي يُقَدَّرُ بِهِ اَلْبِنَاءُ وَيُسَمَّى الْاِمَامَ . وَالْفُرْسُ يُسَمِّيهِ الشَّزَّ ، وَكُلُّ كُوَّةٍ لَيْسَتْ بِنَافِذَةٍ فِي اَلْحَائِطِ فَهِيَ مِشْكَاةٌ ، اَفْوَاهُ الْاَزِقَّةِ وَاحِدَتُهَا فُوهَةٌ مِثْلُ خُمْرَةٍ وَلَا يُقَالُ فَمٌ ، وَالْاَوَاسِي السَّوَارِي وَاحِدَتُهَا آسِيَةٌ مِثَالُ فَاعِلَةٍ ، اَلدَّوْلَجُ السَّرَبُ ، وَالطِّنْءُ اَلْمَنْزِلُ وَالطِّنْءُ الرِّيبَةُ وَالدَّاءُ ، وَالْعَقْرُ اَلْبِنَاءُ الْمُرْتَفِعُ ، وَالْفَدْنُ وَالْمِجْدَلُ وَالصَّرْحُ وَالْعَقْلُ وَالْمَعْقِلُ كُلُّهُ اَلْقَصْرُ ، اَلْعَالَةُ (108) شَيْءٌ شِبْهُ الظُّلَّةِ يُسْتَتَرُ بِهِ مِنَ الْمَطَرِ يُقَالُ : قَدْ عَوَّلْتُ عَالَةً ، اَلرَّوَافِدُ خَشَبَاتُ السَّقْفِ وَقَالَ:

رَوَافِدُهُ اَكْرَمُ الرَّافِدَاتْ بَخٍ لَكَ بَخٍ لِبَحْرٍ خِضَمْ

(يُقَالُ فِي « بَخٍ » اَلْجَزْمُ وَالْخَفْضُ وَالتَّخْفِيفُ وَالتَّشْدِيدُ) ، وَالْاِطَامُ وَالْجَوْسَقُ شِبْهُ (١ الْحِصْنِ ، اَلْكِلْسُ مِثْلُ الصَّارُوجِ يُبْنَى بِهِ ، وَالْبَلَاطُ اَلْحِجَارَةُ الْمَفْرُوشَةُ يُقَالُ دَارٌ مُبَلَّطَةٌ ، وَالْجَيَّارُ الصَّارُوجِ ، وَالرَّبْعُ هُوَ الدَّارُ بِعَيْنِهَا حَيْثُ كَانَتْ ، وَالْمَرْتَعُ الْمَنْزِلُ فِي الرَّبِيعِ خَاصَّةً ، وَبَحْرُ الدَّارِ وَسَطُهَا وَعُقْرُهَا اَصْلُهَا فِي لُغَةِ الْحِجَازِيِّينَ . وَاَمَّا اَهْلُ نَجْدٍ فَيَقُولُونَ عَقْرٌ . وَمِنْهُ قِيلَ الْعَقَارُ ، وَالْعَقَارُ الْمَنْزِلُ وَالْاَرْضُ وَالضِّيَاعُ ، وَالْمُنْتَجَعُ الْمَنْزِلُ فِي طَلَبِ الْكَلَاِ ، وَالْمَحْضَرُ الْمَرْجِعُ اِلَى الْمِيَاهِ ، وَالْحِلَالُ جَمَاعَاتُ بُيُوتِ النَّاسِ ، وَمِثْلُهُ

١) في الاصل : بيت الحصن (اطلب المخصص ٥ : ١٢٦)

أَلْحِوَاءُ ، وَقَاعَةُ ٱلدَّارِ وَبَاحَتُهَا وَصَرْحَتُهَا وَمَـارِعَتُهَا. وَسَاحَتُهَا وَاحِدٌ ، وَكُلُّ جَوْبَةٍ (١ مُنْفَتِقَةٍ لَيْسَ فِيهَا بِنَاءٌ فَهِيَ عَرْصَةٌ

وَٱلدَّوَادِيُّ آثَارُ اراجِيحِ ٱلصِّبْيَانِ . ٱلْوَاحِدَةُ دَوْدَاةٌ ، وَٱلْارَاجِيحُ انْ تُؤْخَذَ خَشَبَةٌ فَيُوضَعُ وَسَطُهَا عَلَى تَلٍّ ثُمَّ يَجْلِسُ غُلَامَـانِ عَلَى طَرَفَيْهَا فَتَمِيلُ بِهِمَا ، وَٱلزَّحَالِيفُ آثَارُ تَزَلُّجِ ٱلصِّبْيَـانِ مِنْ فَوْقُ إِلَى اسْفَلَ . وَاحِدَتُهَا زُحْلُوفَةٌ فِي لُغَةِ اهْلِ ٱلْعَالِيَةِ . وَتَمِيمٌ تَقُولُ زَحَالِيقُ ، وَٱلْكِرْسُ ٱلْأَبْوَالُ وَٱلْأَبْعَارُ يَتَلَبَّدُ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ ، وَٱلدِّمْنُ مَا سَوَّدُوا مِنْ آثَارِ ٱلْبَعِيرِ وَغَيْرِهِ . وَٱلدِّمْنُ اسْمُ ٱلْجِنْسِ مِثْـلُ ٱلسِّدْرِ يُقَالُ سِدْرَةٌ وَسِدَرٌ . وَكَذٰلِكَ دِمْنَـةٌ وَدِمَنٌ لِلْجَمِيعِ وَدِمْنٌ ايْضًا . وَٱلدِّمْنُ ٱلْبَعْرُ نَفْسُهُ ، وَٱلْوَأْلَةُ عَلَى مِثَالِ تَمْرَةٍ ابْعَارُ ٱلْغَنَمِ (109) وَٱلْإِبِلِ وَابْعَارُهَا جَمِيعًا . يُقَالُ فِيهَا : قَدْ اوْأَلَ ٱلْمَكَانُ فَهُوَ مُوأِلٌ

وَطِوَارُ ٱلدَّارِ مَا كَانَ مُمْتَدًّا مَعَهَا وَفِيهِ قَوْلُهُمْ : عَدَا طَوْرَهُ . وَلَا اطُورُ بِهِ اَيْ لَا اقْرَبُـهُ ، وَٱلطَّلَلُ مَا شَخَصَ مِنْ آثَارِ ٱلدَّارِ ، وَٱلرَّسْمُ مَا كَانَ لَاصِقًا بِٱلْأَرْضِ ، وَٱلْمَبَاءَةُ وَٱلْمَانُ وَٱلْمَغْنَى وَٱلْمَنْزِلُ ، وَٱلْمِحْلَالُ ٱلَّذِي يَحُلُّ بِهِ ٱلنَّاسُ ، وَهُوَ ٱلْمَرَبُّ (٢ ، وَٱلْمَظِنَّـةُ ٱلْمَنْزِلُ ٱلْمَعْلَمُ ، وَٱلْمَشَارِبُ ٱلْغُرَفُ . وَاحِدَتُهَا مَشْرَبَةٌ ، وَٱلْآسُ بَقِيَّةُ ٱلرَّمَـادِ بَيْنَ ٱلْاثَافِي ، وَٱلضَّبْحُ (٣ ٱلرَّمَادُ ، وَٱلْخَيْمُ عِيدَانٌ تُبْنَى عَلَى ٱلْخِيَمِ ، وَٱلْآلُ ٱلشَّخْصُ ، وَٱلْعُنَّةُ حَظِيرَةٌ مِنْ خَشَبٍ تُجْعَـلُ لِلْإِبِلِ ، وَٱلْكَنِيفُ نَحْوُ ذٰلِكَ ، وَبَيْضَةُ

---

١) وفي الاصل « حوبة » وهو تصحيف
٢) قد صُحِّفَ في الاصل بالمَرْق (المخصَّص ٥ : ١٩١)
٣) كذا في الاصل . وفي مخصَّص ابن سيدة (١١ : ٢٩) : الذَّبْحُ

اَلدَّارِ وَسْطُهَا وَبَيْضَةُ ٱلْقَوْمِ وَسْطُهُمْ ، وَٱلْمَبَاءَةُ وَٱلسَّأْوُ (١ ٱلْوَطَنُ ، وَٱلْإِيَادُ ٱلتُّرَابُ يُجْعَلُ حَوْلَ ٱلْحَوْضِ وَٱلْخِبَاءِ

(اَلْقُدُورُ) وَمِنْ آلَةِ ٱلْمَنَازِلِ ٱلْقُدُورُ . فَمِنْهَا ٱلْوَئِيئَةُ مِثَالُ فَعِيلَةٍ وَهِيَ ٱلْقِدْرُ ٱلْوَاسِعَةُ ، وَمِنْهَا قِدْرٌ جِمَاعٌ وَجَامِعَةٌ وَهِيَ ٱلْعَظِيمَةُ ، وَقِدْرٌ دَمِيمٌ مَطْلِيَّةٌ بِدِمَامٍ ، وَقِدْرٌ اَعْشَارٌ مُتَكَسِّرَةٌ ، وَقِدْرٌ زُوَازِيَةٌ تَضُمُّ ٱلْجَزُورَ ، وَٱلصِّيدَانُ بِرَامُ ٱلْحِجَارَةِ . قَالَ اَبُو ذُؤَيْبٍ :

وَسُودٌ مِنَ ٱلصِّيدَانِ فِيهَا مَذَانِبُ

(يَعْنِي ٱلْمَغَارِفَ) ، وَٱلصَّادُ قُدُورُ ٱلصُّفْرِ وَٱلنُّحَاسِ ، وَٱلصَّيْدَاءُ حَجَرٌ اَبْيَضُ تُعْمَلُ مِنْهُ ٱلْبِرَامُ . وَاَكْبَرُ ٱلْبِرَامِ ٱلْجِمَاعُ ، ثُمَّ ٱلَّتِي تَلِيهَا ٱلْمُشْكَلَةُ وَهِيَ ٱلَّتِي يَسْتَخِفُّ ٱلْحَيُّ اَنْ يَطْبُخُوا فِيهَا ٱللَّحْمَ ، وَٱلْمِسْخَنَةُ ٱلَّتِي كَأَنَّهَا تَوْرٌ (٢ ، وَٱلْجِئَاوَةُ ٱلشَّيْءُ ٱلَّذِي تُوضَعُ عَلَيْهِ ٱلْقِدْرُ اِنْ كَانَ جِلْدًا اَوْ خَصَفَةً اَوْ غَيْرَ ذٰلِكَ . وَهِيَ ٱلْجِيَاءُ وَٱلْجِوَاءُ اَيْضًا ، وَٱلْجِعَالُ ٱلْخِرْقَةُ ٱلَّتِي تُنْزَلُ بِهَا ٱلْقِدْرُ يُقَالُ مِنْهُ : اَجْعَلْتُ ٱلْقِدْرَ اِجْعَالًا اِذَا اَنْزَلْتَهَا (110) بِٱلْجِعَالِ (وَكَذٰلِكَ مِنَ ٱلْجُعْلِ فِي ٱلْعَطِيَّةِ اَجْعَلْتُ لَهُ بِٱلْأَلِفِ وَهِيَ ٱلْجِعَالَةُ مِنَ ٱلشَّيْءِ تَجْعَلُهُ لِلْإِنْسَانِ) ، وَٱلشَّكِيمُ مِنَ ٱلْقِدْرِ عُرَاهَا ، وَٱلسُّخَامُ سَوَادُ ٱلْقِدْرِ . وَمِنْهُ : سَخَّمْتُ وَجْهَهُ (وَاَمَّا ٱلشَّعْرُ ٱلسُّخَامُ فَهُوَ ٱللَّيِّنُ ٱلْحَسَنُ وَلَيْسَ هُوَ مِنَ ٱلسَّوَادِ . وَيُقَالُ لِلْخَمْرِ سُخَامٌ اِذَا كَانَتْ لَيِّنَةً سَلِسَةً) ، اَلْمِذْنَبُ ٱلْمِغْرَفَةُ وَهِيَ ٱلْمِقْدَحُ وَكُلُّ شَيْءٍ يُقْدَحُ بِهِ . وَٱلْقَدْحُ ٱلْغَرْفُ

١) وفي الاصل : الشأو وهو تصحيف

٢) التَّور إناء صغير يُشرب فيهِ . وقد صُحِّفت لفظة المسخنة في الاصل بالمِسحَنة

وَمِنْ أَفعَالِ ٱلْقِدْرِ أَرِتِ ٱلْقِدْرُ تَأْرِي أَرْيًا إِذَا ٱحْتَرَقَتْ وَلَصِقَ بِهَا ٱلشَّيْءُ ، وَمِثْلُهُ شَاطَتِ ٱلْقِدْرُ تَشِيطُ وَأَشَطْتُهُ أَنَا إِشَاطَةً ، وَقَرَرْتُ ٱلْقِدْرَ أَقُرُّهَا إِذَا فَرَّغْتَ مَا فِيهَا مِنَ ٱلطَّبِيخِ ثُمَّ صَبَبْتَ فِيهَا مَاءً بَارِدًا كَيْ لَا تَحْتَرِقَ . وَٱسْمُ ذٰلِكَ ٱلْمَاءِ ٱلْقُرَارَةُ وَٱلْقُرَرَةُ عَنِ ٱلْكِسَائِيِّ . وَرَوَى ٱلْفَرَّاءُ عَنْهُ (١ :هِيَ ٱلْقُرَرَةُ ، كَتَّتِ ٱلْقِـدْرُ تَـكِتُّ كَتِيتًا إِذَا غَلَتْ وَكَذٰلِكَ ٱلْجَرَّةُ وَغَيْرُهَا ، فَإِذَا حَانَ أَنْ تُدْرِكَ قِيـلَ : ضَرَعَتْ تَضْرِيعًا ، وَٱلْحُمَمُ ٱلْفَحْمُ ، وَٱلْعُقْبَـةُ ٱلشَّيْءُ مِنَ ٱلْمَرَقِ يَرُدُّهُ مُسْتَعِيرُ ٱلْقِدْرِ إِلَى صَاحِبِهَا ، وَهُوَ ٱلْعَافِي وَٱلْعِفَاوَةُ (٢ ، وَٱئْتَزَّتِ ٱلْقِدْرُ ٱئْتِزَازًا فَهِيَ مُؤْتَزَّةٌ إِذَا ٱشْتَدَّ غَلَيَانُهَا ، وَٱلْقَدِيرُ ٱلطَّبِيخُ

وَمِنَ ٱلْآنِيَةِ ٱلْغُمَرُ وَهُوَ ٱلْقَدَحُ ٱلصَّغِيرُ ، ثُمَّ ٱلْعُسُّ أَكْبَرُ مِنْهُ ، ثُمَّ ٱللَّحْنُ أَكْبَرُ مِنْهُ ، ثُمَّ ٱلتِّبْنُ أَكْبَرُهَا ، وَٱلْمِصْحَاةُ إِنَاءٌ مِثْلُ ٱلْقَدَحِ ، وَٱلْقَصْعَةُ ٱلْجَفْنَةُ . وَٱلرِّفْدُ ٱلْقَدَحُ ، وَٱلْمَنْجُوبُ ٱلْوَاسِعُ ٱلْجَوْفِ ، وَإِنَاءٌ طَفَّانُ (٣ وَهُوَ ٱلَّذِي بَلَغَ ٱلْكَيْلُ طَفَافَهُ (111) ، وَجَمَّانُ بَلَغَ نِصْفَهُ ، وَشَطْرَانُ بَلَغَ شَطْرَهُ وَهُوَ ٱلنِّصْفُ ، وَقَرْبَانُ إِذَا قَرُبَ أَنْ يَمْتَلِئَ أَوْ قَرُبَ مِنْهُ ، وَقَعْرَانُ فِي قَعْرِهِ شَيْءٌ ، وَنَهْدَانُ (وَٱلْمُؤَنَّثُ مِنْ هٰـذَا كُلِّهِ فَعْلَى) . وَقَدْ أَجْمَمْتُ ٱلْإِنَاءَ وَأَطْفَفْتُهُ وَأَنْهَدْتُهُ وَأَقْرَبْتُهُ يُقَالُ جَمَامَةٌ وَطَفَافَةٌ وَجَمَّةٌ وَطَفَفَةٌ وَقَرَابَةٌ ، وَٱلتَّامُورَةُ ٱلْإِبْرِيقُ ، وَٱلتِّبْنُ أَعْظَمُ ٱلْأَقْدَاحِ يَكَادُ يُرْوِي عِشْرِينَ ، وَٱلصَّحْنُ مُقَـارِبٌ ، ثُمَّ ٱلْعُسُّ

---

١) مسخ الناسخ هذه العبارة فكتب : وروى الفراعنةُ
٢) وكلّ هذه الالفاظ مصحفة في الاصل فكُتب العقبة والعاقي والعقاوة
٣) وفي نسختنا كفّان وهو تصحيف

بَزْوِي ٱلثَّلَاثَةَ وَٱلْأَرْبَعَةَ ، ثُمَّ ٱلْقَدَحُ يَرْوِي ٱلرَّجُلَيْنِ وَلَيْسَ لِذٰلِكَ وَقْتٌ ، ثُمَّ ٱلْقَعْبُ يَرْوِي ٱلرَّجُلَ ، ثُمَّ ٱلْغُمَرُ ، وَٱلتَّاجُودُ كُلُّ إِنَاءٍ يُحْمَلُ فِيهِ ٱلشَّرَابُ فِي جَفْنَةٍ أَوْ غَيْرِهَا ، وَٱلرَّاوُوقُ ٱلْمِصْفَاةُ ، وَأَعْظَمُ ٱلْقِصَاعِ ٱلْجَفْنَةُ ، ثُمَّ ٱلْقَصْعَةُ تَلِيهَا تَسَعُ ٱلْخَمْسَةَ وَنَحْوَهُمْ ، وَٱلْمِشْكَلَةُ تَسَعُ ٱلرَّجُلَيْنِ وَٱلثَّلَاثَةَ ، ثُمَّ ٱلصَّحِيفَةُ تَسَعُ ٱلرَّجُلَ

ثُمَّ ٱلْمِيزَانُ فِيهِ ٱلسَّعْدَانَاتُ وَهِيَ ٱلْعُقَدُ ٱلَّتِي فِي أَسْفَلِ ٱلْمِيزَانِ ، وَٱلْكِظَامَةُ وَٱلْحَلْقَةُ ٱلَّتِي يُجْمَعُ فِيهَا ٱلْخُيُوطُ فِي طَرَفَيِ ٱلْمِنْجَمِ ، وَيُقَالُ لِمَا يَكْتَنِفُ ٱللِّسَانَ ٱلْفِيَارَانِ ٱلْوَاحِدُ فِيَارٌ ، وَٱلْعَذَبَةُ ٱلْخَيْطُ ٱلَّذِي يُرْفَعُ بِهِ ٱلْمِيزَانُ ، وَٱلْمِنْجَمُ ٱلْحَدِيدَةُ ٱلْمُعْتَرِضَةُ ٱلطَّوِيلَةُ

(أَدَوَاتُ مَا يَعْمَلُ فِي ٱلْحَفْرِ) ٱلْحَدَاةُ ٱلْفَأْسُ ذَاتُ رَأْسَيْنِ وَجَمْعُهَا حَدًا (مَقْصُورٌ) قَالَ « كَٱلْحَدَإِ ٱلْوَقِيعِ » أَيِ ٱلْمُحَدَّدِ ، فَإِذَا كَانَ لَهَا رَأْسٌ وَاحِدٌ فَهِيَ فَأْسٌ ، وَهُوَ ٱلْكَرْزَنُ أَيْضًا (وَيُكْسَرُ أَيْضًا ٱلْكِرْزِنُ) وَيُقَالُ ٱلْكِرْزِينُ فَأْسٌ لَيْسَ لَهَا حَدٌّ نَحْوُ ٱلْمِطْرَقَةِ ، وَهُوَ ٱلْكِرْزِيمُ أَيْضًا ، ٱلصَّاقُورُ ٱلْفَأْسُ ٱلْعَظِيمَةُ ٱلَّتِي لَهَا رَأْسٌ وَاحِدٌ دَقِيقٌ يُكْسَرُ بِهِ (112) ٱلْحِجَارَةُ ، ٱلْمِغْوَلُ ٱلْحَدِيدَةُ تُجْعَلُ فِي ٱلسَّوْطِ فَيَكُونُ لَهَا غِلَافًا ، ٱلْمِقْلَدُ ٱلْمِنْجَلُ ، وَٱلْعَلَاةُ ٱلسَّنْدَانُ ، وَٱلْعَتَلَةُ ٱلْبَيْرَمُ

يُقَالُ مِنْ كَنْسِ ٱلْبَيْتِ : سَفَرْتُ ٱلْبَيْتَ أَسْفِرُهُ سَفْرًا ، وَحُقْتُهُ أَحُوقُهُ حَوْقًا كَنَسْتُهُ . وَٱلْمِحْوَقَةُ وَٱلْمِسْفَرَةُ ٱلْمِكْنَسَةُ ، وَإِذَا دَقَقْتَ ٱلْحَبَّ قُلْتَ : أَجْشَشْتُ ٱلْحَبَّ إِجْشَاشًا أَيْ دَقَقْتُهُ . وَٱلْمِيجَنَةُ ٱلْمِدَقَّةُ وَجَمْعُهَا مَوَاجِنُ . أَنْشَدَ ٱلْمُفَضَّلُ لِعَامِرِ بْنِ ٱلطُّفَيْلِ ٱلسَّعْدِيِّ (جَاهِلِيٌّ) :

رِقَابٌ كَٱلْمَوَاجِنِ خَاظِيَاتٌ وَأَسْتَاهٌ عَلَى ٱلْأَكْوَارِ كُومُ

وَمِنْ اَفعَالِ ٱلْقِدْرِ اَرتِ ٱلْقِدْرُ تَأْرِي اَرْيًا إِذَا ٱحْتَرَقَتْ وَلَصِقَ بِهَا ٱلشَّيْءُ ، وَمِثْلُهُ شَاطَتِ ٱلْقِدْرُ تَشِيطُ وَاَشَطْتُهُ اَنَا إِشَاطَةً ، وَقَرَرْتُ ٱلْقِدْرَ اَقُرُّهَا إِذَا فَرَّغْتَ مَا فِيهَا مِنَ ٱلطَّبِيخِ ثُمَّ صَبَبْتَ فِيهَا مَاءً بَارِدًا كَيْ لَا تَحْتَرِقَ . وَٱسْمُ ذٰلِكَ ٱلْمَاءِ ٱلْقُرَارَةُ وَٱلْقُرَرَةُ عَنِ ٱلْكِسَائِيِّ . وَرَوَى ٱلْفَرَّاءُ عَنْهُ (١ :هِيَ ٱلْقُرَرَةُ ، كَتَّتِ ٱلْقِدْرُ تَكِتُّ كَتِيتًا إِذَا غَلَتْ وَكَذٰلِكَ ٱلْجَرَّةُ وَغَيْرُهَا ، فَإِذَا حَانَ اَنْ تُدْرِكَ قِيلَ : ضَرَعَتْ تَضْرِيعًا ، وَٱلْحُمَمُ ٱلْفَحْمُ ، وَٱلْعُقْبَةُ ٱلشَّيْءُ مِنَ ٱلْمَرَقِ يَرُدُّهُ مُسْتَعِيرُ ٱلْقِدْرِ إِلَى صَاحِبِهَا ، وَهُوَ ٱلْعَافِي وَٱلْعِفَاوَةُ (٢ ، وَٱئْتَزَتِ ٱلْقِدْرُ ٱئْتِزَازًا فَهِيَ مُؤْتَزَّةٌ إِذَا ٱشْتَدَّ غَلَيَانُهَا ، وَٱلْقَدِيرُ ٱلطَّبِيخُ

وَمِنَ ٱلْآنِيَةِ ٱلْغُمَرُ وَهُوَ ٱلْقَدَحُ ٱلصَّغِيرُ ، ثُمَّ ٱلْعُسُّ اَكْبَرُ مِنْهُ ، ثُمَّ ٱلصَّحْنُ اَكْبَرُ مِنْهُ ، ثُمَّ ٱلتِّبْنُ اَكْبَرُهَا ، وَٱلْمِصْحَاةُ إِنَاءٌ مِثْلُ ٱلْقَدَحِ ، وَٱلْقَصْعَةُ ٱلْجَفْنَةُ ، . وَٱلرِّفْدُ ٱلْقَدَحُ ، وَٱلْمَنْجُوبُ ٱلْوَاسِعُ ٱلْجَوْفِ ، وَإِنَاءٌ طَفَّانُ (٣ وَهُوَ ٱلَّذِي بَلَغَ ٱلْكَيْلُ طَفَافَهُ (111) ، وَجَمَّانُ بَلَغَ نِصْفَهُ ، وَشَطْرَانُ بَلَغَ شَطْرَهُ وَهُوَ ٱلنِّصْفُ ، وَقَرْبَانُ إِذَا قَرُبَ اَنْ يَمْتَلِئَ اَوْ قَرُبَ مِنْهُ ، وَقَعْرَانُ فِي قَعْرِهِ شَيْءٌ ، وَنَهْدَانُ (وَٱلْمُؤَنَّثُ مِنْ هٰذَا كُلِّهِ فَعْلَى) . وَقَدْ اَجْمَمْتُ ٱلْإِنَاءَ وَاَطْفَفْتُهُ وَاَنْهَدْتُهُ وَاَقْرَبْتُهُ يُقَالُ جَمَامَةٌ وَطَفَافَةٌ وَجُمَّةٌ وَطَفَفَةٌ وَقَرَابَةٌ ، وَٱلتَّامُورَةُ ٱلْإِبْرِيقُ ، وَٱلتِّبْنُ اَعْظَمُ ٱلْأَقْدَاحِ يَكَادُ يُرْوِي عِشْرِينَ ، وَٱلصَّحْنُ مُقَارِبٌ ، ثُمَّ ٱلْعُسُّ

---

١) مسخ الناسخ هذه العبارة فكتب : وروى الفراعنةُ

٢) وكلّ هذه الالفاظ مصحفة في الاصل فكُتب العقبة والعاقي والعقاوة

٣) وفي نسختنا كفّان وهو تصحيف

يَرْوِي ٱلثَّلَاثَةَ وَٱلْأَرْبَعَةَ ، ثُمَّ ٱلْقَدَحُ يَرْوِي ٱلرَّجُلَيْنِ وَلَيْسَ لِذٰلِكَ وَقْتٌ ، ثُمَّ ٱلْقَعْبُ يَرْوِي ٱلرَّجُلَ ، ثُمَّ ٱلْغُمَرُ ، وَٱلنَّاجُودُ كُلُّ إِنَاءٍ يُحْمَلُ فِيهِ ٱلشَّرَابُ فِي جَفْنَةٍ اوْ غَيْرِهَا ، وَٱلرَّاوُوقُ ٱلْمِصْفَاةُ ، وَاعْظَمُ ٱلْقِصَاعِ ٱلْجَفْنَةُ ، ثُمَّ ٱلْقَصْعَةُ تَلِيهَا تَسَعُ ٱلْخَمْسَةَ وَنَحْوَهُمْ ، وَٱلْمِشْكَلَةُ تَسَعُ ٱلرَّجُلَيْنِ وَٱلثَّلَاثَةَ ، ثُمَّ ٱلصَّحِيفَةُ تَسَعُ ٱلرَّجُلَ

ثُمَّ ٱلْمِيزَانُ فِيهِ ٱلسَّعْدَانَاتُ وَهِيَ ٱلْعُقَدُ ٱلَّتِي فِي اسْفَلِ ٱلْمِيزَانِ ، وَٱلْكِظَامَةُ وَٱلْحَلْقَةُ ٱلَّتِي يُجْمَعُ فِيهَا ٱلْخُيُوطُ فِي طَرَفَيِ ٱلْمِنْجَمِ ، وَيُقَالُ لِمَا يَكْتَنِفُ ٱللِّسَانَ ٱلْفِيَارَانِ ٱلْوَاحِدُ فِيَارٌ ، وَٱلْعَذَبَةُ ٱلْخَيْطُ ٱلَّذِي يُرْفَعُ بِهِ ٱلْمِيزَانُ ، وَٱلْمِنْجَمُ ٱلْحَدِيدَةُ ٱلْمُعْتَرِضَةُ ٱلطَّوِيلَةُ

(ادَوَاتُ مَا يَعْمَلُ فِي ٱلْحَفْرِ) ٱلْحَدَاةُ ٱلْفَأْسُ ذَاتُ رَأْسَيْنِ وَجَمْعُهَا حَدًأ (مَقْصُورٌ) قَالَ « كَٱلْحَدَإِ ٱلْوَقِيعِ » اي ٱلْمُحَدَّدِ ، فَإِذَا كَانَ لَهَا رَأْسٌ واحدٌ فَهِيَ فَأْسٌ ، وَهُوَ ٱلْكَرْزَنُ ايضًا (وَيُكْسَرُ ايضًا ٱلْكِرْزِنُ) وَيُقَالُ ٱلْكِرْزِينُ فَأْسٌ لَيْسَ لَهَا حَدٌّ نَحْوُ ٱلْمِطْرَقَةِ ، وَهُوَ ٱلْكِرْزِيمُ ايضًا ، ٱلصَّاقُورُ ٱلْفَأْسُ ٱلْعَظِيمَةُ ٱلَّتِي لَهَا رَأْسٌ وَاحِدٌ دَقِيقٌ يُكْسَرُ بِهِ (112) ٱلْحِجَارَةُ ، ٱلْمِغْوَلُ ٱلْحَدِيدَةُ تُجْعَلُ فِي ٱلسَّوْطِ فَيَكُونُ لَهَا غِلَافًا ، ٱلْمِقْلَدُ ٱلْمِنْجَلُ ، وَٱلْعَلَاةُ ٱلسِّنْدَانُ ، وَٱلْعَتَلَةُ ٱلْبَيْرَمُ

يُقَالُ مِنْ كَنْسِ ٱلْبَيْتِ : سَفَرْتُ ٱلْبَيْتَ اسْفِرُهُ سَفْرًا ، وَحُقْتُهُ احُوقُهُ حَوْقًا كَنَسْتُهُ . وَٱلْمِحْوَقَةُ وَٱلْمِسْفَرَةُ ٱلْمِكْنَسَةُ ، وَإِذَا دَقَقْتَ ٱلْحَبَّ قُلْتَ : اجْشَشْتُ ٱلْحَبَّ إِجْشَاشًا اي دَقَقْتُهُ . وَٱلْمِجْنَةُ ٱلْمِدَقَّةُ وَجَمْعُهَا مَوَاجِنُ . انْشَدَ ٱلْمُفَضَّلُ لِعَامِرِ بْنِ ٱلطُّفَيْلِ ٱلسَّعْدِيِّ (جَاهِلِيٌّ) :

رِقَابٌ كَٱلْمَوَاجِنِ خَاظِيَاتٌ ... وَاسْتَاهٌ عَلَى ٱلْأَكْوَارِ كُومُ

(ايْ كَثِيرَاتُ ٱللَّحم يُقَالُ خَظَا لَحْمُهُ وبَظَا اي ٱشْتَدَّ)، بيزرُ ٱلْقَصَّارِ ٱلَّذِي يَدُقُّ بِهِ

وَمِنْ ادوَاتِ ٱلنَّسَّاجِ ٱلْمِنوَالُ وَهُوَ ٱلْخَشَبَةُ ٱلَّتِي يَلُفُّ ٱلْحَائِكُ عَلَيهَا ٱلثَّوبَ وَهُوَ ٱلنَّولُ وجمعهُ انوَالٌ، ويُقَالُ لَهَا ٱلْحَفَّةُ، وٱلَّذِي يُقَالُ لَهُ ٱلْحَفُّ هُوَ ٱلْمِنسَجُ وَلَا يُقَالُ ٱلْحَفُّ فِي شَيْءٍ مِنْ هٰذَا، وَٱلْمِخَطُّ ٱلْعُودُ ٱلَّذِي يَخُطُّ ٱلْحَائِكُ بِهِ ٱلثَّوْبَ، ٱلْوَشِيعَةُ ٱلْقَصَبَةُ ٱلَّتِي يَجْعَلُ ٱلنَّسَّاجُ فِيهَا لُحْمَةَ ٱلثَّوْبِ لِلنَّسْجِ

ٱلسِّكِّينُ ٱلْكَبِيرُ يُسَمَّى ٱلصُّلْتَ وَجمعهُ اصلَاتٌ، وَٱلرَّمِيضُ ٱلسِّكِّينُ ٱلْحَدِيدُ وَهِيَ ٱلشَّدِيدَةُ ٱلْحَدِّ، وَٱلْجُزْأَةُ نِصَابُ ٱلسِّكِّينِ وَٱلْمِئْثَرَةُ. وَقَدْ اجزَأْتُهَا إِجْزَاءً وَانصَبْتُهَا إِنصَابًا جَعَلْتُ لَهَا نِصَابًا وَجُزْأَةً وَهُمَا عجزُ ٱلسِّكِّينِ، وَاقرَبْتُهَا جَعَلْتُ لَهَا قِرَابًا، وَاغلَفْتُهَا جعلتَ لها غِلَافًا، وَاشعَرْتُهَا جَعَلْتُ لَهَا شَعِيرَةً وَاقبَضْتُهَا جعلتُ لها (113) مَقْبِضًا، جلَزْتُ ٱلسِّكِّينَ وَٱلسَّوْطَ إِذَا حَزَمْتَ مَقْبِضَهُ بِعِلْبَاءِ ٱلْبَعِيرِ. وَٱسمُ ذٰلِكَ ٱلشَّيْءِ ٱلْجِلَازُ. فَإِنْ فَعَلْتَ ذٰلِكَ بِٱلسَّيْفِ قُلْتَ عَلَبْتُهُ اعلُبُهُ علبًا، وَٱلسِّيلَانُ فِي ٱلسَّيْفِ وَٱلسِّكِّينِ حَدِيدَتُهُ ٱلَّتِي تَدْخُلُ فِي ٱلنِّصَابِ

وَفِي إِحْدَادِ ٱلْحَدِيدَةِ تَقُولُ: وَقَعْتُ ٱلْحَدِيدَةَ بِٱلْمِيقَعَةِ اقَعُهَا وَقْعًا إِذَا حَدَدْتَهَا بَيْنَ حَجَرَيْنِ وَمِثْلُهُ رَمَضْتُهَا، طَرَرْتُهَا اطُرُّهَا طُرُورًا، وَذَرَبْتُهَا ذَرْبًا فَهِيَ مَذْرُوبَةٌ احدَدْتُهَا، وَٱلْمُدَلَّكُ ٱلْمُحَدَّدُ طَرَفُهُ، وَٱلْمُذَلَّقُ مِثْلُهُ، وَٱلْمُؤَنَّفُ نَحْوُهُ، وَٱلْمُرْهَفُ ٱلْمُرَقَّقُ، وَٱلْمَسْنُونُ ٱلْمُحَدَّدُ وَقَدْ سَنَنْتُهُ، وَٱلْغَرْبُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ حَدُّهُ. وَٱلْمِسَنُّ ٱلْحَجَرُ ٱلَّذِي يُسَنُّ عَلَيْهِ وَهُوَ ٱلسِّنَانُ ايضًا قَالَ ٱمرُؤُ ٱلْقَيْسِ:

كَحدِّ ٱلسِّنَانِ ٱلقُلْبِيِّ ٱلتحيضِ

وَٱلْخَضَمُ ٱلْمِسَنُّ قَال :

عَلَى خِضَمٍ يُسَقَّى المَاء عَجَّاجِ

الآداب العربيَّة في القرن التاسع عشر

بحث تاريخي وانتقادي للاب لويس شيخو اليسوعيّ (تابع)

المستشرقون الاوربيُّون في هذا الطور

(الفرنسويين) . بقي السبق في درس اللغات الشرقيَّة عموماً والعربيَّـة خصوصاً للعلماء الفرنسويين في هذا الطور الثالث الذي بلغنا اليـهِ في سياق تاريخنا للآداب العربيَّة. وكان تلامذة العلَّامة دي ساسي يمشون على آثار معلمهم فيخوضون بحر الآداب الشرقيَّة و يستخرجون من اغوارها اللآلىء الفريدة فينظمونها قلائد تزيد يوماً بعد آخر ثمناً وفخرًا وها نحن نذكر بعض الذين وقفنـا على اخبارهم وهي الى اليوم متفرّقة لم تُجمَع في سفر خاصّ

فمنهم فلجانس فرينل (F. Fresnel) ولد سنة ١٧٩٥ وانقطع في شبابـه الى درس اللغات الشرقيَّة حتى ارسلتهُ حكومتهُ سنة ١٨٣٧ الى جدَّة وتعيَّن هناك بصفة قنصل لدولتهِ . وفي سنة ١٨٥٢ توجَّهت انظار العلماء الى خرائب بابل فتشكَّلت بعثة علميَّة وكلت فرنسة نظارتها الى فرينل لما عهدت فيهِ من الاهليَّة فسافر الى بغداد وقام باعباء مهمَّتهِ بنشاط مدَّة ثلاث سنوات وكانت وفاتـهُ في حاضرة العراق سنة ١٨٥٥ وقد خلَّف فرينل عدَّة آثار تدلُّ على سعة معارفهِ منها ترجمة لاميَّة العرب للشنفري ومنها رسائل واسعة في تاريخ العرب في ايام الجاهليَّة ولهُ ايضاً مقـالات أُخرى مفيدة في الكتابات الحميريَّة التي وُجدت في جهات اليمن

واشهر منهُ رجلٌ همام وعالم عامل جارى في فضلهِ امام عصره العلامة دي ساسي نُريد بهِ اتيان كاترمار (Et. Quatremère) كان سليل اسرة شريفة كثر فيهـا الادباء والعلماء واصحاب السيف والقلم وزادها هو باعمالهِ شهرةً . وُلد اتيان في باريس

في ١٢ تموز سنة ١٧٨٢ وتخرَّج منذ حداثة سنّهِ في العلوم الشرقيَّة على دي ساسي المومأ اليهِ . واستحقَّ بفضلهِ ان يدخل في جملة نظّار المكتبة العموميَّة ومخطوطاتها الثمينة ثمَّ تولَّى التدريس في المدارس العليا قبل ان يبلغ العشرين من سنّهِ وفي السنة ١٨١٥ نظمهُ مجمع فرنسة العلميّ في سلك اعضائهِ ثمَّ ندبتهُ الحكومة الى تدريس اللغات العبرانيَّة والسريانيَّة والكلدانيَّة والفارسيَّة في مدارسها الخاصة فاحرز لهُ في تعليمها شهرة عظيمة حتَّى أضحى بعد وفاة دي ساسي نسيج وحدهِ في كلّ العلوم الشرقيَّة الى سنة وفاتهِ في ١٨ ايلول سنة ١٨٥٧ . ومن يطّلع على تآليف هذا الرجل المقدام يقضي منهُ العجب لأنَّهُ خلَّف بعدهُ نيفًا ومئة كتاب في كلّ ابواب الفنون الشرقيَّة وكلّ اللغات الساميَّة وغيرها وقد اودع كلّ هذه المصنَّفات كنوزًا من المعارف يتحيَّر لها عقل المطالعين . امَّا تآليفهُ العربية فعديدة ونهاية في الحسن والضبط منها ترجمتهُ لتاريخ المماليك في مصر للمقريزي في اربعة اجزاء وحواشٍ ضافية . ولهُ مجلدان في مبهمات تاريخية وجغرافية مصريَّة وتأليف عن النبطيين ومآثرهم . ومن مطبوعاتهِ العربية نشره لمقدمة ابن خلدون في ثلثة اقسام ومنتخبات من امثال الميداني وكتاب الروضتين ومقالات متَّسعة في جغرافيي العرب وفي مؤرخيهم وفي عادات اهل البادية ولهُ في التركية ترجمة تاريخ المغول لرشيد الدين في مجلَّد ضخم آية في حسن الطبع . وقد ألَّف كتبًا عديدة في آثار القبط والبابليين والهند والسامرة والافريقيين والعبرانيين ومجمل القول لم يدع فنًا الّا صنَّف فيهِ كتبًا تُعَدُّ الى يومنا معادن ثمينة غنيَّة بمضامينها العلميَّة

ومن تلامذة دي ساسي المعدودين غرانجره دي لاغرانج (J-B. Grangeret de la Grange) ولد سنة ١٧٩٠ واحكم درس العربيَّة والفارسية فوكلت اليهِ دولتهُ سنة ١٨٣٠ تصحيح المطبوعات الشرقية في مطبعتها العمومية فقام بالعمل القيام المشكور . وتوفّي سنة ١٨٥٩ وقد ابقى من الآثار مجموعًا في النظم والنثر نقلهُ الى الافرنسية ولهُ منتخبات من شعر المتنبي وابن الفارض علَّق عليها الحواشي وترجمها . وقد صنَّف كتابًا في تاريخ العرب في الاندلس ودافع عن محاسن الشعر العربي

واشتهر في هذا الوقت نوال دي ڤرجه (Noel des Vergers) بين المستشرقين الفرنسويين وكان مولدهُ سنة ١٨٠٥ ووفاتهُ في كانون الثاني سنة ١٨٦٧ نشر عدَّة تآليف شرقية كقسم من تاريخ ابي الفداء وتاريخ بني اغلب لابن خلدون ولهُ تاريخ

افرنسي في عرب الجاهلية اختصرهُ عن تاريخ معلّمهِ دي برسفال واضاف اليهِ مختصر تاريخ الخلفاء الى عهد المغول. وهو من التآليف المفيدة وكان ضليعًا بالمعارف الشرقية يلتجئ اليهِ العلماء في مشاكلهم

وفي سنة وفاة دي ڤرجه توفي مستشرق آخر ذائع الشهرة جوزف رينو (J. T. Reinaud) المولود في ٤ كانون الاول سنة ١٧٩٥ والمتوفى في ١٤ ايار سنة ١٨٦٧ كان ايضًا من تلامذة دي ساسي وانكبَّ على مثال استاذه على درس آثار الشرق ولغاتهِ وكان احد حفَظة خزانة المخطوطات الشرقية في باريس فاستقى من تلك المناهل الطيّبة ما شاء. وفي سنة ١٨٣٨ بعد وفاة دي ساسي تولّى تدريس اللغة العربية في مدرسة اللغات الشرقية الحيَّة ثمَّ رُئس عليها سنة ١٨٦٤ وبقي في وظيفتهِ الى سنة وفاتهِ. وللعلامة رينو منشورات جليلة منها في الآثار الشرقية كوصفهِ لمتحف الكنت دي بلاكاس في جلدين وهو سفر خطير في تعريف العاديّات الاسلامية. واشتغل بتاريخ الشرق فنقل الى الفرنسويّة معظم ما كتبهُ العرب في الحروب الصليبية وترجم رحلة تاجرين عربيين الى الصين تدعى سلسلة التواريخ ونشر كتاب تقويم البلدان لابي الفداء ونقلهُ الى الافرنسية وزيّنهُ بالمقدّمات الاثيرة والحواشي. ولهُ ما خلا ذلك عدَّة مقالات لغويّة وتاريخية في العرب وغيرهم من شعوب الشرق يطول تعدادها وفي ما سبق ما ينبيء بفضلهِ الواسع

وفي السنة ١٨٦٧ توفّي مستشرق ثالث فرنسوي موسويّ الدين وهو سليمان مُنك (S. Munk) وُلد في بلاد بروسيا سنة ١٨٠٣ وتخرَّج بالآداب العبرانية على بعض الربّانيين في بلدهِ ثمَّ جاء فرنسة سنة ١٨٢٨ وتجنَّس بالجنسيَّة الفرنسويّة وحضر دروس دي ساسي وكاترمار فتعلَّم العربيّة والفارسية والسنسكريتية وبرع فيها وتجوَّل مدَّة في القطر المصري مع الوزير كريميو. ثمَّ تفرَّغ للكتابة والتعليم وقصدتهُ التلامذة ليدرسوا عليهِ العبرانية. وقد أُصيب في آخر عمرهِ ببصرهِ فلم ينقطع عن التأليف والاملاء على الكتبة وهو في هذه الحالة عشرين سنة. ولهُ عدَّة تآليف في العبرانية والعربية والفارسية في تاريخ الشرق نخص منها بالذكر تاريخ فلسطين وكتاباتٍ شتّى في الشعر العربي والشعر العبراني ونشر مصنَّفات بعض فلاسفة اليهود في العربية والعبرانية وترجمها الى الفرنسويّة كدليل الحائرين لابن ميمون ومعين الحياة لابن جبرول وكتب ايضًا في

فلسفة الهنود والعرب . وقد نقل الى الفرنسويَّة مقامات الحريري . ومن مصنَّفاته ايضاً مقالات عديدة في آداب الفينيقيين وشرح كتاباتهم المكتشفة في سواحل الشام

واشتهر في الجزائر مستشرق فرنسوي من تلامذة دي ساسي ايضاً وهو لويس جاك برنيه (L. J. Bresnier) وُلد في فرنسة سنة ١٨١٤ وتوفي في الجزائر في ٢١ حزيران ١٨٦٩ كان درس على كبار المستشرقين الفرنسويين منذ حداثة سنهِ فخلفهم في نشاطهم وعلمهم . وقد علّم اللغة العربية في حاضرة الجزائر ٣٣ سنة بهمة عظيمة اكسبتهُ شكر تلامذتهِ . ومن ثمار اجتهادهِ عدَّة مطبوعات عربية مدرسية نشرها في فرنسة والجزائر مهَّدت الطريق لكثيرين لدرس العربية الفصيحة واللغة الشائعة في بلاد الجزائر فمن تآليفهِ شرح اصول العربية من صرف ونحو وعروض ولهُ ابحاث في اللغة العاميَّة ومجاميع عربيَّة مختلفة مع ترجمتها الى الافرنسية واعتنى ايضاً بالخط العربي وتعليمهِ . ومن آثارهِ ترجمتهُ للاجرومية مع تعليقات عليها

وفي زمن المسيو برنيه خدم الآداب العربية معلّم آخر وهو المعلّم كُمباريل (E. Combarel) نشر ايضاً عدَّة مطبوعات مدرسية لتعليم العربية في الجزائر بين السنتين ١٨٤٥ و١٨٦٥ ولم نعرف سنة وفاتهِ

وكذلك عُرف بين المستشرقين العلامة بيبرستين كازمرسكي (B. Kazimirski) الذي ولد في بولونيا واستوطن فرنسة ونشر فيها مطبوعات شرقية مفيدة اخصُّها معجمهُ للغتين العربية والفرنسويَّة الذي جُدّد طبعهُ في مصر بعد طبعتهِ الباريزيَّة في مجلَّدين ضخمين . وقد نقل المصحف الى الفرنسويَّة وترجمتهُ معروفة بدقَّتها وسلاستها . مات نحو السنة ١٨٧٠

ومن لم نهتدِ الى سنة وفاتهِ من المستشرقين الفرنسويين واشتهر بآثره العربية المسيو پارُون (A. Perron) نشر تآليف جمَّة ونقلها الى الفرنسويَّة ففي سنة ١٨٣٢ ألَّف كتاباً في اصول اللغة العربيَّة وطبعهُ على الحجر ثمَّ نشر مقالات مفيدة في بعض مشاهير العرب كطرفة والمتلمّس وعنترة ونقل طرفاً من اشعارهم الى لغتهِ ونقل ايضاً كتاب سيف التيجان ورحلة محمَّد التونسي الى الدرفور وكتاب الطبّ النبويّ وكتاب كامل الصناعتين المعروف بالناصري لابي بكر ابن بدر في مجلَّدين وكتاب ميزان الخضريَّة للشعرانيّ في الفقه والمختصر في الفقه لخليل بن اسحاق المالكيّ في سبعة

مجلّدات انتهى من طبعهِ سنة ١٨٥٤ بعد ست سنوات وعلّق عليهِ تعليقات واسعة

ونضيف الى هؤلاء المشاهير من الفرنسويين الاستاذ كليمان موله (J. J. Clément - Mullet) الذي ادّى للمستشرقين خدماً مشكورة بابحاثهِ عن الزراعة عند العرب ومن آثاره الباقية ترجمتهُ الفرنسويَّة لكتاب الفلاحة للشيخ ابي زكريا يحيى الاشبيلي المعروف بابن العوّام . وكان الاصل العربي قد طُبع في مجريط سنة ١٨٠٢ فنقلهُ المسيو موله في مجلّدين وعلّق عليهِ التعليقات الخطيرة . ولهُ ايضاً في المجلّة الاسيويَّة الفرنسويَّة مقالات متَّسعة في المواليد الطبيعيَّة عند العرب واصطلاحاتهم . توفي المسيو موله سنة ١٨٧٠

(الالمانيُّون) تقدَّمت الدروس العربيَّة في المانية في هذه المدَّة بهمَّة بعض الافاضل الذين اصبحوا اسوةً لاهل بلادهم

ويستحقُّ السبق على جميع مواطنيهِ جرج وليلم فريتاغ ولد سنة ١٧٨٨ وتوفي في تشرين الثاني من السنة ١٨٦١ وكان مثالًا للعزم والثبات فكلف بالآداب العربيَّة ودرس اللغات الشرقية في باريس على فخر زمانهِ دي ساسي فاتقنها وعُهد اليهِ تعليمها في كلية بونة سنة ١٨١٩ فلم يزل مذ ذاك الوقت الى سنة وفاتهِ يفرغ كنانة مجهودهِ في نشر المآثر العربيَّة منها قاموسهُ العربي اللاتيني في اربعة مجلَّدات ضخمة اتمهُ بسبع سنوات وكان يواصل الدرس كل يوم احدى عشرة ساعة لا يكاد يأخذ فيها راحة ثمَّ اختصر ذلك المعجم . وقد نشر لاوَّل مرَّة كتاب حماسة ابي تمَّام مع شروح التبريزي ونقلها كلها الى اللاتينية . ونشر كتاب عبد اللطيف البغدادي في وصف مصر وقسماً من تاريخ حلب لكمال الدين وفاكهة الخلفاء لابن عربشاه . وقد نقل كل هذه الآثار الى اللاتينية وحشَّاها بالحواشي المفيدة . ومن مآثره الجليلة امثال الميداني في اربعة مجلَّدات نشرها وترجمها واضاف اليها الفهارس مع الملحقات العجيبة في كلّ ما كتبهُ العرب عن الامثال . ولهُ كتاب واسع في فنّ العروض بالالمانيَّة ومنتخبات شتى بالنثر والنظم وقد بقي اسمهُ الى يومنا هذا بين مواطنيهِ كمثال حيّ للحزم والنشاط

ومن افاضل الالمان الذين خلَّدوا لهم ذكراً طيّباً في هذا الزمان جان غدفريد كوسغارتن (J. G. Kosegarten) ولد في بروسيا سنة ١٧٩٢ ودرس العلوم في مدرسة غريسفالد الشهيرة ثمَّ تعشَّق اللغة العربية فارسلهُ ابوهُ ليروي غليله منها بالدرس

على الاستاذ دي ساسي محور العلوم الشرقية في زمانهِ فتلقّن اللغة العربيــة ثمّ درس التركية والفارسية والارمنية واستنسخ قسماً من مخطوطات باريس ولم يلبث ان نشر في بلده منها طرفاً استوقفت انظار اهل وطنه فدعاه اصحاب الامر الى تدريس اللغــات الشرقية في غريسڤالد وبقي في منصبهِ الى وفاتهِ منقطعاً الى نشر التآليف المهمّة اخصُّها غراماطيق اللغة العربية في اللاتينية ثمّ قسمٌ من شعر الهذيليين طبعهُ في لندن وكذلك نشر مجلّداً من كتاب الاغاني لابي الفرج ونقلهُ الى اللاتينية وزيَّنهُ بالمقدّمات والشروح ونشر ايضاً مجلّدين من تاريخ الطبري مع ترجمتهما وطبع معلّقة عمرو بن كلثوم وذيَّلها بالملحوظات المفيدة ولهُ غير ذلك من الآثار العربية والسنسكريتية والهيروغليفية

وليس دون السابقَيْن همّةً ونشاطاً واتّساعاً في التأليف وطنيُّهما غستاف فلوغل (G. Flügel) ولد سنة ١٨٠٢ في بلاد سكسونيا ودرس في ليبسيك على مشاهير علمائها واخذ من بعضهم مبادئ اللغات الشرقيّــة ثمّ سافر الى ڤينّا وبقي سنتين ينعم النظر في مخطوطات مكتبتهـا الشهيرة ثمّ تجوّل في عواصم اوربّة الى ان احتــلّ باريس سنة ١٨٢٩ وسمع معلّميها ودرس مخطوطاتها الشرقية ثمّ عاد الى بلادهِ فتولّى التدريس في معاهدها العامية مدّة وصار لهُ نفوذ كبير عند امراء وطنهِ الذين عهدوا اليهِ بتآليف عديدة استوفى شروطها وهي تبلغ نحو خمسين مجلّداً منها كتاب كشف الظنون للحاج خلفا في سبعة مجلّدات ضخمة مع ترجمتها الى اللاتينيّة وفهارسهــا الواسعة وملحقاتها الخطيرة ومنها وصف مخطوطات ڤينّا العربية في ثلاثة مجلّدات ونشر عدّة كتب قديمة مع ترجمتها مثل كتاب مؤنس الوحيد للثعالبي وتعريفات الجرجاني ونجوم الفرقان وهو بديع في بابهِ ولهُ تآليف أُخرى في فلاسفة العرب ونُحاتهم ونَقَلتهم ونشر كتاب الفهرست لابن النديم وهو من انفس ما كتبهُ القدماء . وصنّف تاريخاً موسّعاً للعرب في ثلاثة مجلّدات فكل هذه المصنّفات ممّا يدهش العقل لسعة علم كاتبها الذي يُعــد من اكبر المستشرقين واغزرهم فضلًا . كانت وفاتهُ سنة ١٨٧٠

وممن برّزوا في هذا الزمان في درس كتب العرب الرياضية والجبريّة الالماني فرانتس وابك (Fr. Woepcke) ولد في بلدة قريبــة من ليبسيك سنة ١٨٢٦ ودرس في ويتمبرج ثمّ رحل الى برلين وتفرّغ لدرس الرياضيات وفي سنة ١٨٤٨ التقى بالمستشرق الشهير فريتاغ في بونة فعلّمهُ العربية وفتح لهُ باباً لدرس آثار العرب في الحساب والمقابلة

والجبر والهندسة والهيئة فخصّص مذ ذاك الحين نفسهُ لاحياء دفائنها فنشر رسالة ابي الفتح عمر ابن ابراهيم الخيّامي في الجبر والمقابلة وكتاب الفخري فيهما لابي حسن الكرخي وتفسير مقالة اوقليدوس العاشرة في الأعظام المنطّقة والصمّ لابي عثمان الدمشقي وقد كتب نيفًا وخمسين مقالة في كلّ الفنون الرياضية عند العرب نشرها في المجلّة الاسيويّة الفرنسويّة وفي المجلّات العلمية في برلين وروميّة وباريس و بطرسبرج وكان اذا نشر اثرًا ما قديمًا نقلهُ الى اللغات الاوربية وعلّق عليهِ التعليقات الخطيرة حتى اصبح اماماً في هذه الفنون يُشار اليهِ بكل بنان. وكانت ادّت بهِ دروسهُ الى البحث في العلوم الرياضية عند الهنود وقدماء اليونان وارباب القرون الوسطى فقابل بينها وبين آثار العرب وقد فاجأهُ الموت في ٢٥ اذار من السنة ١٨٦٤ وهو في منتصف العمر

وقد اشتهر غير هؤلاء ايضاً بين مستشرقي الالمان وان لم يبلغوا شأوهم منهم جرج هنري برنستين (G. H. Bernstein) صنّف كتاباً في نحو العربية ونشر بعض الآثار القديمة منها قصيدة لصفي الدين الحلّي مع ترجمتها وشرحها ومنها كتاب في مبادئ واصول الاديان المتفرّقة في الشرق . وكانت شهرتهُ في معرفة السريانية اكثر منها في العربية وقد علّم تلك اللغة في برسلو ولهُ فيها عدّة مطبوعات . توفي في برنستين سنة ١٨٦٠ وعمرهُ ٧٣ سنة

ومنهم جان اوغست فولرس (J. A. Vullers) احد تلامذة دي ساسي وكاترمار وفريتاغ ولد في المانية سنة ١٨٠٣ وكانت وفاتهُ نحو السنة ١٨٧٠ علّم اللغات الشرقية في كلية غِيسن. وقد برّز فولرس خصوصاً في اللغة الفارسية فنشر معجماً فارسياً لاتينيًا يُعدّ من اتقن المعاجم وابرز عدّة آثار لمؤرخي العجم وشعرائهم . وكان عالمًا باللغة العربية نشر معلّقتي الحارث بن الحلّزة وطرفة مع شروح الزوزنيّ عليهما ونقلهما الى اللاتينية وصنّف ايضاً كتابًا في اصول لغة العرب

ومنهم ايضاً فرنس اوغست ارنلد (F.A. Arnold) اشتهر بين اساتذة مدرسة هال في المانية ولهُ مجموعة حسنة من تآليف العرب لطلبة المدارس الشرقية في جلدين طُبعت سنة ١٨٥٣ ونقلها اليونان في القدس الى لغتهم فجدّدوا طبعها بهمّة استيفان اثاناسيادس سنة ١٨٨٥ وكان سبق قبل ذلك ونشر سنة ١٨٣٦ معلّقة امرئ القيس

ونقلها الى اللاتينية وذيَّلها بالشروح . ولم نقف على سنة وفاته

ومنهم ايضاً الدكتور جان غدفريد وتسشتين (J. G. Wetzstein) أقام مدَّة في دمشق بصفة قنصل دولتهِ وعُني بدرس اللغات الشرقيَّة وجمع عدَّة مخطوطات وصفها وصفاً حسناً وارسلها الى برلين وقد كتب تفاصيل رحلتهِ الى جهات حوران و بادية الشام ومن مطبوعاتهِ كتاب مقدَّمة الادب لجار الله الزمخشري طبعهُ في ليبسيك على الحجر سنة ١٨٥٠ ولم نقف على سنة وفاته

ومنهم ايضاً هنري جوزف ڤتزر (H. J. Wetzer) ولد سنة ١٨٠١ ودرس اللغات الشرقيَّة على علماء زمانهِ في المانية وفرنسة ولا سيما دي ساسي وكاترمار ثم درّس اللغات الشرقيَّة في كلية فريبورج الكاثوليكية فاصاب لهُ فيها ذكرًا طيباً وقصدتهُ الطلبة من انحاء البلاد وهو اوَّل من نشر مقالة المقريزي في نصارى الاقباط وترجمها الى اللاتينيَّة ولهُ آثار أُخرى في العلوم الكتابيَّة . توفي سنة ١٨٥٣

ومنهم فيليب ڤولف (Ph. Wolff) عُني بدرس آداب العرب ونشر البعض منها . ولهُ كتاب دليل السيَّاح لمصر والشام وفلسطين ضمنهُ اصول العربيَّة العاميَّة . وقد نقل الى الالمانيَّة كتاب كليلة ودمنة وطبع المعلّقات ونقلها ايضاً الى الالمانيَّة و بيَّن خفايا معانيها . ونشر شيئاً من ديوان ابي الفرج الببغاء

ومنهم اخيرًا تيودور هار بوكر (Th. Haarbüeker) من علماء مدينة هال نقل الى الالمانيَّة كتاب ابي الفتح الشهرستاني الذي نشرهُ وليم كورتون في لندن وذيَّلهُ بالتذييلات الحسنة . ولهُ مقالة في كتاب مجموع العلوم لمحمَّد بن ابراهيم السخاوي طبعهُ سنة ١٨٥٩ . ونشر في العربيَّة تفاسير على اسفار يشوع بن نون واسفار الملوك الاربعة والانبياء من تأليف احد علماء اليهود الرَّبي تنحوم بن يوسف الاورشليمي ونقلها الى اللاتينية

(النمسويون) لم يبلغ النمسويون في درس العلوم الشرقيَّة مبلغ الالمان في اواسط القرن التاسع عشر . وانما اشتهر منهم رجل مقدام كانت لهُ قريحة عجيبة في تعلُّم اللغات والكتابة في كل فنون الشرقيين اعني بهِ البارون جوزف دي هامّر پورغشتال (J. d. Hammer-Purgstall) ولد في غراتس سنة ١٧٧٤ ودرس في كلية فينَّا لغات الشرق حتى امكنهُ قبل العشرين من سنهِ ان يتكلّم بالعربيَّة والفارسيَّة والتركيَّة

ثمّ ارسلتهُ الحكومة الى الاستانة بصفة ترجمان ووكلت اليهِ نظارة قنصليّاتها فتجوّل في الشام ومصر ودرس احوال البلادِ ثم لم يزل يتقلّب في كلّ المناصب الشريفة حتى دخل في شورى الدولة . فانقطع حينئذٍ الى التأليف وكان يحسن الكتابة في عشر لغات اجنبيّة فألّف عدداً لا يُحصى من الكتب والمقالات في كل المواضيع الكتابيّة وتغلّب عليهِ التأليف في تاريخ الشرق وآدابهِ نسرد هنا اسماء بعضها : تاريخ الدول العثمانيّة في ١٨ مجلداً . تاريخ الآداب العربية في سبعة مجلّدات ضخمة من عهد الجاهليّة الى آخر الدولة العباسية ضمّنهُ عشرة آلاف ترجمة من كتبة العرب وشعرائهم وكبار علمائهم وقد نقل الى الالمانيَّة كتاب « أيها الولد » للغزالي وقلائد الذهب للزمخشري وتائية ابن الفارض ومقالات في موسيقى العرب ونشر قصصاً لم تعرف من كتاب الف ليلة وليلة وديوان خلف الاحمر ونظم بالشعر الالماني كلّ ديوان المتنبي . وكتب ايضاً تاريخ فارس ودولها وتاريخ الآداب التركيَّة . ونقل عدّة مصنّفات فارسيَّة الى لغتهِ وادار المجلّات الشرقيّة فاصبح في بلاده محوراً للاداب الشرقيَّة الى سنة وفاتهِ سنة ١٨٥٦ . وكان البارون هامر شديد التمسُّك بالدين وكان يقيم صلاتهُ بالعربيَّة وألّف كتاباً في ذلك . ومجمل القول انهُ يُعدُّ مع بعض مشاهير عصرهِ كمحيي الآداب الشرقيَّة بين الاوربيين

(الهولنديون) سبق لنا وصف همّتهم في درس اللغات الشرقيَّة عموماً والعربيَّة خصوصاً . ودونك اسماء بعض الذين ازهروا في الطور الذي نحن في صددهِ

اشهرهم ثاودور جوينبول (T. G. J. Juynboll) ولد سنة ١٨٠٢ ودخل في سلك خدمة الدين في بلادهِ وكان متضلعاً باللغة العربيَّة متقناً لتاريخ دول الشرق وآدابهم . فعلّم اللغة العربيَّة في مدارس مختلفة حتى صار من اساتذة كلية ليدن الى سنة وفاتهِ سنة ١٨٦١ . ومن آثارهِ انهُ نشر قصائد المتنبي وشعراء زمانهِ في مدح سيف الدولة واضاف اليهِ ترجمةً لاتينية ولواحق مختلفة . ونشر ايضاً تاريخاً مخطوطاً للسامرة ونقلهُ الى اللاتينية مع ملحوظات عديدة في اخبار السَّمَرة . وكذلك نشر كتاب مراصد الأطلاع الذي هو مختصر معجم البلدان لياقوت الحمويّ . وكتاب النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة مع مساعدة احد المستشرقين الهولنديين المدعو بنيامين ماتش (B. J. Matthes) وقد اجتمع ببعض ادباء وطنهِ فنشروا مجموعاً

دعوه بالشرقيَّات (Orientalia) ومن مآثرهِ ايضاً مقالة في الترجمة العربية السامريَّة المحفوظة في مخطوطات باريس . وكان لجوينبول ابن تقفَّى خطوات والدهِ فاشتهر ايضاً بعلومهِ الشرقية اسمهُ ابراهيم وليلم (A. W. Juynboll) عاش بعدهُ نحو عشرين سنة ونشر كتاب التنبيه في الفقه الشافعي لابي اسحاق ابراهيم بن علي الشيرازي ونقلهُ الى اللاتينية وقدَّم عليهِ المقدَّمات الحسنة وكذلك عُني سنة ١٨٦١ بطبع كتاب البلدان لاحمد بن ابي يعقوب بن واضح المعروف باليعقوبي

ومن معاصري جوينبول الاستاذ تاكو رورْدا (T. Roorda) احد افاضل الهولنديين الذين عُرفوا بالهمَّة والثبات. باشر سنة ١٨٢٥ منشوراتهِ الشرقية بدرس اخبار ابي العبَّاس احمد ابن طولون والدولة الطولونية ثمَّ ألَّف كتاباً في قواعد العربيَّة وشرحهُ باللاتينية والحقهُ بمنتخبات ومعجم. وقد ساعد جوينبول في نشر مقالاتهِ الشرقية المارّ ذكرها. توفي رورْدا نحو السنة ١٨٦٥

ومنهم ايضاً هندريك ڤايرس (H. F. Weijers) لـهُ كتابات حسنة في شرقيات جوينبول المذكورة آنفًا ثمَّ اتَّسع في وصف كتاب وفيات الاعيان لابن خلكان ونشر مع احد مواطنيهِ الدكتور مورسنغ (A. Meursinge) كتاب درَّة الاسلاك في دولة الاتراك لابي الحسن بن عمرو بن حبيب واشتغل بوصف مخطوطات مكتبة ليدن الغنيَّة بكنوزها الادبية. ولا نعرف سنة وفاة ڤايرس كما اننا لم نقف على اخبار مورسنغ الذي كان نشر قبل ذلك كتاب طبقات المفسّرين للسيوطي

(الانكليز) اشتهر قليل منهم في هذا الطور بالاداب العربيَّة. اخصهم وليم كورتون (W. Cureton) ولد سنة ١٨٠٨ وتوفي في لندن سنة ١٨٦٤ كان من خدَمة الدين البروتستاني وتخرَّج في كليَّة اوكسفرد وكان جلُّ اهتمامهِ باللغة السريانيَّة وآدابها . وقد خدم الآداب العربيَّة ببعض المصنَّفات الدينيَّة منها ما نشرهُ سنة ١٨٤٣ من تفاسير تنحوم بن يوسف الاورشليمي على مراثي ارميا النبي وكذلك نشر مقالة في الكهنوت من كتاب مصباح المرشد ليحيي بن حزير (ويروى جرير) التكريتي. ومن آثاره الباقية التي أتقن طبعها كتاب الملل والنحل للشهرستاني نجز طبعهُ في لندن سنة ١٨٤٢ . وكان طبع قبل ذلك عهدة عقيدة اهل السنَّة لحافظ الدين عبدالله بن احمد النسفيّ وهذان الكتابان نُشرا في جملة منشورات أُخرى تولَّت طبعها في بريطانيا

شركة طبع التآليف الشرقية Society for the Publication Oriental) Textes) نفعت الدروس الشرقية نفعاً جزيلاً · ومما كانت نشرتهُ رحلة البطريرك الانطاكي مكاريوس التي سبق للمشرق الكلام عنها (٥ : ١٠٠٩) وبهمَّة كورتون طُبع ايضاً القسم الاوَّل من وصف مخطوطات لندن العربية الذي اتمهُ بعدهُ الطيب الذكر ريو (C. Rieu)

وممن احرزوا لهم بعض الشهرة في الآداب العربيَّة بين الانكليز وليم ناسو ليس (W. Nassau Lees) كان هذا مقدَّماً على جمعية بنغال الاسيويَّة وورث عن خلفهِ ماثيو لومسدن (M. Lumsden) حبهُ للآداب العربية فكان لومسدن افرغ المجهود في تجهيز مطبعة كلكوتا ونشر فيها مطبوعات مفيدة كمقامات الحريري سنة ١٨٠٩ ونفحة اليمن لاحمد الشرواني سنة ١٨١١ وشرح المعلَّقات ومختصر المعاني للقزويني وقاموس المحيط للفيروزابادي وكتب أُخرى اوسعت شهرة تلك المطبعة الهنديَّة · فلمَّا قام بعدهُ ليس زاد على خلفهِ نشاطاً واهتمَّ بنشر تآليف اوسع واكثر فائدة فطبع تاريخ الخلفاء لجلال الدين السيوطي ونوادر القليوبي والكشاف للزمخشري وفتوح الشام للواقدي وفتوح الشام للبصري وكشَّاف اصطلاحات الفنون لمحمَّد علي الفاروقي التهانويّ ونخبة الفكر ونزهة النظر لابن حجر العسقلاني وكان ليس يستعين في تلك المطبوعات ببعض علماء الهند كالمولوي كبير الدين والمولوي عبد الحقّ غلام قادر وكان ايضاً يساعدهُ في نشر تلك المطبوعات المستشرق سپرنغر (A. Sprenger) الوارد ذكره بعد هذا

وقد نشر ايضاً في هذا الزمان الانكليزي هاريس جونس (J. Harris Jones) ذكر فتح الاندلس لابن عبد الحكم القرشيّ المصريّ فطبعهُ في غوتا سنة ١٨٥٨ ونقلهُ الى الانكليزيَّة

(الروسيُّون وغيرهم) كانت حركة الدروس الشرقية خامدةً في روسيَّا في اواسط القرن التاسع عشر ثمَّ اخذت الاكادمية الملكية تبعث الهمم وتنشّط العزائم فنشأت بذلك نهضة محمودة وعُقدت بعض الجمعيَّات العلمية لترويج تلك المقاصد وهذه اسماء التآليف العربية التي نُشرت في روسيَّا في الطور الذي يشغلنا

نشر منهم الاستاذ غوتولد (J. M. E. Gottwaldt) معجماً للقرآن وللمعلَّقات

في قازان سنة ١٨٦٣ ونشر في بطرسبرج تاريخ سني ملوك الارض والانبياء تأليف حمزة الاصفهاني ونقلهُ الى اللاتينية — وفي بطرسبرج نشر الاستاذ كولسون (D. A. Chwolson) سنة ١٨٦٩ كتاب الاعلاق النفيسة لابن دسته (والصواب رسته) وترجمهُ الى الروسية ولهُ ايضاً بحث خطير في آثار الاداب البابلية في كتب العرب سنة ١٨٥٩ في مجلّة بطرسبرج العلمية— واهتمّ الاستاذ اسكندر كريستيانوفتش (Al.Christia-nowitsch) بالموسيقى العربية فوضع فيها مقالة وزيّنها برسم الآلات الشائعة عند العرب وطبعها في كولونية سنة ١٨٦٣—وفي هذا الزمان ازهر احد العجم المتنصّرين اسكندر قاسم بك الذي علّم مدّة اللغات الشرقيــة في قازان وبطرسبرج وجعلهُ القيصر من اعضاء الشورى· كان يعرف اللغات التركيّة والفارسيّة والعربيّة وقد نشر في كلها تآليف عديدة ولهُ في العربية مختصر الوقفيّات ورسائل دينية ومقالات لغويّة وفصول تاريخيــة في اخبار الدول الاسلامية

ونشر قنصل الروس في تبريز نيقولا خانيكوف (N. Khanikoff) كتاب ميزان الحكمة للخازنيّ وطبعهُ في المجلّة الشرقيّة الاميركانية سنة ١٨٥٩ وهو سفر جليل في المواليد والفلزّات والجواهر وترجمهُ الى الانكليزيّة

وكذلك (الاسبانيّون) في هذه البرهة من الدهر شعروا بحاجتهم الى درس اللغات الشرقية ولاسيّما العربيــة لما فيها من الآثار المفيدة لمواطنهم ونال لهم بعض الشهرة وطنيّهم گاينگوس (Pasc. de Gayungos) الذي نشر في لنــدن ومجريط بعض التآليف العربية منها ترجمة نفح الطيب للمقري في مجلّدين كبيرين ومنهــا وصف قصر الحمراء مع بيان آثارهِ وتفسير كتاباتهِ الحجريّة وكذلك نشر ترجمة كتاب كليلة ودمنــة وتاريخ احمد بن محمد الرازي

اما (الايطاليّون) فانّ درس اللغات الشرقية كان عندهم منحصرًا في بعض المبادي ولم ينشروا في تلك المدّة من الآثار العربية شيئاً يُذكر اللهمّ الّا الكردينال العظيم انجلو ماي (A. Maï) الذي دخل في الرهبانيّة اليسوعية في العشر الاوّل من القرن التاسع عشر وتوفق الى الاكتشافات العجيبة التي خلّدت لهُ ذكرًا في العــالم كلّهِ في اعادة الكتابة على الرقوق التي حُكّت نصوصها السابقة (Palimpsestes) · واقامهُ الحبر الاعظم الى رتبة الكرادلة ووكل اليهِ نظارة المكتبة الواتيكانية · وقد نشر في

السريانية والعربية ايضاً بعض ما وجدهُ من الآثار النصرانية واثبتهـا في مجموع مطبوعاتهِ . توفي الكردينـال ماي سنة ١٨٥٤

وممن نلحقهم بهؤلاء المستشرقين بعض المرسلين الذين خدموا بمدارسهم ومنشوراتهم الآداب العربية . فمن اليسوعيين الاب اسكندر بوركنود (A. Bourquenoud) الذي سبق رينان الى درس آثار الشام ووصفها وصفاً مدققاً مهد الطريق لابحاث رينان الاثرَّية . توفي الاب بوركنود في تشرين من السنة ١٨٦٨ في غزير ومنهم الاب فنيك والاب بولس ريكادونّا ألّفا في العربية ارشادات وكتباً دينية تقوَّية

اما المرسلون الاميركان فاشتهر بينهم عالي سميث الذي تجوَّل في انحاء الشام ونظَّم احوال الجمعية الاميركية ووسَّع اعمال مطبعتهم وباشر مع الشيخ ناصيف اليازجي ترجمة الكتاب المقـدَّس وقد انجزهُ من بعده الدكتور ڤان ديك . توفي عالي سميث سنة ١٨٥٧ وكان منهم ايضاً هنري دي فورست (H. de Forest) وادورد ساالسبوري (Ed. Solisbury) ولكليهما مآثر حسنة من تاريخ وجغرافيـة وعادات ووصف اديان نشراها في المجلّة الشرقية الاميركانيـة (Journal of the American Oriental Society) وكانت هذه المجلة صدرت سنة ١٨٥٠ فاخذت تباري بمقالاتها المجلّات التي تقدَّمتها

وبهذا النظر الاجمالي نختم تاريخ الآداب العربية في طورهـا الثالث من القرن التاسع عشر وبهِ ايضاً ختام القسم الاوَّل من تأليفنا هذا الذي سنجمعهُ ان شاء الله في كتاب مستقلّ ونلحقهُ بفهرس الأُدباء الذين اوردنا ذكرهم في مطاوي كلامنا

من بوردو الى غواياكيل

لجناب الاديب اندراوس كوبا المعلوليّ

رغب اليَّ بعض الاصحاب ان اصف لهم رحلتنـا من فرنسا الى بلاد الاكوادور (خط الاستواء) فلبيَّتُ دعوتهم وارسلت الى مجلّة المشرق تفاصيل سفرنا ولستُ

اقصد بها وصفاً علمياً وانّما اكتفي بذكر ما حصل لنا منذ خروجنا من مرفأ پويّاك حتّى بلوغنا الى غواياكيل · و پويّاك تبعد عن مدينة بوردو نحو مائة كيلومتر ومنها ركبنا السفينة الى اميركة

وكانت باخرتنا من بواخر شركة الترانستلانتيك الشهيرة تُدعى لافرانس فاقلعت بنا في ٢٧ من شهر تشرين الثاني ثم سارت الى سانتندر في اسبانية فنقلت من مرفإها ٧٠٠ راكب الى كولون ليشتغلوا في حفر برزخ پاناما وفي مساء ٢٨ ودّعنا سواحل اوربّة متوجهين الى جزر الانتيل

وكان اليومان الاولان من سفرنا براحة وسلامة الريحُ عليلة والسماء صافي الاديم لكن البحر لا تؤمن مسالمتهُ ولا يُوثق بصفائهِ ففي اليوم الثالث قامت امواجهُ اطوادًا وهبت الارواح وقرس البرد فاصبحت السفينة بمثابة كُرة تتلاعب بها المياه ولم تزل الانواء تحاربنا مدّة ستة أيام كاملة حتى تعطّلت بسببها بعض آلات المركب فهلعت بذلك القلوب واضطرّت السفينة الى الوقوف في ظهر المحيط ٢٢ ساعة لاصلاحها ثم واصلت السير نحو يومين وخفّ البرد وسكنت العاصفة وهدأ روع الركاب وحمدنا الخالق الرحمان الذي نجانا منها وزالت تلك الافكار التي كانت تخالج قلوب الركاب وتحملهم على الندم لسفرهم بهذه الاونة · ولما توسطنا بمنطقة الحرارة وخط الاستواء اخذنا نتاسف على فراقنا منطقة الاعتدال ونتمنّى نسيماً باردًا الى ان وصلنا الى جزيرة غوادلوب · فلما قربت منها الباخرة وشاهدناها انذهلنا متعجبين من حسنها الآخذ بالأبصار فلاحت لنا كانها كلها حديقة غناء

وفي اليوم التاسع من ك٢ دخلنا الى مرفا پنتاپيتر مدينتها التجاريّة وهذه المدينة قائمة في منبسط من الارض يكتنفها من جهة الاشجار الباسقة والخضر المبهجة الرائقة ومن جهة اخرى المرفا الحسن الوسيع الامين فان العواصف مهما اشتدت لا تؤثر فيه شيئاً فترى عند مدخلهِ على اليمين واليسار جزرًا صغيرة قامت كمعقل منيع يرد هجمات العواصف عنهُ وعن المدينة

وهذه المدينة هي المركز التجاري للجزيرة يقصدها كل سكان الجزر المجاورة وترسو في مرفإها بواخر الدول الاجنبية الحاملة اليها البضائع وفيها من السكان نحو ٢٠,٠٠٠

وفي العاشر بعد الظهر قام المركب منها الى باس تير (la Basse-Terre) وهي المدينة الثانيـــة بالكبر والاولى بالرتبة وفيها يقيم الحاكم الاكبر وهيئة الحكومة الاولية وهذه المدينة آخذة بالتقدم والعمران حتى انها اصبحت المركز الوحيد لهــذه الجزيرة فكانت من قبل المدينة العسكريّة واما الان فصارت التجاريّة والعسكريّة معاً . وفي سنة ١٨٧٢ وما بعدها فاز الزنوج بالانتخابات والتصويت وتقدّموا تقدماً يُذكر فخاف العنصر الابيض من وخيم العاقبــة فسعوا في اذلال الزنوج وبذلوا النفس والنفيس في معاكستهم ففازوا بامنيتهم ونالوا منهم وحطوا من سلطــة الزنوج لا بل انهم لاشوها تماماً

وفي الثاني عشر قامت بنا الباخرة الى جزيرة ترينيـــداد فمررنا على سلسلة الجزر الاتية وهي: سانتا لوسيا وسان مرتين وغرينادا ويليهـــا جزر اخرى صغيرة تنتهي الى ترينيداد كانها جزيرة واحدة قد فرقتها تقلبات الزمان وطوارق الحدثان ولا يوجد بين المرتينيك وسانتا لوسيا الّا نحو ٢٠ او ٢٥ ميلًا وهكذا بين سانتا لوسيا وسان مرتين الى ترينداد وهذه الجزر كلّها كانها بستان واحد كما سبق لنا القول. ثم وصلنـــا الى ترينيداد عند ظهر الثالث عشر ورست سفينتنا عند احدى مدنها الصغار وكنّا نراها ممتدة عنــد سفح الجبل ثم تتصاعد شيئاً فشيئاً الى منعطفهِ

وجبلها هذا جبل بركاني كبريتي يقذف الدخان من فوهتهِ مدة من الزمان واهل هذه المدينة لا يخافون غوائلهُ لان فوهتهُ مفتوحة ومن يراها كانهُ يرى روضاً بديعاً لوفرة اشجارهِ الباسقة الملتفّة. وعند ما يقف الواقف امام المدينة تبتهج عيناه بذلك المشهد الحسن ويود لو اتيح لهُ ان يظل امامهُ لمشاهدة جمالهِ الفتان . وعدد سكان هذه المدينة نحو ١,٠٠٠ نفس

ونحو الساعة التاسعة مساء سارت بنا الباخرة الى المرتينيك وعند الســاعة السادسة ونصف صباحاً بعد مرورنا على جزيرة دومينيك خاصة الانكليز وجهنا الابصار الى راس ذلك الاقرع الذي اهلك اربعين الفاً من النفوس ببرهة وضربة واحدة وسارت اخباره بالبرق الى سائر امصار المعمورة (١ فكنا نرى عن بعد قليلًا من الغمام حوله يتصاعد من فوقه قليل من الدخان فلما صرنا قبالته حيّيناه وجلين منذهلين من ذلك المشهد الكئيب

١) راجع ما كتبناهُ من المقالات الضافية في وصفهِ ونشرَ في جريدة البشير

فان جهة الجبل المتجهة نحو البحر لا يرى بها عرق اخضر ولا ورقة شجر بل رماد كالح مكمد ثم وجَّهنا ابصارنا الى تلك الحزينة المسكينة فريستهِ التعيسة مدينة سان بيار فاذا هي خربةٌ دمار مكسوة بالرماد كانها لابسة الحداد حزناً على ذلك الجمع العديد الذي بات تحت رمدها

وفي الساعة ٧ من الحادي عشر دخلنا مدينة فور دي فرانس فأُخبرت بها ان بركانها انفتحت لهُ في اعلاه ست وخمسون فوهة لخروج النار والدخان ويخشى ان يخفس برمتهِ

وسكان هذه المدينة نحو ٢٥٠٠٠ نفس واسواق تجارتها رائجة يقصدها اهل البلاد المجاورة كڤنازويلا وكولومبية والجزائر القريبة وفيها مخازن كبيرة حافلة بالبضائع الانكليزيَّة . وجزيرة ترينيداد هي الجزيرة الرابعة بين جزائر انتيلية الكبرى

ثم مخرت السفينة في وجهة بلاد ڤنازويلا الواقعة شمالي اميركة الجنوبية فوصلنا في ١٤ منهُ الى كاروپانو مدينة صغيرة سكانها نحو ٨٠٠٠ وهي قائمة في منبسط من الارض على يمينها وشمالها رأسان داخلان في البحر وهي في وسطهما في لفح جبال تحيط بها . وكاروپانو مدينة تجاريَّة تزدحم في ميناها السفن ومرفأُها في مأمن من الانواء لكن الوابورات الكبيرة ترسو بعيداً عن البرّ لقلة عمق المينا المذكور

وفي اليوم التالي كان موعدنا الغويرا (la Guayra) وهي اعظم مرافئ بلاد ڤنازويلا واوسعها لا يفوقهُ في تلك الجهات الَّا مرفأ فور دي فرانس . وقد بُني على جناح المدينة الايمن جسر على شكل رصيف يدخل في البحر طولهُ ٨٠٠ متر في عرض نحو اربعة امتار وعليهِ تمتدُّ سكَّة حديد لنقل الركاب والبضائع . وفيهِ مرابط للسُّفن مسقَّفة طول كلّ مربط خمسون متراً تقف عندهُ المراكب . وموقع المدينة فوق المرفإ من عن يمينهِ . وعلى اليسار سهل واسع فيهِ غابة من شجر النارجيل اي الجوز الهندي واشجارهُ متكاثفة ملتفٌّ بعضها ببعض . امَّا الجبال التي تطلُّ عليها فمنظرها مهيب تراها منتصبةً فوقها كحائط شاهق . والمدينة في ظلها وهي قائمة على تلّ في اعلاه قلعة منيعة وراءها قلعة ثانية اعلى منها محجوبة وراء اكمة مرتفعة وبيوت المدينة تترقّى في اعطاف الجبل يركب بعضها على عنق البعض وهي من اشد المدن منعةً واوسعها تجارةً . واكثر تجارتها البن تصدر منهُ ٥٠,٠٠٠,٠٠٠ كيلو ثمَّ الكاكاو . امَّا اهلها فلا

يتجاوزون تسعة آلاف نفس ومنها تسير السكة الحديديّة الى كاراكاس عاصمة ڤنازويلا

ثم اقلعت السفينة من لاغويرا فقطعت بلاد ڤنازويلا ووصلت في ١٧ منهُ تخوم كولومبية ونزلنا في مينا ساڤانيلّا الذي وجدناه كمينا الاسكندرونة في استدارتهِ وسعتهِ والجبال تحيط بهِ من كل جهاتهِ . وكان الحرّ شديدًا لمّا بلغنا كولومبية فخيل لنا انّا في لفحات صيف بلادنا ونحن في كانون . وساڤانيلّا مدينة صغيرة اهلها نحو ٣٠٠٠ فقط ولها كما في لاغويرا جسر حديدي يمتدّ من المدينة الى البحر طولهُ ٩٠٠ متر تقطعهُ السكة الحديديّة ذهابًا وايابًا لنقل الركاب والسلع التجاريّة

وتجارة ساڤانيلّا زاهرةٌ ومنها تصدر الى البلاد قشرة الكانكينا التي منها يستخرجون الكينا . وكذلك البنّ والكاوتشوك وبعض المعادن الثمينة . وساڤانيلّا قريبة من مدينة أُخرى ساحليّة دعاها الاسبانيون قرطاجنّة الهند اشتهرت قديمًا بنخاستها وبيع العبيد فيها . وهناك عاش رسولهم القديس بطرس كلاڤر اليسوعيّ الذي نصّر منهم اكثر من ٣٠٠,٠٠٠ وتفانى في خدمتهم نيفًا وار بعين سنة

وفي مساء الثامن عشر القت سفينتنا مرساها في كولون (Colon) منتهى رحلتنا في البحر الاتلنتيكي . وربطت عند احد المرابط الثانية المجهزة في المرفأ فللحال اتى السفينة بعض رجال الحكومة ومعهم طبيب البلديّة فجمعوا الركاب وجعلوا يلقحون كل واحد منهم بطعم الجدري مع انّ طبيب السفينة كان سبقهم الى ذلك فاجرى لنا تلك العمليّة قبل قدومنا الى جزيرة گوادلوب فزدنا بذلك امنًا من فتكات الجدري

وفي غد ذلك اليوم نزلنا الى المدينة التي لها مرفأ طبيعي كمرفإ ساڤانيلّا لكنهُ اكبر منهُ ودائرتهُ نحو ٤٠ او ٥٠ كيلومترًا . امّا المدينة فعلى شاطىء البحر تُشبه كل الشبه مدينة بورت سعيد يغلب عليها الابنية الخشبيّة ومنذ مدّة قريبة قد سعى الاميركيون في تحسينها ففتحوا لها شوارع جميلة وابتنوا لها الابنية الحسنة من الحجر او الطوب وهو الآجر . واكثر حوانيتها في ايدي الصينيين . وحول المدينة مستنقعات تُفسد هواءها والهمّة مبذولة في ازالة فاذا نجز هذا العمل اصبحت المدينة عامرة وتوفّرت في مرفإها السفن . وقد جلبوا اليها بالقنيّ مياهًا طيبة تنفع للصحة

وكان سفرنا من كولون بالسكّة الحديديّة الى پاناما والمسافة بينهما ٧٥ كيلومترًا و پاناما مدينة قائمة على الاوقيانوس الهادي ومرفأها اشبه بخليج لاتساعهِ وقد احرزت

لها شهرة عظيمة منذ اتّجهت اليها الافكار لحفر الترعة التي ستجمع بين الاوقيانوسين الأتلنتيكي والباسيفيكي . وفيها يقيم حاكم البلاد وعدد سكّانها نحو ١٥,٠٠٠ اما اذا حُفرت الترعة فستصبح من الحواضر المهمّة . وهي مدينــة قابلة التحسين لكثرة جبالها المجاورة ووفرة الموادّ اللازمة للبناء . والبواخر التي تأتيها ترسو بمحل يُدعى بوكّا لانهُ عند مصب نهر الكبير ريوغرّنده وهو غربي المدينة على مسافة اربعة كيلومترات منها . والاشغال الآن قائمة فيها على ساق لابتناء رصيف عظيم ترسو عنــدهُ السفن الواردة ومن هناك مبدأ الترعة التي ينتظر فتحها بعد سبع او ثماني سنين

وعُدنا في پاناما وركبنا السفينة لنخوض هذه المرّة البحر المحيط المعروف بالهادي وهو حقيق بان يُدعى بهذا الاسم الشريف وقد كانت سفرتنا هذه من اشهى السفرات على بحر صقيل كالمرآة وبازائنا المشاهد الفتّانة وكان مركبنا يسير الهوينـــا متجهاً الى الجنوب فنبصر من عن شمالنا ذلك الطود الشاهق الذي يُسمّى بالكورديليار الممتدّ على طول سواحل اميريكة الجنوبيّة في غربيها

وفي صباح ٢٧ كانون وصلنا الى خليج غواياكيل الذي فيهِ يصبُّ نهر الاكوادور العظيم المسمّى غواياس وهو في عظمهِ كانهُ النيل المبارك و بقي المركب سائرًا طول يومنا الى نحو الساعة الرابعة مساء فبلغنا مصبّ النهر الذي يشبه كل الشبه مصبّ نهر امازون الكبير عند بارا فسارت السفينة بين الجزر المتعددة القائمة عند مصبّ النهر حتّى اوقفتنا عند ضيعة تُدعى بونا فربطت هناك . وفي صباح الثامن والعشرين جاءنا عمّال الحكومة واجروا الكشف الطبيّ ثمّ رخّصوا لنا بالسير في النهر فصعدنا سائرين فيــهِ نحو اربع ساعات حتى وصلنا عند الظهر الى غواياكيل التي هي فرضة بلاد خطّ الاستواء وغاية رحلتنا الاميريكيّة

تمتدُّ غواياكيل على ضفّة نهرها الغربيّة من عن يمين الداخل اليها وقسم منها قائم في منبسط من الارض والقسم الآخر على سلسلة آكام تبتدئ من النهر ثمّ تتواصل مرتفعة شيئاً فشيئاً حتّى تبلغ الجبال العالية . وغواياكيل اعظم مرافئ الاكوادور واهمّ مراكزها التجاريّة يبلغ سكّانها من خمسين الى ستين الفاً وهم موصوفون بدماثة اخلاقهم ولين طباعهم وتحمّسهم الدينيّ وتقاهم وان كان التمدُّن الجديــد غيّر شيئاً من عاداتهم القديمة

ومعظم ابنية غواياكيل خشبيَّة حتَّى كنائسهم . واذا ارادوا تشييد بناء اقاموا لهُ اعمدة ثم يجعلون بين العمودين القصب الهندي كالواح خشب ويطلونهُ بالكلس من الخارج امَّا الداخل فيصفحُونهُ بصفائح الزنك وهو التوتيا خوفًا من الحريق ويلصقون عليهِ الورق الملوَّن . وغواياكيل مدينة حسنة الهندسة لا ينقصها شيء من اسباب التمدُّن تزينها الشوارع الواسعة والاسواق الحافلة والمخازن العامرة . على انَّهُ تستنقع في بعض جهاتها المياه فيحصل من جرَّاء ذلك حميات وامراض لا سيما الحمَّى الصفراويَّة

وقد ظهر في هذه السنة بعض اصابات بالطاعون الدمَّلي فارتاعت القلوب وهلعت النفوس واخذت الحكومة كل الاحتياطات لمنع تفشّي الداء وتنظيف البلد ألاانَّ العدوى انتشرت رغماً عن كلّ الوسائط المتخذة لحصرها حتى غصَّت بعد قليل المستشفيات بالمصابين وسرى الداء الى القرى المجاورة. وقد جرَّبوا التلقيح بالمصل فقلَّما نجح في من عُولجوا بهِ

وممَّا سرَّنا ان الاهلين اذ شاهدوا الموت بالعيان التجأُوا الى الصلاة وممارسة الاسرار وتجدد في القلوب روح العبادة وطاف الكهنة بالقربان المقدَّس في الشوارع وحرَّضوا الجميع على التوبة عسى توبتهم تفتح لهم باب الفرج . والحق يقال انهُ لم يبقَ لنا امل الَّا فيهِ تعالى ليخلصنا من هذه الآفة ويجعل آخرتنا على سلامة

ومن الاسباب التي تُعزى اليها العدوى أنهم وجدوا في المدينة عددًا من الجرذان الميتة ومن المعلوم انَّ الطاعون يفشو خصوصاً بواسطتها (اطلب مقالة المشرق في الطاعون ودواعيهِ للاب بولوموا اليسوعي ٢ : ٥٣٢)

وتلافياً لشرّها امرت البلديَّة في ١٩ من آذار ان تُلقى النار في سوق عتيقة كانت في وسط المدينة مبنيّة بالخشب فيها اربعة صفوف من الدكاكين و٣٠٠ دكَّان تُباع فيها الحبوب . وكانت تلك السوق عشًّا للجرذان والفار فأُحرقت برمتها فكان حرقها مشهدًا عظيماً ومهرجاناً لاهل البلد

امَّا السوريُّون في غواياكيل فامورهم حسنة وكلُّهم من التجَّار المعتبرين لهم فيها ١٨ مخزنًا عامرًا واعظمها شانًا محل الخواجات فرح اخوان من بيروت

ومن الاجانب المحتلين في غواياكيل الصينيون فانَّ اكثر مخازن المدينة ولا سيَّما

حوانيت المأكولات والمشروبات في ايديهم وتجد الناس يزدحمون في محلّاتهم ويُضرب المثل في هوادة اسعارهم واقتناعهم بالربح القليل

وبلاد الاكوادور تكثر فيها الزلازل وفيها البراكين التي لا تزال تُلقي الحمم وتقذف بالنار والدخان . وربّما سُمع صوت زمجرتها من الامكنة البعيدة وفي ٢٧ كانون الثاني عند الظهر شعرنا بهزّات زلزالية خفيفة وكذلك في ١٠ من شهر شباط تكرّرت تلك الاهتزازات التي احسّ بها ايضاً اهل كويتو وكويتو عاصمة الاكوادور واهلها نحو مئة الف نفس وفيها مركز الحكومة وهناك اشتهر الرئيس غرسيا مورينو الذي رقّى بلادهُ في معارج التقدُّم ومات ضحيَّة تفانيه في خدمة وطنهِ وذَوْدِهِ عن حمى الآداب

هذه خلاصة ما حصل لنا في رحلتنا فان شاء الله يجد فيها القرَّاء ما يفكّهون بهِ البابهم ويحدو بهم الى ان يذكرونا بالخير

مطبوعات شرقية جديدة

C. M. Kaufman. MANUALE DI ARCHEOLOGIA CRISTIANA .... versione dal Tedesco del Sac. Dott. **E. Roccabruna.** 250 illustrations. in-8°, *Rome*, *F. Pustet*, 1908.

اصول الدروس الاثريَّة النصرانية

انَّ وفرة الآثار النصرانيَّة التي اكتشفها العلماء في القرن الاخير فتحت باباً جديداً لتعليم اللاهوت اذ يمكن الآن اللاهوتيين ان يثبتوا العقائد الدينيَّة ليس فقط بالنصوص النقليَّة وآيات الكتاب واقوال الآباء والمجامع والبيّنات العقليَّة لكن بالادلَّة الاثريَّة ايضاً . ولهذا السبب سعى الكاثوليك بوضع التآليف التي تدوّن اصول هذا العلم الجديد وتوضح وجوههُ المتعدّدة وتبين ما للآثار القديمة من الخواصّ والمزايا لتوطيد قواعد الدين . وبين هذه التآليف قد امتاز كتابٌ وضعهُ بالالمانيَّة المعلّم كوفمان لطلبة الكهنوت فشاع في مدارس المانية . وها نحن نقدّم للشرقيين ترجمتهُ الايطاليَّة التي تقرّبهُ الى فهم كثيرين منهم . وهي ترجمة غاية في الضبط وقد أُضيفت اليها الاكتشافات الحديثة . ومن الابحاث التي سوف يتلقاها اهل الشرق بالرغبة والشوق « أصل العاديَّات

النصرانية » مصدرها روماني كما يزعم البعض او هو بالحري شرقي سبق اليهِ اهل مصر وآسيا الصغرى ولا سيما اهل الشام · فالمؤلف يُنعم النظر في هذا البحث و يبين ما لكل فريق من الفضل ·ومما تثني عليهِ في هذه الطبعة حسن تصاويرها وجدول التآليف التي كُتبت في هذه العاديات وان وجدنا خللًا في تعريف المطبوعات الخاصّة ببلاد الشام · وكذلك أحسن المؤلف في توسيع الفهارس وتعليق بعض الملحقات المفيدة كسلسلة الاحبار الرومانيين وانساب الملوك والرموز الكتابيّة وقد لحظنا في الكتاب بعض الاغلاط التي فرطت من الكاتب كقوله مثلًا في الصفحة ٣٦ انَّ الكنت دي ڤوكويه وصف الآثار اللبنانيّة والصواب انَّ وصفهُ مختص بآثار سوريّة ليس بلبنان · وكذلك قد نسب سهوًا للخوري شابو (ص ٥٢٧) مقالةً وضعها البندكتي دون كبرول

ر · م

MANUEL D'ART MUSULMAN. Paris, Alph. Picard. 1907. I. **L'architecture**, par H. SALADIN. 1 vol. 8°, XXIII-596 pp., 420 illustr.=II. **Les arts plastiques et industriels**, précédé d'un précis historique des civilisations musulmanes, par G. MIGEON, I vol. 8° LXXXIII-477 pp., 376 illustr.

الصنائع والفنون الاسلامية

هذا كتاب يهمُّ الشرقيين على وجه خاصّ لانهُ اوَّل تأليف وُضع الى يومنا في الفنون بين الامم الاسلاميَّة فبكل طيب قلب نصفهُ للشرقيين ليقبلوا على مطالعتهِ · والكتاب في قسمين كبيرين ألَّف كلًّا منهما احد العالمين الفرنسويين سالدان (H. Saladin) وميجون (G. Migeon) · ومدار القسم الاوَّل على الهندسة الاسلاميَّة صنَّفهُ المسيو سالدَان بعد ان بعثتهُ دولتهُ غير مرَّة الى الممالك العثمانيَّة فزار مصر والشام وفلسطين و بلاد تونس وصقلية والجزائر فدقَّق النظر في كل الآثار الهندسية التي صبرت حتى اليوم على آفات الدهر ثمَّ درس في كتب الخاصَّة آثار تركستان والعجم والهند ومرَّاكش والاندلس فاستخلص من كلّ ذلك مجموع الاصول الفنيَّة التي وقف عليها واثبتها في كتابهِ على طريقة علميَّة مبينًا ما تفرَّدت بهِ الهندسة الاسلامية في البلاد المختلفة التي ملكها المسلمون · اما القسم الثاني فقد خُصَّ بالاعمال الفنيَّة والآثار الصناعيَّة ألَّفهُ المسيو ميجون احد نظَّار متحف اللوفر في باريس ومدرّس

علم الاصول الاثريّة في القرون الوسطى وقد استعدّ لهذا التأليف منـذ زمن طويل فامعن النظر في العاديّات الاسلاميّة التي يحتويها اللوفر ثمّ تفقّد المتاحف العربيّة في كل مظانّها شرقًا وغربًا لا سيما الاستانة العليّة ومصر . وفي السنة المدرسيّة ١٩٠٤—١٩٠٥ خصّ دروسهُ بتلك الآثر الصناعيّة واملى على الطلبة منها فصولًا استحسنها كل من اطلع عليها فنشطوهُ على توسيعها وطبعها فكتب هذا المجلّد الثـاني الذي نحن بصددهِ . فجاء القسمان متضمّنين لقوانين الفنون الصناعيّة في جهات الشرق الاسلامي فمنها مآثر دينيّة كمساجد ومناور ومحاريب ومنها مآثر مدنيّة كقصور وآنيـة ومصاغات وليست كل هذه الآثار للمسلمين فقط بل لكل الصُنعَـة النصارى والموسويين الذين يعيشون او عاشوا في بلاد المسلمين . والحقُّ يقال ان من يَطَّلع على هـذا التاليف لا يتمالك عن العجب مما يجدهُ في مطاويهِ من سعـة الموادّ والتفنن في الاوصاف ومعرفة الاصول حتى كاد المؤلفان ان يستنطقا الجماد ليفصح لهما عن افكار الاقدمين وبراعتهم . على انهما لا يزعمان بأنهما استنفدا الموادّ لا بل تراهما يصرّحان بان عملهما هذا انّما هو كتمهيد وتوطئة لتاليف اوسع واكمل يتمنّيان ان يقوم بهِ احد بعدهما . ومن خواصّ هذا التاليف في قسميهِ كليهما انّهُ موضوع على اسلوب مدرسي وتنظيم متَّسق يسهّل الوقوف على مشتملاتهِ . فترى في القسم الاوّل مقدّمات عموميّة عن الهندسة العربيّة وما بينها وبين الهندسة السابقة من الشبه والتباين في كلّ بلد من البلاد الاسلامية يليها ابواب واسعة في كل اصناف الابنية كالجوامع والقصور والمدافن وغيرهـا في الاقطار المختلفة مبـاشرةً بمصر ثمّ الشام ثمّ جزيرة العرب ثمّ المغرب ثمّ العراق والجزيرة ثمّ تركية اوربّة ثمّ الهند والصين . وكذلك القسم الثاني يحتوي في اوّلهِ نظرًا عن التمدن الاسلامي اجمالًا وفي اثرهِ ١٤ فصلًا في الفنون المختلفة كالنقش والحفر وشغل الخشب وآنية العاج والجواهر والنقود وادوات النحاس والشبـه والاسلحة والخزفيّات والزجاج الملوّن بالمينا والحجارة الكريمة والانسجة والطنافس . وقد ختم هذه الفصول بفصل مهمّ بيّن فيهِ ما استعارهُ الاوربيون من الفنون الشرقية . فترى من هذا النظر انّ الكتاب فريد في بابه لا غنى عنهُ لمن يبحث عن الآثار الشرقية لاسيما التجار وارباب الصنائع . والمؤلفان كلاهما يتوسّل الى كل من يطلع على كتابها بان ينتقد عليهما ويفيدهما عمّا فاتهما من الوصف ليزيدا الكتاب كمالًا في طبعة ثانية . وهذاما يحملنا نحن ايضًا على

ان نعرض عليهما بعض ما خطر لبالنا عند تصفُّحنا لتآليفهما . واوَّل ذلك انَّ المسيو سالدان مع تعريفهِ للهندسة الاسلامية لم يُفدنا شيئًا عن طرائق البناء الشائعة في الشرق وفي تعريفها افادة لا تُنكر . كذلك قد فاتهُ وصف جامع قديم كان يستحقُّ ذكرًا وهو جامع ابا سلوق الواقع قريبًا من أفسس كما انهُ لم يثبت صورة جامع ادرنه وهو من اعظم الآثار الدينية في تركيا . اما القسم الثاني فاننا وجدنا المسيو ميجون مقصِرًا في تعريف اصل الفنون في بلاد الاسلام كبيان تأثير الفنّ القبطي في الصناعة الاسلامية المصريَّة . ومما فاتهُ ايضًا وصف الآنية الصينية التي تزيّن بلاط السلاطين في ادرنه وغير ذلك من الطرف الصناعية التي تستحق الذكر كالآثار التي جمعها المسيو هردوشيانو وبعض محبي الفنون الشرقية من وجوه اهل دمشق س . ر

ELIE TABET. **Dictionnaire Français - Arabe des Termes Juridiques**, accompagné des principes du droit français et du droit musulman qui s'y rapportent, 2 vol. 8° lithogr. 1903-1904. *Alger*, *Lithogr. Ad. Jourdan*.

قاموس الالفاظ الاصطلاحية الملحقة بالرسوم العدلية

كلٌّ يعرف كم يحتاج اصحاب الدعاوى الى قاموس يشمل الالفاظ المختصة بالدعاوى في البلاد التي يختلط فيها القانون الاهلي والاجنبيّ وحيث انتشرت اللغات العربيَّة والافرنسيَّة كما في الجزائر ومصر والشام فانَّ في تدوين تلك الاصطلاحات حاجةً ماسَّة لئلا يبقى الناس في ريب من معناها الصحيح . وعليهِ تثني الثناء العاطر على همة الاديب الياس افندي ثابت الذي نشر هذا المعجم في الفرنسويَّة والعربيَّة ليرجع اليهِ ارباب الدعاوى في معاملاتهم . ولكن ساءنا انهُ طبعهُ على الحجر مع انَّ الطبع على الحروف افضل لجلائها ونضارتها اما الطبع الحجري فكثيرًا ما يتعب العين ويورث بعض الالتباس في القراءة كما ترى في الصفحة ٦٧٣ من هذا التاليف . وكذلك كان يمكن المؤلف لو طبعهُ بالحروف ان يصغّر حجمهُ ويجمع موادَّهُ في صفحات اقل . فنتمنَّى لهذا الكتاب رواجًا سريعًا ليجدّد صاحبهُ طبعهُ ويُتقن مادّياتهِ ويزيل بعض الاغلاط التي وقعت فيهِ . وعلى رأينا انَّ هذا التأليف سيكون مثالًا لتآليف أُخرى شبيهة بهِ ليس فقط في الامور الشرعيَّة بل في بقيَّة الصنائع والفنون فيجمع اصحاب المهنة الالفاظ الاصطلاحيَّة في كل

فنّ كالطب والرياضيات والطبيعيات فيقف ارباب البحث على الاصطلاحات الجارية في كل الاقطار التي شاعت فيها اللغة العربيَّة ل · ر

HERMANN L. STRACK: **Hebraeische Grammatik mit Uebungsbuch.** Neunte sorgfaeltig verbesserte und vermehrte Auflage (1907). *München*, *Beck*.

غراماطيق عبرانيّ مع تمرينات

لم يقصد صاحب هذا الكتاب ان يحلّ كلّ المشاكل اللغويَّة التي يجدها الطلبة في درس اللغة العبرانيَّة الّا انَّ الدارس اذا اتقن محتوياتهِ يستطيع غالبًا ان يدرك معاني الاسفار المقدسة ويتبيَّن مبهماتها. وقد تعجَّبنا من كثرة مضامينهِ مع صغر حجمهِ. ولعلّ الباحث يجد فيهِ ما لا يجدهُ في التآليف المطوَّلة لحسن تنسيقهِ ووضوح اسلوبهِ وطريقتهِ العلميَّة · وممَّا استحسناهُ ان المؤلف عارض جداول الافعال العبرانيَّة بالتصريف العربي فانَّ في تلك المقابلة لمَّا يميط الستر عن مشكلات عديدة ويبين تركيب الافعال العبرانيَّة اما التمرينات التي الحقها المؤلف بكتابهِ فانَّها وافرة متلوّنة كثيرة الفائدة · ويليها بعض شروح على فصول من التوراة يستغني بها الطالب عن التفاسير المطوَّلة التي لا حاجة لهُ اليها في اوَّل درسهِ · وكذلك رأينا المعجم العبرانيّ الالمانيّ الذي في آخر الكتاب كافيًا لعموم الطلبة. وقد اقبل على هذا الكتاب ارباب المدارس لكل هذه الصفاة التي ذكرناها فوصل بعد زمن قليل الى طبعتهِ التاسعة فنهني المسيو ستراك على هذا النجاح ونتمنى لهُ المزيد الاب ب · جوون

STANFORD'S NEW OROGRAPHICAL **Map of Palestine.** Compiled under the Direction of H. J. MACKINDER, Four Sheets: 52 by 62 inches; 4 miles to an inch. 1908.

خارطة فلسطين

انَّ جمعيَّة فلسطين الانكليزيَّة قد اضافت الى خدمها المتعددة في سبيل العلم خدمة جديدة بنشرها هذه الخارطة التي تفوق كل الخوارط السابقة بحسنها وكبرها ودقَّتها. ومن خواصها دلالتها على علو الامكنة بالوان زهيَّة. وقد احسنت بالخصوص في تمثيل وادي الاردن ووادي مرجعيون ووادي بردى والغوطة ونهر القاسميَّة وسواحل فينيقية والنجاد

حوران وموآب ومشارف جلعاد وغور بحيرة لوط كلّ ذلك تراهُ في هذه الخارطة من اوَّل وهلة وتقرُّ بهِ العين لحسن التنسيق واختلاف الالوان . فنحضُّ الدارسين على اقتنائها فانَّها من اجود ما طُبع من هذا الصنف الى يومنا وهي تصلح خصوصاً للمدارس وطلبة العلوم الكتابية س . ر

PROME ET SAMARA. Voyage archéologique en Birmanie et en Mésopotamie par le **Général de Beylié,** in-4°, 146 pp., 100 fig. et 15 pl., 1907, *Paris. Leroux.*

رحلة الى بلاد برمانيا وبلاد ما بين النهرين

لمحنا في المشرق (١٠ : ٧١٩) الى سفر الجنرال دي بيليه الى برمانية وما بين النهرين وما اكتشفهُ في سفرتهِ من الآثار الجليلة والكتابات القديمة . وها هوذا قد سطَّر اخبار رحلتهِ ووصف ما لقيهُ فيها من الابنية القديمة . وجناب الجنرال ممن أُولعوا بدرس الهندسة الشرقيَّة وقد ألَّف سابقًا كتابًا في المسكن البوزنطي فريدًا في جنسهِ مرَّ لنا وصفهُ في المشرق (٦ : ٩٥٩) . وسياحتهُ الحديثة انَّما كانت غايتها الخصوصية درس فنّ البناء القديم وهندسة العجم والهند الصينية وما يوجد بين تلك الآثار لا سيما الفارسيَّة وبين ابنية العرب بعد الاسلام من الارتباط والعلاقة . فقد اسعدهُ الحظ على بيان ذلك بوجه واضح بحيث يمكن اليوم الاثريين ان يتتبَّعوا تاريخ الهندسة العربيَّة ويثبتوا اصولها . فنهنئ حضرة الجنرال بهذا الاكتشاف الجديد ونشكرهُ على تأليفهِ الذي وجدنا فيهِ اللذَّة والافادة معاً س . ر

المُنْجد

معجم مدرسيّ للغة العربيَّة

تأليف الاب لويس معلوف اليسوعي (بيروت . المطبعة الكاثوليكيَّة ١٩٠٨ ص ٧٣٧)

هو المعجم الذي كنَّا نتوق الى نشرهِ منذ ثلاثين عاماً فنتمنَّى ان يتفرَّغ لهُ احد علماء العربيَّة ليسدَّ بهِ ثلمةً واسعة في مدارسنا ولقد كان يأخذ منَّا العجب كل مأخذ اذ نرى الاحداث يقبلون على مطالعة الآثار الادبيَّة في لغتنا وليس في يدهم قاموس

يرشدهم الى شرح الالفاظ اللغويّة التي يعثرون بها مـا لم يرجعوا الى المعاجم الكبيرة الغالية الثمن الواسعة الموادّ القليلة المناسبة لحالة الدارسين . فالكتاب الجديـد سوف يتدارك كلّ هذه المناقص لصغر حجمهِ ووضوح طريقتـهِ وقرب الحصول على موادّهِ مع الدلالة على الاصول والمشتقّات وتعدُّد المعاني للفظة الواحدة باصطلاحات معلومة . وهو مع ذلك جامعٌ بحسن تنظيمهِ لمعظم المفردات التي يحتاج اليها الاساتذة انفسهم فضلًا عن الطلبة . وزد على ذلك انهُ المعجم الوحيد الذي يخلو من كلّ لفظـة تخدش وجه آداب الاحداث . وممّا تفرَّد بهِ ايضاً هذا الاثر الجديد انـهُ اوَّل معجم عربي ترَّين بالتصاوير فأودع منها نيفاً و ٤٠٠ صورة تُعين الاحداث على ادراك المعـاني اكثر من الشرح الطويل . وخلاصة القول لا نشك في رواج هذا الكتاب عما قليل في كل مدارس الشام ومصر والعراق والجزائر . والمؤلف يتقبَّـل بالشكر والمنونيَّة كلّ الملحوظات التي من شأنها ان تحسّن طبعاتهِ الآتية . جعل الله حضرتهُ سندًا للآداب ونفع المدارس زمناً طويلًا بتآليفهِ ل . ش

دروس القراءة

بقلم محي الدين الخيَّاط . قسمان بالمطبعتين الادبيَّة والاهليَّة (١٣٢٦ ص١٢٨)

هذان الكرَّاسان وضعهما جناب الاديب محي الدين افنـدي الخيَّاط بالتزام محمَّد افندي شاكر ياسين للمدارس الاسلامية لطلبة سنتَيها الاولين . وقد افتتح القسم الاول بالفصل الهجائي واردفهُ باربعة فصول اخرى أخلاقيّ وفكاهيّ وحكميّ ودينيّ . اما الثاني فاودعهُ فصولًا اوسع مادَّة وارقى مضموناً في الاخلاق والحيوان والفكاهـة والحكم والدين وضبط كل ذلك بالشكل التـامّ وطبع الكرَّاسين بالحرف الاسطنبوليّ الكبير . وعما قليل سيشفعهما بجزء ثالث ان شاء الله ل . ش

شذرات

حفلة اليوبيل البابوي قرأنا في عدَّة جرائد مصريَّة كالمصوّر والاتحاد المصري والمقطَّم وصف الحفلة الشائقة التي عُقدت في مدرسة الاباء اليسوعيين في الاسكندريَّة احتفاء بيوبيل بيوس العاشر الكهنوتي . وممَّا جرى في هذه الحفلة مباراة شعريَّة جُعلت جائزتها للغالب

مجموعة مجلَّة المشرق المؤلفة من عشر سنوات مجلَّدة تجليدًا بديعًا . فقام بعض الشعراء المفلقين وقرأوا ما جادت بهِ قرائحهم . اما الجائزة فقد حكمت اللجنة المعيَّنة لفحص القصائد ان الذي استحقها هو جناب الشاب الاديب يوسف افندي سوداء احد التلامذة النجباء الذين تخرَّجوا في كلّيتنا فنمحض التهاني لجناب الشاعر وندوّن هنا قصيدتهُ لتبقى في صفحات المشرق :

بروِمة عرشٌ دونهُ النَّجمُ بالعلى ... تأَلَّق نورًا يُخجل النجمَ والبدرا
بقصر تمنى « اللُّوفر » بعض فخارهِ ... وما « كِيرِنال» الرومِ يُشبهُ ذا القصرا
منيعٍ ولا جندٌ تَصُونُ ذمــارَهُ ... عزيزٌ ولا بيضٌ هنــاكَ ولا سمرا
كأنَّ بلادَ الله دائرةٌ وقــد ... غدا محور الدنيا برومتنــا الكبرى
هو القاتِكان الأَبلقُ الفردُ محورٌ ... تدور حواليــهِ مهامُ الورى طرًّا
فيسطع منــهُ الحقُّ يرمي أشعَّةً ... تمزّق ديجور الضلالة والسترا
تربَّــع فيــهِ اشيبٌ ذو مهابةٍ ... ضعيفٌ ولكن ضعفهُ يفلقُ الصخرا
تطأطي لهُ الهامَ الملوكُ لأَنَّهــا ... رأَت قبلهــا الأيام تحني لهُ الظهرا
تزَهَّدَ في الدنيــا تقىً وتواضعًا ... كما شاء مختارًا بها السجن والاسرا
ولكنما الدنيا أبت زهدهُ بهــا ... ولم يرضها منــهُ تحجُّبهُ طهرا
. . . كمهرٍ عتيٍّ يقطع اللجم حولَهُ ... جموحٍ شَرودٍ ينهبُ السهل والوعرا
فلا الزَّردُ المحبوكُ يُوهن عزمــهُ ... بضغطٍ ولا المهماز ينعرهُ نعرا
تصدّى لهُ ماضي العزيمة فارسٌ ... يروّض أُسد البرّ يقتلهــا ذعرا
وهزَّ لهُ السَّوط الرفيع فراعهُ ... فطاطأَ رأسًا كان يعطو بــهِ كبرا
. . . كذا كانت الدنيا تهيم بحالكٍ ... من الجهل تهوى البغي والظلم والكفرا
فلا شارعٌ تُرعى شرائعــهُ ولا ... مليكٌ عدولٌ يأنف الجور والغدرا
توحُّشُ اخلاق وفظٌّ عواطفٍ ... وفوضى شعوبٍ تشبه البُهم في الصحرا
الى ان بــدا دين المسيح بنورهِ ... فغيَّر وجه الارض يستهلُ الوعرا
فدمَّث اخلاقــا ورقَّى عواطفًا ... وصيَّر عبد الظلم في ارضــهِ حرًّا
اطاعت ملوك الارض كرسيَّ بطرسٍ ... وجاءت اليهِ تطلبُ النهي والامرا
تصاغر قسطنطين وهو مليكهُ ... وخفَّض من غلوائــهِ راضخًا جهرا
وروَّع أتيلا الصليبُ بنوره ... فعادت جيوش الكفر مدحورةً دحرا

اتى شرلمان بعد ان ملك الدنى وزعزعها براً ودوّخها بحرا
برومةَ يسترضي خليفةَ بطرسٍ وملّكهُ في الارض ملكاً بهِ أحرى

*

فما قيصرُ الرومان إبّانَ مجدهِ يقودُ لساحات الوغى عسكرًا مَجرا
وما أنبالُ وهو يزجي فيالقاً على رومة العظمى ليأخذها قسرا
وما المعجزُ المغوار نپوليون في اعالي سماء الملك من دونهِ الشعرى
يجرُّ على الدنيا ذيول فخارهِ يفرّق تيجاناً ويصطنع الدهرا
ويحصر اوربّا بكفيهِ تائهاً باعلى سماهُ رائدًا يشبه النسرا
بأرفعَ شاناً منهُ حين يسوسها شعوباً بانحاء الورى تعجز الحصرا . . .
مليك لهُ في العالمين فيالقٌ يسيّرها بحرًا ويُنفذها برّا
لقد نشرت في الخافقين لواءهُ فساد على الاقطار باللين لا قهرا
تغيّرت الايام من اعصر خلتْ وظلَّ كما قد كان لا يتبع العصرا
كصخرٍ سما في اليمّ يرفع راسهُ فهاجمهُ التيّار يبغي بهِ شرّا
تراجعَ ثم استطرد الوثبَ هائجاً ولكن معاذ الله ان يوهن الصخرا
تكسرت الامواج لم تضُرِ الصَّفا وظلَّ الصفا صعب المنال ولا خطرا

*

أمالكَ هذا المجد والفخر والعلى علوت فلم تترك علاء ولا فخرا
أبيُّوسُ مهلاً بعض هذا العلى فهل تحلّق حتى تبلغ الانجم الزهرا ؟
ظهرتَ بميدان السياسة فارساً فحزتَ بلا جيش ولا عُددٍ نصرا
تلين اذا لانت من الدول القنا وتنقضُّ ان تصلبْ قناتُهم صقرا
ولم يُنسك المجد الفقير فانما تعشقتَ قبل المجد والشرفِ الفقرا
اذا ما دعا شرق البلاد اجابهُ دعا غربها والكلّ من كبدٍ حرّى
ليهنئك هذا العيد انك عيدهُ وملك شعوبٍ تستطيلُ لك العمرا
لئن بعدت روما وشطَّ مزارها علينا فان القلب عندك والفكرا
فنحن بارض الشام بالدين مثلنا برومتنا بل قل كما نحن في مصرا

الركوسيّة — عاد حضرة الاب انستاس الكرملي الى مسألة الركوسيّة في مجلّة انثروبوس (Anthropos, III. f. 556–558) فحاول اثبات رأيهِ ونقض

الادلّة التي استندنا اليها في المشرق (١٠ : ١١٢٠—١١٢٥) لردّ زعمهِ فقرأنا بتأنٍّ ما استانف بيانهُ ونحن مستعدون ان نسلّم لهُ بالرضى وطيب الخاطر ان وجدنا في نبذتــهِ برهاناً واحدًا مقنعًا عن وحدة الركوسيَّة او المنوثليَّة . فيسوءنا القول لحضرتهِ انّنا طلبنا ذلك البرهان في مقالتهِ فلم نعثر عليــهِ . فان رأيهُ في الركوسيَّة مبنيٌّ كلّهُ على دليلين احدهما وهميّ والثاني ضعيف فالدليل الوهميّ انَّ اسم ركوس مبــدل من « كورس » ولم يأتنا بشاهد على قولهِ غير ما تأوّلهُ حضرتهُ من نفسهِ فان لم يسند زعمهُ الى بيّنــة تاريخية سقطت حجّتهُ . اما الدليل الثاني ففقرة وجدها على مخطوط حديث لكاتب عصري يُدعى السويديّ . وليس هــذا الدليل اقوى من السابق ريثما نتحقّق من اين اخذ السويديُّ قولهُ . فيا لله ايُشيَّد بناء متين على مثل هذين الاساسين . اما البراهين الخمسة التي فنّدنا بها رأي حضرتهِ في الركوسيَّة فباقية بقوّتها ونحيل اليها القرّاء فانَّ في مراجعتها اظهر دليل على ما روينــا . ولا حاجة الى زيادة في الكلام اذ لا يقبل العقل انَّ رجلًا عربيًا من اهل البادية كعديّ بن حاتم عرف كورس سنة ٦٢٩ وكورس يومئذٍ اسقف على مدينة مجهولة تُدعى فاسيس موقعها على ساحل البحر الاسود فتشيَّع لهُ قبل ان يعرفهُ احد بزعيم شيعة . وما هو اغرب من ذلك انَّ عديًّ مع معرفتهِ لزعيم تلك الشيعة المدعو كورس يقلب اسمهُ ويدعوهُ ركوس . فهذه ظلمات على ظلمات

درس اللاتينية واليونانية لما عُقد مؤتمر المدارس الثاني في لندن في فصل الصيف الماضي ودارت فيهِ الابحاث عن الشؤون المدرسيّة جرت ايضًا مباحثات في الموادّ التعليمية واللغات القديمة كاليونانية واللاتينية فزعم البعض ان درس تلك اللغات لم يعــد نافعًا لاهل العصر والاولى ان تُدرس بدلًا منهــا اللغات العصريَّة كالانكليزيَّة والفرنسويَّة والالمانيــة الّا ان معظم حضور المؤتمر لم يصوّبوا ذلك الرأي وانحازوا الى قول القانوني لِتِلتون الذي بيَّن ما في درس اللغات القديمة من الفوائــد التهذيبية العظيمة ويسرُّنا ان نورد هنا ما كتبتهُ مجلّة المقتطف في هذا الصدد قالت (٣٢ : ٧٦٤) :

ومن المواضيع الهامَّة التي جرى البحث فيها تعليم اللغات القديمة كاليونانيَّة واللاتينيَّة فقــد قرأ القانون لِتِلتون رئيس مدرسة ايتن مقالة ضافية في هذا الموضوع قال فيها « ان تعليم اللاتينيَّة واليونانيَّة يمرّن قوتيّ الادراك والاستدلال واما تعليم الفرنسويَّة ونحوها من اللغات الحديثــة فلا يمرّن الّا قوة الذاكرة لان التلميذ لا يقصد الّا ان يحسن فهم هذه اللغات والتكلم بها . ثم ان الكتب التي

يقرأها طالب اللغة اللاتينيَّة مثل مؤلفات قيصر ولفي وشيشرون وتاشيتوس هي من الطبقة الاولى بين المؤلفات واما الكتب التي يقرأها طالب الفرنسويَّة والالمانيَّة فهي في الغالب قصص من الطبقة العاشرة» . وجرت المذاكرة في هذا الموضوع بعد ذلك فصوَّب الانكليز من اعضاء المؤتمر رأي القانون لتلتون

اسئلة واجوبة

س استفتأنا من الموصل حضرة القس بولس قندلا السريانيّ من جملة وردة في كتاب المعين الرائق في خلاصة الحقائق المطبوع في بيروت سنة ١٨٨٩ فقد جاء هناك (ص ٢٥٠) عن لسان الطيب الذكر البطريرك مكسيموس مظلوم ما حرفهُ :

« بموجب قوانين المجمع المسكوني السادس تمتدُّ القرابة الروحيَّة امتداد القرابة الدمويَّة من دون نقصان . وكما تمتد هذه الى الوجه السادس كذلك الروحيَّة »

فطلب السائل اهذا القول صحيح وهل يحقُّ لرعاة النفوس ان يعملوا بهِ دون مراجعة ديوان التفسيحات

مانع القرابة الروحيَّة والقرابة الدمويَّة في سر الزيجة

ج معلوم انَّ في الكنيسة الغربيَّة لا يمتدُّ مانع القرابة الروحية كامتداد القرابة الدمويَّة فانَّ هذه تمتدُّ الى الدرجة الرابعة الموافقة للوجه الثامن عند الشرقيين اما القرابة الروحية فلا تتناول غير الشبين والشبينة وولدهما الروحي ووالديه فيبطل الزواج بين الشبين وابنتهِ الروحية او امّ ابنتهِ وبين الشبينة وابنها الروحي ووالد ابنها . اما الكنائس الشرقية فيختلف نظامها فعلى كل كنيسة ان تجري على حقها القانوني المصادق عليهِ من الكنيسة الرومانية . واليوم ترى اكثر الكنائس تابعةً في الزواج قوانين الكنيسة اللاتينيَّة

س وسألنا احد الكهنة الافاضل في البلدة ما رأينا في ورقة طُبعت ونُشرت عنوانها « صورة الحكم الذي نطق بهِ بيلاطس البنطي والي ولاية الجليل على يسوع الناصرى » وتحت هذا العنوان تاريخ الحكم على المسيح والاسباب الداعية الى صلبهِ واسماء الذين تشاوروا عليهِ مع الرسالة الواردة من يوليوس يوستوس والي اليهوديَّة (كذا) الى المحفل الرومانيّ

حكم بيلاطوس البنطي على المسيح

ج هذه الورقة احدى المنشورات العديدة التي وضعها المدلّسون لخداع السذج والربح الخسيس . وهي كلُّها مشحونة بالاغلاط التاريخية التي تُظهر كذب مؤلفها لكل ذي عين فضلًا عن مناقضتها الصريحة لبعض آيات الانجيل ولو اردنا تفنيدها لاقتضى الامر مقالات مطوَّلة فنكتفي بالاشارة ل . ش

المشرق

خصائص الموازين العربيّة واصل كيفيّة نشوئها

لحضرة اللغوي الفاضل الاب انستاس الكرملي

١ً مدخلٌ

هذا بحث لم يتعرَّض لهُ من لغويي الأَعراب والأَغراب سوى العلّامة الباحث جرجي افندي زيدان (١ صاحب كتاب « الالفاظ الكتابيَّة والفلسفة اللغويَّة » ومع تصدّيه لهذا الموضوع لم يتقصَّ الّا في بضعة موازين تاركًا البقية لمن يُريد الايغال في مَهامهِ هذه المجاهل . على اني كنت قد بدأت بمثل هذه الاشغال منذ مدَّة مديدة فلمَّا سمعت بكتاب صاحب الهلال استجلبتهُ لمزيد التحقق والتثبيت والتبصُّر فرأيتني متَّفقًا معهُ في امور ومخالفًا اياهُ في امورٍ ولهذا كلما وقع الحافر على الحافر فاتّفقت الخواطر استشهدتُ بكلام هذا الكاتب الجليل واوردتهُ على ما هو بمنزلة الدليل . وكلما خالفتهُ صرَّحت بهِ ايضًا لاستلفات الافكار فاقول :

٢ً فَعُلَ

قد ابنّا في مقالة « اللغة العربية في عهد الظلمات » كيفية نشوْ هذا الوزن في اقسام الفعل من صحيح وسالم ومعتلّ على انهُ قد يجيء في بعض الافعـــال مفتوح العين وفي بعضها مكسورها وفي بعضها مضمومهـــا . فهل لهذا الاختلاف في الحركة اختلاف في المعنى ؟

قلنا : ولا شك في ذلك ؟ امَّا مضموم العين فيدلُّ على الغالب (والقاعدة تُطَّرد على الغالب كما هو معلوم ومشهور) على لزوم الفعل او على معنى يُلازم صاحب الفعل

١) سبق للمستشرقين ابحاث عديدة في موازين افعال اللغات الساميَّة عمومًا واللغة العربية خصوصًا ومن ثمَّ نثبت كلام حضرة مراسلنا كرأيهِ الخاصّ دون ان نجزم بصحتهِ (المشرق)

ملازمةً طويلة يعني مضمومة الأطراف أطراف البدء الى أطراف النهاية او مضمومة الزمان ضمًّا يستلزم مدَّة طويلة لحدوثها او للحصول عليها او بعبارة اخرى يستلزم ضمّ قوى الانسان بعضها الى بعض لاتيان الامر ولا سيما اذا كان هذا الامر مما يُعني صاحبهُ ويُعنتهُ كالاتصاف بالفضائل والمناقب والمزايا الرفيعة ككَرُم ولَطُف وحَسُن ... صفات لا تجدها الّا في مدلول وزن فَعُلَ المضموم العين. ولذا ضمُّوها (وعين الفعل هي بمنزلة قلبهِ ومركز حياتهِ ومصدر معناهُ) اشارةً الى هذا الامر

وعليهِ لم يجئ فَعُلَ المضموم العين متعدّيًا . وهذا ما اتفقت عليهِ جماهير النحاة والصرفيين قالوا: «ولم يأتِ فَعُلَ بضم العين متعدياً الّا في كلمة واحدة رواها الخليل وهي قولهم: «رَحُبَتْكُمُ الدارُ» وحملهُ السعد في شرح العزّيّ على الحذف والايصال اي «رَحُبَتْ بكمُ الدارُ» (عن التاج في رحب) وهو الوجه الاقبل

واما مكسور العين فيدلُّ في الغالب (وان كان يدلُّ احيانًا على غير هذا الغالب) على حدث عابرٍ او وقتيّ او على صفةٍ او حالة لا تثبت فيهِ ثباتًا طويلًا او تقرّ فيهِ قرارًا مكينًا بل تمرُّ بهِ مرًّا سريعًا او تمكث بهِ مكثًا وجيزًا. فالكسرة اذن اشارة الى «كِسْرَةٍ» من الوقت والمدة او الى قصرهِ او قصرها وعليهِ قالوا حَسِب وفَرِح وطَرِب ويَئِس وسَمِع ووَرِم الخ

وامَّا الفتح فقد ورد في كل ما لم يرد بمعنى فَعُلَ أو فَعِلَ. فاحفظ هذا تُصِبْ ان شاء الله تعالى

٣ أفعَلَ

قال صاحب كتاب «الالفاظ العربية والفلسفة اللغويّة» (ص٣٧) : «ان الاحرف المزادة (اي المزيدة) على الفعل الثلاثي لتكوين صيغ المزيدات هي: الهمزة في أفعل . والالف في فاعل . والتاء في تفعَّل وتَفاعل . والالف والتاء في افتَعَل . والالف والنون في انفَعَل . والالف والسين والتاء في استَفعل

«فالالف في «أفعَل» وتكسب الفعل اللازم معنى التعدية يصعب تتبُّعها وربما يستحيل . فأضرب عنها صفحاً» . اه كلام الكاتب اللغوي

قلنا: الامر كما يقول صاحبنا لو حصرنا نظرنا في دائرة افق اللغة العربية وحدها لكنا اذا عارضناها بسائر دوائر آفاق اللغات الاجنبية هان علينا الخطب ولم يستحِلْ

والحال اي لفظة يستعمل الأغراب في مثل « أجلسَ زيدٌ عمرًا » ؟ او بعبارة اخرى : اي لفظة يستعمل الاجانب للدلالة على وزن أفعَل ؟ — قلنا : انهم يستعملون لفظة تعني في لساننا « فعَلَ او عَمِلَ » يعني ان الترك يستعملون في مثل هذا المقام كلمة « ايتمك » والفرس « كردَن » واللغات الاوربية او الهندية الجرمانية مـا يقابل كلمة « faire » الفرنسية . وعليهِ فالعرب ايضاً استعملوا في اول نقلهم معنى التعدية لفعل اللازم كلمةً تدل على هذا المعنى ثم انهم قطعوا رأسها مكتفين بهِ واطلقوا سراح الباقي وهذه الكلمة هي « أتى » ولا سيما ان هذه اللفظة ماخوذة من معنى « ات » (واصل الناقص كان على حرفين صحيحين كما المعنا) اليهِ ويقابلها بالعبرية את وهي اداة لم تزل في قيد الحياة عند العرب بمعنى « ذات » ولا تقع الّا مفعولًا بها وهي في السريانيـة ܝܬ كما لاحظ ذلك صاحب الالفاظ العربية . وكما كتبناه نحن قبـل ٨ سنوات في المشرق (٣ : ٣٩٥و٣٩٦) وعليهِ فأصل قولهم مثلًا : « اجلَسَ زيـدٌ عمرًا » كان : أتى زيدٌ عمرٌ جلسَ او أتى زيـدٌ جلسَ عمرٌو ثم اختصروا القول بان جمعوا بين الفعلين آخذين من الاول حرفًا من حروفهِ لاشتهـار تقديرهِ ولكثرة وقوعهِ وزادوه على الاول من الفعل الثاني فصار افعَلَ (١ .

٤وه فعَّلَ وتفعَّلَ

قال جرجي افندي زيدان بخصوص فعَّل (ص ٣٧) مبتدئًا بابداء رايه بقولهِ : « كما هو الحال (حال توهُّم المبالغة) في تضعيف عين « فعَّل » كما سياتي في محل آخر » . ولم نعثر في كتابهِ على هذا المحل المذكور (٢ . وعلى كلٍّ فالذي نرتئيـهِ هو : ان عين الفعل لمَّا كانت بمنزلة قلبهِ ومصدر حياتهِ وعمـاد المعنى باسره دلَّ تكرارُهُ على افادة الفعل بصيغتهِ او لفظهِ . واظنُّ ان هذا الوزن هو اول ما نشأ من اوزان الافعال بعـد فعَل الثلاثي وفَعلَل المضاعف الرباعي . والذي حداهم الى ذلك هو انهم لما قالوا مثلًا

١) قد كتبنا مقالة في اصل هاء هفعل العبريّ المقابل لأفعل العربي حيث نبيّن انّها مقطوعة من احد حروف كلمة עשה وهي العين التي ابدلت من الهاء لاسباب بسطناها هناك

٢) اللهمَّ الّا في ص٣٧ في كلامهِ من وزن فاعَلَ اذ يقول : « وربّما قُصد بذلك (اي بمدّ حرف فَعَلَ حتى يصير فاعَلَ) بادىء بدء نوع من المبالغة لتوهُّمٍ ذهني كما هو الحال في تضعيف عين فعَّل » اه . وهذا التعليل قليل الجدوى وغير مقنع

في « مَر » : مَرْمَرَ اختصروه لشهرتهِ وقالوا مَرَّر ثم نقلوا الوزن الى سائر الافعال الثلاثية . يريدون بذلك تكثير المعنى المدلول عليهِ باللفظ فقولهم « كَسَّر » يُشبه قولك : كَسَرَ الشيء ثمّ كَسَرهُ مرارًا يعني انهُ كَسَرهُ اولًا ثم كسرهُ ثانيـاً ثم كَسَرَ هذا المكسور كَسْرًا آخر الخ فصارت الكِسَر كثيرة عديدة

والى المعنى الاول يعني ان اصل مرَّر مثـلًا هو مَرْمَرَ اشار لغويو العرب . لكن بعكس ما اشرنا اليهِ اي انهم جعلوا الاصل « مرَّر » وفرعوا منهُ « مَرْمَرَ » وهو عكس ما توحيهِ الطبيعة الى الانسان وعكس ما يتبادر اليهِ الذهن عندما يريـد ان يتثبت محاكاة الطبيعة . قال في التاج :

مرَّرهُ : دحاهُ على وجه الارض كَمَرْمَرَهُ . وقال الازهري : ويُمَرْمِرهُ على وجه الارض اي يدحوهُ واصلهُ يُمرّرهُ» . وقال في ب ش ش : « . . . وعن يعقوب : تبشبش بهِ اي آنسهُ وواصلهُ . قال : واصلهُ تبشَّش فابدلوا من الشين الوسطى باء كما قالوا تَجَفْجَفَ لان الجمع بين ثلاث شينات مستثقل » اه

والى المعنى الثاني اي الى اشارة تكثير المعنى المدلول عليـهِ باللفظ أَلمعوا بقولهم في مادة ش ي د مثلًا :

« قال ابو عبيد : البناء المشيَّد بالتشديـد : المطوَّل . وقال الكسائي : المَشِيد للواحد والمُشيَّد للجميع . حكاهُ ابو عبيد عنهُ . قال ابن سيدة : والكسائي يُجَلّ من هذا . [قال] غيرهُ : المَشِيد : المعمول بالشيد . قال الله تعالى : « وقَصرٍ مَشيد » وقال سبحانهُ : « في بروج مشيَّدة » قال الفرَّاء : يشدّد ما كان في جمعٍ مثل قولك : مررتُ بثياب مصبَّغة وكِباش مُذبَّحة فجاز التشديد لان الفعل متفرّق في جمعٍ فاذا افردتَ الواحد من ذلك فان كان الفعل يتردَّد في الواحد ويكثر جاز فيهِ التشديد والتخفيف مثل قولك : مررت برجل مشجَّج وبثوب مخرَّقٍ . وجاز التشديد لان الفعل قد تردَّد فيهِ وكثر : ويقـال مررتُ بكبش مذبوح ولا تقل مذَّبح فان الذبح لا يتردَّد كتردُّد التخرُّق . وقولهُ :« وقصرٍ مشيد » يجوز فيهِ التشديد لان التشييد بناء والبناء يتطاول ويتردَّد . ويقاس على هذا مـا ورد . وحكى الجوهري ايضاً قول الكسائي في ان المَشِيد للواحد والمشيَّد للجميع . وذكر قولهُ تعالى : وقصرٍ مَشيد للواحد وبروج مشيَّدة للجمع . . . (التاج) الى آخر العبارة

قلت : وكأنهم لما قالوا « بروج مشيَّدة » ارادوا قولهم : « وبرجٍ مَشيد وبرجٍ مَشيد وبرج مَشيد مكرَّراتٍ . فلما جمعوا برجاً على بروج جمعوا ايضاً مَشيـدًا في مُشيَّد . وما تَفعَّل الّا مطاوعة فعَّلَ والتعليل واحد

٦ و٧ فاعَلَ وتفاعَلَ

قال جرجي افندي زيدان (في ص٣٧ من كتابهِ الفلسفة اللغويَّة): «اما الالف في فاعَلَ وتفاعَلَ فقد حصلت بمدّ حركة الفاء. وربَّما قُصد بذلك باديء بدء نوع من المبالغة لتوهُّم ذهني كما هو الحال في تضعيف عين فعَّل» اه

امَّا رأينا فهو انهم لمَّا جعلوا الالف في اول الكلمة بمنزلة اداة تنقل معنى اللازم الى المتعدّي والى متعدٍ واحد جعلوها من بعد ذلك في الثاني اشارةً الى تعدية الفعل الى اثنين فاكثر وعلى التبادل وهذا هو اصل معنى المشاركة. ونقول مثل هذا القول في مطاوعتهِ تفاعَلَ. واما معنى هذه التاء في تفعَّل وتفاعل فسيأتي عليها الكلام في ما يلي

٨ إفتَعَلَ

قال العلَّامة اللغوي في اصل تاء افتعل ما نستحسن كلامهُ ونوافقهُ فيهِ كل الموافقة (ص٣٧): «اما «إتْ» في «إفتعلَ» فتدخلانِ على الفعل فتكسبانهِ معنى المطاوعة (كما في تاء تفعَّل وتفاعل) الذي يلمح فيهِ شيءٌ من معنى المجهول.. والمشترك بينها جميعها التاء. ولكي نصل الى الحقيقة يقتضي لنا الاستفهام عن اصل هذه التاء وكيف تأتت لها هذه الخاصة. وعند البحث والمقابلة باخوات العربيَّة يظهر لنا انها بقيَّة «إت» او ما يماثلها وهي لفظة من الالفاظ المطلقة لم تزل مستعملة في العبرانيَّة بمعنى «ذات» ولا تقع الَّا مفعولًا بها. وهي في السريانيَّة ܝܬ «يت» وفي العربيَّة «ذات» مركبة مع «ذا» الاشاريَّة امَّا الاصل وحده فقد فُقد من لغتنا على ما يظهر (١ وهذه اللفظة موجودة في سائر اللغات بمعنى الكون المطلق... امَّا المطاوعات التانية في العبرانية والسريانية فأقدر على تبيين كونها هي اصل المطاوعة في العربية ايضاً اذ انها تُكتَب في كلتيهما ملحقة في اوَّل الفعل ففي السريانية ܐܬܦܥܠ «إتفَعَل» بزيادة «إت» المتقدم ذكرها على المجرَّد الثلاثي. وفي العبرانية قُلبت الهمزة هاء (على لغة مشهورة عند الساميين) فهم يقولون התפעל «هِتفِعَل» فلنا الان «افتعَل» و«إتفعَل» و«هِتفَعَل»

١) بل ولها بقية في العربية وهي كلمة «آية» (راجع ما كتبناه في المشرق ٣ : ٢٩٥ و٢٩٦)

بمعنى واحد . وكلها تفيد المطاوعة ونظرًا لكون كلٍّ من « اتفعل » و « هتفعل » يقوم مقام « تفعَّل وتفاعَل وافتعَلَ » يرجّح كل الترجيح ان الاداة المشتركة بينها جميعاً هي « ات » امّا من قبيل مطابقة الدلالة الحاصلة من مجموعة دلالة « إتْ » و « فعَلَ » دلالة افتعل ورفيقاتها فواضح لانهُ قد تقدَّم ان هذه الاداة تفيــد « الذات » فكأنهم اول استعمالهم هذه الصيغة كانوا يقصدون بها انحصار الفعل في نفس الفاعل فقالوا « إتْ قتَل » بمعني حصول القتل في نفس الفاعل وقد تنوَّع معناها بالاستعمال الى المطاوعة التي تقرب جدًا من المجهول لانك تقول : « جمعتهُ فاجتمع » وبكثرة الاستعمال تولَّد النوعان الآخران

« اما من قبيل وضع التاء بعد الفاء في « افتعَل » فيُردّ الى ناموس القلب بسهولة . على ان بعض الناطقين بالضاد وهم كثيرون ينطقون بها كما في السريانية اعني بهم قاطني مصر فانهم يقولون : « إتجمَع » في اجتمع . و « إترفت» في ارتقت . والاغرب من ذلك استعمالهم هذه الصيغة بدلًا من انفعَل ايضاً فيقولون « إتكسر » بالتــاء عوضاً من « إنكسر » بالنون . واتقطع في انقطع . وهذه الامثــال كثيرة الورود بينهم بحيث يكاد يقــال انهم ابطلوا صيغة انفعل وافتعل وابــدلوهما بإتفعل . وكل ذلك من كلام عامتهم » . اه كلامهُ الشائق

٩ إنفعلَ

قال « ان الالف والنون في انفعل فاماًّ ان تكون « إتْ » بعد الابدال (قلتُ : وابدال التاء من النون لغة معروفة عندهم سابقًا من ذلك مــا جاء في ديوان الادب : كنَفَ بالنون اي عدل . ويقال بالتاء . وفي الصحاح : تغرت القدر تتغر لغــة في نغرت تنغر : اذا غلت . وفي المجمل : جرحٌ نغار وتغار : سال منهُ الدم . والنُّتَع والقُتَع : بوق اليهود . والنامور والتامور : الدم) كما سبقت الاشارة لتقــارب المعنى بين انفعَل وافتعَلَ ولكن الصيغة الاولى لا وجود لها في السريانية فتنوب عنها الثانية (١ او انهــا بقية « نفس » التي هي بمعنى « إتْ » تماماً وهي في العبرانية والسريانية « نفش » فما المانع

١) ان وزن انفعل حيٌّ حتى اليوم في لغة معلولة الارمية . ومعلولة من القرى المجاورة لمدينة دمشق الفيحاء فانهم يقولون مثلًا في سمع يسمَع أنسمَع نسمَع فاحفظهُ

من حصول النحت فيهـا بحيث خسرت حرفيها الاخيرين . ويؤيـد ذلك كون هذه الصيغة في العبرانية هي נפעל (نفعل) بمعنى المجهول تاماً فربّما قصدوا بها ما قصدوا بسابقتها ولا عبرة في الهمزة الزائدة في انفعل » اه كلام جرجي زيدان ونحن نوافقهُ في الرأيين ألّا اننا نرجح الاول على الثاني . ولا سيما لان النحت في غير الثلاثي كثير الوقوع في اول اطوار اللغة العربية فيكون هذا من ذاك

١٠ً إستفعلَ

وقال حضرة الكاتب في اصل هذا الوزن ما هذا نصهُ (ص ٣٩) : « استفعل مزادٌ فيها « إست » التي توثّر في معناها على كيفيات مختلفة تُردُّ الى الطلب والميل وعند ذلك يلزمنا البحث عن كيفية حصول هذه الاحرف على هذه الخاصية . وبالمقابلة يلوح لي انها بقية فعل فُقد من العربيـة وحُفظ في السريانية بمعنى مال وهو ܣܛܐ « سطا » (١ حيث قُلبت التاء طاء فهم يقصدون بقولهم « استقتل » مال الى القتل او احب القتل وفي « استغفر » طلب الغفران وقس عليهِ . وممّا لا باس من ذكره ان « است » في التركية تُفيد الارادة والطلب والسؤال والرجاء والرغبـة والارتعاب ». اه كلامهُ

ان هذا التعليل مع ما فيهِ من الدقّة لا نستحسنهُ وذلك وان كان في استفعل لغتان في الارمية وهما استفعل واشتفعل بالسين المهملة والشين المثلثة ويوافقهما مجيءُ ܣܛܐ و ܫܛܐ عندهم بمعنى واحد مما يثبت اللغتين في الوزنين فهناك عقَبة لا يتسهل لنا رقيّها وهي ان للاراميين وزنين وهما سَفْعَل واستفعل ففي معنى الاولى اشارة الى طلب الفعل كما في ܣܥܪܒ و ܡܣܥܪܒ مثلًا وكثيرًا ما يقابلهُ بالعربية وزن استفعل لتـأدية معناه (٢ . وامّا استفعل ففي معناه طلب الشيء لنفسهِ » مثـلًا معنى استغفر : طلب الغفران لنفسهِ : وقس عليـهِ غيرهُ . ولذا نرى من الزيادة ان يكون عندهم وزنان بمعنى واحد ان لم يكن هناك فرق بينهما . وعندنا ان استفعل منحوت من ثلاث كلمات

١) قد قلنا غير مرة ان اصل النـاقص مضاعف وفي ܣܛܐ لغة ثانيـة وهي ܫܛܐ بالشين والمعنى واحد وبالعربية شطَّ فهو غير مفقود كما توهمهُ حضرتهُ

٢) وهو عندنا منحوت من שאל « شال » او ܫܐܠ اي سأل . ولهذا يقال في سفعل شفعل ايضاً

وقد أُخذ من كل من الاثنتين الاوليين حرف ثم ضُمَّتا الى الكلمة المطلوب نقل معناها. وهذان الحرفان هما « س » من سأل (وهذه اللفظة بالارمية والعبرية هي بالشين ومن ذالك اللغتان و « ت » او « إت » التي تعني الذات او النفس على ما تقدم شرحهُ دلالة على المطاوعة . و بالتالي صحَّ قولك إستغفرَ بمعنى « طلب الغفران لنفسهِ » ومن ثم يتضح ان معنى سَفعَل غير معنى استَفعل وفي وضعهما فرق في المعنى واللفظ . ومما يزيدنا يقيناً في هذا الراي و يقطع دابر كل ما يمكن ان يقع فيهِ شيء من الريب او الشك ان لكل وزن مزيد فيهِ في الارمية وزناً آخر يقابلهُ للدلالة على المطاوعة على ما بدا لنا . فوزن إتفعَل مطاوع فعَل و إتفعَّل مطاوع فعَّل و تأفعَل مطاوع أفعَل . وعند العرب تفاعَل مطاوع فاعَل

وعلى هذا القياس يكون كلٌّ من إستفعَل و إشتفعَل مطاوع سَفعَل او شَفعَل . اما العرب فقالوا في إتفعَل : إفتعَل . وفي إتفعَّل : إنفعَل . وفي تأفعَل : تفعَّل . وعليهِ قالوا : استفعَل مطاوعة لسفعَل الموجود في الارمية كثيرًا وفي العربية قليلًا . الَّا انهُ غريب الاستعمال او قل الاحرى غير مطَّرد الاستعمال . ومن ثمَّ لم يَعُدْ بعد هذه المقابلة البيِّنة يعلق شيء من الشك بذهن العاقل الباحث

ولا بد من ان نذكر هنا امثلةً على كل من وزني سفعَل وشفعَل لاثبات قولنا ان هذين الوزنين كانا معروفين في سابق الزمان . من ذلك ١ً سَقلَبهُ فهو من قلَبهُ ٢ً سَلغفهُ بمعنى ابتلعهُ من لغفهُ ٣ً سَملَجهُ في حلقهِ : جرعهُ جرعًا سهلًا . من ملَج الصبيُّ أمهُ : اذا تناول ثديها بادنى فمِهِ فرضعها كأن المُسَملج يفعل فعل الطفل المالج . ٤ً سَرْوكَ فلان : مشى مشية رديئة او بطيئة من هزال وتعب . وهو ماخوذ من رَبكَ فلان فلانًا : القاهُ في الوحل فمشى مشية رديئة او بطيئة ٥ً يقال : لغنهُ اي طردهُ فسَلغنَ اي عدا شديدًا . ومثلهُ : ٦ً سَلغنَ بالغين

ودونك الان شواهد على وزن شفعل : ١ً شَبرَق الفرس عدا وَخدًا . كأنك تقول برق في عدوهِ . ٢ً شَنْمَطَ بمعنى غضب هو مصحَّف « مَعِضَ » بمعناهُ بعد ان وُزن بميزانهِ . ٣ً شَعْوَذَ وَشَعبَذ من الشعوذة والشعبذة وهي اخذٌ كالسحر وقد حيَّرت علماء اللغة من اقدمين ومحدثين فلم يعجموا عودها ولم يهتدوا الى موردها يقابلها بالارمية ܫܥܒܕ (وتلفظ شَعْبذ او شعبذ) ومعناها : استعبد (الشيطانَ مثلًا) واخضعهُ وقهرهُ .

او من ܚܟܡ (اي خدع وغشّ) او من ܐܚܟܡ ومعناها سحَرَ ويقابلها بالعربية أعاذ ولا شك ان اصلها كان أعوذ كما في الارمية فأعلوها وقلبوها . ولمّا وزنوها على شَفعَل رجعت الواو الى اصلها لعدم تحرُّك ما قبلها فقالو شَعوذ . ولما كان بعض الواوات تُلفظ في القديم فاء مثلّثة يعني انها كانت تلفظ بين الواو والباء اجازوا فيها اللفظين وعليه فقول الثعالبي في كتاب « الجنى المحبوب . الملتقط من ثمار القلوب » : « لا اصل لقولهم شُعبذ وانما هو بالواو » فكلام لا اصل لهُ . وقد ذكرها الليث واثبتها الزمخشري وغيرهُ . ولا سيما قد تكون لغةً على ما اوضحناهُ ولها اشباه ونظائر تُعد عشائر عشائر من ذلك : نوّه باسمهِ ونبَّه . الباشق والواشق . وجارية بَكباكة ووكواكة . وكبكابة ووَكوَكاة . البزمة والوزمة . ولو استزادنا احد لزدناه على هذا القدر وبهِ كفاية على وجود هذه اللغة ٤ً شَشقل الدينارَ : عيّرهُ . ولا بدعَ اذا قُلنا ان هذه اللفظة جاءتنا على يد اليهود . لانهم يسمون الثقل « شقل » بالشين . وهذا يدل على ان تصرُّفهم بالدينار كان من قديم الزمن بايديهم بما ان العرب تلقوا عنهم هذا الاصطلاح بينما كانوا في غنًى عنهُ بما انهُ لهم عدة الفاظ تدل على تعيير او معايرة الدينار . لكن هي العوائد تفعل ما لا يفعل سواها . وهذه الكلمة اصبحت لنا بمنزلة كلمة تاريخية لغويّة أخلاقيّة . وكذلك اختها السابقة يُشمّ منها رائحة تاريخية لا تخفى على الباحث الناقد ٥ً شَمَلَ بمعنى عمّ . يقال شملهم الامر فهو شامل ولا جرم انهُ مأخوذ من ملأَ وبالارمية ܡܠܐ فاذا صغناها على قالب شفعَل قلنا شَملأَ وبالارمية ܫܲܡܠܝ بمعناه . والعرب قالت في شَملأَ : شملَى من باب تخفيف الهمز كما هو معروف في لغتهم . ثمّ خفّفوا هذا المخفّف فصار شمَلَ . والّا فشمل العربية لا يقابلها شيء في سائر اللغات الاخوات الساميات الّا هذه المادة وعلى هذا الوزن

ولا تظن ان هذا الوزن خاصّ بالافعال فقط فقد جاء دالّا على صفةٍ مثل قولك « الشَضلب » وهو الشديد القوي كالصُلب . وفي بعض الاحيان غلبت على الصفة الاسمية كما في قولك « شيطان » فانهُ ماخوذ من طنّ يطَنّ اي ܛܢ بالارمية بمعنى غار وحسد وغبط ومال وعنّف يقابلهُ بالعربية « ظنّ » بمعنى اتّهمَ وقد اختلف اللغويون في اصل هذه اللفظة فنهم من اشتقها من « شاط » ومنهم من ذهب انها من « شطن » الى آخر ما قالوا وتقوّلوا فيها . والاظهر انها من طنّ المذكورة . ويؤيد هذا الرأي

موافقة ما جاء منقولًا عن اصل استدراج هذا الروح الخبيث لابوينا الاولين . فقد روى الآباء الاولون ومعلّمو الكنيسة المقدّمون ان سبب ذلك كان انـهُ « حسدهما » على سعادتهـما « فمال » الى استزلالهما الى الشر فبدأ « يعنف » المرأة على كونها لا تأ كل من ثمرة الشجرة التي صارت سبب سقوطها وسقوط زوجها

ولمّا وزنوا « طن » على وزن شَفعَل زادوا اليـاء للالحاق كما هو معروف في باب الالحاق فقالوا « شيطن » ومن مادة « ط ن » بقي في لغتنا قولنا : « اطنأ الرجل : مال . والطِنء : الميل بالهوى والريبة وشيء يُتخذ للصيد كالزُّبية (ويُتخذ ذلك من باب الغشّ والخديعة) والفجور . ومثلهُ في مادة « ط ن ي » و « ط ن و »

ولا تقل ان طنّ الارمي مضاعف وطنا او طنى ناقصٌ وشيطان اجوف او صحيح فهذا لا قوة لهُ في علم مشتقّات اللغات بل يُنظر الى مادة الاصلية الثنائية الحرف وهي « ط ن » والباقي يأتي من فضل الله الكريم

والّا فانّ بني ادم يُسمون الشيطان ܣܳܛܳܢܳܐ (ساطانا) ماخوذة من ܣܛܐ اي مكر وخدع و « وساطانا » عندهم ياتي بمعنى المضادّ ايضًا . وفي كل ذلك اشارة بيّنة الى مادة ܛܐ والى قول العرب بأن الطِنء الميل الى الهوى . اذ لا يخلو الشيطان من مضادّة الله في كل امر من اموره

١١ و١٢ إفعلّ وأفعالّ

انّ حضرة الباحث المستقصي الذي استشهدنا بكلامهِ الشائق مرارًا عديـدة لم يتعرّض لذكر اسباب نشوء سائر الاوزان المزيدة الثلاثية النـادرة او القليلة الاستعمال كافعلّ وافعالّ وافعَوعل ونحن نتصدى لها هُنا تمامًا للفائدة فنقول :

اما افعلّ فقد شدّدوا آخرهُ لانهم لمّا اعتبروا تشديـد قلب الكلمة اشارة الى تكرار اجلّ واهمّ ما فيها يعني مصدر حياتها وهو مبناها ومعناهـا اعتبروه في آخر الكلمة بمنزلة عارض يعرض لذلك المؤدّى بدون ان يُغيّر شيئًا من جوهره الاصلي على حدّ ما يجري في الجسم الحي فانك ان رأيت في قلب صاحبهِ خللًا كان الداء جللًا والّا فان حدث طارئ على الاطراف كان بمنزلة داء لا يُخاف . وعليهِ فالتشديـد في آخر افعلّ يدلُّ على حادث او عارض طرأ على بعض ما يتعلّق بصاحب الفعـل . فان زاد هذا العارض سرعة في الزوال زادوه حرفًا آخر سريع الانسلال وهو الالف وذلك قبل

هذا التشديد اشارة الى خفَّة هذا العارض الذي جُعل بجانب مدلوله ومن هذا قالوا افعالّ . وقد تنبَّه لذلك لغويو العرب من سابق الزمـان . قال في تاج العروس : « احمرّ الشيء احمرارًا: اذا لزم لونهُ فلم يتغيَّر من حال الى حال : واحمارّ احميرارًا : اذا كان عرضًا حادثًا لا يثبت كقولك : جعل يحمارّ مرَّةً ويصفارّ أُخرى. » اه المقصود من الاستشهاد بهِ

١٣ً إفعَألّ

هذا الوزن غريب على الاسماع وتنكرهُ الاطباع ومع ذلك فانهُ اكثر وجودًا من افعالّ الغير المهموز . اما نحاة العرب فاعتبروا ما جاء على هذا الوزن من باب افعللّ وهو على ما عندي وهمٌ فظيع وزلل شنيع

نعم ان الصرفيين والنحاة واللغويين لم يذكروا هـذا الوزن لكن هذا غير كافٍ لانكار وجودهِ . واذا تتبَّعتَ الالفاظ واستقريتها شيئًا بعد شيءٍ رأيت « اغلب » مـا جاء منها على وزن افعالّ يدلّ على لون او عيب او حلية (فنقول ذلك على الاغلبيَّـة والّا فقد جاء القَانّ النبتُ واملاسّ الشيء وغيرهما مما يدلّ على نوع من الحلية كما ترى) اما افعألّ المهموز فانهُ ورد بالمعنى الذي لم يرد فيـهِ الغير المهموز . على انك اذا تتبَّعت اقوال النحاة واللغويين في بعض تعليلاتهم شممتَ منها رائحة الضعف واستشففت من ورائها عدم اتفاق الآراء في هذا الصدد قال مثلًا في التاج في مادة اطمأَنّ ما هذا نصهُ :

« ذهب سيبويهِ الى ان اطمأن مقلوب وان اصلهُ من طَأمن. وخالفهُ ابو عمرو فرأى ضدَّ ذلك . — وقال الشهاب في شرح الشفاء: يُقال انهُ كاحمارّ ثم « هُمز » . وقيل: كانت الهمزة قبل الميم فقلبت» . وفي الروض للسُهيلي : وزن اطمأنّ « افللعّ » . لان اصل الميم ان تكون بعد الالف لانهُ من تطامن : اذا تطأطأ وانما قدموها لتباعد الهمزة التي هي عين الفعـل من همزة الوصل فيكون اخف لفظًا كما قلبوا اشياء في قول الخليل وسيبويهِ فرارًا من تقارب الهمزتين » اه كلام صاحب التاج

قلت : ان ما ذهب اليهِ الشهاب . صاحب شرح الشفاء . هو عين الصواب وبهِ الشفاءِ . لان جميع هـذه الافعال الواردة على وزن إفعألّ المهموز هي من اصل ثلاثي كما ان احمارّ هو من هذا الاصل بعينهِ . وطَمأَن مشتقّ من الطمن. وهذا وان

كان غير مستعمل في الكلام او غير وارد على اللسان اذ انـهُ لا ينبغي وجوده السابق وموتهُ بعد ذلك في الاستعمال . كيف لا وقد ذكرهُ اللغويون في دواوينهم وقد جاء بمعنى المطمئن من الارض يعني بمعنى المنخفض منها . لا بل وقد ذكر السيد المرتضى في نفس مادة طمأن قولهُ : « طمأن ظهرهُ : طامَنهُ اي حناهُ . وطامَنَهُ بغير همز لان الهمزة التي دخلت في « اطمأنَّ » حذاراً الجمع بين الساكنين . » اه . وهـذا كلام بيّن على ان اصلهُ ثلاثي بدون نزاع فضلاً عن ان اللغويين يذكرون اغلب ما جاء من هذا الباب في فصل الثـلاثي من ذلك مثلاً : اشمأزَّ واصمألَّ . ازبأرَّ واغضألَّ . اشرأبَّ واخضألَّ . اجزألَّ وابرألَّ الى غير ذلك

وممّا يزيدنا ثباتاً في هذا الراي ويثبتنا كل التثبُّت بحبالهِ المتينة مـا اوردهُ صاحب اللسان في مادة « ق س ن » . وكلامهُ كلهُ درٌّ محبوكٌ لا نحبُّ ان نسقط منهُ شيئاً . قال ابن منظور ولله درّه من قائل :

« القِسْيَنُ : الشيخ القديم . وكذلك البعير . وانشد :

وهو كمثل البازل القِسْيَنِّ

فاذا اشتقّوا منها فعلاً على مثل افعالَّ « همزوا » فقالوا : « اقسأنَّ » . (قال) ابن سيده : وقد اقسأنَّ . وقيل المُقْسَئِنّ : الذي قـد انتهى في سنهِ فليس بهِ ضعف كبر ولا قوّة شباب . وقيل : هو الذي في آخر شبابهِ واول كبره [حينما تقع اسنانهُ] وقد اقسأنَّ اقسئناناً : كبر وعسي . وقولهُ :

يا مسدَ الخوص تعوَّذ مني ان تكُ لدناً ليّناً فإني
ما شئتَ من أشمط مقسئنِّ

قال ابن سيده يكون على احد الوجهين الآخرين . واقسأنَّ الشيء : اشتدَّ . وفيهِ قسأنينة والقسأنينة من اقسأنَّ العود وغيره : اذا يبس وعَسِيَ واشتدَّ . [قـال] ابن الاعرابي : أقْسَنَ الرجلُ : اذا صلبت يدهُ على العمل والسَّقْي (كذا بقاف بعـد السين ولعلَّهُ من غلط الطبع والاصح : السَّعْي بالعين بمعنى الشغل) واقسأنَّ الليل : اشتدَّ ظلامهُ (٢ وانشد :

بتُّ لها يقظانَ واقسأنَّت

١) (قلت : ولعلَّهُ منحوت من قاف « وقع » وسين ونون « سنّ او أسنان » بمعنى الشيخ الذي « وقعت اسنانهُ »

٢) قلت : وان لم يكن منحوتاً من « وقعت او سقطت اسنانهُ » فهو اذاً من قسا الشيء : اذا صلُب وغلُظ واشتدَّ . يكون ذلك من العمل او من غيره . او لعلَّهُ من عسا أُبدلت عينـهُ من القاف وزيد في اخره النون وقد تزاد في مئات من الالفاظ . ومنهُ عسا الشيخ : كَبِرَ وولّى .

قال الازهريُّ : « هذه الهمزة اجتُلبت لئلّا يجتمع ساكنان . وكان في الاصـل : اقسانَّ يقسانُّ » اه كلام ابن منظور. وقال صاحب التاج موردًا عبارة اللسان بحرفها ناقلًا مادة « شمل » ومعناها : « اشمالَّ اشميلالًا : اذا صار ذا شَمَل . قال :

وبعد انتهاض الشَّيب في كل جانبٍ على لِمَّتي حتى اشمألَّ جيمُها

اراد اشمالَّ فحرَّك الالف لالتقاء الساكنين فانقلبت الهمزة لان الالف حرف ضعيف واسع المخرج لا يتحمل الحركة فاذا اضطرُّوا الى تحريكهِ حركوه باقرب الحروف اليه »

وبهذا كفاية لمن يريد ان يذعن للحق ويقرُّ بوجود هذا الوزن

اما معنى هذا الباب فهو كمعنى الباب السابق . ومن معاني هذا وذاك : الامتداد والطول والانتشار في المدلول عليهِ اذا لم يكن هناك لون او عيب او حلية . والمدلول بيّن مما يُرى في هذا الوزن من الطول

١٤ إفْعَوْعَلَ

ما هذا الوزن وهل لهُ وجود في سائر اللغات الاخوات ؟ — هذا من اوزان المزيد الثلاثي ولا وجود لهُ في سائر اللغات لا في الارمية ولا في العبريَّة ولا في النبطيـة او الصابئيَّـة ولا في السامريَّة ولا في الحبشية . ألّا انهُ يوجد في السامية الارميـة « إفْعَلْعَلَ » (١ وهو ليس الّا فَعَلَ مكررًا بآخر حرفيه يعني ان اصلهُ « فَعَلْفَعَلَ » بيد انهم اجتزأوا بحرفين منـهُ ثم ركبوا هذا المنحوت مع الاول فقالوا فَعَلْعَلَ (او إفْعَلْعل تخفيفًا للفظ) ثم زادهُ العرب خفة بان قلبوا اللام الاولى واوًا فقالوا فيه فَعَوْعل او افعوعل . ومن ثم فهو مضاعف على الحقيقة وخماسيٌّ سداسي يعني انهُ مضاعف لتكرار حروفهِ وخماسي لعدد حروفهِ الخمسة البينة وسداسي لان حروفهُ الاصلية ستة ومن الغريب ان هذا الوزن موجود في الاسماء مفقود في الافعال كما في غَطَمْطم وغشَمْشم وشمقمق الخ

ومن ثم فمعنى افعوعل زيادة في معنى فَعَلَ (٢ ولذا اذا قلت احدودب كانك تقول حدِب يعني ان حدبتهُ زادت بعد نشوئها . ومثلهُ اعشوشب واحقوقف الخ . وقـد

ومثلهُ عسِي . وعسا النبات : غلظ ويبس . والليل : اشتدت ظلمتهُ . (يعني ان جميع معاني اقسأن تُرى في عسا) وعست يده عسوًا : غلظت من العمل

١) يُقابلهُ بالعبريَّة هِتفَعْلَل (התפעלל) معنًى لا مبنًى . وكذلك هِتفَعْلَعَل

٢) معنى افعوعل كمعنى فعَّل الا ان ذاك الباب للدلالة على معنى اللزوم وهذه الدلالة على معنى التعدية وكلاهما للتكثير كما يتضح لك ذلك من ادنى تأمل

صرَّح بذلك العرب ايضاً . قال في لسان العرب في مادة « ح ل و » ما محصَّلهُ : قال الليث : قد احلولَيْت الشيء : اذا استحليتهُ . وهذا البناء للمبالغة في الامر

١٠ً فَعْلَلَ

وُضع هذا الوزن للافعال الرباعية التي لا تُرى فيها حروف الزيادة مرأًى بيّناً . او لا تُرى فيها البتة بل يُرى عوضاً عنها حروف زائدة هي حروف الهجاء كلها وكلها قد زيدت على اصول فَعَلَ فصارت رباعية فوقعت تلك الزيادة امَّا في صدرها واماً في قلبها واما في ذيلها ومن ثم كان يجب ان توضع لها عدَّة اوزان على ما في الموزون اشارة الى موقع الحرف المزيد فيهِ مثلاً كان يجب ان توضع مثــل هذه الاوزان : فَفْعَلَ . وفَعْفَلَ وفَنْفَعَ وفَنْلَفَ وفلفلَ وفلعفَ . وفلفعَ . وعَفْلَلَ وعَفْلَفَ . وفعللَ الى آخر ما هناك من الاوزان . الّا انهم اجتزأوا بوزن واحد هرباً من التطويل وإحداث الملل . فمثال فَنْفَعَ او فلفلَ ما جاء من المضاعف الرباعي كزلزلَ ودَمْدمَ وقلقل الخ . ومثال عفعلَ : دردبَ ودهدمَ ودهدعَ ودهدقَ ودحدرَ وهكذا الى آخر ما هناك من الامثلة . واما فعللَ فلا يجب ان تكون موزوناتهُ الّا مــا كان شبيهاً بجلببَ . وهنالك اوزان سمَّوها بالملحقات وعدُّوا جَلْبَبَ منها . وجعلوهُ في المقام الاول . والوزن الثاني : فَوْعلَ كحوقل . والثالث فَعْولَ كدهور . والرابع فَيْعلَ كبيطر . والخامس فَنْعلَ كجندلَ . ولو أنصفوا لجعلوا هذه الملحقات (وما هي بملحقات عندنا) اكثر مما عدَّدنا امثلتــهُ . لان وزن دَحْرَجَ على الحقيقة هو فَعْلَجَ يعني ان الجيم هي الزائدة والاصل فيهِ دَحَرَ . ووزن اقشعرَّ هو افقعلَّ (ولو كان منحوتاً من قفَّ شعرهُ او وقف شعرهُ) لان القاف هي في حكم المزيد هُنا

والذي آخذهُ في هذا الصدد على صرفيي العرب ونُحاتهم انهم اتخذوا فَعْلَلَ للرباعي حتى للافعال التي ليس فيها الحرفان الاخيران متجانسين كما في دحرج مثلاً . وكان يجب ان يتخذ لذلك وزن فَعْلَمَ بميم في الآخر او فَعْلَنَ بنون بدلاً من الميم لان هذين الحرفين يكثر دخولها في اواخر الالفاظ من افعال واسماء اكثر من سائر الحروف . وذلك فراراً من اعادة حرفين هما في الميزان وليسا بموجودين في الموزون . اللهمَّ الّا اذا كان الفعل على مثال جلبَبَ فحينئذٍ يُجعل هذا الميزان لهُ

امَّا معنى فَعْلَلَ فهو بمعنى فَعَلَ الّا ان زيادة الحرف تدلّ على زيادة في معنى الثلاثيّ

وهذا المعنى الزائد متَّخذ من معنى خاصية الحرف مثـلًا اذا زيدت الراء دلَّت على الحركة في الغالب . والفاء على الحياة . والشين على الانتشار . والحاء على الاتساع الى آخر ما هنالك من خصائص الحروف كما سنذكرهُ ان شاء الله تعالى

١٦ً سَفعَلَ وشَفعَلَ

في بحثنا عن وزن استفعل ذكرنا هذين الوزنين الغريبين وشرحنا اصل نشوئهما . هذا واغلب الافعـال التي وردت في الاصل على هذين الوزنين نُقلت الى استفعل او الى افعللً ولولا ذلك لكان هذان البابان كثيري الامثلة . اما مـا نقلهُ العرب الى افعالً وهو في الاصل شَفعل فمنها اشمخرَّ الشيء: طال . وكذلك شَمخر بمعنى تكبَّر . فكلاهما من مخر بمعنى شقَّ . فالذي يطول (في الباب الاول) يشقُّ ما يقوم بوجهـهِ او يقف بهِ لانـهُ اذا امتدَّ لا بد من ان يفعل كذلك . وكذلك المتكبِّر في الوزن الثاني

ومما جاء اصلهُ على وزن سفعل بالسين ثمَّ نُقل الى افعللً (والاصحُّ ان يقـال اسفعلَّ كما يجب ان يقال في الاول اشفعلَّ) : ١ً اسمغدَّ الرجل : امتلأ غضباً . واسمغدَّت اصابعهُ : تورَّمت . وهو من مغَدَ اي سمن وامتلأ . وقـد صُحّف بالعين المهملة فقالوا بمعناه : ٢ً اسمعدَّ . وقد صُحّف بصورة ثانيـة وهي ٣ً اشمعطَّ والمعنى واحد . ٤ً وقالوا : اسمعطَّ العَجاج : سطع . واسمعطَّ هي نفس كلمة سطع مقلوبة وقد زيد فيها الميم ٥ً اسمعلَّ ٦ً واشمعلَّ وكلاهما بمعنى اشرف وجدَّ بالمشي وكلاهما ايضاً من معلَ بمعنى اسرع في سيرهِ والمعنى واحد . ٧ً اسلغبَّ الطائر : شوَّك ريشهُ قبل ان يسودَّ . وهو ماخوذ من اللَّغب وهو الريش الفـاسد .

٨ً اسلحبَّ الطريقُ : كان بيِّنًا ممتدًّا من لَحَبَ الطريق بمعنى وَضَح ممتدًّا

هذه الاوزان ومشتقاتها وُفّقنا الى كشفها بمنّهِ تعالى بدون ان نعثر عليها في كتاب جرجي افندي زيدان ولا في كتاب آخر اذ لم يتعرَّض لهـا احد من العلماء الاقدمين والمحدثين لا من الاعراب ولا من الاغراب

١٧ نَفعَلَ

في وزن فَعلَلَ بيَّنَّا ان للرباعي اوزانًا عديدة في الحقيقـة الَّا انهم اجترأوا بواحد

هرباً من الكثرة. واخذنا على النحاة شيئاً واحدًا وهو انهم جعلوا في فعلَلَ حرفين متشابهين في الاخر وقبل الآخر وكان الاوفق ان يقال « فَعلمَ » او « فعلنَ » جرياً على ما ورد من الالفاظ المختتمة باحد هذين الحرفين. واما نَفْعَلَ فغير موجود في لغتنا كما هو في العبرَّية بصورة « نِفعَلَ » و يفيد اللزوم او المطاوعة او ما كان من هذين المعنيين. واما في العربية فان الناطقين بالضاد توسعوا في معناه فجاء في لسانهم لازماً ومتعدياً (١ ولا بـدّ من شواهد تمكيناً لصدق ما نزعمهُ ونذهب اليهِ. من ذلك : ١ً نَبْذَرَ اي بذَّر. ٢ً نَخْرَبَ القادح الشجرة مثل خَرَبها اي ثقبها. ٣ً نَعْثَلَ الشيء: جمعهُ من عَثَلَ الشيء: اذا كان كثيرًا وغليظاً ضخماً. ٤ً نَعظَلَ فلان: حاكَ في مشيهِ يمنـةً ويسرةً من عظَلَ. والمعنى ظاهر يُطلب من كتب اللغة. ٥ً نَقْثَلَ الشيخ: مشى يثير التراب في مشيهِ ماخوذ من العثر بقلب القاف عيناً والراء لاماً وكلاهما من لغات العرب او اثغاتهم. ٦ً نَهْبَل الرجل اسنَّ وهو من الهِبل وهو الضخم المسنّ من

---

١) خامر فكر العرب وجود وزن نفعل عندهم الَّا انهم في الآخر جزموا بعدم وجوده في العربيَّة. قال في التاج في مادة « ش و ر » وهو المثال الوحيد الذي نقلهُ اللغويون تعرُّضاً لهذا الوزن : « المِشْوار : ما ابقت الدابة من علفها . وقد نَشْوَرت نِشْوَارًا . لانَّ نَفْعَلْتُ بناء لا يعرف الَّا ان يكون فَعْوَلْتُ فيكون من غير هـذا الباب. قال الخليل: سألت ابا الدُقيش عنهُ قلت : نِشوار او مِشوار ?— فقال : نشوار. وزعم انهُ فارسيٌّ ». قال الصاغانيُّ : « هو معرَّب نَشْخوار بزيادة الخاء . » اه المقصود من ايراده . وهو نفس كلام صاحب اللسان مـا عدا العبارة : قال الصاغانيُّ . . . والاصح ان الكلمة فارسية وقد تصرَّف بها العرب وعليهِ فنشورَت الدابة هنا فَعْلَلَتْ لا نَفْعَلَتْ ولا فعوَلت. لانك اذا قلت : نفعلت تكون النون زائدة والحال انها اصلية. ولهذا حُكم عليها انَّها من فَعْلَلَتْ. الَّا ان مصحّح طبع لسان العرب كتب على هامش مادة «ش و ر» ما هذا نصهُ: « قولهُ لأَن نفعلت. . . الخ. هكذا بالاصل. ولعلهُ الَّا ان نفعلت. . . » ثم اعلم انَّ نرجس ذكرهُ صاحب القاموس في (رجس) وعيَّن الجوهري زيادة نونهِ. فعلى هذا نرجس زيدٌ الشيء: اذا جعل فيهِ النرجس من باب نَفْعَل لا فعلل فيكون بناء معروفاً . » اه مصححهُ . — قلنا : ان نون نرجس اصلية وهي كلمة معربـة عن الفارسية « نرگس » وذِكر صاحب القاموس لهذه الكلمة وهمٌ من اوهامهِ الكثيرة . وكذلك وهم الجوهريِ في تعيينهِ زيادة نونهِ لان اللغويين قد صرَّحوا غير مرة في دواوينهم ان حروف الكلم الاعجميَّة او المعربة كلها اصلية لا زيادة فيها (راجع التاج في منجنيق مثلًا) وعليـهِ فالاعتماد على كلمتي نشور ونرجس لا يكفي للاستدلال على وجود نفعل الَّا ان تؤخذ الفاظ عربية محضة كما فعلنا حتى يتخذ منها قياس او تُستَّل منها نتيجة مقنعة

الناس . ٧ً نَهْتَرَ الرجل : تحدَّث بالكذب ماخوذ من الهَتر ومنهُ المُهْتَر للمولع بالقول في الشيء. ٨ً نَهْرَجَ المرأة : هرَجها. ٩ً نَهْشَل الرجلُ : كبر وهو من الهش يعني سرعة الانكسار بزيادة اللام في الآخر ١٠ً تَوْدَلَ الرجل : اضطرب كبرًا وهو من ودَلَ السقاء : خضَّهُ ومخضهُ

وهناك غير هذه الافعال وقد ذكرنا ما حضرَنا تأييدًا لهذا الراي ومن اراد الزيادة فليبحث عنها في كتب اللغة

١٨ً تَفَعْلَلَ

سبب وجود التاء في تفعلل كوجودها في تفعَّل وتفاعل وافتعل فلتّراجع وهنا هي لمطاوعة فَعْلَلَ

١٩ً إفْعَلَلَّ

هذا الوزن في الرباعي ومعناهُ كوزن افعلّ في الثلاثي وكثرة الحروف تزيد المعنى قوةً وتفنُّنًا . اما الهمزة فهي مجتلبة لفائدة وهي عدم الابتداء بالساكن ولذا تراها موصولة بخلاف همزة أَكْرَمَ فانها مقطوعة . ثم ان همزة ما فوق الرباعي تُحذف في المضارع بدون ان تُبقي اثرًا بعدها لانها اجتُلبت لحاجة فلمَّا تمت الحاجة أُلقيت وطُرحت طرح ما لا ينفع ولا يفيد . بخلاف همزة الرباعي فانها عند حذفها في المضارع تبقي حركة بعدها للدلالة على مكانها الاصلي وهو مما يجب ان ينتبه لهُ

٢٠ً إفْعَنْلَلَ

هذا الوزن في الرباعي كانفعَلَ في الثلاثي من جهة الهمزة والنون يعني انهُ يدل على نوع من المطاوعة والنون تدل على النفس وحينئذٍ يكون المعنى ان فَاعِلَ الفعل ينقاد الى ما يُفعل فيهِ من الفعل والعمل او ما يقع عليهِ منهُ ولذا لا يخلو هذا الوزن من معنى اللزوم ابدًا (١

فمثال المطاوعة: حَرْجَمتِ الابل فاحرنجمت ومثال اللزوم: اقعنسسَ الرجل. ابرنشقَ الشجر. اثعنجر المطر

١) هذا الوزن في العربية يقابلهُ في الارمية إفعلمل . ومن هذا ترى ان هذا الباب في الارمية يقابل بابين في العربية افموعل وافعنلل وهو مما يمكن ان يتحققهُ كل باحث من استقراء الالفاظ في اللغتين الاختين . ولسنا اول من نبَّه على هذا الامر فقد سبقنا اليهِ جماعة من علماء الاعراب والاغراب . ولهذا وجب التنويه اعطاء لكل حقَّهُ

٢١ إفعَوَّلَ

من العجب ان النحاة والصرفيين قد وضعوا وزنًا لأفعال تُعدُّ على الاصابع ولم يضعوا اوزانًا لما جاء على ابواب سفعَل وشفعل وافعألّ . اما هذا الوزن فما هو الّا من قبل الملحق المشدَّد ما قبل الآخر ولذا يأتي لازمًا ومتعديًا فمثال اللازم : اجلوَّذَ ومثال المتعدي: اعلوَّطَ ومن ثم فليس لهذا التشديد معنى خصوصي بل هو راجع الى معنى المزيدات مزيدات الملحقات لا غير ولهذا السبب عينهِ ليس لهذه الافعال معنى لمجرّدها بل ان معناها محصور في صورتها هذه . فهي اذن ولا شك في ذلك من الادلّة الواضحة على مُلحقيَّتها ليس الّا . اللهمَّ الّا ان يكون مقصورًا من افعوعل وهو غير بعيد ايضًا فتكون الشدَّة عوضًا عن المحذوف

٢٢ إفعَنلَى

هذا الوزن مطاوع فَعلى يقول سلقاهُ فاسلَنقى وهذا وحده يكفيك لان ينبئك ان هذه النون هنا هي كنون انفعل وافعنلل

٢٣ إفتَعلَى

هذا الوزن كالسابق الّا ان النون قد ابدلت في ذاك من التاء في هذا ولا فرق في المعنى فهي بمعنى تاء افتعل وهذان الوزنان الاخيران خاصّان بالملحقات ومع ذلك فانهما قليلا الورود . وكلاهما للمطاوعة واما افعَوَّل فلا يرد للمطاوعة ابدًا بل يُعتبر دائمًا من قبيل الملحق المزيد وان لم يصرّح بهِ احد من النحاة او اللغويين

اوزان غريبة تجافى عنها العرب

للارميين وزنان في مزيد الرباعي غير موجودين في العربية بحروفهما وهما إفْعَلْعَلَ وافتَعَلْعَلَ . الا ان الاول منهما نقلهُ العرب الى افعوعل كما سبق الكلام عليهِ في محلّهِ او الى افعَنلل وفعلوا ذلك طلبًا للخفة في اللفظ . واما مطاوع هذا الوزن وهو افتَعَلْعَلَ فلا اثر لهُ البتة وقد تحاشوا عنهُ لثقلهِ . هذا ما اردنا تبيانهُ لافادة المشتغلين بالابحاث العربية النحويَّة واللغويَّة مجاراةً لاهل هذا العصر اهل التحقيق والتدقيق والاستقراء والتتبُّع غير مكتفين بما سمعنا وتعلمنا وتلقينا وتلقنَّا . فان اصبنا عاد الفتح والفضل لله وان اخطأنا فليس من العجب ان يُسيء العبدُ فَهم مولاه

معادن الرند الذهبية

والتعدين في الترنسفال وافريقية الجنوبية (تابع لما سبق)

بقلم اسكندر افندي طحيني احد طلبة السنة الثالثة في المكتب الهندسي في جوهنسبورغ

فخرجنا من قفصنا واذا نحن في سرداب او قلْ مغارةً تقطر المياه من كل جهاتها وتسيل على مشمَّعاتنا جاريةً من الدعائم المنصوبة في وسط الاسراب لتقيها من الهبوط ولما اردنا ان نسأل الدليل عن قياس العمق الذي بلغنا اليهِ بقي صوتنا في الحنجرة كأنَّا أُصبنا بصمم وبعد الجهد الجهيد امكننا ان نُسمع صوتنا من يجاورنا فاجابنا أنَّنا بلغنا عمق ٢٠٠٠ قدم وما لبثنا قليلًا حتى خفَّ الهواء على اذاننا فعاد سمعنا كما كان فاخذنا نسير في ذلك السرداب وارجلنا تغوص في اوحالهِ ثمَّ ملنا الى الشمال حيث وجدنا مضخَّة تقذف بالمياه المتجمعة في تلك المصانع فتُصعدها بقوة الكهرباء الى علو الفي قدم اعني حتى سطح الارض حيث يتخذونها لشؤونهم

ثم استأنفنا المسير في نفق هناك فُرشت على حضيضهِ قضبان الحديد لسير العجلات الصغيرة التي تنقل التراب والحجارة وكان النور الكهربائي ينيرنا حتى بلغنا مكانًا مظلمًا فلم نرَ بدًّا من ايقاد شموعنا وصرنا نجري الواحد خلف الآخر تارة ندوس الاوحال وتارة نمشي في الماء السائل او المتجمع في الحُفر حتى بلغنا منفذًا هناك فهبَّت علينا ريح باردة اطفأَت شموعنا فاوقدناها مرةً ومرتين حتى اشار الينا الدليل بان نضع الشمعة قريبًا من رأسها بين الاصابع فنقيها من الهواء بقبضة الكف

ولم نزل سائرين حتى شعرنا بحرارة قويَّة ورأينا امامنا فاعلًا صينيًا يحتل امامهُ عجلةً فيها التربة المستخرجة من تلك القعور فيدفعها وهو يلهث كالثور . ثم سمعنا صوت ضربات متوالية فاقتربنا واذا بها آلة للحفر منصوبة هناك مع دعائمها المتينة واجهزتها المختلفة وحولها الفعلة الصينيون بايديهم المعاول والمخول لنكش التربة وكسر الحجارة ونقلها

ولما جاوزنا تلك الآلة سمعنا ضربات اخرى كانها المدافع في طلقاتها . فلمَّا اقتربنا اليها علمنا انها آلة نسافة تجري بالهواء المضغوط والهواء يأتيها من قساطل ممتدة من

سطح الارض تدفعهُ آلات قويَّة الى باطن الارض و بقوتـهِ تنفجر الصخور الممتزجة بالذهب وتتكسر وذلك بسرعة غريبة تزيد على تواتر اللغوم العاديَّة عشر دفعات

ثم قفلنا راجعين على الاعقاب مسرورين لخروجنا من هذا المضيق المخيف وبعد العطفات والتعريجات ادَّى بنا السير الى منحدر شبه المزلق ذي سطح واطئ فوجب علينا ان ننطرح على الارض ونهبط منها زحفاً بينما كانت قطع الحجارة والتراب تتزحزح من تحت ارجلنا فوصلنا الى فسحة متسعة حيث كان الصينيون يجرفون الحجارة المنسوفة و يعبُّونها في العجلات لتُنقل الى سطح الارض

ثم اجتزنا بعامل من البيض يأمر على عشرة من الزنوج وهم يشتغلون بتهيئة اللغوم فوقفنا هنيهة لننظر ما يعملون فلمَّا انتهوا من إعداد عدد وافر منهـا أوصلوها بالالة الضاغطة للهواء السابق ذكرها ثم ابتعدوا الى مسافة كافية وتنحينا نحن ايضاً من جهتنا فاخرج حينئذٍ العامل الابيض من وعاء هناك شيئاً من الديناميت وجعلهُ في الالغام ثم اوقد الفتيل فما مرَّ على ايقاده الَّا القليل حتى طرق آذاننا دويٌّ هائل ارتجَّت لهُ الارض وانطفأت بحركتهِ شموعنا وسقطت قبعة احدنا متطايرة . ولم نُنق من رعبتنا هـذه حتى سمعنا دويًا ثانيًا وثالثًا الى عدد معلوم كان العامل يُعلن بهِ بصوت جهور ليتحقق ان كل اللغوم قد انفجرت ولا يسمح لاحد بالتقرب ريثما يتمُّ عددها لانَّ في انفجارها خطرًا مبيناً على العملة فيُقتلون لا محالة اذا ما قربوا منها عند نسفها

ثم تابعنا المسير حتى عُدنا الى الفوهة التي انحدرنا منها واذا بالقفص ينتظرنا فتسلقناه صاعدين الى سطح الارض شاكرين الله على سلامتنا . وقد وجدنا نفسنا عند الخروج في حالة تُضحك الثكلى فكان التعب قد اضنك قوانا والعرق يتصبَّب من جبيننا والمياه تسيل على مشمعاتنا وارجلنا متلطخة بالوحول . فاسرعنا الى غسل ايدينـا ووجوهنا فرحين لما لقينا في تلك الزيارة من آثار الاعمال البشريَّة التي تحيّر العقول

و بينما نحن واقفون عند فوهة المعادن اذا بصناديق حديـديَّة صعدت من اعماق الارض وهي مملوءة بالتربة والحجارة الذهبيَّة فتناولتها الالة المنصوبة وافرغتها في ميزاب مركَّب على الصقالة فتحدَّرت من الميزاب الى عجلات صغيرة تحرّكها قلوس طويلة من الفولاذ حتى تبلغ الآلة المحطِّمة للحجارة الذهبية . اما التربة الناعمة فتجري بها عجلات أُخرى الى معاهد خاصة بها

فدخلنا الى قاعة تحطيم الحجارة فوجدناها كبيرة واسعة فيها قسم يفرزون فيهِ الحجارة البسيطة عن الحجارة الذهبيَّة يدعونهُ قاعة التفريق (Sorting House) وذلك ان المعدّنين اذا كسروا الحجارة في بطن المعادن لا يستطيعون لضيق المكان وقلة الوسائط التمييز بين الحجارة العاديَّة والحجارة العسجديَّة . فاذا نُقلت الى هذه القاعة وهي ملطخة بالاوحال والاوساخ جعلوها في صندوق حديد كثير الثقوب فتُغسل غسلاً محكماً وتظهر اذ ذاك على حقيقة عنصرها ويلقون الحجارة البسيطة عن جانب اما حجارة الذهب فيعرفونها من غيرها بما تحتويه من شبهِ الكُرى المحببة يضرب بعضها الى السواد و بعضها الى البياض وقسم منها الى الاحمرار يُحدق بها بُقَع سوداء . واذا غُسلت الحجارة أجازوها على شقق طويلة من الجلد تدور بين صفوف من الصينيين وهم ينقُّونها فيلقون ما لا فائدة منهُ بين ارجلهم حيث توجد مآزيب واسعة من حديد تنقل بها الى عجلات في الخارج وتُطرح في امكنة معدَّة لها . امَّا الحجارة الذهبيَّة فانَّها تدور مع شققها حتى تبلغ الى احدى المطاحن فتُكسر قطعاً صغيرة لا يتجاوز كبرها حجم الجوزة ثم تنقلها شقق اخرى من الجلد الى محل ثانٍ فيهِ المطارق والبطاريَّات فالبطاريَّات تولّد الكهربائية وتحرّك المطارق التي تسحق الذهب بضرباتها المتوالية . وهو لعمري منظر مهيب اذ ترى تلك المطارق الضخمة تهبط من علُ فترجُّ الارض بطرقاتها وتهتزّ الجدران بزلزالها وترقص النوافذ بعجيجها . وتحت المطارق مصاطب مستطيلة الشكل يجري فوقها جدول من المياه العكرة المغبرَّة اللون

ثم صعدنا على صقالة تُشرف على تلك المصاطب فنظرنا هناك آلات افقيَّة تديرها البطاريَّات وكل آلة منها تحرّك عشر مطارق فتحدث ذلك الضجيج الهائل . ثم انحدرنا ففحصنا الاجران الفولاذيَّة التي فيها تُطحن الحجارة فتنعَّم ثم تجوز منها في منخل رفيع ممزوجة بالماء وتسيل على المصاطب كما ذكرنا . وتلك المصاطب ممسوحة بالزئبق فيختلط الذهب بالزئبق فيحمى المزيج على النار و يفصل الزئبق من الذهب بالتقطير فيبقى الذهب وحده وهو حينئذٍ في انقى اطوارهِ

وكان سابقاً قسم من التربة المخلوطة بالذهب لا يمتزج بالزئبق فتقذفهُ المياه خارجاً فلا يكترثون لهُ . اما اليوم فقد وجدوا طريقة لاستخراج ما يبقى في هذه التربة من شذرات الذهب بأن يجرُّوا ذلك المحلول بالقساطل والدواليب الى براميل واسعة فتخلط

بسيانيد البوطاسيوم وتبقى من خمسة الى ستة ايام حتى ينحل الذهب جيدًا في السيانيد ثم يفتحون في اسفل البرميل مجرى يسيل منهُ الذهب المحلول بالسيانيد الى اجوان خشبيَّة ويُمزج بمحلول التوتيا فيرسب الذهب في القعر على شبه حمأة سوداء يحمونها في قطع صغيرة من الخزف ويستخرجون منها الذهب ويلقون ما يبقى في البراميل والاجوان على التلال المتكومة خارجًا

وبعد ان استقصينا احوال الذهب في كل اطوار تعدينهِ واستخراجهِ ذهبنا الى معمل الحدَّادين الذي موقعهُ قرب الفوهة التي نزلنا منها في اعماق الارض فوجدنا هنالك العملة يشتغلون بكل اعمال الحدادة لاصطناع آلات التعدين واصلاحها . وبجوارهم قاعة للنجَّارين يهتمون بكل الادوات الخشبيَّة . ثم زرنا قاعة المراجل حيث الآلات العظيمة البهيَّة على الاطراز المستحدثة منها الآلات التي تديرها البطاريَّة لطحن الذهب والآلات الضاغطة للهواء . ورأينا الغرفة التي فيها الآلة البخارية التي تستخرج الاثقال من قعر الارض بواسطة القلوس الفولاذيَّة وكان العامل الموكل بها قائمًا على منضدة عالية وفي يده المفاتيح لتدويرها فاذا سمع دقة الجرس الكهربائي ادارها كما شاء

ثم خرجنا ونحن نقضي العجب ممَّا رأينا من عظمة الاعمال البشريَّة وقفلنا راجعين الى منزلنا . فرأينا على طريقنا بيت وكيل المعدن وهو اشبه بقصر لا ينقصهُ شيء من رفاه المعاش وتحدق بهِ جنة فيحاء جامعة لاصناف الشجر والنبات . ولقينا في مسيرنا دارًا فسيحة الارجاء يسكنها المعدِّنون الصينيون وهي تتألف من غرف عديدة كلها على هندام واحد انيقة الشكل في منتهى النظافة . وكان الصينيون جالسين على المائدة لمَّا اجتزنا فيسمع عن بُعد ضجيجهم وصوت لغطهم وضحكهم والخفر يدورون حولهم . فابتعدنا ونحن نردد عبارات التعجب من كل ما سمعنا ورأينا في تلك الزيارة وندعو للاوطان بشيء من هذا العمران

معادن الذهب في الرند الغربي

هي المناجم الواقعة غربي جوهنسبورغ وتربتها تشبه الشبه التام المناجم التي مرَّ لنا وصفها وبعض علماء الطبقات الارضية يزعمون انها متصلة بها الَّا ان الادلَّة حتى الآن لم تثبت هذا الظنَّ . وهذه المعادن تعرف بمعادن كلاركسدورب (Klerksdorp)

و پوتشفستروم (Potchefstroom) . ومما تمتاز بهِ هذه المعادن ان تربتها الذهبيـة متقطعة كثيرة الاعوجاج ذات عطفات علّلتها طوارئ الزلازل وانفجارات البراكين . والعروق التي فيها الذهب تمتد الى ما تحت نهر الڤال حتى بلاد اورنجة

وكان اكتشاف هذه المناجم سنة ١٨٨٧ فاخذوا في تعدينها وكان الحاصل منهـا سنة ١٨٩٠ ١٠,٣٥٨ اوقية من الذهب ثمَّ زاد محصولها فبلغ سنة ١٨٩٤ ٨٤,٧٨١ اوقية وبعد انتهاء الحرب تألفت اربع شركات لتعدينهـا فكان محصولها سنة ١٩٠٥ ١٤,١٤٦ اوقية

وقرب نهر الڤال في الجنوب الشرقي من مقاطعة پوتشفستروم مناجم ذهبيَّـة دلَّ الاختبار ان ذهبها دون ذهب الرند حسنًا . لكن هناك عرقًا غنيًّا بالمعدن يُدعى اودين (Odin Reef) يُستخرج من كل طنّ من تربتهِ اوقيتان من الذهب

معادن مقاطعة دي كاب

في مقاطعة دي كاب (The De Kaap District) معادن ذهبيَّة تبلغ مساحتها ثمانمائة ميل مربع . واغناها واشهرها معدن شبا (Sheba) الواقع قرب « باربرتون » كان محصول هذا المعدن سنة ١٩٠٣ ٢٥,٨٥٦ اوقيَّة من الذهب استخرجوهـا من ٩٧,٥٣٢ طنًّا من التربة فيساوي معدَّل الطن ٢٥ شلينًا ونصف وفي السنة ١٩٠٥ بلغ المحصول ٢٦,١٢٦ اوقية

وكان هناك قبل الحرب احد عشر منجمًا بلغ سنة ١٨٩٨ مجموع ذهبها ٨٩,٧٦٠ اوقية ثم استأنفوا تعدين تلك المناجم بعد الحرب فعدنوا منها سنة ١٩٠٣ اربعة استخرجوا منها ٩,٩٣٣ اوقية ذهب ثم صارت المناجم خمسة واتَّسعت اعمالهـا حتى بلغ محصول الذهب منها سنة ١٩٠٤ ٣٣,٨٨٧ اوقية وفي السنة التالية ٤٣,١٣٩

على ان بين معادن الرند ومعادن هذه العاملة فرقًا فان معادن دي كاب موجودة في ضمن الجبال ولا يستوجب فتح فوهاتها عناء كبيرًا لان الانفـاق تُفتح في سفح الجبل على خطّ افقيّ دون عناء كبير واماَّ الرند فانَّ معادنهُ تحفر الى اغوار بعيدة يبلغ عمقها احيانًا ثمانيـة آلاف قدم

وكذلك بينهما فرق آخر وهو انَّ الذهب في مقاطعة دي كاب شديد الصلابـة وعروقهُ ضيقة جدًّا الَّا معدن شبا السابق ذكره

معادن سوازي لند

بعض هذه المعادن واقع على حدود بلاد سوازي لنـد (Swaziland) كمعدن شتينسدرب (Steinsdorp Gold Fields) الواقع قريباً من باربرتون ومقالعهُ الذهبيَّـة وافرة لكنَّ اجناسهُ غير مرضيّة ولذلك لم تتألّف شركات لتعدينهِ مع ان الحكومة اباحت ذلك في السنة ١٩٠٤

وبعضها واقع في داخل سوازي لند فقد فحصوا منها ما كان موقعهُ عند الشمال غربي هذه المقاطعة . وقد اجمع الخبيرون بالطبقات الجيولوجيَّة ان ذهبها وافر جيد وكان محصول هذه المناجم سنة ١٨٩٦ ١,٢٨٨ اوقية ثم بلغ بعد سنتين ٨,٢٥٦ اوقيـة ولم يُستأنف فتح هذه المناجم بعد الحرب الَّا سنة ١٩٠٤ والهمة مبذولة في توسيع اشغالها لوفرة ذهبها

وهناك ايضاً معادن للفحم الحجري سوف يباشرون باستثمارها اذا مـا بلغت الى جهتها السكة الحديديَّة

الذهب في بلاد ناتال

مناجم الناتال معروفة شهيرة منــذ قديم الزمان لكنَّ ملوك الزنوج الذين كانوا يحكمون فيهـا وقفوا في وجه طالبي الذهب كحائط منيع فلم يمكنوا احداً من استخراجهِ . فلمَّا انضمَّت بلاد زولولند الى الترنسفال سنة ١٨٨٦ توارد المعدّنون الى تلك الجهات وباشروا في الاشغال لكنَّ محصول الذهب من السنة ١٨٩٢ الى ١٩٠٤ لم يتجاوز ٣٨٣٠ اوقية لأسباب . وقد وجدوا الذهب في جهات عديدة من بلاد ناتال على انَّ كميتهُ القليلة حالت دون ملازمة تعدينهِ

وقد فتحوا ايضاً سنة ١٩٠٤ معدن ملماني (The Malmani Gold Fields) لعرقين ذهبيين وُجدا فيهِ وحتى الان لم يأت الشغل بالاثمار المأمولة

معادن ليدنبرك

معادن ليدنبرك (Lydenburg) مشهورة وانما هي معادن نهريَّة والذهب فيهـا مختلط بعروق دقيقة من الكوارتز والتعدين هناك قائم على قدم وساق وفيها ما يناهز ١٥٠ مطحنة للذهب . وقد كان محصولها سنة ١٨٩١ ٣٢,٩٠٧ اواق من الذهب

فبلغ بعد نموّ الشغل المتواصل ٧٨,٧٣٧ اوقية في السنة ١٩٠٥ . وهناك وجدوا قطعة عجيبة من الذهب النهري بلغ ثقلها ٢١٥ اوقيَّة . وعمَّا قريب سيمرّ قريباً من تلك المعادن خطَّان حديديَّان احدهمـا من كوماتي پورت الى ليدسدورب والآخر من ماشودودرب الى ليدنبرغ وبهما سوف تترقى اعمال هذه المعادن ويزيد الاقبال عليها

معادن مقاطعة واطربرغ والاقاليم السفلى

معادن واطربرغ (Waterberg) متوسطة بين معادن الرند ونهر ليمپوپو اكتُشفت سنة ١٨٨٤ وبوشر بتعدينها سنة ١٨٩٢ ونجحت باعمالها لكننا لم يمكنَّا ان نحصل على لائحة تفيدنا عن محصولاتها السنويَّة

اما البلاد السفلى (Low Country) فمعادنها واقعة في جبـال مارشيسون (Marchison) القريبة من جبال دراكنسبرغ (Drakensberg) فيها صخور من الكوارتز مختلطة بالذهب اشهرها معدن كلين ليتابا (Klein Litaba) شمالًا ثم معدن سلاطي (Selati) جنوباً ثم وودبش (Woodbush) غرباً . وكان محصول معدن كلين ليتابا سنة ١٨٩١ ٧,٩٢٦ اوقيَّة وكادت هذه الكميَّة تتضاعف السنة التاليـة فبلغت ١٤,٦٩٢ اوقيَّة ثم خمدت حركة التعدين إِذ حدث هنـاك من المناوشات والخصومات بين البيض والزنوج ثم استانفوا العمل بعد ذلك وهي اليوم جاريةٌ ببطءٍ لتراحم الجمعيَّات ولصعوبة المواصلات لكنهُ عن قريب تنجز سكة حديديَّة توصل هذه المعادن بمعادن مورسدورب فتتحسن احوالها . وهناك معادن اخرى غنيَّة بالفضة والنحاس والحديد والرصاص والزنجفر سوف يتولَّى المعدّنون حفرهـا . وفي تلك الجهة واقع اوَّل معدن ذهب عدّنهُ ارباب المال في الترنسقال فحطَّم البوير آلاتهِ سنة ١٨٨١ وبقي مهملًا الى السنة ١٩٠٤ حيث استوءنفت فيهِ الاشغال بعد وجود بعض قطع من الذهب النهري في جهاتهِ

معادن تاتي الذهبيَّة

امتداد معادن تاتي (Tati) على مساحة ٣٥٠٠ ميـل مربَّع من انحاء پالابي (Palabye) الى ضواحي بولاوايو (Bulawayo) وهي تابعـة لمستعمرة بشوانلند (Buchwanaland) الانكليزيَّة . قد اكتشف هـذه المعادن الرحَّالة كارل موخ سنة ١٨٦٢ بيد انَّ الاحوال لم تسمح باستثمارهـا الَّا قليلًا حتى السنة ١٩٠٠ فأنشئ

حينئذٍ معدن دعوهُ « برميه تاتي مونارك » (premier Tati Monarch) فكان خالص ربحهِ بعد سنة واحدة ١٠,٤٩٠ ليرة انكليزيَّة . وقد أُنشئت معــادن اخرى استلفتت اليها الانظــار كمعدن دورهام بروسبكت (Durham prospect) وونفرد ديڤيلوپمان (Winifred Develop^nt)

معادن بلاد روديسيا

هي المناجم الذهبيَّة التي كتب عنها كارل موخ سنة ١٨٦٢ ما تعريبهُ : « هذه حقيقةً مروج ذهبيَّة تاخذ بسعة رمالها ووفرة ذهبها كل ماخذ من ناظرها وقد وقفتُ امامها مبهوتاً متحيرًا بل مفتونًا مسحورًا وقد قدَّرتُ انَّهُ يمكن لأُلوف من الرجال ان يشتغلوا بتعدينها دون ان يزاحم بعضهم بعضاً » وقد جاء مثل هذه الاقوال لغيره من الكتبة وعليهِ لم تلبث الجمعيَّات ان انعقدت لتحقيق تلك الآمال وتواردت العمَّال لتتميم تلك النبوءات والتكهُّنات

وممَّا أيَّد آمال المكتشفين ما وجدوهُ في تلك الانحاء من آثار التعدين القديم كما قلنا في فاتحة مقالتنا فانَّك ترى حيثما سرت حفريَّات واسعة تنبئ بأشغال القرون الغابرة كمعدن ميتوپوتا (Metopota) في بلاد الماشونالند الغربيَّة فهناك جبل ترى على قمتهِ فوهةً واسعة احتفرها المعدّنون يبلغ عمقها مائتي قدم وسعة الحفريَّات ينيف على مائتي يرد (والبرد ٩١ سنتمترًا) . وقد حسب احد العلماء ان التربة المستخرجة منهُ تبلغ ٧٨٥,٤٠٠ يَرْد مربَّع فيكون ثقل التربة الذهبيَّة المستخرجة مليون طنّ ونصف طنّ

وليست هذه المناجم القديمة غاية في العمق لان معدّنيها كانوا اذا بلغوا المــاء في الحفر كفُّوا عن الشغل وربَّما تظهر المياه على عمق ٤٠ الى مئة يرد . وقد تحقَّقوا ايضاً ان الامكنة التي عدَّنها القدماء كانت غنيَّة بذهبها الى عمق ٥٠٠ قدم بنيِّف . وقد وُجدت في روديسيا عروق ذهبيَّة كثيرة لكنَّها ليست كمعادن الرند منتظمة الطبقات . واماَّ الذهب النهري فكثير جدًا لكنَّهُ ليس من الصنف الجيد . وما يبيّن غنى بلاد روديسيا بالذهب انَّ محصول ذهبها السنوي لو قُسم على سكَّانها البيض لنال كل واحد منهم كميَّة اوفر من غيرها . فانَّ مبلغ الذهب في السنة ١٩٠٤ مثلًا كان لو قُسم بين كل ساكن لاصاب الفرد منهم ٧٤ جنيه وتسعة شلينات اما في اوستراليا فانَّ الذهب لو قُسم بين كلّ

وطنيّ لمّا زادت حصّتهُ على ليرتين وتبلغ حصّة الواحد في بلاد الترنسڤال ٥٣ ليرة و١٠ شلينات

وقد حُسب محصول الذهب في روديسيا من ٣١ آذار سنة ١٩٠١ الى مثلـهِ في العام القابل فكان ٢٣٤,٧٢٠ اوقيّة من الذهب ثمنها ٨٥١.٨٠٧ جنيه ومن ٣١ اذار ١٩٠٤ الى مثلهِ في العام التابع بلغ المجموع ٤٣٨,٨٩٣ اوقيّـة ثمنها ١,٥٩٩,١٩٨ جنيـه

معادن الذهب في المستعمرة البرتوغاليّة

موقع هذه المعادن الى الشرق قرب حدود بلاد الناماكوالند (Namaqualand) وهي غنيّة جدًا بالتبر والبلوغ اليها سهل من جهـة بلدة تُدعى «ماسي كاسي» واكثرها في الجبال على علوّ شاهق فوق سطح البحر . على اننا لا نعرف من امر هذه المعادن شيئًا لانقطاع لوائحها عنّا منذ عشر سنوات . وانّما سمعنا بان اهل تلك المستعمرة اكتشفوا مقالع جديدة من الذهب في وادي شميزي وفي موزا قرب ديلاكوا باي

نفقات التعدين

معلوم ان اشغال التعدين تقتضي تكاليف ونفقات باهظة تثبّط همم الشركات وكثيرًا ما تردُّهم عن مباشرة العمل خوفًا ممّا يتوقعونهُ من المصاريف في تلك المشروعات التي لا تسدُّها الارباح المأمولة . ومن اكبر العوائق في ذلك مشاقّ المواصلات وصعوبة النقل التي كانت تستلزم مالًا طائلًا . وهذه العقبـة قد تذلّلت اليوم بتوفُّر السكك الحديديّة اذ انخفضت اجور النقل اربعة اخماس ما كانت عليهِ سابقًا . وقـد ازدادت هذه الخطوط في روديسيا اكثر منها في بـلاد الترنسڤال ولذلك توفّرت ايضًا ارباح تلك على هذه

ومن الاسباب الاقتصاديّة في تعدين معادن الذهب وفرة الغابات وكثرة المياه . لان المناجم تحتاج الى الاخشاب والصقالات التي تُقام لدعم السقوف واستحضار آلات خشبيّة عديدة لتمشية الاشغال . وكذلك المياه لازمة لريّ الاراضي المجاورة للمعادن ولتنقية التربة وغسلها . ومن هذا القبيل ايضًا ترى التقدم لمعادن روديسيا التي لديها من الاخشاب والمياه ما يفي بحاجتها فضلًا عن قربها من السكك الحديـديّة كما سبق

فانهُ اذا نجزت الخطوط المنويّ انشاؤها في روديسيا اصبح ابعد معادنها عن الخط الحديدي على عشرين ميلًا فقط وهي مسافة لا تُذكر

وقد كانت مع ذلك نفقات التعدين في سنتي ١٩٠٥و١٩٠٦ بمعدل عشرين فرنكًا بنيّف قليل على كل طن من التربة المستخرجة بعد طحنها واستخراج ذهبها على الطرائق المذكورة سابقًا . ولعلّ هذه النفقات ستخفّ ايضًا في المستقبل

ومن المصاعب التي تحول دون العمل قلّة المعدّنين فذلك ممّا يسبب بطئًا في الاشغال وزيادة في النفقات وخصوصاً بعد الحرب الترنسفاليّة . وقد تحسنت الاحوال في هذه السنين الاخيرة حتى ان معدَّل الفعلة الذين يشتغلون كل شهر في روديسيا يبلغ خمسة عشر الفًا بنيّف واكثرهم من الزنوج وهم متفرّقون في نحو ثلاثين معدنًا

وممّا يفكر فيهِ اليوم ارباب معادن الرند نقل القوة الكهربائيـة من احد انهار افريقية الجنوبيّة الى المعادن كما يفعل الاميركيون في بلادهم والنيَّـة معقودة في وضع البطاريّات الكهربائية على شلّالات فيكتوريا فينقلون قوّتهـا الى معادن الرند والمسافة بينها ٧٤٥ ميلًا . وقد اجمع المهندسون على ان هذا المشروع يفوز بنجاح باهر الّا ان البعض يرون ان النفقات على انجازه اوفر من ان تسدّهـا الارباح المأمولة وقد قدّروا المصاريف على هذا المسعى العظيم بما يُربي على اربعة ملايين جنيه فانّهم قدّروا معدَّل المصروف على نقل قوّة حصان بخاري بثلاثين جنيه امّا معدَّل القوى البخاريّة التي تستطيع الشلّالات توليدها فهي من ٣٠٠,٠٠٠ الى ٦٠٠,٠٠٠ حصان بخاري وزد على ذلك النفقات اللازمة لحفظ الاسلاك واصلاحها وتضمينها من كل الآفات التي يُخشى منها من قبائل تلك الجهات

وهذه الاعتبارات لم تثنِ عزائم اصحاب الماليّات وقد تألفت في هذه المدّة الاخيرة شركة لاخراج هـذا المشروع الى حيّز العمل فاخذت بنقل الآلات الى الشلّالات . وعمّا قليل ستفيدنا الاخبار عن تفاصيل هذا المشروع العظيم

وفي مقالة أُخرى ان شاء الله نأتي بوصف معادن الترنسفال غير الذهبية

المثـــل بالمثـــل

للاب ر. س اليسوعي

قال الرب في انجيلهِ الطاهر بالكيل الذي تكيلون للناس يُكال لكم وتُزادون فأن يكيل اذن الانسان لابن جنسهِ كيلًا حسنًا خير لهُ اذ يعود احسانهُ الى نفسهِ وينجو من عاقبة الشر الناجمة عن كيلة السوء . وهذه رواية خبر حديث تؤيد تعليم السيد المسيح والامر قد جرى في روسيا في اوَّل عهد فتح المحاكم القضائية للعموم

خرجت احدى سيدات بطرسبرج مع زوجها في صباح احد المواسم تخطر في ابهى ملابسها وتجرّ ذيل ثوبها الفاخر الذي لبستهُ ذلك اليوم لاوَّل مرَّة فكانت تكنس بهِ الازقة وتثير غبارها في وجه المارّين

فحدث ان احد الضباط مرَّ بتلك الطريق والناس فيها مزدحمون وهو مسرع في سيره ليبلغ محلّ مأموريتهِ قبل الوقت المعين لئلَّا يقع تحت تبعة النظـام فعثرت رجلهُ بثوب السيدة فشقّ طرفهُ غير متعمّد لذلك فساءهُ صنيعـهُ واسرع الى السيدة يستميح منها عذرًا ويرجو منها أَلَّا تحمل ذلك على نيَّة سيئة لكن السيدة امتعضت من فعلهِ واخذت توبخهُ امام الحضور فعاد الضابط يستغفر منها ويؤكد لها انهُ لم يقصد بفعلهِ سوءًا واراد ان يواصل السير اذ تقدَّم اليهِ زوج السيدة وقد احتدم غيظًا على الضابط فقال: لا يجديك اعتذارك نفعًا فانك بئسما فعلت ولا بدَّ من التعويض عن هذه الخسارة

— سيّدي ليس هنا محلّ للغضب فاني رجل مأمور لا يمكنني ان اتأخر دقيقة عن مسيري الى مركز مأموريتي والطريق ضيقة لازدحام السابلة وثوب قرينتـك طويل الذنب

— كفَّ عن الهزء والسخرية فاني اطلب ان تؤدي حق الثوب

فاردفت السيدة : نعم انَّ هذا الثوب قد كلفني مئتي روبلة ولم البسهُ قبل اليوم فعليك بدفع قيمتهِ

قال الضابط : اكرّر رجائي ايها السيدان بأن لا تؤخراني عن ميعاد مأموريتي فاقع تحت طائلة القوانين العسكرية ولا يخفى عنكما ان العقاب شديدٌ على المتجندين ان لم

يحضروا في ساعة تقتضيها مهنتهم . اما مطالبة السيدة بحق ثوبها فاظنهُ ضربًا من الداعبة اذ اكّدتُ لحضرتها اني لم اشقّ طرف ذيلها على تعمُّد

— كلّا بل انت مسؤول عن قيمة الثوب فعليك بدفعهِ

— دَعاني اذهب الى الدار العسكريَّة

— ادِ حق الثوب واذهب حيثما تشاء

فملا الاصفرار وجه الضابط وهو لا يدري ما يفعل وكان بودّه ان يدفع ضعف المال المطلوب ليتخلص من نظر الناس المتجمعين حوالهُ الّا انهُ كان فقيرًا لا يملك لمعاشهِ غير اجرة مأموريتهِ التي لا تبلغ في السنة كلها مائتي روبيَّه فكيف يدفع هذا المبلغ في يوم واحد

— سيدي لا املك في محفظتي غير روبيَّتين فها هما واتركاني اسير في سبيلي

قالت السيدة : هذا تمحُّل لا طائل تحتهُ فاني لا ارضى الّا بثمن الثوب

وقال رجلها : ها هوذا مركز القضاء فسوف نرى ايوجد لديك المال ام لا

قال هذا ثمَّ دفعا الضابط الى دار القضاء رغمًا عن تكريره الاعتذار لهما . وكان الضابط يستطيع ان يفرَّ من ايديهما او يصرعهما لكنهُ ابى ذلك صيانة لشرف الثوب العسكري فمشى معهما وحمرة الخجل تصبغ جبينهُ ودخلوا مجلس القضاء فاشار القاضي اليهم ان ينتظروا حينًا ريثما تأتي نوبتهم فجلسوا وكان الضابط واجمًا مطرقًا الى الارض لا يبدي حراكًا لكن قلبهُ يتقلّب على احرّ من جمر القتاد لا سيما ان الصاعة كانت غاصة بالحضور وهم يشخصون اليهِ ويندهلون من وجوده في هذا المحلّ ولا يشكُّون انهُ جنى جناية عظيمة

فبعد ساعة من الزمان حسبها الضابط ردهًا من الدهر انتهت النوبة الى غريميهِ فقاما ورفعا الى القاضي شكواهما ونسبا الى الضابط التعدّي عليهما بخرقهِ ثوب السيدة وختما الكلام بطلب قيمة ثوبها

فالتفت القاضي الى الضابط وطلب منهُ اعندهُ ما يدافع بهِ عن نفسهِ فقال الضابط :

ليس عندي سوى كوني لم اصنع ذلك متعمدًا فاني كنت مسرعًا في السير مضطرًّا الى العجلة لئلّا يفوتني ميعاد المأموريَّة ولسوء الحظ مررت قريبًا من هذه السيدة وطرف

ثوبها يكنس الارض فمزقتهُ برجلي على غير قصد ولما قدَّمت لهــا ولزوجها الاعتذار عمَّا فرط مني سهوًا لم يقبلا عذري بل أصرَّا على الظنّ باني فعلت ذلك تعدّيًا . فان شاءت السيدة كرَّرت هنا امام الجميع عبارات الاستغفار منهــا فتتحقق اني لم انوِ بفعلي هذا ادنى اهانة لشخصها

وكان الحضور يعيرون سمعهم الى هذه الدعوى الغريبة فلما سمعوا كلام الضابط وعرفوا حسن نيتهِ من صدق لهجتــهِ تأثروا من عمل الزوجين وجاهروا باستيائهم من معاملتهما للجندي فاسكتهم القاضي وسأل السيدة أتقبل بهذه الترضية . فاجابت:

كلّا لا أرضى الّا بان يدفع لي ثمن ثوبي وهو مائتا روبيّة

قال القاضي للضابط: ترى اصرار السيدة على مطالبتك بالمال فهل لك ان تدفعهُ

قال الضابط ولسانهُ يتلجلج في الكلام لاضطراره بالاقرار عن عجزه وفقر حاله:

لو كنت حاصلًا على هذا المبلغ لما رآني احد في هذا المقام لكني . . قليل ذات اليد . . . ولا تكاد تفي اجرتي بمعاشي

فقال القاضي للسيدة: سمعتِ عذره فما رأيكِ

فصمتت السيدة و بقي الحضور ساكتين كأنَّ على رؤوسهم الطير وهم لا يشكُّون بانَّ السيدة ترثي لحــال الضابط وتطلق سراحهُ . وكان الجندي يودّ لو خُسفت بــهِ الارض لينجو ممَّا لحقهُ من الخجل وهو مع ذلك يتجلّد ما استطاع لكنــهُ كان يتنهد الصعداء من وقت الى اخر اذ كاد الدم يخنقهُ من شدة خجلهِ . فبعــد برهة كرَّر القاضي على السيدة قولهُ :

أترضين بهذا الترّضي

قالت السيدة : لا ارضى واني اريد حق ثوبي

فضجَّ الحضور وكاد يعجز القاضي عن اخماد ثائرتهم فقال للمرأة : تأملي في عاقبة صنعك فان اصررتِ على طلبك وليس للضابط ما يخلص بهِ نفسهُ حكمت عليهِ بالسجن فخسر رتبتهُ في الجنديَّة دون ان تنالي مطلوبك منهُ

فتقرَّب رجل المرأة من زوجتهِ وأسرَّ اليها شيئًا كأنَّهُ يطلب منها بان تتنازل عن عن حقوقها خوفًا من الحضور الذين تنغصوا لهذا المنظر وسلقوها واياه بالسنة حداد . فصرفتهُ عنها قائلة :

لا أرضى او يؤدّي لي بحقي

فقام حينئذٍ القاضي لينفرد بمستشاريه ويتفق معهم على عقاب الجناية اذ صرخ احد الحضور بصوت جهور : انا ادفع المئتي روبيّة عن الضابط

ثم خرق الصفوف وتقدّم الى صدر المجلس فاذا هو رجل في مقتبل العمر لابس ثياب الاعيان على سحنتهِ امائر الكرم والشهامة فقال للضابط : خذ هذا المال من البارون ب .. واصرفهُ في كربتك

فقال الجندي : سيدي البارون لست لأرضى بقبول هذا المبلغ اذ لا ادري ايمكنني اعوّض عنهُ لسعادتك

— هذه هبة محضة لا اطالبك بها وان لم تقبلها بهذه الصفة فتردها متى شئت

ثم مال البارون الى اذن الضابط وكلمهُ همساً بكلمات لم يسمعها غيرهُ فبشّ لها وجه الجندي كانهُ فُتح لهُ باب الفرج فتناول المال من يد البارون ثم مدّه الى السيدة قائلًا :

هاءنذا قد سلّمتكِ المال أفيبقى لك عليَّ شيء.

قالت السيدة وقد لاح على محيَّاها سمة البسط والعجرفة لظفرها بمطلوبها وتذليلها لغريمها : قد برئتْ ذمتك فما بقي لي عليك حق

قالت هذا وحاولت الخروج الّا ان الضابط تبسم لها وامسكها قائلًا : على رسلكِ سيدتي فانك ان نلت حقك فاني انا لم انلهُ

— وايّ حق لك عليَّ ؟

— قد ابتعتُ ثوبك بمائتي روبيَّـه كما كلّفك فالثوب اذًا صار ملكي فأُريد ان تعطيني مالي

— اني سأفعل وها انا عائدة الى بيتي فارسل لك الثوب الى منزلك اذا دللتني على عنوانهِ

— كلّا ايتها السيدة. فاني اذا ابتعت مالًا قبضتهُ للحال فأرغب اليكِ ان تنزعي الثوب وتعطيني مالي

ما انتهى الضابط من هذا الكلام حتّى رقص الحضور طربًا وصرخوا : نعمًا القول الثوب ملكك فلك الحق بقبض مالك

فارادت السيدة ان تتنصل لكن الضجيج تضاعف ولم يمكن القاضي ان يُسكت الحضور الّا بعد الجهد الجهيد . فعاد الضابط الى طلبهِ من السيدة ان تنزع عنها ثوبها وتعطيهُ صاحبهُ الجديد

فامتقع وجه المرأة وشعرت بانها وقعت في شرك الضابط اما زوجها فقال للجندي :

هذه جسارة وقِحَة منك كيف تريد ان امرأتي تتجرّد من ثوبها في هذه الساعة امام الحضور

— ... ليس لي معكَ كلام وانّما الصفقة كانت بيني و بينكِ ايتها السيدة فانكِ اضطررتني على ابتياع ثوبك على الرغم مني فما قد دفعتُ حقَّهُ فلم يبقَ الّا ان تنزعيه وتسلّميهِ لي بسرعة لان واجبات وظيفتي لا تسمح لي بالانتظار

فجعل الحضور يفحصون بارجلهم ضحكاً و يقولون : هذا الصواب فكما اقتضت السيدة حق ثوبها سريعاً كذلك يحق للجندي أن يأخذ مالهُ دون تأَخُّر

فقالت السيدة : ليس هنا مجال للهزل فاني أُرسل لك الثوب قريباً

قال الضابط : لا تخرجين او تؤدي لي حقي

فكُسر في عضد تلك المرأة واخذت تُلين لهُ القول وتتوسل اليهِ بان يمهلها الى ان تعود الى بيتها . فتصلّب لها الضابط وقال للقاضي :

سيدي اني اطلب من حضرتك باسم القانون الشرعي بأن تُحصّل لي مالي

فقال القاضي : ايتها السيدة ردّي لهُ ثوبهُ

فلما سمعت المرأة هذا القول ترقرق الدمع في مآقيها وقالت : اتريد ان انزع ثوبي واعود عارية الى البيت فأُصبح سخريّة للجموع

— هذا امرٌ كان يجب عليك ان تستدركيهِ قبل مطالبتك بحقهِ امّا الآن فما بقي الّا ان تردّي الثوب الى مشتريه . وها انا اعيّن لك مأمورين يساعدانك في نزعهِ

فلما رأت السيدة ما آلت اليهِ الحال اخرجت من جيبها المئتي روبيّة ورمت بها الى الضابط قائلة : خذ مالك ودعني اذهب الى سبيلي

— كلّا ايتها السيدة . فانّ الثوب يخصّني ولي فيـهِ حقُّ التصرف كيفما شئت .

وصاحب المال هو الذي يعين سعره فانَّ هذا الثوب يساوي الفي روبيّة مذ تشرَّف بلبسك اياهُ

فزاد الحضور قهقهةً عند سماعهم لهذا الكلام حتى استغربوا ضحكاً وسُمع لتصفيق ايديهم دويٌّ عظيم. وكاد يُغشى على السيدة ممَّا المَّ بها من العار والفضيحة

فتقرَّب زوجها عندئذٍ الى الضابط وقال لهُ: خذ هذه خمسمائة روبيّة وها انا ادفع لك صكًّا بالف وخمسمائة روبيّة اخرى تقبضها من مصرف الدولة. فلمَّا ختم الصك سلَّمهُ الى الضابط وخرج الزوجان يلعنان الثياب الطويلة الاذناب ولابسيها

اما الضابط فقبض الدراهم ولما خرج من المجلس جعل يفرقها على بعض الفقراء هناك فصفق القوم لصنيعهِ استحساناً. ثمَّ تقدم الى البارون وشكر فضلهُ وتوسل اليهِ ان يسترجع مالهُ فأبى هذا واثنى على اريحيَّتهِ وكرم نفسهِ ووعدهُ بان يقرنهُ بابنتهِ الوحيدة. فكان هذا البلاء الذي حلَّ بالضابط مبدأ تقدمهِ في الثروة والشرف

شرح مثلَّثات قطرب

نشرها الاب لويس شيخو اليسوعيّ

توطئة

القُطرب دويبة حريصة على العمل لا تزال تدبُّ ولا تفتر وبها لقَّب سيبويهِ اللغوي الشهير تلميذهُ ابا علي محمَّد بن المستنير النحوي وكان يتردَّد اليهِ لياخذ عنهُ العلوم اللغويَّة فقال لهُ يوماً: ما انت الَّا قطرب. فبقي هذا اللقب على ابي علي الذي اشتهر بين النحاة البصريين وعُدَّ في جملة ائمتهم. توفي قطرب سنة ٢٠٦ﻫ (٨٢١م) ولهُ عدّة تصانيف لغويَّة كغريب الحديث وخلق الانسان والاضداد وكتاب فَعَل وأفعَل وغير ذلك ممَّا لم يُنشر اكثرهُ حتى اليوم. قال ابن خلكان في ترجمتهِ: « وهو اول من وضع المثلَّث في اللغة وكتابهُ وان كان صغيراً لكن لهُ فضيلة السبق ». ويريدون بالمُثلَّث الالفاظ التي وردت على ثلاث حركات بمعانٍ مختلفة ومثلَّثات قُطرب قد طُبعت في المانية بهمَّة المستشرق الاستاذ ولمار (L. Vilmar) الذي نشرها سنة ١٨٥٧ في مربورغ وذيَّلها بالشروح اللاتينيَّة وقد صنَّف كثيرون بعد قطرب على مثالها منهم ابو محمَّد عبدالله البطليوسي والشيخ ابو زكريَّا الخطيب التبريزي وسديد الدين المهلّبي والقزَّاز ابو

عبدالله وغيرهم من القدماء . وقد اشتهر في هذا الباب في الازمنة الاخيرة الطبيب الذكر جرمانوس فرحات فوضع كتابهُ المثلّثات الدريّة وكذلك الشيخ حسن قويدر الخليلي مؤلف نَيل الارب في مثلّثات العرب وعبد الهادي نجا الابياري صاحب نفح الاكمام في مثلّثات الكلام . وفي مكتبتنا الشرقيّة مجموع في اولهِ قصيدة في ١٣ صفحة مخطوطة سنة ١١٣٢ ﻫ (١٧١٩م) جمع فيها صاحبها نحو ١٤٠ لفظة مثلّثة شرحها باسماط مربّعة تُختم بقافية النون وقد فُقدت صفحتها الاولى فاذا وجدناها وعرفنا مؤلفها نشرنا الارجوزة بتمامها . ويلي هذه الارجوزة شرح على مثلّثات قطرب في خمس صفحات خطّهُ ناسخ الارجوزة المذكورة واسمهُ عبد الرحمان السنهوري الشافعي فاحببنا نشرهُ . وفي الاصل قد كُتبت ابيات قطرب بالحرف الاحمر اما شرحها فقد كُتب بالحرف الاسود وهنا نحن نفرق بين الاصل والشرح بحرفي « ق » و« ش » . وبينهما فرق اخر في عدد التفاعيل وقافية البيت الرابع . وكذلك المقدّمة والخاتمة للشارح . وقد وقع في النسخة اغلاط ظاهرة فاصلحناها دون التنبيه عليها اختصارًا

(ص ١٦) بسم الله الرحمن الرحيم

(الشارح) الحمد لله العظيم الباري   الرازقِ المهيمن الغفّارِ
ربّ السماء فالق الاسحارِ   وخالق الاسماع والابصارِ
وبعد تسليمي على كلّ نَبي   اشرعُ في مثلّثاتِ قطربِ
ارجوزةً سائغةً في المشربِ   تروقُ في مسامعِ النظّارِ
اجعل مفتوحَ الحروفِ اوّلَا   وبعدهُ المكسور والضمَّ وِلا
فلا تكن في نظمها مؤوّلا   فهو الذي قد صحَّ في الاخبارِ

(قطرب) ياموِلعًا بالغضبِ   والهجر والتجنُّبِ
في جدّهِ واللعبِ   حبُّك قد برّح بي
ان دموعي غَمرُ   وليس عندي غِمرُ
يا أيهاذا الغُمرُ   أَقصِرْ عن التعتُّبِ

(ش) يُقال للماء الكثيرِ غَمرُ   والحِقدُ في الصدر فذاك غِمرُ
والرجلُ الجاهلُ فهو غُمرُ   ان لم يكن حبرًا من الاحبارِ

(ق) بدا وحيّا بالسَّلامْ   رمى عَذُولي بالسِّلامْ

اشار نحوي بالسُّلامْ وكفّــه المختضبِ (ص١٧)
(ش) تحيّــة النــاس هيَ السَّلامُ مُــدوَّرُ الاحجار فالسِّلامُ
عروقُ ظهر الكفّ فالسُّلامُ بل أغــلٌ تُزانُ بالأظفــارِ
(ق) ينمُّ قلبي بالكَلامْ وفي الحشا منــهُ كِلامْ
فسِرتُ في الارض الكُلامْ لكي انالَ مطلبي
(ش) مخاطباتُ النــاس فالكَلامُ واسمُ الجراحات هي الكِلامُ
والارض ذات الوعر فالكُلامُ وليس سهلُ الارض كالاوعارِ
(ق) نُبتُ بارض حَرَّهْ معروفــةٍ بالحِرَّهْ
فقلتُ يا ابن الحُرَّهْ ارثِ لما قــد حلَّ بي
(ش) مسودَّةُ الاحجار ارضٌ حَرَّهْ والعطش الشــديدُ يُدعى حِرَّهْ
والمرأةُ العفاف فهي الحُرَّهْ محجوبــةُ الوجهِ عن الابصارِ
(ق) جدَّ الاديمَ حَلمُ وما بقي لي حِلمُ
وما هنــاني حُلمُ مــذ غِبتَ يا معذِّبي
(ش) انَّ فساد الجلد فهو الحَلمُ ثمَّ احتمالُ الشرّ فهو الحِلمُ
وما يُرى في النوم فهو الحُلمُ وذلك اسمٌ للخيال الساري
(ق) جُهدتُ يومَ السَّبتِ إذ جاء مُحذَى السِّبتِ
على نبــات السُّبتِ في المَهمَــهِ المستصعبِ
(ش) وآخر الاسبوع فهو السَّبتُ واحمرُ النعــال فهو السِّبتُ
والنَّبتُ كالخطمي فهو السُّبتُ ينبت من تتــابُع الامطارِ
(ق) خدَّد في يومٍ سَهَامْ قلبي بأمثــال السِّهامْ
كالشمس اذ ترمي السُّهامْ بضوئهــا واللهبِ
(ش) الحرُّ اذ يَشتــدُّ فالسَّهامُ والنَّبــل اذ تُراش فالسِّهامُ
لُعابُ ضوء الشمس فالسُّهامُ اذا رَمَتْــهُ كشواظِ النَّارِ
(ق) دعوتُ ربي دَعوهْ لمــا أتى بالدِّعوهْ (ص١٨)
فقلتُ عنــدي دُعوهْ ان زُرتمْ في رجَبِ
(ش) وقــلْ الى الله الدُّعاء دَعوهْ مَن يدعُ للغير فهو دِعوهْ

او يَدعُ للطعــام فهو دُعوهْ وتلك من مكارم الأخيارِ

(ق) ذهبتُ نحو الشَّرْبِ ولم أزِدْ عن شِرْبِ
فانقلبــوا بالشُّربِ ولم يخــافوا غضبي

(ش) جماعةٌ في شرب خمرٍ شَرْبُ والحظُّ في الماء لكلٍّ شِرْبُ
وقسْ رشفِ الخمرفهو شُربُ يُسيغــهُ بقدرة القهّارِ

(ق) رام سلوك الخَرْقِ مع الظريف الخِرْقِ
انَّ بيــان الخُرقِ منــهُ ركوب الشُّعَبِ

(ش) والارضُ مهما اتّسعت فالخَرْقُ وكاملُ السخاء فهو الخِرْقُ
والجاهلُ الاحمقُ فهو الخُرقُ فاجتنبنْ خلائــقَ الاشرارِ

(ق) زاد كثيرًا في اللَّحــا من بعد تقشير اللِّحا
لمَّا رأى شيب اللُّحى صرَّم حبل السَّببِ

(ش) ثمَّ مُلاحاة الرجال فاللَّحــا والعودُ إذ يُقشَر والشعرُ اللِّحا
كذلك العظمانِ سُمّيا اللُّحى في الحنك الاسفلِ والعذارِ

(ق) ســار مجدًا في المَلا وأنجز الشوقَ مِــلا
بلبس رَيطٍ كالمُلا فصحتُ يا للعجبِ

(ش) جماعــة الناس الكثير فالمَلا ومــا مُلي من الإناء فالمِلا
ملاحف النسا تسمَّى بالمُلا تستر جسم الشخص وهو عارِ

(ق) شكلٌ لــهُ كشكلي يتّمــني بالشِّكلِ
وغلّني بالشُّكلِ في حبــهِ وا حرَبي

(ش) المثلُ والنظيرُ فهو الشَّكلُ والظُّرف والدلال فهو الشِّكلُ
وجمعُكَ الشِّكالَ فهو الشُّكلُ للخيل ان تُصادُ في المضمارِ (ص١٩)

(ق) صــاحبَني وَصرَّهْ في ليلةٍ ذي صِرَّهْ
ومــا بقي في الصُّرَّهْ خردلةٌ من ذهبِ

(ش) وقلّــة الجمع تسمَّى الصَّرَّهْ وليلــة البرد تسمَّى صِرَّهْ
وكلُّ ما يُعقــدُ فهو الصُّرَّهْ حرزًا على الدرهم والدينارِ

(ق) ضمَّنتــهُ بيت الكَلا بالحظِّ مني والكِلا

فشحَّ قلبي والكُلى عمداً ولم يرتقبِ
(ش) وطيّبُ المرعى يسمَّى بالكَلا والحفظُ بالشيء يُسمَّى بالكِلا
وكُلية الحيوانِ تُجمعُ الكُلى جاء عن الأعراب في الآثارِ
(ق) طارَحني بالقَسطِ ولم يزن بالقِسطِ
ففيهِ عَرفُ القُسطِ والعنبرِ المُطيَّبِ
(ش) الجورُ في الاحكام فهو القَسْطُ والعدل والاحسان فهو القِسْطُ
ثمَّ الذي يباع فهو القُسطُ يفوح طيبُ نشرهِ في النارِ
(ق) عالٍ كريمُ الجَدِّ افعالهُ بالجِدِّ
القيثُهُ بالجُدِّ المُعطَّل المضطربِ
(ش) ابو الاب الشفيقُ فهو الجَدُّ نعمْ وضدُّ الهزلِ فهو الجِدُّ
والبئر ان تغزرُ فهي الجُدُّ تَملأْ من غمائم الامطارِ
(ق) غنَّى وغنَّتهُ الجَوارْ بالقرب مني والجِوارْ
فاستمعوا الصوتالجُؤارْ ثمَّ انثنوا بالطربِ
(ش) جاريَةٌ تجمعها جَواري والعهد يدعونهُ بالجِوارِ
وصخبُ صوت يُسمَى بالجُوارِ كما اتى عن صَخْبِ اهل النارِ
(ق) قام بقلبي أَمَّهْ عند زوال الإِمَّهْ
فاستمعوا يا أُمَّهْ بحقكم ما حلَّ بي
(ش) الشجُّ في الراس يسمَّى أَمَّهْ والخصبُ والنعمة فهي الإِمَّهْ (ص٢٠)
وتابعو كلِّ نبيٍّ أُمَّهْ معروفةٌ في سائر الامصارِ
(ق) قولوا لأطيار الحَمامْ يبكينَني حتَّى الحِمامْ
ألا ترى يا ابن الحُمامْ ما في الهوى من كَرَبِ
(ش) الطائرُ الساجع فالحَمامُ والموتُ والهلاك فالحِمامُ
ثمَّ اسم شخصٍ رجلٍ حُمامُ تذكرهُ الخنساء في الاشعارِ
(ق) كأنَّ ما بي لَمَّهْ مذ شاب شعر اللِّمَّهْ
وما بقي لي لُمَّهْ وزال عني نشبي
(ش) الخوف والجنونُ ايضاً لَمَّهْ ووفرة الشعر تسمَّى اللِّمَّهْ

ثم جماعات الرجال لُمَّهْ تجمّعت من سادةٍ اطهارِ

(ق) لمّا اصاب مَسْكي ففاح طيب المِسْكِ
وكان فيهِ مُسكي وراحتي من تعبِ

(ش) الجلد والإهاب فهو المَسْكُ والطيب لا يُنكر فهو المِسكُ
ثمّ الطعام والشراب المُسْكُ تحيا بهِ النفوس في ذي الدارِ

(ق) بلّت دموعي حَجري وقلّ فيهِ حِجري
لو كنتُ كابنِ الحُجرِ لَضاع مني أدبي

(ش) مقدّم القميص فهو حَجْرُ والعقل في الانسانِ فهو حِجْرُ
ووالد امري القيس فهو حُجْرُ اعني بذاك آكل المرارِ

(ق) ناول بَرْد السَّقطِ من فيهِ غير السِّقطِ (كذا)
فلاحَ رميَ السُّقطِ من خدّه كالشُّهبِ

(ش) والثلج اذ ينزلُ فهو السَّقطُ والزند اذ يُقدح فهو السِّقطُ
والوَلد غير التامّ فهو السُّقطُ فلم يعش بين ذوي الاعمارِ

(ق) هذي علامات الرَّقاقْ فانظر الى اهل الرِّقاقْ
لم ينطقوا بعد الرُّقاقْ بالصدق او بالكذبِ (ص ٢١)

(ش) الارض ذات الرمل فالرَّقاقُ مهبط مجرى الماء فالرِّقاقُ
والخبز ان يرقّ فالرُّقاقُ من خالص البُرِّ النقي الحُوّاري

(ق) وجدتهُ كالقَمَّهْ في راس هذي القِمَّهْ
مطّرحًا كالقُمَّهْ قلت لهُ احفظ مذهبي

(ش) اكلُ نُفَى الخوانِ فهو القَمَّهْ والراسُ والسنامُ فهو القِمَّهْ
كناسة البيت تُسمَّى القُمَّهْ فازت بها جاريةُ المختارِ

(ق) لا تركنَنْ للصَّلِّ ولا تلُذْ بالصِّلِّ
واحذر طعام الصُّلِّ وانهض نهوض المجدبِ

(ش) الصوت والصريرُ فهو الصَّلُّ والحيَّة الصغرى فهي الصِلُّ
تغيّر الطعوم فهو الصُّلُّ في اكلهِ يُخشى من البوارِ

(ق) يُسفرُ عن عيني طَلا ووجنةٌ تحكي الطِّلا

وطليــة من الطّلى اعنـدكم محتجبِ (كذا)
(ش) وولدُ الظبيــة يُسمَى بالطّلا والراح ان تُطبَع تُسمَى بالطِّلا
وجمع اعنــاق الانام فالطُّلى تقودُها ازمّةُ الاقــدارِ
(ق) دياره قــد عَمَرتْ ونفسهُ قــد عَمِرتْ
وارضــهُ قد عُمرتْ من بعــد رسمٍ خربِ
(ش) تقولُ في البناء دارٌ عَمَرتْ ومرأةٌ مسنّةٌ قــد عَمِرَتْ
والارضُ بالسكنى واهلِ عُمرتْ كذا القرى عند ذوي الاحرارِ
(ق) لمــاً رأيتُ هجرهُ وذلَــهُ ومطلــهُ
نظمت في وصفي لهُ مثلثــاً في قطربِ

وبعد هذا دور من بحر اخر للكاتب قال :

تمّ الكتاب بكمله (كذا) نعم السرور لصاحبــهْ
وعفا الاله بفضلهِ وبجوده عن كاتبــهْ

(قال) وكاتب هذين (كذا) النسختين العبد الفقير احمد عبدالرحمن السنهوري الشافعي غفر الله لهما ولوالديهما وللمسلمين اجمعين في ٣ ربيع الاول سنة ١١٣٢

عجائب تيبت

نظر للأب لويس شيخو اليسوعيّ

انبأت اخبار البريد الاخير ان بريطانية العظمى عقدت معاهدةً مع حكومــة تيبت تخوّل الانكليز حريّة الاتجار في تلك البلاد . وقد ظنّ ارباب السياسة ان هذه المعاهدة من جملة الاتفاق الحديث الذي جرى بين انكلترّة وروسيًا

ولما كانت بلاد تيبت معدودة حتى يومنا من مجاهل الاقطار رأينا ان نجمع في مقالة منفردة ما تمكّن السياح القليلون من معرفتهِ عن تلك الاصقاع القــاصية التي لم يزل اهلها يتحصّنون غاية جهــدهم في وجه الاجانب وطالما ردّوهم خائبين إلّم يفتكوا بهم ويقطعوا حبل حياتهم . وها نحن نقسم ذلك الى فصول تسهيلًا للمراجعة


مفاوز
بوطان
نهر برهما بوتر
عصام



خارطة
بلاد تيبت
الطريق التجارية الحديثة
القديمة
طريق البعثة الفرنساوية ١٨٩٢
حدود الممالك
حدود المقاطعات الصينية
المقياس
١
٩٠٠٠٠٠٠
١٠٠
٢٠٠
٣٠٠
٤٠٠ كلم
بلتيستان
لاداك
لاهول
كشمير
الهند

﴿ اسم تيبت ﴾ لم يتفق العلماء سابقًا في معنى اسم تيبت وقد أثبت اليوم للعلماء انّ اصل هذا الاسم مشتق من اللغة التيبتيّة فيدعون بلادهم بود او بوديول ومعناها البلاد العالية او المملكة القديرة ومنها اشتقّ الصينيّون اسم تلك البلاد فدعوها توفا او توپت فلفظها العرب تُبَّت او تُبَّت وابتدعوا في اصل تسميتها قصّة غريبة فيزعمون ان احد ملوك حمير وهو تُبَّع الاقرن مرّ ببلاد تبَّت متوجهاً الى الصين ليغزوها فابتنى في تلك البلاد مدينة عظيمة اسكن فيها ثلاثين الفًا من اصحابهِ فسمَّاها « تُبَّت » بمن « ثَبَّتَ » فيها من رجالهِ . وهو اشتقاق عجيب لم يذكرهُ غير كتبة العرب (اطلب معجم البلدان لياقوت ١ : ٨١٨ ومروج الذهب للمسعودي ١ : ٣٥١)

﴿ حدود تيبت ﴾ موقع بلاد تيبت في مشارف آسية الوسطى شمالي هندستان وغربي جنوبي بلاد الصين يحدُّها شمالًا وشرقًا تركستان الشرقي او الصينيّ ومقاطعات صينيّة . اما جهتها الغربيّة فتحدُّها املاك الانكليز الهنديّة كبرمانية وعصّام و بوطان ونيپال وكشمير . وحدودها في جنوبهِ والجنوب الغربي اعظم اطواد الارض اخصُّها جبال حملايا وقراقوروم

﴿ اقسام تيبت ﴾ تُقسم بلاد تيبت الى ثلاثة اقسام : قسم شمالي وقسم جنوبي وقسم شرقي . فالشمالي عبارة عن انجاد عالية تُدعى انجاد خاتشي تكثر فيها البحيرات حتى دُعيت تلك الجهة بتيبت البحيرات . يقوى عليها البرد القارس واليبوسة العظيمة حتى ان الخشب والحجارة تتشقّق بسببها . وتبَّت الجنوبيّة تدعى ايضاً بوديول تكثر فيها الاودية وتجري بينها الانهار الزاخرة المياه . اما تبَّت الشرقيّة المدعوة ايضاً خام فانّها تشبه بجبالها الشاهقة واغوارها العميقة جبال الالب الاوربيّة وكاد هذا القسم يكون مجهولًا قبل النصف الاخير من القرن المنصرم . فتيبت كما ترى متّسعة الارجاء . وقد ذكر المسعودي مساحتها فقال ان طولها ٥٠٠ فرسخ في عرض ٢٣٠ فرسخًا . والجغرافيون المحدثون يحسبون طولها ٢٨٠٠ كيلومتر وعرضها ٩٤٠ كـ . فيكون تكسير مساحتها ٢,٦٤٠,٠٠٠ كيلومتر مربّع ويلحقون ببلاد تيبت اعمالًا أُخرى تدور في دائرتها وتحتكم باحكامها وهي قطر لاداك غربًا الذي يُعرف ايضًا بتيبت الصغيرة وقطر بوطان جنوبًا وقطر خورخاتشي شمالًا وهي تؤدي لامرائها الجزية

واهل تيبت يقسمون بلادهم الى اربعة اقاليم : اقليم أوّي الذي فيـهِ موقع حاضرتهم « لاصًا » وفيها مركز ولايتهم وقطب دينهم ومقام احبارهم ومنتدى علومهم وسوق تجارتهم يبلغ عدد اهلها نحو ٨٠,٠٠٠ وفي هذا الاقليم مدينة جيكاغينكار احفل بلاد تيبت بالسكّان وعددهم مئة الف . ثم اقليم ترانغ عاصمتهُ جيكادزه عدد نفوسها ٣٠,٠٠٠ . ثم اقليم خام واقليم نكاري وبهـذا الاقليم الاخير منوطة البلاد الصغيرة التي مرَّ ذكرها

﴿ وصفها الجغرافي ﴾ بلاد تيبت من اعلى الاقطار الارضيَّة وهي بالنسبة الى آسية كسويسرة الى اوربَّة الّا ان علوهـا يفوق كثيرًا على علوّ بلاد سويسرة فانها ليست فقط محدودة باطواد شاهقة كما سبق بل في داخلها ايضًا عدَّة جبال تتوّجهـا الثلوج الغرَّاء التي لا تذوب عن قممها صيفًا مع شتاء فان بعض هذه الجبال يبلغ قريبًا من ٩٠٠٠ متر فوق سطح البحر اعني ضعف جبل الابيض في سويسرة

وفي تيبت الانهار الكبيرة ذات المياه العرمرميَّة تسيل في اودية مختلفة وتصبّ في ثلاثة بحار متباينة في الاوقيانوس الكبير وفي بحر بنغالي و بحر عُمان ومنها تتولَّد انهار الصين كيانغ تسي كيان وانهار الهند الصينيَّة كناغتشو وجاغبو و بورونغتشو. امَّا اكبر انهار تيبت فنهر ياروترانغو الذي يجري من الغرب الى الشرق . ومن انهار تلك البلاد مـا تجرف مياهها شذور الذهب

وفي تيبت ايضًا بحيرات كبيرة في بعضها الجزائر المحدقة بالمياه اعظمهـا بحيرة غنسو في شمالي البلاد . ثم في شرقيها بحيرة بوكا التي منها يتولَّد نهر ناغتشو . وبحيرة مـافام دالاي في سفح جبال حملايا يعتبرها اهل البلاد كبحيرة مقدَّسة ويحجّون اليهـا من الاماكن القاصية وعلى شواطيها اللازورد والبورق. و بحيرة دزام تسو التي تسكن احدى جزائرها امرأةٌ يعظّمها الهنود كاحدى الإلاهات السماوية

وتيبت من البلاد الغنيَّة بالمعادن الثمينة وغيرها فيها الحجارة الكريمة والذهب والفضة والرصاص والزئبق والكبريت . بيد ان اكثر هذه المعادن لم تُستثمَر بعد . اما الغلّات فانها لا تزكو الّا في بعض جهاتها لاسيا بطاحها و بقاعها المستورة بالجبال فهناك يستغلّون كل اصنـاف المزدرعات كالقمح والشعير الاسود والحمص. ولا ينبت الارزّ في غير المقاطعات الجنوبية. وفي سفح جبالها الغابات البـاسقة كالسنديان والصنوبر والشربين

والسرو. واشجارهم المثمرة هي كالاشجار الشائعة في انحاء الشام ولهم اشجار تفرَّدوا بهـا يتخذون اليافها واوراقها وثمارها لمآكلهم وصناعاتهم. ومن غريب تلك الاشجار شجرة كومبون اي شجرة العشرة الآلاف صورة تُرى مرسومة على اوراقها علامات تُشبه الحروف التيبتيَّة وحتى الان لم يُكتشف سرّ هذه الكتابة والمظنون انَّ الكهنة يرسمونها سرًّا ليخدعوا بها العامَّة

اما الحيوان فان تيبت تأوي خصوصاً الحيوانات الجبليَّة المختصَّة بالبلاد الشديـدة البرد كالدِبية والذئاب . وعندهم الخيل البريَّة الصغيرة الجسم والجواميس المتوسطـة الكبر المسماة ياك . ولهم قطعان المواشي التي تطيب لحومها والبانها ويتاجرون باصوافها الناعمة ويصنعون منها الشالات الغالية الثمن. وعندهم صنف من بقر الوحش يدعونهُ سِرو يُشبه الرئم وهو وحيد القرن . ومن اشهر حيواناتهم واجداها نفعاً ظباء المسك التي اطنب العرب في وصفها واحسن ما كُتب فيها وصف التـاجر العربي سليمان في كتاب سلسلة التواريخ (ص ١١٠ من طبعة باريس) وباشر وصفهُ ببيان فضل المسك التبتي على المسك الصيني قال :

ان الارض التي بها ظبـاء المسك الصيني والتبّت ارض واحدة لا فرق بينهما فأهل الصين يجتذبون ما قرب منهم من الظباء واهل التبت ما قرب منهم وانما فضل المسك التبّتي على الصينيّ بحالتين انّ ظبي المسك يكون في حدّ التبت رعيهُ من سنبل الطيب وما يلي ارض الصين منها رعيهُ سائر الحشائش. والحالة الاخرى تَرْك اهل التبت النوافج في حالها وغش اهل الصين لما وقع اليهم منها وسلوكهم ايضاً في البحر وما يلحقهم من الانداء. فاذا ترك اهلُ الصين المسك في نوافجـهِ وأُودعت البراني واستوثق منها ورد ارض العرب كالتبتي في جودتهِ . واجود المسك كلّهِ مـا حكَّهُ الظبي على احجار الجبال اذ كان مادةً تصير في سرَّتهِ ويجتمع دماً عبيطاً كاجتماع الدم فيما يعرض من الدمامل فاذا ادرك حكَّهُ واضجره فيفزع الى الحجارة حتى يخرقهُ فيسيل مـا فيهِ فاذا خرج منهُ جفَّ واندمل وعادت المادة تجتمع فيهِ كمن ذي قبل. وللتبت رجال يخرجون في طلب هذا ولهم بهِ معرفة فاذا وجدوه التقطوه وجمعوه واودعوه النوافج وحُمل الى ملوكهم وهو غايـة المسك اذ كان قد ادرك في نوافجهِ على حيوانهِ وصار لهُ فضل على غيره من المسك كفضل مـا يدرك من الثمـار في شجره على سائر ما يُنتزع منهُ قبل ادراكهِ . وغير هذا من المسك فانمـا يُصاد بالشرك المنصوب او السهام وربما قُطعت النوافج عن الظبي قبل ادراك المسك فيها. على انهُ اذا قُطع عن ظبائهِ كان كريه الرائحة مدة من المدد حتى جفَّ على الايام الطويلة وكلما جفّ استحال حتى يصير مسكاً . وظبي المسك كسائر الظباء عندنا في القدّ واللون ودقة القوائم وافتراق الاظلاف وانتصاب القرون وانعطافها ولها نابان دقيقان ابيضان في الفكَّين قائمـان في وجهِ الظبي

طول كل واحد منهما مقدار فتر ودونهُ على هيئة ناب الفيــل فهو الفرق بينها و بين سائر الظباء

وفي تيبت ايضاً دويّبة اخرى مسكيّة عرفهــا العرب بفارة المسك قال القزويني (ص ٥٢) :

وبها (اي تُبَّت) فارة المسك وهي دويبّة تُصاد وتُشدّ سرّتها شدًّا وثيقاً فيجتمع فيها الدم ثم ذبحوها وقوّروا سرّتها ودفنوها في وسط الشعير اياماً فيجمد الدم فيها فيصير مسكاً ذكيًا بعد مــا كان نتن الرائحة وهي احسن انواع المسك واعزّها . وايضاً في بيوتهم جرذان سود لها رائحة المسك ولا يحصل من سرّتها شيء يُنتفع بهِ

﴿ ما عرفهُ القدماء من احوال تيبت واهلها ﴾ لو جُمعت روايات القدماء عن بلاد تيبت لوجدتها زهيدة عقيمة لا تتجاوز اسطراً قليلة . وفي كتب الصينيين بعض تفاصيل عن العلاقات بين الصين وتبّت وعن اخبار تلك البلاد واهلها سنذكرها قريباً . وممّن عرفوا التيبتيين العرب فدخلوا بعض جهاتهم وسمعوا شيئاً من اخبار اهلها فدوّنوها في كتبهم كما سمعوها من الرواة ولعلّ هؤلاء بالغوا في وصفها تعظيماً لها قال القزويني في عجائب المخلوقات (ص٥٢) :

تبت بلاد متاخمة للصين من احدى جهاتهِ وللهند من اخرى مقدار مسافتهــا مسيرة شهر بها مدن وعمارات كثيرة ولها خواص عجيبة في هوائها ومائها وارضها من سهلها وجبلهــا ولا تحصى عجائب انهارها وثمارها وابارها . وهي بلاد تقوى بها طبيعة الدم فلهذا الغالب على اهلها الفرح والسرور فلا يزال الانسان بها ضاحكاً فرحاً لا يعرض لهُ الهمّ والحزن ولا يكاد يرى بها شيخ حزين او عجوز كئيبة بل الطرب في الشيوخ والكهول والشبان عام حتى يرى ذلك في وجه بهائمهم ايضاً وفي اهلها رقة طبع و بشاشة وأريحية تبعث على كثرة استعمال الملاهي وانواع الرقص حتى ان احدهم لو مات لا يدخل اهلهُ كثير حزن

وللمسعودي (١ : ٣٥٠) كلام مثل هذا واغرب منهُ وهو القائل عن اهل تبّت واصلهم الحميري :

والغالب عليهم حمير وفيهم بعض التبابعة على حسب مــا ذكرنا . . . ولهم حضر و بدو وبواديهم تُرك ولا تُدرك كثرة . . . ولهم تمكُّن كثير بعضهم على بعض والتبتُّم فيهم عامّ وكذلك يظهر من بهائمهم وهذا البلد سُمّي بمن ثبت فيهِ ورُتب بهِ من رجال حمير فقيل ثُبّت لثبوتهم فيهِ . قال دعبل الخزاعي في مدح قحطان :

وهم كتبوا الكتاب بباب مروٍ وباب الصين كانوا الكاتبينــا
وهم سمّوا سمرقنــدًا بشمرٍ وهم غرسوا هنــاك التبّتينا

ومن غرائب المرويّات في معجم البلدان (١ : ٨٢٠) قولهُ :

ويقال ان وادي النمل الذي مرَّ بهِ سليمان بن داود (عم) خلف بلاد التبَّت وبـهِ معدن الكبريت الاحمر قالوا وبالتبَّت جبل يقال لهُ جبل السمّ اذا مرَّ بـهِ احد تضيق نفسهُ فمنهم من يموت ومنهم من يثقل لسانهُ

﴿ الرحل الاوربيَّـة الى تيبت ﴾ اوّل من دخل تيبت من الاوربيين احد المرسلين الفرنسيسكان المدعوّ اودريك دي پاردينوني (١٢٨٦–١٣٣١) زار الصين والهند في اوائل القرن الرابع عشر وطاف بلاد تيبت داعيًا اهلهـا الى ديانة المسيح وعمَّد منهم عشرين الفًا ورحلتهُ مدوَّنة في كتاب اعمال القدّيسين للبولنديين في ١٤ كانون الثاني الواقع فيهِ عيد هذا المرسل القديس . ثم بقيت تلك البلاد مجهولةً الى القرن السابع عشر ففي سنة ١٦٢٤ تمكن احد الآباء اليسوعيين اسمـهُ انطون دي اندرادا بعد مشقَّات لا يفي بها احصـاء من الدخول الى تيبت وكانت غايتهُ ان ينهج لاخوتهِ طريقًا تؤدي بهم من الهنـد الى الصين اقصر من الطريق البحريَّة التي كانت تقتضي السنة والسنتين . فتجوَّل في انحاء تيبت ودخل على امرائها ولم يزل يكدّ ويسعى حتى بلغ حدود الصين ولما عاد الى لشبونـة سنة ١٦٢٦ كتب اخبار رحلتهِ في اللغة البرتوغاليَّة . فرغب الناس في معرفة تلك البـلاد العجيبة الّا انهم وجدوا في بلوغ غايتهم عقبات لم يمكنهم تذليلهـا . وكان الاب دي اندرادا رجع الى الهند ليعود ثانية الى تيبت لكنَّ الهنود دسُّوا لـهُ الدسائس فدافوا لهُ السمّ وقتلوه

وبقيت تيبت في عزلتها لم يستطع احد من فتح بابها الى السنة ١٦٦١ حيث ساح فيها مرسلان آخران يسوعيَّان غروبر ودورڤيل مرًّا بتيبت عائدَين من الصين . وفي السنة ١٧١٢ زار تيبت مرسل رابع يسوعي طلياني الاصل اسمهُ هيبوليت داز يدري سافر من دهلي مع الاب مانويل فرار في ٢٣ ايلول سنة ١٧١٤ فدخلا لاهور ثمَّ قطعا مع شقّ النفس جبال كشمير وفي السنة التاليـة وصلا الى بلاد لاداك الخاضعة لتيبت وجعلا يدرسان لغـة التيبتيين ويبحثان عن امورهم ولاسيَّما عن دينهم وبشَّراهم بالدين المسيحي فاصغى الشعب الى اقوالها واستحسنوها . ولمـا بلغهم ان في وسط البلاد مدينة كانوا يعدُّونها كمركز دعوتهم وقطب كل امورهم دينًا ودنيا عزما على السفر اليها ووصلا بعد ستة اشهر الى بلاد لاَّصا او حلاَّصا ودخلا في عاصمتها المدعوة ايضًا

بهذا الاسم في ١٨ اذار سنة ١٧١٦ وبقي فيها الاب دازيدري الى سنة ١٧٢٧ فوصفها وصفاً متسعاً وتقرَّب من اهلها ودعا منهم قوماً الى الدين المسيحي وكاد ينشىء هناك رسالة ثابتة الَّا ان مجمع انتشار الايمان استدعاهُ الى رومية لامور هامَّة فرجع الى عاصمة الكثلكة ودوَّن كلَّ معلوماته عن بلاد تيبت في كتاب واسع طُبع قسم منهُ. وكان جلب معهُ بعض الكتب التيبتيَّة من جملتها كتابهم الديني الكبير المدعو كنجيار او ساهوران فنقلهُ كلَّهُ الى اللاتينيَّة وهو تأليف ضخم يبلغ ١٠٨ اقسام متسعة

وبعد رجوع اليسوعيين من تيبت وكل مجمع انتشار الايمان الى الآباء الكبوشيين المرسلين في آجرا على حدود تيبت بان يهتموا برسالة تلك البلاد فكانت تحت نظارتهم الَّا انَّهم لم يستطيعوا ان يقووا على العوائق التي قامت في وجههم الَّا البعض منهم كالاب اورازيو دالَّا پنَّا الذي تجوَّل في تلك البلاد وكتب عنها اموراً غريبة . وفي تلك الاثناء طاف ايضاً في تيبت رحَّالة هولندي اسمهُ ڤان دي پوت وتوطَّن لأصا مدَّة وقد فقد معظم ما كتبهُ عن تلك البلاد الَّا خارطة رسمها تحفظ في مدّلبورغ في زيلندة وكان اليسوعيون في الصين بايعاز الامبراطور «كنغ هي» علَّموا كاهنين من كهنة تيبت المدعوّين لاما بان يرسموا صورة بلادهما فرسمها الكاهنان وهذه الخارطة من ادقّ واضبط ما وُضع حتى اليوم

ولمَّا صارت بلاد الهند تحت حكم الانكليز ارسلوا الى امراء تيبت وفداً ليعقدوا معهم عهداً تجاريًّا سنة ١٨٠٠ وقد اخبر بذلك احد اصحاب هذا الوفد اسمهُ صامويل تورنر ومذ ذاك الحين توجَّهت انظار الانكليز الى بلاد تيبت المتاخمة للهند الانكليزيَّة لكنَّ آمالهم لم تتحقَّق في التقرُّب منها . وفي هذه السنة ذاتها نقل الخوري الروسي هياكنت بوتشيرين وصفاً لبلاد تيبت نقلهُ من اللغة الصينيَّة وكان رأى امراء تيبت في پاكين لمَّا قدموا على ملكها سنة ١٨٠٠ يجدّدون لهُ مراسيم الخضوع

هذا ملخَّص الرحل الاوربيَّة الى التيبت قبل القرن التاسع عشر وكان كثيرون افرغوا كنانة الجهد لزيارتها فخابت مساعيهم وفي اواسط هذا القرن عزم المرسلون الكاثوليك على فتح رسالة في تلك الجهات وممَّن كاد يصيب المرمى ويبلغ تلك الغاية مرسلان لعازريَّان وهما الابوان هوك وگابت (Huc et Gabet) بشَّرا بالايمان مدَّة في الصين ثم سافرا مع كاهن تيبتي تنصَّر على يدهما وقضيا في سفرهما سنتين تجشما

في مدتهما الاخطار وقاسيا اصناف الاتعاب فوصلا الى حاضرة لاصًا واحتلّا تلك المدينة وسكناها اربعة اشهر في سنة ١٨٤٦ وكانا ينويان ان يقضيا فيها حياتهما الّا ان العامل الصيني فيها بامر الامبراطور اضطرهما الى الرجوع الى الصين. وقد كتب الاب هوك تفاصيل رحلته في كتاب خاص نُقل الى كل اللغات الاوربيَّة

وفي السنة ١٨٤٨ صارت رسالة تيبت في عهدة مرسلين كاثوليك من جمعيَّة الرسالات الاجنبيَّة فرحل منهم خمسة كهنة من جهات مختلفة حتى اذا مات بعضهم او رُدُّوا خائبين امكن الآخرين بلوغ غايتهم ففاز احدهم الاب رينو (Renou) واجتمع بارباب الدين عند اهل تيبت وتعلَّم لغتهم وألَّف معجمًا لدرسها وبعد اللتيَّا واللتي امكنهُ ان يشتري ارضًا اقام فيها مأتمًا ومستوصفًا فانتشرت اخبارهُ في تيبت وقصده الاهلون من كل صوب ثمَّ لحق بهِ غيرهُ من المرسلين ولم يزالوا يصرفون القوى في توسيع نطاق رسالتهم وفتح منازل غيرها في حدود تيبت حتى تخوَّف اصحاب الدين البودي على سلطتهم فهيجوا القوم على المرسلين وقتلوا منهم كثيرين واضطهدوا الذين تبعوهم في دينهم واخربوا كل الابنية التي شيَّدوها ١٨٨٧ . وكان بين اولئك المرسلين رجل مقدام تعمَّق في درس آداب التبتيين اسمهُ ديغودين (Desgodins) صنَّف كتابًا في وصف تلك البلاد واهلها

لكنَّ الاوربيين رغمًا عن كل هذه المشاكل لم يروا بُدًّا من التوغُّل في تيبت فعادوا بعد السنة ١٨٩٠ وجهزوا البعثات لتلك البلاد ليفحصوا عن مجاهلها ويستخرجوا دفائنها منهم الفرنسويَّان دوتريل دورنس (Dutreuil de Rhins) وغرنارد (F. Grenard) اللذان سافرا سنة ١٨٩١ على طريق القبجاق وتركستان وكشغار الى خوطان الى تيبت فقُتل الاوَّل وعاد الثاني سالمًا فكتب اخبار الرحلة . ومنهم الاميركي روكهيل (M. W. Rockhill) الذي طاف بلاد تيبت ونشر في لندن وفي واشنغتون تفاصيل بعثتهِ

وفي السنين العشر الاخيرة تقدَّم الانكليز الى حدود تيبت ليأخذوا بناصر بعض رعاياهم هناك وحدثت حرب الصين مع يابان وزاد النفوذ الانكليزي في تيبت فتعدَّدت الرحلات اليها فدخلها ليتلدال (Litteldal) وولبي (Welby) والبرنس هنري دي اورليان والمسيو دي ميلواي (de Milloué) والهندي شندرا داس وغيرهم.

وآخرُ من دخلها روبرت غرتس (R. Geerts) البلجكيّ والذي كان في خدمة والي مقاطعة « كان سو » فرحل في العام ١٩٠٦ الى تيبت ونشر موءخراً بعض تفاصيل رحلته في نشرة الدروس الاستعماريّة البلجيكيّة (١

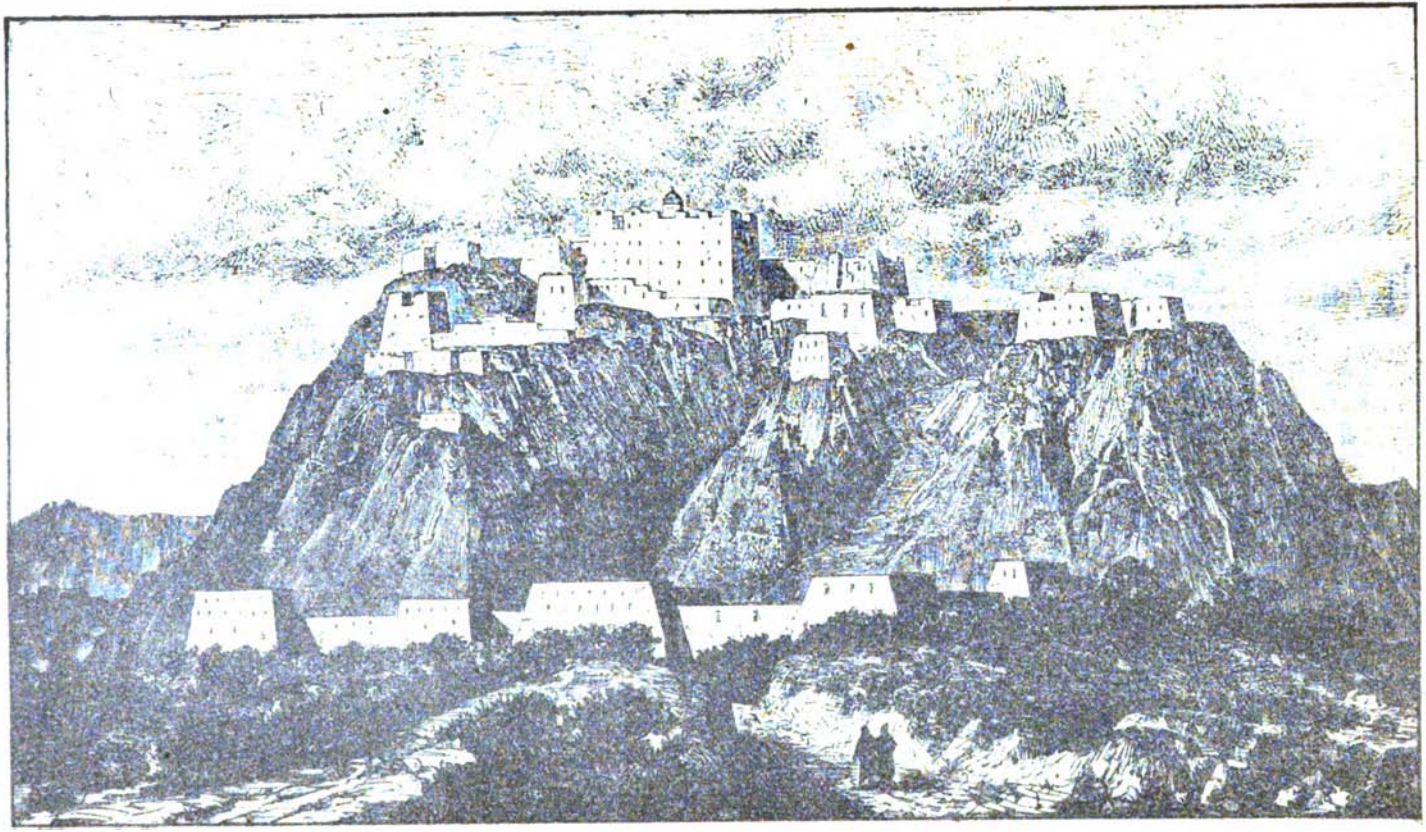
﴿ السكان ﴾ يقدّرون عدد اهل تيبت بنحو خمسة آلاف الفٍ من النفوس · والتيبتيون من العنصر المنغولي او التتري · وهم اشدّاء البنية مفتولو الاعصاب صادقو اللهجة أُباة الذل ذوو انفة وحميّة كرماء الطباع مغاوير في الحروب يصدقون اعداءهم الحملات ولا يهابون الموت · وقد طُبعوا مع هذا على لطف الطباع ودماثة الاخلاق ومن حسن سجاياهم انهم يكرمون وفود الضيف ويعدّونـهُ من جملة اهل البيت ولا يضنّون عليهِ بشيء من مقتناهم

والتيبتيون يحبون الملاهي والالعاب ويقضون اوقـاتهم في الافراح والمسرّات ويشربون المسكرات ويدمنون على الرقص ولعلّ كتبة العرب نسبوا الى التيبتيين البسط والسرور الدائم لاجل هذا السبب لكنهم بالغوا في قولهم الى حد الغلوّ ونسبوا الامر الى احوال الجو كما مرّ (ص٥٢٦)

واهل تيبت اذكى عقلًا من بقيّة التتر والمغول وهم يحسنون الصنائع كالنقش ونحت التماثيل وقطع الحجارة الكريمة وسبك المعادن وصياغة الجواهر وحياكة الانسجة واشغال النجارة المتقنة وغير ذلك من الاعمال التي تشهد لهم بالحذق والبراعة · على ان هذه الاشغال الصناعيّة لا يزاولها منهم الّا العامّة امّا الاعيان فيعتبرونها مخلّة بشرفهم وهم يكلّفون نساءهم بالاعمال الشاقّـة ولا يكادون يفكرون في غير اليوم الحاضر ليذخروا لعيالهم معاشًا ولاولادهم مالًا

ومن سوء عاداتهم تساهلهم في امور الزواج اذ يتصرّفون في المرأة تصرُّفهم في البهيمة العجماء والإضرار عندهم شائع بل ربَّما تعدّد الازواج على المرأة الواحدة · واذا مات الرجل دخلت زوجاتهُ في حكم اخيـهِ · والطلاق في تيبت لا يُسمح بهِ الّا لاسباب ثقيلة · اما الفجور فهو فاشٍ عندهم لحرّيّة زائدة في بناتهم وقـد بلغ الامر الى حدّ عظيم حتى فرضوا على النساء تلافيًا لهذا الشر بألّا يخرجنَ من بيوتهنّ دون ان

(١) اطلب عدد أيّار الاخير Bulletin de la Société Belge d'études coloniales *Mai* . 1908 . *Bruxelles*.



صورة دير لاصاً المسمَّى برتالا الذي يسكنهُ دالي لاما زعيم الدين في التيبت

يطلين وجوههنَّ بطلاء غَرَوي اسود اللون تشويهاً لمنظرهنَّ . وهذه السنَّة قد شاعت منذ القرن السابع عشر وهي لم تحسم الداء الَّا نوعاً

والتيبتيون قسمان بدو وحضر فاهل البادية يرعون المواشي و يزاولون الحراثة والغزل اما اهل الحضر فيترزقون بالتجارة . والنساء يتَّجرنَ كالرجال . وهم يعرضون مبيعاتهم في الشوارع وليس لهم حوانيت يودعونها عروضهم . وعلى اسواقهم شيوخ او محتسبون يلحظون العيارات والموازين لئلا يغشوا الزبون . ونقودهم قليلة لا يستعملون منها سوى مسكوك فضي واحد يُضرب في بلاد نيبال . ويتخذون غالباً في متاجرهم قطعاً من الذهب والفضة غير المسكوكة يزنونها ويدفعون ما يساوي السلعة

﴿ لغتهم وعلومهم ﴾ لغة التيبتيين جامعة بين خواصّ اللغات المنفردة المقاطع والتصريفيَّة وعلاقتُها مع اللغات المنغوليَّة اظهر . امَّا كتابتهم فاستعاروها من الكتابة الهنديَّة القديمة وتتركب احرفها الهجائيَّة من ثلاثين حرفاً . ولهم كتب واسعة تتضمن علومهم الدينيَّة يلقّنونها المترشحين للمراتب الدينيَّة . ولهم مدارس يعلمون فيها صغارهم مبادئ القراءة والكتابة واصول الدين . اما العلوم الخاصَّة فلا يعرفون منها الَّا النزر القليل كالحساب وشيء من العلوم الفلكيَّة لضبط تقويم سنتهم وقليل من الطب والجهل سائد في معظم الشعب والخرافات مطبقة على عقولهم وفي لأصا مدرستان ثانويَّتان ومطابع

﴿ حكومتهم ﴾ الهيئة الحاكمة في تيبت تجري غالباً على حسب الدستور الصيني لانَّ تيبت من البلاد المنوطة بالصين تؤدي لصاحبها الجزية وللصين حكام في تيبت ينظرون في امور اهلها و يتوسَّطون بينهم و بين امبراطور الصين الَّا انَّ سلطتهم اسميَّة لا فعليَّة لاتساع بلادهم وصعوبة المواصلات بين الصين وتيبت . وغاية ما يعلنون بهِ خضوعهم ما يوفدونهُ الى ملك الصين من الوفود وقتاً بعد آخر ليقدّموا لهُ بعض الهدايا ولتيبت عسكر يبلغ عدده ٦٤٠٠٠ جندي يلبسون الدروع و يتقلّدون السيوف و يتنكّبون الاقواس والبندقيَّات او يعتقلون الرماح وفي ايديهم التروس يصوّرون عليها الحيوانات الضارية وعلى رؤوسهم الخُوَذ يزينونها بريش الطواويس او بالعصائب الملوَّنة واذا جنى الجاني امَّا زجروهُ في الحبس وعاقبوه بالمِقطرة وربَّما ينفذون فيهِ الحكم . ومن عقوباتهم انَّهم كانوا يلقون الاثمة مشدودين في مغاور تكثر فيها الحيَّات والعقارب او

كانوا يسلّمونهم الى قبائل متوحشة تغتذي بلحوم البشر او يقطعون اعضاءهم اربًا اربًا

﴿ تاريخهم ﴾ قد تسكّع الكتبةُ الظلمات في تعريف اصول التبتيين وبيان تاريخهم القديم . ويزعم الصينيون انَّ اهل تيبت كانوا يسكنون الصين قبلهم فلمّا فتح ملوكُهم تلك البلاد طردوهم منها فتوغلوا مجاهل تيبت واستوطنوها . اما التيبتيون فلا يعرفون شيئًا من اصلهم ويقول بعضهم انَّ جدَّهم الاوَّل كان الهًا على القرد فازدوج بجنيَّة واولد التيبتيين . ومما يؤْخذ من الكتابات الصينيَّة القديمة ومن بعض تلميحات للجغرافيين الرومانيين واليونان انَّ اهل تيبت كانوا قبائل متفرقة في اوائل تاريخ النصرانيَّة . وقد عدَّد هذه القبائل كاتب صيني من القرن السادس للميلاد ووصف مساكنها وخيامها وعاداتها وهي في الغالب كعادات اهل تيبت في عهدنا كما مرَّ وصفها . وكانت هذه القبائل خمس عشرة على كل قبيلة شيوخ او امراء وبقيت تلك القبائل متفرّقة الكلمة حتى جمعها نحو سنة ٦٣٠ اميرٌ ذو سطوة وبأس اسمهُ سيرونغ او سيرونغ تسان پو فتحالفت القبائل وكان هو ملكها واتخذ لأصا كرسيًا لملكهِ وارسل الى الهند وفدًا فاستعار لقومهِ ديانة الهنود وكتابتهم . ثم قام بعد سيرونغ اولادهُ فوطّدوا دعائم سلطتهم وزادوها اتساعًا وارسلوا السفارات الى البلاد البعيدة لمحالفة اهلها . وقد بلغت تلك السفارات حتى بغداد فحالفوا خلفاءها العباسيين

ثم قوي نفوذ البوذيين في القرن العاشر فشقُّوا عصا الطاعة للامراء التيبتيين ودعوا الناس لنفسهم وصار الحكم في ايدي هؤلاء الكهنة مدَّة . ثمَّ حصل بين الكهنة والامراء مخاصمات وحروب فكان الفوز تارةً لهؤلاء وتارةً لأولئك حتى فتح الصينيون بلاد تيبت ولم يروا لحفظها في ملكهم طريقة اصوب واثبت من ان يعدُّوا عليها ايدي الكهنة ويجعلوا نوَّابًا لهم فيها ليؤيّدوا سلطتهم ويكسروا شوكة المتمرّدين عليهم لاسيما بعد ان قبض الامبراطور كيان لنغ سنة ١٧٥١ على امير تيبت وامر بقتلهِ فحصلت تيبت على السلام التام وبقي اهلها في عهدة ارباب الدين

﴿ الدين ﴾ ابقينا هذا الفصل لختام هذه المقالة لان للدين في تيبت احوالًا خاصة تفرز تلك البلاد عمّا سواها

كان الدين الشائع في تيبت الى القرن السادس للميلاد اشبه شيء بدين الصينيين

فكانوا يؤلّهون القوّات الطبيعيّة ويسجدون لها وكانوا يخصّون باكرامهم اجدادهم الموتى فيقدّمون لهم التقادم وكان لهم كهنة عرّافون سحرة يلتجئون اليهم في امورهم ويقرّبون على يدهم القرابين والذبائح من المواشي والبشر ايضاً. وبقي الحال على ذلك الى ان دخلت بينهم ديانة بوذا الهنديّة في عهد الملك سيرونغ السابق ذكرهُ لكنها لم تشع عندهم الّا في القرن التاسع للميلاد

اما بوذا المذكور ويدعونهُ ساكياموني فقد اختلفوا في زمن حياتهِ فمنهم من يجعلهُ في القرن السادس قبل المسيح ومنهم من يقرّب عهدهُ الى القرن الثالث اما حياتهُ فلم يكتبها مشايعوه الّا عدة اجيال بعد موتهِ فتراهم ينسبون اليهِ من الاعمال العجيبة الغريبة ما لا يقبلهُ عاقل ولا يرضى بهِ اديب. وترى في روايات البوذيين من التباين والاختلاف ما يضعف الثقة فيها ويولي الريب في صحّتها. وقد تحقق اليوم اصحاب النقد ان الذين كتبوا ترجمة بوذا باشروا ذلك بعد شيوع النصرانيّة فنسبوا اليهِ اشياء نقلوها عن الانجيل او سمعوها من دعاة الدين المسيحي

وقد امتاز بوذا بمناقضة دين البراهمة في الهند فلمّا كان البرهمانيّة جعلوا الشعوب طبقات منها للامر والسيادة اشتقّوا اصلها من آلهتهم وخصوها بامتيازات لا تتناول سواهم ومنها للعمل والصناعة ومنها للذلّ والاستعباد بحيث لا تمتزج طبقة بأُخرى ولا تخالطها البتة في كل اطوار الحياة قام بوذا لمعاكسة البراهمة واشاع مذهب الانتشار فجعل الله سبحانهُ وتعالى كمجموع الكون العامّ ممتزجاً بكل المخلوقات وليست المخلوقات سوى ظواهر ذلك الاله العظيم الذي يظهر هنا في شكل الحيوان وهناك في صورة النبات وفي محل آخر في صورة الجماد ويتلوّن بألوانها ويتصف بصفاتها ويتغيّر بكل تغييراتها وذلك مذهب الحلول الذى لا يفرز بين الخالق والمخلوق وبين الله والعباد

ومن تعاليم البوذيّة التقمّص فانّ الحيّ ومنهُ الانسان اذا مات تجدّدت حياتهُ في مخلوق آخر ثم ينتقل الى مخلوق ثالث ورابع الى ما شاء الله. وهم يزعمون ان الانسان اذا زهد في الامور الهيوليّة وتجرّد عن المحسوسات تحوّل آخرًا الى وجود الاله بعينهِ فدخل في ذلك الكل العامّ وفقد وجودهُ الخاصّ. فمن ثمَّ على الانسان ان يزيد كل

يوم تجرُّدًا وزهدًا حتى تصفو حياتهُ من الهيولي فيعدم كونــه ويتحوَّل الى الكون العمومي الذي هو الله على زعمهم

فهذه خلاصة تعاليم البوذيين اما آدابهم فانَّها مطابقة لها فتراهم يصومون و يصلُّون ويمارسون التقشفات وضروب اعمال الاماتة ويسعون في ترحيض ذنوبهم بالتوبة عنها ويمتنعون عن الزواج وغايتهم من كل ذلك ان يشملهم يوماً اللاهوت فيلجوا في كونهِ المنتشر في كل العالم

تلك الديانة البوذيَّة نظريًا وقد اثَّرت تعاليمها وسيرة نسَّاكها وتجرُّدهم في قسم كبير من شعوب الهند وشاعت في انحاء آسية الوسطى وانتشرت في الصين ويابان وسيَّام وسيلان ولا سيما في تيبت . على انَّ في هذه الديانة معايب تحطُّ من قدرها وتقانص تبخس شأنها . فمن ذلك انَّ بوذا واشياعهُ دعوا الناس الى الاخاء والتودُّد لكنهم لم ينفوا شيئاً من فظائع الوثنيَّة فتركوا لكل قوم خرافاتــهِ لا بل زاد بهم عدد اصنامهم فانَّ بوذا وكثيرًا من مشاهير البوذيين يُعبَدون الان بصفة آلهة حقيقيين يقدّمون لهم الذبائح و يتقرَّبون اليهم بالقرابين . ومنها انهم أبطلوا في قلوب الناس الايمان بالآخرة و بيوم الدين اذ يعلمون بانَّ الانسان بعد ازمنة غير مقدَّرة سوف يعود الى العنصر الالهي مهما كانت اعمالهُ . وليس للاعمال الصالحة فعل آخر سوى انها تقرّب المدة لاستحالة الانسان الى اله . و بذلك اطلقوا العنان الى كل شهوات البشر الباطلة

هذا ما يُقال بالاجمال عن الديانة البوذيَّة اما في تيبت فقــد ظهرت في مظهر خصوصي فان لاهلها نظاماً دينيًا شبيهاً بنظام الدين الكاثوليكي وهم يسمُّون عندهم المنقطعين لامور الدين « لاما » يعيشون معتزلين عن العامَّة في شبه الاديرة تحت امرة كبير دينهم المدعو « دالاي لاما »

ولهذا الزعيم سلطة روحيَّة ومدنيَّة ايضاً يطيعهُ اهل تيبت ويحكم فيهم الحكم المطلق وهم يقبلون حكمهُ قبولهم لحكم بوذا و يزعمون انَّ بوذا يتجسد فيهِ ولذلك يجثون امامهُ ساجدين الى الاذقان

وللنساك اللاما درجات كالرهبان عندنا منهم الطلبة ومنهم المبتدئون ومنهم المأذونون بالتعليم الى غير ذلك ممَّا تقلَّدوا فيهِ النصرانيَّة واخذوه عن نصارى الهنـد والصين في قديم الزمان لاسيما النساطرة الذين امتدُّوا في انحاء تلك البلاد . وكذلك عيشتهم

في الاديرة على مثال الرهبان في النصرانيَّة لكن بينهم وبين الرهبان النصارى فروقًا عظيمة اذ لا يبرزون لله نذرًا وليست طاعتهم الّا في امور خارجيَّة قليلة . وليس للفقر الاختياريّ عندهم اثر فانهم يجمعون المال ويصرفونهُ كيف شاؤوا وكل واحد منهم مستقلّ بمالهِ يُتاجر بهِ وينفقهُ في حاجاتهِ دون ان يكترث لحالة الجماعة . وهم يلبسون مع ذلك لبسًا واحدًا وربَّما كان عددهم في الدير الواحد ثلاثة آلاف واكثر. ولهم اوقات معيَّنة لبعض الصلوات يتلونها على نظام معلوم وينشدون الاناشيد وينفخون بالابواق ويتخذون آلات الطرب ليستعينوا بها في صلواتهم . اما هذه الصلوات فهي ابتهالات وتسابيح وتحريضات على عمل الصلاح واكرام بوذا . وفيها اشياء رمزيَّة لا تُدرك معانيها ولم يتفقوا في شرحها . كصلاتهم للسِدْر يرددونها معظمين للسدر كنبات الهي يشفي كل الادواء . وقد اتخذوا لصلاتهم اسطوانة يديرونها فتمثّل الادعية التقويَّة بعض والابتهالات ويدعون تلك الآلة اسطوانة الصلاة . ولهم امور غريبة اخرى لا يسعنا هنا شرحها

واذا مات احد هؤلاء النسَّاك احرقوا جثتهُ امَّا العامة فانهم يهشمون جثثهم ويدقونها في المدقّ ثم يلقونها للكلاب او للنسور او يرمونها في الانهار . اما رئيسهم الكبير فاذا مات ذهبوا الى احد السحرة ليدلَّهم على طفل صغير يحلُّ فيهِ روح بوذا ليقيموه في مكان الميت فيطلبون الطفل المذكور ويستدلّون عليهِ بادلّة يعيّنها لهم الساحر فياخذونهُ ويربونهُ حتى ينشأ ويكبر فيجعلونهُ في رتبة دالاي لاما وفي مقام بوذا وهم يدعونهُ « بوذا الحي » ولهم في كل دير رئيس مثلهُ الّا انَّ الرئيس الذي في لاَصا اكبرهم واعظمهم شانًا وانفذهم سلطانًا وانصارهُ يلبسون اللباس الاحمر بخلاف اولئك الذين يلبس اصحابهم الابيض وفي خارج تيبت يلبسون الاصفر . ودالاي لاما لا يزال محجوبًا منقطعًا الى اعمال رتبتهِ السامية واذا خرج حملوه في محفَّة لابسًا ثيابًا فاخرة وعلى راسهِ تاج كتاج الاساقفة وعلى كتفيهِ شبه الغفارة وفي يده مِخصرة يبارك بها الشعب ويمشي امامهُ صفوف من اللاما رفعًا لقدرهِ . وهذه المظاهر التي شهدها بعض السيَّاح مع ما سمعوا عن تعاليم البوذيين حملت بعض الكتبة على المقابلة بين النصرانيَّة والبوذيَّة وادّى بهم هذيانهم الى ان يفضلوا البوذيَّة على النصرانيَّة . فلابطال هذا المدّعى الكاذب يكفينا ان ننقل هنا قول واحد من اكبر علماء زماننا بالديانة

البوذيّة وهو السيّد دي هارلي (de Harlez) قال في مقالة مطوّلة كتبها في هذا الصدد ما تعريبهُ الحرفيّ :

«اني اعدُّ اقوال الذين يقابلون بين البوذيّة والنصرانيّة ضربًا من الهزل واللغط . ان غاية ما تحتوي به الديانة البوذيّة بعض الوصايا الادبية والافكار السامية المقيمة . فان اعتبرتَ فلسفتها وجدتها سقيمة سخيفة لا تكاد تخالف فلسفة المادّيين والدهريين . وكذلك اخبارها عن اصل الانسان وتكوين العالم فانها اشبه بالهذيان منها بالتعاليم الصادقة . آداجهم مبنيّة على تعليم التقمّص فتعلّم الانسان ان يقضي حياتهُ في الزهد وقشف العيش لا لينال منها يومًا ثوابًا عند الله بل ليفقد يومًا شخصيتهُ ويدخل في العدم . يقول البوذيون انهم لا ينكرون وجود الله لكن قولهم كذب محض اذ انَّ الههم ليس هو باله شخصي قائم بذاتهِ وانما هو اسم معنًى يدعونهُ بالشريعة الكلية وليس لهُ حقيقة في الكون ليخلق ويدبّر وليثيب ويعاقب . فاجمعْ كل كتب البوذيين الدينيّة لا تجد فيها كلها من التعاليم الادبية الصالحة ما يجده النصرانيّ في الصلاة الربية وحدها . فرأيي الخاص ان الفرق بين البوذيّة والنصرانية كالفرق بين السماء والارض وكبعد الثريّا من الثرى»

ولو اردنا لنقلنا هنا اقوالًا لغيره من العلماء حتى الذين لم يدينوا بالنصرانيّة كرينان وستروس وغيرهما وليس كلامهم مخالفًا لرأي السيّد دي هارلي . وبهِ الكفاية

سلسلة مطارنة كرسي حلب

للخوري كيرلّس شارون الروم الكاثوليكي الملكي

حلب من المدن الاوليَّة القديمة عرفها البابليون وسموها حَلْبون وكذلك تكرَّر ذكرها في الكتابات الهروغليفيَّة على صورة خلبو واسمها العربي مشتقٌ من هذا الاسم القديم وسماها السلوقيون بيريا على اسم احدى مدن مقدونية . ولمَّا ظهرت الدعوة النصرانية لم تتأخَّر حلب عن قبول بشارة الخلاص . ولعلّها صارت منذ القرون الاولى مركزًا لاساقفة خصوصيين يديرون شؤونها لكن الآثار لم تحفظ لنا ذكر احد منهم قبل عهد قسطنطين الكبير . وها نحن نسرد هنا اسماء الذين وقفنا على بعض اخبارهم

١ (اوستاتيوس) كان اسقفًا على بيريا اي حلب في الربع الاوَّل من القرن الرابع فلمَّا عُقد المجمع النيقاوي الاوَّل سنة ٣٢٥ اختارهُ اباء المجمع كخلف لبطريرك

انطاكيــة بولينوس (١ وكان اوستاتيوس رجلًا صالحًا قاسى الآلام والعذابات لاجل الايمان في عهد ديوقلطيانوس ودبَّر الكرسي الانطاكي احسن تدبير وقاوم الاريوسيين بكل نشاط حتى نفوه من كرسيهِ ثم عاد اليهِ ورعى شعبهُ مدةً فثار عليـهِ اعداء الدين ونفوه ثانيةً الى ترايانوبوليس وبها كانت وفاتهُ وهو طاعن في السنّ يربي عمره على التسعين

٢ (كيروس) هو خلف أوستاتيوس في كرسي حلب · وقـد روى القديس اثناسيوس في دفاعهِ عن نفسهِ (٢ الذي قدَّمـهُ لقنسطنس الملك انهُ نُفي لاجل الايمان وقد اشار اليـهِ ايضًا في رسالتهِ الى السيَّاح (٣

٣ (ملاتيوس الاوَّل) جاء في تاريخ سقراط (ك ٢ ف ٤٤) ان ملاطيوس المذكور كان اسقفًا على سيبسطية (سيواس) من اعمال الارمن ثم نُقل من كرسيهِ الى كرسي بيريا في سوريًا ومنهُ الى كرسي انطاكية بعد ان عُقد مجمع سلوقية (٤ سنة ٣٦١

٤ (اناطوليوس) خلف اناطوليوس هـذا ملاطيوسَ السابق ذكره وكان اناطوليوس سابقًا كاهنًا على كلسيس (انجر) في سوريًا · ولمَّا التأم مجمع انطاكية في عهد ملاطيوس البطريرك حضرهُ سنة ٣٨٠ وامضى الرسالة التي وجَّهها الاباء الى الامبراطور يوفيان (٥

٥ (ثاودوطيوس) كان هذا في عهـد الامبراطور والنس (٣٦٤—٣٧٨) وذكرهُ القديس باسيليوس كاسقف بيريا واليهِ وجَّه رسالتهُ المرقومة بالعدد ١٨٥ (٦

٦ (اقاقيوس) كان هذا راهبًا فتوسَّل اسابيوس الصُّميصاطي الى الامبراطور والنس بان يندبـهُ الى اسقفيَّة بيريا فاجاب الى طلبتـهِ (٧ وحضر اقاقيوس المجمع

---

١) راجع تاريخ سوزومان (Sozomène, H. E. I. 2 ; Migne PP. GG., LXVII, 979)

٢) اطلب اعمال الآباء اليونان (PP. GG., XXV, 595)

٣) فيها ايضًا (PP. GG., XXV, 699)

٤) راجع اعمال الآباء اليونان (PP. GG.,LXVII, 355)

٥) راجع تاريخ سقراط (ك ٣ ف ٢٥) واعمال الآباء اليونان (Ibid., 455)

٦) راجع الآباء اليونان (PP. GG. XXXII, 662)

٧) اطلب تاريخ الرهبان لثاودوريطس (ف ٢ Migne LXXXII, 1314) وتاريخهُ الكنسي ك ٥ ف ٤)

القسطنطينيّ الأوّل سنة ٣٨١ وانضمَّ الى المادحين للقديس يوحنا فم الذهب (١ ثمَّ جنح الى مذهب النساطرة وتوفي في ١١٠ من عمره وقد تكرَّر اسمهُ في كتابات اهل زمانهِ كان مولده سنة ٣٢٦ ورقي الى كرسي حلب سنة ٣٧٩ وتوفي سنة ٤٣٦

٧ (ثاوكطيسطوس) خلف هذا اقاقيوس في اسقفيتهِ ولثاودوريطس المؤرخ رسالتان وجَّهها اليهِ (٢ . ولما عُقد مجمع انطاكية في عهد البطريرك دومنوس سنة ٤٤٨ للحكم في دعوى ايباس الرهاوي (٣ . ثم وقَّع اعمال المجمع الخلقيدونيّ سنة ٤٥١ والرسالة التي وجهها اساقفة سوريَّة الاولى الى الامبراطور لاون في دعوى قتل بروتيريوس بطريرك الاسكندريَّة سنة ٤٥٨ (٤

٨ (انطونيوس) اسقف حلب الملكيّ ورد ذكرهُ في تاريخ ديونيسيوس التلمحريّ (٥ في جملة من نفاهم سنة ٥١٨ يوسطينوس الامبراطور لمقاومتهم المجمع الخلقيدوني . وقد اوفد اليهِ ساويرس بطريرك انطاكية الدخيل ثلاث رسائل (٦ . اما وفاتهُ فسبقت ٥٤٣ التي فيها باشر اليعاقبة نظامهم الكنسي (٧

٩ (بطرس) في التقرير προσφώνησις الذي كتبهُ ساويرس الانطاكي وارسلهُ الى رؤساء الاديرة في الشرق توقيعات بعض الاساقفة ومن جملتهم بطرس اسقف حلب (٨ . وكذلك يُرى اسمهُ في عداد الاساقفة (٩ الذين سقَّفوا على انطاكية ساويرس الدخيل سنة ٥٠٨

---

١) تكرَّر ذكرهُ في التاريخين السابقين وفي الجامع (Mansi III, 568) وفي تاريخ سوزومان (ك ٧ ف ٢٧) وفي ترجمة القديس يوحنا فم الذهب لبلاديوس ٢) وهما الرسالتان ٣٢ و ١٣٤ اطلب اعمال الآباء اليونان (PP. GG., LXXXIII, 1219 et 351)

٣) اطلب اعمال الجامع لمانسي (Mansi VI, 496) ٤) مانسي (Mansi VII, 557)

٥) اطلب المكتبة الشرقيَّة للسمعاني (Assemani, B.O. II, 327) وتاريخ ميخائيل الكبير (ك ٩ ف ١٣ ed. Chabot II, 171)

٦) تجدها في اعمالهِ المصونة في المتحف البريطاني (British Museum, *Fonds Syriaque* N° 692.)

٧) تاريخ ميخائيل الكبير (Michel le Syrien, 244-245)

٨) اطلب قائمة المخطوطات السريانية في المتحف البريطاني (Wright, *Catal. Mss. Syr.*, II, 970)

٩) قائمة اسمائهم طُبعت آخرًا بهمَّة كوغنر (Patrologia Orientalis, II, 319-325)

١٠ (ميغاس) او مَغنوس يُقرأ اسمهُ في عدَّة توقيعات منهـا توقيعهُ سنة ٥٣٦ على رسالة اساقفة المشرق الى البابا اغابيتوس سنة ٥٣٦ يعرضون عليهِ الشكاوى في ساويرس الانطاكي (١ . وفي سنة ٥٤٠ اوفـدهُ الانطاكيون الى كسرى ملك الفرس ليلتمس منهُ بألّا يحاصر مدينتهم فعـاد خائباً . وفي سنة ٥٨٦ اجتمع في القسطنطينيَّة مجمع تقدَّم فيهِ البطريرك منّاس وامضى اعمالهُ بعض الاساقفة ومن جملتهم ميغاس المذكور (٢ وعليهِ يكون ميغاس ادار كرسي حلب نيّفاً وخمسين سنة

١١ (ك١ . . .) اسقف مجهول الاسم ذكرهُ ميخائيل الكبير في تاريخهِ (٣ قال انهُ وقع في حلب سنة ٧٢٦ خصام بين موارنة حلب واصحاب القديس الشهيـد مكسيموس الذين يدعوهم المؤرّخ مكسيميين وانتهى الخصام بانضمام اسقف الموارنة الى المكسيميين

١٢ (ك٢ . . .) روى ميخائيل الكبير في تاريخهِ ايضاً (٤ ان احد قوّاد الخليفة المعتصم اسمهُ ابو سعيد قـدم حلب بعد فتح عمورية في رمضان سنة ٢٢٣هـ (٨٤٥م) فلقيهُ اسقف المدينة الخلقيدوني ولم يذكر اسمهُ

١٣ (اغابيوس) لما توفي في طرسوس تاودورس الكولوني بطريرك انطاكيـة في ٢٨ ايّار سنة ٩٧٦ سعى مطران حلب المسمى اغابيوس لدى الامبراطور باسيـل الثاني المعروف بالبلغاري بان يقيمهُ في رتبتهِ فاجابـهُ الملك الى سؤلهِ بشرط ان يثبت المدينة تحت حكمهِ ويخلصها من برداس سكلاروس احد اعدائهِ فوعد بذلك واقامهُ والي المدينة المدعو عبيد الله ونائب ميخائيل بورتّس رئيس الجيش في كرسيِّـهِ في ٢٣ كانون الاول سنة ٩٧٧ (٥

١٤ (غريغوريوس) ذكرهُ الخوري ميخائيل بريك في تاريخهِ المخطوط بين نُسخ مكتبة الآباء اليسوعيين الشرقيَّة (وهذه النسخة تخالف النسخة التي طبعهـا في

١) اطلب مانسي (Mansi VIII, 920)
٢) مانسي (Mansi, IX)
٣) اطلب هذا التاريخ (ج ٢ ص ٤٩٥) (ed. Chabot, II, 495)
٤) اطلب التاريخ عينهُ (ج ٣ ص ٩٦) (Ibid, III, 96)
٥) اطلب كتاب شلومبرجر (Schlumberger: L'Epopée Byzantine, II, 270)

مصر سليم افندي قبعين) قال (ص ١٠٩) : « بعد وفاة يواكيم بن جمعة البطريرك الانطاكي سنة ٧٠٨٤ للعالم (١٥٧٦) اجتمع كل روساء كهنة النوريَّة بدمشق فانتخبوا منهم ثلاثة روساء كهنة وهم غريغوريوس اسقف حلب وميخائيل مطران اوخاييط ويواكيم مطران طرابلس » ثم اخبر كيف انتخبوا بطريركاً ميخائيل مطران اوخاييط سنة ٧٠٨٥ (١٥٧٧م) بايعاز غريغوريوس اسقف حلب وكيف اتخذه ميخائيل كوكيلهِ وألبسهُ صاكون منعماً عليهِ بتلك الشارة

١٥ (مكاريوس) يُعرف بابن خلف ذكرهُ الخوري ميخائيل بريك في اخبار البطريرك يواكيم بن زيادي قال (ص١١٥ من النسخة الخطيَّة) ان البطريرك المذكور ارسل مكاريوس الى القسطنطينيَّة ليعلم بطريركها باخبار رجل يُدعى بابن الكباب كان خدع النصارى وادَّعى انهُ مطران فشرطن كهنةً وشمامسة زورًا فقام ابن خلف بهذه المهنة ورجع الى حلب . وكان ذلك نحو السنة ١٥٩٠

١٦ (ملاتيوس كرمه) ذكرهُ الخوري بريك (ص ١١٧) في ترجمة البطريرك اثناسيوس الذي اقيم بطريركاً على انطاكية سنة ١٦١١ قال ان اثناسيوس المذكور سار الى القسطنطينية لمحاكمة ملاتيوس مطران حلب وان ملاتيوس لم يرضَ بتأدية المال الذي عليهِ فحبسوه في دمشق واتفقوا على عزلهِ . ثم أُطلق سبيلهُ وجرت بينهُ وبين كيرلُس الرابع منازعات طويلة لم تنتهِ الَّا بوفاة كيرلُس لما قتلهُ ابن معن سنة ١٦٣٤ فاجتمع الاساقفة وانتخبوا ملاتيوس مطران حلب سنة ١٦٣٥ بطريركاً على انطاكية ودُعي افتيموس فتولَّى الكرسي ثمانية اشهر وتوفي سنة ١٦٣٦ . وملاتيوس المذكور قد سعى في تعريب الكتب الليتورجيَّة عن اليونانيَّة والسريانيَّة كما تشهد عليهِ عدَّة مخطوطات تصان في مكاتب طائفة الروم الارثذكس في القدس الشريف ودمشق وغيرهما (راجع المشرق ٥ :١٠٤—١٠٥)

١٧ (ملاتيوس الزعيمي) ويُسمَّى ايضاً ملاتيوس طويل تسقَّف على حلب بعد ملاتيوس كرمه وكان اصلهُ من حماة متروجاً ورزق اولادًا منهم ابنهُ بولس الذي جمع تآليفهُ . وترهب ملاتيوس في سيق مار سابا ثم اختاروه البطريرك افتيموس الصاقزلي مطرانًا لحلب سنة ١٦٣٦ ثم اختاره الاساقفة لكرسي انطاكية بعد وفاة افتيشيوس ودعي مكاريوس سنة ١٦٤٨ ودبَّر الكرسي الى سنة وفاتهِ سنة ١٦٧٢ وطاف مدةً في

انحاء الغرب . وقد ذكر المشرق (٥:١٠٠٩—١١٢٠) تآليفهُ ولا سيما رحلتهُ الى القسطنطينيَّة وبلغارية وروسيَّة وتزييفهُ لتعاليم الكلوينيين (٧:٧٦٦) وقد نشر حضرة الاب ربَّاط رسالتهُ الى لويس الرابع عشر

١٨ (مطروفان) خلف مطروفان ملاتيوس الزعيمي في اسقفيَّة حلب لما صار ملاتيوس بطريركاً وكان ابوه كاهناً يدعى بشارة. وقد ذكر الشماس بولس الزعيمي بعض اخباره في رحلة والده الى روسيَّة ورجوعهِ منها سنة ١٦٥٧ . والمرَّجح انهُ هو الذي اشار اليهِ رئيس اليسوعيين في سوريَّة في رسالتهِ التي كتبها في ١٦ نيسان سنة ١٦٥٣ ونشرها حضرة الاب ربَّاط (١ وكذلك ايَّاه اراد الاب يوسف بسُون اليسوعي في كتابهِ عن سوريَّة المقدسة (٢

١٩ (جنّاديوس) دبَّر هذا كرسيَّ حلب في اواخر القرن السابع عشر واوائل الثامن عشر . وقد ورد ذكرهُ في قائمة مخطوطة تحتوي اسماء الكراسي الملكية صنَّفها سنة ١٧٠٠ بطريرك الاسكندريَّة جراسيموس پلّادلوس (٣. وفي هذا الوقت لمَّا مات كيرلُّس الرابع وقع اختلاف بين الملكيين فاختار بعضهم كيرلُّس وغيرهم اثناسيوس الرابع ابن دبَّاس وبقي الشقاق حتى رضي اثناسيوس ان يُقيم في حلب ويدبّر الكرسي موقَّتاً هكذا البطريرك الانطاكي سابقاً

٢٠ (جراسيموس) ثمَّ الحَّ الحلبيُّون على اثناسيوس بان يقيم لهم مطراناً فوقع اختياره سنة ١٧٢١ على الاب جراسيوس من رهبان دير البلمند واحد منشئي الرهبانيَّة الحنَّاويَّة الشوريَّة (٤ . وكان جراسيموس عريقاً بالكثلكة . فلمَّا تمكَّن سلبسترس القبرسي من الكرسي البطريركي معاكساً لكيرلُّس السادس طاناس الذي اختاره الكاثوليك في دمشق لم يستطع جراسيموس ان يقوم في وجهه في حلب فخرج الى المنفى وسار الى جبل اثوس

١) اطلب كتابهُ الآثار النصرانيَّة (A. Rabbath : *Documents Inédits*, I, 56)

٢) Besson: *La Syrie Sainte*, p. 29

٣) اطلب المجلد الثالث من الكتاب Δελτίον τῆς ἱστορικῆς ἑταιρίας Ἑλλάδος, III, 474

٤) اطلب تاريخ الرهبانيَّة الشويريَّة في اصداء الشرق (Echos d'Orient, VI, 1903, p. 246)

٢١ (غريغوريوس) اختـاره المجمع القسطنطيني الزور (١ سنة ١٧٢٦ لكرسي حلب بعد عزلهم جراسيموس السابق ذكرهُ . وكان غريغوريوس سابقاً اسقفاً على هرقلة (٢ لكنَّ غريغوريوس المذكور لم ينل الحظوى لدى الكاثوليك فأنهم لم يزالوا يسعون في تغييرهِ حتى اقاموا لهم اسقفاً آخر وهو مكسيموس حكيم (٣

٢٢ (مكسيموس حكيم) لمَّا سمع جراسيموس بعزل غريغوريوس قام سرًّا من جبل اثوس حيث كان محبوساً ورجع الى حلب وطلب حقوقهُ على كرسيّها الَّا انَّ الكاثوليك اقنعوهُ بان يتنازل عن حقوقهِ لمكسيموس حكيم فرضي بذلك وكتب الى كيرلُس طاناس يستعفي فسمح لهُ وهو الذي سقَّف مكسيموس حكيم في بعض شهور سنة ١٧٣٢ ومذ ذاك الوقت تمَّ انفصال الكاثوليك عن الروم الارثذكس وتفرَّدوا بالتدبير (٤ . امَّا البطريرك القسطنطيني كيرلس الخامس فأنهُ ارسل الى حلب اساقفة ليعاكسوا الحزب الكاثوليكيّ وكان اولهم فيلمون الذي ألحق بهم كل ضروب الهوان وسعى بقتل بعضهم ثم جاء بعدهُ صفرونيوس وكان سـابقاً اسقفاً على عكّا (٥ فقدم حلب وضيَّق على الكاثوليك ففرَّ من جرَّاء ذلك كثيرون منهم الى جبل لبنان . وبقي مكسيموس حكيم مطراناً على حلب الى السنة ١٧٦٠ وفي ١ آب منهـا أُقيم ببراءة من الحبر الاعظم اقليميس الثالث عشر بطريركاً على انطاكية (٦

٢٣ (اغناطيوس جربوع) خلف السيد مكسيموس حكيم في اسقفيَّـة حلب وكان رئيساً عامًّا على الرهبان الحنَّاويّين . وفي تاريخ الروم الكاثوليك الملكيين للمطران عطا أنهُ سُقف على حلب سنة ١٧٦١ أمَّا تواريخ الرهبنة الشويريَّة فلم تعيّن السنة . وكانت وفاتهُ في كانون الاوَّل من السنة ١٧٧٦ كما ورد في اخبـار الرهبنة المذكورة (ج ٢ ص ٤٢)

---

١) وكان المتقدم على هذا المجمع البطريرك القسطنطيني پايزيوس الثاني الذي ادار الكرسي من سنة ١٧٢٦ الى ١٧٣٢

٢) اطلب آثار دليكانيس(Délicanis) ص ١٨٩–١٩٠ وتاريخ الرهبنة الشويريَّة المخطوط

٣) اطلب اصداء الشرق (Echos d'Orient, IX, 1906, p. 32-33)

٤) فيها ايضاً (Ibid, p.36)

٥) اطلب دليكانيس (Délicanis, p. 195-200)

٦) اطلب اصداء الشرق (Echos, V, 1902, p. 86)

٢٤ (جرمانوس آدم) كان مولده في حلب ودرس العلوم في رومية العظمى ولمّا عاد الى الشرق اشتهر بنشاطهِ وتآليفهِ فاقيم مطرانًا على عكا ثم نُقــل في ١٦ نيسان ١٧٧٧ الى كرسي حلب فدخل الشهباء في أيّار من السنة . وكانت وفاتهُ في ١٠ تشرين الاول سنة ١٨٠٩ في زوق ميكائيل . ولهُ تآليف عديدة منها ما ناقض فيهِ تعاليم الكنيسة فأبطلها الكرسي الرسولي وقد خضع آخرًا السيد آدم لحكم الحبر الرومــاني

٢٥ (مكسيموس مظلوم) بعد النزاع الطويل اختار البطريرك اغابيوس مطر الخوري ميخائيل مظلوم لكرسي حلب في ٦ آب سنــة ١٨١٠ وتسمَّى مكسيموس لكن الكرسي الرسولي لم يثبت هذا الانتخاب فألغاهُ البـابا بيوس السابع سنة ١٨١٥ وكان السيد مكسيموس سبق وقدَّم استعفاءه للبطريرك مكاريوس طويل . فاستدعاه المجمع المقدَّس الى رومية وسماه البابا اسقفًا على ميراليكيا شرفًا فعُرف بهذا الاسم الى سنة ارتقائهِ الى السدَّة البطريركيَّة سنة ١٨٣٣

٢٦ (باسيليوس عرقتنجي) رقّاه الحبر الاعظم الى كرسي حلب بــدلًا من السيد مكسيموس مظلوم بموجب براءة (١ كتبت في ٣ حزيران سنة ١٨١٦ فسامــهُ البطريرك اغناطيوس الخامس قطّان في ١٦ تشرين الاول منها . وكان السيد باسيليوس قبلًا رئيسًا على الرهبنة الشويريَّة . فدبَّر كرسي حلب الى سنة وفاتــهِ . توفي في دير مار ميخائيل قريبًا من الزوق في ٢٩ أيّار سنة ١٨٢٣ . وفي تلك السنة حصلت نزاعات في الرهبانيَّة الشويريَّة لم تسمح بتعيين خلفهِ فبقي كرسي حلب ثماني سنين . الّا ان البابا لاون الثاني عشر اقام وكيلًا عليهِ السيد اغناطيوس عجّوري مطران زحلة في ٩ حزيران سنة ١٨٢٦

٢٧ (غريغوريوس شاهيات) لمّا طال تيتُّم كنيسة حلب امر البابا غريغوريوس السادس عشر البطريرك اغناطيوس قطّان برقيم تاريخهُ ٢٤ كانون الاول سنة ١٨٣١ بان يختار خلفًا للسيد باسيليوس عرقتنجي (١ فوقعت اصوات الاكليروس والشعب على الخوري بطرس شاهيات من رهبان مار يوحنا الشوير فسيم اسقفًا في دير مار ميخائيل في الزوق سنة ١٨٣٢ وتسمَّى غريغوريوس . ورجع الى حلب برخصة الباب العالي وتوفي

---

١) اطلبها في مجموع مرتينيس (Martinis, IV, 540)

في ٢٤ آب سنة ١٨٤٣ على رواية السيد غريغوريوس عطا (في تاريخ الروم الكاثوليك الملكيين ص ١٦)

٢٨ (ديمتري انطاكي) كان من الاكليروس العالمي وكان يُدعى ميخائيل فندبهُ البطريرك مكسيموس مظلوم الى تدبير كرسي حلب في ٢٧ ايلول من السنة ١٨٤٤ وسامهُ السيد مكاريوس السمّان مطران ديار بكر. وفي ايّامهُ اضيف الى ابرشية حلب كرسي سلوقية اي السويديّة فدُعي اساقفة حلب رؤساء اساقفة سلوقية وحلب وكانت وفاتهُ في ٩ تموز سنة ١٨٦٣

٢٩ (بولس حاتم) ولد في حلب في ١٥ كانون الثاني سنة ١٨١١ وسُمي بطرس. ثمَّ رحل الى رومية سنة ١٨٢٨ ودرس في مدرسة انتشار الايمان في رومية. وعند رجوعهِ بقي مدّة في خدمة المطران اغناطيوس عجوري فسامهُ شماساً سنة ١٨٣٢ ثم كهّنهُ السيد غريغوريوس شاهيّات سنة ١٨٣٥ ودعاه بولس. وفي سنة ١٨٥٠ اتخذه البطريرك مكسيموس مظلوم وكيلهِ في رومية فبقي فيها سنتين اتمَّ في اثنائهما دروسهُ الكهنوتية. وبعد وفاة السيد شاهيات سقفهُ على حلب البطريرك الطيب الذكر اكليمنضوس بحوث في ٢٧ ايلول سنة ١٨٦٣ فدبَّر هذه الرعية بنشاط الى سنة وفاتهِ في ١٠ شباط السنة ١٨٨٥

٣٠ (كيرلُّس جحا) كان مولده في حلب في ٢٨ تشرين الثاني سنة ١٨٤٠ ونشأ تحت نظر السيد اثناسيوس تتنجي اسقف طرابلس وصار كاهناً سنة ١٨٦٥ ودعي بطرس. وفي ٣ ايّار سنة ١٨٨٥ نصبهُ السيد البطريرك غريغوريوس يوسف رئيس اساقفة على حلب خلفاً للسيد بولس حاتم وسامهُ في دير مار جرجس الشير في مكين. ولمّا توفي السيد غريغوريوس يوسف تعيّن كنائب بطريركي وتجدّدت لهُ هذه النيابة بعد وفاة السيد بطرس جريجيري حتى وقع عليهِ الاختيار للكرسي البطريركي الانطاكي في ٢٩ حزيران سنة ١٩٠٢. وفي ٢٢ حزيران سنة ١٩٠٣ ارسل اليهِ الحبر الاعظم درع الرئاسة

٣١ (ديمتريوس قاضي) ولد في دمشق سنة ١٨٦١ وانكبَّ في باريس على العلوم الاكليريكية تحت ادارة كهنة سان سولبيس. ولما رقي الى درجة الكهنوت

١) اطلب هذا الرقيم في اعمال مجمع انتشار الايمان (Martinis, V, 29)

تسمى يوسف ثمَّ عاد الى الشرق وتقلَّد عدَّة مناصب منها ادارة المدارس في المدرسة البطريركية في بيروت ثم ترأس على مدرسة طائفتهِ في دمشق ثم عهدت اليهِ النيابة البطريركية في القدس الشريف وفي باريس وكان احد الذين انتدبهم الكرسي الرسولي لتعيين مواد المجمع المنوي عقده في سنة ١٩٠١ وقد اقيم على كرسي حلب في ٢٣ تشرين الثاني من السنة ١٩٠٣ وسامهُ السيد البطريرك كيرلُّس جحا في حاضرة الاسكندريَّة ودُعي دمتريوس . متَّع الله رعيتهُ بهمَّتهِ زمناً طويلًا

آثار تاريخية للسريان

نظر للاب لويس شيخو اليسوعي

بقيت الآثار السريانية اجيالًا عديدة في زوايا النسيان حتى قام جهابذة الأمَّة المارونية في القرن السابع عشر والثامن عشر وجمعوا منها قسماً صالحًا من جهات الشام واديرة مصر القديمة . وللسماعنة في استخراج تلك الدفائن اليد الطولى لاسيما المنسنيور يوسف سمعان السمعانيّ الذي اودع مكتبتهُ الشرقيَّة كنوزًا ادبيَّة لا تُحصى من كَتَبَة السريان فنهج لمن أتوا بعدهُ طرقًا مجهولة سلكوها واصابوا فيها على مثالهِ مجدًا اثيرًا

على انَّ تلك الحركة الاولى التي سبق اليها علماء الموارنة في اوربَّة خمدت من بعدهم الى ان استأنفها المستشرقون في اواسط القرن التاسع عشر ومنذ ذاك الحين لم تزل همَّتهم في ترقٍّ وازدياد فنشروا من المطبوعات السريانية ما يُعدُّ اليوم بالمئات بعد ان كان عددها لا يزيد على العشرات

واكثر ما عُني بنشرهِ العلماء التواريخُ السريانية لاسبابٍ : منها انَّ السريان امتدُّوا في اقطار متَّسعة كالشام وما بين النهرين والعراق وفارس حتى حدود الهند والمغول والصين فدوَّنوا في تآليفهم اشياء عديدة لا تجد لها اثرًا في غير مصنَّفاتهم . ومنها ايضاً انَّ كتبة السريان سبقوا العرب فوضعوا تواريخ للازمنة التي تقدَّمت النهضة العربية فكتبوا في امور كانوا شهودها العيانيين واخذها عنهم بعد ذلك كتبة العرب . ومنها

ايضاً أنهُ فات كتبة اليونان لجهلهم لغة الآراميين أحداث خطيرة لم يطلعوا على تفاصيلها فرووها على علّاتها وربّما جهلوها مطلقاً او ذكروها على غير وجهها الصحيح وفي تواريخ السريان ما يقيم المائل ويرتق الفتق ويسدّ الثلم

ومما نُشر من هذه المصنّفات التاريخية في النصف القرن الاخير التاريخ المنسوب سهواً ليشوع العمودي في اوائل القرن السادس . وتاريخ الرها . وتاريخ يوحنّا الافسسي في اواخر القرن السادس . وتراجم القديسين الشرقيين لهُ . وتاريخ زكريّا المنطقي في اواسط القرن عينهِ . وتاريخ الكنيسة لاوسابيوس القيصري في السريانية . وتاريخ الخلفاء لتوما الكاهن اليعقوبيّ في القرن السابع . وقطع تاريخية مارونية من القرن الثامن وتاريخ البطريرك اليعقوبي ميخائيل الكبير الذي نشرهُ الخوري شابو (J - B. Chabot) . وتاريخ منشئي الاديرة المعروف بكتاب العفة لهُ . والتاريخ الكنسي لابن عبري الذي نشرهُ المنسنيور لامي والمنسنيور ابلوس . وتاريخ الرؤساء لتوما المرغويّ الذي سعى بطبعهِ وترجمتهِ المسيو بودج (Budge) وغير ذلك مما ازال القناع عن اخبار السريان واحوال البلاد التي استوطنوها

ولادباء الشرق يدٌ في نشر هذه الآثار التاريخيَّة نخصّ منهم بالذكر غبطة البطريرك الجليل اغناطيوس افرام الثاني رحماني الذي أُغري بمآثر قدماء السريان فنشر كثيراً منها بينها تاريخ ديني وعالمي لمؤلف سرياني من القرن الثالث عشر طبعهُ في الشرفة . ومنهم حضرة الاب بولس بيجان العازاري الكلداني الذي نشر تاريخ الدول لابن العبري في السريانيّة . ثم تاريخ رحلة يابالاها الراهب النسطوري الصيني الذي كان تنسَّك وعاش عيشة الرهبان قريباً من باكين تحت نظارة ربّان صوما ثم سافر كلاهما من الصين الى الاراضي المقدسة وفي عودتهِ الى بلادهِ على طريق العراق اختارهُ النساطرة جاثليقاً عليهم فدبّرهم من السنة ١٢٨١ الى ١٣١٧ وكان اسمهُ سابقاً مرقس فدعي يابالاها الثالث . وهذه الرحلة نقلها الاب شابو الى الفرنسويّة وعلّق عليها الحواشي

وممّا عني بنشره الشرقيون في السريانية قسم من تاريخ بَرحَذبشابا في اخبار مدارس الرها ونصيبين وسلوقية نشره حضرة القس الفنس منكنا الكلداني الموصلي وطبعهُ في مقدمات شعر نرساي الذي مرّ لنا وصفهُ (المشرق ٨ : ٦٢١) وهذه القطع تشوّق القرّاء بنشر ذلك التاريخ برمّتهِ لا سيّما ان مؤلفهُ كان من تلامذة مدرسة نصيبين واحد

كتبة النساطرة المعدودين وتسقّف على حلوان في القرن السابع

فمن تعداد التآليف السابقة ترى ان للسريان فضلًا كبيرًا في تسطير اخبار الدول وتدوين احوال الدين والدنيا على ان هذه المآثر ليست سوى قطرة من وبل بالنسبة الى التواريخ المتعدّدة التي ذكرها الكتبة واودت بها ايدي الضياع ومنهــا ما هو جدير بالاعتبار وحقيق بالذكر يرتقي عهده الى القرن الثامن والسابع بل ربّما بلغ السادس والخامس ولم يقطع العلماء رجاءهم من الوقوف على تلك المصنفات الجليلة

وممّا يضمن لنا تحقيق الآمال آثار نفيسة توفّق الى اكتشافها حضرة الهمام القس الفنس منكّنا الكلداني في العراق والجزيرة وباشر في نشرهــا في مطبعة الآباء الدومنيكان الافاضل في حاضرة الموصل . وها قد نجز الجزء الاوّل من هــذه الآثار الخطيرة فاحببنا ان نصف لقرّائنا مضامينها المفيدة وهي عبارة عن ثلاثة مصنفات تاريخية كُتبت بالسريانيّة بين القرن السادس والتاسع تحتوي عدّة معلومات عن اخبار بلاد مــا بين النهرين والجزيرة والعراق لاسيما عن تاريخها الديني فأتت بفوائد جديدة لم تُذكر في تآليف سواها

١ تاريخ مشيحازخا

واول هذه الآثار تاريخ كنسي لايالة حَدْياب في عهد الدولة الاشكانيّة ثمّ الدولة الساسانيّة أَلّفهُ احد كتبة الكلدان اسمهُ مشيحازخا (اي انتصرَ المسيح) وهو كاتب بارع ذكرهُ عبد يشوع الصوباوي في جدولهِ الشهير لكتبة السريان الاقــدمين (١ ولم يذكر لهُ تأليفًا آخر غير تاريخ كنسيّ موثوق بهِ من اول الدعوة النصرانية الى زمانهِ . ويا ليت عبد يشوع زادنا افادةً بتعريف مشيحازخا المذكور ودلّنــا على زمانهِ او بلده او غير ذلك من احوالهِ لكنهُ أضرب عن الامر واكتفى باسمهِ مجرّدًا . وقد ظنّ هوتنغر (Hottinger) في اثاره الشرقيّة ان مشيحازخا اسم لراهب من دير إزلة ذكره توما المرغويّ في كتاب الرؤساء باسم يشوع زخا بل جعل لهُ اسمًا ثالثًا وهو زخا يشوع ذكرهُ ايضًا المرغويّ في تاريخهِ فصار مشيحازخا مثلّث الاسم يُدعى تارةً باسمهِ المذكور وتارةً يشوع زخا وحينًا زخا يشوع ولم يأتِ لاثبات قولهِ هذا بدليل آخر غير اتفاق هذه الاسماء بالمعنى وممّا أيدهُ برأيهِ كون تومــا المرغوي يذكر تاريخًا ليشوع زخا كما روى

١) اطلب المكتبة الشرقية للسمعاني (Assemani, R. O. III¹, 216)

الصوباوي عن مشيحازخا . وقد اقتنع السمعاني في مكتبتهِ الشرقيّة (٣: ٢١٦) بهذه الادلّة الضعيفة وذهب الى مذهب هوتنغر في توحيد مشيحازخا و يشوع زخا وزخا يشوع وصار هذا القول دارجاً بعده ووافقهُ عليهِ المستشرقان الشهيران رَيت (W. Wright: *Syriac Literature* p. 130) ودوفال (R. Duval: La Liherature Syria-que, p. 349) اما حضرة الاب منكّنا فانّهُ يخالف هــذا الرأي وقد لسند قولهُ الى بيّنات اخصُّها اختلاف زمن هؤلاء الكتبة فمشيحازخا اقدم منهم عهدًا كما يؤخذ من بعض مرويّاتهِ . ومنها انَّ النصوص التي نقلها توما المرغوي لا توافق النصوص التي وجدها حضرة الاب منكّنا

وممّا استدلَّ عليهِ متولي طبع هذا التاريخ من نفس الكتاب انَّ مشيحازخا سطَّر تاريخهُ بين السنتين ٥٥٠ و٥٦٩ وانهُ كان من بلاد حدياب عارفاً باحوال بلاده حقَّ المعرفة وقد رجَّح انــهُ كان درس العلوم في مدرسة نصيبين الجليلة وتتلمذ لكبار اساتذتها النساطرة خصوصاً لعلمها الشهير ابراهـــام من بيت ربَّان الذي ادار تلك المدرسة العامرة من السنة ٥٠٩ الى ٥٦٩ فبلَّغها اوج الفخر ومشيحازخا يثني عليهِ اطيب الثناء في تاريخهِ . ويظهر ايضاً من سياق هذا التاريخ ان مشيحا زخا كان من رهبان ملّتهِ النسطوريّة . وكان يُحسن الكتابة في لغتهِ فانَّ سريانيّتهُ بليغة وعبارتهُ منسجمة لطيفة قلّما تجد فيها الفاظاً دخيلة من اليونانيّة كما ترى في الكتبة الذين عاشوا بعــد عهده

امَّا مضمون تاريخهِ فانهُ كان في الاصل يتناول كل اخبار قرون النصرانيّة الستة الاولى التي سبقتهُ الّا ان النسخة التي وقعت في ايدي حضرة القس منكّنا ناقصة تلف اوَّلها وآخرها ولولا انَّ اسم المؤرخ كان مكتوباً في ذيل احدى صفحات الكتاب لَمــا امكنهُ ان يعرف صاحبهُ . ولحسن الطالع قد بقي من الكتاب معظمــهُ اذ لم يسقط من اوَّلهِ الّا قسم من مقدمتهِ . اما الآخر فقد ذهب منهُ بعض الصفحات او كرّاس كامل

ومع ما فُقد من هذا الاثر الثمين نراه من اجلّ المصنَّفات واعظمهــا شاناً اولًا لسبب بُعد تاليفهِ اذ هو من اقدم التواريخ السريانيّة ثمَّ لمحتوياتــهِ الخطيرة عن امور تلك البلاد كما سترى . وكان النساطرة يعرفون قدره و يحفظونــهُ كالدرة اليتيمة . والدليل على ذلك انهم لما ولّوا هاربين من مواطنهم اذ شنَّت قبيلة الكوكايس الغارة

عليهم قبل ١٥٠ سنة اخذوا هذا الكتاب معهم في جملة عروضهم النفيسة لئلّا يقع في حوزة العدوّ ثم تناوبت عليهِ الايدي حتى وصل اخيرًا الى ملك حضرة القس منكَنا

ومن مضامينهِ الجليلة اخبار مفصلة عن احوال الدين في بلاد فارس والعراق تبطل مزاعم بعض المحدثين الذين نكروا انتشار الدين المسيحي في تلك الجهات قبل القرن الثالث للمسيح . وليس كلام مشيحازخا تخيُّلًا او حدسًا بل تراه يستشهد بتآليف سابقة صبر بعضها على آفات الدهر واخنى الزمان على بعضها الآخر واذا نقل من اولئك الكتبة شيئًا فلم يروِهِ على علّاتهِ بل اعمل فيهِ نظر الانتقاد وكذلك تجده يتحاشى في روايتهِ الاطناب والمغالاة في الاوصاف

ويزيدنا ثقةً في كلامهِ انَّهُ لم يثبت في تاريخهِ بعض تقاليد مشتبهة في اصل الدعوة النصرانيَّة في العراق وفارس تناقلها الكتبة بعد ذلك فزعموا انَّ الرسل او بعض تلامذة المسيح انشأُوا كرسيَّ المدائن وخوَّلوه امتيازات خاصَّة . وغاية ما يُمكن استنتاجهُ من هذا التاريخ انَّ احد تبعة الرسل الاوَّلين المسمَّى ادّي بشر بايمان المسيح في الرها والجزيرة والعراق وفارس في اواخر القرن الاول للميلاد وهذا القول يوافق رأي اصدق الكتبة واثبت التقاليد لا يمكن احدًا ان ينكرهُ بتعقُّل . امـا ماري وآجي اللذان يجعلهما الكتبة من تلامذة الرسل ويروون عنهما اخبارًا عجيبة فلا اثر لذكرهما في هذا التاريخ وكفى بسكوتهِ دليلًا على ضعف تلك التقاليد المشبوهة

ومن اجلّ فوائد هذا الكتاب سلسلة اساقفة حدياب فانَّ مشيحازخا سردهـا سردًا متناسقًا وذكر اخبار كل اسقف فردًا فردًا مع بيـان اصلهِ واعمالهِ وتعريف احوال زمانهِ وتدوين تاريخهِ ومدَّة تدبيره فقد احصى من زمن « فقيدا » اول اساقفة حدياب (من السنة ١٠٤ للمسيح الى السنة ١١٤) الى ختام العشر الاول من القرن السادس وبهِ ينتهي مـا سلم من الكتاب عشرين اسقفًا جلسوا على كرسي تلك الحاضرة خلفًا بعد سلف لم تنقطع قلادتهم الّا مرَّتين بفروغ الكرسي مرَّة اولى ستَّ سنين بعد « فقيدا » (١١٤—١٢٠) ومرَّة ثانية بعد شمشون الاسقف الثاني اثنتي عشرة سنة (١٢٣—١٣٥) فهذه السلسلة الاسقفية غاية في الاعتبار تُعدّ من اصحّ ما بلغنـا حتى اليوم من جداول الاساقفة القديمة

ومن فوائد هذا التاريخ ايضًا انهُ يزيل كل ريب وشك في اصل كرسي المدائن

اي قتازيفون وسلوقية الذي جعلهُ بعض الكتبة كرسيًا رسوليًا وبطريركيًا والصحيح ان كرسي حدياب اقدم منهُ. وانّ المدائن لم تُصبح كرسيًا اسقفيًا الّا في ايام تاسع اساقفة حدياب المسمى شحلوفا (من السنة ٢٥٨ الى ٢٧٣ مسيحيّـــة) وذلك ان احد عمّال الملك سابور كان اسمهُ جتزقن استدعى شحلوفا لما رأى فيهِ من الغيرة الى المدائن ليزور من تنصّر حديثًا من المؤمنين فذهب اليهم شحلوفا وسام لهم كاهنًا ليخدمهم · وبقي الامر كذلك الى عهد خلفهِ « احادابوه » (٢٧٣—٢٩١) الذي سقّف على المـــدائن « فَفا » او « فافا » وذلك بين السنتين ٢٨٥ و ٢٩١ وكانت وفاة « ففا » سنة ٣٢٦ فتكون مدّة اسقفيتهِ بين ٣٥ الى ٤٩ سنة ليست ٧٩ سنة كما زعم ماري في كتاب المجـــدل

ومن فوائد تاريخ مشيحازخا ايضًا معلومات مقرّرة ثابتة في بعض مشاهير السريان من قديسين كالقديس يعقوب اسقف نصيبين والقديس افرام · ومن شهـــداء كشهداء فارس في عهد سابور وازدشير وبهرام · ومن كتبـــة وشعراء كنرساي واليشاع الملفانَين

وكذلك يستفاد من هذا التاريخ عدّة فوائد : منها تاريخية لتعريف احوال قدماء الفرس في عهد بني ارشك وبني ساسان فانّ كثيرًا مما رواه عنهم اليونان والرومان مشوّش متباين متناقض يصعب التوفيق بين رواياتهِ المتضاربة · ففي تاريخ مشيحازخا ما يميط القناع عن الحقيقة فانّ هذا المؤلف قـــد اتسع في وصف بعض اخبارهم من غزوات وحروب وتشييد ابنية وانشاء مشروعات عظيمة

ومنهـــا فوائد جغرافيّة تفيدنا عن مواقع بعض المدن القديمة والقرى والدساكر التي لا يكاد يُعرف اليوم غير اسمائها

ومنها تفاصيل اخلاقيّة ودينيّة تقرّر عادات الفرس وامم العراق والجزيرة مع ما المسيح يدينون بهِ من الاديان كالوثنية والمجوسيّة

واكثر من ذلك فائدةً ان مشيحازخا يشهد لنا عن معتقـــدات نصارى عصرهِ ووطنهِ وما ورثوه من التعاليم الصحيحة عن اهل الدعوة النصرانية الاوّلين كقولهِ (في الصفحة ١٥) عن رئاسة بطرس على الكنيسة « ان الرســـل دعوا الامم الى معرفة كانوا واسسوا البيعة وشيّدوها على صخرة سمعان بطرس غير المتزعزعة »

وكقولهِ عن ثبات الكنيسة على الاضطهادات (ص ٢٣—٢٤) وهو يمـــدّد

اضطهادات القياصرة مباشرةً بنيرون الذي مثّل بالنصارى ونكّل بهم وقتل في رومية الرسولين الاعظمين فصلب بطرس هامة الرسل منكوس الرأس وقطع رأس بولس. وروى مشيحازخا انَّ شجرتين باسقتين نبتتا في مكان موتهما ولم نعلم من اين اخذ هذا الخبر. ثمَّ ذكر بعد نيرون دومطيانوس ومصادرتهُ ليوحنا الحبيب. ثم عدل عن ذكر ترايان الى ذكر مرقس اوراليوس وسبتيموس ساويرس ويُتبع ذلك بوصف الشدائد التي حلَّت بنصارى حدياب

ولهُ اقوال حسنة في مدح الصليب ويصف من عادات النصارى في تلك الازمنة ما نراه جاريًا حتَّى يومنا من الصوم والصلوات والرتب الدينيَّة وتعظيم الاساقفة وتزيين الكنائس بالنقوش والصور وذكر المجامع السينهودسيَّة

هذه بعض الافادات يمكن أدباء الشرق ان يقتبسوها من هذا السفر الجليل الذي لم يكتفِ بنشره حضرة القس منكنا بل ترجمهُ ايضًا الى الافرنسية وذيَّلهُ بملحوظات تدلُّ على حسن ذوقهِ وسعة معارفهِ وختمهُ بفهرس للإعلام المذكورة فيهِ

٢ تاريخ دير سبريشوع

هو الاثر التاريخي الثاني الذي نشرهُ حضرة القس منكنا ولهُ علاقة مع الاثر السابق بحيث انهُ يتضمن اخبار دير قديم كان مشيدًا في بلاد حدياب وكان هذا الدير عظيمًا واسعًا تُرى بقاياهُ حتى يومنا هذا قريبًا من نهر زاب الكبير على مسافة يوم من اربل في غربيّها. ومؤلف هذا الكتاب غير معروف وانّما هو قديم يرتقي تاليفهُ الى القرن التاسع وعلى رأي حضرة القس منكنا انهُ كُتب نحو السنة ٨٢٠ وسبق ما كتبهُ في تاريخ هذا الدير توما المرغوي بين السنتين ٨٣٢ و٨٥٠ وما سطرهُ ايضًا في هذا الصدد يشوعدناح البصري في كتاب العفَّة نحو السنة ٩٠٠. وهذا التاليف بالشعر السرياني ذي الاثني عشر مقطعًا وانشاؤه بسيط قد وجد منهُ حضرة متولّي طبعهِ ثلاث نسخ اعتمد على اثنتين منها تاريخُ الواحدة سنة ١٩٢٨ لليونان (١٦١٧م) والثانية سنة ٢٠٩٧ (١٦٩٦م)

اما الكتاب فلا حاجة للاتساع في مضمونهِ ومن خلاصتهِ يستدلّ القرَّاء على فوائدهِ التاريخية. فانَّ المؤلف المجهول بعد مقدمة حسنة في شرف الرهبانية يذكر دعوة الله لسبريشوع الى الزهد في العالم في اوائل القرن السابع ثم يروي خبر تشييدهِ

لديره الذي عُرف باسمهِ ويعدّد فضائلهُ وفضائل الرهبان الذين تتلمذوا لهُ وما جرى على ايديهم من الكرامات ثم ينتقل الكاتب الى ذكر الثانية الرؤساء الذين خلفوا سبريشوع في تدبير الدير الذي اقامهُ فيترجمهم فردًا فردًا ويطريءُ اعمالهم الصالحة وفي روايتهِ اخبار عجيبة فيها مغالاة ظاهرة ومن ثمَّ نرى هذا الكاتب دون المؤرخ السابق في الانتقاد وصحة الرواية كما انَّ لغتهُ لا تبلغ فصاحة سلفهِ . ومع هذا نشكر حضرة القس منگنا على نشر هذا الاثر المفيد وترجمتهِ وتعليق الحواشي على نصهِ

٣ القسم الثاني من تاريخ يوحنا بر فنكايا

هو الاثر الثالث الذي احياه بعد مواتهِ حضرة القس منگنا واستخرجهُ من نسختين خطيتين تخص احداهما الخزانة البطريركية الكلدانيَّة الكاثوليكية في الموصل نُقلت عن نسخة قديمة تاريخها سنة ١٢٦٢ . اما يوحنان بر فنكايا فكان من فنكا وهي قرية ليست بعيدة من جزيرة بني عمر على دجلة وقد غُرَّ السمعاني بهذا الاسم فظنهُ نسبة الى ܦܢܟܐ او ܦܢܟܝܐ ومعناها صانع الصِحاف والفخّار . وكان يوحنَّان راهبًا وعاش في اواخر القرن السابع فانهُ يذكر السنة ٦٧ للهجرة والطاعون الذي وقع فيها على أيّامهِ وبهذا القول يبطل زعم الذين جعلوه من كتبة القرن التاسع وخلطوا بينهُ وبين يوحنا سابا . وقد صنَّف بر فنكايا سبعة تآليف دينيَّة وادبية ولغويَّة على ما روى عبديشوع الصوباوي في جدول الكتبة السريان (B. O. III 1, 189) وقد شتَّت الدهر معظمها فاسعد الحظ القس منگنا على وجود هذا الكتاب ولعلَّهُ اعظمها قدرًا وهو يحتوي تاريخًا عموميًا من اول العالم الى زمان المؤلف وقد قسمهُ الى قسمين يشتمل كلاهما على خمسة عشر ميمرًا فالقسم الاوَّل مختص بالعهد القديم والثاني بالعهد الجديد . وحضرة الاب منكنا لم ينشر الّا هذا القسم الثاني الذي يبتدئُ بالميمر العاشر وينتهي بالميمر الخامس عشر ويتضمن مجمل اعمال السيد المسيح في حياتهِ ومماتهِ وقيامتهِ ثم يروي اعمال الرسل وتعاليمهم بعد صعود الرب ثم ينتقل الى تاريخ الكنيسة من بعدهم الى زمانهِ الّا انَّ تاريخهُ هذا اشبه بخطب منها بالتاريخ فيمزج برواياتهِ الملحوظات الادبيَّة والاعتبارات التقويَّة على شبه القديس اوغسطينوس في كتابهِ مدينة الله وليست من ثمَّ فائدتهُ التاريخيَّة عظيمةً ولذلك لم ينقل منهُ حضرة القس منكنا الى الافرنسية الّا الميمر الاخير . وانّما الحقهُ بالفهارس كما فعل بالكتابين

السابقين . وليوحنان بر فنكايا في اثناء كلامـهِ عن المجمع الافسسي شتائم على الآباء الذين حرموا نسطور لا سيما القديس كيرلس الاسكندري فكشف بهذا القول عن دائهِ النسطوري الكمين في صدره وتراه مع ذلك مصرّحًا بلاهوت المسيح وناسوتهِ بنوع عجيب (في الصفحـة ٣٥)

اما لغة المؤلف فهي منقحة تشير الى اقتدار صاحبها بفنون الكلام وبلاغة اللسان وربّما ادمج كلامهُ بآيات الكتاب المقدّس على احسن منوال ما يدلُّ على حسن معرفتهِ لهُ . وفي النصوص المنقولة عن الاسفار المقدسة بعض اختلاف عن رواية الترجمة السريانية البسيطة اما لكونهِ ذكر الآيات عن ظاهر القلب فلم يلتزم ايرادهـا بالحرف واما لانهُ اتّبع ترجمة أُخرى غير الترجمة البسيطة . وهذا ايضًا مما يلوح في تأليف مشيحازخا السابق ذكره

فنكرر عودًا على بدء شكرنا لحضرة القس منكنا على هذه التحف الادبيَّة ونتمنى ان يُلحقها بالقسم الثاني اخذ الله بيده وبلَّغهُ امانيهُ لمجده تعالى ولفخر الوطن العزيز

مطبوعات شرقية جديدة

F. PRAT s. j. : **La Théologie de S^t Paul.** 1^re partie, *Paris' Gabriel Beauchesne et C^ie*, 604 pp. in - 8°, Prix 6 francs.

الجزء الاول من لاهوت القديس بولس الرسول

كنا نودّ ان نفرد لهذا الكتاب فصلًا مطولًا ولعلنا نفعل يومًا ان شاء الله اذا تمّ الجزء الثاني وها نحن نسلف القرّاء عجالةً في تعريفهِ . والحقّ يقال انهُ تأليف جليل فريد في جنسهِ وهو يبحث عن لاهوت ذلك الرسول الذي أهلهُ الرب ان يُختطف الى الفردوس ويسمع اسرارًا لا يحلّ للمرء ان ينطق بها» (الرسالة الثانية الى اهل قورنتس ١٢ : ٤) وهو مع ذلك قد اودع من تلك الاسرار شيئًا كثيرًا في رسائلهِ العجيبـة . فاراد حضرة الاب فرديناند پرا اليسوعي ان يتتبّع تلك الاركان الخفيَّة ويلتقط من تلك الرسائل تعاليمها اللاهوتيَّة السامية . وقد انجز القسم الاول من هذا المشروع الخطير فجعلهُ كمقدّمة لكتابهِ . ففي هذا الجزء قد بحث عن كل احوال

القديس بولس في كل اطوار حياتهِ فوصفهُ احسن وصف في خَلقهِ وخُلقهِ وتربيتهِ وتهذيبهِ الادبي ولغتهِ فعرّفهُ في حياتهِ قبل دعوتهِ وبعدها وبيّن ما خُصّ بهِ بصفة رسول وبصفة معلّم وكاتب ومدبّر للكنائس وخلاصة القول لم يدع شيئًا من امور رسول الامم الّا كشف عنهُ القناع وبكل ذلك قد مهّد الطريق لدرس تعاليم ذاك الاناء المختار ليبيّن كيف اوحى الله اليهِ باعظم واسمى اسرارهِ اللاهوتية. ومّما بحث فيهِ ايضًا في هذا الجزء الاسباب والظروف التي حدَتْ بالرسول الى ان يكتب رسائلهُ الى كل كنيسة ليُصلح ويهذّب ويرشد ويعلّم ويكمّل . وقد اختصر مضامين تلك الرسائل وبيّن سياق معانيها وارتباط تعاليمها واضاف الى كل فصل ملحقات من شأنها ان تعين الدارسين على ادراك فوائدهِ وهو لم يشأ ان يدرجها في سياق الكلام لئلا يرتبك بها القارئ . وخلاصة القول يمكننا ان نؤكد لمحبي الدروس البولسيّة انهم يجدون في هذا الكتاب ما لا يجدونهُ في كتب عديدة متفرّقة سواء كان من جهة مضامينهِ او من جهة حسن كتابتهِ وبلاغة عبارتهِ . ولعلّ بعض دارسي الاسفار المقدسة لا يوافقونهُ في كل مذاهبهِ الّا انّهم سيقرّون ولا محالة بان المؤلف لم يروِ شيئًا الّا بناه على ادلّة ثابتة وحجج راهنة

الاب ي . ديلنسيغر

P. AURELIO PALMIERI O. S. A — **La Chiesa Russa,** le sue odierne condizioni e il suo riformismo dottrinale, in-8°, pp. XVI-760, *Firenze*, 1908, L. 5.

الكنيسة الروسية

ليس احد بين الكاثوليك يعرف احوال روسيّة الدينيّة كالاب اوريليو پالمياري الراهب الاوغسطيني الذي تعمّق في هذا الدروس واطّلع على الحركة الدينية التي تشغل اليوم كل العقول ووصفها ادقّ وصف في عدّة مقالات كتبها في المجلّات الخاصّة وقد اقرّ الروس انفسهم بحسن نيتهِ واعتدال خطتهِ ولّما رحل الى روسيّة قبل ثلاث سنوات استقبلوه بالترحاب واثنوا على همتهِ . والكتاب الجديد الذي انجزهُ اليوم في هذا الصدد يحتوي تفاصيل المخابرات والاجتماعات التي جرت في السنين الاربعة الاخيرة للاصلاح الدينيّ في دولة القياصرة . فذكر حضرة المؤلف كيف اجتمع في سنة ١٩٠٥ اثنان وثلاثون كاهنًا ورفعوا الى القيصر تقريرًا وصفوا فيهِ النكبات

المتعدّدة التي لحقت بالكنيسة الروسيّة ودلّوه على الدواء الشافي لتلك الادواء . فحصل من جرّاء ذلك قالٌ وقيل وتعدّدت الكتابات والرسائل والتآليف للبحث في هذا الامر الهامّ وكان املهم ان يُعقد مجمع ديني لتلافي تلك الشرور وان يُقام للممالك الروسيّة بطريرك مستقلّ يسعى في النظام الديني وتهذيب الاكليروس العالي واصلاح الرهبان وتدبير الشعب الى غير ذلك من المشروعات الدينية التي تقتضي همة قعساء . وقد دوّن الاب بالمياري في كتابهِ خلاصة تلك الابحاث والكتابات والتقارير التي وضعها الروسيون في هذا الشان وربّما نقل كلامهم بحرفهِ ليطّلع القارئ على افكارهم تماماً ويقف على احوال الكنيسة الروسيّة واحتياجاتها دون ان ينسبهُ احدٌ الى الاغراض الشخصية . فنحض الشرقيين عموماً والارثدكس خصوصاً على النظر في هذا الكتاب وهو مكتوب في لغة اقرب اليهم من اللغة الروسيّة التي لا يعرفها بيننا حتى الان الّا القليلون

الاب ي . فيلوغراسي

MEYERS REISEBUECHER: **Turkei, Rumaenien, Serbien, Bulgarien**. 7[te] Aufl. mit 13 Karten, 36 Plaenen u. Grundrissen, 1 Panorama u. 3 Abbild., *Leipzig, Bibliogr. Institute*, 1908.

دليلماير الى الممالك المحروسة ورومانية وسربيا والبلغار

هذا الدليل معروف بدقّتهِ ووفرة معلوماتهِ حتى انّ دليل بديكر نفسهِ الشهير بمحاسنهِ اضحى متأخّراً عنهُ . ولذلك قد صار لهُ الرواج الكبير وهاهي ذي الطبعة السابعة منهُ التي زاد المؤلف في تحسينها فوصف ما تجدّد في الدولة العليّة من المشروعات العمومية لا سيما السكك الحديديّة المستحدثة وكذلك وسّع المعلومات التي يحتاج اليها المسافر في كل بلد وبالغ في ضبطها . ومما يشغل قسماً كبيراً من هذا التأليف وصف دار السعادة وآثارها وابنيتها ومتاحفها ولا غرو فانّ الاستانة مركز السلطنة العثمانية الفخيمة وقد جمعت في ارجائها محاسن ستة عشر جيلاً . ولكن كنّا وددنا لو اعطى ايضاً غيرها من المدن حقّها من الوصف كجامع السلطان الغازي سليم الثاني في ادرنة فانهُ لم يكدْ يعرّف من احوالهِ شيئاً وهو من اجمل آثار الهندسة الاسلامية . وعلى كل حال يمكننا القول بان هذا الدليل احسن رفيق للمسافرين في جهات آسية الصغرى وبرّ الاناضول والبلاد المجاورة للدولة العليّة

س . ر

E. GALLOIS: **Asie Mineure et Syrie** (Sites et Monuments) *Paris*, *Guilmoto*, s. d., 244 pp. in - 16.

برّ الاناضول والشام

احبّ المسيو غالوَا الاسفار البعيدة فرحل الى بلاد شتى كالهند والهند الصينيـة ويابان واوقيانية واسبانية والبرتغال وقد اعتاد في عودتهِ منها ان يسطّر ما رآهُ وسمعهُ. وها هو قد اضاف الى كتبهِ السابقة رحلة جديدة باشرها الى برّ الاناضول وانحاء الشام وكنا اجتمعنا بهِ يوم زيارتهِ لمدرستنا الكلّية كما دوَّن ذلك في بعض فصولهِ. اما كتابهُ هذا فليس هو تأليفاً علمياً وانما هو نظر عمومي ضمَّنهُ افادات تاريخية واقتصاديَّة عن الامكنة التي زارها. وقد يعرض هذه الفوائد على نمط بسيط بوضوح وجلاء. فيتصفحهُ القارئ بلذة دون عناء. ولو اثبت فيهِ بعض التصاوير لكان ألذّ وافيد س. ر

G. J. AFEVORK: **Guide du voyageur en Abyssinie,** 282, pp., 8°, *Rome*, *C. de Luigi*. 1908.

دليل المسافر الى الحبشة

هذا التأليف الجديد الذي وضعهُ المسيو افيورك سيودي للدروس الابحريّة خدماً مشكورة لانهُ قد اجاد في اختيار المقاطيع التي اوردها واحسن في تصوير لفظها. ومن خواص الكتاب اسلوبهُ ونظامهُ فانهُ مرتب ترتيباً تدريجياً من حيث تركيب الجمـل وتأليف العبارات وهو مع ذلك يمثّل على احسن نمط لغة الاحباش الدارجة فكتابـهُ اذن يفيد العلماء والمسافرين معاً ويمزج النظري بالعملي على احسن نمط الاب م. شان

DOTTORE LUIGI RINALDI: **Le parole italiane derivate dall'arabo.** Studio filologico comparato con glossario. *Napoli*, *Libreria Detken e Rocholl*, pp. VI - 107, L. 4.

المفردات الايطاليَّة المشتقَّة من العربيَّة

تلطَّف صاحب هذا الكتاب فاهدانا منهُ نسخةً اقبلنا على مطالعتها برغبةٍ. وقد تبيَّن لنا انَّ المؤلف راجع في تصنيفهِ ما كُتب في هذا الصدد في اللغـات اللاتينية كالفرنسويّة والاسبانية والبرتغالية واضاف الى ذلك معلوماتهِ الخاصة التي استمدَّها من انحاء ايطاليا الجنوبية واهلها وهـذا لعمري نعم العمل ويا ليت كثيرين من العلماء يحذون حذوهُ فلو فعلوا لوقفوا على اصول الفاظ متعدّدة واستدلّوا على جملة امور تاريخية

مجهولة . وقد استشهد الدكتور رينالدي غير مرّة بكتاب الاب لامنس الذي عنوانهُ (Remarques sur les mots français dérivés de l'arabe, 1890) وقد فاتهُ ان حضرتهُ نشر بعد ذلك ملحقاً على كتابهِ أصلح فيهِ عدّة اقوال ضعيفة وزاد عليهِ ملحوظات جديدة (١ وممّا استدركهُ اصل لفظتي (amiral, assassin) هذا وأنّنا نوافق المؤلف (ص١٧) في اصل اللفظة الاسبانية (carabo) التي لا تشتقّ من العربية « قارب » كما زعم البعض بل من اللاتينية (carabus) التي سبقت اللغة العربية واستعملها القديس ايزيدورس الاسباني في تآليفهِ وتجدها ايضاً في اليونانية القديمة κάραβος ومنها اللفظة الحديثة (.ov) τό καράβι . ومن اغلاط الكتاب الطبعية لفظة buffon بدلاً من bouffon (ص ٣٨) ل . ر

M. J. DE GOEJE: **Selctions from arabic geographical literature** (Semitic Study Series, VIII), *Leiden*, *Brill*, 1907, X-114 pp.

منتخبات من التآليف العربيّة الجغرافية

اشرنا سابقاً الى مجموع نُخب من كتبة العرب تولّى نشرهُ بعض الاساتذة المستشرقين تحت نظارة المعلّمين الاميركيين غوتهيل (R. Gottheil) وجاستروف (M. Jastrow) وهذه اليوم ثمرة جديدة من تلك الحديقة الفيحاء وهي الثامنة من جنسها قد خُصّت بمنتخبات من جغرافيّي العرب : امّا الموكول بجمعها فهو رجلٌ أدّى من الخدم الطيبة للآداب العربية ما لا يفي بهِ احصاء اعني بهِ الاستاذ دي غوي من ائمة علماء ليدن الذي نشر تاريخ الطبري ومؤلفات جغرافيّي العرب فأودع هذا المجموع نخبةً من مسالك الممالك للاصطخري ومن الاعلاق لابن رسته والمسالك لابن خرداذبه وصفة جزيرة العرب للهمداني وكتاب البلدان لابن الفقيه ورحلة ابن جبير ومن معجم البلدان لياقوت ومن معرفة الاقاليم للمقدسي ومن عجائب الهند لبزرك بن شهريار فجاء اشبه بقلادة ثمينة كلّها لآلئ فريدة تحلّت بها لبّة الآداب . وفي آخر الكتاب كما في الكتب السابقة معجم عربي انكليزي والمانيّ فلا جرم انّ طلبة المدارس الكلية يقبلون على هذا الكتاب شاكرين لفضل جامعهِ س . ر

١) نُشرت هذه المقالة في مجلّة « Précis historiques » سنة ١٨٩١ تحت هذا العنوان: Le rôle des langues dans l'étymologie contemporaine

STUDIA SYRIACA. Fasc. II. Apocryphi Hypomnemata Domini Nostri seu Acta Pilati, Antiqua Versio Syriaca quam nunc primum edidit, latine vertit atque notis illustravit **Ignatius Ephrem II Rahmani** Patriarcha Antioch. Syrorum, 1908, 38 + 24.

نسخة سريانية من اعمال بيلاطوس او انجيل نيقوديموس

بين الناجيل الزور التي وصفناها في عدد سابق ذكرنا انجيل نيقوديموس (ص ٢٠٢) المدعو عادةً باعمال بيلاطوس او وصاة الرب و بيّنا مضامينهُ ولشرنا الى تاريخهِ القديم وفوائده ونقلنا عنهُ فصلًا في موت المسيح وقيامتهِ. ثم اثبتنا شيئًا عن نسخهِ اليونانية واللاتينية. ولم يكن يُعرف لهذا الانجيل ترجمة سريانية الّا ان غبطة السيد العلّامة المفضال اغناطيوس افرام الثاني بطريرك السريان قد وقف على نسختين سريانيتين منهُ وجد الواحدة في مديات يظنُّها من القرن الثامن والاخرى في الموصل من القرن الرابع عشر. فطبع هذا الاثر بالحرف الاسطرنجلي مع التطبيق بين روايات النسختين ثم نقلهُ الى اللاتينية لفائدة العلماء. ولغبطتهِ مقدمة نفيسة بيّن فيها خواصّ الترجمة السريانية وقابل بينها و بين النسخة اليونانية الشائعة اليوم فاثبت ان هذه الترجمة السريانية مختلفة عنها وانّها منقولة عن نسخة اخرى يونانيّة اقدم عهدًا مفقودة. وكفى بذلك برهانًا على عظم شان هذه الترجمة الجديدة التي تفتح بابًا للابحاث التاريخية وتزيد قدر هذا الانجيل الذي مع كونهِ غير قانونيّ يحتوي اشياء كثيرة حسنة تؤيد صحة الاناجيل المقدسة

ل. ش

JOSEPH GOUDARD s. j. **Marie au Liban**, orné de 700 gravures, *Paris, Bonne Presse,* 5 rue Bayard, 1908, in-4°. VIII-536, Prix 7 f^rs^. 50

مريم في لبنان

هو اثر جديد بل يتيمة فريدة زيّن بها احد آباء كايتنا جيد البتول العذراء في هذه السنة المباركة التي شوهد فيها لاوّل مرّة تمثال السيدة على ربى لبنان فنعم الهدية التي «لم تكُ تصلح الّا لها» كيف لا وهي باكورة ما كُتب عن عبادة العذراء في لبنان وخزانة جامعة من جواهر التقى اكرمها وحديقة زاهية تقرّ العيون ببهاء ازهارها ويلتذّ الذوق بطيب اثمارها ومجمل القول انّهُ لا ينقص هذا التأليف شيءٌ من اسباب المحاسن سواء كان من جهة موادّه او من جهة بلاغة كلامهِ كما ان طبعهُ قد أُتقن غاية الاتقان

وحُلّي بثمين من التصاوير البديعة · وفي نيتنا ان نفرد لمضامين هذا الكتاب مقالة واسعة ان شاء الله فنكتفي اليوم بهذا الاعلان ل · ش

في زيارة الابرشيَّة

للخوري بولس عويس (طُبع في الاسكندريَّة ص ١١٧)

عاد حضرة الخوري بولس عويس الى نشر تآليفهِ في الحقّ القانونيّ · وهيهات ان نلومهُ عن عملهِ هذا بل نثني عليهِ اطيب الثناء ونحن نعلم ما يترتب على نشر مثل هذه المصنَّفات من الفوائد الجمة لتهذيب الشعب واصلاح احوال الرعايا واستئصال الخلل الواقع بسبب تهامل بعض خدَمة الدين · لكننا نعرف ايضاً انّ الكرسي الرسولي كرَّر الامر مرارًا عديدة بان لا ينشر احد من الاكليريكيين كتاباً دينيًا لا سيا قانونيًا كهذا دون ان يطلع عليهِ رئيس الطائفة او الاسقف المحلي ويسمح بطبعهِ صريحًا · فما اجدر بمن يعلّم غيره الحقوق القانونيـــة ان يباشر بممارستها · ومن ثمّ لا يسعنا الّا ان نكرّر ما قلناهُ لحضرتهِ في نقدنا على كتابه السابق (المشرق ١٠ : ٢٣٦) : « ونحن مع اثنائنا على هذا التاليف كنَّا وددنا لو صادق عليهِ احد اساقفة الطائفة المارونيَّة لتزيد ثقة القرّاء بهذه التعاليم » وعلى رأينا ليس بين الاساقفة احد كان سمح لحضرتهِ ذكرهُ في المقدمة (ص ٨) قصة « تبخير بغلة المطران » وغير ذلك من الانتقادات التي يستطيع كل فرد ان يعرضها لاصحاب الامر ولا يليق أن تُنشر على رأس الملأ · اما تشكي حضرتهِ ممَّا كتبنا في المشرق عن تأليفهِ السابق فلا محلّ لهُ اذ لم نطلب من حضرتـهِ الّا امرين قد اقرّ هو بنفسهِ عن صوابهما : الاوَّل ألَّا يطبع كتاباً بدون رخصة رئيسهِ السيد البطريرك او الاسقف وقد قال حضرتهُ في آخر كتابـهِ المجمع الاقليمي انَّهُ مستعد لطبع المقالات التي تُرسل اليهِ في موضوع المجمع اللبناني بشرط « ان يطلب للنشر رخصة من رئيسهِ المألوف او من غبطة رئيس الطائفة » والثاني ان يتحاشى بعض الاقوال والانتقادات التي تغضّ بمقام الرؤساء · وقد اقرّ بذلك في مقدَّمة الطبعـة الثانية من كتابهِ مجمع الابرشيَّة (ص ٧) حيث قـال انّ « عبارتهُ تظهر في بعض المحالّ جافية قاسية » فهذا ما انكرنا على حضرتهِ وهو اوَّل من اعترف بهِ · وكذلك لم نتَّهم حضرتهُ بقولنا انهُ الزم الشرقيين بقوانين لا تعنيهم فانَّ هـذا يلوح من عدَّة فصول من تأليفهِ السابق (راجع مثلاً صفحة ٢٦ من كتابهِ مجمع الابرشية) ل · س

شذرات

الدين بعض الوجدان — هو اقتراح لمجلة الهلال على قرّائها كانت عرضته على هذه الصورة

« رأيت اناساً يستغربون بقاء الاديان ويتمنّون زوالها ولو زالت لاختلقوا شيئاً يعبدونهُ لانَّ الدين بعض الوجدان واقوى تعزية لبني الانسان »

فسُررنا بهذا الاقتراح ولم نشك انَّ فئة من افاضل الكتبة يجيبون عليهِ بابيات

تزينُ معانيها ألفاظها وألفاظها زانات المعاني

فاجاب بعضهم بما كان موافقاً للظنّ كطانيوس افندي عبده من الاسكندريَّة فقال واجاد :

زعم الأُلى ضلّوا السبيلَ بأنّنا بالعلم نستغني عن الاديانِ
لكنهم لو امنوا وتبصّروا لرأوا جلال فضيلة الايمانِ
فالدينُ للانسان اعظمُ سلوةٍ بل انّهُ جزءٌ من الوجدانِ
والله لو جحد ابنُ آدم ربّهُ لسعى الى استنباط ربٍ ثاني

وكالدكتور الفاضل شدودي من مصر فكتب :

لا بُدَّ للمرءِ من دين يعوذ بهِ من الشدائد في دنياه والخطرِ
والدين طبعٌ غريزيٌّ فلست ترى الَّا القليل بلا دينٍ من البشرِ
وكلُّ قوم وان ضلّت مذاهبهم لهم الهٌ وكل الفرق في الصورِ
ذا يعبدُ الشمس تحييهِ اشعّتها وذاك يعبدُ اصناماً من الحجرِ
فاعبدْ الهاً برى ذا الكون من عدمٍ واستغفر الله في ليل وفي سحرِ

على ان صوت بعض المغنّين خرج عن هذه النغمة المشنّفة للآذان كصاحب « صدى النفوس ورجع الصدى » فكتب مقالة مرجعها الى انَّ الدين من الاوهام البشريَّة التي تشغل قلب الانسان وانما هي خيال بلا حقيقة واسم بلا جسم فكان اثبات تلك المقالة في الهلال مشوّهاً لمحاسن اقوال الذين اصغوا الى صوت الحق وألقموا الزندقةَ الحجرَ . وهكذا ترى المجلات المصريَّة تتقلّب مع الرياح فتدوّن في صفحاتها الآراء المتناقضة فتهدم بالشمال ما ابتنتهُ باليمين . ولو اردنا شاهداً على هذا لوجدناهُ في هذا العدد من المجلّة نفسها . وهناك مقالة عن الجنّ خبط فيها صاحبها س.ع خبط عشواء فنظم في سلك واحد خرافات الامم الهمجية في الجن والعفاريت واعتقاد

العبرانيين والنصارى بالابالسة والشياطين . وقد زيَّفنا قول الهلال سابقًا في هذا الصدد (المشرق ١ : ٢٣٨)

التجارة الفرنسويَّة في العام الماضي — بلغت الواردات الى فرنسة في العام الماضي ٦,٠٤٧,٦٤٨,٠٠٠ فرنكًا بدلًا من ٥,٦٢٧,١٥١,٠٠٠ في السنة ١٩٠٦ فكانت الزيادة ٤٢٠,٤٩٧,٠٠٠ ف اما الصادرات فبلغ مجموعها سنة ١٩٠٧ ٥,٥٤٢,٠٣٠,٠٠٠ بزيادة ٢٧٥,٣٢٣,٠٠٠ عن العام السابق

مناجم الحديد في العالم — نشرت مجلّة المعادن الافرنسيّة لائحة تعدين الحديد في كل المعمور فبيَّنت انَّ رواج الحديد قد زاد كثيرًا منذ خمس عشرة سنة حتى تضاعفت محصولاتهُ ففي سنة ١٨٩٠ كان وزن الحديد المستخرج من المعادن يساوي ٢٧,٠٠٠,٠٠٠ طنّ فبلغ بعد عشر سنوات ٤٠ مليونًا وفي السنة ١٩٠٦ تجاوز ٥٩ مليونًا وكان في العام الماضي ٦١ مليونًا اما اغنى البلاد بمناجمها الحديديَّة فالولايات المتَّحدة التي عدَّنت من هذا الصنف في السنة المنصرمة ٢٧,٧٨١,٠٠٠ طنّ وكان محصولها منهُ سنة ١٨٨٥ اربعة ملايين فقط ثم المانية ١٣,٠٤٥,٠٠٠ ثم انكلترة ١٠,٥٠٠,٠٠٠ فترى من ذلك تقدُّم الاشغال في شمالي اميركة وما للحديد من الرواج لكثرة استعمالهِ في كل الصنائع

آثار رومانيَّة — اكتشف الفرنسويُّون في الاشهر الاولى من هذه السنة آثار مدينة رومانيَّة موقعها على احد عشر كيلومترًا من مدينة صفاقس في بلاد تونس . وهذه المدينة كانت تدعى « ثينا » واشتهرت بتجارتها وتمدُّنها الروماني . وكان الاثريُّون يعرفون مقامها لكنهم لم يتولَّوا حفرها حتَّى الان . ففي هذه السنة مرَّت فرقة من الجنود الفرنسويَّة فاستلفت احد الاثريين انظار ضبَّاطها الى هذا المكان فباشروا بالحفريَّات ولم تلبث مساعيهم أن أتت بالنجاح التامّ اذ وجدوا آثارًا اشبه بآثار بومباي من ابنية وحمَّامات ومدافن وتصاوير مختلفة تحيي في العيون حياة الرومان وعاداتهم وممَّا اكتشفوا اثاثٌ بيتيّة عجيبة وادوات صناعية من كل صنف . ومن غريب ما وجدوه في حانوت سكَّاف أحذيةٌ في أنعالها قطعٌ من الفلّين وقايةً للارجل من الرطوبة . وهو امرٌ اجراهُ السكَّافون العصريُّون حديثًا وكانوا يظنونهُ اختراعًا وقد سبقهم اليهِ الرومان منذ الفي سنة . وقد وجدوا ايضًا تصاوير بديعة من الفُسيفساء تمثّل كثيرًا

من احوال الرومان وعاداتهم . ومما وجدوه في بعض المدافن اثمار كالتين والجوز والصنوبر وكلها قد استحجرت لطول عهدها . وكذلك اكتشفوا آنية بديعـة الصنع من الخزف والزجاج الملون . واكثر هذه الآثار قد نُقل الى صفاقس وبُني لها متحف خصوصي

أسئلة وأجوبة

س سأل احد ادباء المدينة : ما السبب لترخيص النصارى بأكل بعض اللحوم كلحم الخنزير بعد ان كان الله نهى عن اكلها في العهد القديم

اكل لحم الخنزير

ج معلوم ان الله عزَّ وجلَّ فرض على بني اسرائيل سُنناً لزمهم الجري بموجبها ريثما يأتي المسيح الموعود الذي كان مزمعاً ان يكمّل الشريعة الموسويّة ويبطل منها ما كان موقتاً كالختان وبعض النواميس الخاصّة ومن جملتهـا اكل بعض اللحوم . وقد تمَّ ذلك فعلاً بمجيء السيد المسيح ومما قاله لذكره المجد (متى ١٥ : ١١) « ليس ما يدخل فم الانسان هو الذي ينجس الانسان » فبقولهِ هذا اباح كلَّ المآكل حتى اللحوم التي كان الله نهى عن اكلها في العهد القديم لأسباب صوابيّة . وكذلك ورد في خبر رؤيا القديس بطرس (اعمال ١٠ : ١١) أنهُ أُمر باكل الذبائح دون تمييز بين النجس والطاهر . ولما انعقد المجمع الاورشليمي في عهـد الرسل (اعمال ١٥ : ٢٨) اتفق الحواريُّون في ابطال السنن الموسويّة فلم يفرضوا على المتنصّرين الامتنـاع عن لحم الخنزير والحيوانات النجسة . هذا ما يُقال اجمالاً على أننـا لا ننكر انَّ لحم الخنزير مضرٌّ في بعض البلاد كبلادنا الشرقيّة مثلاً فالفطنة والقوانين الصحية تقتضي الامتناع منهُ ألّا انَّ ذلك ليس بفرض دينيّ على النصارى

س وقد سألنا احد تجار الثغر ما هي السنة المالية ومتى يُباشر بها

السنة المالية

ج السنة المالية تاريخٌ عرضهُ الدفتردار مورالي عثمان بك على السلطان سليم الثالث الغازي لضبط برنامج الدولة السنية فوافق عليهِ جلالة السلطان بارادة سنيّة وذلك سنة ١٢٠٤هـ (١٧٨٩م) وهذا التـاريخ شمسيٌّ يبتدئ في اول آذار الشرقي (١٤ آذار الغربي) وقد صار بينهُ وبين التاريخ الهجري اختلاف سنتين . فان السنة الماليـة حالاً هي ١٣٢٤ امَّا الهجريّة فهي ١٣٢٦ ل . ش

المشرق

السيد اثناسيوس سفر العطّار المارديني

بقلم حضرة القس اسحق ارملة السرياني الكاثوليكي

لما اوشك نبراس الكنيسة الكاثليكية ان يخبو في الامة السريانية وصارت على شفا الانقراض والاضمحلال اراد الله عزَّ وجلَّ ان يعيد اليها نضارتها السابقة فاقام في اوائل القرن السابع عشر واواخره اناماً شهيرين اجلّاء تغايروا على زيادة مجده وسعوا السعي الحثيث في توسيع نطاقهِ ٠ وقد اشتهرت بذلك مدينة ماردين خاصَّة فان تربتها الصالحة انبتت كماةً ذبّوا عن الدين القويم وكبتوا انصار الضلال فطار ذكرهم في الآفاق واستحقُّوا اطيب الثناء واطول الشكر واصبح وطنهم يفاخر بهم ويُمتدح بخصالهم ويباهي بمناقبهم٠ واننا لنضرب صفحاً عن تعداد القديسين وأيمة العلماء الذين خرجوا منها ونأتي الى ذكر المتازين بالفضل والفضيلة في اوائل الكثلكة فقط

فقد ورد في اخبار الطائفة الارمنيَّة الكاثوليكية (١ ان السيد ملكون طازباز امام احبارها وشهيد ايمانها ذا المناقب الحسناء والخصال الحميدة هو اوَّل من ألقى بذر الكثلكة الارمنيَّة وعكف على سقيهِ بهمَّة لم يعتورها ملل٠ وعليهِ قرأ العلوم ستة اعوام ابراهيم ارزيفيان العينتابيّ اوَّل بطاركة قيليقية على الارمن الكاثوليك وبواسطتهِ اعتنق الارمن الكثلكة اعتناقاً ثابتاً بعد تردُّدهم ٠ ونالتهُ شدائد فادحة ومحن كثيرة٠ ولشدة حرصهِ على الايمان البطرسي ابعدهُ اعداؤهُ عن وطنهِ وبقي منفياً الى ان توفاه الله عام ١٧١٤

١) المشرق (٣: ٥٢)

وفي الطائفة الكلدانيَّة العريقة في القـدم في تلك البلدة اشتهر القس جبرائيل دمبو (١ القديس الابرّ والبطل المقدام والشهيد العظيم الذي اسس الرهبانيَّة الانطونيَّة الكلدانيَّة ونال من غريغوريوس السادس عشر تثبيتها . وقام منها رجال فضل امتازوا بالتقى وازدانوا بالمعارف . ولم يبرح يتجشم الاتعاب حبًّا بفلاحها وتوطيدها حتى فاز باكليل الشهادة عام ١٨٣٢

اما الذين امتازوا في طائفتنا السريانية بالمنـاضلة عن الدين الحقّ وبثّ كلمة الله فهم كثيرون : منهم اغناطيوس اندراوس اخيجان الذي أُقيم بطريركًا في ٢٠ آب ١٦٦٢ توّجه من حلب الى بلاد ما بين النهرين حتى وصل الى ماردين وطنهِ فاجتمع اذ ذاك بالمتكثلكين نخصُّ بالذكر منهم ارسـان والشماس سليمان نجلَيْ الخوري سفر والشماس عبد النور وحنا العطّار وسواهم وكانوا يتردَّدون خفيةً الى بيعـة الكلدان . وقبل مبـارحة البطريرك ماردين رغب ان يرسم لهم قسيساً فانتخبوا الشماس سفر ابن المقدسي حنا العطّار الذي همنا بان ننشر قصتهُ (٢ . وكان آنئـذٍ مقيماً في تفليس فوعدوه بارسالهِ اليهِ واشاروا عليهِ ان يعدل عن التوجه الى الموصل فعاد الى حلب وقصّ على المرسلين خبر رحلتهِ واوضح بان الامل وطيد في اكتساب قاطني تلك البلاد الى الديانة الكاثوليكيَّة

اما الشماس سفر صاحب الترجمة ففي سنة ١٦٧٧ اتى الى ماردين وعمرهُ اذ ذاك سبع وثلاثون سنة فارسلهُ الاهالي الى حلب ليقتبل الكهنوت من البطريرك المغبوط انجازًا للعهود بيد انهُ لسوء الجدّ لما وصل الى حلب ألفى البطريرك طريح الفراش وما عتم ان انتقل الى الاخدار السمويَّة بعد أيام معدودة . فتخلّف الشماس سفر في حلب حتى قام البطريرك بطرس الرابع المذكور في الخبر فتوجه الى الاستانة العليّـة ليستردّ الكنيسة من يد عبد المسيح بطريرك اليعاقبة الدخيل

وعام ١٦٧٩ اتى الى حلب السيد فرنسيس پيكات (Fr. Picquet) قاصدًا

---

١) المشرق (٣ : ٨٨٦)

٢) اننا نثني اطيب الثناء على سيادة مار افرام نقاشه مطران حلب الجليل الذي تنازل واجاب الى بعض سوالات التمسناها من سيادته . وهي مدرجة بالضبط والعناء في القسم الثـالث من تاريخهِ الكبير

بابل و بلاد الفرس (١ فاتخذ الشماس سفر ترجمانًا لهُ مدَّة اقامتهُ بحلب وعام ١٦٨٢ توجه السيد پيكات الى ابرشيتهِ وترك الشماس سفر ترجمانهُ ينتظر هدايا لويس الرابع عشر ملك فرنسا ليحملها الى صوفي شاه العجم و يترقب قدوم البطريرك المغبوط ليرقيهُ الى الدرجة الكهنوتيَّة

فلمَّا رجع البطريرك غانمًا ظافرًا الى حلب رسمهُ في تلك السنة قسيسًا مع ثلاثة شمامسة كانوا قد قرأوا العلوم في المدرسة الاوربانيَّة وارسلهُ من ساعتـهِ الى اصفهان حاملًا الهدايا الى السيد پيكات . واستمرَّ القس الجديد معهُ سنتين ثم آب الى حلب في تموز ١٦٨٤ حاملًا رسائل توصية من السيد المذكور (الذي كان حينئذٍ في همذان) الواحدة الى ملك فرنسا والاخرى الى الاب سيڤن في رومة واليك نصها : «اكتب اليك بواسطة القس سفر . أوصِ المجمع المقدَّس ان يحتفي بهِ و يكرم مثواه و يعوّضهُ من النفقات التي انفقها . . اعلم انهُ ريَّان من العلوم الشرقية قدير على القـاء الخطب بالعربيَّة والتركيَّة وقد نُدب مرارًا الى الاسقفية (٢ »

فلمَّا وصل الى حلب اغتنم الفرصة مار بطرس الرابع ورقَّاه الى الدرجة الاسقفيَّة ودعاه باسم اثناسيوس سفر ووكل اليهِ رعاية ماردين ونصيبين ونواحيهما . ودفع بيده كتاب السوسطاثيقون (٣ واليك نسختهُ بتصرُّف :

اغناطيوس بطرس الضئيل عبد عبيد الربّ يسوع المسيح وبرحمتهِ تعالى السابغة بطريرك الكرسي الانطاكي

نهدي السلام والتحيات والصلوات والبركات الى اولادنا المحبوبين المباركين الكهنة والشمامسة والاراكنة والمشايخ والرجال والنساء والشبان والاطفـال الذين هم تحت ظلّ مراحم القدوس مستترون وفي مدينة ماردين العامرة ساكنون اعني الثلاث مراعيث (خورنيَّات) مرعيث الاربعين شهيدًا ومرعيث مَرْت شموني ومرعيث مار ميخائيل وسائر القرى اي القصور وقلعـة المرأة والمنصوريّة وبنابيل ودير هليا وكلبين وقرى مشوق والابراهيمية وما يليها من القرى فلتحرسهم

١) المشرق (٧ : ٨٧٩)

٢) الآثار الخطيَّة للاب انطون ربَّاط اليسوعي (جزء ١ ص ١٠٤)

٣) السوسطاثيقون (Συστατικόν) كلمة يونانيَّة تفسيرها رسالة التوصية و يراد بها الكتاب الذي يدفعـهُ البطريرك بيد الاسقف الذي يرسمهُ حديثًا دلالة على تأييد الرسامة

العناية الربانيّة وتحفظهم بالملائكة المقرّبين آمين . اما بعد فننهي الى امانتكم الصادقة بان معلم الاسرار الالهيّة بولس الرسول هتف قائلًا : « ليس الامر بيد من يشاء ولا بيد من يسعى بل بيد الله المترحم (رومية ٩ : ١٦) الذي من عنده تهبط كل عطية صالحة وكل موهبة كاملة (يعقوب ١ : ١٧) بوساطــة الروح القدس الذي لمّا رآنا مرتبكين في امر انتخاب راعٍ صالح ومدبّر فالح لنقيمهُ على كنش (جماعة) ماردين المبارك التي هي منذ القديم فخر المراعيث وجهـا يفتخر كل المؤمنين من اجل ايمان سكّانها وغيرتهم على حفظ القوانين الرُسليّة والنواميس المقـدسة والاوامر الانجيلية ألهمنا ان نختار لكم اسقفًا يرعاكم فلمحنا شخص ولدنا المبــارك الاسقف سفر وانتعش خاطرنا بهِ وفاضت محبتنا عليهِ كما فاضت قارورة الطيب بيد صموئيل النبي على داود (١ ملوك ١٦ : ١٣) وتراءى لنا ان هذا المنتخب هو مسكن للروح القدس وقد اصطفاه الربّ من حشا امهِ لهذه الخدمة . وانهُ يستحقّ الرئاسة الكهنوتيــة بكل صواب من اجل كمالهِ بالمحاسن والاعمال الخيريَّة والفضائل المسيحيَّة المتنوّعة والعلوم الربَّانيَّة والعالميَّة وتفاسير الكتب المقدسة . ولذلك تواترت الاصوات وتوالت لكون دعوتهِ من روح القدس فدُعي مار اثناسيوس ويستحق الاسم كما استحق الدعوة . والآن زعقنا نحن والاساقفة الحاضرون « اكسيوس اكسيوس اكسيوس » يستحق ويستوجب الراعي ورئيس الكهنة مار اثناسيوس . وقد أُعطي السلطة من روح القدس بواسطــة حقارتنا مثل الرسل القديسين ان يربط ويحــلّ ويحكم ويكرّس قسوسًا وشمامسة ورهبانًا ويقدّس مذابح وكنائس ويأخذ من الزيجات حقّ القلّاية من مرعيث ماردين وما يليها . فالذي يُربَط ويُحرم من هذا الاسقف يكون مربوطًا ومحرومًا من الله ومن حقارتنا . وليس لهُ غفران الّا من هذا الاسقف . والذي يباركهُ عليهِ يقبل البركات من الله والصلوات من ضعفنا

ويجب عليكم ان تفرحوا وتشكروا الله وتحملوا اغصان الشعانين وتستقبلوا هذا الراعي الصالح وتصرخوا قائلين « اكسيوس اكسيوس اكسيوس » . مثلما زعقنا نحن والاساقفة في وقت تكليلهِ . واعلموا اننا قد وضعنا كلمتنا في فمهِ فينبغي ان تسمعوا لهُ وتوقروه . ونتوسّل اليــهِ تعالى ان يكون قدومهُ اليكم مباركًا . بهِ يتمّ فرحكم ويضمحلّ حزنكم وتنمو اثماركم وتنجح اعمالكم وتزكو غلاتكم وتُغفر آثامكم وتتربّى اطفالكم

ونعلمكم اننا قد وصّينا ولدنا السعيد مار اثناسيوس ان يسلك طريق الحق ولا يخترع بدعة او عوائد غير يميَّة بل يسير في طريق الاباء القدماء ولا يطلب من احد شيئًا فوق طاقتــهِ . ولا يزدري بطقس الكهنوت ويمنحهُ بالبرطيل وعدم الفطنة ونبالغ في الوصيَّة بان تزدادوا محبــة نحو اسقفكم وتساعدوه في عمارة البيع والاماكن المقدَّســة ونسأل الله ان يحرسكم ويحفظ اولادكم ويسكن امواتكم في بحابح الجنان مع ابينا ابراهيم واسحق ويعقوب بشفاعة معدن الطهر والبركات ام النور الاعظم والحيــاة القديسة مريم العذراء والدة الله ومار فطرس وفولس ولفيف الشهداء والقديسين آمين والمجد لله دائمًا

---

١) ههنا يذكر الاسم الجديد الذي لقبهُ بهِ

وذيّل السوسطاثيقون بامضائهِ وخطّه ديونوسيوس رزق الله امير خان مطران حلب . وفي آخره كتب غبطة البطريرك ما نصّهُ : « لما كانت سنة ١٦٨٥ ثبتنا هذا السوسطاثيقون الذي بيد الاب المكرَّم ولدنا العزيز المبارك مار اثناسيوس سفر ابن المرحوم مقدسي حنا على مدينة العامرة ماردين ونصيبين وسائر القرى وزعقنا مع الآباء والكهنة ثلاث مرَّات : « اكسيوس » . والربّ الاله يجعلهُ مباركاً وسعيداً الى ابد الآبدين آمين » . وهذا السوسطاثيقون محفوظ الى اليوم بكل اجلال في مكتبة مدرسة الشرفة

فاخذ الحبر الجديد كتاب تثبيتهِ اسقفاً ويمَّم باريس قياماً بما عهد اليهِ السيد بيكات في ايصال الرسائل الى ملك فرنسا . فلمَّا حضر امامهُ رابهُ امرهُ وتحيَّر في شأنهِ لانهُ شاهدهُ بزي اسقف مع ان السيّد بيكات حرَّر بكونه قسيساً . بيد انهُ وقف على كنه المسألة وتبين انهُ اسقف عند اطلاعهِ على السوسطاثيقون البطريركي الذي كان دفعهُ اليهِ مار بطرس الرابع وحينئذٍ هشَّ لهُ واحلَّهُ في بلاطهِ ضيفاً كريماً واعزَّهُ جداً ولما عزم على الذهاب الى رومة سلَّمهُ كذلك رسائل توصية الى قداسة البابا انوكنتيوس الثاني عشر بشانهِ وشأن نصارى البلاد الفارسيَّة . فقوبل ايضاً بالاكرام والترحاب

ولما كان اثناسيوس ميّالًا الى الاسفار موثرًا عيشة النسَّاك والسوَّاح التمس من رئيس المجمع ان يرخّص لهُ في الشخوص الى البلاد الهنديَّة ليجمع صدقات تكفيهِ لمساعدة السريان المعوزين ولانشاء دير ورهبانية للطائفة في مسقط رأسهِ . وبعد الانتظار الطويل نال الاذن فسافر الى الهند عام ١٦٩١ وأقام خمس سنوات يسعى في قضاء منيتهِ فانجح الله تعالى مساعيه وجمع طائفة من المال قدرها خمسة وثلاثون الف ريال روماني ثم عاد الى رومية غانمًا سالمًا

وفي تلك السنة توجه مار بطرس الرابع الى رومة مع غريغوريوس يشوع مصرشاه الحلبي اسقف اورشليم وقصَّا على المترجم ما المَّ بهما وبالسريان الكاثليك من جور اليعاقبة في سوريَّا وما بين النهرين وبعد ان اجالوا قدح الاستشارة بدا لهم ان بناء الدير في ماردين او في الرها كما كان قد عوَّل عليهِ المترجم غير مناسب . واتفقوا على تشييده في رومة ليكون مدرسة لابناء الملّة . فاشترى اذ ذاك السيد اثناسيوس بمساعدة

الكردينال بنفيلي محلّاً في أكمة اسكولينو وسماه دير مار افرام وابتنى بجانبه كنيسة وسماها باسم « سيدة الصحة » وجعل فيها مذبحين الواحد لمار افرام والآخر لمار يعقوب النصيبيني ووضع لذلك الدير قوانين دقيقة . ودخلهُ عدّة من الطلبة الذي زيّنوا الكنيسة السريانية بمآثرهم وفضائلهم . ومن جملة الذين انفردوا فيهِ نذكر خاصة المفريان باسيليوس اسحق جبير (١ وغريغوريوس يشوع مصرشاه المذكور آنفاً الذي توفي في ١٧ نيسان ١٧١٥ في نهر التيبر . وغريغوريوس جبرائيل فيزون الدمشقي الذي اقيم بعد المترجم نائباً رسولياً والسيد غريغوريوس يوسف قدسي مطران اورشليم وغيرهم كثيرين

واستمرّ ذلك الدير معموراً مدّة مائة سنة الى ان استولى نابليون الاول على رومة سنة ١٨٠٨ ومن ثمّ فلسوء الحظ ضبطتهُ الحكومة الايطاليّة . ولم يتوفق روساء الطائفة فيما بعد الى استرجاعهِ واقتناء غيرهِ في رومة . ومع تمادي الزمان تحوّل الى بيوت يسكنها العوام ودُرست آثارهُ ولم يبقَ منها سوى الكنيسة التي هُدمت عام اول وتحولت الى مدرسة لفحص الامراض

ولم يكتفِ اثناسيوس سفر بذلك بل ساعد كثيراً الطغمة الاقليرسيّة التي كانت مع مار بطرس الرابع فمن ذلك انهُ عام ١٧٠٩ كتب اليهِ العلّامة مار غريغوريوس نعمة قدسي ولفيف الكهنة الذين كانوا محبوسين في اطنه بدسائس اليعاقبة ان يمدّ لهم يد المساعدة فأرسل اليهم مبلغاً وافراً من المال فابتنوا دير مار افرام عين الرغم وسكنوه عائشين فيهِ عيش الزهّاد . ولبث ذلك الدير مأهولاً نيفاً ومائة وثلاثين سنة اي حتى حرقه وانتهابه الذي جرى عام ١٨٤٠ فنُقل ما بقي فيهِ من الكتب والاواني الى دير الشرفة

وبعد ان استأثرت رحمة الله بالمفريان اسحق جبير سنة ١٧٢١ قلّد الكرسي الرسولي مار اثناسيوس سفر النيابة الرسوليّة على الطائفة السريانية برمتها . فدبّرها سبع سنين احسن التدبير وهو مقيم في رومة

وقد عاش هذا الحبر الفاضل ثماني وثمانين سنة أنفقها في الصلاح والارشاد وخدمة الطائفة حتى طواه ضريحهُ في ٤ نيسان ١٧٢٨ ودُفنت جثتهُ الكريمة في كنيسة الدير

١) راجع ترجمتهُ في المشرق (١١ : ٢٨٦)

التي شيَّدها ووُضعت فوق قبره صفيحة من المرمر منقوش عليها الشعار الاسقفي والكتابة الآتية باللاتينيَّة والحروف السطرنجيليَّة واليك نصها :

ܗܪܟܐ ܩܒܝܪ ܐܬܢܣܝܘܣ ܨܦܪ ܣܘܪܝܝܐ ܐܦܝܣܩܘܦܐ ܕܡܪܕܝܢ ܓܡܝܪܐ ܒܡܝܬܪܘܬܐ ܕܟܝܢ ܫܟܒ ܒܡܪܝܐ ܒ̈ ܒܢܝܣܢ ܫܢܬ ܐܬܫܟܚ ܡ. ܡܪܝܐ ܢܢܝܚ ܢܦܫܗ ܒܡܠܟܘܬܗ

وترجمتها «ها هنا مدفون اثناسيوس سفر السرياني اسقف ماردين الكامل بالفضيلة رقد بالرب في ٤ نيسان سنة ١٧٢٨م اراح الله نفسهُ في ملكوتهِ »

وكان رحمهُ الله فاضلًا مجيدًا وكاتبًا مجيدًا وخطيبًا فصيحًا متضلعًا بالسريانية والتركيَّة والفارسيَّة والعربية والايطالية

ومن مآثرهِ الشريفة الجليلة انهُ بذل لُباب السعي في طبع كتاب الفرض اليومي المسمَّى الاشحيم لاوَّل مرَّة وذلك في ايار ١٦٩٦ ليسهّل لكهنة الملة تلاوة الفرض اذ كانوا بعدُ تابعين عوائد اليعاقبة في ذلك. وقد ورد في آخره ما نصهُ : « وكان المهتم في لمّ هذا الكتاب وطبعهِ الحقير في رؤساء الكهنة والاساقفة اثناسيوس سفر اسقف مدينة ماردين . حيث مولده » . ولم تطبع فيهِ صلاة يوم الاحد بل كان يعوَّض عنها بصلاة يوم الاربعاء حتى سنة ١٧٨٧ التي فيها طُبع ثانيةً بهمَّة القس الياس بن فتح الله السرياني الامدي ترجمان اللغة السريانية والكلدانية برومة فزاد عليهِ صلاة يوم الاحد. ثم طُبع ثالثةً برومة ايضًا سنة ١٨٤٤ بعناية مار اغناطيوس بطرس جروه. واخيرًا طُبع عام ١٩٠٢ في المطبعة البطريركيَّة في دير الشرفة بسعي مار اغناطيوس افرام الثاني بطريركنا المغبوط

ثم صنَّف مار اثناسيوس كتابًا سريانيًّا سماه « ܐܘܪܚܐ ܕܬܝܒܘܬܐ » اعني طريق التوبة ومنهُ نسختان في مكتبة دير الشرفة . واعتنى كذلك عام ١٧١١ باستكتاب الطقوس البيعيَّة باسرها ونقَّحها واعدّها لتُطبع غير ان كثرة المهامّ شغلتهُ عن ذلك . وكان الناسخ تحت يدهِ القس عبد الاحد بن سنر الرهاوي ابن اخي مار بطرس الرابع الذي كان قاطنًا في ديرنا برومة

وصنَّف كتابًا ضمَّنهُ اخبار السيد پيكات ورحله الى بلاد الفرس وقد اطَّلع مار اغناطيوس افرام رحماني بطريركنا المغبوط على نسخة منهُ في المكتبة الواتيكانية في المصحف العربي عدد ٢٣٢ . ولولا كثرة الاسفار الشاقة التي استغرقت اكثر حياتهِ لخلَّف ولا جرم لعالم العلم آثارًا اخرى تذكر . نسألهُ تعالى ان يلبسهُ ثوب العفو والغفران ويضمهُ الى مصافّ الصديقين والابرار

ونجعل مسك الختام لاخبار هذا الحبر الجليل الشكر الجزيل لجنـاب القيكنت فيليب افندي دي طرّازي الذي عُني بجمع تواريخ طائفتنا بدقة واتقان اذ اوقفنا على فوائد جمة تتعلق بصاحب الترجمة

اللغة العربيّة والحركات

الاديب داود افندي صليوا الكلداني

هي عنوان مقالةٍ عنَّت لي فيما غبر فأفضتُ فيها من الكلام ما تسنَّى للقريحة العيَّاء وما حضر و بحثت فيها بحثًا طويلًا مدققًا استقصى شاردها واحاط بواردها الّا ان بعض الموانع حالت دون نشرها وتصدَّت لتاخيرها فحملني الامر على ان افرغهـا في قالب جديد غير قالبها الاوّل وابرزتها الان بحلي يروق للناظر السليم والراي السديد المستقيم على اني لم آتِ منتقدًا ولا منددًا بل ابسط رأيًا ارتأيتهُ وافيض من مورد وردتهُ

من البديهي وممَّا لا مرية فيهِ ان اللغة العربيَّة كانت منتشرة على افواه القبائل في جميع الانحاء والاصقاع العربيَّة وعنها أُخذت وأُثرت وعن افصحها قبيلة اليمنـا نُقلت ألا وهي قبيلة قُريش التي بلغتها وُجد القرآن وعلى حكمها بالفصيح ثبت البرهان على ان اهل البحث والتنقيب في اي عصر كان ومن اية فئة كانوا لم يُبقوا حاجةً في نفس يعقوب من ركوب متن الحلّ والعقد وامتطاء صهوة الصافنات الجياد في النقـد فيما نقلوه من اعتمادهم على اللغة الفصحى واثباتهـا من حيث هي حتى افرغوا كنانة الوسع في تقرير الادلَة العديدة وامتحاض الآراء السديدة في شأن هذه اللغة العزيزة الشريفـة فكفَوا بذلك مَن بعدهم مؤونة العناء في استقصاء ما هنـالك من البحث الطويل فضلًا من دفع الكلفة والمشقَّة عمَّن لم يُسعدهُ الحظ بالظفر بناصيـة الخبرة في اجتياز عقبة هذه الابحاث البعيدة الغور والمنال واستفراغ الجد وتتبُّع اقوال واضعي اللغة و باني صَرحِ تاريخها واستقراء تلك الآراء والمزاولة في ترجيح هذا على ذاك وذاك على ذلك وانتقاء الاصح والاثبت وسبر غور اقوالهم برجاس العقل الثـاقب حتى يتسنَّى الظفر بالمرغوب وترسخ المسئلة على اسّ الحقيقة المطلوبة التي لا شبهة وراءها . فعدلتُ الان عن المنازلة في هذا الميدان وملت عن المكافحة فيهِ الى مـا سيستتبّ لي ان شاء الله من الفرص للتفرغ في البحث عنهُ وان كنت مستغنيًا عن نيل قصب السبق في مضمار

رهانهِ لما اثبتهُ اولئك الافاضل مما لم يبقَ لاريب فيهِ مجال ولا للاعتراض مكان. الّا اني اقصد اتمام الفائدة مع اقراري بعجزي وقصر باعي وحرج الزمان والمكان وتبلبل البال بكثرة الاشغال وبالله المستعان

فأنصرف الآن بوجهتي الى ما صُرفت اليهِ عنان الفكر من البحث عن الحركات العربيَّة وما انتهى اليهِ الراي القاصر فيها . فاقول :

لا امتراء في ان هذه السمات التي أُطلق عليها اسم الحركة كانت في بدء امرها نقطاً اخذها ابو الاسود عن السريان على ما سترى وهي من اختراعاتهم كما هو مقرَّر في تدويناتهم ويعلمهُ من لهُ اقلّ المام بتاريخ اللغات القديمة ومنهم اخذ العرب وغيرهم الخطّ أيضاً فضلًا عن اللغة ولا مشاحة في ذلك . لانهُ لا يخفى على القارىء اللبيب ان اللغة السريانية (١ اي الارامية (نسبة الى ارام بن سام) كما يعرّفونها هم انفسهم في كتبهم كانت لغة امةٍ عظيمة ممتدَّة رواق المجد والعظمة وظل الشهرة قد أشغلت قسماً كبيرًا من ارض اسيًا وهي بلاد الشام مع جزائرها والجزيرة والعراق العربي وما جاور هذه الاصقاع الى حدود بلاد فارس شرقاً وبلاد الارمن وبلاد اليونان في اسيا الصغرى شمالًا وحدود بلاد العرب جنوباً . فلها الفضل العظيم على جميع البلاد في اختراعها صناعة الكتابة التي منها تعلمتها سائر الامم . قال بعضهم (وهو الاقرب الى الحقّ) : « فلا جرم اذًا ان العرب قد تعلموا الخط من السريان » . قال احد العلماء المتضلعين في علم التاريخ والمدققين الماهرين في كلامهِ على الخط ومخترعيهِ وانتشاره : « وهكذا يسوغ لنا ان نقول ان السريان ردُّوا الكتابة العربيَّة الى الحال الذي كانت فيهِ اول ما تعلم العرب الكتابة من السريان اه »

على ان العرب لمَّا اتخذوا الخط من هذه الامة في مبادئ ظهور الاسلام وانتشارهِ

---

١) لا جرم ان هذه اللغة هي اقدم اللغات السامية لان اللغة السريانية هي لغة ارام الذي لا يبعد من سام الا جيلًا واحدًا . واما غيرها من الامم السامية فتبعد اجيالًا . واما اذا اعتبرنا الجد الثاني اشور او اثور فهو ايضاً ابن لحٍّ لسام . ومما هو اشهر من نار على علم ان الامة السريانية بانتشارها الى الاصقاع البعيدة واستيطانها اياها خلَّفت اثارًا جليلة سيما مَن تبوأ منها بلاد مصر منذ الازمنة القديمة حيث تركت اثارًا كثيرة سريانية بالكتابات المنقوشة على الاحجار و المسطورة على القرطاس القديم

في نحو المائة الثامنة بعد المسيح لم يأخذوها الَّا حروفاً ثم بعد ذلك بزمان اخترعوا هم العلامات للحركات المستعملة الآن عندهم وكذلك فعل العبرانيون وبقي الآراميون دهوراً يكتبون بلا علامات للحركات ولا لتمييز الجمع من المفرد . قال احد المهرة في فنّ التاريخ: « ومما نعجب بهِ ان من طبع الامم الساميَّة المضروب بهِ المثل هو انهم شديدو التمسُّك بعوائدهم وامورهم والثبات فيها حتى اننا نرى اللغة العربيَّة مثلًا قد مضى عليها دهورٌ واحقاب عظيمة وهي باقية على حالها لم تتغيَّر الَّا شيئاً يسيراً لا يُحتفل بهِ بخلاف الامم الاوروباويَّة اه »

على ان هذا التغيير الذي احدثهُ العرب لو كان مهمًّا كاهميَّة انتقالهم من الحرف الى الحركة على ما يزعم في بناء الكلمة واعرابها لأصبح شغلًا مما يُحفل بهِ ونُسب الفضل فيهِ اليهم ولكنهم ليسوا في ذلك من الفضل بشيء. (اي في استعمالهم الحركة) لأنها ليست من اختراعهم انما الفضل فيهِ للكلدان على ما علمت وستعلم . فالعرب لمَّا تعلموا الخط من الآراميين (كما سبق بيانهُ) لم يتعلموا سوى حروفٍ بسيطة لا غير ولما مضى نصف القرن الاول للهجرة وكان الناس يقرأون القرآن بلا حركات على ما هو مقرر في هذا الباب فاول ما افتقروا اليهِ الحركات واول من رسمها لهم ابو الاسود الدؤلي كما مرّ واضع النحو المتوفى سنة ٦٩هـ فانهُ وضع نقطاً تمتاز بها الكلمات او تُعرف بها الحركات وليس كما توهم بعضهم ايضاً انها لتمييز الحروف كالتَّاء من الثاء وقس عليهِ . مقتبساً ذلك من الكلدان جيرانهِ في العراق . ولنا شاهد لا يُرتشى على ان الكلدان الذين تعلم العرب منهم الخط كانوا ينقطون عوض الحركة كتاب سير النسَّاك الاولين لپلاديوس المكتوب على الرقّ سنة ٧٩٧م وهو اقرب الى الخط الكلداني . فان كاتبهُ استعمل الحركة بطريقة النقط كما عند الكلدان . قال احد الادباء الباحثين البارعين في علم التاريخ: « لقد عثرت على مصحف كوفيٍّ في دار الكتب الخديويَّة على هذه الكيفيَّة وهو من اقدم مصاحف العالم ومكتوب على رقوق كبيرة بمداد اسود وفيهِ نقط حمراء اللون فالنقطة فوق الحرف ضمة وتحتهُ كسرة وبين يديهِ فتحة كما وضعها ابو الاسود الدؤلي » اه

ثم جُرِّت تلك النقط ومُطَّت (بعد جعل راس للضمة لئلَّا تلتبس بالفتحة) فصارت على ما تُرى الان. وهذا اكبر دليل على صحة ما قلنا وسنقول من هذا القبيل

وعليهِ فيكون الراي الاكثر احتمالًا ان هذه الحركات من خصوصيَّات اللغة العربيَّـة (وان كانت نشأتها الاصليـة من الكلدان على ما بيناه قُبيل هذا) لما احدثوا فيها من التغيير. وليس ما يقابلها في غيرها من اللغات الَّا نادرًا. وهي ولا جرم تقوم لديهم بوظائفها في بناء مفردات الكلم لا سيما الإعراب الذي لا نظير لهُ في غيرها. ولهذا الإعراب بالحرف عندهم فرع الاعراب بالحركة على ما هو مقرَّر في كتبهم. ولم يُعرف منهم الحرف اصالةً او نيابة في قوام هجاء ما (١. وعلى هذا لم يكن العرب ليستبدلوا الحرف بالحركة كما يُزعم. على ان غير العرب كالسريان او العبران او غيرهم لم يستعملوا حرفًا او حركة للاعراب كما سترى فضلًا عن ان جميع اولئك الاقوام لم يعرفوا صورةً للاعراب بل ولا اثرٌ لفظيٌّ لهُ عندهم

قال في الغراماطيق السرياني في باب المفعول بهِ: « فترى ان المفعول بهِ قـد يكون خاليًا من علامة يُميَّز بها عن الفاعل وانما يُفرَق بينهما بالقرائن او من المعنى لانـهُ ليس في السريانية ما يقوم مقام الاعراب الذي في اللغة العربية ». انتهى بحروفهِ. والَّا لتغيرت اواخر المعربات عندهم كما في العربيَّة. ودونك مثـالًا على ذلك ܡܪܝܐ ܢܪܥܝܢܝ الرب يرعاني ܩܪܝܬ ܠܡܪܝܐ دعوت الرب ܒܥܝܬ ܡܢ ܡܪܝܐ طلبت من الرب. فانك ترى لفظة ܡܪܝܐ التي تأويلها الرب في كل من المواقع الثلاثة المذكورة قد لزمت حالةً واحدةً ابدًا رفعًا ونصبًا وجرًّا كما في المبني في اللغة العربيـة. ولم يستعملوا حرف العلة مطلقًا كما لم يميّزوا مواقع الاعراب بحرف او حركةٍ ما كما علمت. ولم يُعقل عنهم شيءٌ من ذلك فضـلًا عن انهم لم يقرروهُ في كتبهم ولا اثبتوهُ في مدوَّناتهم. على ان العرب لم يفطنوا للقراءة والكتابة الَّا من عهد قريب. ولمَّا اخذوا الكتابة من اهلهـا وضعوا هم الحركات واختاروها على ما سواها لما فيها من الاختصار في الكتابة فضلًا عن أمن اللبس في مواضيع عديدة مختلفة. فكانت لهم اذًا في ما سوى اقامة الهجاء علامات اعراب ايضًا

وعلى كل فلو كان العرب يكتبون كما كتب غيرهم ممن يستعـين بالحرف على تقويم هجائهِ عوض الحركة لكان لزمهم ان يكتبوا عوض قَامَ مثلًا (قامـا) وعوض

١) بدليل انهُ لم يُؤثَر عنهم ولا ذُكر لهم ولا في استعمالهم ما يُشار اليهِ بهِ

ضَرَبَ (ضارابا) وعوض يَضْرِبُ (ياضر يبو) مما لا يُؤمن معــهُ اللبس في اغلب الحالات (ما عدا الاطالة كما ترى) والّا لكان افضى بهم الامر الى ان يضعوا لكل حرف من الحروف صوراً متعددةً بالنظر الى النطق بهِ في جميع احوالهِ فيكون للبـــاء مثلًا اسمٌ مخصوص في حالة الرفع وآخر في الضم وقس عليهِ سائر الحالات الأُخر (وهم ليسوا في شيء من ذلك) ما عدا ما ان هذا متعذر ومن الصعوبــة بمكان ان يؤدي الى وضع أضعاف مما لديهم من الحروف . وهو عينهُ السبب في ما يبلغنـــا عن كثرة الحروف في بعض اللغات . فلا امتراء اذًا ان العرب لم يستعملوا الحرف في اقامة الهجاء فضلًا عن الاعراب خاصةً

واما ما اعربوه بالحرف كالمثنى والجمع السالم فالارجح لانهم كرهوا ان يجمعوا بين علامتين في موضع واحدٍ من الكلمة وهما علامة التثنية أو الجمع وعلامــة الاعراب طلبًا للاختصار ومراعاةً للخفة . كما كرهوا اجتماع اعلالين فيهـــا ايضاً وهو دأبهم في كراهة اجتماع قبيلتين في محلّ واحد الّا ما كان من الاستطـــاعة بمكان . غير انهم اذ رأوا ان كلًّا من العلامتين المشار اليهما يصلح لان يكون علامة اعراب ايضاً استغنوا بهِ في الاعراب عن الحركة الموضوعة لهُ وذلك بطريق النيابة . والّا فان كانوا قــد خصّوها بالاعراب فما هي علامة التثنية والجمع ؟ . فلا جرم انهم قد وضعوها علامــةً للتثنية الخ ثم استظهروا بها على مواقع الاعراب ايضاً . وممـــا هو حجيٌّ بالذكر انهم اختصوا الجمع المذكور بهذا النوع من العلامة والاعراب معاً لكي يُساوى بهِ بين معنى الجمع ولفظهِ . ولهذا كان لا يُستفاد فقط من هذه العلامة (١) الدلالة على معنى الكثرة الذي يدل عليهِ معنى الجمع بل تكثير حروف الكلمة ايضاً بمناسبة دلالتها على الكثرة في المعنى مع ما في لفظ الواو من الاعتبار والفخامة الموافقة لمعنى الجمع وهذا كلهُ لا يُتحصَّل مع الحركة . وبهذا الاعتبار ساوى اللفظُ المعنى . او كأنَّ اللفظ صار دلالةً على المعنى المطلوب من الجمع بكثرة الحروف على كثرة العدد مع فخامة اللفظ وجزالتهِ وبهذا الاعتبار تكون الالف والنون في المثنّى . بيد ان الالف اقلّ فخامــةً من الواو فوُضعت لهُ بهذه المناسبة ايضاً . اي باعتبار كون المثنّى اقلّ دلالةً من الجمع فطـــابق

١) اي الواو مع النون التي سواء كانت عوضاً عن التنوين في المفرد او مقابلة لنون تضربون وهكذا مع الالف في تضربان اللاحقة حرف العلة في مثل تلك المواضع

لفظُ كلٍّ منهما معناهُ . وربَّما يقال لعلَّهم ارادوا بذلك ان يوفّقوا لفظ التثنية والجمع بين الفعل والاسم فخرجوا بهِ عن حدّ الاعراب بالحركة الى الاعراب بالحرف اشارة الى ان المثنى والجمع فرع المفرد فاعربوا القبيلتين (اي الاسم والفعل) في التثنية والجمع بالعلامة الفرعيَّة ليستوفي كلٌّ منهما حقَّهُ من الاصالة وفرعها ولعلَّهُ قريب من الصواب

واما ما ورد من اعراب الاسماء الخمسة بالحرف فقد وقفتُ لهُ في كتب القوم على تعليل شافٍ يفي بغرضنا في هذه العجالة تاييدًا لما نحن في صدده من هذا القبيل . قال ابن مالك في الفيَّتهِ في باب المعربات:

وشرط ذا الاعراب ان يضفنَ لا لليا كجا اخو ابيك ذا اعتلا

قال الشيخ بدر الدين في شرحهِ هذا البيت: « فان قلت لما كان شرطًا في اعراب هذه الاسماء بالحروف اضافتها الى غير ياء المتكلّم . قلنا لان ما كان منها غير مضاف فهو معرب بالحركات نحو أبٌ الخ (١ . وما كان منها مضافًا الى ياء المتكلّم قد أعربوه كغيرهِ مما يُضاف الى هذه الياء نحو هذا ابي (٢ وما كان مضافًا الى غير الياء المذكورة أعرب بالواو رفعًا وبالالف نصبًا وبالياء جرًّا كما في قولهِ: جاء اخو ابيك ذا اعتلا . والسبب في أن جرَتْ هذه الاسماء هذا المجرى هو ان اواخرها حالة الاضافة معتلَّة فاعربوها بحركات مقدَّرة واتبعوا تلك الحركات حركة من قبل الآخر فادَّى ذلك الى

١) ولم يعربوها بالحرف جريًا على الاصل لانهم لو كانوا يقصدون اختصاصها بهذا الاعراب دون سائر اخوتها جريًا على الاصل لَمَا اشترطوا عليهِ شروطًا اربعة . على ان الجري على الاصل يتوفَّر معهُ كل شرط ولا يستلزم هذا التكلف والعناء . ثم ما الذي دعاهم الى نقلها هنا الى الاعراب بالحركة وخالفوا فيها اصلها الذي وضعوها عليهِ فاخرجوها عن حيّزها الاصلي في وقت لم يبقَ معهم غيرها يُعرَب اعرابها . فتكون لهم حجةً ودليلًا على هذا الاصل و بعبارة اخرى اثرًا بعد عين ? . فبالاولى اذًا نقول لمَّا كانت الاسماء كلها تُعرب بالحركات الَّا هذا الجزء او هذه الفصيلة منها أفلا يُعدّ نادرًا والنادر كالعدم والعدم لا يُبنى عليهِ حكم ولا يُحتجُّ بهِ . سيما من لا يثبت على قرار لا يُستأثر بهِ الاستشهاد

٢) وهذا شاهد اخر لانَّهم لو ارادوا ان يخصوها بهذا النوع من الاعراب كالمثنى والجمع . فلمَّا لم يبقوها على ما وضعت عليهِ من الاصل حتى نقلوها الى الاعراب بالحركة (الذي هو الفرع) المقدَّرة عند اضافتها الى هذا الضمير ولم يعربوها اعرابهما اذا اضيفا اليهِ . فتجري في سائر حالاتها على وتيرة واحدةٍ مثلهما . اي تُرفع ايضًا بواو مقدرة مثلهما الخ

كونهِ واوًا في الرفع والفاً في النصب و ياء في الجرّ . و بيان ذلك ان ذو اصلهُ « ذوي » بدليل قولهم ذو يان في التثنية فحُذفت الياء و بقيت الواو حرف اعراب » الى آخر ما هنالك من الاستقصاء مما لم ناتِ على آخرهِ فرارًا من الاطالة اذ ليس الغرض الّا الاجتزاء بالاشارة الى بيان عدل تلك الاسماء عن وضعهـا من الاعراب بالحركة الى الاعراب بالحرف لتكون لنا حجة و بينةً على دعوانا

ومما أُوثِر اثباتهُ هنا ايضاً ما كنتُ قد ارتأيتهُ منذ امدٍ غير قريب ولعلي لستُ ببعيد فيهِ عن الصواب . وهو انَّهم اعربوا هذه الاسماء بالحرف في حالة الاضافـة الى غير ياء المتكلم جبرًا لما فاتها من موازنة الثلاثي من الاسماء عند حذفهم احد اصولهـا اعتباطًا (الذي هو آخرها) بدليل انهم لم يعربوا مفردًا سواها اعرابها مما لم يعـاملوهُ معاملتها من مثل هذا الحذف ولكي يُساووا بينها و بين ما عاملوهُ معاملتها من الحذف ولم يعربوه هذا الاعراب مثلها كيَد ودَم مثلًا ردُّوها الى مثل اعرابهِ بالحركة عند قطعها عن الاضافة او اضافتها الى الياء فتأمَّل

واكثر مما يُستفاد من وضعهم الالف للمثنى والواو للجمع علاوة على ما سبق لنا من البيان . انهُ لما كانت الالف قد استوفت حقها من الشيوع (اسماً وحرفًا) في مثنى الاسماء والافعال فضلًا عن مشاركتها الواو في الدلالة على الجمعيَّة كما في الجمع المؤنث السالم الذي هو احطُّ قدرًا من جمع الذكور (لان التأنيث فرع التذكير) لما في الواو من الجزالة والفخامة وما في الالف من الرقَّة واللطافة اعطوا الواو (ضميرًا او حرفًا) حقها من الجمعية للذكور في الافعال والاسماء ولهذا ترى حيثما كانت الالف ضميرًا للمثنَّى مذكرًا كانت الواو ضميرًا لجمعهِ مذكرًا (وهذا يشمل الفعل والجمع السالم) ليس الّا

ومما يناسب هذا المقام قول بعض المحققين : « ان لسان العرب يتفرَّع منـهُ فروع كثيرة كما انهُ يتفرع من غيره من اللغات الشرقيَّة كالسريان والعبران الخ » اقول نعم ان هذا لحقيق ولا يتنازع فيهِ اثنان . وحيث كانت اللغة العربيَّة متفرعة منهما (بل من السريانيَّة على التحقيق لا التخمين) وهما تستعملان السمات في اقـامة الهجاء لا الحروف . فالعرب حافظوا على ما اخذوه وتعلموه منهما . فباولى حجة (بل بديهي) ان يقال ان العرب قد اصطلحوا على الحركات في قوام هجـاء مفرداتهم آخذين ذلك عما أُخذت لغتهم عنهُ ولمَّا ارادوا اظهار اعرابهم لم يخرجوا عن حدّ تلك العلامات ولم

يتحرّوا سواها لما يُرى من سهولة مأخذها مع ما فيها من الاختصار الذي هو ديدنهم واسُّ فصاحتهم ودعامة بلاغتهم فيجري اذ ذاك اقامة جميع هجاء الكلمة من اولها الى آخرها مع اعرابها على سَنن واحد من السهولة والاختصار على ما ذكر · ألا ترى انهم اقتصروا على نون التنوين بتكرار رسم الحركة ولم يرسوها نونًا حذرًا من التطويل والثقل ورعايةً لأَمن اللبس ايضاً · مع ما يروق للناظر من رسمهِ فوق الحرف كتاج وا كايل سيما ما يُرى من هيئة تنوين الرفع

واما ما يُرى من استعمال السريان ܗܘ كما في قولهم ܐܠܗܐ ܟܐܢܐ ܗܘ اي الله عادل هو فهو بمثابة ضمير او حرف فصل على ما سترى · ولم يخصوه بحالة ما رفعاً كان او غيرهُ · قال في الغراماطيق السرياني في باب الخبر: « والوجه الثاني ان يُقرن الخبر باحد الفاظ الفصل وهي ܗܘ ܗܝ ܐܢܘܢ ܐܢܝܢ بمقتضى ما يكون الخبر من مذكر ومؤنث مفردًا او جمعاً · واذا كان المبتدا ضميرًا اقترنت بهِ لفظة الفصل وقيل للغائب ܗܘܝܘ بدل ܗܘ ܗܘ الى اخر ما هنالك. واما الوجه الاول الذي قبلهُ والثالث الذي بعدهُ فيثبت لنا من الاستقراء فيهما ان السريان لم يتوخوا باستعمالهم هذا الفعل وان شئت قل لفظ الفصل بين المبتدإ والخبر بل انهُ يقع مواقع أُخر من النصب والجرّ ايضاً » · وأورد على ذلك امثلة عديدة تقطع كل ريب وترفع كل شبهة اعرضنا عن ايرادها كما هو دأبنا في طلب الاختصار فيكون هذا الحرف عندهم تارةً ضميرًا وطورًا رابطاً وليس بعلامة اعراب (وربَّما ارادوا بهِ ما يراد بمتعلق الظرف اذ كل منهما يدل على كونٍ عام) وهو اشبه شيء بلفظة est الفرنسيَّة في قولك Dieu est bon وقس عليهِ · ثم استتلى هذا المؤلف كلامهُ فقال : « ولك مع ܗܘܐ او ܢܗܘܐ (٢ وجه آخر نحو ܠܡܚܪ ܐܗܘܐ ܒܒܝܬܟ غدا اكون في بيتك ܐܡܬܝ ܢܗܘܐ ܩܝܡܬܐ متى تكون القيامة » انتهى

وعلى كلٍّ ألمْ يُحمّل العرب الخبر الصفة وما يُؤوَّل بها من جامد ضميرًا يربطهُ

---

١) هذا يشمل الفعل والجمع السالم

٢) ومن قواعدهم انهم يسقطون الهاء من فعل ܗܘܐ في ماضيه كلهِ ومن ܗܘ و ܗܝ اذا اتصلت في اللفظ بما قبلها

بالمبتدإ . او لم يستعملوا ضمير الفصل الذي يسمونهُ ضمير عماد او حرف عماد ايضاً . فعليهِ اذًا سواء كان الضمير بارزًا او مستترًا ليس هو عند العرب في شيء من علامة للاعراب كما لم يكن عند غيرهم ايضاً

ولولا ان قد طال بنا من الكلام المجال ونخشى الملل لأتينا على آخر ما لدينا من البراهين والادلَّة العديدة مصداق ما اوردنا من الرأي. ومع هذا نؤثر وصد هذا الباب دون ان نتحف القرَّاء الكرام بما يكون كشذرة في هذه القلادة التي اضحى عقدها يتلألأ في نحور خود الجلاء على ترائب الحقيقة فنقول:

قال في الغراماطيق المذكور في باب البحث عن الكتابة: «ان العرب تعلموا الكتابة من السريان واتخذوا منهم القلم السرياني وهو الذي الى الان يستعملونهُ الخ».

وقال في باب استنباط الحركات: «ويتضح جليًّا مما سبق انهُ نحو السنة الالف ومئة للميلاد لا الاراميون (اي السريان الشرقيون) ولا الغربيون (اي السريان الغربيون) ولا اليهود ولا العرب ولا سائر الامم لم يكونوا يستعملون في كتابتهم علامات للحركات ولا كان عندهم اسماء للحركات الخ». حتى ان العرب لما اتخذوا الخط من السريان لم ياخذوا الَّا حروفًا (اي حروف الهجاء) ثم بعد ذلك اخترعوا هم العلامات للحركات المستعملة عندهم الان. فكان القارئون يحركون من بالهم الحروف المكتوبة كما يفعل العرب اليوم في اغلب كتبهم . واليونان واللاتين اذ رأوا ان القلم السرياني لا يحوي علامات للحركات خصَّصوا احرف العلَّة من القلم السرياني علامات لثلاث حركات وزادوا عليها ثلثة احرف حلقيَّة لا توجد في لغتهم فجعلوها لحركات اخرى واقتدى بهم جميع الذين اخترعوا اقلامًا جديدة في الازمان التابعة كالارمن والقبط والصقالبة والروسيين

«وفي القرن السابع للمسيح حاول يعقوب الرهاوي الذي اشتهر في الملة السريانيَّة اليعقوبيَّة ان يُدخل هذه الطريقة اليونانيَّة في الكتابة السريانيَّة لانهُ في ذلك الزمان لم يكن بعدُ قد أُستُنبطت الحركات في اللغة السريانيَّة فاخترع علامات للفتاح والزلام وسائر الحركات السريانيَّة لتُكتب مع الحرف في كتابة الكلمات ولكن هذه الطريقة لم يسلكها احدٌ من بعدهِ ومثلما نشأت ماتت (١)». انتهى بحرفهِ. هذا وحسبنا في كل

١) وهنا يمكنَّا ان نقول ان هذا يعقوب او غيره عرف ان السريان كانوا يقيمون الهجاء

ذلك وما وصل الينا منهم ويُستفاد من تحقيقاتهم ما هو مقرَّر في كتبهم ونصُّوا عليهِ في باب تقسيم علامات الاعراب ان الحرف قد استُعمل بطريق النيــابة عن الحركة الموضوعة اصالة لاقامة الهجاء. ثم لاظهار الاعراب ولا يُسمع خلافهُ . . . وكفى

ومما يليق بنا ان نجعلهُ كختام لهذه العجالة شهادة لا تقبل الرياء التي بهـا العلامة العامل المحقق والجهبذ اللغوي المدقق حضرة الاب انستاس الكرملي المحترم في مقالتهِ الرنانة المدرجة في مجلة المشرق الاغرّ في الصفحة الثانية والعشرين من الجزء الاول لسنة ١٩٠٨ التي عنوانها «اللغة العربيَّة» في طور النشوء والتكوُّن . قال حضرتهُ في الطور الثاني: «وهو الطور الذي كان فيهِ اقوام الاعراب على ثلثة اوجه في قبيلة دون اخرى ثم حدث فيهِ تغيُّر الحروف وتبدُّلها بعضها من بعض وكثرت انواع الحركات في صدر الكلمة وحشوها» . ثم قال: «وفي الطور الثالث وهو طور الانضمام والتجمع الخ . . يعني الطور الذي لم يكن فيهِ في بلاد العرب وقبائلها الّا ست لغات عظمى الخ . واتخذت فيهِ اوجه الاعراب قاعدة مطردة يجري عليها المتكلمون ويتبع جادتها الكل اجمعون . يعني انهم اتخذوا الضم للرفع والفتح للنصب والكسر للخفض والجرّ (٤ً) طور الاسلام والتفرُّع وهو الطور الذي ظهر فيهِ الاسلام والقرآن فاخذت سائر اللغات بالزوال والاضمحلال وعمت فيهِ لغة المبين او الفصيح ونشأت فيــهِ اصطلاحات وعبارات كانت مجهولة في سياق الاطوار الخ»

بالحرف لما تكلف مؤونة انتحال بعض العلامات اليونانية لاقامة هجائهِ ولا نسبهـا لهُ بل لا جرم كان الاحرى بهِ ان يعيد اليهم ما كان لهم منها الى اصلها ويرجعها الى ما كانت عليهِ من رونقهـا الاصلي ولاحتجَّ بها عليهم وردَّهم الى ما عدلوا عنهُ وزاغوا فيهِ عن سواء السبيل في ما وُضعت عليهِ لغتهم وردَّ بضاعتهم اليهم . وهكذا القول في العرب في اقامة الحجــة عليهم لمخالفتهم سنن ما اخذوا عنهُ . وعلى كلٍّ فكفى بقول هذا المؤلف من الحجة السديدة والبرهان القاطع ما اتى بالبينة السافرة على ان العرب في جميع اطوارهم لم يذروا ان يفوضهم الغرض في شيء من ذلك . ألا تراهم نبَّهوا على الحركة المعبَّر بها عن التنوين واوضحوا سرَّها ولم يغفلوا عن الف الاطلاق وكشفوا عن حقيقة الزيادات ما . م . نْ اللاحقة الضمائر واطالوا البحث في اقسام التنوين وانواعهِ ومواضيعهِ وناضلوا في شأن الالف اللاحقة ضمير المؤنثة الغائبة . الى غير ذلك ممَّا لم يأْتِهم الاستقصاء فيهِ بجليل فائدة فما الذي منعهم هنا عن ان يغضُّوا النظر عن مثل هذا الامر المهمّ الذي لا يخلو من فائدة طائلة بل حجة قاطعة تقطع كل نزاع وتكفي مؤونة البحث وتوصد الباب امـام كل اعتراض ومسئلة

فاقول بوجيز العبارة . لا يمكن ان يكون مفاد كلامهِ ان العرب كانوا يحرّكون بالحرف عوض الحركة ثم عدلوا عنهُ اليها في اي طور كان من اطوار اللغة المذكورة . ولا يُشعر بانهم قد تواطأُوا على الحركة (بدليل قولهِ : في قبيلة دون اخرى) بمكان الحرف فيما جاء من بعدُ فلو كان ذلك منهم فلا بدَّ من ان يُشام وميض برقـهِ او يكون لهُ اثرٌ ما في احدى تلك اللغات التي ذكرها لدى احدى تلك القبائل . لانـهُ لا جرم كانت احداهنَّ تنكره او تخالف فيهِ آراء اختها شأن الامم في تبـاين الاراء واستصواب رأي دون آخر فداومت على المسير في خطتها الاولى . سيما لِمـا يوجد من الثقل والصعوبة في الانتقال والتقلُّب من حالة الى غيرها في بدء الامر . على ان المحافظة على القديم شان للعرب وذمَّة تكاد لا تخفرها حتى في الازياء فكيف في الاراء

(المشرق) اثبتنا هذه المقالة في الحركات العربية واصلها دون ان نجزم بصحَّة آرائها . ونحن نعلم انَّ فئة من العلماء لا يوافقون صاحبها على اقوالهِ لاسيما في اصل الخطّ العربيّ واشتقاق اللغة العربية من السريانية والعبرانية فانَّ للمستشرقين في ذلك آراء مستحدثة اتَّسعوا فيها . الَّا ان الحقيقة بنت البحث وفي معرفة المزاعم المتباينة افادة

نخبة ثانية

من كتاب نهاية الرتبة في طلب الحسبة

نشرها وذيلها بالملحوظات المفيدة الدكتور بيار گيك استاذ الصيدلة في المكتب الطبي الافرنسي

توطئة

ما نسي القرَّاء مقالتنا التي اثبتناها العام الماضي في المشرق (١٠ : ٩٦١ و١٠٧٩) عن كتاب غاية في الحسن والافادة عنوانهُ (نهاية الرتبة في طلب الحسبة) عرَّفنا مؤلفهُ ومضامينهُ ونقلنا منـهُ عدة منتخبات استحسنها اهل الذوق وطلبة الآثار القديمة . ومن فصول هذا التأليف المستطرفـة ثلاثة ابواب اشرنا الى محتوياتها الفريدة (١٠ : ٨٣) تبحث عن الصيادلة والعقاقير ثمَّ الاشربة والمعاجين ثمَّ العطر والعطارين وما يدلّس بهِ اصحاب هذه الصناعات مبيعاتهم ويخدعون الناس بها

وكنا وعدنا بنشرها عند سنوح الفرصة . ولمّا عُقد مؤتمر اطباء مكتبنا الطبي في أيار الماضي احبّ الدكتور كِلك ان يقدّم قسماً من هذه الفصول لرصفائهِ وينقلهُ لهم الى الافرنسيّة ويحشيهِ بالحواشي ونحن ننتهز هذه الفرصة لنشر تلك الابواب مع تعريب الملحوظات التي علّقها الدكتور المومأ اليهِ على باب الصيادلة والعقاقير ل . ش

(ص ٦٢) الباب الثامن والثلاثون

في الصيادلة والعقاقير

ينبغي ان يُعرّف عليهم عريفًا ثقة عارفًا بمعيشتهم لأنَّ العقاقير نحو ثلاثة آلاف عقّار ولها اشباهٌ وامثلة تقاربها وتُدانيها في الصورة وتُنافيها وتبعد عنها في المزاج والمنفعة. فينبغي ان يعدل بما يُشترى منها الى مَن قد نُصب لذلك قبل استعمالها فاذا تبيَّن ما هو ذهب الشكّ فيهِ وفي استعمالهِ فتكون النفس اليهِ قابلة والى نحوهِ ساكنة

والذي وجب على مؤلف هذا الكتاب ذكر ما يؤدّي اليهِ من غش بعض هذه الادوية وهو يقسم بالله العظيم على مَن يعرف شيئًا من غش الصيدلة وغيرها من سائر الاشياء المغشوشة ممَّن وقف على كتابنا هذا ان يُنبّه في آخر كتابنا هذا . وان امكنهُ التنبيه على معرفة استخراج غشهِ فليذكرهُ راجيًا بذلك ثواب الله عزّ وجل . فينبغي للمحتسب ان يُباشرهم ويخوّفهم ويعظهم وينهرهم بالعقوبة والتعزير وليعتبر عليهم عقاقيرهم في كل اسبوع

فمن غشوشهم المشهورة انهم يغشّوا (يغشون) الافيون المصري بسياف (بشياف) الماميثا ويغشوهُ (ويغشّونهُ) ايضًا بعصارة ورق الخس البري ويغشوهُ (ويغشونهُ) ايضًا بالصمغ. وعلامة غشهِ اذا أُذيب بالماء ظهرت لهُ رائحة كرائحة الزعفران ان كان مغشوشًا بالماميثا وان كان رائحتهُ ضعيفة فهو (مغشوش) بالخس. والذي هو مرّ صافي اللون ضعيف القوّة فهو مغشوش بالصمغ (١

١) يُستحضر الافيون المصري من عصارة صِنْف الخشخاش الاسود (Papaver somniferum L. var. nigrum) وكان اجود اصنافهِ يُستجلب من الصعيد وربّما دُعي لذلك بالشراب الصعيدي (Sirop thébaïque) وقد اخبرنا بلينيوس الطبيعي (ك٢٠ ف١٨) ان المدلّسين كانوا يغشونهُ منذ الزمن القديم . وفي كتاب رحلة عبد اللطيف البغدادي حيث وصف الامور المشاهدة بمصر ذكر تزوير الافيون الصعيديّ . اما اليوم فان الافيون لا يُتاجر بهِ والمعروف منه جنسٌ دون

وقد يغشون الراوند بنبتة يُقال لها راوند الدوابّ (١ تنبت بالشام وعلامة غشهِ ان الراوند الذي لا رائحة لهُ ويكون خفيفاً هو الجيد واقواهُ الذي يسلم من السوس.

الافيون القديم لانَّهم لا يحسنون استغلالهُ. وقد شاع استعمال الافيون في انحاء الشرق حيث يتنعَّم بهِ الحشاشون ولا يزالون. اما الشياف فهو نوع من الادويــة كسد اليوم استعمالهُ. وكانوا قديمًا يعملونهُ على حجم نواة التمر ويتخذونهُ على طرائق مختلفة. وفي كنّاش ابن سيرابيون من كتبة القرن التاسع كما في اقراباذينــات اخرى انَّ للشياف عملين الاوَّل كدواء صلب مُسهل والثاني كدواء للعيون وقد شاع الآن هذا المعنى الاخير. امَّا استعمالهُ فانهم كانوا يحكّونهُ على حجر ثم ينقعون المحكوك منهُ بقليل من الماء او عصار نباتي ويتخذونــهُ كحلًا للعيون. وهكذا يستعمل اهل مصر التوتيا الحمراء (oxydule de cuivre) فانهم يحكّونها على قطع خزفيّــة وينقعونها بماء قليل حتى تُصبح كمسحوق دقيق. واشهر الشيافات القديمة شياف الماميثا فانهم كانوا يعمدون الى عصارة الخشخاش المقرَّن (Glaucium corniculatum Curt.) ثم يعملونــهُ في الشمس حتى يغلظ ويتخذونهُ على شكل نوًى صغيرة وكانوا يدخلونهُ على هذه الصفــة في معظم اشكال الكحول

اما الخسّ الذي يشير اليــهِ المؤلف فهو الخسّ البرّي (Lactuca virosa L., Thridax agria de Dioscoride) قال ديُوسقوريدس (ك٢ ف ١٣٠): «الخسّ البرّي مرٌّ وفعلهُ كالخشخاش وبعضهم يدخلهُ في تركيب الميكوني» والميكوني (Meconium) خلاصــة الخشخاش المستخرجة من ورقهِ وسنوفهِ معًا. وقــد دعا الاطباء مركّب الخشخاش والخسّ البرّي لكتوكاريوم (lactucarium). وعلى رأينا انَّ في العبارة الاخيرة من نصّ الكتاب تشويشًا والصواب ان يقال: «وان كانت رائحتهُ ضعيفة وكان مرًّا كان مغشوش بالخسّ. وان كان صافي اللون ضعيف القوَّة فهو مغشوش بالصمغ»

١) يجهل العلماء حقيقة هذا النبات وكان ايضًا يُعرف بالراوند الشامي. ولشمس الرياسة ابن جميع من كتبة القرن الثاني عشر في مصر كتابٌ في الراوند نُسب سهوًا لابن البيطار وفيــهِ يقول عن الراوند الشامي ما نصهُ: «هذا الصنف يُجلب الينا من نواحي عُمَّان من ارض الشام وهي عروق خشبيَّة طوال مستديرة في غلظ الاصبع واكثر الى الصلابة ما هي ظاهرهُ اغبر اللون كمدهُ ومكسَّرهُ املس تعلوهُ صفرة مشوبة بيسير من الزرقة». وكان راوند الدوابّ ايضًا يُدعى بالراوند التركي. اما نسبتهُ الى الدوابّ فلأنَّ البياطرة كانوا يعالجون بهِ اكباد الدوابّ. فمن المحتمل اذن انَّ هذا الصنف كان أدوَن جنسًا. ولكني متأكد انَّ راونــد الدوابّ غير الريباس (Rheum Ribas L.) وان كان معنى الريباس في الفارسيَّة الراوند. واصل الريباس من الشام ايضًا. وقد ذكر ابن جميع في كتابهِ اربعة اصناف من الراوند نسبها الى بلادها الاصليَّة صنفان منها قديمان وهما الراوند الصيني والراوند الزنجي ثم صنف حديث وهو التركي او العجمي والرابع الراوند الشامي. والاصناف الثلاثة الاولى كانت كلها تُجلَب من الصين ولكن من طرق شتى

واذا نُقع كان في لونهِ صفرةٌ وما خالف هذا اللون والصفة كان مغشوشاً بما ذكرناه ُ

والجيّد من الإثمد ما كان لفتاتهِ بريقاً (بريقٌ) وكان ذا صفاء صالح وهو نقي من الوسخ سريع التفتيت (١ . وقد يغشون الطباشير بالعظام المحرقــة ومعرفة ذلك في غشها انها اذا طُرحت في الماء رسبت العظام وطفا الطباشير (٢

وقد يغشون التمر هندي بلحم الاجاص . وقد يغشون الاجاص (٣ بعكر الزيت ومرائر البقر في وقت طبخهِ . ومعرفة غشهِ اذا طُرح منهُ شيء في النار فان الاجاص (٣ يلتهب ثم انهُ اذا أطفيتهُ بعد الالتهاب يصير لهُ رغوة كلون الدم . وايضاً فان الجيّد منــهُ اسود ويُرى داخلهُ ياقوتيَّ اللون ومــا لا يلتهب وما لا يرغي يكون مغشوشاً بما ذكرنا (٤

---

١) هذا الوصف للاثمد (stibine, sulfure d'antimoine) منقول عن ديوسقوريدس (ك٥ ف٤٩) . وقد ذكر اطبّاء العرب اربعة ضروب من الاثمد يدعونها الكحل والبُرود والذرور والشياف . والثلاثة الاولى كانت تُستعمل مسحوقةً . وقد مرَّ ذكر الشياف . وكان يتّخذون للكحل ميلًا او يدخلونهُ بالاصبع امــا الصنفان الاخران فكانوا ينفخون بهما . ثمَّ شاع استعمال الكحل حتى اتخذوه كمرادف للاثمد وجاء ذكرهُ في الآثار القديمة . فمن ذلك مــا جاء في سفر الملوك الرابع (٩ : ٣٠) عن ايزابل انها جعلت الكحل في اعينها لمَّا دخل ياهو مدينتها . وقد بيَّنتُ سابقاً انَّ اهل مصر والشام كانوا يبدلون الاثمد بكبريت الرصاص (galène) الا انَّ مسحوقهُ ليس باسود فيصبغون اليهِ سناجاً وقد أيَّد رأيي المسيو بلّانــد (Mr Balland) ناظر الصيادلة في الجزائر

٢) الطباشير يتركّب من موادّ صوانية يفرزها في كعوبهِ نوعُ الخيزران المعروف بالبَمبو (Bambusa arundinacea Wild.) وكانوا يتّخذونها ايضاً بحرق الخيزران المذكور وجمع رماده الذي يحتوي ٧٠ في المئة من الصوَّان . امَّا لغشهِ فانَّهم كانوا يتخذون من عظام راس الغنم قطعاً ثم يحرقونها . وقد خلط البعض بين الطباشير وعصارة قصب السكَّر . وكذلك الطباشير في لغة اهل الشام يُراد بها اليوم كربونات الكلس (craie)

٣) كذا في الاصل والصواب « يغشون الحضض » (suc de lycium) كما في مفردات ابن بيطار (٢ : ٣٤)

٤) يراد بالحضض اشجار شوكيَّة يتخذون عصارتها في ادويتهم . ويرتأي العلماء المحدثون انَّها واحدٌ من النباتات الآتية (Lycium afrum, L. mediterraneum L., Rhamnus paliurus L.) وكذلك ارتأى العلَّامة روال (Royle) ان الحضض الهندي هو العصــارة برباريس (Rusout)

وقد يغشّون القُسط باصول الرانيش (الراسن) ومعرفة غشهِ ان القسط له رائحة اذا وُضع على اللسان يكون لهُ طعم الرانس (الراسن) بخلاف ذلك (١ (ص٦٣)

وقد يغشون زُغب السنبل بزغب القلقاس ومعرفة غشهِ انهُ اذا وُضع في الفم يحرق والسنبل المصحون ينعش . وليزيد في وزنهِ بالاثمد يُرش عليهِ (٢ . وكذلك السك مسك (المسّك) المدقوق (٣

وقد يغشون المصطكا بصمغ الابهل (٤ . ومنهم من يغش المقل (٥ بالصمغ القوي ومعرفة غشهِ ان الهندي يكون لهُ رائحة ظاهرة اذا بُخّر بهِ وليس فيـــهِ مرارة . والافيتمون الاقريطشي يغشونهُ بالشامي وقد يغشونهُ بزغب البسانج (٦

---

١) القُسط (costus) عرق شجرة تنبت في اعالي جبال حملايا في الهند كانوا يتّخذون منهُ مركّبًا يُدعى « Auklandia costus Falconer » . وهو ثلاثة ضروب القسط الهندي وفيهِ الكلام والقسط الاسود واصلهُ من الصين والقسط الاحمر الثقيل واليوم يجهل الاطبّاء تركيب هذين الصنفين الاخيرين . امّا الراسن (aunée) فهو النبات المسمّى بلسان العلم (Hélénium)

٢) الترد الهندي (Spicanard) اصول نبات ينبت في بلاد نيبال يتخذونهـا مع اوراقها الاصليّة ويدعونها بلسان العلم « Valeriana Jatamansi D. C. » وهذا النبات ذو رائحـة عطريّة كالمسك أُغرم بها الناس منذ القدم . وربّما خلطوا بينها و بين اصول اخرى سنبليّة كسنبل هوك (Ferula Sumbul Hook) وفاليريــانا سلتيكا (Valeriana celtica L.) التي كانوا يجنونها في فرنسة

٣) السكّ معجون من الرامك والمسك . امــا الرامك فكانوا يركّبونهُ من بُسر التمر وقشر الرمّان وجوز العفص والزبيب والعسل وافاويه مختلفة عطريّة . ومثلهُ الغالية وكان يدوفونها بالمسك فيدعونها غالية المسك ويترلونها مترلة السكّ وهذا المركّب وهو دواء عاقل للطبيعة

٤) الابهل (gomme de Sabine) صمغ شجرة كالعرعر وجاء في نسخـة النبراوي التي نشرها جرناور (Behrnauer) : صمغ الاباء وفي نسخة ليبسيك الخطّية : صمغ الاهل . وكلاهما تصحيف . ويوافق قول المؤلف ما ذكره ديوسقوريدس عن غشّ المصطكى حيث قال انّها تُغشّ بصمغ الصنوبر

٥) المُقل صمغ شجرة البشام (Balsamodendron africanum Arn.) وهو نوعان العربي والهندي واجودهُ العربي اما الهندي فكان يُتخذ من نباتات عطريّة غير البشام . وامّا غشّ المقل كما ذكرهُ المؤلف فهو مستعار من ديوسقوريدس (ك ١ ف ٦٨) . وما يدعوه المؤلف بالصمغ القوي هو المقل العربي العتيق اليابس

٦) الافيثمون لفظةُ في اليونانية «ἐπίθυμον» ويكتبـهُ العرب ايضًا افتيمون هو نوع من الكشوث (Cuscuta Epithymum Murr.) وينبت حول الصعتر . وكان اجودهُ يُجلب من

ومنهم من يغش المحمودة بلبن اليَتوع المجمَّد ومعرفتها انك تضعها على اللسان فان قرصك فهي مغشوشة . ومنهم من يغشها بنشارة القرون يأخذونهُ و يعجنونهُ بماء الصمغ و يعملونهُ كهيئة المحمودة . ومنهم من يغشها بدقيق الباقلّاء ودقيق الحمّص ومعرفة ذلك ان الخالصة صافية اللون مثل الغري والمغشوشة بخلاف ذلك (١

وقد يغشون المرّ بالصمغ المنقوع بالماء وصفة غشهِ ان الخالص يكون خفيفاً ولونهُ واحدًا او اذا كُسر ظهر منهُ اشياء مثل الاظافر ملساء بشبه الحصل وتكون لهُ رائحة طيبة وما كان ثقيلًا لونهُ لون الزفت فلا خير فيهِ (٢

ومنهم من يغش قشور شجر اللبان بقشور شجر الصنوبر ومعرفة غشهِ ان يُلقى في النار فان التهب وفاحت لهُ رائحة فهو خالص وان كان بالضد (ص٦٥) فهو مغشوش(٣.

ومنهم من يغش المرزنجوش ببزر الخندقوق

وقد يغشون الشمع بالشحم (بشحم) المعز و بالقلفونية وقد يذرّون فيهِ عند سبكهِ دقيق الباقلاء والرمل الناعم والكحل الاسود المسحوق ثم انهُ يجعل ذلك ببطانة الشمع ثم

اقريطش ويتّخذونهُ كمسهل . والافيثمون السوري كان دون الاقريطشي ولعلّهُ الصنف المدعو (Epitlhymbron) . اما البسانج (Polypode) فهو اصل شجرة يدعونها بوليبوديون يتّخذها حتى يومنا اهل البادية كدواء مسهل

١) المحمودة وتدعى سقمونيا نبات في اصولهِ رطوبة يجمعونها ويجففونها . امّا اليَتوع (Euphorbe) فانواع وربما ارادوا باليتوع النباتات التي يسيل منها شبه اللبن . ومنهُ صنف يُدعى بلبن المغرب (Euphorbia resinifera Berg.) وليس هو المقصود هنا . وهذه الغشوش التي ذكرها المؤلف هنا يسهل اليوم الوقوف عليها الّا ان في عهدهِ كان تحليل المركّبات وافرازها صعباً

٢) المرّ صمغٌ يستخرج من شجرة البشام (Balsamodendron) او شجرة اخرى صمغيّة يدعونها (Gommiphora Berg.) وهذا الشجر ينبت على جانبي بحر القلزم وخصوصاً في الصومال . وقد عُرف المرّ منذ الزمن القديم وكان القدماء يعتبرونهُ كاثمن المحصولات بمثابة اللبان . ثمَّ اتخذهُ الاطباء للمعالجة وكانوا يستقطرونهُ لهذه الغاية فيتخذون خلاصتهُ كدواء

٣) اللُبان او الكندر صمغ يستخرج من اشجار تنبت في جنوبي جزيرة العرب وفي بلاد الصومال يدعونها (Boswellia) وخصوصاً النوع المسمّى (Boswellia Carterii Bird.) وقد سبق القدماء الى معرفة اللبان قبل المرّ ثمّ شاع ذكرهما على سواء وكانوا ايضاً يتّخذون من اللبان خلاصتهُ بالتقطير . وهنا قد قصد المؤلف من اللبان قشرهُ خصوصاً . ونقل ما كتب عن ديوسقوريدس (ك١ ف٧٠)

يغمسها بعد ذلك في الشمع الخالص ومعرفة غشهِ انك اذا اشعلت الشمعة ظهر فيها ذلك (١

وقد يغشون الزنجار بالقلقند والرخام ومعرفة غشهِ انك تبلّ ابهامك وتفسلهُ فيهِ ثم تدلك بها السبابة فان نعم وصار كالزند فهو خالص وان ابيضّ وتحبّب فهو مغشوش. وايضاً يُترك منهُ بين الاسنان فان وجدتهُ كالرمل فهو مغشوش بالرخام. وايضاً تُحمى صفيحة في النار ثم تذرّهُ عليها فان احمرّ فهو مغشوش بالقلقند وان اسودّ فهو خالص (٢

وفئة يختارون من الاهليلج الاسود اهليلجاً وهو اصفر ويبيعونهُ مع الكابلي (٣

وقد يرشون بالماء الجاوشير ويلقونهُ في الاكيسة عند بيعهِ فيزيد لهم كل رطل نصفاً (٤

ومنهم ما يأخذ اللكّ (٥ ويُسيلهُ على النار ويخلط معهُ الآجرّ المسحوق والمغرة ثم

١) قصد هنا المؤلف الشمع العسليّ المتّخذ للانارة. وكان اهل التدليس يأخذون منهُ كميّةً فيخلطونها بموادّ اخرى لتزيد بذلك ثقلاً ثمّ يغمسون فيها الفتائل ويحجبون غشهم بان يغمسوا ذلك الشمع المدلّس بشمع آخر صافٍ فما كان يمكن الاطلاع على غشهم الّا باذابة الشمع. والمؤلف يدعو بطانة القسم المغشوش

٢) الزنجار (verdet) جسمٌ مركّب من الحامض الخلّي والنحاس مع اختلاف في صفائهِ واستحضارهُ بان يحمل النحاس في الخل وكان القدماء يضيفون اليهِ شبّ البوطاس والملح او البول. واذا كان الزاج اخضر فأُحرق كان رمادهُ احمر اما اذا كانت خضرتهُ خفيفة فرمادهُ اسود والقلقند هو الزاج الاخضر (sulfate de protoxyde de fer)

٣) الاهليلج ثمرة اشجار مختلفة الجنس. وكان القدماء يحصون منهُ خمسة انواع الاملج والاصفر والاسود الهندي ويكون صغيراً والاسود الكابلي وهو كبير والحشف الدقاق المعروف بالصيني. ويختلف الاهليلج لوناً وحجماً على حسب اجناسهِ ونضجهِ وكل اصنافهِ مُسهلة. ومن الاسود صنف يُعرف باسم هندي شعيرة (؟) يباع في اسواق بيروت

٤) لا يعرفون حتى الان تركيب الجاوشير (Opoponax) الذي ذكرهُ القدماء. والمظنون انهُ نوع من الصمغ الراتينجي (Opoponax Cheironium Koch.) اما الجاوشير الذي يستعملهُ المحدثون فهو صمغ راتينجي يستخرجونهُ من شجرة اسمها (Gommifera Kafal Engl.) ومنها يتخذون دهناً يدخل في كثير من المركبات العطريّة. ويزعم البعض ان الجاوشير هو المرّ الذي يتكلّم عنهُ القدماء

٥) اللك راتينج دودة تدعى في لسان العلم (Tychardia lacca R. Blanchard) وتأوي الى نوع من التين (Ficus laccifera Roxb.) او الى النوع المسمى (Ficus religiosa) وعلى العنّاب في الهند ومدغسكار. واللك الاصلي يكون كمداً ضارباً الى الحمرة. اما دم الاخوين

يخلطهُ ويعقدهُ ويبسط اقراصاً ويكسرهُ بعد جفافهِ ويبيعهُ على انهُ دم الاخوين

ومنهم من يدقّ الكعك دقًّا جريشاً ثم يجعل فيهِ شيئاً من الجاوشير على النار في عسل النحل ويلقي فيهِ شيئاً من الزعفران فاذا أُغلي وأُلقي فيـه الكعك وحرّكهُ الى ان يشتدّ ثمّ يعملهُ اقراصاً اذا برد ويكسرهُ ويخلط معهُ الجاوشير فلا يظهر فيهِ

وامّا جميع الادهان الطيبة وغيرها فانّهم يغشونها بدهن الحلّ وهو السيرج بعـد ان يُغلى على النار ويُطرح فيهِ قلب الجوز وقلب اللوز مرضوضاً ليزيل رائحتهُ وطعمـهُ ثم يمزجها بالادهان (١

ومنهم من يأخذ نوى المشمش فيستخرج دهنهُ ويخلطهُ بالسيرج ويبيعهُ كانهُ دهن لوز (٢. ومنهم من يغش دهن البلسان بدهن السوسان ومعرفة غشهِ ان تقطر منهُ شيئاً على خرقة صوف ثم يُغسل فان زال منها ولم يؤثر فهو خالص وان اثّر فهو مغشوش. وعلامة دهن البلسان الخالص ان تُغمس فيهِ سنبلة وتشعلها فان شعلت فهو خالص واذا قُطر على اللبن جمد للوقت. وايضاً ان الخالص منهُ اذا قُطر في الماء الحارّ فيصير في قوام اللبن والمغشوش (ص ٦٨) يطفو مثل الزيت ويصير كواكب على وجه الماء (٣

(sang-dragon) فراتينج احمر يتكوّن على نوع من النخل الهندي اسمهُ روتنج (Rotang) ويسميهِ العلماء (Calamus Draco Willd.) وقد زعم البعض ان ما سماه ديوسقوريدس زنجفراً (Kinnabaris) هو هو دم الاخوين الّا انّ الزنجفر مركّب معـدني شبيه بحجر السرف (Hématite) اما دم الاخوين الذي كان يتخذهُ اطباء العرب فنوع من الراتينج كانوا يجلبونهُ من سقطرة في بحر القلزم ولعلّهُ كان يُستخرج من شجرة هندية (Dracæna)

١) ليست كل الدهون العطريّة ارواحاً فانّ منها ما كان يتّخذ من النبات فيعطّرونهُ. وهذه الدهون تُدعى اليوم دهوناً قديمة. الّا انّهم كانوا يعرفون ايضاً ان يستحضروا الارواح العطريّة. ودونك طريقتهم فانهم يجرثون في الزيت ما يريدون استخراج عطرهِ ثم يغلون المريث على النار ممزوجاً بالماء والزيت زمناً طويلاً حتّى تتبخّر كلّ رطوبتهِ. وكانوا يمتحنون تبخّر مائهِ بان يغمسوا فيهِ قطعة من القطن ثم يحرقونها فاذا كان يُسمع لحريقها ازيز عرفوا انهُ لم يجفّ. ثم كانوا يخلطون البزور الدهنيّة مع العطور ثم يستخرجون الدهن العطري عَصراً. او كانوا يعجنون تلك البزور في الماء فكان الزيت يطفو على وجه الماء. وهكذا كان استحضارهم لروح البنفسج ولروح الورد الخ. وكان ديوسقوريدس معلّمهم في هذه الصنعة يزيد على خليط الزيت والعطور شيئاً من الخمر

٢) وهذا التزوير شائع حتى يومنا. فما اشبه الاولاد بالاجداد

٣) البلسان (Baume de Judée, B. de Giléad,) كان يستخرج من شجيرات

وقد يخلطوا (يخلطون) دهن العراق بدهن الشام اعني الورد والبنفسج وهذا تدليس (١

وقد اعرضت عن اشياء كثيرة مخافة من تعليمها وانما ذكرت ما قد اشتهر غشهُ بين الناس ويتعاطاه كثير منهم وقد امسكتُ عن اشياء كثيرة قد ذكرها يعقوب ابن اسحق الكندي في رسالتهِ المعروفة بكيميا الطبائخ فرحم الله من وقع بيده ذلك الكتاب فمزّقهُ

الباب التاسع والثلاثون

في الاشربة والمعاجين

وما يضاف الى ذلك اعلم وفّقك الله انهُ لما كانت المعاجين والاشربة والاقراص والسفوفات والادوية المركبة انما يقف على معرفتها ويتيقَّن مصلحتهـا من حضر عملها ومشاهدة خلطها وعجنها فيجب ان يكون ذلك قبل تركيبهِ بحضور من جُعل عريفًا على مثلهم حتى تزول الظنة وترتفع الشبهة فان لم يمكنهُ حضور جميع ذلك عيّنت الحوائج

بلسميَّة (Balsamodendron Gileadense Kuntk.) او (B. Opobalsamum Kunth) وغيرها ممَّا ينبت في بادية العرب. وكان في بستان المطرية قرب عين شمس في مصر منها اشجار ذكرها قديمًا السيَّاح (اطلب المشرق ٩ : ١٠٨٧) والبلسان دهن مائع لونهُ اشقر واذا بقي مدة انقسم الى قسمين فالقسم الاعلى سيَّال شفَّاف والادنى كثيف غليظ. وكان المستعمل منهُ القسم الاعلى ويسمُّونهُ زيت البلسان. وافاد عبد اللطيف البغدادي انَّ القسم المائع كان مختصًا بالسلطان وقد وصف الكاتب المذكور طريقة المصريين في استخراجهِ من الشجرة بنزع قشرها وشدخها وجمع لثاها ودفن قنانيّها في الارض وعرضها في الشمس وقطف الدهن الطافي. وكانوا يستحضرون ايضًا دهنًا آخر اقلّ ثمنًا يبيعونهُ في التجارة ويتَّخذونهُ بإغلاء اصول البلسان واوراقهِ في الماء وقطف طفاوتهِ

١) الدهون المذكورة هنا ينظمها الصيادلة في سلك الدهون القديمة. وكان اهل العراق يعدُّون منها اجناسًا فاخرة. وهذه وصفة نستعيرها من كتاب الحاوي في علم التداوي لنجم الدين الشيرازيّ الذي نشرنا منهُ فصولًا وترجمناها الى الافرنسية. قال في وصف دهن البنفسج (ص ١٦٦):

(صنعتهُ) أن يؤخذ السمسم المقشَّر او اللوز الحلو المقشَّر الدَّهِن ويُجعل في كيس صفيق من الكرباس ويتَّخذ الكيس اوَّلًا بالند ويُطرح عليهِ اللوز او السمسم بعد ان تُشقّ كلّ لوزة بنصفين وليكن من كلّ عشرة امناء من اللوز خمسة ارطال من البنفسج المقطف الى اربعة ارطال ويُطرح عليهِ البنفسج بالتدريج في كلّ ثلاثة ايَّام رطل ويُشدّ رأس الكيس ويُترك فيهِ البنفسج الى ان يجفّ فاذا استحكم جفافهُ يُطحن ويستخرج دهنهُ

وحملها الشرابيُّ (ص ٦٩) الى مجلس العريف في طبق او غيرهِ ليشاهدها ويعد عقاقيرها ويقابل منها مَن يعوّل عليها . اما شابور (١ او غيرهُ ويخلطها بعد المقابلة بيده ويمضي بها صاحبها ويركبها (٢

ويتقي الله ان لا يركّبها بعسل قصب ولا بقطارة فانهم يركبون المعاجين اشياء من عسل قصب يأخذون منهُ عشرة ارطال يغسلونهُ ويقلعون نيمهُ حتى يصفو سوادهُ ويُرش عليهِ مقدار ثلاث اواق لبن حليب حتى يصفو وتطيب رائحتهُ ثم انهُ يسحق لهُ وزن درهمين اسفيداج العرائس في اوقية خل خمر حاذق يغليها في القدر وهي تغلي ثم يصلح منهُ ما شاء من الاشربة والمعاجين . فينبغي ان يراعى ذلك عنهم ويُستحلفون ان لا يفعلوهُ ولا يأمروا احدًا بفعلهِ لهم وهو لا بدّ لهُ مـا يرجع في الاشربة الى السواد في المعاجين وتظهر رائحة الخل فيهِ ويعيَّر ايضاً يؤخذ منهُ قليل ويحلّ بالماء في وسط الراحة فان المعسّل يبيّض مثل الفانيد ومتى تطاولت مدة الاشربة فحمضت او غات لم يكن لصاحبها ان يردّها الى الطبخ ثانيًا لفساد مزاجها وانحرافهِ (ص ٧٠) ولا يذكّي احد منهم حلاوتهُ بغير ماء الورد ولا يحيل فيهِ مسكًا ولا كافورًا

وسبيل شراب البنفسج ان يكون مكرَّرًا فانهُ سريع التغيير وشراب الورد مثلهُ ايضاً ان يكون مكرَّرًا لأنهُ انقى وانفع للمعدة والسكنجبيل البزوري والسنباذج يكونان بخل خمر . واذا رأيت السكنجبيل الى السواد لونهُ فهو كما ذكرناهُ من العسل القصب او معمول من القند . وكذلك المعاجين اذا أُذيبت في البرّاني ينبغي ان يراعى ذلك ولا يعمل شي من سائر الاشربة والسويقات وغيرها الّا على النسج من كتاب سابورا (١ وغيرهِ بعسل النحل والمعاجين والاشربة من السكر الابيض . وكذلك السفوفات وكذلك الاقراص يعني تركيبها على ما نصهُ الفلاسفة . وشراب العنّاب يقوّي بكثرة العنّاب فيهِ لانهُ يراد لطفيهِ الدم (٣ . ولا يعجن الورد بالمراسيني من السكر

١) شابورا او سابورا كما كتبهُ المؤلف في ذيل هذه الصفحة احد الصيادلة الذين كتبوا في المعاجين والاشربة وخيشتها . على انّنا لم نجد اسمهُ في فهرس طبقات الاطبّاء لابن ابي اصيبعة ولعلّهُ هو سابور بن سهل المتطبّب النصرانيّ صاحب الاقراباذين المعوّل عليهِ في البيمارستانات . توفي سنة ٢٥٥هـ(٨٦٩م)

٢) راجع المجلّة الاسيويّة الفرنسويّة (J. A., 1861¹, p. 16-17)

٣) كذا في الاصل . ولعلّ الصواب : ليبرّد لطيفة الدم

وكذلك البنفسج المربّى لا يُعلف ايضاً بسكر فانهُ غش وتدليس ويستحيل في المعدة صفراء ويجودون عقد جميع الاشربة حتى يكون لها قوام. ولا يعجن التمر هندي الذي قد عتق عندهم وجفّ بالخل. ولا يباع الخارصينيّ المصري على انهُ فارسي. ولا يلقوه في الخيش المبلولة ليزيد لهم في الوزن (ص ٧١) ولا يغشوا شيئاً من ادهان العراق بشيء من ادهان الشام ولا بدهن الحل السيرجَ. ويمنعوا من حسو (كذا) الشعير في الافران لانهم يعيدوا عليهِ ماء ثانياً وربما ورّدوه بيسير من المغرة فيعتبر جميع ذلك ويعيّر موازينهم وصنجهم في كل وقت وتكون اواقيهم معيرّة على الرطل البغدادي عشرة دراهم ونصف وثلث الاوقية

الباب الاربعون

في العطر والعطّارين (١

ينبغي ان يعرّف عليهم عريفاً ثقة فان غشوش العطر اشياء كثيرة مختلفة بحسب غشوشها واختلاف انواعها. فمن ذلك المسك يُعمل منهُ اثنا عشر صنفاً مغشوشة كلها. فمنهُ ما يعمل من زراوند ورامك ودم الاخوين ويُعجن بمثلهِ مسك جيد ويُعمل منهُ ايضاً عنبر ومنهُ ما يُعمل من سنبل الطيب ويورّد بعود وقرنفل وشادروان وزعفران ويعجن بماورد ويخلط بمثلهِ مسك جيد خالص. وقد عملت نوافج مسك من قشور الابلج والشيرج الهندي ومثلهِ شادروان ويُعجن بماورد الصنوبر ويخلط مع كل اربعة مثاقيل من هذه العقاقير (ص ٧٢) مثقال واحد مسك ويُحشى في النافجة ويسدّ راسها بماء صمغ وتجفّف على راس تنور ويباع. ويُعمل ايضاً نوافج من الابلج والشادروان الذي قد نُزع صمغهُ بالماء الحارّ ومعهم الابرذون ويُعجن بماء الصمغ ويُخدم ويُعمل مع كل ثلاثة مثاقيل منهُ مثقال مسك جيد صعيدي او تيبتي ويُسحق الكل ويحشى في النافجة ويوضع على راس تنور ويباع

ويعمل ايضاً من قشور البلوط المخدوم بالنار المجفّف ويخلط منهُ ثلاثة اجزاء بجزء مسك ويلقى منهُ ايضاً كل مثقالين على مثقال مسك ويُباع ويحشى ايضاً في النوافج.

١) راجع المجلّة الاسويّة الفرنسويّة (J. A., 1860², p. 386-392)

وابلغ ما يدلّ على النوافج وقوارير المسك ان تفتحها وتلمّها كالمستحسن لهـا فان طلع الى فيك من المسك حدّة كالنـار فالمسك فحل لا غش فيهِ وان كان بخلاف ذلك فهو مغشوش. وقد يُلقى على المسك الجيد التيبتي دم الاخوين او دم الغزلان او دم الجداء الثقيل وقد يُسحق المسك ويُحشى في مصارينها وتُشدّ بخيوط صغار على قدر العنبر ويجفف على الحبال في الظل ويُشق عنهُ ويُعبّى مع غيرهِ في القوارير . ومنهُ ما يغش بالكبود المحروقة المسحوقة. وقد يطرح في المسك حب رصاص على مقدار الخردل مصبوغة بالمداد فلا تبين الّا عند السحق (ص ٧٣)

وينبغي ان يعتبر ايضاً جميع ذلك الذي ذكرناهُ من غشوش المسك وهو ان تطرح في فيك منهُ شيئاً وتتفل على بعض الملابيس البيض وتنفضهُ فان انتفض ولم يصبغ فلا غش فيهِ من سائر ما ذكرنا وان صبغ ولم ينتفض فهو مغشوش

وغشوش العنبر خمسة فمنهُ ما يعمل من زبد البحر والصمغ الاسود والشعر الابيض والصندروس وسنبـل الطيب ويخدم ويُعمل منهُ عنبر . ومنهُ ما يعمل من زبد البحر والصندروس والعود والسنبل . وربما خُلط معهُ بعر الظبا ويُخدم ويُدق ويدفن في زبل الخيل سبعة ايام ويخلط معـهُ مثلهُ عنبر خالص وربما عُمل منهُ تماثيل وصور وقلائد وغير ذلك ومنهُ ما فُعل من المسك الجيـد والصمغ والعنبر ويباع قلايد وتماثيل

وجماجم العنبر قد تُطلى بالصندروس فيجب ان يُحذف رؤُسها حتى يعلم سلامتها منهُ ومن غيره وربما حُفرت والقى فيها القطع الرصاص واذا حذف راسها نظر ايضاً الى داخلها. والصندروس ايضاً اذا كان عليها منـهُ شيء فانهُ يغيب اذا حُذف وان كانت معيوبة بما ذكرنا ايضاً نظر ولم يُخف

والكافور ايضاً يعمل منهُ سبعة اصناف (ص ٧٤) مغشوشة . فمنهُ ما يُعمـل من الرخام ونحاتة الخزّاطين بمثلـه كافور معجون بماء الصمغ الابيض محر (كذا) على الغرابيل. ومنهُ ما يعمل ايضاً من حجارة النشادر تُكسر صغاراً ويخلط بهِ . ومنهُ ما يعمل ايضاً من ذريرة غير مفتوقة وجبس قلار (؟) غير مشوي وصمغ ابيض ومثل الجميع كافور. ويعمل ايضاً من خشب الخروع ويعمل ايضاً من الارزّ المدبّر فان عُمل تماثيـل وقلائد جعل في كل خمسة مثاقيل من الارز مثقـال واحد كافور خالص للبيع فمثقال بمثقال . ومنهُ ما يعمل ايضاً من نوى البلح المنجوت يُدقّ حتى يصير مثل الزبد ويُخلط

بمثله كافور ويُعجن بماء الكافور وجميع ما غشه يبان في الماء والنار لانهُ اذا طرح في الماء فغرق كان مغشوشاً واذا عام فهو جيد لا غشَّ فيهِ . وكذلك اذا أُلقي قطعة خزف او جام على النار وجعل عليها شيء من الكافور وكان جيدًا طار ولم يمكث وان كان شيء مما ذكرنا احترق وصار رمادًا

وكذلك الزعفران غير المطحون يُغش باشياء كثيرة فمنها ان ينتر لحوم (ص٧٥) صدور الدجاج وكذلك لحوم البقر بعد سلقها وتنتر بالملح وتُقدَّد فاذا قُددت تصبغ بماء الزعفران وتخلط في الزعفران . ومعرفة غش ذلك ان تنقعهُ في الخل فان الخل يتقلص ويبان غشهُ واذا وُجد عند مذاقهُ حلوًا فهو قليل الصبغ فقد ثُقِّل وغُش بالقند . والمطحون منهُ اذا أُلقي في اناء من زجاج فيهِ ماء فرسا منهُ شيئاً (شيء.) فهو مغشوش بدم الاخوين فيأخذ ما رسا ويمزجهُ بخل ويحركهُ فانهُ يصبغ روحهُ ويحمرّ . وقد يغش بالنشا المطحون ومعرفتهُ ان تبلّ منهُ قليلًا على النار فانهُ يندبق وينعقد

وغش العود ان يأخذ الصندل قشرًا مُطرًا يُبرى بهِ العود وينقع في مطبوخ الكرم العتيق شهرًا يغيّر عليهِ بعد كل ثلاثة أيام وينشف ويخلط في العود فلا يشك انهُ عود فيُعتبر بالنار قد يُغلى فيباع مُطرًا مدرج (كذا)

وغش اللبان فانهُ يعمل من دهن حب القطن ويعمل فيهِ دهن حب المشمش ويعبق بشيء من المسك التبتي الجيد الافاوي ويعمل من الزيت الانفاق ويُعبق ويطرح فيهِ اطراف الآس الاخضر فيجيء منهُ خضرة تقارب البان (ص ٧٦) وغش ماء الكافور ويعمل من عقد خشب الصنوبر وقشور الكندر ويصعد فلا يشك انهُ خالص. ومعرفة غشهِ انهُ اذا قُطر في خرقة بيضاء وغُسل منها فخرج فهو مغشوش وان طبع فهو كما ذكرنا من عقد الخشب والقشور

وغش المحلب المعجون المؤلف بالادهان يغشهُ العطارون باللوز المرّ المقشّر من قشريهِ ايضاً . ويُغش ايضاً بنوى المشمش ويُغش بنوى الخوخ المقشر ويخلط معهُ مثل نصفهِ محلب ومنهم من يأخذ كُسْب السمسم فيجففهُ ويسحقهُ ويعجنهُ مع المحلب ويبخرهُ ويبيعهُ . وقد يخلطهُ قوم من العطارين بالنشا ويبيعونهُ فينبغي ان يعتبر عليهم ذلك ويحلفوا بما لا كفاءة لهم منهُ

وقد يُغش الزعفران ايضاً بالاكثوب (؟) المصبوغ بالبقم بعد ان يقطع نظير شعير الزعفران ويخلط معهُ نشأ مصبوغ ويُذرّ عليهِ سكر مسحوق في ليفة ويلصقهُ ويخلط عليهِ الزعفران ويعبّى في السلال .ويعملون ايضاً سكرًا من نبات الحلبة منقوعاً في خمر عتيق قد اذيب فيهِ قليل كركم منخول من زعفران اياماً معلومة ويبيت في الظل فلا يشك الذي يراهُ انهُ زعفران ويخلط في السلال ويباع. وهـذا الزعفران الشعر وغيرهُ بلون الشعر فاذا اردت معرفتهُ خذ من وسط السلّة فانهُ يبين لك الغش والعيب ويطحن هذا الزعفران المغشوش بعينهِ . وربما خُلط معهُ وزن جلنار ملتوت بشيرج. وقد يُغش بالزجاج المطحون ايضاً. وقد يستحلّ قوم منهم ان يخلطهُ بابوا مليح (؟) النصف منهُ والنصف زعفران ويبيعهُ على المسافرين . وقد يستحلّ اقوام من باعة الزعفران ايضاً ان يقيم قرطاساً في وسط البرنية يجعلهُ وعلى جانبها خاوقاً مغشوشاً والجانب الاخر خاوقاً جيـداً ويدفع عن كل انسان منها على قدر معرفتهِ ورايهِ فيهِ

ويُغش العود ايضاً من قشور خشب يقال لهُ الابليق ويجيء شبه العود الّا انهُ يُبرى كما يُبرى العود ويُنقع في ماء مدبر بالمسك الجيد والورد الصحيح والكافور اياماً كثيرة ويُخرج منهُ وينشف ويدرج ويُباع. وتُغش الغوالي وقد تعمل غالية اصلها قطران مصعد مدبر بالقرعة الى ان يذهب نتنهُ ورائحتهُ ثم يجعل على كل مثقالين منهُ مثقـال مسك جيد ومثقال عود طيب ومثقال مسك تبيتي او صعيدي (ص ٧٨) ومثقال لادن مسيول على النار ونصف مثقال عنبر وثلاث مثاقيل دهن بانٍ مديني بارد

وربما عُمل بغير عنبر فيجيء طيبةً عجيبةً وغالبـهُ من نحاتة الرخام والدحور والشادروان مدبره (؟) ويحمل على جسد كل مثقال منها ما قد ذكرناهُ من الطيب فيما تقدَّم يعمل جسدها من قلب الفستق . ويجيء عجيبة ايضاً اذا حمل على جسدها الطيب كما ذكرنا. وقد يغشون الغوالي ايضاً بدون هذا يعمل اصلها من المرداشنج المدبر وغالية اصل جسمها الافليجة وغالية اصل جسمها من المومياي وغاليـة اصل جسمها من الموز القسطالي الصغار وغالية اصل جسمها من صمغ الشادروان وعيدانه ويحمل على جسدهِ هذه الغوالي لكل مثقالين منها وزن دانق مسك جيد وحبّة مسك . واكثر من يعمل هذا الذين يجلسون على الطريق ممن لا دين لهُ وكذلك من لا لهُ دين من العطارين ولا يخافون من الاستخفاف بهم

فينبغي ان يراعى ذلك بمباشرة العريف حتى لا يكون شيء منهُ و ينذرهم ويخوّفهم فمن تخطّى الى شيء مما ذكرناهُ أُدّب وأُشهر واذا اردت ان تسحق (ص ٧٩) العنبر تستعملهُ فيما شئت بلا نار فخذ بلاطة رخام وضعها على الثلج فاذا صارت باردة مثل الثلج وتكون قد فرصتَ العنبر صغارًا فضعهُ على البلاطة فانهُ يبرد ويجفّ ثم اسحقه فانه ينسحق كالكحل واستعمله فيما شئت في الوقت والاعادة الى صفتهِ اذا حُمّي فانه دهن فلا يرجع بعدها البلاطة بل على النار

معادن الترنسفال غير الذهبيّة

بقلم اسكندر افندي طحيني احد طلبة السنة الثالثة في المكتب الهندسي في جوهنسبورغ

لا يتمّ وصفنا لمعادن الترنسڤال الذهبيّة اذا لم نأتِ على ذكر بقيّة المعادن الموجودة في الترنسڤال لاهميتها كالماس ولدخول بعضها في تعدين الذهب كالفحم

١ الماس

تعدين الماس في جنوبي افريقية يدخل اكثرهُ تحت ادارة تلك القومبانيّة الالماسيّة المشهورة المعروفة بقومبانية دي بير (De Beer) التي يشتغل لحسابها عدد لا يُحصى من الرجال. وفي استحضار الماس كما في غيرهِ من المعادن في جنوبي افريقية اشغال شاقة كتكسير الحجارة الزرقاء في قلب الارض ونقلها الى وجه الارض ومعالجاتها العديدة حتى تصير اخيرًا الماسًا نظيفًا يُعرض على ارباب التجارة ويأخذ بالالباب لمحاسنهِ وبهائهِ ويقوم بهذه الاشغال الزنوج تحت ادارة البيض واما هؤلاء الزنوج فعند دخولهم الى المعدن يشترط عليهم بانهُ لا تكون مدّة شغلهم فيهِ اقل من ثلاثة اشهر وفي طول هذه المدة لا يجوز لايٍّ منهم بالخروج من دائرة المعدن المحاطة بالاسلاك الحديديّة وتقوم القومبانيّة بتقديم حصات الاكل لهم وكل ما يلزمهم لمعيشتهم من المأوى والملبس الخ

واما هؤلاء البيض الذين تُناط بهم ملاحظة الزنوج وتنقية الماس كما قدّمنا فقد شيدت لهم القومبانيّة بلدة جميلة لاجل سكناهم وسكنى عيالهم فمن احب السكن فيها اقام والّا فلهُ الحريّة بان يقيم حيث يشاء وادارة هذه القومبانيّة بايدي رجال دهاة

محنّكين بالامور طالما اعربوا للعالم بحسن درايتهم ومهارتهم انهم يعرفون من اين تؤكل الكتف

وسنة ١٨٩٥ اقيمت ماكنات جدد على اخر طرز لاجل طحن الحجــارة الزرقاء الشديدة الصلابة وفي سنة ١٩٠٠ و ١٩٠١ كانت ارباح القومبانيَّة المذكورة ٤٠ بالماية دون راس مالها وقد بيع من الالماس في هذه السنة المذكورة ما تبلغ قيمتهُ ٤,٦٢٨,٨٤٥ جنيهاً. وفي سنة ١٩٠٥ بلغت قيمتهُ ٤,٨٠٢,٨٤٤ جنيهاً وقــد كانت الارباح الموزعة على حاملي الاسهم ٤٠ بالماية ايضاً

وأمّا اكلاف التعدين فتبلغ كل سنة زهاء ٢,٠٠٠,٠٠٠ جنيه ولعــلَّ هذه النفقات تخفض بما تنويه القومبانيَّة من الاصلاحات وتحسين طرائق التعدين. وكان العامل من الزنوج يأخذ ٤ ليرات انكليزيَّة شهريًّا واما الابيض فست ليرات انكليزيَّة كل اسبوع وكان في سنة ١٩٠٦ عدد الزنوج المشتغلين في القومبانيَّــة ١٧,٢٦٠ وعدد البيض ٣١٩٢ واما في المدة الاخيرة فان القومبانيَّة قد خفضت من عدد الزنوج خمسة الاف ومن البيض ١٠٢٠ نظرًا لوجود الازمة الالماسية في العالم (١

الماس المعدنيّ

❁ معدن البرميه (Premier D. M.) ❁ موقع هــذا المعدن الى شرقي بريطوريا واول ارسالية أُرسلت منهُ الى لندن كانت في ٣٠ تموز سنة ١٩٠٣ وكانت قيمتها ٣٣ الف قيراط من اجود انواع الماس وقد استخرج منهُ بمدَّة الخمسة اشهر بعــد هذا التاريخ الماس بقيمة ٩٠,٠٠٠ جنيه انكليزيَّة لكن الستين بالماية من صافي هذه الارباح هي ضريبة للحكومة الترنسفاليَّة وفي ٢٦ ك ٢ سنة ١٩٠٥ وجد بــهِ اكبر جوهرة في العالم ووزنها ٣٠٢٤٫٧ قيراطاً وحجمها ٤ انش طولًا بعرض ٢٫٧ انش بسمك ١٫٧ انش وعلى ما يقال انها من افخر اجواد الجواهر (٢

وقد اكتشف معدن ماس قرب كريكوالند وست (Criqua Land West) وقرب كلركسدورب وقرب كريستيانا وتوجد منهُ آثار عديــدة في بلاد الزباديلي

١) واذا اردت زيادة ايضاح عن الالماس فراجع مقالتنا السابقة في المشرق (٦: ٨٦٥)

٢) راجع مقالتنا عنها في المشرق (٨: ٣٨٥) وقد صوّرت هناك على كبرها الطبيعيّ

(Zebédili) شمالي بريطوريا وكذلك في مقاطعة واطربرغ وفي عدة مواضع غيرها وفي روديسيا ومستعمرة الاورنج

وقد قال المستر باونت (Beunet H. Brough) ان محصول العالم من الالماس حتى سنة ١٩٠٢ كان ٨٣ مليون قيراط او ١٧ طنًا بالتقريب فمن هذا العدد ٦٨ مليون قيراط استُخرجت من جنوبي افريقية ثم تأتي بعدها البرازيل ١٥ مليون قيراط ثم تأتي بعدها بورنيو وبلاد الهند بمعدل ٣٠٠,٠٠٠ قيراط

الماس النهري

يوجد الماس النهري على ضفاف نهر القال بطولٍ تعديلهُ ٧٠ ميلًا قرب كمبرلي ومما يقال ان خمسة الاف عامل يشتغلون هناك

واما محصول هذا الماس سنة ١٨٩٠ فكان ٢٨,١٢٨ قيراطاً بقيمة ٧٩,٢٣١ ليرة انكليزيَّة بمعدَّل ٩٠ ليرة لكل عامل واما سنة ١٩٠٥ فكانت معدَّل اجرة العُمَّال ٧٨ ليرة لكل عامل وسنة ١٩٠٥ وجدت اثار عديدة لهذا الماس في روديسيا

٢ معادن الفحم

ان معادن الترنسفال وحدها انفقت من الفحم سنة ١٩٠٣ ١,١٣٧,٢٥٤ طنًا يقدَّر ثمنها بـ ٨١٥,٣٥٠ جنيهاً. وأُحرق من نوع «الكوك» المستخرج من الفحم وهو يعطي حرارة قويَّة جدًّا ما يبلغ ثمنهُ ٢٠,٠٧٦ جنيهاً

والفحم المعدني في الترنسفال كثير واكثرهُ في البلاد العالية عن سطح البحر بعض الارتفاع ويقدرون مساحة هذه الاراضي الحاملة الفحم ٥٦,٠٠٠ ميل مربَّع واكثر معادن الفحم المكتشفة يبلغ العرق الفحمي فيها من ١٠ اقدام الى ٥٠ قدماً سمكاً

لكنهُ في بعض الانحاء يوجد الفحم المعدنيّ مختلطاً بعنصر الدوليريط (Dolérite) فيتلف ولولا وجود الدوليريط هذا في بعض الحالّ لكانت جهات جنوبي افريقية اغنى بلاد الله من هذا القبيل

ويُستخدم هذا الفحم المستخرج لاجل الوقود في مستعمرة الكاب وناتال واكثر الفحم المستخرج من الترنسفال يُستخدم لتعدين الذهب ولو توفقت شركات الفحم فيها الى اصطناع نوع جيد من الكوك لاجل تصفية الذهب لزادت ايضاً مقطوعيته

واما الفحم المستخرج من ناتال فيباع اكثره للبواخر التجاريّة وغيرها القادمة الى ثغور البلاد كما ان الحكومة في ناتال تقدّم كل سنة للاسطول البريطاني ١٢ الف طنّ منهُ

—الفحم في مستعمرة الكاب— يوجد الفحم في هذه المستعمرة قرب بلدة مولطينو (Molteno) واندوي (Indwe) بكثرة ويتّصل بهذه المعادن فرع من السكة الحديديّة الشرقيّة طوله ٦٦ ميلًا ولكن معادن الفحم في مستعمرة الكاب ليست من الصنف الجيد فان انواعها احط جميع انواع الفحم في جنوبي افريقية . وقد كان محصول هذه المعادن سنة ١٩٠٥ ١٦٤,١١٢ طنًا بقيمة ١٣٦,٩٣٨ ليرة انكليزيّة

وقد توجد ايضًا معادن الفحم في كالا (Cala) وقرب ماكلير (Maclear) وقرب كرادوك (Cradock) وقرب بوفور وست (Beaufort West) في جبال الكارو (Karroo) المشهورة والامتحان لم يطلعهم حتى اليوم على نوع هذا الفحم أهو من الجنس الجيد ام لا ولكن يؤمل العارفون وجود مستودعات جيدة جدًا من هذا الفحم تحت الطبقات الارضيّة التي يتكون منها الكارو

— الفحم في ناتال — اكتشف الفحم في ناتال سنة ١٨٣٩ واهمُّ واغنى هذه القاطعة موجودة ما بين بلدتي نيوكاستل (Newcastle) وايلندسلخت (Elandslaagt) واما المعادن المكتشفة في اوترخت (Utrecht) وفريهيد (Vrijheid) فلم تعدّن حتى الآن وقد تبتاع البواخر من ثغر دوربان بقيمة ١٥ شلينًا ونصف الطن الواحد من هذا الفحم

وكان محصول الفحم سنة ١٩٠٥ ١,١٢٩,٤٠٠ طنّ واما في بلاد الزولولند فيوجد معدن للفحم يمتدّ الى ٢٥ ميلًا من جون سنطا لوسيا (Santa Lucia) وسمك العرق الفحمي فيهِ ٣٢ قدمًا وهو من افخر واجود اجناس الفحم

—الفحم في مستعمرة الاورنج— لم يُعدَّن في هذه البلاد الّا القليل من معادن الفحم الكثيرة في تلك البقعة واهم المواضع المكتشف بهِ هذا الفحم هو على مقربة من بلومفنتين (Bloemfontein) ١٢ ميلًا الى الشمال الشرقي وقرب كرونستاد (Kroon-staad) وهيلبرون (Heilbron) وقرب بلدة فليجوان دريفت (Vljuins Drift) واما محصول الفحم فيها فكان سنة ١٩٠٥ ٤٧,٩٢٦ طنًا

— الفحم في الترنسفال — ان بلاد الرند التي فيها بلا مشاحة اغنى معادن الذهب المكتشفة في العالم لما كانت بلغت هذا الشأن من الاهمية والعظمة لولا وجود معادن الفحم على مقربة منها فان في معادن الرند الشرقيَّة طبقة الفحم الحجري تعلو فوق طبقة الذهب ويستخرج المعدنان من النفق الواحد فلا يخفى على القارئ اللبيب كم يكون هذا الاتفاق العجيب مهمًّا في بلاد مثل الترنسفال حيث لا توجد مجاري مياه طبيعيَّة لتوليد القوة الكهربائية لتشغيل المعادن والمعوَّل عليهِ الان بالتعدين هو الفحم وحده

وقد انفقت معـادن الفحم سنة ١٩٠٥ ١,٤٧٤,٤٢٨ طنًا من الفحم بثمن ١٣ شلينًا وتسعة بنسات ونصف الطن الواحد بمعدَّل شلين وتسعة بنسات لكل طن من التربة الذهبيَّة المستخرجة

واما المعادن الفحمية المهمة فهي معادن براكپان (Brakpan) وميـدلبرغ (Middelburg) وهيدلبرغ (Heidelburg)

وتوجد كذلك معادن الفحم في جنوبي جوهنسبورغ قرب فرنيخن (Vereen-ging) ومنها يُستجلب الوقود لخدمة السكك الحديديَّة الترنسفالية . وكذلك يوجد الفحم بكثرة قرب واطرفال (Waterval) الى شمالي بريطوريا . ومن محاسن هذا المعدن الوحيد انهم لمَّا حفروا فيهِ اول حفرة لاستخراج الفحم وجدوا بين طبقات الفحم عرقًا من اغنى العروق الذهبيَّة المكتشفة لحد الان يعطي اكثر من احدى عشرة اوقية من الذهب في كل طن واحد من التربة . وقد يوجد الفحم ايضًا في بطرسبرغ . واما محصول الفحم في الترنسفال فكان سنـة ١٨٩٥ ١,١٥٢,٢٠٦ طنًّا فبلغ سنة ١٩٠٥ ٢,٥٣٩,٧٠٦ طنات بيعت بنحو ٨٤٣,٤٠٠ جنيه

— الفحم في سوازي لند — اكثر انواع الفحم الموجود في هذه القاطعة هو من نوع الانطراسيت (anthracite) وقد اكتُشف اكثرهُ في البلاد المرتفعة قليلًا عن سطح البحر وسوف تعدَّن هذه المناجم على طريقة نظاميَّة عند تتمَّة السكة الحديديَّة اليها

— الفحم في باسوتولند (Basoutoland) — يظن العلماء ان الفحم موجود بكثرة في هذه القاطعة لكنَّهم لحدّ الآن لم يستخرجوا منهُ شيئًا

— الفحم في بشوانالند — اكثر معادن هذه الناحية ليس فحمها من النوع الجيد وليس من وراء تعدينها ارباح تذكر

— الفحم في روديسيا و بلاد شركة اواسط افريقية الجنوبيّة — معادن الفحم في هذه البـــلاد عديدة جداً وغنيَّة الى حدٍ يصعب تصوّره فعلى جانبي نهر الزمبيز يوجد الفحم بكثرة غريبة وقد قال المستر ڤان ناس (V. Ness) ان نوع الكوك الموجود في هذه القاطعة صالح كل الصلاح لاجل تسييل الفضة والذهب وقال المستر بنكستون (Pingstone) ان الفحم الموجود في هذه القاطعة يفوق جميع انواع واصناف الفحم الموجودة في الترنسڤال

واما اهم المعادن الفحميَّة في تلك الناحية فهي معادن وانكي الواقعة على مسافة ٢٠٠ ميل شمالي بولوايو وطبقات الفحم الموجودة فيهِ يقال ان سمكها ١٨ قدماً وتمتدّ مسافة عشرة اميال وانهـــا توازي ٣٠,٠٠٠,٠٠٠ طنّ من انقى انواع الفحم ومما زاد هذه المعادن شهرة هي طريق السكة الحديديَّة المارّة بها الى شلالات ڤيكتوريا وقد كان محصولها سنة ١٩٠٥ ٩٧,١٩١ طنًّا من الفحم

وقد يوجد كذلك معدن يدعى (Sengue) يُروى عنـــهُ انهُ من اغنى المعادن الفحميَّة المكتشفة ايضاً

— الفحم في بلاد الزمبيز — توجد مستودعات غنيَّة للغاية في هذه القاطعة والتعدين قائم بها على قدم وساق واهمّ معادنها الى مسافة عشرين ميـــلًا الى شمالي بلدة تاتي (Tati) كذلك يوجد مستودعات ارضيَّـــة للفحم قرب شلالات مرشيسون وقرب نهر شيره (Shiré) وكذلك بين شيره والزمبيز على بعد خمسين ميلًا من جبال شيره العالية وكذلك الى الشمال الغربي من بحيرة نياساً (Nyassa)

٣ معادن الفضة

ان العارفين بتركيب الطبقات الارضية قد استدلُّوا على وجود معادن الفضة في كل جهات افريقية الجنوبيَّة من نواحي بُرت اليزابت الى بلاد قبائل المتابيلي ومن كلڤينية الى ناتال . الّا ان تعدين هذا المعدن محصور في بعض الانحاء وخصوصاً قرب بريطوريا وقرب زيروست (Zeirust) وتعرف معادنها بمعـــادن ماريكو (Marico) التي يستخرج من تربتها نحو ٦٠ اوقيَّة من الفضة في الطن الواحد . ومن المعلوم ان معادن الفضة يُحتاج الى تعدينها كميَّة وافرة من الفحم لتصفية المعدن وتسييلهِ . وفي الترنسڤال

« الكوك » وافرٌ جدًا ومن ثمَّ لا شيء يعوق العملة عن توسيع نطـاق تعدين تلك المناجم

وقد ثبت اليوم انَّ القدماء عدَّنوا مناجم الفضة في مستعمرة الكاب شمالي كاب تاون في الجهة الموازية لجزيرة پومونا (Pomona) وكذلك قد شاع آخرًا انهُ وجدت معادن فضيَّة في بلدة اوتافي (Otavi) في بلاد الجرمن الغربيَّة وفي معاملة ماشونالند وجدت كمّيات وافرة من الفضة مختلطة بمعادنها الذهبيَّة فاستخرجوا من الفضـة سنة ١٩٠٦ ٢١٦,٦٢٤ اوقية

٤ معادن النحاس

اكتُشف النحاس في جنوبي افريقية في القرن السابع عشر والمعـدن المكتشف وقتئذٍ هو اول معدن عدَّنهُ قومٌ بيض البشرة وقد أُرسل منهُ الى اوروبا سنـة ١٨٥٢ احد عشر طنًّا واما الان فان المحصول السنوي يربو على الاربعين طنًّا

واهم معادن النحاس تخصُّ قومبانيات محدودة وهذه المعادن في مستعمرة الكاب وهي واقعة على مسافة ١٩ ميلًا بين برت نولوط وكاب تون وكذلك توجد معادن مهمَّة في ناماكوالند وفي مستعمرة الجرمن الغربيَّة

وقـد كان وارد النحاس في مستعمرة الكاب سنة ١٩٠٥ ١٩,٥٥٠ طنًا بثمن ٣٠,٠٦٩ جنيهًا وقد اكتُشف الان على اثار من معادن النحاس القديمة التي كان يقوم بتعدينها الوطنيون على ضفاف الليمبوبو وفي مستعمرة الالمان الغربية ودمارالند (Dam-araland) و يسعون الان بتعدين مناجم غاية في الغنى في بلاد روديسيا الشرقية تعطي الى ٥٤ بالماية من النحاس وقد اكتُشف ايضاً على معادن قديمة من هذا المعـدن يبلغ عمقها من ١٠ الى ٥٠٠ قدم وجدوا بها معدات تعدين النحاس بكاملها مع الاتاتين المعدة لتسييل النحاس وقد توجد مستودعات ارضية نحاسيَّـة الى جهتي ضفاف الزمبيز وفي مقاطعة فيكتوريا في روديسيا وفي اودية جبـال مرشيسون في الترنسفال وقرب فرنسيستون وقرب بلدة فريهيد (Vrijheid)

٥ معادن الرصاص

معادن الرصاص كثيرة قرب مـاريكو في الترنسفال حتى انهم استخرجوا في يوم

واحد اربعة طنات منهُ وقد استدلوا على وجود الرصاص في اكثر انحاء افريقيا الجنوبيَّة وهو يوجد مرارًا مختلطاً بالذهب كما ترى في جبال ماشونالند وقد يكون وقتئذٍ على شكل القصدير المتبلور

واما في روديسيا فبلغ وزن الرصاص المستخرج سنة ١٩٠٦ ١,٣٣٤ طناً وقد اكتشف موخرًا على مستودعات من الرصاص غنية جدًّا الى الشمال الغربي من روديسيا

٦ معادن التوتيا

توجد معادن التوتيا في مقاطعة مالماني واطر بورغ (Waterborg) غربي الترنسفال وكما هو معروف ان هذا المعدن يستخدم لافراز الذهب عن سيانيد دي بوطاسيوم فيصير من وراء تعدينهِ هنا توفير عظيم لتعدين الذهب ولذلك قد اقبلوا على استخراجهِ وقد اكتشف ايضاً على التوتيا في روديسيا الشمالية

٧ معادن التنك

اكتشف التنك بوفرة في بلاد السوازي لند الى ستين ميلًا شرقي بحيرة كريسّي (Ghrissie) ومستودعاتهُ بين صخور صلبة ويقال ان الطن من التربة يعطي من ٢٠ الى ٣٠ لبرة من المعدن المخلوط او ٢١ لبرة من التنك الصافي . واما معادن مبابان (Mbeban) التنكية فيقال ان محصولها سنة١٩٠٦ زاد على ٢٢٠ طناً .وقد وجدت ايضاً مستودعات التنك قرب كراهامستون (Grahamstown)

وقد اكتشف موخرًا على معادن غنيَّة جدًّا من هذا المعدن الى مسافة ١٦٥ ميلًا قرب كاب تون وقد استخرج منها سنة ١٩٠٥ ٤٨ طنًّا من التنك

٨ معادن الحديد

وقف علماء الجيولوجيا على مستودعات حديديَّة في مستعمرة الكاب والاورنج والناتال والترنسفال وروديسيا ومقاطعة الشركة الانكليزية لاواسط افريقية لكنها الى هذه الغاية لم يعدن منها شيء. وقد تقرَّر الآن ان الحديد كان يعدن في هذه البلاد من اقدم الزمن وقد توجد اثار هذه المعادن في ماشونالند والاتاتين التي كان الحديد يسيل فيها كانت على مثال امرأة وقد تكلم عنها المستر تيودور بنت (Th. Bent) وغيرهُ من السيَّاح

ومما يقال ان الحديد المكتشف قرب دندو (Dundu) في مستعمرة ناتال هو من اجود انواع الحديد في المعمور

ومما يستحق الذكر هنا ان الزنوج الوطنيين لا يزالون الى يومنا هذا يستخرجون الحديد من قلب الارض ومنهُ يتخذون اسلحتهم وسهامهم

وقد توجد قرب شلالات ڤيكتوريا مستودعات فحم وحديد غنية للغاية ومما يعتقد بهِ ويؤكد انهُ في المستقبل يكون لجنوبي افريقيا شأن عظيم بتصدير قضبان الحديد الفولاذية وغيرها من المصنوعات الحديدية

٩ معادن الزئبق

يوجد هذا المعدن في الترنسفال وماريكو والى الغرب وقرب باربرتون والى الشرق ويقال انهُ موجود ايضاً بضواحي كاب تون ونواحي كريكوالند الغربيَّة ومعلوم ان هذا المعدن يستعمل لتعدين الذهب في الترنسفال وتساوي الزجاجة الواحدة منهُ من ١٠ الى ١٢ ليرة انكليزيَّة

١٠ الملح

توجد احواض الملح في كل مستعمرات افريقية الجنوبيَّة واما اعظمها شأناً فقرب ويتينهاي وقد كان محصولها السنة الماضية ١٠٠,٠٠٠ كيل. كذلك للَّاحات كاروك ومالمسبري وبلومفونتين وبورت اليزبث وبرادسدروب وكمبرلي وبيكتبرغ شأن في استخراج الملح وملحها من اجود انواع الملح المنقى

١١ الفحم الخشبي والپلمباجين

بوشر من مدَّة بتعدين منجم من هذا الصنف في جبال اينجالي في ناتال واما سمك طبقة هذا المعدن فتربو على ٥٠ قدماً وقد اكتُشفت ايضاً مستودعات اخرى من هذا المعدن كما في جنوبي افريقية ويرجو العارفون نجاحاً عظيماً ومستقبلًا باهراً من وراء هذا الصنف ويستعمل اكثرهُ لطلاء الماكنات صيانة لها من احتكاكها المتواصل وصوناً لها من التحطيم

هذه اخصّ المعادن التي في بلاد الترنسڤال. وهناك عناصر اخرى ثمينة لا يسعنا وصفها ونكتفي هنا بالاشارة اليها تتمة للفائدة. فمنها الاثمد (antimoine) يوجد

منهُ كميَّات وافرة فيُرى تارةً منفردًا كما في مقاطعة دي كاب وتارةً مختلطاً اماً بالذهب ومنهُ معدن في جبـال مورشسدن . واماً بالفضة ومعدنهُ في جبال زوطبنبرغ (Zoutpanberg) وفي تلك الجبال ايضاً معدن الميكا (mica)

ومنها معدن الطلق (asbeste) وهو معدن لا تعمل فيهِ النار . وقد اكتشفوا منهُ عدَّة معادن في بلاد اورنج والترنسفال . اشهرها معدن واطر برغ (Waterberg) وكلها تعدَّن بالنجاح . وفي سنة ١٩٠٦ وجدوا منهُ منجماً غنيًّا شرقي مدينة كارولينا . ويباع الطنّ منهُ بنحو عشرين جنيهاً

ومنها الكبريت فانَّ منهُ مستودعات كثيرة اشهرها معادن تولي (Tuli)

ومما وقف الجيولوجيون على حقيقتهِ وفرة الازيات المعدنية في جنوبي افريقيـة . وسيُصبح لها شأن كبير بلا محالة . وقد باشروا منذ بضع سنين استخراج زيت البترول وتشكَّلت لذلك عدَّة شركات ربحت ارباحاً طائلة باستثمارها

امَّا مقالع الحجارة فمنها اشكال شتى في انحاء البلاد كالحجارة الكلسيَّة والحجر السمَّاقيّ وانواع الرخام والصلصال الفاخر الذي يصطنعون منهُ الآنية الخزفية والكاولين الذي يصلح لعمل الآنية الصينيَّة

ومما يستحقُّ الذكر ايضاً المياه المعدنيَّة التي تنبع في جهات افريقيـة الجنوبيَّة ويعرف الاهلون خواصَّها فيستحمُّون بها وحتى الآن لم يشع ذكرهـا بين اطباء اوربا وهي تجاري بمنافعها الحمامات الشهيرة

وفي جنوبيّ افريقية ذلك السرقين الذي يُعـدّ من افخر اجناس السَّماد اعني بهِ الگوانو (guano) الذي سُمِي بذلك لكثرتهِ في جزيرة گوانو على شطوط مستعمرة الكاب وهو زبل الطيور ينفع الزراعة نفعاً عظيماً والمزارعون يقبلون عليهِ ايّ اقبال . وقد استُخرج منهُ سنة ١٩٠١ ٢٧٧٣ طنًّا وبيع الطنّ الواحد بست ليرات

وكذلك توفَّقوا الى اكتشاف النترات او ملح البارود في جبـال دوورنبرغ (Doorn-Berge) وفي ماشونالند وفي جبال كاريكاري وتعدينهُ لا يستوجب عناء كبيرًا وارباحهُ كثيرة فانَّ كل طنٍ منهُ يباع بثمانية عشر جنيهاً

وزد على ما تقدَّم معادن اخرى لم يُعدَّن منها حتى اليوم الَّا النزر القليل كالشبّ والالومينيوم والزرنيخ والبسموث وسولفات الباريوم والمغنيسيا والمنكانيز والنيكل

والبلاتين والعناصر المشعَّة كالاورانيوم وكثير من الحجارة الكريمة كالياقوت والزمرُّد واللازورد والعقيق واليشب وغير ذلك

هذا ما رأينا تسطيره بعد العناء الطويل افادةً لابناء الوطن الاعزَّا وغاية ما نرغب ان تدبَّ فيهم الغيرة والحميَّة لاستخراج ما تحتويهِ بلادنا الشامية من المعادن او على الاقل رجاء ان يضاعفوا الهمم في تحسين زراعة بلادنا وهي الثروة الثابتة التي تُغني البلاد وتشمل بالمنافع عموماً وهي بذلك تفوق ثروة المعادن التي لا ينتفع منها الّا بعض الافراد واصحاب الشركات الماليَّة . وفَّقنا الله الى ما بهِ الخير والنفع وهو السميع المجيب

الزراعة في العراق

بقلم يوسف رزق الله غنيمة البغدادي

من الامور المقرَّرة التي لا يشوبها ريب البتَّة ولا يختلف فيها اثنان هو ان توسيع نطاق غنى البلاد وازدياد ثروة الاوطان قائم بترقية الزراعة وتقدُّم الصناعة وامتداد التجارة . وللزراعة المقام الاول بين غيرها من جواذب الذهب ومسهلات التقدم والعمران فيها تكثر الارزاق وتتوفر اسباب الراحة والهناء فتجري الانهار لبنًا وتفيض عسلًا وتعطي الاراضي الغلّات الوافرة فيجني الغارس الخيرات والبركات ويحصد الزارع ثمرة اتعابه ويشبع الاهلون حامدين شاكرين وما زاد عن حاجاتهم من حاصلات زراعتهم يصدّرونهُ الى غيرها من البلاد فتعوّض بالاصفر الرنان والابيض الفتَّان وعلى هذا المبدأ يجوز ان يقال ان الزراعة كنز لا يعرف النفاد وبحر زاخر لا ينضب ماء غنائهِ والأمة التي تسكن اخصب ارض هي عندي من الامم الراتعة في بحبوحة الرغد والطمأنينة وان شاءت لامكنها ان تجري شوطاً بعيدًا في الالفة

ان العراق قد دخل اليوم في طورٍ جديد نظرًا الى اهمية مركزهِ اذ انَّ مسألة القطار الحديدي البغدادي قد نبَّهت الافكار لدرس مستقبلهِ السعيد ووجهت الخواطر والانظار الى استطلاع دواعي ثروتهِ الزراعيَّة فكتبت النبذ الكثيرة في المجلّات والصحف

الّا ان اغلبها لا تشفي العليل ولا تروي الغليل لانها أُخذت نقلًا عن القال والقيل وليس الخبر كالعيان اما هذه الاسطر فقد كتبت بعد الوقوف على اهم المصادر القديمة والحديثة العربيّة والاوربيّة وتطبيقها على الحالة الحاضرة . وقبل الخوض في البحث لا ارى بدًّا من تحديد العراق وما يُراد بهذا اللفظ . وقد ذهب مؤلفو العرب مذاهب شتى في تحديده . قال بعضهم : العراق الطور والجزيرة والعبر واوصلهُ غيرهم الى البحرين . امّا المدائني فارتأى انهُ يمتد من هيت الى الصين و يشمل السند والهند والريّ وخراسان وسجستان وطبرستان الى الديلم والجبال وقال غيرهم : العراق اوّلهُ شرقي دجلة والعلث على حد طسوج بُزُرْجسابور وهي قرية تناوح حربى موقوفة على العلويّة وفي غربي دجلة حربى ثم يمتدّ الى آخر اعمال البصرة من جزيرة عبّادان وكانت تعرف سابقًا بعيسان . والعراق هو السواد ايضًا . كل هذه الحدود وغيرها لا تفي اليوم بالمرغوب في هذا البحث الزراعي فرايت الاجدر بان اقتصر في هذه المقالة على ولايتين من ولايات الممالك المحروسة العثمانية وهما ولاية بغداد والبصرة وما تحتويان من السناجق والاقضية والنواحي وعليهِ فيحد العراق شمالًا ولاية الموصل وجنوبًا خليج فارس وجنوبًا غربًا الصحراء الشامية وشرقًا العجم وغربًا متصرفية دير الزور ومساحة هاتين الولايتين تبلغ نحو ٢٧٠,٠٠٠ كيلومتر مربعٍ

وقد عرفت هذه البقعة منذ القرون المتناهية في القدم وأزهر فيها اوّل تمدُّنٍ اي التمدن البابلي وقد ذهب قدماء المؤرخين الى ان فيها خُبِزَ اول خبزٍ . و بيروسس الكاهن الكلداني يطريءُ اطراءً لا مزيد عليهِ صلاحية هذه الارجاء لزراعة الحبوب ووافقهُ على رايهِ جمهور العلماء المتأخرين وفي سنة ١٨٠٧ عثر الرحالة اوليفيه (Olivier) في مسيل غير صالح للزراعة على حنطة وشعير قد نبتا عفوًا اي دون زراعة كما اوجدتهما الطبيعة في طورهما الاول وقد عثر بعدهُ غير واحد من العلماء على مثل هذه الحبوب فلعمر الحق ان هذا لشاهد ساطع على خصب السواد . ولم تصر مركزًا ومحطًا لرحال الاقوام والامم المختلفة الّا لما خصتها الطبيعة باوفى نصيب من جودة المناخ وخصب الارضين وريها وقد حكم الجغرافيُّ اليزه روكلو (E. Reclus) بهذه المسئلة بفكر صائبٍ اذ قال : ليس من ارض وافق فيها هيئة ارضها حظوظ اهلها من جهة السعادة والبؤس مثل هذه البقعة فان هذه بالحقيقة قد ظهرت هناك ظهور الشمس في

رابعة النهار اه . اي نعم لولا خصب هذه البلاد وريها لكانت صحراء قفرًا جرداء لا يسكنها بشرٌ ولا يحلّ بها شعبٌ من الشعوب وكما ان سبب حياة مصر هو النيل كذلك العراق فان سبب حياتـه هو دجلة والفرات . ولكن اين خصب مصر من خصب وطننا فشتّان ما بين الثريّا والثرى فحدّث عن ريهِ ولا حرج ويوافقني على قولي هذا السيّاح القدماء وكتبة العرب والزرّاعون الذين وطئوا هذه البلاد لا بل الاراضي واسماؤها شاهدٌ ناطق على ذلك . ورد في رحلة هيرودوت (١ : ع ١٩٢) الكلام الآتي: وتنمي عند (البابليين) الزروع جدًّا حتى لا تضاهيها ارضٌ مخصبة بكل اقطار العالم فان الحبوب تعطي مائتي ضعف وعند الاقبال تعطي اكثر من ثلثمائة ضعف . . . وورق الشعير بعرض اربع اصابع اما الذرة والسمسم فلا اذكر عظم خصبهما ونمو جذوعهما لانني اعلم يقينًا ان كل من لا يعرف تلك الاقطار لا يصدقني ولذلك ضربت صفحًا عن ذكرهما . وجاء في معجم البلدان : العراق اعدل ارض الله هواء واصحها مزاجًا وماء اه . وكان الفرس يسمون العراق دِل ايرانشهر ويشبهونهُ بالقلب وسائر الدنيا بالبدن وسمَّى العرب العراق سوادًا لانهم لما اقبلوا اليهِ ورأوا من بعيد اراضيهِ مغشاة بالزروع والنخيل كانهُ بقعة سوداء لقَّبوه بالسواد . وجاء في مادة فلوجة : قرية من قرى بغداد وهي الارض المصلحة للزرع وكذلك اسم الانبار اي الاهراء فانـهُ يدل على خصب الارض هناك . فهذه كلها وغيرها من الادلة والشواهد على خصب العراق ليست بشيء بازاء ما نشاهدهُ عيانًا من خصب الارضين رغمًا عن جهل الفلّاح العراقي واتخاذهُ الادوات السقيمة من النمط العريق في القدم واستعمالهُ الطرائق الزراعية التي يُرقى استنباطها الى الالوف من السنين وهذا ما اذهل المهندس الزراعي الشهير المستر ولكوكس بعد ان درس العراق الزراعي درسًا جديًّا

ان الغنى الزراعي يتأتى من حسن التربة والري والمناخ وكيفية تدبير الفلّاح هذه الامور واتخاذهُ الوسائط الفعّالة لتحسين الزراعة وقصدي ان اتكلّم عنها كلها في هذه العجالة راجيًا غض النظر عن الزلل واصلاح موقع الخلل والعفو من شيم الكرام

— تربة العراق — نظرًا لموقع العراق الجغرافي فان طولـهُ شرقي باريس من ٣٨° ٤٠' الى ٤٦° ٣٠' وعرضهُ من ٣٥° ٥' الى ٣٠° وارضهُ مكونة جيولوجيا من تراكم طماء النهرين دجلة والفرات المتصل ولهذا تراها سهلة لا جبل فيها ولا ارتفاع يذكر الَّا جبل

حمرين الذي يمتد في مركز سنجق بغداد من الشمال الغربي الى الشمال الشرقي ثم يدخل في ولاية بغداد وعرضهُ نحو ٥ كيلومترات فقط . هذا وان اغلب اراضي العراق صالحة للزرع وهي ذات حصوبة وريع يضرب بهما المثل لان تربتها جيدة وغنيــة بالمواد الكياوية لتغذية النبات وتقسم على النسبة الآتية تقريباً

٥/١٠ اراضٍ صلصالية رملية وهي جميع مزارع القمح والذرة والسمسم والحدائق والبساتين

٢/١٠ اراض طرَوية نسبة الى الطرا (humus) وهي البطائح ومزارع الارز ومنابت السوس وغيرها

١/١٠ اراض رملية نقية

١/١٠ اراض صلصالية نقيّة من هذه الاراضي تتخــذ مقالع الصلصال لعمل الآجر

١/١٠ اراض صخريّة وهي اطراف هيت والفلوجة اذ تكثر مقــالع الجص والكلس والغضار

هذا نظر عام وتقسيم تخميني في اراضي العراق يظهر منهُ بنوع كافٍ مواد تربتها ولهـــا في فيض النهرين دجلة والفرات اعظم نصيب من تجديد قوتها وتعويض المواد التي تفقدها كل سنة بتغذية النبات والمزروعات فالنهران في ابان الفيض يخرجان معهما من السواحل والضفاف جذوع الاشجار ونفــاية المزدرعات وجثث الحيوانات وفضلات اوساخ المدن واقذار القرى ثم تمر مياههما على اراض معدنية متوفرة المواد الكياويّة من الازوت والحامض الفسفوري والحديد والبوطاس والحامض الكبريتي وغيرهــا فتحمل منها للاراضي احسن هبة وتكسوها بالغِرْيل ولقــد وهم المسيو مالت برون (Malti Brun) صاحب كتاب الجغرافية اذ انكر على دجلة والفرات الطما . فان ميــاههما تكون في زمن الغيض صافية لكن في ابان الفيض تعتكر اعتكارًا كليًا حتى تبــاين للناظر بلون يضرب الى الحمرة. والفيض موسمهُ الربيع من منتصف شباط الى اواخر ايار فتطفح المياه على الاراضي وترويها وتغشيها بغشاوة يختلف ثخنها حسب اختــلاف الاراضي وتتراوح بين الـ ١٠ س الى ٥٠ س والفيض اذا كان معتدلًا يفيد فائدة عظيمة ولكن قد يتجاوز حد الاعتدال ويهدم الاسداد ويغرق المزدرعات فتصبح تلك النعمة

نقمة على الزراعة العراقيّة وذلك منذ عهد البابليين الى يومنا هـذا . وفي الفيض نظرٌ آخر وهو ان الغِرْيَل الذي تحملهُ المياه مهما تتراكم عند فوهة الانهر وفي داخلها فتطمرها وعلى هذا الوجه اندرست الانهر التي احتفرها البـابليون واليونان والفرس والمسلمون وطمست محاسنها بعد ان كانت تحمل الى البراري المقفرة مياه دجلة والفرات وتروِيها

— مناخ العراق — انهُ ملائم جدًّا لاغلب الاصناف النباتية لاسيما الفصائل التي تنبت في البلاد المعتدلة والحارة وجانب من نباتات البلاد الباردة ايضاً . فميزان الحرارة يهبط في قلب الشتاء الى ٦° تحت الصفر وهذا البرد لا يدوم الّا ايّاماً قلائل تعد على الاصابع وربّما لا يحدث في كل عام. اما في رمضـاء الحار فيصعد الى ٤٠° من المقياس المئوي الّا ان ميزان الاعتدال يتراوح بين ٢٥ درجة و ٣٠ درجة والهواء نقي وجافٌ في اغلب النواحي الّا انهُ في مدينة البصرة وضواحيها وفي بعض المستنقعات يكثر سقوط الندى والطل ليلًا. والمطر يبتدئ بالسقوط في اوائل تشرين الثاني وينتهي في منتصف أيار غير انهُ في اغلب السنوات لا تكون كميته كافية لسقي المزدرعات التي تبعد عن الانهر. ففي سنة ١٩٠٣ سقط ٣,٧ انش وسنة ١٩٠٤ — ٤,٩٦ وفي ١٩٠٥—١٩٠١ ٣,١٩ وفي ١٩٠٧ — ٤,٦٥ . وهذا المقياس مأخوذ عن دفتر القنصليـة الانكليزيّة في بغداد . ولا اعلم كيف ذهب هيرودوت الى انَّ في بلاد آشور لا تمطر السماء ابدًا فالظاهر انهُ زار هذه الاقطار في الصيف اذ لا اثر للمطر عندنا

— ري العراق — ان ماء دجلة والفرات هو اعظم سبب لري العراق والقائم بديمومة خصبه والباعث الى غلته لا بل هو علّة ازدهاره وكينونة حياته. يخرج نهر دجلة قرب معـادن سوان واهم مصدر لهُ هواوچ گول ثم يجتمع اليهِ نهر آخر يدعى عين دجلة على مسيرة يومين ونصف من آمد (اي ديار بكر). وفي مسيره تارةً يقترب من الفرات وطورًا يبتعـد عنهُ وعند ما يمرّ بديار بكر تصب فيهِ مياه دجلة الشرقيـة ثم الزاب الاكبر والزاب الاصغر ودجلة يدخـل في حدود ولاية بغداد ١٥ كيلو مترًا في شمالي تكريت ويجري من الشمال الغربي الى الجنوب الشرقي فيمرّ بدورا وسامرًا ثم على تسع كيلومترات وانت منحدر من بغداد يصب فيهِ نهر ديالة ثم يمرّ بالمدائن وكوت الامارة والعمارة فالقرنة وهناك يمازج الفرات . ودجلة منذ دخوله في خطة العراق حتى اجتماعه بالفرات يقطع نحو ٦٣٠ كيلومترًا

اما الفرات فمخرجه من قرب مصدر دجلة عند معادن سوان كما سبق القول عنهُ قبيل هذا. ثم يصب فيهِ قسمٌ من مياه بحيرة صغيرة كولچك وتنحدر فيـهِ الامطار والثلمات التي تقوم شاخصة على ضفتيه وينضم اليـهِ نهر مراد وقبل ان يغادر الارجاء الجبلية تصب فيهِ بعض الانهر التي تجتمع في قمة الخطة العظيمة التي يخطها في غربي سلسلة طورس ومن هذه الانهر: الطوكه صو ويصبّ فيـهِ في اعالي جبل طورس الساجور ونهر البلخ قرب اورفا والخابور الذي يرد من طور عبدين والفرات يدخل الخطة العراقية في غربي بغداد نحو ٤٠ كيلو مترًا في غربي عانه فيمرّ بالحديثة وبغدادية وهيت والفلوجة والمسيب والحلّة والديوانية والملوم والناصرية وسوق الشيوخ وقرنة ومن اوّل مروره بديار العراق حتى القرنة يقطع نحو ٦٦٥ كيلومترًا اما شط العرب فطوله نحو ١٥٠ كيلو مترًا

ثم ان دجلة والفرات لم يزالا يغيّران سيرهما تارةً في جهةٍ وطورًا في غيرها وذلك امّا من تلقاء ذاتهما واغلب ما يكون في ابان الفيض وامّا طوعًا لاشغال البشر كالاعمال التي باشر بها نيقوطور وقورش والاسكندر الكبير لا بل هيرودوت يخبرنا بان نيتوكريس ملكة بابل احتفرت ترعًا في اعالي بابل وبواسطتها تحوّل نهر الفرات الذي كان يدفع مياهه فيها على خطٍّ مستقيم وصار جريه متلويًا بحيث انهُ اضحى يمرّ ثلاثًا بقرية اردريكة . وجاء في معجم البلدان في مادة شهرباذان: ألفرات تحوّل عنها فاضمحلّت مزدرعاتها وخربت. ودجلة ايضًا قد غيّر مجراه مرّات كثيرة تقرأ في مادة جوخا في ذلك الكتاب نفسه... لم يكن في بغداد مثل كورة جوخا كان خراجها ثمانين الف الف درهم حتى صرفت دجلة عنها فخربت ومنعًا لمثل هذه الامور كانت قد بنت الملكة سميرامس في عهدها سدًا عظيماً على نهر الفرات. ولو اردت الاطالة في هذا الصدد لخرجت عن موضوعي الزراعي ولكن اكتفي بهذا الوشل القليل لان نفس هذا التغيير يشاهد الى يومنا هذا

ان الامم المختلفة والاجيال المتعددة التي ترلت العراق منذ العهد العهيد والزمن القديم الى عصرنا الحاضر قد اعتنت في امر الري والسقي على درجات متفاوتة من الاتقان والترتيب على تفاوت حضارتها واختلاف مدنيتها وكل طور من اطوار الممالك المندرسة قد خلف لنا بعض الآثار التي تنبئ باهتمام تلك المملكة بالري وسقي

المزدرعات . هذه مملكة الكلدان المنقرضة فان ملوكها قد اعتنوا بكري الانهر (كذا ندعو الجداول والقنيّ التي احتفرتها ايدي البشر طبقاً لما سمّتها العرب في العراق وكانوا ولا يزالون يدعون دجلة والفرات الشطّ بمعنى النهر الكبير) فان حمورابي الملك البعيد الصيت (١٦٦٥ — ١٧١٠ ق م) كرى انهرًا كثيرة ومنها نهر حمورابي وغيره وفرّق مياهها على شُعب ثانويّة وجعلها تسقي اراضي جرداء فحولتها الى غياضٍ فيحاء وجنّات غنّاء . . . . وكان جلّ اهتمام هذا الملك احتفار الانهر وشقّ الترع بحيث كان كتبة زمانه يؤرخون كتاباتهم بتاريخ حفر نهر او شق ترعة وكذا قل عن خلفه شمشو الوتا (١٦١٠—١٦٤٥ ق م) فانهُ كرى نهرًا كبيرًا للسقي دعاه نكّاب نحسي ثم احتفر ايضاً اسوردانيل ورمان نيرار الثاني (٨٨٩ — ٩٣٠ ق م) انهرًا كثيرة واصلحا الاسداد التي كان قد اتلفها الفيض

وبعد الكلدان جاء الفرس فادّوا ايضاً الخدم المشكورة في الري فانهم احتفروا نهر وان او نهر كسرى الذي بهِ زهت الزراعة وبُنيت الضياع على جانبيه وكان مبتداه قرب حلوان وربّما سمّاه السريان تامُرا ايضاً وكان سبب خرابه على ما رواه ياقوت اشتغال الناس بالمحاربات في ايام السلاجقة

ومنها نهر زاور ونهر شيلي ونهر المرأة حفرهُ اردشير الاصغر وفي ايامهم كان نهر سورا ونهر الملك الذي يُنسب احتفاره الى الاسكندر الكبير وكان موقعه بعد نهر عيسى وكان عليهِ ٣٥٠ قرية على عدد ايام السنة . ومن مياه العراق البطائح وهي مستنقعات او اراضٍ كان يغمرها الماء في اسفل العراق بين البصرة والكوفة وسببها ان دجلة انبثق في ايام قباذ فيروز بثقاً كبيرًا بقرب كسكر فاغفل امره حتى غلب ماؤهُ وغرّق كثيرًا من الارضين العامرة كانت تليه وتقرب منهُ فلمّا وُلّي انو شروان العادل امر بذلك الماء فزُحم بالسنيات حتى عاد بعض تلك الارضين العامرة . ثم خلفه ابنه ابرديز وفي ايامه زاد الفرات ورجعت الحالة على اولها . ولما نزل المسلمون السواد بذلوا الجد والجهد في انهاض الزراعة لا بل ادخلوها في عصرها الذهبي ففاقت ايامها الغابرة . وفي عهد عمر بن الخطاب حُفر نهر الابلّة وكان مبداه من نهر الأجّانة والاجانة خور في دجلة العوراء سمّاهُ المسلمون بعد الجاهلية الجزارة ومن بعده حذا الخلفاء حذوه وكثرت تشعبات دجلة والفرات ومن بعضها : نهر معقل ونهر الاساورة ونهر عمرو ونهر ام حبيب

ونهر ام عمير ونهر طابحة ونهر حميدة ونهر بشّار ونهر العلاء ونهر الكحول ونهر الارحاء ونهر ابي الخضيب (وهو لا يزال معروفاً بهذا الاسم) ونهر ابي الاسد ونهر الدير. هذه كانت في اطراف البصرة وفي البصرة نفسها. ونهر ماري بين بغداد والنعمانية وكان مخرجه من الفرات ونهر النيل في سواد الكوفة حفرهُ الحجاج بن يوسف وهو الذي حفر ايضاً نهر الصين والزابي. ونهر ذراع كان بالعراق. ونهر القاطول حفره الرشيد في سُرَّ من راى

وقد ورد في مقدمة تاريخ بغداد لابي بكر ابن الخطيب اسماء الانهار الموجودة في الزوراء في عهد المؤلف وذكرها ايضاً قبله ابن سرابيون واليعقوبي فنقتطف منهم الفوائد الآتية: من اهم انهار دار السلام نهرا عيسى والدجيل ومنهما يتشعب انهار ثانوية تتخرق المحال والدور فتسقي الارضين. وكان مأخذ نهر عيسى من الفرات ويمرّ بفروز شابور وهي الانبار وعلى ضفافه القرى والضياع وعند المحوَّل كانت تتفرع منهُ الانهار التي تتسرب الى مدينة بغداد ثمَّ بقرية الياسرية والرومية وقنطرة الرمّان فيصب في دجلة اسفل قصر عيسى وآثار هذا النهر لا تزال ظاهرة الى يومنا وتعرف بالمسعودي ويقال ان عدد الانهار التي كانت تتفرع منهُ بلغت نحو ٦٠٠ نذكر بعضها: نهر الصراة وكان يسقي ضياع بادوريا وبساتينها (ومنهُ يتفرع نهر خندق طاهر). وكرخايا احتفره عيسى عمّ الخليفة جعفر المنصور في عهد تأسيس بغداد ومن كرخايا كان يتفرع انهار كثيرة تنبث في ضياع كانت على جانبيه منها نهر الدجاج ونهر الكبير ونهر قطيفة الكلاب ونهر طابق الخ. اما الدجيل فكان مأخذهُ من دجلة ويتفرع منهُ انهار كثيرة منها: نهر بطاطيا اوله كان في اسفل فوهة دجيل بستة فراسخ فيجيٌ الى بغداد فيمر على عبّارة قنطرة باب الانبار والى شارع الكابش فيتقطع ويتفرع منهُ انهار كثيرة تسقي الحربية وما صاقبها من الارضين ثم نهر بوطر ونهر بيل الخ

ولم يعتنِ العباسيون بحفر الانهار فقط للري بل كانوا يرقون المياه الى العلو بواسطة اعمال هندسية مائية ومن امثال ذلك ان عضد الدولة زرع لهُ بستاناً واراد ان يسقيه اولًا بالدواليب ولما علم ان تلك الوسيلة لا تفي بالمرغوب انفذ مهندسي عصره فحصروا المياه على نسقٍ هندسي فصارت تسقي البساتين بدون آلةٍ. هذه لمحة وجيزة في اعتناء الشعوب القديمة في امر الري اقتصرت على ذكرها لضيق المكان لان اغلب الانهر

ان لم ارد ان اقول كلها قد عفت رسوم آثارها ودخلت في خبر كان وذلك لرسوب غرَيل دجلة والفرات عند افواه الانهر واشتغال الناس بالمحاربات ولاسيما في عهد هولاكو والعجم

اما اليوم فاخذت الزراعة تتردّى بجلباب عزها وتتقدّم رويدًا رويدًا تحت ظل الدولة العليّة العثمانية. واليك اسماء الانهار التي تتشعب من الانهار الكبيرة كدجلة والفرات وديالة: من الفرات من جانبه الايسر نهر الكنعانيــة وعليه قرية الصقلاويّة ويصب في دجلة الى جنوبي بغداد ونهر الرضوانيّة مأخذهُ جنوبي فلوجة وينتهي عند مزار الست زبيدة ونهر المحموديّة ونهر اسكندر ونهر المسيب ونهر الحاويـل من ايّام هارون الرشيد. ونهر الشاه كُرِيَ في عهد الشاه عباس الكبير . ومن طريق اليمين نهر الحسين احتفرهُ السلطان سليمان الاول مدّة اقامته في بغداد سنة ٩٤٢هـ (١٥٤٤م) موقعهُ بين المسيب وكربلا في منتصف الطريق تقريباً . وبعدهُ نهر الهنديّة قيـل ان احتفارهُ كان على يد احد الهنود الاغنياء. ونهر ابي نـديم الخ ولولا خوفي من ان اورث الملل في نفس القراء لانهالت اسماء الانهار الموجودة على مسامعهم انهيال السيل لانّ في سنجق الحلة وحده يعد اكثر من ستين نهرًا يأخذ من الفرات ويقطع تلك الاصقاع طولًا وعرضًا

ومن دجلة من الجانب الايسر يتفرع نهر التحويطة ومن الجانب الايمن نهر دجيل والسماكية ونهر مشري والاحجلة الذي مصـدرهُ قرب العمارة . ونهر الداجه. ونهر الحي يخرج من دجلة قرب كوت الامارة ويمر بكوت الحي ويجتمع بنهر أُم الجمّال . ونهر أُم الجمّال من دجلة ايضاً في ٢٠ كيلومترًا من غربي الامارة ويجتمع بالفرات على ١٠ كيلومترات في شرقي سوق الشيوخ. ومن ديالة يخرج نهر دلتاوه والخالص ونهر بلدرز والهارونية ومهروت ونهر شروان وخريسان. ومن انهار العراق نهر الغظ في مندلي (وهي بندنجين) ونهر الوند في خانقين ومأخذهما من جبال العجم. ونهر الكلال الذي يسقي بدرة وجصّان . وفي البصرة انهر كثيرة تتشعب من شط العرب اخصهـا المهجران وحمدان ولوسفان والعشّار والحوزة والسراجي ونهر خوز وكتيبان ونهر جاسم الخ

هذا كلهُ ليس بشيء من جهة الخدم والمنافع الجمة التي تقدر ان تفيد انهار العراق لو بذل الاهلون الهمة في تصليح بعض الانهر القديمة كنهروان واصلاح الاسداد

وتخطيط انهر جديدة كثيرة لا سيما بين دجلة والفرات وانشاء مخازن لحفظ المياه عند الفيض فتتوزع على الارضين في وقت هبوط المياه وهذه واسطة ايضاً تحفظ الارضين من الغرق عند الفيض فان زراعة العراق تتحسن وتتقدَّم عشرين ضعفاً عمّا هي الآن وهذا كلام لا القيه على عواهنه بل يثبتهُ واقع الحال. وكثيرًا ما وقفت على دجلة آسفاً على الملايين من المترات المكعبة من المياه التي تنحدر بسرعة عجيبة وتصب في لجج البحر دون ان يُنتفع بها . فيا اسفاه على مياه دجلة والفرات العذبة التي تغنت بها الشعراء تذهب جزافاً وتختلط بمياه البحر المالحة !!

ان الارضين التي تزرع على ضفاف دجلة والفرات تكون غالباً عالية لا تصلها المياه عندما تكون في حدّ الاعتدال ولهذا اتخذ سكان بابل الآلات والادوات باكرًا لسقي المزارع وقد استعملت لسقي جنات بابل المعلقة احدى عجائب الدنيا السبع التي ابتناها نبوكد نصر وقد غُرست فيها الاشجار والاوراد النادرة وكان موقعها على رأي الموسيو اوبرت (Oppert) في تل عمران اليوم . وقد وصف هذه الآلات الجغرافي استرابون وذكرها هيرودوت في رحلتهِ ايضاً وهي اكدد . وما ادراكم ما اكدد ؟ آلة في غاية البساطة : يُرفع قائمتان على النهر يختلف علوهما بين المترين والثلاثة الامتار يجمع بينهما بخشبة معترضة ويركب على القائمتين بكرة من خشب التوت ويلقى عليها حبل وبالطرف الواحد من الحبل يشد راس الدلو واما الطرف الآخر من الحبل فيشد بحيوان . ثم تربط الدلو من اسفلها بقد من الاديم . فيمر القد من الاديم على بكرة صغيرة مركوزة على علو بضع سنتيمترات من الارض ويجتمع جانبهُ الآخر بالدابة ايضاً . والدابة يصعدها الرجل وينزلها في ميدان يُحفر في الارض يوازي بعد الماء عن الارض فاذا كان الرجل والدابة الى آخر الميدان صعدت الدلو ممتلئة ماء وصبت في حوض . والدواب المستعملة لهذه الغاية فهي البراذي (الكُدِش) والثيران وكلُّ دابة مع قائدها تشتغل اربع ساعات متوالية وهذا ما سموه بالعدة . ويعرف الفلّاح الوقت بالمزاول فاذا حان الوقت نادى رفيقهُ الذي تجي نوبته وهو لا يغلط ابدًا في الوقت ولتحقيق ذلك نظرت لهذه الغاية وضبطت الوقت في ساعتي فكان الوقت دائماً مدققاً

وفي البصرة يوجد طريقة اخرى لسقي الارضين وهي الاستقاء بالسلة او بالدلو

وهذا ما يُسمّى بالشادوف عند اهل مصر وبالمترقة عند قدماء العرب . ويلزم الفلّاح صبر القديس يوحنّا الصغير من سياح مصر لبلوغ اربهِ لان السلّة لا تستقي كل مرّة اكثر من لترين او ثلاثة لترات . وقد دخلت حديثًا النواعير الخشبيّة والحديديّة والمحركات التي تتحرّك بالبترول فبلغ عددها نحو ٤٠ محركًا وهي طريقة اقتصاديّة توفر مصاريف جمّة الّا ان العائق عن انتشارها ارتفاع اسعارها فان اصحاب الاملاك اغلبهم ضعيفو الحال وليسوا من المثرين

ولاهل العراق واسطة يقدرون ان يستعينوا بها لسقي الارضين وهي ان تتألف بينهم شركة ويجلبون محركات منتقلة تركّب في السفن فتمر السفينة من محل الى محل آخر عندما يراد سقيه . وفي ابان الفيض العالي المصطلح عليهِ بالحيال في العراق يصل الماء الى جميع الاراضي بدون استثناء وذلك توًّا من النهر بواسطة انهر محفورة لهذه الغاية بدون عناء ولا تعب

ومن المزروعات السنويّة ما هو عذي وهو الزرع الذي لا يسقيهِ الّا المطر ونحن العراقيين نسمّيهِ بالديم . وهناك نوع آخر من الزرع لا يسقى ابدًا بل يستمدّ ماءهُ من ارض دخلها السيل مدة طويلة فترك هناك غريلًا يبقى رطبًا مدّة مديدة فيبذر زرعًا يوافق تلك الارض وينتفع بماء قليل كالسمسم والمرطبان والذرة ونحوها ويسمون هذا بالكبس ويلفظونهُ (الچبسي) ويقولون اكِبَاسيّ (الچباسي) وفي البصرة اذا صعد الماء عند المد دخل المزدرعات وغيطان النخل فسقاها واذا جزر ترل عنها بعد ان يكون قد افادها كل الفائدة

— ادوات الزراعة — اي محراث وادوات يستعملها الفلّاح العراقي لحرث الاراضي وقلبها وحصاد زرعهِ ودرسهِ ? هذا امرٌ سهل الجواب عليهِ لانحصار دائرتهِ وقلّة موادهِ وضعف عدّتهِ . فان الادوات التي تتخذها ايدي الفلاحين العراقيين في غاية البساطة وبطيئة العمل جدًا يرتقي تاريخ وجودها الى الفي سنة وهي اثر من الآثار التي تنبيء باستمساك الشرقيين بعاداتهم القديمة وميلهم الى الالتصاق والتقيد بقيودها وان كانت تربطهم وتعيقهم عن الجري في مضمار التقدم والنزول في ميدان المسابقة

المحراث : خفيف الثقل بسيط التركيب مؤلف من خشب وقطعة حديد او ربّما كان كلهُ من خشب يسحب على الارض بيد الانسان او يسحبهُ حيوان او حيوانان ويجرّ

مراراً كثيرة على الارض الواحدة حتى يتمكن من حرثها ولولا هشاشة التربة العراقيّة لما قوي عليها هذا المحراث ولكن اين بطائه من سرعة الاعمال التي تقضيها المحارث الحديثة الاختراع المتقنة الصنعة التي تتحرك بالبخار على النمط الجديد

دوس الحنطة : لذلك ثلاث طرائق الاولى ان تُهرس بالمهراس وهو خشبة تضرب بها الحنطة فينفصل الحب عن السنبل. والثانية ان تكوَّم كوماً وفي نصفها يركز مرجاس وبالمرجاس تربط بغلة فتسحق الحنطة برجلها وبعده تذرّى الحنطة بالهواء بمذراة من خشب فيسقط القش بجانب والحب على البيدر الّا انَّ ارقى هذه الوسائط وارتبها نوعاً وهو المعوَّل عليه اليوم في العراق هي دوسها بالجرجر والجرجر اشهر من ان يوصف ويسمَّى في لغة الافرنج (Rouleau à dépiquage) فلتشاهد صورتهُ في معاجمهم وهي تقوم مقام الوصف

المرّازة — وهي مؤلفة من دائرة باسنان رفيعة من خشب مغروسة براس عودة وبها حبل فيتقابل عليها شخصان الواحد بازاء الآخر فالواحد يدفعها في قلب الارض والثاني يسحبها بالحبل الى الامام وتستخدم هذه الآلة لحرث الاراضي الهشة

المسحاء — لحفر الاراضي وقلع الاشجار وغرسها

المنجل — لقطف المزروعات وحصاد الحنطة والشعير وهذا معروف فلا يحتاج الى وصف واصفٍ . اه

— الفلاحون — من هم الفلاحون العراقيون والزراعون وفي اي مدرسة درسوا ؟ هم من عشائر الاعراب. منبثون في اطراف العراق تلذُّ لهم العيشة المتجولة وسكناهم تحت الخيام المصنوعة من شعر المعزى وكل قبيلة لها شيخ معروف من الحكومة العثمانيّة ويتفاخرون بالغزوات ويتباهون باعمال الرجوليّة يقضون ايامهم في كرٍّ وفر وظعن متواصل فلا يقرّ لهم قرار ولهذا ترى القرى قليلة في العراق فلا يبلغ عدُّها الستين. ولا يخفى الاديب الاريب ان القرى هي التي تجهز للمدن الرجال وتساعد على تقدم الزراعة تقدماً عظيماً فياليت اهل البدو كانوا يتعودون عيشة القرى ويستوطنون في مركز معلوم ويلهون نفوسهم بالزراعة ويتخذونها دأبهم وديدنهم فلو فعلوا لافادوا العراق بوجودهم اكبر فائدة الّا انهم في القرى ونواحي الولايات يسكنون في بيوت حقيرة من الطين ويجهلون القراءة والكتابة ومعلوماتهم الزراعية مقتصرة على الاختبارات المستطيلة

ومـا يتوارثهُ الخلف عن السلف ولم تصلهم بعد منافع الدروس الزراعيَّة القانونيَّة كما أنَّها لم تحدث ادنى تغيير في كيفية الزراعة العراقية

وقد جاء الى الزوراء بعض دارسي فن الزراعة مرتين او ثلاثاً ولكنهم لم ينجحوا في طرائقهم وذلك لاسباب نوردها لكي يطلع عليها من لهُ رغبة في درس هذا الفرع الجليل من الفنون ولا تتثبط همتهُ. فالسبب الاوَّل هو ان بعضهم كان من الحدثين في هذا الفرع ولم يحصّل منهُ الَّا المعلومـات النزرة . والثاني لانهم ارادوا زراعة بعض الفصائل النباتية في هذه النواحي كما تزرع في غير جهات بغض النظر عن اختلاف الاقاليم والمناخ والتربة. والثالث لكونهم لم يطابقوا دروسهم على اختبارات الاهلين التي لها اعظم شأن في هذا المقام . وعندي ان ارض العراق في اطراف سامرّا والحلة وكوت الامارة والعمارة هي احسن موقع لانشاء المدارس الزراعيَّة اولًا لجودة التربة ثانياً لرخص عيشة التلامذة هناك. ولو تبرَّع احد المتمولين واسس في وطننا مدرسـة زراعيَّة في احدى النواحي التي ذكرتها سابقًا لافاد الزراعة العراقيَّة اعظم فائدة وخدم وطنهُ احسن خدمة . هذا فضلًا عن الارباح التي تعود عليهِ من مشروعه هذا. ولا يقتضي لذلك اكثر من ثلاثين الف ليرة لشراء اراضي للزراعة و بناء مدرسة ولوازم الدرس وادوات الزراعة فانا لتأكد ان هذا المبلغ سيعطي فائدة ١٢ بالماية سنوياً فمن لا يرضى بهذه التجارة التي هي كلها صفقة ربح لهُ من وجهتين مادية وادبيَّة ويكون اهلًا لشكر الاهلين

*

بعد ما سرَّحنا النظر في ما مرَّ من المعلومات حسبما اقتضى المقام لنقولنَّ كلمة عن جباية العراق الزراعي سابقًا واليوم . كانت الدولة الساسانيـة تأخذ من حاصلات العراق ما يتسنَّى لها من الوسوم مقاسمة ولا يجوز لاصحاب الامـلاك والمزروعات ان يتمتعوا باثمار اتعابهم قبل ان تؤخذ منهم الضرائب غير ان قبـاذ بن فيروز لم يستحسن هذا النمط بـل غيرهُ . وفي ايام كسرى انو شروان كانت الاكاسرة تضرب على العراق الضرائب كما يأتي : على كل جريب (عبارة عن ٣٦٠٠ ذراع مربع) قفيزًا ودرهمًا وهي عبارة عن ١٢١/٣ بالمائة ثم على الكرم ١٠ دراهم وعلى النخيل ٨ وعلى القصب ٦ وعلى الرطبة والشعير درهمين. وبقي السواد عامرًا الى انقراض الراشدين وفي عهـد بني أميَّة كانت الاراضي تضرب بالضرائب وان بقيت بورًا بلا زرع

وقد ابطل المنصور هـذه السنّة وامر ابنهُ المهدي ان يؤخذ نصف الغلة من الاراضي التي تسقى سيحاً بلا تعب. والثلث من الارض التي تسقى بالدوالي. والربع من الارض التي تسقى بالدواليب. اما اليوم فتؤخذ الرسوم الميرية حسب ملك الاراضي المزروعة وكيفية سقيها ونوع المزروعات. ولايضاح ذلك نقول ان اراضي العراق نظراً لملكيتها تقسم الى اراض ميرية وهي الراجعة الى الحكومة العثمانية ونسبتها الى جميع الاراضي المزروعة ١٠٠/٣٠ تقريباً واراض سنية وتقدر ١٠٠/٢٥ واراض وقفية وهي المحبوسة لاعمال البر وتبلغ ١٠٠/١٧ واراض للاهالي وتقدر ١٠٠/٢٨ . اما المزروعات فتقسم الى صيفية وشتوية فالصيفية تشتمل على الذرة والسمسم والعدس والماش الخ . والشتوية تشتمل على الحنطة والشعير الخ . اما نظراً للسقي فتقسم الى الاقسام التالية : البكرة وهي التي تسقى بالكرود والآلات المستحدثة. والديمي وهو الزرع الذي يسقى سيحاً بمياه المطر. والجبس وهو الذي يزرع على الغدران ومياه المطر. والنهري وهو الذي يسقى بالانهار التي تتشعب من دجلة والفرات

ان الاراضي الميرية والسنية والوقفية تعطي بالكراء ما لها من الحقوق لاحد الاهالي وهذا ما يصطلح عليهِ بالمقاطعة ولاجل استيفاء حقوق ملكيــة الارض او الرسوم من الاعشار والاخماس تعين فئة من اهل العرف والوجدان فتقــدر كمية الحاصلات وعليهِ تؤخذ من اصحابها الرسوم والضرائب. اما البساتين التي تسقى بالانهر فتضرب بالخمس من حاصلاتها والبكرة بالعشر

(بعض فوائد زراعيَّة) الرَّبد — هو ذراع يصطلح عليهِ اهل العراق وطولهُ بطول المسحاه.

الفدّان — قطعة من الارض يزرع فيها ٥٠٠ اقة حنطة او ٧٠٠ اقة شعير

الجريب — ارض فيها مئة نخلة

هذا وان سمحت لي الظروف والفرص سأشفع هذه المقالة بنبذة عن الفصائل النباتيَّــة في العراق وتكون تتمة لهذه الاسطر. ان شاء الله

تاريخ دمشق لابن القلانسي

نظر للاب لويس شيخو اليسوعي

في سنتنا السادسة (المشرق ٦: ٦٦٤ و ٦٤٩) ذكرنا ترجمة احد جهابذة كتبة العرب اعني ابا الحسن هلال الصابئ وعدّدنا هناك تآليفهُ البديعة لا سيما تاريخ الوزراء الذي توفّق المستشرق الانكليزي العلّامة ه. ف. اميدروس (H. F. Amedroz) الى اكتشاف قسم كبير منهُ نشرهُ قبل خمسة اعوام في مطبعتنا فبينا ما لهذا الكتاب من المحاسن العديدة والخواص الفريدة لفظاً ومعنًى

وقد ذكرنا هناك لهلال الصابئ تاريخاً آخر جملهُ كاتبهُ الفاضل كملحق لتاريخ خالهِ ابي الحسن ثابت بن سنان بن قرّة . وكان ابن قرّة كتب تاريخاً وصف فيهِ الوقائع التي جرت في زمانهِ من السنة ٢٩٥ الى وفاتهِ ٣٦٣ (٩٠٧—٩٩٣) فذيّلهُ هلال بتاريخ آخر واضاف اليهِ حوادث السنين التابعة الى آواخر سنة ٤٤٧ . والتاريخان كلاهما ضائع الّا ما حظي المسيو اميدروس باكتشافهِ من تاريخ هلال وهو وصف حوادث اربع سنوات من ٣٨٩هـ الى ٣٩٣ فألحقهُ بتاريخ الوزراء الذي ذكرناهُ آنفاً وهو عبارة عن ١١٩ صفحة مشحونة بالفوائد

ولتاريخ هلال المذكور ذيلٌ ثانٍ أقدم على كتابتهِ احد أُدباء دمشق في القرن السادس للهجرة يُعرف بابن القلانسي وهو تأليف جليل عرفهُ قدماء المؤرخين العرب فاشاروا اليهِ ونقلوا عنهُ الّا ان نسخهُ قد طمسها الدهر فاضحت اعزّ من بيض الانوق. وحتّى اليوم لم يعرف منها ارباب البحث سوى نسخة وحيدة تُصان في خزانة المخطوطات الشرقيّة في مكتبة اكسفرد المعروفة بالبدليّة وهي موسومة بالعدد ١٢٥ Bodl.) (Hunt. 125 وهي نسخة قديمة تاريخ كتابتها سنة ٦٢٩هـ (١٢٣٢م) يبلغ عدد صفحاتها ١٨٨ وفي كل صفحة ٣٢ سطراً . فهي النسخة التي تعمّد نشرها العلّامة اميدروس وقد انجزها آخرًا في مطبعتنا الكاثوليكية . ولمّا كان هذا الاثر من اجلّ الذخائر التاريخيّة احببنا ان نتّسع بوصفهِ لبيان خطرهِ وعلوّ مقامهِ فنذكر اوّلًا صاحب

التاريخ ثم ننتقل الى وصف الكتاب ومضامينهِ الشائقة . وفي كلامنا نعوّل خصوصاً على ما اثبتهُ جناب المتولي لطبع هذا التأليف وقد كفى بمقدمتهِ موْونة التفتيش المملّ واغنانا عن المطالعات الشاقّة حفظهُ الله وجعلهُ سندًا للآداب

١ موْلف التاريخ

لا نعرف الّا الشيء اليسير عن ابن القلانسيّ فممّن عرّضوا بذكرهِ ابو عبد الله محمّد بن احمد الذهبي في كتابهِ تاريخ الاسلام قال في تاريخ ٥٥٥ ما حرفهُ مستندًا الى تاريخ دمشق لابن عساكر (ص ٢٠٣ من نسخة اكسفرد):

حمزة بن اسد بن عليّ بن محمَّد ابو يعلي التميميّ الدمشقيّ العميد ابن القلانسيّ الكاتب حدَّث عن سهل بن بشر وحامد بن يوسف التنّيسيّ . قال الحافظ ابن عساكر : سمع منهُ بعض اصحابنا ولم اسمع منهُ . (قال) وكان اديباً كاتباً تولّى رئاسة دمشق مرّتين . وكان يُكتَب لهُ في سماعهِ ابو العلاء المسلم بن القلانسيّ . فذكر انهُ هو وانهُ كذلك كان يسمّى وقد صنَّف تاريخاً للحوادث من بعد سنة اربعين واربعمائة الى حين وفاتهِ . وقرأتُ من شعرهِ :

يا نفسي لا تجزعي من شدَّةٍ عرضتْ   وأيقني من اله الخلقِ بالفَرَجِ
كم شدَّةٍ عظمت ثم انجلتْ ومضتْ   من بعد تأثيرها بالمال والمُهَجِ

توفي في ربيع الاوّل . قلتُ روى عنهُ ابن مصري ومكرم بن ابي صقر وجماعة وجمع بين كتابة الانشاء وكتابة الحساب وحُمدت ولايتهُ وتوفي في عشر التسعين

وذكرهُ ايضاً جمال الدين ابو المحاسن يوسف الشهير بابن تغري بردي في كتابهِ النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة قال (ص ١٤٠ من نسخة لندن):

يُعرف بابن القلانسيّ كان فاضلًا اديباً مترسّلًا جمع تاريخ دمشق وسمَّاهُ الذيل وذكر في اوّلهِ طُرَفًا من اخبار المصريين وبعض حوادث السنين وقد نقلنا عنهُ نبذهُ في هذا الكتاب وكانت وفاتهُ بدمشق في يوم الجمعة سابع شهر ربيع الاوّل ودفن يوم السبت بقاسيون . فمن شعرهِ في الصبر :

اياكَ تقنطُ عند كلّ شديدةٍ   فشدائدُ الايَّامِ سوفَ تهونُ
وانظرْ اوائل كلّ امرٍ حادث   ابدًا فما هو كائنٌ سيكونُ

هذا غاية ما وجدهُ العلّامة اميدروس من احوال الكاتب . ومنهُ يُتخذ انَّ ابن القلانسيّ كان دمشقي الاصل ومن وجوه وطنهِ حيث تولّى رئاسة دمشق مرّتين

وناهيك بهذه الرتبة شرفًا ورفعة ويظهر انَّ اسرتهُ كانت من بيوتات الفيحاء. وقد ذكرها الذهبيّ في جملة العيال الكريمة الساكنة دمشق في رأس القرن الثامن عند قدوم التتر . ومما يدلُّ على علوّ مقام المؤلف المحدّثون الذين اخذ عنهم والذين رووا عنهُ وكلهم من الرجال المعدودين. وكذلك شهرتهُ بصفة كاتب ومؤرخ قد نوَّه بها الكاتبان السابق ذكرهما كما انهما اشارا الى جودة شعرهِ بما رويا لهُ من الابيات. وابن القلانسي عُمّر طويلًا اذ جعل الحافظ الذهبي وفاتهُ في « عشر التسعين » وذلك في ٧ من ربيع الاوَّل من السنة ٥٥٥ الموافقة لاوائل نيسان ١١٦٠ م . وقاسيون الذي فيهِ دُفن ابن القلانسي هو الجبل المشرف على دمشق فيهِ قبور كثيرين من مشاهير تلك الحاضرة

٢ تعريف الكتاب

سبق القول بانَّ هذا الكتاب دُعي بذيل تاريخ دمشق لانَّ صاحبهُ روى الاخبار التي جرت من سنة وفاة هلال الصابئ ٤٤٨ الى سنة ٥٥٥ التي فيها توفي ابن القلانسي. على انَّ النسخة المحفوظة في اكسفرد تُجدي العلماء نفعًا آخر وذلك أنها تحوي خلاصة تاريخ هلال الصابي من السنة ٣٦٣ الى ٤٤٨ وقد قلنا انَّ هذا التأليف اخذتهُ يد الضياع فسدَّت هذه الخلاصة خللًا كبيرًا وهي مع اختصارها تحتوي على تفاصيل عديدة لا تقلّ عن ٨٦ صفحة من صفحات مجلَّة المشرق وحرفها وانما سقط فقط من اولها ثلاثة اوراق فيها المقدمة وبعض اخبار السنة ٣٦٣ وقد اعتاضنا من ذلك جناب القائم بنشر هذا الكتاب بما وجدهُ من كلام الصابي في كتاب مرآة الزمان لسبط بن الجوزي حيث ذكر مفتتح تاريخ الصابي ونقل عنهُ ذكرهُ للقرامطة ودخولهم الى دمشق فكاد يتمّ بذلك ملخص تاريخ الصابي

وليس من غايتنا ان نتَّسع هنا في ذكر هذه الخلاصة الهلاليَّة وهي توافق ما نعرفهُ للصابي من حسن السبك وانسجام الكلام وسياق الرواية وفصاحة الالفاظ دون تعقد ولا تصنُّع شأن الكتبة البلغاء . وتراهُ لا يسرد الاخبار على طريقة واحدة كما يفعل غيرهُ من اصحاب التاريخ بل يذكر الامور بتعريف اسبابها والتفنن في ايضاح ظروفها وبيان نتائجها بحيث لا ينتهي القارئ من قراءة فصل الَّا وقد عرف الامر الموصوف حق معرفتهِ دون اجهاد فكرهِ واعنات ذهنهِ

وقد زاد جناب الفاضل اميدروس على طبع هذا القسم فوائد اخرى جمة بما نقلهُ عن ابن الازرقيّ الفارقيّ وعن سبط ابن الجوزي والحافظ الذهبي ممّا يؤيد اقوال الهلال الصابي او هو منقول عنهُ بالحرف او ملخَّص تلخيصاً وقد نشر تلك الاضافات في ذيل الكتاب بحرف ناعم

ومن اجود ما يحويهِ هذا القسم شرح اخبار الدولة الفاطميّة منذ دخول المعزّ لدين الله الى أيام الظاهر لاعزاز الله · وهناك تفاصيل عديدة في امور الشام ومصر واحوال اهلهما وتقليد نوَّابهما وعمَّالها لا تكاد تجدها في غير هذا الكتاب · ومع انَّ ابن القلانسي قد اختصر كتاب هلال قد احسن في انتقاء الروايات وتدوين الاخبار بذوق سليم ونظر صائب · ولولا ضيق المكان لنقلنا من هذا القسم فصولًا تُطلع القراء على عظم شأن تاريخ الصابي وفوائده الجمّة ودقائقهِ اللذّة كذكره للرجال وتعريفهِ لقبائل العرب الشاميّة ووصفهِ لامكنة لم يسبق لغيره ذكرها من ضواحي الشام كقارا ويبرود ومعلولا والتينة وصيدنايا والمعرّة وتلفيتا وكذكر ابنية دمشق واسماء احيائها وابنيتها وبعض كنائس النصارى التي كانت في ذلك العهد · وممَّا ورد من ذلك وصف كنيسة القيامة في بيت المقدس وتعظيم النصارى لها قبل حريقها سنة ٣٩٨ (١٠٠٨) قال:

هذه بيعة تقرب من المسجد الاقصى تُعظمها النصارى افضل تعظيم تحجّ اليها عند فصحهم من كل البلاد وربّما صار اليها ملوك الروم وكبراء البطارقة متنكّرين ويحملون اليها الاموال الجمَّة والثياب والستور والفروش ويصوغون لها القناديل والصلبان والاواني من الذهب والفضَّة وقد اجتمع فيها من ذاك على قديم الزمان وحديثه الشيء العظيم قدر ما لمختلفة اصنافهِ فاذا حضروا يوم الفصح فيها واظهروا مطرانهم ونصبوا صلبانهم واقاموا صلواتهم ونواميسهم فهذا الذي يدخل في عقولهم ويوقع الشبهة في قلوبهم ويعلقون القناديل في بيت المذبح ويحتالون في ايصال النار اليها بدهن البلسان وآلته ومن طبيعتهِ حدوث النار فيهِ مع دهن الزنبق ولهُ ضياء ساطع وازهار لامع يحتالون بحيلة يعملونها بين كل قنديل وما يليه حديدًا ممدودًا كهيئة الخيط متصلًا من واحد الى الاخر ويطلونهُ بدهن البلسان طليًا يخفونهُ من الابصار حتى يسري الخيط الى جميع القناديل فاذا صلوا وحان وقت النزول فُتح باب المذبح وعندهم ان مهد عيسى عليهِ السلام فيهِ وانهُ عُرج به الى السماء منهُ ودخلوا واشعلوا الشموع الكثيرة واجتمع في البيت من انفاس الخلق الكثير ما يحمي منهُ الموضع ويتوصل بعض القوّام الى ان يقرب النار من الخيط فيعلق بهِ وينتقل بين القناديل من واحد الى واحد ويشعل الكل ويقدّرهُ من يشاهد ذلك ان النار قد نزلت من السماء فاشتعلت تلك القناديل

فلننتقلنّ الآن الى القسم الثاني الذي هو من انشاء ابن القلانسيّ وقد لحم روايتهُ برواية هلال الصابئ حتى جعلهما كرواية واحدة الّا انهُ نبَّه على ذلك باشارة لطيفة حيث قال في وصف ولاية الامير المؤيد حيدرة ابن مفلح قال (ص ٨٥):

تسلَّم الولاية في سنة ٤٤٢ يأمر فيها وينهي على عادة الولاة واستقامت لهُ امور الولاية على ما يؤثرهُ وجواه واحسن السيرة في العسكريَّة والرعية فحُمدت طريقتهُ وارتُضيت اياتهُ واستمرَّت عليهِ الايام في الولاية الى سنة ٤٤٨ التي بُني هذا الذيل عليها وعادت سياقة الحوادث منها

واوّل ما يجب التنبيه اليهِ انَّ هذا الذيل يُدعى بذيل تاريخ دمشق مع انَّ هلال الصابئ لم يخصّ تاريخهُ بدمشق واتّسع في الاخبار عن الدول الاسلامية في زمانهِ الّا انَّ ابن القلانسي كما يظهر لم ينتقِ من تاريخ الصابئ سوى الامور التي تنوط بالشام ولاسيما بحاضرتها الفيحاء والجهات المجاورة لها ولذلك دعا بذيلهِ ذيل تاريخ دمشق. الّا انَّ هذا الاسم على طريقة التغليب ايضاً لان ابن القلانسي في هذا التاريخ قد اورد اموراً عديدة جرت في مصر والجزيرة والعراق وفارس لكنَّهُ يتَّسع في حوادث الشام وخصوصاً دمشق اكثر من سواها

وممَّا يستحق الذكر في شأن هذا التاريخ انَّ ابن القلانسي لم يجتهد فقط في مواصلة اخبار الصابئ بل جرى ايضاً على طريقتهِ في تنسيق الروايات وشرح الاحوال. وأعجب من ذلك احتذاؤهُ بانشاء الهلال الصابئ حتى ان الذي يقرأ القسمين ويقابل بينهما في اسلوب الكتابة يظنهما لكاتب واحد سواء كان في ايضاح المعاني وبلاغتها او في طريقة التعبير وسلاسة الانشاء كانَّ الكاتبين نُشئا من نبعة واحدة. فكأنَّ ابن القلانسي استحسن كتابة سلفهِ فتصيَّرَهُ وصارا كالفرقدين للمتأمل.

وما خلا ذلك ترى بين الكاتبين شبهاً آخر وهو انَّهما يتَّسعان في الاخبار ويزيدان في تفاصيل الشروح على قدر تقرُّب الحوادث من عهدهما فانَّ ابن القلانسي كهلال الصابئ عاشا زمناً طويلاً فهذا اربى على الثمانين وذاك بلغ التسعين فعاين كلاهما ردحاً من الدهر الامور التي جرت في ايامهِ وتقصَّى اخبارها وافاض في شرحها على خلاف الحوادث التي سبقت زمان كل كاتب. الّا انَّ في ذلك فضلاً للصابئ فانهُ كان كثير

الأطلاع من أسرة عُرفت بآدابهـا فنشأ على علوم اجداده. ويدلُّ على تقدُّمهِ التآليف المجيبة التي سردنا اسماءها في المشرق (٦ :٤٦٨) اما ابن القلانسي فانّنا لا نعرف لهُ غير هذا الكتاب المعنون بذيل تاريخ دمشق

وما قلناهُ عن تشابه المؤرخين في الصفات والكتابة يصدق ايضاً في صحة الروايات والتحرّي في شرح الاحداث ولذلك ترى الكتبة الذين عاشوا بعدهما يحبون الاستشهاد بهما ويثقون بروايتهما كل الثقة كسبط بن الجوزي السابق ذكرهُ وابي شامـة صاحب كتاب الروضتين في اخبار الدولتين وكحافظ الذهبي. وربّما نقلوا عنهما دون التصريح باسمهما كما فعل ابن الاثير فانهُ اثبت في تاريخهِ الكامل قطعاً مختلفة عن ابن القلانسي ولم يذكرهُ باسمهِ الّا مرّة في ذكره لفتح قبور الآباء ابراهيم واسحـاق ويعقوب في مدينة الخليل

اما مضامين تاريخ ابن القلانسي فهي تشمل اخبار الدول التي ملكت في مصر والشام والجزيرة في القرن الخامس والسادس للهجرة كالدولة الفاطميّة والدولة الزنكيّة والدولة الايوبيّة . فقد وصف المؤلف احسن وصف الملوك الذين ضبطوا زمـام الامر في تلك المدّة كزنكي وخصوصاً نور الدين محمود ابنهُ مع ما جرى على يـدهِ من الفتوحات وقد اتّسع في ذكر اعمال امراء دمشق وعمّالهم معرّفاً لكل واحد منهم مبيّناً ما تولوه من المآثر وقاموا بهِ من المشروعات في أيام امرتهم . وهو مع ذلك يتبع على قدر طاقتهِ سياق السنين وما حدث فيها في نواحي الشرق من حروب وفتوحات ووفيات المشاهير الى غير ذلك من الوقائع التي يرتاح الادباء الى معرفتها

ومن الحوادث التي انبسط المؤلف في شرحها الظواهر الجويّة والزلازل فانّهـا تكرّرت في ذلك الزمان وخربت بسببها البلاد وارتعبت لاهوالها قلوب العباد فمن ذلك ما حكاهُ في تاريخ سنة ٥٤٧ قال (ص٣١٨)

وفي ليلة الثلثاء الثاني والعشرين من المحرّم من اواخر نيسان ارسل الله تعـالى غيثاً هطّالًا مجللًا بالرعود والبروق المتتابعة ما زادت معهُ مياه بَرَدَى زيادةً وافرةً وتصندل لون مائها بمسابل الاودية والجبال وانتفعت بهِ زراعات السقي والبعول نفعاً ظاهرًا

وفي النصف من شهر ايار من صفر سنة ٤٧ كان من زمجرة الرعود وتتابع البروق والامطار في عدّة جهات ما زادت بهِ الانهار وسالت معهُ شعاب الجبال والاوديـة . وفي وقت العصر من يوم الاحد الثاني والعشرين من ايّار والعشرين من صفر من السنة نشأت غمامة برعود مجلجلة هائلة

متابعة لا تفتر مُزعجة ثم اخلَت بوابل هطّال جودٍ بالمطر الى اخر النهار ثم اقبلت بَرَدى بالليل بالسيل الزائد المتغير اللون بماء الجبال المختلف بحيث افعمت الانهار والسواقي والجـاري واحمرّت اماكنها وصادفت طرحات الزرع والكُداسة فغيّرت الشمير وصفّرتهُ وسكنت بقدرة الله ونُفع من نشأها ثم حضر من شاهد هذا العارض وحكى انهُ كان من البرد الكبار مـا حدَّثهُ بحيث افسد من المواشي الكثير وهدم بعض دور الغوطة وصار الماء في الحقول راكدًا وسائحًا بالانهار المندفقة وحكى الحاكي ان هذا لم يُر مثلهُ في الازمان

وفي السنة ذاتها حدث ما اخبر بهِ (ص ٣٢٤) :

وحدث في هذه الايام من تتابع الامطار في الاماكن والثلوج في الجبال والاعمال البقاعية ما لم يُرَ مثلهُ ثم ذاب الثلج وسالت بمائهِ الاودية والشعاب وساح على الارض كالسيل الجـارف وامتلأت بهِ الانهار والتقت الشطط وافسد ما مرَّ بهِ من الاراضي المنخفضة ووصل المدّ الى بردَى وما قرُب منها ورأى من كثرتهِ وعظمهِ وتغير لونهُ ما كثر التعجب منهُ والاستعظام لهُ فسبحان مالك الملك منزل الغيث من بعد القنوط انهُ على كل شيء قدير

وقال في وصفهِ تغير الماء والهواء (ص ٣١٩) :

وفي العشر الاول من شوال من السنة (٤٧) الموافق للعشر الاوَّل من تشرين الثاني تغير الماء والهواء في دمشق وعرض لاهلها الحمَّى والسُّعال بحيث عمَّ الخاص والعـام والشيوخ والشباب والاطفال بحيث وقع الزحام على حوانيت العطّارين لتحصيل المغلي . وحكى الحاكي ان بعض العطارين احصى ما باعهُ في يوم فكان ثلاثماية وثمانين صفة والسالم منهُ والمعافى الاكثر وما يقيم هذا المرض بالانسان اكثر من الاسبوع ودونهُ ويمضي من قضى اجلهُ وضعف امر المغسلين والحفّارين واحتيج اليهم لكثرة الموتى

ولهُ في الزلازل اشياء كثيرة منها قالهُ في صفة الزلازل التي وقعت سنة ٥٥١ مـا نصهُ (ص ٣٣٤)

شرح الزلازل الحادثة في هذه السنة المباركة وما يليها

في ليلة الخميس التاسع من شعبان سنة ٥٥١ الموافق لليوم السابع والعشرين من ايلول في السـاعة الثانية منها وافت زلزلة عظيمة رجفت بها الارض ثلاث او اربع مرَّات ثم سكنت بقدرة من حركها وسكّنها سبحانهُ وتعالى من مليك قادر قاهر ثم وافى بعد ذلك ليلة الاربعـاء الثاني وعشرين من شعبان المذكور زلزلة وجاءت قبلها و بعدها مثلها في النهار وفي الليل ثم جاء بعد ذلك ثلث دونهنَّ بحيث أُحصينَ ست مرَّات وفي ليلة السبت الخامس وعشرين من الشهر المـذكور جاءت زلزلة ارتاع الناس منها في اوَّل النهار وآخرهُ ثم سكنت بقدرة محركها سبحانهُ وتعالى

وتواصلت الاخبار من ناحية حلب وحماة بانهدام مواضع كثيرة وانهدام برج من ابراج افامية

بهذه الزلازل الهائلة (١ وذكر ان الذي احصى عدَدهُ منها تقدير الاربعين على مـا حكى والله تعالى اعلم . وما عرف مثل ذلك في السنين الماضية والاعصر الخالية وفي يوم الاربعاء التـاسع وعشرين من الشهر بعينه (شعبان) وافت زلزلة تتلو ما تقدَّم ذكرهُ اخر النهار وجاءت في الليل ثانية في اخره ثم وافى في يوم الاثنين اوَّل شهر رمضان من السنة زلزلة مروّعة للقلوب وعاودت ثانية وثالثة ثم وافى بعـد ذلك في يوم الثلثاء ثالثهُ ثلث زلازل احداهنَّ في اوَّله هائلة والثانية والثالثة دون الاولى واخرى في وقت الظهر مشاكلة لهنَّ ووافى بعـد ذلك اخرى هائلة ايقظت النيام وروَّعت القلوب انتصاف الليل فسبحان القادر على ذلك ثم وافى بعد ذلك في الساعة التاسعة من ليلة الجمعة النصف من شهر رمضان من السنة زلزلة عظيمة هائلة اعظم ممَّا سبق ولمـا كان عند الصباح من الليلة المذكورة وافت اخرى دونها وتلا ما تقدَّم في ليلة السبت اولهـا وجاءت اخرى آخرها ثم تلا ذلك في يوم الاثنين زلزلة هائلة وتلا ذلك في ليلة الجمعة الثالث والعشرين من شهر رمضان في الثلث الاوَّل منها زلزلة عظيمة مُزعجـة وفي غداة يوم الاحد ثاني شوال من السنة تالي ما تقدَّم ذكرهُ وافت زلزلة اعظم ممَّا تقدَّم روَّعت الناس وازعجتهم وفي يوم الخميس سابع شوال المذكور وافت زلزلة هائلة في وقت صلاة الغداة وفي يوم الاحد الثالث عشر منهُ وافت زلزلة هائلة في وقت صلاة الغداة وفي يوم الاثنين تلوهِ وافت زلزلة اخرى مثلها ثم اخرى بعدها دونها ثم ثالثة ثم رابعة . . .

واخطر من ذلك ما رواهُ عن الصليبيين وزحفاتهم من السنة ٤٩٦ الى السنـة ٥٠٥ (١١٠٣ـــ١١٥٥) فوصف احوالهم في خروجهم من بلادهم ومسيرهم الى القسطنطينية فايقونية فانطاكيـة فسواحل الشام حتى بلغوا القدس الشريف ودخلوهُ واحتلُّوا غيرهُ من البلاد. ولمَّا كانت هذه الاوصاف عن شاهد عياني زاد شأنها ولذلك سوف ينظم تاريخ ابن القلانسيّ في جملة مؤرخي الحروب الصليبيَّة الذي طُبع منهُ عدَّة مجلَّدات منها ثلاثة مجلدات من مؤرخي العرب (Recueil des Historiens des Croisades, *Historiens Orientaux*) وكنَّا وددنا ان نثبت هنـا شيئاً من تلك الاخبار لولا ضيق المكان

ونختم هذه الامثلة وكلامنا عن ابن القلانسي بتكرار شكرنا لجناب المستشرق الفاضل اميدروس على احيانهِ هذا الاثر المدفون ويستحقُّ شكرًا مضاعفًا على ما اضافهُ اليهِ من المحسنات بالتذييلات المفيدة والفهارس الواسعة لأعلام الرجال والامكنة هذا فضلًا عن مقدَّمات جليلة في الانكليزيَّة شرح فيها لمواطنيهِ كل ما ينوط بهذا التأليف ومحتوياتهِ صفحةً صفحةً. فجازاهُ الله كل خير

---

١) وفي الاصل : المباركة

مطبوعات شرقية جديدة

D. C. HESSELING. **Essai sur la civilisation byzantine.** Traduct. française avec préface par **G. Schlumberger.** *Paris, Alph. Picard*, 1907, VII-381 pp., in-16.

التمدُّن البوزنطي

هذا الكتاب قد ألَّفهُ صاحبهُ المسيو هسلنغ احد اساتذة ليدن باللغة الهولنديَّة ونظمهُ في مجموع تآليف اخرى متشابهة بهِ عنوانهُ « اجدادنا العقليُّون · ابحاث في تاريخ تمدُّننا » فما كان لاصحاب هذا المجموع ان ينسوا التمدُّن البوزنطي · والحقّ يُقال انَّ مصنِّف الكتاب قد قام بعملهِ احسن قيام فاودع كتابهُ كل ما من شأنهِ ان يُعرَف اجمالًا حالة التمدُّن وتاريخهُ في ايَّام ملوك الروم فترى في هذا التأليف نظرًا عموميًا يوضح خواصّ التمدُّن البوزنطي على طريقة منظَّمة واضحة · واذا ابدى المؤلف حكمهُ في الامور اصاب الهدف دون تطرُّف ومبالغة · وكثيرًا ما يستشهد باقوال قدماء الكتبة وشواهدهُ كلها مفيدة مع ما في بعضها من الطول · ومن ثمَّ قد احسن العلّامة شلومبرجر وهو من المولعين بالدروس البوزنطية اذ نقل هذا الكتاب الى اللغة الافرنسيَّة ليضيفهُ الى التآليف المتعدّدة التي كتبها العلماء الفرنسويُّون في هذا الصدد وفائدتهُ للعموم اكثر منها للخاصَّة لأنَّ القرَّاء يجدون في صفحاتهِ القليلة ما لا يستطيعون جمعهُ من تآليف متعدّدة · وهذا الكتاب يفيد الشرقيين افادة عظيمة اذ يوقفهم على اصول التمدُّن البوزنطي الذي شمل مواطنهم واثَّر في كل صنائعهم وفنونهم س · ر

REALENCYKLOPADIE 3 HERZOG - HAUCK. XX Bnd : **Toorenenbergen - Wamwas.** 1908. *Hinrichs.*

دائرة العلوم البروتستانية

قد كاد ينجز هذا العمل العظيم الذي ذكرنا مرارًا وصف اقسامهِ السابقة وهذا المجلد هو العشرون من المجموع وهو يحتوي كالمجلدات الماضية بل اكثر منها عددًا دثرًا من تراجم الكتبة لا سيما البروتستانت · وفي هذه التراجم من الفوائد التاريخيَّة

ما لا يخفى . ومن المواد التي استحسنّاها فصل واسع خصّهُ العلّامة غوته (Guthe) لوصف بلاد الصفا المعروفة بتراكونيتيس (TRACHONITIS) ثمّ فصل آخر للعلّامة پروشن (Preuschen) في تعريف والنتان احد المراطقة الادريين وكذلك تثني على بعض مقالات كتابيّة اثريّة من قلم الاساتذة اورلّي وكوتش (Kautsch) وتسانپفوند (Tsehnpfund) . وعمّا قريب ان شاء الله تنتهي هذه الدائرة بصدور القسم الحادي والعشرين . ورجاؤنا ان يُلحق بها اصحابها الزيادات والاصلاحات التي اشرنا اليها نحن في مقالتنا السابقة او نوّه بها الكتبة الذين انتقدوا على اقسامها المفردة س . ر

P. C. SCHMIDT, S. V. D: **Les sons du langage et leur représentation dans un alphabet linguistique général.** Traduit en fançais par le **D^r P. J. Hermes O. M. I** (Tirage à part de l'ANTHROPOS,) pp. 126 in - 4°. *Salzbourg* 1907.

اصوات النطق وتمثيلها بكتابة عموميّة

قد وضع هذا الكتاب حضرة الاب شميد مدير المجلّة الاجتماعيّة المعنونة بالانسان (Anthropos) وغايتهُ من وضعهِ ان يحدّد علميًّا قوانين الاصوات البشريّة العموميّة ليتمكن بها اصحاب الاسفار والرَحل كما المرسلون ان يدوّنوا بكل تدقيق على طريقة موافقة لتلك الاصول كل اصوات لغات الشعوب الذين يحلّون بينهم . وقد صدّر ذلك بمقدّمة مسهبة بحث فيها عن الطرائق التي اتخذها العلماء الى يومنا لتمثيل تلك اللهجات المختلفة فبيّن انها والعلم الصحيح على طرفي نقيض . ثم الحق ذلك باسلوب جديد ابتدعهُ وفقًا للقوانين العموميّة التي اجمع العلماء على صحّتها وقد جعل هذا الاسلوب قريب المنال وعلى غاية ما امكن من البساطة ليستطيع المسافرون والمرسلون في كل اقطار العالم ان يجروا على مقتضاهُ . وقد فحصنا هذه الطريقة المستحدثة لرسم اصوات اللغات فتحققنا ان لصاحبها معارف عجيبة واسعة في هذا العلم الجديد الذي لم ينتبه اليـهِ العلماء قبل القرن المنصرم . ولعلّ بعض القرّاء يجدون في جدولهِ (المثبت في الصفحات ١٢٣—١٢٦ من كتابهِ) صعوبة لكثرة الرسوم الاصطلاحيّـة التي اتّخذها الّا انّ ذلك من الضرورات اذ يشمل كما قلنا اصوات جميع اللغات المعروفة في المعمور واذا اراد الكاتب ان يسير بموجبها كفاهُ لكل لغة قسم صغير منها . ومع اقرارنا بفضل هذه الطريقة كنّا وددنا لو وافق بين كل حرفٍ من حروفهِ الاصطلاحيّة وحروف اللغات الشائعة كالافرنسية

والالمانيَّة والانكليزيَّة والايطاليَّة واليونانيَّة الحديثة والعربية لانَّ مثل هذه المقابلة تصوّر في مخيّلة القارئ الاصوات المجهولة وتقرّبها الى سمعهِ · وعلى كل حال انَّنا نثني على همة حضرة الاب شميد ونتمنَّى ان يروج كتابهُ بين كل المتجوّلين في البلاد الغربيَّة ولا سيما المرسلين ليتخذوه كدستور عمومي لتمثيل اللغات التي يسمعونها و يفيدوا حضرة المؤلف ما يرونهُ مخلًّا في طريقتهِ ليصلحها فتشيع قريباً بين كل العلماء

الاب بولس جوون

LES GRANDS HOMMES DE L'ÉGLISE AU XIX[e] SIÈCLE: LE P. DE RAVIGNAN, par **G. Ledos,** 1908. pp. 174, *Paris. Librairie des SS. Pères.*

ترجمة الاب دي راڤنيان

الاب دي راڤنيان يسوعيٌّ شهير اضحى في اواسط القرن المنصرم مع بعض كبار الرجال قُطب الكثلكة وسندها في باريس · ولما تشكّلت جمعيّة كاثوليكية لنشر تراجم مشاهير القرن التاسع عشر ما كان اعضاؤها لينسوا ذلك الراهب المقدام الذي شرّف منبر الخطابة في اكبر كنائس باريس مع معاصرهِ لاكُردار الدومنيكيّ · اما مؤلف هذه الترجمة فهو كاتب بارع اشتهر بتراجم اخرى اقبل عليها القراء لتفننها وحسن انشائها وانسجام عبارتها كترجمة الاب لاكُردار السابق ذكرهُ وترجمة القديسة جرترودة فضلًا عن كونهِ احد نظّار المكتبة العمومية في باريس لا يفوتهُ شيء من مضامينها ومن ثمَّ لم يُقدم على كتابة هذه الترجمة الجديدة الَّا بعد مراجعة كل ما كُتب عن الاب دي راڤنيان واطلاعه على كل تآليفهِ المطبوعة المخطوطة · وقد تصفحنا هذا الكتاب بشوق ورغبة فرأينا كاتبهُ اشبه بمصوّر بارع رسم صورة صاحب الترجمة بامانةٍ ودقة في كل اطوار حياتهِ اوّلًا اذ كان في العالم كمحامي الدعاوى ثمَّ في الرهبنة كراهب بسيط ثم كمعلم وواعظ ومرشد وكاتب وقد مزج في كل اوصافهِ روايات شهية تزيد القارئ اعتبارًا لذلك الرجل العظيم · وربَّما نقل اشياء من اقوالهِ وكتاباتهِ ورسائلهِ فجعلها في سياق اخبارهِ كالفصوص الثمينة في خواتمها · فنشكر المؤلف على هذا الاثر الجديد من قلمهِ السيَّال ونثني على همتهِ في وصف المترجم فانَّهُ بتسطير اعمال احد مشاهير اليسوعيين

قد دافع عن الرهبانية اليسوعية برمّتها اذ لم يكن الاب دي رافينيـــان سوى ثمرة من تلك الدوحة الباسقة التي لا تزال تبهج كنيسة المسيح بثمارها الصالحة

الاب ف . تورنبيز

ETUDES BIBLIQUES. - COUTUMES AU PAYS DE MOAB, par le **P. Antonin Jaussen,** des Frères Prêcheurs. *Paris*, *Libr. V. Lecoffre*, *J. Gabalda et C*ie, 1908, pp. XIII - 440.

دروس كتابيّة — عادات قبائل العرب في بلاد موآب

قد اكثر الكتبة وارباب الاسفار من وصف احوال القبائل العربيّة الساكنـــة في انحاء فلسطين وشمالي جزيرة العرب الّا ان اوصافهم ناقصة في بعض الامور ومخطئة في غيرها فلذلك اراد حضرة الاب جوسن من الرهبانيّة الدومنيكية ان يعود الى هـــذا البحث فينقّح ما يحتاج الى تصحيح ويكمل ما كان ناقصاً . ولادراك هذه الغاية لم يدَّخر وسعاً وتجشم الاتعاب وتردّد مرارًا الى تلك القبائل وسكن بينها وعاش عيشتها الشظفة واطّلع على كلّ اسرار حياتها . وكان في اثناء ذلك يدوّن كل ملحوظاتهِ ويلقي على ضيوفــهِ الاسئلة ليوقفوه على جميع عاداتهم واحوالهم المختلفة . فكل تلك الملحوظات المفيدة لدرس حياة البادية قد جمعها واثبتها في هذا الكتاب ليقف عليها محبُّو الاخبار وطلبة الاسفار المقدسة . وقد خصَّ بدروسهِ بلاد موآب لقربها من مواطن بني اسرائيل قبل ان تمدّ اليها الخطوط الحديديّة وتفقد شيئًا من عوائدها الاصلية باختلاطهـــا مع الاجانب . فكتابهُ اذًا كلهُ فوائد عدل المؤلف عن زخرف الكلام ليثبت كل مـــا نظر وسمع بسذاجة وتدقيق مفصّلًا لكل امور اهل البادية متحايدًا عن كل تنسيق وتنظيم كالمرآة المصوّرة للرسوم دون زيادة او نقصان . ولذلك تزيد رغبة القارئ لهذه الصفحات الشائقة والروايات الصادقة . وان سمح لنا حضرة المؤلف ابدينـــا لهُ بعض الملحوظات التي خطرت على بالنا عند قراءة كتابهِ النفيس . لم يفرق المؤلف بين تمثيل الياء المشدَّدة والياء البسيطة اذ يصوّرها على حد سواء بصورة î فلا يعلم القارئ مـــا المراد بلفظة Sâbîeh مثلًا (ص٢٦٣) أيُريد بها صابِيَة او صابيّة وقس عليهِ — وفي الصفحة ٢٧٢ قد قلبت اللفظة سهوًا فكتبت «كة مير» والصواب «ميركة» —والمطر الثرياوي الذي

وردَ ذكرهُ (ص٣٢٣) هو نسبة الى الثريّا كما قال حضرتهُ بعدئذٍ (ص٣٧٥—٣٧٦) فالاولى اذن ان تُترجم الى الفرنسويّة هكذا La Pluie des Pléïades بدلًا من La Pluie abondante. ومما يحسن الاشارة اليهِ في الحاشية الثانية من الصفحة ٣٥٣ ان العامة في بلاد الشام يستعملون «قطش» بمعنى «قطع» لاسيما قطع الاعضاء فيقولون للاقطع «اقطش» وهلمّ جرًّا — وقد زعم هناك ان bayader (بيادر) لفظة مفردة والصواب انها جمع لبيدر — وكذلك نظن ان لفظة «نعس» ص ٣٨٤ المضادّة لسعد انما هي تليين لفظة «نحس» بالحاء الاب لويس رتزقال

JAC. VAN OINNEKER: **Principes de Linguistique psychologique** - Essai de synthèse. (Bibliothèque de philosophie expérimentale, t. IX) pp. 552, in-8°, 1907. *Leipzig, Harrassowitz.*

الاصول اللغويّة في نسبتها الى نواميس طبيعة النفس

هو كتاب فريد في بابهِ غريب في معناهُ صنّفهُ احد الآباء اليسوعيين الهولنديين بحث فيهِ عن مسئلة من ادقّ المسائل والطفها اعني عن النواميس الطبيعيّة التي بموجبها وضع البشر لغاتهم سواء كان في تصريف الفاظها او في تركيب معانيها · وهو مبحث فلسفي يقتضي معرفة تامّة لقوى الانسان العقلية ولامياله النفسية وخواصّهِ النطقية ثم يُلجئ ايضاً صاحبهُ الى درس واسع لعدد وافر من لغات الامم. والاب فان اويناكر موّلف الكتاب لم يتريّث في كل ذلك بل أقبل بعض اتقان مبادئ الفلسفة الطبيعية على درس معظم اللغات الهندواوربية واضاف اليها الالمام باللغات الساميّة ولغات الشرق الاقصى. فقابل اصول تلك اللغات على نواميس الطبيعة ولا سيا القوى النفسية التي دقّق فيها المحدثون نظرهم واطّلعوا بعد الاختبارات الجمة على اسرارها المكنونة فاستخلص من هذه المعارضة اصولًا عمومية جعلها كمبادئ لهذا العلم الجديد الذي يفتح للعقل البشري مجالًا واسعاً لمعرفة طبائع البشر ويدلُّ العلماء على ما اودعهُ الخالق في قوّة النطق من الخصائص العجيبة لتمثيل المعاني المكنونة في صدر الانسان · فمن هذا النظر العمومي يستطيع القرّاء ان يعرفوا ما لصاحب هذا الكتاب من الفضل في نهجهِ تلك المجاهل واستخراجهِ تلك الدفائن التي لم يسبقهُ اليها الّا بعض الافراد

وكان اكثرهم اشاروا اليها اشارة خفيفة فتوسّع فيها حضرة الاب بنوع عجيب

الاب بولس جوون

SAINT AMBROISE, par **P. de Labriolle** Professeur de littérature latine à l'Université de Fribourg (Suisse). 1 vol. grand in-16 de la collection *Pensée chrétienne.* Prix: 3 fr. 50, *Bloud et Cie*, éditeurs, *Paris*, VI.

القديس امبروسيوس

القديس امبروسيوس اسقف ميلانو احد آباء الكنيسة اللاتينية الذين رفعوا شأن الدين ونشروا لواء الفضيلة في بلاد الغرب فاستحقّ أن يُنظَم بين مشاهير الرجال الذين شرّفوا الانسانية • فالمسيو دي لابريول احد اساتذة كلية فريبورغ كتب هذه الترجمة ليوضح رتبة ذلك القديس وما احرز لهُ من الفضل في خدمة الدنيا والدين وذلك من اربعة وجوه: الوجه الاول من حيث سياستهِ مع ملوك عصره فانّهُ مدّة نيّف وعشرين سنة خدم الملوك غراسيان وولنتيان وثاودوسيوس الكبير فاضحى لهم اماماً ودليلًا ومرشدًا في اعمالهم الخطيرة • والوجه الثاني من حيث كان مفسرًا للكتب المقدسة كما تشهد لهُ الكتابات التي بلغتنا • والوجه الثالث من حيث تعاليمهِ الأخلاقية التي برز فيها بين اهل زمانهِ • واخيرًا من حيث عظاتهِ وتآليفهِ اللاهوتية • فقد فحص المؤلف كل هذه الوجوه وبيّن ما للقديس امبروسيوس فيها من الفضل مستندًا الى اوثق المصادر وكثيرًا ما يلخّص كتابات القديس او يترجم منها نخبًا مستظرفة ليثبت بذلك ما قصد بيانهُ في كل باب من الابواب السابق ذكرها • وقد اضاف الى تلك الفصول فصلًا خصوصياً في تعريف ليتورجية القديس امبروسيوس ونقل قسماً ممّا كتبهُ في الرتب الكنسية فجاء الكتاب وافياً بالمرام متعدّد الفوائد والاوصاف ر • ش

DAREMBERG - SAGLIO - POTTIER. **Dictionnaire des Antiquités grecques et romaines** .41e fascicule (Radivs-sacrificivm). *Paris, Hachette*, 1908.

الجزء الثاني والاربعون من معجم الماديات اليونانية والرومانية

هو المعجم العظيم الذي باشر بهِ بعض العلماء الفرنسويين منذ نحو عشر سنوات فضمنوهُ خلاصة المعارف البشرية في عاديّات اليونان والرومان وقد سبق لنا وصف

اقسامهِ السابقة وبيان عظم خطرهِ وفوائده الجمة . وهذا القسم الجديد يناهز ختام العمل اذ يحتوي الموادّ التي بهـا نهاية حرف R واوَّل حرف S فلا يبقى كما ترى الَّا الحروف الاخيرة واكثرها قليل الموادّ . ولو اردنا انتقاد هذا المعجم تفصيلًا لما كفت المقالات المطوَّلة وانما نقول اجمالًا انَّ هذا القسم كالاقسام المتقدّمة في حسن اختيار موادّه وتنظيمها وشرحها . وكل مقالة لاحد مشاهير العلماء الذي يغني اسمهُ عن الاطنـاب في معارفهِ . وبين المقالات التي راقت في عيننا الفصول التي عنوانها REGNUM, REX, ROMANORUM RESPUBLICA نقلًا عن كتابات احد ائمة العلوم القديـة المرحوم فوستـل دي كولنج (Fustel de Coulanges) صاحب الكتاب الشهير المعنون بالمدينة القديمة (La Cité antique) ومنها مقالة العلّامة كومنت (Cumont) في سابازيوس (SABAZIOS) ومقالة العلّامة هيلد (Hild) في منشئي الدولة الرومانية رومولوس وريموس (ROMULUS et REMUS) ومقالة لوكريفان (Ch. Lécrivain) في الاثاث والقتنيات (RES) ومقالة المسيو لوغران (Ch. E. Legrand) في الكهنة (SACERDOS) ومقالة بديعـة للمسيو پوتيار احد مديري هذا المعجم في الشِباك (RETE et RHYTON) ومقالة المسيو توتان (Toutain) في الدين والرتب الدينية (RELIGIO et RITUS) واخيرًا مقـالة المسيو دوريني (S. Dorigny) معنونة (RES RUSTICA) بحث فيها اوفى وادقّ بحث عن زراعة القدماء والفلاحة وكل ما ينوط بهما

س . ر

P. THOMSEN: **Systematische Bibliographie der Palaestina-Literatur.** 1 Band. 1895-1904. *Leipzig*, *R.Haupt*.XVI - 203 pp.,8°.

قائمة التآليف الفلسفية

لمّا أُنشئت مجلّة الجمعية الالمانية الفلسطينية اخذ كتبتها على نفسهم ان يدرجوا في اعدادها قائمة المطبوعات التي تبحث عن الآثار الفلسطينيـة فأدّت بذلك خدمًا مشكورة للعلماء اذ كانوا يجدون في صفحاتها جدولًا وافيًا لمنشورات الكتبة عن العلوم الفلسطينية وداومت على ذلك عدّة سنين حتّى السنة ١٨٩٤—١٨٩٥ فرأت ان تلك المطبوعات ووفرتها سواء كانت كتبًا او مقالات مفردة اتّسعت الى حدّ بالغ حتّى لم يكد

يفي بها الاحصاء وتشملها صفحات المجلّة فكفّت عن العمــل وقد كان ذلك خسرانًا عظيمًا وخللًا في جانب الآداب كان يتمنّى ارباب البحث ان يُستدرك قريبًا. وها ان الدكتور تومسن (D^r P. Thomsen) قد تلافى هــذا النقص وألّف كتابًا مستقلا اودعهُ قائمة المصنّفات الفلسطينية مباشرةً من السنة ١٨٩٤ الى السنة الحالية وقد أنجز القسم الاوّل منهُ وهو يتناول اسماء تلك التآليف حتى السنة ١٩٠٤ وليس هذا العمل بأمر سهل وانما قام بعبئهِ المؤلف اذ هو من العلماء المعدودين. وقد راجع لتصنيفهِ ٣٥٠٠ كتابًا كُتبت في كل اللغات وكل البلاد فدوّن اسماءها ورتّبهــا على اقسام معلومة وابواب مختلفة تسهيلًا لارباب البحث وزاد على ذلك فهرسًا مطولًا جعلهُ على ترتيب حروف المعجم. ولولا ضيق المكان كنّا عرضنــا على المؤلف اصلاحات وزيادات على مصنفهِ الجليل ولعل غيرنا ينوب عنّا في ذلك وعلى كل حال نشكر جنابهُ على تدوينهِ المقالات التي ادرجناها في المشرق عن فلسطين وشؤونها مثنيًا على كتبتها وان شاء الله يتحفنا قريبًا بالقسم التالي س. ر

MARIE DANS L'ÉGLISE ANTÉNICÉENNE par **E. Neubert.** Paris, V. Lecoffre et J. Gabalda, 1908, in-12, pp. XV-283.

مريم العذراء في الاثار الكنسيّة السابقة للمجمع النيقاوي

ان الكتبة الكنسيين الاولين قلّما تعرّضوا لذكر العذراء مريم اللهمّ الّا في معرض كلامهم عن ابنها الالهي كلّما شاؤوا الدفاع عن طبيعتهِ الالهية والبشريّة في اقنومــهِ الوحيد بازاء الهراطقة فكانوا اذ ذاك يصرّحون عن اعتقادهم بان مريم العذراء والدة الاله. فبيانًا لذلك عمد حضرة الاب نوبرت الى تعريف تلك البدع وايضاح اقوال اصحابها ليستخلص منها معتقد الآباء الذين زيّفوا اقوالهم ونقضوا مزاعمهم لانّ الضدّ بالضدّ يظهر. فالكتاب اذن مفيد لدارسي اعمال الآباء واللاهوتيين معًا اذ يجدون فيهِ عدّة نصوص وشواهد بينة تؤيد المذهب الكاثوليكي في عظم رتبة البتول الطــاهرة وامومتها الالهيّة. ومما كنّا وددنا اتساع المؤلف في بيانهِ بحثهُ في اصل دستور الايمــان المدعوّ بالرومانيّ فانّ هذا الامر يقتضي لخطرهِ ايضاحًا اوسع. وكذلك وجدنا بعض التناقض بين قول المؤلف في الصفحة ١٠٣ حيث قال بان عقيدة بتوليّــة العذراء في

ولادة المسيح سبقت عقيدة لاهوت الربّ و بين قولهِ في الصفحة ١١٨ وفيها يقول ان لاهوت المسيح علَّل ايضاً شيوع عقيدة بتوليَّة مريم . وقد الحق الاب نوبرت هذا القسم النظري من كتابهِ بقسم آخر تاريخي بيَّن فيهِ عبادة المؤمنين الاولين للبتول الطاهرة وتعظيمهم لشخصها الكريم والتجاءهم الى شفاعتها فنقل كلّ ما وجدهُ عن ذلك في تآليف الآباء والمصنفات غير القانونية والآثار والرتب الكنسيَّة . نعم ان تلك الشواهد لو اعتُبرت مفردةً ليست مهمّة لكنها بوفرتها تثبت شيوع عبادة النصارى القدماء للسيدة . فنثني على هذا التأليف ونحضُّ الشرقيين على النظر فيهِ لكثرة فوائدهِ وتحاشي صاحبهِ من كل جدال وخصام مكتفياً بكشف الحقيقة وتأييدها الاب ب . كَنتاكيس

البلغة

في شذور اللغة

وهي عشر مقالات لغويّة لائمّة كتبة العرب ظهر معظمها في مجلة المشرق وأُلحقت بفهارس

نشرها الدكتور اوغست هفنر والاب لويس شيخو اليسوعي

طُبع في المطبعة الكاثوليكية سنة ١٩٠٨ عدد صفحاته ١٨٠ يُباع بفرنكين

Dix anciens traités de Philologie arabe

منذ نُشرت المعاجم العربية كالصحاح والقاموس ولسان العرب أهمل الادباء غالباً تلك الرسائل اللغويّة التي كان ائمّة العرب الاقدمون صنَّفوها مفردةً فاودعوا كلًّا منها الفاظاً في باب معلوم كالسلاح والانسان والابل وغير ذلك من المباني الخاصّة . وانَّما اضربوا عنها لصعوبة التفتيش فيها والوقوف على مظانّها . بيد انَّ اللغويين الحدثين لمَّا ارادوا البحث عن اصول اللغة وكيفيّة جمعها عادوا الى تلك الآثار المنسيَّة واستخرجوها من دفائنها ونشروها بالطبع وتبيَّنوا المنافع الجمّة التي يمكن الحصول عليها بدرسها والتقاط فرائدها . وذلك ما حدا بنا ايضاً ان ندوّن في المشرق بعض تلك الآثار اللغويّة التي طلب الينا نشرها حضرة الدكتور اوغست هفنر نزيل كليتنا سابقاً او توفَّقنا نحن الى اكتشافها في خزائن الكتب الشرقيَّة وغيرها فما لبثنا ان وجدنا في محبي العربيَّة

ارتياحاً الى مثل هذه المنشورات بل توسّلوا الينا بان نجمع تلك الرسائل في كتاب خاصّ ليقرب الانتفاع بها فاستصوبنا ملتمسهم وأعدنا طبع تلك الآثار بعد تصحيح ما وقع فيها من الاغلاط الطبعيَّة وضبط حواشيها المدرجة في اذيالها . بل زدنا على كل رسالة فهارس لغويَّة مرتبة على حروف المعجم . فجاء هذا المجموع واسع المادَّة كامل الاهبة لا ينقصهُ شيء من المحسّنات الطبعيَّـــة وهو يبتدئ بثلاثة كتب تُنسب الى الاصمعيّ اي كتاب الدارات ثمّ النبات والشجر ثمّ النخل والكرم ويليها كتاب المطر لابي زيـــد وكتاب الرَّحل والمنزل لابن قتيبة او بالحري لابي عُبيد وكتابان في اللبإ واللبن لهما . ويُختم المجموع بثلاث رسائل اقرب الينا عهدًا الاولى في المؤنّثات السماعيَّة والثانية في الحروف العربيَّة والاخيرة في شرح المثلثات القطربيَّة شعرًا . وقد قدَّمنا على كل رسالة نبذة وجيزة لتعريف صاحبها ومضمونها والنسخ التي استندنا اليها . ولمَّا وافق ختام هذا المجموع افتتاح مؤتمر المستشرقين في عاصمة نروج سرَّنا ان نقدّم لناديهم العلميّ هذه التحفة ولا شكّ انَّهم يقدّرونها قدرها لوفرة فوائدها وعلوّ مقـــام اصحابها الاقدمين ل . ش

الآداب العربيّة
في القرن التاسع عشر

للاب لويس شيخو اليسوعي . الجزء الاوَّل من السنة ١٨٠٠ الى ١٨٧٠ مع ثلاثة فهارس طبع في المطبعة الكاثوليكية ١٩٠٨ عدد صفحاته ١٣٦ . يُباع بفرنك ونصف

La Littérature arabe au XIX^e siècle, 1^re partie.

من عجيب امور اللغة العربيّة انك لا تجد حتى اليوم تاريخًا لآدابهـــا مع وفرة كتبتها وتعدُّد مصنفاتها في كل ابواب العلوم واتساع دائرة نفوذها الى حدود الهنـــد والصين ومجاهل افريقة وسواحل اوربا وقد احسّ بهذا النقص فئـــة من المستشرقين الحدثين في فرنسة والمانية وانكلترة وروسيًا وايطالية فارادوا نوعًا سدّ هذا الخلل ببعض التآليف التي اودعوها اوصاف العلوم العربيَّة وتراجم اصحابها وقائمـــة كتبهم التي

صنفوها . على ان تلك التآليف مع فوائدها ليست سوى بواكير اعمال اوسع واكمل لا نزال اليها في حاجة ماسّة فنتمنّى ان تتألف فرقة من الادباء تقوم بهذا المشروع الجليل فتتبع آثار اللغة العربية في كل اطوارها مباشرةً بعهد الجاهلية و بين القبائل المتفرقة في انحاء الجزيرة ثمَّ تدوّن نشأة تلك اللغة وما طرأ عليها من الطوارئ في اوائل الاسلام وفي زمن الخلافتين الامويّة والعبّاسية مع وصف الاسباب التي زادتها انتشارًا كفتح المدارس وانشاء المكاتب ونوادي العلوم وتنشيط الملوك . ثم تعرّف ائمة الكتبة والذين اشتهروا في كل زمن وكل بلد واختصوا بكل صنف من العلوم . وتذكر خمود تلك الآداب في القرون الاخيرة مبيّنةً لعللها ومعلولاتها ثم تختم ذلك بفصل مطوَّل عن النهضة الادبية التي حدثت في القرن الاخير . فلا غروَ ان كتابًا مثل هذا يتهافت عليهِ الادباء ويتخذونهُ كدستور دروسهم واساس ابحاثهم . وذلك ما حدا بنا ان نكتب في المشرق فصولًا في الآداب العربية في القرن الاخير رجاء ان تمهد الطريق لمن يتوخّى ذلك التاريخ الذي يتوق اليهِ المستشرقون . فلمّا انسنا في جمهور القرّاء اقبالًا على مطالعتها وطلبوا الينا جمعها في كتاب مستقلّ تسهيلًا لمراجعتها لبّينا الى ملتمسهم وطبعنا على حدة القسم الاوَّل الذي يتناول تاريخ الاداب العربية من غرّة القرن التاسع عشر الى السنة ١٨٧٠ وسوف نردفهُ قريبًا ان شاء الله بقسمهِ الثاني. هذا ونحن نعلم حق العلم أنهُ فاتتنا اشياء كثيرة من احوال الآداب التي أردنا وصفها والادباء الذين قصدنا تعريفهم وما كنا لنجترئ على مباشرة هذا العمل لولا خوفُنا بان يتلف القليل ممّا جمعناه عن آداب القرن المنصرم فتأخذه ايدي الضياع واملُنا الوطيد بأن يتلافى غيرنا ما يجدونهُ في هذا المجموع من الخلل بإبراز ما عندهم من الذخائر المصونة والكنوز المدفونة . وقد ختمنا هذا الجزء بفهارس المواد واعلام الادباء الشرقيين والمستشرقين الذين مرَّ ذكرهم في مطاوي الكتاب لتتم بها الفائدة وتزيد العائدة . ان شاء الله

ل . ش

شذرات

لغز مطلوب حلّهُ — عرض علينا المسيو مسنيون احد المستشرقين الفرنسويين الذي يهتمّ الآن بوضع كتاب في أبي مغيث الحلّاج ان ننشر في المشرق

لغزًا وقف عليهِ في ترجمة هذا الخارجيّ وهو لم يهتدِ الى حلّهِ لعلَّ احد القرّاء يهتدي اليهِ ولو بذكر اللفظة فقط بدون نظم ابيات وهو هذا:

يا غافلًا لجهالة عن شاني هلاَّ عرفتَ حقيقتي وبياني
وعبارة هي ستة احرفٍ من بينها حرفان معجومانِ
حرفان اصلي وآخر شكلهُ في المعجم منسوبٌ الى ايمانِ
فاذا بدا راس الحروف امامها حرف يقوم مقام حرف ثاني
ابصرتني بمكان موسى قائمًا في النور فوق الطور حين تراني

خرافات بعض الملحدين اثبتنا في العدد السابق (ص ٥٦١) اقتراح الهلال على قرّائهِ بان يبيّنوا ضرورة الدين في الوجدان اذ لولاهُ يبتدع الانسان لهُ دينًا باطلًا. فذكرنا هذا الاقتراح بما كتبهُ احد ادباء عصرنا في هذا المعنى حيث قال: لا بُدَّ للانسان من دين صحيح او باطل فان نبذ الدين القويم رجح في عقلهِ الباطل وان تقرَّر الدين المستقيم زهق الباطل. ولو سمح لنا المكان أنقلنا هنا كثيرًا من الخرافات الصبيانية التي شاعت بين الملحدين الذين نكروا وجود الاله وعقائد الوحي الراهنة المبنيّة على اثبت البراهين واقوى الادلّة منقادين لبعض المزاعم الواهنة التي لا يقبلها العقل ويمجّها الذوق السليم فترى هذا لا يتجاسر ان يسافر يوم الجمعة اذ يُعدّ السفر فيهِ نحساً. وذاك لا يجلس على مائدة يكون دُعاتها ١٣. كان الزنديقان الفرنسويّان ديدرو ودالمبرت يرتعبان من تأثير العين ورصود المشعوذين. وكان الملحد هوبّس الانكليزي يُذعَر ممّا يطرأ عليهِ من الأحلام. وكان ملك بروسية فردريك الكبير اذا رأى اسياخ الاكل والملاعق على المائدة مصلّبة استطار لمنظرها خوفًا. وكان ڤولتار ترتعد فرائصهُ اذا سمع صوت الرعد فيستتر تحت قبة الاجراس. وكان اسكندر دوماس الراوية يزاول فتح الفأل ويرى لتقاطيع الكفّ اسرارًا. واتخذت جرج سَند الكاتبة الشهيرة لها الهًا اخترعتهُ مخيلتها ودعتهُ كورامبو وكانت تسجد لهُ مرتعبة امامهُ. وكان زولا القصّاص ينسب للاعداد قوّة غريبة فيجمعها او يطرحها او يضربها او يقسمها ولا يتصرَّف بالعمل الّا اذا وافقت ظنّهُ. وكان اذا خرج من دارهِ قدّم الرجل اليسرى على اليمنى لزعمهِ انَّ لليسرى فعلًا صالحًا بخلاف اليمنى. وهذه الخرافات التي كان هؤلاء المدّعين بالعلم يعتقدونها لم يبنوها كما ترى على غير اوهامهم فكأن الله كما يقول القديس بولس (رومية ٢:٢١) يعاقب هؤلاء جحدة اللاهوت وحقائق الدين بأن

يسلمهم الى اهواء قلبهم والى رأيهم المرذول حتى يعملوا ما لا يليق ويعتقدوا ما لا يقطع عقل انسان

﴿ السكك الحديديّة في اوربّة سنة ١٩٠٧ ﴾ نشرت وزارة الصنائع والفنون في فرنسة جدول السكك الحديديّة في اوربّة وقابلت بين حالتها في العام ١٩٠٧ والعام السابق فنذكر هنا البلاد على نظام ترقيها . اما الاقيسة فعلى حساب الكيلومتر:

اسماء البلاد	خطوطها سنة ١٩٠٦	خطوطها سنة ١٩٠٧	زيادتها
روسيا وفنلندة	٥٥,٠٠٦	٥٦,٦٧٠	١,٦٦٤
النمسا والمجر	٣٩,٩١٨	٤١,٢٢٧	١,٣٠٩
المانية	٥٦,٤٧٧	٥٧,٣٧٦	٨٩٩
فرنسة	٤٦,٤٦٦	٤٧,١٤٣	٦٧٦
اسوج	١٣,٦٨٤	١٣,١٦٥	٤٨١
بريطانية العظمى	٣٦,٧٦٠	٣٧,١٠٧	٣٤٧
بلجكا	٧,٢٥٨	٧,٤٩٥	٢٣٧
اسبانية	١٤,٤٣٠	١٤,٦٤٩	٢١٩
دانيمرك	٣,٢٨٨	٣,٤٣٤	١٤٦
ايطالية	١٦,٢٨٤	١٦,٤٢٠	١٣٦
برتغال	٢,٥٧١	٢,٦٣٧	٦٦
سويسرا	٤,٢٨٩	٤,٣٤٢	٥٣
رومانية	٣,١٧٩	٣,٢١٠	٣١
هولندة	٣,٠٣٠	٣,٠٥٤	٢٤

اما بقية البلاد التي لم نذكرها فلم يزيدوا على خطوطها السابقة شيئاً

﴿ وفاة فلكي يسوعي ﴾ ننقل هنا الاسطر التي عرّبتها مجلّة المقتطف (ص ٥٤٢) عن جريدة ناتشر العلمية وفيها خبر رزيّة عظيمة اصابت العلوم الفلكية بوفاة احد مشاهير الفلكيين في الهند وهو الاب لافونت اليسوعي البلجكي قالت:

نمت اخبار الهند الاب اوجين لافونت العالم الطبيعي وهو في الحادية والسبعين من عمره كان استاذاً للعلوم الطبيعيّة في مدرسة سنت زفير الكليّة بكلكتا ثمّ جعل رئيساً لها وبسعيه جمعت تلك المدرسة احسن الآلات التي توضّح بها الحقائق العلميّة . ولقد كان من امهر الاساتذة في التعليم ونشر الحقائق العلميّة وبقي ثلاثين سنة عضواً في مدرسة كلكتا الجامعة وكان لهُ المقام الارفع في الدوائر العلمية وفي عيون اعيان الهند وبسعيهِ تمكن الدكتور «ماهندرا لال سركار» من انشاء المجمع الهندي لترقية العلوم . وسيبقى اسمهُ مقروناً بالتعظيم والتبجيل كأول روّاد التعليم العلمي

في بلاد بنغالا وفقدهُ خسارة كبيرة على تلك البلاد ولا سيما في هذا الزمن الذي يراد ان يوضع فيهِ التعليم هناك على اسس علميَّة

اصغر مكتبة في العالم من مرويَّات البشير ان المسيو سالوموني مهندس مناجم البيامونت تمكن من جمع مكتبة يبلغ عدد مجلَّداتها ١٥٠٠ كتاب في مواضيع مختلفة لكنها كلها مكتوبة بخطوط غاية في الدقة او مصغرة بالفوتوغراف بحيث يمكن صاحبها ان يحملها بتمامها في محفظة سفَر اعتياديَّة فيأخذ مكتبتـهُ معهُ حيثما سار. ومن كتب هذه الخزانة الغريبة ترجمة الياذة هوميروس الى الشعر الايطالي التي لا يزيد طولها عن الربع الجيدي وقس عليهِ سائر المجلَّدات . واكثر هذه الكتب من هولندة

ثمن احدى صور المصور رافائيل افادت اخبار رومية انَّ المسيو مورغان المثري الاميركي الشهير قد ابتاع صورة العذراء مريم من صنع رافائيل المصوّر الايطالي الشهير في القرن السادس عشر فدفع في حقها ٢,٥٠٠,٠٠٠ فرنك وسيزيّن بها قصر ألدوبرَنديني الذي اشتراهُ موْخرًا في رومية

معامل الورق ان انتشار المطابع وتوفر المطبوعات ولا سيما الجرائد يستدعي توسيع صناعة الورق وانشاء معامل جديدة لاستحضارهِ . وغاية ما كان يُنفَق منهُ قبل عشرين سنة كان لا يكاد يتجاوز ٨٠٠,٠٠٠,٠٠٠ كيلو وفي السنة المنصرمة كاد يبلغ ١,٦٠٠,٠٠٠,٠٠٠ كيلو تتخذ الولايات المتحدة في اشغالها ومطبوعاتها نحو نصف هذا المقدار ثم يليها المانية ثم انكلترة ثم فرنسة ثم النمسة ثم ايطالية

اسئلة واجوبة

س عاد جناب الفاضل مراد افندي الباروي وطلب منَّا زيادة ايضاح في مختصر جغرافيَّـة الادريسي المعروفة بنزهة المشتاق واختراق الآفاق وما يوجد بين المختصر المطبوع في روميـة من العلاقة مع المختصر الذي ذكرهُ صاحب كشف الظنون اذ قال «والمعروف انهُ اختصره بعضهم» مختصر نزهة المشتاق للادريسي

ج نجيب على هـذا السوْال ان المستشرقين الذين وصفوا كتاب الادريسيّ ومخطوطاتهِ الكاملة او المختصرة لم يزيدوا بيانًا على ما اثبتناه سابقًا في جوابنا الاوَّل لجناب المستفيد (ص ٣٢٠) واذ لم نطَّلع نحن عيانًا على هذه المخطوطات فلا يمكننا ان

نجيبهُ جواباً شافياً يروي غليلهُ . وغاية ما امكننا استخلاصهُ من اوصاف العلماء التي فيها تباين والتباس عظيم انَّ الشريف الادريسي ألَّف كتابهُ نزهة المشتاق لروجار صاحب صقلّية ومن هذا الكتاب اربع نسخ نسختان في باريس ونسختان في اكسفرد واجود هذه النسخ واكملها نسخة باريس الموسومة بالعدد ٢٢٢١ وهي كاملة وفيها ١٩ خارطة ومثلها في الجودة نسخة اكسفرد التي عددها ٣٨٣٧—٣٨٤٢ الَّا انَّها ناقصة . ومع نفاسة هذا الكتاب الجليل لم يُطبع منهُ حتى الآن الَّا بعض الاقسام كوصف الشام ووصف ايطالية ووصف المغرب . الَّا انهُ نُقل بتمامهِ الى الفرنسويَّة بهمّة العلامة جوبرت (Jaubert) . ويظهر ايضاً انَّ الشريف الادريسي صنَّف للملك غليلم الاول كتاباً جغرافيًّا اوسع دعاهُ روض الانس ونزهة النفس وهو اليوم مفقود قال العلامة دوزي « ان ابا الفداء استعان بهِ في كتابهِ تقويم البلدان ودعاهُ كتاب الممالك » . اما المختصر المدعو نزهة المشتاق في ذكر الامصار والاقطار والبلدان والجزائر والافاق» فيُعرف منهُ ست نسخ والمستشرقون لا يعيرونها كبير بال ولذلك يعدّدونها دون وصفها او المقابلة بينها . وعلى رأي العلامة جوبرت ان النسخة المطبوعة في رومية سنة ١٥٩٢ هي المختصر الموجود في خزانة كتب باريس وانَّها هي التي نقلها سنة ١٦١٩ العالمان المارونيَّان جبرائيل الصهيوني وحنَّا الحصروني الى اللاتينية ووسماها بالجغرافية النوبية (Geographia Nubiensis) هذا محصَّل بحثنا في هذا الشان وان اسعدنا الحظ في سفرنا قريباً الى اوربة ان نراجع هذه المخطوطات فعلنا ان شاء الله فيمكننا ان نزيد المستفيد ايضاحاً

س وسألنا احد افاضل الارمن الكاثوليك في اي سنة طُبع اوَّل كتاب في اللغة الارمنيَّة واين طُبع

تاريخ الطباعة الارمنيَّة

ج المرجح انَّ اوَّل من طبع كتاباً باللغة الارمنيَّة هو ابجر الطوقاتي وكان جاثليق الارمن الغريغوريين ميخائيل السيواسيّ ارسلهُ سنة ١٥٦٣ الى رومية ليقدّم للحبر الاعظم بيوس الرابع صورة ايمانهِ فتعلَّم هناك سبك الاحرف الارمنية على نفقة الكرسي الرسولي وبهمَّة البابا القديس بيوس الخامس ثم سافر الى البندقية فطبع فيها كتاب المزامير سنة ١٥٦٥ وهو اوَّل كتاب طُبع بالارمنية ثم طبع كتاب التسابيح

والفرض الكنائسي . ولمَّا توفي اجر قام بعدهُ ابنهُ المدعو سلطان فجرى على صناعتهِ وعمَّم الطباعة الارمنية ل . ش

س وسأل حضرة الاب انستاس الكرملي عن اصل ومعنى الالفاظ المعرَّبة الآتية : « المنتيَّة . البارمنتي . اللاطية . الكوكوليون . الاناالابون . وكلمة جسكالا»

اصل بعض الالفاظ الاعجميَّة

ج المنتيَّة (μανδύη) رداء طول يلبسهُ الاساقفة في الرتب الكنسيَّة . والبارمنتي (παραμανδύας) ثوب رهبانيّ يُلبس فوق المنتيَّة . والكوكوليون (من اللاتينيَّة cucullum ومنها اليونانية κουκούλιον) هو غطاء يُجعل على الراس كالاسكيم . والاناالابون (ἀνάλαβος) ثوب ذو لفقين يُجعلان على الصدر وعلى الظهر ويُدخَل الراس في وسطهما يوافق ما يدعوهُ المحدثون باسم (Scapulaire) . امَّا جسكالا فهو اسم مدينة في الجليل تُعرف اليوم باسم الجشّ امَّا اصل الكلمة فلا نعلمهُ ولعلَّهُ تصحيف « جش قلعة » اي قلعة جشٍّ كما يقولون « روم كالا » يريدون قلعة الروم .

س وسأل من طرابلس صاحب الفضل حكمت افندي شريف ما هي اصح كتابة لاسم عبدالله الماروني الحلبي مطران بيروت ومؤسس الرهبانيَّة اللبنانية الذي نشرنا ترجمتهُ في المشرق (١٠ : ٦٢٥) للاب توما البودي اهو قراألي بالهمزة بعد الالف المهملة او قراعلي بالعين لأنَّنا تردَّدنا في كتابة هذا الاسم

المطران عبدالله قراعلي

ج سبق حضرة الاب انطون ربَّاط فاجاب على هذا السؤال في الحاشية الرابعة من الصفحة ٦٢٦ من المشرق (السنة العاشرة) حيث قال انَّ النسخة التي نشرها المتضمنة سيرة حياة المترجم والمكتوبة من تلميذه البودي روت اسمهُ بالعين (قراعلي) وقد وافقهُ بذلك معاصروه . امَّا المحدثون فقد رووا اسمهُ بالهمز (قراألي) كأنَّهم اشتقوهُ من التركية « قرا ال » او « قرا اللي » اي اليد السوداء او الاسود اليد . ولعل الاسم الاوَّل اصح لان اهل زمانهِ اعرف باسمهِ من المحدثين فيكون معنى الاسم « علي الاسود » . وفي برنامج الاديب الهمام يوسف افندي خطار غانم (ص١٢٣) ان الاسم مكتوب على ضريح المترجم « قرا ألي » سنة ١٧٤٢ لكنَّ هذا لا يزيل المشكل اذ لم نعرف متى أُثبتت تلك الكتابة على الضريح أفي سنة الموت او بعد ذلك بزمان . ومن المحتمل ان يكون اصل الاسم بالعين ثمَّ جعلوه همزةً على دأب الذين يلفظون العين

همزة تليينا فظنّوه قرا ألي. وتزيد على ذلك ان تقليد هذه الاسرة في حلب يوافق على كتابة الاسم بالعين قراعلي لا قراألي. والله اعلم

س وسأل الاديب وهبي افندي تماري ما هي الروايات الادبيَّة التي يمكن تشخيصها في المدارس او الجمعيَّات الخيريَّة .

الروايات التشخيصيَّة الادبيَّة

ج قد توفَّر منذ عشر سنوات عدد الروايات التشخيصيَّة المطبوعة ولا سيما في مصر ألّا انَّ اكثرها غرامية لا تصلح للمدارس وللجمعيات الادبية . ومما يحسن تمثيلهُ في المدارس الروايات الآتيــة الماخوذة عن الكتب المقدسة او تاريخ الكنيسة كمأساة ايوب الصديق للاديب المعلم الياس لطف الله (طُبعت في القدس) . ورواية الابن الضال لهُ (طبعت في الاسكندريَّة) . ورواية داود الملك للخوري بطرس البستاني (طبعت في بيروت) ورواية حكمة سليمان جمعها القس افرام الديراني (طبعت في مطبعتنــا) . ورواية الحارث شعريَّة لخليل افنــدي طنوس باخوس (طبعت في بيروت) . ورواية استشهاد مار ترسيسوس للمعلم سليم افندي حسُّون (في الموصل بمطبعة الدمنيكان) . ورواية لطيف وخوشابا ترجمة نعوم افندي فتح الله سحّار (في الموصل) . والمثل الاريجيّ في استشهاد الفتى المسيحي للخوري ميخائيل الوف (في مطبعتنا) . ورواية السعادة في الشهادة للمعلم ميخائيل غفريل (في مطبعتنا) . والدرَّة الفريدة في افدوكيا الشهيدة . لهُ لمدارس الاناث (طبعت في الحدث) . ورواية القديس لويس غنزاغا للاديب يوسف افندي شبلي ابو سليمان (في مطبعتنا) . ورواية وديعة الايمان في ضواحي لبنان لهُ (في مطبعتنا) . ومن الروايات التاريخية التي يحسن ايضاً تشخيصهــا في المدارس رواية الفراد الكبير بقلم شبلي افندي ملّاط (في بعبدا) . ورواية الذخيرة من ترجمتــهِ (في بيروت) . ورواية رومانوس امبراطور الشرق بقلم عقل البشعلاني و يوسف البجاني (في بيروت) . ورواية ابدالونيم ملك صيدون للاديب يوسف افندي شبلي ابي سليمان . ورواية الفارس الاسود للمرحوم نجيب حبيقه (في بعبدا) . ورواية كريستوف كولومب (في الاسكندرية) . هذا وقد ترجم بعض الكتبة عدة روايات افرنسية لكورنيل وراسين وغيرهما من الشعراء كالسِّيد وبريطانيكوس وعتليا وميروبا واوديب الّا ان تشخيصها يقتضي بعض التنقيح لدخول النساء فيها

ل . ش

المشرق

الحكومة الدستورية

ان الرابع والعشرين من شهر تموز سنة ١٩٠٨ الذي منح فيهِ جلالة السلطان رعاياه حكومة دستوريَّة على مثال الحكومات الاوربيَّة لجدير بان يُعدّ من اهم تواريخ الامة العثمانية. فبعد ان كانت متربثةً في مقامها لا تكاد تريمهُ بينما الكل في سير حثيث. ثابتةً على تقاليدها القديمة لا تحب نسخ شيء منهـا بينما الكل في تغيّر وانقلاب. عزمت هي ايضاً على النهوض من مقرها ومبـاراة الدول الاوربية في سيرها واحوالها المدنيَّة والسياسيّة. وقد تلقّى الجميع من وطنيين واجانب في داخل البلاد وفي الخارج ولاسيما في الدوائر السياسية هـذا الحادث الخطير بمزيد الفرح والارتياح لانهم يتنسمون منهُ خيرًا عميماً. ولنا الأمل ان الاحكام الجديدة اذا رسخت فيما بيننا. وطابقتهـا الاعمال بكل صدق وامانةٍ. ولبثت حقوق الباريّ عزَّ وجلَّ. رأسِ كل صلاح واصلِ كل تمدن حقيقي. مرعيةً من الكبير والصغير والرئيس والمرؤوس. ضمنت للوطن الامن والعدالة. وانعشت في النفوس روح النشاط والاقدام على المشروعات المفيدة. واعادت الثقة لذوي الثروة في اوربَّا فامدونا باموالهم وساعدونا على استثمار خيراتنا. واوقفت حركة المهاجرة المشؤومة التي حرمت بلادنا انشط اولادها. وسهَّلت على ذوي الامور حلّ المشاكل السياسية التي طالما عكرت صفاء علاقاتنـا مع الدول الاجنبيَّة الى غير ذلك من المنافع التي يطول شرحها الآن. وفّق الله المساعي وحقّق الاماني

ولما كان القانون الاساسي الذي وُضع سنة ١٨٧٦ ثم اوقف العمل بهِ حتى اواخر تموز المنصرم والخط الهمايوني الصادر في غرة هذا الشهر يُعتبران كقاعدة النظام الجديد احببنا نشرهما ليسهل على الكل مطالعتهما والرجوع اليهما عند الحاجة

القانون الاساسي

وزيري سمير المعالي مدحت باشا

ان التدنيات العارضة منذ ازمان على قوة دولتنا العلية قد نشأت من الانحراف عن الطريق المستقيمة في ادارة الامور الداخلية اكثر مما نشأ من الغوائل الخارجية ومن ميل الاسباب الكافلة امنية التبعة من حكومتهم المتبوعة الى الانحطاط . فلذا كان والدي الماجد المرحوم عبد المجيد خان اعلن مقدمة للاصلاحات خط التنظيمات الذي منح فيهِ للعموم الامن على نفوسهم واموالهم واعراضهم وناموسهم كما يوافق احكام الشرع الشريف المقدسة . فما عشناه للان ضمن دائرة الامن . وما وُفقنا بهِ اليوم بوضع واعلان هذا القانون الاساسي الذي هو ثمرة الآراء والافكار المتداولة بالحرية المستندة على تلك الامنية ما هو الّا من جملة آثار تلك التنظيمات الخيريَّة . فلذلك اردد خاصةً في هذا اليوم المسعود اسم المرحوم المشار اليهِ وموفقيته واصفهُ بعنوان محيي الدولة . ولا ريب بانهُ لو كان الاوان الذي تأَسست فيهِ التنظيمات المذكورة موافقاً لاستعداد زماننا هذا والجاآته لكان المرحوم المشار اليهِ اسس اذ ذاك احكام هذا القانون الاساسي الذي نشرناه الآن واجراه . ولكن جناب الحق علّق حصول هذه النتيجة المسعودة الكافلة بالتمام سعادة حال ملتنا وعوَّقها لعهد سلطتنا . فنقدم بناء على هذه الدلالة لجناب الرب الكريم الحمد والشكر العظيم . على ان التغييرات التي وقعت بالطبع في احوال داخلية دولتنا العلية والتوسعات التي حصلت في مناسباتها الخارجية اوصلت عدم كفاءة شكل ادارة الحكومة لدرجة البداهة . ولما كان اقصى مقاصدنا الخيريّة ازالة الاسباب المانعة للان الاستفادة الواجبة من ثروة ملكنا وملتنا الطبيعية ومن قابليتهما الفطرية وتقدم صنوف التبعة في طرق الترقي بالتعاون والاتحاد اقتضى لاجل الوصول الى هذا القصد ان تتخذ الحكومة قاعدة سالمة ومنتظمة وهذا ايضاً يتوقف على تأمين هذه الفوائد وتقريرها بمعنى ان قوة الحكومة تحافظ على حقوقها المقبولة والمشروعة وعلى منع الحركات غير المشروعة اعني بها منع ومحو الخطيئات وسوء الاستعمالات المتولدة من الحكم الاستبدادي الفردي او الافراد القلائل ليستفيد جميع الاقوام المركبة هيئتنا منهم

من نعمة الحرية والعدالة والمساواة بلا استثناء . ذلك حق ومنفعة حريان بالهيئة الاجتماعية المدنية . ولما كان ربط القوانين والمصالح العمومية بقاعدتي المشورة والمشروطية المشروعتين والثابت خيرهما مما تحتاج اليهِ هذه الاصول اوعزنا في خطنا الذي اذعنا بهِ جلوسنا عن لزوم ترتيب مجلس عمومي . وبما ان القانون الاساسي الذي اقتضى تنظيمه في هذا المطلب قد ترتب بالمذاكرة في الجمعية المخصوصة التي تعينت مركبة من متحيزي الوزراء وصدور العلماء ومن سائر رجال ومأموري دولتنا العلية وجرى عليهِ التصديق في مجلس وكلائنا بعد امعان نظر التدقيق وكانت المواد المندرجة فيهِ انما هي متعلقة بحقوق الخلافة الاسلامية الكبرى والسلطنة العثمانية العظمى وحرية العثمانيين ومساواتهم وصلاحية الوكلاء والمأمورين ومسؤوليتهم وبما للمجلس العمومي من حق الوقوف وباستقلال المحاكم الكامل وبصحة الموازنة المالية وبالمحافظة على مركز الحقوق في ادارة الولايات واتخاذ اصول توسيع الأذونية وكان جميع ما ذكر مطابقًا لاحكام الشرع الشريف ولاحتياج الملك والملة وقابليتهما في يومنا هذا وكانت اخصّ آمالنا في مطلب سعادة العامة وترقياتها مساعدة لهذا الفكر الخيري وموافقة لهُ فاستنادًا على عون الله وامداد روحانية رسول الله قد قبلنا هذا القانون الاساسي وارسلنا بهِ لطرفكم بعد ان صادقنا عليهِ فبادروا لاعلانهِ في جميع انحاء الممالك العثمانية واطرافها ليكون دستورًا للعمل الى ما شاء الله وباشروا باجراء احكامه منذ اليوم متخذين اسرع التدابير لتنظيم ما تقرر فيهِ وتسطر من النظامات والقوانين كما هو مطلوبنا القطعي ونسأل جناب الحق المتعال ان يجعل مساعي المجتهدين في سعادة حال ملكنا وملتنا مظهرًا للتوفيق في كل الاعمال

في ٧ ذي الحجة سنة ١٢٩٣

﴿ في ممالك الدولة العثمانية ﴾

المادة ١ ان الدولة العثمانية تحتوي على الممالك والقطع الحاضرة وعلى الايالات الممتازة وجميعها جسم واحد لا يمكن تفريقه او تجزيئه بوقت من الاوقات او بسبب من الاسباب

٢ ان مدينة استانبول هي عاصمة الدولة العثمانية ومقرها وهذه المدينة غير معفاة او ممتازة عما سواها من جميع البلاد العثمانية

٣ ان السلطنة السنية العثمانية الحائزة على الخلافة الكبرى الاسلاميـة تكون لاكبر اولاد سلالة آل عثمان بحسب الاصول القديمة

٤ ان حضرة السلطان حسب الخلافة هو الحامي لدين الاسـلام وهو ملك جميع التبعة العثمانية وسلطانها

٥ ان نفس ذات الحضرة السلطانية هي مقدسة وغير مسئولة

٦ ان حقوق حرية سلالة آل عثمان واموالهم واملاكهم الذاتيـة وتخصيصاتهم المالية ما دامت الحياة جميعها تحت التكافل العمومي

٧ ان عزل الوكلاء ونصبهم وتوجيه المناصب والرتب واعطـاء النياشين وتوجيهات الايالات الممتازة توفيقاً لشروط امتيازهم وضرب المسكوكات وذكر اسمه في الخطب وعقد المعاهدات مع الدول الاجنبيـة واعلان الحرب والصلح والترأس على القوة البحرية والبرية واجراء الحركات العسكرية والاحكام الشرعية والقانونية وتنظيم النظامات المتعلقة بمعاملات دوائر الادارة وتخفيف المجازاة القانونية او العفو عنها وعقد المجلس العمومي او فضه وتعطيله وفسخ هيئـة المبعوثان لدى الاقتضاء على شروط انتخاب الاعضاء مجدداً ذلك جميعه من حقوق الحضرة السلطانية المقدسة

﴿ في حقوق تبعة الدولة العثمانية العمومية ﴾

٨ يطلق اسم عثماني بدون استثناء على كافة افراد التبعـة العثمانية من اي دين ومذهب كانوا وهذه الصفة العثمانية تضاع او تستحصـل على مقتضى الاحوال المعينة قانونياً

٩ العثمانيون باجمعهم يملكون حريتهم الشخصيـة ومكلفون بان لا يتسلطوا على حقوق حرية الآخرين

١٠ تصان الحرية الشخصية من كافة انواع التعرض ولا يجازى احد تحت اي حجة كانت خارجاً عن الصور والاسباب المعينة في القانون

١١ ان دين الدولة العثمانية هو دين الاسلام فمع المحافظة على هذا الاساس تكون حرية جميع الاديان المعروفة في الممالك العثمانية وكافة الامتيازات الممنوحة الى الجماعات المختلفة تحت حماية الدولة على شرط ان لا تخل براحة الخلق ولا بالآداب العمومية

١٢ تكون المطبوعات مطلقة في دائرة القانون

١٣ التبعة العثمانية ماذونة ان تشكل ضمن دائرة النظام والقانون كل انواع الشركات لاجل التجارة والصنعة والفلاحة

١٤ اذا رأى احد التبعة العثمانيـــة او عدة اشخاص منهم قضية متعلقة بهم او بالعموم مخالفة للقوانين والنظامات يحق لهم ان يقدموا بخصوصهـــا عرضحال لمرجعها و يحق لهم كذلك ان يقدموا للمجلس العمومي عرضحـــال ممضيًا منهم بصفة مدعين وان يشتكوا من افعال المأمورين

١٥ امر التدريس يكون مطلقًا وكل عثماني مأذون بالتدريس خصوصيًا كان او عموميًا على شرط اتباع القانون المعين

١٦ توضع جميع المكاتب تحت نظارة الدولة ويجب التشبث في الاسباب التي تجعل التربية العثمانية على نسق واحد في الاتحاد والانتظـــام ولا يقع خلل في اصول التعليم المتعلق بامور معتقدات الملل المختلفة

١٧ يكون كافة العثمانيين متساوين في حقوق المملكة ووظائفها امام القانون فيما عدا الاحوال المذهبية والدينية

١٨ يشترط في مطلب استخدام التبعـــة العثمانية في خدمات الدولة ان يعرفوا اللسان التركي الذي هو لسان الدولة الرسمي

١٩ تقبل عموم التبعة في مأموريات الدولة ويستخدمون فيما يناسب منهـــا بحسب اهليتهم ولياقتهم

٢٠ تطرح التكاليف المقررة وتتوزع على التبعة بنسبة اقتـــدار كل فرد منهم توفيقًا لنظاماتها المخصوصة

٢١ يكون كل فرد امينًا على مالهِ وعلى ملكهِ المتصرف فيـــهِ تصرفًا اصوليًا ولا يؤخذ من احد الملـــك الذي في تصرفه ما لم يثبت لزومه للمنافع العموميَّة وما لم يدفع لهُ ما يساويه من الثمن نقدًا على موجب القانون

٢٢ يصان مسكن كل فرد في الممالك العثمانية ومنزله من التعرض وليس وسع الحكومة ان تدخل جبرًا الى مسكن احد او منزله بسبب من الاسبـــاب فيما عدا الاحوال التي يعينها القانون

٢٣ على موجب حكم قانون اصول المحاكمة المقرر وضعه لا يجبر احد البتة على الذهاب الى محكمة غير المحكمة المنسوب اليها قانونيًا

٢٤ السخرة والمصادرة والجريمة ممنوعات ويستثنى من ذلك التكاليف والاحوال التي تعين اصوليًا في اثناء المحاربة

٢٥ لا يؤخذ من احد بارة الفرد تحت اسم ويركو ورسومات او تحت اي اسم آخر من غير ان يكون ذلك مسندًا على قانون

٢٦ التعذيب وكل انواع الاذية ممنوع بالكلية بالوجه القطعي

في وكلاء الدولة

٢٧ يحال مسند الصدارة والمشيخة الاسلامية الى من تأتمنهم الحضرة السلطانية وتجري كذلك مأمورية كافة الوكلاء بموجب الارادة السنية

٢٨ يعقد مجلس الوكلاء تحت رئاسة الصدر الاعظم وهذ المجلس هو مرجع الامور الداخلية والخارجية وما يحتاج من قرار مذاكرته للاستئذان يجري بالارادة السلطانية

٢٩ كل من الوكلاء يُجري على وفق الاصول كل ما يكون داخلًا تحت مأذونيته من الامور العائدة لدائرته. وما كان خارجاً عنها يعرض على الصدر الاعظم فيجري الصدر مقتضى ما يكون منها غير محتاج للمذاكرة او يستأذن عنهُ من الحضرة السلطانيّة والذي يحتاج الى المذاكرة يعرضهُ على مذاكرة مجلس الوكلاء ويجري مقتضاه على موجب الارادة السنية. اما انواع هذه المصالح ودرجاتها فتتعين بنظام مخصوص

٣٠ وكلاء الدولة مسؤولون عن الاحوال والاجرآت المتعلقة بأمورياتهم

٣١ اذا أورد احد اعضاء المبعوثان او عدة منهم شكاية على احد الوكلاء توجب عليهِ المسؤولية من قبيل بعض الاحوال الداخلة ضمن دائرة وظيفة هيئة المبعوثان يرسل رئيس الهيئة تقرير الشكاية المتقدم لهُ في ظرف ثلاثة ايام الى الشعبة المأمورة بالتدقيق على ما يماثل هذه المواد لتنظر هل نظام هيئة المبعوثان الداخلي يوجب تحويلها الى الهيئة او لا . وبعد ان تجري الشعبة التحقيقات اللازمة وتستحصل من المشتكى عليهِ الايضاحات الكافلة يتلى لدى هيئة المبعوثان قرارها الذي يترتب باكثرية

الآراء بلزوم التذكر على الشكاية. واذا مست الحاجة تستدعي الهيئة ذلك الذات المشتكى عليهِ وتسمع منهُ رأساً او من وكيله الايضاحات التي يوردها في هذا الباب ومتى قر القرار بالاكثرية المطلقة من ثلثي الاعضاء الموجودين على قبول الشكاية تقدم مضبطة طلب المحاكمة الى مقام الصدارة فيقدمها الصدر للعرض وتحال الكيفية الى الديوان العالي بعد تعلق الارادة السنية عليها

٣٢ ان اصول محاكمة المتهمين من الوكلاء ستعين بنظام مخصوص

٣٣ لا فرق بين الوكلاء وسائر افراد العثمانيين في كل انواع الدعاوي المتعلقة بانفسهم خاصة خارجاً عن مأموريتهم. اما محاكمة ما شاكل هذه الدعاوي والخصوصات فتجري في المحاكم العمومية المنوط بها رؤيتها

٣٤ يسقط من الوكالة كل الوكلاء الذين يقر قرار دائرة الاتهام في الديوان العالي على كونهم متهمين وذلك الى ان تتبرأ ذمتهم

٣٥ اذا اصر الوكلاء على احد المواد المختلف عليها بينهم وبين هيئة المبعوثان وكرر المبعوثان رفضها قطعياً باكثرية الآراء المشفوعة بتفصيل الاسباب الموجبة لرفضها فيكون حينئذٍ بيد اقتدار الحضرة السلطانية تبديل الوكلاء او فسخ هيئة المبعوثان على شرط تجديد انتخابها في المدة القانونية

٣٦ اذا ظهر في بعض ازمنة انعقاد المجلس العمومي واجتماعه ضرورة مبرمة لوقاية الدولة من خطر او الامن العام من خلل في وقت غير مساعد على جلب المجلس المذكور وجمعه لاجل التذاكر في القانون الذي يرى لزوم لوضعه في تلك النازلة. فما تعطيه الوكلاء حينئذٍ من القرارات التي لا تغاير احكام القانون الاساسي تعتبر موقتاً بموجب الارادة السنية في قوة حكم القانون وذلك الى ان تجتمع هيئة المبعوثان وتعطي قراراً بخصوصها

٣٧ كل من الوكلاء يستطيع متى اراد ان يحضر في الهيئتين او ان يوجد بها بالوكالة عنهُ احد رؤساء مأموري معيتهِ ولهُ حق التقدم على الاعضاء في ايراد النطق

٣٨ اذا قر قرار هيئة المبعوثان بالاكثرية ان يستدعي لحضوره احد الوكلاء للاستيضاح عن مادة ففي وسع الوزير المدعى ان يذهب الى الهيئة بالذات او يرسل

احد رؤساء مأموري معيته ليجاوب عما يسأل عنهُ وفي وسعهِ ايضاً ان يؤخر الجواب اذا وجد لزوماً على شرط ان تكون مسؤولية التأخير عليهِ

﴿ في المأمورين ﴾

٣٩ جميع المأمورين ينتخبون للمأموريات التي يكونون اهلاً لها على وفق الشروط التي سيتعين نظامها والمأمورين المنتخبين على هذا الوجه لا يعزلوا او يبدلوا ما لم يتحقق قانونياً الحال الموجب عزلهم او ما لم يستعفوا من تلقاء انفسهم او ما لم يرَ لدى الدولة سبب ضروري لعزلهم . اما من كان منهم مستقيماً وحسن السلوك وانفصل عن مأموريته لسبب مقتضى لدى الدولة فلهُ حق بالترقي او بالتقاعد او بمعاش معزوليته حسبما يتعين في نظام هذا المطلب المخصوص

٤٠ سيتعين نظام مخصوص لوظائف كل مأمورية على حدتها وكل مأمور مسؤول ضمن دائرة وظيفته

٤١ كل مأمور ملزوم باحترام آمره واطاعته ضمن الدائرة التي يعينها القانون اما اطاعته للآمر في الامور المخالفة للقانون لا تكون مداراً لتخليصه من المسؤولية

﴿ في المجلس العمومي ﴾

٤٢ المجلس العمومي يحتوي على هيئتين احداهما تدعى هيئة الاعيان والثانية هيئة المبعوثان

٤٣ اجتماع هيئتي المجلس العمومي في كل سنة يكون في بداية تشرين الثاني والمجلس المذكور يفتح او يغلق بموجب الارادة السنية وغلقه يكون في بداية مارث ولا تعقد احدى هاتين الهيئتين في زمان تكون بهِ الاخرى غير مجتمعة

٤٤ للحضرة السلطانية ان تفتتح المجلس العمومي قبل وقته اذا وجد لدى الدولة لزوم لذلك وان تنقص مدة الاجتماع المعينة او تزيدها وتمدها

٤٥ يتم افتتاح المجلس العمومي بحضور الحضرة السلطانية بالذات او بالوكالة بحضور الصدر الاعظم ووكلاء الدولة واعضاء الهيئتين معاً ويتلى في ذلك اليوم نطق سلطاني متعلق باحوال داخلية الدولة ومناسباتها الخارجية في ظرف السنة الجارية وفيما يجب اتخاذه من التشبثات والتدابير في السنة الآتية

٤٦ في اول يوم افتتاح المجلس يحلف بحضور الصدر الاعظم كل من الذوات المنتخبين او المنصوبين اعضاء للمجلس العمومي بان يكون صادقًا للحضرة السلطانية ولوطنه وان يراعي احكام القانون الاساسي والوظيفة المودعة لعهدته وان يجتنب كل ما يخالف ذلك ومن لم يحضر في ذلك اليوم من الاعضاء يحلف على الوجه المشروح عند اجتماع الهيئة بمعرفة رئيس هيئته

٤٧ اعضاء المجلس العمومي يكونون احرارًا في آرائهم ومطالعاتهم ولا يكون احد منهم تحت قيد تعليمات ووعد ووعيد ولا يتهم البتة من قبيل الآراء التي يعطيها ولا من جهة المطالعات التي يبينها في اثناء مذاكرات المجلس اذا لم تقع منهُ في جميع ذلك حركة مخالفة لنظام المجلس الداخلي. فاذا وقع يعامل بحكم النظام المذكور

٤٨ اذا احد اعضاء المجلس العمومي اتهم بالخيانة او بالتصدي لالغاء القانون الاساسي او نقضه او احدى تهم الارتكاب وتقرر اتهامه بثلثي الاكثرية المطلقة من هيئة الاعضاء الموجودين في الدائرة المنسوب اليها او حكم عليهِ بجزاء موجب لحبسه او نفيه قانونيًا تسقط عنهُ صفة العضوية اما محاكمة هذه الافعال ومجازاتها فتجريها المحكمة المنوط بها ذلك

٤٩ لكل فرد من اعضاء المجلس العمومي ان يعطي رايه بالذات او يجتنب عن اعطاء رايه في رد تلك المادة الواقع عليها التذاكر او في قبولها

٥٠ لا يمكن لاحد ان يكون عضوًا في الهيئتين معًا في وقت واحد

٥١ لا يبادر للمذاكرة في كلتا الهيئتي المجلس العمومي ما لم تكن الاعضاء المرتبة في كل منها زائدة واحدًا بالعدد عن النصف وكافة المذاكرات تتقرر بالاكثرية المطلقة من الاعضاء الموجودين خلا تلك الخصوصات التي يشترط تقريرها باكثرية الثلثين ويعتبر راي الرئيس رايين عند تساوي الآراء

٥٢ اذا احد قدم لاحدى هيئتي المجلس العمومي عرضحال في دعوى متعلقة بشخصهِ وتبين انهُ لم يراجع في ذلك مأموري الدولة العائدة لهم تلك الدعوى او لم يراجع المرجع التابع لهُ اولئك المأمورون فعرضحاله يرد

٥٣ التكليف بتنظيم قانون مجدد او بتعديل احد القوانين الموجودة منوط بهيئة وكلاء الدولة ويحق لهيئة الاعيانِ وهيئة المبعوثان ان تستدعيا بتنظيم قانون لاجل

المواد الموجودة في دائرة وظائفهم المعينـة او بتعديل احد القوانين الموجودة وحينئذٍ يستأذن عنها اولًا من الحضرة العليـة السلطانية بواسطة مقام الصدارة ومتى تعلقت الارادة السنية يحال الى شورى الدولة تنظيم لوائحها على مقتضى الايضاحات والتفصيلات التي تعطى من الدوائر المتعلق بها ذلك

٥٤ لوائح القوانين التي تنتظم بالمذاكرة في شورى الدولة بعد ان يجرى عليها التدقيق والقبول في هيئة المبعوثان ثم في هيئة الاعيان تكون دستورًا للعمل اذا تعلقت الارادة السنية باجراء احكامها ولائحة القانون المردودة من احدى الهيئتين ردًا قطعيًا لا يتكرر وضعها في موقع المذاكرة في المدة الاجتماعية بتلك السنة

٥٥ لا يعتبر احد القوانين مقبولًا ما لم تقرأ لائحته بنـدًا فبندًا في هيئة المبعوثان ثم في هيئـة الاعيان ويعطى على كل بند على حدته رأي ويقر عليه القرار باكثرية الآراء ثم يقر القرار بعد ذلك على مجموع هيئتها تكرارًا بالاكثرية

٥٦ على الهيئتين ان لا تقبلا احدًا يأتي اليهـا بالاصالة عن نفسهِ او بالوكالة عن جماعة لاجل افادة مادة من المواد ولا تسمعـا افادته اذا لم يكن من الوكلاء او من موكليهم او من نفس اعضاء الهيئتين او من احد المأمورين المدعو رسمًا بالحضور اليهمـا

٥٧ مذاكرات الهيئتين تكون باللغة التركية واللوائح المقتضى اجراء المذاكرة عليها تطبع صورها وتتوزع على الاعضاء قبل يوم المذاكرة

٥٨ الآراء التي تعطيها الهيئتان تكون بتعيين الاسماء او باشارات مخصوصة او بالراي الخفي . اما اجراء اصول الراي الخفي فيتوقف اعطاء قراره على اكثرية آراء الاعضاء الموجودين

٥٩ ان انضباط داخلية كل هيئة على حدتها محصور برئيسها

في هيئة الاعيان

٦٠ لا يتجاوز عدد اعضاء هيئة الاعيان ورئيسها نهاية ما يكون ثلث مقدار هيئة المبعوثان . وتوظيفهم هو منوط راسًا بالحضرة العلية السلطانية

٦١ لا يمكن ان يكون عضوًا في هيئة الاعيان الّا من كان بالاقل بالغًا سن

الاربعين وهو من الذوات الذين حازت آثارهم وافعالهم وثوق العامة واعتمادها والمشهود لهم بحسن الخدمات المسبوقة في امور الدولة

٦٢ عضوية هيئة الاعيان تبقى ما دامت الحياة ويتعين بهذه المأموريات ذوات من معزولي الوكلاء والولاة ومشيري المعسكرات وقضاة العسكر والسفراء والبطاركة وروساء الحاخامات ومن فرقاء البرية والبحرية ومن سائر الذوات الجامعي الصفات اللازمة ومن يتعين منهم في غير مأموريات من مأموريات الدولة بناء على طلبه يسقط من مأمورية العضوية

٦٣ ان المعاش الشهري لكل من اعضاء هيئة الاعيان هو عشرة آلاف قرش واذا كان للاعضاء الموظفين معاش وتعيين من الخزينة باسم آخر اقل من عشرة آلاف قرش او ازيد يبقى على حالهِ

٦٤ على هيئة الاعيان ان تجري التدقيق على لوائح القوانين والموازنة التي تعطى لها من هيئة المبعوثان فاذا رأت فيها اساساً ما يمس الامور الدينية وحقوق حضرة الذات السلطانية السنية او ما يمس الحرية واحكام القانون الاساسي وتمام ملكية الدولة او ما يخل بامنية داخلية المملكة وباسباب المدافعة والمحافظة على الوطن او ما يخل بالآداب العمومية فلها حينئذٍ ان تورد مطالعاتها وتردها وترفضها قطعياً او تعيدها الى هيئة المبعوثان مصحوبة بملاحظاتها لاجل التعديل والتصحيح واللوائح التي تقبلها تصادق عليها وتعرضها على مقام الصدارة اما العرضحالات المقدمة الى الهيئة فتجري عليها التصديق ثم تقدمها الى مقام الصدارة مشفوعة بالمطالعات اذا رأت لذلك لزوماً

في هيئة المبعوثان

٦٥ ان مقدار اعضاء هيئة المبعوثان يترتب باعتبار نفر واحد لكل خمسين الفاً من ذكور التبعة العثمانية

٦٦ امر الانتخاب موسس على قاعدة الرأي الخفي وصورة اجرائه ستعين بقانون مخصوص

٦٧ لا يمكن ان يجتمع بعهدة ذات واحدة عضوية هيئة المبعوثان ومأمورية الحكومة معاً وانما تجاز العضوية لمن ينتخب من الوكلاء واذا انتخب لعضوية المبعوثان

واحد من المأمورين فلهُ الخيار في قبولها ورفضها ولكن اذا قبلها ينفصل عن مأموريته

٦٨ ان الذين لا يجوز انتخابهم لهيئة المبعوثان هم اولًا الذين ليسوا من تبعة الدولة العلية ثانياً الحائزون موقتاً بموجب النظام المخصوص امتياز الخدمة الاجنبية ثالثاً الذين لا يعرفون اللغة التركية رابعاً الذين لم يكملوا سن الثلاثين خامساً من كان في خدمة احد حين الانتخاب سادساً من كان محكوماً عليهِ بالافلاس ولم يعد اعتباره سابعاً من اشتهر بسوء الاحوال ثامناً من حكم عليهِ بالحجر ولم يتمكن من رفعه تاسعاً الساقط من حقوق المدنية عاشرًا المدعون التابعية الاجنبية فهؤلاء لا يمكن ان يكونوا اعضاء في هيئة المبعوثان ويشترط في الانتخابات التي تجري بعد اربع سنين على من يلزم ان يكون مبعوثاً ان يقرأ اللغة التركية وان يكتب بها ايضاً على قدر الامكان

٦٩ ان انتخاب المبعوثان العمومي يجري مرة واحدة في كل اربع سنين ومدة مامورية كل مبعوث عبارة عن اربع سنين وانما يجوز تكرار انتخابه

٧٠ يبتدأ بانتخاب المبعوثان العمومي اقلما يكون باربعة اشهر قبل تشرين الثاني الذي هو مبدا اجتماع الهيئة

٧١ كل عضو من هيئة المبعوثان لا يعتبر وكيلًا عن الدائرة التي انتخبتهُ وانما يكون في حكم وكيل عموم العثمانيين

٧٢ المنتخبون يلتزمون بانتخاب المبعوثان من اهالي دائرة الولاية المنسوبين اليها

٧٣ اذا فسخت هيئة المبعوثان وتفرقت بالارادة السنية يبتدا بانتخاب عموم المبعوثان مجدَّدًا على وجه ان يجتمعوا في مدَّة لا تتجاوز ستة اشهر بعد الفسخ

٧٤ اذا مات احد اعضاء هيئة المبعوثان او وقع في احد الاسباب المشروعة الحجرية او لم يداوم على المجلس مدة طويلة او استعفى او سقط من الاعضاوية لمحكومية او لقبوله مامورية فينتخب لمحله خلافه حسب الاصول بحيث يلحق الاجتماع الآتي

٧٥ ان الاعضاء التي تنتخب لتحل في مقام الاعضاء المنحلين من العضوية تكون ماموريتهم حتى الانتخاب العمومي الآتي

٧٦ يعطى من الخزينة عشرون الف قرش لكل من المبعوثان عن كل اجتماع

سنوي ويعطى لهُ كذلك مصاريف الذهاب والاياب حكم المامور الذي يكون معاشه خمسة آلاف غرش شهرياً توفيقاً لنظام اموري الملكية

٧٧ ينتخب من طرف الهيئة ثلاثة انفار لرئاسة هيئة المبعوثان وثلاثة انفار لكل من الرئاسة الثانية والثالثة مجموع ذلك تسع ذوات فيعرضون على الحضرة السلطانية فيترجح احدهم بالارادة السنية السلطانيَّة للرئاسة واثنان منهم كذلك لوكالتي الرئاسة وتجري ماموريتهم

٧٨ مذاكرات هيئــة المبعوثان تكون علانية ولكن اذا وقع التكليف من جانب الوكلاء او من طرف خمس عشرة ذاتًا من هيئــة المبعوثان على ان تكون المذاكرات خفية على احدى المواد المهمة فيخلى محل هيئة الاجتماع من الحاضرين فيهِ دون الاعضاء وتتراجع حينئذٍ الآراء في رد هذا التكليف او قبوله

٧٩ لا يحاكم احد الاعضاء او يوقف في مــدة اجتماع هيئة المبعوثان ما لم يعط قرار من الهيئة باكثرية الآراء على سبب كافٍ لاتهامــهِ او يقبض عليهِ في حال اجراء الجناية او الجنحة او عقيب اجراء ذلك

٨٠ ان هيئة المبعوثان تتذاكر على لوائح القوانين المحولة لها ولها ان تقبل من ذلك المواد المتعلقة بالامور المالية والقانون الاساسي او ترفضها او تعدلها وبعد ان يجري التدقيق بالتفصيل في هيئة المبعوثان على المصارف العموميــة حسبما هو موضح في قانون الموازنة يعطى القرار على مقدارها مع الوكلاء ثم يتعيَّن كذلك مع الوكلاء سوية كمية وكيفية ما يقابل ذلك من الواردات وصورة توزيعها وتداركها

في المحاكم

٨١ لا يعزل القضــاة المنتخبون توفيقاً للاصول المخصوصة المنصوبون من طرف الدولة بموجب براءة شريفة بايديهم وانما يقبل استعفاؤهم. اما ترقيات هؤلاء الحكام ومسلكهم وتبديل ماموريانهم وتقــاعدهم او عزلهم لجرم محكوم بهِ عليهم ذلك جميعه تابع لحكم قانونه المخصوص وهذا القانون يوضح الاوصــاف المطلوبة من القضاة ومن ماموري المحاكم

٨٢ كل انواع المحاكمات تجري علانية في المحاكم ويؤذن بنشر الاعلامات

دائماً وانما تستطيع المحكمة ان تجري المحاكمة خفياً بناء على الاسباب المصرحة في قانونها

٨٣ يستطيع كل شخص ان يستعمل بحضور المحكمة كل ما يراه لازماً من الوسائط المشروعة لمحافظة حقوقه

٨٤ لا يمكن للمحكمة باي حجة كانت ان تمتنع عن رؤية الدعوى الداخلة ضمن دائرة وظيفتها . وبعد ان يكون ابتدئ بفحص الدعوى او بما لزم من التحقيقات الاولية لا يجوز كذلك تعطيلها او تعويقها ما لم يكف المدعي يده . اما في الدعاوي الجزائية في مطلب الحقوق العائدة للحكومة فالدعوى تستمر في مجراها على وفق النظام

٨٥ كل دعوى تنظر في المحكمة المتعلقة بها . اما الدعاوي الواقعة بين الحكومة والاشخاص فترى في المحاكم العمومية

٨٦ المحاكم معتوقة من كل انواع المداخلات

٨٧ الدعاوي الشرعية ترى في المحاكم الشرعية والنظامية في المحاكم النظامية

٨٨ ان صنوف المحاكم ودرجات وظائفهم وصلاحيتهم وتقسياتها وتوظيف الحكام جميعه مستند الى القوانين

٨٩ لا يجوز البتة ان يتشكل خارجًا عن المحاكم العمومية محكمة فوق العادة او قومسيون يكون في وسعهما النظر في بعض مواد مخصوصة والحكم عليها وانما يجوز فقط تعيين المولى والتحكيم كما هو معين بالقانون

٩٠ لا يمكن لاحد الحكام حال كونه بصفة الحاكمية ان يجمع في عهدته كذلك مامورية اخرى ذات معاش من الدولة

٩١ يعين مدعون عموميون مامورون بالمحاماة عن حقوق العامة في الامور الجزائية وتتعين وظائفهم ودرجاتهم بقانون

في الديوان العالي

٩٢ الديوان العالي يركب من ثلاثين عضواً عشرة منهم من هيئة الاعيان وعشرة من شورى الدولة وعشرة يفرزون بالقرعة من رؤساء واعضاء محكمتي التميز والاستئناف ويعقد هذا الديوان في دائرة هيئة الاعيان بالارادة السنية عند اللزوم

ووظيفته انما هي محاكمة الوكلاء ورؤساء محكمة التميز واعضائها ومحاكمة كل من اعتدى على ذات الحضرة السلطانية وعلى حقوقها وكل من تصدى لالقاء الدولة في خطر

٩٣ يقسم الديوان العالي الى دائرتين احداهما الدائرة الاتهامية والثانية ديوان الحكم فاعضاء الدائرة الاتهامية تسعة منهم ثلاثة من هيئة الاعيان وثلاثة من ديوان التميز والاستئناف وثلاثة من اعضاء شورى الدولة وجميعهم ينتخبون بالقرعة من الاعضاء الذين يؤخذون للديوان العالي

٩٤ ان هذه الدائرة تعطي القرار باكثرية الثلثين في اتهام الذوات المشتكى عليهم او عدمه والموجودون في الدائرة الاتهامية لا يوجدون في ديوان الحكم

٩٥ ان ديوان الحكم تكون اعضاؤهُ سبعة من هيئة الاعيان وسبعة من ديوان التميز والاستئناف وسبعة من رؤساء شورى الدولة واعضائها فيكون مركبًا اذًا من واحد وعشرين نفرًا من اعضاء الديوان العالي . والاعضاء المرتبة كما ذكر يحكمون باكثرية الثلثين قطعياً وتطبيقاً للقوانين الموضوعة على الدواعي التي قر قرار الدائرة الاتهامية على محاكمتها وحكمهم غير قابل الاستئناف والتميز

في امور المالية

٩٦ لا يمكن وضع احد تكاليف الدولة وتوزيعه واستحصاله ما لم يتعين بقانون

٩٧ ان ميزانية (بودجه) الدولة هي قانون مبين بالتقريب وارداتها ومصارفاتها وهو القانون المستند عليهِ بوضع تكاليف الدولة وتوزيعها وتحصيلها

٩٨ ان البودجه اعني قانون الموازنة العمومية يقبل في المجلس العمومي بعد التدقيق عليهِ مادة فمادة والجداول المربوطة بهِ الجامعة لمفردات الواردات والمصارفات المخمنة تنقسم الى اقسام وفصول ومواد متعددة توفيقاً لانموذجها المتعين نظاماً والمذاكرات عليها تجري فصلًا فصلًا

٩٩ ان لائحة قانون الموازنة العمومية تعطى لهيئة المبعوثان عقب فتح المجلس العمومي ليمكن وضعه في موقع الاجراء قبل دخول السنة المتعلق بها

١٠٠ لا يجوز صرف مال من اموال الدولة خارجاً عن الموازنة ما لم يتعين بقانون مخصوص

١٠١ اذا تحقق لزوم قويّ لاختيار مصاريف خارجة عن الموازنة لاسباب مجبرة فوق العادة في الوقت الذي لا يكون فيهِ المجلس العمومي منعقداً يجوز تدارك المبلغ اللازم لتسوية ذلك المصروف وصرفهُ بعد عرضه على الحضرة السلطانية والاستئذان وصدور الارادة السنية بخصوصهِ على وجه ان تكون مسؤولية ذلك على هيئة الوكلاء وانهم يعطون لائحة القانون المتعلقة بهِ الى المجلس العمومي عقب فتحه

١٠٢ ان حكم قانون الموازنة هو عن سنة واحدة ولا يجري حكمه خارجاً عن تلك السنة وانما اذا فسخ مجلس المبعوثان لبعض احوال خارقة العادة قبل ان يقرر الموازنة فوكلاء الدولة اذاً يعدون جريان احكام موازنة السنة السابقة لحد اجتماع مجلس المبعوثان الآتي وذلك بقرار تتعلق عليهِ الارادة السنية على وجه ان حكم القرار لا يتجاوز السنة الواحدة

١٠٣ ان قانون المحاسبة القطعية يبين صحة المبالغ المتحصلة من واردات تلك السنة ومقدار الصرفيات الواقعة لمصاريفها ويكون شكله وتقسيماته مطابقين بالتمام لقانون الموازنة العمومية

١٠٤ تعطى لائحة قانون المحاسبة القطعية الى المجلس العمومي بعد اربع سنين نهاية ما يكون من اعتبار ختام السنة المتعلقة بها

١٠٥ يترتب ديوان محاسبات لرؤية محاسبات مأموري قبض اموال الدولة وصرفها وللتدقيق على محاسبات السنة التي تنظمها الدائر على وجه ان الديوان المذكور يعرض على هيئة المبعوثان مرة في السنة خلاصة تدقيقاته ونتيجة مطالعاته بتقرير مخصوص وعليهِ ايضاً ان يعرض على الحضرة السلطانية مرة في كل ثلاثة اشهر تقريراً عن احوال المالية بواسطة رئاسة الوكلاء

١٠٦ تتركب اعضاء ديوان المحاسبات من اثني عشر شخصاً وينصب كل

منهم بالارادة السنية ويستمرّ في ماموريتهِ ما دامت الحياة ولا يفصل عنها ما لم تصادق هيئة المبعوثان بالاكثرية على لزوم عزله

١٠٧ تتعين اوصاف اعضاء ديوان المحاسبات وتفصيل وظائفهم وصورة استعفائهم او تبديلهم او ترقيهم او تقاعدهم وكيفية تشكيل اقلامهم وترتيبها بنظام مخصوص

في الولايات

١٠٨ تأسس اصول ادارة الولايات على قاعدة توسيع دائرة المأذونية وتفريق الوظائف وتعيين درجاتها بنظام مخصوص

١٠٩ توسع بقانون مخصوص صورة انتخاب اعضاء مجالس الادارة في مراكز الولايات والالوية والقضاوات وانتخاب اعضاء المجلس العمومي الذي يجتمع مرة واحدة في السنة في مركز كل ولاية على حدتها

١١٠ تبين وظائف اعضاء المجلس العمومية في الولايات بقانون مخصوص يوضع لها ويشتمل كذلك على المذاكرات في مطلب تنظيم الطرق والمعابر وتشكيل صناديق الاعتبار وتسهيل الصنائع والتجارة والفلاحة وما يجري مجراها من الامور النافعة وعلى ما يتعلق ايضاً بانتشار المعارف والتربية التي تعود منفعتهما على العموم ويحتوي على ما لهذه المجالس من الصلاحية بعرض الاشتكا للمقامات والمواقع الذي يقتضي تبليغ الشكايات لها عند ما يرى ما يخالف احكام القوانين والنظامات الموضوعة في مطلب صورة توزيع التكاليف والمرتبات الاميرية واستحصالها وفي مطلب سائر المعاملات وذلك لمقصد سد الخلل واصلاحه

١١١ يكون في كل قضا لكل ملة على حدتها مجلس جماعة للنظارة على صرف اموال الوصية للموصى لهم على ما هو محرر في الوصايا على وجه ان تصرف حاصلات المسقفات والمستغلات والنقود الموقوفة الى المشروط لهم والى الخيرات والمبرات وفاقاً لشرط الوقفية والتعامل القديم وللنظارة كذلك على صورة ادارة اموال الايتام توفيقاً لنظامها المخصوص وهذه المجالس تتركب من افراد منتخبين من كل ملة على

حدة على مقتضى النظامات المخصوصة التي تترتب في هذا المطلب وعلى هاته المجالس ان تعترف بان مرجعها انما هو حكوماتها المحلية ومجالس الولايات العمومية

١١٢ تدار الامور البلدية في دار السعادة والمحلات الخارجة عنها بواسطة مجالس الدوائر البلدية التي تترتب بالانتخاب وصورة تشكيل هذه الدوائر ووظائفها وكيفية انتخاب اعضائها سيتعين بقانون مخصوص

في مواد شتّى

١١٣ اذا شهد امارات وآثار تؤيد ظهور اختلال في احدى جهات الممالك فيحق للحكومة السنية والحالة هذه ان تعلن موقتاً ومخصوصاً « الادارة العرفية » في ذلك المحل والادارة العرفية انما هي تعطيل القوانين والنظامات الملكية موقتاً . والمحل الذي يوضع تحت الادارة العرفية تتعين صورة ادارته بنظام مخصوص . ومن ثبت عليهم بتحقيقات ادارة الضابطة الموثوقة بانهم اخلوا بامنية الحكومة يكون اخراجهم من الممالك المحروسة وتبعيدهم عنها منحصراً بيد اقتدار الحضرة السلطانية

١١٤ افراد العثمانيين مجبورون على تحصيل المرتبة الاولى من المعارف وستتعين درجات ذلك وفروعه بنظام مخصوص

١١٥ لا تعطل البتة مادة من مواد القانون الاساسي ولا تسقط من الاجراء باي حجة او سبب كان

١١٦ اذا شهد لزوم صحيح قطعي حسب ايجاب الوقت والحال لتغيير بعض مواد القانون الاساسي وتعديلها يجوز تعديلها على الشروط الآتية وهي : اولاً ان يقع التكليف المتعلق بالتعديل من هيئة الوكلاء او من هيئة الاعيان او من هيئة المبعوثان ثانياً ان يقبل التكليف المذكور في هيئة المبعوثان باكثرية الثلثين ثم يصادق على قبوله من هيئة الاعيان ايضاً باكثرية الثلثين فمتى تم ذلك وتعلقت على هذا المركز الارادة السنية تصير حينئذٍ تلك التعديلات دستوراً للعمل . اما المادة الواقع التكليف على تعديلها من القانون الاساسي فتستمر مرعية الاجراء من غير ان تفقد قوتها وحكمها الى ان تتم المذاكرات اللازمة بتعديلها وتتعلق بخصوصها الارادة السنية

١١٧ اذا لزم الامر لتفسير مادة قانونية وكانت متعلقة بالارادة الملكية يناط

تعيين معناها بشورى الدولة. اما اذا كانت من متعلقات هذا القانون الاساسي فتعيين معناها منوط بهيئة الاعيان

١١٨ ان النظامات والتعامل والعادات الموجودة الان دستورًا للعمل تستمر مرعية الاجراء ما دامت لا تلغى او تعدل بالقوانين والنظامات التي توضع في المستقبل

١١٩ ان احكام التعليمات الموقتة المتعلقة بالمجلس العمومي المؤرخة في ١٠ شوال سنة ١٢٩٣ تجري فقط لختام مدة انعقاد المجلس العمومي الذي يجتمع في المرة الاولى ولا يكون حكمها جاريًا بعد ذلك

الخط الهمايوني

اهم حادث جرى بعد نشر القانون الاساسي هو صدور الخط الهمايوني فانهُ اعلان النظام الدستوري وضمانة من الحضرة السلطانية بحفظهِ وتنفيذهِ

في اوّل الجاري أُقيمت حفلة حافلة لم يسبق لها مثيل في الاستانة فاحتشدت الجماهير الغفيرة حتى كانت كالبناء المرصوص من الباب العالي الى بغجه كبو وعند الساعة السادسة اقبل على الباب العالي حضرة دولتلو المشير نوري باشا حاملًا الخط وكان بمعيته حاشية من القصر السلطاني وقدامه خيالان فاستقبله كبار الموظفين بزاتهم الرسمية واخذت سلامه فرقة من الجند ثم صدحت الموسيقى بالنشيد الحميدي وتوجه نوري باشا الى القاعة الكبرى حيث سلم الخط الهمايوني الى صاحب الفخامة والدولة الصدر الاعظم فقبله ثم سلمهُ الى مستشار الصدارة العظمى دولتلو محمد علي باشا ليقرأه على مسامع تلك الجماهير الغفيرة فقرأهُ وهذا نصهُ : (البشير)

نص الخط الهمايوني

وزيري المفخم سعيد باشا

مما لا يحتاج الى بيان انهُ منذ تأسست سلطنتنا السنية رتع عموم اصناف الرعية في بحبوحة الامن والراحة

على انهُ طرأت بعد ذلك ظروف حالت دون حفظ حرمة الحقوق العمومية كما هو واجب

فاصدر ساكن الجنان والدي السلطان عبد المجيد خط كلخانه الهمايوني وفيهِ ضمانة الحرية الشخصية وحقوق كل فرد من افراد الرعية والقواعد الاساسية لادارة البلاد

وفي فرمان الاصلاحات الذي اصدره سنة ١٢٧٢ نظم ادارة البلاد حسب مطالب ذلك الوقت ووثق روابط الاتحاد بين افراد الرعية على اختلاف الطبقات والاديان

ومنذ اعلان التنظيمات الى حين ارتقائنا الى عرش اجدادنا ظهر من تقدم تربية الشعب ضرورة الاستعاضة عن طريقة ادارة البلاد بالحكم على الطريقة الدستورية

فاعلنا من تلقاء نفسنا القانون الاساسي ومع ذلك فالمنفعة الشخصية تغلبت على المنفعة العمومية وزاد طلب الغاء الدستور الى ان كان عهد وزارة صفوت باشا فتقرر الغاء الدستور

ومنذ ذاك الحين الى اليوم اظهرت الحوادث التي جرت مجرى الراي العام ان البلاد جديرة بحكومة نيابية

فاصدرنا ارادتنا باعادة القانون الاساسي وانفاذ كل احكامه وجمع مجلس المبعوثان كل سنة

وابلغت ارادتنا هذه الى جميع الولايات وممالكنا السنية

وقد اعلنت امس لسفراء الدول والوكلاء السياسيين لدى اثناء المقابلات انهُ من الان فصاعدًا لا تمس طرق انفاذ الدستور لظرف ما او لسبب من الاسباب لان من جل رغائبي ضمانة نفع البلاد والسلطنة وانجاح كل المصالح التي تتعلق بها. وذلك لا ينال الّا بتغيير قوة القوانين الى قوة منظمة

فانا اعلن بهذا الخط الذي اوقع عليهِ ان ارادتي الصادرة بانفاذ القانون الاساسي والقاضية بجمع مجلس المبعوثان كل سنة هي ارادة نافذة نهائية

وازيد على ذلك انهُ وان كانت القوانين النافذة الان في ممالكي المحروسة تساوي بين اصناف رعيتي حرية كل فرد وحقوقه وانهُ لا يجب التفريق بينهم في الحقوق وانهُ يجب ان يتمتعوا جميعاً بالعدالة على حد المساواة . الّا انهُ منذ مدة خولفت رغائبنا في

بعض اجزاء السلطنة باهمال انفاذ القوانين

وان تكن هناك ايضاً نظَامات خصوصيَّة تحدد اختصاص كل ادارة عموميَّة وادارة خصوصيَّة الَّا انَّ هذه النظَامات خولفت فنتج عن ذلك ضرر للجميع

فمن الضروري اذن اتخاذ الوسائل العاجلة اللازمـــة لمعالجة هذه الحالة وضمانة الحقوق العمومية وتسيير الادارة على الاصول الآتية :

١ ان جميع افراد الرعايا من اية طبقة كانوا من طبقات الشعب يتمتعون بالحرية الشخصية وكلهم سواء امام القانون من حيث الحقوق والواجبات

٢ لا يجوز القاء القبض على فرد من افراد الرعية او سجنه او اخذ اقواله او معاقبته بوجه من الوجوه الَّا بحكم القوانين السارية

٣ لا يجوز تأليف محكمة غير اعتيـــادية بشكل من الاشكال او اسم من الاسماء ولا تأليف قوميسيون او هيأة فوق العـــادة ولا يجوز طلب شخص امام هيأة الَّا امام المحاكم

٤ لا يجوز مس حرمة المنازل والمساكن الَّا في الظروف المستثناة في القانون نصاً ولا يجوز لاحد دخول منزل شخص او وضع منزله تحت المراقبة

٥ لا يجوز للبوليس او غيره من الموظفين على اختلاف وظائفهم اتهام شخص على خلاف ما يقضي بهِ النظام

٦ يتمتع جميع رعايانا بحرية السفر الى اي بلاد شـــاؤُا سواء كان للتجارة او للنزهة وكل واحد حرٌّ في عقد الاجتماعات وتوثيق عرى المواصلات مع من شاء

٧ لا تخضع الجرائد من الان فصاعدًا للمراقبة ولا يجوز ايقاف الرسائل والكتب والمطبوعات في البوسطة . ومخالفات الجرائد تحكم فيها المحاكم

٨ التعليم والتربية حران

٩ لا يجوز تعيين شخص في وظيفة لا يقبلهـــا ما عدا رجال العسكرية . ولا يجب على العمال الخضوع لاوامر يتلقونها وهي مخالفـــة للقوانين السارية ولكل مستخدم الحرية التامة بان يستعفي من الخدمة متى شاء فهم اذًا مسؤُولون عن وظائفهم

١٠ يعين الصدر الاعظم الوزراء ويقدم لنا اسماءهم لنوافق عليها ما عدا تعيين

شيخ الاسلام وناظر الحربية وناظر البحرية (١. وللصدر الاعظم تعيين السفراء والوكلاء والقناصل والولاة واعضاء الشورى بالاتفاق مع ناظر الداخلية وناظر الخارجية ورئيس الشورى. اما اختيار الموظفين للدواوين والمصالح والولايات وتغييرهم ومكافاتهم والانعام عليهم بالرتب والنياشين فيكون بقرار من رؤسائهم يقدم للصدر الاعظم ليصدق عليهِ

١١ لا يجوز للمستخدمين والموظفين ان يخاطبوا رؤساءهم الّا بواسطة من هم فوقهم ولا يجوز الحياد عن هذه الطريقة. ولا يجوز اصدار امر الى مرؤوس الّا من رئيسهِ الملتصق بهِ وكل امر يصدر من موظف ليس تحت رئاسته مباشرة لا يقبل

١٢ من اختصاص الصدارة العظمى المعاقبة عن الهفوات التي ترتكب في اختيار المأمورين وتغييرهم. ومن اختصاصها السهر لاخذ الوسائل للاستعاضة عن العمال الذين يظهر عجزهم عن القيام بوظائفهم او يرتكبون اموراً مغايرة في تلك الوظائف

١٣ ان ميزانية الحكومة من دخل ونفقة عادة وفوق العادة تنشر بنصها في اوّل كل سنة مالية. وتنشر ايضاً ميزانية كل مصلحة وميزانية كل ولاية على حدة وتضم الى الميزانية العمومية

١٤ تعد مشروعات قوانين جديدة لتغيير وتعديل واصلاح نظامات كل مصلحة لتعرض على مجلس المبعوثان الذي يجتمع قريباً

١٥ ان جيشي الشاهاني هو عنصر قوة السلطنة فقد عزمت عزماً اكيداً على ان اضمن نجاحه واتم تسليحه وعدده. وقد اصدرت بذلك الاوامر اللازمة الى نظارة الحربية

فمن ارادتي الشاهانية ان تؤلفوا الوزارة الجديدة وتعرضوا اسماءها عليَّ للموافقة على تأليفها وان تبذلوا مع زملائكم الجهد لانفاذ الاحكام الواردة في خطنا هذا حتى تسير الارادة على طريقة منتظمة واسأل الله ان يوفقكم وينجحكم

في ٤ رجب ١٣٢٦ الامضاء الشاهاني

---

١) الغيت هذه المادة فيما يختص بتعيين شيخ الاسلام وناظري الحربية والبحرية لانها منافية للقانون الاساسي

العذراء مريم في لبنان

للاب ي. ي. اليسوعي

ذكر المشرق في صفحته ٥٥٨ من السنة الجارية التأليف الجليل الذي اتحفهُ الوطن الاب يوسف غودار اليسوعي ووعد ان يفرد لهُ مقالة واسعة نظرًا لاهميته وها اننا اليوم نفي بوعدنا فنقول:

لكل قطر فضيلة يمتاز بها عمّا سواه ويفاخر بها من باراه . وهي تارةً مجد الحروب وصولةالسيوف. واخرى براعة الاقلام وبلاغة الكلام. وطورًا هي الغنى والمال وطورًا العلم والصناعة الى ما شاكل ذلك. وان لبناننا العزيز لم يُستثنَ من هذا الحكم فاذا عدّدت المفاخر يومًا فما اولاه ان يتباهى بما حازه منها

يفتخر لبنان اولًا بجمال الطبيعة الذي زينه بهِ الله وقد طالما شادت بذكره الاجيال فقد مدحه الكتاب المقدسة في العهد العتيق اكثر من ستين مرة. وكانت ثلوجه وعطوره وارزه وعلوه الشامخ وخصب تربته ومياهه الصافيــة الباردة ومناخه المعتدل تجعله في اعين بني اسرائيل اجمل صقع في الدنيا . والحق يقال ان لبنان كان اوِتــذٍ مغشى بغابات الارز والسنديان حتى قال مار ايرونيموس في احدى رسائله :ما من مكان اعلى واكثر احراجًا واكثفها من لبنان. وقد قال كاتب روماني آخر اميانوس مرشلينوس عن السواحل اللبنانيَّة: انها بلاد في غاية الحسن والملاحة. وقد اثرت محاسن لبنان في قلوب المسافرين والسياح في كل الاجيــال . قال احدهم وهو الڤيكنت دي مرشلوس في كتابه عن الشرق (١٨٢٠): اني افضــل لبنان وظلاله وصخوره وادياره على كل ما رأيت وشاهدت في اوربة

يفتخر لبنان ايضاً بتاريخ اجياله والمنصرمة يكاد يرتقي الى مهد الانسانيَّة . فقد طار في الآفاق ذكر المدن الفينيقيَّة كصور وصيدون وبيروت وجبيل وطرابلس وارواد التي حكرت بين ايدي اهلها تجارة العالم اجمع واشتملت بمستعمراتها على سواحل البحر المتوسط قاطبةً. وشهدت الاصقاع الشاميَّة مواقع الفاتحين العظام الذين تنازعوا ملك العالم المتمدن منذ الاجيال الاولى فكانت ولم تزل مطمح ابصار الامم لانهــا طريق

البلاد الاسيوية الوسطى وباب التجارة الهندية . هذا فضلًا عن الرجال العظام الذين نشأوا في لبنان وكانوا له مجدًا مؤبدًا

ولكن هذه المحاسن دون مجد آخر يفوقها ويفضلها ألا وهو تمسك لبنان بدين المسيح وامانته في خدمته . فقد كان ملجأً للمسيحيين في ايام الشدة ولولاه لما بقيت النصرانية زاهرة في الاصقاع الشامية . فأكرم بشعبه شعباً حافظ مدى الاجيال مع ما داهمهُ من الاهوال على حبه للمسيح . فلعمر الحق ان هذه الامانة لمجدًا لا يضاهيه مجد وفخرًا لا يفوقهُ فخر . وان اصل هذا المجد وسبب هذا الفخر العذراء مريم

ان مريم ولبنان لاسمان بل لموضوعان جمعهما الكتاب المقدس في قلبنا . فمن منّا لم يحفظ الاقوال البديعة الطافحة منها الليتورجيات المقدسة حيث يرد لبنان كموضوع تشابيه تجلى بها محاسن العذراء مريم : « هلمي معي من لبنان ايتها العروس » (١ . « اني ارتفعت كالارز في لبنان الخ » (٢

قال القديس ايرونيمس (٣ : « لبنان معناه البياض فبكل صواب شبهت به العذراء مريم لان فضائلها جعلت نقاوتها انصع من الثلج » . وقال آخر (٤ : « ان مريم لجديرة بان تشبه بلبنان لانها جبل الله ذاك الجبل الذي نُحت منهُ حجر الزاوية اعني به المسيح »

ولم يتشرف مكان غير لبنان بان يكون موضوعاً للتشابيه التي يبين بها الروح محاسن البتول امنا وان في هذه الميزة لسبباً كافياً ليفاخر لبنان ما سواه من الاصقاع . ومع ذلك يحق لهُ ان يدّعي مجدًا اعظم . فمن اول نشوء العبادة لمريم في الساحل الفينيقي لم يزل اسم مريم العذراء ام الله في لبنان على افواه ابنائهِ في كل احوالهم صلاةً يستمطرون بها النعم . وتعزيةً يسكّنون بها لوعة الاحزان . ونشيد عزّ يقدّسون بهِ ايام الانتصار . فكأن اللبناني اراد ان يشكر للعذراء الشرف الذي خولتهُ اياه باتخاذها لبنان جبلًا لها فاحب ان يحفظ في قلبه عبادتها حيّةً زاهرة كإرث مجيد ويظهر تلك العبادة

١) نشيد الاناشيد (٤ : ٨)
٢) ابن سيراخ (٢٤ : ١٧)
٣) طالع تفسيره لنشيد الاناشيد (ص ٤ ء ٣)
٤) وهو مق كاتا كوزين في شرحه لنشيد الاناشيد (ص ٣ ء ٩)

بتشييد المعابد المتعددة على اسمها واقامة الاحتفالات القلبيَّة اكراماً لها . وبالاختصار يمكن القول ان العذراء كانت لهُ كل شيء .

كانت لهُ طبيباً وقاضياً ومحامياً . قضى زمناً طويلًا معتزلًا عن العالم في اوديته العميقة وعلى قممه البعيدة المنال بين الدير والكنيسة قشفاً في معيشته فقيرًا مضطهدًا . فمال بكل قواه الى العذراء مريم يتوقع منها كل خير . فطلب منها الخلاص الابدي والخير الزمني . العافية والانتصار وقوت اليوم . وكما ان الامطار نحتت صخوره نحتاً وصورتها صورًا مختلفةً هكذا العبادة لمريم صورت نفس اللبناني وجعلت لهُ « خلقاً مريمياً » اعني ميلًا الى العذراء شديدًا اصبح غريزيًا تبدو مظاهره في كل احواله عفوًا بلا قسر ولا تصنع

وقد انتبه لهذا الامر السياح والمرسلون فدوَّنوه مرارًا في كتاباتهم حتى رينان نفسه مدة اقامته في الشرق بعد سنة ١٨٦٠ . فقد اعتبره كاعظم حاجز في وجه البروتستانيَّة . قال : « ان عبادة العذراء متأصلة في قلوب كل اللبنانيين وهي التي تحبط مساعي البروتستانت فيما بينهم فانهم يتساهاون بكل الامور ويسلمون بها ولكنهم اذا دعوتهم الى ترك التعبد للعذراء شعروا برباط لا تقوى عليهِ عزائمهم . يقيدهم ويمنعهم » (١

هذا ما حدا بالاب مرتين المرسل اليسوعي الشهير من اربعين سنة الى جمع شذرات عديدة فيما يتعلق بحب اللبنانيين لمريم بينما كان يعنى بتأليف تاريخ لبنان . ولكن مجموعه بقي منسياً في مكتبة كليَّة القديس يوسف حتى اكتشف عليهِ في سنة ١٨٩٨ الاب يوسف غودار فهمَّ ان يجعله قاعدة لتأليف جديد كامل شامل

وما كان يخلو العمل من الصعوبات لان الاب كان في عزمه ان يتخذ المبادئ العلميَّة الحديثة اساساً لابحاثه ولم يكن مع ذلك بين يديهِ من التآليف سوى بعض فقرات منثورة في كتب متعدِّدة . ولكنهُ لم يقنط من النجاح . فأخذ في التجوال في لبنان وسوريَّة بصحبته الاب جيرار دي مرتنبري فزار كل نواحيها مرتين الاولى في سنة ١٨٩٨ والثانية سنة ١٩٠٢ ليجمع ما يتسنى لهُ من المعلومات ويفحص بذاته الاماكن التي عزم على وصفها وهو مع ذلك يتصفح في اثناء اسفاره كل ما نالتهُ يداه من الكتب

١) طالع البعثة الفينيقية (ص ٢١٦)

والمخطوطات ويزيد عليها كل ما استفاده من المرسلين وثقات اللبنانيين. فكانت نتيجة هذه الاتعاب والابحاث مؤلفاً جليلًا بالافرنسيَّة في ٥٥٠ صفحة مع القطع الكبير تزينه اكثر من ٧٠٠ صورة كلها او اغلبها نشرت لاوَّل مرَّة طُبع في معامل (La Bonne Presse) في باريس بحرف جلي مشرق والحق يقال ان تلك المطبعة الشهيرة لم تنشر احسن منهُ تأليفاً ولا ابدع صنعة وهو مع ذلك لا يساوي سوى سبعة فرنكات ونصفاً

امَّا اذا اردت معرفة الطريقة التي اتبعها الاب غودار في تأليفه فيكفينا القول ان كتابه عبارة عن حديث زائر يصف الاماكن التي حج اليها. وقد راقت في عينه هذه الخطة اوَّلًا لانها كثيرًا ما كانت تطابق عواطف قلبه التقوية. وثانياً لانها كانت تسمح لهُ ان ينظم ما يلتقطه من الدرر المرعيَّة في سلك الحوادث التاريخيَّة والاوصاف الجغرافيَّة بنوعٍ ان يتمكن القارئ من الاطلاع على عبادة اللبنانيين للعذراء اطلاعاً حسيًّا حيًّا كأنهُ يشاهدها عيانًا

وفي الواقع ان مظاهر الحياة تملأ صفحات الكتاب فان انشاء المؤلف وبراعته في الوصف. وتفننه في طرق القص. وابداعه الاستعارات والتشابيه الانيقة وفقت حضرته الى احياء ما دثر من الرسوم السابقة وتشخيص ما يحدث من الامور الجارية يومياً في قرانا. فما احلى مصاحبته في سفره. تارة يهبط في اودية لبنان العميقة واخرى يتسلق قممه الشاهقة. يحج الى المعابد الكبيرة في المدن ولا ينسى المزار الحقير في القرى الحقيرة. تراه يعاين كل شيء. يفحص ويسأل ويصغي. يستنشد الشعراء اللبنانيين لا يستحقر حقيرًا ولا يستجهل امياً. يدون التفاصيل الدقيقة عن الكنائس ويستنسخ ما ورد منها في المخطوطات والسجلات. ويصف الحركات واللهجات وبكلمة كل ما من شأنه تمثيل نفس اللبناني تمثيلًا ناطقًا

وما يُعجبنا منهُ فضلًا عن عواطفه التقوية ولهجته السارة ومعارفه الواسعة في التاريخ والجغرافية وظرفه ولطف مزاحه. حبه بل قل شغفه وكلفه بالبلاد التي يصفها. فكم من مرة تشعر عند وصفه لمعبد حقير او شهوده زيارة تقوية انهُ استعبر متأثرًا لما ظهر لهُ من بساطة اللبنانيين وتقواهم وتعلقهم بسيدتهم. ولذلك لا تشعر بالتعب ابدًا من مرافقته في سياحته. واليك مختصر كتابه قسماً قسماً لتقف على الكنوز التي يحويها وتشتاق الى التمتع بها

ففي القسم الاوّل الذي عنوانه « على حدود صور وصيدا » يذكر المؤلف مزارات الناصرة وخاصةً كنيسة سيدة الكرمل « المنتصرة » ثم يمرّ على عكا ومنها يؤمّ صور حيث أُنشئت اول كنيسة عظمى مكرسة للعذراء يثبتها التاريخ بنوع اكيد (سنة ٣١٤) ومن صور يتوجه الى صيدا ويصف في طريقه سيدة عبرا وسيدة درب السين ويذكر خبر ترميمها العجيب بمساعي احد المشايخ المتاولة. ثم يستوقفنا مليًّا عند سيدة المنطرة وهو مزار الروم الكاثوليك. ويختم كتابه بذكر بدائع اخوية على اسم العذراء كانت زاهرة في صيدا في القرن السابع عشر

امّا القسم الثاني فمداره على جهات لبنان المقيم فيها الدروز وفيهِ يطلعنا الاب اولًا على اصل الدروز ويصف اخلاقهم وطباعهم. وليس الكلام في مثل هذه المواضيع فضوليًا لانهُ لا يمكن وصف الدور المهم الذي اتخذتهُ لها العذراء مريم في لبنان الّا بتعريف تاريخ لبنان وطباع اهله. ثم تجد في هذا القسم كلاماً في عدَّة معابد مثل سيدة الخلدة وسيدة النجاة عند النبي يونس وسيدة الوادي بالقرب من جزين الخ. ولكن المؤلف يتوسع في وصف ثلاثة اماكن خصوصاً وهي سيدة المخلص وكان لها نصيب وافر في النهضة الكاثوليكيَّة في الجيل الثامن عشر ثم سيدة بسري وخاصةً سيدة التلة في دير القمر. وهو مزار شهير للموارنة يدير شؤونه الرهبان الحلبيون على احسن ما يرام ويحج اليهِ حتى اليوم اللبنانيون من كل ناحية

القسم الثالث موضوعه المتن وكسروان. يسافر بنا المؤلف من بيروت ولكن قبل ان يترك المدينة يشخص امامنا مشهدًا بديعاً مشهد شابين قديسين ورد ذكرهما في اخبار الجيل السادس للمسيح. ثم نتسلق بصحبته الجبال ونزور سيدة النجاة في بكفيا ومنها نهبط الى بيت شباب لزيارة سيدة الغابيه وفي اثنائها نسمع حديث الامير حيدر ابي اللمع وكان من اخص عبيد العذراء مريم. ثم بعد ذلك نتوغل في مضايق نهر الكلب ونسلم على سيدة طاميش وسيدة اللويزة ونرتقي الى المشارف الكسروانية التي سماها المؤلف « واحة البطاركة » وبكل صواب لان اليها التجأ البطاركة في ايَّام المحن. فبطريرك الارمن الى سيدة بزمار وبطريرك السريان الى سيدة الشرفة وبطاركة الموارنة الى سيدة بكركي فيصف المؤلف كل هذه الكنائس التي انتصبت بينها سيدة لبنان على قاعدتها العالية في حريصا ثم سيدة البزاز في حارة صخر وسيدة الابراج في غزير.

وقد كان لها أيام عزّ في عهد المشايخ الحبيشيَّة. وسيدة الحقلة في غابة فوق دلبتا. وبعدها يصعد بنا الكاتب الجرد فتزور واياه سيدة حراجل في ميروبا وسيـــدة الكفور وسيدة الشقيف في الفتوح

يستهل المؤلف القسم الرابع واسمهُ «ارض تموز» بوصف عبادة الاله تموز ثم يبين كيف دحرت العذراء مريم الوثنيَّة واقامت في كل مكان بدلًا من مناسكها الرجسة معابد تكرم فيها ام الطهارة والقداسة. ويخص بالذكر ناحيتين ناحية مدرسة مار يوحنا مارون وناحية نهر ابراهيم حيث تعدَّدت المعابد الصغيرة ولها الاحاديث الملذة. منها سيدة البئر المشرفة على وادي نهر ابراهيم وسيـــدة غشريا تحت بحشوش في موقع طبيعي بديع سمّيت العذراء فيهِ «ام العجائب»

وبعد ذلك ننزل الى جبيل حيث نجد عدَّة كنائس للعذراء منها «سيدة البوابة» يحج اليها الزوّار بكثرة حتى اليوم. ونسير على سيف البحر حتى بترون وفيهـــا سيدة البحر ومن هناك نعكف على الجبل ونرتقي فيهِ ونزور دير ميفوق. وفي زيارتنا نسمع حديث دير سيدة أيليج مقرّ البطاركة الموارنة قديمًا. ثم ينتهي هـــذا القسم الرابع بخبر مقابلة حبيسين معتزلين بالقرب من السيدة

في القسم الخامس ينتقل بنا المؤلف الى لبنان الاعلى وقد سماه «بلاد الرهبـــان» ولا عجب من هذا الاسم لان الناحية كثيرة الاديرة ولاسيما المحابس في وادي القاديشا. امَّا ابتداء هذه الرحلة فمن طرابلس حيث نجد سيدة الحارة وسيدة النعمـــة وقد نقلت صورتها العجائبيَّة الى كنيسة الفرنسيسكان التي في القاهرة في حي الموسكي. ثم من طرابلس نصعد الى سطح الجبـــل الذي عليهِ زغرتا. هناك كنيسة كبيرة للعذراء جرت بسببها مواقع شتى ابلى فيها اهل زغرتا وادّخروا لهم سمعة طيبة بشجاعتهم وقوتهم. ومنها نرتقي الى مشارف الجبة ونتمتع برأى محاسنها الفتَّانة. لان الاب يصفها وقلبه طافح اعجابًا. وبعد اخذ نصيب من الراحة في دير قزحيا البديع الموقع نصل الى الاماكن التي اشتهرت في تواريخ الموارنة. فهناك سيدة حوقا وسيدة قنوبين مقر البطاركة. اكرم مزار للعذراء في تلك الناحية. ثم سيدة الحصن في اعلى بلدة اهدن. وقد سماها الاهلون «رمح اهدن» لانهم ينسبون اليها انتصاراتهم على اليعاقبة والمتاولة. واخيرًا تحت ظلال الارز ننحني امام التي نسميها في الطلبة ارزة لبنان فان لها هناك مصلًى صغيرًا

بعد الجبة جبـل النصيرية . وهو موضوع القسم السادس من الكتاب وفي اول فصل منهُ بحث مطوَّل في كنيسة سيــدة طرطوس التي طارت شهرتها في الافاق الاوربيَّة على عهد الصليبيين وهي الآن جامع . وفي آخر القسم وصف سيدة الحصن بنيت قديمًا بقرب حصن في ايَّام الصليبيين ورمَّمهــا الآباء اليسوعيون . وفي خلال الزيارتين يقص علينا الكاتب طرفًا واقاصيص مفكهة عن العذراء التقطهــا من افواه اهالي تلك الجبال

ها قد وصلنا في القسم السابع الى حمص فبعد مسير طويل جنوبًا نجمع في اثنائهِ كل ما تسنى لنا جمعه من اخبار وتقاليد قديمة يقف بنا المؤلف في رأس بعلبك في دير قديم جدًّا للروم الملكيين تكرم فيهِ سيدة الميلاد . ثم يسير بنا الى بعلبك ويشرح لنا اخربتها العجيبة وما كان فيها لعبادة العذراء من الآثار المسيحيَّة ومن بعلبــك نستأنف المسير معترضين السهل الى دير الاحمر . هناك المازون بنوا معبدًا حسنًا للسيدة في بشوات ومن دير الاحمر نتوجه جنوبًا الى الفرزل وزحلة حيث تكرم سيــدة النجاة للروم الكاثوليك وأخيرًا الى تعنايل حيث اقام الآباء اليسوعيون كنيسة بديعة لسيدة التعزية . امَّا الصورة المكرمة في تعنايل فقد كانت اولًا في طورينو ثم اخذهــا المرسلون الى الجزائر ومنها شرفت البقاع واستقرت فيهِ

بقي على الكاتب ان يصف لنا البقعة الدمشقية وما تحويه من الآثار المريميَّة وقد عني بهذا الوصف في آخر هذا القسم واسهب في الكلام عن مار يوحنا الدمشقي الذي اشتهر بحبه للعذراء والمحاماة عن حقوقها وفضائلها . وختم القسم بل وزياراته كلها بزيارة سيدة صيدنايا التي تغني شهرتها عن ذكر محاسنها

امَّا القسم الثامن والاخير فهو عبارة عن نظر عام في عبــادة الشرقيين للعذراء وكل متعلقاتها . فان المؤلف يبحث فيهِ عن ميّزات هذه العبادة وخواصهــا وذلك في مظاهرها من كنائس ومعابد وطقوس وزيارات واحاديث وتماثيل وكل ما يعرّفها حق المعرفة . وفي الختام يعرب المؤلف عن وطيد رجائه في شفاعة البتول وحمايتها لبلاد بالغت في اكرامها

هذا هو المؤلَّف الجليل الذي اتحفهُ حضرة الاب غودار قرَّاءنا الشرقيين فبعد مطالعته يشعر القارئ انهُ طاف بلادًا تغلغلتها العذراء مريم واحتضنتها من كل وجه . وما احسن

ما قالهُ في هـذا المعنى (ص ٧٤ و ٤٩٤): « ان العذراء مريم كانت كمحور دارت حوله الوقائع والحوادث التي شهدها اهل لبنان وقد كانت اكثر حروبه حروباً دينيَّة... ويتأكد الباحث ان جملة معابد لا لها اهميَّة بالظاهر هي للنواحي التي فيها بمنزلة القلب للجسم البشري. يزورها اللبناني ويتعلق بهـا بكل عروق قلبه كما تتأصل الشجرة في شقوق الصخور رويداً رويداً ولكن بقوة لا تُقهر » . وتريد على ذلك ان من طـالع الكتاب يحصِل فوائد جمة عن تاريخ لبنان

ونختم قائلين انهُ ينبعث من هذا التأليف شعاع نور منعش. نور الرجاء والثقـة في مستقبل بلادنا. فان التي حفظت للبنـان ايمانه وجامعته فيما مضى ستحفظهما له في المستقبل مع ما طرأ وسوف يطرأ عليهما من عوامل الخراب. ويحسن بنا ان نذكر هنا ما قالهُ يوماً غبطة بطريرك الموارنة في اثناء زيارة جمعت كل افراد كليتنا: « ان الزوابع الهائلة تتهدَّدنا غير ان العذراء التي حمت لبنان سوف تحميه ثانيةً . وكما ان للجنود في ظلمات المعامع شعاراً يعرفون بهِ اصحابهم ويحذرون بهِ مكايد العدو كذلك ان لنا نحن ايضاً شعاراً ورجاء وهو العذراء مريم »

وقد فطن لهذا الامر كل الذين سعوا ولا يزالون يسعون في خير لبنان من مرسلين ومحسنين. فانهم لا يقدمون على عمل الَّا بظل حماية العذراء.. لما تألفت شركة فرنساوية في سنة ١٨٤٦ لاعانة مسيحيّ لبنان باشرت اعمالها في ٢ شباط بتكريسهـا للعذراء مريم في كنيستها الباريسيَّة المعروفة بسيدة النصر الامة المارونيَّة. وقد ثبَّت التكريس البابا بيوس التاسع بعد ذلك بسنتين. وكأني بلبنان قد اراد ان يخلد ذكر حبه للعذراء وحماية العذراء له في اثر فخيم باقامته لسلطانته المحبوبة تمثالاً يبلغ مع قاعدته ٣١ متراً فاذا ما رآه المسافر عن بعد عرف ان العذراء وضعت رجلها الطاهرة على قمم لبنـان وتملكتها وان من وطئ ارضه دخل تحت سلطانها وحمايتها

هذا وقد احببنا ان نشفع مقالتنا في هذا التأليف الجليل ببعض مقتطفاته (١ تتمة للفائدة وتفكيهاً للقرَّاء

---

١) وهي تعريب جميل افندي خوري تلميذ كليتنا سابقاً

وصف كسروان وذكر شيء من اخباره(١٧٠—١٧٤)

هو اشبه بحصن حصين من الحجر الاصم. من ناحيته الشرقيَّة انتصب صنين كسور طبيعي يدافع عنهُ . ومن جهتيهِ الشماليَّة والجنوبيَّة حفر لهُ نهر ابراهيم ونهر الكلب خندقين هائلين لا مجاز لهما. ومن وجهته البحريَّة حماه خط ابراج شاهقة شرفاء اقامتها لهُ الجبال. ودعاها اسطرابون « السلّم الجبلي ». وفي داخل المربع الذي حدَّدناه من الاودية العميقة والجبال المشتبكة ما حمل احد المرسلين على القول: « ان منظرها لمخيف حتى انهُ يجعل في القلب بغض الخطيئة وحب السماء ». وكفى ببعض المدافع اذا نصبت في اعلى هذه الشرفات حتى تقاوم عسكرًا جرَّارًا

امَّا تاريخ البلاد فظاهرها يحدّث بها كما ان ملامح الرجل تخبر بما في صدره. فهيئة كسروان هيئة جبَّار شديد الجبلة مشبوح العظام مُندَب الوجه تدل على انهُ صاحب حرب وصراع. والحق يقال انهُ لكذلك. فمن ايَّام مَرَدة الجيل السابع حتى العصاة الذين احتلُّوه بعد الصليبيين لم يزل كسروان همًّا ومفزعة لاعدائه. . . وقد اضطر سلاطين مصر ان يرسلوا بعثتين ويزحفوا اليهِ بخمسين الف مقاتل من المماليك ليتمكنوا من احتلاله وتذليل سكَّانه وكان مع ذلك خوف المصريين من النبَّالة اللبنانيين فائق الحدّ حتى اضطر قوَّادهم على المناداة بخنق كل جنديّ يرتد الى الوراء هربًا. وقد توالت المواقع الهائلة مدَّة احد عشر يومًا لان اللبنانيين كانوا يدافعون عن ارضهم شبرًا شبرًا. فكان المصريون يهاجمون كل تلَّة ورابية وكل شقّ في الجبل للاستيلاء على البلاد ولم يسقط ذاك الجبَّار العنيد الَّا في سنة ١٣٠٦. وقُلِّد التركمان حراسته (١ ففهموا ان الراحة لا تستتب لهم في كسروان الَّا اذا سالموا السكَّان فأمَّنوهم واراحوهم وبينما كان المتاولة لا ينفكون عن غزو الموارنة في شماليّ لبنان ولا يدعون لهم لذَّة عيش كان الكسروانيون في امنٍ وسلام. فاضحت بلادهم ملجأ المضطهدين. ومأوى الهاربين. وما عتمت ان اكتست صخورهم الجرداء خضرة ونضارة. وامتدت على رؤوس جبالهم القرى والمزارع الآهلة

١) طالع تأليف دي كاتر مير في السلاطين المماليك. الجزء الثاني: حوادث سنة ٧٠٤ ه

نعم لم تشرق بعد على المسيحي شمس الحريّة التامّة. فان الماروني بقي بعد ذلك عبدًا لا حقوق لهُ مرعيّة وفلاحًا ضعيفًا يئن تحت الحمل في مسكنه الحقير ولا يسمع لهُ صوت. ولكن ذلك كان فجر الحريّة واول طلوعها. ولم يكن غير قليل حتى بزغت عليهِ انوارها ودقت ساعة الخلاص. فتملص الكسروانيون من ايدي ظالميهم واعتقوا باقي اخوتهم اللبنانيين فدعي لذلك كسروان « سيف لبنان »

في اواخر الجيل السادس عشر استجار بعض الموارنة في بلونة اميران من الدروز بعد قتل ابيهما الامير قرقماز معن في قلعة نيحا المشهورة بشقيف تيرون. وكان هذا الماروني ابراهيم بن سركيس الخازن. والاميران فخر الدين الشهير واخاه يونس. وكان في تلك الأيام أيام بلابل واضطراب ان حملة او غزوة تخضع ولاية واخرى تسترجعها في الغد

كان فخر الدين خطيبًا بليغًا ورجلًا مقدامًا جريئًا. خدمهُ السعد فاسترد بمساعدة منقذيه الموارنة ولايات ابيه ووسع نطاقها ثم تملك على كسروان واحتل بيروت واخضع لامره بلاد الجليل وزحف بجنوده حتى جبال حوران البركانيّة. ولكن نجمه أفل سريعًا فتوارى وتغلب عليهِ اعداؤهُ والجأوهُ الى الهرب الى ايطاليا. وهناك لاذ بآل مديسيس وزار بولس الخامس. ثم في سنة ١٦١٧ ظهر في عكّا. بغتةً وكسر جيش اعدائه واحتل سوريّة من دمشق الى بحيرة لوط ومن طرابلس الى القدس الشريف فقدم لهُ الطاعة كل المشايخ والامراء وقبائل العرب ودعوه « سلطان البرّ »

وكان تعلقه عظيمًا بلويس الثالث عشر وبمملكته حتى انهُ كان يحسب نفسه من جنس الفرنج. فرمم كنيسة الناصرة وغيرها من المعابد. وعقد معاهدات تجاريّة وشيّد خانًا لتجار الفرنسيس في صيداء. واستحضر من فلورنسا جماعة من مشاهير ارباب الفنون...

ولم يكن لينسى من احسن اليهِ في بلّونة ولا الدينَ الذي الهم ذويه المحبة للقريب والاغاثة للملهوف وكان سبب نجاته. فانتشل الخوازنة من ايدي الخمول وجعلهم لهُ عمّالًا فاخذ بنو الخازن يتقدمون في سبل الشرف والمجد مع ذاك الرجل العظيم الذي لاذ بحمايتهم. وقد اختار الرب منهم قسيسين اتقياء. ولبنان بطاركة عظامًا. وفرنسا قناصل والباباوات امراء رومانيين. وكما ان نعمتهم صدرت عن فعل خير بقيت كلها لفعل الخير

قال بعض المعاصرين: « وكانت عيشة الموارنة حتى تلك الأيام شقيَّة. لا يأكلون خبزهم الَّا مبتلًا بدموعهم. لا نصيب لهم سوى الضرب والقيود والسجن وفقد الحرية » (١. فاخذ بنو الخازن بناصر اخوتهم بكل همة ونشاط . . .

وكانوا قد جاؤوا من شماليّ لبنان فيمن جاء منهُ هربًا من جور المتاولة فتحصنوا في كسروان وساعدهم الدروز على محاربة اعدائهم فطردوهم من كسروان فاصبح « قلب الطائفة المارونيَّة وملجأ العبيد الآبقين من المدن فيهِ يجدون الامن والراحة » (٢

قال بعض سيَّاح القرن الثامن عشر (٣ : « ان البلاد الكسروانيَّة ملجأ كل المسيحيين. فترى فيها كثيرًا من الاديرة وعددًا عديدًا من الرهبان والراهبات. وكل الكنائس لها قبب واجراس. والديانة فيها حرَّة كما في بلادنا الفرنساويَّة. . . وذلك لان سكانها وكلهم من الموارنة رجال حرب وبطش. حكامهم اربعة من مشايخ آل الخازن. لهم سطوة وصولة وفي وسعهم ان يسلحوا ثلاثة آلاف مقاتل فاذا انضموا الى امير الدروز تمكنوا من مقاومة باشا صيداء »

وزد على ذلك مجدًا اعظم من مجد الحروب. فقلما تجد في ذاك العصر عمل خير او مشروعًا مفيدًا الَّا وللخوازنة فيهِ اليد الطولى. فكم من بائس انقذوه وعاثر اقالوه ومظلوم حصلوا لهُ حقوقه. حتى ان احدهم وهو الشيخ الشهير ابو نوفل كان يقول: « اني حامل في قلبي النصارى كلهم فلا يجرحهم احد الَّا ويجرحني »

وقد كان للعذراء مريم قسم وافر من تبرعات هذه الاسرة الكريمة فساعدتهم على اعلاء شان المسيحيين في كسروان. فان كثيرًا من الصور والاديرة والكنائس التي على اسم السيدة مؤرخة من ذاك العهد

بقي علينا في الختام ان نتمنى لتأليف الاب غودار معرَّبًا يقرّب من الشرقيين مناله ويعمم فوائده

---

١) طالع كتاب بسون (Besson) في سورية والارض المقدسة (ص ٨٠)

٢) من رسالة دي بوالفاش (de Poislevache) في ١٥ تشرين الاول سنة ١٦٩٨

٣) وهو غرانجه (Granger) – عن مخطوطات وزارة الخارجية في باريس ٣٢٢ و ٢٧٥

خادم امين

رواية افرنسية عرّبها ببعض التصرف الاديب بشاره خليل الخوري احد تلامذة كليتنا

كانت جبال القفقاز في اوائل القرن التاسع عشر مستقلةً بعد وان كانت الاراضي المحيطة بها من كل جانب خاضعة لحكم الروس. وكان سكّان تلك الجبال ينقسمون الى قبائل متعدّدة مختلفة اللغات والعوائد والصوالح لا جامعة بينهم سوى شراسة الاخلاق وحب الغزو والاستقلال. وكانت قبيلة الجنكز اكثرهم عددًا واشدّهم بأساً. رجالها حسان الشكل اقوياء القلب متوقدو الذهن. غير انهم يحبون السلب والنهب. لا يرأفون بمخلوق ولا ينعطفون على ملهوف. ولا يزالون يشنون الغارات على العساكر الروسية المقيمة على «الخط». لان الدولة المسكوبية كانت قد فتحت طريقًا في تلك الجبال وبين تلك القبائل المتوحشة لتصل بها اقاليمها الاوربية واملاكها الاسيوية. واقامت على حواشيها جنودًا يسكنون قليعات قريبة بعضها من بعض تتسلسل على شكل «خط» متقطع حتى بلاد الكرج. ومع ذلك لم يكن المسافرون ليجترئوا على قطع المسافات الفاصلة بينها ان لم تصحبهم بعض الجنود فكانت فرقة من المدفعية يدعمها عددٌ عديد من خيالة «القوزاق» ترافق المسافرين مرتين في كل اسبوع وتحمل بريد الحكومة. وكان قائد الجنود القائمين باعباء هذه الخدمة مقيماً في قليعة مشيدة على مدخل الجبال اصبحت مع تمادي الزمن مدينةً آهلة بالسكان واسمها ڤلادي قفقاز اي مالكة القفقاز سميت بذلك لمناعة موقعها

فاتفق يوماً ان الماجور كسكنبو من الاي ڤولوجدا قُلّد الامر على قلعة لَرْس في مضائق القفقاز وكان شريفًا من اسرة رومية الاصل شجاعًا مقداماً لا يبالي بخطر. فقصد مركزه ولم يكن معهُ غير خمسين فارساً وكان قد اعلن امره ونشر سره قبل انجازه. فما علم بهِ الجنكز حتى جمعوا قواهم وخرجوا يسدون في وجههِ الطريق. فكمن لهُ منهم سبعمائة فارس وفاجأوه على مسافة يسيرة من مدينة مُزْدُك (١ فلمّا رأى القائد ان الرجوع على الاعقاب اصبح من المحال وان لا نجاة الّا بالقتال امر فرسانه

١) وهي مدينة على نهر التِرِك (Terek) في سفح جبال القفقاز شمالاً

فنزلوا عن جيادهم واخذوا يصدون هجمات العدو وهم يتوقعون النجدة من قلعة لم تكن بعيدة عنهم · ولم يكن امامهم بالنجاة ضعيفاً لان القفقازيين يعجزون عن مقاتلة جنود منظمة وان كان افرادهم شديدي البأس · الّا انّ عددهم الوافر ورصاصهم الصائب مكّناهم يومئذٍ من الفوز والانتصار · فبعد قتال عنيف قتلوا من الروس ما يربي على نصف عددهم ولبث الباقون متحصنين وراء جثث خيولهم يطلقون طلقاتهم الاخيرة · فعندها صاح الجنكز: سلّموا الينا القائد والّا هلكتم عن آخركم شرّ هلاك · فتقدم حينئذٍ القائد كسكنبو ودفع بنفسه الى الاعداء ضنّاً بحياة جنوده الباقين فما ظفر به القفقازيون حتى اقبلت النجدة المنتظرة · فلما رأوها ولّوا مسرعين باسيرهم لان غايتهم انما كانت الانتفاع منهُ وطلب مبلغ عظيم فدًى عنهُ

وكان إيڤان خادم القائد متخلفاً عن الجنود في وقت الموقعة مختبئاً في مغارة ومعهُ بغل عليهِ ثقل سيده · فلما انتهى القتال لقيه العساكر الروس فاخبروه بما كان من امر الماجور فعزم للحال على اللحاق بهِ ومشاركته الأسر وتوجه ببغلــه الى الجنكز يقتفي آثار خيولهم · ولما كاد ظلام الليل يخفيها صادفه رجل منهم متخلف عن اصحابه فذهب بهِ اليهم

فلا تسأل عما خالج قلب كسكنبو من الفرح لما رآه من كرم اخلاق خادمه الامين الذي اتى يقاسمه الشقاء والعنــاء · اما الجنكز فاخذوا ما كان مع ايڤان وتقاسموه ولم يتركوا للقائد سوى عود كان بين الاثقــال فردوه على صاحبه استهزاء · واراد كسكنبو ان يرميهِ فمنعه خادمه وقال: لا تيأس سيدي فان اله الروس عظيم(١ وان صالح هؤلاء اللصوص ان يبقوك ولا يلحقوا بك شرّاً فتصبّر

وبعد مضي بضع ساعات عزم الجنكز على استئنــاف السير · غير ان رجلًا منهم قدم عليهم وانذرهم ان الروس يواصلون الزحف الى الامام وانهُ يرجح ان جنود باقي القلع ستشاركهم في مطاردة الجنكز · فتشاور رؤساؤهم وكان جل اهتمامهم اخفــاء محلتهم ليحافظوا على اسيرهم ويبعدوا عن قواهم عساكر الاعداء وينجوا من انتقامهم · فتشتت شملهم وذهبوا طرائق وابقوا لحراســة الاسيرين عشرة رجال من المشاة ولبث

---

١) وهو مثل سائر فيما بين الروس يقولونه في ساعة الخطر

مئة من الفرسان متجمعين ثم ساروا في وجهة مخالفة لوجهة كسكنبو وحراسه · ونزعوا من رجل كسكنبو جزمته المسمرة خشية ان تفضحهم آثارها واضطروه وخادمه ان يمشيا حفاة الارجل ولكن المسير بين الشوك وعلى الصخور ادمى رجلي القائد واضناه حتى رأى اللصوص ان يُرجعوا اليه حذاءه ليتمكن من مواصلة الهرب معهم

ولما وصلوا الى قرية من قراهم ظهر لهم ان الاسير اعيا حتى انهم خافوا على حياته · وكان الغم قد اضناه وهزله اكثر من تعب المشي فرفقوا بهِ واراحوه واركبوه فرساً غير انهم اخذوا ينتقلون بهِ من قرية الى قرية ومن واد الى واد حتى تخفى اثاره على الروس · وربما ربطوا عينيه بعصابة مدة المسير ليتعذر عليهِ اطلاع اصحابه على مقامه · وكانوا يحسنون معاملته طول المسير ويقدمون لهُ ما احتاج اليهِ من الطعام · ويأذنون له بالراحة ما شاء · غير ان هذه المعاملة لم تدم فما وصلوا الى القرية البعيدة التي اختاروها ليحبسوه فيها حتى اذاقوه من انواع النكال امرّها · فكبلوه بالحديد وغلوا يديه ورجليه وعنقه بسلاسل ثقيلة · امّا إيفان فكانت قيوده اخف تسمح لهُ بالقيام بخدمة سيده

فقضى القائد على تلك الحال ايّاماً كان فيها عرضة للاهانات والشتائم فكان كل ما اشرق النهار دخل عليهِ احد الجنكز العارفين باللغة الروسية والحّ عليهِ ان يكتب الى اصحابه ويحرضهم على دفع ديته وقيمتها عشرة الاف روبل · وكان القائد المسكين عاجزاً عن دفع هذا المبلغ · الّا انهُ لما الحّوا عليهِ وعد الترجمان بتلبية طلبهم فخرج هذا من عنده ولبث اياماً لم يرجع الى الاسير · وكانهم انتهزوا فرصة هذه الايام ليزيدوا في تعذيبه فقطعوا عنهُ الاكل ونزعوا من تحته البساط الذي كان جالساً عليهِ والوسادة التي كان يتكئ عليها لينام · ولما رجع الرجل المذكور اسرّ الى القائد انهم عازمون على قتاله فراراً من المصاريف الباهظة التي كانوا يتكبدونها بسببه ان لم يُلبِّ الروس طلبه · وانما كانت غايتهم من معاملتهم هذه القاسية اجبار القائد على طلب الدية بالحاح · فكتب كسكنبو كما ارادوا وترجم الرجل الكتاب لرؤساء القبيلة فرضوا بهِ واخذوا على انفسهم ان يرسلوه الى قائد الجنود الروسية فتحسنت مذ ذاك حالة الاسير ولم يبقَ مقيَّداً الّا بسلسلة واحدة · وكان سجّان كسكنبو شيخاً اسمهُ ابراها لهُ من العمر ستون عاماً · وكان طويل القامة ذا منظر مخيف يدل على ما طبع عليهِ من

القساوة والفظاظة وقد اختاروه سجّانًا لما عهدوه فيهِ من البغض والحنق على الروس اذ قتلوا لهُ ولدين في الحرب

وكان في بيت ابراها المذكور ارملة احد ولديه لها غلام حديث السن وكانت هي ايضًا على جانب عظيم من قساوة القلب وشراسة الطباع · فحدّث عما كابده القائد المسكين من الالم بين ذاك القوم ولا حرج · غير ان لطف الصبي وما كان يظهره من عواطف الشفقة خفف وطأة مصابه · فقد كان الغلام كلف بالسجين حتى ان التهديدات لم تقوَ على منعه من مؤانسته كلما سنحت لهُ فرصة · وكان قد سماه بلفظة « قنياق » ومعناها عندهم الصديق والضيف فاخذ يقاسمه سرًّا كل ما نالتـه يداه من الثمار ولما مُنع القائد القوت حنّ الولد عليهِ فكان يحتال حتى يأتيه بما يأكل من خبز وفاكهة

مضت الاشهر بعد ارسال الكتاب دون حدوث امر ما وكان إيڤان في اثنائها توصل الى استعطاف خاطر المرأة والشيخ او بالاحرى الى اجبارهم على التعلق بهِ لمعرفته تهيئة المآكل والمشارب اللذيذة · ولكي تزداد ثقتهما بهِ اكثر من التهريج فكان يبدع كل يوم حيلة ليضحك اصحابه وكان ابراها يطرب كل الطرب حينما كان ايڤان يرقص رقصة القوزاق · فجعل كلما زاره بعض سكان القرية حلّ قيود ايڤان وامره بالرقص فيلبي طلبه بطيبة خاطر و يزيد على حركات الرقص قفزات غريبة يستنبطها كل مرة ليضحك الزائرين. وما زال على تلك الحال حتى نال الاذن بالتجول في القرية مطلق الحرية · وكان اذا طاف بين البيوت لحقه الاولاد وهو يطربهم بلطيف مداعبته وظريف حركاته ولما كان يعرف اللغة المغولية لم يصعب عليهِ تعلم لغة القوم وكانت قريبة منها

اما الماجور فكان يضطر هو ايضًا ان يضرب بالعود ليطرب الاعلاج الذين كان بينهم وكانوا في اول الامر يفكون اغلال يده اليمنى ليتمكن من الضرب ولكن المرأة لاحظت بعد ذلك ان السجين اذا اراد التسلّي ضرب بالعود احيانًا وهو مقيّد · فاخذوا يجبرونه على الدق دون حل قيوده · فاصبح العود مدعاة للعذاب · وما كان يعلم اذ ذاك ان آلته ستكون يومًا وسيلة تساعده على نجاته من الاسر

تلك النجاة كانت موضوع افكار الاسيرين وجل رغائبهما · فما اكثر ما خطر لهما من الحيل لبلوغ مأربهما فضاقت عنها ذرعًا لشدة سهر الجنكز عليهما فكانوا في اول الامر يقيمون على باب الحبس خفيرًا كل ليلة · ثم تراخوا عن الخفارة فكانت المرأة

وصغيرهـا يرقدان في غرفة بالقرب من غرفة الروسيين ولا يبقى مع الاسيرين سوى ابراها وفي جيبه مفاتيح القيود يحفظها ويتيقظ لادنى حركة. وكانت عيشة القائد تزداد شقاء ومرارة من يوم الى يوم ولما لم يرد جواب على كتاباته المتكررة حنق الجنكز عليهِ وجعلوا يردون اليهِ يقذفونهُ بالشتائم وينذرونهُ بأليم العذاب او يمنعونه عن الاكل حتى ان ابراها ضرب حفيده يوماً ضرباً مبرحاً لانهُ جاد على السجين ببعض الاثمار اليابسة

وكان الكل مع ذلك يثقون بكسكنبو ثقةً عمياء ويستشيرونه ويجعلونه حكماً فيما بينهم اذا اختلفوا. واليك بعض ما رفعوه اليهِ من الدعاوي الغريبة

سلَّم بعض سكَّان القرية خمسة روبلات الى رفيق لهُ كان مسافراً الى قرية اخرى وطلب اليهِ ان يدفعها الى رجلٍ منها . فمات برذون المسافر في الطريق فرأى ان لهُ حقًّا بحفظ الخمسة الروبلات تعويضاً عن الخسارة التي لحقت بهِ . فلم يوافق هـذا الحكم الغريب صاحب المال فما رجع المسافر الى القرية حتى علا القال والقيل بين الخصمين. فحشد كل واحد منهما اقاربه واصحابه وكادت الحال تفضي بهم الى القتال لو لم يتلافَ عقالهم الشرَّ ويحملوهم على تحكيم السجين في المسألة . فأُخرج من بيته وأُصعد على السطح. وكان الخصوم واقفين بانتظاره فلما رأوه عمَّ الجمع سكوت عظيم كأن على رؤوسهم الطير . فأُعجب بهِ من قاضٍ مقيد واخصام مسلحين بالطبنجات والخناجر قاموا يترافعون امامه ويتوقعون منهُ حكماً قاطعاً لا مردَّ عليهِ

فبذل كسكنبو جهده في اقناع صاحب الفرس فلم تنجع حججه فيـهِ فاراد على الاقل ان ينتقم للعدل انتقاماً يسيراً ويضحك الحاضرين من المدَّعي. فقال لهُ: أعجب منك يا رجل أُتراك لو كلفـك صاحبك بحمل السلام الى غريمه بدلاً من الخمسة الروبلات أما كان مات فرسك ؟ فاجاب المعاند: لعله كان ذلك. فقال القائد: فما كنت فعلت والحالة هذه بالتحية ؟ أما كنت تضطر الى الاكتفاء بها تعويضاً عن خسارتك ؟ فأحكمُ اذن ان ترجع المال الى صاحبه وتكتفي بقبول التحية والسلام منهُ »

فما تُرجم القضاء حتى استغرب الحضور ضحكاً وضجوا استحساناً لما رأوه من حكمة ضاهت حكمة سليمان واقرَّ المحكوم عليـهِ بعدل الحكم وقال: كنت عالماً ان الحكم يكون عليَّ ان ترافعنا امام هذا السجين اللعين

ولكنَّ الثقة التي ابداها اللصوص لسجينهم لم تكن لتخفف شقاء حالته. مضت

عليهِ سنة ولم يرد اليهِ جواب على رسالاته ولما كان في تلك البرهة محروماً حتى من ضروريات المعيشة وهنت قواه وضعفت صحته واخذ اليأس يستولي عليهِ. اما إيڤان فان ابراها فكَّ يوماً اغلاله فجعل الخادم يغدو و يروح في القرية بلا معارض فتعجب كسكنبو من امره وسأله عن سبب ذاك الانقلاب. فاجابه ايڤان مولاي قد خالجني فكر منذ ايام اريد ان استشيرك عليهِ. سنح لي ان اغيّر جنسيتي المسكوبية وانضم الى اهل القبيلة فاصبح كواحد منهم. قال كسكنبو: هل اعتراك جنون. قال ايڤان: لا وحقك يا سيدي لست بمجنون وانما في عملي هذا وسيلة لخلاصنا فان كبير القوم اكّد انهم اذا ما اوثقتُ عرى الاخاء معهم وصرتُ جنكزيًا لا يعودون يقيّدونني فأُصبح حرًّا فاتمكن من مساعدتك وخدمتك. ولعلي انجيك يوماً واياي من هؤلاء الاوغاد فاعود اذ ذاك الى جنسيتي ولا اظنّ ان احدًا من مواطنيَّ يلومني. فتحيَّر القائد من امره ولم يدرِ ما يقول. أينكر على خادمه عملًا كان يحسبه خيانة لوطنه ام يأذن لهُ باستعمال حيلة ربّما آلت الى خلاص كليهما. فلما رأى ايڤان سيده مترددًا قال لهُ: سيدي لست بقادر على طاعتك فلا سبيل الآن الى اخفاء امري وقد كان بودي كتمانه فاني جنكزيّ من يوم فُكَّت اغلالي واسمي قربات فلا بأس في ذلك. فاني حرّ وساحررك ان شاء الله

والحق يقال ان الجنكز وفوا لايڤان ما وعدوه بهِ فاطلقوا لهُ الحرية التامة الّا انهم بعد ذلك خافوا ان يهرب من بينهم ويرجع الى الروس ويعلمهم بمكانهم فيجتاح الروس بلادهم وينتقمون منهم شرّ انتقام. وكانوا يلعنون ساعة دخول ايڤان في مؤاخاتهم. فما عتم ان تغيَّروا عليهِ وظهرت للعيان دلائل انقلابهم وايڤان يطلب سبب ذلك ولا يجد. فبينما يضرب اخماساً لاسداس اذ جاء اليهِ بعض الشبان ربطتهم واياه عرى الصداقة فسألوه ان يرافقهم في غزوة ازمعوا عليها. وكان في نيتهم ان يعبروا نهر التِرِك (Terek) ويسلبوا متاع تجار قاصدين مدينة مُزْدُك فاجابهم ايڤان الى سؤلهم بلا تردد وقد طالما فكر في طريقة اقتناء بعض الاسلحة فظنها الفرصة الملائمة. ثم كان يرى في رجوعه الى مولاه بعد الغزوة برهانًا مقنعاً يفحم من كان يظنه خائناً. ففاتح كسكنبو في الامر فانكر القائد رأيه. فتناساه الخادم حتى ظن القائد انهُ عدل عن عزمه غير انهُ لما افاق يوماً من رقاده لم يجد ايڤان فعرف انهُ تركهُ ليلًا وسار في اصحابه للغزوة المذكورة

وقد كان يجب عليهِ ان يحذر من غدر الجنكز وهم اكثر النـاس خبثاً ودهاء ويستغرب كيف يستصحبون في مقاتلة الروس روسيًا وان اخًا لهم. وانما قصدوا في ذلك قتل ايڤان مواربةً لان دخوله فيما بينهم كان يوجب عليهم مراعاة حقوق الاخاء ظاهراً. فرأوا ان يتحفظوا عليهِ في المسير ثم يقتلوه في القتال ويوهموا ان الاعداء قتلوه. الَّا ان الحوادث اتت بما لم يكن في الحسبان. فبينما كانوا في المرصاد يتوقعون مرور القافلة اذ هجمت عليهم كوكبة من القوزاق واضطرتهم الى الرجوع على الاعقاب فأنساهم عظم الخطر مكيدتهم وعبروا النهر ثانيةً مسرعين لا يبالون الَّا بانقـاذ انفسهم من ايدي الاعداء

وكان النهر قويًا كثير المياه فكبا فرس احد الجنكز وهو عابر فجرته الامواج وكادت تودي بهِ لولا ان ايڤان البطل اقتحم المياه بفرسه وانتشل الفارس من الغرق غير مبالٍ بحياته وانزله على الشاطئ سالمًا. الَّا ان الروس عرفوا ايڤان من بزته العسكرية فصاحوا بهِ: يا للخائن وصوبوا عليهِ نيران بنادقهم فدافع عن نفسه مدافعـة الابطال وعاد بعد ما ابلى احسن بلاء وخدم القبيلة خير خدمة

ولم يتوصـل مع ذلك الى استمالة قلوب الجميع غير ان الجنكزي الذي خلصه محضه الوداد واتخـذه لهُ اخًا يدافع عنهُ بالنفس والنفيس اما الباقون فازدادوا تحفظًا منهُ لما رأوه من شجاعته ولم يعودوا يعتبرونه كهرج يعجز عن اقتحام الاخطـار واتيان الامور العظام. ثم لمَّا كانوا يعاودون النظر في حوادث الغزوة المشؤومة كانوا يتعجبون من وجود الروس بالقرب منهم فيظنون ان ايڤـان يراسلهم ويطلعهم على اخبارهم فرابهم ذلك من ايڤان وزادهم حذرًا منهُ وسهراً عليهِ حتى ان ابراها نفسه خاف ان يحتال ويفكّ اغلال سيده فمنعهُ من محادثته مليًا وجعل يضرب به اذا عصى امره

غير ان ايڤان والقائد استنبطا حيلة مكّنتهمـا من التحادث دون ان يرتاب ابراها بهما. فكانا اذا ارادا التكلم بشؤونهما امامه يتغنيان بالحان روسية جريًا لعادتهمـا فيأخذ الماجور عوده ويضرب ويغني ما بدا لهُ ويضمّن الغناء الكلام الذي يريد تبليغه صاحبه والاستفهام عنهُ. فيجيبهُ ايڤان على اللحن ذاته ويفيده والماجور يضرب على العود كانهُ يوقع عليهِ غناء بسيطاً. ولما كانا اعتادا قبلاً هذه الطريقـة في الغناء لم يفطن احد لحيلتهما. ومع ذلك لم يلتجئا اليها الَّا فيما ندر

*

بعد مضي ثلاثة اشهر على الحوادث السابقة شعر ايفان بحركة غير مألوفة في الضيعة فقد كان ورد اليها بعض البغال محملة بارودًا ثم جعل الرجال ينظفون الاسلحة ويهيئون الخرطوش فعرف ان بعض القبائل المجاورة انخرطت تحت لواء الروسيين ورخّصت لهم ببناء حصن في اراضيها وان اصحابه عزموا على استئصال شأفتها وابادة العساكر الروسيين قاطبةً . وبعد ايام قلائل لما خرج ايفان من بيته صباحًا الفى الديار خالية فارقها كل من لهُ طاقة على حمل السلاح فاخذ يتجوَّل في انحائها فزاده ذلك يقيناً بما كان رآه من قلة ثقة الجنكز بهِ . فكان الشيوخ يبتعدون عنهُ وينفرون من محادثته وتجرأ صبي وقال لهُ ان اباه يريد قتله . فرجع الخادم كئيباً مهموماً

وانهُ لكذلك اذ رأى على سطح احد البيوت امرأة تومئ اليهِ أن ابتعدْ وهي تشير الى وجهة البلاد الروسية . وكانت المرأة اخت الجنكزي الذي خلصه ايفان

ولما رجع الى البيت رأى ابراها يتفقد اغلال كسكنبو كانهُ يريد ان يتحقق متانتها ومعهُ رجل آخر ابقاه القوم لان الحمَّى انهكت قواه واعجزتهُ عن اللحاق باصحابه فجعلوه مساعدًا لابراها على حراسة السجين . فلم يظهر ايفان تعجبه من ذلك . الَّا ان الحالة اصبحت حرجة لانهُ ان كان غياب الرجال من القرية يسهل الفرار فزيادة السهر على الاسيرين تزيده صعوبة . ثم كان الخادم موقنًا ان موته قريب لا مناص منهُ لان الجنكز سوف يرجعون بصفقة خاسر فيقتلونه حنقًا فلم يبقَ لهُ سوى الاختيار بين احد الامرين . فامَّا ان ينجو بنفسه ويترك سيده واما ان يخلصه بلا ابطاء . ولكن الخادم الامين كان يفضل احتمال الف ميتة ولا يترك سيده

وكان كسكنبو يئس من النجاة فوقع في حالة من الحيرة تشبه الجنون فكان يلازم الصمت لا ينبس ببنت شفة . اما ايفان فكان في فرح اعظم من ذي قبل يهيئ الطعام باعتناء فائق وهو يترنم بالحان روسية يضمنها اقوالًا يوجهها الى سيده لينشطه :

جاء الوقت المنتظر هَيْ ليلي هَيْ ليلي وقت بهِ نخلص او نموت هَيْ ليلي هَيْ ليلي
غــدًا نسير هي ليلي هي ليلي على طريق بلدة جميلة هي ليلي هي ليلي
تشجع سيدي ان اله الروس عظيم

اما كسكنبو فكان يجهل مقاصد خادمه وكان ينظر الى الحيــاة والموت بعين

واحدة فاجاب: افعل ما بدا لك واصمت. وعند المساء طلب الرجل المريض الانصراف لعارض طرأ عليهِ فلم يُمانع لان ايڤان كان قد طيَّب خاطر ابراها وهدَّأ روعه بمداعبته وممازحته. وليزيل كل اثر الارتياب من نفس السجان انفرد عاجلًا في آخر الغرفة وانطرح على سرير من خشب وتناوم وهو ينتظر ان يغلب النعاس على السجان فينام. ولكن ابراها كان قد عزم على السهر طول الليـــل فصرف المرأة وابنها الى الغرفة المجاورة واغلق عليهما الباب واتى وجلس على كرسي بازاء سجينه

وكان ايڤان يتأمل كل شيء من الزاوية التي كان فيهـــا فكان يرى كلما التهبت النار فأساً معلقة على الحائط امامه تتلألأ . ثم لاحظ ان النعاس غلب على ابراها فمال برأسه. فظن ايڤان ان قد اتت ساعة النجاة فانتصب فأحسَّ بهِ السجان وانتهره وسأله عن سبب قيامه فلم يجبه ايڤان ولكنه اقترب من النار وهو يتثاءب كانهُ مستيقظ من سبات عميق. وشعر ابراها ان النعاس يثقل اجفانه فامر كسكنبو ان يضرب على على عوده ليطيّر النوم من عينيه. وكان القائد يمانعه فقدم لهُ ايڤان العود وقال لهُ اضرب يا مولاي فان لي معك كلاماً. فاخذ القائد العود وشدَّ اوتاره ثم اخذا في الغناء وتبادلا هذا الحديث الهائل:

كسكنبو — هي ليلي هي ليلي ماذا تريد ان تقول ؟ احذر (وكانا يقطـــعان محادثتهما بادوار الاهزوجة الروسية الآتية):

الأسى يقتلني يا ربوع الوطنِ الأسى يقتلني يا ربوع الوطنِ
لا تسلي ههنا لا تعزي وهنا قد بكت اعيننا من فراق الوطنِ

ايڤان — هل ترى هذه الفأس ؟ لا تنظر اليها . هي ليلي هي ليلي . لأشقنَّ بهـــا رأس هذا الكلب . هيْ ليلي هي ليلي

دمعنـــا احرقنا فجلسنـــا زمنـــا ذاكرين الوطنا يا لبعد الوطنِ

كسكنبو — ما يجدينـــا قتاه نفعاً. هي ليلي هي ليلي . كيف اهرب وانا مكبل بالحديد

عين ماء سكبت في امان وبكت وهي عجماء شكت من فراق الوطنِ

ايڤان — مفتاح الاغلال في جيب اللص

سكِّني يا مقلتي خففي من لوعتي سوف تُجلى غمَّتي في ربوع الوطن

كسكنبو — ستصيح المرأة فتفضحنا

غربتي تطرحم لوعتي تفرحهم ليتني أشمرم يا فراق الوطنِ

ايڤان — دع الاقدار تجري. الست مانتاً ؟ هي ليلي هي ليلي. جوعاً وشقاء

وطني لم نَنْسكا وطني لم نَنْسكا روحنا تبقى لكا جسمنا للكفنِ

ولما رأيا السجان يعيرهما سمعه ضاعفا الصياح والهلهلة وقوي ضرب القائد على العود وقال الخادم لسيده: اضرب لحن القوزاق لارقص واقترب من الفأس لا تخف انقر نقرًا شديدًا. قال كسكنبو: لك ما تشاء. فلعلَّ هذا العذاب قريب الزوال. قال هذا ثم التفت واخذ يضرب اللحن المطلوب فطفق ايڤان يرقص ويصيح. وجعل القائد كلما اقترب الراقص من الفأس خفق قلبهُ قلقاً لان الآلة المطلوبة وان كانت في خزانة لا لا باب لها غير انها بعيدة المنال لا تكاد يد ايڤان تصل اليها. الا ان الخادم انتهز فرصة مناسبة وانتشل الفأس من محلها ووضعها على الارض في ظل جسم ابراها ولما وقع نظر السجان عليهِ كان ايڤان قد ابتعد وهو يرقص

طال الرقص حتى اعيا كسكنبو وظن ان ايڤان لن يقدم على العمل او انهُ لا يرى الوقت مناسباً فرفع اليهِ بصره فرآه قد اخذ الفأس واقترب من اللص ليقتلهُ فارتعدت فرائصهُ وارتعشت يداه وسقط العود من يده. وفي اثنائها تقدَّم ابراها من النار ورمى فيها عودًا يابساً فتأججت واضاءت الغرفة ثم التفت ورجع الى مكانهِ. فلو تمم ايڤان حينئذ مقصده لصارعهُ السجان وطرح الصوت وهذا ما كان الخادم النبيه على حذر منهُ. فلما رأى من اضطراب القائد ما كان ورأى السجان ينتصب وضع الفأس خلف كرسيهِ واستأنف الرقص وصاح بسيده اضرب على العود والموت الازرق ما حلَّ بك ؟ فرجع القائد الى النقر ولم ينتبه السجان الى ما جرى وجلس ثانية غير انهُ امرهما ان يكفا عن الغناء ويرقدا. فتقدم ايڤان واخذ بيت العود ووضعهُ على المدخنة وناولهُ القائد العود فلم يتناولهُ الا انهُ عمد الى الفأس وضرب بها السجان على ام راسهِ ضربة هائلة اودت بهِ ولم يتأوه فسقط ميتاً وراسه في النار فاحترقت لحيتهِ فجرَّه ايڤان وغطاه ببساط

وكان الاسيران منصتين ليعرفا ان كانت المرأة متيقظة. واذا بها وقد اعجبها السكوت الذي ولي الرقص والغناء قد فتحت باب غرفتها واقبلت عليهما وقالت: ما لكما

ومن اين هذه الرائحة رائحة ريش محروق . وكانت النار قد كادت تنطفئ . فرفع ايفان فأسهُ على المرأة ليضرب بها فحولت رأسها فأتت الضربة في صدرها فصاحت وسقطت فانثنى عليها ايفان فما وصلت الشقية الى اقدام كسكنبو حتى فارقتها روحها . فارتاع القائد من مقتل لم يكن في الحسبان . اما ايفان فتوجه الى غرفة الصبي فوقف امامه الماجور وقال لهُ : الى اين تذهب ياأثيم ؟ اوَ تتقدم على قتل ولد لم أرَ منهُ غير اللطف والوداد . والله لئن كان خلاصي بقتلهِ فلتهلكنَّ اذا رجعنا الى روسيا ولم تجدك امانتك وخدمتك نفعاً . قال ايفان : في روسيا تفعل ما بدا لك اما هنا فلا بدَّ من تتميم مقاصدي . فجمع الماجور قواه ومسك ايفان بثيابهِ كأنهُ يريد منعهُ من المرور وقال : ان قتلتهُ او مسست شعرة من راسهِ سلَّمت نفسي الى ايدي الجنكز فتصبح قساوتك بلا جدوى . فقال ايفان وهو رافع فأسهُ المتقطرة دماً : الى ايدي الجنكز . والله لا ياخذونك حيًّا . لاقتلنَّهم واقتلنَّك واياي قبل حلول هذا الامر . فان الولد قادر على اهلاكنا اذا صرخ وفي الحال التي انت فيها لا طاقة لك بردّ اضعف النسوة عنك . قال كسكنبو : قف ياغليظ الكبد فلتقتلني قبل ارتكاب هذا الاثم الفظيع . ولكنهُ لم يقوَ على مسك الخادم من شدة ضعفهِ وثقل قيوده فدفعهُ ايفان وتملص منهُ فسقط القائد المسكين على الحضيض وكاد يغشى عليهِ من الدهشة والغم . و بينما كان يحاول الوقوف كان يصيح : بالله عليك يا ايفان إلَّا رحمت هذا البريء . ثم لما ثابت اليهِ قواه اسرع الى اغاثة الولد فما بلغ الباب حتى التقى بايفان راجعاً وقد اتم قصده . فاندفع الماجور يؤنبهُ تانيباً عنيفاً فاجابهُ ايفان : مولاي قد تم الامر فلا تدع الوقت يذهب سدى ولا ترفع صوتك . قد جرى ما جرى فلا سبيل الان الى الرجوع الى الوراء . ومن هذه الساعة الى ان ننجو كل رجل يعارضني فهو مائت وكل من دخل علينا فهو مقتول لا محالة رجلًا كان او امرأة او صبياً . عدوًّا ام صديقاً . واخذ ايفان اذ ذاك يطلب مفاتيح الاغلال فلم يجدها لا في جيب السجان ولا مع المرأة ولا في الاماكن التي ظن انها مخبأة فيها والقائد مع ذلك يتوجع و يتحسر غير مبال بموقفهِ الحرج والخادم يقول لهُ : اولى بك ان تتوجع على فقد مفتاح القيود . مالك تبكي على مثل هؤلاء الاوغاد الذين عذبوك خمسة عشر شهرًا ؟ قد ارادوا قتلنا فقتلتهم فما عليَّ ؟ ليت الجحيم يبتلعهم جميعاً

ولما لم يجد ايفان مفتاح القيود فكر في كسرها والَّا اصبحت المذبحة التي ذبحها

بلا فائدة. فاخذ الفاس وتوصل الى فك الحلقة التي حول المعصم واما الحلقة التي حول الرجل فلم يستطع فكها وخاف ان يجرح مولاه ان شدّ عليها بكل قواه . وكان الليل قد مضى منهُ شطر عظيم فاضحى موقفهما خطرًا حرجًا. فعزما على السفر دون تاخر فعلّق ايفان قيد الماجور بنطاقهِ حتى لا يعيقهُ. ووضع في كيس قطعة خاروف من بقايا عشاء البارحة. وتسلح بخنجر السجان وطبنجتهِ. والبس الماجور فروته ثم خرجا بهدو. فطافا حول البيت لئلّا يلتقيا باحد ثم سارا في طريق الجبل تاركين الطريق المؤدية الى مزدك لعلمهما بان الجنكز سيطاردونهما من تلك الجهة. فسارا باقي الليل في الجبال ولما طلع الفجر دخلا غابة كانت في رأس الجبل فسترتهما عن العيون. وكان شهر شباط قد كسا الارض ثلجًا وكان الثلج في الليل وحتى الظهر جامدًا فاستطاعا المشي عليهِ بلا صعوبة غير ان اشعة الشمس ليّنتهُ فجعل المسافران يغرقان فيهِ كلما خطوا خطوة. فتعسر المسير وبطوء . وعند الظهر وصلا الى وادٍ عميق جرى في قعره جدول ماء على ضفته سبيل مطروق ينبيء ان المكان آهل . فعزما على الوقوف حتى يجنهما الليل خوفًا من الجنكز واراحة للماجور فلجأا الى بعض الصخور التي كانت هناك بين الثلوج فقطع ايفان اغصان صنوبر وجعلها فراشًا انطرح القائد عليهِ ليستريح. ثم جعل يتفقد المكان ليعرف وجهتهما فرأى ان لا مخرج من ذلك الوادي الا بسلوك حافة الجدول المطروقة لان جبالًا شاهقة كانت تكتنفهُ ولا منفذ فيها سوى ذاك الطريق

وكاد الليل ينتصف وقد تجمد الثلج فنزلا في الوادي وكانا قد اشعلا الاغصان حتى يتدفأا ويهيئا طعامًا كانا اليهِ في حاجة ماسة . فأكلا وشربا ماء الثلج ممزوجًا بجرعة من العرق ثم عبرا الوادي ولحسن الطالع لم يصادفا احدًا فيهِ واخذا يسيران على ضفة النهر في المضيق بين الجبال الشامخة وهما يسرعان خيفة ان يفتضح امرهما ولم يخرجا منهُ الا عند الساعة التاسعة صباحًا وعندها شخص لهما عن بعد من وراء قمم جبال متداخلة في بعضها وقليلة الارتفاع برّ روسيا الفسيح الارجاء كانهُ بحر متباعد. ولا تسلْ عما خالج فؤاد الماجور من الفرح امام ذاك المنظر . روسيا روسيا تلك اللفظة الوحيدة التي خرجت من فيهِ . ثم جلس المسافران ياخذان من الراحة نصيبهما ويتمتعان العين بمشهد الوطن العزيز ويفرحان بالخلاص القريب . غير ان رجاء السعادة كان يمتزج في صدر القائد بذكر الفاجعة الهائلة التي شهدها وكانت قيوده وثيابهُ المتلطخة دمًا لا تزال تجدده. فاخذ

ينظر الى غاية السفر ويقدّر مصاعبهُ ومشقة المسافة التي كان يلزمهُ ان يقطعها والحديد في رجله وساقاه مورّمتان من التعب. فأنساه هذا الفكر الفرح الذي شعر بهِ ورفيقهُ لدى مشاهدتهما ارض الوطن وزاد في عذابهِ عطش شديد. فنزل ايڤان الى الماء وكان قريباً ليأتيه بما يروي غليله . فوجد عليهِ جسرًا مركبًا من شجرتين ورأى عن بعد بيتاً منفردًا فقصده واذا بهِ مسكن للجنكز يأوونهُ في الصيف. فسرّ الخادم الامين من هذا الاكتشاف ورجع الى سيده وانتشلهُ من بحر الافكار الذي كان غارقاً فيهِ واوصلهُ الى الملجإِ وجعل هو يفتش على «المخزن»

ان اكثر سكان القفقاز اقرب حال من اهل البداوة يَغزون ويُغزَون وينتقلون من مكان الى مكان ولهذا يحفرون بالقرب من منازلهم سراديب يخزنون فيها مؤنهم ومتاعهم وهذه السراديب على شكل الابار يسدّونها بخشبة او حجر كبير ويغشونها بالتراب ويجعلونها في اماكن لا عشب فيها لئلَّا ينبت عليها عشب يختلف لونهُ عما حوله فيعرف السرّ . وقد يتمكن عساكر الروس من الاطلاع عليهِ مع ما يتخذهُ الجنكز من الاحتياطات فانهم يضربون الارض بقضب بنادقهم حول البيت فيعرفون الحفر من دويّ الضربات. فتوصل ايڤان الى اكتشاف مخزن البيت فوجد فيهِ بعض سنابل الذرة وعددًا من اواني المطبخ فأوقد نارًا ووضع عليها اللحم الذي معهُ وشوى ايضاً الذرة وكان قد وجد ايضاً بندقاً فاتى بهِ فبعد ما اكل القائد تمكن ايڤان من كسر الغل الذي كان مقيدًا بهِ بعدُ. فاستراح ونام نوماً هنيئاً ولم يستيقظ الّا عند العتمة. ولكنهُ لما اراد المسير تعذر عليهِ المشي لان رجلاه تورمتا وتصلبتا حتى انهُ لم يستطع تحريكهما الا بعناء ووجع مؤلم ومع ذلك كان لا بدّ لهُ من السير . فاتكأ على خادمهِ ومشى حزيناً وموقناً انهُ لن يبلغ الغاية المقصودة. غير ان حرارة المشي خففت من اوجاعهِ فمضى الليل كلهُ بين مسير ووقوف وطالما رمى بنفسهِ على الارض وطلب الى رفيقهِ ان يتركهُ وحده . اما ايڤان فلم يكتفِ بتشجيع القائد بل كان يحملهُ او يجره جرًّا . وبقيا على هذه الحالة حتى وصلا الى مجاز عسر عليهما عبوره. فوقفا حائرين يتساءلان اينتظران النهار ام يواصلان المسير فلما رأيا ان في انتظار النهار تأخيرًا لا يُعوَّض عزما على المرور مع ما وراء ذلك من خطر التدهور. ولكن الخادم اراد ان يرتاد المكان قبل مرور سيده فاخذ ينزل وكسكنبو ينتظر على حافة الصخر في اضطراب لا يوصف . فكان الليل مظلماً وكان

يسمع خرير الماء يجري في الوادي تحت رجليهِ ودوي الحجارة تتدحرج تحت اقدام خادمهِ فتسقط في النهر وتُعلم القائد بعمق الهاوية. ففي تلك الساعة الحزنة تذكر امهُ وكانت قد باركتهُ قبل سفره فانعش ذكرها فؤاده وشعر بعاطفة الرجاء تنبئهُ عن قرب الملتقى فصاح : ربَّاه باركتني فاجعل ببركتها خلاصي . فما انتهى من صلاتهِ الحارَّة حتى رجع ايڤان واعلمهُ ان النقب ليس من الوعورة في الدرجة التي توهماها فنزلا بين الصخور حتى وصلا الى صخر ضيق ومنحنٍ نحو الهاوية وعليهِ بساط من الثلج زلق ففتح ايڤان بفأسهِ طريقًا في الثلج. ثم رسما اشارة الصليب وخطا كسكنبو وهو يقول : ان مُتُّ فلا يكونن موتي عن ضعف العزيمة. لقد اوهنتها الامراض ولكني لامشينَّ الآن ما قدَّرني الله. وقطعا المزلقة دون عناء زائد. واستأنفا السير. وكانت الطرق قد تسهلت وتحسنت وخلت من الثلج ولم يلاقيا احدًا حتى طلوع الفجر . فلاح لهما حينئذٍ عن بعد رجلان فتسطحا على الارض حتى يتواريا عن اعينهما

خرجا من تلك الجبال فاصبحت الاراضي جرداء لا غابة تكسوها بل ولا شجرة تنبت فيها الا على شواطىء الانهر الكبيرة وهو امر يقضي بالعجب لخصب التربة في تلك الاماكن. وكان المسافران يسيران على ضفة نهر الصونجا وكان لا بُدَّ من قطعه حتى يتمكنا من الوصول الى مزدك . وانهما ليطلبان لهما مخاضة اذ رأيا فارسًا يقصدهما فلجأا الى شاطىء النهر واختبأا وسحب ايڤان خنجره ودفع الى سيده طبنجته وانما قصدهما المدافعة عن نفسهما اذا تعرَّض لهما الفارس. فلمَّا اقترب منهما عرفا انهُ غلام يناهز الثالثة عشرة من عمره. فهجم عليهِ ايڤان ومسكهُ من عنقه ولوى بهِ فجندلهُ على الارض فاراد ان يدافع عن نفسهِ ولكنهُ لما رأى الماجور يقصده وبيده الطبنجة ركن الى الفرار وكان الفرس بلا سرج وفي فمهِ رسن يقوم مقام اللجام . فاستعان المسافران بهِ ليقطعا النهر وكان ذلك من حسن طالعهما لانهما لولاه لما استطاعا ان يعبرا. فركباه وخاضا في المياه وقد كادت تجر الفرس بشدة سيلها غير انهما وصلا سالمين الى الشاطىء الثاني واذا بجدارٍ واقف لا يستطيع الفرس ان يصل اليهِ فنزلا ليخففا عنهُ وجعل ايڤان يسحبهُ بعنف ليصعده على الارض فانقطع الرسن وجرَّت المياه الفرس فاختبط وحاول الطلوع فلم يقدر فغرق. فأثَّر فيهما فقدانه بغير انهما اطمئنا بالًا لما فكَّرا ان ما من احد

يستطيع اللحاق بهما فقصدا هضاباً عليها صخور متفرقة ليختبئا فيها حتى الليل و ياخذا نصيباً من الراحة

ولما قدَّرا المسافة التي قطعاها عرفا حدساً ان منــازل الجنكز للموالين للروس غير بعيدة غير ان الاتكال على هؤلاء القوم ضرب من الجنون اذ لا يؤمن غدرهم وعلاوة على ذلك كان كسكنبو في حالة من الضعف تمنعهُ من بلوغ نهر الترك بلا مساعدة. وكان قد نفد ما لديهما من الطعام فقضيا النهار في سكوت افصح من الكلام لا يجسران على مبادلة افكارهما وعواطفهما . وعند المساء رأى القائد خادمه يعضّ اصبعه وهو يتأوَّه كأنهُ يتندم

فتعجب من علائم اليأس التي ابداها ايفان لاول مرة منذ سفرهما فسألهُ عن سبب ذلك فقال ايفان : مولاي اتيت غلطاً عظيماً . فقــال الماجور : سامحك الله . ورسم على صدره اشارة الصليب. فاردف ايفان: قد نسيت يا سيدي ان اخذ الغدَّارة المعلقة في غرفة الصبي. ولكن لم يسنح هذا الفكر في خاطري فان نوحك وبكاءك منعاني من التبصر في الامر . . اراك تهزأ. لعمري انها لاحسن غدارة كانت في القرية كلها ولكنت اهديتها لاول من لقيناه من الجنكز لنستميلهُ ونجعلهُ لنا صديقاً. فاني لا ادري كيف يمكنَّا ان نكمل طريقنا في الحال التي انت فيها

واذ ذاك تغيرت السماء وجعلت ريح روسيا الباردة تعصف و برد دقيق ينزل عليهما فسافرا عند المساء وهما لا يدريان ايهما اولى ان يمرَّا ببعض القرى او يبتعدا عنها. وفي اخر الليل طرأ عليهما عارض تعذر معهُ قطع المسافة الطويلة التي كانت باقيــة عليهما لو ابتعــدا عن الاماكن المأهولة . فبينما كانا يقطعان على الجليــد المغطى بالثلج خندقاً صغيراً انكسر الجليد وسقطا في الماء حتى الركبتين فتبللت ثياب المــاجور. وكان القر شديداً والارض كلها مغطاة بالبرد الدقيق فمشى كسكنبو على هــذه الحالة ربع ساعة ثم وقف ورمى بنفسهِ على الارض خائر العزيمة يائساً من الوصول ورأى انهُ من القساوة الوحشية ابقاء ايفان معهُ وهو قادر على النجاة فقــال لهُ: يا ايفان . يشهد الله اني الى الان لم آلُ جهداً في استعمال اسباب النجاة التي مددتها لي وقــد اصبحت الان بلا جدوى لاني عاجز عن الاستعانة بها. فاذهب الى « الخط » يا عزيزي وارجع الى الايك هذا امري . وقل لخلاني ورؤسائي انك تركتني هنــا مطعماً للغربان واني اتمنى لهم

نصيباً خيرًا من نصيبي . ولكن قبل ان تتركني تذكر قسمك اذ كنت تسبح في دم اعدائنا . حلفت ان لا تسمح للجنكز ان يمسكوني حيًا . فبرّ بقسمك . قال هـذا وامتد على الارض وتغطى بفروته . فاجابهُ ايڤان : لدينا بعد وسيلة وهي ان ندخل على احد الجنكز ونسترضيه بالمواعيد فان غدر بنا لم يعد علينا لوم . فاجهد النفس في الوصول الى المساكن . ولما رأى سيده صامتاً قال : ان الاولى ان اذهب وحدي واحاول استمالة بعض الجنكز فان نجح مسعـاي رجعت واياه لاخذك وان لم ينجح وهلكت فدونك الطبنجة . فاخرج كسكنبو يده من تحت الفروة واخذها . ففشاه ايڤان ببعض الاعشاب لئلا يراه احد واستعد للمضي فناداه كسكنبو : يا ايڤان اسمع طلبتي الاخيرة . ان عبرت نهر الترك والتقيت بأمي دوني . . . فقاطعهُ ايڤان قائلًا : مولاي سنجتمع في النهار ان شاء الله وان متّ انت فلا امك تراني ابدًا ولا أمي . قال هذا وسار حثيثاً

وبعد ساعة رأى قريتين او ثلاثاً عن بعد ثلاثة اميال تقريباً وكان قصـده ان يجد بيتاً منفردًا ليدخله دون ان يراه احد فيجعل صاحبـه رهين مواعيده . فرأى دخاناً متصاعدًا فوق بيت وجده كما يشتهيه . فركض اليه ودخل . فوجد صاحب المنزل جالساً يرقع خفاً لهُ فقال : اني اتيت لاعرض عليك مكسب مئتي روبل واطلب منك حاجة . سمعت بلا شك بما حدث للماجور كسكنبو سجين سكان الجبال فانا خلصتهُ وهربت بهِ خفية وهو الآن مريض بالقرب منك وفي قبضتك . فان ارجعتهُ الى اعدائه شكروا لك فعلك ولم يجازوك . وان اردت ان تنقذه وتضيفه ثلاثة ايام فقط ذهبتُ الى مزدك واتيت اليك بالقيمة المذكورة فداء عنـهُ . امّا إن ابديت حراكاً لتنادي فلاقتلنّك لا محالة . فأجب والّا . . . قال هذا واستلّ خنجره

فاقنعت لهجة ايڤان الجنكزي ولكنها لم تخفـه . فدفع الخف من يده وقال بكل سكينة : يا شاب ان في نطاقي مدية ايضاً . وليست مديتـك لترهبني . فلو دخلت عليّ مسالمًا لما فكرت ابدًا بتسليم رجلٍ وطأ عتبة بيتي . امّا الان فلا اعدك بشيء . فاجلس وقل حاجتك . ففهم ايڤان ان صاحبه من ذوي المروءة . فاغمد خنجره وجلس واعاد ما عرضه عليهِ اولًا . فقال لهُ الجنكزي : وما يضمن لي انك تفي بوعدك . قال ايڤان : أُودعك الماجور نفسه رهينة صدقي . أو تظن اني ذقت امرّ العذاب خمسة عشر شهرًا واني اتيت بسيدي اليك لاتركه . قال الرجل : قد صدقتك . لكن المال قليل فضاعفهُ . اجاب ايڤان

ولِمَ لا تطلب عشرة اضعاف ? ليس في الطلب عنـاء . انما انا رجل افي اذا وعدت . وعدتك بمئتي روبل لا غير لاني قادر على ادائها . اوترضى ان اخدعك ان وعدتك باكثر من ذلك . قال الجنكزي : قبلت فاذهب وارجع وحدك بعد ثلاثة ايَّام . قال ايڤان : بعد ثلاثة ايَّام ارجع وحدي هـذا وعدي . وانت اقسم لي ان الماجور ضيفك . قال : اقسمت انك ضيفي والماجور ايضاً من الساعة . فتصافحا وركضا وجاءا بالماجور وقد كاد يموت بردًا وجوعاً

امَّا ايڤان فلم يذهب الى مزدك بل الى مدينـة اخرى اقرب منها كان قد علم ان فيها عسكر كثيف فجمع بلا عنـاء المبلغ المطلوب فان بعض القوزاق كانوا في الموقعة التي أُسر فيها الماجور فجمعوا المال جذلين وسافر ايڤان بالدراهم في اليوم المعين ليخلص سيده غير ان ميرالاي الحصن لم يأذن لهُ بالرجوع وحده خوفاً ان يغدر بهِ الاعداء ثانيةً . فاصحبهُ بعض الكماة خلافاً للعهد الذي كان اعطاه الجنكزي . وقد كاد هذا التحفظ الزائد يودي بحياة كسكنبو . لان صاحب البيت لما رأى عن بعد رماح الفرسان الروس ظن الظنون وحسب الخادم خائناً فحمـل القائد على سطح بيته وربطهُ بعامود ووقف امامه مصوباً اليهِ غدارته وصاح بايڤان حين اقترب منهُ : والله لئن خطوتم خطوة لأَقتلنَّ القائد فلديَّ من الرصاص ما يكفي لقتل خمسين رجلًا والخائن الذي يقودهم

فصاح ايڤان مذعورًا خائفاً على سيده . لم نخنـك ولم نغدر بك . الزموني بالرجوع مصاحباً وقد اتيت بالمئتي الروبل وقمت لك بالوعد

فاجاب الجنكزي فليبتعد العسكر والَّا اطلقت النار . فطلب ايڤان الى الضابط ان يبتعد ثم رجع وحده الى صاحبه ولكنهُ لم يسمح لهُ بالتقرب منـهُ لشدَّة خوفه فالزمه ان يعدَّ المال عن بعد وينصرف . فنزل وقبضه ورجع الى السطح . فانطرح على اقدام كسكنبو وطلب منـهُ العذر على معاملته القاسية وقد اضطر اليها صيانةً لحياته . فاجابهُ الماجور : لست بذاكر سوى اني ضيفك وانك لم تنكث العهد ولكن فك قيودي قبل الاستغفـار مني . غير ان الجنكزي لمَّا رأى ايڤان راجعاً قفز عن السطح وغاب كالبرق

وفي اليوم عينه اوصل ايڤان سيده الى ما بين اصحابه وقد طالما يئسوا من الالتقاء بهِ . فحدّث عن فرح العبد الامين وفخره ولا حرج

المدارس والهيئة الاجتماعيّة

للاب خليل اده اليسوعي

قيل ان احداث اليوم رجال الغد ونعم القول لان الرجال لا تخلق رجالًا انما تصير رجالًا بالتعليم والتهذيب. ولذلك يمكن القول ايضًا: ان طالب اليوم وطنيّ الغد. وكما تكون المدرسة كذلك تكون الهيئة الاجتماعيّة لان المرء يستعد لخدمة الوطن في المدرسة. فاذا فسدت المدرسة والتربية فسدت الهيئة الاجتماعيّة واذا حسنت كان الامل وطيدًا في حسن احوال المملكة ونجاحها. ولذلك يسرنا ان نرى الادباء مقبلين على المباحث التعليميّة والتهذيبية. لكنّنا نخشى ان تسوقهم الآراء السائرة في بعض المؤلفات او على ألسنة بعض الخطباء الى حيث لا يريدون. فان بعض الكتبة او المتكلمين لمّا رأوا كثرة المذاهب في بلادنا وما بينها من التنافر والتزاحم وكانوا يرغبون في توحيد الكلمة خيرًا للبلاد وصيانة للوطن ظنوا ان السبيل الى ذلك انما في التعليم او التهذيب اللاديني اعني الذي ليس للدين فيهِ تداخل وربّما انقادوا الى هذا القول بمطالعة تآليف اوربيّة لم يتوصلوا الى تمييز غثها من سمينها. فلو ساد هذا القول لكان ضربة قاضية على البلاد ولأصبح الدواء شرًّا من الداء. ولآل مسعى هؤلاء القوم الى هلاك ما يريدون احياءه وهدم ما يريدون بناءه اعني بهِ الوطن. لان الوطن بلا دين لا يقوم والوطنيّة لا تنبت في ارض لم يُحيِها الدين او إن نبتت لم تأتِ بالثمار اليانعة التي يشتهيها كل محب لخير بلاده. وعليهِ اذا اردنا ان ينشأ احداثنا على حب الوطن الصادق فلا بدّ من تهذيب عقولهم وقلوبهم على مبادئ الدين الصحيحة. لانها وحدها تضمن لنا صدق الوطنيّة وثباتها وقوتها ولا عجب لان الدين وحده يعلم الانسان واجباته كلها تعليمًا كاملًا فعّالًا ثابتًا لا يضعف نوره ولا يحتجب ولا ينطفئ مهما ادلهمّت الظلمات وعصفت العواصف. وهو وحده ايضًا يقوي العزائم ويمكّنها من انجاز ما يقتضيه خير الوطن ولو اشتدت عليها الاحوال ولو استوجبت بذل الاموال وتضحية الارواح

هذا ما اردنا ايضاحه لمواطنينا لئلّا ينخدعوا بظواهر الحقيقة فينقادوا الى الباطل مع ما في الصدور من سالم النيات وشريف النزعات فيؤدي بهم الضلال الى خراب البلاد لا الى عمرانها

*

نقول اولًا ان الدين وحده يعلمنا واجباتنا للوطن تعليماً كاملاً فعالًا ثابتاً

امَّا انهُ يعلمنا ما يقتضيه منَّا الوطن فلا يكاد يحتاج الى برهان لان الدين يعلمنا ما يجب علينا لِلّٰه مؤسس الهيئة الاجتماعيَّة وللناس اعضاء هذه الهيئة فان عرفنا هذه الواجبات حق المعرفة عرفنا كل ما يقتضيه منَّا الوطن لان الوطن ليس سوى هيئة اجتماعيَّة مستقلة مالكة على ارض معينة تدبر شؤونها كما تشاء . يقول لنا الدين: « لا يكن لك اله غير الله . اياه وحده تعبد وله تسجد . كن خاضعاً للسلطة الشرعيَّة لان السلطة من الله . ولا تنسَ ان الله اولى بان يُطاع من الناس » . ففي هذه الوصايا صورة الواجبات للسلطة المدنية . خضوع واكرام مهما كان الرئيس لان الخضوع والاكرام واجبان لممثل الله . خضوع بلا تذلل لان الخضوع لا يؤدى لانسان بل لله في شخص الانسان . خضوع ممزوج باستقلال الضمير . محدود بحقوق الله عزَّ وجل بحيث لا يعود جائزًا او واجباً اذا خرق الرئيس حرمة الشريعة الالهيَّة طبيعيَّة كانت او وضعيَّة . لان الرئيس اذا امر ما يخالف وصايا الله لا تحق لهُ الطاعة من مرؤوسيه لان امره لا يصدر حينئذٍ عن السلطة التي خولهُ الله اياها بل عن ارادته الذاتية . وارادة الانسان مهما كانت لا قوة لها لالزام احد اذ الله وحده مصدر القوة الالزامية التي في الواجب . فما اشرف هذا الخضوع الذي يأمر بهِ الدين . فاذا تمَّ جمع بنوع عجيب بين الرأس والاعضاء . بين الرئيس والمرؤوسين . وهو امر لا بدَّ منهُ لحياة الهيئة الاجتماعيَّة كما انهُ ضروريٌّ لحياة الجسم البشري

يقول لنا الدين: « اكرم اباك وامك . لا تقتل . لا تزنِ . لا تسرق . لا تشهد بالزور . لا تشتهِ امرأة قريبك ولا مقتنى غيرك . احبب قريبك كنفسك . وكل ما تريد ان يفعل الناس بك فافعله انت بهم » . ففي هذه الوصايا لائحة واجبات الانسان لقريبه اي لكل انسان سواه . فاذا روعيت تم نظام الهيئة الاجتماعية واتحاد اعضائها فيما بينهم لان في حفظ هذه الوصايا قوام العائلة . وصدق المعاملة . والوفاء بالعهود . وطهارة النفس . وصحة الجسد . ونشاط الهمَّة . ومحاشاة الحسد . واجتناب الطمع المضر . وحب الاحسان والغيرة على مصالح الغير وهلمَّ جرًّا . فهذه الفضائل هي لعمري كلها فضائل اجتماعية اذا توفرت في الجسم الادبي كان صحيحاً قويًّا كاملًا عاملًا بما تستوجبه منهُ طبيعته . قادرًا

على بلوغ غايته وهي السعادة في هذه الدنيا على ما رتبهُ وقسمهُ لهُ الله . هـذا ما بينهُ موضحاً العالم الاقتصادي الشهير لي بلاي (Le Play)

كان ذاك الرجل العظيم في اول امره مبتعداً عن الديانة غير انهُ كان ميالاً الى عمل الخير ومنفعة مواطنيه . فاخذ يبحث في الوسائل الفعَّالة لتنظيم الهيئة الاجتماعية واصلاحها فتوصل بطريقة علميَّة الى اكتشاف في غاية من البساطة وهو ان اساس الاجتماع البشري واصل رقيه في مدارج العمران حفظُ وصايا الله . فلا يقوم بناء خارجاً عن هذا الاساس ولا تحيا جمعيَّة بشريَّة ان لم تسرِ اليها الحياة من هذا الاصل . وكان هذا الاكتشاف سبب رجوعه الى ديانة عرف فائدتها العظمى وضرورتها القصوى . فاذا كانت وصايا الله قانون الوطنيَّة الصادقة فما صحَّ ان الدين يعلمنا ما يجب علينا للوطن

ولا تكتفي الديانة بتعليم كل ما هو واجب تتميمه لعمران الوطن بل تسعى كل السعي لابعاد العقبات التي تحول دونه . ما هو عدو الوطنيَّة الالدّ ؟ لا شك انهُ حب الذات المفرط او الانانية لانهُ يحملنا على ايثار صالحنا الخصوصي على الصالح العمومي في كل ظرف ومكان ويجعل همنا الوحيد وشغلنا الشاغل توفير اسباب الراحة والرفاهية غير مبالين بخير القريب . فهذا الخطأ الفاحش والسم القاتل لكل عاطفة وطنية قد نبذه الدين ورذلهُ ما استطاع فان الكل يعرفون ان اساس الكمال الكفر بالذات اعني مقاومة حب الذات المفرط لانهُ عدو لكل فضيلة وبالتالي للوطنيَّة . فترى ان في الدين نوراً باهراً يضيء في فلك العقول ويهديها على محجة واضحة الى اسمى درجات الوطنيَّة

وهذا النور هو ثابت لا تستطيع ظلمات الشهوات اطفاءهُ لانهُ صادر لا عن ارادة الانسان ولا عن حكمته القاصرة لكنهُ منبعث من كلام الله الذي لا يزول وان زالت الارض والسماء . كتب موسى النبي هـذا القانون قانون الوطنيَّة الصادقة على لوحي الشريعة لمَّا كان يكلم الله في طور سيناء . وهـذان اللوحان لم تمحهُما يد وان حاول كسرهما اعداء الدين منذ الوف اعوام . فهما باقيان وكلام الله باقٍ فيهما او بالحري هو الآن مطبوع في القلوب باحرف ناريَّة لن تنالها يد الكفر ابداً

وهـذا النور لطيف جاذب يحلي في العين والقلب كنور الكواكب في ليلة صافية فانها تضيء فوق رؤوسنا وتستميل اليها قلوبنا كأَن بينها وبيننا علاقة سريَّة . وعلى هذا المثال تجد التعليم الديني . ليس تعليماً فلسفياً مجرداً يرضي العقل ولا يبلغ القلب انما هو

تعليم عياني فيهِ قوة جاذبة خفية . يكفي تشخيصه للنفس الطاهرة المجردة عن الغايات الاثيمة حتى تميل اليهِ بكل قواهـا . ولا عجب لان من خلق الانسان هو الذي نطق بالوصايا ليكون لهُ فيها صلاحه فجعل بينه وبينها علاقة روحية وميلًا طبيعيًا ليدركها ويمشي بموجبها وهو مع ذلك مطلق الاختيار كما انهُ جعل في كل حيوان غرائز طبيعيَّة تحملهُ الى كل ما فيهِ خيره

ورب معترض يقول: « لا ننكر ان الوصايا قانون الوطنيَّة الصادقة والمدنيَّة الصحيحة ولكنَّنا يمكننا ان نعلّم مضمونها دون التجاء الى الديانة » . تلك لعمري امنيَّـة طالما علّل بها الملحدون انفسهم وانفس من يصغون اليهم وقد شقّوا الروح لبلوغهـا فرجعوا بصفقة خاسر ولا بدع فان من طلب المحال رجع بما رجع بهِ حنين . لان الوصايا الادبيَّة لا تنفصل عن واضعها وهو الله عزَّ وجلَّ والَّا لما كان لهـا قوة الزاميَّة ولخرجت عن ان تكون واجبة وقد بيَّن المشرق ذلك مطولًا (السنة ٧ : ٨٣٤) فطالعهُ

وعليهِ فعبثًا تقول للولد اكرم اباك وامك ان لم تردف وتقل : هـذا امر الله . والَّا اجابك الولد ان كان فيهِ روح الانتقـاد السائد الآن : ولِمَ اكرم ابي وامي . فان كانا علَّة وجودي فمتى طلبت اليهما ان يوجداني . وان احسنا اليَّ فإن انا رأيت اكرامهما غير موافق لصالحي او لذتي الآن فمن يجبرني . وقس عليهِ باقي الوصـايا . وقد جاء الاختبار مؤيدًا لصحة مقالنا . هذا التعليم في فرنسا . فقد ارادت الشيعة القابضة على زمام الاحكام نزع الصبغة الدينيَّة عنهُ وهي تدَّعي مع ذلك المحافظة على الآداب لعلمها بان الهيئـة الاجتماعية اذا فسدت الآداب تتلاشى وتصبح في حالة الهمجيَّة . فما كانت نتيجة نزع التعليم الديني من المدارس العموميَّـة سوى ازدياد الجرائم بين الاحداث بنوع هائل . واليك بعض الاعداد مأخوذة عن لوائح وزارة العدلية فانها افصح من الخطب المسهبة

في سنة ١٨٤٠ كان عدد المجرمين الذين عمرهم بين السادسة عشرة والحادية والعشرين ٨٠٠٠ فاصبح في سنة ١٨٩٢ اي عشر سنين بعد انشاء المدارس اللادينيـة يتراوح بين ٣٠,٠٠٠ و ٣٢,٠٠٠ واكثر وذلك بدون حدوث زيادة تذكر في عدد الفتيان

في سنة ١٨٨٢ سنة انشاء المدارس الكفرية كان عدد المجرمين الاحداث ممن لم يبلغوا بعد الحادية والعشرين ١٦,٠٠٠ فاصبح عشر سنين بعدها ٤١,٠٠٠

في سنة ١٨٧٥ كان عدد المنتحرين من الفتيان الذين بين السادسة عشرة والحادية والعشرين ١٦٨ فاصبح ٥٢٩ في سنة ١٨٩٦ و ٧٨١ في سنة ١٩٠٠ . وبين الاولاد الذين دون السادسـة

عشرة كان معدل الانتحارات ٢٥ في سنة ١٨٧٥ فاضحى ٧٨ في سنة ١٨٩٦ و١٢٠ في سنة ١٩٠٠

فهذه الارقام ناطقة لا تحتاج الى تذييل. تشهد ان الجرائم بين الاحداث ازدادت اربعة او خمسة اضعاف عمّا كانت من يوم انشاء المدارس الكفريّة ولولا خوف الاطالة لجئنا بكلام القضاة والمحامين والوزراء ومديري السجون والكل يقرون بهذه الزيادة ويعترفون ان سببها سوء التربية والتهذيب في المدارس

وبما اننا نتكلم عن الوطنيَّة خصوصاً يحسن بنا ان نبين بالاختبار ما آلت اليهِ هذه الفضيلة عند اصحاب التعليم الكفري. لمَّا حاول جول فري وبول برت واصحابهما طرد الله من المدارس سنة ١٨٨٢ قالوا ان الوطنيَّة تنوب منابه وانها العقيدة الوحيدة التي تجمع قلوب كل الفرنسيس وتوحد الامة. فاجابتهم الحوادث وكان جوابها «اللاوطنيَّة» فان الكل يعرفون النهضة الاثيمة التي تسعى الى ملاشاة الوطنيَّة في فرنسا. وان اصحابها وحاملي لوائها ارباب العلم وكبار المعلمين ممن كلفتهم الدولة بتهذيب الاولاد. فقد نزعوا عنهم ربقة التعليم الديني فآلت بهم سفسطتهم الى انكار الوطن والوطنيَّة حتى قال احد زعمائهم هرڤه (Hervé) انهُ يود لو يرمي راية فرنسا على مزبلة وليس هذا شأن بعض الافراد فانهم الوف هذه افكارهم قالوا (في مجلة التعليم الابتدائي ١٩٠٤) يخاطبون وزير المعارف انهم ٣٠,٠٠٠ وانهم غداً يصبحون ٨٠,٠٠٠ ولا نستغرب امر هذه النهضة لان التاريخ ينبئنا ان ترك الله يهوي بصاحبه الى ادنى دركات الضلال ومن اراد زيادة ايضاح فعليهِ بتاريخ الفلسفة يجد من الحماقات انواعاً والواناً

اذاً لا يمكن الاستغناء عن الديانة لتعليم الاحداث واجباتهم للوطن تعليماً كافياً فالديانة وحدها كما قلنا تحيي الوطنيَّة وتقيها من لفحات الاضاليل وتحميها من حملات اللاوطنيين. وهناك فئة اخرى لا تريد الاستغناء عن الدين في التعليم والتهذيب ولكنها تريد فصلهما بحيث يكون الدين على قولهم معتزلاً في معابده ولازماً الحيادة لا يتداخل في التعليم بل يترك للمعلم مطلق الحرية ليثقف عقل الولد كيفما شاء. هذا مذهب حاول اعداء الدين نشره في اول امرهم لمَّا كانوا بعدُ ضعفاء يخافون المجاهرة بفاسد مقاصدهم وشرّ غاياتهم. ولكن الكنيسة كانت ساهرة فعرفت المكيدة ونبهت اليها خواطر ابنائها ورذلت المدارس المسماة «حيادية» (neutres) لادّعائها الحيادة في امر الدين.

والسبب في ذلك ظاهر لان عزل الدين عن التهذيب مستحيل. فكيف يمكن الاستاذ ان يشرح شعرًا او خطابًا او حادثًا تاريخيًا او ان يصلح فرضًا من فروض تلامذته دون ان يميّز الخطأ من الصواب والباطل من الحق. فاذا فعل فلا مندوحة عن مبادئ او اصول ادبيّة يستند اليها لبيان الحقيقة ودحض الباطل. امّا هذه المبادئ فلا تخلو ان تكون امّا مطابقة للدين او منافية لهُ ولا ثالث في الادبيات او في الاوليات الفلسفية فلا يخرج التعليم اذًا من ان يكون موافقًا للدين او معاديًا لهُ. واذا اراد المهذب ان يروض اخلاق تلامذته فبأي الوسائل يتذرع؟ كيف يبين للولد خطأه وكيف يحثه على اصلاحه؟ فقد قلنا ان الادبيات لا تنفصل عن الدين والّا فقدت قوتها وباتت مضعضعة لا اساس لها ولا اصل. فان كانت مبادئ ادبياته مطابقة للدين ومستندة اليهِ كان التهذيب دينيًا والّا كان معاديًا. فترى ان التعليم والتهذيب لا يكون الّا دينيًا او معاديًا للدين. وامّا لزوم الحيادة فيهِ فذاك اكذب من الآل واخدع من السراب

ولقد أتت الحوادث مطابقة للمبادئ هنا ايضًا ففي فرنسا مثلًا كل المدارس التي زعمت في اول امرها انها حيادية اصبحت الآن كفريّة

لمّا حذفت من لوائح التعليم واجبات الانسان لله سنة ١٨٩٤ نشر احد زعماء التعليم وهو اليوم مدير مدرسة المعلمين في مقاطعة السين في مجلة التعليم الابتدائي (٢٥ تشرين الاول ١٨٩٤) مقالة جاء فيها: «من لا يؤمن بالله لا يستطيع ان يعلم ما هو الله. والحال اين المعلمون والمعلمات الذين يؤمنون اليوم ايمانًا صادقًا ثابتًا؟ يمكن القول دون مبالغة ان المدارس العموميّة منذ ١٨٨٢ هي مدارس بلا دين ولا يُستثنى من هذا الحكم الّا عدد قليل منها» فاذا كانت هذه الحالة في سنة ١٨٩٤ فما عساها تكون اليوم

وقد اقر اصحاب التدريس ان المدارس الحيادية غير ممكنة. قال المسيو بومپار وهو من كبار موظفي المعارف: «لا يمكن ترجمة او شرح صفحة من ديموستين او تاسيت او بسكال دون الانحياز الى حزب من الاحزاب. فلا يمكن لزوم الحيادة بين الحق والباطل ولا بد لساقة الشعب ان يبوحوا بمعتقدهم ويوضحوا الطريق التي يمشون عليها»

فالكل اذًا مجمعون ان المدرسة لا يمكن ان تلزم الحيادة في امور الدين وعليهِ ان لم

تكن مؤاخية للدين فهي بلا شك معادية لهُ . ولمّا كان الدين واجباً للوطنيّـــة الصادقة فالمدارس الدينية واجبة لبثّ مبادئها وتعليم اصولها

*

لا يتم برهاننا ألّا اذا بينّا ان الديانة وحدها تمكن العزائم من تتميم الواجبات للقريب وللوطن

ان معرفة الواجب ولو كانت كاملة لا تكفي لتحمل الانسان على العمـــل بهِ . تلك حقيقة راهنة نختبر صحتها كل يوم فكم من عقل صائب يدرك الامور وهو مع ذلك واهي القوى ينوي ولا ينجز يعزم على العمـــل ولا يأتي عليه . وذلك لان قوى الانسان مختلفة فالعقل غير الارادة والارادة غير القوة الفاعلة . ولا بد من هذه كلهـــا للعمل . وعليهِ اذا استنار العقل فقط بقي الانسان في مكانه لا يتحرك للعمـــل ولذلك لا افهم كيف يزعم بعض الكتبة ان العلم كافٍ لممارسة كل خير وصلاح

فاذا كان الامر كذلك أفتجد النفس في الدين قوة لتتميم ما يدلهـــا عليهِ العقل ؟ لا ريب في ذلك

اولًا ان الدين يجذب قلب الولد لتتميم واجباته بزرعه فيهِ حب الله ومخافته ورجاء نواله . ولا مشاحة ان الحب والخوف والرجاء من اشـــد العوامل الطبيعية التي تتنازع القلب البشري وتديره في كل حركاته وسكناته . فكم بالحري ان كانت فائقة الطبيعة اي ان كان موضوعها الله ابانا ودياننا وجزاءنا فهي بلا شـــك تقوى على دفع هجمات الاميال السيئة وكبح جماح الشهوات الرديئة وحمل النفس على الفضيلة . ولا اعتبار لقول من يدّعي ان خوف الله والرجاء بسمائه مما يحط بشأن الانسان لان الانسان ليس ملاكاً انما هو حيوان ناطق وبما انهُ حيوان يشارك الحيوان في طبيعته فيحتاج الى خوف ورجاء ليسير على محجـــة الفضيلة سيرًا دائمًا بلا توانٍ ولا التواء فان كلمة الكتاب المقدس لم تزل ولن تزال عين الصواب : رأس الحكمة مخافة الله . فاذا زدت على المخافة والرجاء حبّ الله اصبت من الولد كل ما تريد من الصلاح لان الحب لاسيما حبّ الله قادر على كل شيء

ثم اذا بلغ الولد وهاجت فيهِ الاميال السيئة احتاج الى اسعاف اعظم وقوة اقدر لان الميل الى الدنايا يضعف الهمة ويوهن القوى . فتتقدم لهُ الديانة وسائل فعّالة كالصلاة

وباقي الاعمال التقويّة . فاذا تسلح بها الحدث انتصر على اعدائه وقام بواجباته مهما اشتدت عليه التجارب . هذا ما نشاهده يومياً في مدارسنا فانا نرى في الولد والشاب التقيين استعداداً لبذل كل نفيس عند الحاجة للقيام بما يطلبهُ الله . والعكس بالعكس فان من اهمل هذه الوسائل وهنت قواه وعجز عن اتمام اسهل واجباته . وان طلبت شاهداً آخر فعليك بالتأمل في المشروعات الخيريَّة العظيمة الموجودة في الدنيا . من يقوم باعبائها ؟ اصحاب الدين من رجال ونساء وشبان وفتيات . قوم تركوا ملاذَّ الدنيا وراحتها ليخدموا الفقير والعليل والجاهل والعاجز وكل مضروب بالعاهات . أتعرف آفة لم يبذلوا وسعهم في ازالتها او تخفيف وطأتها ؟ هــذا الاب داميان حبس نفسه مع البرص اعواماً حتى اصيب بدائهم ومات بعد ما اكل الدود اعضاءه واماتها امــام عينيه . هؤلاء المرسلون يذهبون الى الاصقاع الافريقية ليمدنوا المتوحشين في اقاليم معدل العمر فيهــا للاوربي ثلاث او اربع سنوات . وامثال هؤلاء كثيرون نراهم حتى في مدينتنا . أفتعرف خدَمَة للهيئة الاجتماعيَّة والوطن اعظم منهم وانفع ؟ فمن قواهم ؟ من مكنهم من هــذه الاعمال السامية التي لم تعرفها الوثنية ؟ اسألهم يجيبوك بصوت واحد ان الديانة وحدها المتهم وهي وحدهــا قوتهم ولولاها لما استطاعوا امرًا . فاذا مكَّنت الديانة الانسان من الاعمال السامية الكاملة أفما تقوى على الاعمال البسيطة المفروضة على العموم ؟

وان اردت زيادة فقابل بين ذوي الدين وذوي الكفر . اين فضائل هؤلاء الشخصيَّة؟ اين اعمالهم المبرورة ؟ اين تضحية الذات ؟ اجل يكتبون المقــالات الرنانة في حب الانسانية وضرورة التعاضد وربَّما دفعوا شيئاً من المال ان كانوا من اهــل الثروة . واما ملاذهم واما راحتهم واما حياتهم فهيهات ان يضحوها في منفعة القريب وخدمته

فثبت اذًا ان الديانة وحدها امّ الوطنيَّة الصادقة فمن اراد بث هذه العاطفــة الشريفة وحفظها واناءها فعليهِ بتربية الاحداث تربية دينية . ومن اهملهــا وادَّعى انهُ ديّن فقد ضل الطريق السواء . وبودنا لولا الاطالة ان نورد هنــا اقوال العلماء وائمة الكتاب ولكن فيما ذكرناه كفاية لمن تبصر . وعليهِ لا يسعنــا الَّا التحسر حينما نرى صاحب كراسة حديثة طبعت في الاسكندرية يقترح على مواطنيه لائحة الاصلاحات التي يراها ضرورية ويسهب في الكلام عن التعليم والتهذيب ويغفــل امر الدين كأنهُ امر عرضي بل ينسى اسم الله سبحانهُ فانهُ لم يذكره سوى مرة واحدة وذلك عرضاً ليحث

كل ابناء الوطن على نبــذ المسائل الدينيَّة ظهريًّا ليهتموا بتعزيز الوطن وهو لعمري وهم وخيم العاقبة اذ حياة الوطن بحياة الدين

*

ولعلَّ القارئ يتعجب من مقالنا وينسبه الى المبالغــة ويقول: كيف يصح ان لا يكون وطنية صادقة خارجة عن الدين ونحن نرى كثيرين صادقي الوطنيَّة لا دين لهم.

لو اجبنا اننا لم نتكلم حتى الآن الَّا بوجه العموم عمَّا من شأنه احياء الوطنيَّــة الصادقة وانماؤها ولم ننفِ وجود الوطنيَّة في افراد لا دين لهم لكان جوابنــا كافيًا لردّ كل ما يضعف قوَّة برهاننا اذ الاعتراض لا يمس جوهر الحقيقة التي اردنا اثباتهــا. غير اننا لا نرضى بهذا الجواب السلبي بل نحب النظر في نفس الاعتراض لنرى ان كان فيهِ للصواب نصيب

فنقول اولًا ان كثيرين يوهمون باقوالهم وبعض اعمالهم انهم مطبوعون على الوطنيَّة الصادقة وهم ليسوا عليها بشيء. لان الاقوال والاعمال لا تنسب الى الوطنيَّة الصادقة الَّا اذا كانت صادرة عن فضيلة باطنة تحمل الانسان على العمــل حبًّا بالوطن لا غير. فانهُ من الممكن اتيان بعض الاعمال المفيدة ظاهرًا للوطن وهي صادرة عن الطمع في المنصب الاول او حب المجد الباطل او الرغبة في الشهرة او التشفي من الذين اساؤوا الى غير ذلك من العواطف الدنيئة. هذا كاتب يسطر في الجرائد اقوالًا طافحة بعواطف الوطنيَّة يبرق و يرعد ويستنزل صواعق السماء على اللئام الذين يخونون الوطن فتقول: هذا وطني صادق اللهجة. ولكنك اذا فحصت عنهُ وجدت انهُ اجنبي ليس فيهِ من الوطنية ذرة وانما في صدره حزازات يخفيها تحت لواء الوطنيَّة والوطنيَّة منها براء. وامثــال هذا كثيرون كشف التاريخ النقاب عن سرائرهم فنفى عنهم الوطنية التي كانوا تردَّوا بها ليغرّوا معاصريهم. وعليهِ لا يمكننا ان نحكم بصــدق وطنيَّة الرجل الكافر الَّا اذا اطلعنا على اسراره. فترى من هذه الملاحظة البسيطــة ان الذين يستشهد بهم المعترض ليسوا كثيرين كما يتوهم بل افرادًا قلائل

نقول ثانيًا ان هؤلاء الافراد القلائل الذين يمكن اثبات وطنيتهم الصــادقة مع كونهم خلعوا عنهم ربقة الدين يوهمون ان وطنيتهم مستقلة عن الدين وليست كذلك فانَّ من تأمل امرهم رأى ان مظاهر الوطنيَّة منهم وان صادقة انما هي بقايا الدين لم

ينسخها بعد تقادم العهد بهِ . فان الفضائل التي مارسوها قبل كفرهم ام على الاقل التي مارسها اباؤهم واجدادهم الديّنون ابقت في النفوس عوائد ارثيَّة حسنة واخلاقاً حميدة تثبت وان زال مصدرها كأنوار تلك الكواكب الشاسعة البعد التي يبقى نورها وقد زالت عن عالمنا لبعد فلكها الرائع . فيظن الانسان ان تلك فضائل اكتسابية وانما هي غرائز ارثية لا فضل لصاحبها فيها تمحى آثارها بعد جيل او جيلين

نقول ثالثاً انهُ وان وجدت الوطنيَّة في بعض الافراد ممن رزقتهم الطبيعة سجايا فريدة دون ان يكون فيها للدين نصيب الّا ان الدين واجب لانماء الوطنيَّة وكمالها . لان الوطنيَّة الصادقة التي نتكلم عنها ليست فقط عاطفة حب طبيعي الارض التي وُجدنا فيها واستنشقنا هواءها وامتعنا اول لحاظنا بمحاسنها . وليست فقط ميلاً حسيًّا الى اهلنا واقاربنا وذوي جنسنا يدفعنا الى المحاماة عنهم والذب عن حقوقهم فان هذه هي العصبية بالذات . بل هي فضيلة تحملنا على كل ما من شأنه منفعة الوطن واعلاء كلمته . بل قل هي مجموع الفضائل التي موضوعها العيشة الاجتماعيَّة . الوطنية الصادقة الكاملة تحمل ربَّ البيت على تربية اولاده كما يجب وتدبير عائلته بحكمة مبتعدًا عن الشح الذميم والترف المخنث لان بالعائلة قوام الجمعية البشريَّة فليس وطنيًا صادقًا ذاك الذي يرمي اولاده في ميتم ليطلق لشهواته العنان كما فعل جان جاك روسو ابو السوسياليسم . الوطنيَّة الصادقة تحمل المرء على مراعاة احكام الزواج المقدسة لان فيها قوة النسل وبالنسل قوة الوطن وثباته . الوطنيَّة الصادقة تحمل المرء على تضحية صالحه الخاص في طلب المناصب اذا اقتضى خير الوطن تسليمها الى من هو اجدر . وقس عليهِ . فممارسة جميع هذه الفضائل في كل آن وحين لامر صعب يعجز عنهُ من لا يؤمن بالله ايمانًا قويًّا ولو زيَّنتهُ الطبيعة بالمحامد والسجايا الطيبة . فثبت اذًا ان الديانة ضرورية لاحياء الوطنية الصادقة ليس فقط لعموم الشعب بل للمتفردين بحسن سجاياهم . وذلك كما قلنا لان هذه الفضيلة سامية لا ينالها من لم يتقِ الله

وعليهِ اذا كان الدين زاهرًا كانت الوطنية متاصلة في القلوب صادقة واذا كان الدين في انحطاط كانت الوطنية في انحطاط ايضًا يشهد بذلك التاريخ القديم والحديث امَّا القديم فظاهر لان الوطن والدين قبل المسيح كانا شيئًا واحدًا . فمن دافع عن وطنه دافع عن دينه . امَّا بعد المسيح فان الدين والوطن وان امتازا الّا انهما بقيا سائرين يدًا في

يد حتى الجيل الثامن عشر جيل الكفر وجيل الانحطاط ايضاً باجماع الكل . فأخذت الوطنيَّة تضعف . ولا اريد برهاناً على ذلك سوى عواطف زعماء الفلسفة المادية للدين كفولتير وروسو وديدرو وهلمَّ جرًّا فان هذه العصابة وان افرنسية كانت تكاتب ملك بروسيا وتهنئهُ على انتصاراته على فرنسا . اماً زعماء الثورة سفكة الدماء فاننا نجل الوطنية عن ان ننسبها اليهم وقد كان اكثرهم اجانب . انما استعانوا بوطنيَّة الشعب وقد كان ديّناً بعدُ لتحصيل مآربهم . اماً في الجيل التاسع عشر والعشرين فقد بلغ الكفر حدًّا لم يبلغهُ قبلًا فزهت بين ذويه وازدهرت تلك الشيعة الاثيمة شيعة اللاوطنيَّة وهي من نتائج التعليم الكفري

افيرتاب بعد ذلك القارئ في صحة القضية التي احببنا اثباتها ؟

*

ولكن المعترض يلح علينا : اراك من اهل التعصب ولا خير في التعصب سوى خراب الوطن فالعصر عصر تساهل وعلينا ان نجاري العصر والَّا كنَّا من المتأخرين . مهلًا يا هذا فان كلمة تكفي لدحض زعمك

ان الابهام في المسائل المهمة من اعظم الوسائل التي يتذرع بها اعداء الدين ليصطادوا البسطاء والسذَّج اي السواد الاعظم من كل امة . فانهم يستعينون بالفاظ ذات معانٍ لا يفسرونها ابدًا فبينا القرَّاء او السامعون يحملونها على معنى يحملها قائلوها على معنى آخر فتنتشر وتنتشر معها مبادئ فاسدة تصبح في ايدي المحركين آلة قوية لاحداث الشغب وزرع الفساد . من هذه الالفاظ لفظة التعصب وعكسها التساهل . فانك تجد المقالات المطولة في ضرر التعصب وضرورة التساهل فالتعصب اصل كل شر والتساهل منبع كل صلاح وخير . واذا طلبت تعريفًا واضحًا لهاتين اللفظتين لم تجده . فعلينا اذًا ان نكشف عنهُ النقاب قبل الجواب على الاعتراض

للتساهل معنيان على الأقل . الاول هو التساهل مع الاشخاص وهو احتمال من كان على رأي مخالف لرأينا سيما في امور الدين ومعاملته بالرفق والمحبة مع ما بيننا من التباين في العقيدة . فان كان هذا المراد من التساهل فليس هو امرًا مستحدثًا لانهُ مما

يعلمنا الدين فان هذا التساهل واجب على كل مسيحي سيما في بلاد كثرت مذاهبها ولولاه لتعذر الائتلاف وزال الاتحاد الذي لا تقوم المملكة بدونه

وهناك معنى ثانٍ في اصطلاح جملة من الكتبة اللادينيين . يريدون بالتساهل التساهل في المبدإ والعقيدة بحيث يعتبرون الاديان كلها سواء فعلى زعمهم يجب على كل فرد من افراد الهيئة الاجتماعية ان يُنزل ديانة صاحبه المنزلة التي يُحِلّ فيها ديانته . وان بقي هو على دينه ولم يعتنق دين صاحبه فانما ذلك لانهُ وُلد فيهِ ليس الّا . وكما ان المرء لا يغيّر جنسيته كذلك لا يغير دينه . وكما ان الفرق بين الجنسيات لا طائل تحته كذلك الفرق بين الاديان . فهذا التساهل الذي يرغب البعض في رفع لوائه بيننا لا يمكننا التسليم بهِ مطلقاً لانهُ جحودٌ بالعمل لكل دين وابطال بالفعل لكل عقيدة . ولا عجب لانهُ لو كانت كل الاديان متساوية فلا يكون تساويها الّا في الفساد . وذلك لان في الاديان عقائد متناقضة فلو كانت كلها سواء للزم ان تكون كلها صحيحة او كلها فاسدة فلا يمكن ان تكون كلها صحيحة لان الحق لا تناقض فيهِ فبقي اذاً ان تكون كلها فاسدة ولذلك رذلت الكنيسة هذا التساهل مرارًا بل رذلهُ كل موحد وكل فيلسوف اهلٍ لهذا الاسم

فبعد هذه المقدمات نرجع الى اعتراض صاحبنا فنجيبه : نعم ان التربية الدينيَّة تنافي التساهل في المبدإ والعقيدة . هذا لا ينكره مؤمن . غير انهُ ينكر ان هذا التساهل ضروري لوحدة الوطن وارتقائه في سلَّم العمران . فان التساهل مع الاشخاص كافٍ لبلوغ هذه الغاية . وذلك لان الغاية التي تتوخاها الديانة هي غير الغاية التي لاجلها اولًا جُعلت الهيئة المدنية . فالاولى تهيّ للانفس وسائل الخلاص الابدي . والثانية اسباب الخير الزمني . تلك تساعده على بلوغ السعادة الابدية . وهذه على بلوغ السعادة الزمنية . وعليهِ امكن توحد الديانة وتعدد الممالك وكذلك يمكن توحد المملكة مع تعدد الاديان ولا نريد القول ان توحد الدين في المملكة ليس من الاسباب القوية لتوثيق عرى الاتحاد حتى في الامور الزمنية ولكنا نقول ان هذه الوحدة ليست من الضرورة في درجة لا يستطاع الاستغناء عنها . ولنا فيما نشاهده حولنا برهان آخر على صحة قولنا فاننا نرى عدة ممالك تعد في مقدمة الشعوب في المدنية قد كثرت فيها المذاهب ولم يدَّعِ فيها احدٌ ان من ضروريات وجودها التساهل في الدين . هذه مثلًا

المانيا وانكلترا والولايات المتحدة فالكل يعلمون ان الكثلكة فيها زاهرة زاهية ومع ذلك لم يحُلْ تمسك الكاثوليك بايمانهم وتعصبهم لدينهم دون وطنيتهم ولم يمنعهم من ان يكونوا من اعظم اعوان النجاح في بلادهم . بل رأينا الملوك والرؤساء يشهدون لهم قولًا وفعلًا بصدق وطنيتهم . فاذا تجاسر احد وطعن فيها اقتصت منهُ المحاكم كما جرى للاب ڤون الواعظ الشهير منذ بضع سنين . فقد كانت احدى الجرائد البروتستانية طعنت فيهِ وسمّتهُ خائنًا لزعمها انهُ كاهن كاثوليكي . فرفع الاب دعواه الى المحاكم فحكمت على اصحاب الجريدة بالقصاص الصارم

فلا داعي البتة الى مسح الصبغة الدينية عن التهذيب والتعليم بل من الواجب تقوية العواطف الدينية في القلوب لاسيما الآن وقد اطلقت لنا الحرية المدنية والسياسية لان الاحكام السابقة وان كانت تقيد حريتنا وتثبط هممنا وتمنعها من الاقدام على امور فيها صلاحنا وصلاح البلاد الّا انها كانت ايضاً كسور يحمي النفس من تعديات اهوائها واميالها الفاسدة وكعنان يكبح جموح النفس الامّارة بالسوء . امّا الآن وقد هُدم هذا السور الخارجي فلا بُدّ من حاجز باطني يوقف الحرية عند حدودها لئلّا تتعداها وتأتي بما يخل بالنظام العام وخير الوطن . وان هذا السور الداخلي الذي يمنع شرود النفس هو الدين فانهُ ينبه المرء على الخطأ ويزجره ويرشده الى الحق ويستحثه على اتباعه كما قلنا . فاذا كان الدين ضروريًا للانسان في كل احواله فهو اشد ضرورة في حكم الحرية

وعليهِ يحق لنا ان نكرر في الختام ما قلناه في الافتتاح واثبتناه بالبرهان ان ليس حياة للوطن الّا بالدين وبالتربية الدينية . وقد صدق بلوترخس الوثني اذ قال : « انهُ لأسهل على الانسان بناء مدينة في الهواء من بناء مدينة بلا دين » وليس قولهُ سوى صدى الحكمة الازلية اذ قالت (المزمور ١٢٦ : ١ و ٢) : « ان لم يبنِ الربُّ البيتَ فباطلًا يتعب البنّاؤون . وان لم يحرس الربُّ المدينة فباطلًا يسهر الحارس »

اصول البلاغة عند العرب

للاب خليل اده اليسوعي

لعلّ القارئ يحسب ان الظروف غير موافقة للبحث في المواضيع الادبية كالبلاغة واصولها . فالناس الى البلاغة العمليّة احوج منهم الى البلاغة النظرية . والى نفخات الابواق اشدّ ارتياحاً منهم الى نفثات الاقلام . ولكنَّ عذرنا ان كان لا بُدَّ من الاعتذار في الظروف عينها . فاننا في جيــل تقلُّب واقتداء . وهدمٍ وبناء . ولا جرم فان الامم الاوربية جرت في المدنية شوطاً بعيدًا فسبقتنا وجنت من نشاطها ثمارًا شهيَّة حسدناها عليها . فأخذنا على انفسنا مباراتها ومتابعة آثارها لعلّنا نبلغ مبلغها . فشرعنا نتعلم علومها ونتلقن فنونها ونهتدي بشرائعها ونتخلق باخلاقهــا كما اننا تزيَّا بازيائها . ولكن في الاقتداء الاعمى لخطرًا . فليس كل ما عنــدنا غثًّا فننسخهُ ولا كل ما عندها سميناً فنطلبهُ . وعليهِ فاننا في حاجة الى التبصر والتمييز لنرى ما هو صــالح فنبقيه وما هو فاسد فننفيه . وما هو ناقص فنستعيره . تلك سنَّة الترقي الحقيقي التي ينبغي مراعاتهــا عموماً وفي الآداب خصوصاً

ولذلك لم نجد الكلام في اصول البلاغــة عندنا فضوليًّا فان صناعة الكلام اكثر الصناعات انفعالًا وتأثرًا اذا طرأت التغييرات على احوال البلاد . ولا عجب فان الاداب مرآة الحياة وصورتها . فيجب البحث فيها حتى نرى ان كانت اصولها ملائمة لمقتضى حالنا كافيــة لاغراض الكتابة والخطابة في عصرنا . ولمَّا كانت البلاغة عند الاوربيين مطابقــة للاحوال الحاضرة مناسبة لنزعات « النفس العصريَّة » اصبحت المقابلة بين اصول البلاغة عندنا واصولها عندهم اقرب طريق واوضح سبيل الى بلوغ غايتنا

ثم ان في درس الاصول منافع جمَّة . فانهُ اولًا يكفينا مؤونة المطالعــة المملَّة والنظر المدمن في مصنفات عديدة . لان البيانيين لم يهتدوا الى الاصول التي وضعوهــا الّا بعد تصفح المؤلفات والفحص المدقق وقد اودعوا نتيجة استقرائهم في القواعد التي رسموها فنستفيد في درسها من عنائهم وتعبهم ولا نشاركهم فيهِ

وهناك فائدة ثانيــة من درس الاصول فانهُ يؤمننا من العثرات في تأويل ما ألّف

سلفاؤنا والانتقاد عليهِ. فربّما نسبنا الى الذوق العربي ما هو خلوٌ منهُ. يدفعنا الى ذلك تقادم العهد بالمؤلفات الادبيّة وجهلنا لاحوال بلادنا في القرون الماضية. واماً اذا استندنا الى واضعي الاصول وهم من ائمة الكلام الذين يُشهد لهم بحسن الذوق وسلامة الطبع — اللهمَّ بين معاصريهم — امنّا الزلل وسلمنا من الخطأ في الحكم

والفائدة الثالثة ان معرفة الاصول تهدينا الى معرفة المصنفات ذاتها لان الاصول انما هي احكام كليّة استُخلصت من مؤلفات أئمة الشعر والنثر فهي كصفوتها وزبدتها فمن حصّلها حصّل شيئاً من الصنعة نفسها. سيما وان المبادئ تؤيّد بالامثال. والامثال منتخبة من درر الاقوال فمن التقطها التقط شيئاً من كنوز البلاغة وعرف مما في يده قيمة ما في خزانته. هذا في المؤلفات التي سبقت وضع الاصول. واما التي اتت بعدها فالاصول هي ايضاً مفتاح كنوزها لان ارباب الصناعة النثرية والشعرية لما انتشرت كتب الاصول واشتهرت وراجت احكامها في عالم الطلاب ورائدي البلاغة اقبلوا عليها هم ايضاً واتخذوها لهم قاعدة فنسجوا على منوالها وألّفوا على مثالها

فترى كيف تتناول معرفة الاصول مصنفات الذين اتوا بعد عصر واضعيها كما انها تفيدنا علماً بمصنفات الاعصر السابقة. فليس اذن درسنا للاصول خالياً من المنفعة لمعرفة المؤلفات فانهُ كما ترى مفتاح اسرارها

*

من اراد الاطلاع على مبادئ البلاغة عند العرب المتأخرين فعليهِ بمطالعة اي كتاب مدرسيٍّ كان. مثلاً كتاب دروس البلاغة الشائع في المدارس المصرية او كتاب عقد الجمان للشيخ ناصيف اليازجي او غيرهما. لان كل هذه الكتب على نمط واحد لا تختلف اختلافاً جوهريًّا فهي كلها على مذهب السكاكي وقد اصبح اماماً في الدروس الادبية بتأليفه كتابه الشهير «مفتاح العلوم». فاتّبعه كل الذين اتوا بعده واتخذوا كتابه اساساً لابحاثهم فشرحوهُ وتوسّعوا فيهِ ولخصوه وذيّلوه وعلقوا عليهِ الحواشي ولم يزيدوا على اصوله شيئاً يذكر فكأن قرائح العلماء بعده اي من الجيل الثالث عشر الى ايّامنا قد جمدت. فان تكلمنا عن كتاب دروس البلاغة او غيره فليس مرادنا انتقاد المؤلفات المدرسية انما قصدنا البحث في المذهب العلمي الذي تنتمي اليهِ تلك المصنفات وهو كما قلنا مذهب السكاكي ومَن شايعه من العلماء كالتفتزاني والشيرازي وغيرهما

قسموا علوم البلاغة الى ثلاثة اقسام علم المعـاني وعلم البيان وعلم البديع. اماً علم المعاني فموضوعه التراكيب النحوية من حيث مطابقتها لمقتضى الحال وغرضه افادة الطالب قوةَ التراكيب النحوية وكيفية استعمالهـا بحسب ما تقتضيه منهُ الظروف. فيبحث في الاسناد والخبر والانشاء والذكر والحذف والتقديم والتأخير والتعريف والتنكير والاطلاق والتقييد والقصر والوصل والفصل والايجاز والاطنـاب والمساواة الخ. وكل هذه الابواب الاّ النزر القليل منها عائدة الى درس النحو وبيان لطيف معانيه وكشف دقيق مبانيه وهي في اللغات الاجنبية من متعلقـات علم الغراماطيق وهو اوسع من علمي النحو والصرف عندنا

فليس اذاً علم المعاني علماً يُعرف بهِ ما يجب استعماله من المعاني بمقتضى المواضيع المقترحة على المنشيء شأن الكتب الاجنبية التي تبتدئ بوصف المعاني وذكر مميزاتهـا. انما هو علم محصور يقتصر على معاني التراكيب العربية لا غير والغرض منهُ وضع كل تركيب في موضعه على ما تقتضيه حاجة المتكلم والسامع. فهو كما ترى تتمَّة للنحو

ثم يليه علم البيان. وقد اجتزأوا فيهِ بالبحث عن التشبيه والمجاز وانواعه والكناية وعرَّفوه بانهُ علم يُعرف بهِ ايراد المعنى الواحد بطرق مختلفة في وضوح الدلالة عليـهِ بعد مراعاة مقتضى الحال. وتحقيق ذلك ان المعنى البسيط مثـل كثرة الكرم ربَّما احتاج البليغ الى نسبته الى شخص باوجه تتفـاوت في الوضوح مع لزوم الدلالة على المعنى. فيستعين بالتشبيه تارةً ويقول مثلاً: زيدٌ كالبحر في الكرم. واخرى بالاستعارة كقولك: وردت بحرًا وتقديرك زيدًا وهو كريم كالبحر. وطورًا بانواع المجاز المرسل كما في زيدٌ طلق اليدين بالمعروف. او بالكناية مثل: زيد كثير الرماد وهلم جرًّا. فهذه طرق مختلفة تدلّ على معنى واحد وهو نسبة الكرم لزيد غير ان وضوح هذه النسبة متفاوت الدرجات في الامثلة المذكورة فهو ظاهر جدًّا في التشبيه واخفى في الكناية. وانما تستعمل وجهاً دون الآخر بموجب داعي الحال ومقتضى الظروف

وممَّا ينبغي التنبيه اليهِ هنا أن المراد بالمعنى في التعريف السابق هو المعنى المجرَّد. والمقصود من المعنى المجرَّد المعنى المنفصل عن موضوعه والذي يذكر من مدلوله الصفات العامَّـة التي تنطبق على كل افراد جنسه كقولك: رجل وكرم وعلم وهلمَّ جرًّا. والَّا لمَا امكنك القول في الامثال المذكورة ان المعنى واحد وانما الاختلاف في طرق الدلالة

عليهِ. لانك اذا اعتبرت المعنى المراد من كل واحد من التعابير السابقــة وتأَملتهُ برمَّته وجب القول بانهُ يختلف باختــلاف التعبير. ففي قولك زيدٌ كثير الكرم افدت صورة ذهنية مجردة لا غير. اما بقولك زيد كالبحر في الكرم فأَفدت معنى الكرم ليس مجردًا بل مقيدًا بصورة خيالية هي البحر. وقس عليهِ

امَّا علم البديع وهو القسم الثالث من فن البلاغة فقد عرفهُ الحاج خليفة واحسن حيث قال (في كتاب كشف الظنون. الجزء الثاني من طبعة فلوجل. الصفحة ٣١) :

« هو علم يعرف بهِ وجوه تفيد الحسن في الكلام بعد رعاية المطابقة لمقتضى المقام ووضوح الدلالة على المرام.. ومرتبة هذا العلم بعد مرتبة علمَي المعاني والبيان حتى ان بعضهم لم يجعله علماً على حدة وجعله ذيلًا لهما. لكنَّ تأخر رتبته لا يمنع كونه مستقلًا ... وامَّا منفعته فاظهار رونق الكلام حتى يلج الأُذُن بغير إذن. ويتعلق بالقلب من غير كد. وانما دوَّنوا هذا العلم لانه الاصل وان كان الحسن الذاتي وكان المعاني والبيان مما يكفي في تحصيله لكنهم اعتنوا بشأن الحسن العرضي ايضاً لان الحسناء اذا عُرّيت من المزيّنات ربما يذهل بعض القاصرين عن تتبع محاسنها.. ثم ان وجوه التحسين الزائد إمَّا راجعة الى تحسين المعنى اصالةً وان كان لا يخلو من تحسين اللفظ تبعاً. وامَّا راجعة الى تحسين اللفظ كذلك. فالاولى تسمى معنوية والثانية لفظية. وهذا الفن ذكره اهل البيان في آخر علم البيان الَّا ان المتأخرين زادوا عليهِ شيئاً كثيرًا ونظموا فيهِ قصائد والَّفوا كتباً ... » (١

فكلام الحاج خليفة واضح لا يحتاج الى تفسير. نفهم منهُ ماهية البديع ونسبته الى المعاني والبيان. ومن اعتبار هذه العلوم الثلاثة يتضح لنا كيف تصوَّر علماء الاصول البيانية حسن الكلام. فان البليغ على مذهبهم يعمد الى المعنى المجرد ويجعلهُ في قالب يطابق ما تقتضيه منهُ الحاجة ثم يوضحهُ او يخفيه يصرّح به او يعرّض على ما تستوجبه الظروف باستعمال انواع التشبيه والاستعارة والمجــاز او الكناية. فاذا حصل كل ذلك كان الكلام حسناً الَّا ان هذا الحسن وان جوهريًا يحتاج بعد الى زينة تزيد في رونقه وتعيره حسناً عرضياً. فيلتجئ حينئذٍ الشاعر او الناثر الى علم البديع وينتقي من محسناته المعنوية او اللفظية ما يراه مناسباً لكلامه . فاذا تمَّ العمل تمت الصنعــة وكانت من البلاغة في مكان . فالمعنى المعتبر عند البيانيين يظهر لنا كانهُ روح وطرق البيان كالجسم لهُ واشكال البديع كانواع الحليّ. هــذا على مذهب السكاكي ملخّص الاصول التي يجب مراعاتها لتحصل في نفس طالبها ملكة البلاغة. ويمكننا وصفها بكلمة فنقول انها

١) اول من الَّف في البديع ابن المعتز وضع ١٧ شكلًا منهُ ثم زاد عليهِ المتأخرون حتى بلغوا من الاشكال البديعية ١٨٠ نوعاً

صناعة حسن التعبير عما في الضمير. وذلك لا شك مفاد اللفظتين اللتين تطلقان عليها اعني الفصاحة والبلاغة. فانهما مهما تأولوهما لا يخرجان عن ان يفيدا معنى التعبير التام. والمراد بالتعبير ليس فقط سبك المعنى في قالب من الالفاظ يناسبه بل هو ايضاً كما مرّ بك ايجاد الصورة البيانية التي يحسن اتخاذها لتصوير المعنى المجرَّد تصويرًا خياليًّا. ثم تزيين تلك الصورة بانواع الحليّ ليظهر رونقها وبعد ذلك كله تبرز الصورة كاملة بواسطة الالفاظ. فالتعبير اذًا تصوير خياليّ للمعنى المجرَّد ثم تصوير لفظي. فمادّة فنّ البلاغة عند العرب هي المعاني المجردة وعمله الخاص حسن التعبير عنها والاصول موضوعة لاجل ذلك الغرض لا غير. والمعاني المجردة على قولهم مشتركة بين الناس لا تختص بواحد دون الآخر. اما كيفية التصرف بها وايرادها باساليب متنوعة فراجعة الى البليغ مختصة به واليك امثالًا تجديك علماً بطريقتهم

اذا اردت تعزية رجل على موت احد احبائه فعليك اولًا ان تتذكر المعاني الشائعة التي تستعمل في مثل هذا المقام مثلًا: ان خيار الناس يموتون قبل غيرهم. ان الموت امر طبيعي للانسان. صالح الانسان بعد موته. الموت لا يمنعهُ شيء. الخ. هذه المعاني ينبه اليها الذكاء الغريزي او الاكتسابي وحسن الذوق فلا دخل فيها لعلم البلاغة عندهم

ثم بعد انتقاء المعاني التي تراها ملائمة يجب تصويرها في ذهنك تصويرًا خياليًّا يخرجها عن هيئتها المجردة ويوليها جسماً محسوساً حيًّا. لانك ان اكتفيت بالتعبير عن المعاني المذكورة باساليبها المبتذلة لم يكن لكلامك مسحة البلاغة. فعليك اذًا ان تحيلها في مخيلتك لتحليها بالصفات المطلوبة ويمكنك حينئذٍ الاستعانة باصول البلاغة

فاعمد اذًا الى المعنى الاول وهو ان خيار الناس يموتون قبل غيرهم فان كنت قوي الطبع في الصناعة تمثلت الناس كأنهم الخيل الجياد في حلبة السباق يتراكضون الى الغاية وهي الموت فيسبق منهم من كان افضلهم. هذا هو التصوير الخيالي الذي تساعدك الاصول على رسمه رسماً حسناً. فاذا تمّ التصوير الخيالي فابرزه بالالفاظ واستعن باللغة والوزن واصول الفصاحة وقل كما قال ابن النبيه يرثي ولد الناصر احمد امير المؤمنين (١:

الناسُ للموتِ كخيل الطرادْ فالسابقُ السابقُ منها الجوادْ

١) طالع المجاني ٥ ص ٢٤٣

وان كان هذا المعنى غالباً على عقلك واحببت اعادته فلا بأس ولكن أجله ثانيةً في مخيلتـك لعلّك تعيره حياةً ثانيةً بصورة مختلفة عن الاولى. وذلك مثلاً ان تتصور الله كملك عظيم جلس لرعاياه كما كان يفعل الخلفاء قديماً واخذ يستدعي اليه ويستدني منهُ من رآه بين عباده حائزًا الصفات المحمودة. فاذا تهيأ لك ذلك عمـدت الى اللفظ وعبّرت عما تصورت وانت تستعين في كلا العملين باصول البلاغة. فتقول مع الشاعر:

والله لا يدعو الى داره   الّا من استصلح من ذي العبادْ

ويمكنك ايضاً ان لم تكتفِ بالبيتين ان تنظم بيتاً ثالثاً لتستنفد ما في صدرك من قوة التعبير للمعنى الواحد فتعمل بهِ كما عملت اولًا وثانياً وتقول:

والموتُ نقّادٌ على كفّهِ   جواهرٌ يختار منها الجيادْ

واذا انتهيت من هذا المعنى فاطلب الثـاني وهو ان الموت امر طبيعي للانسان وتصرف بهِ كما تصرفت بالاول وقلْ كما قال ابن النبيه:

والمرء كالظلّ ولا بُدَّ ان   يزول ذاك الظل بعد امتدادْ

وقس عليهِ. هذا في الحِكم التي هي اقوال مجردة من طبعها. واليك الآن امثالًا مأخوذة عن المشاهدات تبيّن لك كيف يجردون المعـاني من موضوعاتها ثم يعالجونها بالبيان والبديع على ما مرَّ بك

هذا فرس ارادوا وصفه. فما العمل؟ يعمدون الى المعاني الشائعة التي تصف محاسن الخيل ثم يجتهدون في التعبير عنها باساليب شائقة رائقة. فان كان المقصود مثلًا وصف الفرس بالسواد والتحجيل والبياض في الجبهة وهي كلها صفات مجردة عن موضوعاتها لا تختص بفرس دون آخر لم يكتفوا بالقول ان الفرس ادهم محجل اغرّ لان هذه المعاني مبتذلة يقوى عليها العالم والجاهل. ولكنهم يقولون كما قال المعرّي (١:

صاغ النهار حجوله فكانما   قطعت لهُ الظلماء ثوبَ الادهمِ

او كما قال ابن نباتة السعدي (٢:

يختال منـهُ على اغرّ محجل   ماء الدياجي قطرةٌ من مائهِ
فكانما لطم الصباح جبينه   فاقتصّ منهُ فخاض في احشائهِ

---

١) الطلب الجزء الاول من شرح التنوير (ص ٧٦)
٢) المجاني ٥ : ٢١٠

وكذلك ان قلت عن فرس انهُ ابلق لم تأتِ جَلَلًا . ولكن المعنى يصبح على زعمهم بليغاً واللفظ فصيحاً اذا قلت (١ :

وابلقَ اعطى الليلَ نصفَ اهابه وغار عليهِ الصبح فاحتبس النصفا

او انشدت مع ابي تمام (٢ :

مسودُ شطرٍ مثل ما اسودَّ الدجى مبيضُ شطرٍ كابيضاض المهرقِ

ولم اذكر هذه الابيات لاني استحسنها بل لأُفهم القارئ ما هو دور البلاغة في عرف المتأخرين من البيانيين وأستشهد بالامثال على صحة ما قدمتهُ

ولنا ايضاً شاهد آخر في طريقة المقابلة بين الشعراء والمعارضة بين اشعارهم الشائعة في كتب البيان او مقالات اصحاب النقد . فانهم اذا ارادوا الترجيح بين الشعراء اخذوا معنى من المعاني وذكروا ما قاله فيه شاعر وعارضوه بما قال فيهِ ايضاً شاعر آخر . وما ذلك الّا لانّ مدار البلاغة في اعتبارهم على حسن سبك المعاني المجردة في صورة من البديع جديدة وقالب من الالفاظ يلائمها . وإنْ هذا سوى فنّ التعبير كما قلنا . ولا بُدَّ من مقابلة اصوله باصول الصناعة عند الفرنج لتزداد حقيقته وضوحاً

*

في كل صنعة ادبيةً كانت او فنيّةً يجب مراعاة ثلاثة اشياء : اولًا الموضوع . وثانياً تصوير الموضوع في نفس الصانع . وثالثاً ابراز الصورة بقالب الالفاظ او الانغام او ما قابلها في باقي الصناعات بحسب طبيعتها

فالموضوع ما يراد تمثيله في الصنعة فيكون اماً ذاتاً او صفةً . واماً خُلقاً او حالًا . واماً كلاماً او عاطفة . وبالاختصار هو كل موجود حقيقةً او ممكن الوجود فهو الله وصفاته عزَّ وجل . والانسان وقواه وافكاره وعواطفه واعماله . والطبيعة جمعاء من جماد ونبات وحيوان . هي الحوادث وصروفها . والحقائق وضروبها . والممكنات وتشعباتها التي لا نهاية وراءها . هذا موضوع الفنون عند الفرنج وهو واسع كما ترى . والغرض منها تمثيل ذاك العالم عالم الحقيقة وعالم الخيال تمثيلًا محسوساً فان في ذلك اللذّة لطيفة شريفة

١) اطلب ثمرات الاوراق للحموي ص ٢٨٣

٢) الجاني ٥ : ٢١٠

نسميها اللذة او العاطفة الشعرية (l'émotion esthétique) . فترى من اول وهلة عظم الفرق بين تصوُّر الفرنج لفن الكلام وتصوُّر العرب . فان مادة البلاغة عند الفرنج التي يشتغل بها صاحب الصناعة ليصوّر فيها الحسن البياني هي الموضوعات والاشياء نفسها . اما عند العرب فمادة البلاغة وما يعمدون اليهِ اولًا ليعالجوه ويصوغوا منهُ كلامهم هي المعاني المنتزعة عن الموضوعات (١

صاحب الصناعة الفرنجية يرتاح الى معاينة الموضوعات ورسمها رسماً يخال لهُ انهُ يرى فيهِ محاسنها وبدائعها او حقيقتها . واما صاحب الصناعة العربيّة فيلتذّ بالتأمل في المعاني المجردة المبتذلة ليجد هيئة جديدة يصورها فيها ويبرزها كانها مبتكرة . ذاك يطرب لشعرية الاشياء حتى انهُ لو امكنه إشعار الغير بها من غير استعمال الاشكال البديعة لَفعل . واما هذا فلا يهتمُّ كثيرًا بشعريّة الاشياء انما يطرب لشعرية التعبير اي حسن الدلالة على المعاني . واليك مثلًا على ذلك :

يعرف الادباء ابيات كُثَيِّر عزّة فهي مذكورة في كل كتب البيان :

ولما قضينا من منى كل حاجة ومسّح بالاركان مَن هو ماسحُ
وشُدَّت على حدب المهاري رحالنا ولم ينظر الغادي الذي هو رائحُ
اخذنا بأطراف الاحاديث بيننا وسالت باعناق المطيّ الاباطحُ

هذه الابيات يستحسنها كل ذي ذوق سامٍ ومع ذلك ترى البيانيين في حيرة من امرهم لا يدرون كيف يبرهنون عن اوجه حسنها . فقال بعضهم ان حسن هذه الابيات في حسن الفاظها . وقال آخرون بل في رشاقة التعبير . وقال غيرهم بل في جودة المعاني . وربما غلب التطبُّع فريقاً منهم فانكروها وقالوا ليس في معناها من فائدة . وما سبب هذا الاختلاف بين النقادين الّا لانهم على مذهبهم لا ينظرون الّا في المعاني المجردة وطرق التعبير فالمعاني هنا بسيطة جدًا والتعبير خالٍ من التنميق والزخرف ومع ذلك

---

١) والفرق بين الموضوعات والمعاني المنتزعة منها ظاهر لكل من لهُ بعض الالمام بعلم الفلسفة . وهو الفرق الموجود بين الشيء عينه والعلامة التي تدلّ عليهِ . مثلًا بين معنى الشجرة عموماً والشجرة الفلانية فان مدلول لفظة الشجرة محصور في الصفات الجوهرية التي تفصل جنس الشجر عن باقي النبات وبالاحرى عن الجمادات والحيوانات . واما الشجرة الفلانية ففيها تلك الصفات الكلية التي تدل عليها لفظة الشجرة وجملة صفات اخر خصوصية . فالحقيقة اذاً اوسع جدًا من المعنى

ينبئهم الطبع السليم انهـا في غاية الجودة ولذلك تراهم حائرين ذاهبين في الحكم مذاهب. وعلى رأينا انهم لو لم يشتغلوا بالمعاني عن موضوعاتها ولو كان اســاس البلاغة عندهم معاينة الموضوعات والاهتمام في تمثيلها كما هو شائع عنـد اصحاب الصناعة الفرنجية لما وقعوا في بهمة من امرهم. لان المسألة في غاية السهولة وذلك ان في هيئة الاسفار عندنا قبل العربات والقطارات البخارية سيما في الرجوع الى الاوطان بعد غيبة طويلة وقطع مسافة شاقة والسلامة من الاخطار لَمسْحةً شعريَّة لا تفوت صـاحب الذوق السليم. وقد أثَّرت في قلب شاعرنا فاحبَّ ان يمثلها في ابياته ففعـل ولم يحتج الى غريب المعاني ولا الى انيق الالفاظ فأتت ابياته في غاية الحسن ممثلة لما اراد. فنسلم اذًا ان المعاني مبتذلة والالفاظ اكثرها بسيط غير اننا نقول ان الموضوع جميل وان تمثيله حسن جدًّا وان كانت اسباب التمثيل اعني المعاني والالفاظ بسيطـة. لان البلاغة ليست في المعنى والتعبير فقط انما هي قبل كل شيء في الموضوع والتمثيل. هذه طريقة الاحتجاج على مذهب الفرنج. فقد أتضح لك على ظننا ما قلنـاه في الفرق بين مزاولة الموضوع ومزاولة المعاني. بين جعل الاشياء مبدأ الصناعة وترك التقدم فيها للمعاني. وقد اسهبنا في الكلام عنهُ لانهُ على رأينا اهمّ فاصـل بين اصول البلاغة المدرسية عند العرب واصولها عند الفرنج ومنهُ تتشعب باقي الفروق (لها بقية)

سلطة البابا الزمنيَّة

اقترح علينا الياس مخائيل افندي صليبا من سبرنفيلد ماس في الولايات المتحدة السؤال الآتي ما الذي اوجب الحكم الزمني للبابا ؟ فاحببنا التوسع في الجواب لما في الموضوع من الفائدة

يمكننا ان نحمل السؤال المطروح علينا على معنيين. الاول: كيف صـارت الممالك التي كانت للكنيسة قبل السنة ١٨٧٠ الى ايدي الباباوات. او كيف كان ابتـداء المملكة البابوية وما هي الحقوق الشرعية الدولية التي تستند اليها ؟ والثاني هذا تحريره: أيوجد سبب شرعي مأخوذ عن قوانين الكنيسة الهيةً كانت ام بشريَّة يثبت السلطان الزمني للبابا

اما السؤال الاول فهو من ابحاث التاريخ نكتفي اليوم بالالمام بهِ في معرض كلامنا عن السؤال الثاني ولعلنا نرجع اليهِ مرَّة اخرى وعلى كل حال فهو دون الآخر اهميَّةً اذ ما من رجل عالم في التاريخ ينكر شرعيَّة تملُّك البابا زمنيًّا. فعلينا اذًا بالمعنى الثاني لانهُ كان ولم يزل موضوع الخصام بين الكنيسة ومَن ترعوا منها حقوقها الزمنيّة. وقبل الجواب لا بدَّ من تقديم بعض قضايا الايمان لتكون كاساس لما نقوله

نؤمن اولًا ان الكنيسة جمعيَّة كاملة اسسها السيد المسيح ابن الله المتجسد لتساعد البشر على بلوغ غايتهم القصوى اعني بها الخلاص الابدي فانهُ من الحقائق الموحاة ان السيد المسيح لم يترك تلاميذه ولا الذين يؤمنون بهِ مخيَّرين في اختيار الطريقة التي يريدونها لممارسة الديانة التي لقَّنهم مبادئها بل رسم حتمًا ان يكون كل المؤمنين بهِ اعضاء جمعيَّة واحدة كاملة مستقلة بذاتها سمَّاها الكنيسة او مملكة الله على الارض. وهذه الجمعيَّة ليست جمعيَّة ارواح بل هي جمعية مؤلفة من بشر وان كانت غايتها روحية. فيحق لها اذًا كل ما هو ضروري لقوام الجمعيّات البشرية. ثم ان هذه الجمعية مستقلة اعني غير متعلقة بسلطانٍ ما خارج عنها في الامور التي من دائرتها لان كل ما تربطهُ او تحلهُ على الارض يكون مربوطًا او محلولًا في السماء (متى ١٧: ١٨) فليس اذًا لاحد غير الله ان يربط او يحلّ ما تربطهُ الكنيسة او تحلهُ في امور الايمان والآداب

ونؤمن ايضاً ان هذه السلطة الكاملة سلطة الحلّ والربط التي في الكنيسة قد سلَّمها الربّ بنوع خصوصي لراعٍ واحد هو رأس الكنيسة المنظور حين قال لبطرس وفي شخصه لخلفائه: انت الصخرة وعلى هذه الصخرة ابني بيعتي وابواب الجحيم لن تقوى عليها «ولك» اعطي مفاتيح ملكوت السماوات فكل ما «حللتَهُ» على الارض يكون محلولًا في السماء وكل ما «ربطتَهُ» على الارض يكون مربوطاً في السماء (متى ١٦: ١٨ و١٩) ثم: صلّيت من «اجلكَ» لئلَّا ينقص ايمانك وانت متى رجعت «فثبِّت» اخوتك (لوقا ٢٢: ٣٢) واخيرًا: ارعَ خرافي. ارعَ غنمي (يوحنا ٢١: ١٦ و١٧)

ونؤمن ثالثاً ان خلفاء مار بطرس هم الاحبار الرومانيون كما اثبته التقليد المتواصل في الكنيستين الشرقية والغربية وخصوصاً المجمع الفلورنتيني المسكوني والمجمع الفاتيكاني. فبموجب ايماننا يكون للبابا ملء السلطة في امور الدين ومتعلقاتها لا يحق

لاحد ان يعارضه في احكامه حينما يرمي ويسوس الكنيسة جمعاء . ولا يجوز لاحد من المسيحيين ان يستقلّ بنفسه في امور الدين ولو ملكاً فان الملوك خاضعة لسلطان البابا الروحي كسائر ابناء الكنيسة . يمكنهُ ان ينبّههم على خطاءهم كما ينبه الاب ابنه . واذا سنّوا قانوناً منافياً للدين لهُ حقّ ان ينظر فيهِ ويبطله ان رآه ضاراً لخير الانفس . واذا اتوا امراً منكراً لهُ حق ان يؤنّبهم بل ويفصلهم عن شركة الكنيسة . ولا يُعتبر قول من يزعم ان في الملك او الرئيس شخصين شخص السلطان وشخص المسيحي فبموجب كونه سلطاناً هو مستقل بذاته لا يعارضه في احكامه وشرائعه احد . وبما انهُ مسيحي هو خاضع للبابا . ان في هذا القول سفسطة محضة لان الانسان شخص واحد مسؤول امام الله عن اعماله العمومية والخصوصية . غير مُعفىً من مراعاة قاعدة الآداب في عمل من اعماله الصادرة عن معرفة واختيار . مُطالب بتأدية الحساب عن احكامه السياسية كما يؤديه عن اعماله الذاتية بل باولى حجة لان الشر اذا صدر عن الرئيس بما انهُ رئيس كان اعمّ واعظم . وبما ان قاعدة الآداب التي يجب اتباعها منوطة بالكنيسة ورئيسها فالملك ملزوم بالخضوع للكنيسة ورئيسها والامتثال لاحكامها حتى في سنّ الشرائع ليس اصالةً بل تبعاً اعني من وجه مطابقتها لقواعد الدين او منافاتها لها . وقد حافظت الكنيسة على هذه الحقوق التي خوّلها اياها مؤسسها الالهي وقاومت ما استطاعت كل من اراد نقضها يشهد التاريخ على ثباتها ووحدة تعليمها في هذا الشأن . فما من احد ممّن لهم المام بالتاريخ يجهل مثلًا كيف حرم القديس امبروسيوس الملك ثاودوسيوس الكبير ومنعهُ الدخول الى الكنيسة امام الشعب كله لان الملك كان قد حكم على سكان مدينة تسالونيكي بالقتل بلا تمييز بين مجرم وبريء وذلك لانهم كانوا قد عصوه وحطموا تماثيله . فاطاع الملك حكم الاسقف واقرّ فعلًا وهو في اوج العظمة بسلطة الكنيسة حتى على الملوك في امور الدين . وكذلك فعل الشهيد القديس بابيلاس بفيليب العربي قيصر رومة على ما رواه القديس يوحنا فم الذهب

فمن وجود السلطة الروحية التامة المستقلة في شخص البابا على كل المسيحيين دون استثناء احد منهم ولو ملكاً نستنتج وجوب الاستقلال الزمني لهُ ايضاً وهي القضية الثانية التي نقدّمها . وذلك لان الذي لهُ حقّ بان ينظر في الاحكام الصادرة عليهِ من اي شخص كان وفي اي مادة كانت ويزيّفها ويبطلها اذا رآه مناسباً لا يمكن ان يكون

خاضعاً ولا في المدنيات للذي تصــدر عنهُ تلك الاحكام . لان ابطال الحكم او القضاء لا يجوز الَّا لمن لهُ الرئاسة على الحاكم او القاضي

والحال اذا اصدر ملك من الملوك المسيحيين حكماً على البــابا وان في المدنيات يحق للبابا بما ان في يده ملء السلطة الروحية على كل ابناء الكنيسة ان ينظر في ذلك الحكم ليرى ان كان مطابقًا للاحكام الالهية طبيعيةً كانت ام وضعيَّةً . ويبطله ان كان منافياً لها او مضرًّا بصالح الكنيسة وخير الانفس او واضعاً من شأن رأس الكنيسة الاعلى وهلمَّ جرًّا

فلا يستطيع اذًا البابا ان يكون خاضعاً حتى في المدنيات لمــلك من الملوك . فان استقلاله الزمني تابع لازم لاستقلال سلطانه الروحي . وقد ادرك الملك قسطنطين هذه الحقيقة من يوم تنصره فترك رومة واتخذ غيرها قاعدة لهُ في ايطاليا ليطلق الحرّية التامة للبابا ويرعى لهُ حرمة الرئاسة العامة على الكنيسة . والحق يقال ان المسيحي الذي فيهِ روح الديانة يفهم على البديهة ان من اللائق ان يكون رأس الكنيسة مستقلًّا بذاته حتى في الامور المدنية لا يخضع لاحد . وذلك لان البابا ابو المسيحيين كافة أفيجوز ان يخضع الاب لبنيه ؟ على البابا ان يرعى المسيحيين وملوكهم على اختــلاف مللهم واحوالهم ويرشدهم الى ما فيــهِ صلاحهم وينبههم ويعلمهم ويؤنبهم ويقضي فيما بينهم دون ان يمنعه احدٌ . أفيمكنهُ ذلك لو كان تحت حكم دولة من الدول ؟ أما تعترضــه تلك الدولة في اعماله ؟ أيقبل رعايا الدول المعادية لدولته احكامه ؟ أما يظنون انهــا صادرة عن روح التعصب للمملكة التي ينتمي اليها ؟ يجب ان تكون الرئاســة في الكنيسة ثابتة لا تتغيَّر مع الأيام وتقلبات الحوادث . أفتكون ثابتة لو كان ثباتها منوطاً بارادة الحكام المدنيين ؟ يجب ان يكون لامام الاحبــار ونائب المسيح على الارض الاكرام اللائق بمقامه الرفيع سيما وان الشعب لا يحكم الَّا بالظواهر . أفيحظى بهــذا الاكرام لو كان تحت أمر ملك من الملوك ؟ أفما تحط كرامته لو سيق الى المحاكم كباقي الناس ؟ فليحكم المسيحي

فاذا ثبت ان استقلال البابا الزمني واجب فلا بُدَّ من وسيلة فعَّالة تضمن لهُ ذاك الاستقلال . وإن هي سوى الحكم الزمني فهي الطريقة الوحيدة التي وجدوها حتى الآن كافلة للبابا حريته المدنية وبواسطة حريته المدنية حريته الروحية لسياسة الكنيسة . وفي

الواقع كلما فقد البابا لا اقول حكمه الزمني بل ظواهر الاستقلال المدني كان ذلك سبباً لشرور لا تحصى يكفينا الآن الاستشهاد بحوادث الشقاق الغربي الذي دام نحو نصف قرن وكان مجلبة لشرور عديدة. فما كان سببه سوى اقامة البابوات في فرنسا وان كانوا في ولاية خاضعة لحكمهم. وقد انتبه لهذا الامر ارباب السياسة حتى الذين اضطهدوا البابا وارادوا اذلاله مثل نابوليون الاول. واليك ما قالهُ هذا الرجل العظيم في اول امره اذ لم تشملهُ بعد خمرة انتصاراته الغريبة:

« ان البابا مقيم خارجاً عن باريس. ذلك حسن. ليس هو في مدريد ولا في ڤينا ولذلك نرضى بسلطته الروحية. وكذلك يقول الناس في ڤينا ومدريد. اتظنون ان النمساويين او الاسبانيين يقبلون احكام البابا لو كان في باريس؟ فيسرُّنا جدًّا ان يقيم البابا خارجاً عنا ولا يقيم عند اخصامنا. وان يقيم في رومة المدينة القدمى بعيدًا عن ايدي سلاطين المانيا وملوك فرنسا واسبانيا لا يرجح الميزان بين الملوك الكاثوليك يميل قليلًا نحو القوي ويستوي للحال منتصباً اذا اراد القوي الظلمَ: « هذا صنع الاجيال ونعم الصنيع فانهُ خير ما يمكن استنباطه وانفع ما يمكن ايجاده لخير الانفس وحسن رعايتها » (١

ليت قائل هذا الكلام العسجدي لم ينسَه في آخر امره لكان كفى الكنيسة ونفسه شرورًا عظيمةً. وعلى كل حال فان ذكاءه الفائق وبعد نظره في امور السياسة بيَّنا لهُ ان البابا يتعذر عليهِ القيام بواجباته ان لم يكن ملكاً مستقلًا

وليست ضرورة حكمه الزمني من اللزوم في درجة استقلاله الروحي واستقلاله المدني فان هذين الاستقلالين ممَّا رسمهُ الله امَّا اصالةً او تبعاً كما قلنا فلا يمكن نسخهما البتة. وامَّا السلطة الزمنية فضرورتها ادبيَّة من حيث انهُ لو امكن وجود واسطة اخرى للمحافظة على استقلال البابا حق المحافظة لكان في وسع الكنيسة ان تتخذها دون الحكم الزمني. ولكن العناية الالهية الساهرة على خير الكنيسة لم تهيء لها حتى الآن طريقة اخرى. فهي التي دبَّرت الاحوال وتقلبات الايام رويدًا رويدًا منذ عهد قسطنطين حتى افضت الى انشاء مملكة مستقلَّةً يسوسها البابا وذلك في عهد الكارلونجيين

---

١) طالع تيار (Thiers, Histoire du Consulat et de l'Empire—Du Concordat)

وبمساعدتهم . ولذلك لم يزل البابوات يطالبون بحقوق حكمهم الزمني لا حبًّا بالترفع كما ينسبه اليهم ظلماً من كان قصير الرأي جاهلًا بالتاريخ وباصول الدين بل ضنًّا باستقلالهم الروحي لخير الانفس وحسن تدبير الكنيسة الكاثوليكيَّة جمعاء ش. ١٠

مطبوعات شرقية جديدة

عقود الجوهر في تراجم من لهم خمسون تصنيفًا فمائة فاكثر

تأليف جميل بك العظم محاسب المعارف في بيروت (بالمطبعة الاهلية سنة ١٣٢٦ ص ٣٤٤)

يذكر القرَّاء مقالةً مستجادة نشرها في المشرق (٢ : ١٩٢) جناب الامير شكيب ارسلان في اتّساع التأليف في الاسلام فبيَّن ما كان لقدماء الكتبة المسلمين من طول الباع في الكتابة حتى انَّ بعضهم بلغت بهم الهمَّة الى تصنيف مئين من المؤلفات بين قصيرة ومطوَّلة . وقد احبَّ احد افاضل الادباء في الثغر جناب الكاتب البارع جميل بك العظم محاسب المعارف أن يتَّسع في هذا الباب وباشر بتأليف كتاب مستقل ذكر فيهِ تراجم الذين عثر لهم على خمسين مؤلفًا فمائة فاكثر وقد برز القسم الاول من هذا الاثر الجليل وهو يحتوي اسماء خمسين كاتبًا ممَّن استحقُّوا بوفرة تآليفهم أن يُنظموا في هذا الكتاب مع تدوين جدول كتبهم فترى ما لهذا التأليف من الفوائد الجمَّة لاسيما اذا تلتهُ قريبًا ان شاء الله الاجزاء التابعة لهُ المتمّمة لفوائدهِ . ومع ما في هذا التأليف من الجدوى الطائلة كنَّا وددنا لو اتقن المؤلف تقسيمهُ فجعلهُ على اسلوب تاريخي مباشرًا بالاقدم الاقدم ومنتقلًا الى الاوسط فالاحدث وترى على خلاف ذلك اسماء المشاهير مختلطة دون ترتيب ظاهر فابتدأ بالامام الغزَّالي ثم ذكر السيد مصطفى البكري من المحدثين ثم عاد الى ارسطو والحقهُ بجالينوس ثم انكفأ راجعًا الى ابقراط . وكان الاولى لو ذُكر كل كاتب على سياق الزمان . ونرى كذلك انهُ كان الاجدر بالمصنِّف ان يقتصر على كتبة العرب دون ذكر اليونان لانَّ ذكر الاجانب يؤدي بهِ الى مجاهل يتحيَّر بها . ومما كان يزيد الكتاب فائدةً ان لا يكتفي المؤلف بسرد المصنفات التي وضعها كل كاتب بل يذكر ما يُعرف منها حتى يومنا وما نُشر بالطبع فانَّ مثل هذه الافادات تحمل الادباء

على طلب العزيز من التآليف واحياء دفائنها . وعلى كل حال نثني على همّة المؤلف ونتمنّى لكتابهِ رواجاً بين العلماء شرقاً وغرباً ل . ش

Autour de la question sociale et scolaire en Syrie, par **K. T. Khaïrallah.** *Alexandrie*, 1908, pp. 68.

المسئلة الاجتماعية والمدرسية

قد طابق ظهور هذا الكتاب في الاسكندريَّة مع التقلُّبات التي حدثت مؤخرًا في الدولة العثمانية . وغاية المؤلف ان يبيّن ما هي عليهِ سوريَّة من الحاجة الى الاصلاحات في الهيئة الاجتماعية وفي المدارس . وقد اصاب المؤلف في بعض اقوالهِ لكنَّهُ خلط الغثَّ بالسمين والبخس بالثمين فرمى الكلام على عواهنهِ في امور شتى لم يحسن معرفتها وكانهُ اراد في عدَّة اشياء ان يجعل سوريَّة شبيهة باوربَّة كانَّ اوربَّة بلغت اوج الكمال ولكل بلد كما لا يخفى احوالهُ وعاداتهُ التي لا تصلح لسواه فاذا تقلَّدها غيره خُدع وضلَّ . ومن اكبر نواقص الكتاب انَّ صاحبهُ ضرب الصفح عن الدين في ذكر الاصلاحات التي يقترحها . وكفى بذلك خللًا اذ شيَّد المهندس البناء ونسي الاساس ل . ش

شذرات

مجلة الكلمة كنَّا نشرنا مقالتنا في المدارس والهيئة الاجتماعية لمَّا بلغنا العدد ١٦ من مجلة الكلمة . فقرأنا منها صفحتين في تهذيب الاولاد في فرنسا (ص ٣٢٥—٣٢٧) وسررنا لما رأيناه من التفات سيادة الكاتب الى خطر المدارس الكفريَّة وتحذير قرَّائهِ من شرّها . فبعد ان ذكر تكاثر الجرائم منذ انشاء المدارس بلا دين قال :

« اذا كان الشعب الافرنسي وهو من اعظم شعوب الارض تقدماً في العلوم والمعارف يكاد معظمه ينغمس في الجرائم والرذائل ويتعرَّى من حلية الادب والفضائل بسبب اجتهاد رؤسائه المدنيين في اكراهه على الكفر وقلة الدين فماذا عسى يصير بحالة شعبنا السوري الادبية وهو اقل علماً ومعرفة من الافرنسي بدرجات عديدة لو انتشرت فيما بين افراده تلك المبادئ السقيمة والتعاليم السيئة التي ينقلها اليهِ بعض كتَّاب سوريّين عن الكتبة الافرنسيّين وغيرهم من الكتبة الاوربيين والاميركيين المشهورين بالكفر والعداء للدين . ومع ذلك فان بعض جرائدنا ومجلاتنا العربية يسمون هؤلاء الكتبة وامثالهم بالكتبة العصريين والافاضل المصلحين »

فنعم القول لولا الغلو الظاهر في نسبة الجرائم الى معظم الشعب الافرنسي تقريباً .
ولكن ساءنا ما طالعناه قبل هذه الاسطر في الصفحة ٣٢٥ فقد ورد فيها عن اصحاب السطوة في فرنسا : « انهم عمدوا الى سياسة لا تقل استبدادًا بأبناء الشعب عن سياسة اغناطيوس لويُلا واتباعه » ففي هـذا القول من التشنيع في حق قديس عظيم مجّد كنيسة الله غربًا وشرقًا وعمّت اعماله المبرورة المسكونة قاطبةً حتى شهد لهُ بالفضل السامي علماء البروتستانت انفسهم ما لا يستطيع انكاره احد . فاين قرأ سيادة الكاتب ان اغناطيوس استبدَّ بابناء الشعب وهو الذي ضحَّى مجـد هذه الدنيا ليخدم ابناء الشعب ؟ افيمكنهُ ان يذكر سطرًا واحدًا بل كلمة واحدة من ترجمة القديس او من كتاباته يُستشفّ منها ولو عن بعد ما يقذفهُ بهِ سيادته ؟ وعندنا ان سيادة الكاتب نقل هذا القول جزافًا دون ان يتروَّى فيهِ ولو درى لعلم انهُ من الاكاذيب الشائعة التي تتداولها « الكتبة المشهورون بالكفر والعداء للدين » . وبذلك نقض اساس بنيانه الذي اراد تشييده بالمدافعة عن الدين

امّا ما قالهُ عن أتباع اغناطيوس فلا نستاء منهُ ولا نتعجب . فليس التلميذ افضل من معلمه . ولكن بودنا لو طالع سيادته غير كتب الكفرة والمعادين للدين ويكفينا ان يقرأ كتب البروتستانت المحققين الثقـات مثل الكتاب الحديث الذي عنوانه « بيلاطس » فقد فحص فيهِ صاحبه وهو الاستاذ نويمان (Neumann) من علماء البروتستانت عن كل التهم التي يقذف بها اعداء الكنيسة الرهبنة اليسوعية وبعد البحث المدقق ختم كتابهُ بهذه الآية الواردة في الانجيل عن لسان بيلاطوس مزكيًا للمسيح : « لم اجد فيهِ علّة » . وقد كان ايضاً بوسع سيادته بما انهُ في اميركا ان يستطلع اخبـار تلك البلاد شمالًا وجنوبًا ليعلم كيف انتشر فيها التمدن الاوربي لكان رأى من اعمال اليسوعيين عجائب في تفانيهم لخير البرابرة والقبائل الهمجية . تشهد بهـا التماثيل التي اقامتها الحكومات لبعض افرادهم . ثم لو كان سيادته عارفًا باحوال لبنان وسوريّة من زهاء ٧٥ سنة فضلًا عن الاجيال الثلاثة السابقة لكان تحقق بعينه انهُ لا اصل البتة للتهمة التي نقلها . افيمكنهُ ان يذكر لنا متى استبدَّ ابناء اغناطيوس بابناء الشعب في سوريّة ولبنان خاصةً ؟ لعلّنا نطّلع على ما نجهلهُ . لاننا لا نعلم حتى الآن سوى ان ابناء اغناطيوس ضحّوا في سبيل ابنـاء الشعب السوري اموالهم وارواحهم ودماءهم . ما لم

يسمّ سيادته اجتهاد اليسوعيين في تعليم ابناء الشعب اصول الدين استبدادًا . فان كان هـذا استبدادهم فنعم الاستبداد فانهُ اقوى دعائم النجاح والترقي ولا شك في ان سيادته يشاركنا فيهِ ويكون من اشدّ انصـاره وهو كاتب المقالة في شرور التهذيب الكفري . فلمَ يحمل اذًا سيادته على ابناء اغناطيوس وهم من اعوانه في نشر التعليم والآداب خ ١٠

اسئلة واجوبة

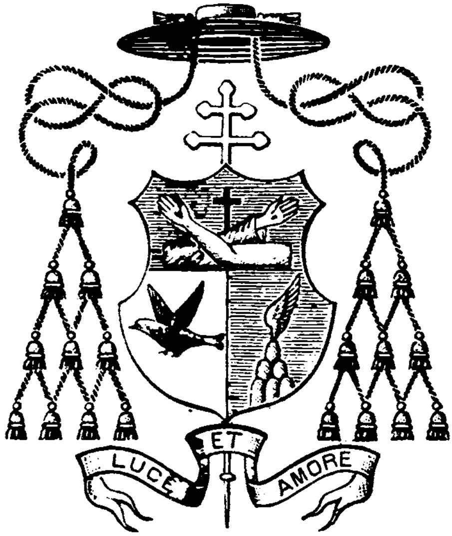
س سأل ف . ط . احد ادباء البلدة ١ً ما هي اسماء السلاطين والملوك الذين يذكر التاريخ قديمًا وحديثًا انَّ مدّة حكمهم تجاوزت الخمسين سنة فصاعدًا مع تاريخ سنتي جلوسهم ووفاتهم— ٢ً بعد سقوط مملكة الافرنج الصليبيَّة هـل بقي البطاركة اللاتينيّون يتسلسلون في الكرسي الانطاكي واين يمكن الوقوف على اسماء الذين منهم تعاقبوا على هذا الكرسي خارجًا من مدينة انطاكية حتى الزمان الحاضر— ٣ً ما معنى لفظة ذبتيخا التي تستعملها بعض الكنائس الشرقية في القداس وما هو اصل وضعها

اسماء السلاطين والملوك— بطاركة اللاتين في انطاكية — لفظة ذبتيخا

ج نجيب على (الاوَّل) ان سرد أسماء الملوك الذين تولّوا الامر خمسين سنة لا يتمُّ بالتدقيق الَّا بعد البحث الطويل ومراجعة تواريخ كل الامم فالاولى ان نحيـل السائل الى التآليف المطوَّلة لئلا يكون الجواب مخلًّا . ونجيب على (الثاني) انَّ البطريركية اللاتينيَّة على انطاكية كان ابتداؤها في سنة ١٠٩٨ بعد فتح الصليبيين لانطاكية بجلوس برنردس الوالنسي على كرسيها . وخلفهُ البطاركة متسلسلين الى ان استولى ملوك مصر المسلمون على تلك العاصمة . ومن بعد فتوح المديـنـة صارت بطريركيَّة اللاتين على انطاكية شرفيَّةً واصحابها يقيمون غالبًا في رومية . امَّا اسماؤهم وسنو جلوسهم فقد ضبطها العلّامة ماس لاتري (Mas Latrie) في مجلّة الشرق اللاتيني في اعداد سنة ١٨٩٤ . نجيب على (الثالث) ان لفظة ذبتيخا يونانيَّة (Δίπτυχα) معناها المضاعف طيُّها ارادوا بهـا السجلّات المطويَّة التي كانوا يكتبون فيها اسماء الولاة والبطاركة والاساقفة ليحفظوها او يذكروها في الصلوات الكنسيَّة ل . ش

السنة الحادية عشرة   العدد ١٠   تشرين الاول   سنة ١٩٠٨

المشرق



رسالة رعائية في الحكومة الدستورية

لسيادة القاصد الرسولي

الاخ فريديانو جيانّيني

والنائب الرسولي على حلب والقاصد الرسولي على سوريّة

الى اعزّائنا الاكليروس والشعب اللاتيني في نيابتنا الرسوليّة سلام وطمأنينة وعزاء بالرب

ايها الاخوة الاعزاء

ان الحوادث الجارية بسرعة غريبة على مرأى منا توجب علينا ان نوجه كلمة صادقة مخلصة الى اعواننا الاعزاء وابنائنا الاحباء في هذه النيابة الرسولية

قد يكون من يزعم ان صبغة هذه الحوادث السياسية الداخلية لا تسوّغ لاجنبي

مثلنا ان يطرق باب البحث فيها اذ ان الدول الاوربيــة الكبرى نفسها قد نظرت بعين الدهشة والاعجاب الى هذا الانقلاب السريع الذي جرى في السلطنة العثمانية وارتأت وجوب العدول اقله الان عن كل مداخلة في شؤون تركيا الداخليــة ولزوم موقف الانتظار الولائي تجاه المساعي التي تبذلها في سبيل نهضتها الوطنية. اما يكون الاجدر بنا ان نحذو نحن ايضاً هــذا الحذو ونتمسك بخطة التحفظ والرصانة التي نهجتها الدول الكبرى ؟

وبالحقيقــة ان ليس من قصدنا التداخــل بحوادث السلطنة السياسية الحاضرة فاننا قــد تجنبنا ذلك منذ البدء ووطنا العزم على لزوم هذه الخطة في المستقبل ايضاً واننا لنأنف من سلب الشعوب الوطنية فخرها في سعيهــا بنفسها وبمعزل عن كل مداخلة خارجية في احياء وطنها

وفضلاً عن ذلك ان وظيفة نيابتنا الرسولية هي من طبعها روحية بحتة وتحظر علينا الخوض في غمرات المنافسات السياسيــة التي تختص طبعاً بالنظام المادي. فمن واجباتنا نحن ان نصرف الهمة الى خلاص النفوس الابدي وندع لغيرنا العناية بامور السلطنة السياسية والاهتمام بدعــة وغبطة الشعوب الزمنية. يروى عن الخليفة الشهير الملك الكامل انهُ اراد يوماً ان يتحف مؤسس الرهبانية السيرافية بهدايا ثمينة من ذهب وفضة فأجابــه الفقير فرنسيس: « اني لم آتِ الشرق سعياً وراء الخيرات المادية بل انما اتيته رغبة في خلاص النفوس» ونحن نفتخر باننا نقتفي آثار ابينا العظيم بتضحية قوانا في هذه البلاد حباً بالنفوس الموكولة الى عنايتنا وسعياً في سبيل خيرها الروحي

غير اننا نرى ان هذا لا يصدّنا عن الاهتمام ايضاً بنجاح البلاد المادي لاننا وان كنا اجانب نظرًا لاصلنا فلسنا باجانب نظرًا لمحبتنا لهــذه البــلاد التي اعتبرناها كوطننا الثاني مذ شاء قداسة الحبر الاعظم ان ينفذنا اليها لنمثله في خدمة النفوس ولهذا لا يسوغ لاحد ان يصوّب الينا سهام اللوم اذا ما اعلنّا صادق استحساننا للنهضة الوطنية في السلطنة العثمانية وتوسلنا الى الله ليبارك وينجح المساعي المشكورة التي يبذلها بنيّة صالحة مخلصة وغاية مستقيمة حميدة اولئــك الذين يسعون وراء هذه الغاية النبيلة

ومن جهة اخرى نرتئي بصواب انهُ لما كنا مكلفين بامر النفوس كان من واجباتنا ان نسمع صوتنا في الوقت الحاضر لانهُ يندر ان لم نقل يمتنع حدوث انقلاب سياسي وان شرعياً دون ان يصدر عنهُ بعض الاضطراب الادبي الكثير الخطر للنفوس. والحال في ذلك حال المطر بعد القيظ الطويل فالناس يرجونه ويتوقعونه لاحياء للارض الظمآنة وارواء غليل الحيوانات العطشانة غير ان السماء حينذاك قلّما تسكب مطرها رذاذًا بل تهطله مدرارًا مصحوباً بقصف الصواعق القتّالة وهبوب الارياح العاصفة الشديدة التي تجتاح مع الاغصان اليابسة المضرة النباتات الخضراء اليافعة ذات الثمار اليانعة . وهكذا شأن الانقلابات السياسية حتى الشرعية منها فانها تتحوّل بسهولة الى مضرة الاشخاص والنظامات المقدسة اذا تخطت حدود العدالة واللياقة لانها تصرف اذ ذاك كثيرًا من النفوس الحرة عن الطريق القويمة فتميل بها عمدًا او سهوًا فتتقلّب مع كل ريح تعليم كقول الرسول (افسس ٤ : ١٤) وذلك لما تعمل في روُوس القوم نشوة الحرية التي لم يعهدوها من قبل وينفسح المجال في الخطب والصحف للتعاليم والمبادئ الغريبة التي لم يتوخَّ ذووها فيها الا ميل الجمهور

فمن كان مكلفاً بامر النفوس لا يمكنهُ ان يقف وقفة المتجرد تجاه هذه الاخطار والا عرّض نفسه لان يهتف يوماً متأسفاً مع نبي اسرائيل: «ويل لي لاني سكتّ» (اشعيا ٦ : ٥) وتعلمون قصة عالي حبر الشعب المختار وقاضيه الذي مع علمهِ بفساد ولديه وبالاخطار التي تتهدد بيته والامة جمعاء من جراء ذلك لم يجسر ان يخاطبهم بكلمة تنبيه او تحذير ولهذا انزل الله بهِ العقاب الشديد ففي يوم واحد أُخبر بانهزام شعبهِ من امام العدو بقتل ولديه ولدى سماعه ذلك سقط على الارض ومات للحال وذهب ليعطي حساباً امام منبر الله عن تهاونه الاثيم

لا ايها الابناء الاعزاء لا نستطيع السكوت ولا نرضاه بل نحيّي فرحين ومبتهجين اشعة الحرية التي سطعت في هذه البلاد ونرفع الادعية الحارة ملتمسين النهضة الحقيقية الراهنة لوطننا هذا الثاني الكثير الاعزاز لدينا سواء كان لجهة ماضيه او لجهة ما

نرجوه منهُ في المستقبل . ومما يوطد فينا هـذا الرجاء ما شاهدناه من الاتفاق العجيب الذي أبرمت مواثيقه بنوع غير منتظر بـين السلطان والشعب ثم ما كان من بث شواعر الاخاء التي تبادلها كل سكان السلطنة دون فرق في الجنس والمذهب واخيراً حدوث هذا الانقلاب بالهدو والسكينة دون اضطراب ولا اراقة دم كما جرى في انقلابات الامم الاخرى السياسية وكان لها وصمة عار مؤبد . لكن رجاءنا لا يخلو من الخوف لان من يحب يخاف دائماً ونحن نحبكم ايهـا الابناء الاعزاء ولهذا لا نطمئن لخوفنا عليكم ونشعر بحاجة ماسة الى ان نوجـه اليكم كلمة مخلصة صادقة لتنهج لكم سبيلاً تسيرون فيهِ حفظاً لنفوسكم من اخطار الزمن الحاضر

***

واولاً نريد ان تعلموا العلم اليقين وتعتقدوا ان الكنيسة في تعليمها لا تؤثر ولا تفضل هيئة من هيئات الحكومات المتنوعة على الاخرى . فالكنيسة الكاثوليكية تحترم وتأمر كل ابنائها ان يحترموا ويطيعوا السلطة الزمنية التي تعمل على خير الشعب الحقيقي ولا فرق عندها في ان تكون هذه السلطة بهيأة امارة او جمهورية او ملكية مقيدة او مطلقة . هذا ما علمهُ السعيد الذكر الحبر الاعظم لاون الثالث عشر برسالتهِ العامـة (Immortale Dei) بتاريخ ١ ت ٢ سنة ١٨٨٥ فبعد ان بسط بحكمة ساميـة مبادئ الفلسفة المسيحية الاساسية المتعلقة بتنظيم الحكومات صرّح بان لا هاتـه المبادئ ولا القوانين المتسلسلة عنها « تسوّغ رفض هيئـة اية كانت من هيئات الحكومات المتنوعة لان ليس في هذه الهيئات ما يناقض التعليم الكاثوليكي ولانها اذا استعملت بالحكمة والعدالة امكنهـا ان تضمن النجاح العام »

لا يمكن ان تكون طريقة الحكم واحدة عنـد كل الشعوب وذلك لما بين الامم من تنوع الاجناس واختلاف العادات والتقاليد التي تقضي بايثار هيئـة من هيئات الحكومات على غيرها

ان طريقـة التعصب والثورة البالغة حـد الافراط في الظلم والاستبداد وان تسترت وراء حجب الحرية الكاذبة هي وحدها تعمل على الزام الشعب بحكومة معينة

دون مراعاة اخلاقه وتاريخه وعاداته الجديرة بالاعتبار اما الكنيسة الكاثوليكية فترذل وتمقت هذا الظلم لانها وان كان لديها مبادئها في حسن ادارة الهيئة المدنية فهي تعلمنا بفم لاون الثالث عشر عينه «ان المبادئ بتجسمها في الحوادث تتخذ شكلاً عرضياً مخصصاً بالمكان الذي تطبقت فيهِ وبعبارة اخرى انهُ وان كانت كل هيئة من الهيئات السياسية حسنة بذاتها ويمكن استخدامها لادارة شؤون الشعوب فمع ذلك لا توجد عملياً الهيئة الواحدة نفسها عند كل الشعوب بل ان لكل شعب حكومة بهيئة خاصة وهذه الهيئة تتأتى عن مجموع الظروف التاريخية او الوطنية البشرية التي تعطي الامة شرائعها التقليدية حتى والاساسية وبهذه تتعين هيأة الحكومة الخاصة» (لاون الثالث عشر في رسالتهِ الى اكليروس فرنسة ١٦ شباط ١٨٩٢)

وعلاوة على ذلك يمكن للشعب الواحد في مواقيت مختلفة ان ينتقل حسب الظروف من هيئة سياسية الى غيرها اذا اقتضى ذلك الصالح العام. لان حياة الشعوب من هذا القبيل تشبه حياة الافراد فالولد في صغره يكون بوصاية والديه وتحت ادارتهما وتدبيرهما وخاضعاً لهما في كل شيء لعجزه عن ان ينتقل بنفسهِ من محل الى آخر. لكنهُ كلما تقدم في السن أنس من نفسهِ الاستطاعة على القيام بحاجاتهِ ومن ثم يضعف افتقاره الى والديه رويداً رويداً. ثم متى بلغ اشدّه وجنى الحكمة ثمرة الاختبار تيسر لهُ القيام بنفسهِ باعباء الاعمال والاستقلال بها وكان ذلك مدعاة لفرح وغبطة والديه انفسهما. هكذا حال الامم فان لزمها عند نشأتها وفي اول عهدها حكومة مطلقة فلا ينتج عن ذلك انها لا تستطيع عند استيفائها حظها من البلوغ ان تتوق وتسعى الى حكومة حرة تمهد سبيل الرقي والنجاح لقواها ومنازعها الخاصة ولهذا صرح لاون الثالث عشر في رسالتهِ (Immortale Dei) المذكورة اعلاه بانهُ «ان لوحظ الامر بذاتهِ لا يمكن ان ينكر على الشعب حق تدخله بتنظيم الحكومة بل ان هذا التداخل عينه قد يكون في بعض الظروف ومع بعض الشرائع مفيداً للسكان بل وفرضاً واجباً عليهم ايضاً»

ان ما يولي الامة خيراً او يسومها ضيراً ليس بحصر القول هيئة الحكومة بل

هو سلوك القابضين على ازمة الاحكام وبالاحرى الشرائع التي يسنّونها للشعب « ان بين الشرائع والسلطة السياسية وهيئتها لبوناً عظيماً فقد يحدث ان تكون الشرائع جائرة ممقوتة في حكومة منظمة على احسن هيئة وبالعكس يمكن لحكومة ذات هيئة غير كاملة ان تكون شرائعها في غاية الجودة . . . لان الشرائع ليست الّا عمل الناس المقلدين السلطة والمتولين فعلًا ادارة شؤون الامة . وعليهِ تكون حالة الشرائع اوفر تعلقاً بحالة هؤلاء الناس منها بهيئة الحكومة اي انها تكون حسنة او رديئة حسبما يكون المشترعون من ذوي المبادئ الصحيحة الصالحة او الشريرة الفاسدة ومن المتدبرين بالحكمة السياسية او من المنقادين الى الاهواء » (لاون الثالث عشر الى اكليروس فرنسة ١٦ شباط ١٨٩٢)

وبناء على ذلك قد حقّ للكنيسة الكاثوليكية ان لا تؤثر هيئة من هيئات الحكومات على اخرى فهذه الخطة تسمح لها بان تعيش وتنمو في كل مكان وزمان وبان ترتبط بالعلاقات الحسنة مع الحكومات المطلقة والدستورية والجمهورية على السواء . ونحن لا نخرم الفائدة من خطة امنا الكنيسة التي تقف وقفة الحياد تجاه الهيئات المتنوعة التي يمكن ان تأخذها حكومة البلاد التي تسكنها . تلك لعمر الحق حرية ثمينة يروق لنا ان نستخدمها لنرحّب بهيئة الحكومة الجديدة التي تنظمت في تركيا بفضل ما تمّ من الاتفاق العجيب بين السلطان والشعب ولنرفع الادعية لتكون الحكومة الجديدة فاتحة عصر جديد يبسط رواق السلم والنجاح على شعوب السلطنة كلها

لكنهُ لكي لا يخيب رجاؤنا هذا ينبغي على المكلفين بتطبيق الاعمال على قواعد الدستور من وزراء واعيان ونواب ان يحرصوا على المبادئ الاساسية الموطدة للهيئة المدنية . لان الجور والظلم اعظم آفات السلم والنجاح العام يمكنهما لسوء الحظ ان ينتشرا حتى في الحكومة الحرة وذلك اذا ما اساء ذوو الامر التصرف بالسلطة وخوّلوا رغائبهم الخاصة قوة الشرائع خلافاً لمبادئ العدالة . ان الله منشئ الهيئة البشرية هو ايضاً مصدر السلطة العمومية كما قال الرسول : « لا سلطان الا من الله »

(رومية ١٣ : ١) ولهذا مهما كانت هيئة النظام السياسي على الحكام ان يتمثلوا الله دائمًا امامهم ويقتدوا بـهِ ويتخذوه مثالاً سامياً وقاعدة لاعمالهم. وبالتالي عليهم ان ينصفوا في حكمهم مراعين الخير العام ومتذكرين على الدوام بان لا سلطـة للانسان على امثاله الا بمقـدار ما يقتضيه الصالح العام (لاون الثالث عشر في رسالتـه Immortale Dei) واما ان اساؤوا استعمال السلطة واستخدموها للضغط على الشعب والتضييق عليهِ او على فئة صغيرة منهُ فان الله يناقشهم حساباً مدققاً عن ذلك لان « ارباب القوة بقوة يُفحصون » (الحكمة ٦ : ٧)

ومن هـذا كله يمكن لاعواننا الاعزاء ولابنائنا الاحباء في هذه النيابة الرسولية ان يروا جليًا اننا وان رحّبنا باخلاص بالحكومة الجديدة فلا نرتئي مع ذلك ان هيئة حكومة جديدة مهما كانت حسنة تكفي وحدها لتضمن للشعب السلام والنجاح. فان كل خير حقيقي مصدره الجودة الجوهرية اي الله فيجب علينا ان نبتهل بحرارة الى سيد الامم والشعوب الاعلى القابض بيده على قلوب البشر ليتنازل ويحوّل بنعمته الى خير الشعب هذا الانقلاب العجيب الذي جرى في حكومة السلطنة العثمانيـة بان يلهم الحكام الحب الحقيقي المخلص للخير العـام

***

وليُسمح لنا هنا ان نبحث في الحكومة الجديدة من حيث الحرية التي تنعم بها على كل السكان

ان الحرية على ما حدّدها دانت اليغياري اشهر شعراء النصرانية هي اعظم منحة جادت بها العوارف الربانية على الانسان. لانهُ بها اصبح مسلطاً على اعماله ممتازًا عن الاشياء عالمًا بحقوقه وواجباته قابلًا للمدح او للذم وللثواب او العقـاب وعبثًا حاول المادّيون في ايامنا ان يعودوا الى نشر الاضاليل القديمة ويسلبونا هذه الميزة والمنحـة الشريفة منحة الارادة الحرة التي قد أيدتهـا الفلسفة المسيحية طبقًا لمبادئ الضمير المسلم بها

لكن شأن الحرية شأن سائر الاشياء حتى خيرها واقدسها في انهُ يمكن التصرف

بها بحكمة او اساءة استعمالها بنوع يوسف له. وهذا ما حمل لاون الثالث عشر على القول بصواب بانهُ « عن حسن او سوء فهم معنى الحرية تنتج اعظم الخيرات او اكبر الشرور لان الانسان بقوة هذه العطية الطبيعية الثمينة يمكنهُ ان يستنير بنور العقل المستقيم ويعمل الخير الادبي ويسلك طريقاً تؤدي بهِ الى غايته. كما انهُ يمكنهُ ايضاً لسوء الحظ ان ينهج خطة معاكسة لذ يُغرّ بالخيرات الخداعة وظواهرها الكاذبة فيشوّش النظامَ ويطوّح بنفسه في هلاك اختياري» (الرسالة العامة في الحرية البشرية)

ومن نكد الطالع ان قد انضم الى الاخطار الناجمة عن طبيعة الحرية نفسها سقطة ابوينا الاولين التي جرحت ارادتنا جرحاً بليغاً كقول المجمع التريدنتيني بجعلها ميّالة الى الشر. ولا ينكر ان مخلصنا الالهي السيد المسيح بتجديده الطبيعة البشرية واعادتها الى سابق منزلتها يشعر ارادتنا بقوة مفاعيل وساطته الالهية اذ يقويها بنعمته وبرجاء السعادة السامية على مقاومة الاميال الشريرة. لكن الفداء لم يلاشِ كل نتائج السقطة الاصلية ولهذا يحدث غالباً حتى اليوم بعد مرور تسعة عشر جيلًا على النصرانية ان الانسان لتأصل الاميال الشريرة في النفس البشرية يستخدم حريته لعمل الشر اكثر مما يستعملها اعمل الخير

وعن هذا نجمت ضرورة سنّ الشرائع ووضع العقابات تهديدًا لمن يخرقها. وهذه الشرائع منها الهية ومنها بشرية فالالهية ما صدرت عن الله مباشرة والبشرية ما اعلنتها السلطة الدينية او المدنية الشرعية

وهذه الشرائع التي ترمي الى صدّ الشر ومنعه تضع الحدود لحريتنا ولا يحق لنا البتة ان نتظلم من ذلك. لان حرية فعل الشر انما هي رذيلة وليست بمزية طبيعتنا وكبحها بلجم الشرائع يعد خدمة جلّى في جانب الافراد كما في جانب الهيئة الاجتماعية كلها. ومما تقدم يتوضح ان السلطة المدنية التي خصصناها بالكلام هنا لما كانت غايتها تحويل الهيئة الاجتماعية حسن الحال المادي كان اقل ما تفعله بلوغاً الى هذه الغاية ان تسن الشرائع التي وان قسرت حريتنا وقيّدتها فانما تفعل لخير الافراد والعموم معاً وتتوصل هكذا الى توكيد الراحة العمومية غايتها الوحيدة. لانهُ لا يمكن ثبات

الهيئة البشرية بدون سلطة وشرائع بل ان جنسنا بدونهـا يباد ولا محالة بفوضى هائلة والسلطة العمومية مهما كانت هيئتها السياسية ومهما كانت درجتها من الحرية تضطر بقوة الاشياء الى ان تضع حدًا لحرية الافراد بواسطة الشرائع

ورب قائل يقول: اذًا ما معنى ما يردّده القوم في المنتديات والشوارع من ان شمس الحرية قد بزغت في افق نواحينا اذا كانت الحكومة الجديدة التي تنظمت حديثاً في بلادنا لم تولِنـا شيئاً من الحرية ؟

ايها الاعزاء ان الشريعة شيء واستبداد القابضين على ازمّة السلطـة العمومية شيء آخر . فالشريعة الحقة تسن للخير العام وتقييدها للحرية لا يعد اساءة للانسان بل بالعكس منة تمهـد لهُ السبيل الى بلوغ غايته بحفظه من مساوئ الفوضى الجالبة للدمار . واما ارادة الحكام الذين هم كسائر الناس عرضة للزلل واتبـاع الاهواء فانهـا لا تنطبق دائمًا على العقل السليم بل ربما كانت احيانًا جائرة ومعاكسة للخير الخصوصي والعام . ومن ثمّ يكون الخضوع للشريعة ضمانة للخير العام وليس فيـهِ ما يذل الانسان لكنهُ يشرفهُ ويضمن لهُ استعمال الحرية المرتبة في كل ما لا يلحق ضررًا ولا اذية بالصوالح العموميـة الحقة . بيد ان الطاعة المطلقـة العمياء لرغائب الحكام انما هي عبودية محضة تقضي على الحرية الشرعية وتهضم الحقوق وتدوس كرامة الطبيعة البشرية الجديرة بالاحترام

والحال ان الحكومة الجديدة تنزع السلطة الاستبدادية من الحكام ولا تعترف الا بسلطة الشريعة القاضيـة بالمساواة بين الجميع ولهذا حقّ ان تدعى الحكومة الجديدة حكومة حرة لانها اذا ما استثنينا ما تأمر بهِ الشريعة حفظًا للصالح العـام تترك للقوم مـلءَ الحرية في حركاتهم وسكناتهم والاعتناء بشؤونهم كما يرتؤون وصرف هممهم ومساعيهم الى ما يرون فيهِ الصلاح وبالنتيجة قد قامت حكومـة حرة مقام الحكومة الاستبدادية ضمن نطاق الشريعة . واذا لاحظنا الامر من الوجهـة السياسية رأينا انهُ لم يبقَ عبيد ولا اسياد بل مواطنون احرار متساوون امام الحكومة في الحقوق والواجبات مهما كانت رتبتهم ومنزلتهم في الهيئة الاجتماعية

فقد حقّ لكم اذًا ايها الابناء الاعزاء ان تفرحوا وتغتبطوا باعلان الحكومة الجديدة التي سوّلت لكم ان تستعملوا في حدود اللياقة هذه العطية الطبيعية الثمينة نعني بها الحرية

لكنما الحرية اسمحوا لنا بهذا التشبيه هي كالخمر التي ان اقتصد الانسان في شربها اولتهُ القوة والنشاط وان افرط اضرتهُ واذتهُ. فالحكومة الدستورية الحرة تفرض في الشعب حصافة الرأي ورصانته ومن ثم لا يمكنها حتى وفي بعض الاحيان لا يلزمها ان تبتّ وتقطع كل شيء بسلطتها. لان الامر قد لا يكون من متعلقاتها ولان هذه الخطة تعرقل سير المساعي الافرادية العائدة بجزيل الفائدة على الصالح العام. ولهذا على الناس في مثل هذه الحكومة ان يدبروا شؤونهم بذواتهم في ظروف عديدة باستعمالهم الحرية استعمالاً معقولاً. واما ان عدلوا عن ذلك الى اساءة التصرف بالحرية فانهم يلحقون الضرر بنفوسهم وبالاخرين ايضاً. واذا تمادوا في اثارة القلاقل والاضطرابات عملوا على تقويض اركان الحكومة الجديدة واقامة القديمة مقامها ولا تكون تلك المرة الاولى التي مهّد بها التطرف بالحرية سبل العودة للاستبداد

ولا نطيل البحث هنا في كل ما تخول الحكومة الجديدة الاهلين من انواع الحرية كحرية الدين وحرية التعليم وحرية القول وحرية الصحافة. لانهُ اذا نظرنا في الامر نظرًا عمليًا ولاحظنا احوال السلطنة العثمانية الخاصة لا يسعنا الّا الابتهاج بمنح هذه الحريات لثقتنا بان اعواننا وابناءنا الاعزاء في هذه النيابة الرسولية يستخدمونها كما يليق في سبيل مجد الله الاعظم وخلاص النفوس وزيادة انتشار التمدن الحقيقي وخير الشعب العام

غير انهُ يتولّانا بعض الخوف نظرًا لحرية القول والصحافة فان التزم فيها جانب الاعتدال كما يخلق باناس حصيفي الراي وبوطنيين جديرين بحكومة حرة كانت هذه الحرية ايضاً حسنة النتائج جزيلة الفوائد لفسحها لنا مجالاً للمجاهرة بالدفاع عن الحقيقة وخصوصاً عن حقائق ديانتنا المقدسة ولتنوير الحكومة بتنبيه خاطرها الى ما ينبغي ازالته من المساوئ وما يقتضي احداثه من الاصلاحات سعياً وراء المصلحة العمومية

لكن كلامنا ليس عن هذه بل عن تلك الحرية التي تغوي العقول بسهولة وتدفعها الى تجاوز الحدود في انتقاد الاشخاص والنظامات والى ايضاح وعرض افكار جائرة مغالىً فيها ورغائب انتقامات شخصية وتشفيات ذميمة وذلك بظواهر غيرة كاذبة على الخير العام

ان المسوءولية لعظيمة جدًا على من كلّف نفسه الاصلاح بواسطة الصحافة اذ انهُ ما من شيء اعظم منها تأثيرًا في جمهور القراء وحملهم على الخير او الشر لان معظمهم لا يستطيع ان يرتئي رأياً من نفسهِ ولهذا ترونهم مستعدين لقبول الاراء والمبادئ الاشدّ فسادًا لسهولة تسربها اليهم. قد قال بعضهم ملمحاً الى الهيئة الاجتماعية الاوربية القديمة ان الصحافة العمومية وخصوصاً الجرائد هي في ايامنا بمثابة الفئة الرابعة من ممثلي الامة واما نحن فنرتئي انهُ في حكومة دستورية حقة تكون الصحافة الفئة الاولى لانها هي التي تدرب الراي العام الوافر الحول والطول في العصر الحاضر

لهذا تحتم على الكاتب لزوم جانب الحكمة والفطنة ليس فقط بان يمتنع عن نشر وتأييد بعض الاراء المهلكة التي اذا ما عُرضت على العموم كانت بمثابة مشاعل متقدة تطرح في مخزن بارود. بل عليهِ فوق ذلك ان يعتدل الاعتدال كله في انتقاد الاشخاص والنظامات ويعني غاية جهده بالتفريق والتمييز بين هذه وتلك لئلا يتجنّى بنسبته نقائص او ذنوب فريق الى الفريق الاخر. ومن بين النظامات عليهِ ان يحترم خاصة الدين اساس الهيئة المدنية الوحيد الذي ينبغي ان يظل محفوظ الكرامة ومعزز الشأن رغماً عما يمكن وجوده لسوء الحظ من الامور الذميمة في سيرة الاكليروس. ومن هذه الحيثية لا ينبغي التساهل في تصديق كل التهم التي لا تصدر غالباً عن حب الخير المجرد بل عن رغبة مس الدين نفسه بشخص خدامه

ثم ان النزغة القوية التي تتولى الكاتب اليوم على اثر طلوع فجر الحكومة الدستورية انما هي تقريع رجال الحكومة الماضية وتشديد النكير عليهم وما تلك الّا نتيجة ضغط تقادمَ عهده يسهل ادراكها حتى والتسامح بها الى حد معلوم. لكنهُ

ما من احد الا يسلّم بان التشفي بالساقطين ليس من شيم النفس الكريمة والتاريخ نفسهُ يروي لنا حنقاً قول البطل الفلورنتي بيروشيو مارامالدو : « قتلت رجلاً ميتاً » ومن جهة اخرى ينبغي الاعتقاد بان الحكومة السابقة لم تخلُ من رجال جديرين بالاعتبار لم يلحقوا اذية باحد وعلاوة على ذلك ان المذنبين انفسهم لهم في الظروف ما يخفف جسامة ذنوبهم اذ ان معظمها تأتى عن المراكز التي تقلبوا فيها

واخيرًا لا نحرض الكتبة فقط بل وعموم ابنائنا الاعزاء ايضاً في هذه النيابة الرسولية على ان لا يسيئوا استعمال الحرية الجديدة بانضمامهم الى الجمعيات السرية المرذولة من الدين والعقل السليم لانها تكبلهم بقيودها السرية وتحرمهم الحرية الحقيقية اعز الكنوز واثمنها. فان الرجل المرتبط بجمعية سرية ليس برجل بل انهُ عبد في قبضة رؤسائه وهو لا يشعر. وبما اننا الان في عصر الحرية ويتسنى اعلان كل الاراء الصالحة الحرة ونيل كل الرغائب المحللة فما الغاية من كتم هذه الجمعيات السرية امرها ؟ فلا فائدة ترجى من السر ان كانت غايتها حميدة . ولهذا بعد ما نرى كل ما تبذلهُ من العناية في سبيل بقائها سرية يسوغ لنا الحكم بانها تنوي نيات منكرة يرذلها كل ذي فضل وصلاح. فالسيد المسيح قد اراد ان نكون ابناء النور: «لتكونوا ابناء النور» (يو ١٢ : ٣٦) انبذوا الظلمات اذًا. انبذوا اسرار الشيع المنكرة. لكم الحرية في ان تؤلفوا الشركات وتشكلوا الجمعيات للدفاع عن مصالحكم لكن فليكن ذلك ظاهرًا وواضحاً للجميع كما يفعل الوطنيون الاحرار الذين لا يرون حاجة الى اخفاء اعمالهم وستر مقاصدهم. كونوا اذًا ابناء النور وحينئذ تكون جمعياتكم التي نستمطر عليها البركات الربانية من الان آلة لنجاح وطنكم الارضي وتمهد لكم السبيل لنيل السعادة الابدية في الوطن السماوي

***

والان نوجه كلامنا اليكم ايها الاعوان الاعزاء والمرسلون الاحباء في هذه النيابة الرسولية

واولاً نرغب اليكم ان تقرأوا وتشرحوا للشعب هذه الرسالة الرعائية وان تبذلوا

جهدكم في نشرهـا ليقف الجميع على افكارنا ورغائبنا في ما يتعلق بالخطة الواجب اتخاذهـا تجاه الحكومة الجديدة التي تيمّنت بها السلطنة العثمانية

ان النظام الجديد يفسح امامنا مجالاً رحباً حرّا لعملنا الانجيلي فلنستخدمهُ لمجد الله وخلاص النفوس

من عهد غير بعيد اي من تاريخ ٤ آب الماضي اغتنم قداسة ابينا البابا بيوس العاشر فرصة يوبيله الكهنوتي الخمسيني فوجـه الى الاكليروس الكاثوليكي رسالة تحريضية شائقة بيّن فيها قداسته بعناية ابوية وحكمة رسولية الفضائل التي يجب على خدمة المذبح ان يتحلّوا بها ليمكنهم ان يتمموا بنوع لائق المهـام الموكولة الى عنايتهم . وقـد جاءت هذه الرسالة الحبرية في غاية المناسبة للزمن الحاضر لتنعش فينا روح التقوى والغيرة ولتصيرنا فعـلة قادرين على العمل في كرم الرب اذ توفّر فينا كل مقتضيات الازمنة الحديثة . فلننعم الفكرة. اذًا في هـذا الكلام السامي ذي القوة المنيرة للعقل والمضرمة للقلب

اننا نعرفكم حق المعرفـة ايهـا الاعوان الاعزاء ولا نرى من حاجة الى زيادة التحريض غير اننا نرى من الواجب علينـا ان ننقل لكم بعض فقرات من الكلام الذهبي الذي وجههُ قداسة ابينا البابا بيوس العاشر منـذ سنوات قليلة الى اكليروس ايطالية لما في هذا الكلام من المناسبة لهذه الانحاء في الحوادث الحاضرة : « ان الكاهن المرتفع على سائر الناس لتتميم مهمته التي تقلدها من الله عليـهِ ان يترفع ايضاً عن كل المصالح البشرية وكل التحزبات وكل فئات الهيئة الاجتماعية . فميدان عمله الكنيسة حيث هو سفير الله ونائبه يعلم الحقيقة وينذر بها ويعلّم مع احترام حقوق الله احترام حقوق كل المخلوقات وبعمله هذا لا يعرّض نفسه للمقاومة ولا يظهر انهُ متحزب يعضـد البعض ويناهض الاخرين . ولكي يتحاشى بعض الاميال والاغراض او لكي لا يثير في مواضيع عديدة الخواطر الساخطة ولا يتهوّر في خطر تلبيس الحقيقة او كتمها ويقصر في واجباتهِ في كلتا الحالتين . فضلًا عن انهُ في البحث عن الامور المادية يمكنهُ ان يتورّط في التزامات مضرة بشخصهِ وبشرف درجتهِ (رسالته بتـاريخ ١١ حزيران

١٩٠٥) ونعم القول. لان الكاهن لما كان ملتزماً بخدمته نحو الناس قاطبــة ودون استثناء وجب عليهِ ان لا يكون ذا حزب بابتعاده وترفعه عن كل الاحزاب. وهذه هي الواسطة الوحيدة لمنع انشاء الاحزاب المناهضة للاكليروس التي تتحول دائماً الى احزاب مناهضة للدين. ان منزلة الكهنوت في غاية الرفعــة والشرف وانهُ لاثم حقيقي ورزية جسيمة الحط من شأنها وحصرها في حدود حزب ضيقة وبالتالي نزع الكهنوت سمته السامية القائمة بالعناية العامة الشاملة لكل الناس. فينبغي ان محبة المسيح الشاملة التي كانت تحث الرسول هي نفسها تضرم قلوبنا الكهنوتية وتحملنا على بسط ذراعينــا لعموم ابنائنــا دون استثناء. وبقطع النظر عن الاحزاب التي تقسمهم وهكذا يمكننا ان نردد هتاف الرسول القائل: « ان محبة المسيح تحثنــا » (٢ كور ٥: ١٤) دون ان يتسنى لاحد تكذيبنا

بينما نكتب هذه السطور نرى من نوافــذ مقرنا الصيفي في جبل لبنان تمثال العذراء الطاهرة الجميل العظيم نراها ظافرة منتصبة على هذا الاثر الفخيم الذي اتفقت على تشييده القصادة الرسولية في سورية والبطريركية المارونية وكان الاحتفال بتدشينه يوم الاحد الواقع في ٣ ايار من السنة الحاضرة. وان سالفنا المأسوف عليهِ السيد دوڤال السعيــد الذكر لما فكر في هذا المشروع أَمل ان السيدة العذراء اذا كُرِّمت بنوع خصوصي في بلاد سورية ظللت هذه الانحاء بظل حمايتهــا الخصوصية ونحن الذين أُوتينا شرف انجاز هذا المشروع العظيم فبوجودنا تجاه هــذه الحوادث التي جرت في السلطنة العثمانية بعد حفلة التدشين بزمان قليل نضع كل رجائنا فيسيدة لبنان الطاهرة ونسألها ان تجعل هذه الحوادث آلة لتمجيد الله وديانته وان تمنّ على الشعب بان يجد فيهــا مزيد الرقي والنجاح الان ومدى الابد امين

وفيما نحن نستعين بصلواتكم نمنحكم البركة جميعاً ايها الاعوان الاعزاء والابناء الاحباء باسم الاب والابن والروح القدس

صدر عن كرسينا في حريصا (جبل لبنان) في ٨ ايلول ١٩٠٨ عيد ميلاد العذراء مريم

✝ الاخ فريديانو جيانيني

مؤتمران علميّان

للاب لويس شيخو اليسوعي

رجعنا والحمد لله من مؤتمري برلين وكوبنهاغ اللذين دُعيت الى حضورهما رسمياً مدرستنا الكليّة فاوفد الرؤساء حضرة الاب هنري لامنس والفقير كاتب هذه الاسطر لنمثل كليّة القديس يوسف في هذين المجمعين العلميين. فقمنا بهذه المهمّة بما امكننا من النشاط تلبيةً لدعوة مَن القينا في ايديهم زمام امرنا وكأنّا بقرّائنا الادباء يرغبون الينا بان نصف لهم سفرنا الى تلك الانحاء القاصية ونفيدهم عمّا جرى في المؤتمرين من الابحاث العلميّة ليقفوا على احوالهما وينتفعوا من نتائجهما ويحذوا حذوهما بانشاء النوادي العلميّة وعقد الجميّات لتنشيط المعارف العمومية

رحلتنا الى المؤتمرين

كان موعد المؤتمر الاول الذي قُضي علينا بحضوره في العشر الاوّل من آب فسافرنا من بيروت في مساء ٢١ تموز راكبين باخرةً لشركة المساجري الافرنسيّة تُدعى اكواتور فكانت رحلتنا في مثل هذا الفصل مدعاة للهناء بصفاء اديم السماء وهدوّ تيّار البحر فبلغنا مرسيلية في ٢٩ من الشهر بعد ان ارسينا مرّتين في بورت سعيد والاسكندريّة فتحققنا ما صارت اليه هاتان المدينتان من الحضارة والترقي منذ ابصرناهما آخر مرّة قبل عشر سنوات. لولا انّ احوال التجارة أُصيبت مؤخّرًا بضربة لازبة في كل القطر المصريّ فكادت تُلحق بالدقعاء كثيرين من اهلها واصحاب ثروتها وانما الامل معقود بانقشاع هذه السحابة. فعسى ان تكون هذه الازمة عبرةً لمحبّي المضاربات ووازعاً لطالبي الارباح السريعة دون كدّ وعناء فيعلمون انّ الغنى الثابت لا يُنال الّا بالمساعي الطيّبة والمعاملات المختمرة بالترويّ والمتاجرات المعقولة

اتّسعت مرسيلية منذ زمن قريب حتى اتّصلت ابنيتها بابنية خمس من القرى المجاورة التي نُظمت في سلكها فاصبحت بذلك المدينة الثانية لفرنسة من حيث عدد سكّانها. امّا ميناها فهو مصدر ثروتها يردهُ او يصدر منهُ نحو ستة ملايين طنّ من

السلع والمال المشحون في كل عام ومع سعة هذه التجارة البحريَّة تغلبها باريس بتجارة نهرها الذي توبي مشحوناتهُ من العاصمة واليها على عشرة ملايين من الطنَّات

ووافق وصولنا الى مرسيلية فتوح معرض الكهرباء فيها فأُقيم لذلك معاهد فسيحة نُظمت فيها انواع الآلات على اختلاف اشكالها وصنوف فوائدهـا فيأخذ تنظيمها بمجامع القلوب ويندهش الناظر اليها لاسيما في الليل اذ تمتدُّ اروقة الظلمـة فتلوح تلك الآلات بمظاهر نوريَّة عجيبة من اكلَّة واقواس وصور زهور وحيوانات وأبنية تتَّقد كلها كشعلة من النار بالالوان الزاهية والنقوش البهيـة الرائعة ما يحقِّق فراسة بعض القائلين عن القرن العشرين انهُ سيُدعى بعصر الكهرباء

ونحن في مرسيلية بلغتنا الانباء تترى في ما جرى في الاستانة العليَّة من الانقلاب السياسيّ بصدور الارادة السنيَّة لكل الرعايا العثمانيين باستعادة القـانون الاساسيّ ومجلس الأمة المعروف بمجلس المبعوثان فوقع لدينا هـذا الخبر موقعاً طيّباً وشكرنا الله على هذه المنَّة وطلبنا اليهِ من صميم الفؤاد بأن يجعل هذه الامور فاتحةً لعصر جديد تنمو بهِ صوالح البلاد وتزيد الالفة والترقي بين العباد

ووجدنا ليون لا تزال تتقدم على سواها بجرائرها ومنسوجاتها ومعاملها العديدة. وقد توقلنا الى مزارها الشهير الذي يُشرف على البلد والمختص باكرام العذراء الطاهرة وهو من اكبر معابد فرنسة المستحدثة. شيَّدهُ المسيو بوسان احد المهندسين البارعين على رسم مستطرف لوفاء نذر الاهلين بعد الحرب السبعينيَّة. وقد صرف في بنائهِ نيفاً وعشرين مليوناً من الفرنكات تبرَّع بها المحسنون من الكاثوليك بيد سخيَّة وهو لا يزال ساعياً في اتمام العمل وزخرفتهِ ونقشهِ ليصبح آيةً هندسية بين البنايات العصريَّة

قطعنا باريس ولم نتربَّث بها وهي في هذا الفصل من السنة اهدى منهـا في بقية فصول العام لخروج كثير من اهاليهـا الى الاصطياف في ضواحي البلد وكذلك مجلسا الأُمة يبطلان عن الاعمال كما انَّ المدارس والنوادي العلميَّة تُقفل ويخلد اصحابها الى الراحة والسكينة وكان رئيس الجمهوريَّة قد خرج الى سياحتهِ في البلاد الشمالية فزار دنيمرك واسوج ونروج وروسيَّة والجرائد ملأَى من تفاصيل رحلتهِ السياسية واجتماعهِ بملوك الشمال

وفي ٢ آب مررنا ببلاد بلجكة فشاهدنا بهـا قطراً صغير المساحة الَّا انهُ واسع

التجارة بليغ الصناعة كثير الثروة بلّغتهُ حكومتهُ الكاثوليكية منذ ربع قرن الغاية في النجاح واسباب التقدُّم حتى صار في مقدَّمة البلاد المتمدّنة لا ينقصهُ شيء من محاسن الدين ومرافق الدنيا

امَّا عاصمتها بروكسل فعلى ترقٍ مستديم. كنَّا قبل ثلاث سنوات زرنا ضاحيةً منها خاليةً من السكن كانت اشبه بالبريَّة واليوم اضحت عامرة بالسكَّان تسير اليها قواطر الكهرباء وتمتدُّ فيها الحدائق الغنَّاء. وهناك شُيّدت مدرسة كبيرة للآباء اليسوعيين البلجكيّين جمعت كل المحسّنات الهندسيَّة التي توافق المعاهد التهذيبية حتى صار الزوَّار يقصدونها من انكلترَّة وفرنسة ليطلعوا على تنظيمها ويجارونها في طريقتها الهندسيَّة. وفي هذه المدرسة تسكن جمعيَّة البولنديين الذين يشتغلون منذ ثلثمائة سنة بجمع اعمال القديسين ونشرها وانتقادها (اطلب المشرق ٨ : ٤٨٤)

وكان الشغل الشاغل لحكومة بلجكة عند مرورنا فيها انهاء مسألة الكونغو التي اراد جلالة الملك ليوپلد ان يضمَّها الى مملكتهِ بعد ان كانت ملكهُ الخاصّ وذلك تحت شروط اشترطها على الشعب البلجكيّ وجدها بعضهم ثقيلة على كاهل الدولة

كان مسيرنا من بلجكة الى المانية على طريق هولندة وهي شقيقة بلجكة مدَّة اجيال عديدة واليوم رصيفتها وقرينتها في الاعمال النافعة. واتّفق انَّنا اجترنا في انحائها في يوم مولد ملكة البلاد ولهلمين فاقام الاهلون الافراح واجتمعوا في النوادي والمتنزهات وزيّنوا الشوارع. وكان البروتستانت والكاثوليك قلبًا واحدًا في هذه المظاهرات يلهجون جميعًا بمحامد صاحبة العيد. وممَّا لحظنا في كاثوليك هولندة تحمُّسهم الدينيّ فكنَّا نراهم يتقاطرون الى المعابد ويتلون السبحة في طريقهم دون حياء بشري ويؤدُّون للاكليروس كلّ شارات الاكرام والوقار حتى ان الكاهن في طريقهِ مشغول في ردّ السلام على كل من يلقاهُ. اما الحكومة فانَّها تعدُّهم من اصدق رعاياها واشدّهم غيرةً على صوالح البلاد

دخلنا التخوم الالمانية في ٤ آب على طريق «آخن» التي يدعوها الفرنج إكْس لاشاپال من اقدم حواضر المانية المشهورة في ايَّام كارلس الكبير ملك فرنسة وفيها كان كرسيّ مملكتهِ وقد ترى فيها حتى يومنا آثار راقية الى زمانهِ سُررنا بزيارتها. ثم واصلنا السير قاصدين كولونية. فمررنا بمقاطعات يَغلب عليها السكان الكاثوليك. وللدين في هذه

الولايات الشأن العظيم والسهم الأوفى . وكان الكاثوليك قبل وصولنا بأيام قد انجزوا مؤتمرهم السنويّ بروتق لم يسبق لهُ مثيل قبلًا . قيل انَّ عدد الفَعَلة الذين مشوا في موكب المؤتمر آخر يوم منهُ أناف على ستين الفاً حضروا الى دوسلدرف من كل جهات المانية فاذهلوا بايمانهم الحيّ كل من رآهم

ودخلنا في مساء ذلك اليوم مدينة كولونية فنزلنا اليها منتظرين بضع ساعات قطار برلين فسمح لنا هذا التأخير بان نزور البلدة وبعض آثارها العجيبة اخصُّها كنيستها الكاتدرائيَّة التي تجمع فيها كل محاسن الهندسة الكنسية من الطرز المعروف بالغوطيّ ومن رآها بنقوشها وزخارفها لا يكاد يصدّق انَّها مبنية بالحجارة وانَّما يحسبها تخاريم من الورق المقوَّى تفنَّنت فيهِ ايدي الصنعة . وواجهة هذا البناء العجيب مزدانة بجثين من التماثيل المقدَّسة التي تسحر اللبَّ ببدائعها . وفي اعلاها برجان مخروطان تخترق حرباتهما الجوّ على علوّ ١٥٠ مترًا . وداخل هذه الكنيسة يناسب خارجها بمحاسنهِ من حيث السعة والنقوش والبراعة الهندسية . هذا فضلًا عن ما في الكنيسة من الذخائر الثمينة كقبور الملوك المجوس الثلاثة وعصاة القديس بطرس الرعانية وسيف الملك كرلوس الكبير وآنية للتقديس ثمينة جدًّا . وفي كولونية ابنية أُخرى شهيرة كتحفها الغنيّ بالآثار النصرانية القديمة وآثار الفنون الجميلة وكمعبدها المختصّ بذكر القديسة اورسلا والشهيدات رفيقاتها اللواتي قتلهنَّ البرابرة في سبيل الايمان فقُبرت اجسادهنَّ في هذا المشهد

وعُدنا الى ركوب القطار مساء فقضينا صُلب ليلتنا في السفر حتى اذا اسفر الصباح نزلنا في محطة برلين

لم تكُ هذه العاصمة قبل القرن الثامن عشر سوى مدينة صغيرة لم يبلغ عدد سكَّانها مئة الف نفس فاتَّخذها فردريك الكبير (١٧٤٠-١٧٨٦) حاضرة لمملكة بروسيا وشيَّد فيها الابنية الفخيمة ودعا اليها العلماء وارباب التجارة والصناعة ولم تزل مذ ذاك الحين تصعد في سلَّم الترقي لاسيا في اواسط القرن السابق . وقد بلغت اوج العزّ والفخر بعد الحرب السبعينية لمَّا جعلها الامبراطور غليوم الاوَّل (١٨٦١-١٨٦٨) رأس المملكة الالمانية واجداها من المحاسن ما يحقّ لمثلها من امهات المدن . فتراها اليوم تجاري باريس ولندن بقصورها ومعاهدها العمومية الفخيمة ومبانيها الباسقة ومعابدها المستحدثة مع تجهيزها بكل الاختراعات الجديدة وتزيينها بالمكاتب العديدة والمتاحف

الفريدة وآثار الامم القديمة من البابليين الى العرب . وعدد اهلها اليوم على موجب الاحصاء الذي تمَّ في شهر اذار من السنة الجارية ٢,١٠١,٩٣٣ يَغلب عليهم الدين البروتستاني مع شيعهِ المتعدّدة ومن بعدهم الكاثوليك الذين ينيفون على ربع المليون ثمَّ اليهود وهم فيها مئة الف . ويكثر الاجانب والغرباء في برلين فانَّ عددهم في السنة المنصرمة زاد على مليون بينهم ٨٩٠ من رعايا الدولة العلية . وموقع المدينة على نهر سپراي الذي تسير فيهِ السفن

مؤتمر برلين

كان هذا المؤتمر الاوَّل مختصًا بالدروس التاريخيـة على مختلف موادّها وتباين ازمنتها وهو الثاني من جنسهِ . وكان المؤتمر الاوَّل قد عُقد في رومية قبل خمس سنوات فأتى بنتائج حسنة ثم اتفق اصحابهُ بان يعقدوهُ ثانيـةً في عاصمة الالمان ليتَّسع بذلك نطاق العلوم التاريخية وجعل علماء المانية مذ ذاك الحين يعدُّون اللوازم لهذه الغاية . والحقُّ يقال انهم لم يألوا جهدًا في بلوغ منيتهم واصابوا الغرض فكان عدد الذين لبَّوا دعوتهم كاد يبلغ الالف عدًّا قدموا الى برلين من كل انحاء اوربَّة بل من اميركة وآسيـة وافريقية

﴿ تنظيم المؤتمر ﴾ مذ تقرَّر اختيار برلين لمقـام المؤتمر التاريخي تشكَّل لتنظيمهِ لجنةٌ من كبار علماء كليَّتها لينظروا في كل مقتضيات هذه الحفلة الدوليـة وطبعوا لذلك نشرات ارسلوهـا الى جميع الدول والى الكلّيات والمدارس الجامعة يدعون عمدتها الى حضور المؤتمر فكان كلٌّ من يُجيب الى هذه الدعوة يُعلن برغوبه الى كاتب اسرار اللجنة ويدفع مبلغًا قليلًا لا يتجاوز عشرين مركًا اي ليرة المانيـة تؤهلهُ لقبول كل المطبوعات المختصة بالمؤتمر . ويحقُّ لكل من اراد من العلماء المدعوّين ان يلقي خطابًا في بعض المواضيع التاريخية بشرط ان يخابر بذلك اصحاب اللجنة ليكونوا على بصيرة

ولمَّا كانت ابواب التاريخ متعدّدة يصعب استيفاء مضامينها في جمعية واحدة قسم اصحاب اللجنة التدبيريَّة المعارف التاريخية الى فروع مختلفة يرجع اليها العلماء على حسب ابحاثها . فكان فرعٌ للتاريخ القديم ولتاريخ اليونان والرومـان وفرع لتاريخ القرون

الوسطى ولتاريخ الازمنة الاخيرة . ومن الاقسام التي خصُوها بالنظر تاريخ الشرق وتاريخ الدول الاسلامية . وكان العلماء الذين طلبوا الانضواء الى هذا القسم الاخير اكثر من سواهم لما يترتّب على تاريخ الشرق من الخطر وعظم الشأن

﴿ مقدمات المؤتمر ﴾ لم تدخر بلديّة برلين وسعًا في تهيئة الأندية التي يحتاج اليها اصحاب المؤتمر لاجتماعاتهم العلمية فخصّت لذلك ارحب معاهدها وابدعها اعني دار الندوة الالمانية ومنتدى مجلس الاعيان . وفي تلك الدار الدواوين الفسيحة المزدانة بالنقوش البهية والحُجَر الواسعة والمكاتب والمطاعم . وبقربها مباني أُخرى ذات الغُرَف المتّسعة الارجاء افردتها كلها لاشغال المؤتمر

واقامت لجنة التدبير في خدمة المؤتمرين فئاتٍ خاصّة تسعى في صوالحهم وتفيدهم كلّ ما يحتاجون اليهِ مدّة اقامتهم في المدينة كتعريف منازل برلين ومشاهدها . وكانت فئة أُخرى مختصة ببريدهم ومكاتباتهم ونقل الاخبار بينهم اما بالتلغراف واما بالتليفون . وكذلك عيّنت اللجنة افرادًا من اهل برلين رصدتهم لخدمة كل جنس من الوافدين وميّزتهم بالعلامات الخاصّة على حسب لغاتهم

وفي اليوم السابق لافتتاح المؤتمر اخذ الوفود يتواردون من كل فجّ وأوب الى المدينة . وكانوا يأتون دار الندوة حيث ترحب بهم اللّجنات الخاصّة وتدوّن اسماءهم وعنوان سكنهم في برلين ثم توزّع عليهم نشرات المؤتمر في اربع لغات اي الالمانية والانكليزيّة والافرنسيّة والايطاليّة فتبيّن لهم كلّ ما يلزمهم معرفتهُ من امور المؤتمر وجلساتهِ . وكانت تتحف ايضًا كل وافدٍ بدليل واسع يتضمّن كلّ اوصاف برلين مع خارطة بديعة ترسم جميع احيائها ومبانيها . وهذا الكتاب قد صنّفتهُ اللجنة لفائدة اهل المؤتمر . وكانت تضيف الى ذلك شارةً محفورة تمثل إلهة الحكمة فتعطيها لكل عضوٍ ليمتاز بها ويعرفهُ رصفاؤهُ والمأمورون جميعًا فلا يعوقوهُ في دخولهِ وخروجهِ ويساعدوهُ في كلّ مهامّ المؤتمر

وفي مساء ذلك النهار نحو الساعة الثامنة استدعت بلديّة برلين كلّ افراد المؤتمر علىَ اختلاف الجنسيّات لتتلو عليهم آيات الترحاب ويتعرّف بعضهم بالبعض الآخر تسهيلًا لاشغال المؤتمر . فلمّا انتظم سلكهم قام رئيس البلديّة وافتتح كلامهُ بالسلام على الوافدين معربًا عمّا نالتهُ برلين من الشرف بقدوم هؤلاء العلماء الذين تفتخر بهم دولهم

ويرفعون في بلادهم لواء المعارف والآداب · ثم ابرز رسالةً انفذهـا الامبراطور غليوم تلغرافيًا لاصحاب المؤتمر يشكرهم على مجيئهم الى حاضرة مملكته ويتأسف على كون الاشغال لم تمكّنهُ من استقبالهم بنفسهِ لتجوُّلهِ في انحاء بلادهِ · وأُديرت على الحضور الرطبات والحلويات · ثم خُتمت هذه الحفلة نحو الساعة الحادية عشرة

وفي ضحى اليوم الثاني الواقع في ٦ آب عُقدت الجلسة الاولى الافتتاحيَّة العامَّة تصدَّرت فيها العمدة البرلينيَّـة وقام خطباؤها كلٌّ على نوبتهِ فتكلموا في غاية المؤتمر وفوائدهِ وما يترتَّب على انعقادهِ من تعزيز الدروس التاريخيَّة الى غير ذلك من المواضيع الشريفة وكانوا يرحّبون بممثلي الدول الاجنبيَّة ويُطرئون همَّـة اصحابها · ثم قام هؤلاء المندوبون واجاب كلٌّ منهم بلسانهِ شاكرًا باسم دولتهِ ومبديًا الرجاء بان يكون هـذا المؤتمر باعثًا جديدًا على رفع شأن درس التاريخ ورابطًا وثيقًا بين العلماء

وبعد نجاز الخطب اختارت اللجنة الالمانيـة علماء اجانب مشهودًا لهم في بلادهم ليرأسوا حفلات المؤتمر العموميَّة وتنازلوا لهم عن التقدُّم في الجلسات العموميَّة · وبذلك ظهر الاخاء والمساواة بين جميع انصار العلم · · وكذلك الحفلات الخصوصيَّة لكل فرع من التاريخ كان يتصدَّر فيها مع علماء الالمان غيرهم من رصفائهم الاجانب لا يلحظون في اختيارهم سوى الاهليَّة والعلم

﴿ مباحث المؤتمر ﴾ هذا المجال واسع لا يمكنَّا استيفاء اقسامهِ في هـذه المقالة · وقد بلغت الابحاث التي خاض فيها المؤتمرون فوق المئة نذكر هنا بعضها للافادة

كان للتاريخ القديم في هذا المؤتمر مقام ممتاز فخطب العلّامـة البلجكي فرنتز كومون (F. Cumont) في تاريخ دين البابليين وعلاقاتهِ مع السيَّارات السبع · وخطب العلّامة ماسپرو (G. Maspero) في آثار مصر التاريخيَّة ومساعي العلماء الاوربيين في انقاذها من عَيث المفسدين · وخطب ايضاً في تاريخ مصر القديم الأثريُّ الانكليزي غرنفل (B. P. Grenfell) فوصف اكتشافات البرديّ في الفيُّوم · وكذلك العلامة رَيسنِر (G. Reisner) من علماء كمبردج في اميركا وصف المدافن الملكيَّة من السلالة الرابعة المكتشفة في مصر · وتلاهُ العلامة الالماني بورخرت (L. Borchardt) نزيل مصر فافاض في ذكر المدافن الملكية من السلالة المصريَّة الخامسة التي وقفت عليها البعثة الالمانية في بوصير · واتَّسع لوغرين (Legrain) العلامـة الفرنسويّ في

اكتشافات كرتك العجيبة التي سبق المشرق فوصفها في سنتهِ الثامنــة . وتكلَّم المعلم الارلندي ماهافي (S. P. Mahaffy) عن اميرات مصر وملكاتهــا القديمات . امَّا الاستاذ غونكل (H. Gunkel) من غيشن فانهُ قابل بين الآثار المصريَّة وروايات الكتب المقدسة ليبين ما بينهما من التوافق

ومن المقالات المنوطة بالتاريخ العبرانيّ والاراضي المقدَّسة مقالة المعلّم الانكليزي وليم داڤيس (T. W. Davies) في مشروعات اليهود الدينيَّة بعد رجوعهم من بابل ومقالة المعلّم النمساوي سلّين (E. Sellin) في حفريات اريحا والآثار الكنعانيَّة التي توفّق الى اكتشافها.

وتعدَّدت الخطب في تاريخ اليونان وتاريخ الرومان قبــل ميلاد المسيح فكان بعضها في اكتشافات البعثات العلميَّة وبعضها في مسائل خاصَّة بافراد من علماء اليونان كارخيميدس وغيرهِ ومنها في المستعمرات اليونانيَّة . ومنها ايضًا في تاريخ الاترسكيين الذين خلفهم الرومان . وفي الفنون اليونانيَّة والرومانيَّة

امَّا التاريخ بعد المسيح فانَّ الابحاث فيه تنوَّعت فمنها ما كان دينيًّا ومنها ما كان مدنيًّا ومنها ما يتناول عموم البلاد ومنها ما يختصّ ببلد واحد او امَّة واحدة او شخص واحد وذلك سواء في القرون الاولى او القرون الوسطى او الاجيــال المتأخرة لانَّ التاريخ يعمّ كل هذه الموادّ . وقد أُلحق البعض بهذه العلوم التاريخيَّــة مباحث أُخرى كتاريخ الفنون والآداب والهندسة واخبار الرسوم والشرائع وتاريخ اللغــات والعلوم الطبيعيَّة وغير ذلك مما لا ينحصر في حيّز التاريخ لكنهُ ينوط بهِ نوعًا فمن المقالات التي استلفتت الابصار مقالة السريّ وليم رمساي (W. Ramsay) في النظــام الكنسيّ في بلاد آسية الصغرى من حدود القرن الرابع الى الحادي عشر مستندًا الى الآثار التي اكتُشفت في كل الجهات . وكل يعلم ما للخطيب من الفضل في تلك الحفريات وانهُ مكتشف ضريح القديس ابرقيوس المزيَّن بكتابةٍ تُعدّ من اخطر الآثار النصرانية . ومنها خطبة الالمانيّ لوفس (F. Loofs) من كليَّة هال في مجمع سرديقة سنة ٣٤٣ . ومنها فصلٌ حسن للايطالي ريكوبونو (S. Riccobono) في رسوم الملك يستنيان وتأثير النصرانيَّة فيها . وكذلك بيَّن الاستاذ الهولندي پيپر (F. Pijper) من كليَّة ليدن فضــل الكنيسة في إبطال الرقّ في القرون المتوسّطة

اما تاريخ الشرق والاسلام فاخصّ ما سمعناه خطاب للبرنس الايطالي كايتاني (L. Caetani) في اصول التاريخ الاسلاميّ . وكان لكلام الخطيب الوقع الحسن لانهُ ممّن برّزوا في هذا البحث وقد اشتهر بتاريخهِ الايطاليّ عن ظهور الاسلام وانتشارهِ وهو اوسع كتاب وُضع في هذا الصدد . وخطب العلّامة بكّر (C.H.Becker) من اساتذة هيدلبرغ البارعين في اقتصاد العرب المالي في بداءة الفتح المصري . ومن الخطب التي استجادها الحضور خطبة افرنسية لحضرة الاب لامنس في خلافة ابي بكر وعمر بعد وفاة صاحب الدعوة العربية . وقد انتهزنا نحن فرصة تقدمة بعض مطبوعات كلّيتنا لاهل المؤتمر لنبيّن ما للسوريين من الهمّة في نشر الآثار التاريخيّة . وهو بحث سنعود اليهِ ان شاء الله في بعض اعداد مجلّتنا

فمن هذا النظر الاجمالي يرى القرّاء ما نجم عن هذا المؤتمر من الفوائد وما جرى فيهِ من الابحاث المهمّة وكنّا وددنا لو ارسلت دولتنا العليّة والحكومة المصريّة مَن يمثلهما في هذا الاجتماع العلميّ ليستقوا من مواردهِ ويقتبسوا من انوارهِ ويبعثوا بين مواطنيهم روح الغيرة في مجاراة علماء اوربّة . وكفى بهذه الاجتماعات الدولية نفعًا انّ كبار العلماء واساتذة الدول المتفرّقين يقتربون الى بعضهم وتتبادل افكارهم والنور كما قيل ينبعث باحتكاك العقول

ولم تشأ اللجنة التنظيميّة أن يتفرّغ العلماء لابحاثهم دون ان يأخذوا نصيبًا من الراحة فتفنّنت لتجعل لهم سكنى برلين لذيذةً مفيدة فتارةً كانت تجمعهم للآدب يأنسون بها في جملة الاصحاب وافاضل الجلساء . وتارةً كانت تدعوهم الى زيارة متاحفها وآثارها وتقيم في خدمتهم من يكون لهم دليلًا عريفًا . وحينًا كانت تُعدّ لهم السكك الحديدية ليزوروا ضواحي المدينة وخصوصًا القصور الملكيّة في بُتْسدام (Postdam) . ومما زرناهُ متحف القيصر فردريك لاسيا القسم الشرقيّ منهُ وهناك عاديّات نقلوها من كل انحاء الشرق من نقوش وادوات وحليّ وطنافس واسلحة تشهر كلّها بترقي الشرقيين في التمدُّن في الاجيال السالفة . وفي هذا المتحف خصوصًا واجهة قصر المشتّى وهو البناء العجيب الذي اقامهُ كما يرجّح بنو اميّة على طرف بادية الشام فاتحف بهِ جلالة السلطان عبد الحميد قيصر الالمان فنُقلت حجارهُ الى برلين وشُيّدت كما كانت في البادية . وقد اخذنا العجب من عظمة هذا الاثر وهندستهِ الجميلة ونقوشهِ الرائعة التي تمثل ضروب النبات

والحيوان واعمال اهل البادية (راجع المشرق ١ :٥٧٧ و ١٠ :٥٧٨) . وفيهِ ايضاً قسمٌ مختصّ بالآثار البوزنطيَّة القديمة تكثر فيـهِ التصاوير والنقوش والمنحوتات والمنسوجات واعمال الفسيفساء والطُّرَف الصناعية العجيبة . ومعظم هذه الآثار دينيٌّ محض اتَّخذهُ البوزنطيون لعبادتهم . وقد لحظنا في جملة هذه الآثار تصاوير حفريَّة وتماثيـل مجسَّمة بالخشب والحديد والرخام ما فيهِ دليل لامع على انَّ البوزنطيين لم يعتبروا اكرام التماثيل والدُّمى مخالفاً للعبادة المسيحية (راجع مقالتنا في هذا الشأن ص ٤٣٠)

ومما نُقل حديثًا الى برلين عاديَّات غاية في الحسن اكتشفتها البعثة الالمانيـة في تركستان قريباً من تخوم الصين وقد وصفها العلّامة البرلينيّ فون لوكوك (A. von Lecoq) بخطبة القاها في مؤتمرَيْ برلين وكوپنهاغ وابرز صورهـا بالنور الكهربائيّ فانذهل الجميع لتقدُّم الصناعة والفنون في تلك البلاد القاصية في الاجيال السالفة . وكان من جملة هذه الآثار كتابات اسطرنجيليَّة ترتقي الى القرن السابع للمسيح تنبئ بانتشار النصرانية في تلك الجهـات . وقد وُجدت هناك ايضاً بقايا من الشيعة المانويَّة وكتاباتها وتعاليمها هذا فضلًا عن آثار التتر والمغول وقبائل الترك القديمة التي لم يُعرف من احوالها سابقاً الَّا الشيء القليل

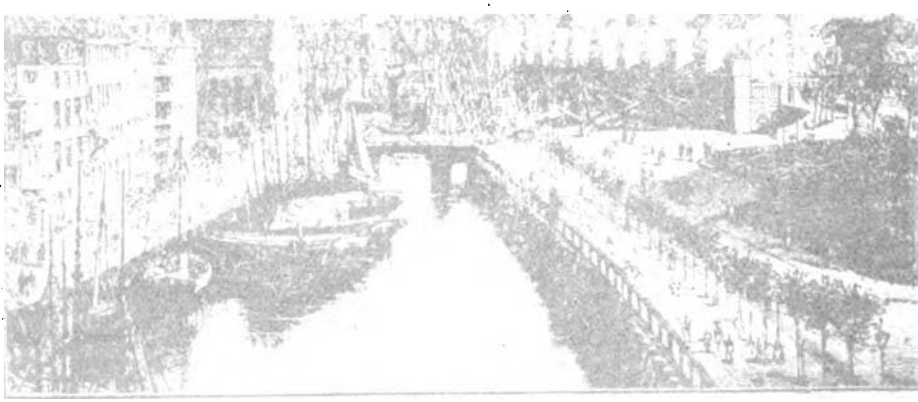
مؤتمر المستشرقين في كوپنهاغ

انتهى المؤتمر الاوَّل الذي حضرنا جلساتهِ في مساء الاربعـاء الواقع في ١٢ آب فودَّعنا المعارف والاحباب وتحفَّزنا للسفر الى عاصمـة الدنيمرك حيث كان موعد المؤتمر الثاني بعد يومين

ركبنا القطار صباح الخميس من برلين ومعنا نحو عشرين من علمائها رافقونا ليحضروا مؤتمر كوپنهاغ . والسكَّة الحديديَّة تقطع المسافة بين المدينتين بنحو ١٠ ساعات فيسير القطار شماليّ المانية بين البحيرات والسهول في مقاطعة مكلنبرغ . وهذه المقاطعـة قليلة الخير وتربتها لا تصلح للزراعة وكذلك مدنها العامرة ليست هناك بعديدة اخصُّها لوبك والمدن الواقعة على سواحل بحر البلتيك مثل كونسبرغ ودنتسيغ وستاتين وقد ارتفع قدر هذه المدن واتَّسعت تجارتهـا بعد فتح قناة كيل بين بحر الشمال وبحر البلتيك . وفي ظهيرة النهار بلغ بنا القطار الى روستـك وهي على شاطئ البحر بازاء بلاد الدنيمرك يفصل بينهما البلتيك بمسافة نحو اربعين كيلو متراً كان يقطعها الركاب في السفن . واليوم



منظر مدينه برلين



صورة كوپنهاك عاصمة دانيمرقه و نروج

قد اخترعوا طريقةً جديدةً لنقل الركاب فانَّ القطار الحديدي اذا بلغ ساحل البحر يجري منهُ الى السفينة مع ركابهِ فتنقل السفينة القطارَ الحديدي برمَّتهِ فاذا بلغت السفينة بلاد الدنيمرك خرج القطار ببخاره من السفينة الى البرّ وواصل سيره . وفي هذه الطريقة اقتصاد كبير للوقت وللمصاريف . وقد اخذت شركات السكك الحديديَّة تجري على هذا المنوال في امكنة اخرى كما رأينا بين ايطالية وصقلّية مركباً ناقلًا لقواطر السكَّة الحديديَّة بينهما . وقد اتفقت مؤخرًا دولتا فرنسة وانكلترة على العمل بذلك في مضيق المَنْش لنفع البلادين

بلاد الدنيمرك متألفة من عدَّة جزائر او ارخبيل ومن شبه جزيرة فالبحار تحدق بها من اكثر جهاتها وتجعل هواءها معتدلًا مع وقوعها بين الدرجة ٥٣ و٥٧ من العرض الشمالي وسكّانها اليوم نحو ٢,٣٠٠,٠٠٠ وكانوا يبلغون ثلاثة ملايين بنيّف قبل ان تستولي بروسيا سنة ١٨٦٤ على ثلاث مقاطعات كبيرة من بلادها وقد أحفظ ذلك الدنيمركيين وهم لا يزالون حتى اليوم يسرُّون العداوة للالمانيين وينفرون عنهم ويجاهرون بمثالبهم

وبلاد الدنيمرك زاهية عامرة وتربتها حسنة تكثر فيها المنتجعات والمواشي الراعية والاحراج الواسعة . اما اهلها فطباعهم دمثة وهم فرهون يحبُّون الاعمال الشريفة ويسعون في ترقية بلادهم ومع انكبابهم على الاشغال تراهم رزينين ملازمين السكينة والصمت لا تكاد تسمع صوتهم في الشوارع . ولغة اهل الدنيمرك من فروع اللغات الجرمانية تشبه اللغة الاسوجيَّة والنروجيَّة وهم يدرسونها ويعدلون عن غيرها الّا الفرنسويَّة فانهم يتعلمونها في مدارسهم ويفضلونها على اللغة الالمانيَّة . وفي مؤتمر المستشرقين اختار الدنيمركيون اللغة الافرنسيَّة كاللغة الرسمية مع الرخصة للعلماء بان يتكلّموا بلغتهم الاصلية اذا شاؤُوا

كوبنهاغ عاصمة الدنيمرك قائمة على الطرف الشرقي من جزيرة كبيرة تدعى سيلند بازاء بلاد اسوج التي تُرى سواحلها على بعد نحو نصف الساعة . وهي من اجمل مدن اوربَّة الحديثة فيها الابنية الشاهقة والاسواق الرائجة والساحات المتسعة والبيوت العامرة لا ينقصها شيء من اسباب التمدن العصريّ . واذا مررت بشوارعها رأيتها رحبة يزيد عرضها على خمسين مترًا تسير فيهِ السابلة والدرَّاجات والعربات والاوتوموبيل والترامواي ولكل صنف طريقهُ الخاصّ بهِ لئلا يحدث بينهم ازدحام . والدرَّاجات في كوبنهاغ اوفر منها في

باريس ولندن ترى راكبيها بالمئين لا يختلف في ذلك ذكورهم واناثهم حتى سمعتُ احد رفقتي يقول انّ كوبنهاغ احقّ من غيرها بان تدعي مدينة الدرّاجات. وقد نمت كوبنهاغ في نصف هذا القرن الاخير حتى بلغ عدد سكانها ٤٢٦,٥٠٠ ومع ضواحيها ٥١٤,٠٠٠ وفيها مقام الملك الذي هو اليوم فردريك الثامن. امّا الدين الوطني فالبروتستانية منذ عهد الاصلاح اللوتراني الموهوم. وقد اقرّت الدولة بحريّة الاديان منذ نحو خمسين سنة فاخذت الكثلكة تسترجع حقوقها السابقة وهي التي اولت بلاد دنيمرك قديمًا من سوابغ النعم ما تنطق بهِ تواريخهم. والكنيسة الرومانية تكرّم بعض ملوكهم بصفة قدّيسين وليست كوبنهاغ عاصمتهم سوى اثر احد الاساقفة الكاثوليك اسمهُ ابشالوم ابتناها سنة ١١٦٧ وجعلها حصنًا حصينًا في وجه القرصان والغزاة. وترى اليوم تمثالهُ على واجهة المجلس البلديّ في زيّ الاساقفة على رأسهِ التاج وفي يمينهِ العصاة الرعويّة

القينا عصا الترحال في كوبنهاغ في اصيل النهار وكان الآباء اليسوعيّون المقيمون في المدينة اسرعوا لاستقبالنا فانزلونا في مدرستهم وتحفّوا بنا شأن الاخوة باخوتهم. ولآباء رهبانيّتنا في كوبنهاغ مدرستان عامرتان الواحدة على اسم القديس اندراوس وهي اقدم في رَبَض المدينة على مسافة ساعة منها يقصدها الشبان العديدون لطلب العلوم العالية. والثانية في قلب المدينة وهي احدث عهدًا ستصبح قريبًا من اخطر المدارس واعظمها شأنًا والحكومة مع كونها بروتستانية اعربت غير مرّة عن رضاها بتعليم المدرستين وخوّلت اصحابهما الامتيازات الشرفيّة

وما لبثنا بعد ساعة من الراحة ان دُعينا الى مجلس البلديّة حيث اعدّ ارباب الحكومة وعمدة كليّة كوبنهاغ ردهة كبيرة لاستقبال وفد هذا المؤتمر الثاني فتُليت آيات الترحيب وتلا رئيس الكليّة نبأً برقيًا ارسلهُ جلالة الملك للعلماء المستشرقين وكان حينئذٍ بعيدًا عن عاصمتهِ فلمّا عاد اليها بعد ثلاثة ايام حضر بشخصهِ احدى جلسات المحفل العلميّ ووجّه الخطاب الى كلّ من ممثلي الدول الاجنبية. والملك رجل دمث الاخلاق ليّن الجانب يؤانس كلّ من يقترب منهُ. وقد رأيناهُ يومًا مع كريمتهِ في باب حديقة يمرّ بهِ الناس فيسلمون عليهِ ويرد على جميعهم السلام كانهُ واحد منهم. وهو لم يملك الّا منذ سنتين وقد خلف اباه كرستيان التاسع الذي طالت مدتهُ ٤٣ سنة

قلنا انّ هذا المؤتمر الثاني هو مؤتمر المستشرقين اعني انهُ خُصّ بالمباحث الشرقيـة على اختلاف انواعها ولغاتها. وهو الخامس عشر من جنسهِ اذ يُعقـد كل سنتين او ثلاث سنوات. وكانت حفلتهُ الاولى في باريس سنة ١٨٧٣ ثمَّ عُقد بعـد ذلك في معظم حواضر اوربّة كلندن وبرلين وليدن وفينة وستوكهلم. وكانت حفلتهُ الاخيرة في مدينة الجزائر. وتشهد الاعمال التي نُشرت من هذه المجتمعات العلمية ما نجم عنها من الفوائد للآداب الشرقية عموماً والعربيّة خصوصاً

لا نُطيل الكلام في وصف هذا المؤتمر فانَّ ترتيبهُ كان كترتيب المؤتمر السـابق الّا انَّ موادّه كانت الشرقيَّات ولما كانت الشرقيَّات متَّسعة تشمل بلاداً شتى كالصين واليابان والعراق ومصر وفارس والشام ولغات مختلفة كاللغات الساميَّة واللغات الايرانيَّة والتتريَّة والهندوجرمانيَّة أُفرد لتلك البلاد وتلك اللغات محافل خاصَّة كما جرى في برلين للتاريخ. وكان لكلّ من اصحاب المؤتمر شعار خاصّ ايضاً يُعرفون بـهِ ويخوّلهم عدة انعامات كالسير مجاناً في الترامواي والدخول في المتاحف والمعاهد الخاصـة لا يرى احد شارة المؤتمرين على صدر عالمٍ الّا ورأى نفسهُ مشرَّفاً بخدمتـهِ. حتى ان الاهالين اعدّوا ايّام المؤتمر كأيّام عيد وطنيّ فدعوهم الى زيارة مآثرهم واناروا لاكرامهم حديقة واسعة تُدعى بحديقة تيفولي اقاموا فيها الالعاب الناريَّة وعزفوا فيها المعازف المطربة ثم ختموا تلك المظاهرات الولائيَّة بمأدبة فاخرة توفَّرت فيها المسرَّات وشربوا انخاب ممثلي كل الدول ودقّوا الحانهم الوطنيَّة

اما اشغال المؤتمر فانَّ مدارها كان على كل احوال الشرق من آثار وتاريخ ولغـة وآداب وهي لو جُمعت لأتألفت على اربعة او خمسة مجلدات ضخمة لا يسعنا سوى ذكر بعضها ممّا يفيد بلادنا. فمن ذلك عدَّة خطب ألقاها المستشرقون في العاديّات العبرانيَّة وتاريخ بني اسرائيل اخصها لستانلي كوك (St. A. Cook) من اساتذة كمبردج في حفريّات فلسطين والتاريخ الاسرائيليّ ثمَّ مقالة في هيكل جزيرة اسوان وآثارها المكتشفـة حديثاً (اطلب المشرق ١٠ : ٦٧٣ و١١ : ٥١) للدكتور باريرا مندس (H. Pereira Mendez) من نيويرك. ومنها مقالة في العلوم الفلكيَّة والرياضيَّة عنـد الاشوريين للاب اليسوعي الالماني كوغلر (F. X. Kugler). وخطب يسوعيّ آخر نزيل كليتنـا البيروتيَّة سابقاً الاب مِرْك في آثار كتابيَّة ارمنيَّة قديمة. وخطب العلامة الفرنسوي هوارت

(Cl. Huart) في مقامات ابن ناقية من كتبة القرن الحادي عشر وتكلّم الاستاذ لمبروس (Sp. Lambros) من كليّة اثينة في الكتابات التي تداولها السلطان بايزيد والاحبار الرومانيون . وبحث الاثيني كاروليديس (P. Carolidis) في اقدم مسجد صلّى فيهِ المسلمون في القسطنطينيّة . وكان موضوع كلام الاثري الفرنسوي ماسينيون (L. Massignon) عن مقابر المسلمين في بغداد وما طرأ عليها من التغييرات . وخطب حضرة الاب لامنس في البادية والحيرة لدى بني اميّة واستطرد الى ذكر القصور التي تُرى حتى اليوم في بادية الشام لاسيما قصر مشتّى الشهير فرجّح كونهُ من آثار الامويين . وستثبت هذه الخطبة في صفحات المشرق . وقد اتّخذ الفقير كاتب هذه الاسطر كمادة خطابهِ في المؤتمر الآثار الكتابيّة في التآليف الاسلاميّة كالتوراة والانجيل والزبور وصحف ابراهيم وموسى وما عرف منها الكتبة المسلمون فاثبتوه في مصنفاتهم وانتقد هذه المنقولات واشار الى اصلها

ومن المسائل الجليلة التي عُرضت في هذا المؤتمر فاستوقفت انظار اصحابهِ مسئلتان خطيرتان : الاولى مسئلة مُعجم عربيّ جامع يسدُّ خلل المعجمات السابقة يكون مبناهُ على التآليف العربيّة ويوضع على اسلوب علميّ كالقواميس المستحدثة مع بيان معاني الالفاظ الاصليّة والفرعيّة والمجازيّة وتعريف اشتقاق بعضها من بعض . وكان الخطيب المتكلم في هذا الموضوع مدير المجلة الاسيويّة الالمانية الدكتور فيشر (A. Fischer) فعيّن المؤتمر لجنةً للنظر في هذا الامر ووجود الطريقة العمليّة للقيام بالمشروع . امّا الثانية فتختص بالآثار البنائية والكتابات التاريخيّة التي على المساجد والقبور والابنية والقصور لتُجمع فتُنشر اقساماً على حسب المدن والبلاد . وقد تكلّم في هذا الصدد العلامة السويسري ڤان بركم (M. v. Berchem) الذي نشر اربعة اجزاء من هذه الاثريّات الاسلاميّة . وهو ساعٍ في مواصلة العمل وقد طلب من كلّ محبي الآثار العربيّة ان يؤازروه في هذا المشروع العظيم

وكان ختام هذا المؤتمر في ٢٠ آب فكرّرت عمدة كوپنهاغ شكرها للعلماء الذين شرفوا مدينتهم بعقد هذا المجمع العلميّ في عاصمتهم . ثم اتفق المؤتمرون على ان يتخذوا اثينة بعد سنتين كمقام المؤتمر السادس عشر . وياليتهم يختارون دفعةً أخرى بلادنا كمنتدى جمعيتهم العلميّة لينعش حضورهم بيننا الدروس الشرقيّة ويعلّموا مواطنينا الجدّ والنشاط

في احياء الآثار الدفينة . وقد قفلنا راجعين من الدنيمرك ثاني يوم بعد نهاية المؤتمر على طريق همبورغ فنقلتنا سفينة المانيّة الى مدينة كيل فعاينّا ذلك المرسى العجيب الذي فيهِ يُقيم الاسطول الالماني ورأينا القناة الحديثة التي تجمع بين بحر البلتيك وبحر الشمال وكان فتحها كمبدإٍ عصر جديد للبحريّة الالمانيّة

ولم يمرّ علينا يومان حتى رجعنا الى باريس ومنها الى مرسيلية فمصر فالاسكندريّة فبيروت ولم تقضِ في هذه الرحلة سوى شهر ونصف فكانت لسرعة تنقُّلنا في البلاد اشبه بحلمٍ يتخايل للنائم فيصبح واذا بحلمهِ قد توارى لم يبقَ لهُ منهُ سوى الذكر او كبرقٍ لمع فبهر نورهُ البصر لمحةً ثم امّحى فصار اثرًا بعد عين فسبحان الباقي الذي وحدهُ لا يعمل فيهِ الغيار مدى الادهار

كتاب نُخَب الذخائر

في احوال الجواهر

عُني بنشرهِ وتعليق حواشيهِ الاب لويس شيخو اليسوعي

توطئة

ان بين العلوم الطبيعيَّة فرعًا يفرده العلماء للبحث عن الجواهر والحجار الكريمة وقد عرف القدماء هذا العلم منذ القرون السالفة في كل الامم وقد اتسع فيهِ اليونان كارسطو وديوسقوريدس ثم الرومان كبلينيوس الطبيعي وكذلك العرب من بعدهم عُنوا بهذا العلم لمنافعهِ الجمة . امَّا غايتهُ فقد عرَّفها الحاج خليفة في كتاب كشف الظنون حيث قال (٢ : ٦٣٩) : «علم الجواهر علم يُبحث فيهِ عن كيفيَّة الجواهر المعدنيَّة : البريَّة كالالماس واللعل والياقوت والفيروزج . والبحريَّة كالدرّ والمرجان وغير ذلك ومعرفة جيّدها من رديئها بعلامات تخص (تختصّ) بكل نوع منها ومعرفة احوال كلّ منها وغايتهُ وغرضهُ ظاهر» . وللعرب في هذا الباب بعض المصنَّفات قد ضاع اكثرها الّا كتابًا شاع بينهم وهو كتاب ازهار الافكار في خواصّ جواهر الحجار صنَّفهُ ابو العبَّاس احمد بن يوسف القاهري الشهير بالتيفاشيّ المتوفى سنة ٦٥١ﻫ (١٢٥٣م) ومن هذا التاليف نسخٌ عديدة في خزائن الكتب الشرقية وقد نشرهُ بالطبع العلامة الايطاليّ انطونيو راناري (A. Raineri) في فيرنسة سنة ١٨١٨ ونقلهُ الى الايطاليّة ثم قام المستشرق الفرنسي كليمان موله (Cl.-Mullet) فنقلهُ الى الافرنسيَّة وزاد عليهِ ملحوظات شتى في المجلَّة الاسيويَّة (J.A., 6e *Série*, XI, 1-81 etc) استعارها من كتاب الاحجار لارسطو ترجمة لوقا بن سرافيون وكتاب سرّ

الاسرار في معرفة الجواهر والاحجار. وكتاب كنز التجار في معرفة الاحجار وغير ذلك من المخطوطات المصونة في مكتبة باريس

ومما اتحفنا بهِ آخرًا حضرة الاب انستاس الكرملي الفاضل كتاب نفيس استنسخهُ في بغداد على نسخة قديمة يظنُّها بيد المؤلف او بيد احد معاصريهِ طولها ١٨ سنتيمترًا ونصف في عرض ١٣س ومبنى الكتاب على الحجارة الكريمة وهو يُدعى «كتاب نُخب الذخائر في احوال الجواهر» وتُعرف منهُ نسخة اخرى مخطوطة في المكتبة الخديويَّة (٧: ٢١٤) وذكرهُ الحاج خليفة في كتاب كشف الظنون (٦: ١٢٤) قال من صاحبهِ انهُ «لخّص فيهِ كلام المتقدّمين والمتأخرين بين الحكماء في ذكر الجواهر النفيسة واصنافها وصفاتها ومعادنها المعروفة وقيمتها المشهورة وخواصّها ومنافعها». اما المؤلف فلا نعرف من امره الا القليل واسمهُ شمس الدين ابو عبدالله محمَّد بن ابراهيم بن ساعد الانصاري الشهير بابن الاكفاني. كان مولدهُ في سنجار واشتغل بالطب في مصر وكان موتهُ بالطاعون سنة ٧٤٩ (١٣٤٨) ولهُ تآليف جليلة محفوظة في الكتبخانة الخديوية وغيرها منها كشف الرَّين في احوال العين. وغنية اللبيب في غيبة الطبيب. ونهاية القصد في صناعة الفصد. والنظر والتحقيق في تقليب الرقيق. وارشاد القاصد الى اسنى المقاصد

بسم الله الرحمن الرحيم

يقول العبد الفقير الى الواحد الباري محمد بن ابراهيم بن ساعد الانصاري الحمد لله كفاء افضالهِ والصلاة على سيدنا محمد وآلهِ

(وبعد) فهذا كتاب لخَّصت فيهِ خلاصة كلام الاقدمين والمتأخرين من الحكماء المعتبرين في ذكر الجواهر النفيسة باصنافها وصفاتها ومعادنها المعروفة. وقيمتها المشهورة المألوفة. وخواصّها ومنافعها باوضح لفظٍ واصحّ معنًى ووسمتهُ «بنخب الذخائر في احوال الجواهر» وجانبتُ فيهِ الاطناب. وميَّزتُ فيهِ القشر عن اللباب. والله اسأل ان ينفع بهِ بمحمدٍ وآلهِ

❊ القول على الياقوت (١ ❊ اصنافهُ اربعة : الاحمر وهو اعلاها رتبةً واغلاها

١) قد اتَّسع كليمان مولّه في وصف الياقوت (J. A., 1868⁴. 30 - 64) وما قالهُ الشرقيُّون فيهِ وفي اجناسهِ المختلفة وقولهُ في ذلك يُعَدُّ حجةً وقد بيَّن هناك ان العرب ارادوا بالياقوت حجارًا كريمة غالية الثمن كثيرة الانواع توافق ما يدعوهُ العلماء الاوربيُّون باسم كورندون (corindon) وهم يطلقون عليهِ اسماء اخرى على اختلاف الوانهِ فيدعون الاحمر منهُ

قيمةً . والاصفر والازرق والابيض . وللاحمر سبع مراتب اعلاها الرُّماني ثم البَهرماني ثم الأُرجواني ثم اللَّحمي ثم البنفسجي ثم الجُلَّناريّ ثم الوردي

فالرمَّاني هو الشبيه بحب الرمَّان الغض الخالص الحمرة الشديد الصبغ الكثير الماء . ويوجد لونه بان يُقَطَّر على صفيحة فضة مجلاة قطرة دم قرمز اعني من عرق ضارب . فلون تلك القطرة على تلك الصفيحة هو الرمَّانيّ

والبهرماني يشبَّه بلون البهرمان وهو الصبغ الخالص الحاصل عن العصفر دون زردج (١ ومن الجوهريّين من يفضِّل البهرماني على الرماني والتفضيل انما هو بشدة الصبغ وكثرة المائية والشعاع . ومنهم من يقول هما شيء واحد وانَّما اهل العراق يقولون بهرماني واهل خراسان يقولون رمَّاني فالخلاف لفظي

والارجواني ايضاً شديد الحمرة . وقيل : كان الارجوانيُّ لباس قياصرة الروم وكان محظورًا عن السوقة الى زمن الاسكندر فانهُ اقتضى رأيهُ ان لا يختصّ الملك بلباس يُعرف بهِ فيُقصَدُ . ومنهم من يسمّي الارجواني الجَمْريّ بالجيم تشبيهاً لهُ بالجمر المتَّقد وصحَّفهُ بعضهم بالحَمريّ وكأن الحمري هو البنفسجي

واما اللحمي فهو دون الارجواني في الحمرة يشبه ماء اللَّحم الطريّ . الذي لم يَشبْهُ مِلحٌ . والبنفسجي يشوبُهُ كُهبَةٌ تخرجهُ عن خالص الحمرة وهو لون البَنَفش المعروف بالماذَنبيّ . واما الجُلَّناري فيَشوبُهُ بعض صفرةٍ . والورديّ يشوبُهُ بياض وهو انزل طبقات الاحمر . واجود هذه الالوان كلها ما توفَّر صبغهُ وماؤُهُ وشعاعُهُ وخلا عن النَّمَش وعن الحَرْمَليَّاتِ وهي حجارة تختلط بهِ وعن الرَّتم وهو وسخٌ فيهِ شبه الطين . وعن التَّفَث وهو كالصدع في الزجاجة اذا صُدمت يمنع نفوذ الضياء والاشفاف . وهذا قد يكون اصليًّا وقد يكون عارضًا . ومن عيوبهِ ايضاً اختلاف الصبغ فيشبه البُلقة ومنها غمامةٌ بيضاء صدفيةٌ تتصل ببعض سطوحهِ فان لم تكن غائرة (غائرة) ذهبت بالحك

(saphir rouge, thélésie, rubis,) والرمَّاني والجلنَّاري (grenadin) والارجواني (escarboucle) والحمريّ (améthyste oriental) والاسمانجونيّ (saphir oriental) والاصفر (topaze oriental) والابيض (saphir d'ean). ما اسم الياقوت فقد اشتقَّهُ العرب من لفظة يونانية (ὑάκινθος) التي تطلق اليوم على جنس آخر من الحجارة الكريمة

١) البهرمان بالفارسية العُصفر (safran) والزَّردج ماء العُصفر

واذا خالط الحمرةَ لونٌ غيرها يزول بالحمي. بالنار بتدريج، وتبقى الحمرة خالصة ولا يثبت على النار غيرُها ومتى زالت الحمرة بالحمي فليس بياقوت

ومعدن الياقوت بجبل يسمَّى الرَّاهون (١ في جزيرة سرنديب. وفي سيلان ومكران معدن الياقوت الاصفر والازرق وتحت جبل البرق معدن الياقوت الاحمر. والياقوت أصلَبُ الجواهر ولا يخدُشُهُ منها الّا الماس ولا ينجلي بخشب العُشَر (٢ الرَّطب وانّما يُسوَّى بالسُّنباذج (٣ ويُجلى على صفيحة نحاس بالجزع المكلّس والماء وهو اشدّ الجواهر صقالًا واكثرها ماء وشعاعُهُ في الليل في ضوء الشمع احمر وشعاع البلخش ونحوهِ ابيضُ

وذكر القدماء ان قيمة المثقال الفائق من الياقوت الاحمر ثلثة آلاف دينار. واما في الدولة العباسية فان الغالب من قيمتهِ ان الجيّد منهُ اذا كان وزن طسّوج يساوي خمسة دنانير وضعفهُ عشرين دينارًا وسُدسُ مثقال ثلثين دينارًا وثلثُ مثقال مائة وعشرين دينارًا ونصف مثقال اربعمائة دينار والمثقالُ بالف دينار والمثقال ونصف بالفي دينار هذا ما تقرَّر في ايام المأمون مع كثرة الجوهر في ذلك الزمان. والمثقال من البهرماني بثمانِ مائة دينار ومن الارجواني بخمس مائة دينار ومن الجلناري بمائتي دينار ومن اللحمي بمائة دينار. والبنفسجي يقاربُهُ. والوردي دون ذلك. وكان في خزانة الامير عين الدولة ياقوتةٌ شكلها شكل حبّة العنب وزنها اثنا عشر مثقالًا قُوّمت بعشرين الف دينار. وكان للمقتدر فصًّا (فصٌّ) يسمَّى ورقة الآس لانهُ كان على شكلها وزنهُ مثقالانِ الّا شعيرتانِ اشتراهُ بستين الف درهم

واما في هذا الزمان فان قيمة الياقوت وسائر الجواهر زادت كثيرًا. واما الياقوت الاصفر فاعلاهُ ما يقارب الجلّناري وبعدهُ المشمشي وبعدهُ الأُترّجي وبعدهُ التبنيّ. وبلغت قيمة الاصفر الجيّد المثقال مائة دينار. واما الازرق ويسمَّى الاكهب فاعلاه الكحلي ثم النيلي ثم اللازوَرْدي ثم السماني وكان في القديم قيمة الجيد من الازرق عشرة دنانير المثقال وما زاد فتزدا د قيمتهُ باضعاف ذلك. واما الابيض فانهُ يُحمل

١) الراهون من جبال سيلان وقد دعاهُ ابو الفداء في تقريم البلدان الرُّهون وقد صحّف في الادريسيّ بالرهوق. والشرقيون يزعمون انّ آدم نزل عليهِ بعد خروجهِ من الفردوس وانّ اثر قدمهِ يُرى حتّى اليوم ولذلك شاع ايضًا اسمهُ عند الفرنج بقمّة آدم (Pic d'Adam)

٢) العُشَر شجرة تدعى باسم العلم (asclepias gigantea)

٣) السنباذج حجر مسنّ يُعرف عند الفرنج باسم (émeri)

من سرنديب ويكون رزينًا باردًا في الفم واجوده البلّوري الكثير الماء وهو اقلّ قيمة من سائرها

قال ارسطوطاليس (١ انّ مزاج سائر اليواقيت حارّ يابس واذا عُلّق شيء من اي اصنافهِ كان على انسان اكسبَهُ مهابة في اعين الناس وسهّل عليهِ قضاء حوائجهِ ودفع عنهُ شرّ الطاعون. وقال ابن سينا: انّ خاصتهُ في التفريح وتقوية القلب ومقاومة السموم عظيمة وشهد جمع من القدماء انهُ اذا أُمسكَ في الفم فرحِ القلب. وقال الغافقي وغيره انهُ ينفع نفث الدم ويمنع جموده تعليقًا. وقال ابن زهر: انّ شرب سحيقهِ ينفع الجذام وان التختّم بهِ يدفع حدوث الصرع. وقال ابن وحشيّة: من علق عليهِ الياقوت الابيض اتسع رزقهُ وسهل تصرفهُ في المعاش

وفي زماننا هذا حجر نفيس يُعرف بعين الهرّ (٢ لشبهِ اياها كأنّ فيها زيبق (زئبقًا) يتحرّك يتغالى فيهِ الملوك والامراء ويقال انهُ من اصناف اليواقيت ويظهر من معادنها. وقيمتهُ اذا كان فائقًا وَزنته نحو نصف مثقال الفُ درهم فما فوقها. ويقال انهُ اصح وقاية لعين المجدور

﴿ القول على البَلخش ﴾ ويسمّى اللَّعل بالفارسيّة (٣ وهو جوهر احمر شفّاف مُسفِرٌ صافي يضاهي فائق الياقوت في اللون والرونق ويتخلّف عنهُ في الصلابة حتى يحتكّ بالمصادمات فيحتاج الى الجلاء بالمرقشيثا (٤ الذهبيّة وهو افضل ما جُلي بهِ هذا الجوهر ومنهُ ما يشبه الياقوت البهرماني ويُعرف باليازَكيّ هو اعلاها واغلاها

وكان يُباع في ايّام بني بُوَيه بقيمة الياقوت حتى عرفوهُ فنزل عن تلك القيمة وقُرّر ان يباع بالدرهم دون المثقال تفرقةً بينهُ وبين الياقوت. ومنهُ ما يميل الى البياض

---

١) هذه الخواصّ التي يذكرها المؤلف هنا ثم في الفصول الآتية عن ارسطو وبعض الاطبّاء والطبيعيين مبنيّة على توهّمات باطلة لا صحّة لها

٢) عين الهرّ نوع من الكوارتز يُدعى عند العلماء (astérie) او (quartz chatoyant) الطلب المجلّة الاسيويّة (JA. 1868 [1], 139)

٣) البلخش او اللّعل يسمّى عند الجوهريين الاوربيين (rubis balais) او (spinelle, JA. 1868[1], 109)

٤) المرقشيثا (marcassite) معدن مركّب من الحديد والكبريت وقليل من الزرنيخ والفضّة والذهب

ومنهُ ما يميل الى البنفسجيَّة وهما دون الاول ومعدنهُ بالمشرق على مسيرة ثلثة أيام من بَذخشان وهي له كالباب ومنهُ ما يوجد في غُلَفٍ شفَّافة ومنهُ ما يوجد بغير غلاف وشوهد منهُ ما يزيد وزنهُ على المائة درهم وكانت قيمتهُ في القديم عن كل درهم عشرين ديناراً وربَّما زاد عن ذلك وليس لهذا الجوهر منفعة كالياقوت بل يُشترى لحسنهِ

﴿ القول على البجادي (١ ﴾ ويعرف بالبنفش هو حجر يشبه الياقوت بعض الشبه الّا انهُ لا يضيء غالباً حتى يُلعَق من تحتهِ بالحفر ليشفَّ عن البطائن وشبَّه ارسطوطاليس لونهُ بنارٍ يشوبها دخان . ومنهُ ما يُجلب من سَرَنديب وهو ارفع طبقاته ويعرف بالماذَنبي ومنهُ ما يجلب من بذخشان ومنهُ ما يجلب من بلاد المغرب ويُعرف بالقَزوي ومنهُ ما يجلب من بلاد إفرنجة ومنهُ صنف يشوبه صفرة خَلوقيَّة ويُعرف بالاسبادِشت (٢ ويوجد في الخراساني منهُ ما يكون وزنهُ نصف منٍّ . امَّا السَرَنديبي فانهُ لا يتجاوز مقدار الياقوت بكثير وزنٍ . وقيل ان الجيّد منهُ يلتقط زَغَبَ الريش المنتوف ويبلغ قيمة الدرهم منهُ ديناراً واحداً . وقال ارسطوطاليس: ان من تختَّم بوزن عشرين شعيرة منهُ لم يرَ في منامهِ احلاماً رديَّةً ومن أدمَنَ النَّظر اليهِ نقص نور عينيه . وقال ابن ابي الاشعث: لبسهُ يورث الخيلاء ويحرّك الشبق . واما الاسبادشت فانهُ يقطع الرعاف وترف الدم تعليقاً اذا كان وزنهُ نصف مثقال فما فوقهُ

﴿ القول على الماس (٣ ﴾ هو جوهر يشبه الياقوت في الرزانة والصلابة وعدم الانفعال عن الحديد وقهرهِ لغيرهِ من الاحجار وهو شفَّاف فيهِ ادنى بَرق ويوجد فيهِ الابيض والزيتيّ والاصفر والاحمر والاخضر والازرق والاسود والفضي والحديدي . واشكال الماس كلها مضرَّسة مخروطيَّة ومثلثات من غير صنعةٍ . والهند تفضِّل منهُ الابيض والاصفر بسبب ما يظهر منهما من الشعاع الاحمر الشبيه بقوس قُزَح اذا اقيما في مقابلة

---

١) يسمّي الفرنج البجادي (grenat) والبنفش (hyacinthe) او (zircon) وهم يفرقون بينهما (اطلب المجلَّة الاسيويَّة JA. 1868 ¹, 117 et 120)

٢) وقد ضبطهُ كليمان مولّه بالياء والذال اسياذشت (sorte de zircon jaune)

٣) اطلب الفصل الذي خصَّهُ كليمان مولّه لدرس الماس عند العرب في المجلَّة الاسيويَّة (JA. 1868 ¹, 127-139)

عين الشمس . واما اهل العراق وخراسان فلا يفرقون بين الوانهِ لانهم انّما يستعملونهُ في ثَقب الجواهر خاصّةً ومعدنهُ بقرب معدن الياقوت ولهُ معدن بقرب غزنة ومعدن بمقدونية من بلاد الروم ولونهُ كلون النوشادر ومعدن باليمن وهو حديديّ اللون ومعدن بقبرس وهو فضي اللون رخو . ومن غريب حال الماس انهُ اذا طُرق بمطرقةٍ على سندان نكا فيهما ولا ينكسر واذا لُفَّ في صفيحة أُسرُبّ وضُرب انكسر وغالب ما يوجد منهُ قطعًا (قطعٌ) صغيرة بقدر الفلفل ونحوه . وكان قيمة هذه قديمًا المثقال بمائتي دينار . وما كان بقدر البندقة او قاربَهُ فيكون قيمتهُ من ثلثمائة دينار الى خمس مائة دينار

وحكى نصر الجوهري ان معزّ الدولة بن بُوَيه الديلميّ اهدى الى اخيهِ ركن الدولة من الماس فصًا وزنهُ ثلثة مثاقيل ولم يُسمع باعظم منهُ (١ . واخبرني السيد الشريف ناصر الدين الزمرديّ انهُ رأى عند السلطان قُطب الدين ملك الهند من الماس الجيّد الجليل القدر شيئًا كثيرًا جدًا ولعلّهم لا يسمحون بخروج جيّدهِ من ارضهم لانهم يتيامنون بهِ

قال ارسطوطاليس الماس بارد يابس في الرابعة يُثقَبُ بهِ الياقوت وسائر الاحجار الصلبة ومتى كان في مجرى البول حصاة فتلصق حبّة من هذا الحجر في حديدة كالقاثاطير ثم يُدخل في القضيب لتماسّ الحصاة فتُفتّتها . ولا ينبغي ان يُدخل في الفم فانهُ يكسر الاسنان وان ابتُلع منهُ شيء ربّما قتل

﴿ القول على الدرّ واللؤلؤ (٢ ﴾ الحيوان الذي يتولد فيهِ اللؤلؤ هو بعض الاصداف وهو دقيق القوائم لزج ينفتح بارادةٍ منهُ وينضمّ كذلك ويمشي اسرابًا ويزدحم على المرعى . واختلفوا في تولّدهِ في هذا الصدف فنهم من قال انهُ يتكوّن فيهِ كما يتكون البيض في الحيوان البيّاض . ذكر ذلك جمعٌ من المحققين وقيل بل يطلع الى سطح البحر في شهر نيسان وينفتح الصدف ويتلقّى المطر فينعقد حبًا . ذكرهُ نصر الجوهري وكثير من الناس

١) راجع في المشرق (٦ : ٨٦٥ و ٨ : ٢٨٥) مقالتين للاديب اسكندر افندي طحيني في قطع الماس الشهيرة بكبرها

٢) للؤلؤ اسم آخر ايضًا عند العرب فهم يدعونهُ الجوهر قال التيفاشيّ : والجوهر اسم عامّ للاحجار المعدنيّة ثم خصوهُ باللؤلؤ لفضلهِ عليها . والدرّة اذا ثُقبت لتنظم في قلادة دُعيت جمانة او شذرة وان لم تُثقب فهي الخريدة . راجع المجلّة الاسيويّة (JA. 1868¹, 16-17)

واقول عند التدقيق لا تضادّ بين القولين والجواز ان يكون تكوُّن اللؤلؤ في صدفه كتكوُّن البيض ويكون قطر نيسان لهُ بمثابة النطفة (١ . وقال الكنديّ: ان موضع اللؤلؤ من هذا الحيوان داخل الصدف وما كان منــهُ مما يلي الفم والاذن فهو الجيِّد منهُ . وقالوا انّ الحب الكبير انما يتكون في حُلقُومهِ ويزداد بالتفاف القشور عليهِ والدليل على ذلك انهُ يوجد طبقات والداخلة منها شبيهة بالخارجة وكلها تشابه باطن الصدف ولهُ مغاصات مشهورة في البحر الاخضر (٢ . ويوجد في مجازات بين تلك المغائص وبين تلك السواحل . ومن المغاصات المشهورة مغاص أوَال بالبحرَين ومغاص دَهلــك والسرّين ومغاص الشَّرَجة باليمن (٣ ومغاص القُلزُم بجوار جبل الطور ومغاص غبّ سرَنديب ومغاص سُفالة الزّنج ومغاص أسقطرة . وقد يتفق في بعض المغاصات مانع من الغوص كالحيوانات المؤذية التي في مغاص القُلزم ولهذا يدهن الغواصون عند الغوص ابــدانهم بالميعة السائلة لان الهوامّ البحريّة لا تقربها

ويختلف اللؤلؤ باختلاف المغاصات من جهة تربة المكان وغذاء الحيوان كما تغلب الرصاصيَّة على اللآلىء القُلزميَّة والدهلكيَّة والوقت الذي يُغاص فيــهِ هو من اوَّل نيسان الرومي الى اخر شهر ايلول . وفي ما عدا هذه المدة يسافر هذا الحيوان من السواحل ويُلجِّج . ويختلف اللؤلؤ بالمقدار فمنهُ الكبار والصغار وما بين ذلك واعظم ما وجد منهُ اليتيمة التي كانت عند عبد الملك بن مروان ذُكر انها كان وزنها ثلثة مثاقيــل وكانت مع ذلك حائزة لجميع صفات الحسن مدحرجة نقيَّة رطبة رائقة ولذلك سميت اليتيمة ولم يذكر عنها قيمة لكن ذكر الاخوان الرازيَّان انهمــا شاهدا في خزانة الامير يمين الدولة حبَّة ذات قاعدة وزنها مثقالان وثلث وانها قُوّمت بثلثين الف دينار . ويختلف اللؤلؤ ايضاً في شكلهِ فمنهُ المدحرج ويُعرف بالعيون واذا كثرت استدارتهُ وماؤه سُمي نجماً . ومنهُ المستطيل الزيتوني ومنهُ الغلامي وهو المستدير القاعدة المحدَّد الرأس كانــهُ

١) هذه المزاعم في اصل تكوُّن اللؤلؤ تناقلها الكتبة القدماء عن اليونان . واليوم قد ثبت ان اللؤلؤ من افرازات بعض الحيوانات الصدفيَّة يكون اوَّلاً مائعاً ثم يجمد ويتصلّب ويتكيَّف بلونٍ ابيض فضّي

٢) يريد بالبحر الاخضر بحر الهند المجاور للبحر الاحمر

٣) ذكر الادريسيّ في جغرافيَّتهِ مغاصات بحر فارس بين عمان والبحرين وجعلهــا خمسة سُحار ودمار ومسقط وخرك وجلفر

مخروط ومنهُ الفلكي المفرطح ومنهُ الفوفليّ واللوزي والشعيري ومنـــهُ المضرَّس وهو أدوَنُها شكلًا

ويختلف اللؤلؤ ايضاً في لونهِ فمنهُ النقي البياض ومنهُ الرصاصي ومنـــهُ العاجيّ وصفرتهُ غالباً في حساب المرضِ لهُ واذا زاد وطال زمانهُ اسودَّ ٠ واللؤلؤ سريع التغيُّر لانهُ حيوانيّ بخلاف الجواهر المعدنيَّة فان اعمارنا لا تفي بتغيُّر اكثرها ويُثقب هذا الحب لانهُ يزداد بحسن التأليف في النظم حسناً ورونقاً وقيمةً وانما يُثقب بالمـــاس فلذلك لم يستعمل الاطباء في الادوية الّا البكر غير المثقوب والقيمة عن الدرّ في القديم النجم اذا كان وزنهُ مثقالًا كانت قيمتهُ الف دينار واذا كان وزنهُ ثاني مثقـــالٍ كانت قيمتهُ خمسمائة دينار واذا كان وزنهُ نصف مثقال كانت قيمتهُ مائتي دينار واذا كان وزنهُ ثلث مثقال كانت قيمتهُ خمسين ديناراً ٠ واذا كان وزنهُ ربع مثقـــال كانت قيمتهُ عشرين ديناراً ٠ واذا كان وزنهُ سدس مثقال كانت قيمتـــهُ خمسة دنانير ٠ وثمن مثقال قيمتهُ ثلثة دنانير ٠ ونصف سدس مثقال قيمتهُ دينار واحد

والغلامي بالنصف من قيمة النجم وما عداهما بالنصف من قيمة الغلامي وامَّا ما زاد على مثقال فيزاد لكل قيراطٍ في الوزن مائة دينار في الثمن الى ان يبلغ مثقـــال ونصف ثم يزاد لكل دانق في الوزن خمسمائة دينار في الثمن الى ان يبلغ مثقالين وما زاد عليـــهِ يتضاعف قيمتهُ ٠ واما الآن فالقيمة على قياس الجواهر متضاعفـــة لكثرة الرغبات من ملوك العصر في اقتناء الجواهر النفيســـة ٠ وامَّا صغاره فبالدرهم يُقوَّم

وخاصيَّة اللؤلؤ المنفعة من خفقان القلب وتوحُّشهِ ويجلو العين ويزيد في الباه ويقطع نزف الدم وشربتهُ درهم والمحلول منهُ يُذهب البهق والبرص والكلف والنمش طلاءً ويبرئ الصداع والشقيقة سَعوطاً وصفة حلّهِ ان يُسحق ويُعجن بمـــاء حُمَّاض الاترج ويعلق في دنٍ فيهِ خلٌ بحيث يرتقي اليهِ بُخار الخل فانهُ ينحلّ في ثلثـــة اسابيع وهو يابس في الدرجة الثانية بارد في الاولى وقيل حارّ فيها لطيف جداً

قال نصر الجوهري: اذا ذهب ماء اللؤلؤ وكدر فينبغي ان يودع اليـــهِ مشروحهُ وتلفّ الالية في عجين مختمر ويجعل في كوز ويحمى عليهِ فاذا خرج دُهن بالكافور ٠ وقال ابو الريحان البيروني: ان ما كان تغيره من قبل الطيب فيجعل في قدح مطيَّن فيهِ صابون ونورة غير مطفية جزآن متساويان ويصبّ عليهِ ماء عذب وخلّ حميزٌ ويُغلى في

نار لينة ولا تزال ترفع رغوة الصابون وترمي بهـا الى ان تنقطع ويصفو الماء في القدح وبعد ذلك يُخرج اللؤلؤ ويُغسل وان كان التغير في أديمهِ الى السواد فيُنقع في لبن التين اربعين يوماً ثم يُنقل الى قدح فيـهِ محلبٌ وكافور وخروع اجزاء سواء ويوضع على نار فحم مقدار ساعتين بدون نفخ عليها ثمَّ يُنحّى. وان كان السواد في باطنـهِ طُلي بشمع وجُعل في قدح مع حُمّاض الاترج ويُبدَّل عليهِ كل ثلثة ايَّام وتُدام خضخضتهُ حتى يبيضّ. وان كان في اديمهِ صفرة تُنقع في لبن التين اربعين يوماً ثم يُنقل الى قدح فيـهِ قليٌ وصابون وبَورق بالسويَّة ويُفعل فيهِ كما يفعل بالاسود. وان كانت الصفرة في داخلهِ جُعل في محلب وسمسم وكافور متساوية الاجزاء مدقوقة ثم يُلفّ فوقها عجين وتوضع في مغرفة حديد وتُغمر بدهن الاكارع وتُغلى غليتين ثم تُخرَج . وان كان احمر أُغلي في لبن حليب ثم طُلي بأُشنان فارسيّ وشبّ يماني وكافور اجزاء متساوية تُدقّ ناعماً وتُعجن بلبن حليب ويُخبز في التنور. وان كان رصاصياً نُقع في حُمّاض الاترج ثلثة ايَّام ثم يُغسل بماء البيض ويُحفظ من الريح بالقطن. وذكر غيرهما في تبييض الفاسد ان يُلقى في خلّ ثقيف مع حبتين تنكار (١ وقيراط نوشادر وحبَّة بَورق وثلث حبات قلي مسحوقة ويُغلى في مغرفة حديد ثم ترفع المغرفة عن النار وتوضع في ماء بارد ويُدلك فيهِ بملح اندراني مسحوق ناعم ثم يُغسل بماء عذبٍ ولا يبعد ان هذا العمل ينزع عنـهُ قشره الاعلى او بعضهُ والتجربة خطر

﴿ القول في الزمرُّد (٢ ﴾ الخضرة تعمّ أصنافهُ كلها وافضلهُ ما كان مشبع الخضرة ذا رونق وشعاع لا يشوبـهُ سواد ولا صفرة ولا غش ولا حَرمليَّات ولا عروق بيض ولا تُغوث وليس يكاد يخلص عنها ودونهُ الريحاني الشبيـهُ بورق الآس الرطب ودونهُ السِّلقي الشبيه بورق الساق الطري واهل الهند والصين تفضِّل الريحاني منـهُ وترغب فيهِ واهل المغرب يرغبون لما كان مشبع الخضرة وان كان قليل المـاء ويزداد رونقاً اذا دُهن بزيت بزر الكتَّان واذا تُرك بدون دهن يذهب مـاؤه ويمتحن بالعقيق المحدد فان خدشهُ فهو من اشباه الزمرُّد. ومعدنهُ بسفح جبل قرشنده من ارض البُجاة

---

١) التنكار مركَّب من الصودا والبورات (tenkal, soude boratée)

٢) اطلب الفصل الذي خصَّهُ المستشرق كليمان موله في هذا المعدن (راجع المجلَّة الاسيويَّة (JA., l. c. 64)

بصعيد مصر الاعلى واكثر ما يظهر منهُ خرز مستطيلة ذات خمسة اسطحة ويُسمّى اقصاباً وثقبهُ يشينهُ بعكس اللؤلؤ وظهر في زماننا هذا من هذا المعدن قِطَع لم يُسمع بمثلها في العظم ما يقارب زِنةَ منٍّ ونحو ذلك والمشهور ان الدهنج يكدّر الزمرد اذا ملّسهُ (مسّهُ) ويُذهب رونقهُ وهو الآن بدون القيمة التي كانت في القديم بخلاف سائر الجواهر وما ذلك الّا لكثرته. فانّ ابا الريحان البيروني حكى ان زنة نصف مثقال من الجيد منهُ يساوي الف دينار وقيل انّ منهُ صنف (صنفاً) يُعرف بالذُبابي لانهُ يُشبه الذباب الطاووسيَّة التي تكون في المروج وانّ من خاصيَّة هذا الصنف ان الافاعي اذا نظرتهُ تسيل اعينها. وانا الى الان لم ارَ هذا الصنف ولكنني امتحنت الريحانيّ والسلقي في هذا الامر فلم يصحّ ولا تغيَّرت اعين الافاعي وخاصيَّة الزمرد النفع من السموم المشروبة ونهش الافاعي ولذع العقارب يؤخذ من سحيقهِ تسع شعيرات ويجد شاربهُ في بدنهِ وجعاً عظيماً والخلالا في قوتهِ ثم يفيق وقد انتفع ويوقف الجذام في ابتدائهِ ويقطع الاسهال المزمن ونفث الدم شرباً وتعليقاً ويقوّي المعدة وينفع الصرع تعليقاً وامساكه في الفم يقوّي الاسنان والمعدة. وان عُلِّق على فخذ المطلوقة اسرعت الولادة وادمان النظر اليهِ يجلو البصر ويحدُّه وطبعهُ بارد يابس

﴿ القول على الزَبَرْجد (١ ﴾ هو صنف واحد فستقي اللون شفّاف لكنهُ سريع الانطفاء لرخاوتهِ وقيل ان معدنهُ بالقرب من معدن الزمرد ولكنهُ مجهول في زماننا هذا ومع ذلك فقيمتهُ نحو قيمة البَنفش وطبعهُ حارّ يابس وتقرب منافعهُ من منافع الزمرد ويدفع شرّ العين

﴿ القول على الفَيْروزج (٢ ﴾ معنى اسمهِ بالفارسيَّة النصر ولذلك يُسمّى حجر الغلبة ويسمى ايضاً حجر العين لان حاملهُ يدفع عنهُ شرّها والمشهور عنهُ انهُ يدفع الصواعق وهو حجر ازرق اصلب من اللازورد يُجلب من اعمال نيسابور وكلّما كان ارطب فهو اجود والمختار منهُ ما كان من المعدن الازهري والبوسحاقي لانهُ مُشبَع اللون صقيل

---

١) الزبرجد يوافق الصنف المعروف باسم بريل (béryl) (راجع المجلة الاسيويَّة JA. 1868[1], 67)

٢) الفيروزج (بالفرنسويَّة turquoise) مشتقّ من الفارسيَّة فيروزه (راجع المجلة الاسيويَّة JA. l. c., 150)

مشرق ثم اللبنيّ المعروف بشيرقام ثم الاسمانجوني الغميق. قال ابو الريحان: اعظم ما وُجد من الفيروزج وزن مائة درهم ولم يوجد من الخالص منهُ غير المختلط بشيء غيره الّا وزن خمسة دراهم و بلغت قيمتهُ مائة دينار. قال الكندي: وقد كرهــهُ قوم بسبب تغيّره بالصحو والغيم والرياح وتصفير الروائح الطيبة لهُ واذهاب الحمَّام لمائهِ واماتتــهِ بالزيت. وكما انهُ يموت بالزيت فانــهُ يحيا بالشحم اولاً لية يعالج بان يجعل في ايدي القصّابين

قال ابن زهر: ان الملوك تعظم هذا الحجر لانهُ يدفع القتل عن صاحبه ولم يرَ في يد قتيل قطّ ولا في يد غريق واذا شُرب منهُ نفع لذعة العقرب. وقال الغافقي: انــهُ بارد يابس. وقال ديسقوريدس: انهُ يقبض نتوّ الحدقة وينفع بَثرها ويجمع حجب العين المنحرفة ويجلو الغشاوة. قال ارسطوطاليس: انهُ ينقص من هيبــة حاملهِ. وذكر هرمس انهُ اذا نُقش عليهِ صورة طائر في فمهِ سمكة وجُعل في خاتم وتحتهُ شيء من خصى الثعلب ويكون القمر وعطارد في النور فان حاملهُ يقوى على الجماع وتزداد شهوتهُ لهُ. وقال ابن ابي الاشعب: انهُ يقوّي القلب الّا انهُ دون الياقوت ووجدتُ نقلًا عن بعض الاطبــاء انهُ اقوى في تقوية النفس من سائر الاحجار

❁ القول في البلّور (١ ❁ يُجلب من خزائن الزّنج ومن كشمير ومن نواحي بذخشان ولهُ معدن ببَذليس ومعدن بارمينيــة ويجلب ايضاً من سرَنديب ومن بلاد افرنجة ومن الغرب الاقصى ومنهُ ما يُلتقط من البوادي وقيمتهُ بحسب ما يُعمل منهُ من الاواني وحسن صنعتها. ووُجد منهُ قطعة زِنَتها مائتي (مائتا) رطــل بالعراقي وافضلهُ المستنبط من بطن الارض ويكون ساطع البياض كثير المائيّة رزيناً صلباً بحيث يقدح منهُ النار ويخدش كثيراً من الجواهر بخلاف الملتقط من ظاهر الارض. ومن خاصيتهِ ان من علّقهُ عليهِ لم يرَ مناماً يفزعه ورأى احلاماً حسنة ويُسقّى منه مثقال بلبن الأتن لاصحاب السلّ فينفعهم وينفع الرّعشة تعليقاً

---

١) البلّور نوع من الزجاج الّا انهُ اصلب والفرنج يدعونهُ (quartz hyalin, cristal) (اطلب المجلة الاسيوية JA. 1868[1], 230)

﴿ القول على الجَمَز (١ ﴾ ويقال جَمَسْتٌ هو حجر يشبه الياقوت البنفسجي واعلاه ما غلت عليهِ الوردية ومعدنه بقرية الصفراء بالحجاز ويوجد مغشّى ببياض كالثلج على وجههِ حمرة ووُجد منهُ قدر الرطل واكثر . ينفع وجع المعدة تعليقًا والشرب بآنيتهِ يُبطئ بالسكر وقيمتهُ رخيصة

﴿ القول على الدَّهنج (٢ ﴾ هو حجر رخو شديد الخضرة تلوح فيهِ زنجاريّة وفيهِ خطوط سود دقاق جدًا وربما شابهُ حمرة خفيَّة ومنهُ طاووسيٌّ ومنهُ موشّى وقيل انهُ يصفو بصفاء الجوّ ويكدر بكدورتهِ ومنهُ فِرِنديٌّ وهو افضل اصنافهِ ومنهُ هنديٌّ ومنهُ كرمانيٌّ وخراساني ومنهُ كُرْكيٌّ ومنهُ مغربيٌّ . والهند ترى انهُ ضربٌ من التوتيا ويكون رخوًا وقت اخراجه من معدنهِ ثم يزداد صلابة . وقال ارسطوطاليس : ان شرب منهُ شارب السمّ نفعهُ وان شرب منهُ من غير سمّ كان سمًّا وقد وثق عامة الناس من الفِرِنْدي انهُ يجلو بياض العين جلاء حسنًا

﴿ القول على اليَشْب (٣ ﴾ ويقال يَشْم منهُ مجلوب من بلاد الترك من ناحية خُتَن (٤ والوانهُ ابيض واصفر وزيتي وهو افضلهما ومنهُ مستخرج من واديين يسمى احدهما قاش ويستخرج منهُ ابيض فائق ويسمى الآخر واقاش والمستخرج منهُ كدر . وربما خرج منه شيء اسود ولا يوصل الى معدنهِ وانما السيل يخرجه والقطع الكبار للملك والصغار للرعيَّة . والترك واهل الصين تتخذ منهُ مناطق وحلية للسيوف والسروج حرصًا على الغلبة . وزعموا انهُ يدفع الصواعق وجُرّب من الاصفر والزيتي انهُ ينفع وجع المعدة تعليقًا عليها وينفع اوجاع الاحشاء .

---

١) الجَمَز ويقال جَمَسْت وجمشت هو المدعوّ عند الاوربيين باسم (améthyste) (اطلب المجلة الاسيوية ib., 185)

٢) الدَّهنج من الفارسيَّة دَهْنَه يعرفهُ الفرنج باسم ملاشيت (malachite) (اطلب المجلة الاسيوية ib., 185)

٣) اليشب ويقال يسب ويصب ويسف نوع من الحجارة الكريمة يُدعى بالفرنسويّة (jaspe) ويشبهُ اليَشْم المدعوّ عندهم jade وقد جمع هنا المؤلف بينهما (اطلب المجلة الاسيوية ib., 222 et 226)

٤) خُتَن مدينة من بلاد ما وراء النهر من بلاد تركستان

﴿ القول على الفاذزَهر (١ ﴾ ويقال بازَهر ومنهُ معدني ومنـهُ حيواني والمعدني منهُ ابيض واصفر واخضر واغبر ومنكّت وهو افضلها ومعادنهُ بالهنـد والصين والخالص منهُ اذا أُلقي من سحالتهِ شيء في لبن حليب جمّده ويعرق في الشمس وهو نافع من جميع السموم ومقدار ما يشرب منهُ اثنا عشر شعيرة فيخرج السم بالعرق من الجسد واذا وُضع على لسع العقرب والزنبور نفع نفعاً بيّناً واذا نُثرت سحالتـهُ على موضع اللسع اجتذبت السمّ منهُ وجُرّب انهُ اذا نقش في فصّ منهُ صورة عقرب والقمر في العقرب في احد اوتاد الطالع وركّب على خاتم ذهب وطُبع بـهِ والقمر في العقرب على درهمين كندر ممضوغ فانهُ يشفي من لسعة العقرب شرباً . واما الحيواني من البازهر فانهُ يتولد في مرائر بعض الايائل بارض شنكاره من جبال شيراز كما يتولد حجر البقر في مرائرها واكثره بلوطيّ الشكل لونهُ من الخضرة والغبرة ويتراكم طبقات بعضها فوق بعض في المُسنّ من هذا الحيوان حتى يبلغ زنة البلوطة منهُ عشرة مثاقيل مع خفتهِ وهو جوهر شريف يقاوم سائر السموم شرباً اذ شُرب منـهُ من دانق الى نصف درهم يُسحل على المسنّ بالماء القراح وسحالتهُ الخالص بيضاء وربما تميل الى حمرة خفيـة والمغشوش منهُ سحالتهُ تميل الى خضرة او صفرة واذا تقدّم انسان باستعمالهِ على الاحتياط وشرب منهُ في اربعين يوماً متوالية كل يوم وزن دانق لم يضرّه مـا يَرِد على بدنهِ من السموم وينفع المجذومين نفعاً بليغاً ويجلو بياض العـين والكلَف والنمش جلاء وحياً ويحل مَغل الدوابّ واسر بولها سريعاً

﴿ القول على الخَرْتوت (٢ ﴾ ويقال ختو قال ابو الريحان البيروني: هو حيواني يقال انهُ يوءخذ من جبهة ثور يكون في نواحي بلاد الترك بارض خِرخيز وقيـل بل من جبهة طائر عظيم يسقط في بعض تلك الجزائر وهو مرغوب فيهِ عند الترك واهل الصين يزعمون انهُ يعرق اذا قُرب من طعام مسموم . قال الاخوان الرازيّان: خيره المعقرب الضارب

---

١) الفاذزهر ويقال بادزهر وبازهر وبتزهر (bézoard) ومعناهُ بالفارسية ضدّ السمّ معدن شهير عند العرب ينسبون اليهِ قوّةً في ابطال السمّ (اطلب المجلة الاسيوية ib., 143-150) . واليوم لا يعتبرهُ الاطباء والعلماء المحدثون في شيء من ذلك

٢ لم نجد ذكرًا للخرتوت في كتاب التيفاشيّ . ويوءخذ من وصفهِ هنا انهُ من الحجارة التي نُسبت اليها الامور الغريبة غير الراهنة

من الصفرة الى الحمرة ثم المشمشيّ ثم الضارب الى الكهوبة وكان في القديم ما كان وزنهُ مائة دينار الى مائة وخمسين دينارًا وجُرّب مع دخان بخور انهُ ينفع البواسير نفعًا بليغًا

وليكن هذا آخر هذا الكلام في هذا الكتاب واقتصرت على ذكر هذه الجواهر لانها النفيسة التي تذخرها الملوك والاكابر وتتحلّى بها الغواني ومنافعها جليلة ولم أُطل فيهِ القول بكيفيّة تولّدها لعدم الفائدة في ذلك ولا ذكرت ما يُلحق بها مثل المرجان والسَّبج ونحوهما لنزول رتبتهما من هذه الجواهر النفيسة (١

وقد آن ختم الكتاب بحمد الله تعالى والصلوة على نبيّهِ محمد سيد المرسلين وآلهِ وصحبهِ الطاهرين وحسبنا الله ونعم الوكيل

البادية والحيرة في عهد بني اميّة

خطبة القاها حضرة الاب هنري لامنس اليسوعي في مؤتمر المستشرقين في كوبنهاغن

من أَعمل النظر في اوَّل تاريخ الاسلام يأخذه العجب من حالة العرب بعد الفتح عند احتلالهم البلاد المصَّرة فانَّهم رأوا فيها انفسهم كالغريب الذي اعتاد سكنى وطنهِ فلا يطيق العيشة في غيرها . وكذلك العرب فانَّ مدن الشام مع سعتها ضاقت عليهم بعد توطّنهم في البوادي يتجوَّلون فيها كيف شاؤُوا وكانَّ عمر بن الخطاب شعر بما لقيهُ العرب من الجهد والعناء في سكنى المدن فاراد ان ينشيء لهم في العراق على طرف الصحراء دساكر يقطنونها ليعتادوا التمصير والعيشة المدنيَّة تدريجًا كما يؤْخذ من روايات فتوح البلدان للبلاذري . وليس البصرتان في العراق اي البصرة والكوفة كما الفسطاط في مصر سوى مقامات كهذه متوسطة بين الحضر والبدو

والحق يقال انَّ العرب الاوَّلين بعد خروجهم من مواطنهم البدويَّة واحتلالهم الامصار كانوا يهيمون الى البادية . ويحنُّون الى نوقها ليرتووا من أَلبانها وذلك ما كانوا

١) هذه هي الجواهر التي وصفها المؤلف وفي اوصافهِ افادات لم تجدها في كتاب التيفاشي . على انَّ التيفاشي ذكر ايضًا حجارة سكت عنها صاحبنا اخصها العقيق والجزع والمناطيس واللازورد والمرجان والسنباذج والسَّبج

يدعونهُ بالعيمة اي شهوة اللبن وأن لا يصبر عنهُ الانسان. وقد جاء في الحديث النبويّ انهُ كان يتعوّذ من العيمة (١ فكانت العيمة كالداء المعروف في أيّامنا بـداء الوطن (nostalgie). ولنا على ذلك شواهد عديدة . ومما يروى عن الشاعر الصحابيّ نابغة الجعدي (٢ انهُ بعد ما قضى اعواماً في المدينة الحّ على عثمان بان يرخّص لهُ في الرجوع الى قومه «ليلحق بابلهِ ويشرب ألبانها» فقال لهُ عثمان: اتعرّباً بعـد الهجرة يا ابا ليلى ليس ذلك من الصواب. لكنّ الجعديّ زاد الحاحاً في طلبهِ لِما كان يجده من المشقـة في الحضر حتى انهُ كان «مُنكرًا لنفسهِ» لا يكاد يعرف فيها شدَّتها السابقة (٣. ففي انكار عثمان على النابغة فعلهُ نظرٌ لانّ الخليفة كان يجـد في شوق العرب الى باديتهم خطرًا على الدولة اذ أنهم لو رجعوا الى مضاربهم لعدلوا عن ضبط الامصـار وأتقوا الجهاد فيقوى عليهم اعداؤهم ويسترجعون منهم الامصار التي فتحوها بعـد الحروب الطويلة والمشقّات المضنية. فلافاةً لهذا الخطر امر الخلفاء الراشدون بألّا يُدفع العطاء لغير المهاجرين. وفي صحيح البخاري (١٨٥:٤) انّ الحجّاج اخذ على بعض الصحابيين في زمانهِ اعتزالهم عن المدن. وكذلك في ايّام محمّد كان الصحابيون اذا سألوهُ الرجوع الى البادية لم يرخّص لهم بذلك الّا لبعض المرضى منهم (٤ حتى انّ الكتبـة الاوّلين كانوا يفرقون بين العرب والمهاجرين فيدعون ساكني المدن بالمهـاجرين وسكَنَة البادية بالعرب ومنهُ قول القطاميّ في اتفاق العرب على تسويد ربيعة:

فليس من الاحياء الّا مسوّدٌ ربيعـةَ اعرابيُّهُ ومهاجرُهْ

ولنا في تفضيل العرب للبادية على الحضر عدَّة شواهد في تاريخ النهضة الاسلاميَّة فمن ذلك ان بني كلب لمّا طردتهم قيس من مفاوز السماوة والجأتهم الى سكنى سواحل الشام كانوا يعدُّون نفوسهم هنـاك كالمنفيين يتوقون الى مواطنهم البدويّة . قال زفر ابن الحرث:

---

١) راجع كتاب تصحيف المحدّثين من مخطوطات المكتبة الخديويَّة

٢) اطلب كتاب الاغاني (١٣١:٤)

٣) ومن الشواهد المثبتـة لذلك قول عمر : انّ العرب لا يصلحها الّا مـا يصلح الابل (البلاذري ص ٢٧٦)

٤) اطلب صحيح البخاري (٢١٧:٤) وصحيح مسلم (٩٢:٢)

يا كلبُ قد كَلِبَ الزمانُ عليكمُ واصابكم مني عذابٌ مرسلُ
انَّ السماوة لا سماوةَ فالحقي بالغور فالافحاص بئسَ الموئلُ
فتجوب عكّا فالسواحل انّها ارضٌ تذوبُ بها اللقاحُ وتهزلُ

وكانت هذه القبائل تُعدُّ واحةَ دومة الجندل الغنّاء وعاصمة الشام نفسها لقربها من الغوطة كمنازل وبيئة تنهك حُمّياتها قواهم. قال الاخطل:

كرهنَ ذباب دومةَ اذ عفاها غداة تثار للموتي القبورُ

وقال: «فلو كنت مصحوباً بدومة مدنفاً ...»

وقد جرى مثل ذلك للصحابيين الذين هاجروا الى المدينة فسكنوها مع محمّد وتأذّوا من هوائها. وكذلك السارية التي نزلت في سواد العراق بعد الفتح الاسلامي كما روى البلاذري (ص ٢٧٥ و ٢٧٦) قال: «فاصابهم البعوض فكتب سعد الى عمر يعلمهُ انَّ الناس قد بُعِضوا وتأذّوا بذلك. فكتب اليهِ عمر: انَّ العرب بمنزلة الابل لا يصلحها الّا ما يصلح الابل»

ومن عجيب الامور انَّ اعراب البادية حتى يومنا هذا لا يُطيقون سكنى الامصار فاذ احتلّوها تأذّوا من توطّنها كما شهد الرحّالون عن عرب شبه جزيرة سينا وغيرها. ولو استفتاهم احد في ذلك لأمكنهم ان يجيبوا كما اجاب ابن ميّادة للخليفة الوليد (الاغاني ٢: ١٠٩): «لسنا باصحاب عيون يأكلنا بها البعوض ويأخذنا بها الحميات». فكأنَّ اهل البادية مذ ذاك الحين شعروا بما اكتشفهُ العلم في زماننا بانَّ البعوض اكبر نقّال للحُميات وهذه الهوام تكثر حيثما تتوفّر المزدرعات وتستنقع المياه. وذلك ما كان يحدو بملوك الحيرة ان يربّوا اولادهم في اواسط جزيرة العرب بعيداً عن المدن الممصّرة ليسلموا من مساوئ الاوبئة. وكذلك الاكاسرة كانوا يسلّمون ولاة عهدهم الى اللخميين ليتخرّجوا في آداب اهل الوبر في قصورهم التي ابتنوها على طرف البادية كالخورنق والسدير وغيرهما من القصور اتّخذها اصحاب الشام كأمثلةٍ حذوا حذوها فبنوا قصر المشتّى وشيّد بنو اميّة تلك الابنية الشاهقة التي ظهرت آثارها مؤخّراً. لانَّ غاية ما كان الاعراب يخافونهُ سكنى الريف كما روى الجاحظ عن بعضهم في كتاب الحيوان (٤: ٨٣):

فايّاكمُ والريفَ لا تقربنّهُ فانهُ لديهِ الموتُ والحتمُ قاضيا

ولمّا جعل مُعاوية كرسيّ ملكهِ في الفيحاء وترتّب على الامويين ان يتخذوها « كالمنبر الغربي » لم يزالوا يحنّون الى مفاوز البادية ولعلّهم لم يسكنوها مطلقاً لولا بيعة الخلافة . وفي واقع الحال لا ترى من بني اميّة احدًا اطال الاقامة في دمشق الّا معاوية وعبد الملك . امّا الآخرون فكانوا يأنفون السكنى فيها فيُسرعون الى البيداء ولاسيما الوليد بن يزيد قال ابن عبد ربّه (٢ : ٣٥١) : « لم يدخل مدينة من مدائن الشام حتى قُتل ولم يزل يتنقّل ويتصيّد »

وكان الامويّون يقصدون البادية ايضاً ليحافظوا على فصاحة العربيّة فلا يفسد لسانهم برطانة اهل المدن . وقد اختبر عبد الملك الامر بابنهِ الوليد فانّ ابن عبد ربّهِ روى عنهُ (٢ : ٣٣٣) : « انهُ تراخى في تأديب ولدهِ فكان لحّانًا . وقال عبد الملك : اضرّنا في الوليد حبُّنا لهُ فلم نوجّههُ الى البادية » . ولمّا خلف الوليد اباهُ لم يشأ ان يكون ابنهُ رَوْح مثلهُ فأترلهُ بين القبائل . (قال) « فنشأ في البادية فكأنهُ اعرابيّ » . وعلى هذا المنوال صارت البادية كمدرسة الامراء . وبالاجمال يمكن القول بان الطبع الغريزيّ والوراثة الجدّية كانا يحملان العرب على الرجوع الى منشإهم فيخرجون الى البادية غاية امكانهم وذلك في الشام كما في العراق وفي مصر كما في الحجاز . فانّ عبد العزيز اتّخذ لهُ في مصر باديةً فجعلها في حلوان وكذا كان يفعل العلويّون في الحجاز بخروجهم الى المساكن البدويّة

*

تلك كانت عادة العرب في اوّل ظهور الاسلام فانّهم كانوا اذا شعروا بقدوم الشتاء يتوغّلون في جهات الجنوب طلباً لحرارة الشمس . وذلك انّ شيوخ القبائل عند اشتداد القيظ واستيلاء الجدب على البادية كانوا يقتربون من الريف ويطلبون منتجعاً لرعية مواشيهم عند مياه معلومة . فاذا جاء الربيع واكتست الارض بزخارفها بعد هطل الامطار عدلوا عن الحضارة الى الكلإ في مواطنهم فوجدوا فيها ما يكفل بارزاقهم ويقوم بمعاش ابلهم فيطلقون سراحها فتسمن ولا تحتاج الى ورد المياه وتكثر البانها فيقتات منها اصحابها فضلًا عمّا يلقون اذ ذاك من الكمأة واحرار البقول . اما اشرافهم فكانوا ينتظرون نهاية الامطار فيرحلون الى البريّة ويدعون ذلك التبدّي فيقضون بقيّة سنتهم في الصحاري

فلمَّا استوى الامويُّون على سدَّة الخلافة في دمشق انتسوا باهل جلدتهم فاتَّخذ كلٌّ منهم لهُ بادية او مصيفاً يعتزلون فيهِ عن ضوضاء المدن وكان اقارب الخلفاء يأتسون بمثلهم قال الطبري في تاريخهِ: «كان الخلفاء وابناء الخلفاء يتبدَّون (وفي الاصل ينتبذون وهو تصحيف) ويهربون من الطاعون فينزلون البرِّيَّة» وفي الاغاني (٦: ١١٣): «خرج يزيد ابن عبد الملك الى قرين (والصواب فُدَين) مبتدئاً (والصواب متبدِّيا)»

اما النواحي التي كانوا يحلُّون فيها فكانت غالباً في بادية الشام او ما كان بجوارها. فانَّ معاوية كان يشتو بالصِنَّبرة في الاردن مقابل لَعَقبة (١ وكذلك عبد الملك سكن الصِّبرة مدَّة. الَّا ان اكثر الامويين اتَّخذوا لهم منازل في بادية الشام كما روى صاحب الاغاني والطبريّ وابن عساكر فانَّ هؤلاء المؤرخين وغيرهم ايضاً لا يكادون يذكرون خليفةً منهم الَّا ذكروا ايضاً تبدِّيهُ. فان يزيد بن معاوية كان يقضي معظم سنتهُ في حوَّارين (٢. وسكن ابنهُ خالد في البلقاء في قصر فُدَين حيث كان ايضاً سعيد احد اقاربهِ. وكان عبد الملك بعد رجوعهِ من الصِنَّبرة يقضي شهر اذار في الجابية وكان لهُ منتزه آخر في دومة الجندل. وكان خلفاء عبد الملك مواظبين على التبدّي الَّا عُمَر بن عبد العزيز الذي سكن بلدة خُناصرة

اما منزل الخلفاء في البادية فكان يختلف فمنهم من كان يكتفي بضرب الخيم والسكن في المضارب كما اخبر اسحق بن زياد (الاغاني ٢: ٣٥) عن هشام بن عبد الملك انهُ «وجده نازلًا في قاع صحصح في سرادق من حبرة وفي السرادق فسطاط فيهِ اربعة افرشة من خزّ احمر». لكنَّ تلك المنازل انما كانت موقتة فلم يرضَ بها الخلفاء فآثروا بناء الدور الرحبة والقصور الجميلة. والمرجَّح ان بعضهم لم يعمدوا الى ابنية جديدة واكتفوا بان اصلحوا ما وجدوه من الابنية القديمة في طرف البادية حيث كانت تخوم الرومان لا سيما ان تلك المباني كانت قريبة من المياه مجاورة للمراعي تمرّ عليها القوافل ذاهبةً وآيبةً فلمَّا تولّى بنو اميَّة امر الشام عادوا فرمَّموا تلك البنايات وسكنوها

---

١) اطلب معجم البلدان لياقوت (٣: ٤١٩)

٢) اطلب المشرق (٩: ٩٥٦)

فمن المواضع التي نزلها الامويون المقوَّر وهو حصن بالبلقاء سكنهُ يزيد بن عبدالملك وكان رمَّمهُ وزيَّنهُ فجعلهُ من القصور الجميلة فلمّا ملك بنو العبَّاس وأبادوا آثار الامويين اخربوا في جملتها قصر المقوَّر . قال ابو نخيلة يمدح بني العبَّاس :

وأمست الانبارُ دارًا تُعمَرُ وخُرِّبت من الشآم أدوُرُ
حمصُ وباب التين والموقَّرُ ودُمِّرت بعد امتناع تدمرُ

واستقرَّ الوليد بن يزيد في « قسطل » موضع قرب البلقاء من ارض الشام وخلفهُ فيه عمهُ العبَّاس . وكان الوليد يستوطن ايضاً الزيزاء من قرى البلقاء . وقصر الازرق في البرّية كما روى صاحب كتاب العيون والحدائق (ص ١٢٠) اما قُرين التي ورد ذكرها في الاغاني (٦: ١١٣) كمنزل من منازل الامويين فليست هي المقوَّر كما زعم الدكتور موسيل (Quseir Amra, 158) والاصح انها تصحيف فُدَين بتخفيف الياء وقد رواها صاحب معجم البلدان (٣: ٨٥٨) بالياء المشدَّدة وال التعريف . وفُدَين هذه قصر قريب من حصن الازرق كان اولاد الخليفة عثمان يسكنونهُ وبقي في ايديهم الى زمن بني العبَّاس (راجع كتاب العيون والحدائق ص ١١٨)

ولا يسعنا هنا ان نسكت عن امر رواه الدكتور موسيل في وصفه اقُصير عمرة وبلاد موآب (ص١٥٧) وقد قال هناك انَّ هذه القصور القديمة التي توفِّق الى اكتشاف بعضها عُرفت ايضاً باسم الحيرة ويسند قولهُ الى بعض نصوص الطبري (٢: ١٧٩٥) حيث يروي المؤلف بان عبد العزيز لمَّا قام من دمشق ليقتل الوليد « عسكرَ بالحيرة » فزعم الدكتور موسيل انَّ الحيرة هنا يراد بها القصر او منزل الجند لكنَّ الكاتب لم يطَّلع على رواية اخرى اضبط من هذه الرواية وهي « الجيزة » كما رواها صاحب العيون والحدائق . وقد افادني جناب الدكتور مورتس ناظر الكتبخانة الخديوية ان الترك يدعون اليوم قصر الزيزاء بالجيزة غير اني لا ارى بُدًّا من الفرق بين الزيزاء والجيزة لانَّ الزيزاء من الاعلام القديمة التي لا يمكن القول في تصحيفها . ثمَّ انَّ قرية الزيزاء كانت بعيدة عن طريق عبد العزيز في خروجه على الوليد والمرجَّح انهُ سار بجنده على الطريق الرومانيَّة التي تمتدُّ من بُصرى الى الازرق (١ لقصرها واستقامة

١) اطلب بعث العلامة دوسو (R. Dussaud : *Mission*, 76)

مسيرها . وفي هذه الطريق بين بصرى وادرعات موضع (١ اسمهُ الجيزة فتكون هذه الرواية هي الصحيحة دون غيرها

ومع ما قلناه عن تصحيف الجيزة بالحيرة لسنا لننكر انَّ رأي الدكتور موسيل قريب الى الصواب اعني اطلاق اسم الحيرة على منازل البادية حتى بعد عهد الامويين . ويقرّب هذا الرأي كون العرب دعوا الحيرة والكوفة بالحيرتين (ياقوت : معجم البلدان ٢ : ٣٧٥ وتاج العروس ٣ : ١٦٦) . وكذلك ترى بين اعلام الامكنة الواقعة في العراق في حكم اللخميين عدَّة مواضع عُرفت باسم الحيرة ذكرها الكتبة (اطلب مادَّة الحيرة في ياقوت وتاج العروس)

ويؤيد ايضاً هذا الرأي استعمال العرب للفظة الحَيْر اطلقوها على الحمى ومحلَّة الجيش . وفي معجم البلدان (٢ : ٣٧٥) « ان الحَيرَة الحَيْر المبنيّ » وافادنا ايضاً ياقوت ان الخليفة المتوكّل دعا قصرًا بناهُ في سرَّ من رأى باسم الحَيْر . وفي تاريخ تاوفانوس انَّ العرب لما ساروا الى محاربة الروم كانوا نازلين في مكان دعاه Ηραν يوافق لفظهُ لفظ الحَيْر وهو يجعلهُ في انحاء فلسطين . ومن المحتمل ان هذا الاسم يدلّ فقط على مقام محصَّن ليس على مكان معلوم

ويزيد على هذا القول اثباتاً ما رواه المستشرق العلّامة نلدك في كتابهِ عن ملوك غسّان (Ghassaniden Fürsten, 47-49) قال : ان رؤساء قبائل غسّان كانوا يسكنون في احياء قسمٌ منها ثابت بالبناء والمدر وقسم آخر غير ثابت من جنس المضارب والخيم كانوا ينقلونهُ من مكان الى آخر للدفاع عن التخوم وحراستها . وكانوا يدعون تلك الاحياء باسم سرياني ܚܝܪܬܐ قال ومنها اشتق العرب اسم « الحيرة » . وما كانت البادية عند بني اميَّة الّا احياء كهذه تصلح للسكنى ويسهل التنقل منها . وممَّا اشتهر عند الغسانيين من ذلك محلَّة الجابية التي كانت جامعة بين صفات المحلّات والمدن وبين خواص الحضارة والبريَّة ولذلك كان العرب يفضّلونها . وفيها نزلت الجيوش الاسلاميَّة قبل واقعة اليرموك وهناك خطب عُمر بن الخطاب خطبتهُ المشهورة . وباب الجابية بدمشق منسوب الى هذا الموضع (ياقوت ٢ : ٣)

١) راجع الكتاب عينهُ (38 ; il ;) والمجلة الفلسطينيَّة (Schumacher , ZDPV XX , 135)

فلنعودنَّ الان الى كلامنا عن بادية الامويين . فانهم لمَّا احتلُّوا تلك المباني التي سبقهم الى تشييدها الروم زادوها جمالًا بما الحقوا بها من المقاصير وزيَّنوها بالزخارف والمحسِّنات فاتخذوا الحمَّامات وجعلوا فيها الاحواض وشيَّدوا لها المشارب والعلّيات وازدانوا المعاهد بالنقوش والتصاوير كما تُرى في قُصير عمرة . ولم يدعوا شيئًا من طيب المعاش وهناء السكن الَّا اعدُّوا اليهِ . فاضحت تلك المنازل كالقصور التي تصلح للملوك ممَّا يدل على شهرة تلك المقامات ان بني العباس حاولوا هدم آثارها لئلا تبقى كشاهد على عظمة الامويين وذلك ما فعلوا خصوصًا بقصر المقوَّر كما سبق القول

ومن راجع كتاب الاغاني لابي الفرج واعتبر اوصافهُ للبادية يتحقق بان منازل الامويين لم تكن ثمَّ منفردةً بل كان يحدق بها عدَّة ابنية لاحقة بها منها بيوت ودور كدار الضيفان وبيت الحرس . ولا يبعد انهم اتَّخذوا ايضًا محلات للجند والخيل . ومجمل القول انَّ البادية كانت كدسكرة فيها المضارب والمباني ومنازل الجند ومساكن حاشية الامير واهلهِ . وكان الخليفة يقضي هناك ايَّامهُ في الدعة والسكينة بين اصحابهِ ويعيش بلا تكلف . فانَّ كتاب الاغاني يقول عن سليمان بن عبدالملك (٤ : ٦١) نهُ « كان في بادية لهُ يسمر على ظهر سطح » وان الوليد بن يزيد استقبل قومًا في دار اواسعة وتهدَّد احد جلسائهِ بان يرمي بهِ منكسًا من فوق القصر (اغاني ٦ : ١١٤و١٧ : ٩٩) . وقد ذكر في محلّ آخر انهُ « كان على بناء كان بناهُ في عسكرهِ يُشرف بهِ » وقد جاء ايضًا في وصف ابنيتهِ ذكر الرواق وذكر دار الضيافة وكل ذلك مما يثبت انَّ ابنية الخلفاء في البادية كانت واسعة وأهلًا بالملوك ويُخبر عن يزيد بن عبد الملك انَّهُ ابتنى الابنية حول قصر المقوَّر وكان لهُ في البرّيَّة عدَّة قصور يتنقَّل اليها ويتصيد كالزيزاء وفُدَين والازرق والاغدف والنجراء وقصر الابيض في الرحبة واباثر (ليس اباثن كما تصحَّف في الاغاني ٢ : ١٠٨) . وزد على هذه الامكنة عدَّة قصور وقف عليها الدكتور موسيل في سياحتهِ الى مؤاب وكلها كما يظهر كانت في بوادي الخلفاء يوافق وصفها ما ذكره صاحب الاغاني في نصوصه

وقد بقي علينا ذكر قصر آخر كثر فيهِ القال والقيل في هذه السنين الاخيرة نريد قصر المشتَّى اطلب المشرق ١ : ٤٨١و١٠ : ٥٧٧) الذي موقعهُ في وسط القصور السابق ذكرها وهي تحدق بهِ كحلقة الدائرة ولا غروَ ان الخلفاء الامويين كانوا يعرفون مكانهُ حق

المعرفة اذ كانوا يتجوَّلون في بواديهم و يتنقلون بين قصورهم لا سيما يزيد بن عبدالملك والوليد بن يزيد. فيا تُرى اليس هو الاجدر بالقول انَّ هذا البناء العجيب احد آثارهم الجليلة . فانَّ الامويين كانوا يحبون البناء وتشييد القصور الشاهقة أفلا يسوغ لنا القول بأنهم اقاموا لباديتهم قصرًا كالمشتَّى . وليس هذا بالمستبعد مع ما نعلم خصوصاً من اخلاق بعضهم كيزيد والوليد المذكورين وكان كلاهما يحبّ اللاهي و بذخ العيش وقد اخبر العينيّ في عقد الجمان عن يزيد انهُ قصد ان يبني في البريَّة قصرًا ليعيش فيهِ مع جاريتهِ حبابة. ولعلهُ فعل ومن المحتمل ان يكون القصر المنويّ هو المشتَّى . وانما حال دون اتمامه ما فُجيء بهِ يزيد من موت حبابة عشيقتهِ ولم يلبث ان قُتل هو ايضاً بعدها . امَّا ما نجزم من هذا القصر الجليل فهو آية هندسيَّة تأخذ بمجامع القلوب وكل من يرى نقوشهُ البديعة في متحف برلين يقرُّ لبُناتهِ بحسن الذوق والقدرة على الاعمال الاثيرة

انَّ مسألة قصر المشتَّى من المسائل العويصة التي ما كنَّا لنجترىء ان نخوض عبابها ونحن نعلم اختلاف آراء الكتبة فيها الَّا ان بحثنا في البادية على عهد الامويين لم يسمح لنا بالسكوت عنها . امَّا قولنا في اصلها الاموي فليس هو حكماً باتًّا وانما هو رأي عرضناهُ في مجلَّة المشرق سنة ١٩٠٧ في عددها الصادر في اوَّل تموز في اثناء كلامنا عن تأليف الدكتور موسيل في مواب ونواحيها . وغاية ما نرغب ان يعود العلماء الى هذا البحث و يعتبروا ما قدَّمناه من الشواهد المنقولة عن كتبة العرب فلعلَّهم يجدون فيها دلائل جديدة تثبت نسبة هذا البناء الفخيم للدولة الامويَّة وتزيل الشبهات التي تحجب الحقيقة عن العيان. ان شاء الله

الآداب العربية

في القرن التاسع عشر

الجزء الثاني

بحثٌ تاريخي انتقادي للاب لويس شيخو اليسوعي

الفصل الاوَّل

الآداب العربيَّة من السنة ١٨٧٠ الى ١٨٨٠

جرينا شوطاً اوَّل في عدَّة مقالات كتبناها عن آداب القرن السابق فأدَّى بنا سيرنا الى السنة ١٨٧٠ فوقفنا عند ذلك الحدّ مدَّةً ريثما نجمع قوانا فنواصل الجري في هذا الميدان وهو لعمري مجال جديد يتسع امامنا فتتوفَّر ركبانهُ وتنمو فتفوت الاحصاء فرسانهُ . ولولا ثقتنا بلطف القرَّاء واملنا بغضّهم النظر عن قصورنا لكففنا القلم واوقفنا اليراع لئلَّا يشرد بنا عن سواء السبيل . فنستأنف العمل مع تكرار الرجاء بان يمدّ الينا الادباء يد الاسعاف وينبهوا فكرنا الى ما نسهو عن ذكرهِ ويصلحوا ما يرونهُ مخالفاً للواقع ليأتي هذا القسم اوفى بالمرام . ان شاء الله

كانت السنة ١٨٧٠ مفتتح طور جديد في تاريخ نهضة الآداب العربيَّة فانَّ في تلك السنة جرت امورٌ خطيرة قلبت بطناً لظهر احوال الدول الاوربيَّة فكان لها فعل انعكاس في انحاء الشرق فقامت العقول من رقدتها واستيقظت الافكار بعد سِنَتها فانَّ دويَّ الحرب السبعينيَّة طرق آذان الشرقيين فأسمعهم اصواتاً ما اعتادت عليها مسامعهم فرأوا في طلب الآداب ودرس العلوم سدّاً لخللهم ومنجاةً من خمولهم . وكان السلام سائداً والامن متوطداً في الممالك المحروسة لا شيء يعوق رعاياها عن ترويج الآداب وانفاق سوقها لا سيا سوريَّة ولبنان فان الدعة والسكينة كانت قد مدَّت عليها رواقها بعد نكبة السنة ١٨٦٠ واخذت الشبيبة تترعرع وهمُّها الاعظم الترقي في معارج التمدن

وعُقد في ذلك العام المجمع الواتيكاني وفيهِ رأى ارباب الدين الشرقيون ترقّي اخوتهم الغربيين في العلوم فاحبوا مجاراتهم في ذلك المجال الشريف. وقد ساعدهم في تحقيق امانيهم المرسلون اللاتينيون الذين تضاعف عددهم في هذه البلاد فأخذوا يجدّون ويسعون بما عُرفوا بهِ من علو الهمم ليبعثوا في الاحداث الغيرة على احراز المعارف. وكذلك المرسلون الاميركان فأنهم افرغوا كنانة الجهد ليزرعوا في قلوب الشبان بذور المعارف والعلوم المستجدَّة. ويا حبّذا لو اقتصروا على هذه الغاية الشريفة ولم يتّخذوا العلم وسيلةً لتقويض المبادئ الصحيحة ومناواة الدين القويم

ومما خُصَّ بهِ هذا الطور الذي نحن في صدده انشاء مدارس عامرة لم يسبق لها مثيل في الزمن السابق اخصُّها الكلية الاميركيّة التي خرجت في ذلك الوقت من قاطات مهدها فشرع اساتذتها وفي مقدمتهم الدكتور ڤان ديك في تأليف او تعريب قسم كبير من الكتب العلميَّة قدوةً بالشيخ الطهطاوي بمصر ففتحت ترجمتها باباً جديداً طرقهُ الشرقيون لاحراز العلوم العصريَّة. وكانت المطبعة الاميركيَّة تذلّل لهم الصعاب في نشرها وبقيت تلك المطبوعات عهداً طويلًا كاساس التعليم في الكليَّة الاميركيَّة وبعض المدارس الوطنيَّة حتى بعد قصورها عن بلوغ غايتها لاتساع نطاق العلوم سنةً بعد سنة فبقيت على نقصها حتى اضطرَّت عمدة المدرسة الاميركيَّة الى استئناف التدريس باللغة الانكليزيَّة

وكان النجاح الذي فاز بهِ اصحاب الكليَّة الاميركيَّة باعثاً للكاثوليك على مزاحمتهم ليصونوا ابناء مللهم من الاضاليل البروتستانيَّة . وكان اليسوعيون اوَّل من تحفّز لمناهضتهم فعزّزوا مدارسهم الثانويَّة في غزير و بيروت وصيداء. ثم جعلوا يطلبون ما هو انجع وسيلة لبلوغ اربهم بانشاء كليَّة في بيروت تباري كليَّة الاميركان وتقدّم لابناء الشرق مناهل العلوم صافيةً من كل رنق يكدّرها. فما لبثت بعد اربع سنوات ان تشيَّدت ابنية كليتنا الكاثوليكيَّة ونُقلت اليها مدرسة غزير سنة ١٨٧٤ فنالت من كرم الكرسيّ الرسوليّ كل انعامات الكليَّات بمنح شهادات العلوم الدينيَّة لمستحقيها كما انَّ الدولة الفرنسويَّة اعتبرت شهاداتها بمثابة الشهادات الممنوحة في فرنسة لذويها

وفي سنة ١٨٧٠ نشر الآباء اليسوعيّون جريدتهم البشير لمناضلة النشرة الاسبوعيَّة فصار لها رواج كبير ولم تزل تكبر وتتحسن حيناً بِتلو حين. وها قد مرَّ عليها اليوم ٣٨

سنة وهي تدافع عن الدين مدافعة الابطال فصارت لسان حال الكثلكة يرجع اليها ارباب الطوائف الكاثوليكيَّة باسرهم

وفي هذه المدَّة ايضاً ترقَّت المطبعة الكاثوليكيَّة بهمَّة رئيسها الهمام الاب امبرواز مونو الذي لم يشأ ان تتخلَّف عن المطبعة الاميركيَّة في شيء. فاستجلب لها الادوات الجديدة وجهَّزها بالمخترعات المستحدثة وارسل احد رهبانهِ الطيب الذكر الاخ الياس ماري الى عواصم اوربَّة ليدرس فنَّ الطباعة على احذق الطبَّاعين فاخذ عنهم الاكتشافات الحديثة واستعان بها على تحسين الطباعة الشرقيَّة في مطبعتنا ومطابع البلدة. وكذلك تعلَّم غيره من رهباننا فنَّ الحفر وسبك الحروف واصطناع امهاتها فاغنوا المطابع باشكال جديدة من الحروف العربيَّة والسريانيَّة وغيرها

وتعددت المطبوعات الدينيَّة والعلميَّة التي ظهرت في تلك الاثناء من مطبعتنا وكان اجودها حرفاً واتقنها طبعاً الكتاب المقدس في ثلاثة مجلَّدات مزيناً بالتصاوير والنقوش وكان الآباء المرسلون لم يدَّخروا وسعاً في تعريبهِ عن اللغتين الاصليَّتين العبرانيَّة واليونانية ساعدهم في تصحيح عبارة الترجمة وتثقيفها اللغوي البارع المرحوم الشيخ ابراهيم اليازجيّ. ثم اخذ مديرو المطبعة الكاثوليكيَّة يهتمون بالكتب المدرسيَّة وكانت قبلهم عزيزة جدًّا لا يصل اليها الاحداث الَّا بعد شقّ النفس فتوفَّرت الكتب التعليميَّة وزادت بذلك مدارس الشرق ترقياً ونجاحاً

وكانت بقيَّة الرسالات اللاتينية تسير سيرها الحثيث في نشر الآداب فاللعازريُّون كانوا يكسبون ثقة الاهلين بحسن تعليمهم وتهذيبهم في مدرسة عين طورا ثم فتحوا في هذه الاثناء مدرسة اخرى في دمشق لا تزال عامرة. وكذلك الآباء الفرنسيسيون فتحوا مدرسة ثانويَّة في حلب علَّموا فيها اللغات واصول الآداب

ولم تتأخر الطوائف الشرقيَّة في هذه الحلبة. فانهُ تعيَّن سنة ١٨٧٢ لكرسي بيروت على الموارنة بعد الطيّب الذكر طوبيَّا عون احد رجال العلم والعمل السيّد المبرور يوسف الدبس فافرغ الوسع في ترقية ابناء رعيتهِ في معارج التمدُّن ففتح لهم في بيروت سنة ١٨٧٤ مدرسة الحكمة الشهيرة التي نمت فروعها وبسقت افنانها وينعت ثمارها الى يومنا هذا وكثير من المتخرجين فيها يتقلَّدون الآن المناصب الجليلة ويخدمون وطنهم بنشاط عظيم. ومن مساعيهِ الطيبة لتوسيع نطاق الآداب مطبعتهُ العموميَّة الكاثوليكيَّة التي

اشتراها من يوسف الشلفون شركةً مع رزق‌الله خضرا فنشر فيها مجموعاً واسعاً من المطبوعات الدينيَّة والادبيَّة والمدرسيَّة منها قسمٌ كبير من قلمهِ

وفي هذه المدة ثبت قدم جمعيَّة المرسلين اللبنانيين التي أسسها المطران يوحنَّا حبيب سنة ١٨٦٥ فاخذت تزداد عدداً وفضلاً بهمَّة منشئها الفاضل

اما الروم الكاثوليك فانَّ مدرستهم البطريركيَّة بلغت في هذه الآونة اوج عزّها بحسن ادارة رؤسائها وشهرة اساتذتها . وكان جلّ اهتمامها اتقان اللغة العربيَّة بفروعها . وعُني السيد البطريرك غريغوريوس يوسف بانشاء مدرسة أُخرى لابناء طائفتهِ في دمشق فسلَّم ادارتها لكهنة افاضل احكموا تدبيرها

وفي هذا الطور أُنشئت مطابع جديدة كالطبعيَّة السليميَّة لسليم افندي مدوَّر ومطبعة القديس جاورجيوس للروم الارثذكس ومطبعة جمعيَّة الفنون . وقد ظهرت في كل هذه المطابع تآليف متعدّدة نشرنا في المشرق اسماءها . وكذلك الجرائد والمجلَّات فقد أُنشئ منها ما راجت سوقهُ وكان الادباء في ذلك الوقت حاصلين على حرّيتهم لا يعيقهم في نشر المطبوعات عائق المراقبة . والجرائد تروي الاخبار كما تشاء لا يُعترَضُ عليها الَّا اذا خرجت عن طورها وتعدَّت حدودها . وقد سبق لنا ذكر مجلة الجنان التي انشأها المعلم بطرس البستاني وعهد بتحريرها الى ابنهِ سليم سنة ١٨٧٠ وفيها باشر بجريدتين الواحدة اسبوعيَّة وهي الجنَّة والثانية يوميَّة دعاها الجنينة وهذه الاخيرة لم تطل مدَّتها . امَّا الأُوليان فاشتغلتا خمس عشرة سنة فاكسبتا الاسرة البستانيَّة شهرة بفصولها . وقد أُنشئت سنة ١٨٧٤ جريدة ثمرات الفنون لصاحبها صاحب السعادة عبد القادر افندي القبَّاني فخدمت مصالح الأمَّة الاسلاميَّة بلا ملل الى عامنا الحاضر . وبعدها بسنتين شرع الادباء شاهين ابكاريوس ويعقوب صرُّوف وفارس نمر من تلامذة الكليَّة الاميركيَّة ينشرون مجلَّة علميَّة صناعية زراعية دعوها المقتطف واودعوها كثيراً من المقالات العلميَّة وغيرها وبقيت تُطبع في بيروت الى ان نُزعت عن الجرائد حرّيتها فانتقل محرّروها الى مصر وجروا فيها على خطَّتهم الحرَّة الى هذه السنة وهي الثالثة والثلاثون من اوَّل ظهورها . وفي هذه المجلة من المنافع ما لا يُنكر لولا انَّ كتبتها صوَّبوا غير مرَّة سهامهم للتعاليم الدينيَّة والفلسفيَّة ونسبوا الى العلم ما هو بريءٌ منهُ كما بيَّنا لهم الامر احياناً عديدة في جريدة البشير ومجلة المشرق

أمّا في بلاد الشرق خارجاً عن الشام فانّ الآداب العربيّة فيها لم تخطُ خطوةً كبيرة في هذه السنين العشر فلا نرى لها من المنشآت ما يستحقّ الذكر. وانّما كانت المطابع المصريّة وخصوصاً مطبعة بولاق تواصل اشغالها فتنشر من التآليف القديمة ما كان يحبّب الى الادباء درس اللغة واحراز فوائدها. وكذلك الاستانة العلية فان صاحب الجوائب الذي مرّ لنا ذكرهُ نشر في مطبعته قسماً حسناً من التآليف العربية القديمة كديوان البحتريّ وادب الدنيا والدين وبعض مصنّفات الثعالبي. ومثلهُ الخوري يوسف داود في مطبعة الدومنيكان في الموصل فانهُ نشر هناك فضلاً عن الكتب الدينية عدّة تآليف حسنة عزّزت في القلوب محبة الآثار العربيّة

وفي هذا الطور أُصيبت الآداب العربية ببعض التأخّر في الاصقاع الاوربية لما حدث فيها من المنازعات والاضطرابات السياسية. لكن هذه الحال لم تدُم مدّةً طويلة لانّ الامور بعد زمنٍ اخذت في السكون والهدو وعاد العلماء الى دروسهم بل اتّسع نطاقها فامتدّت في المانية وانكلترّة وأُنشئت كلّيات جديدة كان للغة العربية فيها الحصّة المشكورة. وقد أُنشئت جمعيّات شرقية في ايطالية والنمسة بعثت همم اهلها على الدروس الشرقية فانتشرت بذلك الآداب العربية. وكانت المطابع الاوربية تغني كل يوم لغتنا بمطبوعات يخرجها المستشرقون من دفائنها ويحيونها بعد موتها نخصّ منها بالذكر مطبعة ليدن في هولندة التي ابرزت قسماً كبيرًا من اجود تآليف قدماء العرب

بعض مشاهير الادباء المسلمين في هذا الطور

كانت العلوم العربية في هذا الطور ارقى شأناً عند النصارى منها عند المسلمين وانّما اشتهر بين هؤلاء بعض الافراد تعاطوا الفنون الادبية من شعر ونثر وخلّفوا منها آثارًا طيّبة وها نحن نذكرهم على سياق سني وفاتهم تنويهاً بفضلهم

(رفاعة بك الطهطاويّ) كان رفاعة بك من اشراف طهطا من مدن الصعيد ويرتقي نسبهُ الى فاطمة الزهراء. ولما وُلد سنة ١٢١٦ (١٨٠١) كان الدهر اخنى على اسرته فذاق في حداثتهِ مرائر العيش ثم انتقل بعد وفاة والدهِ الى القاهرة سنة ١٢٢٢ (١٨٠٧) وانتظم في سلك طلبة الازهر وطلب العلوم برغبة حتى روي منها واحبّهُ اساتذته لاجتهادهِ وقدّموهُ. ونما خبرهُ الى محمد علي باشا امام الدولة الخديويّة

فأرسلهُ مع غيرهِ من الشبان الى فرنسة ليتلقَّوا فيها العلوم الاوربية فدرس اللغة الفرنسويَّة حتى احسن فهمها واستقى من مناهل المعارف الغربية ما استلفت اليهِ الانظار ونقل كتاباً افرنسيًّا وسمهُ « بقلائد المفاخر في غرائب عوائد الاوائل والاواخر » فكان ذلك داعياً لترقيتهِ في الاعمال فقلّده محمد علي وظيفة الترجمة في المكتب الطبّي الذي انشأهُ في جوار القاهرة سنة ١٢٤٢ (١٨٢٦م) فنقل الى العربية عدَّة تآليف افرنجيَّة مستحدثة ثم عرَّب في مدرسة الطوبجية كتباً هندسيَّة وغيرها. وفي ١٢٥١ (١٨٣٥) ندبهُ صاحب مصر الى رئاسة مدرسة الالسن الاجنبية التي عُرفت بمدرسة الترجمة فاحسن تدبيرها حتى بلغ عدد تلامذتها ٢٥٠ . فجازاهُ الخديوي بنحهِ رتبة قائمقام ثم رتبة اميرآلاي وأرسل مدَّةً الى الخرطوم لنظارة مدرستها وتولّى نظارة المدرسة الحربية في مصر. ولم يزل يتقلّب في المناصب وادارة المدارس والتعليم والكتابة . وكان رفاعة بك لا ينقطع يوماً عن التأليف او الترجمة. وهو الذي باشر انشاء اوَّل جريدة عربية في بلاد الشرق وهي الوقائع المصرية سنة ١٢٤٨ (١٨٣٢). وتولّى في آخر حياتهِ ادارة جريدة روضة المدارس. ولرفاعة بك نحو عشرين كتاباً بعضها من تأليفهِ كرحلتهِ الى باريس ومباهج الالباب المصرية وكتاب تاريخ مصر الحديث واكثرها من ترجمتهِ كجغرافية ملطبرون واخبار تليماك وهندسة ساسير ورسائل طبيَّة ولهُ غير ذلك من التآليف والمقالات والمنظومات التي لم يُطبع منها الَّا القليل. وقد رأيناه كثير التصرُّف في ترجمة كتبهِ الَّا انهُ سبق اهل وطنهِ بتعريب التآليف الغربية فنال فضلًا بتقدُّمهِ. وكانت وفاتهُ سنة ١٢٩٠ (١٨٧٣) فرثاهُ الحاج مصطفى انطاكي الحلبي بقصيدة مطلعها :

ألا ما لطرف المجد دامٍ ودامعُ على وجنة العلياء هامٍ وهامعُ

الى ان قال مشيرًا الى فهمي افندي نجل المتوفَّى :

وكادت تميدُ الارضُ لو لم يكن بها لهُ خلفٌ يحيي المآثرَ بارعُ

(عبد الغفَّار الاخرس) هو السيد عبد الغفار ابن السيد عبد الواحد من مشاهير شعراء العراق كان مولده في الموصل بعد السنة ١٢٢٠ (١٨٠٥م) ثمَّ نشأ في بغداد واتخذها موطناً وسكن جانب الكرخ وقرأ على الشيخ الالوسي كتاب سيبويه فاعطاه بهِ اجازة ثمَّ درس العلوم العقليَّة والفنون العربيَّة فاتقنها وتعاطى فنَّ الشعر فاجاد بهِ كل الاجادة حتى ان صاحب كتاب المسك الاذفر قال عنهُ انَّ اليهِ كانت النهاية في

دقة الشعر ولطافتهِ وحلاوتهِ وعذوبتهِ. وكان مع ذلك في لسانهِ تلعثم وثقل فدُعي بالاخرس لسببهِ. قيل انهُ في شبابهِ كتب الى داود باشا والي العراق ابياتاً يسألهُ فيها ان يأمر بمعالجة لسانه قائلاً:

انَّ اياديك منك سابقةٌ عليَّ قدماً في سالف الحُقُبِ
هذا لساني يعوقهُ ثقلٌ وذاك مندي من اعظم النُّوَبِ
فلو تسببتَ في معالجتي لَنلتَ اجرًا بذلك السببِ
وليس لي حرفةٌ سوى ادبٍ جمٍّ ونظم القريض والخطبِ
من بعد داودَ لا حُرمتُ منًى فقلت قد مضت دولةُ الادبِ

فارسلهُ الوالي الى بعض اطباء الهند فقال لهُ: انا اعالج لسانك بدواء امَّا ان ينطلق وامَّا ان يُلحقك بمن مضى من سالف الجدود. فأبى ولم يرضَ بدوائهِ وقال: لا ابيع كلّي ببعضي. وكرّ راجعاً الى بغداد. وكان يتردَّد الى البصرة لما عرف في اهلها من السخاء ومحبة الغرباء ولهُ مدائح في اكثر اعيانها وفضلائها وبها كانت وفاتهُ سنة ١٢٩٠ (١٨٧٣م) كما ورد في مقدمة ديوانهِ وفي سنة ١٢٩١ على رواية السيد نعمان الالوسي. وكان لهُ شعر كثير متفرّق جمعهُ احمد عزَّت باشا العمري بعد وفاة صاحبهِ وقد طُبع هذا الديوان في مطبعة الجوائب سنة ١٣٠٤ (١٨٨٦م). فمن شعره قولهُ يصف سفره من البصرة الى بغداد على سفينة بخاريَّة:

قد ركبنا بمركب الدخانِ وبلغنا بهِ اقاصي الاماني
حيث دارت افلاكهُ واستدارت فهي مثل الافلاك بالدورانِ
ثمَّ سرنا والطير يحسدنا بالامس لأسراعنا على الطيرانِ
يخفق البحر رهبةً حين يجري والذي فيهِ كائنٌ في امانِ
كلَّما ابعد البخارُ بمجرًى قرَّب السيرُ بُعْدَ كلّ مكانِ
أتقنت صُنْعَهُ فطانةُ قومٍ وصفوهم بدقَّة الاذهانِ
ما اراها بالفكر الَّا اناساً بَقِيتْ من بقيَّة اليونانِ
ابرزوا بالعقول كل عجيبٍ ما وجدناهُ في قديم الزمانِ
وبنوا للعلى مباني علاهُ عاجزٌ عنها صاحب الايوانِ
فلهم (١ في الزمان علمٌ وفخرٌ ومقامٌ يعلو على كيوانِ

وقد نظم السيد الاخرس قصائد عديدة في مدح عبد الباقي افندي الفاروقي. ورثاه بعد موتهِ بقصيدة اوَّلها:

---

١) وفي الاصل: فهموا وهو تصحيف. وكذلك قد تصحَّف البيت الخامس فاصلحناه

مالي اودّع كل يومٍ صاحباً اذ لا تلاقي بعد طول فراقِ
وأصارم الاحبابَ لا من جفوةٍ مني ولا متعرّضًا لشقاقِ
فارقتهم ومدامعي منهلّةٌ وجوانحي للبين في احراقِ

الى ان قال:

فارقتُ اذكى العالمينَ قريحةً واجلّها فضلًا على الاطلاقِ
وفقدتُ مستندَ الرجال اذا روت عنهُ الثقاتُ مكارمَ الاخلاقِ
قد كان منتجعي وشرعةُ منهلي ومناطُ فخري وارتياد نياقي
كانت لهُ الايدي يطوّقني بها مننًا هي الاطواقُ في الاعناقِ

وختمها بقولهِ:

رزءٌ أُصيب بهِ العراق فأرّخوا رزء العراقِ بموت عبد الباقي (١٢٧٨)

وقال مودّعًا بعض الكرام اسمهُ يوسف:

مولاي قد حان الوداع وقد عزمتُ على المسيرِ
كم زرتُ حضرتك التي ما زلتُ منها في حبورِ
ورجعت عنك بنائلٍ غمرٍ وبالخير الكثيرِ
واللهِ يعلمُ انني من شكر فضلك في قصورِ
يا مفردًا في عصرهِ بالفضل معدومَ النظيرِ
يا يوسفُ البدر الذي يسمو على البدر المنيرِ
ما لي بغيرك حاجةٌ كفى الخطير عن الحقيرِ
وسواك يا مولاي لا واللهِ يخطرُ في ضميري
ما كل ورّادٍ يفو زُ بمورد العذب النميرِ
لا زلتَ اهلًا للجميل مدى الليالي والشهورِ

ومما لم نجدهُ في ديوانهِ تخميسٌ لابيات قالها عبد الباقي العمري في قاضٍ جائر:

ألا قطع الرحمٰن كلّ مقاطعٍ مضرٍّ بما يقضي بهِ غير نافعٍ
وراضٍ بظلمٍ طامعٍ غير قانعٍ وقاضٍ يجور ما لهُ من مضارعٍ
على انهُ بالسفهِ اقطعُ من ماضِ
فكم قد جنى في حكمهِ من جنايةٍ وقد راح في غيٍّ لهُ وغوايةٍ
فلا رُدَّ قاضٍ ما اهتدى لهدايةٍ قضى ومضى لكن الى كلّ غايةٍ
من الخزي لا يحظى بها ابدًا قاضِ
بُلينا بقاضٍ جائر غير عادلٍ يجورُ بحكمٍ قاصرٍ غير طائلٍ
ومن اعظم البلوى بلاءٌ بجاهلٍ يقولونَ يقضي قلتُ لكن بباطلٍ
وقالوا يقصُّ الحقَّ قلتُ بمقراضِ

(الحاج عمر الانسيّ) ولما كانت مصر تفتخر بطهطاويّها والعراق باخرسها كانت بيروت تأنس بانسيّها الحاج عمر سليل اسرة شريفة اشتهر لقبها بالصقعان. وُلد الانسيّ سنة ١٢٣٧ (١٨٢٢ م) في بيروت واخذ العلوم عن الشيخين محمّد الحوت وعبد الله خالد وقد قلّدتهُ الحكومة السنيّة عدّة مناصب كنظارة النفوس في لبنان وعضويّة مجلس ادارة بيروت ومديريّة حيفاء ونيابة صور وبقاع العزيز تقلّب فيها كلها واظهر فيها درايةً وعفّة نفس وعلوّ همّة. وكانت وفاته في وطنهِ سنة ١٢٩٣ (١٨٧٦ م). وقد وصفهُ مَن عرفهُ بحسن المعشر وانس المحضر والصدق والاستقامة. وكان فصيح اللفظ طلق اللسان حسن النظم ولهُ مصنّفات منها ديوان شعرهِ الموسوم بالمورد العذب طُبع في بيروت سنة ١٣١٣ (١٨٩٥ م) بهمّة نجلهِ السيّد عبد الرحمن افندي. وقد كان بينهُ وبين الشيخ ناصيف اليازجي مكاتبات. ومما مدحهُ بهِ الشيخ قولهُ من ابياتٍ:

واذا اردتَ قصيدةً نبّه لها عُمَرًا ونَمْ
الشاعرُ العربيّ ذو الـغُرَرِ التي سَبَت العَجَمْ
في المكرمات لهُ يدٌ والى الصواب لهُ قدَمْ
ولهُ مناقبُ لا تُنا لُ كأنها صيدُ الحَرَمْ

وهذه نبذة من اقوال الحاج عمر. قال في التقى:

عليكَ بتقوى الله والصدقِ انَّما نجاةُ الفتى يا صاح بالصدقِ والتُّقى
وقسْ حال ابناء الزمان بضدّهِ ترَ الفرق ما بين السعادةِ والشقا

وقال في الزهد:

رغبتُ عن الدنيا وزُخرفِ اهلها وقلتُ لنفسي انَّما العيشُ في الأخرى
فدعني وزهدي في الحُطامِ فانَّني ارى الزهدَ في الدنيا هو الراحة الكبرى

ومن ظريف هجوهِ ما قالهُ في غلام قهوجيّ يُدعى هلالًا:

تعسَ الهلالُ القهوجيّ لأنهُ قد قطَّعَ الانفاسَ من انفاسهِ
هذا الهلالُ هو الهلاكُ وانما غلطوا فلم يضعوا العصا في راسهِ

وقال يهجو ثقيلًا كان لا يزال يذكر ذنوبهُ:

شكا ثِقل الذنوب لنا ثقيلٌ فقلتُ لهُ استمعْ لبديع قيلي
ثلاث بالتناسب فيك خُصّت فلم توجد بغيركَ من مثيلِ
ذنوبك مثل روحك ضمن جسمٍ ثقيلٍ في ثقيلٍ في ثقيلِ

ومن رثائهِ قولهُ في مارون النقاش لما توفي في طرسوس سنة ١٢٧١ من ابياتٍ :

فقدنا اديباً كان طرس براعهِ ... اذا خطَّ سطرًا نال من خطّهِ شطرا
اخا شيمٍ قد اعجزتْ عن مديحها ... لساني فامسى لا يُطيق لها شكرا
وما كنتُ يا مارونُ قبلك زاعمًا ... بانَّ الثرى عن اعيني يحجبُ البدرا ...
فكم لك في الاداب لطفُ شمائلٍ ... اذا ما نشرنا ذكرها تفحت نشرا
وكم لك من ابيات شعر حريَّةٍ ... بها أن تُحلّي جيدَها الغادةُ العذرا
ألا يا بني النقَّاش لا يحزننَّكم ... بكًا وسَّع الاجفان اوضيَّق الصدرا
أرى الدهر لما قسَّم الحزنَ خصَّنا ... بتسعة اعشارٍ وحمَّلكم عشرا ...
فآسف لو كان التأسُّف نافعًا ... عليهِ ولكنَّ الثناء لهُ احرى (لهُ بقية)

حيَّة فوق سرير

تعريب احد طلبة كليتنا

قرأنا في مجلَّة افرنسيَّة الخبر الآتي بقلم رحَّالة افرنسي يدعى هنري كوسان دخل الهند في السنة ١٨٨٩ وتجوَّل فيها مدَّة مع قرينتهِ مرغريت وولديه جورج وعمرهُ سبع سنين وحنَّة التى لم يتجاوز سنُّها تسعة اشهر

قال وصلنا بعد سفر طويل الى مدراس ثمَّ توغلنا في البلاد الداخليَّة حتى بلغنا قرية تدعى متاني يسكنها الهنود وفيها المزارع والغابات وكان السفر قد انهك قوانا فطلبت اليَّ امرأتي مرغريت أن نقضي هناك اسبوعًا لتشتدَّ قوانا فنواصل بعدها طريقنا . فاستحسنتُ رأيها ودخلنا بستانًا فطلبنا من صاحبهِ ان يفرد لنا قسمًا من بيتهِ نأوي اليهِ أيامًا وندفع لهُ اجرتهُ فعرض علينا بيتًا صغيرًا مجاورًا لبستانهِ تكتنفهُ حديقة فيها كثير من اشجار الهند الباسقة ورضي بان نبيت فيهِ ما شئنا لا يزعجنا في المكان غريب. فقبلنا بالسكنى واحتللنا الدار

فبتنا هناك ثلاثة أيام في العزلة والانفراد لكننا كنَّا نسمع اصوات الهنود المزعجة فنظنّ أنهم يريدون لنا سوءًا فنبقى في حذر منهم . ومع خوفنا من اذاهم كنَّا متمتعين بسعادة ناتجة عن السكينة وجودة الصحة مع سهولة حصولنا في الحديقة على ما يسدُّ احتياجنا للمعاش من بقول وخضر واثمار جنيَّة . وكنا نقضي ساعات النهار في الحديقة

نستظلّ تحت اشجارها ونغتسل بمياهها ونجتني اثمارها فتنتعش ارواحنا وتثوب قوانا

ففي عصر اليوم الخامس اذ كنت ادور في البستان وعلى كتفي بندقيّة لأتصيَّد بعض الطيور الحائمة على افنان الشجر ومرغريت جالسة على طرف الحديقة وبإزائها سرير كانت ابنتنا الصغيرة نائمة فيهِ وجورج يعدو بين الزهور ويجمع منها طاقة ليهديها أمَّهُ اذ سمعت فجأة امرأتي تدعوني اليها بصوت مرتجف يدلُّ على انها مصابة بهول هائل فالتفتُّ اليها وقد احاق بي الوجس والاضطراب. فرايتها قد امتُقع لونها وهي تمدُّ اليَّ يديها كأنها تطلب النجدة. فدنوتُ منها وطرحت عني البندقيّة لاسندها بذراعيَّ. فاطبقت عينيها وارتجفت اعضاؤها ثم اغمي عليها فسقطت على الحضيض

فغلب على ظني في اوَّل الامر انَّ قوماً من الهنود دخلوا المنزل قصد النهب والسرقة او عدوًّا استخفى في الحديقة بغية الاذى وكانت الافكار تتناوبني وتزيدني همًّا وغمًّا. لكنني تجلَّدت وسكَّنت هواجسي وزجرت نفسي على خورها ثم اخذت انظر الى ما حولي فلم اشعر بشيء مكدّر. وكان ابني جورج مهتمًّا بتنظيم طاقة زهورهِ وكان كلبنا دوغ نائماً عند باب البيت لا يوجس حراكاً. فبقيت متحيرًا في امري وامرأتي لا تزال مغشيًا عليها فاسرعتُ الى ما هو اهمّ واخطر وجئت بشيء من الماء فنفحت بهِ وجهها ففتحت عينيها ونظرت الى جهة مهد ابنتها فساد عليها الاضطراب ثانية وصرخت بصوت منقطع كاد الجزع يخنقهُ: انظر مهد ابنتنا... حيّة. فتقدَّمت الى ناحية السرير وكان يسترهُ عن نظري شجيرات ملتفة حولهُ. واذا بمنظر كاد يجمد لهُ دمي في عروقي. رأيت حيَّة طويلة سوداء اللون في ضخم الساعد قد التف قسمها الاسفل على قوائم السرير وارتفع قسمها الآخر على مهد الفتاة فاسندت راسها الى صدر حنّة وكانت هذه مكشوفة الوجه مطلقة اليدين غائصة في نومها الهادئ. وكذلك الحيَّة ما كانت تبدي حراكاً كأنها توسدت الفتاة واتخذت جسمها الناعم كفراش وثير

فحدّث عمَّا جرى بي من الهواجس لدى هذا المرأى ولا حرج فصرتُ كمن أُصيب بمسّ في عقلهِ فقفَّ شعر رأسي وارتجفت فرائصي وسال على جبيني عرق بارد فكدت اغيب عن الصواب. الّا اني نظرتُ امرأتي قامت واقتربت مني وقد اخذ منها الهلع كل مأخذ فخفت ان تتأثر باضطرابي فيزيد جزعها. فاشرتُ اليها أن: قفي في مكانك ولا تتحركي. فاطاعت امري

فبقيت اتفرس في هـذا المنظر المخيف وفي موقف ابنتي الحرج وقلت في نفسي : يا لله كيف تنجو الفتاة من نفثات هذه الافعى الخبيثة فلعلّها تستيقظ قريباً فتتحرك فتلسعها الحيّة وتودي بحياتها . فكنت اتقلّب على احرّ من جمر القتاد . وخطر ببالي عدة وسائط اتوسّل بها لخلاص ابنتي لكنّ في اتخاذها عقبات ومخاطر . فكيف اقتلها دون ان يثور ثائرها وتؤذي الطفلة كيفما شاءت وهي رابضة على جسمها . وفكّرت في اناء حليب اجعلهُ قريباً من المهد تشتمّ الحيّة رائحتهُ فتنساب اليهِ وتنجو الفتاة . ولكن انّى الحصول على الحليب في قرية لا اعرف احدًا من اهلها وليس تحت يدي خادم ارسلهُ لاستحضاره مع مسيس الحاجة وقرب الخطر . وكانت كل هذه الافكار تتنازعني ونظري شاخص الى السرير لا يحيد عنهُ بل كنت اضبط صوت انفاسي لئلّا يبعث الفتاة او الحيّة من رقادهما

بقيت وامرأتي على ذلك دقائق حسبتها اجيالًا ثم اشرت الى مرغريت ان ائتيني بالبندقيّة . فأتت بها مرتعبة وابتعدت عن المكان لئلا تنظر ما يضاعف اهوالها فالحقت بابنها جورج . فشكرت الله على ابتعادها اذ كان قربها مني يهدّ عزيمتي ويكسر عضدي

ثمَّ اخذتُ رصاصة ووضعتها في البندقيَة ووقفتُ للحيَّة بالمرصاد لأُصيب منها مقتلًا . فمرَّ عليَّ في هذه الحالة نصف الساعة ذقتُ فيها الموت الوانًا . وكانت عيناي تتحوَّلان من الفتاة الى الحيّة ومن الحيَّة الى الفتاة واعارض سكينة ابنتي وَدَعَتها وثغرها الباسم بشناعة ذلك الحيوان الخبيث وويلاتهِ المهلكة . فكانت تلك المقابلة تهيج كل عواطفي الابويّة فأشعر بنفسي كأني مصاب بدوار او لعبت في رأسي نشوة الراح

وأنا كذلك اذ رأيت النائمتين قد استيقظتا في وقت واحد وسمعت صوت بكاء الفتاة فكاد قلبي ينفطر واعددتُ بندقيّتي وتربّصت في مكاني . فكأنّ الحيَّة شعرت بحركاتي فرفعت راسها وحملقت اليَّ بعينيها واذا هما تتقدان كجمرتي نار وكانت تمدّ لسانها الطويل ثم تخطفهُ بسرعة البرق كأنها تتحفّز للشرّ . فقلت في نفسي : قد حان وقت العمل . فصوَّبت البندقية نحوها فحطَّت براسها نحو الفتاة كأنها تفتك بها فنُخب قلبي واستُطير لبي واصاب يدي نوع من الشلَل وخفت ان اطلقتُ البندقية أن اقتل ابنتي بدلًا من الحية او معها

اما حنّة الصغيرة فانها لم تدرك ما احدق بها من المخاطر فرفعت يديها الصغيرتين الى الحية كأنها تريد ان تُلاعبها فلم اتمالك عند هذا المنظر من ان اصرخ: ربي ترحّم على كريمتي. فكأن هذا الصوت ارعب الحية واما رأسها عن الطفلة لتصرف اليَّ غيظها فاخذت تُميل راسها نحو اليمين ونحو الشمال وتصوب اليَّ بعينيها وتنفخ بعنقها

فعرفت ان الخطب قد اشتدَّ وانهُ لا مناص لي وللفتاة من دهائها فرفعت بنظري الى الله مستمدًّا منهُ العون وشعرت كأنَّ قوة كهربائيَّة سرتْ في عظامي فصوَّبت ثانية بندقيتي الى الحية وشددت الزناد واطلقت الرصاص عليها. فانتشر الدخان واخفاها والفتاةَ عن عيني لكنني سمعت بكاء الطفلة وطرق آذاني حفيف الحيَّة مسرعة بين اوراق العشب الى وكرها. فهجمت نحو ابنتي وانا على آخر رمق وسقطت بقرب سريرها بين حيٍّ وميت. واسرعت امرأتي وابني جورج فركضا الى جهتي. فقمتُ للحال لأرى ما حلَّ بالفتاة فاذا هي صحيحة سالمة فاخذتها وسلّمتها الى والدتها التي أهطلت الدموع فرحًا بعد جزعها ويأسها

ثمَّ اخذتُ اتتبع طريق الحيَّة لئلا تحدث بنا سوءًا فلم اجد لها اثرًا الَّا اني رأيت في اصل شجرة ثقبًا فقلت لعلها دخلت في هذا الثقب فاطلقت فيهِ الرصاص. وبعد هنيهة سمعتُ ابني جورج يصرخ فركضت اليهِ فرأيت ليس بعيدًا منهُ حيَّة ضخمة تتلوَّى وتسير سيرًا بطيئًا لكنَّ علائم السخط تلوح من حركاتها. فلمَّا رأتني عرفت عدوَّها فحاولت ان تثب عليَّ لكنَّ قواها كانت خائرة فلم تستطع ان تُلحق بي سوءًا فشججتُ راسها بطرف بندقيتي. ثمَّ قستها واذا بطولها خمس اذرعٍ بنيّف وهي من جنس الحيَّات الخبيثة التي تُهلك في الهند مئين من السكان. ولم تشأ امرأتي ان تبقى في ذلك المكان الى آخر الاسبوع بل رغبت اليَّ ان تبتعد عنهُ سريعًا فخرجنا مواصلين لسفرنا

الالفاظ السحريّة

نظر للأب لويس شيخو اليسوعيّ

انَّ من الالفاظ لسحرًا ! قد اعتاد البشر في كل اجيالهم أن يستروا تحت حجاب بعض الالفاظ جواهر من المعاني فلا يكاد يسمعها السامع حتى تثير في قلبهِ عواطف متباينة واهواء متناقضة تعمل فيهِ عمل الكهرباء في اهتزاز الاجسام والبرق في اختطاف الابصار. وليس أمة من الامم الَّا اختارت لها بعض هذه الالفاظ اتخذتها كشعار يُعرَف بهِ ابناؤها او كلواء يستظلّ تحت طيَّاتهِ اصحابها . وترى على خلاف ذلك كلماتٍ تودّ الامم ان تنفيها من معاجمها فاذا ما طرقت آذان مبغضيها بعثت فيهم الحقد واثارت في قلوبهم الشحناء واصبحت كالشرارة في البارود تلتهمهُ التهامًا

على انَّ كثيرًا من هذه الالفاظ مما ينخدع بهِ الجمهور لاختلاف باطنهِ عن ظاهرهِ او بالحري لتباين اوصافهِ فهو كابي قلمون « على كل لونٍ يكون » او كالدينار الحريري

اصفر ذي وجهين كالمنافقِ يبدو بوصفين لعين الرامقِ

فربَّ كلمة من هذا الصنف تستَّر بها ذوو الغايات فأضمروا الشرَّ في شبهة الخير ودسّوا السم في الدسم. والتاريخ مشحون بذكر الحروب والخصامات التي انتشبت بسبب هذه الالفاظ الخدَّاعة. واليوم مذ أُطلق العنان للخطباء وعادت الجرائد الى استقلالها قد توفَّرت هذه الكلمات فلا تسمع خطابًا الَّا تتكرَّر فيهِ مثل هذه الالفاظ ولا تقرأ فصلًا لم تنمّقهُ هذه الكلمات السحريَّة . على انَّ العاقل لا يقنع بالشبهات كما انَّ الصرَّاف ينتقد الدراهم لئلَّا يبدل الصحيح منها بالزائف. ومن ثمَّ رأينا ان نفرد لبعض هذه الالفاظ المشتبهة فصولًا لنسبرها بعيار العقل ونعرضها على محكّ الانتقاد فنعرف معانيها الصوابيَّة ونتبذ سوءَ مفهومها . عملًا بتعليم الرسول المصطفى الذي حرَّض مرارًا تلميذيهِ تيطس وتيموتاوس بان يلازما الكلام الصادق الصحيح (تيطس ١ : ٩ تيموتاوس ١ : ١٣) ويجتنبا الكلام العالي الملتبس (١تيموتاوس٢ : ١٦) وامرهما ان يناشدا المؤمنين امام الرب أن لا يتماحكوا بالكلام (٢ : ١٤) ارشدنا الله الى كل صواب ويقين

١ الحرّيّة

كنّا أمس لا نتجاسر بلفظ اسم الحرّيّة واذا ورد اسمها في كتابة بل في اثرٍ قديم اضطرّنا المراقب سامحهُ الله بالضرب على الكلمة فنحتار في امرنا ولا ندري بأيّة لفظة نسدّ مسدَّها . فكم اختلف اليوم عن الامس وهاك الحرّيّة اصبحت الان سلافة العموم وكوثر الجمهور كاد يعرفها الصغير قبل التهجّي باسم والديهِ وينتشي ريحها الشاب فيسكر من عبيرها ويرتشفها الشيخ فيعود الى شبابهِ . هي الشعار الذي يعلو حديقة مدينتنا وبهِ دُعيت حديقة الحرّيّة . وهي القطب الذي تدور على محوره كل افكار القوم

فمن اين يا تُرى للحرّيّة هذه القوة أفعليها مبنى كل سعادة الانسان او هي الخير الاعظم الذي ليس وراءهُ خير فتنفي كل الشدائد وتشفي كل الاوجاع . او ليس وراء هذا المنظر الوسيم مخبر وخيم . ولعلّ اصحاب الغايات لا ينادون بالحرّيّة الّا لترويج اغراضهم الشخصيّة وامتهان كل من لا يوافقهم على مآربهم فيسترقّون خصومهم بحجة الحرّيّة وتصبح الحرّيّة آلة الاستعباد

يعلم الله انّنا لسنا ممن يشنأُ الحرّيّة . ولو فعلنا لأتينا بذلك اثمًا فظيعًا في حق الخالق ونكرنا آيات الكتب المنزلة وناقضنا تعاليم الكنيسة لا بل اقترفنا جرمًا بازاء الطبيعة والعقل السليم

من المعلوم ان الله خلق الانسان على شبههِ وصورتهِ اعني انهُ خصَّهُ بالعقل والتمييز ليدرك الامور ويفرز بين خيرها وشرها . لكنَّ هذه الهبة الشريفة لا تبلغ كمالها الّا بحرّيّة الارادة بحيث تتنزّه الارادة البشريّة ليس فقط عن كل اقتسار خارجي يضغطها بل عن كل دافع باطني يضطرّها في اعمالها اضطرارًا ما وينزع عنها ميلها الى اختيار ما تشاء . فالحرّيّة اذًا من اعظم مواهب الخالق للطبيعة البشريّة الناطقة

وزد على ذلك انهُ تعالى ما انجز خلق الابوين الاولين حتى اوصاهما بطاعتهِ وقضى عليهما بامر لازب تهدَّدهما بالعقاب ان تجاوزاهُ ولولا حرّيتهما في اتمام سنّتهِ تعالى او نقضها لكان حكمهُ جائرًا وعقابهُ لهما بعد خطيئتهما ظلمًا اذ يكون اوصاهما بما لا مناص لهما عن فعلهِ . والقول بذلك كفر محض . وكذا يقال عن وصاياهُ تعالى لبني اسرائيل لا

بل عن كل السُّنن الطبيعيَّة التي يعرفها البشر كافَّةً بمجرَّد نور عقلهم. فانها لا تقع تحت طائل الجزاء والعقاب الّا على افتراض حريَّة الانسان

وقد صرَّح الرب بما منحهُ من الحريَّة للبشر في كلامهِ الى قاين لمَّا سقط وجههُ وحسد اخاه لقبول تقدمتهِ (تكوين ٤: ٥—٧) فقال له الربّ: «لِمَ شقَّ عليك ولِمَ سقط وجهك ألا انك ان احسنتَ تنال وان لم تُحسن فعند الباب خطيئة رابضة واليك انقياد اشواقها وانت تسود عليها». فهذه الآية تبيّن علانيةً ان بواعث الخطيئة في الانسان منقادة الى امره يمكنه ان يسود عليها كما يستطيع ان يُحسن بعملهِ فينال عنه الجزاء

وفي الكتاب آيات عديدة تثبت هذه الحريَّة ففي تثنية الاشتراع (٣٠: ١١—١٨) يعلن الله لشعبهِ انَّ رسومه التي فرضها عليهِ ليست بعيدة منه او صعبة المنال لا في السماء ولا وراء البحار ثم يردف قائلًا: «بل الكلمة قريبة منك جدًّا في فيك وفي قلبك فتعمل بها. انظر. قد جعلت اليوم بين يديك الحياة والخير والموت والشر... فان حفظت وصايا ربك تحيا. وان زاغ قلبك تهلك هلاكًا». ومثل هذا في الاسفار المقدسة كثير. ومن اصرح ما ورد في ذلك قوله تعالى في سفر ابن سيراخ (١٥: ١٤—١٦): الربُّ صنع الانسان في البدء وتركه في يد اختياره واضاف الى ذلك وصاياه واوامرهُ فان شئت حفظت الوصايا ووفَّيت مرضاته. وعرض لك النار والماء فتمدُّ يدك الى ما شئت. الحياة والموت امام الانسان فما اعجبه يُعطى له» وهو كلام لا يُبقي شبهة في الحريَّة البشريَّة. وفي هذا السفر عينه (٣١: ١٠) يقول الله الطوبى للرجل الصالح البار الذي «قدر ان يتعدَّى فلم يتعدَّ وان يصنع الشرّ فلم يصنع»

وكما اتضحت آيات الكتاب في حريَّة الانسان فكذلك الكنيسة منذ عهد الرسل الى يومنا لم تزل تدافع عن تلك الحريَّة على مثال السيد المسيح الذي جعل الدخول الى الحياة الابديَّة منوطًا بمشيئة الانسان بان يحفظ الوصايا (متى ١٩: ١٧) قال القديس اوغسطينوس في شرحهِ للآيات السابقة: «في هذه النصوص الكتابيَّة شواهد لامعة على ان الانسان أُعطي حريَّة الارادة». وقد نفى في كتابهِ الى فوسطوس كلّ اقتسار في ارادة الانسان وانكر قول الجبريَّة سواء كان بحكم النجوم او بتقدير سابق لمشيئة الله. وفي كتابهِ الى المانوي فليكس يقول: «لكلّ انسان في مشيئتهِ استطاعةٌ على ان

يختار الامور الصالحة فيصبح شجرة صالحة او يختار السيئات فيضحي شجرة فاسدة».

وقال القديس يوحنا فم الذهب لسان الكنائس الشرقية في شرح سفر التكوين: «لانَّ الله جعل الخير والشر الفضيلة والرذيلة في حكم الارادة البشريّة فلذلك يتهدَّد الخطأة بالعذاب و يعد الاخيار بالثواب»

ولا يخالف تعليمُ المجامعَ معتقد الآباء كفى لاثباتهِ القانون الذي وضعه المجمع التريدنتيني لرذل الاضاليل البروتستانية: «مَنْ قال بان حريّة الانسان بعد خطيئة آدم قد فُقدت وتلفت ... فليكن مُبسلًا ومحرومًا»

و يوافق العقل هذه المنقولات اذ يبيّن صريحًا ان الحريّة من اخصّ هبات الله للحي الناطق وانَّ بدونها لا تقوم الشرائع ولا تثبت الهيئة الاجتماعية. فليت شعري كيف يأمر المشترع بصنع الشيء او ينهي عن العمل بهِ ثم يجازي المخالفين لولا علمهُ اليقين بانَّ المأمورين قادرون على اتمام اوامرهِ

ولا نطيل الكلام في بيان هذه القضية مع وضوحها وقد مرَّ في المشرق (٧: ٣٧٦) فصل جليل لاحد فلاسفة النصارى بولس الراهب اسقف صيداء بسط فيهِ الكلام عن هذا الموضوع فليراجع

تلك هي الجوهرة الكريمة وذلك هو الكنز الثمين الذي خصَّ بهِ الخالق كلَّ عاقل ليفوز بغايتهِ القصوى. وكما انهُ تعالى منح الافراد تلك الهبة السامية اراد ايضًا ان تزدان بها الاجتماعات البشرية فتسعى وراء ما يلائم خيرها ويزيد في عمرانها وتضمُّ قواها في تعزيز جانبها وادراك غايتها ونفي كل ما يضرّ بصوالحها. فحريّة الشعوب ملازمة لحريّة الافراد. ويحقُّ للامم ان تدافع عن حرمة حريّتها المدنية والسياسية كما يجدر بالافراد ان يحموا ذمار حريّتهم ويذبُّوا عن حقيقتها

*

فهيهات اذن ان ننكر الحريّة او نبخس من حقوقها ونحن ابناء تلك الكنيسة التي قامت في وجه العالم الوثني لابطال رقّ العبوديّة ونفي ذلك العار العظيم الذي شوَّه وجه الانسانية مدَّة نيف وثلاثة آلاف سنة حتى كان القسم الاكبر من البشر اضحى مستعبدًا لمن كانوا يُدعون وحدهم باحرار. وقد وضع الرسول منذ اوَّل النصرانية مبادئ المساواة والاخاء بين كل ابناء الايمان حيث قال (غلاطية ٣: ٢٨): «ليس

يهوديٌّ ولا يونانيّ ليس عبدٌ ولا حرّ . . . لانكم جميعاً واحدٌ في المسيح يسوع ». وقال (كولسي ٣ : ١١) : « والبسوا الانسان الجديد الذي يتجـدَّد للمعرفة على صورة خالقهِ حيث ليس يوناني ولا يهودي ولا ختان ولا قُلف ولا اعجميّ ولا اسكوتي ولا عبد ولا حرّ بل المسيح هو كلّ شيء وفي الجميع »

ولكن قلْ لي ناشدتك الله أفيلزم من كون الانسان حرًّا ان تسوّغ لهُ هذه الحرية ان يفعل ما بدا لهُ ويتفوَّه بكل ما خطر على بالهِ ولا يعترض لـهُ احد في حركاتهِ وسكناتهِ مهما كانت اعماله ذميمة شأن البهائم العجماء وضواري السباع التي لا يردعها رادعٌ في حملاتها وشأن السيل الزحاف الذي يندفع من علُ فلا يقوم في وجهـهِ حاجز ويأتي بالمعاطب والمهالك. كلّا ثم كلا فانَّ الذي يفهم على هـذه الصورة معنى الحريَّة لفي غلط مبين.

ثبت لك مما مرَّ انَّ الحريَّة في الانسان هي قوة في ارادتهِ بها يستطيع ان يقبـل على عمل او يمتنع عنهُ وان يقدم على امرٍ او خلافه ويختار بين الخيرات ما شاء اختياره. لكنَّ الارادة في الانسان قوَّة عمياء تميل بهِ الى اشياء مختلفة يمكنها ان تضرَّه ولا تنفعهُ فاذا تهافتت اليها دون رويَّة وادراك ربَّما عثرت بما فيهِ هلاكهـا وسقطت في مهواةٍ لا نجاة لها منها على مثال الاعمى الذي يسقط في الحفرة. فلا بدَّ اذن للارادة البشريَّة من دليل يقودها ومرشد يتقدمها وهذا الدليل هو رائد العقل جعله الله في الانسان بمثابـة المصباح ليستضيء بهِ قبل ان يترك ارادته تتسارع الى ما فيه عطبهُ

فترى ان ارادة الانسان مقيَّدة بالعقل خاضعـة لحكمه ومن ثم يجب ايضاً القول بانَّ حريَّة المرء مقيدة اذ الحريَّة من صفـات الارادة الجوهريَّة ومتى خالفت الارادةُ حكمَ العقل واستعملت حريَّة اختيارها في طلب شهواتها بمعزل عنه تعدَّت طورهـا وافسدت حريَّتها كما لو اتَّخذ المرء سلاحاً وُضع للدفاع وقتل العدوّ ليقتل بهِ نفسهُ او يهلك بعض اصدقائه وذلك سوْ استعمال الحريَّة الذي ليس هو في الانسان من الكمالات بل هو نقصٌ وخللٌ متعلّق بمشيئة المرْ ما دام في هذه الحياة. فان استسلمت الارادة لهذا النقص نزلت عن رتبتها وتلطخت بالاثم. ومن اقترف الاثم فقدَ الحريَّة وفقاً لقول السيد المسيح لليهود (يو ٨ : ٣٤) : انَّ من يعمل الخطيئة هو عبد للخطيئة

فان كان الامر كذلك ولا بدَّ للارادة من استشارة العقل قبل استعمال حريَّتهـا

لئلا تتهوَّر في لجّة الاثم وتقع تحت رقّ العبوديّة فدعنا نستفتي العقل عن تخوم الارادة ونستطلعه عن حدود الحريّة فلا بدع انه يفيدنا عن الامر ويبيّن لنا جليًّا الى اين تبلغ الارادة ومتى يجوز لها بان تطلق لحريّتها العمل دون ان يلحق بها الاثم

اوَّل ما يحكم به العقل انّ الانسان مخلوق وله خالق يتولّى امره ويطالبه باعماله ليثيبه على حسناته او يقتصّ منه لسيئاته. فمن هذا الوجه تتقيَّد حريّة المخلوق وتترتَّب عليه واجبات لبارئه لا مناص له منها فيعبدهُ تعالى ويتمم وصاياه وينقاد لوحيه اذا ثبت الوحي لانبيائه. فان استعمل الانسان حريّته لمكابرة الحق ومخالفة سلطانه الاعلى سبحانه وتعالى اجتنى اثمًا وصارت له حريّته وبالًا

ثم يفيدنا العقل اذا طلبنا مشورتهُ انّ الانسان خُلق لينتظم في سلك الهيئة الاجتماعية فيكون عضوًا من اعضاء ذلك المجتمع الادبيّ وبما انّ المجتمع البشري يتألّف من رؤساء ومرؤوسين ومن امراء ومأمورين فيلازم كلّ انسان ان يحفظ سُنن ذلك الجسم العظيم ولا يتعدَّى شرائع العمران البشريّ فيقوم بواجبات مقامهِ في بيتهِ اوّلًا من حيث هو صاحب عائلة او هو مولود او مستخدم. ثم في وطنهِ في اي منصب كان فيعيش على مقتضى واجبات الملك اذا كان ملكًا والمملوك اذا كان مملوكًا متممًا لفرائض مهنتهِ ووظيفتهِ قائمًا بشرائع بلادهِ والترتيبات الموضوعة بالحكمة البشريّة والمفروضة من اصحاب الامر الشرعيين على حسب النظام المدنيّ ووفقًا للشريعة الازليّة التي كتبها الله في القلوب لانّ كل سلطةٍ من الله كما يعلمنا الرسول وكل من يقاوم السلطان انّما يُعاند ترتيب الله (رومية ١٣ : ١)

ثم يرشدنا العقل ايضًا الى اكرام الذين يضبطون السلطة حتى انّ الرسول (١ف ٦ : ٥) يطلب منّا الطاعة للسادة الجسديين كطاعتهم للمسيح. وان كان يحقّ على الانسان الطاعة للسلطان المدنيّ فكم بالحريّ ينبغي لهُ الخضوع للسلطان الدينيّ الذي يمثّل السلطة الالهيَّة على نوعٍ اخصّ وهو اجدر بان يُسمَّى ظلّ الله على الارض. وكل هذه الواجبات يقف عليها الانسان بمشاورة عقلهِ فتتقيَّد حريّتهُ من كل هذه الوجوه

ويكشف لنا العقل الصائب بان حريّتنا مقيَّدة ايضًا بازاء قريبنا فانّ كل البشر قد وُهبوا الحريّة مثلنا فلا يجوز لنا ان نحصر حريّتهم او ننقصها طمعًا في توسيع حريّتنا اذ يبيّن لنا العقل هذا المبدأ الاوَّلي: لا تفعل بغيرك ما لم تشاء ان يفعل بك غيرك

فكلّ هذه الحقائق وغيرها مما يتبادر الى العقل بديهيًا عند التبصر والتفكير تُثبت علانيةً بان الحريّة الانسانيّة لا تتناول غير امور معلومة لا تخرج عن دائرة الشريعة الصمدانيّة والشرائع البشريّة المبنيّة على تلك الشريعة العليا الازليّة . امّا الحريّات التي تمنحها بعض الدول او تجاهر بها دساتير بعض الامم كحريّة الفكر وحريّة القول وحريّة الاديان وحريّة المطابع فانّها كلها لاحقة بالمبادئ التي سبق ذكرها والتي يقضي بصوابها العقل السليم فان خالفت تلك المبادئ انقلبت فوائدها الى مضرّات وبيلة واستحقت ان تُدعى استرقاقًا وعبوديّة بدلًا من الحريّة وليس لدولة سلطانٍ او دستور ان يتسامح بها اذ لا تقوى شريعة بشريّة على شريعة الله

فخذ مثلًا حريّة القول . افيجوز بعد منح الدستور ان يتشدّق كل مهذار بما يدور في خلده فيطعن زيدًا ويكشف عيوب عمرو ويستخفّ بالسلطان وينتقد على اصحاب الامر دون سبب كافٍ ويسلق بلسانه الحادّ ارباب الدين ويطرئ المخلدين الى اثارة الفتن كأنّ الغيبة والنميمة والافتراء وثلب الاعراض لم تَعُد من الجرائم التي يُسأل عنها الانسان وكأن الدستور الغى من جملة المحظورات اكرام السلطان واعتبار ممثلي الدولة وتوقير خدَمة الدين والطاعة لاوامرهم في ضمن دائرة سلطتهم . لا لعمري انّ الدستور لم يُلغِ شيئًا من ذلك ولم يمكنهُ الغاؤه مهما شاء لانّ ذلك ليس بوسعهِ ولا بسلطة بشر

وما قلناهُ عن حريّة القول يُقال ايضًا عن حريّة المطابع فانّ لاصحاب المطابع ان ينشروا كل ما فيهِ فائدة للجمهور وللخير العام او الخاصّ على شرط ان يراعوا المبادئ المذكورة فلا يخدشوا في شيء وجه الآداب ولا يبخسوا حقوق الدين ولا يمتهنوا السلطة الحاكمة فان وجدوا في ارباب الحكم ظلمًا او قصورًا نبّهوا اليهِ بما امكنهم من الاعتدال او رفعوا الامر الى المراجع العليا ليُصلَح . امّا رؤساء الدين فان مقامهم يستدعي اعتبارًا اعظم لانهم آباؤنا الروحيون فيفوقون على آباء الطبيعة كما تفوق الروح على الجسد واذ لا يجوز للولد الطبيعي ان ينتهك حرمة والدهِ فيستحقّ لعنة كنعان فكذلك يجني جناية عظيمة الكاتب النصرانيّ الذي يندّد برؤسائهِ الروحيين ويبخس من قدرهم وينكر لهم الطاعة وبذلك يعصي اللهَ نفسه الذي قال (لوقا ١٠ : ١٦) انّ السامع منهم يسمع منهُ تعالى والذي يحتقرهم يحتقرهُ . وهو الذي اوصى بفعل

ما يقولهُ الكتبـة والفريسيون رغماً عن سوء اعمالهم لانهم جالسون على كرسيّ موسى (متى ٢٣ : ٢)

اما حريّة الفكر وحريّة الاديان فـلا يراد بهما ان للانسان ان يطلق لافكاره العنان فينوي الكفر والزندقة والالحاد او انـهُ يسوغ لهُ بان يتبع ايَّ دين شاء دون تروّ حتى الشرك وعبادة الاصنام والمجوسيَّة وانَّما المقصود بهما ان الحكومـة تقصر همَّها بالامور المدنيَّة ولا تتداخل بما يختصّ بذمة الانسان ودينه وانما تحمي ذوي الاديان على سواء تاركة لهم المسؤوليَّة في تديُّنهم سواء كان هذا الدين باطلًا او مستقيماً على شرط ان كلًّا منهم يلزم دينه دون مناوأة دين غيره وإن رأى ان دينـه ليس بالدين الصحيح فلا تتعرَّض له السلطة المدنيَّة ان ابدله بعد الفحص والتفتيش بدين آخر يراهُ الدين اليقين

فهذه هي الحريَّة الصحيحة المبنية على شهادة العقل وعلى المبادئ الثابتة والاساس المتين وكلّ ما يقوّض هذه الاركان انما هو مكر وخداع ليس لهُ من الحريَّة غير اسمها وزيّها دون جسمها وحقيقتها . بل قل انَّ ذلك استعباد ورقّ على مثـال اولئك الذين بكَّتهم الروح القدس على لسان اشعيـا النبي قائلًا (٥ : ١٠—١٢) : « الويل للذين يجرُّون الاثم بحبال الباطل . . . الجاعلين الظلمـة نورًا والنور ظلمة الجاعلين المرَّ حلوًا والحلو مرًّا » . فهذا الويل يحلُّ بلا شكّ باولئك المتهتّكين الذين لا يرون في منح الحريَّة الّا مجالًا لخلع العذار وترويج اهوائهم الباطلة وتنكيس كلّ من يتجاسر على مقاومة جموحهم وقحتهم . امَّا الحريَّة فهي تتبرَّأ منهم وتعدُّهم من الدّ اعدائها لانهم يرتكبون كلّ محظور ومحروم وينسبون ذلك الى الحريَّة كاذبين

يروي تاريخ فرنسة عن امرأة شهيرة تُدعى مدام رولان (Mme Rolland) انَّها لعبت في ايَّام الثورة الفرنسويَّة دورًا مهمًّا وكانت من اشدّ انصـار الثائرين تخطب وتكتب باسم الحريَّة لتهيّج القلوب وتلقي فيها البغض والشحناء على ملك فرنسة لويس السادس عشر حتى قتلهُ رعاياهُ ثم لم تزل مدام رولان تجمح في غلوائهـا وتحرّض على تقويض دعائم السلطة حتى تآمر عليها بعض اصحاب الثورة وقبضوا عليها وحكموا بقطع رأسها فحملوها الى منقع الدم فلمَّا مرَّت بساحة من ساحات باريس حيث نُصب تمثال للحريَّة التفتت اليها صارخةً : « يا حريَّة يا حريَّة كم وكم من الآثام يرتكبها الناس باسمكِ »

فيا ليتنا لا نرى قريباً مثــل هذه السيئات يجترحها غوغاء القوم فينسبونها زورًا الى الحريّة . فانهُ ليس حريّة صحيحة خارجاً عن الدين والآداب وكل حريّة سواها جورٌ وخلاعة مهما كذب الكاذبون الذين لا يحجزهم في ركوب اهوائهم تقىً ولا يردعهم عن الآثام نهيٌ ولا مراء . انهم سيُجرَحون يوماً كدام رولان بعديتهم ويعود كيدهم في نحرهم

مطبوعات شرقية جديدة

UNIVERSITÉ SAINT-JOSEPH DE BEYROUTH, MÉLANGES DE LA FACULTÉ ORIENTALE. *Beyrouth. Impr. Catholique*, 1906-1908, vols I-III, pp. 377, 423 et 477.

طُرف لاساتذة المكتب الشرقي في كليّة القديس يوسف

هذه المرّة الاولى نذكر فيها هذه الطُرَف التي هم بنشرهــا اساتذة المكتب الشرقي اللاحق بكليتنا . وليس لسكوتنا سبب غير ما اسكت الضفدع :

قالت الضفدع قولًا فسَّرتهُ الحكماء
في فمي ماءٌ وهل ينــطق من في فيهِ ماء

هذه الطرف عبارة عن ثلاثة مجلدات كبيرة الحجم تحتوي ٢٥ مقالة في العلوم الشرقية كالتاريخ الدينيّ والمدني والجغرافيــة والآثار والعاديّات والابحاث اللغويّة في العبرانية والقبطية والعربية وغير ذلك من المواضيع الخطيرة التي يرتاح اليهــا العلماء لاسيا في الاقطار الغربية وكلُّهم قد تلقَّوها بالترحاب واثنوا على اصحابها . ولا نشك في انَّ اهل بلادنا يقبلون عليها ايضاً اذا ما اطّلعوا على مضامينها المفيــدة لمعرفة احوال الشرق وعاديّاته . وهذا جدول مقالات الجزء الاخير ندوّنهُ هنا كمثال على ابحاث هــذه الطرف : ١ً كتاب النَّعم لابي عبيد . نشرهُ الاب بو ريج اليسوعي ٢ً مباحث في تاريخ خلافة معاوية (تابع) للاب ه . لامنس . ٣ً والي فينيقيــة الروماني ايليوس ستاتوتس من السنة ٢٩٣ الى ٣٠٥ . للاب ل . جلابرت . ٤ً ملحوظات لغويّة في اللغة العبرانية للاب بولس جوون . ٥ً المزامير ذات الادوار . للاب ه . وَيسمان .
٦ً سياحة الدكتور ب . مورتس في جهــات عيون موسى وبلاد العرب (مصوَّر) .
٧ً كتابات يونانية ولاتينية في آسية الصغرى (بنطس والقبادوق وقيليقية) . للابوين

جرفانيون وجلابرت اليسوعيين. وكل هذه المقالات مكتوبة على الطريقة العلميَّة الجارية بين كبار الكتبة مع تعليقات وشروح وتفاسير تجعلها في جملة التآليف المبتكرة التي لا يسع العلماء جهلها او الاضراب عنها. ومعظمها في مواضيع لم يسبق المؤلفين احدٌ الى البحث فيها. مثال ذلك اكتشاف الاب جلابرت لوالٍ رومانيٍ مجهول تولّى الامر على عهد القياصرة ديوقلسيانوس ومكسيميانوس وقسطنس استنادًا الى كتابتين جديدتين. وكذا قُلْ عن بقية المقالات التي في هذا القسم بل في الاقسام الثلاثة كلها كما اقرَّ بهِ العلماء الذين قرَّظوا هذا المجموع م. شان

Etudes sur le Règne du Calife Omaiyade Mo'awia 1[er], par le **P. H. Lammens** s. j., *Beyrouth. Impr. Catholique*, 1908, pp. 448+ XXXII.

مباحث تاريخية في خلافة معاوية

ليس بعد عُمر بن الخطَّاب رجل كمعاوية وطَّد اركان الخلافة ومثَّل في شخصهِ صفات ملوك العرب. فلبيان الامر كان حضرة الاب هنري لامنس ألقى في المكتب الشرقي خطبًا متوالية حضرها ادباء بيروت بكل رغبة. ثمَّ عنَّ للخطيب ان يجمع تلك الدروس فينشرها في طُرَف المكتب الشرقي السابق ذكرها فظهرت في اجزائها الثلاثة الاولى. ثم طُبعت على حدة في كتاب ضخم تبلغ صفحاته ٤٤٨ ما خلا فهارسهُ الواسعة. وهذا التأليف اوسع وادقّ ما كُتب الى يومنا عن اوَّل خلفاء بني امية وقد استعان الكاتب الفاضل في تأليفهِ بتواريخ عديدة طُبع قسمٌ منها والقسم الآخر لا يزال مخطوطًا وفي ذيل الصفحات الاسانيد التي ركن اليها لإثبات آرائهِ الجديدة المستطرفة في تعريف ذلك الامام الجليل ووصف اخلاقهِ وآدابهِ وسياستهِ مع اهلهِ ومواطنيهِ من المسلمين والرعايا. وهذا الكتاب يستحقُّ ان يُنقل الى العربية ولعلّنا نعرّب منهُ بعض فصولهِ تنويهًا بفوائدهِ وفضل مؤلفهِ ل. ش

Dialoghi Italiani Arabi per il padre **Ambr. Iammin Scebabi.** *Beyrouth*. Tip, *Cath.*, 1908, pp. 400.

مخاطبات ايطاليانية عربية للقس امبروسيوس يمّين الشبابي (المطبعة الكاثوليكية في بيروت سنة ١٩٠٨ ص ٤٠٠)

كان للغة الايطاليَّة في بلادنا مقام رفيع قبل انتشار اللغة الافرنسيَّة وهي لم تفقد الآن مع ذلك اهميَّتها لنفوذ ايطاليا في الشرق ولاحتياج التجار اليها في معاملاتهم وهذا

الكتاب يحتوي من التمارين والمخاطبات وجداول المفردات ما يضمن للطلبـة تعلم اللغة الايطاليانيَّة بوقت قريب على شرط ان يكون الدارس قدَّم عليـهِ درس صرف اللغة ونحوها . وقد تفنن صاحب التأليف بوضع هذه المخاطبات فاودعهـا كثيرًا من المباحثات التي تدور بين الناس في كل ظروف الحيـاة حتى اصبح نافعًا للكبار فضلًا عن احداث المدارس. والكتاب مطبوع بحرف جميـل وعلى ورق صفيق نحضُّ محبي اللغـة الايطاليانيَّة من اهل الوطن على اقتنائهِ ل.ش

Petit résumé d'histoire à l'usage des écoles d'Orient par **J. Méchélany**. Histoire de la Gréce, 1re *partie, Zahlé*. 1907,pp. 60.

مختصر تاريخ اليونان بالافرنسية

طُبع هذا الكتاب بالافرنسية في مطبعة المدرسة الشرقيـة في زحلة وهو يحتوي بالسؤَال والجواب خلاصة التاريخ اليوناني في احد عشر فصلًا منـذ نشأة الدول اليونانية الى ايَّام المسيح. وهو مختصر مفيد للمدارس الابتدائيـة فقط ل.ش

العبادة الحقيقية لمريم البتول الامّ الالهية

تأليف الطوباوي لويس دي مونفور . عرَّبهُ الاب ادوار سازاني اليسوعي

طُبع في بيروت بالمطبعة الكاثوليكية سنة ١٩٠٨ (ص ١٧٣)

الطوباوي لويس دي مونفور قديس عظيم وكاتب بليغ معًا. اشتهر في اعمال فرنسة بقداستهِ في اواخر القرن السابع عشر واهدى بعظاتهِ الى التوبـة عددًا لا يُحصى من الخطأة . وله عدَّة تآليف تقويَّة انار بها العقول وألان القلوب . من جملتها هـذا الكتاب في العبادة الى العذراء الطاهرة. فبعـد ان عرَّب حضرة الاب ادوار سلزاني كتاب القديس الفنس دي ليغوري الذي عنونـه « بالطريق المستقيم الى حب يسوع القويم » اراد ان يجعل هذا الكتاب كملحق للكتاب السابق لئلا يفصل الامّ عن ولدها وقد احسن باختياره لهذا المصنَّف الجليل الذي يتضمن في فصول قليلة اباب التعبُّـد الى مريم البتول مع بيان ضرورة هذه العبادة وصفاتها وفوائدها ومفاعيلها مع الطرائق المرشدة الى ممارستها فنشكر حضرة المعرِّب ونطلب من البتول ان تجازيهُ خيرًا على فعلهِ وتنفع بكتابهِ النفوس البارَّة . ل.ش

تأثُّري في لورد

للاديب يوسف ابي كرم البرمّاني (مطبعة الاجتهاد ١٩٠٨ ص ٣٨)

كتبنا في احد اعدادنا السابقة فصلًا في لورد وتاريخها وعجائبها بنسبة اليوبيل الخمسيني لظهورها في تلك البلدة المباركة. وقد جرت بعد ذلك حفلات عظيمة اهتزّ لها العالم الكاثوليكي طربًا وكانت الجموع الوفًا وربوات ومئات الوف تتوالى حاجّةً الى ذلك المزار الشريف لتنال من نعم سلطانة السماء نصيبًا. اما العجائب التي تجترحها صاحبة المكان في كلّ سنة فقد ضاعفتها في هذا العام نحو البائسين الملتجئين الى حماها فكأن لورد اضحت اليوم مستشفى لكل مرضى الخافقين واسعدنا الحظ بان نجتمع ببعض الذين حضروا تلك المظاهرات فكانوا كلهم ألسنة ناطقة بفضل العذراء ومعجزاتها التي شاهدوا منها بالعيان عددًا وافرًا من عرج وكُسحاء مشوا وعميان نظروا ومزمنين أيس منهم الاطباء برئوا تامًا. ولم تعدم بلادنا السوريّة من الزوار الذين ذهبوا الى لورد ورجعوا ليشهدوا بما عاينوا. ولم يكتفِ جناب يوسف افندي ابي كرم بان يؤدي لمواطنيهِ هذه الشهادة الشفاهيَّة بل احبَّ ان يدوّنها على صفحات كراسة نشرها بعد رجوعهِ من لورد وضمَّنها اخبار رحلتهِ الى ذلك المقام الشريف مع العجائب التي جرت فيهِ. وقد ختمها بقصيدة مطلعها

بلُردٍ قد تركتُ القلبَ لمَّا بكت عيني مودّعةً رباها

وختمها بقولهِ:

سلامٌ من فتًى يبغي مماتًا بلُردٍ لا حياةً في سواها
سأذكر حسنها ما دمت حيًّا واذكر لُرد ما هبَّت صباها

الشاديات: نبذة اولى من التواريخ

نظم حضرة الخوري اسطفان ضوء خادم البترون
طُبع في المطبعة الشرقية في لبنان (١٩٠٧ ص ٣٢)

هي باكورة منظومات حضرة المؤلف ضمَّنها التواريخ الشعريَّة التي قالها من السنة ١٨٩٥ الى السنة ١٩٠٧ وهي تربي على ستين تاريخًا وقد رفعها تقدمة اكرام لصاحب السعادة حبيب باشا دي السعد رئيس مجلس ادارة لبنان سابقًا. وكلها من الشعر الرائق

تتضمَّن نكتاً ظريفة تزيدها حسناً وتطبع في ذهن القرَّاء الحوادث المشيرة اليها ل٠ش

كتاب منهج السلوك في سياسة الملوك

للشيخ عبد الرحمن بن عبد الله (طُبع في مطبعة الظاهر بمصر سنة ١٣٢٦ ص ١٤٠)

هذا الكتاب من التآليف الادبيَّة التي وُضعت لارشاد الملوك في تدبير الامور وحسن السياسة للرعيَّة وطبقات اهل المملكة قسمهُ صاحبهُ الى عشرون باباً في وصف آداب الملوك وشيمهم الكريمة وقد اودعهُ من الحكم والنوادر والمواعظ والحكايات قسماً كبيرًا متحاشياً فيهِ الايجاز المخلّ والاطالة المملّة. وكنا وددنا لو صدَّر الكتاب جناب المتولّين لطبعهِ احمد زكي ابي شادي ومحمد رشدي افندي الخبير بمقدمة يفيداننا بها شيئاً عن نسخة الكتاب وهي كما يظهر وحيدة من جنسها ليس منها نسخة ثانية معروفة. ثم يزيدان تعريفاً بالمؤلف فانَّ اسمهُ «عبد الرحمن بن عبد الله» لا يجدينا علماً باصلهِ وفضلهِ وبقيَّة اخباره. ويظهر مع ذلك انهُ من كبار ادباء زمانهِ ولولاه لما اقدم على رفع كتابهِ للملك الناصر صلاح الدين بن يوسف الايوبي كما روى في فاتحة تأليفهِ فانَّ هذه المقدَّمات لا غنى عنها اليوم قياماً بحقوق فنّ الانتقاد. امَّا طبع الكتاب فيقتضيهِ ايضاً بعض التحسين فانَّ حبره قليل وورقهُ ليس بحسن وقد بقي في المتن اغلاط لم تُصلح ولعلها كذلك في الاصل فكان ينبغي التنبيه عليهِ. فمن ذلك ما جاء من ابيات في خصال الطير

سماحة ديك ثمَّ رأف دجاجةٍ   وحرصُ كركيٍّ وحذرة زاغب

فنظنّ انَّ «زاغب» تصحيف «ناعب» وهو الغراب كما يظهر من الشرح السابق للابيات. وبعدهُ: «وحملة خنزيرٍ وقب غدنفر» والصواب: «قلب غضنفر». وقد ورد في الصفحة ٣٥ هذا البيت

فالصبر اولى ما اعتصمتَ بهِ   ونعم حوشا جوانب الصدر

والشطر الثاني مصحف لا يُستخرج له معنى. وكذلك قد تصحَّف مرارًا اسم معرَّة النعمان في الصفحتين ٩٦ و٩٧ فرُويت «معزَّة». فهذه الملحوظات لم تثبتها هنا

---

١) وعبد الرحمان المذكور هو عبد الرحمان الشيزري الذي ذكرناه في المشرق (١٠: ٩٦٤) المتوفى سنة ٥٨٩هـ (١١٩٣م)

ازراء بقدر الكتاب ولكن رغبةً في تحسين المطبوعات المصريَّة التي لم تزل في الغالب سقيمة قليلة الضبط والاتقان ل٠ش

رسائل البلغاء

نُشرت في مجلَّة المقتبس تباعًا (في المطبعة الظاهر في مصر سنة ١٣٢٦-١٩٠٨ ص ١٠٠)

ان الفاضل صاحب مجلَّة المقتبس احد ادباء الاسـلام القليلين الذين أُولعوا بنشر آثار كتبة العرب الاقدمين في مصر فلا يخلو عدد من مجلَّتهِ دون طرفة منها جازاهُ الله عن فعاهِ خيرًا واثاب الذين يؤازرونهُ في هذا العمل الجليل ولاسيما صاحب الهمَّة والعلم الشيخ طاهر الجزائري. ومما نشرهُ تباعًا في المقتبس رسـائل ونتف وحكم لكاتبين مبرّزين شرَّفا الآداب في زمانهما وهما عبدالله بن مقفَّع وعبد الحميد بن يحيي الكاتب. وكلاهما قد عاش في صـدر الاسلام في القرن الثاني منهُ ويغني اسمهما عن اطراء فضلهما. ثم جمع هذه المنشورات فطبعها على حدة تقريبًا لفوائدها وتسهيلًا لمراجعتها. ويا ليتها تُطبع طبعًا اجدر بمحاسنها فتُقدَّم عليها بعض المقدَّمات لبيان خطرها وتصدَّر بترجمة كاتبَيها الافضلين ثم يُختار لها حرفٌ كبير مُشرق محلًّى ببعض التشكيل. فلا جرم انَّ ارباب المدارس يتَّخذونها كدستور الكتابة ومثال حسن البلاغة. فان شاء الله تردان بهذه المحسّنات في طبعة ثانية ل٠ش

شذرات

﴿ مكتبة باريس العمومية ﴾ هي اقدم مكاتب اوربَّة بعد مكتبة رومية الواتيكانيَّة. واغناها بالمطبوعات التي تبلغ نيفًا و ١,٥٠٠,٠٠٠ كتاب. يقصدها العلماء من كل البلاد وقد أُحصي العام الماضي عدد الذين دخلوا المكتبة فكان ١٩٩,٨٠٣ اعني بمعدَّل ٥٥٠ في اليوم. امَّا عدد الكتب التي طلبوها للمطالعـة فبلغ ٦١٠,٦٧٩ وذلك فضلًا عن المخطوطات التي طالعوا منها نحو ١٧,٠٠٠

﴿ تآليف جديدة في الحسبة ﴾ مرَّ لنا في المشرق (١٠: ٩٦١) ذكر الحسبة عند العرب مع تعريف حقيقتها والتآليف التي وضعوهـا في ذلك ثم وصفنا كتابًا نفيسًا للمرحوم فقيد الآداب سليم افندي شحاده نقلنا عنهُ فصولًا (المشرق ١٠: ١٠٧٩ و١١: ٥٨٠). ومما افادتنا مؤخَّرًا مجلة المقتبس الغرَّا اكتشاف بعض المخطوطات

في هذا الصدد. وقد قال صاحبها (ص ٥٤١ من المجلد الثالث): « ان العرب ألّفوا ما يربي على عشرين كتاباً منها » ولم يذكر اسماءها. ثم اردف ان البحث اظفرهُ باربعة منها وصفها في ذيل تلك الصفحة وصفاً مختصراً. فمنها كتابان دعاهما باسم واحد « نهاية الرتبة في طلب الحسبة » احدهما لعبد الرحمن الشيزري (وصفناهُ في المشرق ١٠ : ٩٦١) والآخر لم يُفدنا عنهُ غير كونهِ لمؤلف من اهـل القرن الثامن. والكتاب الثالث دعاهُ بالحسبة وروى انهُ « لعمر بن محمَّد بن عوض الشامي من مخطوطات مكتبة احمد تيمور بك من علماء القاهرة وقع في ١٣٤ ورقة من الحجم الوسط . . . تمَّ سنة ١١٧١ » ولا نعلم أيدلُّ هذا التاريخ على سنة نسخهِ او سنة تأليفهِ كما أننا لم نقف على خواصّهِ وابوابهِ وعلاقتهِ بالكتابين السابقين. امَّا الكتاب الرابع فهو الذي بنى عليـهِ صاحب المقتبس كلامهُ وقال انهُ « لمحمَّد ابن محمَّد بن احمـد المعروف بابن الاخوة القرشي » ولم يذكر زمانهُ. ورواية الاسم « بابن الاخوة » افضل من روايتنا « بابن الاحوه » التي تصحَّف بها الاسم في نسخـة اكسفرد. امَّا اسم الكتاب فلم يذكرهُ في المقتبس وهو مذكور في نسخة اكسفرد دعاهُ كتاب « معالم القربة في احكام الحسبة » وقد قابلنا بين ما نشرهُ المقتبس منهُ وما نقلناهُ عن نسخة المرحوم سليم شحاده فاذا بين الكتابين شبه عظيم في اكثر الابواب اخذتنا الحيرة في توافقهما. فيا ليت كان جناب صاحب المقتبس اوقفنا على سبب هذا التوافق. ولعلَّ احد الكاتبين ناسخ عن الآخر. وهو سرٌّ لا بدَّ من كشفهِ

اسئلة واجوبة

س سأل من رومية العظمى حضرة الخوري جرجس السبلاني : ١ً هل تُعرف الدار التي سكنتها مريم العذراء مع يوحنا الحبيب بعد صعود ابنها الى السماء في القدس الشريف ٢ً في ايّ دار حلَّ الروح القدس على التلاميذ

دار يوحنا الحبيب والعذراء مريم في القدس — محل حلول الروح القدس على التلاميذ

ج يروي التقليد انَّ السيدة البتول بعد صعود ابنهـا عاشت مع يوحنا الحبيب في القدس الشريف في دار قريبة من العليَّة الصهيونيَّة . وهذا التقليد قديم مدوَّن في بعض الكتب غير القانونية ونقلهُ الآباء كالقديس مودسطوس اسقف اورشليم (+٦٣٤) و يوحنا موسكوس (+٦٢٠) والقديس صفرونيوس (٦٢٤—٦٣٨) وكثيرون غيرهم من بعدهم . وفي تلك الدار توفيت العذراء على الرأي المرجَّح. ومكان هذه الدار

معروف وبهِ تبرَّعت الحضرةُ السلطانيَّة فاهدتهُ للدولة الالمانيَّة واهداهُ القيصر للالمان الكاثوليك فاقاموا هناك كنيسة جميلة يهتمُّ بها البندكتيون. اما الدار التي حلَّ بها الروح القدس على التلاميذ فالعليَّة الصهيونيَّة كما روى القديس لوقا في اعمال الرسل (١٣:١) ومكانها معروف كانت فيهِ كنيسة قديمة بناها النصارى الاولون واخبر عنها القديس ابيفانيوس ان الملك ادريان لم يخربها سنة ١٣٥ لما اخرب اورشليم. وبقي ذكر هذا المكان محفوظاً الى عهدنا

الاب ماريوس شان

س سألنا من طرابلس جناب الكاتب البليغ حكمت افندي شريف ان نسرد لهُ اسماء الامراء الصليبيين الذين تولَّوا الامر في طرابلس الشام من السنة ١١٠٩ الى ١٢٨٩ مسيحية

اسماء امراء الصليبيين في طرابلس

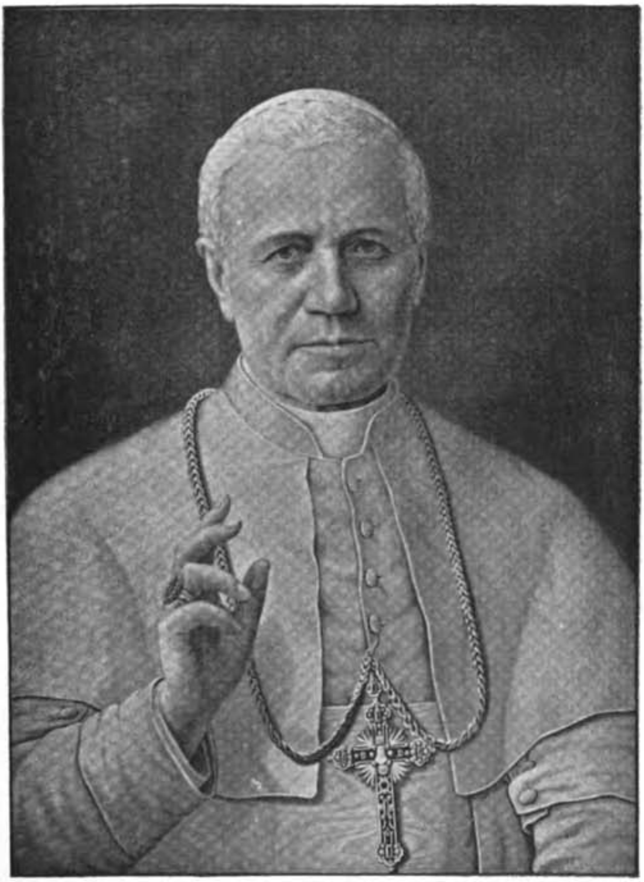
ج هذه اسماؤهم كما وردت في تواريخ الصليبيين الفرنجية: ١ً اولهم برتران ابن الكنت ريموند دي سان جيل وفاتح طرابلس ١١٠٩—١١١٢ = ٢ً ابنهُ بُنس ١١١٢—١١٣٦ = ٣ً ريمُند الاوَّل ابن بنس ١١٣٦—١١٥٢ = ٤ً ريمند الثاني المعروف بالصغير ابنهُ ١١٥٢—١١٨٧ = ٥ً بكرهُ ريمند الثالث ١١٨٧—١٢٠٠ = ٦ً اخوهُ بويمند الرابع جمع بين امرَتَي انطاكية وطرابلس ١٢٠١—١٢٣٢ ونازعهُ في ملك طرابلس ريمندُ روبان ابن ريمند الثالث ١٢٠١—١٢٢٢ = ٧ً بويمند الخامس امير انطاكية وطرابلس ابن بويمند الرابع ١٢٣٣—١٢٥١ = ٨ً ابنهُ بويمند السادس ١٢٥١—١٢٧٤ = ٩ً ابنهُ بويمند السابع ١٢٧٤ الى ١٣ نيسان من السنة ١٢٨٧ وفيها فتح السلطان قلاون مدينة طرابلس واخرج منها الفرنج. وكانت وفاة بويمند في ١٩ تشرين الاوَّل من تلك السنة

س وسأل الاديب يوسف افندي الغلبوني متى أُنشئت الجمعيَّة الماسونيَّة

تاريخ الجمعيَّة الماسونيَّة

ج يدَّعي الماسون ان اصل جمعيَّتهم يرتقي الى ايام سليمان وحيرام ملك صور على عهد بناء هيكل اورشليم وهي مدَّعيات خرافيَّة لا سند لها والمعروف انَّ الماسونية كما هي اليوم باسرارها ومعاكستها للسلطتين الدينيَّة والمدنيَّة ترتقي الى العشر الثاني من القرن الثامن عشر ومنذ ظهورها قد حذَّر الاحبار الرومانيُّون من شرّها ونهوا المؤمنين عن الدخول فيها

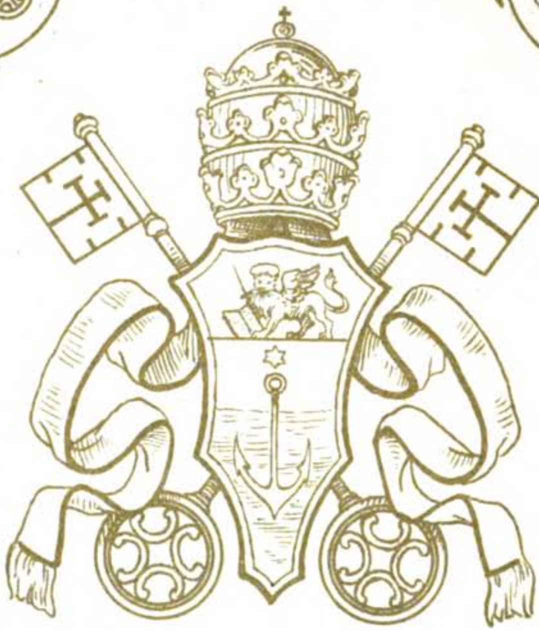
ل. ش



قداسة

حبر الاحبار ورأس الكنيسة المنظور

البابا بيوس العاشر



المشرق

يرفع فرائض التهانئ البنويّة الى اعتاب الحضرة البابويّة

قداسة البابا بيوس العاشر

إمام الاحبار وخليفة هامة الرسل ونائب المسيح على الارض

بفرصة يوبيليهِ الكهنوتيّ والاسقفي

اليوبيل الكهنوتي
١٨٥٨-١٩٠٨

اليوبيل الاسقفي
١٨٨٤-١٩٠٨

Cressot

يوبيلا الحبر الاعظم الكهنوتي والاسقفي

نظر للاب لويس شيخو اليسوعي

في ١٨ ايلول سنة ١٨٥٨ نال قداسة الحبر الاعظم رتبة الكهنوت الشريفة فيكون مرَّ عليهِ كاهنًا خمسون سنةً وادرك ما يُعرَف اليوم بالعرس الذهبيّ. ثم انَّ قداستهُ في ١٠ تشرين الثاني سنة ١٨٨٤ رُقّي الى درجةٍ أسمى شأنًا اعني رتبة الاسقفية التي تُعدّ في الكنيسة كمال الكهنوت وتحوّل المتقلّد بها الحقّ لرعاية بيعة الله التي اقتناها المسيح بدمهِ (اعمال ٢٠: ٢٨) فبلغ منها اليوم خمسًا وعشرين سنة وذلك العرس الفضي. فلم يسَع الكاثوليك أن يضربوا الصفح عن تذكارين جليلين كهذين دون ان يتسارعوا الى اقدام كبير احبارهم ويرنوا بالنظر الى شمس فلكهم ومنارهم ليقدّموا لسامي عرشهِ فرائض الاكرام ويترجموا لهُ عن شواعر اخلاصهم البنويّ ويستمدُّوا من ضيائهِ نورًا جديدًا ليسيروا في ظلمات هـذا العالم فيسلموا من مهاوي الضلال ولا يتيهوا في مغاوي الفسـاد او يعثروا في سبيلهم بعثار الريب والشكوك. وما لنا في هذا الموسم العظيم الَّا ان نضيف صوتنا الضعيف الى اصوات الثلثمائة مليونًا من الكاثوليك المرتفعة من اربع خوافق العـالم الى ابي المراحم ومصدر كل الهبات والنعم طالبين منهُ من صميم الفؤاد بان يؤيد النائب عنـهُ في ارضنا بيمينهِ القادرة ويصونهُ بعينهِ الساهرة ويسبغ عليهِ ظلّ انعامه في هذا العيد ويمتعنا بعد مدَّة بافراح يوبيلهِ البابويّ كسالفه السعيد

❁ ١ الكاهن ❁

انَّ للدول وللرجال العظام شعارًا يُعرف بهم ويُعرفون به قد اختـاروهُ ليكون منبهًا لافكارهم وباعثًا لهممهم فكأنهُ الغاية التي يرمون اليها والنور الذي يستضيئون به فاذا حقّقوهُ بالفعل كان اجمـل ثناء على حُسن سلوكهم وصدق نيّاتهم. ولبيوس العاشر امام الاحبار شعارٌ فاخر استعارهُ من كلام بولس الرسول الى اهـل افسس (١: ٣—١٠) حيث وصف للمؤمنين غاية سرّ الفداء التي هي « تجديد كل شيء في

المسيح » فما دعا الله حبرنا الجليل الى رئاسة الكنيسة جمعاء الّا وجاهر بهذا الشعار وجعلهُ فحوى براءتهِ الاولى الى لفيف رعاياه

ولا غرو فان نظرنا الى حياة صاحب اليوبيل واستقرينا اعمالهُ رأيناه جاريًا في نور هذا المبدأ الشريف ليس فقط منذ جلوسهِ المأنوس على الاريكة البابويَّة ولكن منذ تجلّى لهُ الله يوم قبولهِ نعمة الكهنوت فادرك من حينهِ سموَّ تلك الدعوة وعرف حقَّ المعرفة انَّ الكاهن قبل كلّ رجلُ الله ورجل النفوس فلم يَعُد مستقلًّا بنفسهِ بل اصبح آلةً لمجدهِ تعالى فيحيي كلّ موات بحياة المسيح ويصلح كلّ فساد بقوَّة المسيح ليكون المسيح كلًّا في الكل (كو ٣: ١١) لانَّ كل شيء هو منهُ وبهِ واليهِ (رو ١١: ٣٦) لهُ المجد على مدى الدهور

قضى الكاهن يوسف سارتو ربع قرنٍ في تتمَّة واجبات الكهنوت كان كل يوم من تلك الاحقاب تحقيقًا لشعارهِ السابق ذكرهُ. فخدم اوَّلًا النفوس في قرية حقيرة تُدعى تُمبولو كان معظم اهلها من اصحاب الصنائع والفلاحة فما كان يأبى ان يمتزج بهم بل كان يؤانسهم ويلاطفهم ويتحفّى لهم ويستطلع كلّ اخبارهم ليقف على حاجاتهم ويسدّها ما امكنهُ فاكتسب بانسهِ ثقتهم ولم يفُتهُ شيء من اسرار حياتهم حتى عرف خيرهم وشرَّهم وذاق حلوهم ومرَّهم وصار اخبر الناس باحوال العَمَلة واحنكهم بالأبحاث الاجتماعية واعرفهم باوهام الاشتراكيين وترهّات الفوضويين التي كتب فيها بعدئذٍ كتابة رجل ثاقب الفكر سامي المدارك واسع الباع

وممَّا عُني بهِ في السنوات الاولى من كهنوتهِ تعليم الشعب وتهذيبهُ بالآداب المسيحيَّة لعلمهِ بقول النبيّ (ملاخي ٢: ٧): « بانَّ شفتي الكاهن تحفظان العلم ومن فمهِ يطلبون الشريعة اذ هو ملاك ربّ الجنود ». فلم يسعهُ ان يكون ملحًا تفهًا لا يُصلح ارض القلوب او مصباحًا يُحجَب ضوؤهُ تحت المكيال. فكان كل يوم احد او عيد يرقى منبر الخطابة ليرشد المؤمنين ويدعوهم الى كل المبرَّات وصالح الاعمال. وكان في اوَّل امرهِ يحبُّ زخرف الكلام والتأنُّق في العبارات لكنَّهُ عدل عن ذلك بمشورة احد الكهنة الافاضل فصار يفضّل سذاجة الانجيل على الحكمة البشريَّة وعلى كل براعة في الالفاظ فتحقَّق بالاختبار قول الرسول (عبر ٤: ١٢): « انَّ كلام الله هو حيّ عامل امضى من كل سيف ذي حدَّين نافذ حتى مفرق النفس والروح » فيستغني عن البلاغة البشريَّة

وكانَّ الله اراد مذ ذاك الحين ان يوّطن نفس كاهنه على علاج كل الاسقام فانتشب في تلك الاثناء الحرب بين دولتي ايطالية والنمسة ودُعي اخوهُ الى الجنديّة فلم تلبث الجرحى أن تُرسل الى كل المستشفيات ليقوم بمداواتهم اصحاب الفضل. وما كان يوسف سرتو ليتأخر عن هذا عمل الرحمة بل كان يتردّد على المستشفيات ليؤدي لاولئك البائسين كل الخدم الروحية والجسديّة التي في طاقتهِ دون تمييز بين جرحى الايطاليين والنمسويين فيتفانى على حدٍّ سوى في سبيل الجميع ليكسبهم جميعاً للمسيح. وقد واظب على تلك الخطة معتزلًا في تصرُّفهِ للامور السياسيَّة داعياً الى الله بان يمدّ رواق السلام على وطنهِ الى ان انتهت الحرب بدخول بلاد البندقيَّة في حوزة ايطالية سنة ١٨٥٩

وبلغ راعيَ الابرشية اسقف تراقيسة ما خُصَّ بهِ يوسف سرتو من المزايا الطيّبة والفضائل الكهنوتيَّة السامية فدعاهُ سنة ١٨٦٧ الى تدبير رعيَّة اعظم من تمبولو وهي بلدة سَلْزَانو من اعمال البندقيَّة لعلمهِ بتجرُّدهِ عن كل غاية بشريَّة في خدمة النفوس في مدينة كانت سابقاً تحت حكم النمسويين. فقُضي على الكاهن البارّ ان ينفصل عن ابنائهِ في تمبولو مع شقّ النفس وباشر بكل غيرة ونشاط واجباتهِ في مأموريَّتهِ الجديدة مستشعرًا بشعارهِ المعتاد أن يجدّد كل شيء في المسيح. وكانت اوَّل كلمةٍ تلفَّظ بها امام اهل سلزانو المقبلين للسلام عليهِ: « انني ساكون رجل الكلّ وخاصَّة الجميع بلا استثناء »

وكذا كان في الحقيقة مدَّة السبع السنين التي قضاها في سلزانو. فانَّ اهل البلدة كانوا لسانًا واحدًا في الثناء على نزاهتهِ وزهدهِ وخدمتهِ للكلّ دون مراعاة الاشخاص او محاباة الوجوه. وكان قلبهُ الابوي يحدو بهِ الى تفضيل الفقراء والمساكين والمرضى والمهملين وكان لا يردّ مستعطياً حتى انَّهُ غير مرَّة احتارت اختاهُ في البيت ماذا تُعدّان لقوتهِ اليوميّ اذ كان يتصدَّق بكل ما تقع عليهِ يدهُ من دراهم واثاث وطعام. ففي احد الأيام اهداهُ رجلٌ من ابناء رعيَّتهِ لفصل الشتاء حطباً ليصطلي به فما مرَّ عليه ثلاثة أيام حتى وزَّعهُ كلَّهُ على ذوي البأساء وبقي طول الشتاء يُكابد شدَّة البرد. وفي يوم آخر ضمن الخاتم الذي كان يتختَّم به خوارنة سلزانو ايذانًا برتبتهم لوفاء دينٍ استدانهُ لمساعدة الفقراء

وكان تعطفهُ على المرضى اعظم وارقّ فيضعف مع الضعفاء قدوةً بالرسول (٢ قور ١١ : ٢٩) . وكان لا يتريّث في عيادتهم اذ يبلغهُ ابتلاؤهم بالمرض فيزورهم ويعزّيهم ولا ينفصل عنهم حتى يزوّدهم بالاسرار ويمدّ اليهم يد المساعدة . وكثيرًا ما كان يخرج اليهم في آناء الليل في ايّام البرد القارس . وكان في البلدة مستشفى لذوي العاهات كان يخصّص لخدمة مرضاهُ قسماً كبيرًا من وقته وماله . ولمّا حاول بعض ذوي المطامع أن يضبطوا اوقافهُ دافع بنفسه عن حقوق المستشفى لم تأخذهُ في دفاعه لومة لائم او مهابة ظالم

وكان سرتو مع رعاية النفوس لا ينسى خدمة الربّ وما ينوط بكرامة بيته . فانهُ اسرع الى اصلاح كنيسته وترميمها ففرشها بالرخام وزيّنها بالآثاث الجميل واقتنى لها الآنية المقدَّسة لخدمة الهيكل ونقش على جدرانها التصاوير البديعة الممثلة لاعمال القديس الرسول برتلماوس الذي كانت الكنيسة على اسمه . واعدّ ارغنًا رخيم النغمات يوقع على اصوات ارباب الغناء الكنسيّ في الحفلات الدينيَّة . وكان لا يضنّ بالنفس والنفيس لزيادة رونق الاعياد وتنشيط روح الدين في رعيَّتهِ فأنشأ الجمعيَّات التقويَّة كالاخويَّات والشركات الصالحة لاكرام القربان الاقدس وتعميم شركة الورديَّة وعبادة درب الصليب . امَّا المواعظ والرياضات السنويَّة فكان يباشرها في اوقاتها فيتقاطر الى استماع تعاليمه الخلاصيَّة الغرباء فضلًا عن اهل رعيَّتـهِ لبلاغة كلامهِ

وكان اهتمامهُ بالاحداث عجيبًا فيجمعهم ويلقنهم مبادئ الدين وقد ابتنى لهم قاعة كبيرة تسعهم على كثرتهم . وكذلك المهاجرون الى البلاد القاصية كان يهتمّ بتسفيرهم ويوصي بهم ارباب الدين في الاقطار الاجنبيَّة ليكونوا في مأمن من الاخطار والبلايا عند وصولهم ولا يلحق بايمانهم ضرر

وفي سنة ١٨٧٥ تفقَّد اسقف ترافيسة السيد تسينالّي مدينة سلزانو ورأى عيانًا ما اصطنعهُ راعيها الفاضل من الاعمال الاثيرة . فظنَّ ان رجلًا كيوسف سرتو لا يصلح الَّا لكنيستهِ الكاتدرائيَّة ليكون لهُ كمساعد ومستشار في تدبير ابرشيَّتهِ فجعلهُ قانونيًا على بيعتهِ وناظرًا على اعمال كنيستهِ

ما عتّم السيد تسينالّي أن ادرك قيمة الكنز الذي حصل عليهِ فلم يدع امرًا خطيرًا الَّا وكلَ بهِ القانونيَ سرتو . واوَّل ما عهد اليهِ رئاسة مدرستهِ الكهنوتيَّة

ليكون للمترشحين لدرجة الكهنوت قدوةً حيَّة ومثالًا لجميع الفضائل. فكدَّ الرئيس الجديد ذهنهُ واسهر عينهُ في القيام بهذه المهمَّة ليؤازر كنيسة الله بكهنة صالحين يجمعون بين العلم والتقى وهما جناحا الكاهن بهما يحلّق الى اعالي السماء ويرقّي معهُ النفوس الموكول اليهِ تدبيرها

وكان مع هذا يبسط عنايتهُ الى كل المشروعات الخيريَّة من تربية الاحداث وتهذيب الشبيبة وتقديس العيال المسيحية. وكان في سلزانو انشأ جمعيَّةً للشبَّان يلقي عليهم خطبًا لاهوتية وفلسفيَّة واجتماعيَّة. يباحثونهُ فيها ويعرضون عليهِ المشاكل ليحلّها فأتت بأثمار جمَّة. فرأى في تراڤيسة ان يستأنف هذه الخطب ويدعو اليها جمهور الشبَّان فأتوها حتى ضاقت بهم الغُرَف الفسيحة

وكان لا يأبى ان يخدم الاجانب ايضًا من غير دينهِ فمن ذلك انهُ لبَّى دعوة اسرة موسويَّة من تراڤيسة وعلَّم اولادها الآداب الايطالية رغمًا عن اشغالهِ العديدة. فعرفت لهُ تلك العائلة حسن فضلهِ واثنت على همَّتهِ القعساء

امَّا اسقفهُ فكان يزداد كل يوم اعتبارًا لشخصه وفي سنة ١٨٧٨ خرج لزيارة الابرشيَّة فرافقهُ قانونيُّهُ في هذه المهنة وكان كلاهما لا يدَّخران وسعًا في العمل حتى ان الاسقف أُصيب بفالج واضطرَّ الخوري سرتو ان ينوب عنهُ في تدبير الامور فسُرَّ الجميع بحسن سياستهِ ولين عريكتهِ ولمَّا استأثر الله بالاسقف بعد مدَّة عُقدت الخناصر على توليتهِ النيابة الاسقفيَّة ريثما يتعيَّن لسالف الميت خلف

وبعد اشهر قُلِّد السيد كلّيغاري شوُون اسقفيَّة تراڤيسة سنة ١٨٨٠ فما كان منهُ الَّا ان اثنى على ادارة نائبهِ لأحوال الابرشيَّة واثبتهُ في مقامهِ وكان يرجع الى رأيهِ في كل مذاهبهِ. ولو كان الله اعلمهُ بالغيب لعلم انَّ نائبهُ هذا سوف يكسوهُ يومًا بالارجوان ويشرّفهُ بمنصب الكرادلة. ولمَّا زار الاسقف في العام القابل الاعتاب الرسوليَّة رافقهُ في زيارتهِ نائبهُ العزيز فقدَّمهُ للحبر الاعظم لاون الثالث عشر فتلطَّف بهِ امَّا الكاهن الوضيع فلم يخطر ببالهِ انهُ هو المندوب ليخلف لاون في رتبتهِ الرفيعة ويجلس على هذا العرش السامي الذي كان منطرحًا عند اقدامهِ فسبحان الذي يُنهض المسكين من التراب ليرفعهُ فوق عظماء الارض

لم تطل مدَّة اسقفيَّة السيد كلّيغاري في مدينة تراقيسة فانتدبهُ الحبر الاعظم سنة ١٨٨٢ الى كرسي پادوا واقام بدلًا منهُ احد اساتذة مدرسة تراقيسة السيد ابولُونيو وكان هذا يعرف حقّ المعرفة النائب الاسقفي سرتو فسلَّم اليهِ مقاليـد التدبير في انحاء ابرشيَّتهِ لعلمهِ بانهُ اذا عُني بامرٍ دبَّرهُ من احسن وجوههِ . فبقي النائب سـائرًا على خطَّتهِ ممتَّعًا برضى الرؤساء والمرؤوسين اذ دخل عليهِ السيد ابولونيو في صباح احد الأيام على فجأة وسلَّمهُ براءة الحبر الاعظم التي تفوّض الى عهدتهِ اسقفيَّة منتوا. فبقي النائب واجمًا لا يحير جوابًا. وكأنَّ الرتبة الاسقفية ظهرت لهُ في جلالها وشرفها فأنف ان يتكأَّد اعباءها وتخوَّف مسئوليَّتها امام الديَّان الرهيب فترامى على كرسي امامهُ واندفع يبكي ويتوسَّل الى اسقفهِ بان يُبعد عنهُ هذه الكأس ويطلب من الحبر الروماني بان يختـار من هو اولى بهـذا المقام. لكنَّ البراءة البابويَّة كانت قد أُعلنت وكان حكم البابا قاطعًا فلم يمكن الاسقف ابولونيو ان يسكّن جأشهُ الَّا انهُ عرض عليه مثال الرب الذي احبَّ البشر وجعل نفسهُ مطيعًا حتى الموت وموت الصليب. فنصت البئيس لهذا الكلام واتَّخذهُ كدليل على ارادتهِ تعالى

٢ الاسقف

الاسقف في الكنيسة بمنزلة الاب في البيت والرئيس في الجماعة والوالي في المدينة يرعى بيعة الله ويرشـد ابناءها من كهنة واكليريكيين وعالميين فيقودهم في طريق الخلاص ويزيّن نفوسهم بالفضائل ويصونهم عن الاضاليل والآراء الفاسـدة ويسهر عليهم سهر مَن سيحاسبهُ الله عن كل واحد منهم. وذلك ما كان يُرهب الخوري سرتو عند انتخابهِ لكرسي منتوا و يرعد فرائصهُ لاسيما انَّ اهـل منتوا كانوا وقعوا من بضع سنين في أشراك الفوضويين الذين اسعروا في قلوبهم المطامع واثاروا الفتن وحجبوا عن القلوب انوار الدين. الَّا انَّ البابا لاون لم يوجّه اختيارهُ الى النائب الاسقفي سرتو الَّا لعلمهِ بمقدرته . ولمَّا رآه بعد سيامتهِ عند أقدامهِ باركهُ قائلًا: « ان كان اهل منتوا لا يحبُّون راعيهم الجديد فذلك دليـل على انهم لا يستطيعون ان يحبوا احدًا لانَّ السيد سرتو احبَّ الاساقفة واكثرهم لطفًا ودماثة » ثم صرفهُ الى ابرشيَّتهِ ليصطاد نفوسها في الشبكة الرسولية

خرج السيد سرتو من رومية وهو يردّد قول بطرس للمسيح: «بكلمتك ألقي الشباك». وكان منذ تقرّر انتخابهُ لاسقفيّة منتوا جعل تحت نظرهِ شعارهُ المعروف بان يجدّد كل شيء في المسيح. وقد اودع ذلك رسالتهُ الاولى التي وجّهها الى المجلس الملّي في منتوا بقولهِ: «ستلقون في الوفود اليكم كاهناً لواؤهُ لواء السلام وشريعتهُ شريعة الحبّ. انّ راعيكم الجديد فقير بالارضيّات لكنّهُ غنيٌّ بالقلب. لا يأتيكم سوى لغاية واحدة ليخلّص نفوسكم ويجعل كل رعاياهُ اسرةً واحدة كلّها احباب واخوان»

والحق يقال ان الاسقف ما كاد يدخل مدينتهُ حتى جذب اليهِ كل خراف رعيّتهِ فان غنى قلبه كان مفتاحه الى قلوبهم فنال بهِ ما لا يُنال بغنى الذهب والمال وربح الكل للمسيح واتّخذ لهُ في الاسقفيّة كقدوة حياته مثال القديس كرلوس بوروماوس. ولمّا رأى الحقل الموكول لحراثته واسعاً كثر فيهِ الشوك والزوان باشر باصلاح ما وجده أمسّ واحوج اعني سيرة الكهنة ورجال الدين لعلمهِ بانّ الاكليريكيين كمرآة ينظر الشعب فيهم الخير والشرّ فيقتدي بهم فاختار لتدبير الرعايا رجالًا رآهم اهلًا لهذه المهنة الشريفة وجعل لهذه المناصب الاكليريكيّة سباقات يمنحها المترشحين على حسب استحقاقهم وعلومهم

وكذلك رقّى الدروس في المدارس الاكليريكيّة واضاف اليها العلوم العصريّة التي لا ندحة للكهنة من الالمام بها. وكان يتردّد حيناً بعد آخر على المدارس فيراقب تعليم المعلمين ويتحقّق نجاح التلامذة وكثيرًا ما كان يفحصهم جهارًا باللغات والعلوم الدينيّة والدنيويّة فيندهش الجميع من سعة معارفهِ . وفي بعض السنين توفي على بغتة معلم اللاهوت الادبيّ ولم يجد استاذًا مستعدًّا لمواصلة تعليمهِ فتولّى الامر بنفسهِ مع وفرة اشغاله واعرب عن طول باعهِ في هذا العلم ذي المشاكل والعقبات

ثم اخذ يزور الابرشيّة في اوقات متقاربة ليبعث همم الرعاة والمؤمنين معاً ولم يأنف ان يلقي العظات حتى في القرى الحقيرة بل كان اذا زار كنيسة يجلس في كرسي التوبة ليحلّ الذين يقصدونه للاقرار بخطاياهم فزاد بمثلهِ هذا اقبال المؤمنين على الاسرار ونشاط الكهنة في اتمام واجباتهم

ثم أعقب السيد سرتو اصلاح اكليروسهِ باصلاح لفيف المؤمنين طائفةً طائفة وطبقةً طبقة شأن البستانيّ الحاذق الذي يسيل مياه الحوض الى كل مزدرعاتهِ. وكان لهذه

الغاية يوفر الوسائل الدينيَّة ويؤسس الجمعيَّات التقويَّة وينشئ الشركات الخيريَّة. وكان يتقرَّب الى اعداء الدين نفسهم حتى يكسبهم للسيرة الصالحة. وقد مات غير واحد منهم بعد ان اناب الى الله عن يدهِ

ومن الاعمال العظيمة التي قام بها السيد سرتو (سنة ١٨٨٦) الاحتفال بالمئة الثامنة لموت القديس انسلموس الذي كان بشَّر في ابرشية منتوا (سنة ١٨٩١) ثم حفلات المئة الثالثة لوفاة القديس لويس دي غنزاغا اليسوعي المولود قريباً من منتوا وكان اجدادهُ تولّوا امرة هذه الولاية فانَّ الاعياد البهيجة التي جرت في هذين الموسمين بعثت في النفوس روح التقوى وازالت عن قلوب كثيرة غشاوة آثامها

وكانت الاقطار الاوربية قد سبقت ايطالية في عقد المؤتمرات الاجتماعية للنظر في امور العملة وصيانة حقوقهم وعلاج ادوائهم فانبرى السيد سرتو لهذا العمل في وطنهِ وبهمَّتهِ اجتمع سنة ١٨٩٠ اعضاء المؤتمر من كل انحاء ايطالية في مدينة بلاسنسة فخاضوا في كل المسائل الاجتماعيَّة التي تشغل اليوم افكار الدول واتخذوا ما رأوهُ انسب من الاحتياطات الاقتصاديَّة والتحويرات المعاشية لتخفيف وطأة الفقر عن الفعلة وتحسين احوالهم ومنع الازمات والاعتصابات التي تزيدهم شقاء ومضرَّات

كان الاسقف سرتو قضى في منتوا تسع سنوات في اعمال شريفة كان يقدّرها الناس قدرها مع كونهِ يسعى جهدهُ في اخفائها تواضعاً. وكان الحبر الاعظم لاون الثالث عشر قد عرف فضلهُ السامي وهو ينتظر فرصةً ليعلن باعتبارهِ لشخصهِ وبثقتهِ في رويَّتهِ فحانت تلك الفرصة لمَّا توفي بطريرك البندقيَّة السيد دي اغوسطينيس فلم يجد الحبر الاعظم من يدعوهُ الى هذه الرتبة الشريفة احقّ شأناً من اسقف منتوا لكنَّهُ لم يشأ مع هذا ان يحرم اهل ابرشيَّتهِ من تدبيرهِ لعلمهِ بانَّ الجميع كباراً وصغاراً يتمعضون كأباً لفقده فترك لهُ تدبير اسقفيَّة منتوا الى سنتين ريثما يقوم بادارتها من هو كفوءٌ لمواصلة الاعمال الجليلة التي انشأها. وقد اضاف الاب الاقدس الى هذه النعمة الاولى نعمة ثانية فنظم البطريرك الجديد في سلك امراء الكنيسة وكرادلة البلاط الروماني في اواسط حزيران من السنة ١٨٩٣

*

ليس هنا المكان لنطرئ مفاخر البندقية ونعدّد اوصافها كفاها فخرًا أنها مدة اجيالٍ متوالية كانت ربّة البحر تزاحم بتجارتها البحريّة كل تجارات الدول الاوربية. ولها امجادٌ الدينية ارفع شأنًا واجلّ قدرًا من محاسنها المدنيـة فانّها تشرّفت ببشارة الانجيلي مرقس تلميذ بطرس ونالت من كرسي هامة الرسـل الرتبة البطريركية منذ قرون عديدة. وقد شرّف هذا المقام كثيرون من افاضـل الرجال اشهرهم القديس لورنسيوس جستنياني في القرن الخامس عشر فانّ اسمـهُ لا يزال الى عهدنا حيًّا في البندقية يباركهُ كل من يذكر فضائلهُ العجيبة

اقتدى يوسف سرتو في اسقفيّتـهِ بكرلوس بورروماوس فانتسى في البندقيّة بامثال سلفه لورنسيوس ليحيي فضلهُ بين اهل بطريركيتهِ . ولم تبقَ هـذه الرغبة منزويةً في قلبهِ بل لاحت في عيون الجمهور منذ الأيام الاولى بعد تنصّبهِ وكان يتشبّه بشفيعهِ خصوصًا في اعمال الرحمـة نحو البائسين والمرضى والفقراء . وقد وجدوهُ يومًا كالقديس لورنسيوس حاملًا في ظلمة الليل فراشًا لبعض المساكين بلغـهُ انهُ في اسوإ حالة في احد اكواخ المدينة . فما لبث ان شـاع فضل البطريرك واشتهر تفانيهِ نحو المعوزين حتى عرف الجميـع انَّ الحبر الجديد احد رجال الله فاخذوا يساعـدونهُ في مشاريعهِ الخيريّة ويجارونهُ في مبرّاتهِ. وكان اعداء الدين نفسهم لم يتجاسروا ان يرشقوهُ بمطاعنهم خوفًا من الجمهور لئلّا ينسبوهم الى الكذب

وكانت الحكومة المحلية لا تزال الى عهـدهِ معاديةً للدين ولأربابه وما كان الكردينال سرتو ليضحي ذرّةً من حقوق الكنيسة لإرضاء خاطرها لكنّهُ كان يظهر في كل حين مراعاتهُ لقوانين البلاد ويتحايد كل ما يخرجهُ عن دائرته الدينيـة ويحرّض الجميع على العيشـة الولائية والاتحاد في المشروعات الآئلة الى ترقي الوطن وتحسين احوالهِ ماديًّا وادبيًّا حتى اثنت الحكومة على همّتهِ واخذت تعضدهُ في مساعيه الخيريّة ودعتهُ الى بعض الاحتفالات ليرأسهـا كممثّل الكنيسة فتولّى بركة سفينة جديدة جُرّت الى البحر بعد ان كرّسها الكردينال بصلوات الكنيسة في حفلة عظيمة

وهو الذي جدّد عادةً كانت أُلغيت منذ سنين مديدة وهي بركة القربان تُعطى

سنويًا لمياه البحر بحضور كل اهل المدينة برونق بهي بعد ان يُطاف بالقربان الاقدس بالانوار والشموع وطاقات الزهور والترنُّم بالتسابيح التقويَّة حتى يبلغ الموكب الى محل يشرف على ساحل البحر فيباركهُ البطريرك ويبارك كل القوارب المزدانة بالرايات التي تزدحم فوقهُ

وما اكتفى بهذا بل اراد في السنة ١٨٩٧ ان يجعل البندقية كرسيّ لربّ القربان تتقاطر الى اكرامه الشعوب المسيحية من كل اقطار العالم فانَّ المظاهرات الجميلة التي حدثت آخرًا في مدينة لندن سبق الكردينال سرتو واجراها وقتئذٍ في مدينته البطريركية فعقد اللجنات واستدعى كل اكليروسهِ القانونيّ والعاليّ وقسَّم بينهم الاشغال لإعداد مؤتمر قربانيّ يبقى ذكرهُ على صفحات التاريخ على مدى الازمان. فبعد التأهبات اللائقة وجد الكردينال البندقية مستعدَّة لهذه الاعياد الحافلة فافتتح المؤتمر في ٨ آب في وسط جماهير مجمهرة اقبلت من اقاصي البلاد لحضور تلك الحفلات الفخيمة الآخذة بمجامع القلوب. وقد حضر هذا المؤتمر اربعة كرادلة و ٢٨ اسقفًا وعدد لا يحصى من كهنة ومؤمنين من بلاد وطوائف مختلفة وتواصلت الاعياد والطوافات والجلسات الادبية اربعة أيَّام متوالية اصبحت فيها البندقية صدًى لحامد إله القربان وعجائبه. وكان الكردينال سرتو قد انشأ في ردهات واسعة وقاعات فسيحة معرضًا جامعًا لكلّ اصناف الآثار الدينية المختصَّة بالقربان الاقدس من حلي ومصاغات وجواهر وآنية ثمينة وتصاوير وحلل كهنوتية فكنت ترى الالوف من الزوَّار يتناوبون الى منظر هذه الكنوز ويقضون العجب من محاسنها

وكان الكردينال مدَّة السنين العشر التي جلس فيها على كرسي البندقية قد اضحى كنفس كل المشروعات الجليلة وكل الاعمال الخطيرة فلا تكاد تجد اليوم في تلك الحاضرة مشروعًا الَّا ولهُ فيهِ يدٌ فانَّهُ اهتمَّ كما في تراڤيسة وفي منتوا في اصلاح مدرستهِ الاكليريكية وترقية تلامذتها في معارج النجاح بل صرف نظرهُ الى كل مدارس المدينة ليراقب فيها التعليم الدينيّ وتهذيب الاحداث على سُنن الآداب

ولمَّا رأى الاخطار الناجمة عن الجرائد الكفريَّة المناقضة للآداب لم يعرف الراحة حتى انشأ جرائد كاثوليكية تقوم في وجهها فتفلح الحديد بالحديد وتُبطل باجوبتها اضاليل الملحدين فجعل بذلك الجرائد انصارًا للدين والآداب. وبهذه الطريقة

نشط حزب المحافظين وعرف الكاثوليك قوّتهم وضعف اعدائهم فلم يزالوا يزيدون عددًا وفضلًا في مدافعتهم عن عقائدهم حتى تمكّنوا في السنة ١٨٩٥ ان يدخلوا في مجلس البلديّة عددًا وافرًا من نُصرائهم فرجحت بذلك الاعمال النافعة للبلاد وتعزّز روح الدين وزهق الباطل

فكل هذه المآثر واعمال أُخرى عديدة لا يسمح لنا ضيق صفحات المشرق بتعدادها جعلت حياة الكردينال سرتو في اعين المعاصرين كشبه صرح شاهق يستدعي لهُ تاجًا يزينهُ فيصبح تامّ المحاسن مستوفي البهاء والرونق وما كان يعرف احد غير الله ما عسى ان يكون ذلك التاج لمثل هذا البناء. واسرار الله لا يدركها بشر

*

في ٢٣ نيسان من السنة ١٩٠٣ هبط في البندقية برج قديم يُعدّ من آيات البناء علوهُ ٢٨ مترًا كان يزين كنيستها الكاتدرائية المشيَّدة على اسم القديس مرقس الانجيليّ. فكان لهذا الحادث دويٌّ عظيم ورنّة حزن في قلوب كلّ البندقيين الّا انّ تحمُّسهم الديني لم يسمح لهم بان يتركوا على الحضيض آثار بنائهم الشامخ وما مرَّ عليهم ثلاثة اشهر حتى جمعوا النفقات لاستئناف ذلك البرج الفريد. وكان الكردينال سرتو يتقدَّم الجميع في هذا العمل كما في سائر الاعمال الشريفة فدعتهُ الحكومة رسميًا لوضع الحجر الاوَّل لهذا الأثر الجديد ففعل في حفلة افاضت الجرائد في وصف جلالها ومحاسنها فكان هذا العمل خاتمة مآثره في البندقية

وفي تلك السنة عينها هبط في رومية بعد الصرح البندقي ببضعة اسابيع برج آخر اشرف واشمخ من السابق برجٌ حيّ اقامهُ الله لانارة الشعوب لاون الثالث عشر اكبر رجال عصرهِ. فما كانت الكنيسة لترضى بيتمها فتألّبت زعماؤها واستدعت لادارة سفينة بطرس ذلك الربّان الذي وطّن نفسهُ على اهوال البحر في البندقيّة عند اقدام مرقس تلميذ بطرس ليكون هو البرج الحيّ الذي ما كان البرج البندقي سوى رمزهِ وصورتهِ

وهاك اليوم قد مرَّ على هذين البرجين ستّ سنوات. وقد كاد البرج الاوَّل يبلغ ذروتهُ فيتمتَّع بهِ البندقيّون الى ما شاء الله والى ما تصبر عليهِ آفات الدهر. امَّا الثاني

فأملنا ان يعلو سنين عديدة بعد فيبلغ سني بطرس كسلفيهِ السابقين. وعلى كل حال انَّ ما رأيناهُ من محاسن هذا البرج الفخيم حتى هذه الساعة يكفي ليجتذب اليهِ كل الامم ويدلَّ الشعوب على ذلك الجبل الذي فيهِ خلاصهم. قال النبيّ (ميخا ٤ : ١—٣) : « ويكون في آخر الأيام انَّ جبل بيت الرب يوجد في رأس الجبال ويرتفع فوق التلال وتجري اليهِ الشعوب وينطلق امم كثيرون ويقولون هلمُّوا نصعد الى جبل الرب وبيت إله يعقوب وهو يعلمنا طرقهُ فنسلك في سبيلهِ . . . فيحكم بين الشعوب الكثيرين ويقضي للامم الاقوياء »

على هذا الجبل العالي قد وُضع صرح بيُوس العاشر وقد حقَّق كاسلافهِ في شخصهِ كل ما تنبَّأ عليهِ ميخا في هذه الآية العجيبة. فقُل ناشدتك الله اي شعبٍ لم ينطلق اليهِ في سائر جهات المعمور ليس فقط من الامم الكاثوليكية بل من كل القبائل والنحل فقد دخل الواتيكان لزيارة بيوس العاشر ملوكٌ بروتستانت كملك انكلترة وامبراطور المانية وشقيقيهما وملوكٌ روم كملك اليونان واتتهُ وفود الدولة العليــة ونروج والصين واليابان وكورية والحبشة. اليهِ احتكم الخصوم حتى اصحـاب الممالك والدول . وهو الذي قضى للامم الاقوياء . وبراآتهُ الرسوليــة مفعمة بالتعاليم الصادقة التي بها يعلَّم الناس ان يسلكوا في سبل الرب فانهُ منذ تبوّنهِ للسدَّة الرسولية قد حرَّر خمس عشرة رسالة عموميَّة لكل البطاركة والاساقفة والمؤمنين في العـالم كلهِ ليتمِم وصيَّة الربّ الموجَّهة اليهِ في شخص النبيّ (ارميا ١ : ١٠) حيث قال: « اني قد اقمتــك في الامم وعلى الممالك لتقلع وتهدم وتهلك وتنقض وتبني وتغرس » فكم من جراثيم الضــلال استأصلها من حقل الكنيسة وكم من اركان البطل والفساد نقضها وابادها. وكم غرسَ في حديقة البيعة من اشجار مثمرة وكم شيَّد من الابنية العامرة

فانهُ بصفة كونهِ اسقف رومية الخاصّ باشر بتدبير كل امورها الروحيــة كي لا يفوت حتى الصغير من ابنائهِ شيء من الصلاح فواجه كهنة الرعايا وبلَّغهم وصاياهُ ولم يزل يهتمّ بشؤونهم بعناية عجيبة ليكون المؤمنون في حاضرة الكثلكة قدوة لغيرهم في بقيَّة المعمور

ولكون البابا بيوس رئيس اساقفة سواد رومية وملحقاتها وجَّه عنايتهُ الى هذا

القسم من حظيرتهِ واهتمَّ بهِ اهتمامهُ برومية نفسها ووكل الى الكردينال نائبهِ بان يزورها باسمهِ ويتلافى امورها ويعرض عليهِ كل لوازمها الروحية والزمنيَّة

ومن حيث هو جاثليق ايطالية لم يدع شيئاً مما رآهُ لانفاً لانعاء روح الدين في جاثليقيَّتهِ ولهُ الى اساقفة ايطالية المناشير المفعمة برّاً وغيرة لتهذيب الاكليروس ولتلقين المؤمنين بالمبادئ الدينية ولمناصبة الشيع السريَّة ولتوحيد عمل الكاثوليك مع اساقفتهم. وكان بيوس العاشر مع فقرهِ اوَّل من بادر الى مساعدة المصابين بالزلازل في جبال كلابرية وصرف المبالغ الطائلة في ترميم كنائسها المتداعية

وكبطريرك الاقطار الغربية لم يبرح عن فكرهِ بلد من تلك البلاد دانيها وقاصيها وليس بوسعنا ان نعدّد هنا دلائل عنايتهِ الى فرنسة والمانية والنمسة وانكلترة وروسية وبلجكة وهولندة والدنيمرك واسوج ونروج. فانَّ المشرق ذكر شيئاً من ذلك في نظرهِ السنويّ العامّ عن اهم الحوادث الجارية في اوربَّة

لكنَّ بيوس العاشر هو فوق كل ذلك ابو المؤمنين ورئيس الكهنوت وامام الاحبار وخليفة بطرس الرسول ونائب المسيح فانَّ عنايتهُ لا يمكنها ان تنحصر في زمن او مكان واحد بل تشمل كل كنائس العالم كالشمس تُرسل اشعَّتها على كل الاقطار وليس من يتوارى عن حرّها ونورها. ولو اردنا هنا اثبات اعمال حبرنا من هذا القبيل لتوفَّرت الادلَّة واتَّسع المجال وقد ألمَّ المشرق بذلك ايضاً في وصف حوادث كل عام وحسبنا ان نذكر هنا اصلاحهُ للغناء الكنسيّ واوامرهُ في شرح التعليم المسيحيّ في كل اسبوع وتنشيطهُ للمواظبة على الاسرار المقدَّسة لاسيما التناول المتواتر وتشذيبهُ للاضاليل العصريَّة وغير ذلك مما لم يبرح عن ذكرى قرَّائنا

ونحن احقر ابناء قداستهِ لا يمكنَّا ان ننسى ما خصَّ بهِ رسالتنا السوريَّة وكليَّتنا اذ بارك اعمالها في سبيل الله وخدمة الكنيسة من تعليم وتهذيب وتأليف وقد بلَّغنا هذا الانعام برقيم شريف من يد كاتم اسرار دولته ثم كرَّر بركتهُ ثانياً وثالثاً بعبارات طافحة من الحبّ الابويّ لحضرة الاب لوسيان كاتين رئيس كليَّتنا لمَّا تشرَّف بالمثول امام عرش قداستهِ في حزيران الماضي

امَّا كنائسنا الشرقية فقد نالت اوفى حصَّة من اهتمام قداستهِ كما اعلن بالامر بطاركة طوائفنا الاجلاء بمناشيرهم. ولا يزال صدى الحفلات البهيجة التي اقيمت

في هذا العام تذكارًا للمئة الخامسة عشرة من وفاة فخر الكنيسة الشرقية يوحنا فم الذهب يتردَّد على مسامعنا. وقد تنازل كبير الاحبار ان يشارك الكنيسة اليونانية بالتقديس فخوَّل ابناءها شرفًا قدَّروهُ قدرهُ

فيا لله ما اعلى مقام الكنيسة الرومانية التي يمجدها الله باحبار لا يُشقّ لهم غُبار ويقصر عن ادراك شأوهم كل سيَّار. ولا غرو فانَّ هامتهم يزينها ذلك التاج المثلَّث الذي يرمز الى ملء سلطتهم كقضاة الارض وائمَّة الدين ونوَّاب الله في عالمهِ. فلتحيَ كنيسة الله وليحيَ رأسها المنظور ولتُسرع الى حظيرة المسيح الخراف الضالَّة لتكون قريبًا ان شاء الله رعيَّة واحدة وراعٍ واحد

صدى المشرق

تُرفعُ الى ركن الكنيسة البابا بيوس العاشر

تهنئةً بيوبيلهِ الذهبيّ

من نظم المعلِّم الفاضل يوسف افندي الفاخوري احد اساتذة كليَّتنا

يُحيّيكَ آلُ الشرق يا نائبَ الربِّ ... بعيدك عن ودٍّ تلظَّى بهِ لُبّي
تحيّيكَ اجدادٌ يرطِّبُ تُربَها ... رضاك عن الشرق البعيد عن الرُّعبِ
تحيّيكَ آباءٌ أبوا كلَّ مذهبٍ ... يناهضُ شرع الله في العُجم والعُربِ
تحيّيكَ ابناءٌ على الحقِّ قد مروا ... وما كان منهم خائف اللوم والعتبِ
يحيّيكَ لبنانٌ ومن ضمَّ ارضهُ ... وما انبتَت غرسًا يحنُّ الى السُحبِ
ونلثمُ اقدامًا وطئتَ بها الثرى ... فباركتَهُ فاعتزَّ تيهًا على الشُهبِ
لانَّ بكَ الدين الصحيح ممنَّعٌ ... وإيماننا حيٌّ يصانُ من العطبِ
تنوبُ عن الرب المهيمن راعيًا ... تفدّي بنيه باذلًا مهجة القلبِ
كذا بطرس قد كان قبلك هاديًا ... وقبلك احبارٌ تفانوا بذا الحبِّ

فانت امامٌ لا امام يفوقهُ … تنفذُ ما يقضي حجاكَ يدُ الربِّ
تذلُّ ملوكُ الارض عندك هيبةً … وتبجيلَ عرشٍ لم ينلْ مدى الحقبِ
وتأتيكَ اربابُ العلوم بخشيَةٍ … فتغنمُ منك النصحَ عفوًا بلا نُصبِ
بقولك لم تخطأ وذلك عصمةٌ … ومن قبلك النوابُ كانوا بذا الإربِ
اذا صالَ ما بين القبائل موجعٌ … وليس لهُ عند العوالم من طبِّ
اتوكَ وقد سادَ القنوطُ وراءهم … فتبدي لهم رأيًا احدَّ من العضبِ
وتُخضعُ من ضلَّ السبيل بكلمةٍ … يكونُ لها وقعٌ اشدّ من الضربِ
وان يبدُ ضغنٌ بين شعبٍ وامةٍ … ويسطُ بهِ حزبٌ يسودُ على حزبِ
فتأبى عليهِ ان يصول بحكمةٍ … سليمانُ لم يَحصَلْ عليها من الربِّ
هناءٌ بلا جدٍّ ورغدٌ بلا عنا … ورفدٌ بلا ظلمٍ ينالُ ولا غصبِ
وأنّكَ حلّالُ العظائم عادلٌ … سلامٌ وامنٌ للبلادِ وللشعبِ
خدمت الملا خمسين عاماً قدانقضت … بكهنوتك المحيي الموات من الترِبِ
سعيت لنا بالخير تهدي نفوسنا … وقد رِمتها رُشدًا ترفَّعَ عن سلبِ
لذاك نرى مجدَ الكنيسةِ ناضرًا … وخير بنيها دائم الهطل والسكبِ
أيا صخرة الدين المحصّن قومهُ … نهاديكَ اشواقاً تدور على قُطبِ
ونهدي اليك التهنئات وانها … من الودِّ باقاتٌ تُرَفُّ على رحبِ
هنيئاً لك العيد المقيم لنا الهنا … هنيئاً لعصرٍ شامَ نوركَ عن قُربِ
فرومةُ تسمو كلَّ قطرٍ بربّها … ومن حقّها تعلو بذا المجدِ والعجبِ
فيو بيلك الميمون ابهر بدرَها … ونوَّر ارض الله في الشرقِ والغربِ
فلا زلتَ والدينَ الجليل معزَّزًا … تديل لنا خصباً من القحط والجدبِ
وتقطعُ اعواماً وتسلك غيرها … تَوالى سنوكَ الغرُّ عقباً على عقبِ

بيوس العاشر ومرصد الفاتيكان

نظر للاب لويس شيخو اليسوعي

في سنتنا السادسة من المشرق (ص ١٥) زيّفنا مزاعم احدى المجلّات المصريّة التي نسبت زورًا الى الكنيسة تقصيرها في تدريس علم الهيئة والنجوم وفي وضع المؤلفات الفلكيّة. ولو اردنا لاستقرينا اسماء الاحبار الاعظمين فتتبّعناهم فردًا فردًا منذ اجيال متعدّدة واثبتنا ما لكلٍ منهم من الفضل في النهضة العلميّة عمومًا وفي تعزيز العلوم الفلكيّة خصوصًا. وانّما نجتزئ بمثال الحبر الاعظم الحالي الذي زعم البعض عند ما دُعي الى الخلافة البطرسيّة انهُ ليس من رجال العلم فلا يعير العلوم بالًا

بنى اولئك الكتبة قولهم على الحدس والوهم ولو عرفوا تفاصيل حياة الكردينال سرتو لِما تجاسروا ان يفوهوا بمثل هذا الكلام. ولنا برهان لامع لتأييد قولنا في المرصد البابويّ الذي جعلهُ من اخصّ مراصد اوربّة واغناها بالآلات الفلكية

أنشئ المرصد الفاتيكاني في القرن السادس عشر لمّا اصلح البابا غريغور يوس الثالث عشر الحساب السنويّ المنسوب اليهِ فعهد البابا الى احد الرهبان الدومنيكيين اسمهُ اغناطيوس دنتي ان يرصد دوران الشمس ويضبط حركاتها تلافيًا لكل غلط في الحساب فامتثل الامر وابتنى برجًا عاليًا جعل عليهِ بنكامًا كان ظلّه يدلُّ على حركات الشمس فعُرف ذلك البرج بالبرج الغريغوريّ وزيد فيهِ بعض التحسينات في ايّام خلفائهِ وجُهِّز بآلات جديدة. لكنَّ موقع هذا المرصد في ظلّ قبّة كنيسة مار بطرس لم يكن موافقًا لرصد الكواكب فنال الاب بسكوفتش الفلكي اليسوعي ان ينقل رصودهُ الى محل آخر فاتّخذ لها سطوح كنيسة القديس اغناطيوس عند مدرسة اليسوعيين الكبرى الشهيرة بالمدرسة الرومانية فجهّز هناك الآلات الفلكيّة واجرى الرصود بكل دقّة حتى صار لهذا المعهد العلمي شهرة واسعة في كل انحاء اوربّة. والتآليف العديدة التي وضعها ذلك النابغة تشهد الى يومنا على طول باعه ووفرة معارفه

ثم خلفهُ اليسوعيون في ادارة مرصد المدرسة الرومانية وزادوا في تحسينه وبلّغوهُ مقامًا قلّما بلغتهُ المراصد الدولية نفسها لاسيما في عهد الاب انجلو سكّي (اطلب المشرق

٦: ٩٦١–٩٧٠) نسيج وحده في العلوم الفلكية الى ان استولت الحكومة الايطالية على هذا المرصد بعد وفاة الاب سكّي المذكور (سنة ١٨٧٨)

امّا المرصد البابوي في حدائق الفاتيكان فلم يُهمل بانشاء مرصد المدرسة الرومانية وانّما خُصّ بفروع أُخرى من العلوم الفلكية غير رصد الافلاك وخصوصاً برصد الظواهر الجويّة كالحرارة والبرد وثقل الهواء واليبوسة والرطوبة والمطر والصحو فاكسبهُ السيّد فيليبو جيلي (F. Gilii) صيتاً عظيماً من السنة ١٨٠٠ الى ١٨٢١ فلمّا مات بقي هذا المرصد خاملاً لشهرة المرصد الروماني

لكنّ سقوط مرصد اليسوعيين في ايدي الايطاليين استلفت انظار الكرسي الرسولي الى مرصد الفاتيكان القديم فنوى البابا لاون الثالث عشر باحيائهِ. فلمّا كانت السنة ١٨٨٧ التي بها جرت حفلات اليوبيل الكهنوتي لذلك الحبر الجليل فصرّح البابا عن نيّتهِ للعالم الكاثوليكي بتجديد المرصد المذكور فاسرع الكاثوليك وتبرّعوا بمبالغ طائلة لتجهيز ذلك معهد العلم بالادوات المناسبة لهُ. فعيّن الاب الاقدس لادارة المرصد فلكيّاً شهيرًا من الرهبنة البرنبيّة يدعى دَنْزا فرمّم البناء القديم واعدّ كل المعاهد والقاعات لتنظيم الادوات. وجعل في تلك الغرف الواسعة مكتبةً كبيرة للتآليف الفلكيّة ثم رتّب فيها المتاحف المختصّة بالفلكيات وجهّزها بتجهيزات أُخرى موافقة للمشروع

ولمّا كان موقع المرصد القديم لا يكشف على كل جوانب السماء خصّ البابا لاون برجًا آخر كان شيّدهُ احد اسلافه البابا لاون الرابع (٨٤٧—٨٥٥) لردّ غارات العرب عن المدينة المقدّسة علوّهُ خمسة وعشرون مترًا وقطرهُ في اسفلهِ ١٧ مترًا فنظم فيهِ الاب دَنْزا آلاتهِ الفلكية كالربع والسدس ونظّارة العبور ونظّارة الهاجرة والآلات المجهرة والمقاييس المختلفة لحركات الشمس والكواكب والسيّارات والزلازل الارضية وغير ذلك من الادوات المستحدثة التي رقّت العلوم الفلكية الى درجة رفيعة وألحقها بكل الادوات الفوتغرافية لرسم الكواكب والبروج والسيارات. ولمّا عرض الفرنسويون على مراصد اوربّة الكبيرة بان تتّفق على رصد اقسام من كواكب السماء لرسم خارطة سماويّة كاملة نال المرصد الفاتيكاني حصّتهُ من هذا العمل الخطير واستجلب الاب دنزا نظّارة للعبور ذات ثلاث شبحيّات من ابدع الآلات الرصديّة وباشر بالعمل الذي لا يتمّ الّا بعد سنين عديدة واشغال شاقّة اذ لا يقلّ عدد الكواكب المنظورة عن مئة الف

فيُقتضى رسمها بدقَّة وضبط وجلاء ليمكن الفلكيين كلهم الرجوع اليها في مراصدهم. ولو لم ينل المرصد الڤاتيكاني غير هذا الشرف الوحيد لكفاهُ فخرًا في خدمة العلوم الفلكية . لكنَّ عمدتهُ اخذت تنشر مع ذلك نشرات علمية تبادلها مع نشرات المعاهد الدولية في كل ضروب العلوم الفلكيَّة

ثم جلس بيوس العاشر على الاريكة البطرسية فكانت همَّتهُ في خدمة المعارف كهمَّة اسلافه ومن آثارهِ اللجنة التي شكَّلها في رومية لتنشيط العلوم ومساعدة العلماء الكاثوليك في كل اصقاع المعمور . ولما توفّي مدير المرصد الفلكيّ الاب دَنْزا استدعى الحبر الاعظم من اسبانية احد رهبان القديس اوغسطينوس اسمهُ رودريكس لمواصلة اعمال الاب دنزا تحت نظارة السيد مافي رئيس اساقفة بيزة ومدير مجلَّة العلوم الرياضية والطبيعيَّة لكنَّ الاب رودريكس اضطُرَّ بعد قليل ان يعود الى اسبانية فلم يجد الحبر الاعظم اجدر بهذا المنصب من احد ائمَّة العلوم الفلكية في ايَّامنا وهو الاب ي. ج. هاغن (J. G. Hagen) مدير مرصد اليسوعيين في جرجتون من الولايات المتحدة الذي اكتشف الاكتشافات العديدة وألَّف التآليف الفريدة

فما تسلَّم الاب هاغن نظارة المرصد الڤاتيكاني حتى تعهَّد مع السيد مافي كل مكاتب واجهزة المرصد الڤاتيكاني وعاينا نقصهُ ثمَّ عرضا على بيوس العاشر اصلاحات وتحسينات جمَّة لئلَّا يتخلَّف هذا المقام العلمي عن بقية المراصد الدولية

وكان اوَّل ما يحتاج اليه المرصد صرحًا ثالثًا في مكان معتزل عن ضوضاء المدينة يصلح لرصد الافلاك ويُجهَّز بنظارات جديدة. فاجاب الحبر الاعظم الى ملتمسهما وافرد للمرصد قصرًا في اعلى حدائق الڤاتيكان يُشبه الصرح اللاوني السابق ذكرهُ وكان البابا لاون الثالث عشر ينتقل اليه لارتفاع طبقاته في اشتداد حمارَّة القيظ من تموز الى تشرين ترويحًا للبال . اما بيوس العاشر فأخلى ذلك المصيف لخدمة العلم وقد دُعي هذا البرج اجلالًا للمتبرع به برج بيوس العاشر

ثم انَّ الرئيس العامّ على الآباء اليسوعيين في رومية اهدى امام الاحبار نظَّارةً فلكيَّة موافقة لرصود هذا البرج الثالث وهي تدوّن من تلقاء ذاتها حركات الفلك وترسمها بالفوتغراف والنظَّارة من معمل مرتس (Mertz) الشهير في مونيخ. وقد ركِّبت هذه النظَّارة تركيبًا محكمًا بحيث لا تؤثر فيها حركات الارض

وفي الطابق الاسفل قاعة كبيرة جعلها البابا متحفاً لمجموعين فريدين في جنسهما احدهما مجموع المعادن الذي اهداهُ البارون الفرنسوي موروا دي ڤاري (Mauroy de Varry) الى قداسة البابا لاون الثالث عشر وفيه قطع عزيزة الوجود من معادن كثيرة مع ما اضافهُ اليه عالمان بلجكيّان من كليّة لوڤان بحيث اصبح هذا المجموع المعدني من اغنى المجاميع المعروفة في ايامنا . امّا المجموع الثاني فهو اعزّ واغرب من السابق وهو مجموع رجوم اي حجارة تساقطت من الجوّ والافلاك على ارضنا ولهذه الحجارة خواصّ شتى يُقبل على درسها العلماء لمعرفة تركيب الاجرام الفلكيّة . وستُجعل مجاميع أخرى علمية ثمينة في هذا المتحف عند نجاز تنظيمهِ

ومن المعلوم انّ اشغال المرصد الفلكي لا يتمّ بسهولة اذا تفرّقت الادوات وتقسمت في امكنة متباعدة عن بعضها وابتعد العمّال والمستخدمون فاستدراكاً لهذا النقص أُفرغ القصر الغريغوري من كل تجهيزاتهِ الفلكية التي نُقلت الى البرجين الحديثين ثم فُتح بينهما معبر تسهيلًا للمواصلات ومُدّت بينهما الاسلاك التليفونية والكهربائية حتى اصبحا كمرصد واحد تجري فيه كل الاعمال على وتيرة واحدة وبكل ضبط وتدقيق دون انقطاع عن العمل آناء الليل واطراف النهار

وممّا جاد بهِ كرم بيوس العاشر ابتناء قبةٍ كبيرة زجاجية مجاورة لغرفة الرصود لاجراء كل التصاوير الفلكية واستحضارها . وكان للاون الثالث عشر حجرة خاصّة قريباً من هناك كان عُني بنقشها نقشاً بديعاً يمثّل البروج والكواكب فجعلها بيوس العاشر مكتباً للمدير ولعمدتهِ . وقد ندب الاب هاغن الى مساعدتهِ احد اخوتهِ الرهبان اليسوعيين الهولنديين اسمهُ ستّين (Stein) يستعين به لمراقبة الافلاك مع الاب لايس (Laïs) من الجمعيّة الاوراتوريّة

والحبر الروماني يعتبر هذا العمل كاحد مفاخر ملكه فكثيرًا ما يزور المرصد ويأنس باصحابه ويهتمّ بكل حاجاتهم ولوازمهم لكي يصبح هذا البناء صرحاً علمياً اهلًا بالكنيسة ناصرة الدين والعلم معاً منذ اوّل النصرانية . وقد امر قداستهُ آخرًا ان يُبنى للنظّارة الفلكية الكبرى قبّة عالية ليديرها وكلاؤها كيف شاؤوا في كل وجوه السماء . فقد زار هذا المرقب الفلكي احد مشاهير علماء عصرنا في المانية فقال وهو بروتستانيُّ النحلة : « قد كذب الذين ينسبون الى الكنيسة الرومانية قلّة عنايتها بالعلوم

فانَّ المرصد الڤاتيكاني شاهد عياني على ما يبذلهُ البابا الحالي في جانب العلم الفلكي ومن يتصفَّح سجلات الڤاتيكان يتحقَّق انَّ الاحبار الرومانيين نشروا في كل الآونة رايات العلوم وتقدَّموا بها الشعوب الاوربية »

إرْعَ خرافي إرْعَ نعاجي

(يوحنا ٢١ : ١٥-١٨)

درس لاهوتي للاب يوسف ديلنسفر مدرّس الاسفار المقدَّسة في كليَّة القديس يوسف

ليس في حياة السيد المسيح ساعةٌ اجلّ واخطر من ساعة وقوفهِ بين تلاميذهِ على مقربة من بحيرة جنَّاسر عند تلك المغاور المنقورة في الصخور الشاهقة المشرفة على قيسارية فيلبُّس حيث كانت تنتصب اصنام الامم كأنها باسطةٌ ملكها الجائر على ارض الميعاد بل على كل انحاء المعمور

فهناك وقف عند تلك المناظر المهيبة واراد المقابلة بين ملك الجحيم المتقوّض الزائل وملكهِ الناشئ الثابت الى الابد . فسأل اوَّلًا تلاميذهُ عما يقول فيهِ البشر ولمَّا اوقفوهُ على آرائهم وجّه إليهم بالسؤال عينه وطلب منهم ان يكشفوا رأيهم في شخصه الكريم فبادر الى الجواب سمعان بطرس معترفًا بكونهِ هو المسيح ابن الله الحيّ . وكل مسيحي يعلم كيف طوَّب المسيح لسمعان بن يونا ونسب كلامهُ ليس للحم والدم . بل لابيه الذي في السماوات واردف قولهُ بذلك الوعد العجيب الذي ما كان ليخطر في قلب بشر قائلًا : « انت الصخرة وعلى هذه الصخرة ابني بيعتي وابواب الجحيم لن تقوى عليها وأُعطيك مفاتيح ملكوت السماوات فكل ما حللتهُ على الارض يكون محلولًا في السماوات وكل ما ربطتهُ على الارض يكون مربوطًا في السماوات » (متى ١٦)

ذلك هو وعد السيد المسيح وعدٌ صريحٌ علَنيّ امام اثني عشر شاهدًا لا يشوبهُ ريب ولا يقيّدهُ حصر لا بل ينطبق مع سوابق أُخرى ولواحق رواها الانجيليُّون تثبت هذا الوعد وتؤيّدهُ منها قول الرب لبطرس في اوَّل دخوله عليه (يوحنا ١ : ٤٢) : « انت سمعان بن يونا انت تُدعى كيفا الذي تفسيرهُ الصفاة » . وقولهُ لسمعان ايضًا (لوقا ٥ :

١٠) : « لا تخفْ لأنك من الآن تكون صائدًا للناس » . وتأكيد المسيح لهُ (لو ٢٢ : ٣٢—٣٣) : « انهُ نجاهُ من غربلة الشيطان بصلاته لاجلهِ لئلَّا ينقص ايمانهُ بل يثبت اخوتهُ » . وكذلك كرامة الرب لهُ اذ اعتبرهُ كنفسهِ واعطاهُ ما يفي بهِ حقَّ الجباية عن كليهما دون بقيَّة التلاميذ لمَّا امرهُ ان يصطاد سمكةً يجد في فيها استارًا (متى ١٧ : ٢٤—٢٧) . فليس لعمري في الانجيل الطاهر ما ينقض وعد الرب او يريبهُ او يضعفهُ البتة

فليت شعري أنسي المسيح وعدهُ او بقي اسماً دون جسم او لفظاً فارغاً دون معنًى ؟ معاذ الله ان ننسب الى السيد المسيح الحنث بوعدهِ فانَّ مواعيد الله ثابتة الى الابد ولو سقط منها حرفٌ واحد للحقت بجلاله وصمة النقص تعالى الله عمَّا يقولهُ الكافرون

فمتى اذن قام السيد المسيح بوعدهِ ؟ واين الادلَّة على انَّ تلك المواعيد خرجت الى حيِّز العمل ؟ أكان ذلك سرًّا او علانيةً ؟ أصرَّح به تصريحاً او سترهُ تحت حجاب المجاز والتلميح ؟ انَّ الجواب على ذلك في الفصل الاخير من انجيل يوحنا الحبيب حيث يُعلن جهارًا بانَّ شهادتهُ شهادة عين ويتَّخذ الله كشاهد على صحة قوله

ففي ذلك الفصل ذكر الانجيلي كيف تبع بطرسَ اخوتُهُ لما قصد الصيد في بحيرة طبريَّة ثم ذكر حضور الرب بينهم عند الصبح ومعرفتهم لهُ بعد صيدهم العجيب وتنازلهُ لمشاركتهم في غذائهم حتى قال (يو ٢١ : ١٥—١٧) : « فبعد ما تغدَّوا قال يسوع لسمعان بطرس : يا سمعان بن يونا أتحبّني اكثر من هؤلاء . فقال لهُ : نعم يا رب انت تعلم اني احبك . قال لهُ : ارعَ خرافي . قال لهُ ثانيةً : يا سمعان بن يونا اتحبني . قال لهُ : نعم يا رب انت تعلم اني احبك . قال لهُ : ارعَ نعاجي . قال لهُ ثالثةً : يا سمعان بن يونا اتحبني . فحزن بطرس لانهُ قال لهُ ثالثة أتحبني . فقال لهُ : يا رب انت تعلم كل شيء وانت تعلم اني احبك . فقال لهُ : ارعَ غنمي »

فهذه الآية المسجديَّة قد لاحت في سماء الكنيسة كالنجم اللامع والبدر الساطع فاستضاء بنورها كل طالب حقٍّ لم تَغشَ قلبهُ غشاوة الاهواء . وكثيرًا ما سعى اصحاب السفسطة ان يطمسوا نورها او يحجبوها بسُحب الاوهام فذهبت مساعيهم سُدًى وما افادت غاراتهم الَّا ان يتبيَّن كل عاقل خالٍ من الاغراض ما فيها من القوَّة الالهية التي لا تهدُّ ركنها قوَّة بشريَّة ايَّةً كانت

فدعنا نعرض هذه الآية على محك الانتقاد ونسبرها بمعيار الروية فنبيّن جوهرها الصافي وعنصرها الشريف ثم نستفتي لاستجلاء حقيقة معناها ما كتبهُ آباء الكنيسة لاسيما الشرقيين على اختلاف بلادهم ولغاتهم وازمنتهم ونعقّب ذلك بشهادة الطقوس والرتب الكنسيّة والآثار الدينية التي تفسّر هذه الآية وتوضحها باجلى بيان واقوى برهان وتثبت كلّها بلسان واحد انّ المسيح خوّل الرسول بطرس السلطة التامّة على بيعتهِ ليسوسها ويدبّرها ويرعاها كالراعي لخرافهِ والرئيس لمرؤوسيهِ

١ شرح الآية في منطوقها وقرائنها

انّ الآية التي اوردناها بحرفها الواحد لا تكاد تدع مجالًا للسفسطة والوهم ألا انّ نورها يتّقد اتقادًا اذا ما لحظتَ دقائقها واعتبرت قرائنها

اولًا لا شكّ في انّ السيد المسيح يخاطب بطرس في هذه الآية كما فعل في آية الوعد السابق ذكرها ويخاطبهُ وحدهُ مميّزًا لهُ عن سائر رُسُلهِ اذ يسألهُ عن محبتهِ لشخصه الكريم فوق محبة بقية التلاميذ

ثانيًا ينادي الرب بطرس باسمهِ الخاصّ وباسم ابيه : «يا سمعان بن يونا» كما ناداهُ عند وعدهِ بالرئاسة وكما ناداهُ اولًا لما غيّر اسمهُ سمعان بكيفا . وفي هذه الآيات الثلاث اشارة واضحة الى انهُ اراد ان يخوّلهُ نعمةً خاصّة بهِ لا يقاسمهُ بها غيرهُ ألا وهي نعمة السلطان على كنيستهِ كما يظهر بمقابلة هذه الآيات ببعضها

ثالثًا ومما يدلّ على انّ تقليد المسيح لبطرس الرعاية على كنيستهِ انما هو تقليد شخصيّ انّهُ يكرّرهُ ثلاثًا كما كرّر بطرس ثلاثًا اقرارهُ بمحبّتهِ . واقرار بطرس كما لا يخفى انما كان عن نفسه لا عن اخوته الرسل وان لم يصرّح بذلك تواضعًا بعد سقوطه لئلّا يفضّل نفسهُ على احد كما فعل فيفشل لكنّ كلامهُ يُشعر بانّ محبتهُ ليست دون محبّة غيرهِ . فجزاء لاعترافه بمحبته الشخصية يمنحهُ الرب ايضًا هبةً شخصيّة اي السلطان المطلق على رعيّته

رابعًا ويظهر الامر بوضوح اعظم اذا اعتبرت سؤال السيد المسيح لبطرس فمن يا تُرى يتجاسر ان يقول بانّ الرب عند استعلامهِ عن محبّة تلميذهِ انما سألهُ عن محبة لفيف الرسل وفي الآية ما ينفي ذلك تمامًا وكفى بحزن بطرس على تكرار الرب عليهِ

السوءال عن محبته اذ ظنَّ بانَّ الرب شكَّ في صدق قوله حتى انَّ بطرس استشهد بمعرفة المسيح لكل شيء وبعلمه الالهي. فان كان الامر كذلك والسوءال لبطرس دون غيره أفما كان يجب ايضًا ان يكون الجواب لشخصه دون غيرهِ من الرسل ولولا ذلك لما كانت نسبة وتلاحم بين قول المسيح وقول تلميذهِ اذ يبوءُ بمحبَّته الشخصية ويُعطى إنعامًا يعمُّ الجميع

خامسًا ويستدلّ من هذه الآية ايضًا انَّ السيد المسيح جعل تحت قيادة بطرس كل قطيعه دون استثناء. لانهُ سلَّمهُ غنمهُ وسلَّمهُ خرافهُ ونعاجهُ وفي النصّ اليوناني ثلاثة الفاظ تشمل كل ما يتألف منهُ القطيع اعني الخراف والنعاج والحملان صغيرةً وكبيرة بحيث لا يستطيع احدٌ من المؤمنين ان يخرج عن سلطة بطرس ما لم يرضَ ان يكون خارجًا عن قطيع المسيح

فهذه الملحوظات تتبادر الى فهم كل من يطالع هذا النصّ خاليًا من كل غرض شخصيّ. والبروتستانت انفسهم الذين عادةً ينكرون الحجج التي يستند اليها الكاثوليك في تأييد قضيَّة رئاسة بطرس لا يمكنهم عند شرح هذا المحل الَّا الاقرار بمعتقدهم. قال احد زعمائهم الاستاذ هولتسمان (Holtzmann:*Hand Comment.*, IV,227) :

« لا يمكن أن تُفهم هذه الآية في يوحنا عن سلطة مشتركة بين بطرس وبقية الرسل لانَّ هذا الكلام كلُّهُ شخصي فالمسيح يُعيد الى بطرس ملء السلطة التي خوَّلهُ اياها في انجيل متى (١٦: ١٨—١٩) حيث جعلهُ صخرة البيعة ». ثم يستشهد باقوال البروتستانت فضلًا عن الكاثوليك الذين ارتأوا هذا الرأي كهستنبرغ Hengstenberg وڤايس (Weiss). ويردف الكاتب قولهُ هذا بما تعريبهُ: « في آية يوحنا يظهر جليًا بان المسيح يقلّد بطرس ليس فقط شرف الرسالة لكن ايضًا الرعية العامَّة على كل خراف المسيح »

وان قال قائل قد خصَّ المسيح بطرس بسوءاله عن محبته ثلاثًا ليمكّنهُ فقط من الوفاء عن نكرانه المثلَّث في وقت الآلام وليس المقصود من ذلك تقليد سلطة ما

نردّ على هذا الاعتراض من وجوهٍ متعدّدة: (اولًا) انَّ بطرس كان نال الغفران عن خطيئته حالًا بعد سقوطه لمَّا نظر اليه الرب في بيت قيافا فخرج من الدار وبكى بكاءً مرًا. ثم ارسل السيد المسيح النساء الصالحات ليبشرنَ الرسل بقيامته ولاسيما

بطرس لا بل ظهر لهُ خصوصاً بعــد قيامته كما يصرّح به لوقا (٢٤ : ٣٤) . ولما ظهر الرب في العليَّة لجميع الرسل كان شملهم سلامهُ واعطاهم الروح القدس وكل ذلك يدلُّ على انَّ بطرس كان عاد الى نعمة ربّه وصُفح نكرانهُ . (ثانياً) لو كان المسيح لم يقصد من سؤاله الى رسوله سوى المسامحة عن اثمه لكان اكتفى بان يسألهُ فقط عن محبَّته لهُ دون ان يطلب منهُ أجوبة اكثر من بقيَّة الرسل ثم كان قابل جواب بطرس بالسكوت . والحال نرى المسيح يردف كل جواب من فم بطرس بمجازاة واضحة وتخويل نعمةٍ سنيَّة وهي رعية الخراف ورعية النعاج التي لم نجــد لها شبيهاً في كلامه الى بقية الرسل

وقد يعترض البعض على الحجَّة التي يستمدُّها الكاثوليك من قول المسيح لبطرس «إرعَ خرافي» بزعمهم ان رعاية الخراف انَّما تدلّ هنا فقط على الارشاد واعطاء المشورة والتحذير كما يفعل الاخ باخيه والصديق بصديقه وانَّ اللفظة اليونانية ποιμαίνειν التي في آية يوحنا لا يُقصَد بها غير المشورة والارشاد والتهذيب أمَّا السلطة الممنوحة لبطرس فكالسلطة المعطاة للرسل لمَّا قال لهم الرب في متى (١٨ : ١٨) : « مهمــا حللتم على الارض يكون محلولًا في السماوات الخ » وكقولهِ لهم بعــد قيامتهِ (يوحنا ٢٠ : ٢١—٢٣) : « كما ارسلني الآب انا ارسلكم ... اقبلوا الروح القدس . الذين تغفرون لهم خطاياهم تكون مغفورة لهم ومن امسكتم خطاياهم تُمسك لهم » . وخلاصة القول ليس لبطرس شيء يميّزهُ عن اخوته غير كونه الاوَّل بالشرف ليس الَّا

نجيب على هذا المشكل (اوَّلًا) ان بطرس من حيث كان احد رســل المسيح قد نال كل ما نالوهُ من النعم اجمالًا . وليس العكس بالعكس فانهُ اصــاب من الامتيازات ما لم يُصبهُ احد منهم . ويظهر ذلك من مواعيد المسيح الخصوصية لهُ في متى (١٦ : ١٨—١٩) حيث اكَّد لهُ انهُ يجعلهُ صخرةً يبني عليها بيعتهُ وانهُ يعطيهِ مفاتيح ملكوت السماوات وهذا لم يَعِدْ بهِ غيرهُ من التلاميذ وان شركهم بنعمــة حلّ الخطايا او ربطها . نجيب (ثانياً) ان هذه المواعيد ليست امتيازات شرَفية فقط بل تنبئ بمنح سلطة حقيقيَّة في التعليم والتدبير كسلطة الاب على ابنائهِ والرئيس على مرؤوسيهِ . وهو امرٌ يتضح لكل معتبر لاقوال السيد المسيح واعمالهِ فتمييزهُ المتواتر لبطرس بين بقيَّة تلاميذهِ لا يمكن تعليلهُ الَّا بالسلطة التي اعطاها لهذا الرسول . وقد عرف ذلك الرسل

اخوتهُ فتراهم بعد صعود الرب لا يقدمون على عملٍ الّا تحت رئاستــه فهو المتقدّم في علّيَّة صهيون وهو المتولي لانتخاب خلف ليوداس وهو المدافع عن حرمة التلاميذ امام اليهود وهو الواقف بازاء رؤساء الكهنة في مجمعهم وهو المدّبر لتقسيم الحسنات بين المؤمنين وهو المعاقب للمرائين اصحاب الكذب والخداع كحنانيا وسفيرة وهو الذي يحرم سيمون الساحر على يدهِ تجري المعجزات في الهيكل وخارجاً عنهُ حتى انَّ ظلّــهُ يشفي المرضى هو الذي يبشر الامم قبل غيرهِ ويتفقّد شؤون المؤمنين ويمنحهم الروح القدس في السامرة وغيرها هو المتصدّر في مجمع اورشليم · فيا لله ايستطيع ان يقول احد انَّ كلّ هذه الاعمال لا تدلُّ على سلطة حقيقيَّة او يقول انَّ بطرس ادَّعى بهذه السلطة متعدّياً في ذلك حقوقهُ طمعاً في الرئاسة دون ان يحتجَّ عليهِ احد من التلاميذ ويوقفهُ عنــد طورهِ · نجيب (ثالثاً) انهُ لا يصحّ قول الزاعمين بانَّ لفظة الرعاية في آية يوحنا « ارعَ خرافي » لا تدلُّ على السلطة فانَّ اللفظة اليونانية ποιμαίνειν في الاسفار المقدسة تقابل اللفظة العبرانية רעה وهذه الكلمة الموافقــة للعربية « رعى » تدلُّ في الكتاب المقدّس على ملء السلطة وكمال الامر ولو شئنا لأتينا بالشواهد العديدة المثبتــة لقولنا · مثالهُ قول اسباط اسرائيل لداود بعد موت شاول (٢ ملوك ٥ : ٢) : « اذ كان شاول علينا ملكاً امسِ فما قبل كنت انت تُخرج وتدخل اسرائيل وقد قال لك الرب انت ترعى (תרעה ποιμαίνεις) شعبي اسرائيل » فالرعاية والملك هنا كما ترى شيء واحد · ومثلهُ في اشعيا (٤٤ : ٢٨) قول الرب لكورش ملك فارس : « انا القائل لكورش انت راعيَّ (רעי) انت متمّم كل ما اشاء » فبديهيّ انَّ كورش كان متوليًا سلطةً حقيقيةً ولم يُقمهُ الله فقط لرتبة شرفيَّة فالمقصود اذن من قوله انت راعيّ اي انت المقلّــد السلطة باسمي · والآيات كهذه عديدة (كسفر العدد ٢٧ : ١٦ و٢ ملوك ٧ : ٧ و ٢٤ : ١٧ الخ) لا بل تجد في الاسفار الالهيَّة لفظة الرعاية مكرَّرة للدلالة على سلطانهِ تعــالى المطلق في المخلوقات · كقول الملك داود في الزبور (٢٢ : ١–٤) يصف تدبير الله وعنايتــهُ : « الربُّ راعيَّ فلا يعوزني شيء · في مراعٍ خصبــة يقبلني ومياه الراحة يوردني يردُّ نفسي ويهديني الى سُبل البرّ الخ » وكقوله ايضاً (٧٨ : ٥٢) : « سيَّر الرب شعبــهُ كالغنم وساقهم مثل القطيع في البريَّة وهداهم في طمأنينــة فلم يرتاعوا . . . وادخلهم تخوم قدسهِ . . . وطرد من وجوههم الامم » · فمن لا يرى في هذه الآيات الإمرة والسياسة

والقيادة والتدبير وكلُّ ذلك قد رمز اليهِ بالرعية فكيف يقال انَّ المسيح لم يمنح رسولهُ بطرس غير شرف عرضيّ بقوله لهُ « ارعَ خرافي »

ولو طلب منَّا المعترض زيادة برهان لبيَّنا لهُ الامر من وجه آخر اعني رتبة المسيح نفسهِ التي اتَّفق العهدان القديم والحديث على وصفها بصورة الرعاية للأغنام . امَّا العهد القديم فقول حزقيال في الفصل ٣٤ وكلُّهُ من درر الكلام في المقابلة بين رعاة اسرائيل المنافقين والراعي المرسل لخلاص شعبهِ الى ان يقول ولله درُّهُ من قول :

« هكذا قال السيد الرب هاءنذا انشد غنمي وافتقدها انا كما يفتقد الراعي قطيعهُ يوم يكون في وسط غنمهِ المنتشرة كذلك افتقد انا غنمي وأُنقذُها من جميع المواضع التي شُتِّتت فيها يوم الغمام والضباب وأُخرجها من بين الشعوب واجمعها من الاراضي وآتي بها الى ارضها وارعاها على جبال اسرائيل وفي الاودية وفي جميع مساكن الارض . في مرعًى صالح ارعاها وفي جبال اسرائيل العالية تكون حظيرتها . هناك تربض في حظيرةٍ صالحة وترعى في مرعى دسم على جبال اسرائيل . انا ارعى غنمي واربضها يقول السيد الرب فأَتطلَّب المفقودة واردُّ الشاردة واجبرُ المكسورة وأُقوّي الضعيفة واحفظُ السمينة والقويَّة وارعاها بعدلٍ »

وليس اقلّ منهُ وضوحاً ولا ادنى شأناً في العهد الجديد كلام السيد المسيح عن نفسهِ حيث يقول (يو ١٠ : ١١ — ١٧) : « انا الراعي الصالح . الراعي الصالح يبذل نفسهُ عن الخراف . . . انا اعرف خاصَّتي وخاصَّتي تعرفني كما انَّ الآب يعرفني وانا اعرف الآب وابذل نفسي عن الخراف ولي خراف أُخر ليست من هذه الحظيرة فينبغي ان آتي بها ايضاً وستسمع صوتي وتكون رعية واحدة وراعٍ واحد »

فهذه الرعاية سلطة حقيقيَّة تامَّة نالها السيد المسيح من ابيهِ تشمل الامم والشعوب كلها فيرعاها بالرحمة والحنوّ إنْ انقادت الى صوتهِ ويرعاها بقضيب من حديد (مزمور ٢) ان ابت الخضوع . ولمَّا كان هذا الراعي لا يبقى على الارض منظوراً وكانت رعيَّتهُ من البشر المنظورين اقتضى الامر ان يعهد بتدبير رعيَّتهِ الى من ينوب عنهُ فبقولهِ لبطرس « ارعَ خرافي » اقامهُ نائبهُ في رعاية هذه الاغنام الناطقة وجعل في يدهِ قيادتها ليرعاها في المراعي الخصبة ويبعدها عن المنتجعات الوخيمة ويردّ عنها

غارات الذئاب الكاسرة الى غير ذلك مما لا يقوم بغير سلطة تامّة وتدبير تام وتعليم صادق معصوم من الضلال

وليست الرعاية كنايةً عن السلطة في الاسفار المقدسة وحدها او عند بني اسرائيل فقط فان آداب الامم كلّها قد ألفت تشبيه السلطة والامر والرئاسة برعية القطعان فانّ اليونان وهم اعلم من غيرهم بمعاني الكلام قد كرّروا ذلك في قصائدهم ألا ترى اوميروس الشاعر في كتاب الالياذة (ك ١ بيت ٢٦٣) يدعو ملوك اليونان المجتمعين للحرب « رُعاة الامم » (ποιμένες λαῶν) ومثل ذلك في شعر سوفوقليس واوريبيدس كثير. وقد شاع هذا الاصطلاح قبل اليونان عند الاشوريين. فقد جاء مثلًا في صفيحة وُصفت فيها اعمال الملك سرغون الاوّل عن لسان صاحب الاثر انهُ « حبيب الآلهة والراعي مختار الالهَين اشور ومردوخ » ومثل ذلك في صفيحة تجلت فلاسر الاوّل: « انهُ هو الذي دعاهُ اشور الاله الاعظم ليرعى بلادهُ بكل استقامة » فكل هذه الشواهد لا تبقي ريباً في معنى قول المسيح لبطرس « ارعَ خرافي » اعني انهُ هو الراعي الكبير الذي اقامهُ الآب وارسلهُ الى العالم ليرعى الامم قد اتّخذ من يمثلهُ في هذه الوظيفة في اعين البشر بينما هو يحتجب عن العيان ويقوم بهذه الرعاية في السماء بنوع غير منظور ويرشد بالهامهِ ونعمته الراعي المنظور الذي ينوب عنهُ في الارض

ولا يقولنَّ قائل « انّنا نسلّم بان بطرس قد أُعطي بقوّة هذه الآية ملء السلطان على الكنيسة ولكن لا تثبت هذه الآية انّ ذلك الامتياز يتناول الاحبار الرومانيين » فانّ هذا الرأي باطل لا اسّ لهُ. وذلك لانّ القطيع الذي انشأهُ المسيح ليس هو قطيعاً زائلًا او جماعة زمنيّة بل هو جسمٌ ادبيّ يبقى الى منتهى الاجيال كما صرّح بهِ السيد المسيح لتلاميذهِ مرارًا متوالية. فلا بُدّ لهُ اذن من راعٍ في كل آونة وجودهِ الى آخر ساعة من كيانهِ. وبطرس من حيث هو شخص خاصّ كاحد افراد البشر لا يعيش الى الابد فلا بُدّ اذن من القول بانّ بطرس لم يُمنح نعمة الرعاية ليباشرها بنفسهِ فقط بل نالها كرأس سلسلة ترتبط حلقاتها دون انفصام كما ينال احد الملوك سلطانًا على امّة فيبسط عليها ملكهُ هو اوّلًا ثم خلفاؤهُ من بعدهِ سواء كانوا اولادهُ او ولاة عهدهِ او ورثة ملكهِ على طريقة شرعيّة جرى عليها الاتفاق

وكذلك يؤخذ من كلام المسيح الى بطرس انّهُ اساس بناء الكنيسة الحيّ يجمع

كلمتها ويبعد عنها كل ما يضعضع اركانها او يفرّق بنيانهــا ابدًا وكذلك لا يتمُّ الّا بدوام ذلك الاساس الادبيّ الحيّ . فيترتّب على ذلك ان الاســاس ليس هو منوطًا بشخص معروف بل بمقام ذلك الشخص و برتبتهِ ليبقى البنيان على مدى الدوران طالما تبقى الرتبة ويتولّى امرها انسان

٢ الآثار البيعيَّة القديمة

افادنا القسم الاوَّل حقيقــة الرئاسة البطرسية من فحوى كلام الرب الى رسوله ومن امرهِ لهُ بان يرعى خرافهُ . بقي علينا أن نبحث عن رأي الكنيسة في معنى هذه الآية أفيتّفق الآباء في تفسيرها كما فسّرناها وهل تنطبق على ذلك الجامع المقدّسة وطقوس الكنيسة على اختلافها . فان كان الامر كما روينا وثبت ان التقليــد المتواصل يجد في قوله تعالى « ارعَ خرافي » سندًا لسلطة بطرس وخلفائهِ على الكنيســة صحصح الحقّ ولم يبق في الامر ريب

انّ آباء الكنيسة سواء كان في ميامرهم او في تفاسيرهم على انجيل يوحنّا ذكروا الآية التي نحن في صددها وليس بينهم واحد يخالف الشرح الذي قدّمنــاهُ بل كلهم الغربيين والشرقيين يذهبون الى انّ المسيح بموجب هذه الكلمات قلّد بطرس السلطــة التامّة على كنيستهِ في التعليم والتدبير ولا حاجة بان نتّسع في ذكر اقوال آباء الكنيسة اللاتينيَّة الذين صرّحوا بالامر تصريحًا ينفي كل شكّ . قال القديس اوغسطينوس في ردّهِ على فوستوس (Migne: PP. LL., XLII, 445): « قد أُقيم بطرس راعيًا على الكنيسة كما أُقيم موسى رئيسًا على جماعة اليهود » . ومن المعلوم انّ رئاســة موسى على شعب الله لم تكن رئاسة شرف فقط بل سلطــة قضاء وتدبير وتعليم فلا بُدَّ اذن من التسليم بانّ رئاسة بطرس كانت مثلها

ومن ابدع ما قيل في ذلك ما كتبهُ القديس برنردس الى تلميذهِ البابا اوجانيوس الثاني وقد جمع في قوله كثيرًا من اقوال الاباء قبلــهُ : « انت من انت ؟ انت الكاهن العظيم والحبر الاعظم انت إمام الاساقفة ووريث الرسل . انت الراعي الاوَّل كهابيل . انت ربّان السفينة كنوح وابو الاباء كابراهيم . رتبتُك كرتبة ملكيصادق ومقامــك كمقام هارون . لك رئاسة موسى الكليم وقضــاء صموئيل وسلطان بطرس ومسحةُ

المسيح . انت الذي قُلِّدت مفاتيح السماء ووُكلتْ اليك الاغنام الناطقة . نعم انَّ غيرك قد أُقيموا ايضاً لحجابة الملكوت ولرعاية القطيع الكنسي لكنَّ درجتك ارفع واوسع من درجتهم . قد عُهد اليهم كل واحد بقطيع خاصّ امَّا انت فقد عُهد اليك وحدك بان ترعى الجميع ليس الغنم فقط بل الرعاة ايضاً لأنك راعي الرعاة ولك وحدك الرب قال دون غيرك من الاساقفة والرسل قولًا شاملًا مطلقًا : « ان احببتني يا بطرس فارعَ خرافي » فلم يقل ارعَ خراف بلدٍ ما او أمّة ما او مملكة ما بل خرافي دون تقسيم ولا افراز ولا حصر » فنعم القول وحبّذا القائل

وليس لآباء الكنيسة الشرقيَّة رأي مخالف للرأي السابق فاسمع قول يوحنا الذهبي الفم في ميمره الثامن والثمانين على يوحنا (Migne. PP. GG, LIX, 478-9) فهناك كلام مستفيض لهذا الخطيب المفوَّه عن رئاسة بطرس نقلنا خلاصتهُ في المشرق (٥ : ١٣٤) وممَّا قال ما تعريبهُ : « ما للرب قال لبطرس « ارعَ خرافي » وضرب الصفح عن بقيَّة الرسل ؟ ليس ذلك الَّا لانَّ بطرس كان رسول المسيح المصطفى ولسان التلامذة ورأس الفئة الرسوليَّة . . . وانَّما يقول لهُ : « ان كنت تحبني كن رئيساً على اخوتك وبيِّن صدق محبَّتك نحوي بحسن تدبيرهم وابذل عن غنمي نفساً قلتَ لي انك تجعلها فدايَ » . فمن لا يرى انَّ الذهبيَّ الفم فهم مثلنا انَّ رعاية الخراف هي رئاسة حقيقيَّة وسلطة ثابتة حتى على الرسل والتلاميذ

وليس هذا الميمر الوحيد الذي اكَّد فيهِ فمُ الذهب رعاية بطرس وخلفائهِ على الكنيسة جمعاء فانَّهُ في ميمرهِ الحادي والخمسين على متى في شرح مثل العشرة الالاف وزنة وفي ميمرهِ السابع والخمسين عليهِ في بيان قول المسيح الى بطرس « انت الصخرة » يعود الى ذكر ما نالهُ هامة الرسل من السلطان لرعية قطيع كنيستهِ

ومثل القمر القسطنطيني كذلك القمر القيصريّ باسيليوس (Migne, PP. GG. XXXI, 1408) يؤكد سلطة بطرس الرعائيَّة على كنيسة المسيح . ففي رسومهِ الرهبانية الفصل الثاني العدد الرابع يذكر ما يجب على الرهبان من الطاعة لرئيسهم « الذي يمثل لهم شخص المسيح ذاك المتوسّط بين الله والبشر ليخلص الذين يخضعون لوصاياه » ثم يردف قولهُ بما تعريبهُ : « وقد تعلَّمنا هذا من السيد المسيح نفسه الذي اقام من بعدهِ بطرس راعياً لكنيسته حيث قال لهُ : « يا بطرس اتحبُّني اكثر من هؤلاء ؟

ارعَ خرافي ». فاوضح باسيليوس بهذه الشهادة انَّ بطرس تولَّى كنيسة المسيح من بعده بقوَّة هذه الآية ولم يستثنِ من رئاسته على الكنيسة احدًا

ومثلهما صراحةً وبيانًا معاصرهما كيرلس الاورشليميّ في كتاب المعتقدات (Migne, *ib.*, XXX, 407, 855, 998) الذي يشير غير مرَّة الى رئاسة بطرس العموميَّة لانَّ الربّ امره برعية اغنامه الناطقة (τὰ νοητὰ πρόβατα) ويذكر توبتهُ بعد خطيئتهِ فيقول انهُ لم يفقد شيئًا من امتيازاتهِ بل صار هامة الرسل العليا ورئيسهم الاوَّل (ὁ κορυφαιότατος καὶ πρωτοστάτης τῶν ἀποστόλων) وحاجب الملكوت السماوي (τῆς βασιλείας τῶν οὐρανῶν κλειδοῦχος)

ومن معاصري هؤلاء الآباء في القرن الرابع ابيفانيوس اسقف قبرس الذي في كتاب الهرطقات (الهرطقة ٥٩) يُنهض همَّة الخطأة ويحضُّهم على الانابة الله ويعرض عليهم مثال هامة الرسل الذي استحقَّ بعد توبته « ان يكون اساسًا للكنيسة من كل وجه » (ἐφ' ἧ ᾠκοδόμητο ἡ Ἐκκλησία κατὰ πάντα τρόπον) ثم ذكر كلام الرب الى بطرس في حياته ثم كلامهُ لهُ بعد قيامته بيانًا لهذه الرئاسة الكليَّة (Migne, PP. GG., XLI, 1030)

وجاء في اعمال القديس استيريوس الاماصيّ (Migne, XL, 282) في خطبته عن الرسولين بطرس وبولس: « انَّ المخلص اذ اراد بتجسُّده ان يقدّس الجنس البشري اوصى بكنيسته المنبثَّة في كل جهات المعمور لبطرس كوديعة خاصَّة وكوراثة اذ سألهُ ثلاثًا أتحبُّني. ولمَّا رأى المسيح انَّ تلميذهُ اجاب بنشاط على سؤاله المثلَّث سلَّم اليه ايضًا ثلاثًا تدبير العالم وجعلهُ راعيًا واحدًا على رعيَّة واحدة (ὡς μίαν ἀγέλην εἰς ποιμὴν) لمَّا اسمعهُ هذه الكلمات « ارعَ خرافي ». وكاد يرفع الى مقامه الرفيع تلميذه الامين اذ جعلهُ ابًا وراعيًا ومعلِّمًا للذين كانوا مقبلين الى الايمان ». وهذا الكلام اوضح من ان يحتاج الى تفسير وقد ردَّدهُ القديس في هذه الخطبة على وجوه متنوعة تُزيل كلَّ الشبهات في بيان مقصوده

وللثاودوريطس اسقف قورش خطبة في المحبة الالهيَّة والمحبة البشريَّة كلُّها محاسن بنى قسمًا منها على قول بطرس مجيبًا على سؤال ربّهِ « اتحبُّني اكثر من هؤلاء » وعلى قولهِ تعالى لهُ: « ارعَ خرافي » (Migne, LXXXII, 1507) لا يمكنَّا ان ننقل

عنهـا غير فقرات قليلة. قال عن لسان الرب: «ان كنت تحبُّني يا بطرس فاعلم اني لست في حاجة الى شيء او الى احد ولكن أقبلُ منك كأنهُ لنفسي كل ما تظهره من العناية في رعاية اغنامي. فكلُّ ما وجدتهُ فيَّ نحوك من التدبير والحبّ فاعلن بهِ نحو رفقتك فارعهُم كما ارعاك واملك عليهم كما املك عليك. بهذا تفي بشكرك لي... فكن لهم سندًا وشدّد ازرهم وقوّم ميأهم وانهض ضعفهم...» والحق يقال انَّ بطرس قد اضحى ركنًا للايمان غير متزعزع وكان دليلًا امينًا للعالم كله فمنعهُ من الضلال بقوَّة كلمة الرب القائل لهُ: «ارعَ خرافي»

ولولا خوفنا من ملل القرّاء لأتينا بشهادات عديدة غير السابقة كتاوفيلكتس في شرحه على يوحنا (Migne, CXXIV, 310) وافتيميوس من كتبة القرن التاسع في تفسير هذا الفصل عينه (Migne, CXXIX, 1495). وهذه شواهد لبعض كتبة الكنيسة السريانيّة. قال ثاودورس الصيصي (ed. Chabot, p. 407) في آية يوحنا المذكورة انَّ الرب بقولهِ لبطرس اوَّلًا «ارعَ حملاني» (ܐܡܪ̈ܐ) سلّمهُ كلَّ المؤمنين به ليسند ايمانهم ويثبت ضعفهم لانَّ ايمانهم ليس بثابت. ثم قال لهُ بعد اعترافه الثاني بمحبّته «ارعَ خرافي» (ܢܩܘ̈ܐ) فاراد انهُ يسلّمهُ ايضًا الكاملين كالرسل والرعاة والكهنة ليخضعوا لهُ. ثم بعد سؤاله الثالث ايحبّه قال له: «ارعَ نعاجي» (ܥܢ̈ܩܬܐ) حتى يدلَّ بذلك على انه يسلمه كل الخلائق الناطقة حتى اضعفها كالنساء الضعيفات من بتولات طاهرات ومقيّدات بالزواج فانَّ الرب لم يستثنِ احدًا من سلطة بطرس لا من الخاصّة ولا العامّة بل جعله رئيسًا على الجميع مطلقًا»

وقال اليّا اسقف الانبار امام النساطرة في زمانهِ في القرن العاشر: «قد صار بطرس اساس الايمان وهامة الرسل اخوتهِ وبنّاء الكنيسة المقدّسة وقد فاز بهذه الامور الثلثة اذ نال مقاليد العلويّات والسفليّات اعني السماء والارض وملكهما دلالةً على سلطتهِ المثلّثة وقد أُعطي ايضًا رعاية القطيع الناطق في كل اقسامهِ النعاج والخراف والكباش وفقًا لامر الرب»

ومثلهُ ابو الفرج البغدادي المعروف بابن الطيّب النسطوري: «يريد المسيح بالحملان والكباش والنعاج جميع اصناف المؤمنين من الرجال والنساء.. فقال لشمعون ان كنت تحبُّني المحبّة التامّة الكاملة فأنفذ مواهبي وعطاياي وعلمي وذخائر سنّتي

للمؤمنين بي . وهذه وصيّتي اليك بخلاف كل وصيّة ان تفيد الناس كافّة علم الحقّ وسنن البشارة الانجيليَّة الموصلة لهم الى الملكوت السماويّ » . . . ثم قال ايضاً : « ارعَ لي » هو بمعنى كن نائباً عني ويقول« كباشي وخرافي ونعاجي »يعني كافّة المؤمنين والمؤمنات الرأس منهم والوسط والدون »

فنقف عند هذا الحدّ لئلا نورث قرّاءنا الملل بوفرة الشهادات التي ترمي كلّها الى غرض واحد ومعنًى واحد اعني الرئاسة التامَّة على الكنيسة في كل رُتبها وطبقاتها

على انَّنا لا نستطيع ان نضرب صفحاً عن شواهد أُخرى تؤيد هذه القضيّة وقد اعتاد اللاهوتيون ان يتَّخذوها في بيان المعتقدات كحجّة قاطعة نريد الصلوات الطقسيَّة فانَّ هذه الصلوات تتضمَّن لباب تعاليم الرسل واقوال الآباء . وهي في الموضوع الذي يشغلنا عديدة جدًّا نكتفي بالقليل منها خوفاً من الاسهاب

فممّا جاء في الليتورجيَّة النسطوريَّة وهي كما لا يخفى من اقدم الليتورجيّات المعروفة في عهدنا اذ يرقّيها العلماء الاثبات الى قرون النصرانيَّة الاولى قولهم في صلوات عيد القديسين الرسولين بطرس وبولس :

« طوباك يا سمعان بن يونا هامة الرسل وبكرهم فانَّ سيّدك قد اصطفاك واعطاك مقاليد المنازل العلويَّة لتفتح بابها للمرتدّين . قال لك الرب ثلاثاً : ارعَ خرافي ارعَ نعاجي ارعَ كباشي التي افتديتُها بدمي فاني جاعلك قيّماً على ملكوت السماوات . فتولَّ الامور ودبّرها بحكمة كقهرمان عاقل ووزّع بفطنة كنوزي الروحيَّة . . . ارعَ واحفظ الخراف المفديَّة بالصليب بتيقُّظ واجتهاد ومحبَّة وكمال وصدق صُنْها من الذئاب الخاطفة ومن ابناء الضلال بالقوّة التي أُعطيتها من الروح القدس »

وورد في الليتورجيَّة المسكوبيَّة عدَّة نصوص تبيّن صريحاً رئاسة بطرس على الكنيسة كلها حتى الرسل . وقد جمع هذه الشواهد الراهب البرنبيُّ الشهير الاب تنديني (Tondini) فننقل عنهُ هذه الشهادة وحدها (ص ٢٣) الواردة في فرض عيد الرسولين بطرس وبولس : « انَّك يا بطرس قد ائتُمنت رعاية قطيع المسيح لكونك الافضل والاعظم (ὡς πανάριστατος) . . . انت راعي جميع الرسل بالحقّ المعطى لك من الله »

والكنيسة اليونانيَّة في هذا المعتقد لا تُخالف غيرها من الكنائس بل تعدّدت في

طقوسها الاوصاف المنبئة برئاسة هامة الرسل حتى لو جُمعت لتألّف منها كتاب واسع. امّا نعتها لهُ بالراعي للكنيسة ولكلّ المؤمنين دون اختلاف بين رئيس ومرؤوس بين رسول وموعوظ بين راعٍ وقطيع فاكثر من ان يُحصى. (راجع مثلاً مجموع تسابيح الكنيسة اليونانية للكردينال پترا (J. B. Pitra: *Hymnographie grecque*)

ولدينا شاهد آخر على معتقد الكنيسة واستنادها على كلمة الرب لنسبة الرئاسة العظمى لبطرس في الآثار القديمة والعاديّات النصرانيّة التي تتراوح بين القرن الثاني والسادس للمسيح. لكنّ المشرق قد سبق الى وصف تلك الآثار في مقالة جميلة للاب جلابرت نُشرت في اعداد السنة السادسة (ص ٥٧٦—٥٨٥) فلتُراجع

فبكل صواب اذن قد حكمت الكنيسة في مجامعها مرارًا بانّ بطرس بقوّة الآية المرويّة في يوحنّا قد قُلد ملء السلطان على الكنيسة وجميع ابنائها وكذلك خلفاء بطرس من بعدهِ على كرسيّهِ الرومانيّ. قال المجمع الفلورنتيني بعد اتحاد الكنيستين اللاتينيّة واليونانيّة: «نحكم بانّ للكرسي الرسوليّ المقدّس وللحبر الرومانيّ التقدّم على جميع الاساقفة في معمور الارض وهو خليفة الطوباويّ بطرس هامة الرسل ونائب المسيح الحقيقي ورأس الكنيسة كلها وابو المسيحيين اجمعين ومعلمهم وبان السيد المسيح اعطاهُ في شخص الطوباوي بطرس سلطانًا مطلقًا عامًّا لرعاية الكنيسة وتدبيرها وسياستها جميعها كما هو مذكور في اعمال المجامع وفي القوانين المقدّسة

فلا يبقى لنا في ختام فصلنا هذا الّا ان نشكر السيّد المسيح ربّ الارباب وملك الملوك الذي لم يترك كنيستهُ كجسم بلا راس وكدار بلا ربّ بيت وسفينة بلا ربّان ودولة بلا ملك. فيا لله ماذا كان حلّ بالكنيسة لو أُهملت الى تدبير رؤوس متعدّدين ورُعاة مستقلّين لا يضمّ كلمتهم رأس واحد ولا يجمع شتاتهم راعٍ فرد. نعم انّنا نعلم انّ السيّد المسيح هو رأس الكنيسة الاعلى واساسها الاول قد وعد بانهُ يحييها ويدبّرها بعنايتهِ الى منتهى الدهور الّا انهُ انشأ جماعة بشريّة منظورة تتصرّف في اعمالها ومشروعاتها وادارة امورها بين البشر المنظورين وتناهضها القوّات المنظورة لتصدّها عن غايتها اي خلاص النفوس فاقتضى الامر أن يكون لها ما عدا الراعي غير المنظور راعٍ منظور قد عرفناهُ من الانجيل الطاهر واتّفقت الآباء والكنائس الخاصّة والآثار القديمة في الدلالة عليهِ اعني بطرس الرسول. وليس بطرس في هذا الامتياز

شخصاً منفرداً بل ممثلاً لمن يجلسون بعده على كرسيهِ الرومانيّ اذ الرعيّة محتاجة الى راعٍ يدبّرها بعد مماتهِ وليس راعٍ آخر غير خلفائهِ من بعدهِ. واسم هذا الراعي الجليل في يومنا هذا بيوس العاشر وكل من وقف على اعمالهِ منذ جلوسهِ على كرسي الخلافة البطرسيّة يقرّ علناً بانهُ افضل خلف لأفضل سلف لا يزال بهِ بطرس حيًّا في الكنيسة. متّعنا الله برعايتهِ سنين طويلة وقادنا على يدهِ الى المراعي الخصبة ثم الى جنان الخلد امين اللهمّ امين

تحيَّة من الارز

في اليوبيل البابوي الكهنوتي الخمسيني

للاخ ب. ب. الراهب الماروني اللبناني

يا ارز مالك فوق السحبِ مرتفعا … كأنَّ رأسكَ في الجوزاء قد طمعا
بسطت اغصانك الخضراء عن جزلٍ … والشمس من نورها حاكت لها الحللا
والريحُ غنّت على عيدانها طربًا … وصوت تنغيمها في الغَرْب قد سُمعا
يفوح من أرَجِ الاغصان اذ رقصت … نشرٌ ذكيُّ الشذا من قبلُ ما سطعا
مالك فوق ذرى لبنان في غيرِ … عهدي بمثلك لا يستحسن البدعا ؟
—أهدي السلام الى رأس الكنيسة من … ضياء يوبيله في الجو قد لمعا
تزهو احتفاء بهِ الاكوان قاطبةً … ويلهج الغرب في ذكراهُ مندفعا
هل يبقى لبناننا في الصمت معتزلًا … ومن مشارقهِ نور الهدى طلعا ؟
—يأبى بنو شرقنا الّا مشاركةَ م … الغرب بعيدِ أبٍ في حبهِ طُبعا
حبرٌ عظيمٌ على كرسيِّ بطرس قد … بدا ومن حولهِ الاحبارَ قد جمعا
تعنو الرؤوس ازاء العرش خاضعةً … لنائب الله مَن كلٌّ لهُ خضعا
اقامهُ الله رأساً في كنيستهِ … يرعى الرعايا ويغذي قومهُ الورعا
يدعو الخراف بصوتٍ طاب مسمعهُ … فصوتهُ باتّباع الحق قد صدعا
إنّا مطيعون هذا الرأس عن قدم. … نعاهد النفسَ ان نبقى لهُ تبعا

تعوّد الخير والاحسان عن صغرٍ مع اللبان حليبَ البرّ قد رضعا
في النائبات يُرى بالحزم معتصماً وفي الرزايا بدرع الصبر مدرعا
شعارهُ قد بدت للناظرين بهِ سفينة الله في بحرٍ قد ارتفعا
ها نحن في وسط يمٍّ ثار ثائرهُ فوق السفينة والربّان ما هجعا
طمّت على جنبها الامواج تقذفها وقد هلعنا سوى الربّان ما هلعا
بل ظلّ كالصخرة الصلداء منتصباً يصارع الموج لا يهتابهُ فزعا
من اسكت البحر في تيّارهِ قدماً لا شك يُسكتهُ ان عجَّ مندفعا
يا بحر صَهْ وانكسر يا موجُ منخفضاً وطأطئ الرأس كن للحبر متضعا
لامر بيُوس من قال المسيح لهُ : « انت الصفا حصنها قد عزَّ مرتفعا
« جيش الجحيم اليها لم يجد سبلًا بل يرجع القهقرى ان حاول الطمعا »
قالوا قضى الاسد الضرغام وانكسرت بهِ الكنيسة هيا نبدع البدعا
فاين لاون اين اليوم سطوتهُ ويلٌ لاشبالهِ ان سيفنا لمعا
بل ويلكم يا عداة الدين فارتدعوا من غيّكم ان خير النصح ما ردعا
نصحتكم يا أُصيحابي ألا انتصحوا فغيركم طاش سهماً والتوى جزعا
أما قرأتمُ : « اني كائنٌ معكم طول المدى لا تخافوا فادفعوا الهلعا »
أتبتغون قتال الله ويلكمُ من قاتل الله خاب السعي وانصرعا
رغبتمُ ان تدكّوا ركن بيعتهِ قد كان ما رمتمُ يا قوم ممتنعا
هلّا دريتم بان الله يحرسها وتحت اقدامها قد ذلّل الشيعا
وقام بيُوس في الاكوان يرأسها يحمي حماها يرد الذئب والسبعا
سعدتِ يا رومة العظمى وسدت على كل الكنائس قومي فاخري البيعا
قومي ارفعي الرأس باليوبيل معجبةً فانَّ رأسكِ يبقى الدهر مرتفعا
وفاخري الكون يوم العيد وافتخري برأس دين صحيحٍ ما شكا وجعا
فحسبكِ الفخر في الدنيا ببيُوس اذ الفيتِ فيهِ مجال الفخر متسعا

رسالة

في الخوف من الموت وحقيقته وحال النفس بعده

نشرها الاب لويس شيخو اليسوعي

توطئة

بين المخطوطات العربيَّة التي دخلت منذ عهد قريب في خزانة كتب باريس العمومية (Bibl. Nationale, Mss. Arabes, n° 4946) مجموع نفيس صغير الحجم يبلغ عدد صحائفهِ ٨٧. وهو موسوم بالعدد ٤٩٤٦ ولذلك لا تجد لهُ ذكرًا في قائمة المخطوطات المطبوعة التي لا يتجاوز عدد موصوفاتها ٤٦٦٥. وليس لهذا الكتاب تاريخ معلوم وانَّما هو من القرن الخامس عشر كما يدلُّ عليهِ ورقهُ الصفيق وحبرهُ. وقد اتقن الناسخ خطهُ واحسن ضبطهُ. امَّا مضمونهُ فسبع مقالات قديمة في الحكمة والرياضيَّات وتحريك الاثقال منها مقالة بديعة في القرسطون اي الميزان لثابت بن قرة ننشرها قريبًا ان شاء الله. ومن افضل محتويات هذا المجموع رسالة فلسفيَّة فريدة في بابها نسخناها في رحلتنا الحديثة الى باريس اسمها « رسالة في الخوف من الموت وحقيقتهِ وحال النفس بعدهُ » قصد بها صاحبها بيان الاسباب التي تحمل الانسان على الخوف من الموت ثمَّ البحث عن الادوية التي يمكنهُ ان يداوي بها نفسهُ من هذا الداء. امَّا مؤلف الرسالة فسلمٌ كما يظهر من فاتحة الرسالة وقد راجعنا مؤلَّفات مشاهير فلاسفة المسلمين كالشيخ الرئيس ابن سينا ويعقوب الكندي وابي نصر الفارابي وابي الريحان البيروني والامامَيْن الرازيين لعلَّنا نجد في تآليفهم ذكرًا لهذه الرسالة فخاب املنا لكنَّنا لا نشك بانَّها لاحد قدماء ارباب الحكمة وكفى دليلًا على ذلك قدم الكتاب وحسن طريقة الكاتب في تنسيق براهينهِ واثبات حجَّتهِ والظاهر انَّ المؤلف كان من اهل القرن الخامس لما يذكرهُ في رسالتهِ من الزمان بينهُ وبين عليّ بن ابي طالب اعني اربعمائة سنة. ونحن نقدّم هذا الاثر لقرَّائنا في اوَّل الشهر المخصَّص بذكر الموتى ليروا انَّ الخوف من الموت من الأدواء التي يستطيع الانسان ان يشفيها بحكمة العقل فما قولك بنعمة الدين القويم الذي يعلّم المسيحي بان هذه الحياة دار بلغة ومعبر للاخرة أُعطيها الانسان ليجاهد في سبيل البرّ ويكتسب رضوان خالقهِ بحسن سلوكهِ فيثيبهُ الله عن اعمالهِ الصالحة في العالم الباقي وان لم يفعل حقَّ لهُ الخوف من الديَّان العادل الذي يطالبهُ عن سيئاتهِ ولا يدع آثامهُ دون عقاب فان سار المرء بموجب هذه التعاليم وسلك طريق البرّ وحاد عن الاثم أمن خوف الموت وربَّما رغب فيهِ كالرسول (فل ١ : ٢٣) الذي كان يودّ انحلال جسده ليحظى بالمسيح. ارشدنا الله الى حفظ وصاياه ونوال جزائهِ

(74ᵛ) بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين حمد الشاكرين وصلواته على محمد وآله الطاهرين

لمّا كان اعظم ما يلحق الانسان من الخوف هو الخوف من الموت وكان هذا الخوف عامًّا وهو مع عمومه اشدّ وابلغ من جميع المخاوف وجبَ ان اقول: انّ الخوف من الموت ليس يعرض الّا لمن لا يدري ما الموت على الحقيقة او لا يعلم الى اين تصير نفسهُ. او لأنهُ يظنّ اذا انحلّ وبطل تركيبهُ فقد انحلّ ذاتهُ وبطلت نفسهُ بطلان عدم ودثور وانّ العالم سيبقى بعدهُ كان هو موجودًا او ليس هو موجودًا كما يظنّهُ مَن جهلَ بقاء النفس وكيفيّة معادها. او لأنهُ يظنّ انّ للموت ألمًا عظيمًا غير الامراض التي ربّما تقدّمتهُ وادّت اليه وكان سبب حلوله. او لأنهُ يعتقد عقوبةً تحلّ به بعد الموت. او لأنهُ متحيّر لا يدري الى ايّ شيءٍ يقدم بعد الموت. او لأنهُ يأسف على ما يتخلّفهُ من المال والقينات. وهذه كلها ظنون (75ʳ) باطلة لا حقيقة لها

امّا مَن جهل الموت ولم يدرِ ما هو فانا أُبيّن لهُ انّ الموت ليس بشيءٍ اكثر من ترك النفس لستعمال آلاتها وهي الاعضاء التي مجموعها يسمّى بدنًا كما يترك الصانع مثلًا استعمال آلاته. فانّ النفس جوهر غير جسمانيّ وليست عرَضًا وانها غير فاسدة وهذا البيان يحتاج الى علوم تتقدّمهُ وذلك مبيّن مشروح في موضعه. فاذا فارق هذا الجوهرُ البدنَ بقي البقاء الذي يخصّهُ ونُقّيَ من كدر الطبيعة وسَعِدَ السعادة التامّة. ولا سبيل الى فنائه وعدمه فانّ الجوهر لا يفنى من حيث جوهره ولا تبطل ذاتهُ وانّما تبطلُ الاعراض والخواصّ والنسب والاضافات التي بينهُ وبين الاجسام باضدادها. فامّا الجوهر فلا ضدّ لهُ وكلّ شيءٍ يفسدُ فانّما يفسد من ضدّه وانت ان تأملت الجوهر الجسمانيّ الذي هو اخسّ من ذلك الجوهر الكريم واستقرا (واستقرأتَ) حالهُ وجدتهُ غير فانٍ ولا يتلاشى من حيث هو جوهر وانّما يستحيل بعضهُ الى بعض (75ᵛ) فيبطل خواص شيءٍ شيءٍ منهُ واعراضهُ. فامّا الجوهر نفسهُ فهو باقٍ ولا سبيل الى عدمه وبطلانه..

الجوهر الروحاني الذي لا يقبـل استحالةً ولا تغيُّرًا في ذاته وانّما يقبل كمالاتهِ وتمام صورتهِ فكيف يُتوَهَّم فيهِ العدم والتلاشي

وامّا من يخاف الموت لأنهُ لا يعلم الى اين تصير نفسهُ او لأنهُ يظنّ انّ بدنهُ اذا انحلّ وبطل تركيبهُ فقد انحلّ ذاتهُ وبطلت نفسهُ وجهل بقاء النفس وكيفيّة المعاد فليس يخاف الموت على الحقيقة وانما يجهل ما ينبغي ان يعلمهُ فالجهلُ اذن هو المَخُوف اذ هو سبب الخوف. وهذا الجهل هو الذي حمل الحكماء على طلب العلم والتعب فيهِ وتركوا لاجلهِ لذّات الجسم وراحات البدن واختاروا عليـهِ النصَب والسهر ورأوا انّ الراحة الحقيقيّة التي يُستراحُ بها من الجهل هي الراحة بالحقيقـة وانّ التعب الحقيقي هو تعب الجهل لانهُ مرضٌ مُزمن للنفس والبرءُ منهُ خلاصٌ لهـا وراحة سرمديّة ولذّةٌ ابديّة. فلمّا تيقّن الحكماء ذلك واستبصروا بهِ (76 [1]) وهجموا على حقيقتهِ ووصلوا الى الرَوْح والراحة هانت عليهم امور الدنيا كلها واستحقروا جميع ما يستعظمهُ الجمهور من المال والثروة واللذّات الحسيّة والمطالب التي تؤدي اليها اذ كانت قليلة الثبات والبقاء سريعة الزوال والفناء كثيرة الهموم اذا وُجدت عظيمة الغموم اذ فُقدت فاقتصروا فيهـا على المقدار الضروري في الحياة وتسلَّوا من فضول العيش التي فيها ما ذكرتُ من العيوب وما لم اذكرهُ ولأنها مع ذلك بلا نهاية. وذلك انّ الانسان اذا بلغ منها الى غاية تداعت الى غايةٍ اخرى من غير وقوف على حدّ ولا انتهاء الى أمد وهـذا هو الموت لا مخافة منهُ والحرصُ عليهِ هو الحرص على الزائل والشغل بهِ هو الشغـل بالباطل. ولذلك جزم الحكماء بانّ الموت موتان موت إرادي وموت طبيعيّ وكذلك الحياة حياتان اراديّة وطبيعيّة وعنَوا بالموت الاراديّ اماتة الشهوات وتَرْك التعرُّض لها وعنَوا بالحياة الاراديّة ما يسعى لها الانسان في الحياة الدنيا من المآكل والمشارب (76 [2]) والشهوات وبالحياة الطبيعيّة بقاء النفس السرمدي في الغبطة الابديّة بما يستفيدهُ من العلوم وبرآتهِ من الجهل ولذلك وصّى افلاطون الحكيم طالب الحكمة بان قال لهُ: مُتْ بالارادة تَحيَ بالطبيعة

على انّ من خاف الموت الطبيعي من الانسان فقد خاف ما ينبغي ان يرجُوَهُ (١

١) في قول المؤلف هنا نظرٌ فانهُ (اوَّلا) يجعـل حدّ الانسان «حيٌّ ناطقٌ مائتٌ» والفلاسفة يحدُّونهُ «حيٌّ ناطقٌ» امّا المائت فلا يدخل في جنسهِ وفصلهِ وان كان الموت من خواصّهِ

وذلك انَّ هذا الموت هو تمام حدّ الانسان لانهُ حيٌّ ناطق مائت فالموت تمامــهُ وكمالهُ وبهِ يصير الى أُفقهِ الاعلى . ومن علم انَّ كل شيءٍ مركّب من حدّهِ وحدُّهُ مركّب من جنسهِ وفصلهِ وانَّ جنس الانسان هو الحيّ وفصولهُ هو النــاطق والمائت علم انهُ مستحيلٌ الى جنسهِ وفصولهِ لانَّ كل مركّب لا محالة يستحيل الى شيءٍ الشيءْ الذي منهُ تركب فَمَنْ أجهلُ مَن (ممَّن) يخاف تمام ذاتهِ ومَنْ اسوأ حالًا ممّن يظنُّ انَّ فناءهُ بحياتهِ ونُقصانهُ بتمامهِ . وذلك انَّ الناقص اذا خاف ان يتمّ فقد حلَّ من نفسهِ على غاية الجهل فاذن يجب على العاقل ان يستوحش من النقصان ويأنس بالتمام ويطلب كلَّ ١٠ا (77r) يتمّمهُ ويكمّلهُ ويشرّفهُ ويُعلي منزلتهُ ويحلُّ رباطــهُ من الوجه الذي يأمن بهِ الوقوع في الأسر لا من الوجه الذي يشدُّ وثاقهُ ويزيدهُ تركيباً وتعقيدًا ويثق ان الجوهر الشريف الالهي اذا تخلّص من الجوهر الكثيف الجسماني خلاصَ نقــاء وصفوٍ لا خلاصَ مزاج وكدر فقد سَعِدَ وعاد الى ملكوتهِ وقرب من بارئهِ وفاز بجوار رب العالمين وخالطــهُ بين الارواح الطيّبة من اشكالهِ واشباههِ ونجا من اضدادهِ واغيارهِ . ومن هاهنا تعلم انَّ من فارقت نفسُهُ بدنَهُ وهي مشتاقة اليهِ مشفقــة عليهِ خائفة من فراقهِ فهي في غاية الشقاء والالم من ذاتها وجوهرها سالكة الى ابعد جهاتها من مستقرّها طالبــة قرارها ولا قرار لها

أمّا ما يُظنّ انَّ للموت ألمًا عظيمًا غير ألم الامراض التي ربّما تقدّمتــهُ وادّت اليهِ

الطبيعيَّة . (ثانيًا) ليس بصحيح انَّ بالموت تمام الانسان وكمالهُ لانَّ الانسان يخالف الارواح المجرَّدة التي لم تُخلَق لترتبط باجساد هيوليّة ولها حياة خاصَّة بها . امَّا الانسان فانَّ نفسهُ لا تنال معارفها توًّا من المعلومات ولكن بتوسُّط الحواس التي تشاهد المنظورات المحسوسة وتقدّمها للنفس فالنفس تجرّدها عن الهيولي لتدرك جواهرها . فاذا مات الانسان وبطلت الحواسّ فقــدت النفس آلتها لمعرفة المحسوسات . فمن هــذا القبيل الموت نقص للانسان ليس بكمال . (ثالثًا) تفيدنا الاسفار المقدَّسة انَّ الموت انَّما دخل العالم كعقاب الخطيئة وليس العقاب كمالًا . (رابعًا) لا ننكر انَّ النفس الروحانيَّة يمكنها ان تحيا دون الجسد الهيوليّ الَّا ان النفس بافتراق جسدهــا تصبح في حالة مخالفة لكيانها الطبيعي اذ تعيش دون رفيقها الذي خُلق لاجلها وخُلقت لاجلهِ فلا تزال تحنُّ الى مركّبها الاصليّ . (خامسًا) تتّفق كل الاديان على حقيقة البعث وقيامة الاجساد في يوم الدين . فلو كان الموت كمالًا لكان اولى بالانسان ان لا تُبعث الاجساد فتبقى النفس في كمالها وهو قول باطل . على انَّنا نعلم انَّ اجسادنا ستقوم في حالة المجد فلا تعوق النفس عن حياتهــا الالهيَّة وتنال هي ايضًا نصيبها من سعادة النفس

فقد ظنّ ظنًّا كاذبًا لانّ الالم انّما يكون للحيّ والحي هو القابل اثر النفس فاما الجسم الذي ليس فيهِ اثر النفس فانهُ لا يألم ولا يحسّ فاذن الموت الذي هو مفارقة النفس البدن (77ᵛ) لا ألم لهُ لانّ البدن انما كان يألم ويحسّ بالنفس وحصول اثرها فيهِ فاذا صار جسمًا لا اثر فيهِ للنفس فلا حسّ لهُ ولا ألم فقد تبيَّن انّ الموت حال للبدن غير محسوس ولا مؤلم فانهُ كان يحسّ ويألم بهِ

واماً من خاف الموت لاجل العقاب فليس يخاف الموت بل يخاف العقاب والعقاب انّما يكون على شيءٍ باقٍ منهُ بعد الموت فهو لا محالة يعترف بذنوبهِ وافعال سيئة يستحقّ عليها العقاب وهو مع ذلك معترف بحاكم عدل يعاقب على السيئات لا على الحسنات فهو اذن خائف من ذنوبهِ لا من الموت . ومن خاف عقوبتهُ على ذنبٍ وجب عليهِ ان يحترز ذلك الذنب ويجتنبهُ والافعال الرديئة التي تسمَّى ذنوبًا انّما تصدر عن هيئات رديئة والافعال الرديئة التي هي للنفس هي الرذائل التي احصيناها وذكرنا اضدادها من الفضائل فاذن الخائف من الموت على هذه الوجوه وهذه الجملة هو جاهل ما ينبغي ان يخاف منهُ وخائف مما لا اثر لهُ (78ʳ) ولا خوف منهُ ، وعلاج الجهل العلمُ ومن علم فقد وَثِق ومن وَثِقَ فقد عرف سبيل السعادة فهو يسلكها ومن سلك طريقًا مستقيماً الى غرض افضى اليهِ لا محالة وهذه الثقة التي تكون بالعلم هي اليقين وهو حال المستيقن في دينهِ المستكمل بحكمتهِ

واماً من زعم انهُ ليس يخاف الموت وانّما يحزن على ما يتخلّفهُ من اهل وولد ومال وتأسّف على ما لا يفوتهُ من ملاذ الدنيا وشهواتها فينبغي ان يُبيَّن لهُ انّ الخوف لاجل ألم ومكروه على ما لا يجدي عليهِ الخوف طائلًا وانّ الانسان من جملة الامور الكائنة وكل كائن فاسد لا محالة فمن احبّ ان لا يفسد فقد احبّ ان لا يكون ومن احبّ ان لا يكون فقد احبّ فساد ذاتهِ وكانهُ يحبّ ان يفسد وان لا يفسد ويحبّ ان يكون وألّا يكون وهذا محال

وايضاً لو جاز ان يبقى الانسان لبقي من كان قبلنا ولو بقي الناس على ما هم عليهِ من التناسل ولم يموتوا لمّا وسعتهم الارض وانت تتبيَّن ذلك مما اقول . ترى لو انّ رجلًا واحدًا (78ᵛ) ممّن كان منذ اربعمائة سنة هو موجود الآن وليكن من مشاهير الناس حتى يمكن ان يحيا اولادهُ موجودين كامير المؤمنين عليّ رضيَ الله تعالى

عنه . ثم ولد له اولاد ولاولاده اولاد وبقوا كذلك يتناسلون ولا يموت منهم احد كم مقدار من يجتمع منهم في وقتنا هذا فانك تجد اكثر من عشرة آلاف الف رجل وذلك ان نقيتهم (بقيتهم) الآن مع ما اصابهم من الموت والقتل اكثر من مائة الف رجل . واحسبْ كلَّ من في العصر كذلك فانهم اذا تضاعفوا هذا التضاعف لم تضبطهم كثرة . ثم امسح بسيط الارض فانهُ محدود معروف المساحة لتعلم انَّ الارض لا تسعهم قياماً متراصين فكيف قعودًا او متفرّقين ولا يبقى موضع لعمارةٍ تفضل عنهم ولا مكان لزراعة ولا مسير لاحد وذلك في مدَّة يسيرة من الزمان فكيف اذا امتدَّ الزمان

فهذه حال من يتمنَّى الحياة الابديَّة ويكره الموت ويظنّ ان ذلك ممكن من الجهل . فاذن الحكمة البالغة والعدل المبسوط بالتدبير (79r) الالهي هو الصواب الذي لا مَعْدل عنهُ وهو غاية الجود الذي ليس وراءهُ غاية فالخائف من الموت هو الخائف من عدل الله وحكمته بل هو الخائف من جودهِ وعطائهِ فالموت اذن ليس بردًى وانما الردى هو الخوف منهُ فانَّ الذي يخاف منهُ هو الجاهل بهِ وبذاتهِ وحقيقة الموت هي مفارقة النفس البدن . وفي هذه المفارقة ليس فساد للنفس وانَّما هو فساد التركيب فاما جوهر النفس الذي هو ذات الانسان ولبُّه وخالصته فهو باقٍ وليس بجسم فلزم فيه ما لزم في الاجسام بل لا يلزم شيءٌ من اعراض الاجسام اي لا يتزاحم في المكان لانهُ لا يحتاج الى مكان ولا يحرص على البقاء الزماني لاستغنائهِ عن الزمان وانَّما استفاد هذا الجوهرُ بالحواس والاجسام كمالًا فاذا كمل بها ثم تخلَّص منها صار الى عالمه الشريف القريب الى بارئهِ ومنشئه عزَّ وجل والرجل الذي يتصدَّق عن اخيه الميت ويقضي عنهُ الدين يَسعد بذلك الميت وذلك انَّ النفس ان كانت واحدًا كما زعم (79v) جماعة (1) فالمتصدق نفسُهُ وتلك الاخرى وسائرُها شيء واحد وان كانت غير واحدة فلا يفضل المتصدّق ذلك الفضل الَّا بمشاكلة تلك النفس وعلى هذا ايضاً شُبّه بشيء واحد والسلام

تمَّت الرسالة والحمد لله وحده وصلى الله على من لا نبي بعدهُ وآله وصحبه وسلَّم

---

(1) هذا زعم باطل قال بهِ بعض الفلاسفة القدماء والقول الصحيح انَّ النفوس مع وحدة الطبيعة البشريَّة تتفرَّد في كل انسان وتَسْعَد او تشقى باعمالها لا باعمال غيرها

اصول البلاغة عند العرب

للاب خليل اده اليسوعي (تابع)

بيّنّا في عدد سابق الفرق الاساسي الفاصل بين اصول البلاغة عند المتأخرين من العرب واصولها عند الفرنج وان هؤلاء يعتبرون قبل كل شيء الموضوعات نفسها ليمثلوها خير تمثيل واولئك ينظرون الى المعاني المجرّدة ليعبّروا عنها افصح تعبير. وقد ادّى هذا الاختلاف في المبدإ الى فروق اخرى نذكر هنا اهمّها

لمّا كانت مادة البلاغة عند الفرنج الموضوعات نفسها وكانت الموضوعات لا نهاية لها اصبح مجال الصناعة البيانية عندهم متّسعاً جدًّا لانهُ يتناول كل الاشياء وكل الحقائق. حتى العلوم يمكن ادخالها في دائرة البلاغة اذا عرف الكاتب التصرف بها (١

ثم ان الاشياء متنوعة جدًّا فلزم ان تكون رسومها وتماثيلها الفنيّة كثيرة الانواع ايضاً ولما كانت الصناعة الفرنجية تتوخى ايضاً تلك الرسوم المتنوعة افضى بها الامر الى تعداد فنونها ووضع قوانين مختصة بكل منها ففرقت بين الرواية والمثل والوصف والخطبة والمقالة العلميّة والتاريخ والرسالة والمأساة والمهزلة والملحمة وهلمّ جرًّا

امّا المتأخرون من البيانيّين عندنا فعلى خلاف ذلك لانهم لمّا جعلوا مادّة فن البيان المعاني المجرّدة فقط وغايته حسن التعبير عنها حصروه وضيّقوا مجاله لان المعاني المجرّدة كليّات هي من طبعها قليلة. مثال ذلك المعاني الشائعة في المديح او الهجاء او الرثاء فان احببتَ ان تعدّها وجدتها لا تربي على عدد الانامل بكثير. وما يزيد في حصرها ايضاً ان المعاني المجرّدة لا تصلح كلها للبروز في الصورة البيانية التي جعلوها غاية الصناعة. كيف يمكنك مثلًا انشاء كتاب في التاريخ يكون لهُ مسحة البلاغة المقصودة من الصناعة كما عرّفها البيانيون ان كنت لا تنزع الّا الى استعارة تستنبطها او تشبيه تنمّقهُ او شكل بديعي تبتكره؟ او كيف يمكنك اجلاء المحاسن الطبيعيّة التي تفيدنا

١) وقد برّز في هذا الفنّ كثيرون منهم رينان فان الكل يشهدون الآن ان فضل هذا الكاتب ليس في سمو مداركه وصدق معارفه العلميّة بل في بديع الصورة البيانية التي ابرز فيها الاكتشافات العلميّة

عنها العلوم ان كان همك التكلّم بالمجاز والكناية وما شاكلها من انواع البيان او البديع حين يكون استعمال المعاني الحقيقيّة من شروط الوضوح والتدقيق ؟ فإمّا ان تجتنب هذه المواضيع ولا تتعرض لها البتة وإمّا اذا بحثت فيها ووفّيتها حقها من البيان والتدقيق ان لا تعتبرها من المؤلفات البيانيّة. ولا مخرج لك الّا من احد هذين البابين.

ولذلك ترى البيانيين قد حصروا البلاغة في بعض ابواب تصلح لاستعمال البديع كالمدح والهجاء والرثاء والفخر وما شاكلها ولم يجعلوا منها فنّ التاريخ. وكذلك لم يعدّدوا فنون البلاغة طبقاً لمبدئهم الاساسي. لان تمييز الفنون وتبويبها لا ندحة عنهما اذا كان الغرض من الصناعة البيانيّة تمثيل الاشياء على تنوع اصنافها. وامّا اذا كان الغرض منها التعبير عن المعاني المجرّدة فلا يبقى للتفصيل محل. لان ايراد المعنى الواحد باساليب بيانية وبديعية مشترك بين كل الفنون البيانيّة الممكنة. فلا فرق مثلاً بين الاستعارة في مقام المدح وبينها في مقام الهجاء. فان اختلفت مادّتها فلا تختلف صورتها وشروط حسنها وهو الوجه المعوَّل عليه في وضع الاصول. فترى اذاً ان تصور البيانيين للبلاغة اوجب عليهم حصر اصولها واغناهم عن تبويب فنونها

*

الاصل الثاني الذي ذكرناه وقلنا بوجوب مراعاته في الصنعة هو طريقة تصوير الموضوعات في نفس الصانع (l'artiste) لان الاشياء لا تخرج في الصنعة كما هي في الحقيقة بل كما هي في نفس المؤلف. فالنفس كمرآة تنعكس فيها الانوار المنبعثة من الموضوعات فتمثلها فيها. فاذا كشفت النفسُ القناع عن تلك الصورة وابرزتها للعيان ادرك المشاهد بواسطتها حقيقة الاشياء الممثّلة. الّا ان الفرق عظيم بين المرآة الماديّة والنفس البشريّة وبين انطباع الاشياء في تلك وتمثلها في هذه. فان الاشياء الخارجيّة تنطبع في المرآة المادية كما هي بشرط ان تكون في دائرتها فلا تختلف المعرفة الناشئة من معاينة الاشياء رأساً والمعرفة الحاصلة من مشاهدة صورتها. وامّا تمثُّل الموضوعات في النفس البشريّة فليس كذلك فانهُ كثيرًا ما يختلف باختلاف قوى النفس والعوامل الطارئة عليها والاغراض التي تقصدها

اما اختلافها باختلاف قوى النفس فظاهر. فليس البشر كلهم سواء في قوّة النظر

والمعاينة. فهذا يرى في مشاهدات الاحوال ما لا يراه ذاك. يجد المصور البارع في ابسط الاشياء عالماً لا يفطن له من ليس له المام بهذا الفنّ وكذا قل عن الشاعر والكاتب. كان الشاعر الفرنسوي الشهير لافونتين (La Fontaine) يقضي ساعات طوالًا غائصاً في تأمل حركات النمل مفتوناً بما يراه من عجائبها بينما الفلاح الذي يراها يومياً لا يلتفت اليها طرفة عين اذ لا يرى فيها ما يستحق الالتفات. وذلك لان دقّة النظر ولطف الحسّ ورقّة الشعور في الصانع تعدّهُ لادراك ما لا يدركهُ غيره كما ان حدّة البصر تكشف للناظر ما يخفى على من لم يُرزقها

ثم ان العوامل العرضية الطارئة على النفس تغيّر اوجه انفعالاتها وبالتالي صور الاشياء التي تنطبع على صفحاتها فرب منظر واحدٍ يثير الفرح في قلب انسان والحزن في قلب غيره. بل ربّما اثار الحزن تارةً والفرح اخرى في قلب الرجل الواحد كما نختبرهُ يومياً. فالفرح يزداد فرحاً والحزين حزناً امام مشهد طبيعي جميل كأن ذاك يرى من الطبيعة وقد زهت محاسنها صديقاً يشاركه في سروره وهذا يرى منها عدواً يشمت من مصابه. وعليه اصابت فارعة اخت الوليد بن طريف اذ اقبلت على الشجر تشكو نضارته حين أصيبت باخيها:

ايا شجرَ الخابور مالكَ مورقاً كأنّك لم تجزع على ابن طريفِ

وليس الامر كذلك في الحقيقة كما لا يخفى. الّا انّنا من طبعنا ننسب الى المخلوقات في حركاتها وسكناتها ما يطابق عواطفنا. وان هذا الميل فينا يغيّر رسم الموضوعات في النفس. وكذا قل عن الغاية التي يقصدها الصانع في صنعته فانها تغيّر وجهة الصورة التي تطبعها الامور في نفسه. هذا رجلٌ متهم بجناية فان خصمه ومحاميه ينظران الى التهمة ذاتها ولكن شتان بين نظر هذا ونظر ذاك. هذا ينظر الى الحوادث لينفي منها ما يؤثم صاحبه وذاك ليطلب منها ما يوجب الحكم والقضاء عليه. فترى مما قلنا ان الاشياء ان كان لها وقع في النفوس فللنفوس عليها تأثير وردّ فعل يغيّر تمثيل الموضوعات فلا بدّ من استلفات خواطر الكتّاب الى ذلك ليقفوا عليهِ ويجروا في مؤلفاتهم على احكامه. وان الاصول العربيّة خلوٌ من ذلك والسبب واحد وهو ان هذه الاعتبارات هي عندهم مما وراء الصناعة اذ الصناعة لا تهتم الّا بابراز المعاني المصوّرة للاشياء بعد تولُّدها في الذهن بقالب البيان والالفاظ

وهناك مسألة اخرى مهمّـة جدًّا نشأت ايضًا عن ضروب التمثيل للموضوعات وطرقها. قلنا ان العوامل الطارئة على النفس والاغراض التي تتوخاها توثر في تمثيل الاشياء ذواتًا كانت ام احوالًا. أفليس ذاك نقصًا وخللًا؟ أليس حسن الصنعة قائمًا بتمثيل الموضوعات تمثيلًا كاملًا كتمثيل المحسوسات بالفوتوغرافيـة؟ تلك مسألة اساسية في الفنون وقد تعدَّدت المذاهب في طرق حلها. فقال قوم ان كمال الصنعة في محاكاة الطبيعة بكل ما فيها. وذهب اخرون الى ان المحاكاة ينبغي ان تقتصر على اهمّ ما في الموضوعات واغفال الباقي وان انتقاء ما يحسن تمثيله من اول شروط الصناعة. وهو مذهب اليونان وكل من ينتمي اليهم وهو المذهب الصحيح اتبعه اصحاب الذوق السليم في كل عصر وقطر. ولكن اصحابه يتفرعون ايضًا. فريق منهم يستحسن محاكاة الطبيعة كما هي دون زيادة عليها ولا نقصان واخر يرى وجوب تحسين الطبيعة واختيار اجود ما يكون في كل جنس وصنف. وعليه اذا وصفوا شخصًا او امرًا او حالًا زادوا في الوصف ما يجسّم الموصوف من غير ان يخرجهُ من حيّز الممكن. واحبّ بعضهم اطلاق العنان لمخيّلتهم ورأوا ان الصنعة الجيّدة في تمثيل كل ما عنّ لهم وراق في عينهم. وربّما ذهب اخرون الى اعتبار الموضوعات كرموز تدلّ على معانٍ خفيّة وكالسنة ناطقة تعبّر عن اسرار سامية لا يدركها سوى الشاعر فاجتهدوا في تصويرها لا لذاتها بل لبيان مدلولاتها

ولم نذكر هذه المذاهب لأننا نريد تمام وصفها بل لننبه القارئ الشرقي الذي ليس لهُ علمٌ كافٍ بآداب الفرنج على ما عندهم من المباحث الخطيرة في العلوم البيانيّة. وإن هذه الابحاث التي من شأنها تعيين النسبة الموجودة بين الاشياء وصورها النفسانية لا وجود لها عند المتأخرين من بيانيي العرب ولا عجب لانهم حصروا فن البلاغة في حسن التصوير للمعاني لا للاشياء مع فصاحة التعبير عنها فلا يبقى بين البيان المصوّر واللسان المعبّر محلٌّ لتحقيق النسبة بين الاشياء والمعاني

ثم بعد ما يتصور الصانع موضوعه في الذهن يحتاج اذا اراد ابرازه في قالب الكلام الى تقسيمه وتجزئته وتنظيم تلك الاقسام والنظر في علاقاتها ونسبها وايفاء كل منها حقها فيقدّم ما يجب تقديمه ويؤخر ما يجب تأخيره ويطنب او يوجز ويعرّض او يصرّح او يخفي الى ما شاكل ذلك مما يشير اليه الذوق السليم. ولا يتهيّأ ذلك للكاتب

او الخطيب الّا بعد العناء وذلك لان العقل على بساطة جوهره وروحانيته يدرك الامور بطريقة تناسب طبيعته · فربّما اكتفى بلمحة حتى يرى كل ما في موضوع فهمه · ولكنهُ اذا اراد اخراجه الى حيّز المحسوسات وتكوينه في جسم هيوليّ من الخيال والالفاظ اضطرّ الى تفصيل مرئيّاته وتحديدها وتمييزها ومراعاة انسابها لان الاشياء المادّية مجزّأة لا يمكن وصفها دون وصف اجزائها · وهناك التعب وشقّ النفس لا يقدّره الّا من عاناه وقد شبهوه باوجاع المخاض · فلتخفيف وطأته على الصانع وضع الفرنج في كتب البلاغة اصولًا هي مفيدة جدًا بل ضروريّة لتخريج الاحداث في اول امرهم وان كان يمكنهم الاستغناء عنها بعد طول الارتياض ومزاولة فن التأليف · امّا عند المتأخرين من علماء البيان العربي فقد أُهملت ولا عجب لان الفنّ عندهم لا يبدأُ دوره الّا بعد الذي ذكرناه من التفصيل والتنسيق اعني عند ما يجب التعبير عن المعاني المصوّرة لأجزاء الموضوعات واقسامها المحدودة · فترى مما سبق انّ فنّ التعبير اخر فصل من فصول ثلاثة تدور عليها الصنعة الفنية وانّ المتأخرين من علماء البيان عند العرب اجترأُوا بهِ واعتنوا بوضع اصوله ضاربين صفحًا عن الفصلين الاولين وان كانا ارفع مكانًا منهُ واوعر مسلكًا

*

بيّنّا موضوع الصناعة عند العرب وحدّدنا دائرتها على مذهب السكاكي ومَن شايعه الى ايّامنا كما فهمناه من مطالعة مؤلفاتهم فيبقى علينا ان نبدي ما نراه في هذه الطريقة المدرسية لان غايتنا من هذه المقالة عمليّة وهي البحث ان كانت الاصول البيانيّة القديمة كافية وافية باغراض الادب في عصرٍ انقلبت فيهِ احوال المدنيّة والحضارة التي كانت الصناعة القديمة صورتها ولسان حالها

واول ما يتحتّم علينا النظر فيهِ المبدأُ الذي اتخذه البيانيون اساسًا لصناعتهم · فهل يحسن بارباب البيان ان يجعلوا محور قوانينهم المعاني المجردة · بل هل صدقوا النظر لمّا ظنوا ان البلاغة كلها انما هي « قلب مفكّر وبيان مصوّر ولسان معبر » ؟ هل يمكننا ان نستصوب تصورهم للبلاغة وللدور الذي عينوه لها لمّا حصروه في كسو المعاني المجردة وشاحًا خياليًا او سبكها في قالب حسي ؟ لا لعمري وسبب ذلك ظاهر بعد الذي قدمناه من شروط الصناعة الحقيقيّة · لان المعاني بوجه الاجمال انّما هي دلائل الاشياء

فكل فائدتها صادرة عن علاقاتها مع مدلولاتها وحسن تصويرها لها. والحال ان المعاني المجردة المنتزعة عن الذوات لا تفيد من الاشياء سوى احوال كليّـة تنطبق على كل افراد اجناسها وانواعها لا تختص بواحدٍ دون غيره. فاذا اكتفى معلم البيان بمعالجة هذه الكليّات دون الموضوعات افسد عقل الولد لانهُ لا يريه الاشياء الّا بواسطة صور ناقصة. فتقتصر معرفة الولد على بعض الاوجه يظنها كاملة فيحكم بموجبهـا فيكون حكمه جزافاً. وبعبارة اخرى: من اقتصر في معارفه على تحصيل المعاني الكليَّة عاش في عالم وهميّ خيالي لان الكليّات لا حقيقـة لها في عالم الوجود. ومن ثمَّ فاتته فوائد لا تحصى ولاسيما عادة الاعتبار والمعاينة التي هي اساس العلوم والمعارف العصريَّة كلها. ولا شك في ان القرَّاء اختبروا غير مرَّة صحة قولنا. فمن منهم لم يلاقِ متأدبين على المبادئ القديمة يتقلبون بين احوالنا الحاضرة كالحيارى لا يفهمون منهـا شيئاً ولا يدرون كيف يتصرفون فيها وليس ذلك الّا لانهم اجتزأوا بالمعاني المودعة في بطون الكتب والدفاتر وكلها ترتقي الى الف سنة على الاقل وجعلوا همَّهم الوحيد وشغلهم الشاغل نظمها في كلام عذب ثملوا من حلاوته فذهلوا عن المشاهدات وحقائقها. أليس عادة المولّدين من وصف الدمن والطلول التي لم يعرفوها الّا من مطالعة الشعراء المتقدمين من نتائج هذه الطريقة ؟ فلو عرفوا ان الصناعة الحسنة انما تكون في وصف الحقيقة وان اساسهـا الاعتبار صدق النظر لضحكوا من انفسهم وعرفوا بطلان اوصافهم

يظن كثيرون ان علم البيان انَّما غايته اتحاف الطالب قوالب يسبك فيها افكاره عند الحاجة. ذاك لعمري وهم يبخس صناعة البلاغة حقها ورفيع مقامهـا لانها تصبح كآلة فارغة لا خير فيها. انَّما الصناعة البيانيَّة صناعة شريفـة تهذب كل قوى النفس وتمام الانسان حسن تصوير الاشياء ولاسيما اخلاقه وانفعالاته ووجداناته ونسبهـا مع العالم الظاهر والعالم الخفي. ولذلك تقتضي معرفة الاخلاق فضلًا عن الالمام بباقي المعارف ومن هذا يتضح لك ان الاقتصار على المعـاني المجردة لا يجديك النفع الذي يحق لك ان تجتنيه من الأدب

ثم حصر البلاغة في التعبير يحرم الطالب فائدة عظيمة يجدها في الاصول الفرنجيَّة اريد بها حسن التنسيق واجادة النظام والترتيب في سياق الافكار والعواطف. لا يجهل احد ان الرومان ملكوا العالم بقوَّة النظام الذي جعلوه في كل فروع الهيئة الاجتماعيَّة

من جندية ومالية وادارة وعدلية فمكنهم من قهر العالم والتغلب عليهِ . وما كانت تلك القوَّة العجيبة في اعمالهم الّا لكونها في نفوسهم ولم تبلغ تلك الدرجة العليا من النفاذ الّا لأنهم روَّضوا انفسهم وعزَّزوا فيها الملكة الغريزيَّة التي كان اودعها فيها الخالق . وان خير الوسائل الى بلوغ هذه الغاية ان لم اقل الوسيلة الوحيـــدة هي تعويد عقول الناشئة لزوم النظام والترتيب في افكارهم . فاذا صحَّ ذلك تحقَّقتَ بلا شك انَّ الكتب المدرسيَّة العربيـــة في البلاغة عاجزة عن بلوغ هذه الغاية الشريفة فهي اذًا ناقصة من هذا القبيل

اخيرًا حصر البلاغة في فن التعبير اعظم مدعاة للتصنُّع والتكلف واشدّ اسباب الانحاط للآداب العربيَّة . والبرهان على ذلك واضح لان المعاني كما قلنا وكما شهد كثيرون من البيانيين قليلة فلا يمكن التصرف بها الى ما شاء الله فان لذلك حدًّا معلومًا وغورًا قريبًا . نعم انَّ كتَّاب العرب بعَّدوا هذا الحد وفسحوا المجال الى غاية لا غاية وراءها . وهذا فضلهم . غير انهُ من الثابت ان هذا الميدان محدود وان من اراد ان يبدع فيهِ اضطر الى ركوب الغريب المكروه وهو الذي يتحققهُ كل متأمل في آداب المتأخرين فاذا وصلت الصناعة الى التنافس بالتعابير الغريبة فقُلْ أنها ماتت لأنها تصبح جسمًا بلا روح

ثم في اعلاء شأن التعبير وحصر البلاغة فيـــهِ مفسدة اخرى . يظن المنشئ ان استعمال البيان والبديع لكل معنى من ضروريات البلاغة حتى ان الكلام لا يُعدّ بليغًا اذا كان عاريًا منها . هذا الذي حمل احد الادباء المنتقدين على ترجمة الالياذة الى قول استغربناه في اول الامر وهو ان اقوال الالياذة ليست شعريَّة . ولكنَّا الآن لا نستغرب انتقاد هذا الاديب لانهُ مطابق كل المطابقة للمبادئ التي تلقَّنها من كتب الاصول البيانيَّة عن وجوب الاشكال البيانيَّة والبديعيَّـــة في كل بيت من الشعر وكل فقرة من النثر . غير ان هذا الوهم فاسد لان الكلام قد يكون بليغًا مثيرًا للعاطفـــة الشعريَّة « مخيِّلًا » ولا يكون فيهِ من البديع والبيان الّا القليل مثل الالياذة . فالكل يحكمون لها بسموّ المنزلة في الشعر ومن مميِّزاتها السذاجة في التعبير . واذا اردت شاهدًا آخر قريبًا منك خذ سفر التوراة وتصفَّح رواية يوسف او اقرأْ مثَل الابن الشاطر في انجيل لوقا ثمَّ احكم

هذا في الابحاث التي تركها البيانيون والاساس الذي وضعوه لقواعد البلاغـــة .

وليست هذه القواعد نفسها ان اعتبرناها الآن خالية من الشوائب. لا اتكلم عن علم المعاني لانهُ كما قلت ملحق بعلم النحو اكثر مما هو فرع لفنّ البلاغة فالكلام اذًا عن البيان والبديع. امَّا البيان فعندنا انهم ليسوا بمصيبين اذ لا يعتبرون لهُ فائدة سوى تفاوت الوضوح في استعمال طرقه المختلفة. لان التشبيه والاستعارة وانواع المجاز والكناية ليس الغرض منها الايضاح او الاخفاء انّما الغرض منها كسو المعاني الروحية جسمًا خياليًا اذا عُرض على القارئ او السامع ولج نفسه من باب مخيَّلته واثر فيها تأثيرًا شديدًا وذلك لان الانسان ليس روحًا مجردًا يكتفي بالمعاني المجردة انّما هو روح في جسد اعني روحًا ذا قوى مشتركة بين الروح والجسم وهي المخيَّلة والحس فاذا رمت من نفس سامعك انفعالًا شديدًا فاجعل كلامك مؤثرًا في كل قواه الروحية والحسية والمشتركة ولذلك ان زدت على الصور البيانيَّة عذوبة الالفاظ وايقاع الاوزان كان الكلام — وهو الشعر — بالغًا النهاية في اسباب التأثير. وكذلك لا نستصوب اعتبارهم للبديع اذ جعلوه حلية للكلام لا تزيده الَّا حسنًا عرضيًا يُستغنى عنهُ. خذ البديع المعنوي مثلًا وقل لي كيف يمكنك الاستغناء عن جملة من اشكاله مثل الهتاف وتجاهل العارف والاستفهام الخ اذا كانت الحاجة تدعوك الى استعمالها. كيف يمكنك ترك الهتاف ان اختلجت في صدرك العواطف واضطرمت نيران الاهواء؟ أما ترى ان الهتاف امر طبيعي لا شكل صناعي؟ وكذا قل عن باقي الاشكال

امَّا البديع اللفظي فلا اهميَّة لهُ الَّا الذي ذكرناه آنفًا عن مفعول الالفاظ والاوزان ولذلك ينبغي ان لا يقدم عليهِ الكاتب او الخطيب عمدًا والَّا وقع في هوَّة التصنع والتكلف واشتغل بالواسطة عن الغاية ولذلك كان الاكثار من تعديد اصنافه في المؤلفات مدعاةً للمغالاة في استعمالها ومعثرة في سبيل المتأدبين الاحداث

غير ان العيب الفاحش سواء كان في البيان او البديع انّما هو تعداد الاشكال البيانية او البديعيّة وتقسيمها وتفصيلها وتحليلها الى ما لا نهاية وراءهُ. فقل لي ناشدتك الله ما الفائدة من كل هذه الاشكال؟ أتظن ان الشاب اذا فهمها كلها اصبح قادرًا على التأليف؟ لا لعمري. انهُ يبرهن عن دقة في النظر واستعداد للفلسفة لا عن مقدرة على البلاغة لان الصناعة مجموع قوانين تساعد على العمل ليس الَّا. والحال كيف يمكنك ان تعي في صدرك مائة او مائة وخمسين نوعًا وتميزها ولا تخلط بينها؟ وهَبك

حفظتها اتظن انك تستطيع ان تنتبه الى وضع كل منها في مكانه وتشتغل مع ذلك بالمعاني ؟ ذلك من المحال وان فعلت كان كلامك تافهاً ليس فيهِ من البلاغة مسحة كما تراه في كل البديعيات. والصواب في ذلك ان ترشد المنشئ الى بعض الاصول القلائل وتعلمه اذا اراد النظم ان يستعين بكل قواه العقلية والخيالية والحسيَّة فيخرج الكلام محلًّى بانواع البيان والبديع عفوًا بلا تعمُّــد ولا تصنع. وان قلت ان تعداد اشكال البيان يشحذ القرائح اجبنــا ان ذلك لو صحَّ كان مقبولًا في سالف الاعصر حيث كانت البضاعة العلميَّة قليلة والوقت موفورًا ولكنهُ في زماننا خسارة وقت ثمين لا محالة

هذا ما نراه في اصول البلاغة المدرسية عند العرب استخرجناه من كتب البيانيين ولم نعتبر تأثيره في مؤلفات الشعراء والخطباء. تاركين هذا البحث لمقالة اخرى. ويهمُّنا قبل ذلك مقابلة بين المذهب المدرسي الذي بحثنا عنهُ ومذاهب المتقدمين من البيانيين كابن قدامة وابي الهلال العسكري وابن رشيق وعبد القادر الجرجاني والرازي وابن الاثير الذين وصلت الينا مؤلفاتهم. فان ساعدتنا الظروف وصفناها ان شاء الله

الآداب العربيَّة

في القرن التاسع عشر

بحثٌ تاريخي انتقادي للاب لويس شيخو اليسوعي

مشاهير المسلمين (تابع)

(الالوسيَّان عبد الله وعبد الباقي) وفي هذه المدة قضى اثنان من الالوسيين نحبهما في العراق. وهما ابنا السيد العلَّامة شهاب محمود افندي الالوسي الذي سبق لنا تعريف فضلهِ (المشرق ١١ : ٢٧٣) اعني عبد الله وعبد الباقي. فالسيد عبد الله بهــاء الدين افندي ولد سنة ١٢٤٨ (١٨٣٢) فقال السيد عبد الغفّار الاخرس مؤرخًا لمولدهِ :

ليهنيك يا نحريرَ اهل زمانهِ ويا كاملًا عنهُ غدا الطرفُ قاصرا

بطفلٍ ذكيّ قد اتاك وانما يضاهيك بالاخلاق سرًا وظاهرا
وبشرتي فيهِ فقلتُ مؤرخًا بمولد عبد الله نلتَ البشائرا

فلمَّا ترعرع اخذ العلوم عن والدهِ الى ان أُصيب بوفاتهِ وهو اذ ذاك ابن اثنتين وعشرين سنة فجزع لموتهِ وكاد لحزنهِ يلحق بابيهِ . ثم انكبَّ على الدرس واجتمع ببعض افاضل وطنهِ فما لبث ان فاقهم واقبل على التدريس فحصل بهِ على شهرة واسعة وانتظم في سلك اهل الطريقة النقشبنديَّة . ثم بُلي بانواع الاسقام فخرج من وطنهِ قاصدًا الاستانة العليَّة لكنَّ اشقياء العربان نهبوا اثقالهُ فعاد الى بغداد صفر اليدين . وفي آخر امرهِ تولَّى القضاء في البصرة فاكرمهُ اهلها وعرفوا قدرهُ لولا انهُ تأذَّى بحمّياتها القتَّالة فخرج منها بعد سنتين ولسان حالهِ ينشد مع معاصرهِ الشيخ صالح التميميّ :

ومتى تسيرُ ركائبي عن بلدةٍ ابدًا اقام فَناؤها بفِنائها
لا فرق بين شمالها وجنوبها وقَبُولها ودَبُورها وصباها
ما ان تحرَّكت النصونُ بارضها الّا تحرَّك في الجسوم اذاها
اشجارها خضرٌ واوجهُ اهلها صُفرٌ محا كَسْفُ السقام جاها
لولا قضاء الله حتمٌ واجبٌ أَبتِ المروءة ان ادوسَ ثراها

فما وصل الى بغداد حتى مات بعد ايام ١٢٩١ (١٨٧٤) ولهُ من العمر ٤٣ سنة وكان السيّد عبد الله كثير التديُّن ليّن الجانب محبًّا للفقراء لا يأنف من مخالطتهم وقد امتاز بحسن نثرهِ وجزالة تعبيرهِ . ومن تآليفهِ رسائل ومقالات مفيدة وشروح في علمي المنطق والبيان وألَّف كتاب الواضح في النحو وكتابًا في آداب الصوفيَّة

امَّا اخوهُ فهو السيّد سعد الدين عبد الباقي وقع مولدهُ سنة ١٢٥٠ فأرخهُ الشاعر عبد الحميد الاطرقجيّ :

طربًا بمن سرَّ الورى ميلادُهُ وسرى نسيمُ اللطفِ في الآفاقِ
يا سادتي بشراكمُ فيمن بدا متخلقًا بمكارم الاخلاقِ
فردًا أتى وبهِ استفتُ مؤرخًا تمَّ السرورُ لكم بعبد الباقي

اخذ عن والدهِ كأخيهِ ثمَّ عن الشيخ عيسى البندنيجيّ وزار الحجاز وتولَّى القضاء في كركوك مركز ولاية شهرزور ثم في مركز ولاية بتليس وسافر الى دار السعادة ولهُ عدَّة مصنَّفات اخصُّها القول الماضي فيما يجب للمفتي والقاضي واوضح منهج في مناسك

الحجّ الذي طُبع في مصر واسعد كتاب في فصل الخطاب وغير ذلك ممَّا يشهد له برسوخ القدم في المعارف. توفي في مصر سنة ١٢٩٨ (١٨٨١)

(ابو النصر عليّ) واشتهر في مصر في هذه الحقبة الاديب المصري ابو النصر عليّ ولد في منفلوط وفيها كانت وفاتهُ سنة ١٢٩٨ (١٨٨٠–١٨٨١) نظم الشعر في مقتبل الشباب واصبح من فرسان ميدانهِ فنما خبرهُ الى خديوي مصر اسماعيل باشا فقدَّمهُ واجازهُ ولابي النصر عدَّة قصائد غرّاء فيهِ وفي امراء الدولة الخديويَّة وقد رافق اسماعيل باشا لمَّا رحل الى الاستانة ثم مدح بعدهُ الحضرة التوفيقيَّة. ولابي النصر ديوان كبير طُبع في مطبعة بولاق سنة ١٣٠٠ ضمَّنهُ اقوالًا منتخبة في كل ابواب البلاغة ومعاني الشعر فممَّا استحسناهُ قولهُ في الخمر وقد نحا في وصفهِ طريقة الصوفيين:

بنتُ كرمٍ دونها بنتُ الكرامْ وهي بكرٌ زفَّها ساقي المدامْ
شمسُ راحٍ في اصطباحٍ اشرقتْ في سماء الكاسِ كالبدرِ التمامْ
كم تجلَّى كأسُها عن لؤلؤ من حُبابٍ كالدراري في انتظامْ
انَّ لي عنها حديثًا سرُّهُ لا يُضاهَى وهي لي اقصى المرامْ
لو درى اهلُ التقى اسرارها لسقوا ابناءهم قبل الفطامْ
لا تسَلْني عن معانيها وسَلْ عن حُلاها وسناها باحتشامْ
قال صِفْها قلتُ دَعْني انَّها صورةٌ كالجسم عندي والسلامْ
قال زِدْني قلتُ ما المسئول عنـها بادرى منها يا هذا الغلامْ
قال قلْ في كرمها مخلوقةٌ نزهةٌ للناسِ من سامٍ وحامْ
ما رآها عابدٌ الأَ انثنى عن سجودٍ وركوعٍ وقيامْ
راحةُ الارواحِ في اقداحها انبأتنا انَّها تُبري السقامْ

وهي طويلة. ومن حسن شعرهِ قولهُ يصف سفر الحضرة التوفيقيَّة الى الصعيد سنة ١٢٨٧:

زار في موكبٍ كعقد اللآلي فازدهى بالقدوم صفو الليالي

الى ان قال:

فازدهى رونقُ الصعيد جمالًا وتحلَّت ارجاؤهُ بالجلالِ
وروى النيلُ من رُواهُ حديثًا يشرحُ الصدر شرحهُ في المقالِ
حيث دُقَّت بالشاطئَيْنِ طبولٌ والاهالي تفوقُ عدَّ الرمالِ
وتلاقوا بضُمَّرٍ سابقاتٍ فترى الليث فوق ظهر الغزالِ

وتوالوا في سيرهم فاضاءت حليةُ البيض بين سُمر العوالي
وجميعُ البلادِ ابدت سرورًا ناشراتٍ أعلامها بابتهالِ
حلَّ في منيةِ الخصيب فسُرَّت وتقوَّى سلطانُها بالكمالِ
زار في منفلوط بيت امير زادَهُ رفعةً بحسن احتفال
وباسيوط لا تسَلْ حين وافى عن بلوغ المنى وفيضِ النوالِ
وبمُدن الصعيد ما زال يرقى بدرُ تشريفهِ بلطف انتقالِ
نسألُ الله عصمةً ونجاحًا وبقاءً لهُ وحسنَ مآلِ
وثنائي عليهِ اوَّل فرضٍ والوفا بالثناء فرضُ كمالِ

ومن اقوالهِ يعاتب دهرهُ:

إلامَ تصوّبُ الاوهامُ غيًّا وتنشرُ ما طواهُ الرشدُ طيًّا
وفيمَ تقودُنا الأطماعُ طوعًا الى ما يُغضب الحرَّ الابيًّا
وحتَّامَ التشوُّقُ للمعالي وما هزَّ الشجاعُ السمهريًّا
أبعد الحقّ تُنتظَر الاماني ويُفرَضُ ميّت الآمالِ حيًّا
اذا كنَّا مع الاحياء موتى فهيًّا نلحقُ الامواتَ هيًّا
شربتُ من الأسى عَلَلًا ونهلًا فزدتُ صدًى وما ألفيتُ ريًّا
وكم جبتُ المهامهَ كي ألاقي بمُنتَجعي جوادًا او تقيًّا
فذاك اراهُ محتالًا فخورًا وهذا قصدهُ يُدعى وليًّا
كأنَّ ذوي التقى ماتوا جميعًا وان الله لم يخلق سخيًّا
وكم طفتُ البسيطة لاختيارٍ فلم ارَ في الورى خلًّا وفيًّا
فهذ عاذلي عذري والَّا فقُلْ ما شئتَ واهجرني مليًّا
ألم ترَ ان للدهر اجتراء على من ظنَّهُ فطنًا ذكيًّا
يجرّعهُ على مضضٍ كؤوسًا ويكتبهُ بلا سببٍ شقيًّا
وربَّ جهالةٍ افضت لعزٍّ وعلمٍ اورث الذلَّ الرديًّا
وكم من ماجدٍ عانى خطوبًا ومن شكوى الزمان غدا بريًّا
فلا تعجب وُقيت السوءَ وانظرْ تجدْ ربَّ البلاغة سيمَ عيًّا
ومَنْ في الناس ليس لهُ خلاقٌ يقابَلُ بالمهابةِ اذ يُحيًّا
فكنْ رجلًا لهُ في الارض رِجلٌ وهامتُهُ بعزّهِ فوقَ الثريًّا
فاني لستُ مبتغيًا حياةً تُبدّل صُبحَ افكاري عشيًّا
ولا ارضى مسالمةً بضيمٍ أيرضى الضيمَ من يُدعى سريًّا
سأركبُ ضامرًا واهزُّ رمحًا واغمد في الرؤوس المشرفيًّا
واخترقُ الصفوف ولا أبالي اذ مدَّ الحِمامُ يدًا اليًّا

ولابي النصر رحلتان الى القسطنطينيَّة كانت الاولى في أيَّام السلطان عبد المجيد

موفدًا من محمّد عليّ الكبير وانشد حينئذٍ شيخ الاسلام قولهُ يمدح القسطنطينيّة :

وكنّا نرى مصر السعيدة جنّةً ونحسبُها دون البلاد هي العليا
فلمّا رأت دارَ الخلافة عيننا علمنا يقينًا انّها لهيَ الدنيا

وكانت رحلته الثانية مع الخديوي اسماعيل باشا وصادف دخولهما الاستانة يوم جلوس السلطان عبد العزيز سنة ١٢٨٩ (١٨٧٢) فقال ابو النصر يمدح الحضرة السلطانيّة بقصيدة مطلعها :

تبسّمتِ الازهارُ عن لؤلؤ القطرِ ففاح شذاها في الحدائق كالعطرِ

ومنها في مدح السلطان :

افادَ العلى جاهًا وعزًّا مؤبّدًا وألبسها من مجده حلل الفخرِ
وابدى لأعلام التقدُّمِ مظهرًا بهِ مُلكهُ يعلو على دولِ العصرِ
واحيا لاحياء العُلى كلّ دارسٍ فاضحت قلاع الثغر باسمة الثغرِ
وجدّد في عهد قريبٍ بواخرًا بها قوّةُ الاسلام محكمةُ الامرِ
برونقها تكسو الفخار مهابةً وتعلو بما حازت على الانجم الزُهرِ
لهُ من رجال الحرب جيشٌ عرمرمٌ لهم هِمَمٌ في الفتك بالبيض والسمرِ
مدافعهم شمُّ الانوفِ على العدى تخرُّ لها شمُّ الجبالِ من الصخرِ
واسيافُهم في السِلْمِ يحلو صيامُها متى جُرّدت مالت الى الفطر بالنحرِ

وختمها بهذا التاريخ :

وها انا في البُشرى اقولُ مؤرّخًا جلوسُكَ عيدُ الدهر ام ليلة القدرِ

(محمود صفوت) ومن معاصري ابي النصر علي وطنيُّهُ محمودُ افندي صفوت بن مصطفى اغا الزيلع الشهير بالساعاتي ولد بالقاهرة سنة ١٢٤١ وبها توفي سنة وفاة ابي النصر ١٢٩٨ (١٨٨١) لزم الآداب واشتهر بنظمهِ ونثرهِ حتى عُدَّ فيهما من المقدَّمين. وتوجّه الى الحجاز ودخل على امير مكة فاكرم مثواهُ وابقاهُ عندهُ مدّةً ثم عاد الى وطنهِ وفيهِ قضى بقيّة حياتهِ. ولمحمود افندي صفوت ديوان شعر مخطوط في الكتبخانة الخديويّة لم يُنشر بالطبع . فمن ذلك قولهُ يفتخرُ :

ولع الزمانُ واهلهُ بعداوتي انَّ الكرام لها اللئامُ عداءُ
أتحطُّ قدري الحادثاتُ وهمّتي من دونها المرّيخُ والجوزاءُ
هيهات تخفضُ جانبي وعزائمي مثل البواتر دأبها الإمضاءُ
صبرًا على كيد الزمان فانّما يبدو الصباحُ وتنجلي الظلماءُ

ولهُ في رثاء عالم:

بكت عيون العلا وانحطَّت الرُّتَبُ ومزَّقت شملها من حزنها الكتُبُ
ونكَّست رأسها الاقلامُ باكيةً على القراطيس لمَّا ناحت الخطبُ
وكيف لا وسماء العلم كنت بها بدرًا تمامًا فحالت دونك الحجبُ
يا شمسَ فضلٍ فدتك الشهبُ قاطبةً اذ عنك لا انجمٌ تُغني ولا شهبُ
لمَّا اصابك لا قوسٌ ولا وترٌ سهم المنيَّة كاد الكون ينقلبُ
ما حيلةُ العبد والاقدارُ جاريةٌ العمرُ يوهَبُ والاقدار تنتهبُ

(صالح مجدي بك) وفي السنة ذاتها ١٢٩٨ (١٨٨١) توفي آديب آخر من نوابغ كتبة مصر السيّد صالح مجدي بك. ولد في ابي رجوان من مديريَّة الجيزة سنة ١٢٤٢ (١٨٢٦) وبعد ان تلقَّى مبادئ العلوم العربيَّة ودرس اللغة الفرنسويَّة الحقهُ استاذهُ رفاعة بك الطهطاوي بقلم الترجمة ثم عهد اليهِ تدريس اللغتين العربيَّة والفرنسويَّة في المدرسة الهندسيَّة الخديويَّة وعهدوا اليهِ تعريب كتب علميَّة للفرنج فعرَّب منها عددًا وافرًا في رسم الامكنة والطبقات الجيولوجيَّة والميكانيكيَّات والحساب والجبر والهندسة والفاكيَّات والفنون الحربيَّة كبناء الحصون ورمي القنابل الى ان تولى رئاسة الترجمة وجعلهُ اسماعيل باشا في المعيَّة السنيَّة وولَّاهُ مناصب أُخرى وكان آخر ما عُهد اليهِ قضاء القاهرة فلزمهُ الى وفاتهِ. وكان صالح بك يحسن الانشاء وفنون الكتابة وقد نشر مقالات عديدة اجتماعيَّة وسياسيَّة وادبيَّة في جرائد مصر كروضة المدارس والوقائع المصريَّة. واشتغل بتأليف مطول لتأريخ مصر مع علي باشا المبارك ولهُ ديوان شعر واسع طُبع في بولاق سنة ١٣١٢

ومن شعر السيد صالح بك مجدي قولهُ سنة ١٢٨٩ يهنئ جناب الخديوي اسمعيل باشا عند رجوعهِ من الاستانة:

مع النصر وافى مَن عليهِ المعوَّلُ ومن هو في ايَّامهِ الغرُّ اوَّلُ
ومن هو للاوطان والملك والملا ملاذٌ وحصنٌ لا يُرامُ وموئلُ
ومن ملأ الدنيا مهابتُهُ التي بها الاسدُ في آجامها تتجدَّلُ
ومن فاض من يمناهُ ماء سماحة فأحيا بلادًا اهلها قد تموَّلوا
ومن شاد اركان المعالي بهمَّةٍ يقصّرُ عن ادراكها متطوِّلُ
وقد جاءت البشرى بذاك فزُيِّنت لمقدمهِ مصرٌ وفازَ المؤمِّلُ
واثنت على دار الخلافة عند ما رأتهُ بها يعلو وشانيهِ يسفلُ

فعش ما تشا في دولة انت ربّها   ومجدك فيها من قديم مؤثّلُ
وقد قلتُ في يوم القدوم مؤرّخًا   الى مصر اسمعيل بالبشر مقبلُ

وقال من قصيدة يهنئهُ بها في اوّل العام:

بالبشر في مصرَ لاحت غرّةُ العامِ   تزهو بنورِ مليكٍ للحمى حامي
تزهو بنور مليـك غيثُ راحتهِ   في الكون طول المدى بين الورى هامي
هو الخُدَيْوُ الذي اوطانهُ نشرت   للفضل في مصرهِ مطويّ أعلامِ
وللتمدُّن مدَّت باعها والى   اوج العلى سارعت من غير احجامِ
فيا لهُ من حكيمٍ بالعلاج محا   ما كان في جسمها من فرط اسقامِ

ولهُ في حسين باشا ناظر المعارف والاوقاف والاشغال العموميَّة:

لجنابك العالي ثلاثُ مصالحٍ   نُظمتْ بسمطَيْ عسجدٍ ولُجَيْنِ
واضاء منك جبينُها برئاسةٍ   اعمالُهـا منشورةُ العلَمَيْنِ
وغت جا بركاتُ اوقافٍ روت   مصرًا وقد فاضت على الحرمَيْنِ
وبحزمك الاشغالُ زاد نجاحها   ونجازُها في السهل والجبلَيْنِ
ولك المعارف غرّدت ابناؤها   بمدائح الاجداد والابوَيْنِ
وبديعُ نظمٍ كاملٍ في كاملٍ   من مخلصٍ بالقلب والشفتَيْنِ
من مخلص الك في الثناء بدولةٍ   اضحيت فيها حائزَ الشرفَيْنِ

وختمها بهذا التاريخ:

والمجد في علياك قال مؤرخًا   زمنُ المعارف مُشرقٌ بحُسَيْنِ (١٢٨٩)

(ابو السعود افندي) ومن مشاهير ادباء مصر في ذلك الوقت ابو السعود افندي عبد الله المصري ولد سنة ١٢٤٤ (١٨٢٨) في دهشور قرب الجيزة ودرس في المدرسة الكلية التي انشأها محمد علي باشا في القاهرة فبرع بين اقرانهِ . ثم ندبتـهُ الحكومة الى نظارة اعمالها فكان في وقت الفراغ يواصـل دروسهُ ويعكف على التأليف شعرًا ونثرًا. وحرّر مدّة في جريدة وادي النيل وكاتب أُدباء زمانهِ . ونقـل بعض كتب الفرنج الى العربيّـة . ومن تآليفهِ كتاب منحة اهل العصر بمنتقى تاريخ مصر نظم فيهِ مجمل حوادث تاريخ مصر للجبرتيّ ووضع تاريخًا لفرنسة الحقةُ بتاريخ ولاة مصر من اوّل الاسلام دعـاهُ بنظم اللآلي . وباشر بترجمـة تاريخ عامّ مطوّل وسمهُ بالدرس التامّ في التاريخ العامّ طُبع منهُ قسمٌ سنة ١٢٨٩ . وكان ابو السعود

شاعرًا مجيدًا لهُ ديوان شعر طُبع في القاهرة اودعهُ كثيرًا من الشعر كالمديح والمراثي والفراقيّات . ونبغ في المنظومات المولَّدة كالمواليا والموشّحات. ولهُ ارجوزة نظم فيها سيرة محمَّد علي باشا كثيرة الفوائد بيّنة المقاصد تبلغ عشرة آلاف بيت. ولهُ غير ذلك ممَّا تفنَّن فيهِ وسبق آل عصرهِ توفي ابو السعود افندي في ربيع الاوَّل سنة ١٢٩٥ (١٨٧٨). وقد رثاهُ احد شعراء وطنهِ بقصيدةٍ قال في مطلعها:

خُلِق الهبوطُ مع الصعودْ ومع القيامِ بدا القعودْ

الى ان قال:

ليس البكاء لغادةٍ ابدت لمغرمها الصدود
لكنَّهُ لمَّا قضى ربُّ القريضِ ابو السعودْ
من لم يُجِبْهُ بدمعهِ فكأنَّما نقضَ العهودْ
فهو الحريُّ بان تذو بَ عليهِ بالاسفِ الكبودْ
بحرٌ تدفَّق ماؤُهُ لكنَّهُ عذبُ الورودْ
بقريحةٍ سالت على ارجائها سَيْلَ العهودْ
كم انتجت نُخَبًا لهُ فكأنَّها الامُّ الوَلودْ
ابدًا توقَّدُ بالذكا ء فليس يعروها خمودْ
نشبتْ مخالبها المنيَّةُ فيهِ وهو من الاسودْ
لا غروَ ان صعدَ السما بين الملائكة السجودْ
فبناتُ نعشٍ قد حملنَ سريرهُ لمَن الشهودْ

(الحاج حسين بَيهم) وفي آخر هذه الحقبة في صفر من سنة ١٢٩٨ (٢٤ ك الثاني ١٨٨١) فقدت الآداب احد اركانها في بيروت وهو الحاج حسين ابن السيد عمر بَيهم كان والدهُ عمر من اعيان المدينة وادبائها رثاهُ الشيخ ناصيف اليازجيّ سنة وفاتهِ ١٢٧٦ (١٨٥٩) بقصيدة مطلعها:

زُرْ تربةً في الحمى يا ايّها المطرُ وقُلْ عليكَ سلامُ اللهِ يا عُمَرُ

ومنها:

في شخصهِ الدين والدنيا قد اجتمعا وذاك يندرُ ان تحظى بهِ البشرُ

ولد حُسين ابنهُ سنة ١٢٤٩ (١٨٣٣) ونشأ حريصًا على تحصيل مسائل العلم وفنون الادب فاخذ عن علماء ملَّتهِ كالشيخ محمَّد الحوت والشيخ عبد الله خالد. وبعد ان تعاطى التجارة زمنًا يسيرًا انقطع الى العلم ونال بهِ شهرةً ثم نظم الشعر فصارت لهُ

بهِ ملكة راسخة بحيث كان يقولهُ ارتجالًا في المحافل ويخرجهُ على صور مبتكرة تطرب لهُ الاسماع. وقد ولّتهُ الحكومة عدّة مناصب كنظارة الخارجيّة ورئاسة الاحكام العدليّة ثم أُعيدت اليهِ الخارجيّة فقال في ذلك:

انَّ الفؤاد لهُ في الملك معرفةٌ فالخارجيّةُ لم تترك نظارتَهُ
لذاك سلطاننا المنصور ردَّ لهُ مع حسن انظارهِ ارّخ بضاعَتَهُ

ولمّا وُضع القانون الاساسيّ وفُتح للمرّة الاولى مجلس النوّاب انتخبهُ مواطنوهُ ليمثّلهم فيهِ فحضر في الاستانة جلساتهِ ثم عاد الى وطنهِ واعتزل المأموريّات وانقطع الى الآداب. وكان حاضر الجواب ثاقب الرأي كريم الاخلاق عالي الهمّة محبوبًا عند الجميع. وكان احد اعضاء جمعيّة العلوم السوريّة المُنشأة في بيروت ولمّا توفي رئيسها الاوّل الامير محمّد ارسلان عهدوا اليهِ رئاستها. وكان للحاج حسين نظمٌ رشيق مطبوع قد بقي منهُ القليل ومن آثارهِ رواية ادبيّة وطنيّة مُثّلت مرارًا وقرّظها الادباء. ومن شعرهِ قولهُ في تاريخ جلوس السلطان عبد العزيز سنة ١٢٧٧:

خلافة الاسلام قد اصبحت تزهو افتخارًا بالمليك العزيزْ
وملّة الايمان ارّختها طابت بشاهنشاه عبد العزيزْ

وقال مؤرخًا انشاء التلغراف في بيروت:

لله درُّ السلكِ قد ادهشت عقولنا لمّا على الجوّ ساقْ
فأعجب الكون بتاريخهِ شبهُ برقٍ او شبيه البُراق (١٢٧٧)

وقال مشطّرًا:

اذا العنايةُ لاحظتك عيونُها وحباكها من فضلهِ الرحمانُ
ناداك طائرُ يمنها وسعودها نَمْ فالمخاوف كلهنَّ امانُ
واصطَدْ بها العنقاء فهي حبالةٌ واملك بها الغبراء فهي سنانُ
واصعد بها العلياء فهي معارجٌ واقتَدْ بها الجوزاء فهي عنانُ

وقال يهنّئ حضرة كامل باشا بمستشاريّة الداخليّة سنة ١٢٩٦

حينما أعوز الممالكَ اصلا حٌ وسُدَّت عن وارديهِ المناهلْ
وفّق الله للوظائف قومًا ملكوا من ذرى الكمال المنازلْ
فتفاءلْ بالخيرِ صاحِ وأرّخْ مستشارًا امسى محمّدُ كاملْ

وممّا رُثي بهِ الحاج حسين افندي بيهم قول ابي الحسن الكستيّ:

فراقُكَ صعبٌ يا حسين احتمالهُ ... وبعدك رَكْبُ الانس شالت رحالهُ
رحلتَ الى دار البقاء مكرَّمًا ... ومثلُكَ مولى للنعيم مآلهُ
ولكن تركتَ القوم تبكي عيونهم ... عليك بدمعٍ كالسيولِ انهمالهُ
وليس لنا من بعد فقدك حيلةٌ ... سوى الحزنِ او صبرٍ يعزُّ منالهُ
حويتَ خصالًا جلّ في الناس قدرها ... وما كلّ انسانٍ تجلُّ خصالهُ
عفافٌ ومعروفٌ وعلمٌ ورقَّةٌ ... وفضلٌ ومجدٌ قلَّ فينا مثالهُ

ومن جيّد شعرهِ قولهُ يعزّي صديقًا بفقد مالهِ:

لقد غمَّنا واللهِ والصحبَ كلَّهم ... مصابٌ دهاكم بالقضا حكم قادرِ
كأنَّ شرارًا منهُ طار لارضنا ... فاحرق احشاءَ الورى بالتطايرِ
ولكنَّنا قلنا مقالةَ عاقلٍ ... يسلّم للباري بكل المظاهرِ
اذا سلمت هامُ الرجالِ من الردى ... فما المالُ الَّا مثل قصّ الاظافرِ
فكن مثل ظنّ الناس فيك مقابلًا ... لذا الخطب بالصبر الجميل المصادرِ
ولا تأسفن اذ ضاع مالٌ ومقتنى ... فربُّكَ يا ذا الحزم اعظمُ جابرِ
وانَّ حياة المرءِ رأسٌ لمالهِ ... سلامتهُ تعلو جميع الخسائرِ

(محمَّد اكنسوس) وممَّن زُيِّنت بهِ الآداب في هذا الوقت في بلاد المغرب الاديب الشاعر ابو عبد الله محمد بن احمد اكنسوس المراكشي توفي في بلدهِ مرَّاكش سنة ١٢٩٤ (١٨٧٧) وقد عُرف المذكور بسعة معارفه لاسيا التاريخيَّة والادبيَّة ولهُ التاريخ المسمَّى كتاب الجيش وقصائد عديدة في مشاهير بلادهِ من ذلك قولهُ يرثي سلطان مرَّاكش المولى عبد الرحمن المتوفى سنة ١٢٧٦ (١٨٥٩):

هذي الحياةُ شبيهةُ الاحلامِ ... ما الناسُ ان حقَّقتَ غيرُ نيامِ

ومنها:

لو كان ينجو من رداها مالكٌ ... في كثرةِ الانصار والخدَّامِ
لنجا امير المؤمنين ومن غدا ... اعلى ملوك الارض نجل هشامِ
خير السلاطين الذين تقدَّموا ... في الغرب او في الشرق او في الشامِ
يا مالكًا كانت لنا ايَّامهُ ... ظلًّا ظليلًا دائمَ الانعامِ
لا ضَيْرَ انك قد رحلتَ ميمّمًا ... دار الهناء وجنَّة الاكرامِ
فلك الرضى فانعم بما أُعطيتهُ ... ولك الهناء بنيل كل مرامِ

وقال يصف خروج السلطان المولى حسن على اعداء دولته سنة ١٢٩٣ (١٨٧٦):

عصفتَ عليهم بالبأسِ تُزجي ... كتائب كالسحابِ اذا تلوحُ

فالقيتَ الجرانَ على ذرامٍ بجيشٍ كلّهم بطلٌ مشيحُ
فجاء العفو منك وهم ثلاثٌ اسيرٌ او كسيرٌ او ذبيحُ
وقد قُسمتْ بلادهمُ بعدلٍ ودورهمُ كما قُسمَ الوطيحُ
فلا تحلمْ بان الجرح يُكوى طريًّا بالمحاور او يقيحُ
ابا زيدٍ اذا تُبقي عليهم بصفحٍ ربّما ندم الصَّفوحُ

ولهُ يصف بستانًا للوزير ابي عبد الله محمّد ابن ادريس :

يا منزلًا قد خصّصَتْهُ سعادةٌ واستبدلتهُ انعمًا من أبؤُسِ
اصبحتَ مأوى للوزير محمّدٍ نجل الادارسةِ الكرام المغرسِ
انسانُ عين الكون من لبست بهِ رُتب العلى اجى واجمج ملبسِ
يا ايّها البحر الذي من فيضهِ كلّ الاماني والغنى للمفلسِ
يهنيك ذا القصرُ الذي انشأتهُ بالسعد في عام انشراح الانفسِ
لا زلتَ تشرف من مطالع سعده كالبدر يظهر من خلال الحندسِ
والدهر يخدم جانبيك ويحتمي بجلالكَ العالي الاعزّ الاقدسِ (لهُ بقيّة)

الالفاظ السحريّة

نظر للأب لويس شيخو اليسوعيّ (تابع)

٢ المساواة

قرّبنا من شفتيك كأس الحريّة فذقت حلوها ومُرّها وعرفت انَّ خُمارها ربّما مُزجت بخمرها والعاقل من تتبّع خيرها وتجنّب شرّها . فدعنا الآن نمحص لفظةً ثانية بنار الانتقاد لم نعهدها سابقًا في افواه الشرقيين فدارت اليوم على ألسنة الناس فكادوا يثملون من طيب عبيرها . تلك كلمة « المساواة » يردفونها بلفظة الحريّة ويبنون عليها آمال سعادتهم الارضيّة

فما قولنا بالمساواة ؟

لا مرية انَّ البشر من حيث طبيعتهم متساوون يكوّنهم الله اجنّةً ثم يخرجهم من قبور احشاء أمهاتهم بالعري والضعف وينشأون بين الاوجاع الى ان يبلغوا سنَّ الحداثة ثم الشباب ثم الكهولة ثم تأخذ قواهم بالانحطاط وتحدق بهم بلايا الشيخوخة

ثم الهرم حتى يعيدهم الموت الى التراب الذي منـهُ صوَّرهم الخالق . تلك المساواة البشريَّة لا يختلف فيهـا السيّد وعبدهُ والملك ومملوكهُ . سأل الاسكندر ناسكاً رآهُ مكبًّا على قبرين مفتوحين وجمجمتين يابستين ماذا يصنع امـام تلك الرمم . فاجابهُ الناسك: افحص هذه العظام لعلّي اعرف ما امتاز بهِ السيّـد عن العبد والسلطان عن المملوك فلم اجد بينهما فرقًا . فهذه المساواة الاولى لكل امرء ان يفتخر بها ان شاء فلا يمانعهُ احد ولا يعارضهُ معارض . قال عليّ بن ابي طالب:

الناس من جهة التمثال اكفاء ابوهمُ آدمٌ والامُّ حوَّاء
فان يكن لهمُ من اصلهم شرفٌ يفاخرون بهِ فالطين والماء

ولنا فوق هذه المساواة مساواة أُخرى تلحق بمساواة الطبيعة وتكملهـا وهي مساواة كل البشر في اسباب الحياة الجوهريَّة . لان الله اذ خلق الانسان وجعلـهُ احد اعضاء الهيئة الاجتماعيَّة اراد لهُ ما تقوم بهِ حياتهُ ولا غنى للانسان عنهـا من الهواء والنور وبلغة الطعام اليومي والكسوة الضروريَّة وفي ذلك يتساوى كل بني آدم ولا يحقّ لأحد ان يحرم اخاهُ من هذه الضروريَّات التي بها قوام الحياة

ويتساوى ايضاً كل البشر بازاء الشريعة سواء كانت الهيئـة او بشريَّة . فانَّ الشريعـة التي تحابي الوجوه وترجّح الغنيّ على الفقير وتنتصر للشريف على المشروف وتهضم حقوق البعض لتغلّب حقوق البعض الآخر ليست بشريعة بل هي جورٌ وعدوان . فحاشا الله بشريعتـهِ ان يقضي بميزانين ويجور في حكمهِ ذرَّةً واحدة . اما الشرائع البشريَّة فان حادت عن القسط والعدل بطل فعلُها وعدمُها خيرٌ من وجودها . فالمساواة من هذا القبيل لازمة لازبة ويحقّ لكل انسان ان يطالب بها ويدافع عنها

كلُّ هذه وجوه المساويات مبنيّة على حقوق الطبيعـة وسُنن العدل اذا هضمها الانسان أثم وشوَّش النظام الذي وضعهُ الخالق في الهيئـة الاجتماعية على انَّ المجتمع البشريّ ليبلغ غايتهُ وهي عمران الشعوب وسعادة الافراد يحتاج الى المساواة المدنية

فالمساواة المدنية تعتبر كلّ افراد الدولة متساوين في الفرائض والواجبات والحقوق مع قطع النظر عن اجناسهم واحسابهم واديانهم فلا تعتبر الَّا نسبتهم الى خدمـة العموم فتخوّلهم الانعامات نفسها والامتيازات عينها على مقتضى اهليَّتهم وعلى حسب

ما يُجدون العموم نفعاً بتعاملاتهم. فسواء كان الانسان غنيًا او فقيرًا شريفًا او مشروفاً تابعاً لدين دون آخر مع مراعاته لقوانين البلاد وقيامه بكل واجباته الشرعيّة فالشريعة تساوي بين الجميع ولا تفضّل الواحد على الآخر. وانما العدل يقتضي انَّ الذي يخوَّل حقوقًا ممتازةً يُطالب ايضًا بفرائض مناسبة لتلك الحقوق. ألا ترى مثلًا في بلاد الانكليز انَّ اعيان الدولة مع ما ينالون من الحقوق والامتيازات يقومون ايضاً باعباء المملكة ويلتزمون أداء ضرائب ومكوس لا تترتَّب على غيرهم

ونُلحق بهذه ابواب المساويات مساواة الفضل التي علَّمها الدين المسيحيّ ونشر اعلامها في كلّ انحاء المعمور. وذلك انَّ السيّد المسيح رأى المظالم التي عمَّت الأمم وقلبت ظهرًا لبطن طبقات الناس حتى انَّ الاستبداد والكبرياء بلغا بقسم من البشر ان يعتبر القسم الآخر كعبيد وخدَم ليس لهم من الحقوق شيء سوى أن يكدّوا لمنفعة غيرهم ويضحّوا نفوسهم لمطامعهم. فاراد لذكرِهِ السجود ان يُعيد للانسان شرفهُ ويمحو من جبهتهِ سمة الذلّ التي وسمَهُ بها الظالمون وذلك بتعليمهِ للبشر التواضع والخضوع وقد باشر تعليمهُ بالعمل فانهُ اذ كان السيد والرب جعل نفسهُ كالعبد والخادم. قال لتلاميذه عزّ وجلّ (لوقا ٢٢: ٢٧): «مَن أكبر المتكئ او الذي يخدم أليس المتكئ فانا في وسطكم كالذي يخدم». أجل انهُ أنزل نفسهُ منزلة الخدم حتى انهُ غسل ارجل رسلهِ وتواضع امامهم وهو الذي «اذ كان في صورة الله لم يكن يعتدّ مساواتهُ لله اختلاساً اخذ صورة العبد ووضع نفسهُ حتى الموت وموت الصليب»

وقد حرَّض تلاميذهُ مرارًا على مجانبة الترفُّع وطلب التذلُّل واذ سمعهم يومًا يتباحثون في أيهم يُحسب الاكبر بكَّتهم على ذلك قائلًا (متى ٢٠: ٢٧): «قد علمتم ان اراكنة الامم يسودنهم وعظماءهم يتسلطون عليهم واما انتم فلا يكون فيكم هكذا ولكن من اراد ان يكون فيكم اوَّل فليكن لكم عبدًا» فهذه التعاليم وغيرها مثلها غيَّرت وجه العالم الوثني المملوء جورًا وعسفًا فظهرت في الكنيسة مبادئ المساواة الصحيحة التي ادهشت العالم ولا تزال تدهشهُ الى يومنا هذا فكم من الاشراف وارباب الثروة واهل الترف والعزّ كفروا بكلّ ملاذّ الدنيا فصاروا عبيدًا لاخوتهم يتفانون في خدمتهم فيعالجون امراضهم ويرشدون جهالهم ويربُّون صغارهم ويُعنون بعجزتهم ولا يدعون عملًا شاقًا الّا قاسوهُ في سبيل الله ومحبَّة اخوتهم

تلك المساواة الانجيليَّة التي جعلت الوفا من البشر اشبه بملائكة الله لا يطلبون كالرسول (روم ٩ : ٢) الّا ان يكونوا مبسلين من اجل اخوتهم

*

فصّلنا ما يُراد بالمساواة الصحيحة ومتى يجوز للمرء ان يطالب بها ويتمنَّاها غير انَّ بعض اهل الفتن واصحاب المشاغب لا يرضون بما تقدَّم فيجعلون كُنه المساواة في نفي كل سلطة وكل تباين واختلاف بين طبقات البشر يزعمون ان لكلّ الناس حقًّا واحدًا في المال والغنى والشرف والسلطة ليس بينهم رئيس ولا مرؤوس ولا شريف ولا مشروف حتى لو شاء احد الناس ان يطلب السلطة لنفسهِ او يمدَّ يدهُ الى مقتنى قريبهِ لحقّ لهُ ذلك لأن المساواة الطبيعيَّة على قولهم تسمح بذلك. هو المبدأ المجحف بكل سلطة الناقض لاركان كل دولة الرافع لأعلام كل ثورة وفتنة

فقُلْ لي ناشدتك اذا ضربتَ الصفح عمَّا سبق لنا من بيان وجوه المساواة الشرعية اين ترى للمساواة اثرًا. يولد المرءُ في كوخ الفقراء كما يولد في بلاط الملوك ينشأ في بلاد وافرة الخصب واسعة الثروة كما ينشأ في القفار والبراري ليس لهُ الَّا ما لا يكاد يقوم بأودهِ. فاين المساواة بين هذه المواليد. وايُّ انسان يستطيع ان يؤاخذ خالقهُ على فقرهِ ويُقرّعهُ على تفضيل غيرهِ عليهِ ؟

ثم يترعرع هذا الطفل الصغير وينمو يومًا فيومًا وهو تحت حكم والدَيه لا يَرى بُدًّا من اكرامهما وطاعتهما والامتثال لاوامرهما. فان اساء عاقبوهُ وان عقَّ ادَّبوه. فمن يزعم رعاك الله ان الوالدين يتعدَّيان طورهما وانَّ للولد حقوقًا متساوية فيستطيع ان يخلع نيرهما ويخلد الى العصيان بحقّ المساواة. افتنزع المساواة عن الوالد حقوقهُ او تُبطل عن الولد واجباتهِ لعلّة وجودهِ؟ وكذا قُلْ عن الرجلَ والمرأة في البيت أليس للرجل الرئاسة في بيتهِ والتقدُّم على امرأتهِ فليس ثمَّ مساواة

وكما ترى عدم المساواة في العائلة تجدها كذلك في احوال المرءِ وصفاتهِ واخلاقهِ وسائر امورهِ. فيكون زيد عاقلًا وعمرو جاهلًا. يكون ذاك صحيح البنيَّة وهذا سقيمًا ممنوًّا بالامراض. يُعرَف ذاك بتوقُّد عقلهِ وسعة فهمهِ وهذا بقلة إدراكهِ. الاوَّل محظوظ ينجح بكل مساعيهِ والثاني سيّئ البخت لا يرى في ما يباشرهُ خيرًا. وُلد الاوَّل من اسرةٍ عريقة في الشرف خدم اصحابُها الدولة فترقَّوا الى اعلى المناصب ومولد الثاني

من عائلة خاملة الذكر لا حسب لها ولا نسب. فاين يا رعاك الله المساواة في كل ذلك الّا ان يعتب المرء على خالقهِ ويدّعي امامهُ بأنّ لهُ حقوقاً بخسها الله فظلمهُ فيها. لكنّهُ تعالى يجيبهُ على لسان رسولهِ (رو ٩ : ٢٠) : « تُرى من انت أيها الانسان المجاوب لله ألعلّ الجبلة تقول لجابلها لِمَ صنعتني هكذا. أليس للخزّاف سلطان على الطين فيصنع من كتلة واحدة إناء للكرامة وإناء آخر للهوان » . او يقول لهُ كما قال ربّ البيت للفعلة الذين تذمّروا عليهِ اذ أعطى اجرةً متساوية للذين لم يشتغلوا كشغلهم (متى ٢٠ : ١٣—١٤) : « يا صاح ما ظلمتك. ألم اكن على دينار شارطتك خذ ما لك وامضِ فاني اريد ان أعطي هذا الآخر مثلك أليس لي ان افعل بمالي ما اريد ام عينك شرّيرة لأني انا صالح » . فليس للمرء ان يُطالب ربّهُ بحقوق اذ ان كلّ ما ينالهُ العبد هو من فضلهِ تعالى فينبغي لهُ ان يشكرهُ سواء اعطى كثيرًا ام قليلًا. كما قال الصيّاد :

سُبحان ربّي يُعطي ذا ويحرم ذا   هذا يصيد وهذا يأكل السمكة

او كما قال سندباد الحمّال :

فكم من سعيدٍ بلا شقوةٍ   يُنعّم في خير فَيْءٍ وظلّ
واصبحتُ في تعبٍ زائدٍ   وأمري عجيبٌ وقد زاد حملي
وكلّ الخلائق من نطفةٍ   انا مثل هذا وهذا كمثلي
ولكنّ شتّان ما بيننا   وشتّانَ ما بين خمرٍ وخلّ
ولست اقول عليك افتراء   فانت حكيم حكمتَ بعدلِ

ثم ان الانسان بمجرّد مولدهِ في زمن من الازمنة وبلد من البلاد يجد نفسهُ عضوًا من اعضاء جسم ادبيّ عظيم فيهِ الكبير والصغير والشريف والذليل والرأس والمرؤوس أفيستطيع هذا الانسان بحقّ المساواة ان يطمح ببصرهِ الى مقام من يفوقونهُ رتبةً ويتوسّل بكل الوسائل ليهبطهم عن منازلهم ويتولّى هو مناصبهم. فلو تغلّبت مثل هذه المطامع على شعب لتفاقت فيهِ الشرور وانتشر الفساد وسادت الفوضى واضحت السكنى مع الوحوش افضل من مساكنة البشر

فترى ان المساواة التامّة من الامور المستحيلة التي تنافي كل النظام الطبيعيّ والادبيّ. فان اعتبرت الطبيعة في كل اطوارها وجدت فيها من اختلاف الانواع وتعدّد الاصناف وتوفّر الاشكال ما يأخذ بمجامع الابصار ويذهل العقول النيّرة ويجتذب

القلوب الى صانعها العظيم . لا بل خذ ما شئتَ من افراد الجنس الواحد فترى بينهما بعض الاختلاف ما يزيدك عجباً بكونها . أفرأيت ورقةً من اوراق الشجر شبيهة بغيرها شبهاً تاماً ؟ هذه وجوه الوف وملايين من البشر وكلّها تختلف بعض الاختلاف امّا في اللون وامّا في تقاطيع الهيئة وامّا في الحجم . وليس هذا نقصاً بل كمالًا ينبئ بغنى الخالق الذي يخرج مخلوقاته كيفما شاء ولا يستحيل عليهِ امر من الامور . ولما تأمل الحكماء هذه الاشكال التي لا يفي بها احصاء في المخلوقات اتّفقوا على ان يحدّدوا الجمال الطبيعيّ « نظام المتنوّعات » يريدون انّ الجمال لا يتمّ في كائنٍ ما الّا اذا جمع بين النظام واختلاف الاقسام . مثال ذلك الجسم البشري الذي جمع في تركيبهِ كل شروط الجمال . قال الرسول بولس في رسالتهِ الاولى الى اهل كورنتس (١٢ــ١٤ــ٢٥) يصف بنية الجسد وارتباط اقسامهِ ونظام اعضائهِ : « انّ الجسد ليس عضوًا واحدًا بل اعضاء كثيرة فان قالت الرجل لأني لستُ يدًا لستُ من الجسد أفلذلك ليست من الجسد . لو كان الجسد كلّهُ عيناً اين كان السمع ولو كان كلّهُ سمعاً اين كان الشمّ . والحال انّ الله قد وضع الاعضاء كلًّا منها في الجسد كيف شاء ولو كانت كلّها عضوًا واحدًا اين كان الجسد . والحال انّ الاعضاء كثيرة والجسد واحد فلا تستطيع العين ان تقول لليد لا حاجة لي اليكِ ولا الرأس للرجلين لا حاجة لي اليكما بل ما يُحسب الاضعف من اعضاء الجسد هو ما تكون الضرورة اليهِ اشدّ . وما نحسبهُ الاحقر من الجسم هو ما تشملهُ باعظم الكرامة وما يقبح منّا لهُ اعظم الاحترام . امّا ما يجملُ منّا فلا يحتاج الى شيء . لكنّ الله مزج الجسد حتى يخصّ العضو الناقص بكرامة اعظم لئلّا يكون في الجسد شقاق بل يكون للاعضاء اهتمام واحد بعضها ببعض فاذا تألّم عضوٌ تألّم معهُ سائر الاعضاء . واذا أُكرم عضو فرح معهُ سائر الاعضاء »

فللّهِ درّهُ من وصف يصحّ في جسم الجمعيّة البشريّة الادبيّ اكثر منهُ بالابدان . وكما انّ الحياة لا تثبت في الجسم اذا غلب عليهِ الشقاق وابى كل عضو ان يقوم بوظيفتهِ الخاصّة فكذلك وبالاحرى الجسم الادبيّ فانهُ ينتقض كل نظامهِ اذا سعت الاعضاء بطلب المساواة واراد الصغير ان يَحُلّ محلّ الكبير . فان الله تبارك وتعالى بنى الهيئة الاجتماعيّة على اختلاف اعضائها فأعطى كل واحد ما يستفيد منهُ لمنفعتهِ الخاصّة ولفائدة كل الجسم فترى هذا شديد البنية تامّ العافية الّا انهُ فقير بالمال لاصق بالدقعاء

وذاكَ واسع الثروة كثير الجدوى لكنَّهُ مفتقر الى عَمَلة يساعدونهُ في استثمار مقتنياتهِ. هذا بطل صنديد ورجل بأس ومراس لكنَّهُ قليل السياسة والتدبير وذاكَ عاقل حكيم لولا انهُ منهوكُ القوى مهزول الجسم. وكذا قُلْ عن كل احوال البشر في كافَّة امورهم فليس بينهم واحد يستغني عن اخيهِ فلو تساوى البشر في امورهم كلها من صحَّة ومال وقوَّة وادراك لَتضعضعت اركان الهيئة الاجتماعيَّة وعاش كل انسان منفردًا بنفسهِ واضحت عيشتهُ كعيشة الحيوان او ادنى منها لأن البهائم نفسها تتعاضد وتتساعد لادراك غايتها وردّ عدوّها عنها (١

فما قولك بعد هذا بالذين ينادون بالمساواة ؟ ألا ترى انهم يسعون في طلب المحال. فانهُ من المحال ان تجعل المساواة في الجمعيَّة الاهليَّة كما سبق. من المحال ان تُتَّخذ المساواة في العيشة الاجتماعيَّة اذ يختلف الناس في اهوائهم وصفاتهم واعمالهم وتربيتهم وانسابهم. فهَبْ ان ملكًا من الملوك يجمع يومًا كل رعاياهُ ويعطي كل فرد منهم بالمساواة قسمًا من املاك الدولة ومقتنياتها أفتدوم هذه المساواة يومًا واحدًا ألا ترى انَّ مواصلة المعاملات ومزاولة الاشغال بعد زمن قليل تُزيل تلك المساواة فيرجح هذا على ذاكَ امَّا بفطنتهِ وامَّا بصفقاتهِ الرابحة وامَّا بهمَّتهِ وعنايتهِ فيفقد هذا ما حظو من المال بكسلهِ وسوء تصرُّفهِ ويُصاب ذاكَ بجسمهِ او بعقلهِ فيخسر كل مقتناه. وخلاصة القول انهُ لا يمرُّ على هذا التساوي أيام قلائل حتى تعود الثروة كما كانت سابقًا متوفّرة في ايدي البعض زهيدة في ايدي البعض الآخر

ومن المحال ان يدَّعي البعض بالمساواة في الحقوق دون مراعاة طبقات الناس واهليَّتهم واستعدادهم لها. أفيُعامل الامير كعاملة الأمور او يقام العالم النحرير مقام الجاهل المركَّب. أليس للأُسَر الشريفة التي خدمت الوطن مدَّة اجيال متوالية خدمًا عديدة انعاماتٌ وامتيازات لا تُعطى للعيال الحديثة التاريخ. او يُنزَّل الامام والكاهن والاسقف منزلة السوقة والعامَّة. ألا يمتاز القائد الظافر باعداء وطنهِ عن الجندي الجبان. فلو زعم احد انَّ كلَّ هؤلاء متساوون بالحقوق لكذب وشهد على كذبهِ كلُّ من لم يختلَّ بعقلهِ

١) راجع مقالة حضرة المنسنيور يوسف العلم في تباين الحظوظ بين الناس فانها من ابدع ما كتب في هذا الموضوع (المشرق ٥ : ٧٩٢)

ومن المحال ان تكون المساواة في السياسة . فانّ سياسة البلاد على ايّ صورة برزت لا يمكنها ان تكون متساوية بين كل اهل الدولة . فان كان نظام الدولة ملكيًّا مطلقًا فالامر واضح . وان كان ملكيًّا دستوريًّا او كان جمهوريًّا فقط فالمساواة لا تصلح الّا على شروط وذلك باختيار اعضاء لمجلس المبعوثين . امّا هذا الاختيار فلا بُدّ ايضًا من تقييدهِ بقواعد تجعلهُ مفيدًا لصوالح الجمهور نافعًا لنجاح الوطن . ويتمّ الامر اذا جُعلت لبعض المختارين امتيازات فوق سواهم على حسب ثروتهم او املاكهم او مراتبهم وعلى قدر ما يدفعون للحكومة من الضرائب والمال الاميريّ فانّ مثل هؤلاء احرى بالانتخاب واحرص على اختيار مبعوثين جديرين بحفظ النظام وإصلاح البلاد من الصعاليك الذين يبيعون اصواتهم لكل مشترٍ ولا يهمُّهم أتجري الاحوال منتظمةً ام لا . وعلى كلّ حال لا يخفى على كل ذي عقل مصيب انّ صوت رجل همام ذي عقل راجح وعلم واسع وفضل سامٍ يفضل على صوت رجل خسيس جاهل خالٍ من كل فضل ومكرمة وهذا ما لحظتهُ بعض الدول في انتخابات مبعوثيها كبلجكة مثلًا التي تخوّل بعض المختارين امتيازات حسب مقامهم او اشغالهم النافعة للوطن

هذا نظر اجملناهُ في المساواة لنبيّن للقرّاء ما وراء هذه اللفظة من المعاني الملتبسة فان حصرتها ضمن دائرة العقل والحكمة صحّ معناها امّا اذا اطلقتَ عليها من المعاني ما يردّهُ الذوق السليم والحكم الصائب وتنفيهِ الطبيعة المستقيمة اصبحتْ وبالًا وكان شرُّها عظيمًا . والعاقل من رضي بما قسم الله لهُ من الخير وسعى قدر استطاعتهِ في استثمار الوزنة التي تكرَّم بها عليهِ الخالق فان ضاعفها بالمتاجرة الشرعية والّا انتظر بصبر يوم المساواة العظيم الذي فيهِ يجازي الرب كلًّا على اعمالهِ فيطلب كثيرًا ممَّن أُعطي الكثير وقليلًا ممَّن أُعطي القليل . فطوبى للعبد الذي يجدهُ سيّدهُ ساهرًا على مالهِ امينًا في خدمته فيقيمهُ على جميع ما هو لهُ (لوقا ١٢ : ٤٤)

مطبوعات شرقية جديدة

XPYCOCTOMIKA: Studi e Ricerche intorno **A S. Giovanni Crisostomo** a cura del comitato per il XV° Centenario della sua morte 407-1907. fasc. 1, gr. in-8, pp. 242 *Pustet*, 1908.

ابحاث في اعمال القديس يوحنا فم الذهب بنسبة يوبيلهِ المئوي

انَّ الاعياد الحافلة التي أُقيمت في رومية العظمى بنسبة المئة الخامسة عشرة لوفاة الذهبيّ الفم لم تنحصر في مظاهرات جليلة اتّحدت فيها الكنيستان الرومانية والشرقية بل كانت ايضاً مبعثاً جديدًا للهمم فاخذ ارباب البحث يدرسون حيــاة ذلك الرجل العظيم الذي ارسل على الكنيسة بزمانهِ ضياءً ساطعة لم تزل اشعّتهــا تنتشر في كل انحاء المعمور الى يومنا هذا. فوجدوا كثيرًا من اعمالهِ وتآليفهِ مدفونةً في زوايا النسيان ومن ثمّ عوّلوا على احيائها ومن جملة ما باشروا من ذلك مجموعٌ دعَوهُ بالخريزوستوميات اي ابحاث منوطة بالقديس يوحنا فم الذهب طبعوها في امّ المدائن الكاثوليكية. وقد تلقّينــا بغاية البهجة القسم الاوّل من هذا المشروع الجليل وهو مطبوع اجود طبع في مطبعة انتشار الايمان المقدّس بحروف جميلة يونانية ولاتينية ومسكوبية وارمنيَّة. امّا الابحاث التي يتضمّنها هذا القسم فكلّها اثيرة خطيرة اوّلها مقالة في الدور الادبيّ الذي لعبهُ يوحنا فم الذهب في عهدهِ . ومنهــا بحث مبتكر في علاقات القديس يوحنا مع فيلسوف زمانهِ ليبانيوس الشهير. وممّا يستحقّ ذكرًا خصوصيًا ثلاثة ابحاث في اعمــال يوحنا فم الذهب الباقية في المخطوطات العربيّة والمخطوطات الارمنيــة والمخطوطات المسكوبيّة. ولعلّنا نعود الى البحث الاوّل فنعرّبهُ في المشرق وهو لحضرة مكاتبنــا الفاضل الخوري قسطنطين باشا . فيرى القرّاء ما في هــذا الاثر الجديد من الفوائد فنحثّ كل الشرقيين على درسهِ
ل . ش

LES FIANÇAILLES ET LE MARIAGE: DISCIPLINE ACTUELLE. Décret « *Ne temere* » et récentes décisions du Saint-Siège, par le **P. L. Choupin s. j.**, *Paris*, *G. Beauchesne et* C^{ie}, 165 pp. in-16, 1908.

الخطبة والزواج وقوانين الكنيسة فيهما

انَّ قداسة الحبر الاعظم بيّوس العاشر اصدر في ٢ آب سنة ١٩٠٧ براءة ذات

شأن مطلعها بقوله (Ne temere) ومدارها على شروط عقد الخطبة والزواج عند الكاثوليك وقد تلافى في هذه البراءة عدّة امور كانت تعرّض الدعاوي الزواجيّة لمشاكل معضلة ووضع قوانين جديدة تزيل هذه المعضلات فأمر انّ الخطبة القانونية تجري على هذه الصورة بان يضع الخطيبان قرارًا على خطبتهما يمضيانهِ باسمهما بحضور خوري الرعيّة او الرؤساء المرخَّصين او بحضور شاهدين على الاقلّ. فان نقص احد هذه الشروط عُدَّت الخطبة باطلةً خالية من كل فعل . اما الزواج فكان المجمع التريدنتيني وضع لهُ بعض قوانين لثبات علانيتهِ لولاها كان يُحسب الزواج باطلًا غير شرعي. وكانت تلك القوانين لا تشمل غير البلاد التي أُعلنت فيها رسميًّا. والبراءة الجديدة قد وضعت اليوم سننًا عموميَّة تشمل كلّ البلاد والطوائف الكاثوليكيَّة (الّا الشرقيَّة) وهي توضح عدَّة امور مبهمة وشُبهات متعدّدة نشأت منذ عهد المجمع التريدنتيني الى يومنا الحاضر. وما برزت هذه البراءة حتى اسرع اللاهوتيون الى تفسيرها وبيان تقاريرها والبحث عن كل احكامها . الّا انّ اوضح واضبط ما جاء في ذلك كتاب صغير الحجم ألَّفهُ احد اساتذة اللاهوت الادبيّ الاب لوسيان شوبين اليسوعي استقرى فيهِ كل المسائل المنوطة بهذه البراءة فشرحها شرحًا مستوفيًا مبنيًّا على مبادئ الحقّ القانونيّ وفتاوى المجمع المقدّس. فنحض كل من تهمُّهُ هذه الابحاث القانونيَّة من كهنة الشرق على مطالعة الكتاب ليعلموا ما قرَّرتهُ البراءة المستحدثة

الاب ب . پيرون

Dr LEOPOLD FONCK. S. J. – WISSENSCHAFTLICHES ARBEITEN. Beitraege zur Methodik der akademischen Studiums, *Innsbruck, F. Rauch,* 1908. XIX-340 pp. in-8, *Prix* 2, 25.

تنظيم الدروس العلمية في المدارس الكليَّة

في حواضر اوربَّة مدارس علميَّة وكليَّات يتردَّد اليها الشبان لاستماع الدروس التي يلقيها بعض الاساتذة على طريقة نظريَّة اكثر منها علمية. فاذا اكتفى الحضور بتلقّي تلك الدروس بقيت فائدتها قليلة منحصرة فلا بُدَّ للطالب ان يُلحق تعليم المعلّم بدرسهِ الخاصّ. وليس للطلبة ما يرشدهم الى تنظيم تلك الدروس فعمد احد اساتذة كليَّة انسبروك سابقًا والمدرسة الرومانية حالًا الاب لاوبلد فنك اليسوعي نزيل مدرستنا قبل

بضع سنوات الى وضع كتاب جليل الفائدة كثير العائدة جمع فيه كلّ ما يحتاج اليهِ طالب الكليّات من المعلومات للاستفادة من دروسهِ في تلك المدارس. والكتاب في ٢٨ فصلًا يتضمَّن كلُّ فصلٍ قسمًا من المعلومات التي تختصّ بصنفٍ صنفٍ من العلوم كالآداب والآثار القديمة والتاريخ فيبحث عن مؤلفيها ونُسخها ومطبوعاتها وكيف يُنتفع منها. وفي هذا الكتاب ابحاث عن خزائن الكتب والمجلَّات التي تساعد الطالب على تهذيب عقلهِ. وفيهِ كلام عن الاساليب والطرائف العلمية لاحراز المعارف بوقت قريب وامور عديدة توفر على الطلبة وقتهم الثمين فيجدونها في هذا الكتاب دون غيرهِ. وهو حريٌّ بأن يُدعى دليل الطلبة لاحراز المعارف الاب ي. ديللنسغر

Notice sur les Manuscrits syriaques conservés dans les Bibliothèques : 1° du Patriarcat Chaldéen de Mossoul - 2° de l'Évêché Chaldéen de Mardin, par Mgr. ADDAI SCHER, 38 et 36 pp., *Paris, H. Champion,* 1908.

قائمة المخطوطات السريانية في مكتبتي موصل وماردين للكلدان

معلوم لدى القرَّاء كم يعتني الاوربيون في ضبط قوائم مكاتبهم لاسيما خزائن المخطوطات فانَّهم يحكمونها ايَّ احكام فيصفون كلّ كتاب وصفًا مدقّقًا ليعرف الطالع ما يحتويه كلّ سفر ولا يفوتهُ شيء من التعليات المفيدة لاوصافهِ. وقد سرّنا انَّ بعض الشرقيين يتّخذون هذه الطريقة عينها لوصف ما عندهم من الكنوز الأدبية. ولا غرو ان السيد ادي صليبا ابراهينا رئيس اساقفة كركوك ممَّن يستحقون ذكرًا خصوصيًا وثناء طيبًا في ذلك فانَّ سيادتهُ كان سبق ووصف في المجلة الاسيوية الباريسية سنة ١٩٠٦ مخطوطات دير سيدة الزروع القريب من القوش (وعددها ١٥٣) ثم اردف ذلك في السنة التالية بوصف مخطوطات الدار الاسقفية في ديار بكر (في عدد ١٥٩) واليوم قد اتحفنا السيّد المومأ اليهِ بكرّاسين آخرين يحتويان وصف مخطوطات المكتبة البطريركية الكلدانية في الموصل (وعددُها ١١١) ثم وصف مخطوطات المكتبة الاسقفية الكلدانية في ماردين (وعددها ١٠٤) وسيادة الكاتب يصف كلّ كتاب بتعريف اقيستهِ وعدد صفحاتهِ واسطرهِ وقدمهِ وتاريخ نسخهِ ثم يبيّن كل اوصافهِ وخواصّهِ. واذا كان الكتاب فريدًا في جنسهِ زاد في تعريفهِ الايضاحات اللازمة واشار الى

التآليف التي تكلّمت عنهُ . فيا حبذا لو حذا حذو سيادتهِ اصحابُ الهمم في كل طوائفنا الشرقيــة فيدرجون في المجلّات جداول مخطوطاتهم ويصفون وصفاً وافياً ما يعرفونهُ من الاسفار المصونة في القامات البطريركية والاسقفيــة وفي الاديرة وكذلك المكاتب الاسلامية اللاحقة بالمدارس والجوامع في الاستانة العليــة ودمشق وحلب وبغداد والموصل فانّ تلك الكنوز لا تفيد غالباً الّا العثّ فلا يُعرف من امرها شيء. او اذا طُبعت قوائمها كانت تلك القوائم قليلة الجدوى اذ تقتصر غالبًا على اسم الكتاب ومؤلفهِ دون تعريف احوالهِ وخواصّهِ. فيا لله ما الفائدة من المكاتب التي يضنّ عليهـا اصحابها على المطالعين فتبقى محجورةً يرعاها السوس ل. ش

كتاب المنتخبات العربيّة

لجامعَيْهِ محمّد حسن محمود وامين افندي عُمَر

(طُبع في مصر سنة ١٣٢٥ ص ٢٣٤)

راقتنا طريقة جامعَي هذه المنتخبات فانهما اختارا طرَفاً من نظم او نثر مئة من كتبة العرب مباشرةً بعهد الجاهليّة فاوائل الاسلام فزمن الخلافتين الامويّة والعبّاسيّة حتى الازمنة المتأخرة يُختَم الكتاب ببعض منظومات او فقرات للمنشئين العصريين لاسيما المصريين. وقد أُلحقت بأسم كل كاتب او شاعر رُوي عنهُ نُتَفٌ من اخبارهِ في ثلاثة او اربعة اسطر مع ذكر سنة وفاتهِ ولا يخفى ما في ذلك من الفوائد لارشاد الاحداث. فنشكر الاديبين اللذين قاما بهذا العمل ونتمنّى لكتابهما رواجاً في المدارس. على انّ هــذا المجموع تَزيد فوائدهُ اذا ضُبطت منتخباتهُ بالشكل الكامل او على الاقل بتشكيل المبهم منهُ. وكذلك تحتاج الفوائد التاريخيّة المقدَّمــة على اسم كل كاتب الى مراجعة واصلاح فانّ تاريخ وفيات اهل الجاهلية مثلًا ليس غالباً بصحيح. وكذلك في اخبار شعراء الاسلام ما يخالف الواقع فانّ يحيى البرمكيّ مثلًا (ص٧٦) لم يكن وزيرًا للمنصور. وقد تعجبنا ممّا جاء في ترجمة حسّان بن ثابت (ص ٥٢) انهُ «عاش ستين سنة في الاسلام» بعــد ان جُعلت وفاتهُ سنة ٥٤ للهجرة فايّ القولين اصحّ ومزاعم أخرى كهذه تحتاج الى تحقيق ل. ش

دواني القطوف في تاريخ بني المعلوف

تأليف عيسى افندي اسكندر المعلوف

طُبع في المطبعة العثمانيّة سنة ١٩٠٧–١٩٠٨ (ص ٧٤٩)

نشكر الشكر الحميم مؤلف هذا الكتاب الذي أدنى من افواهنا قطوفاً جمعها من حديقة غنّاء واسعة الارجاء غنيّة بازهارها شهيّة باثمارها ألا وهي حديقة اسرته الفاضلة بني المعلوف الذين تتبّع اصولهم وفروعهم وتعقّب افرادهم وجموعهم حتى اخرج لهم تاريخاً ثابت الاركان بل بنى لهم صرحاً شاهق البنيان. وقد اخذنا العجب ممّا بلغت اليهِ يد المؤلف من المعلومات الرائقة لم يثبّطهُ عن تحصيلها بُعد منالها فلم يدع طريقاً ألّا سلكهُ ولا باباً ألّا طرقهُ كما يُرى من الحواشي التي ذيّل بها كتابهُ ومن جدول التآليف التي راجعها لتصنيف مؤلّفهِ. وقد رأينا اسم مجلّة المشرق مذكوراً بالثناء في اماكن عديدة فنشكر حضرة الكاتب على ثقتهِ بمنقولاتنا. وخلاصة القول انّنا نعتبر هذا الكتاب من انفع وابدع التآليف الوطنية اذ تفيد مطالعتهُ ليس فقط اخبار بني المعلوف بل يُهتدى بهِ ايضاً الى آثار عديدة من تاريخ لبنان اجمالاً وحوران خصوصاً لانّ جناب المؤلف يرقّي اصل الاسرة المعلوفية الى تلك البلاد فيفتتح كتابهُ بذكر تاريخها واقسامها وآثارها والشعوب التي توالت في ملكها. ولعلّ البعض يجدون في هذه الفصول نوعاً من الاستطراد وضرباً من الفضول الّا انّ ذلك مما يصدق فيهِ المثل السائر « زيادة الخير خير ». وليس مقصودنا من ثنائنا على هذا التأليف الجليل أننا نوافق المؤلف في كل آرائهِ لاسيما ترقية اصل بني المعلوف الى ملوك غسّان ونحن نعلم انّ جنابهُ لم يروِ ذلك الّا كتقاليد خاصّة تناقلها الابناء عن الاجداد لا يمكن اسنادها الى اثر كتابيّ يوثق بهِ. وكفى المؤلف فخراً انّهُ تمكّن من جمع شتات اخبار تلك العائلة التي كاد لا يُحصى عددها فروى ما روى عن كل افرادها منذ نيّف وثلثمائة سنة جازاهُ الله خيرًا. ونحن نتمنّى انّ جنابهُ يواصل دروسهُ التاريخيّة ويمتّعنا قريباً ان شاء الله بما هو اوسع فائدة واعمّ نفعاً بما وعدنا بهِ من « الاخبار المرويّة في أسر لبنان وسوريّة »

ل. ش

شهادات الكنيسة السريانية المارونية الصادعة بوجود جسد المخلّص ودمهِ حقيقةً في سرّ الاوخارستية

بقلم الاخوين المونسنيور بطرس حبيقه والقس يوسف حبيقه الراهب اللبناني

طُبع في المطبعة اللبنانية في بعبدا سنة ١٩٠٨ (ص ١١٢)

بنسبة يوبيل قداسة الحبر الاعظم الكهنوتيّ وانعقاد المجمع القربانيّ في لندن رفع المؤلفان المذكوران هذا الاثر الى معالي الكرسيّ الرسولي ونيافة الكردينال فانوتللي . وهو كمجاميعهما السابقة يحتوي شهادات الكتب الطقسيّة المعلنة بايمان الكنيسة السريانيّة في حقيقة سرّ القربان الالهي . وهذه الشهادات قد أُثبتت بالسريانية ونُقلت الى العربيّة وهي كثيرة تنيف على الخمسمائة وكفى بها تفنيدًا للهراطقة المحدثين الذين نكروا هذه الحقيقة الجوهريّة التي تصدع بثبوتها كلّ الآثار الدينية منذ اوائل النصرانية . وكان الاجدر بأثر كهذا ان يُتقن طبعهُ ويتّخذ لهُ اجود الاوراق. فيسوءنا انّا وجدناهُ على خلاف ذلك ل . ش

مجالي الغرر لكتّاب القرن التاسع عشر

المجلد الاوّل من القسم الشعري جمعهُ الاديب يوسف افندي صفير

طُبع في المطبعة العثمانية في بعبدا سنة ١٩٠٤ (ص٣٤٨)

سبق جناب جامع هذا الكتاب فقدَّم عليهِ جزئين أودعهما منتخبات نثريّة لكتبة العصر مرّ لنا تقدمها (المشرق ١ : ٤٧٧ و ٨ : ١١٠٦) وها هوذا المجلد الاوّل من القسم الشعري فيهِ نحو مائة قطعة من اقوال شعراء العصر في مواضيع مختلفة في كل فنون الشعر من وصف ومديح ورثاء وحماسة وبيان احزال وشنوح خواطر الى غير ذلك ما يتوق اليهِ القرّاء لاسيما الشرقيين . ومن حسنات الكتاب عدّة مواضيع عصريّة ووقائع وطنيّة يُسرّ بها القرّاء لاسيما الاحداث منهم كالقطار الحديدي ووصف لبنان والكهربائيّة والبخار والسيكارة والنارجيلة وقلب الام ومناظرة النسيف والبخار . وفي كثير من هذه المنتخبات نفسٌ شعريّ يدلّ على قريحة صادقة وشواعر لطيفة فنشكر

جناب الاديب الساعي بجمع هـذه الطرائف ونتمنّى لكتابهِ رواجاً ولولا شيء من الغزليّات كان الكتاب عنها في غنًى لحضضنا ارباب المدارس على اقتنائهِ ووضعهِ في ايدي طلبتهم ل · ش

مفتاح القراءة

لمؤلفهِ رشيد الشرتُوني . طُبع في المطبعة الكاثوليكية في بيروت ١٩٠٩ (ص ٣٢)

هذا الكرّاس ممّا وضعهُ الاستاذ المرحوم رشيد الشرتوني مدَّةً قبل وفاتهِ فتأخر الى اليوم طبعهُ لتمام ما أُودعهُ من التصاوير . وهو عبارة عن ثلاثين صفحةً في ثمانية عشر درساً يصدَّرُ كلَّ درسٍ برسم تنشيطاً لخواطر الاحداث وفي الدرس قسمٌ للقراءة يليهِ قسمان آخران الكتابة ثم للحساب لانَّ الاختبار قد دلَّ المعلّمين « على انَّ الصغير اذا زاول الخطَّ من اوَّل امرهِ تسهَّل عليهِ ادراك القراءة بفرصـة اقرب فضلاً عن انَّ انتقالهُ من القراءة الى الحساب ممَّا يروّح نفسهُ و يجدّد نشاطهُ » فكفى بهذه الاسطر دليلاً على فوائد الكتاب

مصباح الرُّشد في عجائب لُرْد

تعريب الخوري بطرس مراد (طُبع في القاهرة سنة ١٩٠٨ ص٣٢)

هذا الكتيّب قد وضعهُ في الافرنسية الخوري برترين اثبت فيهِ ما جرى في مدينة لرد من التجليّات العجيبة لمّا ظهرت العذراء الطاهرة للفتاة برندت كما فصّلنـا ذلك سابقًا في المشرق (ص ٣٢١) وقد عرَّبهُ حضرة الخوري بطرس مراد المـارونيّ تذكاراً للاعياد اليوبيلية التي أُقيمت في هـذا العام الخمسينيّ لتلك الحوادث الغريبة التي لا يستطيع ان يتأمّلها العاقل دون ان يقرَّ بسلطان الدين فيصرخ « هذه اصبع الله »
ل · ش

Calendrier d'al-Machriq

تقويم المشرق لسنة ١٩٠٩

هذه السنة العاشرة منذ صدور تقويم المشرق فلا نطيل الكلام في وصفهِ والكل يعلمون ما امتـاز بهِ من زاهي الالوان وحسن النقوش ولطيف الحجم والفوائد التي يتضمّنها . ومن خواصّهِ في هذا العام الجديد انهُ يمثّل لبنان واشجارهُ الباسقـة يعلوها

تمثال السيدة القام حديثاً قرب حريصا مشرفاً على ساحل جونية. وفي مقدّمة كل شهر افادات عمومية عن احوالهِ. وفي ذيل كل يوم من ايّام السنة حوادث تاريخية تشمل اخبار كل الامم القديمة مباشرةً من تكوين العالم الى عهد المسيح. الّا الآحاد والاعياد فانّ في ذيل اوراقها آيات منقولة عن فصول الانجيل المختصّة بأيّامها

هدايا

أُرسلت الى ادارة المشرق

١ كتاب جامع الحجج الراهنة. تأليف السيّد اقليميس يوسف داود رئيس اساقفة دمشق على السريان الكاثوليك (ص ٥٤٤)

٢ تعريب رواية اتالا للفيكونت شاتوبريان بقلم فرح انطون صاحب الجامعة. (نيويرك ١٩٠٨ ص ٤٨)

٣ حدائق الظاهر. مجلة تاريخية ادبية اجتماعية لصاحبيها احمد زكي ابو شاذي ومحمود عبّاس. المجلد الاوّل. العدد الاول. يوم الحساب. (مطبعة الظاهر بالقاهرة ص ٢٢٤)

٤ كتاب مؤنس الجلّاس بمفاخر العبّاس. وهي قصائد نظمها الارشمندريتي ايليّا ديب المنتخب لمطرانيّة صور وصيدا فرفعها الى معالي الحضرة الخديويّة. (طُبعت في مصر ١٩٠٨ ص ١٩)

٥ برنامج المكتبة الاهلية. لصاحبيها احمد حسن طباره ومحمد جمال (ص ٩٦)

٦ يوم في كرم. بقلم شكري الخوري. (طُبعت في سان باولو ١٩٠٨ ص ٢٢)

٧ مقالة انكليزيّة في الوحدة الاسلامية Pan-Islamism, by Shaikh Mushir Hosain Kidwai, *London, Luzac and* C°, 1908, pp. 76.

٨ مبادئ الهجاء الفرنسويّة للاديب ايوب صائغ Nouvel Abcédaire français, par Ayoub J. Saïegh, *Zahlé,* 1908, pp. 88.

شذرات

زيادة اوجاع المرضى في الليل وسبب ذلك ارسل الينا من حلب الدكتور النطاسي نابوليون ماريني الاسطر التالية فنثبتها لافادة القرّاء: معلوم ان اغلب المرضى ان لم نقل جميعهم يشعرون عند دخول الليل بزيادة في اوجاعهم وتفاقم في آلامهم فتراهم يتململون ويهيجون وتتضاعف قوّة الحمّى ويعصي عليهم النوم كأنّ نوبة المرض تتجدّد في تلك الاثناء. فما هو يا تُرى سبب هذه اللوائح المزعجة؟ نقول انّ سببين خصوصاً يخفّفان اوجاع المريض في النهار. الاوّل: الأدوية التي يصفها الاطباء

غالباً في النهار دون الليل امَّا لزعمهم انَّها انجع للمريض وامــا لاسباب اخرى ثانويَّة كالعادة وسهولة استعمالها في النهار. والثاني الاشعة الشمسيَّة التي خصَّها الخالق بفعــل مسكِّن وملين. وقد اثبت ذلك كثير من الاطباء بالاختبــار لاسيما الدكتور روتشيش (Dr Rothschich) الذي جرَّب الاشعَّة الزرقاء لاخماد الحكَّة الرحميَّــة ولازالة الصُّداع فجاءت امتحاناتهُ مثبتة للامر باجلى بيان. كذلك قد ثبت للعلماء انَّ للأشعَّة الزرقاء قوةً في قتل الجراثيم المرضيَّــة فانَّ الدكتور فِنْسن (Dr Finsen) تمكَّن من معالجة السرطان بعرضهِ على تلك الاشعة. ومما لحظ العلماء ان جراثيم الهيضة والطاعون اذا وقعت عليها اشعَّة الشمس أبطلت عُدواها وكذا الاوجاع الزهريَّة فان الاشعــة الزرقاء تخمدها كما تسكن اوجاع السرطان وتخفِّف في النهار حُمَّى الامراض التدرُّنيَّة التي تقوى في ساعات الليل. ومن ملحوظاتهم ان بثور الجدري المعرضة لاشعة الشمس تيبس بزمن قليل. وقد دخلت المعالجة بنور الشمس في طور التقدُّم والانتشار بهمَّة بعض الاطباء العصريين الذين نالوا بواسطتها من النتائج مــا فاق آمالهم. وان سألت كيف تعمل اشعة الشمس في الجسم البشري فتشفي ما يطرأ على آليَّاتهِ من الجروح. اجبنا ان اشعَّة الشمس تنفذ في جلد الانسان بل تلج عظامه نفسهــا . ومن هذه الاشعة مــا تمتصَّهُ وشيجة الجلد المشتبكة ونسيجهُ المتلاحم . فبقي للمرضى في الليــل ان يواظبوا على استعمال الادوية التي في غيبة اشعة الشمس لا تكفُّ عن عملها فتلطِّف اوجاعهم الليليَّة نوعاً . وقد سبق الدكتور هوكلار (Dr Huclard) الى استعمال سليسيلات الصودا ليس في النهار فقط بل في الليل ايضاً لتخفيف وطأة الروماتسم الحادّ فنجح بعملهِ ولعلَّ معالجات اخرى ليليَّة لغير ذلك من العلل تأتي بالشفاء المامول. فنشير على الاطباء بتجربتها

﴿ الحفريَّات الحثيَّة ﴾ نبَّهنا القرَّاء سابقاً الى خطر الاكتشافات العجيبة التي توصَّل اليها علماء الالمان في برّ الاناضول حيث وجد العلَّامة وِنكلر آثارًا لا يُحصى عددها ترتقي الى عهد الحثّيين احد الشعوب القديمة التي لعبت في سواحل بحرنا المتوسّــط وشمالي سوريَّة دورًا معتبرًا. وكانت تلك الاكتشافات قد أُجريت في موقع حاضرة الحثّيين القديمة عند المكان المعروف اليوم باسم بوغازكوي. والامل معقود لدى العلماء بان يحلُّوا قريباً لغز كتابة تلك الأمــة العاديَّة فاذا وقفوا على اسرارها

ارشدتنا الى عدَّة معلومات عن اخبار بلادنا في القرون الموافقة لعهد بني اسرائيل وزمن دخولهم ارض الميعاد وأيام قُضاتهم وملوكهم لانَّ عدد الكتابات الحثية المعروفة يبلغ المئين عدًّا وفيها من الاحداث التاريخيَّة ما تدلُّ عليهِ التصاوير المكتشفة مع الكتابات. وهذه العاديَّات الاثيرة حدت باحد اعيان المانيــة المسيو موهلبرغ الى ان يتبرَّع بمبلغ واسع من المال لمباشرة حفريَّات اخرى في ايوك الواقعــة على مسافة بضع ساعات من شمالي بوغازكوي وقد وقفنا على نتيجة هــذه الحفريَّات الجديدة فاذا هي في حسنها ووفرتهــا كحفريَّات بوغاز كوي. وقد نشر مكربدي بك ناظر الحفريَّات باسم المتحف السلطاني لائحة اشغال الالمانيين هنــاك مع صور الآثار التي اخرجوها من دفائنها فاطَّلعنا على هذه المكتشفات بسرور وتضاعف أملنا في كشف الستار عن معاني كل هذه الآثار

الهواء الاصفر وعلاجهُ قلقت العقول في اوربة لانتشار الهواء الاصفر في بطرسبرج. فانَّ عدد المصابين مدَّة شهرين تجاوز العشرين الفاً مات منهم نحو نصفهم. فاخذت الدول المجاورة لروسية الاحتياطات اللازمة لمناصبة الداء وحجزهِ. وممَّا عرفهُ العلماء في زماننا انَّ باشلُّوس الهواء الاصفر من الميكروبات التي يسهل الظفر بها ومما يقتُلها الحرُّ اذا بلغ ٦٠ درجة فوق الصفر. وكذلك الادوية المضــادَّة للعفونات فانَّها تفتك بميكروب الهواء الاصفر وتفنيه. الَّا انَّ انتشــار الداء يتمُّ بكل سهولة فالطاعون ينتشر بواسطة الفيران امَّا الهواء الاصفر فبواسطــة الانسان المصاب بهِ وبكل الاثاث والثياب التي مسَّها ذاك المعديّ بالمرض. وربَّما وُضعت تلك الثياب بالماء لتُغسل فينتقل الميكروب بواسطة الماء الى الاصحَّاء. فلذلك ترى الدول الاوربية مراقبة للثغور المسكوبية لتقوم في وجه العدوى وتمنع فشوَّها

حلّ لغز طلب المشرق في العدد الثــامن من السنة الجارية (ص ٦٣٦) حلّ لغز وجدهُ المستشرق المسيو مسنيون في ابيــات رويت لابي المغيث الحلّاج وحيث لم ارَ احدًا حلَّ هذا اللغز ابديتُ رأيي فان اصاب كان بهِ افادةٌ للسائل فعلى ما ارى ان الملغز يقول في ابياته انهُ ليس من غير المؤمنين بل ايانهُ عظيم كايمــان موسى حينما كلَّمهُ الربّ من فوق الطور. وعليهِ فتكون العبارة الملغز بها هي « ايمان » من ستة احرف لان الكسرة بمقام حرف. والحرفان المعجومان هما اليــاء والنون. وقولهُ

« وحرفان اصلي » هما اليـاء والميم « وحرف آخر معجم » هو النون « يَمَنٌ » منسوب الى « يمني » يعني اصلهُ من اليمن

ابراهيم يوسف مسابكي

اقدم الآثار الخطيّة — هي صفيحـة من البردي عثر عليها في حفريّاتهِ المصريّة احد المهندسين الفرنسويين اسمهُ پريس (Prisse) فاهداها المكتبة العموميّة في باريس وتاريخها قريب من ٧٠٠٠ سنة . اما مضمونهـا فحكَمٌ تهذيبيّة وتعاليم ادبيّة وفي اثنائهـا اشارة الى ناظر خزانة الكتب في مصر وذلك ما يدلُّ على انتشار فنّ الكتابة في ارض الفراعنة

اثر تاريخيّ عن المسيح — طبع يوسف افندي كرمي من الزقازيق في مطبعة جالتي بالاسكندريّة ورقة صفيقة حلّاها بالنقوش والذهب وضمَّنها اثرًا غاية في الحسن والاعتبار لولا انهُ كاذب . والاثر المذكور كما زعم المتولّي لطبعـهِ رسالة من « يوليوس التيوس والي اليهوديّة الى المحفل الروماني » يخبرهُ عن ظهور المسيح ومعجزاتهِ في اورشليم . وليس هذا الاثر المزعوم سوى الرسالة التي بحثنا عنها في المشرق (٩ : ٤٣٩ —٤٤٣) وبيّنا كل ما اودعت من الخرافات . وهـذه النسخة الجديدة زادت على التي زيّفناها اغلاطاً عديدة يطول بيانها اخصّها انّها تنسب الرسالة الى رجل مجهول تدعوهُ يوليوس التيوس وتلقّبهُ بوالي اليهوديّة . فلا ينخدع البسطاء بهذه الكتابات المزوّرة

اسئلة واجوبة

س سأل جناب الدكتور اسكندر افندي الحجّار عن لفظة « مهوب » أهي قياسيّة او شاذة او مغلوطـة في بعض تراجم المزامير حيث ورد : « انّ الله مَهُوب جدًّا في مؤامرة القديسين ومخوف عند جميع الذين حولهُ » فبقي صاحب جريدة الوفاء متحيّرًا في جوابهِ وألقى السؤال على من يمكنهُ الجواب

مَهِيب ام مَهُوب

ج ليست لفظة « مهوب » لا شذوذًا ولا غلطاً وانّما هي قياسيّـة لانَّ اصل « هاب » يائي وواويّ معاً وان غلب اليائي على الواويّ وقلَّ استعمال هـذا حتّى كاد يُعدُّ مماتًا او لغةً . وانّما بقي منهُ اسم مفعولـهِ الدالّ على اصله . ولذلك ترى اصحاب المعاجم يذكرون « هاب » في مادة ه و ب كما يذكرونها في ه ي ب

س وسأل حضرة القسّ انطون الرشاوي: ما هي الغفرانات الممنوحة لمن يحضر الذبيحة الالهيّة أصحيح ما ورد في بعض الكتب انّ الذي يحضرها يربح غفرانًا ٣٨٠٠ سنة ؟

حضور الذبيحة المقدّسة والغفارين الممنوحة على ذلك

ج نقل فرّاري في مكتبتهِ (Prompta Bibliotheca) انّ الذي يحضر الذبيحة القدسة يمكنهُ ان يربح غفرانًا يبلغ ٣٠,٨٠٠ سنة (ليس فقط ٣٨٠٠) الّا ان هذا قول جزاف لا صحّة لهُ والدليل على ذلك ان المجمع المقدّس لم يروهِ في كتاب الغفارين المطبوع في رومية برخصتهِ لا بل أجاب على من سألهُ عن صحّتهِ ان هذه الغفارين غير ثابتة. والكنيسة حتّى الآن لم تمنح غفرانًا على مجرَّد حضور القدّاس الالهي لما تحتويهِ الذبيحة المقدّسة من النعم السابغة والكنوز الروحيّة التي لا تحتاج الى انعامات غيرها

س وسُئلنا عن الكتاب المطبوع في رومية المدعوّ كتاب الارشاد لسائر الملل والعباد من مؤلفهُ

كتاب الارشاد

ج هذا الكتاب أَلّفهُ الكردينال بلوكا (Beluca) المتوفى سنة ١٧٤٥ وعرَّبهُ القس تاوفيلوس فارس الحلبي من الرهبان الشويريين. وطبعه الكردينال برومية على نفقته ليوزَّع مجانًا على الشرقيين. ولم يرد ان يُذكر اسمهُ فيهِ اصلًا فلهذا من يقرأ هذا الكتاب لا يعرف من أَلّفهُ ولا من طبعهُ ولا من عرَّبهُ ولا في اي سنة طُبع

س وسأل من عين تراز حضرة الخرطوفيلاكوس الانطاكي الخوري يوسف ابراهيم هنا عن صحة تعريب آية القديس بولس الى اهل رومية (٦ : ١٢) كما وردت في نسختنا: «إذَنْ لا تملك الخطيئة في اجسادكم المائتة حتَّى تطيعوا شهواتهِ» فسأل حضرتهُ أليس الصواب «جسدكم المائت»

تعريب آية بولس الى الرومانيين (٦ : ١٢)

ج نعم انّ الصواب وضع المفرد بدلًا من الجمع والدليل عليهِ ضمير المفرد في «شهواتهِ» العائد الى الجسد. وهكذا جاءت رواية النسخ القديمة كلها فالاصل اليوناني يروي (ἐν τῷ θνητῷ ὑμῶν σώματι) والترجمة السريانيّة (ܒܦܓܪܟܘܢ ܡܝܘܬܐ) واللاتينيّة (in corpore vestro mortali) فلا شكّ انّ ثمّت سهوًا فاسرعنا الى اصلاحهِ شاكرين الى حضرة الكاتب المستلفت انظارنا الى الخلل ل. ش

المشرق

أثر عربي نفيس

نشرهُ حضرة الاب انستاس الكرملي

توطئة

ممَّا افادنا نشر القانون الدستوريّ الاخير ما بشَّرت بهِ جرائد الاستانة من فتح خزائن الكتب الخطيَّة التي كانت مصونة في جوامع دار السعادة لا ينتفع من كنوزها الَّا بعض الافراد لصعوبة الوصول اليها. وهي امنيَّة طالما تاق اليها الادباء واخذت جمعية الاتّحاد والترقي في تحقيقها فعلًا. فيا ليت كل هذه المكاتب المتفرّقة تُجمع في دار واسعة وتُنظَّم على مثال الدور الكتبيَّة في الحواضر الاوربيَّة وتصطنع لها القوائم المضبوطة وتُقام لها العمَّال الامناء لخدمة طلبة العلم فتزيد بذلك اسواق الآداب رواجًا وترقى البلاد في معارج المدنية والتقدُّم

وممَّا توفَّق حضرة الاب انستاس الكرملي الى اكتشافهِ في سياحتهِ الاخيرة الى حاضرة السلطنة في اواخر تشرين الاوَّل من السنة الجارية كتاب نفيس في الزهد هذا عنوانهُ: «كتاب العروج في درج الكمال والخروج من درك الضلال. لقطب أئمة اليقين وحجَّة محجَّة المؤمنين وعمدة الدين المكين وسيّد ائمَّة المتقدّمين والمتأخرين وسند المتنسكّين والمتزهدين الوَرِع التقي الناجي الأَلسن في الدنيا والدين ابي الخير فهر بن جابر المشكال بن عائذ بن جاهل بن فاتك بن عدي بن عمار الطائي رحمهُ الله وجعل الجنّة مأواه واجزل ثوابهُ مولاه»

امَّا مؤلف الكتاب فقد بحثنا عنهُ في ما لدينا من التواريخ المطبوعة والمخطوطة فلم نجد لهُ ذكرًا الَّا انهُ يستفاد من حاشية للناسخ في آخر الكتاب انهُ «ولد في السنة الاولى من المنتصف الثاني من المائة الثانية من هجرة النبي صلعم في ارض الشراة» وانهُ «دخل بلادًا كثيرة من ديار الشام ولاسيَّما غزَّة ولُدّ وعكَّا وحيفا وجبل الكرمل والقدس الشريف والاردن وما جاورهُ» وانهُ اجتمع بالنصارى ورهبانهم «وكان يُحسن اللغة الروميَّة حتى انهُ كان يتكلَّم بها كانهُ واحد من ابنائها وكان ايضًا قد تعلَّم شيئًا من اللغة الجرمقانيَّة . . . وكان جدُّهُ عائذ نصرانيًّا ثم اسلم تقرُّبًا من الامويين. ولمَّا دخل في السنة الخمسين من عمرهِ اعتزل الناس في جوار دمشق الفيحاء وبعد ان كتب هذا السفر الجليل بيدهِ الكريمة اهداهُ الى الجامع الاموي تبرُّكًا

وتفاوؤلا وتوفّاه ُ الله في خلوتهِ في السنة الاخيرة من الربع الاوّل من المائة الثالثة من الهجرة النبويّة وعمرهُ خمس وسبعون سنة »

واسم ناسخ الكتاب الذي اتانا بهذه الفوائد « عبد الله بن احمد بن محمَّد بن حامد بن جواد ابن معطٍ النعماني » ذكر انهُ نسخ الكتاب في السنة العاشرة لوفاة المؤلف

والكتاب عبارة عن ٢٥٠ صفحة في كل صفحة ٢٣ سطرًا دقيقًا . ل . ش

وهذه فاتحة الكتاب

بسم الله الرحمن الرحيم

وهو وحدهُ الهادي الحكيم العليم

(١) الحمد لله الذي جعل الحقّ عَلَماً يهتدي بهِ كلُّ سالك ساهر . من هادٍ ومهديٍّ ومستَهدٍ . واقام الزهد غرضًا يؤمُّهُ كل ناجٍ حاضر . بل كل بادٍ ومُتَبَدّ ومستَبدٍ . الذي يهدي بنورهِ من يشاء . ويُضلّ من يشاء . وما يهدي ربُّك الّا بذلك النور الذي لا يعرف شروقاً ولا غروباً ولا صباحاً ولا عِشاء . فسبحانهُ من إلهٍ ينجّي المؤمنين بما ينفثهُ في بواطن الصدور . ويهلك الضالّين بما يمسكهُ عليهم من فيض حوض آلائهِ الشكور . نحمدهُ حمدًا لا يعرف الملل . ولا ينالهُ الكلل . على ما آتى نبيَّنا صلعم من المنّ العظيم . والفضل العميم . اذ جعلهُ خاتم الانبياء . واتمّ الاولياء . وانطقهُ بالكلم الجوامع اللوامع . والحجج الصواقع القوامع

ويلي هذه الفاتحة كلام جميل للمؤلف يذكر فيهِ ما صار اليهِ اهل عصرهِ من الآراء والبدع والتفرّق والتمزّق فبحث لما اعتلّ من الاجسام عمّا يشفي ما جا من الادواء والاسقام فوجد ان تلك العلل

« ترجع في المآب . الى حبّ الدنيا وما يتلألأ فيها من الآل والسراب . والطمع في جمع حطامها . بل عظامها ورغامها . والتفاخر بما فيها من الجواذب الكواذب . والخوادع القوادع . وبيّنت ان احسن دواء . لهذا الداء العياء . ان يُحاربَ العدوُّ بعدوّهِ . محاربةَ عشاء النهار لغُدُوّهِ . وان هذا الدواء هو الزهد في الدنيا . واعتبار كل ما فيها في دركات الوجود الدنيا . فيكون في احتقارهِ الفوز والحياة والنجاة . وفي اعتبارهِ

العوز والممات والمهواة . ولهذا سمَّيت كتابي كتاب العروج في درج الكمال . والخروج من دركِ الضلال . واظن ان الاسم يطابق المسمّى . ومن يطلع على كتابي باسرهِ لا يرى الّا الحقّ ولا يعثر فيهِ على شيءٍ من المعنّى

« وهذا الزهد واجب الإدخال . في مثل هذه الاحوال . وبدونهِ لا يتمّ شيّ . بل يزداد الغيّ . كيف لا وقد وقع مثل هذا الواقع الجليل . في عهد قوم اسرئيل . ومثلهُ في اوَّل الايام . من عهد عيسى عليهِ السلام . فأُصلح هذا الفتق . او هذا الشق . بهذا الرَّتق . او على هذا الوجه من الحقّ »

الى ان قال في خاتمة مقدَّمتهِ :

كتبتُ هذا السِفر وقسمتهُ الى ستّ قلاع . وبَنَيتُ في كل قلعةٍ اربعة أبراجٍ مناع . وبَيَّنتُ ما تحصَّن في كل قلعـةٍ من الضلال . وما يجب ان يُدَّخر في كلّ بُرجٍ من ابراجهِ ابراج القتـال . لنسف ما جاورهُ من تلك المصانع بل تلك الجبال . القائمة كلها على جرف الفناء والزوال . ثم ختمتُ كل هذه الابواب . بذيلٍ هو خاتمة الكتاب . بل لُبّ اللُباب . وذكرتُ فيهِ تاريخ الزُهد في سابق الاحقاب . تأييدًا لما اوردتُهُ في تلافيف تأليفي . واثباتًا لِما سردتهُ في تضاعيف تصنيفي . وكلـهُ طبقًا لِما شاهدتهُ مشاهدة عيـان . او سمعتهُ سماع الآذان . او اكتسبتُهُ اكتسابًا من بعض الرهبـان . او تلقيتهُ تلقّيًا عن اهل التُقى والايمان . وكفى لي بهذا البيان شاهـدًا على ما في النيَّة والجنان . فاقول وما اتكالي الّا عليهِ وهو الرحيم الرحمان . . .

وهذا هو الذيل الذي اشار اليهِ المؤلف في كتابهِ وهو جدير بأن يُرقَم كلهُ باحرف ذهبيَّة

ذيل الكتاب . وهو خلاصة جميـع الأَبواب

(الصفحة 239) الموسوم بلُبّ اللباب

ان الزهد في الدنيا قديم العهـد بين الناس وهو ينشأُ في كل آدمي عاقلٍ حكيمٍ بصيرٍ بموارد الامور ومصادرها ومصايرها . لان الحكيم المتوقد الفؤاد اذا ما اعتبر أَنَّ كل ما في هذا الكون زائل او على وشك الزوال لا يعود قلبـهُ يعلق بهِ اذ لا بُدَّ لهُ من مفارقتهِ اياهُ فيبدأ من ذاك الحين ان يُخرج من قلبـهِ ما لا بُدَّ ان يخرج منهُ يومًا

عفوًا بدون اجرٍ او ثوابٍ. فيكسب بهذه المنقبة اعظم الفضل يوم الحساب. هذا اصل الزهد على ما اراهُ وهو اقرب الى الصواب

(240) واني لأتصور ان اوّل من زهد في الدنيا هابيـل القتيل. ثم ادريس النبي الجليل. ثم جاءت بعدهما طوائف لا تحصى من كل قبيل. فيهم الصلحاء والعبَّاد. والنسَّاك والزهَّاد. في جميع بلاد الله من سهل ووادٍ وجبل. وفي جميع الاديان والفِرَق والملل. الَّا ان الذي شاع ذكرهُ في الآفاق. وذاع امرهُ بين اهل الوفاق والشقاق. هو اوَّل الأبدال. ومن يأتي من بعـدهِ على تتالي الاجيال. محتذيًا ذلك المثال. نبي الله العظيم. الخضر الياس الحيّ عليهِ الصلاة والسلام. والناس تلفظ اسمهُ كانهُ معرَّف بأل وتنبر الف القلب وتتوَّهم ان الموت اقرَّ لهُ باليأس من اخذ روحهِ فسُمّي «اليأس». ومنهم من يدعي ان «الياس» مقلوب «الآس» وهو نبـات لا يزال غضَّ الخضرة وسُمّي هذا النبي صلعم باسمهِ لاخضرار عودِ حياتهِ. واعتـدال طول قناتهِ. بدون ان يفعل عليهِ البلى ادنى فعل. ومن العلماء الائمة من يذهب الى ان اللفظة عابريَّة الاصل لا يُعرف معناها على التحقيق (١. والله اعلم بالصواب

هـذا وكان الخضرُ اول من ذكرهُ التنزيل العزيز انهُ اعتزل الخلق واختلى. فصام وصلَّى. وطوى ايامهُ قانتًا يعبـد ربَّهُ ومولاهُ. موحّدًا اياهُ. لا يعرف آخر سواهُ. فلمَّا اشتهر امرهُ بين سكَّان تلك الديار. اقبـل اليهِ جماعة من قوم اسرئيل يتتلمذون لهُ ويتلقَّونَ عنهُ اصول الاعتكاف والاعتزال. واقامـة شعائر الدين المبين. حتى اصبح عددهم عديدًا. وامرهم مذكورًا. ولما ارتفع الخضر الى اعلى العنـان الى حيث لا يُدرى قام خلفًا لهُ البديل الثاني وهو اليسَع(٢. ولامُهُ ليست بلام العهدة على الارجح لا بل على الاصحّ. وانَّما هي اصليَّة عابرية غير عابرة ولا غابرة. بخلاف ما ذهب اليهِ العوام (241) من هذه اللام. اذ يعتبرونها زائدة زائلة وان اصل الاسم هو «يَسَع» ولما كان هذانِ النبيَّانِ من اعظم الانبياء ومقدَّمي الأبدال الاجلَّاء نُحت لهما تمثالانِ من الحجارة ووُضعا في بيت الله وَضَعَهما لهما رهبان النصارى قبل الاسلام بكثير(٣. والذين اقاموهما

١) اللفظة مركَّبة من كلمتين عبرانيَّتين معناهما الله هو الله

٢) كذا يدعو العرب النبي اليشاع

٣) راجع ما كتبهُ الازرقيّ في تاريخهِ اخبار مكَّة (ص ١١٠) عن وجود صور الانبياء والملائكة في الكعبة قبل الاسلام

لهما كانوا من محبي الخضر وثنيانهِ اليسع وكانوا قد انتشروا في السابق في جزيرة العرب من جهة طور سينا والشراة الى مكّة شرفها الله

وما زال هؤلاء العبــاد مشهورين في بني اسرئيل متعاقبين متتالين حتى اتّصلوا بنا لعهدنا هذا او نحن اتّصلنا بهم وهم اليوم على دين عيسى بن مريم عليهما الصلاة والسلام . والخلف ينقل عن السلف كل ما كان من جوهر الدين ونشوء هــذا الصراط الصراط المبين . والأبدال لا ينقطع وجودهم البتــة من الارض لاحتياج اهلها اليهم وان كان اهلها يجهلون هذا الامر وذلك بتدبير منهُ تعالى وبتقدير حكمتهِ الواسعة على حدِّ احتياج الارض للماء او الارض لنور السماء

ولمّا كنتُ قد اختلفت الى اولئك الاقوام الصالحين المتألّهين . مدّة عدّة سنين . وتفقدت ما في تلك الديار . من عجيب الآثار . وسمعتُ اشياء تفيد القارئ ولو كان من شرّ الاشرار . اذ توقفهُ على امور جمّة هي بمنزلة اغرب الأسرار . احببتُ ان اورد هنا ما سمعتهُ منهم بلسانهم الرومي . وهو لسان العالم منهم والامي . وقد وُفّقت الى تلقّفهِ بسرعةٍ لسهولتهِ وعذوبتهِ وسلاسة الفاظهِ . ومنهم من يُحسن اللغــة الجرمقانية . وهي اللغة المعروفة ايضاً باسم السوريانيــة . وهي من اول لغات الخلق (242) والبعض يسمونها اللغة الأَرْمَانيَّة

واذ قد افصحتُ عن مورد علمي . ومصدر فهمي اقول : روى لي احدهم قال : ان اصلنا يرتقي صُعُدًا الى الخضر عليهِ السلام وان اصل اقامتنا هو الموطن الذي اقام فيه مدّة طويلة امامنا الاعظم . نبيّنا صلعم . المذكور بألسنة جميع الامم . يعني على جبل الكرمل في كهفٍ هناك يُزار . ومن تلك المغارة او من ذلك الجبــل انتشرنا انتشار الجراد . في كل صقع ووادٍ . وفي كل ربع ونادٍ . وذلك اننا لما كثرنا ظعن بعض اجدادنا الاقدمين . متخيّرين الامكنة المجاورة للمياه العَذْبة او لميــاه المعين . لاحتياجهم اليها في كل حين . ولذا ترانا مبثوثين بين العباد . بث الجراد . في جميع هذه البلاد . طولًا وعرضاً شرقًا وغربًا في كل سهل وجبل ووادٍ . ومن المواطن العزيزة علينا . والمكرّمة بيننا . موطن لم يغادرهُ اصحابنا البتة وهي مُوَيْهةٌ تعرف بعين الخضر تبضُّ الماء بضًّا واقعة في غربي الجبل الميمون والبعض يسمونها « عين الياس »

وقد شاهدت بنفسي مشاهدة عيان صوامع وعرازيل وكهوفًا على الجبــل ونواحيهِ

بل وفي جميع الديار المجاورة لهُ يسكنها كلها اقوام قُوَّام وصلحاء صُوَّام يشهد لهم بالقُربات والطاعات غير ان طائفة من هذه المساكن قد اخربها اعداؤُهم وقوَّضوها وهم نصارى ايضاً . بيد انهم يرجعون الى فرقةٍ تناوئهم في كل امرٍ وكأني سمعتهم(١ يسمونهم الارارسة او الاريبة او الاريسية او اسماً آخر يكاد يكون احد هذه الاسماء . والجانب الآخر دمَّرهُ بعض جهلاء العرب او غزاة (243) اهل البادية من اهل العيث والعبث . الّا ان كثيرًا منها لا يزال قائماً عامرًا آهلًا بالزُهَّاد والعُبَّاد . وهم اناس من افقر خلق الله لا يملكون شيئاً سوى ما عليهم من الثياب الأَسمال الرثة . ودأبهم ذكر الله عزَّ وجلَّ . طاوين ايامهم في الصوم والخوى مواصلين الصلاة بالصلاة آناء الليل واطراف النهار . قوم هُجَّد لا يهجعون يتناوبون تسبيح رب الكون وسيماؤُهم على وجوههم يستشعرون المسوح بأَلوانها الاصلية ولا يصبغونها بشيء من الاصباغ الصناعية . واغلب ما يتخذون تلك المسوح من شعر المعز او من وبر الابل على هيئة دُرَّاعةٍ . ويقوم من تلك الدراعة قبعٌ يغطون بهِ رؤُوسهم في اوقات الصلاة وآناء الدعاء . وللدراعة ايدٍ واسعة فضفاضة تشبه فم القربة او فم الراوية . ويشدُّون على اوساطهم مناطق يقطعونها من جلود الدواب . وفي ايام الشتاء وايام المناسك والمشاعر التي يقيمونها جماعاتٍ جماعاتٍ وزرافات زرافات وذلك بموجب السنن القديمة التي تلقُّوها عمَّن تقدَّم منهم من آبائهم وشيوخهم يتدثَّرون برداء يتخذونهُ اما من جلد المعز والغنم بشعرهِ واما من صوف خشن يشبه كل الشبه برودنا اليمانية . ولهم يوم يجتمعون فيهِ من كل حدب وصوب وصبب بمنزلة يوم العيد عندهم او يوم الحجّ الاعظم فيأتون مغارة مجاورة لصهوة الجبل الميمون وهناك يسجدون ويُصلُّون ويُدَمْدِمون . وقد سمعتُ من يقول ان الخضر كان قد اختلى سابقًا في هذه المغارة واختفى فيها ايام شدَّد عليهِ آحاب وعزابل (٢ من اهل الجور والعيث والفساد

(244) واما طعامهم فهم لا يأكلون شيئاً من ذوات الحياة يعني انهم لا يأكلون لحم حيوان او طائر او سمكة او دابَّة برّيَّة كانت او بحرّيَّة ما خلا الجراد اذا وقع في ايديهم . وانما اكلهم ما تُخرجهُ الارض التي يحرثونها من الحشائش والانبتة

١) يريد اهل البدع والمرطقات
٢) يريد ايزابل امرأة آحاب

واحرار البقول واثمار الاشجار وخبز الشعير وربما اكلوا خبز البُرّ ايضاً . وهم لا يتزوجون بل يجرون مجرى الخضر الياس واليسع خليفتهِ ويوحنا الحصور عليهم الصلاة والسلام ويمشون بمشاهم . وفيهم طائفة لهم نساء الّا انهم لا يقربونهنّ اذ يعتزلونهنّ عند تنسكهم وهم في الاغلب حفاة صيفَ شتاء . ومنهم من ينتعل النعال . وكلهم لا يشربون مسكرًا بل الماء القراح الجاري . ومنهم من لا يذوق لُماظة ولا ينغبون نغبة الّا مرّة واحدة في اليوم . وربّما فعلوا ذلك كل يومين او كل ثلاثة ايام . وكل منهم يجري في امر الصلاة والصوم واليقظة والنوم والاكل والشراب الى ما ضارع هذه الابواب على طريقة توافق عمرهُ وبنيتهُ ومزاجهُ ورغبتهُ في الامعان في الزهد الاقصى على ما يقضي بهِ احد زعمائهم الشيوخ المحنّكين . ولم أرَ جماعة منهم تجري كلها على طريقةٍ واحدة او نسقٍ واحد

وهم يُرسلون جُمَمهم ارسالًا . بل يعفونها اعفاء . واذا فاضت وفرتهم جزّوها جزًا او أحفوها احفاء او عقصوها عقصاً من ورائهم كلٌّ على ما يُحبّ وتشتهيهِ نفسهُ ويشير عليهِ دليلهُ . ولم ارَ فيهم احدًا قد مرّ عليهِ الموسى او غير المقصّين . وقد سمعت ممّن يساكنهم ويتردّد اليهم انهم كانوا في الاصل جماعاتٍ وطوائف مختلفة تجمعوا من صَفوَة كل فرقةٍ صالحةٍ من فِرَق قوم اسرئيل الناجية . وذلك ان اليهود لعنهم الله تعالى واخزاهم لمّا (245) اخذوا يبتعدون عنهُ عزّ وجلّ في عهد الخضر عليهِ السلام رأى فريق منهم ان يعتزلوا عوامّهم الذين ضلّوا سواء السبيل هائمين على وجوههم في كل وادٍ فقاموا بائنين عنهم متأثرين النبي العظيم صلى الله عليهِ وسلّم مصلين صائمين معتكفين متعبّدين متنسكين متألهين مقيمين مناسك الدين المبين يعني الدين الحنيف دين ابرهيم الخليل صلعم . ذلك الدين الذي لم يبقَ على سننهِ في ذلك العهد الّا الخضر عليهِ السلام وبعض من اتّبع الحقّ والهدى ولم يحدْ عن سواء السبيل فورد موارد الرّدى

ثم لمّا تمادى بهم الزمان وتعاقب عليهم اللّوان اختلف بعضهم عن بعضٍ في كيفية تأدية شعائر الدين فانقسموا طوائف . ثم تناقص عدد اصحاب بعض هذه الفرَق والشعَب تناقصاً اضعفهم شيئاً بعد شيء حتى الجأهم الى ان عادوا فتآخوا وتضامّوا ما بينهم وقد بقي مع ذلك يختلف بعضهم عن بعض في امور عارضة عرضية ليست ذات

شانٍ في امر جوهر الدين · ومن غريب امرهم انهم كلهم يزعمون ان الخضر عليه السلام رأسهم وامامهم وسيّدهم وزعيمهم · ولهذا كانوا يُسمون انفسهم في بدء امرهم « بني الخضر » كما تقول نحن « بني طيّء وبني تَغلِب وبني يَشكُر »

ثم انضمَّ اليهم بعد ردحٍ من الدهر قوم آخرون أصحاب فضل ظاهر بين ظهرانَيْ قومهم اسمهم « الرِحابيُّون او الرُحّاب او الرُحبان » فصُحِفت الكلمة بصورة « رهّاب ورهبان »(١ · وهؤلاء كانوا يقيمون في ضواحي القرى (246) وبعض الجبال وقُللها · فزال عن الاوَّلين اسم « بني الخضر » لان شهرة هؤلاء ابتلعت شهرة اولئك فعرفوا كلهم بالاسم الثاني لاشتهار أمر الآخرين بفضلهم وفضيلتهم بين الناس اجمعين

ثم ظهر في مُدُن بني اسرئيل قوم آخرون يُعرفون « بالأساةِ او الأَسَّانيَّة » ولعلهم سُمُّوا بهذا الاسم لان بعض المرضى والزمنى كانت تختلف اليهم فيصلّون على رؤوسهم او يقرأون عليهم بعض سُور التورية وآياتها فيزول عنهم الداء باذنهِ تعالى · وذكر لي بعض العارفين باحوالهم ممَّن اثق بروايتهِ انَّهم يُسمَّون في بعض ديار بني اسرئيل باسم « الحسيدة » يعني الطائفة المحسودة لان كثيرين من الناس يحسدونهم على طريقتهم هذه النسكية ولا يجودون بانفسهم لتأثرهم

ومن الفِرق المنضمَّة الى ما تقدَّم ذكرهُ « طائفة المغتسلة او المستحمّة » وهم اقوام يقيمون على الانهار والمياه الجارية يكثرون من الاستحمام والاغتسال يقيناً منهم ان الوضوء للاعضاء الخارجة يدفع الى المحافظة على النظافة الباطنة وهي لها بمنزلة الاشارة او الذِكرى

وهذه الفرق المختلفة لمَّا تضامَت وتناصرت اتَّحدت فاصبحت فرقةً واحدةً عظيمة النفوذ في آل اسرئيل بل هائلتهُ وكانت تكره كل الكراهية بل تناصب كل المناصبة فرقتين اخريين وهما فرقة واحدة من جهة محاربتهما اضرّتهما اسم احداها « الفرقة الصدوقة » واسم الثانية « الفرقة الكذوبة » وهي الفرقة التي يسمّي اصحابُها انفسهم « الفرقة الفريزة » يعني المُفرَزة كانهم قد افرزوا انفسهم عن سائر الناس وسوادهم واعتزلوهم كِبرًا منهم وخيلاء · ولهذا وقعت منافرة بين هاتين الطائفتين

١) يشتقُّ اللغويّون اسم الرهبان من الرهبة اي خوف الله ولعلَّ هذا الاشتقاق اصحّ واصدق

المتعاديتين بين الجماعة القيّمة وهي الطائفة الاولى القويّة الناجية (247) وبين الجماعة الحائدة الضالّة الهالكة وهي الطائفة الثانية فظعن كثير من اصحاب الحقّ المبين الى الديار المصريّة تخلّصاً من اعدائهم وحبًا بالمحافظة على اصول دينهم فنشروا ثمّ آراءهم وفلسفتهم الدينية فتبعهم قومٌ لا يُحصى عددهم من اليهود وغير اليهود. ولمّا نقل الحواريّون النصرانيّة اليها كان هؤلاء الناس من اوّل الذين دانوا بها. لان هذا الدين كان موافقًا لآرائهم ومنشطًا لها. ولهذا كان اول ظهور الزُهد والنسك في النصرانية في تلك الرُبوع ثم انتشر منها الى سائر الاقطار النصرانيّة مبتدئاً في عودتهِ بديار الشام على ايدي هؤلاء المتألهين الزُهَّاد المصريين محلًّا وموطنًا. والروم لغةً وامةً. واليهود اصلًا ومنشأً. كل ذلك من باب الاغلبية والّا فكان فيهم غير اليهود. وعلى هذا الوجه اصلح الزُهد ما افسدهُ حبُّ الدنيا ولهوها. اذ كلما ادخل الحرصُ على الدنيا شيئًا من الشقاق والشرّ والفساد طردهُ التُقى وجاء بالوفاق والبرّ والرشاد. حتى انهُ لم ينقطع الصلاح والخير من آل اسرئيل ابدًا. ومن ثمّ لم يهمل الله عزّ وجلّ امّتهُ المصطفاة من بين جميع الامم بل وقاها من شرك الشِرْك وضرّهِ مع انها كانت في اجل موضع من مواضعهِ

الى ان جاء عيسى عم فدفع القلوب الى اتمّ الزُهد وأكملهِ وحبَّبهُ الى الجميع لانهُ ما كان يرى في هذا الامر صعوبةً او وعورةً اذ انهُ قد اعتاد مشاهدة النسّاك على جبل الكرمل وفي جوار الاردن حينما كان يختلف اليهم في صُبوّتهِ مع امّهِ مريم عم فكان يجدهم على جانب عظيم من الفرح والبشاشة مع ما كانوا عليهِ من شظف العيش وخشونتهِ وقلة عددهم بعد مهاجرة اخوانهم ولم يرَ مثل هذا السرور في فرقتي الصدوقة والكذوبة. فاذا علمت هذا ثبت لك ان النصرانية كانت يومئذٍ من اجل الاديان اذ دعت الجميع الى الزهد في الدنيا واحتقار ما فيها من الطيّبات الزائلات والسعي وراء الطيّبات الباقيات الخالدات . ولهذا انشأت في قلوب اصحابها قوّةً قذفتهم (248) الى أبعدِ مَرْمى من الفضيلة فقام فيهم عددٌ لا يُحصى من اعظم الرهبان والنسّاك والمتألهين الذين يعيش بينهم الأبدال المقرّبون من ذي العزّ والجلال فلولا ما فيها من هؤلاء العُباد لحلّ في دين عيسى عم شرُّ الفساد

لا جرم انَّ الفِرَق والبدَع ظهرت فيهِ لكنّها لم تضرّهُ ولم تؤذهِ بل قوّةً زادتهُ

واولته عظمةً وأمدَّته منفعةً وخولته رهبـةً وأيَّدته فشوًّا وانتشارًا. لاسيما لانَّ من هؤلاء النسَّاك من كانوا يبذلون كل ما في وسعهم للمحافظـة على اصول دينهم ولم يضنوا باجود ما عندهم وانفسهِ. ولم يظنُّوا ان في الكون امرًا يُضاهي اجرًا مثل عضد الدين وبثهِ في العالمين . ومن ثم فانهم لم ينظروا ابدًا الى حُطام الدنيا وزُخْرُفهـا ولهوها. . . . حفظنا الله ووفقنا الى السداد . في البدء والمعـاد. اللهمَّ امين. يا ارحم الراحمين. ومجيب ادعية عبيدهِ المسترحمين

الطبّ في الحبشة

للصيدلي القانوني عبد الله افندي ميخائيل رعد

١ً نظر عامّ

شأن الاحباش في صناعة الطب شأن كل البلاد الاوليـة التي لم تدخل بعد في مجرى تمدن بقيَّة الامصار فيتعاطى هـذا الفنَّ رجال مشعوذون يلحق بهم المنجّمون والبصَّارون ومفتشو البخت وامثالهم اخصُّهم اهالي مدينة گوندَر وهم امهر الاطبَّاء في عِرف الاحباش. امَّا سكَّان مملكة الشوا فاطباؤُهم الگالا . وقـد ائتلف هؤلاء المشعوذون مداواة بعض الامراض الشائعة في هذه الانحاء كالزهري مثلًا حتى اضحى بعضهم خبيرين بالداء يعرفون مجرى هذه العاهة بكل دقَّة. امَّا كيفية تطبيبهم فليست من الغرابة بشيء. فلا نجدهم لاحظوا ملاحظـةً ام استعملوا علاجًا خفي سرّه على غيرهم فالعرب في زمن الجاهلية كانوا ارقى في الطبابة من الاحباش في يومنا وهم اليوم يستعلمون نظير العرب الدلك والحجامات والفصادة وقد زادوا في هذه السنين الاخيرة شيئًا اخذوه عن الافرنج وهو استعمال الزئبق ويودور البوتاسيوم . والحبشي وان طبيبًا يجهل معرفة تركيب جسد الانسان فان تشريح الجثث ممنوع في الحبشة كانهُ بدعة في الدين ولذلك هم يفترضون وجود بعض الاعضـاء او الشريانات في الانسان بالمشابهة مع ما ماثلها في جسد الحيوان لوجه الشبه الناتج من وظيفتها فيهِ

٢ً تقسيم الامراض

يقسم الاطباء الاحباش ما يعرفونهُ من الامراض الشائعــة عندهم الى اقسام وقد تخطَّوا في هذا التقسيم الى ان جعلوا اسماء مختلفــة لمرض واحد تختلف اشارتهُ بحسب اختلاف طوره كالزهري فانهم يدعونهُ «كيطّين» في ابتداء العلّة واذا ازمن وظهرت لهُ اعراض اخرى ثانوية سمَّوه «وردي». كذلك الحمى فاسمهــا «متش» اذا تسببت عن ضربة و«وَبا» وهي الملارية و«تقوسات» وهي الناتجــة عن عسر هضم او تكوّن صديد في قرحة او خُراجة او ما شاكل ذلك. اماَّ الامراض الاكثر شيوعاً في بلاد الحبش فهي الجلدية ويقسمها اطبَّاء الحبش الى قسمين فيجعلون الحمراء والجدري والجرب في القسم الاول. والجذام والبرص والزهري في الثــاني. وما خفي عنهم كنهه نسبوه الى العين والارواح كفقد الذاكرة في الحمى والهذيان وكبعض الامراض التي يحصل منها رعدة في الجسم او اندفاع دم من الحلق او تشنج في الاعصاب او نحو ذلك. وقد يُكرهون مثل هؤلاء المرضى على تجرع كمية جسيمة من الماء نحو اربعة او خمسة ليترات في ساعة واحدة فيضيعون بذلك مفاعيل الامانة بالماء المقدَّس ويقضي بذلك المدنف نحبه لغزارة ما اودع في امعائه من كمية السائل

واكثر ما يفشو اليوم بين الاحباش وما يُعدّ ضربةً على هذه البلاد منهما عاهتان كبيرتان: الزهري والبرص او الجذام وهما المرضان اللذان لم يدعا بيتاً الّا ودخلاهُ ولا عائلة الّا وابتلياها وهما الداءان اللذان ضُرب بهما الملك والمملوك والسادة والعبيد

٣ً مرض الزهري

اذا قلت ان نصف اهل هذه البلاد قد غلب عليهــا داء الزهري قد لا اكون بلغت النسبة الحقيقية بتمامها. ومما يؤسف لهُ ان هذا الداء بامتداد متواصل في كل يوم وما ذلك الّا لكون الحكومة جاهلة لا تتَّخذ احتياطاً لتمنع سريان الداء كما وان الاهلين لا يكادون يعيرونهُ بالًا فيفتك بهم فتكاً ذريعاً ويصيب فتيانهم منذ حداثة سنهم . وقد رأيت بعض الاحباش يشربون محلول يودور البوتاسيوم اياماً معلومــة في كل شهر على مدى حياتهم احتياطاً دون ان يظهر عليهم لوائح المرض

وقد اعتاد هؤلاء القوم ان لا يفرقوا بين مرض وآخر من امراض الاعضاء الجنسيَّة فجميعها عندهم انواع من الزهري اللهمَّ الّا البلانوراجيا (تعقب المجرى البولي)

واذا سئل علماؤهم — ان صحَّ ان ندعوهم علماء لانَّ العالم عندهم من أحسن القراءة وكتابة الرسائل — كيف كان اصل هذا المرض في الحبشة . اجابوك كلهم انهُ مرض منقول اذ لا ذكر لهُ في الكتب القديمة . فيدعي بعضهم انهُ جاءهم في الاصل من مصر عن طريق النيل . ويقول الآخرون بل اصلهُ من الافرنج . وقوم يقولون ان العرب النخاسين والتجار اتوهم في الاصل بهذه العدوى والله اعلم . على ان السببين الاولين قد يمكن ان يثبتا معاً . امَّا الثالث فيصعب تصديقه لان الجهات التي اختلف فيها العرب اكثر من اختلاطهم بالاحباش لم يظهر فيها هذا الداء الّا عقيب خضوعها للحبش وتكاثر الاحباش فيها كبلاد هرر وولّو وجمّا وغيرها من بلاد المسلمين

ثم ان المتطببين الوطنيين يؤكدون ان قوَّة العدوى بهذا الداء قد ضعفت كثيرًا عن الاول ويقولون انهُ في البدء لم يكن رجل يستطيع ان يمسَّ بصاق احد المبتلين الّا ويسري اليهِ الداء اما اليوم فيستطيع الانسان ان يأكل ويشرب مع المريض ولا خوف عليهِ . على ان هذا الكلام فيهِ نظر مليّ اذا اعتبرنا ان ولوج جراثيم الامراض لها طرق معلومة لا تستطيع السير بسواها . فنعدُّ قولهم جُزافًا ليس بعلميّ وكثيرًا ما يتهوَّرون في التهلكة لقلَّة فطنتهم يشهد على ذلك اشتداد الازمة المرضية عندهم في هاته الايام وايلادهم البنين المرضى بالوراثة وبعضهم باحوال واشباه غريبة يعرف كنهها الاطبَّاء .

٤ً مرض البرص

قد يزيد عدد من ابتُلي بالبرص عن المبتلين بالزهري وقد شوهدت آثار هذا المرض في الحبشة في كل آن ومكان . اينما حللت وحيثما توجهت ترى على الطرقات اناساً امتلأت وجوههم بالادران وسقطت اصابع ايديهم وارجلهم وتكوّن على اجسادهم لُمع بيضاء تظهر جليًا لسواد بشرتهم . هؤلاء هم البُرص لا يتَّقي احد من الاهلين مخالطتهم ولا يخشون العدوى ولا يأنفون من مرآهم حتى ولا يؤمنون بانتقال هذا الداء منهم الّا بالوراثة فيدخلونهم الى بيوتهم ويطعمونهم على موائدهم . وقد رأيتُ

منهم الكثيرين وسط اسوار القصر الامبراطوري يشاركون الجنود والضبّاط في الاكل على الموائد العموميَّة التي تمتدّ في الاعياد. واذا اراد سيّد حبشي ان يوزّع الصدقة جمع في بيته البُرص وغيرهم من البائسين فيطعمهم الخبز ويسقيهم الخمرة حتى يخرجوا من هنالك كلهم سكارى. واذا مرض احد هؤلاء الرؤساء دُعي الى بيتهِ البُرص والعميان فمكثوا في بيته يأكلون ويشربون ويسكرون الى ان يشفى المريض او يموت. واذا مات احدهم أُقيمت كذلك الموائد مدة اربعين يوماً ما دامت المناحات والمدعوون الى هذه الموائد هم البُرص والعميان الفقراء

وقد رأيت الكثيرين من ذوي هذه العاهة يطلبون الصدقة بين البيوت ومنهم من يغنّون الاناشيد. والاغرب ما شاهدتهُ في العاصمة اديس ابابا نفسها حيث كثير من البُرص يركبون الخيل المعقورة مع نسائهم واولادهم ويذهبون هكذا من محلّة الى محلة ينشدون الاناشيد ويتسوّلون خصوصاً ايام الاحاد والاعياد الكبيرة عند بزوغ الفجر

هذا وقد شرع آباء الرسالة الكاثوليكية في هرر منذ اكثر من ست سنين بتخفيف هذه المصيبة عن ذويها ففتحوا مستوصفاً جمعوا اليهِ نيفاً ومائة ابرص. لكن ضيق ذات يدهم لم يمكّنهم من فتح غيره في الأمكنة الاخرى وليس لهم من يساعدهم في صنيعهم هذا الخيري

وممّا سمعتهُ هنا حكاية شهيرة في الحبشة عن النجاشي تاودورس الذي اراد استئصال هذا الداء من بلاده. قيل انهُ انف يوماً مرأى البُرص اذ كثر عددهم عند قصره وحول مضاربه وعلى حافة طريقه حيثما تجوّل فقصد ان يمحو اثر هذا الداء. فامر ان تبنى محلات واسعة من الخشب والهشيم فبُنيت ثم اصدر امرًا يدعو فيه عموم البُرص في مملكته الى مائدة ذُبحت لهم فيها الابقار والاغنام فحضر اليها الالوف من ذوي هذه العاهة الموجودين في بلاد تكره حيث كانت قاعدة ذاك النجاشي واذ امتلأت هذه المحلات كلها وأكل المدعوُّون وشربوا وسكروا امر فأُوصدت عليهم الابواب وأُشعلت بهم البيوت . قيل انهُ قد هلك في ذاك اليوم ستة آلاف ابرص في تلك الوليمة وكان النجاشي ينظر الى المحرقة الهائلة بعين السرور قائلًا: « من اليوم لن يقال لي اني املك على شعب منتن »

لعمري انَّ هذه لحكاية غريبة بل جريمة شنيعة ! على ان من قرأ تاريخ حياة

ثاودورس ذاك النجاشي المتوحش لا يصعب عليه تصديق هذه الرواية التي تقشعر منها الابدان

٥ً الدودة الوحيدة

من علم ان الاحباش يغتذون باللحم النيئ وهو عندهم طعام وطني يأكلهُ كلّ يوم وفي كل وقعة من النهار كلّ من استطاع ذلك وسمحت لهُ ذات يده لا يتعجّب اذا قيل لهُ ان لا حبشي الّا ويضيف في امعائه الدودة الوحيدة على طول حياته . لهذا جرت عادة عموميَّة عند الاحباش فكل حبشي يتجرَّع الدواء الطارد مرَّةً في كل شهرين بلا انقطاع وهو يفضّل ان تأوي اليهِ الدودة الوحيدة بل تبلغ العشرات من ان ينتهي عن اكل اللحم النيئ . وانَّما العناية الالهية جعلت لهم الدواء بقرب الداء فيتخذون لذلك دواء يستخرجونهُ من شجرة يسمُّونهـا الكوسّو (Kousso) تنبت في بلادهم فلا يكلفهم الدواء ثمناً غالياً

وقد جعل بعض المثرين منهم يستبدلون الكوسو بحبوب خلاصـة السرخس الذكر او بالبلتارين (pelletérine) التي يأتيهم بهـا بعض التجار الافرنج الّا ان قلّة المال لا تسمح لكثيرين بابتياع هذه العقارات الغالية الثمن

٦ً الجراحة

يندهل الاحباش اذا ما رأوا عمليَّة جراحيَّة يجريها امامهم احد الجراحين الافرنج وهم لا يزالون يذكرون اعمال جمعية الصليب الاحمر الروسية وقد اتى جرَّاحوها بالمعجزات الجراحية امامهم عنـد ما جاءوا الى الحبشة عقيب حرب الاريتره . ويروون الى اليوم بكل اعجاب عملية فتح الجمجمـة صنعها امامهم منذ نيف وعشر سنوات الدكتور دي كوڤاليت احد اطبَّاء البحرية الفرنساوية الذي كان وقتئذٍ يصحب احدى البعثات العلمية في هذه الاقطار

غير ان المتطببين الوطنيين قلَّما عمدوا الى الجراحة وهم يُحيلون العمل في مسيس الحاجة الى المجبّرين والحجَّامين الذين تراهم في المدينة يدورون الاسواق حاملين عدّتهم واجهزتهم الجراحية ومُجملها قرنان صغيران لاجل الحجامة وبعض الابر الغليظة وقليل من

شمع العسل وسكين قاطع او اثنان . وهؤلاء المجبرون والحجّامون هم في الغالب قليلو الجسارة لان الحكومة لا ترحم الذين يقدمون منهم على عمليّات تؤدي الى سوء العقبى . على اني نظرت من عامة الناس وخصوصاً من الجنود قوماً يجبرون الكسر بمهارة ولباقة ويشدّونه بالرباطات ومنهم من يحاول اكثر من ذلك في اوقات الضرورة القصوى فلا تُعدم غيرتهم نتيجة النجاح

حكي عن النجاشي منليك انهُ قُدّم اليهِ يوماً عند عودته من حرب الاريتره رجل قد انتفخ بطنه لرصاصة كانت اصابته دون ان تقطع الامعاء وخرجت من الناحية الاخرى فتكوَّن الصديد في الغشاء الشحمي ولم يعد ينتظر غير الموت لينجو من آلامه . فلمّا راه الامبراطور على هذه الحالة اخذ قضيب بندقية كانت ملقاة امامه وانفذها في جرح الرجل حتى اخرجها من موضع خروج الرصاصة فنفذت للوقت كمية كبيرة من الصديد وبرئ الرجل . وهنا مجال للقول ان جلالته لهُ صيت طبيب ماهر في الحبشة وقد سمعتهُ يوماً يقول اذ كان يحضر فتح خراجةٍ لاحد خدامهِ الاخصاء في القصر انهُ كان هو طبيباً في عهد لم يكن بعد قد حضر الاطبّاء الافرنج الى هذه البلاد

وفيما خلا ذلك فان عموم الاحباش اذا جُرح احدهم خاطوا لهُ جراحهُ بكل ما امكنهم من السرعة . واذا وجدوا في محلّ تعذّر عليهم فيهِ وجود الابرة والخيط جمعوا الشوك من البرية وحموا بهِ الجرح حتى يتوصلوا الى ضمده وخياطته . واذا لم ينقطع نزيف الدم لطخوا عليهِ لبخةً مؤلفة من رماد التبغ واوراق بعض النباتات البرية ثم جعلوا فوق ذلك كمية من الطين اللزج وشدُّوا الجرح بوثاق من القماش فينقطع النزيف . وعند ما يُحكم على احد بقطع احد اعضائه (وهذه العادة الوحشية لم تزل جارية في هذه البلاد) يغمسون العضو الباقي بعد القطع في الماء الحارّ فينقطع الدم . وقد ذهبت يوماً في اديس ابابا لاستحمّ في الماء المعدني الحارّ حيث بنى عليهِ احد الارمن حمّاماً فاذا بالجند يجرُّون سارقاً حُكم عليهِ بقطع يده . واذ دنوا بهِ من مجرى الماء الحارّ الخارج من الحمام شدوا ساعده بوثاق ثم اتى احدهم بسكين غليظة فقطع بها دائر المفصل واخذ كفَّ المنكود الحظ بيده فخلعه عن مفصله بلمحة البصر ثم غمس الساعد المقطوع في الماء الحارّ . وقد اقشعرَّ بدني من هذا المنظر الفظيع واعتراني الدواخ فأظلم النور في عيني لكنَّ المجرم كان ينظر الى يده وهي تُقطع ولا يصرخ ولا يستجير ولم تسقط

دمعـة واحدة من عينيه كانهُ جماد والحقُّ يقـال انَّ هؤلاء القوم اقسى من الجماد

٧ً التوليد

اذا احسَّت المرأة الحبشية بقرب ساعتها دعت اليها اقاربها او جاراتها ليساعدوها في الولادة والفقيرات او العبدات منهنَّ يلدن بلا مساعد. وقد تقوم اليوم مقام القوابل نساء متقدمات بالسنّ مارسنَ التوليد بالاختبار ولكن قلَّ من دعاهنَّ من الاحباش الَّا نساء ذوي اليسر. واذا ولدت امرأة سمعت حول دارها طلقات متعددة من البنادق فيهرع الاهلون والجيران لتهنئة الاب والاقرباء. امَّا الام والطفـل فيكونان وراء الستار خوفاً من العين!

وبعد الولادة بثمانية ايام الى خمسة عشر يوماً يُحتفل بتطهير الطفل لان الاحباش كالأقباط يُختَنون اولًا ثم يُعمَّدون

٨ً العقاقير الطبيَّة

ليس اقرباذين الاحباش طويلًا ولا العقاقير فيهِ متعددة الاجنـاس والمتطببون يحملون الدواء الى المريض سرًّا وعندهم ان استعمال الدواء بالسرّ ضـامن لحسن مفعوله. واول هذه العقاقير واهمُّها هي العسل والسمن فالعسل يُستعمل في تركيب بعض المعاجين والمساحيق النباتية والسمن دواء بذاته يستعملهُ المتطببون لشفاء امراض كثيرة فهو المقيّئ والمسهل والدهون والفروك وغير ذلك واذا اضفتَ الى ما ذُكر الكوسّو بانواعه ومسحوقاً نباتيًا يدّعون انهُ يشفي من الكَلَب ومسحوقاً آخر يتنشقونهُ في الانف اذا اصابهم الزكام وزد على ذلك الكتابات والرقي والخزعبلات ودَهن بعض الاشجار بالسمن فتكون عرفت الاقرباذين الحبشي باجمعـه. وقد ابتدأوا اليوم باستعمال بعض الادوية الافرنجيـة فهم الآن يعرفون اليودوفرم والكينا ويودور البوتاسيوم والعشبة المغربيَّة (السلسابريليا) وحبوب السرخس الذكر

وبالختام لا يسعني السكوت عن المياه المعدنية الموجودة في محلات مختلفة في هذه الاقطار وقد عرف الحبش مفاعيلها من قديم الزمان فيستحمُّون بها ويبرأون وخصوصاً المبتلون منهم بوجع المفاصل او بالجرب على انهم اخترعوا الخرافات ايضاً في وصف هذه

المياه فمنها عندهم ما يأتي من بحيرة طبرية ومنها ما يزعمون ان القديس جاورجيوس غرس فيها رمحهُ الى غير ذلك من الحكايات الفريَّة. وقد نظرت منها نبعاً لا يبعد كثيراً عن هرر يقال لهُ ماء ارتو فوجدتهُ شديد النفع لشفاء الامراض العصبية

الدرّة النفيسة في مآثر الكنيسة

بقلم حضرة الخوري رفائيل البستاني من اساتذة مدرسة الحكمة العامرة نظمها بفرصة يوبيل قداسة الحبر الاعظم فثبتها في هذا العدد الاخير كمسك ختام سنتنا وواسطة قلادة المجلة

أطلقْ يراعاً للقريض ونضِّدِ ... عِقْدَ البلاغة من شذور العسجدِ
حُلْ في متون الفكر وأَثْنِ عِنانهُ ... وأَدِرْ لحاظك في العصور وأنشدِ
وآمرحْ مُجيلاً طِرْفَ طَرْفِكَ ثمَّ قِفْ ... وأستشهدِ العشرينَ قرناً تشهدِ
ألفانِ من خُطبا السنينَ تدفّقت ... دُرَرًا فايُّ مزيّةٍ للمنشدِ
فتصفَّح الأيامَ أنى جئتها ... وافتْكَ بالخبر اليقين المسندِ
أضحت لِمرقمك المهايعُ رَحْبَةً ... فَسِرِ الحثيثَ وردْ غيرَ الموردِ
وفرتْ لديك مآثرٌ بيعيّةٌ ... شمّاء اسمى من مقال معدّدِ
أتضيقُ ذرعاً في مديح كنيسةٍ ... غصَّ الفضاء بدرّها المتنضِّدِ
فقُلِ الكنيسةُ إن تَرُمْ تعريفها ... هي ما بناهُ الله فوق الجلمَدِ
هي صوتُ ربِّكَ هاتفٌ بعبادهِ ... يدعو الشعوبَ لكل فضلٍ امجدِ
ورسولُ سلمٍ للممالك كلّها ... وشهابُ رشدٍ مَن يشأْ فليهتدِ
أمُّ اليتيم وللحزين عزاؤهُ ... شمس الضليلِ ومنجعٌ للمجتدي
ذُخرُ الفقير وللبغاة مؤنّبٌ ... حصنُ الضعيف مقوّمُ المتأوّدِ
ينبوعُ كلّ تمدُّنٍ وتقدُّمٍ ... واساس فضلٍ في العباد مشيَّدِ
وهي الشكيمُ لكل عَهْلٍ جامحٍ ... ولكل شعبٍ ثائرٍ متمرّدِ
فَتَحَت ذراعَيها لمظلوم كما ... وَقَفَت لعاتٍ ظالمٍ بالمرصدِ
نشلتْ بني الانسان من وَهْد الغوى ... فسما بساطع نورها المتوقّدِ

تعليمها أولى الانامَ سعادةً وسلامةً وأبادَ نيرَ تعبُّدِ
تبغي السلام ولا تراعي جانباً في الحقّ او تخشى سهام مندّدِ
كم مرّةٍ حقنت دماء القوم اذ فلّت بحكمتها شفار مهنّدِ
ووقتْ عبادَ الله صولةَ غاشمٍ بمجنِّ تدبيرٍ وفطنة مرشدِ
كم اصلحت بين الملوك وهذّبت شعباً واولت منّةً لم تجحدِ
افعالها في صيغتين تصرّفت امرٍ بمعروفٍ ونهيٍ عن ردي
قد قيل يعرف الغرس في اثماره فثمارها راقت وطابت للصدي
فلها البنون بكل صقعٍ فضلهم يزهو كروض حلّها قطرُ ندي
من عالمٍ ومعلّمٍ ومدبرٍ ومهذّبٍ او مرسلٍ او موفدِ
جابوا البلاد مشارقاً ومغارباً يدعونَ للمجد الصحيح الاوكدِ
قد طوّقوا جيدَ الانام فعائلا غُرَراً تروح بها الرُواةُ وتغتدي
كم من يدٍ بيضاء اسدَوْها وكم من صُنع برٍّ بالثناء مخلّدِ
حيثُ انثنيتَ ترى سنيَّ فعالهم من ملجاءٍ او معلَمٍ او معبدِ
ما هالهم تَبجُ البحار ولا ثنى عزماً لهم نصَبٌ وهولُ الفَدْفدِ
يتهافتون لفعل كل مبرّةٍ وجميل صنعٍ كالعطاش الوُرَّدِ
هذا يجود بنفسهِ ونفيسهِ هذا بعلمٍ او بروحٍ او يدِ
غرسوا الحقائق في البلاد وقد نمتْ اذ قد سقوها من دم مستشهدِ
وحموا حماها من رعاة ابالسٍ بحصين برهان منيع اوطدِ
ما راعهم قطُّ اضطهادُ عدائهم فالله درّعهم بسامي الموعدِ
« فاذا اضطُهِدتُم فافرحوا فأُجوركم هي في ديار ابي نعيمٍ سرمدي »
« اني اصطفيتُك يا صفا فارعَ الخرا فَ وذبَّ عنها كلَّ صولة معتدِ »
« ولقد أقمتك حارساً لحظيرتي واليك ألقي آمناً بالمقلدِ »
« ابواب قوّات الجحيم اقلُّ من ابلاغ غايات العدى والحسَّدِ »
عبثاً يريش بنو الظلام نبالهم بتحامُلٍ وتوعُّدٍ وتهدُّدِ
نسجوا على نَول التخرُّص والخنى جلبابَ بغيٍ وافتراه اسودِ
لا بدع ان مجَّ المريضُ الشهدَ او عابت شعاعَ الشمس مُقلةُ ارمدِ

أيحاول الجهالُ دكَّ كنيسةٍ   قد شُيِّدت في متن صخرٍ أصلدِ
عشرون جيلًا قد مضت وتصرَّمت   وحُسام آل جهنَّمٍ لم يُغمدِ
إنَّا لَنعلَمُ حالها ومآلها   فالأمسِ ينبئنا باخبار الغدِ
كم مرَّةٍ قد كرَّروا حملاتِهم   ثمَّ انثنوا خزيًا بوجهٍ اكمدِ
تلك السفينةُ ربها ربَّانُها   أيروعها هولُ الخضمِّ المزبدِ
كفُّ الاله تدير «دفَّتها» فلا   تخشى تحدُّم مُبرقٍ او مُرعدِ
«أنا معكمُ للمنتهى قال المسيحُ   م لرسلهِ ونصيرُكم بتأييدي»
«لا تحزنوا لا تجزعوا لا تقنطوا   فتثبَّتوا وثقوا بدون تردُّدِ»
فالله من عرش السماء يسوسها   وبكفِّ نائبهِ متينُ المِقوَدِ
ألقى زمامَ شؤونها في يومنا   اعظمِ شأنٍ ذي مكارم اوحدِ
حبرٌ تفرَّد بالشهامة والتقى   وسموِّ ادراك وأنفة أصيدِ
ماضي العزيمة حازم ثبت الجنا   نِ أصيل رأيٍ للصواب مسدَّدِ
ما قال «اما بعدُ» ألا فنَّدت   اقوالهُ الطغيانَ كلَّ مفنَّدِ
يجلو قتامَ المشكلاتِ وان دجت   بشهاب فكرٍ زندهُ لم يُصلدِ
يرعى الرعيَّة بالاناءة والنهى   وعيونهُ عن نجحها لم ترقدِ
يا أيها الحبر الجليل مقامهُ   الله حسبك فازدري بالعُنَّدِ
ابناؤكَ الأمناء فوق تعدُّدٍ   كلٌّ سناءك بالحشاشة يفتدي
فدعِ الأعِقَّة رفعةً وتكرُّمًا   فالنُّبلُ يقضي بامتهان معربدِ
واقبلْ قلائدَ قد نظمتُ بسلكها   دُررًا اتتني من خلالك سيِّدي
فسبكتُها طربًا لزعميَ أنَّني   ادركتُ أُمنيَتي وقصوى مقصدي
فبُهتُّ عند نهايتي إذ قد أرى   بعد الختام كأنَّني لم ابتدِ...

ترجمة عربيّة قديمة
من الانجيــل الطاهر

بقلم الاديب يوسف افنــدي اليان سركيس

١ً تعريف صاحب الترجمة

بينما نحن نتمتع باستنشاق الهواء الصـافي في ربوع لبنان تردَّدنا بعض الايام الى دير الشرفة في جبل كسروان وتصفَّحنا مخطوطاتهِ القديمة التي بينها عدَّة آثار نفيسة. ويا ليت بقيَّة الاديرة في لبنان تُنظّم خزائن كتبها القديمة وتفتح ابوابها لطلبة العلم فكانت تخدم بذلك الآداب خدمة تُذكر فتشكر

وفيما نقلّب كنوز مكتبة الشرفة المذكورة اطّلعنـا على نسخة قديمة جداً من الانجيل الطاهر (١ رتّبها وزاد عليهـا قليلًا من الشروحات في بعض المواطن احد علماء النساطرة الشهيرين وهو «يشوعياب بن ملكون» الذي لم نعهد ان احد المستشرقين نسب اليهِ هذا الاثر النفيس. فقد رأينا في المكتبة السمعانية مع ترجمـة هذا الكاتب الشهير شرح مؤلفاته فلخصنا منها ما يأتي:

قال العلّامة يوسف سمعان السمعاني في الجزء ٣ من مكتبتـهِ (ص ٢٩٥) ما تعريبهُ:

«يشوعياب (٢ بن ملكون مطران صوبا اي نصيبين لهُ مسائل غرماطيقية سريانية ورسائل وميامر وقد سامهُ يابالاهـا الثاني البطريرك الذي كان قد دبَّر سابقًا كنيسة صوبا اي نصيبين. وكانت سيامته في سنة ١٥٠١ يونانية الموافقة لسنة ١١٩٠ المسيحية وهو ذاته رسم سبريشوع ابن اخي يابالاها وخليفته في الكرسي البطريركي بعد ذلك باثنتين وثلاثين سنة اعني السنة اليونانيـة ١٥٣٣ (١٢٢٢م)... وتوفي يشوعيـاب في ايام سبريشوع آخر المعروف بابن المسيح البغدادي

---

١) تكلّم المشرق (٤:٩٧) من النسخ العربية القديمة من الانجيـل الطاهر وقال في آخر مقالتهِ (ص ١٠٨):« لا نشك في وجود نسخ أُخر عند الخاصة... وفي بعض الاديرة والكنائس فنستنهض همة الادباء ليفيدونا عنها ما استطاعوا... » اهـ. فاتينا نلبي دعوته ونفيدهُ عن نسخة جليلة لم يذكرها في مقالته »

٢) والاولى ان يُكتب هذا الاسم يشوعيهب ومعناهُ في السريانيَّة « يسوع اعطى » وكان اصلهُ من دنَيْسِر على بعد فرسخين من ماردين (المشرق)

بعد ان اختار لتدبير كرسي نصيبين مشيحا الذي رُقّي بعدئذٍ الى البطريركيّة سنة ١٥٦٨ (١٢٥٧م) كما روى عمرو بن متّى »

هذا كل ما كتبهُ العلّامة يوسف سمعان السمعاني في ترجمة مار يشوعياب بن ملكون . ثم اخذ يعدّد تآليفهُ وينتقدها فذكر اولًا كتابهُ الموضوع في المسائل الغرماطيقيّة او مسائل نحويّة في اللغــة السريانيّة وقال ان لهُ ميامر ورسائل وعونيثات (مدائح كنسيّة) ثم كتاب عربي في امانة السريان المشارقة كتب في اولهِ :

« امانة يعتقدهـا النصارى السريانيون المشارقة من انشاء الاب القديس ايشوعياب مطران نصيبين المعروف بابن ملكون قدّس الله نفسه وطهر روحهُ ورزقنا بركة صلوته امين »

ولهُ رسائل عربيّة ايضاً ورد في مطاويها انهُ كان مطرانًا على نصيبين وارمينية وبين رسائلهِ مديح امانة النساطرة ضد البطريرك اغناطيوس اليعقوبي

اما تأليفهُ الذي هو اكثر شهرة من الجميع وقد وصفهُ السمعاني مطوّلًا في الجزء الثالث من مكتبتهِ فهو : « كتاب البرهان على صحيح الايمان » موجود نسخة منهُ في الخزانة الواتيكانيّة تحت عدد ٤٩ وهو يتضمّن ردًّا على الملكيّة واليعقوبيّــة لاثبات مذهب ملّة النسطوريّة . وفي هذا الكتاب نفسه يذكر الطائفة المارونيّة (١

هذا وليشوعياب بن ملكون أثر لم يذكرهُ السمعاني في مكتبتهِ ولعلّهُ جهلهُ كما لم يعرفهُ غيره من العلماء . ولم نجد ذكرًا لهذا الكتاب في الخزائن الاوربيّة(٢

٢ً وصف الكتاب وذكر بعض نُبَذ منهُ

هو كتاب قديم قد حرص عليهِ اصحابهُ وصانوهُ بكل اهتمام وهو مكتوب بقلم سلس مُشرق وقد جُلّــد جلدًا قديمًا وقياس ورقهِ ٢٠ سنتيمترًا في طولهِ و١٧ س في عرضهِ يبلغ عدد اوراقه ١٣٨ وفي كل صفحة منهُ ١٧ سطرًا . يبتدئ هكذا :

١) راجع كتاب جامع الحجج الراهنــة للمطران اقليميس داود (ص ٢٤١ من النسخة المطبوعة سنة ١٩٠٨) ٢) ونرى في الملحق ان عبد يشوع الصوباويّ ذكرهُ في مقدّمتهِ . وكذلك ليشوعياب بن ملكون خطب كنسيّة مسجّعة طُبع بعضها في الموصل في جملة التراجيم السنيّة للاعياد المارانيّة لاليّا الثالث المعروف بابي الحليم (ص ١٥٠ و ١٦٠) (المشرق)

بسم الله الرحمن الرحيم

«كتاب الانجيل الطاهر مفصلًا فصولًا تقرى في الروازين (١ الواقعة في دايرة السنة على ترتيب الدير الاعلى (٢ ويعرف الان بالطخس الموصليّ»

ثم وضع لكل احد وعيد وتذكار انجيلًا خصوصيًا لا يقلّ الواحد منهُ عن ثلاث صفحات وعلى هامش الكتاب سطّر «عنيثة» اي لحنهُ او اغنيتهُ. وقد ابتدأ من الاحد الاول من السبار (٣ فقال:

«الانجيل الطاهر لسيدنا ومخلصنا ايشوع المسيح من بشارة لوقا الرسول يقول:
«لمّا اثر كثيرون من المرّجين كاصحاب سيمون ان يكتبوا قصص الامور المسيحية التي نحن السلّيحون بها عارفون. على ما سلّم الينا تقليد الاثني عشر الذين كانوا من الاول مشاهدين السيد المسيح وخدمًا لكلمة علمه. رأيت انا ايضًا لمّا كنت قريبًا بحمقٍ وشدة حرصي من جميعهم ان اكتب لك كل شيء منها على كنهِ ورتبتهِ ايها السعيد المحب لله تأوفيل. لتعلم حقيقة الكلمات التي تتبّعتها وآمنت بها. وذاك انهُ كان في ايام هيرودس الملك على اليهود كاهن واحد اسمهُ زكريًا من خدمة آل ابيا (٤ وهي فرقة رئيس من بني لاوي. وكان لهُ امرأة من بنات هارون وكان اسمها اليشبع. وكانا كلاهما صديقين بارين امام الله تعالى. وباوامرهِ كلها سايرين عاملين. وكانا في عدل الرب كاملين غير ملامين. الخ»

هذا جزء من انجيل الاحد الاول من السبّار نقلناهُ على علّاتهِ. ثم نقلنا انجيلًا آخر برمّتهِ وهو انجيل «يوم عيد ميلاد سيدنا ومخلصنا ايشوع المسيح بالجسد من آل داود من انجيل لوقا الرسول». قال:

«وفي تلك الايام بعد ميلاد يوحنا المعمذان بستّة اشهر خرج الامر من اغسطس قيصر الملك الرومي على اليهود ان يكتب جميع شعب ملكهِ وولايتهِ لاخذ الجزية ولرد كل انسان الى وطنهِ.

١) الروازين من كلمة سريانية رازين ܐܪ̈ܙܐ ومعناها الاسرار المقدّسة او رتبة القداس

٢) الدير الاعلى هو الدير المعروف باسم ܥܠܝܐ ܕܡܘܨܠ وموقعه بالقرب من الموصل ورد وصفهُ في مراصد الاطلاع (١ : ٤٢٣) هكذا: «دير الاعلى بالموصل على جبل مطلّ على دجلة يضرب بهِ المثل في رقة الهواء وحسن المستشرف ويقال انهُ ليس للنصارى دير مثلهُ لما فيهِ من اناجيلهم ومتبداتهم...»

٣) السبّار ܣܘܒܪܐ هي البشارة وتطلق هذه الكلمة على الزمن الكنسيّ المعروف بالمجيء

٤) كتب في الهامش: «آبيا جدّ زكريا من نسل فنحاس»

وهذه الكتابة الاولى كانت في ولاية قورينوس الوالي بسوريا وهي بلاد الشام لان كل والٍ أحصى ولايته. واخذ كلُ انسان في الانطلاق الى مدينتهِ ليكتَب بها. والسرّ الالهي في ذلك ليعود يوسف بمريم الى بيت لحم فيولد السيد المسيح بها. فتتمّ نبوة ميخا النبي في ذلك. وكان أُصعد يوسف ايضاً من ناصرة مدينة الجليل الى ارض اليهود الى مدينة داود المدعوة بيت لحم لانهُ كان من بيت داود ومن قبيلتهِ مع مريم خطيبتهِ وهي حامل اذ ذاك ليكتَب هنــاك. وفي حال كونهما هناك كملت اياما لتلد فولدت ابنها البكر وسيدنا بكر من امهِ بالجسد ومن المعاذ بحلول الروح ومن القيامة بما لم يعاوده الموت ومن الله بالشرف التام. ودرجته في قمطٍ والقتهُ في معلفٍ اذ كان سرّ جسده علف الحياة لحيوانية الانسان الباطنة لانهُ لم يكن لهما هناك مكان لايق لتمهيـده بالمنزل الذي حلّا فيهِ. وكان هناك رُعاة اغنام بالقرب من الموضع الذي نزلا فيهِ وكانوا يحرسون هزيع الليل بالنوبة على مراعيهم. واذا ملَك الله قد اتى عليهم ومجد الرب اشرق عليهم باستنارة عقولهم لبهاء الملاك ففرقوا فرقًا عظيمًا جدًّا لمكان القفر والليــل وهجوم الملك بغتةً وعدم الفهم بمشاهدة الرؤيا. فقال لهم الملك: لا تخافوا لاني مبشركم بفرحة عظيمة تكون مسرّتها للعــالم باسرهِ فانهُ قد ولد لكم اليوم مخلص وهو الرب المسيح في مدينة داود وهذه العلامة لكم فيهِ انكم تجدون طفلًا ملفوفًا في قمطٍ موضوعاً في معلفٍ. وفي الحال بغتةً شوهد مع الملك كثيرون من اجنــاد السماء ليحقق شرف الولادة وخدمة المولود اذ يمجدون الله تسبيحًا ويقولون التسبيح لله في العُلى كما يحقّ لعلوّ عظمتهِ وعلى الارض السلام بشارةً بزوال الخوف الكاين بمعصية آدم ووقوع الامن من الخطيئـة للمؤمنين والرجاء الصالح لال البشر بحلول الاتحاد اللاهوتي بهم والنعم السمآيية المعـدَّة لهم. ولما انطلقت الملائكة من عندهم الى السماء تكلّم الرعاة بعضهم مع الآخر او بعض قايلين: هلم ننطلق الى بيت لحم. فتأمل هذه الكلمة التي حدثت حسبما اعلمنــا الرب. واتوا بسرعةٍ وحرصٍ فوجدوا مريم ويوسف والطفل موضوعاً في المعلف. ولمّا شاهدوا ذلك بثوا وذاعوا الكلمة التي خوطبوا بهــا في معنى الصبي وكل الذين سمعوا الخبر تعجبوا ممّا خوطبوا بهِ من الرعاة. فاما السيدة مريم فكانت تعي جميع هذه الاقاويل وتقيسها في قلبها فتجدها متفقة الى قول الملاك المبشر لها وقول زكريا لما تنبّــأ ونطق بعد ارتباجهِ عند وجود نجابهِ وقول اليشبع عند سماعها سلامها وارتجاج جنينها وقول الرعاة هاهنا. ورجع اولايك الرعاة وهم يمجدون الله ويهللون تسبيحًا على جميع ما شاهدوه وسمعوه حسبما خوطبوا بهِ »

فترى من هــذا المثال انّ يشوعياب عرّب فصل لوقا ببعض التصرُّف وادمج فيهِ شروحاً وجيزة افادةً للسامعين. وهكذا فعل ببقيّــة الفصول الانجيليّة الى آخرها وهو الانجيل المرتَّب للاحد الرابع من تقديس البيعة من بشارة متى الرسول. حيث يقول:

« ولما كان المنزلة (١ مجتمعين سألهم السيد المخلص وقال: ماذا تقولون في المسيح ابن من هو... الخ »

١) هم الفريسيون

وفي آخر ورقة من الكتاب ما حرفهُ وهو مكتوب بالمداد الاحمر:

« تمت فصول الانجيل (التي) تقرى في اوقات الصلوات على ما رُتب بالدير الاعلى وهو الطخس الموصلي وذلك مما اصلح في نقلهِ ورتَّبهُ ووشحهُ ولمَّهُ بشرح نكتهِ وما غمض من معانيهِ باختصار ليضئ للسامعين ويخف على القاريين الاب القديس الفاضل المطران المعظم مار ايسوع ياب ابن ملكون من اهل دنيسر نيح الله روحه وحرسنا بشفاعته وبشفاعة الطاهره العدرى مارت مريم وبصلوات السليحين وجميع القديسين امين »

ويليهِ بالمداد الاسود:

« ووقع الافراغ منهُ في سنة الف وخمساية واربع واربعين يونانية يعني هجرية سنة ستماية واحدى وثلاثين (١٢٣٣م) والحمد لله دائمًا سرمدًا على نعمائه الى ابد الابدين والى دهر الداهرين امين. وذاك بيد العبد الخاطي الراجي رحمة من الله وغفران برعيتا السطور (؟) في خدمة البيع المقدسة العالية المشيدة مار قرياقوس بالقرية المحروسة ملـ دارى في بلد بازبدى والحمد لله رب العالمين »

وفي ظهر الورقة الاخيرة التي اشرنا اليها آنفًا ما صورتهُ

« هذا كتاب الانجيل برسم الخزانة العامرة للرئيس الاجل المحترم للسيد الدّ . . . . المرتضى المختار المؤمن هرمز من القرية المذكورة حرسهُ الله تعالى ونقد . . . . وايَّده لقرأتهِ واعتراف معانيه ولنزه بصلاة البتول الطا . . . . العدرى مارت مريم وبشفاعة جميع القديسين امين »

ومن جملة ما رأيناه في هذا الكتاب من الاعياد والتذكارات ما يأتي:

١ لذكران الشاهد الفاضل مجيب الدعوات مار كيوركيس الواقع في الرابع والعشرين من شهر نيسان. من انجيل متى الرسول

٢ لذكران الربان هرمزد. اقرأ قريان الاحد الاول من سابوع مار موسى

٣ قريان السجدة في القنطيقسطي. من انجيل يوحنا الرسول

٤ يوم الثلثا من شَبَت شبّي (١ من انجيل لوقا الرسول. قال في اولهِ: « ومن بعد ذلك اثنان من تلاميذ السيد المخلص في ذلك اليوم اي يوم احد القيامة كانا ماضيين الى قرية تدعى عماوس. وهي بالبعد من اورشليم نحو ستين غلوة والغلوة سبع الميل والميل ثلث الفرسخ. الخ

٥ الجمعة الثانية من الدنح وهي ذكران فطروس وفولوس من انجيل متى الرسول

ومن ترتيب الاناجيل يتضح ترتيب الاعياد كلها عند النساطرة في القرن الثالث عشر للمسيح ومن جملة اعيادهم: ذكران ملافنة اليونان وذكران ملافنة السريان ومار فثيون الخ . . .

١) وهي السبة التابعة لاحد القيامة وفيهِ ذكر مضيّ السيد الى قرية عمواس

وقد استدللنا من بعض اوراق مضافة الى الكتاب ان بعض الكهنة كانوا يفتتحون قراءة فصول الاناجيل بخطبة وجيزة او مقدّمة . واليك صورة واحدة منها نقلناها من هذه الاوراق التي هي مكتوبة بخطٍ يختلف عن كتابة الانجيـــل لكنها لا تقلّ قدماً عن الاولى

«التسبيح لله دائمًا ابـدى . ان اول ما رُقشت بهِ غرر الطروس . واجلى ما نُقشت بهِ فطر النفوس . والذّ ما نصتت لهُ الاسماع . وجنى منهُ المومنون ثمر الانتفـاع . ما اورده مختصر البشارة المسيحية . والمقتصر على ابراد الاشارات السليحية . جالي نُـكت الاقاصيص . ومستمد الحقـايق من شمعون الحصيص . ذو العبارات الانيقة . والاختصاصات الدقيقة . البادي في بشارتهِ بذكر النبوه . والهادي الى اشرف الخلايق الامة المدعوه . مظهر الدرر المنو يه . من جلال الصـدفة الشمعونيه . المرتفع من كدر الهيولانيات بالطافه والصفا . والمرتضع علوم الروحانيات من شمعون الصفـا . التلميـذ المين والمذب المبين جالب الدر الثمين . من مرقوش البشير احد السبعين يبشر ويقول . . . »

ويلي هذه المقدّمة خطب أُخرى مثلها على شكل المقدّمات التي صنّفها ابو الحليم ونُشرت في آخر خطبهِ السابق ذكرها

مُلحق

للاب لويس شيخو اليسوعي

بينما كنّا ساعين في نشر المقالة السابقة اتانا عدد تشرين الثاني وهو الحادي عشر من السنة الجارية من مجلّة المقتطف . ومن مضامينه فصلٌ للمنشئ الاديب امين افندي ظاهر خير الله نقلهُ عن « ترجمة قديمة من الانجيل » ظفر بها في احد اديرة لبنان وطلب من المقتطف رأيهُ فيها . فاثبتت المجلة الفصل المذكور دون ان تُبدي في الترجمة رأياً الّا أنّها اصلحت غلطاً تاريخيًا للناسخ . فرأينا أن نُفيد السائل عمّا طلب

فنقول : انَّ صاحب هذه الترجمة للاناجيل المقدّسة هو عبد يشوع الصوباوي احد مشاهير كتبة النساطرة في اواخر القرن الثالث عشر اسمهُ عبد يشوع بر بريخا سُقف اولًا على مدينة سنجار وبيت عربايا سنة ١٢٨٥ ثم نُقل الى كرسي نصيبين وبلاد ارمينية

سنة ١٢٩٠ فساس اهل ملّتهِ في الجزيرة واطراف ارمينية الى سنــة وفاتهِ ١٣١٨ ولهُ من التآليف السريانيّة والعربيّة ما وصفهُ في قائمة ألّفها نظمًا وعدّد فيهــا مصنّفات السريان السابقين لعهده وقد طبعت هذه القائمة مرارًا الجليل فوائدها (اطلب المكتبة الشرقيــة للسمعاني ٣: ٣٢٥–٣٥٠) وكثير من تآليف عبد يشوع قد اخذتها ايدي الضياع ومنها ما نُشر بالطبع كدستور الشرائع الكنسيّة وكتاب الدرّ الثمين وكتاب فردوس عدن

امّا ترجمتهُ للاناجيل المقدّسة بالعربيّة فقد سبق لنا ذكرها في مقالتنا المعنونة «نُسخ عربيّة للاناجيل المقدّسة قديمة في المشرق» (راجع المشرق ٤: ٩٧–١٠٩) وقلنا هناك (ص ١٠٨) انّ ترجمــة عبد يشوع لا تستحقّ اعتبارًا لانّ صاحبها لم يراعِ في تعريبها امانة الترجمة وضبط المعنى بل حسن الالفاظ وزخرف السجع. فتراهُ يبني كلّ فصل من فصول الانجيل على تسجيع خاصّ فيجري عليــهِ الى آخرهِ. وفي ذلك كما لا يخفى من التصنّع والفضول ما يطمس محاسن الانجيــل ويشوّه سذاجة كلام الله التي تؤثر في النفوس اكثر من كل براعة بشريّة. وقد اثبتنا مثالًا من هذه الترجمة في مجموع ادبي طبعناهُ للكليّات الاوربيّة (ص ١٩٤)

والنسخة التي في مكتبتنا من هذه الترجمة منسوخة عن نسخة قديمة وجدناها عند احد افاضل السوريين المهاجرين الى لندن اسكندر افندي صيفي وهي تحتوي الفصول الانجيليّة على غير ترتيبها الاصليّ فنُظّمت وفقًا للآحاد والاعيــاد السنويّة في الكنيسة الكلدانيّة مباشرةً بآحاد السبّار الموافقة لزمن المجيء كنسخة دير الشرفة السابق ذكرها

وافضل ما تحتويهِ هذه الترجمة مقدّمتها التي أثبتها المقتطف في صفحاتهِ وفيها يذكر المعرّب ما حدا بهِ الى تعريبهِ بلغة فُصحى واشار الى ترجمات أُخرى سبق اليها النساطرة قبلهُ كترجمة ابي الفرج المعروف بابن الطيّب الكاتب الشهير. وذكر ايضًا ترجمــة يشوعيهب وهو (يشوعياب) التي تقدّم الكلام فيها في مقالة الاديب يوسف افندي اليان سركيس واثنى على هاتين الترجمتين قائلًا عن مؤلفيهما انهما «قصدا التفهيم بالالفاظ السوادج فاعتمدا اسهل المخارج» ثم اشار الى ترجمة ثالثــة لم نعرف حتى الآن من امرها شيئًا وهي «للشيخ ابن داود يشوع» ولعلّ الصواب «داد يشوع» أخذ عليهِ بعض المآخذ فقال عنهُ انهُ «مع كونهِ ادّعى البلاغة في نقلــهِ وأبان عن فصاحتهِ وفضلهِ فانهُ

خلط جُمل الكلمات وقلقل مباني الآيات وغيّر الاسماء تعريباً وبدّل الالقاب تغريباً وذلك من افظع الخطإ والاجتراء واشنع البدع والافتراء فما اجازتهُ الشريعة وما قرئ على منابر البيعة » ثم اردف القول بذكر ترجمتهِ التي لم نستحسن نحن طريقتها لما ادخلهُ فيها من الحشو لتسجيع فقراتها

وهذه الترجمة المسجّعة قد نقحهـا الاديب المارونيّ ابو المواهب يعقوب ابن نعمة الدبسيّ الطرابلسيّ في اواخر القرن السابع عشر فاخرجها على قالب جديد . ومن كتابه نسخة في مكتبتنا الشرقية وصفناها في المشرق (٤ : ١٠٨) وها نحن نورد هنا قطعـة من تعريب الصوباويّ وتحوير ترجمته للدبسيّ ليتمكّن القرّاء من المقابلة بينهما

ترجمة عبد يشوع الصوباوي

(متى ٥ : ١-١٠)

فلمّا رأى المخلص جموعاً كثرت رقي الى الطور . واذ جلس وهو قريب . نحاهُ التلاميـذ مقتربين منهُ في الحضور . ففتح فاه وجعل يعلّمهم ويقـول في الحكم المأثور : الطوبى للمساكين بالروح والضمير . فلهم ملك السماء ممدٌّ ومذخور . الطوبى للمحزونين فالعاقبـة لهم في السرور . الطوبى للمتواضعـين فلهم ان يرثوا الارض والنعيم مصير . الطوبى للسغبي والظمأى الى العدالة فانهم سوف ينالون شبعاً وريّاً عند وفاء الاجور . الطوبى للرحماء الواسعي الصدور . فانهُ عليهم تحلّ الرحمة في اليوم الاخير . الطوبى للطاهرين قلوباً صفوها بلا تكدير . فسيرون الله بالعقل المستنير . الطوبى لصـانعي الصلح والسلم لذوي النفور . انهم يدعون ابنـاء الله ملك السماء المطير . والطوبى لكم متى استهجنكم وكادكم اهل الغرور . وقالوا فيكم كلّ لفـظ سوء من اجلي بالكذب والزور . فحينئـذٍ ابتهجوا واكثروا الحبور . فاجركم في السماء موفور

اصلاح الدبسيّ

فلمّا رأى يسوع جمـوعاً كثرت رقي الى الطور واذ جلس نحاهُ تلاميذهُ ففتـح فاهُ وجعل يُعلّـمـم قائلًا : الطوبى للمساكين بالروح فان لهم ملكوت السموات . الطوبى للمحزونين فانهم يسرُّون . الطوبى للمتواضعين فلهم ميراث الارض . الطوبى للسَغْبى والظمأى الى العدالة فسوف ينـالون شبعاً . الطوبى للرّاحمـين فانّهم عليهم تحلّ الرحمة . الطوبى للطاهرين قلوباً فانّهم يعاينون الله . الطوبى لصانعي السلامة انّهم يُدعون ابناء الله . الطوبى للّذين اُضطُهِـدوا من اجل العدالة فلهم ملك السما . والطوبى لكم متى ما استَهْجنكم النـاس واضطهدوكم وقالوا فيكم كلّ لفـظٍ قبيح كاذبين من اجلي . فحينئذٍ ابتهجوا واكثروا الحبور . فاجركم في السما موفور

عاقبة الطمع الندامة

روايةٌ معرَّبة عن الافرنسية بتصرُّف

في غاية كانون الثاني من السنة ١٨٤٦ كنت ترى في مستشفى المجانين في باريس شيخًا ناهز الثمانين من عمرهِ مضطجعًا على فراش الموت وكان في ساعة احتضارهِ يذكر ثروتهُ الواسعة ويرفع يديهِ الى الحضور كأنهُ يُريهم ما في كيسهِ من الدراهم ويضحك لهم كأنهُ يمرح في بحبوحة العزّ ويتقلَّب على سرير السلطنة

وان سألت عن اسم المذكور وسرّ احوالهِ أجبناك انهُ يُعرف بسيمون السكَّاف قضى سنيهِ الأُولى في رَتق النعال واصلاح الاحذية ثمَّ أُصيب بمسّ في عقلهِ فأُدخل في دار المجانين منذ سنة ١٨١٦ . امَّا جنونهُ فكان من الصنف الهادي فلا يناوي احدًا ولا يأتي بأذًى بل كان يجد في مسّ عقلهِ لذَّة وبهجة فاذا غاب عن صوابهِ ظنَّ حالهُ اغنى من قارون فتمتَّع برخاء العيش واكل الطيّب وشرب المريء وتبختر في مشيهِ عجبًا وكل ذلك اضغاث احلام بل رئيٌ من الجنون مُني بهِ قبل ثلاثين سنة

وكان الاطبَّاء يشخّصون مرضهُ ويدرسون كافَّة احوالهِ لعلَّهم يتوفَّقون الى ان يعيدوا اليهِ رشدهُ فكانوا بعلاجهم يلطّفون داءهُ وربَّما اتَّصلوا الى ان يبدّدوا اوهامهُ حتى يكاد يعرف حقيقة حالهِ فيصيبهُ اذ ذاك من الالم واليأس ما يكدّر معاشهُ ويرنّق كأس حياتهِ فيتوسَّل الى الاطباء ان لا يسعوا في معالجتهِ لانهُ راضٍ بحاله فيدعهُ الأُساة ولا تلبث نوبة المرض تستولي عليهِ

وكأنك تقول ايها القارئ العزيز: ليس معلول بلا علَّة فكيف حلَّ ذاك الداء العياء بهذا المسكين فاطفأ نور عقلهِ واولجهُ في عالم الترهات

دونك السرّ الخفي والخبر الحقيق . كان سيمون في حداثتهِ تعلَّم اصول السكافة عند احد ارباب هذه المهنة ولمَّا لم يجد في هذه الصنعة ما يقوم بأود حياتهِ واصبح لا يملك شروى نقير انضمَّ الى الثورة الفرنسويَّة التي ظهرت في تلك الاثناء وصار ربيبها وشُغف بمبادئها ورأى انَّ في صحبة الثائرين والمناداة معهم بالحريَّة والمساواة والاخاء اقرب وسيلة الى جمع المال وتحسين الحال . بيد انَّ مطامع رفقتهِ لم تقلَّ عن مطامعهِ

الشخصية وبعد اللتيا والتي حصل على قطعة من الارض في ضواحي باريس على ربوة مطلّة على المدينة يمتدُّ فوقها اليوم حيّ تروكاديرو احفل احياء باريس في عهدنا لكنَّها وقتئذٍ كانت خاليةً من السكّان لا يأوي اليها الّا بعض اهل الحرف والصعاليك

وكان في تلك الارض دار صغيرة او كوخ حقير فنضَّد فيهِ سيمون ادوات صنعتهِ في طابقهِ الاسفل وجعل لاهلهِ الطابق الاعلى ورجع الى السكافة التي كان اهملها في ايَّام الثورة لينال من شغلهِ خبزهُ اليومي . فما مرَّ عليهِ بضعة اسابيع حتى اقبل عليهِ الزبون وتوفَّر عليهِ الشغل الذي اكسبهُ دراهم مكَّنتهُ من تأثيث دكانهِ فجهَّزهُ ببعض الكراسي من القش وزيَّن جدرانهُ بتصاوير ملوَّنة زهيدة الثمن خشبة العمل . وبعد ذلك بسنتين جمع من الدراهم ما كفاهُ لاقتناء عرصة مجاورة لدارهِ فجعلها كجنينة واتَّخذ لها سياجاً من الشوك . فكان يزرع فيها في اوقات الفراغ شيئاً من الخضر يضيفهُ الى طعامهِ وطعام اهلهِ

فصار سيمون منذ عاد الى حرفتهِ يقضي ايَّامهُ بالراحة والسلام ويكتفي بما قدَّر لهُ بختهُ من الرزق لمعاشهِ ومعاش عائلتهِ . على انَّ صاحبنا كان في ايَّام اندماجهِ باهل الثورة سمع كلامهم السفسطيَّ واخذ مبادئهم الفاسدة فبقيت جذورها متأصلةً في نفسهِ لاسيما انهُ كان اهمل واجبات دينهِ فلم يجد في تعاليم الدين دواء لدائهِ . ومن سوء حظهِ انَّ بعض زعماء الفتن كانوا زوَّدوهُ بكتب جان جاك روسّو وڤلتار وكُندُرسه فكان يقرأها حيناً بعد حين ليبعث في قلبهِ خواطر الكفر ويشحذ شفرة الحقد والبغض لكل سلطة شرعية ويؤجج نار المطامع لمنافسة اهل الثروة . فكانت تلك الاهواء تتنازع قلبهُ وتهيّج سواكن عواطفهِ فيطمح بنظرهِ الى الترفُّع ويرغب في التبجُّح

وفي تلك الاثناء قام على فرنسة ذلك العاهل الشهير بل السلطان الجبَّار نابوليون الاوَّل ففتح الفتوحات وقهر الممالك حتى طبَّق اسمهُ انحاء المعمور . فكان سيمون يسمع اخبارهُ ويطالع بكل رغبة تفاصيل فتوحاتهِ فتزيد مطامعهُ في الدنيا وغناها ورفعتها وتلوح لهُ بوارق الامل ليخرج من خمولهِ ويحصل على ما يؤهلهُ للمناصب الشريفة والرتب المنيفة لاسيما انهُ رأى نابوليون في اوَّل نهضتهِ وخدم معهُ في الجندية في فرقة واحدة . فكان يظنّ انهُ لو جدَّ مثلهُ لوجد

فكانت تلك الافكار تغلب على قلب السكاف حتى لم يمكنهُ ان يحصرها في

نفسهِ بل كان يردّدها على مسامع بعض الصَّنَعة والمحترفين مثلهُ فاخذ هؤلاء يجتمعون عنده فيهوّسونهُ طمعاً في دراهمهِ ثم يسوقونهُ الى الحانات ليبتاع لهم خمرًا على نفقتهِ فيشربون نخبهُ ويتمنّون لهُ تحقيق آمالهِ

*

في اواسط حزيران من السنة ١٨١١ كان نابوليون عاد الى باريس حاضرة مملكتهِ ظافرًا ممجّدًا اذ كادت كل دول اوربّة تعنو لسلطتهِ وتخرُّ امامهُ على الاقدام. وكانت الامبراطورة ماري لويزة قرينتهُ اولدت لهُ ابنًا بنى عليهِ كل آمالهِ فدعاهُ ملك رومية ثم نوى اكرامًا للمولود الجديد ان يُشيّد لهُ قصرًا فاخمًا يكون اهلًا بجلالهِ فدعا بالمهندسين وصرّح لهم عن نيّتهِ وعهد اليهم ان يختاروا لذلك الاثر موقعًا مناسبًا لهُ ولا يدّخروا وسعًا في ان يجعلوا البناء طرفةً من طُرَف الزمان

فما مرَّ على المهندسين ايّام قلائل حتى طافوا كل انحاء باريس وتفقّدوا احياءها فلم يجدوا مقامًا اجدر بالاثر المقصود من الربوة التي عليها كانت دار سيمون السكّاف فعرضوا الامر على نابوليون وساروا في خدمتهِ الى المكان ليعاينهُ بنفسهِ ويصادق على اختيارهم. فلمّا رقي الأكمة ورأى المنظر الجميل الذي تمتدُّ اليهِ الابصار على اطراف باريس من ميدان الجنود المسمّى « شان دي مارس » الى منزل العجزة الذي اقامهُ لويس الرابع عشر لجرحى الحروب وعجزة الجيش. فسُحر بذلك المشهد الفتّان وصادق على اختيار المكان ليقع بصر ابنهِ الصغير اذا ترعرع على امّ المدائن فيعرف منذ نعومة اظفارهِ ما ينتظرهُ يومًا من عزّ السلطة وسموّ المقام

وفي غد ذلك اليوم جاءت فئة من المهندسين الى المحلّ المعيَّن وشرعوا في اخذ رسمهِ طولًا وعرضًا وقاسوا جوانبهُ ونصبوا الرايات الخضراء دلالةً على وجهة البناء ونواحيهِ وكانت دار سيمون داخلةً في حيّز القصر المنويّ. فاستبشر السكّاف بتلك الاعلام وأمّل منها خيرًا

فجاءهُ بعد يومين امرٌ من حاكم مدينة باريس بأن يذهب الى مجلس البلديّة. فلبّى الامر مسرعًا ودخل على الحاكم الذي اعلمهُ بانَّ جلالة الامبراطور قد عوَّل على تشييد قصر لوليّ عهدهِ في المكان المجاور لدارهِ وانهُ يريد ان يبتاع منهُ تلك الدار الحقيرة بثمن خمسة آلاف فرنك وهي عشرة اضعاف ما تكلّف في شرائها (لاسيما ان الدراهم

في ذلك العهد كانت تساوي ضعفي ثمنها اليوم) فكاد سيمون يطير فرحاً لهذا النبأ لكنَّهُ كتم سروره عن الحاكم واكتفى بقولهِ انهُ راضٍ بتلك الصفقة وسوف يوقع على صكّ البيع في اليوم التالي

ثم خرج من المجلس وهو ثمل من فرحه بالمال الموعود وجعل يتنقّل على رفقتهِ الصَّنعة ويخبرهم بثروتهِ ويتغطرس امامهم ويتجبَّر ويرى نفسهُ عمّا قليل سيّد عصره فكان رفقة سيمون يهنئونهُ بحسن حظهِ وسعد بختهِ حتى التفت اليهِ احدهم وقال :

لو كنتُ ايَّاك لما رضيتُ بثمن خمسة آلاف فرنك بل طلبت عشرين الفاً . ألا ترى انَّ الامبراطور لا يمكنهُ ان يستغني عن حانوتك ليقيم قصراً لابنهِ

سمع سيمون هذا القول فنفذ في ذهنهِ وعاد الى دارهِ وهو يردّد بلسانه : « عشرين الف فرنك ! » نعم اني سأحصل على هذا المبلغ . ثمَّ انطرح على فراشهِ والذهب يبرق في عينيهِ فلم تكتحلا بسهاد وبقي ليلتهُ يتململ على فراشهِ ويكرّر قولهُ : « لا ارضى الَّا بعشرين الف فرنك »

وفي ضُحى اليوم التالي عاد سيمون الى المجلس حيث كان في انتظارهِ كبير المهندسين ليُمضي صكّ البيع . لكنَّهُ اعلن بصوتٍ جهور انه لا يقبل بالثمن الموعود بل يطلب عشرين الف فرنك

فلمَّا سمع المهندس كلامه طردهُ من امامهِ وأعلم الحاكم بطمع السكّاف فكاد عُمَّال نابوليون يتميَّزون غيظاً عليهِ لكنَّهم صبروا ايَّاماً رجاء ان يرعوي . فلم يفعل . فرأى اصحاب الامر اخيرًا ان يوافقوا سيمون على مطلوبه لاحتياجهم للمكان فارسلوا اليه الدراهم وطلبوا منه ان يوقّع على الحجَّة

فعرف السكّاف من رجوعهم اليهِ انَّهم لا يستغنون عن كوخهِ فردَّهم قائلًا : قد طلبتُ عشرين الف فرنك فلم تؤدُّوها لي بسرعة فانا لا ارضى الآن الَّا بضعف هذا الثمن

فاستاء المهندسون من عمل الرجل ايَّ استياء وعزموا على تحوير رسم البناء لينجوا من عَنَت ذلك الطمّيع وباشروا بالعمل ووضعوا الاساس

امَّا سيمون فلم يقطع الامل وكان يترقّب المشروع رجاء ان يحصل على مرغوبهِ وهكذا جرى بعد ثلاثة اشهر اذ رأى ارباب العمل انَّ ملك السكّاف يشوّه القصر

وينزع عنهُ شيئاً من هندامهِ فعادوا الى صاحب الكوخ وطلبوا منهُ الدار بالثمن الذي طلبهُ اعني اربعين الفاً

الّا انَّ شيطان الطمع استفزَّ الرجل وأعمى بصرهُ فزاد في ثمن البيت لعلمهِ بأنهم يحتاجون اليهِ ولو طلب القناطير المقنطرة لَما رفضوها عليهِ فأجابهم انهُ لم يعد يرضى باربعين الفاً. فارادوا ان يبيّنوا لهُ سوء فعلهِ وفحش مطامعهِ فلم يسمع لهم حتى بعد ان زادوا لهُ عشرة آلاف فرنك أُخرى فقدَّموا لهُ خمسين الفاً بدل ارضٍ ما كان احد يدفع لهُ فيها مائتي فرنك

فلمَّا ايسوا من اقناعهِ تركوهُ وذهبوا الى الامبراطور واخبروهُ بما جرى لهم مع ذاك السكَّاف وكانوا كتموا عنهُ الامر قبلًا. فتنمَّر الامبراطور غضباً وكاد يرسل شرطاً ليوقفوهُ ويزجُّوه في السجن الّا انهُ اخمد غضبهُ بعد هنيهةٍ ثم قال:

اني لأُوثِر ان يُبنى القصر في محلٍّ آخر من ان اطاوع هذا الصعلوك فاذهبوا ولا تعودوا تذكرون لي اسمهُ فدعُوهُ يذهب الى لعنة الله وشيّدوا القصر كيفما شئتم

فبلغ الخبر سيمون فلم يضطرب لذلك بل كان يطوف حول البناء صباح مساء ثم يفرك يديهِ قائلًا: ان داري تساوي خمسين الفاً ولا بُدَّ ان احصل منها فوق هذا المبلغ

فمضت الأيام وكان البناء لا يزال يعلو في عنان السماء وسيمون لا يزال ينتظر بُناة القصر ان يأتوهُ ويؤدوا لهُ ما طلب منهم من المال. وكان عند اصحابهِ يفتخر بعملهِ ويُعد نفسهُ كاعظم اغنياء باريس. بل كنت تراهُ يتهامل في شغلهِ بل يخجل من اصطناع الاحذية واصلاح النعال وهو غني عندهُ من المال خمسون الفاً

فعلى ذلك القياس كان يقضي قسماً من الاسبوع في الملاهي ويعاقر المسكرات ويدعو اليها رفقتهُ وكان اذا طلبوا منهُ دفع حقّها يدونها في الدفاتر على حساب ثمن بيتهِ بل اخذ يفكّر في تشييد منزل عظيم يسكنهُ واهلهُ ويعيش فيهِ بالرخاء وخفض العيش. فبقي على هذه الحال نحو خمسة اشهر وديونهُ تزداد وليس احد من المهندسين يراجعهُ في اشتراء ارضهِ

*

وفي اثناء ذلك استعرت الحرب الروسيَّة فسار نابوليون بجيوشهِ الجرَّارة وأُبطلت

اعمال البناء في غيبتهِ اقتصاداً بالمال. فجرى للامبراطور ما جرى من النصرة التي عقبتها الكسرة. وما لبث ان اضطرَّتهُ الدول الى التنازل عن الملك

فكان سيمون السكّاف يتتبَّع تلك الحوادث الخطيرة وكلُّ فكرهِ في بيع دارهِ للامبراطور ليُدخلها في بناء القصر المشيَّد لابنهِ. فلمَّا عرف ما صارت اليهِ امور فرنسة من التقهقر شعر بانَّ احوالهُ ايضاً اخذت بالانقلاب وكوكبهُ بالاحتجاب فسار في احد الأيَّام الى حاكم باريس باسم الامبراطور وقال لهُ: «اني قد فكَّرتُ في امر داري التي طلبها مني المهندسون فانّي راضٍ بالثمن الذي عرضوهُ عليَّ اعني خمسين الف فرنك»

وكان الحاكم الذي دخل اليهِ سيمون غير العامل الاوَّل الذي عرفهُ سابقاً فسمع خطابَهُ وهو لا يدري من الامر شيئاً فاجابَه انَّ احوال الامبراطور لم تعد تسمح لهُ بمواصلة العمل ولا بُدَّ من انتظارهِ ريثما تنتظم الامور ويعود السلام

فكان لهذا الكلام اسوأ وقع على قلب السكّاف فعاد الى بيتهِ بخُفَّي حنين. ثم انثنى بعد ذلك باسبوعين راجعاً الى مواجهة الحاكم فلم يرضَ باستقبالهِ. فأخذ يكتب العاريض ويكرِّر المطاليب فلا احد يجيبهُ عنها فصار يعضّ البنان ندماً على ما فاتهُ من الفرصة. لكنَّهُ تجلَّد صابرًا لبلائهِ الى أن سمع يوماً صوت المدافع تدوي في باريس فأُخبر بان نابوليون كرَّ راجعاً من جزيرة إلبه وضبط ثانيةً ازمَّة التدبير

فعاد الى السكّاف أملهُ وانتعش قلبهُ وظنَّ انهُ يحظى عمَّا قليل بالمبلغ الموعود وبعد ثلاثة ايَّام اسرع الى حاكم جديد ولَّاهُ نابوليون على المدينة وأكَّد لهُ انهُ مستعدّ ان يهب دارهُ للامبراطور حتى بلا ثمن لو اراد. فطيَّب الحاكم قلبهُ ووعدهُ خيرًا وقال لهُ انَّ نابوليون سوف ينجز بناء القصر قريباً وسيعطيهِ في حقّ الدار ستين الفاً بل وثمانين ايضاً ان شاء الله. فكان لكلام الحاكم تأثير عظيم في قلب سيمون كاد يغيب لهُ عن الحواسّ فخرج يصرخ بملء فيهِ: «فليحيَ الامبراطور»

وكانت الأيَّام التالية لهذه المواجهة احلى في جنانهِ من شهد العسل لا يبرح من فكرهِ ذكر الثمانين الفاً فبنى عليها الآمال الطيِّبة وحسبها في كيسهِ لا محالة فكنت تراهُ ينفخ نفسهُ ويعامل رفقتهُ كأحد الذوات ويعدّد ما لهُ من المآثر الى ان اكتشف لأجداده اعمالًا خطيرة في التاريخ. وكان يذهب الى ثكنة العسكر فيختلط بالجند

ويشدّد عزائمهم على خدمة الامبراطور وتضحية نفوسهم لنصرتهِ. فكانوا يضحكون منهُ ويقتنصون دريهماتهِ ليشربوا نخب نابوليون

على انَّ عودة الامبراطور الى باريس لم تكن الّا سحابة صيف وما عتَّمت الدول الاوربيَّة المتحالفة ان سارت بخيلها ورجالها الى محاربة نابوليون فغلبتهُ عند قرية ڤاترلو في بلجكة واوردت جيوشهُ موارد لا صَدَر لها. فاضطرَّ ذلك الجبَّار الى ان يستسلم لاعدائهِ فارسلتهُ انكلترَّة اسيرًا الى جزيرة بعيدة تُدعى سانت هيلانة وعادت سلالة بوربون الى تدبير الامور في فرنسة

فكل هذه الاخبار توالت على مسامع السكَّاف سيمون فاورثتهُ اولًا الهموم واكسفت بالهُ ولمَّا رأى انهُ لم يَعُد لكسرهِ جبر هُدَّ ركنهُ وفُتَّ عضدهُ وكان يطيل النظر الى ابنية القصر لعلَّ ملك فرنسة الجديد يُنجزها فيحتلُّها هو او يُسكنها بعضًا من اسرتهِ فكان لا يرى فيها صافرًا حتى اخذ العشب ينبت في عرصاتها

فعزم على ان يواجه اصحاب الدوائر فيعرض عليهم دارهُ ليبتاعوها وأكَّد لهم انهُ يكتفي بخمسين الفًا. فما ادَّى ذلك الى نتيجة ثم عاد ثانيةً وثالثةً وخفض المبلغ الى اربعين الفًا ثم الى ثلاثين فكان جواب العمال ان الحكومة ليست في حاجة اليها. فظنَّ انهُ اذا انقص تلك القيمة الى عشرين الفًا ينال المرغوب فضاعت اتعابهُ سدًى حتى انهُ لم ينل الثمن الاوَّل الذي كان حاكم باريس تبرَّع بهِ عليهِ اي خمسة آلاف فرنك

وكانت الديون في تلك المدَّة قد تفاقمت وثقلت على اعتاقهِ فلم يعرف كيف ينجو من غرمائهِ. امَّا السكافة فكان أهملها منذ سنتين أملًا بما ينتظرهُ من الربح المضمون فلم تَعُد يداهُ تطاوعانه على الشغل فضلًا عن انقطاع الزبائن عنهُ. فغلب عليهِ وعلى عائلتهِ ضنك العيش فمدَّ يدهُ الى رفقتهِ فابتعدوا عنهُ حتى اظلمت الدنيا في عينيهِ ولم يرَ وجهًا للخلاص من بؤسهِ الّا بان يبيع الدار وما يلحق بها مع ادوات حرفتهِ بمئة وخمسين فرنكًا ثم توارى عن العيان لئلا يشعر بهِ غرماؤهُ فيزجّوهُ في الحبس ليؤدّي ما عليهِ من المال

عاش ذلك المنكود الحظّ هو واهلهُ بثمن دارهِ عدَّة اشهر انكد عيشةٍ. وكان اذا سدل الليل استارهُ يقوم مستخفيًا فيأتي الى نواحي حانوتهِ فيطوف حول قصر ملك رومية فيتذكر الثروة التي كادت تُسعد حياتهُ فيتأسَّف ويتلهَّف لكن لات حين ندامة

وفي صباح احد ايام شباط من السنة ١٨١٦ وجد الشرط عند حف اكمة تروكاديرو رجلاً رثّ الهيئة ممتقع اللون مُلقًى على الحضيض دون حراك فظنّوهُ ميتاً الّا انّهم رأوهُ بعد قليل يتحرَّك ثم رأرأ بعينيهِ وطلب اين قصرهُ ثم غلب عليهِ الهذيان فكان يخبط ويخلط ويذكر ما لهُ من الغنى الواسع. فعرف الشرط بانهُ مُصاب بشعوره فنقلوهُ الى مستشفى المجانين. وعرفهُ بعض النظّار فأعلموا الاطبّاء بحالهِ. فجعلهُ هؤلاء عبرةً لابحاثهم ودقّقوا النظر في جنونهِ طول مدَّة اقامتهِ في ذلك المأوى اعني الى سنة وفاتهِ في كانون ٢ من السنة ١٨٤٦ فبنوا عليهِ ملحوظات شتى

(قلنا) انَّ اطبّاء الروح كانوا احرى بدرس هذا الداء في ذلك المصاب الممنوّ بهِ فيبيّنوا لمن ابتُلي بالطمع ما ينالهُ من الوجع . فبهذا البئيس قد صحَّ قول الحكيم: من لم يقنع بالقليل لم يكتفِ بالكثير. ونعم ما قال الشاعر:

افادتني القناعةُ كلَّ خيرٍ   وما عزٌّ أعزُّ من القناعهْ
فأجعلها لنفسي رأس مالٍ   وآخذُ بعدها التقوى بضاعهْ

موتمران دينيّان في عاصمة الانكليز

نظر للاب لويس شيخو اليسوعي

ان استحقَّ عصرنا بان يُدعى عصر العلوم والمعارف فيحقُّ لهُ ايضاً بان يُسمَّى بعهد المؤتمرات. لانَّ اهل زماننا قد ادركوا بالاختبار انّ الاعمال العظيمة لا تقوم الّا بالاتحاد وبجمع القوى. وليس اتّحاد الّا بالتقرُّب وتبادل الافكار . وهذا ما قصدهُ ارباب الدُول واصحاب العمل بعقد المؤتمرات ان يضمّوا انوار العقول الى بعضها فتتمهَّد بذلك الامور وتنكشف الشبهات وتزيل المشاكل

وقد تعدَّدت هذه المؤتمرات الى حدّ بالغ فمنها للسياسة ومنها للعلوم ومنها للمشروعات الخيريَّة. ولو سردنا ما عُقد منها في هذا العام وحدهُ لأنافت على العشرين مؤتمراً وقد ذكرنا منها في المشرق (ص ٧٣٧) اخبار مؤتمرين توفَّقنا الى حضورهما فبيَّنا ما نجم عنهما من الفوائد لتقدُّم العلوم التاريخيَّة والآداب الشرقيَّة

ومما استوقف ابصار ذوي العبرة في السنة الجارية موتمران دينيان عُقدا في عاصمة الممالك البريطانيَّة وصار لكليهما شهرة واسعة فلم تكد تخلو جريدة مهمَّة من ذكرهما وايضاح شأنهما وتفصيل اعمالها. واوَّل هذين الموتمرين قام بهِ الاكليروس الانكليكانيّ في اواسط حزيران للبحث في شؤون الكنائس البروتستانيَّة الانكليزيَّة. واما الثاني فكان موتمرًا كاثوليكيًا وأحد الموتمرات القربانيَّة العموميَّة التي يُدعى اليها الكاثوليك من كل البلاد للمفاوضة في الامور المنوطة باعظم اسرار الدين المسيحي اعني سرّ القربان الاقدس قطب الحياة الروحيَّة في كنيسة المسيح ومركز دائرتها. فقد رأينا ان نلخّص هنا اخبار الموتمرين ليقف الشرقيون على نتائجهما و يروا بالمقابلة ما تقصدهُ كل كنيسة من هذه الاجتماعات وما تستفيدهُ لخير الرعايا وترقي العمران وانماء روح الدين

١ موتمر الانكليكان

هذا اول موتمر عام أُقيم في لندن للنظر في الشوون الدينيَّة واحوال الكنائس الانكليكانيّة. وقد كان زعماء الدين قبل ذلك عقدوا مجتمعات مذهبيَّة لا يحضرها غير الاكليروس البروتستانيّ دون العالميين. وآخر اجتماع جرى من هذا الصنف انّما جرى سنة ١٨٨٨ في قصر لَمبث (Lambeth) حضرهُ ١٤٥ اسقفًا مع السيِّدات نسائهم

فبعد عشرين سنةً افتُتح هذا الموتمر للكنائس الانكليكانية في ١٥ حزيران في كنيسة وَستمِنستر الكاتدرائيَّة بحضور سبعة آلاف من المندوبين الذين قدموا من كل انحاء البلاد الانكليزيَّة ليشتركوا في اعمالهِ. والمندوبون منهم اكليريكيُّون ومنهم عالميون ومنهم رجال ومنهم نساء وهم يمثلون بلادًا عديدة وشيعًا متفرّقة لا يجمعها في الآداب الدينيَّة والمعتقدات الَّا مجرَّد الاسم حتى انَّ كثيرين منهم لم يرضوا ولا باسم الموتمر فلم يصادقوا على تسميتهِ بموتمر الانكليكان او الكنائس الانكليكانيَّة

وكانت الدولة الانكليزيَّة اوفدت من قبلها رأس وزرائها المستر أسكيث (Asquith) فقام في الجلسة الافتتاحيّة ورحَّب بالوفود ثم ذكَّرهم بما يُبنى على مجتمعهم من الآمال الطيّبة ليزيلوا الشرور التي تنقض اركان الهيئة الاجتماعيَّة ويرشدوا الناس الى الوسائل التي تودي بهم الى الاتّحاد والترقي. ولا غرو انَّ للدين قدرةً على ذلك تفوق على غيرهِ وتضمن لهُ بالنجاح

وفي غد ذلك اليوم باشر المندوبون بالعمل وكانوا قسموا تسهيلًا للابحاث وفود المؤتمر الى سبعة اقسام عُهد الى كل قسم منها مباحث خصوصيّة ترجع الى اربعة ابواب وهي: ١ً المعتقدات الدينيّة في الكنيسة. ٢ً النظام الكنسي والآداب الكنسيّة. ٣ً الكنيسة والهيئة الاجتماعيّة. ٤ً الكنيسة بازاء الملل والاديان. وها نحن نلخّص هنا بعض الابحاث التي دارت بين المؤتمرين في تلك المواد من ١٦ حزيران الى ٢٤ منهُ

١ (المعتقدات الدينيّة) يعلم الكاثوليك ان الاعتقادات الدينيّة عند البروتستانت تختلف اختلافًا عظيمًا اذ ليس عندهم من يحدّد القضايا كما في الكنيسة الكاثوليكيّة ويرذل الضلال ويقرّر ما ظهرت موافقتهُ لتعليم الاسفار المقدّسة والتقليد الرسولي. ومن ثم تزداد كلّ يوم الاحزاب الدينيّة وتتباين العقائد ايَّ تباين بين البروتستانت. وعليهِ لم يجسر اصحاب هذا القسم من المؤتمر ان يخوضوا كثيرًا في الابحاث الاعتقاديّة لا بل ودّوا لو نُفيت من لائحة المؤتمر لئلّا تكون حجر عثرة بينهم. بيد انّ البعض ألحّوا على رصفائهم حتى سمحوا لهم بالمداولة في الوحي وفي الاسفار المقدّسة. فنزل في هذا الميدان فئة من العلماء الانكليكان بعضهم اميركيون وبعضهم انكليز فدافع رئيس كهنة كنتربري واس (Wace) عن صحّة الوحي والاسفار المنزلة ووافقهُ على رأيهِ القانونيّ سنداي (Sanday) من اساتذة اكسفرد لكنَّ فئة أُخرى اسرعت لنقض اقوال السابقين كالاساتذة كنّات (Kennett) وبركت (Burkitt) من كمبردج. وبرناي (Burney) من اكسفرد فانكروا الوحي وانزلوا الكتب المقدّسة منزلة التآليف البشريّة القابلة للغلط. فحمي وطيس الجدال بين الفريقين. وكانت نتيجة النزاع انَّ اسقف كلكوتّا المتقدّم في هذا النادي سمح لكلّ منهُ ان يدافع عن رأيهِ كما يشاء. فكان لهذا الحكم اسوأ وقع في قلوب البروتستانت الذين يعدّون التوراة مُنزلةً ويعتبرون اقوالها من كلام الله الذي لا ريب فيهِ. وناهيك بهذا الجدال مثلًا عن تعدُّد الآراء وتناقضها في الكنيسة الانكليكانية فيُسمَح للواحد ان يثبت ما ينكرهُ الآخر ليس فقط في بعض الاعراض والمسائل الثانويّة ولكن في الامور الجوهريّة والابحاث الاساسيّة كالوحي وصحّة الاسفار الالهيّة

٢ (النظام الكنسيّ والآداب الكنسيّة) كان لهذا الفرع مجال واسع اذ نيطت بهِ ابحاث متعدّدة. فمن جملة المباحث التي عُني بفحصها الحضور مسألة المدارس

الاكليريكيّة وتهذيب المترشحين للكهنوت الانكليكاني سواء كان في انكلترَّة او في الممالك الاجنبيَّة. وقد تأسَّف الكثيرون على قلَّة الذين يطلبون الدعوة الاكليريكية بنزاهة حبًّا بالخير العمومي ليس لغايات شخصيَّة. ثم بحثوا لهذا الداء دواء لعلَّهم يجدوا سدًّا للخلل وخصوصاً في الرسالات الاجنبيَّة حيث لا يجدون غير الأُجراء. فظنُّوا ان الامر يمكن تلافيهِ بزيادة اهتمام في تعليم المرشحين لخدَمة الدين. لكنَّهم لم يتفقوا على طرائق هـذا التعليم أيكون دينيًّا محضاً او يكون علميًّا او مختلطاً وما هي التعاليم الدينيَّة التي ينبغي تلقينها هؤلاء الطلبة ليعلّموها المؤمنين فتضاربت الآراء دون نتيجة

ومن المسائل التي تعود الى النظام الكنسي وبحث فيهـا المؤتمرون مسألة الاسقفيَّة هل للاساقفة في الكنيسة رتبةٌ لازمة لازبة انشأها السيّد المسيح او هي رتبـة ثانويَّة يمكن المؤمنين ان يستغنوا عنها. فقرئت رسـالة لاحد علماء كمبردج المعدودين الاستاذ غواتكين (Gwatkin) بيَّن فيها ما يرتئيهِ بعض علماء الانكليكان في شأن الاسقفيَّة الذين ينكرون ان المسيح انشأ هذه الدرجة ويندّدون باساقفة انكلترَّة وسيرتهم العالميَّة ويدعونهم عمَّالًا للدولة ليس للمسيح. فكان هـذا القول داعياً لجدال عنيف بين الجمهور فمنهم من قرَّرهُ ومنهم من انكرهُ. وقال بعضهم اذا صحَّ هذا القول أُلغيت بسببهِ الدَّرجات الكنسيَّة من الكنيسة الانكليكانيَّة واصبحت هـذه الكنيسة كمثل شيع اخرى من البروتستانت. امَّا نتيجة البحث فبقيت مبهمةً لم يمكن لرؤساء المجمع ان يحدّدوا فيها شيئاً

وقد وقع بين المندوبين خلاف آخر بخصوص اتّحادهم مع الشيع البروتستانيَّـة غير الانكليكانيَّة كاللوترانية مثلًا والكلوينيَّة فقام شِعبٌ منهم يدافعون عن فصل الكنيسة الانكليكانيَّة عمَّا سواها لان خواصَّهـا كما زعموا مخالفة لخواصّ تلك الكنائس فاكليروسها وطقوسها وتعاليـمها تفترز عن تلك الكنائس فلا تُحسن ان تمتزج بهـا. لكنَّ قسماً آخر من اهـل المؤتمر لم يوافقوا هؤلاء وفنَّدوا مزاعمهم وكان من جملتهم اسقف جبل طارق الذي أثبت ان كنيسة المسيح لا يمكنها ان تنحصر في امَّة واحدة بل تشمل كل البلاد التي راجت فيها مبادئ الاصلاح البروتستاني رغمًا عن الاختلافات التي طرأت على احوال الكنيسة وتعاليمها في تلك البلاد

ومن المطاليب التي عُرضت على اصحاب هذا القسم التعليمي مطلبٌ آخر احبَّ

كثيرون لو ضُرب عنهُ الصفح لئلا يضحي عقبةً في سبيل انصار الدين. فسألت فئة من اعضاء المؤتمر ان تُحدَّد المعتقدات الجوهريَّة التي يجب على أتباع الكنيسة الانكليكانيَّة ان يؤمنوا بها والعقائد الثانويَّة التي يمكن الاغضاء عنها بل يجوز جحودها دون ان يُفرز القائلون بها عن جسم الكنيسة. فكان هذا المبحث كبركان نار انفجر وكاد يلتهم كل شيءٍ فيشتِّت شمل المجتمعين. فمنهم من كان يزعم انَّ المسيح لم يحتم على تلاميذه معتقدًا صريحًا وانَّما يطلب فقط الايمان بشخصهِ الكريم ليس الَّا. ومنهم من ارتأى انَّ العقائد ليست من جوهر الايمان وانَّما الاعمال الصالحة هي التي تقرّبنا الى المسيح. وذهب غيرهم انَّ الكتاب المقدَّس هو القاعدة الوحيدة للايمان دون تعليم آخر. وطلب غيرهم انَّ يوسَّع ذلك النطاق ويُدخل في الجوهريَّات مع الكتاب المقدَّس دستور الايمان والاسرار والنظام الكنسيّ. وناصب هؤلاء قوم آخرون اكثرهم اميركيُّون فرأوا انَّ هذه لَمِن النوافل المستعارة من الكنيسة الرومانيَّة ومن ثم لا يقبلون بها. فتشعَّبت الآراء وعلا الضجيج وخاف الاساقفة الحضور ان ترتبك الامور ويختلط الحابل بالنابل فسعوا باصلاح ذات البين ولم يتَّفقوا على نتيجة

وقام بعض المندوبين ممَّن ينكرون لزوم الدرجات الكنسيَّة فطلبوا تعزيز سلطة العالمين في تدبير الكنيسة ونظر اوقافها والاهتمام بكل زمنيَّاتها حتى اذا فُصلت الكنيسة عن الحكومة في مجلس الدولة بقيت الكنيسة ثابتةً بمساعدة العالمين. ولم يكتفِ البعض بذلك بل طلبوا التصويت للعالمين في انتخاب الاكليروس ولاسيما تعيين الاساقفة. وزاد قوم من ممثلي الحكومة على هذه الاقتراحات بأن يُقام من قبل الدولة بعض العالمين ليتفقَّدوا اعمال خدَمة الكنيسة ويصلحوها. فلم يرضَ بهذه المطاليب معظم الاكليريكيين لئلَّا تستعبد الحكومة ارباب الدين كما يجري الامر في روسيَّة

وممَّا الحَّ عليهِ بعض الحضور انشاء جمعيَّات نسائيَّة لبعض المشروعات واطرأوا في مديح « الشمَّاسات » و« الاخوات » اللواتي يساعدن في المساعي الخيريَّة كالمستشفيات والمياتم وتعليم الفتيات وطلبوا ان يُزاد في عددهنَّ وذكروا الراهبات الكاثوليكيَّات وما يؤدينَ من الخدم لكنيستهنَّ. فكان لكلامهِ الوقع المحمود. لكنَّهُ نسي انَّ زعماء الشيعة البروتستانيَّة في انكلترَّة مثل كرنمر وكروموِيل ألغوا كلَّ الرهبانيَّات بغضًا بالكنيسة الكاثوليكيَّة وهم اليوم يقرّون بمنافعها ويحذون بالكاثوليك في تجديدها.

فيا لها من كنائس تتلوَّن كأبي قلمون فتعظِّم اليوم ما رذلتهُ امس

ومن المساعي المشكورة التي نالت رضى اصحاب المؤتمر بخصوص الآداب الكنسيَّة تصويبهم سهام اللوم نحو الطَّلاق واتّفق كثيرون على ان لا يحضروا باسم الكنيسة اكليل الذين طلَّقوا نساءهم مهما قرَّرهُ من هذا القبيل القانون المدنيّ لأنهم رأوا في الطلاق بابًا واسعًا لشتات العيال وانقطاع حبل المجتمع الانسانيّ . وقد انتصب خطيبًا احد المندوبين الاميركيين فدافع عن كرامة الزواج وقبَّح تصرُّف الذين يجعلون حدودًا للنَّسل البشري استنكافًا من واجبات التربية

وكذلك صادق معظم المؤتمرين على مشروع حسن وهو عيالة العَجَزة من الاكليريكيين في شيخوختهم اذ لا يليق بالشعب ان يهمل الذين خدموا نفوسهم وقاموا بمصالحهم الدينيَّة

٣ (الكنيسة والهيئة الاجتماعيَّة) لم يجد المؤتمر الانكليكاني في هذا الباب المشاكل التي لقيها في تحديد المعتقدات وتنظيم الآداب الكنسيَّة وعليهِ لقيت ابحاث هذا الفريق قبولًا واستحسانًا . واوَّل هذه الابحاث التي خاضوا فيها تهذيب الشبيبة فان العدد الاوفر من المؤتمرين قرَّر المحافظة على التعليم الدينيّ « اذ لولاهُ لنُسف اساس المدنيَّة نسفًا وعاد الشعب بعد سنين قليلة الى الهمجيَّة وعيشة المتوحشين » . وهو لعمري كلام حريّ بالاعتبار نطلب من بعض جهَّال بلادنا ان يتأملوهُ قبل ان يدرجوا في الجرائد الوطنيَّة مقالات في نفي الدين من المدارس

ونثني ايضًا كل الثناء على مساعي هذا المؤتمر الانكليكاني في بحثهِ عن احوال الفَعَلة لصيانة حقوقهم ونفي الظلم عنهم والسعي بالتوفيق بينهم وبين ارباب المعامل او وُلاة الاشغال واتّخاذ الوسائل لمنع الاعتصابات ولمساعدة العملة في ضيقهم واسقامهم

وقد أقام أفراد من المندوبين الحجَّة على بعض قوانين الدولة التي لم تجعل حدًّا لمطامع فئة من الاغنياء الذين يحتكرون الاموال احتكارًا فظيعًا بينما ترى الالوف المؤلفة من الفقراء يموتون جوعًا . وبيانًا لذلك قدَّم المستر سمربل (Summerbell) جدول تقسيم الثروة في انكلترة فاوضح انَّ عدد اهل بريطانية العظمى يبلغ ٤٣,٠٠٠,٠٠٠ بينهم ٢٠,٠٠٠,١٠٠ في حالة الفقر يعيشون من شغلهم اليومي و ١٢,٠٠٠,٠٠٠ في الفقر المدقع تودي بهم المجاعة . فلا بُدَّ للدولة من وضع سُنن

عادلة لاستدراك هـذا النقص فيكون بعض التوازن بين الطبقات العليا والطبقات السُّفلى . وكذلك قد ازداد عدد الفَعَلَة الذين لا يجدون شغلًا يرتزقون منـهُ فبلغ ألفَ الفٍ . فان بقي هؤلاء على هـذه الحالة ماتوا وعيالهم جوعًا او اخلدوا الى الثورات والفتن والاعتصابات . وهو داء يستدعي دواء عاجلًا قبل ان ينقطع الرجاء من شفائهِ

ثم قام بعض الخطباء وطلبوا ان يسعى اهل المؤتمر في ابطـال المراهنات التي تجري في مرامح الخيل لأنهـا اصبحت خطرًا على الهيئة الاجتماعيَّة وهي من اقبح المقامرات ولا يزال عدد المراهنين في ازدياد متواصل حتى بلغوا ثلاثين الفًا . واحتجَّ غيرهم على مبيع الافيون والمشروبات الروحيَّة في المستعمرات الانكليزيَّة وخصوصًا في الهنـد لانَّ هذه المتاجرة عارٌ على امَّة متمدّنة من شأنها ان تسعى في تأديب رعاياها وتبعث بهم الى الترقي والاصلاح

فكلُّ هذه الابحاث الاجتماعيَّة والخطب العمرانيَّة قد شرَّفت مؤتمر الانكليكان وما ينقصها الَّا ان تخرج الى عالم الوجود وحيّز العمل

٤ (الكنيسة الانكليكانيَّة بازاء بقيَّة الاديان) انَّ الكنيسة الانكليكانيَّة قبل مائة سنة كانت منحصرةً ضمن حدودها الطبيعيَّة لا تطلب الخروج منها الَّا انَّها رأت كنيسة رومية تسعى في توسيع نطاقها وتُرسل الى اقاصي العالم ابناءها ليدعوا الى النصرانيَّة الامم الوثنيّة والطوائف المنفصلة فنجحت ايَّ نجاح . فعوَّلت الرسالات البروتستانيَّة على مجاراتها في هذا الميدان واخذت مذ ذاك الحين تنتشر وتمتدّ وتناصب الرسالات الكاثوليكيَّة وتصرف القناطير المقنطرة لتنفيذ رغائبهـا واغناء أتباعها . لكنَّ مساعيها لم تأتِ بالنتيجة المأمولة كما اقرَّ بذلك اصحابها بخلاف الرسالات الكاثوليكيَّة التي تزدهر حيثما يُنشئها المرسلون . ومن ثمَّ تباحث اصحاب مؤتمر لندن في الوسائل لاستدراك الخلل بانشاء المدارس في بلاد الوثنيين ونشر الآداب الانجيليَّـة بينهم . وممَّا صادقوا عليهِ ان يسعى المرسلون الانكليكان بتربية احداث من الوطنيّين وتهذيبهم وتقليدهم الكهنوت والاسقفيَّة نفسهما ليجتذبوا مواطنيهم الى الانجيل

ووجَّه الانكليكان نظرهم الى كنائس النصرانيـة المنفصلة عن رومية كالروم والنساطرة واليعاقبة لعلَّهم يقفون على وسائل للتقرُّب منها . ومعلوم انَّ اساقفة البروتستانت الانكليز اوفدوا غير مرَّة وفودًا الى الفنار ليوثقوا بينهم وبين الروم عُرى التودُّد لكنَّ

تلك المساعي ذهبت ادراج الرياح. ولمّا عاد المؤتمرون الى النظر في هذا الامر قام اللورد هاليفاكس وبيَّن للحضور انَّ التقرُّب من رومية الزم وأحوج لكنيسة انكلترة من سواها لحسن نظام الكنيسة الرومانيَّة ونفوذ كلمتها وارتباط كل اقسامها برأسها الحبر الاعظم. ثم اوضح لاهل المؤتمر انَّ كثيرين من الانكليكان يتوهَّمون في جانب رومية اوهاماً لا حقيقة لها فاذا تقرَّبوا منها ربَّما زالت تلك المخاوف الباطلة وتحقَّقوا انَّ تعاليم الكاثوليك ليست كما يتخيَّلونها. فبالتقرّب ومبادلة الافكار تنكشف تلك الاوهام ولا يبقى داعٍ للنفور والخصام. حقَّق الله تلك الامانيّ

هذه خلاصة اعمال مؤتمر لندن الذي خُتم بحفلة عظيمة في كنيسة مار بولس في ٢٤ حزيران وفي الختام قدَّم الاساقفة لوائح الحسَنات التي تبرَّع بها رعاياهم للمشروعات الدينيَّة وكتبوا في ذلك صكوكاً وضعوها على هيكل الكنيسة الكبير فكان مجموعها ٣٣٣,٢٠٨ جينه اعني ٨,٣٣٠,٢٠٠ فرنك. وناهيك بكرم المحسنين دليلاً على تعلُّقهم بالدين ورغبتهم في تعزيز شؤون كنيستهم

وكانت عاقبة هذا المؤتمر انهُ بيَّن لكل ذي عين ما في كنيسة انكلترة من جراثيم الشقاق والانحلال كيف لا وهي جسم بلا رأس لا يقرُّ لايمان ابنائها قرار ويذهبون المذاهب المتباينة في التعليم والمعتقدات والاسرار والكتب المقدَّسة وقد قال السيّد المسيح (مرقس ٣: ٢٥): «كل بيت ينقسم على نفسهِ لا يمكنهُ ان يثبت»

هذا وكان بودّنا ان نلحق بذكر المؤتمر وصف مجتمع اساقفة الانكليكان الذي لا يحضرهُ غيرهم جعلوهُ كتتمَّة للمؤتمر السابق وبحثوا فيهِ عن الامور الدينيَّة التي تداول فيها اهلهُ ليقرّروا ما يجب قبولهُ وما ينبغي رفضهُ. وكان عدد الاساقفة المجتمعين ٢٤٢ عقدوا جلساتهم في قصر لمبث. وقد اطَّلعنا على اعمال هذا المجمع فاذا هي تتحايد غاية امكانها البحث عن المعتقدات وتقرير الجوهريّات وتثبت الادبيّات كما جرى في المؤتمر فلا نرى حاجة الى التكرار

٢ً المؤتمر القربانيّ

لم يمرّ على هذا المجتمع الانكليكانيّ ثلاثة اشهر حتى عُقد مجتمع آخر كاثوليكي في حاضرة بريطانية العظمى ألا وهو المجمع القربانيّ

في سنــة ١٨٨١ فكَّر قوم من مشاهير الافرنسيين ذوي الدين المكين والغيرة الملتهبة في اقامــة موتمر عمومي يُدعى اليهِ علماء الكاثوليك من الاكليروس والعالمين ليتداولوا في المباحث المختصَّة بسرّ اسرار الكنيسة وركنها الثابت ومركز حياتهــا في هذه الدار الفانية فجرى ذلك المؤتمر الاوَّل في مدينة ليل من اعمال فرنسة بجفلة حافلة توارد اليها نخبة من ائمَّة الكاثوليك

ومذ ذاك الحين قد تتابعت تلك الاجتماعات في حواضر اوربَّة . ويذكر القرَّاء المؤتمر الذي عُقد في القدس الشريف سنة ١٨٩٢ وما جرى فيهِ من الاحتفالات الجليلة التي تصدَّر فيها الكردينال لنجنيو واحدقت بهِ البطاركة والاساقفة الشرقيون والغربيون فكان لتلك المظاهر احسن وقع في القلوب

وهذه المؤتمرات تتكرَّر سنةً بعد سنة . فكان المؤتمر الثامن عشر في العــام المنصرم في مدينة مِتْس تقاطر اليــهِ المؤمنون من كلّ الانحاء ورحَّبت بلديَّة تلك الحاضرة بالمؤتمرين وساعدتهم في كل اعمالهم حتى كان ذلك المجتمع من اخطر واعظم المجالي الدينيَّة في هذه السنين الاخيرة

ولمَّا نجز ذلك الاحتشاد وبحث اربابهُ عن المكان المناسب للاجتماع التالي ارسل رئيس اساقفة وستمنستر الكاثوليكي السيد بورْن (Bourne) الى اللجنة التي تتولَّى تدبير هذه المؤتمرات واشار الى لندن كاجدر مكان لعقد المجمع القرباني في سنة ١٩٠٨

اخذ العجب كل من سمع بمقصود السيد بورن وخاف البعض من ان تحول دون مجتمع دينيّ كهذا عقبات كؤودة ومشاكل جمَّة في امّ المدائن البروتستانيَّة التي منهــا نُفي سرّ القربان في اواخر القرن السادس عشر واصبحت تقدمة الذبيحة الطاهرة من اعظم الجنايات يُعاقبها زعماء الاصلاح الانكليكانيّ بالقتــل والشنق ولا يزال ملوك انكلترَّة يوم تتويجهم يقسمون قسماً منافياً لهــذا المعتقد بغضاً في كنيسة رومية . فيا تُرى لو عاد الكاثوليك وجدَّدوا علانيةً في ظهراني المدينــة الاحتفالات بتعظيم الافخارستيــا أفلا يتصدَّى لهم المتعصبون للاضاليل البروتستانية . وما ادراك انَّهم لا يثيرون الفتن على الكثلكة فيصبح المؤتمر داعياً للمظاهرات العدائية

لكنَّ الكاثوليك الانكليز قرَّروا ملتمسهم واكَّدوا للجميع انهُ لا يحصــل من هذا المؤتمر الَّا كلّ خير لانَّ حرّية الاديان في لندن لا تسمح لاحد من المعادين أن يأتي

عمّا يكدّر خواطر اتباع الكنيسة الرومانية وعددهم في المدينة يُربي على ثلثمائة الفٍ

ولمّا بلغ مسامع الحبر الاعظم ما اتّفق عليهِ سراة الانكليز وعمدة المجمع القرباني بارك مشروعهم وعيّن احد كبار امراء الكنيسة الكردينال ڤانوتلّي بان يمثّلهُ في تلك الاعياد الجليلة وآزرهُ ببراءة اودعها ارقّ العبارات وألطفها في مديح بريطانية العظمى

كان موعد المجمع القرباني في ٩ ايلول فاستعدَّ لهُ كاثوليك الانكليز استعدادًا اهلًا بمقامهم وغيرتهم . وعيّنوا لحفلات العيد كنيسة وستمنستر الكاثوليكية التي نجز بناؤها منذ زمن قريب وتُعدّ من آيات البناء العصري (اطلب وصفها وصورتها في المشرق ٥ : ٨٧٧—٨٧٨)

فما حان الوقت المعهود حتى توارد الى العاصمة الانكليزيَّة مع عدد لا يُحصى من اعيان الكاثوليك من كل الدول الاوربية خمسمائة من الكهنة و ٦٦ اسقفًا و ١٤ مطرانًا وخمسة كرادلة يتقدّمهم القاصد الرسولي نيافة الكردينال ڤانوتلّي . وقد اتوا كلّهم بزّاتهم الاكليريكيَّة دون ان يلبسوا لبس العالميين كما هو جار حتى اليوم عند الاكليروس الكاثوليكي الاجنبيّ المتوجّه الى انكلترة

ولا نتعرّض لوصف الاستقبال الفخيم الذي صار لممثّل الكرسيّ الرسوليّ عند وصولهِ الى محطَّة لندن وهي المرّة الاولى منذ ثلثمائة سنة تمسّ قدم النائب البابويّ ارض انكلترة . فكانت الجماهير المجمهرة تزدحم امام المحطَّة وتتسارع الى الشوارع والساحات المجاورة تخالهم في تسابقهم الامواج المتلاطمة وكلهم عيون شاخصة الى انوار مطالع نيافة القاصد . فلمّا ظهر علت اصوات الهتاف والترحيب فسُمع لها دويٌّ مهيب

وحضر الاساقفة ووجوه الشعب ورؤساء الجمعيّات الكاثوليكيَّة وفي مقدّمتهم جاثليق انكلترّة والدوق دي نورفلك زعيم الكاثوليك الانكليز فرحّبوا بممثّل قداسة البابا وساروا كلهم بهِ بموكب عظيم بعد ان شكرهم الكردينال على استقبالهم الولائي وذكر لهم ما عهد اليهِ امام الاحبار من الوكالة ليرأس باسمهِ هذا المجمع الدينيّ في بلاد تُعدّ اليوم بلاد الحريّة والصدق والتساهل . فصرخ الوف من الحضور « ليعش البابا ليعش صاحب النيافة » . وقد بلغت فخامة ذلك الاستقبال الى حدّ من البهاء والعظمة الى ان قال كثيرون : « انَّ الملك نفسَهُ لم يرَ قط مثل هذا الاستقبال »

وفي غد ذلك النهار افتُتحت جلسات المجمع في الكنيسة الكاتدرائيَّة فاقام رئيس اساقفة باريس قداسًا حبريًا غاية في الابهة مع ايقاع الارغن وأنغام الجوقات الموسيقيَّة المنظَّمة . وكان كل يوم من أيَّام المجتمع يقيم الذبيحة احد الكرادلة او احد زعماء الطوائف الشرقيَّة بيانًا لاتّحاد الجميع في الايمان مع اختلاف الطقوس والرتب الكنسية

امَّا المواضيع التي تُليت فيها خطب الخطباء ودار عليها محور كلام المتباحثين فكانت كلها ترمي الى غرض واحد السرّ العجيب الذي وضعهُ ابن الله ليكون هو نفسهُ بلاهوتهِ وناسوتهِ تحت احجاب الخبز والخمر رفيقًا للبشر في منفاهم وقوتًا لنفوسهم وذبيحة عن آثامهم . فمنهم من اعتبر سرّ القربان في ذاتهِ ومنهم من وصفهُ في مفاعيلهِ وذكر بعضهم انتشار عبادتهِ في انكلترَّة قبل ظهور البدعة البروتستانيَّة وبيَّن غيرهم الشواهد الطقسيَّة والآثار الكتابيَّة والاعمال الهندسيَّة في الشرق والغرب دلالةً على ايمان قدماء النصارى بهذا السرّ . واعلن الفيكونت لنداف (Llandaff) انَّ قَسَم ملوك انكلترَّة يوم تتويجهم ضدّ الافخارستيا ينافي معتقد الانكليز منذ دخول النصرانيَّة بينهم فضلًا عن كونهِ شتمًا واهانة لأخلص تبعة الدولة . وقد بلغت الخطب والمقالات التي تُليت في هذا المجمع القرباني نحو الثمانين ألقاها اكبر علماء الكنيسة الكاثوليكية وكان عدد وافر من الاكليروس البروتستاني وزعماء الشيع البروتستانية يحضرون هذه الحفلات فيخرجون وألسنتهم تترطَّب بالمديح على نظام الكاثوليك واتّفاقهم في المعتقدات وسعة مداركهم وعمق ايمانهم ويثنون على كل ما رأوا وسمعوا . ولا غرو انَّ مثل هذه الحفلات كخميرة في قلوب اولئك الاخوة المنفصلين لا تزال تعمل في قلوبهم حتى تستنير اذهانهم بنور الحقّ . ولذلك ترى كل سنة بل كل اسبوع قومًا من علماء البروتستانت واكليروسهم ينبذون التعاليم البروتستانية ليرتدُّوا الى حظيرة الكنيسة المبنيَّة على الصخرة البطرسيَّة

وتشكَّلت ايضًا بعض لجنات كانت غايتها العمل اكثر منها العلم فبحثوا عن اقرب الوسائل لنشر العبادة نحو السرّ القربانيّ وعن التناول المتواتر وعن الشركات القربانيَّة وتهذيب الاحداث الذين يخدمون الرتب الدينيَّة . وخطب الدكتور دوره من لِيل في طوافات القربان الاقدس في المدن وعدَّد الدكتور بواساري المعجزات

العديدة التي تحدث كل سنة في لورد عند الترييح بسرّ القربان حيث تتوفّر العجائب كما كانت تجري في عهد المسيح لمّا كان ابن الله يشفي كلّ العاهات ويعالج كلّ الاسقام

وكل هذه الخطب علميّةً كانت او عمليّةً كان يحضرها الوفٌ من السامعين وكانت تُلقى خارجاً عن الكنيسة في اكبر معاهد لندن مثل « البرت هال » او « كاكستن هال » وكانت مع سعتها تضيق عن عدد الوافدين الذين كانوا يبلغون الى حد عشرة آلاف فاذا ظهر النائب البابويّ ضجّت تلك الاندية باصوات الهاتفين فرحاً واجلالاً. وكان بعض الكاثوليك يبكون لفرحهم ويقولون: « زه كم اختلفت الامور في لندن منذ نصف قرن. قبل خمسين سنة ما كنّا نمرّ في شوارع المدينة الّا تتناوبنا الاهانات لاجل ديننا واليوم نرى الكنيسة الكاثوليكية ممجّدة معظّمة في قلعة البروتستانيّة وحصنها »

*

وقد خُتمت هذه الاجتماعات بحفلتين جليلتين قد عملتا في النفوس عملًا لا يمحوهُ منها كرور الأيام

فالحفلة الاولى خُصّت بتلامذة المدارس الكاثوليكيّة وكان عددهم عشرين الفاً اوفدهم رفقتهم من كل جهات انكلترّة وسكوتيا وارلندة لينوبوا عنهم في تقدمة فرائض الاكرام للقاصد الرسولي. فلمّا كان يوم السبت ١٢ ايلول مشى اولئك الاحداث بترتيب ونظام في شوارع لندن. ولكل قسمٍ منهم شاراتهُ ولبسهُ الخاصّ وفوق رؤوسهم تخفق الرايات والاعلام الدينيّة والمدنيّة. وكان هؤلاء الصغار من كل طبقات الأمّة بينهم اولاد الاغنياء بملابسهم الفاخرة والفقراء بأسمالهم ليكون فقرهم دليلًا للناظرين على عناية الكنيسة باهل الثروة والبائسين على حدّ سواء وتلقيناً للفقراء بأن لا يخجلوا من فقرهم الذي لا يصدّهم من التقرُّب الى ابن الله في سرّ محبّتهِ وهو آثر الفقر على الغنى والى نوّابهِ على الارض المردّدين لقولهِ: الطوبى للمساكين.

وكان هؤلاء الاحداث يسيرون وهم يترنّمون بالاغاني التقويّة لاكرام القربان الاقدس فكان كلّ من يشاهدهم في مسيرهم يقفون ويتعجّبون من هذا المنظر الغريب الذي قلّما رأوا مثلهُ في عاصمة انكلترّة. وكان القاصد الرسولي واقفاً فوق شرفات الدار الاسقفيّة فمرّ الصغار امامهُ وحيّوهُ بهتافات التهليل والسرور وكان نيافة

الكردينال يردّ لهم السلام ويباركهم بحنوّ ولطف ابويّ فلم يتمالك السابلة من ذرف الدموع لدى هذا المشهد المؤثر

ثم دخل ذلك الجمهور من الاطفال في كنيسة وستمنستر فقام جاثليق ارلندة الكردينال لوك (Logue) فألقى عليهم خطبة مناسبة لسنّهم اهتزّت لها ارواحهم وطربت قلوبهم فأجابوهُ شاكرين باصوات مفعمة بعبارات الحبّ والرقّة . وكان لتلك الحفلة اي وقع في نفوس كل الحضور وزاد املهم في ترقي الكثلكة في كل جهات انكلترّة لحسن تربية شبيبتها ونشوءهم على اصول الدين والتُّقى

امّا الحفلة الثانية فكان موعدها اليوم التالي اي الاحد الواقع في ١٣ ايلول في عصر النهار . وكان ارباب المجمع نشروا في لائحتهم انهُ يصير في ذلك اليوم طوافٌ عمومي يحمل فيهِ النائب البابويّ القربان الاقدس في شوارع لندن . وكان الكاثوليك ينتظرون ذلك اليوم بفروغ الصبر ليعلنوا بايمانهم الحيّ بازاء اخوتهم المنفصلين . غير انّ بعض المتطرّفين من البروتستانت اظهروا استياءهم من هذا الطواف الذي اعدُّوهُ كلامة لنزوعهم عن ديانة اجدادهم فطلبوا من الكاثوليك باسان بعض الجرائد ان يكفُّوا عن طوافهم . لكنّ رؤساء المؤتمر لم يجدوا داعياً لتغيير ما دوَّنوهُ في لائحتهم اذ تعهَّدوا انهُ لا يحصل من ذلك البتة تشويش الراحة العمومية لاسيما ان حرّية الاديان تسمح لكل الشيع بالطوافات المذهبيّة

فلم يقنع اولئك المتعصّبون بهذا الجواب ولم يزالوا يسعون لدى كبير الوزراء المستر أسكيث فكتب الى عمدة المؤتمر يطلب منها رسميًّا بالعدول عن التطواف بالقربان فأعلن رئيس اساقفة وستمنستر بهذا الحكم لكاثوليك لندن في مجتمع خاصّ دُعوا اليه . فكان لهذا النبإ في قلوبهم اسوأ تأثير ولولا الكردينال بورن وامرهُ لهم بالطاعة والسكون لكانوا خرجوا الى دار الندوة وطالبوا بحقوقهم من رئيس الوزارة وكان عددهم عشرة آلاف

على انّ نيافة الكردينال لم يُرد يحرم الكاثوليك من مظاهرة أُخرى لا بأس منها فاتّفق مع رؤساء المجمع القربانيّ بان يتمّ الطواف في وقتهِ دون القربان الاقدس وانما تُمنح بركة القربان من باب الكنيسة من مصطبتها الخارجة

فمنذ ظهر الاحد اخذت الجماهير تتألب الوفًا الوفًا وربوات ربوات بازاء الدار

الاسقفيَّة وبقوا كلّهم ينتظرون الحفلة ثلاث ساعات متواليات لم يسأمهم الملَل ولم يضعف عزيمتهم الكَلَل وكانوا في اثناء ذلك يتغنَّون باغانيهم التقويَّة التي تعلَّموها في حداثتهم وكان كثيرون غيرهم يزيّنون بيوتهم حيثما يمرّ الموكب. فلمّا ازفت الساعة سارت تلك الجموع بصفوف متواصلة متتالية متزاحمة وعلى وجوههم امارات التحمُّس والتقى كأنهم ماشون في طواف القربان. وكان الصليب يتقدَّم القوم وفي اثرهِ فتيان باللباس الرسمي

وتبعت الجموع كل الشركات الخيريَّة واعضاء الشركات الصناعية وكان لكل مقاطعة ومدينة وفودها مع أعلامها وشاراتها كما انهُ يتقدَّم كلّ رعيَّةٍ كاهنها بثيابهِ الاكليريكيَّة. وقد بلغت المسافة التي كانت تشغلها تلك الجموع المتراصَّة نحو الكيلومترين ما خلا الذين اتوا لمجرَّد الفرجة

وكانت العيون شاخصةً الى موكب الاكليريكيين من شمامسة وكهنة واساقفة ورؤساء اساقفة بزّاتهم الخاصَّة بمقامهم وكان بينهم ممثلو الكليَّات الكاثوليكيّة ورؤساء الرهبانيَّات العامُّون بتيجانهم الذهبيَّة. وكان هناك مكان خاصّ للمندوبين من الكاثوليك في ندوتي الدولة الانكليزيَّة اعنى مجلس الشيوخ ومجلس العموم وانضمّ اليهم اثنان من المجلس الافرنسيّ

وكان نيافة الكردينال ڤانوتلّي يسير في اثر القوم تحدق بهِ حاشيتهُ وعلى جانبيهِ الكرادلة الخمسة. وقد أُحصي عدد الماشين في هذا التطواف فقالت جريدة التيمس انهُ بلغ الثلاثمائة الفًا وقد زعمت جرائد اخرى انهُ لم يقل عن نصف المليون. ومع كثرة هذه الجموع وعدد تلك الجماهير المتراكمة لم يحصل ما يكدّر الخواطر. وكان الشرط يسيرون على جانبي الموكب ليحافظوا على النظام

وكذلك حشود البروتستانت فكانوا على طرفي التطواف يتزاحمون ليعاينوا هذه المظاهرات ولم يبدُ منهم ما يدلّ على عداء او مناواة الّا في مكان واحد فاسرع الشرط وامسكوا المعادين

ولمّا بلغ الموكب الى الكنيسة دخل منهم من امكنهُ الدخول ثم أُقيمت الرُّتب فبارك القاصد الرسولي بالقربان الاقدس كل الحضور ثمَّ خرج فطاف بهِ حول الكنيسة وعرضهُ لاكرام الشعب الواقف خارجًا بعد أن صدح الالوف منهم بترنيمة السجود وتسبحة الشكر

كتب مراسل الفيغارو واصفاً لهذا الطواف فقال: « لم ارَ في حياتي جماهير كهذه الجماهير ولا وقع لحظي على مظاهرات مثل هذه المظاهرات ولا اظنّني مبالغًا اذا قلت لأنّ عدد المتألبين حول الكنيسة وفي جوارها يناهز الخمسمائة الف بل يُربي عليها »

وقالت الستندرد الانكليزيّة: « لم يسبق لانكلترّة البروتستانيّة ان رأت قطّ مشاهد وطقوساً تحاكي المشهد والطقس اللذين تجلّيا لاعينها يوم الاحد في حفلة ختام المجمع القربانيّ وكانا من الترتيب والنظام والرونق والأُبهــة بمكان ليس بعدهُ غاية لمتطلب » . ثم زادت الجريدة متأسفةً على اهمال الطواف بالقربان فقالت: « ومن المعلوم انّ الظروف قضت بتحوير لائحة هذا الاحتفال وترك ما كان اولاهُ أُبهــةً اعظم ومع ذلك قد كان رونقهُ بديعاً وتأثيرهُ عظيماً »

هذه لمحة في تلك الحفلات الشائقة التي اقامهــا الكاثوليك في لندن في اواسط ايلول الاخير وكلٌ من حضرها قد افاض في وصف عظمتهــا . وكتب أحد اعلام الفرنسويين في مجلّة المباحث انهُ عدَّ هــذا المؤتمر كتعويض علنيّ لكلّ الاهانات والشتائم التي نفثت بها افواهُ المبتدعين وأقلام المتشايعين منــذ انفصال انكلترّة عن كنيسة رومية ضدّ القربان المقدس

وكان ارباب المجمع اجلالًا لهذا السرّ الالهيّ وتكفيرًا عن الاثام التي ارتكبها الهراطقة في حقّهِ عرضوهُ في معبدٍ خاصّ تأنّقوا في زينتــهِ لسجود المؤمنين فكانوا يتواردون ليلًا مع نهار دون انقطاع البتَّة لاكرامهِ وتبجيليهِ . ومن غريب الاتفاق الذي رأى فيهِ جميع المؤتمرين اصبع الله انّ الجوهرة المقدَّسة جُعلت في صوانٍ بديع الصُنع غالي الثمن مرصّع بالحجارة الكريمة كان هنريكوس الثامن ملك انكلترّة تقدّم باصطناعهِ الى احذق الصاغة في لندن فلمّا انجزوهُ قدّموهُ للملك وهو يومئذٍ لم يعقّ امّهُ البيعة الكاثوليكية فاهداهُ كنيسة السيدة في تورناي من اعمال بلجكة بعد فتحهِ لهذه المدينة . فبقيت هذه الذخيرة الثمينة في خزانة تلك الكنيسة الى يومنا فاراد رئيسها الحالي ان يعيرها للجنة المؤتمر ليُعرض فيهــا القربان الاقدس ويُكرم علانيةً كأنّ الله اراد ان يكون ذلك الصوان شاهدًا على جحود هنريكوس لايمانهِ المقدّس ورابطاً جديدًا بين بريطانية المعروفة قديماً بارض القديسين وانكلترّة الجديدة العائدة الى المعتقدات الرومانية

كما ورثتها من مبشِّرها الاوَّل اوغسطين رئيس اساقفة كنتربري وتلميذ البابا غريغوريوس الكبير رسول الانكليز

الالفاظ السحريَّة

نظر للأب لويس شيخو اليسوعيّ (تابع)

٣ الاخاء

ما أحلى اسم الاخ على لسان من عرف المؤاخاة وعاش في رفقة الصديق الصدوق الذي يُنزل نفس صاحبهِ بمنزلة نفسهِ فلا يدَّخر وسعاً في خدمتهِ والإفراج عن بلائهِ ومدّ ايدي المساعدة اليهِ في كل حاجاتهِ حتى يضحّي النفس والنفيس في سبيل صالحهِ. فقد شبَّه الكتاب الكريم الاخوين اللذين يعيشان في مثل هذا الوفاق بمدينة حصينة لا يقوى عليها العدوّ. او قل بالحري انهما جسمان في نفس واحدة كما وصف سفر الملوك صداقة داود ويوناثان حيث قال عن هذا (١ ملوك ١٨: ١) انَّ نفس يوناثان تعلّقت بنفس داود واحبَّهُ يوناثان كنفسهِ. وقال عن ذاك (٢ ملوك ١: ٢٦) انهُ احبَّ يوناثان كحبّ الامّ لابنها الوحيد

ذلك هو الاخاء الذي وضع الخالق اساسهُ في قلوب البشر لمَّا استلَّ الامَّ الاولى من ضلع آدم ثمَّ جعل الابوين الاوَّلين جذراً تتفرَّع منهُ الاسرة الاولى ثم العشيرة ثم القبيلة ثم الأُمَّة ثم الشعوب كلّهم. فكفى بذكر الانسان لاصلهِ ليسعى في مؤاخاة قريبهِ وملازمة ابناء جنسهِ. قد قال الشاعر الروماني تيرنسيوس بيتاً من الشعر يردّدهُ كلّ من يشاء مناصفة البشر:

اني لانسانٌ انا وجميعُ ما جمٌ بني جنسي اعدُّهُ من نفسي

على انَّ هذا النظام الاوَّل الذي كان الله انشأَهُ لم يبقَ على اصلهِ فانَّ عدوّ جنسنا لم يُطق ذاك الوفاق « وهو من البدء قتَّال الناس » (يوحنا ٨: ٤٤) فسعى بفصل ما جمعهُ الله من اوَّل العالم فغلَّب في قلب الانسان حبَّ الذات على حبّ القريب ونفث في

صدر قاين الحقد والشحناء حتى اودى بحياة شقيقهِ . وكذا فعل في بني يعقوب لما اوغر قلوبهم على يوسف اخيهم . وفي ابيملك وفي ابيشالوم وغيرهم

وان كان الامر على هذا المنوال في شعب الله المختار فما قولك في بقيّة الامم حيث درست من القلوب وصاياهُ تعالى فانَّ شيطان البغض والعداوة مدَّ عليهم سيطرتهُ حتى انَّ تاريخهم ليس هو الَّا سياق اخبار ضغائنهم وحروبهم فالتهم القويُّ الضعيفَ واستعبد الغالبُ المغلوبَ واصبح معظم بني البشر في حوزة بعض المقتدرين تصرَّفوا بهم تصرُّف الاعراض يبيعونهم كالسِلَع ويجرون فيهم حكماً مطاقاً لا يستثنون منهُ حكم الموت

تصفَّح تواريخ القدماء بل تأَمل شرائع كبار المشترعين كليكرغوس وسولون وافلاطون وارسطو تجدهم لا يحسبون لكلّ ضعيف حساباً فانَّ الطفل والمرأة والعبد والغريب من نفاية الهيئة الاجتماعية لا يُصيبون من الحظوظ والخيرات سوى ما لا بُدَّ منهُ ليخدموا مصالح الرجل كأنهم في يدهِ آلةٌ يستخدمها لاهوائهِ

وكما تجبَّر الافراد في قومهم كذلك ترفَّعت الشعوب وتشامخت على سواها حتى كادت تجعل جنسها من طينةٍ خاصَّة وعنصر مختار . أفلا ترى كيف كان اليونانيّ يدعو بقيَّة الشعوب برابرةً او همجاً . ومثلهُ الروماني كان يعدّ أُمتــهُ في الفضل والشرف فوق جميع امم الارض حتى ارقاهم في سلَّم المدنيَّة كالفرس والكلدان والمصريين فكان يمنح كل الامتيازات للرومانيّ او المتجنّس بالجنسيَّة الرومانيَّــة امَّا ما سواهم فكانوا اجانب واعلاجاً لا يستحقُّون الاعتبــار . وكان اليهوديّ يسلق من ليسوا بيهود باسم « الغويم » (גוים) اي الطوائف الغريبــة . ومثلهم العرب كانوا ينبزون باسم العجم كل ما خالف جنسهم

فيا لله ما ابعد كلّ هؤلاء المتغطرسين عن روح المؤاخاة وشواعر الحبّ وعواطف الأُلفة . وان بحثت عن سبب هذا الانقلاب الذي حدث في المجتمع الانسانيّ كشف لك الرسول المصطفى سبب الداء حيث وصف آثام الوثنيَّة وفظائع المشركين ونسب الامر الى الجور والكبرياء وجحود الخالق فقــال (روم ١ : ٢٢—١٠) : « زعموا انهم حكماء فصاروا حَمقى واستبدلوا مجد الله الذي لا يدركهُ الفساد بشبه صورة انسان . . فلذلك أَسلمهم الله الى شهوات قلوبهم . . . وبما أنهم لم يؤثروا ان يستمرّوا على معرفة

الله اسلمهم الله الى رأيٍ مرذول حتى يعملوا ما لا يليق ممتلئين من كل اثم وشر وزنى وبُخل وخُبث مفعمين حسدًا وقتلًا وخصاماً ومكرًا واساءةً نمّامين مغتابين ممقوتين من الله شتّامين متكبّرين مفتخرين عاقّين للوالدين لا ودّ لهم ولا عهد ولا رحمة » فمعظم هذه الآثام كما ترى تبطل الاخاء وتهضم حقوق القريب

وليس هذا الوصف ضرباً من المبالغة والغلوّ فان الآثار التاريخيّة التي أبقتها لنا الامم المختلفة تشهد على صحّتها وتؤيدها بما لا يُنكر من الشواهد . ولا غرو فانّ المؤاخاة لا ترسخ في ذهن البشر الّا اذا كانت مبنيّة على مبدإٍ ثابت وحكم واجب ألا وهو حبُّ الله والعمل بأوامرِ عزّ وجلّ فانزع حبّ الله من قلب الانسان فماذا يا تُرى يبقى من المؤاخاة وحبّ القريب؟ لا شيء البتّة . لانّ الانسان قد طُبع على حبّ نفسهِ فان وجد ما يقوم بازاء هذا الحبّ الذاتيّ او يعاكسهُ او ينقصهُ فمن وقتهِ يتحامل عليهِ تحامل العدوّ على عدوّهِ والاسد على فريستهِ حتى انّ الرومان كانوا ارسلوا هذا المثل بينهم : « انّ الانسان كالذئب لبني جنسهِ » (homo homini lupus) يشيرون الى عادة الذئاب التي تجتمع على المصاب منها بجرح او ضربة فتأكلهُ

ولا يقولنّ احد انّ الانسان عاقل ذو فهم وادراك فلا يشاء ان يفعل بالغير ما لا يريد ان يفعل بهِ غيرهُ . نعم انّ هذا المبدأ صحيح يدركهُ الانسان بمجرّد فهمهِ الّا انّ للانسان جواذب مخالفة للعقل تنازعهُ وتكدّر صفاء عقلهِ وقد قال العرب « انّ الهواء يعمي ويصمّ » فاذا لم يشعر الانسان برادع يردعهُ وبمولى قدير يقهرهُ استسلم لتلك الاهواء واسكت صوت العقل وضحّى صوالح الغير لمنافعهِ الذاتيّة

ألا ترى ما حدث بالثورة الفرنسويّة التي نادى اصحابها اوّلًا بتلك الالفاظ السحريّة التي نحن في صددها اعني « الحريّة والمساواة والاخاء » فانّها اذ حادت عن اصول الدين ونبذت معرفة الله وسجدت لالهة العقل ما لبثت ان افجرت سيولًا من الدماء فخاضت بها واذهلت بفظائعها العالم المتمدّن بل الشعوب الهمجيّة نفسها . فانّ انصار الثورة لم يكتفوا بقتل الذين لم يوافقوهم على آرائهم وخالفوا تعاليمهم كالكهنة والاشراف بل صوّبوا سهامهم بعضهم الى بعض وكان كل من يفوز منهم اليوم يُسرع الى قتل رفقتهِ امس حتى صارت فرنسة منقعاً من الدم واسعاً

اما اذا مكّنتَ في القلوب اساس الدين وخوف الله وحبّهُ فانّ المؤاخاة بين البشر

تلحق بهِ وتنجم عنهُ كما تنبت الزهرة من كمّها والثمرة من شجرتهـا . وقد صرّح الله تبارك وتعالى بهذا الامر في الشريعة الموسويّة فانهُ بعـد ان حتم على بني اسرائيل بأن يعبدوا الرب إلههم ويحبّوهُ من كل قوى نفوسهم اوصاهم ان «يحبّوا قريبهم كنفسهم» (احبار ١٨ : ١٩) وما لا ينكر انّ الوصايا العشر كلّها ترجع الى هاتين الوصيّتين اعني حبّ الله وحبّ القريب وذلك ما قرّرهُ السيد المسيح في انجيلهِ الطاهر لمّا سألهُ احد علماء الناموس عن اعظم الوصايا (متى ٢٢ : ٣٩) فاجابهُ قائلًا : «احبب الربّ إلهك بكل قلبك وكل نفسك وكل ذهنك هذه هي الوصيّة العظمى والاولى . والثانية التي تشبهها أحبب قريبك كنفسك بهاتين الوصيتين يتعلّق الناموس كلّهُ والانبياء» . فبيّن بذلك ما يوجد من العلاقة بين تينك الوصيتين او قُلْ بالاحرى انهما وصيّـة واحدة كما ذهب اليهِ القديس اوغسطينوس اعني وصيّة محبة الله التي منها يتفرّع حبُّ القريب لانَّ من يحبُّ الله يحبُّ ما لله وايُّ شيء اقرب الى الله من مخلوقاتهِ الناطقـة التي برأها على صورتهِ ومثالهِ . وقد قال القديس في محلّ آخر : «أحبب الله وافعـل ما شئت» يشير بذلك الى انَّ حبَّ الله يشمل حبّ القريب ايضًا

*

ولمّا انتقض حبل الدين في العهد القديم وتضعضعت معهُ اسباب المؤاخاة صرخت الشعوب الى الله ليرسـل مسيحهُ ويجبر ذاك الوهي المتوسع قائلة مع النبي اشعيا (٤٥ : ٨) : «اقطري أيتها السماوات من فوق ولتمطر الغيوم الصدّيق . لتنفتح الارض ولتُثمر الخلاص ولتنبت البرّ» فلبّى الله دعوتها وترحّم على دائهـا العياء وارسل ابنهُ الوحيد ليحسمهُ ويشفيهُ

ليس في الانجيل المقدّس حقيقة راهنة ثابتة الاركان واضحة البيان كحقيقة الاخاء البشريّ اعلن بها السيد المسيح بعبارات تسيل رقّةً وبنى عليها دعائم لا يمكن نقضها . واوّل ما طبع الرب في قلوب تلامذتهِ وردّدهُ على مسامع الجموع المتقاطرة الى استماع كلامه انّهم ابناء ابٍ واحد وانّهم اخوة وذلك بعد ما حذّرهم من كبرياء الفرّيسيين ومرائيهم قائلًا (متى ٢٣ : ٨–٩) : «امّا انتم فلا تُدعوا معلّمـين فانَّ معلّمكم واحد وانتم جميعًا اخوة . ولا تدعوا لكم ابًا على الارض فانَّ اباكم واحـد وهو الذي في السماوات» وكثيرًا ما كان يلقّنهم هذه الحقائق ولمّا علّمهم الصلاة الربيّة افتتحهـا

بالدعاء الى ابيهم السماوي قائلًا : « ابانا الذي في السماوات » بل جعل ذلك الأب كمثالهم في الكمال قائلًا (متى ٥ : ٤٨) : « كونوا كاملين كما انّ اباكم السماوي هو كامل » . وكذلك طلب منهم ألّا يقصروا محبّتهم الى اصدقائهم بل يبسطونها الى اعدائهم ايضًا فيعتبرونهم كاخوةٍ قائلًا (متى ٥ : ٤٤) : « احبُّوا اعداءكم واحسنوا الى من يبغضكم وصلُّوا لاجل من يعنتكم ويضطهدكم لتكونوا بني ابيكم الذي في السماوات لانهُ يطلع شمسهُ على الاشرار والصالحين ويمطر على الابرار والطالحين »

وهذه الابوّة الالهية التي ينتسب اليها الانسان انّما استحقّها لهُ السيد المسيح بحلولهِ في ارضنا وبلبسه طبيعتنا . ولمّا كان هو ابنًا لله بالجوهر اراد ان نشاركهُ ببنوّتهِ فجعلنا اولادًا بالذخيرة لابيهِ السماويّ . ولذلك قد يُسمّي نفسهُ بكرًا لاخوتهِ البشر كما قال الرسول في رسالتهِ الى اهل رومية (٨ : ٢٩) عن دعوة المختارين إنّهُ تعالى « سبق فحدَّد ان يكونوا مشابهين لصورة ابنهِ حتى يكون بكرًا بين اخوة كثيرين » وقال في رسالتهِ الى اهل كولسي (١ : ١٣) عن السيد المسيح « انهُ صورة الله الغير المنظور وبكر كلّ خلق » .

فبهذه البكورة الشريفة صار عظمًا من عظامنا ولحمًا من لحمنا لانهُ « اذ قد اشترك الابناء في الدم واللحم اشترك هو كذلك . . . فصار شبيهًا باخوتهِ في كل شيءٍ » (عبر ٢ : ١٤—١٧) لم يستثنِ من شبههِ « الّا الخطيئة » (عبر ٤ : ١٥) . ولهذا لم يستحِ ان يدعو الابرار اخوة (عبر ٢ : ١١) وقد جاء في الانجيل الطاهر (متى ١٢ : ٤٩—٥٠) انهُ سمّى التلاميذ اخوتهُ ثم عمّم هذا الاسم لكل الصالحين لمّا اردف قائلًا : « انّ كلّ من يعمل مشيئة ابي الذي في السماوات هو اخي واختي وامّي » . وقد دعاهم بهذا الاسم لمّا قام من بين الاموات بعد ان تمجّدت طبيعتهُ البشريّة واكتست بخواصّ الارواح النورانيّة وذلك لمّا ظهر لمريم المجدليّة وامرها قائلًا (يوحنا ٢٠ : ١٧) : « امضي الى اخوتي وقولي لهم اني صاعد الى ابي وابيكم والهي والهكم »

فيا ليت شعري أكان يمكن ابن الله ان يبني الاخاء بين البشر على ركن اوطد من هذا فانهُ اوقع نفسهُ موقع العروة الوثقى بين ابناء الله فلم يَعُد احد يستطيع ان ينبذ مؤاخاة قريبهِ الّا بنبذهِ إخاء السيّد المسيح . ولذلك تراهُ يكرّر على مسامع تلاميذهِ وصيّة المحبة بينهم حتى جعلها وصيّتهُ الخاصّة فقال لهم (يوحنا ١٣ : ٣٤) :

« اني أُعطيكم وصية جديدة ان يحبَّ بعضكم بعضاً وان يكون حبكم كما احببتكم انا » ولمّا بلغ حبُّ السيّد الى انهُ ضحّى نفسهُ لاجل اخوتهِ فرض عليهم ايضاً ان يحذوا حذوهُ في تضحية نفوسهم في سبيل القريب . قال الرسول يوحنا في رسالتهِ الاولى (٣ : ١٤—١٧) : « قد علمنا أنَّا انتقلنا من الموت الى الحياة لأنَّا نحبُّ الاخوة ومن لا يحبُّ اخاهُ فانهُ يبقى في الموت . وكل من يبغض اخاهُ فهو قاتل وتعلمون ان كل قاتلٍ ليست لهُ حياةٌ ابديّة تحلُّ فيهِ . بهذا قد عرفنا المحبة انَّ ذاك (اي المسيح) قد بذل نفسهُ من اجلنا فيجب علينا ان نبذل نفوسنا من اجل الاخوة »

لا مراء انَّ المسيحيين الاوّلين حفظوا هذه الوصاة ولزموا المؤاخاة بينهم في كل آن حتى كانت محبتهم دليلًا عليهم فاذا رآهم غيرهم هتفوا : « ما اعظم مودّة هؤلاء بعضهم لبعض » . وكانت تلك المحبة تتناول كل البائسين على اختلاف اجناسهم واديانهم يرون في الجميع صورة الخالق فيمدُّون اليهم يد المساعدة ويحسنون اليهم في حاجاتهم

وقد ورثت الكنيسة الكاثوليكية تلك فريضة المحبة من سيّدها وقدّيسيها فلم تزل في كل آن معروفة بنشر التودُّد والمؤاخاة بين كل الشعوب وبملازمة كل اعمال الرحمة نحو المنكوبين فايُّ بلاء لم تسدّهُ او ايّ داء لم تعالجهُ او اي فساد لم تصلحهُ . فكفى شاهدًا على همّتها تلك الطوائف الرهبانية التي تصرف عنايتها في تربية الصغار واهتمامها بالايتام وتمريض المرضى وخدمة البُرص والمجانين وللموبوئين والعَجَزَة يقوم بحاجاتهم قوم من الرهبان والراهبات ضحّوا في سبيل قريبهم كلّ ملاذ الحياة وكافّة الآمال الزمنيّة من جاه وغنى ومراتب عملًا بقولهِ تعالى (متى ٢٥ : ٤٠) : « كل ما فعلتموهُ باحد اخوتي هؤلاء الصغار فبي فعلتموهُ »

هذه المؤاخاة الصحيحة التي لا تكتفي ببعض الكلمات الفارغة بل تظهر في العمل وتتبيَّن في قضاء الحاجات وتفضِل الخير العامّ على المنافع الخاصّة وتسعى في جمع القلوب واصلاح ذات البين

وقد امتدَّت تلك اصول الاخاء المبنيَّة على قواعد الدين المسيحيّ الى الحكومات المدنية ولاسيما دول القرون الوسطى فلانت بها الاخلاق وائتلفت القلوب وزال الاستبداد ونشأت في الاجيال الاخيرة الدول الكاثوليكية التي نشرت أعلام العدل وخفَّفت

اعباء السلطة المطلقة فشعرت الرعيـــة بقواها وعرفت فضل الاتحاد فألفت الجمعيات وشكلت الشركات التجارية والصناعية والفنية فنهضت بذلك الامم من خمولها وترقت احوالهــا وزادت ثروتها. ولولا انَّ اصحاب الثورة تعرَّضوا لتلك الاصلاحات وغلَّبوا الفوضى وقلبوا الامور ظهراً لبطن لتوطَّدت اركان الهيئـــة الاجتماعية واصبحت كل دولة كعائلة تعيش كل افرادها بالالفة والاخاء

والدول المتمدّنة في عهدنا ترمي الى هذه الغاية المرغوبة وتسعى في تحقيق هـــذه الامنية . وقد وضعت لتوطيـــد روح الاخاء العام عدَّة وسائط كالمؤتمرات الدولية والمفاوضـــات العموميَّة ومجالس التحكيم وغير ذلك مما يقرّب القلوب ويزيل النفور ويبطل المنازعات

وكانت بعض الدول قد تأخرت نوعاً في مجاراة اهـــل التمدّن العصري كروسيَّة والعجم ودولتنا العلية

الَّا انَّ الريح التي هبَّت في البلاد الاوربية ونسفت الظلم والاستبداد نفخت ايضاً في بلاد الشرق فروَّحت الارواح وانعشت النفوس فيا ليتها لا تتجاوز طور الانصاف وحدود الحكمة فتُبيد فقط جراثيم البغض وتفكّ ربقة الاستعباد وتبطل المظالم الفاشية في العباد. فتنجبر القلوب من اصداعها وتكلّم من جروحها وتشفى من اوجاعها

لعمري لو تروَّى العقلاء من اهـــل الطوائف الذين لهم النفوذ في مللهم لوجدوا اسباب الوفاق اوفر من دواعي الشقاق فضـــلًا عمَّا ينجم منها من الفوائد للعموم. ألا ترى ان الذين وُلدوا في تخوم واحدة ونشأوا في تربة واحـــدة واستنشقوا هواء وطن واحد واندمجت افكارهم بمفاوضة السنتهم الوطنيَّة وسعوا وراء مصالح متشابهة هم احرى بالاتفاق واجدر بالمؤاخاة. ولقد كفانا شتاتنا السابق وتفرُّق كلمتنا في ما مضى فانَّ هـــذه الضغائن كادت تطمس معالمنا وتمحو آثارنا لأَن كل بيت ينقسم على نفسهِ يخرب كما يقول الربّ فلنمدَّنَّ بعضنا الى بعض ايدي المصافحة ونضمَّنَّ القوى بالاتحاد فلا نلبث انَّ نرى بلادنا تعود الى ازدهارهـــا وعمرانها فتُصبح جامعةً بين خصب التربة وشمل الامان بفضل الاخاء بين اهل الاوطان ونردّد آية النبي داود (في الزبور ١٣٢ : ١): « ما أطيب وما ألذّ ان يسكن الاخوة معاً »

التبريد الصناعيّ

لاحد اساتذة كليتنا

لو قلنا لقرّائنا الشرقيين انَّ في هذا العام عُقد موتمر خصوصي للبحث في التبريد الصناعيّ لعلّهم نسبوا قولنا الى المزح والفكاهة . وما الامر مع ذلك الّا عين الحقيقة . فانَّ ارباب الصناعة اتّفقوا على فتح هذا الموتمر في باريس فاجتمعوا من اليوم الخامس الى الثاني عشر من تشرين الاوَّل وتداولوا في الابحاث المنوطة بالتبريد الصناعيّ

وكأني بك تقاطع كلامي فتقول وما الفائدة من هذه الاجتماعات الفضوليَّة ؟ أليس البرد مبدأ كل الشرور كما اثبت القدماء ؟ او لا ترى الطبيعة تهرم وتموت اذا ضرب البرد اطنابهُ في فصل الشتاء ؟

أجل انَّ ذلك كلَّهُ لمعلوم بيد انهُ لا يُنكر ايضاً انَّ الله جعل في البرد منافع يُمكن الانسان ان يقتبسها لسدّ حاجاته وتوفير اسباب معاشهِ بل هنائهِ ورفاهيتهِ . وقد ادرك الامر بعض ادباء العرب فوجدوا الشتاء محاسن افاضوا فيها كطول الليل الذي جعلهُ الله سكناً للانسان وبرد الماء مادَّة حياتهِ وانقطاع الهوامّ واجتماع شمل المتفرّقين والخلود الى الراحة . ومدح بعض الدهاقين الشتاء فقال : « آ كل فيهِ ما جمعت . واستمتع بما ادَّخرت . وايُّ شيء احسن من كانوني في كانون ومن لبس الخزّ والسمّور والقعود في الطوارم مع الاحباب . وتناول الدرَّاج والكباب . والاستظهار على البرد بالشراب والشرب على الثلج بثلج الصدور »

الّا انَّ العلماء وجدوا في البرد منافع اخرى اعظم ممَّا تبادر اليهِ فكر العرب اعني حفظ المآكل من الفساد ونقلها في طراءتها من البلاد القاصية الى غيرها فتستطيع الاقطار الخالية منها ان تنتفع بها وتتقوَّت منها

عرف القدماء بالاختبار انَّ البرد يصون الاقوات من الوخومة ولذلك كانوا يعرضون اللحوم على الهواء ليلًا ويحفرون لها المطامير . وكان الرومان يصطنعون لهم سراديب

عميقة يطمُّونها بثلج ينقلونهُ من جبـال الالب ويجعلون فيها الاطعمة التي يريدون ادّخارها للصيف

غير انَّ تلك الوسائط بقيت منحصرةً قليلة الانتشار كثيرة النفقات لا ينتفع بها الّا بعض الذوات حتى القرون المتأخرة التي استنبط فيها ارباب العلم مقاييس الحرارة والبرد واثبتوا بقوانين راهنة تجليد بعض العناصر وعرفوا ما ينتج من اختلاط المركّبات من سقوط درجات الحرارة . ففي سنة ١٦٦٢ نشر العلّامة بائل (R. Bayle) كتاباً اشار فيهِ الى مزيجات من الاجسام تصلح للتبريد . وتمكّن بعدهُ بثلاث سنوات استاذ مكتب باريس العلّامة فيليب لاهير (Ph. Lahire) من تجليد الماء بواسطة ملح النوشادر

ثم جاء القرن الثامن عشر فاكتشف في اثنائهِ عالمـان من الانكليز وليم كولن (W. Cullen) ونارن (Nairne) طريقتين جديدتين لتجليد الماء فجلّدهُ الاوّل في الآلة المفرّغة للهواء والثاني في اناء مقفل جعل فيهِ الحامض السلفوريك فكان الحامضُ يمتص ما تبخَّر من الماء فتهبط درجة الحرارة ويتجلّد الماء سريعاً

الّا انَّ الدروس لتبريد الاجسام لم تبلغ قط مبلغهـا في القرن الاخير فانَّ فارادي لحظ في ابحاثهِ عن تغيير حالة الاجسام سنة ١٨٢٣ انَّ غاز الامونياك اذا كان سائلًا يُهبط الحرارة الى درجة بالغة . ومذ ذاك الحين دخلت آلة التبريد في طور جديد وجعل اصحاب المعامل والتجار يطلبون وسيلةً قريبة المنال لتوليد البرد الصناعي ولاستخدامهِ في لوازم الصناعة والحاجات البيتيَّة

وممَّن نالوا في ذلك بعض الشهرة جون غورّي (J. Gorrie) الذي اصطنع سنة ١٨٤٥ آلة كانت تجلّـد الماء بضغط الهواء الجوّي فكان يبرّد بعض حُجَر المرضى في المستشفيات ويستحضر كميَّة من الجليد الصناعيّ . وجاراهُ في المانية وفرنسة وِنْدهَوس ونيس (Nice) فأدّت بهما ابحاثهمـا الى وضع ادوات ضاغطة لتجليد الماء وحفظ البقول والسمن والفواكه في اواني مبرّدة صناعياً ، الّا انَّ هذه الاجهزة كانت تكلّف كُلَفاً باهظة لحاجتها الى ادوات محرّكة غالية الثمن

وكان اوّل من اصاب المرمى في ذلك الفرنسويّ فردينـد كارّه (F. Carré) سنة ١٨٥٧ فانهُ استحضر آلات تجليديَّة بناهـا على مبدإ امتصاص الابخرة بواسطة

الاثير السولفوريك. ثم عدل عنهُ بعد قليل لسرعة انفجارهِ وأخطارهِ واستبدلهُ بالنوشادر. فكانت هذه الآلة التبريديَّة جامعة لكل الشروط الاقتصاديَّة والعمليَّة. وساعدهُ في مشروعهِ احد رصفائهِ شارل تاليه (C. Tellier) فحسَّن آلتهُ وبلَّغها حالة الكمال واخذ كلاهما يشتغل بتبريد الاطعمة. ومما اختبراهُ بالتجربة انهُ يُمكن حفظ الاسماك ولحوم الحيوانات مدَّةً طويلة في ادوات مجلدة ونقلها الى بلاد شاسعة دون ان يصيبها شيء من الفساد

وقد تعرَّض لتاليه قوم من المماكسين فلم يستطع ان يفوز بمناصبتهم لهُ ثم انتشبت الحرب بين فرنسة والمانية فصرف الناس همَّتهم لما هو امسّ واحوج فبقيت اختبارات كاره وتاليه مُهملةً لا يعيرها الجمهور بالهم الى ان عاد لفرنسة سلامها وجدَّدت نهضتها الصناعية والتجاريَّة. فكرَّر العلَّامة تاليه اختباراتهِ وأقنع بعض التجار الى تعمير سُفن مبرَّدة بجهَّزها باحواض تجليديَّة لنقل الاسماك من خليج هودسن واللحوم من باراغاي الى فرنسة. فعرض لهذه البعثات عوارض حالت دون نجاحها التامّ. لكنَّ التجار عادوا الى اختباراتهم فأتت بالنتائج المرغوبة وكان بعض هذه السُّفن كافية لنقل مئتي الف كيلو من السمك الطريّ. ثم ابتنوا في مرسيلية ورُوان خزائن لحفظ السمك الوارد مجلَّدًا ريثما يوزعونهُ على الطالبين

فمما سبق ترى انَّ الفضل الاعظم في تجهيز الادوات المبرَّدة واستخدامها للمنافع العموميَّة عائد الى علماء فرنسة وتجارها. لكنَّ الحكومة بقيت الى هذه الازمنة الاخيرة غير راضية باعمال اولئك التجار بل وضعت بعض التقارير المثبّطة لمساعيهم لأسباب لا يسعنا هنا تبيانها فأسرعت المانية وانكلترَّة والولايات المتَّحدة الى مباراة الفرنسويين في هذه المتاجرة ونالت بها الارباح الطائلة فأنشئت في هـذه الدول جمعيات جعلت لها حكوماتها امتيازات خاصَّة فجهَّزت السُّفن والقطارات والمخازن التجليديَّة لنقل السلع ولاسيما المآكل كالخضر والبيض واللحوم والأسماك الى كل جهات البلاد باثمان متهاودة

ففي سنة ١٨٨٠ نقلت السفن الانكليزيَّة الى ليفربول من اميركة الجنوبية لحوم ٤٠٠ بقرة واليوم يبلغ عدد ما يُرسل منها في العام ١٠,٠٠٠,٠٠٠ بقرة. واخذت اميركة الشمالية تحذو حذو شقيقتها فزادت مراعيها ووفَّرت عدد مواشيها وهي اليوم تربح منها مالًا وافرًا. وكذلك تفعل اوسترالية المشهورة بوفرة قطعانها وافريقية الغربية

وبلاد الكاب وبعض جهات الهند والشرق الاقصى فكلّ هـذه الاقطار تُرسل الى اوربّة محصولات املاكها بواسطة الادوات المبرّدة

وقد حسب سنة ١٩٠٣ احد كبار الاقتصاديين ما في عنابر الولايات المتّحدة من السلع المحفوظة بالتجليد لتُنقل الى بلاد شتى فاذا هي تساوي ستّة ملايين متر مكعّب تخصّ ستمائة شركة ويبلغ ثمنهـا مليارًا من الفرنكات . امّا مجموع ما في العالمين من هذه المحصولات فلا يقلّ ثمنهُ عن عشرة مليارات

فترى مما سبق انّ الذين ألّفوا موءتمرًا في باريس موءتمر التبريد لم يقدموا على العمل لاسباب خفيفة او بغيةً في اغراضٍ شخصية محصورة في منـافع بلد واحد او جمعيّات قليلة . وناهيك بجدول الابحاث التي تداول فيهـا الموءتمرون دليلًا على عظم شأنها ووفرة فوائدها . فانّها كانت مقسومة اربعة اقسام عُهد بكل قسم منهـا الى بعض الحضور ليتفاوضوا فيهِ ويبدوا فيهِ رأيهم

فبحث اصحاب القسم الاوّل عن التبريد نظريًا وما لهُ من المفاعيل الطبيعيـة والكيمويّة والحيويّة وما ينجم عنـهُ من المنافع والمضارّ . وفحص قوم من الكيمويّين الموادّ المبرّدة وصلاحيّتها للصحّة فوجدوا انّها تصلح للاكل كبقيّة الاقوات غير المبرّدة لا ينقصها شيءٌ من خواصّ المآكل الطيّبة

ونظر اهل القسم الثاني في ادوات التجليد والاجهزة الجاري استعمالها في بلاد مختلفة للمقابلة بينها وتعريف فوائدها وتفضيل بعضهـا على بعض . وكذلك امعنوا النظر في الطرائق الشائعة اليوم للتبريد لبيان خواصّها ومنافعها كضغط الغازات الممكن تسييلها وضغط الهواء او تفريغهِ بالآلة المفرّغة . وكذلك امتصاص الابخرة وغير ذلك مما اخترعهُ ارباب الطبيعة في هـذه السنين الاخيرة ولاسيما آلة الاستاذ لنده (راجع المشرق ١ : ١١٢١) لتحويل الهواء الى مائع سيّال . ومما تداول فيـهِ اصحاب هذا القسم اتّخاذ مقياس واحد في كل الدول لضبط درجات البرد . وكذلك تباحثوا في المخـازن والاحواض التجليديّة وافضل الطرائق لتهيئتها

وعهدوا الى اعضاء القسمين الثالث والرابع درس التجليد بالنسبة الى الاغذية واصناف الاقوات ثم بنسبتهِ الى الحِرَف والصنائع وها نحن نعدّد هنا بعض ما اتّصلت اليهِ صنعة التبريد من الفوائد المختلفة

١ حفظ اللحوم والاسماك وطيور الصيد ونقلها الى الامكنة السحيقة (كما جرى مؤخرًا في بيروت) بحيث أصبحت بذلك عدّة بلاد تأمن المجاعة . وذلك مفيد خاصةً لتموين الجيوش وقت الحرب وفي السلم بالطحين النظيف واللحم الطيّب وكذلك يصلح التبريد لصيانة الناس من المجاعة وقت حصار مدنهم بنفس هذه الوسائط

٢ سلامة السمن والبيض من الفساد الى زمن غير محدَّد ونقلهما الى البلاد البعيدة

٣ حفظ الحليب وصيانتهُ من الميكروبات والجراثيم الضارّة وكلّها يقتلها البرد او يمنع انتشارها . وقد طلب اهل المؤتمر انَّ الحليب في المستشفيات يُحفظ دائمًا مجلَّدًا وكذلك اللحم ليسلم كلاهما من الوخومة

٤ حفظ الزهور في نضارتها مدّة طويلة ونقلها من بلد الى بلد . وكذلك منع الأكمَّة عن الازدهار الى وقت معلوم لتزدهر في بعض فصول السنة كما يشاء اصحابها

٥ منع اختمار المشروبات وصيانتها من التقلّبات الجوّيَّة

٦ اصطناع المشروبات المجلّدة والزلابيَّات وغيرها

٧ اتّخاذ التجليد في عدّة صنائع لاسيا في تعدين المعادن وحفر الآبار واستخراج البرافين وبعض الدهون

٨ تبريد الامكنة وقت الصيف في الحرّ الشديد بادوات مبرّدة تجعل في البيوت وغيرها وتحفظ الهواء في درجة مناسبة من الحرارة

٩ منع البارود من الفساد . وقد اثبت بعض المؤتمرين انهُ كان يمكن تلافي الاضرار الجسيمة التي حصلت في هذه الاعوام الاخيرة في عدّة سفن حربية لانفجار بارودها لو حُفظ البارود في آنية مبرّدة اصطناعيًّا

فكلّ هذه الفوائد وغيرها قد استوقفت ابصار اهل المؤتمر وتحقّق الجمهور صحّتها لما سمعوا الخطباء يتباحثون فيها وكانت نتيجة هذا المؤتمر انَّ التبريد اصبح في عهدنا من اعظم الوسائل لترقي التجارة وخدمة الصنائع يجوز نظمهُ في سلك الاكتشافات الخطيرة التي يفتخر بها عصرنا كالبخار والكهرباء ونقل القوّة المائيَّة لتحريك الادوات ولذلك طلبوا من وزراء الدول أن توضع لهذه الصناعة قوانين وتسهيلات لتعميم فوائدها . فسبحان المولى الكريم الذي مكّن الانسان من تذليل قوّة جديدة لترويج منافعهِ بعد ان كان سابقًا لا يكاد يعرف غير مضارّها

الآداب العربية

في القرن التاسع عشر

بحثٌ تاريخي انتقادي للاب لويس شيخو اليسوعي

مشاهير المسلمين (تابع)

هذا ما امكنَّا جمعهُ من تراجم ادباء المسلمين في هـذا العشر وهو برضٌ من عدّ ولا نشكّ انهُ اشتهر في بلاد الاسلام غير هؤلاء الّا انَّ تواريخهم لم تُطبع حتى الآن او تجد منها نُتفاً قليلة متفرّقة لا ينتفع من مضامينهـا الّا من وصلت يدهُ الى تلك المنشورات وسمح لهُ الزمان بمراجعتها وقليل ما هم

وممَّن اطّلعنا على ذكر بعض آثارهم دون معرفة ترجمة حياتهم الشيخ العالم حمزة افندي فتح الله الذي حرّر مدَّة في الاسكندريَّة جريدة الكوكب الشرقيّ ثم انتقل الى تونس ففوَّضتهُ حكومتها أن يحرّر جريدتها الرسميَّة المدعوَّة بالرائد التونسيّ مع منشئها منصور افندي كرلّتي. فاشتغل بذلك مدَّةً منـذ السنة ١٢٩٣ (١٨٧٦ م) وكان ذا باع في الانشاء ولهُ نظم حسنٌ فمن ذلك قولهُ يمدح الوزير الكبير خير الدين باشـا بقصيدة مطلعها:

آلاؤكَ الغرُّ او آثاؤك الغررُ ... زها بها في الزمان الجيدُ والطُّرَرُ

ومنهـا:

الله ملجأُنا اذ ليس يفجأُنا ... شرُّ الخطوب وخيرُ الدين لي وَزَرُ

حبرٌ لهُ همَّةٌ اعلى وارفع من ... هامِ الثريَّا ومجدٌ ليس ينحصرُ

وسيرةٌ سرَّت الدنيا بشائرُها ... وضمَّخ الكونَ عرفًا مسكُها الذفرُ

لا زال كهفًا لمن يأوي بساحتهِ ... في ظلهِ تسمـد الآمال والوطرُ

وكعبةٌ وزراءُ الفضل انجمُهـا ... ترهو بهِ وهو فيما بينهم قمرُ

وكان خير الدين المذكور وزيرًا لباي تونس فاشتهر بحسن سياستـهِ وتدبيرهِ

للامور. وكان كاتباً بارعاً ألَّف كتاباً دعاهُ اقوم المسالك في معرفة احوال الممالك طبعهُ في حاضرة تونس سنة ١٢٨٥. وهو اجود كتاب وضعهُ احد الشرقيين في وصف الممالك الاوربية وتعريف احوالها المدنية مع لمحة من تواريخها

وعُرف بذلك الوقت في المغرب وبلاد تونس من الادباء الوزير ابو العباس احمد بن ابي ضياف والشيوخ ابو عبد الله محمد الباجي واحمد كريم الحنفي وابو النجاة سالم ابو حاجب وابو عبدالله محمد العربي زورق ومحمَّد الصادق ثابت وابو راشد يونس العروسي ومصطفى رضوان ومحمَّد بن الحسن التطواني وقد قرأنا لكلهم فصولًا في الادب الَّا انَّ اخبارهم منقطعة عنَّا

وممَّن لم نقف على اخبارهم ونالوا بعض الشهرة في الادب في الطور الذي نحن بصددهِ السيّد عبد الرحمان النحاس نقيب الاشراف في بيروت نشر ديوان خطب مسجَّعة قرَّظها الشعراء وممَّا قال فيها الشيخ ابراهيم الاحدب:

انشا لنا الخطب التي الفاظُها قد اعربت في السمع لحن مثاني
فِقَرٌ غدت حُلي المسامع مثلما اغنت فقير الفضل بالاحسانِ
اذنت لآلي لفظها بولوجها في مسمع الآذان قبل إذانِ

وللسيّد عبد الرحمان قصائد متفرّقة منها قولهُ يمدح الشاعر مصباح البربير:

لقد ضاء مصباحُ مشكاة عصرهِ وفاق بحسن الذكر نشر الشمائلِ
فتًى من بني البربير حاز براعةً وكان بنظم الشعر اوَّل قائلِ
بهِ طاب اهل المجد فرعاً وقد سما مقاماً على هام البدور الكواملِ
لقد صاغ من نسج القريض نظامهُ وجاء بديوان غريب المناهلِ
وكان حديث السنّ لكنَّ قدرهُ كبيرٌ بانواع العلى والفضائلِ

واصاب في طرابلس بعض الشهرة الشيخ محمَّد المؤقّت كان يتعاطى الشعر ولهُ مراسلات شعريّة مع الشيخ ناصيف اليازجي منها قصيدة في مدحهِ يقول فيها:

لله هاتيك الصفات فانها جمعت ثناء مشارقٍ ومغاربِ
أتظنُّ كلَّ مهنَّدٍ في غمدهِ ماضٍ وكلّ غضنفرٍ بمحاربِ
لا يخدعنَّك بالمحال فانَّهُ ما كلّ من سلَّ الحسامَ بضاربِ
هذا هو الروض الذي ازهارهُ عطَّرنَ كل تنوفةٍ وسباسبِ
هذا هو الماء الزلال وغيرهُ ملحٌ أُجاجٌ ما يلذُّ لشاربِ

هذا هو الفخر الذي شرفت بهِ ابناء دوحتهِ لبعد تناسبِ

وكان في مصر طرابلسيٌّ آخر يدعى حسن افندي الطرابلسيّ كاتبَ ايضاً الشيخ ناصيف فمدح الشيخ آدابه وشعرهُ فقال:

يا أيُّها الحسنُ الميمونُ طالعُهُ احسنتَ حتَّى ملأتَ السَّمْعَ والبصرا
ما زلتَ تجلو علينا كلَّ قافيةٍ قد شبَّبت بمعاني حسنها الشعرا
يعزُّك الشعرُ انشادًا فنحن بهِ نغوصُ في البحر حتى نجتني الدررا

وكذلك كتب في جرائد مصر الشيخ خليـــل العزازيّ ونظم القصائد فمدحهُ محرّر الجوائب بقولهِ:

ألم ترَ كيف يزخرُ بالقوافي فيُسكر من سلافتها العقولا
فتروي كلَّ من اسى غليلًا وتشفي كل من اضحى عليلا

وقام في العراق احمد عزّت الفاروقي ابن اخي الشاعر عبد البـــاقي الذي مرَّ لنا ذكرهُ سابقًا. ولهُ آثار شعريَّة لم تُجمع حتى الآن. مدحهُ منشئ الجوائب غير مرَّة لوفرة آدابهِ. واخبارهُ مجهولة لدينا

الادباء النصارى

ظهرت في هذا العهد ثمرة المدارس المسيحية التي أُنشئت في انحاء الشام فخرج منها جمهور من الادباء اخذوا يحرّرون الجرائد ويصنّفون التآليف المختلفـــة وينظمون القصائد ويمثلون الروايات التشخيصيَّة ويعقدون الجمعيَّات الادبيَّة فيلقون فيها الخطب ويهتمون بتنشيط العلوم فحصلت بذلك نهضة استوقفت الابصـــار وبثت في القلوب رغبة الترقي والتمدُّن

(بنو اليازجي) واوَّل من يتحتَّم علينا ذكرهم الشيخ ناصيف اليازجي واسرتهُ التي كاد الموت يقصف آخر غصونها في العام الماضي بوفاة المرحوم الشيخ ابراهيم نجلهِ. وها نحن نلخّص اخبارهم جميعاً لانتلاف الموضوع وفرارًا من التكرار. اصـــل هذا البيت من روم حمص. ثم نمت اسرتهم وتفرَّعت الى عدَّة فروع فهاجر قوم منهم في العشر الاخير من القرن السابع عشر الى لبنان فسكنوا جهة الغرب واستوطن غيرهم وادي التيم وكان بعضهم دخل في خدمة عُمَّال الدولة في اواسط القرن الثامن عشر

بصفة كاتب فعُرف باسم اليازجي اي الكاتب وعُرف بهِ ابناؤهُ من بعدهِ . وقد جاهر هذا الفرع بالمذهب الكاثوليكي مع أسر أُخرى كبيت البحري وبيت كرامة في منتهى القرن الثامن عشر وسكنوا كفرشيما من قرى ساحل بيروت . وكان عبد الله بن ناصيف بن جنبلاط والد الشيخ ناصيف طبيبًا درس الطبّ على بعض رهبان الشوير وتعاطاهُ بالعمل فحذق بهِ . وكان مع ذلك محبًّا للآداب العربية يطالع من كتب اللغة ما يحصل عليهِ ووسائل التعليم في ذلك الوقت قليلة . وتعلّم الشعر فنظم بعض القصائد التي اخذتها ايدي الضياع . وممّا روى لهُ حفيدهُ الشيخ ابراهيم قولهُ يمدح ديوان شعر للقس حنانيا منيّر صاحب التآليف التي سبق لنا وصفها :

عش بالهنا والخير والرضوانِ　　يا من عُنيتَ بنظم ذا الديوانِ
اني لقد طالعتـهُ فوجدتهُ　　نظمًا فريدًا ما لهُ من ثانِ

وكان مولد ناصيف ابنـهِ في كفرشيما في ٢٥ آذار سنة ١٨٠٠ درس مبادئ القراءة والكتابة على القس متى الشبابيّ ثم شعر برغبة عظيمة في معرفة اصول اللغـة وفنون الآداب فانكبَّ عليها بنشاط وحرصَ على اتقانها ما امكنهُ فنال منهـا نصيبًا حسنًا . ثم درس الطبّ على والدهِ ووضع فيـهِ ارجوزةً سمّاها الحجر الكريم في اصول الطبّ القديم لم تُنشر بالطبع . ودرس ايضًا فنّ الموسيقى ووعى كثيرًا من اصولهـا ودقائقها . وكان مغرى بالتاريخ مواظبًا على قراءة اخبار القدماء فيحفظ منها تفاصيل كثيرة لا تبرح من ذاكرتهِ اذا انطبعت فيها مرّةً

لكنَّ الادب غلب على الشيخ ناصيف فبلغ فيهِ مبلغًا عجيبًا قيـل انهُ استظهر القرآن وحفظ كل ديوان المتنبّي وقصائد عديدة من الشعر القديم والمولَّد لا يخـلّ فيها بحرف . وكان في اوقات الفراغ ينسخ ما يحصل عليهِ من الآثار الادبيَّة بخط جميل اشبه بالقلم الفارسيّ

وممّا امتاز بهِ على اهل زمانهِ شعرهُ فانهُ نبغ فيـهِ على ما روي وعمرهُ لا يتجاوز عشر سنين فكان يقول الشعر عفوًا على البديهـة ويأتي بكل معنى بليـغ . وكان في اوّل امرهِ ينظم المعنَّى والقرّاديات تفكُّهًا . وقد تلف معظم هذه المنظومات العاميَّة

وسطع في ذلك الوقت نجم الامير بشير الكبير فقصدهُ الادباء والشعراء ومدحوه

ونالوا من سجال فضلهِ منهم المعلم الياس اده ونقولا الترك وبطرس كرامة فسار الشيخ ناصيف الى بيت الدين واتّصل بهؤلاء الادباء فقرَّبوهُ من الامير الذي اتخذهُ كاتباً لاسرارهِ ورفع بشأنهُ. وللشيخ في مخدومهِ قصائد جليلة منهــا رائيَّتهُ التي قالها مهنئاً لهُ سنة ١٢٤٠ (١٨٢٤ م) واوَّلها:

جنيك جنيك هذا النصرُ والظفرُ فانعَمْ اذن انت بل فلتنعمِ البشرُ

وبقي في خدمتهِ اثنتي عشرة سنة. فلمَّا كُفَّت يد الامير عن تدبير لبنان سنــة ١٨٤٠ فارقهُ الشيخ ناصيف ونزل مع اهلهِ الى بيروت فسكنها الى سنة وفاتهِ

وفي هذه الثلاثين سنةً الاخيرة من عمرهِ انقطع الى التأليف في بيتهِ والى التدريس ومراسلة الادباء فحظي بشهرةٍ عظيمة. وسمع بهِ المستشرقون فكاتبوهُ واقترحوا عليهِ عدَّة مصنَّفات اجابهم الى وضع بعضهــا فطبعوها في مجلَّاتهم. وكان علماء الشرق يتسابقون الى مكاتبتهِ ويتناوبون بينهم القصائد والرسائل. ومن فضــل الشيخ ناصيف انهُ سعى مع بعض ادباء الشام بعقد الجمعيَّة الســوريَّة لترقية الآداب ورفع منار العلوم. وكان لهُ في كل المساعي الادبيَّة يدٌ مشكورة حتى اصبح في بلاد الشام كقطب العلوم العربية وشرعة المعارف الوطنيَّة

واشتغل ايضاً مع اصحاب الرسالة الاميركيَّة فنظم لهم المزامير وبعض الاغانيّ الدينية واستفادوا منهُ ايضاً في تعريب الاسفار المقدَّسة التي نشروها في مطبعتهم

امَّا تآليف الشيخ ناصيف فكلُّها مشهورةٌ سردنا اسماءهــا في تاريخ الطباعة في اعداد سنتنا الثالثة واشهرها مقاماتهُ الستُّون المعروفة بمجمع البحرين التي عارض فيها المقامات الحريريَّة طُبعت مرارًا في المطبعة الاميركية ثم في مطبعتنا الكاثوليكيَّة. ولهُ كتاب فصل الخطاب في الصرف والنحو. وجوف الفرا والخزانة وهما ارجوزتان في اصول النحو نظمهما وعُني بشرحهما. وكتاب عقــد الجمان في البيان مع ملحق في العروض. ولهُ شرح على المتنبّي اتمَّهُ ابنهُ الشيخ ابراهيم ووسمهُ باسم العرف الطيّب في شرح ديوان ابي الطيّب. وشعرهُ متفرّق في ثلاثة دواوين كتاب نفحــة الريحان وكتاب فاكهة الندماء في مراسلات الادباء وكتاب ثالث القمرين. وقد قصد الاديب ميخائيل افندي ابراهيم رحمة جمع شعرهِ في ديوان طُبع منهُ نبذتان في المطبعة الشرقية

في الحدث وفي المطبعة الادبيّة مصححاً بقلم نجلهِ المذكور. والمأمول ان ينجز قريباً هذا العمل ويضيف الى المجموع ما لم يزل مخطوطاً او شارداً من القصائد

وشعر الشيخ ناصيف يجمع بين الرقّة والمتانة يضارع نظم اجود الشعراء في كل ابواب المعاني وقد مرَّ لنا عدّة اقوال من قلمهِ تشهد على براعتهِ ورسوخ قدمهِ في آداب الشعر. وقد مدح اكثر مشاهير عصرهِ وادباء زمانهِ ورثى قوماً من الكرام الذين انتقلوا الى دار البقاء في ايامهِ ولهُ التواريخ المتعدّدة التي زان بها قبورهم او علّقها على الآثار البنائيّة والكنائس وغيرها. فمن مدائحهِ قولهُ من قصيدة غرّاء رفعها الى جلالة السلطان عبد العزيز وضمّن كل شطر منها تاريخاً لسنة ١٢٨٣:

ظلُّ الاله علينا اوجُ طالعهِ قد فاق فوق جهات الأُفق كالعَلَمِ
في خلقهِ عجبٌ في عزّهِ طربٌ راحاتهُ سُحبٌ يَهْمرن بالكرمِ
امين ربّ الورى في الكون مؤتمنٌ على العباد لحقّ العهد والذممِ
للهِ درُّ بني عثمانَ من صدقوا بطيب حملٍ ووضع حافلِ القِيَمِ
بنوا لنا برج سعدٍ رُسْلُ طلعتهِ تدعو الأَنام الى اعباءِ شكرهمِ
بابُ السعادةِ باب النصر ساكنهُ كهفُ المطالب من حاماهُ لم يُضَمِ

ومدح نابوليون الثالث بقصيدة افتتحها بهذه الابيات:

من قال انَّ الدهر ليس يعودُ هذا زمانٌ عادَ وهو جديدُ
قد عاد نابليون بعد زوالهِ فكأَنَّ ذلك يومهُ الموعود
يا من يقول لرمّةٍ في لحدهِ انَّ السعيد كما علمتِ سعيدُ
هذا خليفتهُ الذي احيا الورى احياكِ حتَّى اخضرَّ منكِ العودُ
لا تُفتقَد الدنيا لفقد عزيزها ما دام يخلفُ مَيْتَها المولودُ
تتجدَّد الاشخاص فيها مثلما يُفرَى القضيبُ فينبتُ الاملودُ

ولهُ في مديح الملكة فيكتوريا من قصيدة:

اليوم قامت فتاةُ الملك بارزةً وقام من قبلها اسلافُها الاوَلُ
فرعُ الاصول التي مرَّت وبهجتها انَّ الثمار من الاغصان تُبتذَلُ
يُستَحسن الملك فيها والخضوع لها وليس يحسنُ فيها الجبن والبَخَلُ
باهى الرجالُ نساءَ الدهر وافتخروا حتَّى اتت فأَصاب المدَّعي الخَجَلُ
اذا صفا لك نور الشمس في فلكٍ فما الذي تفرقُ الجوزاء والحَمَلُ
في قلبها خاتم التقوى وفي يدها من خاتمِ الملك ما يجري بهِ المَثَل

قد التقى الدينُ والدنيا بساحتها كما التقى الكُحل في الاجفانِ والكَحَلُ

ولهُ قصائد أُخرى في مدح الخديويين اصحاب مصر ابراهيم باشا وسعيد باشا واسمعيل باشا. وكثيرًا ما كان يجمع في هذه المدائح انواع الجناسات والفنون البديعيَّة الصعبة المرتقى الدالَّة على تذليلهِ للمشكلات اللفظيَّة والمعنويَّة لكنَّ التعسُّف ظاهر في بعض هذه المنظومات التي وضعها لمعارضة قومٍ من شعراء القرون المتأخرة. ومن هذا القبيل بديعيَّتهُ التي التزم فيها تسمية الجناس والنوع اوَّلها:

هاج المتيَّم بالاطلال في العَلَم فأبرع الدمع في استهلالهِ العرمِ

ومن احسن شعر صاحب الترجمة مراثيهِ التي اوردنا منها امثلة. ولهُ من قصيدة يرثي بها الطيّب الذكر البطريرك مكسيموس مظلوم:

ركنٌ هوى في دار مصر اوشكت منهُ رُبى لبنان ان تتفطَّرا
ضجَّت بهِ الاسكندريَّةُ هيبةً فكأنَّ فوق سريرهِ الاسكندرا
يا ايُّها الطود الذي عبثت بهِ ايدي المنون فال محلول العُرى
غدرت بك الايَّام مظلومًا كما تُدعى فألقت في التراب الجوهرا

ولهُ في رثاء صغير واجاد:

أستودعُ الله في طيّ الضريح فتًى كالغصن معتدلًا والبدر مكتملا
كنَّا نؤمل ان نجني لهُ ثمرًا فخيَّب الدهرُ منَّا ذلك الاملا
خان الزمان لهُ عهد الصبا وبغى عليهِ داعي المنايا اذ اتى عجلا
قد ألبسوهُ الثياب البيض فاصطبغت بحُمرةٍ من دم الدمع الذي انهملا
والناس من حولهِ تمشي وقد نكست رؤوسها وصراخُ الباكيات علا
يا رحمة الله حُلّي فوق تربتهِ كما حللتِ على نعشٍ بهِ حُملا

ومن مراثيهِ ما قالهُ في موت ابنهِ حبيب وهو آخر ما نظم قبل شهر من وفاتهِ ولم يتمّ رثاءهُ لحزنهِ:

ذهبَ الحبيب فيا حشاشتي ذوبي اسفًا عليهِ ويا دموعُ أجيبي
ربَّيْتهُ للبَيْن حتَّى جاءهُ في جنح ليلٍ خاطفًا كالذيبِ
يا ايُّها الامُّ الحزينةُ أجملي صبرًا فانَّ الصبرَ خير طبيب
لا تخلعي ثوب الحداد ولازمي ندبًا عليهِ يليقُ بالمندوبِ
هذا هو الغصن الرطيبُ اصابهُ سهم القضاء فمات غيرَ رطيبِ
من للكتابة والحسابة بعدهُ ولصحَّة التدبير والتدريبِ
لا استحي ان قلتُ قلَّ نظيرهُ بين الرجال فلستُ غيرَ مصيبِ

والمرء يطلقُ في الكلام لسانهُ ان كان لا يخشى من التكذيبِ
اني وقفتُ على جوانب قبرهِ استي ثراهُ بمدمعي المصبوبِ
ولقد كتبتُ لهُ على صفحاتهِ يا لوعتي من ذلك المكتوبِ
لكَ يا ضريحُ كرامةٌ ومحبّةٌ عندي لانّك قد حويتَ حبيبي

ومن تعازيهِ اللطيفة قولهُ يخاطب تاجرًا أُصيب بمالهِ:

يا بائع الصبر لا تُشفقْ على الشاري فدرهمُ الصبر يسوى (كذا) الف دينارِ
لا شيء كالصبر يشفي قلب صاحبهِ ولا حوى مثلهُ حانوت عطّارِ
هذا الذي تُخمد الاحزانَ جرعتهُ كبارد الماء يطفي حدَّة النارِ
ويُحفظ القلبُ باقٍ (كذا) في سلامتهِ حتَّى يُبدَّل اعسارٌ بايسارِ
يا من حزنت لفقد المال انك قد خُلقتَ عارٍ (كذا) وما في ذاك من عارِ
كما اتى امسِ ذاك المالُ مكتسبًا يأتي غدًا من بديع اللطف جبَّارِ

ومن زهريَّاتهِ قولهُ:

مرَّ النسيم على الرياض مسلّما سحرًا فردَّ هزارها مترنّما
احنى اليهِ الزهرُ مفرق رأسهِ ادبًا ولو ملك الكلام تكلَّما
يا حبَّذا ماء الغدير وشمسهُ تعطيهِ دينارًا فيُقلب درهما
تحت الرياحُ بهِ كتابةَ بعضها فتخاصمت من فوقهِ فتهشَّما

ولهُ هجوٌ قليل فمن ذلك قولهُ لثقيل:

كفَّ عنّي لا ابا لكْ قد تبيّنّا مُحالكْ
وعرفناك والّا فتى نعرفُ حالكْ
قد مضى لي بك عصرٌ حاملًا فيهِ ملالكْ
حسبُ قلبي منك جورٌ كاد منهُ يتهالكْ
سنرى النادمَ منَّا ويبيْ اللهُ فالكْ

وقال في بخيل:

قد قال قومٌ انَّ خبزك حامضٌ والبعض اثبت بالحلاوة حكمهُ
كذب الجميع بزعمهم في طعمهِ مَن ذاقهُ يومًا ليعرف طعمهُ

ومن حكمهِ المأثورة:

انّي لقد جرَّبتُ اخلاقَ الورى حتَّى عرفتُ ما بدا وما اختفى
كلٌّ يذمُّ الناس فالذي نجا من ذمّهِ يدخلُ في ذمّ الملا
ولا يحبُّ غير نفسهِ فما احبَّهُ فهو الى النفسِ انتهى
يعرف كلٌّ حالهُ فيما مضى الّا الذي كان دنيًّا فارتقى

وكلُّ علمٍ يدركُ المرءُ سوى عِرفانِ قدرِ نفسهِ كما اقتضى
وكلُّ من لا خيرَ منهُ يُرتجى ان عاش او مات على حدٍّ سوا

وممَّا برَّز فيهِ قولهُ في الدين المسيحيّ:

نحنُ النَّصارى آلُ عيسى المنتمي حسبَ التأنُّس للبتولةِ مريمِ
وهو الإلهُ ابنُ الالهِ وروحهُ فثلثةٌ في واحدٍ لم تُقسَمِ
للآبِ لاهوتُ ابنهِ وكذا ابنهُ وكذا هما والروح تحتَ تَقنُّمِ
كالشمسِ يَظهرُ جرمها بشُعاعها وبحرِّها والكلُّ شمسٌ فاعلمِ
واللهُ يَشهَدُ هكذا بالحقِّ في سفرٍ لتوراةِ الكليمِ مُسلَّمِ
عن آدمٍ قد قال «صارَ كواحدٍ منّا» بلفظ الجمعِ من ذاك الفمِ
خلقَ البسيطةَ واحدًا في جوهرٍ أحدٍ لخدمةِ آدمَ المستخدَمِ
لكن عصاهُ بزلَّةٍ لا تنمحي الَّا بإرسال ابنه المتجسِّمِ
فأتى وخلَّصهُ وخلَّص نسلَهُ ذاك المخلِّصَ من عذابِ جهنَّمِ

ومنها في وصف اعمال السيد المسيح وآياتهِ:

شهدَت عجائبُهُ لهُ في عصرهِ فدرَى الحكيمُ وتاهَ من لم يفهمِ
ولنا عليهِ أدلَّةٌ قَطعيَّةٌ عقلًا ونقلًا ليسَ قطعَ تحكُّمِ
قد جاء لا سيفٌ ولا رمحٌ ولا فرَسٌ ولا شيءٌ يُباعُ بدرهمِ
يأوي المغارةَ مثل راعي الضأنِ لا راعي الممالكِ في السريرِ الاعظمِ
وهو ابن يوسف لا ابنُ قيصرَ عندهم يغزو بجيشٍ في البلادِ عرمرَمِ
فأتاهُ من شعبِ اليهود جماعةٌ كانوا على الدين التليد الاقدمِ
وتباعدوا من قومهم بمذلَّةٍ يأبون كلَّ كرامةٍ وتَنعُّمِ
قالوا هو ابن اللهِ جهرًا والعِدى من حولهم مثل الذئاب الحُوَّمِ
والناسُ بين عواذِلٍ وعواذرٍ لهمُ وبين مُحلِّلٍ ومُحرِّمِ
ما غرَّكم يا قومُ فيهِ أسَيفُهُ ام جاههُ ام مالهُ في الانعُمِ
هو ساحرٌ يُطغي؟ فقالوا لم نجدْ من ساحرٍ يُحيي الرميمَ بطَلْسَمِ
كانت رجالُ اللهِ تُحيي ميتًا بصلاتها ودعائها المتقدّمِ
وتراهُ يُحيي المائتين بامرهِ فهو الالهُ ومن تشكَّكَ يندَمِ
ولئن همُ انخدعوا لغَفلتِهم فقد ضَعُفَت عقولهمُ كمن لم يحلُمِ
فترى بما خدعوا البلاد ومن بها من عالمٍ يُفتي ومن مُتعلِّمِ
فاذا اعتبرنا ما ذكرتُ بدا لنا بالحقِّ وجهُ الحقِّ غيرَ مُلثَّمِ

وأُصيب الشيخ ناصيف في السنتين الاخيرتين من عمرهِ بفالج نصفيّ تحمَّل مضضهُ بالصبر ثم دهمتهُ سكتة دماغيَّة فتوفي فجأةً في ٨ شباط سنة ١٨٧١ رحمهُ الله. ومما طُبع لهُ من التآليف في اوربَّة رسالتهُ الى المستشرق دي ساسي نقلها الى اللاتينيَّة وعلَّق

عليها الحواشي الاستاذ مهرن (Mehren) وطبعها في ليبسيك . وقد وجدنا في مكتبة برلين الملكيَّة رسالة مطوَّلة في احوال لبنـان وسكَّانهِ وامرائهِ واديان اهلهِ لا نشكّ انها لهُ وان لم يُذكَر فيهـا اسمهُ . وهذه الرسالة نقلها الى الالمانية العلّامة فلَيشر (Fleischer) ونشرها في المجلة الاسيويَّة الالمانية (ZDMG. VI, 98, 388) ثم نشرتها ايضاً مجلة الهلال في سنتها الثالثـة عشرة (ص ٥١٣ و ٥٦٦) ونسبتها الى اندراوس صوصه (لها بقية)

مطبوعات شرقية جديدة

La Province de Bagdad : son passé, son présent, son avenir, avec des notes sur le chemin de fer de Bagdad et une étude sur les tribus nomades de la Mésopotamie par **Habib K. Chiha.** *Le Caire*, 1908, VI - 337.

ولاية بغداد

هذا اوَّل كتاب صنَّفهُ احد الشرقيين في اللغة الافرنسيَّة عن ولاية بغداد يصحُّ في مؤلفهِ المثل انَّ صاحب الدار ادرى بما فيهـا . ولا عجب فانَّ جناب حبيب افندي شيحا استوطن بغداد منذ حداثتهِ وتقلَّب في دوائرها واختلط باهلها وحظي عند قناصل الدول المنصَّبين فيها وتردَّد على القبائل المجاورة لها . وها هوذا قد جمع في هـذا الكتاب ما عاينهُ واختبرهُ وسمعهُ عن ولاية بغداد في كل احوالها التاريخيَّـة مباشرةً باصلها على عهد الخليفة العبَّاسي ابي جعفر المنصور الى زماننا الحاضر . ثم الجغرافية ثم الصناعية والتجاريَّة ثم الاثريَّة كوصف الآثار القديمة المكتشفة في العراق والآثار المستحدثة من مزارات ومشاهد ومساجد وابنية خطيرة يليها نظرٌ في العادات الجارية عند اهلها المسلمين والنصارى واليهود ثم ابحاث مختلفة اقتصادية في تعريف سككها ومواصلاتها البرّيَّة والنهريَّة مع البلاد التي تقرب منهـا كجزيرة العرب وبلاد الشام والعجم اضاف اليها وصفاً للسكة الحديديَّة البغداديَّة التي نال امتيازها الالمان . وقد ختم هـذا القسم بلمحةٍ في القنصليَّات الاجنبيَّة في دار السلام . وللكتاب ملحقٌ غاية في النفاسـة عن القبائل العربية التي تسكن العراق وما بين النهرين ضمَّنهُ كل ما يحبُّ القرَّاء معرفتهُ عن اهل البادية من مساكن وانساب وتقاسيم وتدبير وغزو وعادات اهليَّـة شتى في

الولادة والزواج والجنازات والغناء والموسيقى والعلاجات . ولم ينسَ قرّاء المشرق فصلًا حسنًا اثبتهُ جناب المؤلف في سنتنا الاولى (ص ٦٨٤ و ٩٤٢) عن البيطرة عند الاعراب يدلُّ على ما لكاتبهِ من البراعة في وصف احوال العرب المحدثين . فترى من هذا النظر الاجمالي ما للكتاب من المزايا والخواصّ الطيّبة . هذا ولولا ضيق المكان لكنَّا عرضنا على المؤلف بعض الملحوظات رغبةً في تحسين كتابهِ في طبعةٍ ثانية ولعلّنا نفعل في وقتٍ آخر او يقوم بذلك احد مكاتبينا البغداديين ان شاء الله ليصير هذا التأليف مرجعًا يُستند اليهِ في كلّ امور بغداد ل . ش

ELENCO bibliografico delle accademie, società, istituti scientifici, direzioni di periodici, ecc., corrispondenti con la Reale Accademia dei Lincei. e **Indici** delle loro pubblicazioni pervenute all'Accademia sino a dicembre 1907. *Roma*, 1908, VII-421.

قائمة المطبوعات والمنشورات العلمية التي وردت لمكتب لنشاي في رومية

لمكتب لينشاي في رومية شهرة عظيمة فانهُ بمثابة مكتب باريس العلميّ تَرد عليهِ المجلّات والمنشورات العلميَّة من كل انحاء المعمور امّا بصفة هدايا وامّا مبادلةً بمطبوعاتهِ العلميَّة . فاحبّ ناظر خزانة هذا المكتب جناب الاستاذ غابريلي (Gabrieli) ان يدوّن في كتاب خاصّ كلّ هذه الواردات فاصطنع قائمة مدقّقة تبلغ ٤٢١ صفحة ضمَّنها اسماء تلك المنشورات . ولهذه القائمة فائدة عظيمة لاصحاب المكاتب ليعرفوا ما يُنشر في العالم من المجلّات العلميَّة واللغويَّة وبينها المنشورات الشرقية التي تهمُّ بلادنا . فنشكر جامع الكتاب على شغلهِ ونحضُّ الكتبيّين على اقتنائهِ ل . ش

Géographie de l'Empire Ottoman par **J. Dupont** *Paris, Poussielgue*, 1907.

جغرافية الممالك العثمانية

كان المسيو ڤيتال كوينه (V. Cuinet) ألّف كتابًا واسعًا في اربع مجلّدات وصف فيهِ الممالك المحروسة وصفًا وافيًا ثم الحقهُ بكتابٍ آخر في وصف بلاد الشام خصوصًا فاصاب هذا التأليف الحظوى لدى محبّي الآثار الشرقيَّة رغمًا عمّا وقع فيهِ من الاغلاط المتعدّدة . الّا انّ ارباب المدارس كانوا يودّون لو اختصر احد اصحاب الهمَّة هذا الكتاب لافادة الاحداث . فقام بهذا المشروع احد المعلمين الفرنسويين المسيو دوپون فوضع هذا المختصر على طريقة تعليميَّة موافقة لشؤون المدارس وقسمهُ ثلاثة اقسام

فضمَّن القسم الاوَّل اوصافًا عموميَّة لتحديد المالك المحروسة واقسامها وتعريف اهاهـا ونظامها. وبحث في القسم الثاني عن بلادها وولاياتها وسناجقها ومدنها وما ينوط بها من المعلومات المفيدة لجغرافيتها واديان اهلها وعددهم وتجارتهم وزراعتهم. امَّا القسم الثالث ففيهِ نظر مفيد في مقام بلاد تركيًّا الاقتصاديّ ومحصولاتهـا ومعاملاتها التجاريَّة مع الدول وفي آخر الكتاب فهرس واسع مع ملخَّص مضامينه. وقد عرض صاحب هـذا التأليف مسودَّاتهِ على معلّمي الجغرافيـة في كليَّتنا حضرة الاب لامنس والاب داڤيه وشكرهما في المقدَّمة على مساعدتهما لهُ في ضبط معلوماتهِ واصلاحها. ونحن نحضّ كلّ مدارسنا السوريَّة ان تتخذ هذا التأليف كدستور تعليمها الجغرافي فلا تجد احسن منهُ وان دخل فيهِ بعض اغلاط ثانويَّة لا نتعرَّض لها هنا خوفًا من الاطالة المملَّة ل. ش

LE RITE BYZANTIN dans les Patriarcats melkites Alexandrie - Antioche - Jérusalem, par le **P. Cyrille Charon,** *Rome,* 1908, XIII-244.

الطقس البوزنطي في البطريكيَّات الملكيَّة

هو الكتاب الذي كنَّا نتمنَّى نشرهُ منذ زمن طويل قد وضعهُ على احسن اسلوب واوفى مرغوب حضرة الخوري كيرلُّس شارون الرومي الملكي الكاثوليكيّ. وقد جعل حضرتهُ هذا التأليف كذكرٍ للاعياد الشائقة التي أُقيمت في روميـة العظمى لتذكار المائة الخامسة عشرة لوفاة الذهبيّ الفم ونظمهُ في سلك المنشورات التي باشر العلماء في طبعها بهذه النسبة (اطلب المجلَّة ص ٨٧١). امَّا مضمون هذا الكتاب النفيس فتاريخ مختصر لدخول الطقس البوزنطي في البطريركات الاسكندريَّة والانطاكيـة والاورشليميَّة وذلك في نواحي القرن الثاني عشر بعد ان أُلغيت الطقوس السابقة التي كانت تلك الكنائس تنجز بها الاسرار المقدَّسة وفقًا لتقاليدها الخاصَّة الموروثة عن الرسل وآباء الكنيسة. ثم يلي هذا القسم نظرٌ في شيوع الطقوس البوزنطيَّة واستعمالها في البطريركيَّات المرقومة باللغة السريانية اوَّلًا ثم بالعربية . اما اللغة السريانية فقد اثبت حضرتهُ انَّها كانت اللغة المتغلِّبة على الكنيسة الملكيَّة لاسيما الانطاكية وسرد لاثبات زعمهِ اسماء المخطوطات السريانية الملكية التي وقف عليها وهي لا تقـلّ عن مئتي كتاب مختلف تجدها في كلّ المكاتب العمومية في حواضر اوربَّة وغيرها. ثم انتقل

حضرتهُ الى وصف الكتب الطقسية العربية ووصفها وصفاً وافياً سواء كانت خطيَّة او مطبوعة وبيَّن ما للمطبوعة منهـا من الخواصّ والمحاسن والمعايب منتقداً عليها انتقاداً معتدلًا مع بيان تواريخها ومضامينها وكمالها او خللها. ثم انتقــل حضرتهُ الى قسم أخير ضمَّنهُ عدَّة ملحوظات في العادات الطقسية الجارية اليوم في كنائس الملكيين لتعريف ما استُحدث منها. وفي هذا القسم بحث عن البصلتيكا والغنــاء الكنسي وبعض الرتب الخاصَّة. وفيهِ ايضاً معجم للالفاظ اليونانية المستعملة عند الملكيين. وقد ختمهُ بتدوين ما سنح لحضرتهِ من الخواطر في اصـلاح بعض العادات وتلافي بعض النواقص ليُصبح الطقس الملكي في اتمّ كمالهِ. فنهنّئ حضرة المؤلف ونؤمّــل ان كتابهُ يشيع قريباً فتتداولهُ ايدي كل محبّي الطقس اليوناني ولاسيما الاكليروس الملكي ل. ش

Le Martyrologe de Rabban Sliba édité,traduit et annoté par le **P. Paul Peeters** s. j., (*Extrait des Analecta Bollandiana*).

كلندار ربّان صليبا

ربّان صليبا كاتب يعقوبي كان في اواخر القرن الثالث عشر فألّف كلنداراً ضمَّنهُ اعياد الكنيسة السريانية. ولم يسلم من هــذا الاثر غير نسخة وحيدة كان العلّامة يوسف السمعاني نشرها على علّاتهــا في فهرست كتب المكتبة الواتيكانية ونقلها الى اللاتينية دون الانتقاد الواجب. فعاد حضرة الاب بولس پيترس اليسوعي من جمعية البولنديين الشهيرة واخذ رسم النسخة الاصلية ودرسها درساً مدقَّقاً فطبعهـا واصلح كثيرًا من اغلاطها بالمقابلة مع منشورات اخرى وعلّق عليها ملحوظات غاية في الافادة تنبئ بعلم واسع ومطالعات لا تُحصى ثم نقلها الى اللاتينية فجاء تأليفـهُ موافقاً لما نعهدهُ في البولنديين من التدقيق والتحقيق والقدم الراسخــة في كل العلوم الدينية. فلا نشكّ بانّ محبّي الآثار السريانية يبادرون الى اقتنائهِ ل. ش

مفتاح الفلاح في تقديس الارواح

ترجمهُ حضرة الاب كميل مارون احد مرسلي الاخوة الاصاغر

طُبع في اورشليم بمطبعة الارض المقدَّسة للآباء الفرنسيسيين (سنة ١٩٠٨ ص ٤٥٣)

بعد ان اتحفنا حضرة المعرّب بكتاب منهاج الخشوع في حبّ يسوع الذي مرّ لنا وصفهُ (المشرق ١١: ٣٩٥) ها هوذا عقَّبـهُ بتعريب كتاب آخر ليس دون السابق في

حسن مضامينهِ وضبط ترجمتهِ وجودة طبعهِ دعاهُ بمفتاح الفلاح في تقديس الازواج نقلهُ عن الافرنسية لكنهُ ضنَّ علينا باسم صاحبهِ. وهو كتاب صغير الحجم كثير المحتوى في اربعة اقسام ونحو ثمانين فصلاً في كل ابواب الحياة الزوجية. وفصولهُ قصيرة الّا انها غاية في التقى تؤثر في القلب اكثر منها في العقل وغايتها بعث النفوس على اصلاح الاعمال التقوية وممارسة تكمل المسيحي وفقاً لاحوال عصرنا الحاضر. فنحضُّ كل محبّي الحياة الروحية ان يتخذوا هذا الكتاب كمرشد امين للسير في طريق الخلاص

ل. ش

سيرة حنّة درك البكر المكرَّمة

تأليف الاب قرنيه الراهب اليسوعي

طُبع في المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين (سنة ١٩٠٨ ص ١٤٠)

المكرَّمة حنّة درك فتاة امّيّة كان عمرها ثماني عشرة سنة لا غير لمَّا انتدبها الله بطرقٍ عجيبة الى خلاص فرنسة من اعدائها وكان الانكليز قد انقضُّوا على مدنها انقضاض النسور الكاسرة وكادوا يلتهمونها التهاماً لولا هذه الابنة التي اجتمعت بملك فرنسة كرلوس السابع وشدَّدت عزائمهُ وسارت بجنودهِ لملاقاة العدوّ فكسرتهُ كسرات متوالية ووطّدت اركان المملكة الفرنسويّة الّا ان الله سمح بان تسقط في ايدي المعادين بعد سنتين فحكموا عليها بالموت ظلماً. فرضيت بهذا الحكم الجائر وماتت ميتة الابرار. والحقُّ يقال انَّ حنّة درك لم تكن فقط فتاة شديدة البأس قامت بما عهدهُ الله اليها قيام الابطال بل كانت ايضاً قدّيسة ممتازة بفضائلها لاسيما التقى والعفاف والزهد بالدنيا والفرار من كل مجد باطل والثقة التامّة بالله وحدهُ ولهذا السبب قد عوَّلت الكنيسة على اكرامها وادراج اسمها في سجلّ اولياء الله. وسيتم ذلك قريباً. وكان ينقصنا في العربية كتاب يصف اعمال تلك الفتاة الشهمة التي ظهرت في هذه القرون الاخيرة كآيةٍ من آياتهِ تعالى لخلاص امّة عُرفت بابنة الكنيسة البكر. وهذا الخلل قد سدَّهُ حضرة الاب قرنيه المرسل اليسوعي بوضع كتابٍ جمع فيهِ كل ما يروق الاحداث من اوصاف الوقائع الحربية والمآثر الحماسيّة والاعمال التقويّة ما يبعث في قلوب الشبّان روح الدين وحب الوطن معاً. فجاء تأليفهُ من افضل ما يُجازى بهِ طلبة المدارس الذكور والاناث على حدّ سواء

ل. ش

شذرات

استدراك عن رسالتين — كتب لنا من عين شمس بضواحي القاهرة في تاريخ ١٦ نوفبر جناب الوجيه الفاضل احمد باشا تيمور ما حرفهُ :

لمشرقكم الاغرّ فضلٌ على الناطقين بالضاد لا ينكرهُ الّا مكابر ولو لم يكن لهُ الّا نظم ما انتثر من رسائل البلغاء والحكماء المتقدّمين لكفاه. وقد راقني من فرائد هــذا السلك دُرَّتان احداهما نظم مثلث قُطرب نُشرت في العدد السابع . والاخرى رسالة في دفع الخوف من الموت نشرت في العدد الاخير وكلتاهما غُفلٌ من اسم مؤلفهما فرأيت ان اذكر ما اعرفهُ عنهما اتماماً للفائدة فاقول:

امَّا الرسالة فهي للرئيس ابن سينا سبق طبعها مع ثلاث رسائل أُخرى من تأليفه في ليدن سنة ١٨٩٣ الأولى في العشق والثانية في ماهية الصلاة والثالثة في معنى الزيارة والرابعة هذه الرسالة. وقد عارضتها على التي بالمشرق فاذا هي هي

واماَّ المثلث فقد نشرتم منهُ منظومتين احداهما شرح للاخرى وأوردتموهما ممزوجتين كما وجدتموهما في النسخــة المخطوطة فاحسنتم كل الاحسان في تأدية الامانة حقَّها . والمشهور عن منظومة المتن التي اوَّلها (يا مولعاً بالغضب) انها لقطرب نفسه كما يؤخذ من كشف الظنون وذكر انَّ لسديد الدين عبد الوهَّاب بن الحسين شرحاً عليها وهو قول لا يخلو من نظر فقد وقعت لي نسخة من شرح لها منسوبٍ لابراهيم اللَّخميّ يؤخذ من خطبته ان النظم لسديد الدين المذكور فلعلّ قطرباً وضعهــا نثرًا فنظمها سديد الدين كما نظمها غيره ويؤيد هذا الزعم قولهُ في ختامها :

لمَّا رأيتُ دَلَّهُ . وهجرهُ ومَطْلَهُ
نظمتُ في وصفي لهُ مثلثًا لقطربِ

وهي دلالة صريحة على ان الناظم غير قطرب. ووقعت لي نسخــة اخرى من هذا الشرح منسوبًا لسديد الدين نفسه ولا اظنُّهُ الّا من عبث الناسخ رأى الشرح غُفلًا من اسم مؤلفه ووجد في خطبته قبل ذكر النظم « قال الوزير سديد الدين عبد الوهَّاب الخ» فخلط هذا الخلط. على اني وقفت على شرح آخر لهذه المنظومة اسمهُ « النظم المطرب لمثلثات قطرب » استشهد مؤلفه على كل كلمــة ببيت من كلام العرب وذيَّلهُ بنظم

الفاظ استدركها على الاصل الّا انّ الناسخ اكتفى من الذيل بشرح الالفاظ دون النظم ويستفاد من خطبته ان الناظم غير قطرب ايضاً . هـذا ما يتعلّق بهذه المنظومة واماً شرحها المنشور بالمشرق الذي اوّلهُ :

الحمد لله العظيم الباري الرازق المهيمن الغفّار

فهو للعلّامة ابن البارزي الحموي وعندي منـهُ نسختان لا تخلوان من التحريف . وحيث قد استرسلنا في الكلام على هذا المثلث وشروحه فلا بأس من ذكر ما اجتمع منها بين مخطوطات مكتبتي . فمنهـا غير ما تقدّم نسختان من شرح منظوم لابراهيم الازهري اوّلهُ :

الحمد لله الذي هدانا لملّة الاسلام واجتبانا
بمنّهِ وجودهِ اصطفانا لفضل توحيدِ فلا نبالي

ثم أتى بعد ذلك في غالب الابيات بنظم ابن البارزي مغيّرًا قافيـة الشطر الرابع فقط ولا ادري أيّهما سرق من الآخر

ومنها تشطير للنظم الاوّل لشمس الدين القادري جعلهُ كالشرح يقول فيهِ :

يا مولعًا بالغضب اراك عني معرضـا
بالهجر والتجنّب بعد الوصال والرضا
حبّك قد برّح بي يا مَنْ غدا يلعب بي
في جدّهِ واللّعِبِ

وجرى على هذا السياق الى آخره . ومنها نظم لهذا المثلث مجرد عن الشرح للشيخ عبد العزيز الديريني اوّلهُ :

اذا عاينت سُبْلَ الحب َغمرا وقد مُلِئَتْ بك الاعداء غِمرا
فلا تكُ صاحبي في اللهو غُمرا وسِرْ عسفًا ودعْ زيدًا وعمْرا

ويعقب كلّ مربّع حلّ لالفاظـه انتهى . وقد اشرتم الى نظم آخر مربّع مختوم بقافية النون ورقتُهُ الاولى مفقودة ولولاها لنشرتموه فان صـدق ظني فهو مثلث الشيخ موسى القليبيّ المسمّى « التحفة القليبيّة في بعض المثلثات اللغويّة » وطريقته فيـهِ انهُ رتّبهُ على حروف المعجم واورد في كل حرف خمسة الفاظ واني ذاكر لكم ختامـه حتى اذا طابق ما عندكم نسخت لكم المفقود لتنشروه افادة لقرّاء المجلة وهو :

ثم الصلاة والسلام الدائمُ على نبي شأنُهُ المراحمُ
وآلِهِ الأعرابُ والاعاجمُ ما قامت الاشياء بالرحمنِ

هذا وقد بقي شيء استميحكم في ذكره وان خرج عن موضوعنا وهو انكاركم على مؤلف المنتخبات العربية قوله ان حسَّان بن ثابت عاش في الاسلام ستين سنة مع انَّ وفاته كانت سنة ٥٤ وانما سرى لكم هذا الانكار لاعتباركم السنــة الهجريَّة تاريخًا لاوَّل ظهور الدعوة النبويَّة ولو اعتبرتموهــا تاريخًا للهجرة كما هو الواقع ما استنكرتم هذا القول والله اعلم

(المشرق) نشكر جناب مكاتبنا على ما تفضَّل بهِ من الافادات فنقول انَّنا وجدنا الرسالة المنسوبة الى الشيخ الرئيس كما اشار حضرتهُ في ذاك المجموع المهتمّ بطبعهِ احد كبار المستشرقين وصديقنا المأسوف عليه الاستاذ مِهْرن الذي عرَّب اسمه بميكائيل ابن يحيى الطحَّان. ولم يخطر على بالنا عند طبع الرسالة ان نراجع هــذا المجموع الذي ذهلنا عنهُ. ومن غريب امر هذه الرسالة انَّ الاستاذ مهرن وجدهــا في نسختين غير النسخة التي وقفنا عليها في باريس الواحدة منهما في مكتبة ليدن في هولنــدة وهي كنسختنا غفلٌ من اسم مؤلفها وعنوانها « رسالة في دفع الغمّ من الموت ». امَّا النسخة الثانيــة فوجدها في المتحف الآسيويّ في بطرسبرج مصدَّرة بما نصُّه « رسالة للشيخ الرئيس في عدم الخوف من الموت » ثم يبتدئ بالرسالة دون فاتحة. وكنَّا راجعنا في تاريخ الحكماء للقفطيّ وفي طبقات الاطبَّاء لابن ابي اصيبعة جدول مصنَّفــات ابن سينا فلم نجد للرسالة المزبورة ذكرًا. واغربُ من ذلك انَّ الرسالة مدرجــة في جملة فصول كتاب تهذيب الاخلاق لاحمد بن محمَّد الشهير بابن مسكويه المطبوع غير مرَّة في مصر. ففي المقالة السابعة من الكتاب وهي الاخيرة ذكر المؤلف علاج امراض النفس الغالبة عليها كالحزن والخوف ثم عقَّب ذكر الخوف المطلق بذكر الخوف من الموت هكذا (ص ١١٩ من طبعة سنــة ١٢٩٨) : « هذه جملة الكلام على الخوف المطلق. ولمَّا كان اعظم ما يلحق الانسان منهُ هو خوف الموت وكان هذا الخوف عامًّا الخ ». فعلى هذا البناء يكون المرجَّح نسبــة الرسالة لابن مسكويهِ لا سيَّما انَّ نسختنا ونسخة ليدن تسكتان عن اسم المؤلف. ولنــا برهان آخر على انَّ صاحب الرسالة هو ابن مسكويهِ وهو خلوّ فصاهِ من الخاتمة التي زيَّفنا رأيها في وحدة النفوس

(اطلب في المشرق حاشية ص٨٤٤) . وقد قابلنا بين نسخة باريس والنسختين المطبوعتين في مصر وفي ليدن فوجدنا بينها عدَّة روايات متباينة الَّا انَّ اكثرها غير جوهري

امَّا ما افاد جناب المكاتب عن شرح مثلَّثات قطرب فلهُ منَّا عليهِ الشكر وسنعود اليهِ ان شاء الله لأَننا قد وجدنا في مكتبة برلين نسختين جديدتين مضبوطتين من شرح المثلَّثات القطربيَّة غير ما رويناهُ

أمَّا ملحوظنا على ما قال صاحب المنتخبات العربيَّة في حسَّان بن ثابت فحملناهُ على تاريخ سنة الهجرة لا على زمن اسلام حسَّان . على ان تاريخ حسَّان كما يظهر لا يوثق بهِ ولا يتَّفق في روايتهِ الكتبة لضعفهِ (اطلب الاغانيّ وأسد الغابة لابن الاثير)

أسئلة وأجوبة

س سألنا احد ادباء الدمشقيين ما هي الآثار الخطيَّة التي وقف عليها علماء الالمان في قبَّة الجامع الامويّ في دمشق

الآثار المكتشفة في قبَّة الجامع الامويّ

ج قبل عشرين سنة بنيّف رحلنا الى دمشق لنبحث عمَّا فيها من الآثار الخطّيَّة وكنَّا سمعنا بانَّ في القبة التي في صحن دار الجامع الامويّ مخطوطات قديمة فتحفَّينا في السؤَال عنها فلم يستطع احد ان يفيدنا من امرها شيئًا بل كان جواب اكثر الذين سألناهم عن القضيَّة انَّ القبَّة لا تحتوي غير الصكوك والحجج المختصَّة بالجامع الاموي . الَّا انَّ علماء الالمان لم يكتفوا بذلك ونالوا من كرم جلالة السلطان ان يدخلوا القبَّة ويفحصوا ما فيها فدخلها البارون فون سودن (von Soden) والدكتور ڤيوله (Violet) فوجدا عددًا لا يُحصى من المخطوطات اكثرها على الرقوق فسعيا بضبطها ومعرفة مضامينها ورسم صورها . وبقي الدكتور ڤيوله اشهرًا متوالية يشتغل بذلك . فمَّا اكتشفه قطعٌ متعدّدة من الاسفار المقدَّسة من العهدين القديم والجديد باللغة الآراميَّة الفلسطينيَّة التي بها تكلَّم السيّد المسيح بينها فصول انجيليَّة ورسائل لبولس الرسول . واكتشف ايضًا عددًا وافرًا من الكتابات اليونانيَّة مضمونها صلوات كنسيَّة ورتب طقسيَّة وشذرات كتابيَّة وادبيَّات دينيَّة وقصص رهبانيَّة وكان في جملتها مزامير عربيَّة مكتوبة بالحرف اليونانيّ ووجد ايضًا مقاطيع شعريَّة لاوميروس وكانت هذه

الكتابات اليونانيَّة بخطوط بديعة وبعضها مزدانة بنقوش وقسمٌ من هذه الرقوق حُكَّت كتابتها اليونانيَّة فكُتب فوقها كتابات عربيَّة او سريانيَّة · ومن محتويات القبَّة ايضاً كراريس واوراق متفرّقة بالقبطيَّة والكرجيَّة والارمنيَّة معظمها يشتمل على فقرات من الاسفار المقدَّسة تفيد العلماء للمعارضة على النُسخ القديمة · واخطر منها شأناً آثار عبرانيَّة وسامريَّة تتضمَّن نسخاً من بعض كتب التوراة وتقاويم لاعياد السامريين وصلوات طقسيَّة تُتلى في الجوامع اليهوديَّة وصكوكاً شتَّى للبيع والاوقاف وعهوداً زواجيَّة · وبينها ايضاً مقاطيع لاتينيَّة وفرنسويَّة قديمة مع قصائد شعريَّة يرتقي عهدها الى الصليبيين وكان بعضٌ منها ملطَّخاً بالدماء مما يدلُّ على انَّها أُخذت في معامع الحروب · وممَّا يُسرّ باكتشافهِ محبُّو الآثار النصرانيَّة نسخة انجيليَّة يونانيَّة يرقّونها الى القرن الرابع وقطع من دياطسَّارون طاطيانوس (اطلب المشرق ٤ : ١٠٠) ومن اقوال الربّ التي تُنسب الى القديس بابياس تلميذ يوحنَّا الحبيب · وغير ذلك ممَّا لا يسعنا تعدادهُ · وقسمٌ كبير من هذه الآثار قد اهدتهُ الحضرة السلطانيّة الى الدولة الالمانيّة فنقُل الى برلين وبذلك نجت تلك الكتابات من ايدي الضياع وآفات التَّلف كالعثّ والرطوبة التي كادت تفنيها

س وسأل من سبرنغفيلد ماس بالولايات المتَّحدة الاديب الياس مخائيل صليبا ما هي اسماء التلاميذ الاثنين والسبعين الذين اوفدهم الربّ للرسالة كما ذكر لوقا البشير (١٠ : ١)

اسماء التلاميذ الاثنين والسبعين

ج لا يُعرف شيء ثابت من امر هؤلاء التلاميذ · واوَّل جدول سردهُ الكتبة الكنسيُّون لاسمائهم يرتقي الى القرن الخامس ينسب لكاتب سريانيّ اسمهُ عبديا · ثمَّ جاء دوروتاوس في القرن السابع ودوَّن جدولاً آخر شاع من بعدهِ في بعض التآليف · الَّا انَّ هذه الروايات كلّها لا سند لها · وقد اثبت حضرة الاب انطون ربَّاط في ستَّة اعداد من السنة الثالثة من مجلَّة الكنيسة الكاثوليكيَّة (ص ٤٧١ الخ) ما وجدهُ في هذا الصدد فليُراجع · وكذلك المنسنيور دوشان (Mgr. Duschesne) والعلَّامة بمشتارك (Baumstark) كتبا في ذلك مقالات انتقاديَّة نشرها الاوَّل في مجموعة اعمال المؤتمرات الكاثوليكيَّة والثاني في مجلَّة الشرق المسيحي (Oriens Christianus) وألَّف مؤخَّرًا الدكتور شرمان (Th. Schermann) كتاباً واسعاً في هذا الشأن طبعهُ في ليبسيك

ل · ش

فهرس اوّل

لموادّ أعداد السنة الحادية عشرة من مجلّة المشرق ١٩٠٨

رومية وسوريَّة للاب رينه موترد اليسوعي (٢٩١ – ٣٠٢)= كتابة آرامية لزكر صاحب حماة ولعش. للاب سبستيان رتزڤال اليسوعي (٣٠٢ – ٣١٠)

العدد ٥ (ايَّار) يوبيل سيّدة لورد وتدشين تمثال مريم العذراء في لبنان للاب لويس شيخو (٣٣١ – ٣٤٠)= العرس الفضيّ للمكتب الفرنسويّ الطبيّ للاب موريس كولنجت اليسوعي والدكتور هنري نكر (٣٤١ – ٣٥٤)= السيِلي او السِلَى او بلاد الشَرَق للاب انستاس الكرملي (٣٥٥ – ٣٦٣) = وصف آثار كوم الشقافة للخوري بولس ملحة المارونيّ (٣٦٣ – ٣٦٦)= القديس توما اللاهوتيّ وخلاصتهُ اللاهوتيَّة للقس جرجس منش المارونيّ (٣٦٦ –٣٧٩)= معاهد بغداد العموميَّة عند سقوطها الاوَّل . اثر قديم نشرهُ الاب انستاس الكرمليّ (٣٩٦ –٣٩٧)= مزامير القديس بوناونتورا بالشعر للشمَّاس داود صليوا الكلداني (٣٩٨ – ٤٠٠)

العدد ٦ (حزيران) معادن الرند الذهبيَّة والتعدين في الترنسفال وافريقية الجنوبيَّة للاديب اسكندري افندي طحيني (٤٠٣–٤١٧ ; ٧ : ٥٠١ – ٥١٠)= التماثيل والدُمَى في العبادة المسيحيَّة للاب لويس شيخو (٤١٨ – ٤٢٩)= نظر انتقاديّ في المطبوعات المصريَّة . لهُ (٤٣٠– ٤٤٠)= كتاب الرَحل والمَنزِل المنسوب لابن قتيبة . نشرهُ الاب ل . شيخو (٤٤٠ –٤٥٣) = من بوردو الى غواياكيل للاديب انداروس افندي كوبا الملوليّ (٤٦٥ –٤٧٣)= قصيدة في الحبر الاعظم بيوس العاشر للاديب يوسف افندي سودا (٤٧٨–٤٨٠)

العدد ٧ (تموز) خصائص الموازين العربيَّة واصل كيفيَّة نشوئها للاب انستاس الكرملي (٤٨٣–٥٠٠)= المِثل بالمثل للاب ر . س اليسوعيّ (٥١١–٥١٦)= شرح مثلَّثات قطرب . نشرها الاب ل . شيخو (٥١٦–٥٢٣)= عجائب تيبت . لهُ (٥٢٣–٥٣٦)= سلسلة مطارنة كرسيّ حلب للخوري كيرلُّس شارون الروميّ الكاثوليكيّ الملكيّ (٥٣٦–٥٤٥) = آثار تاريخيَّة للسريان . للاب ل . شيخو (٥٤٥–٥٥٣)

العدد ٨ (آب) السيّد اثناسيوس سفر العطَّار المارديني للقس اسحاق ارملة السريانيّ (٥٦٣–٥٧٠) = اللغة العربيَّة والحركات للاب انستاس الكرملي (٥٧٠–٥٨٠) = نخبة ثانية من كتاب نهاية الرتبة في طلب الحسبة . نشرها وذيّلها بالملحوظات الدكتور بيار كيك (٥٨٠–٥٩٤)= معادن الترنسفال غير الذهبيَّة . للاديب اسكندر افندي طحيني (٥٩٤–٦٠٤)= الزراعة في العراق للاديب يوسف افندي رزق‌الله غنيمة البغدادي (٦٠٤–٦١٧)= تاريخ دمشق لابن القلانسيّ . للاب ل . شيخو (٦١٨–٦٣٥) = لغز مطلوب حلّهُ (٦٣٦ ; ١١ : ٨٨٠)

العدد ٩ (ايلول) الحكومة الدستوريَّة والقانون الاساسيّ (٦٤١–٦٦١)= الخطّ الهمايوني (٦٦١–٦٦٤)= العذراء مريم في لبنان للاب ي . ي اليسوعيّ (٦٦٥–٦٧٥)= خادم امين رواية افرنسيَّة عرَّبها الاديب بشاره خليل الخوري (٦٧٦–٦٩٣)= المدارس والهيئة الاجتماعيَّة للاب خليل اده اليسوعي (٦٩٣–٧٠٥) = اصول البلاغة عند العرب لهُ (٧٠٦–٧١٤ ; ١١ : ٨٤٥–٨٥٣) = سلطة البابا الزمنيَّة للاب ش . ا اليسوعيّ (٧١٤ – ٧١٩) = مجلّة الكلمة والقديس اغناطيوس لويُلا . للاب خليل اده اليسوعي (٧٢٠–٧٢٣)

العدد ١٠ (تشرين الاوَّل) رسالة رعائيَّة في الحكومة الدستوريَّة لسيادة القاصد الرسولي

الاخ فريديانو جيانبي (٧٢٣-٧٣٦) = مؤتمران علميّان للاب ل. شيخو (٧٣٧-٧٥١)= كتاب نخب الذخائر في احوال الجواهر لمحمَّد بن ابراهيم بن ساعد الانصاري الشهير بابن الاكفانيّ (٧٥١-٧٦٥)= البادية والحيرة في عهد بني اميَّة للاب هنري لامنس اليسوعي (٧٦٥-٧٧٣)= حيَّة فوق سرير. تعريب احد طلبة كليّتنا (٧٨٣-٧٨٦)= الالفاظ السحريَّة. نظر للاب ل. شيخو اليسوعي: ١ً الحريَّة (٧٨٧-٧٩٥; ٢ً المساواة ١١: ٨٦٣ - ٨٧٠; ٣ً الاخاء ١٢: ٩٣٢-٩٣٨)

العدد ١١ (تشرين الثاني) يوبيلا الحبر الاعظم الكهنوتي والاسقفي للاب ل. شيخو (٨٠٣-٨١٧)= صدى المشرق قصيدة للاديب يوسف افندي الفاخوري (٨١٧-٨١٨)= بيوس العاشر ومرصد الفاتيكان. للاب لويس شيخو (٨١٩ - ٨٣٣)= ارعَ خرافي ارعَ نعاجي درس لاهوتي للاب يوسف ديلنسيفر اليسوعي (٨٣٣-٨٣٧)= تحية من الارز قصيدة للاخ ب. ب الراهب الماروني (٨٣٧-٨٣٨)= رسالة في الخوف من الموت وحقيقته وحال النفس بعده لاحد فلاسفة المسلمين نشرها الاب ل. شيخو (٨٣٩-٨٤٤; ١٢: ٩٥٦)

العدد ١٢ (كانون الاوَّل) اثر عربيّ نفيس في قدماء الرهبان نشرهُ الاب انستاس الكرملي (٨٨٣-٨٩٣)= الطبّ في الحبشة للصيدليّ عبدالله افندي ميخائيل رعد (٨٩٣-٨٩٩)= الدرَّة النفيسة في مآثر الكنيسة للخوري رفائيل البستاني الماروني (٨٩٩-٩٠١)= ترجمة عربيَّة من الانجيل الطاهر ليشوعياب بن ملكون للاديب يوسف افندي اليان سركيس (٩٠٣-٩٠٧) ملحق للاب ل. شيخو (٩٠٧-٩٠٩) = عاقبة الطمع الندامة. رواية معرَّبة عن الفرنسيَّة (٩١٠-٩١٧)= مؤتمران دينيَّان في عاصمة الانكليز للاب ل. شيخو (٩١٧- ٩٣٣)= التبريد الصناعي لاحد اساتذة كليتنا (٩٣٩-٩٤٣)

فهرس ثانٍ

يحتوي اسماء كتبة المشرق ومقالاتهم

فهرس ثالث

للمطبوعات الشرقية التي ورد وصفها في السنة الحادية عشرة من المشرق

الكتب العربيَّة والسريانيَّة والارمنيَّة الخ

مطبوعات اوربيّة

فهرس رابع

لجميع موادّ المشرق على ترتيب حروف المعجم

اصلاح بعض اغلاط وقعت في اعداد السنة

الصفحة ٤ السطر ١٩ « اهلة » صوابهُ « إهلًا » = ٦ : ٤ « خرق القتاد » ص « خرط القتاد » — ١٦ « ينبغي على الاسقف » ص « للاسقف » = ٧ : ٢٠ « الرمويّة » ص « الراهويّة » = ٩ : ٣ « ألـمَـنا اليهـا » ص « ألمنا » = ١١ : ٥ « يُعلِّ » ص « يُعلي » — ١١ « مآوى » ص « مآوٍ » = ١٤ : ١٣ « حلبة الافراح » ص « جلبة » = ١٦ : ١٣ « ثمّ فينضمّ » ص « ثمّ ينضمّ » — ٢٣ « اصطبحنا » ص « أصبحنا » = ٢٤ : ١١ و ١٣ « السنـة » ص « السنَّة » = ٢٩ : ٢١ و ٢٣ « التذليل » ص « التذييل » = ٣١ : ١٣ « المجيد » ص « المجين » = ٣٢ : ٢٦ « قد قدَّرت » ص « ان قدَّرت » ٣٧ : ١٣ « خَـمْجزي » ص « خمجرى » = ٣٨ : ٩

« همته » ص « اهميّته » = ٤٣ : ٢٢ « هذا السنة » ص « هذه » = ٥١ : ٢٢ « فضلًا عن
ان تُخمدها » ص « دون ان تخمدها » = ٦٨ : ١٥ – ١٦ « كلّ دائرة من الدرج » ص
كلّ واحدة من الدرج » – « الميل » لعلّ الصواب » المثل » والاصل غفل من النقط – « ١٥
ثوان » ص « ١٠ ثوانٍ » = ٧١ : ١٦ « فيدكون » ص « فيدركون » = ٨٥ : ٢٠ « الكتبة
الذي » ص « الذين » = ١٠٣ : ١٨ « إِلَيْكا » ص « إِلَيكا » = ١٠٤ : ١٣ « المُمتَنَغ »
ص « المُمتَنِع » = ١٠٥ : ٥ « مقتضاهُ » ص « مقتضاهُ » = ١٠٨ : ٢٢ « احتمى في احتمى »
ص « احتمى في احتسب » = ١٠٩ : ٤ « المجهول » ص « المجهول » = ١١٤ : ٩ « كجرنوبة »
ص « كخرنوبة » = ١٤٥ : ٤ « التومي » ص « التونسيّ » = ١٩٤ : ١٠ « اناجيل الزَّوْر »
ص « الزُّور » = ٢٠٣ : ٨ « دحرج القبر » ص « دحرج حجر القبر » = ٢١٧ : ٩ « بتثليث
ونفريس » ص « وتنطيس » = ٢٣٤ : ١ « ولكل » ص « لكل » = ٣٣٧ : ٩ « جذا الملم »
ص « جذا العمل » = ٤٢٢ : ٢١ « ابو قرَّة » ص « ابا قرَّة » = ٤٣٨ : ٦ « مزبرة »
ص « عزبزة » = ٥٢٤ : ٢٠ « منها قالهُ » ص « منها ما قالهُ » = ٦٣٠ : ٨ « Oinneker »
ص « Ginneken » = ٦٦٦ : ٥ – ٦ « لَمجداً . . وفخرا » ص « لَمجدٌ . . . وفخرٌ »
= ٦٦٨ : ٥ « ونصفًا » ص « ونصفٌ » ٧٥٢ : ١٠ « ابن الاكتانيّ » ص « ابن الاكفانيّ »
= ٤٩٢ : ٢٠ « كطاعتهم » ص « كطاعتنا » = ٧٩٣ : ٧ « لدولة سلطان » ص « لدولة او
سلطان » = ٧٩٤ : ٢٤ « اصحا » ص « اصحاب » = ٧٩٩ : ٦ « الى عشرون » ص
« عشرين » = ٨٤٠ : ١١ « والقينات » ص « والقنيان » = ٨٤١ : ١ « الجوهر » ص « واما
الجوهر » – « الموت لا مخافة منهُ » ص « الموت الذي لا مخافة منهُ » = ٨٤٢ : ٥ « الى شيء
الشيء » ص « الى الشيء » = ٨٤٣ : ١ « انّما يكون الحيّ » ويروى : « يكون بالادراك
والادراك انّما يكون للحيّ » = ٨٤٤ : ١٢ – ١٣ « انَّ الموت ليس بردى وانّما الردى هو
الخوف منهُ » ص « ليس برديّ وانّما الرديّ . . . » = ٨٥٥ : ٤ « منغلوط » ص « منفلوط »
= ٨٥٧ : ٤ « يوم جلوس » ص « يوم عيد جلوس » = ٨٧٣ : ١٨ « رئيس اساقفة كركوك »
ص « رئيس اساقفة سعرد »